الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦



الأنصار المهاجرون

كانت « الهجرة » حق الإسلام وحق المسلمين ؛ فليس الإسلام وقفاً على قريش .. وليس بواجب أن يكون المسلمون مكيين ؛ فإن ابوا انتهى أمر الإسلام والمسلمين .

كلا ...!

فالإسلام خاتم الأديان عام للبشر ؛ ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسول الله إلى الناس كافة ؛ قال تعالى :

« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ »(١) « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ »(٢)

وقد أبت قريش إلا الكفر فوجب الرحيل ؛ وفي الكتاب العزيز خطاب لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ »(٣) ... ووجبت الهجرة !

السنة التاسعة والخمسون
الجزء الأول
المحرم ١٤٠٧ هـ ـ سبتمبر ـ اكتوبر ١٩٨٦ م



الأنصار المهاجرون

ولم تكن هجرة قبل السنة الخامسة من مبعثه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا هجرة ـ كذلك ـ بعد فتحه ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكة في العام الثامن من الهجرة .. فمساحتها الزمنية ـ إذاً ـ نحو خمسة عشر عاماً ـ لا هجرة قبلها . ولا هجرة بعدها ..

●●●

كان « الأمان على المسلمين » ـ هو ـ مشغلة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا معنى لأن يترك المسلمون بلداً يَصُبُّ عليهم العذاب ليستقبلوا بلداً يضاعف لهم العذاب ؛ فلما شرح الله صدر رسوله صلى الله عليه وسلم للحبشة ؛ واطمأن لملكهم « أصحمة » الصالح أذن للمسلمين بالهجرة إليها ؛ فسبقت تلك الهجرةُ وَأَرْسَالُهَا الهجرةَ إلى « يثرب » .

فأما هجرة « يثرب » فقد سبقها مواسم حج ثلاثة تَلَتْ موتَ السيدة خديجة ـ رضى الله عنها : التقى ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الموسم الأول بستة رجال من الخزرج أسلموا جميعاً ولم يعهد إليهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأكثر من الحفظ لدينهم ، فلا ذكر للتاريخ فيها بأكثر من الاسلام ..

ثم كان الموسم التالى فالتقى ـ عليه الصلاة والسلام ـ باثنى عشر منهم اثنان من الأوس فأسلموا .. وكان بينهم وبين رسول الله عهد لا نص فيه على حماية ولا دفاع ..

ثم كان الموسم الثالث والأخير فالتقى ـ عليه الصلاة والسلام ـ بثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين هما : نسيبة بنت كعب من بنى النجار ، وأسماء بنت عمرو من بنى سلمة .. وفى الرجال أحد عشراً أوسِيًّا . فآمنوا أجمعون ، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهدٌ كامل نص على حق الحماية والدفاع .. وتم الاجتماع الثانى والثالث فى العقبة

وعادوا إلى « يثرب » فانتشر الإسلام فى كل بيت من بيوت « المدينة المنورة » ... رضوان الله ـ تعالى ـ عليهم أجمعين ..

وأذن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للمسلمين المعذبين بالهجرة .. فخرجت أرسالهم إليها ..

.. .. ..

وبعد :

فماذا كان بين البداية والنهاية للهجرة إلى المدينة ؟

كانت ـ هناك ـ بضعة حوادث لا تقع إلا من المؤمنين الراسخين ..

لقد انطلق ستة نفر من الأنصار أهل المدينة فخرجوا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليكونوا بجواره فى مكة نفسها ، وأولئك هم :

١ ـ أبو السبع الزُّرَقى : ذَكْوان بن عبد ق ، بن خَلَدَةَ بن مُخَلَّد بن عامر بن زُرَيق الخزرجى ، شهد العقبة الأولى والثانية[٤] ، وفـ بعد شهد مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدراً ، وقتل يوم أحد ، خرج إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وظل مقيماً بجواره فى مكة حتى هاجر عليه الصلاة والسلام ، فهاجر إلى المدينة .

٢ ـ أبو عبد الله البياضى : زياد بن الوليد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدى بن أمية ابن بَيَاضَةَ الأنصارى الخزرجى ، شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ـ خرج إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وأقام معه بمكة حتى هاجر عليه الصلاة والسلام .

٣ ـ العباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غَنْم ، من بنى عوف بن الخزرج الأنصارى ـ شهد العقبتين ، أو الأخيرة ـ بوجه خاص : فقد أخذ لرسول الله ـ ﷺ ـ أشد العهد وأوثقه ـ أعنى العهد الأخير ، روى عاصم بن عُمَر بن قتادة أنه قال لقومه ـ حينئذ :

يامعشر الخزرج ، هل تدرون علام تبايعون رسول الله ـ ﷺ ـ إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود ، فإن كنتم تَرَوْنَ أنها إذا نُهكت أموالكم مصيبةً وأشرافُكُم قتلاً أسلمتموه ، فمن الآن ، فهو ـ والله ـ إن فعلتم ـ خزىُ الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم مستضلعون به وافون له بما عاهدتموه عليه ـ على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فهو ـ والله ـ خير الدنيا والآخرة .

قال عاصم : فو الله ما قال العباس هذه المقالة إلا ليشد لرسول الله ـ ﷺ ـ بها العقد .

خرج العباس ـ رضى الله عنه ـ إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وهو بمكة وأقام معه إلى أن هاجر ـ عليه الصلاة والسلام ، وقتل ـ رضى الله عنه ـ يوم أحد .

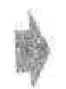
٤ ـ عقبة بن وهب بن كَلَدَةَ بن الجَعْد بن هلال بن الحارث ـ ينتهى نسبه إلى غَطَفان بن قيس عيلان الغَطَفانى ، حليف لبنى سالم بن غَنْم بن عوف من الخزرج شهد ـ رضى الله عنه ، العقبتين ، ثم شهد بدرا وأحدا .

قال ابن اسحاق : كان من أول من أسلم من الأنصار ، و لحق برسول الله ـ ﷺ ـ فلم يزل بمكة حتى هاجر رسول الله ـ ﷺ .

وهؤلاء الأربعة ـ رضوان الله عليهم ـ يتفق فيهم ابن سعد ـ رحمه الله ـ مع ابن الأثير فى خروجهم من المدينة إلى مكة وإقامتهم مع رسول الله ـ ﷺ ـ قال ابن سعد :

« وكان نَفَرٌ من الأنصار بايعوا رسول الله ـ ﷺ ـ فى العقبة الآخرة ، ثم رجعوا إلى المدينة ، فلما قدم أول من هاجر إلى قباء خرجوا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ بمكة حتى قدموا مع أصحابه فى الهجرة فهم مهاجرون أنصاريون ، وهم :

ذكوان بن عبد قيس ، وعقبة بن وهب بن كلدة ، والعباس بن عبادة بن نضلة ، وزياد بن لبيد »



الأنصار المهاجرون

ثم قرأت بـ« أسد الغابة » عن ا: آخرين من المهاجرين الأنصار هما :

٥ ـ رفاعة بن عمرو بن قيس بن ثعل بن مالك بن سالم بن غَنْم بن عوف بن الخزرج

وقد اعتمدت فى نسبه ما ذكره موسى بن عقبة بإسناده إلى ابن الزبير ـ رضى الله عنهم ـ فى روايته عمن شهد بدراً والعقبة ، وقد صَدَّرَ ابن الأثير ـ رضوان الله عليه ـ ترجمة له تزيد عما ذكرنا فجعله :

رفاعة بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة .. الخ وقال : شهد العقبة وبدراً وقتل يوم أحد ، قال : ويكنى أبا الوليد ، ويعرف بابن أبى الوليد ، لأن جده زيد بن عمرو يكنى أبا الوليد أيضاً .

خرج ـ رضى الله عنه ـ إلى مكة فأقام بجوار رسول الله ـ ﷺ ـ ثم عاد إلى المدينة .

٦ ـ عبد الله بن أُنَيْس الجهنى ثم الأنصارى حليف بنى سلمة من الأنصار .

كان مهاجرياً أنصارياً عقبيا شهد بدراً وأحداً ومابعدهما .

اتفق الواقدى وابن الكلبى على أن عبد الله بن أُنَيْس من الْبَرْك بن وبر من قضاعة ونسبه الكلبى ،فقال :

هو عبد الله بن أنيس بن أسعد بن حرام بن حبيب بن مالك بن غَنْم بن كعب بن تَيْم بن نُفَاثَةَ بن إياس بن يربوع بن الْبَرْك بن وَبَرَةَ ، قال :

ودخل وَلَدُ البرك بن وبرة فى جهينة .

● ● ●

هؤلاء هم الستة المهاجرون الأنصار ، وعندى أنهم رضوان الله عليهم وقد شرفوا بهذه المنزلة ـ .. ابت نفوسهم إلا أن تجاور رسول الله ـ ﷺ ـ وليقدموا لإخوانهم المهاجرين ما يرشدهم حين يحلون بالمدينة المنورة وفاء منهم لله ورسوله ، وحبا فى هذا الدين الكريم الذى غمرهم نوره فآثرت نفوسهم أن يقدموا لرسول الله ـ ﷺ ـ ولإخوانهم المغلوبين بمكة ـ كل عون ما وجدوا إليه سبيلا ، رضوان الله عليهم أجمعين[٥]

د. على أحمد الخطيب

---

(١) سبا ـ ٢٨

(٢) الانبياء ـ ١٠٧

(٣) الذاريات ـ ٥٤

(٤) اى الاجتماع الثانى والاخير ، ففى العقبة وقع العهد الاول ، والثانى كما سبق ..

(٥) راجع لابن الاثير ـ أسد الغابة ١٦٨/٣٢ ، ٢٢٢ ، ٢٧٣ ١٦٣/٣ ، ٦٢/٤١٧٩ مطبعة الشعب طبقات ابن سعد ٢٢٦/١ ـ ٤٩٨/٧

بالهجرة نشأت دار الإسلام واستقرت الأمة الإسلامية

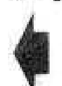
لصاحب الفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق / شيخ الأزهر

بالهجرة نشأت دار الاسلام ، ووجد للمسلمين وطن ، ونزل الوحى بالتكاليف الشرعية العامة ، وظهرت خصائص الجماعة الاسلامية ، وخوطب المسلمون بأنهم أمة ، ذات شريعة وذات مناسك ، انفردت بها عن غيرها من الأمم ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِى الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .

كان المسلمون قبل الهجرة أفراداً مفزعين ، يتخطفهم الناس ، وتتفرق بهم الأنحاء هنا وهناك ، فلا تضمهم أرض جامعة ، ولا يميزهم عن غيرهم من الناس إلا أنهم قوم يؤمنون بالله - لا يشركون به شيئا - ويوقنون بوعد الله سبحانه ، ويرقبون وعد الله بالنصر - لا يرتابون فيه - ويقفون أنفسهم على الخير عامة ، ويتلون آيات الوحى تتنزل بينهم ، ويتبعون الرسول ﷺ : عبادة وطهارة ونسكا .

فلما وقعت الهجرة إلى المدينة استقرت لهم داراً للاسلام ، فاتجهت إليها أبصارهم وهفت نحوها أفئدتهم ، وأسرع من كان منهم بالحبشة يحتمون بها ، وخاطر من كان منهم بمكة - ذليلا مستضعفا - يهاجر إليها ، ثم تبعهم من كان فى غيرها من البقاع أوزاعا وأفرادا .

بهذه نبتت نواة الأمة الاسلامية ،



واستقرت جذورها فى دار السلام ، فنشأت لهذه الأمة وحدة اجتماعية ودينية وسياسية ، تربط بين أفرادها روابط الاخاء ، وتحكم نفسها بحكم الله ، ولا تخضع فى حكمها أو فى علاقاتها بغيرها - من الوحدات الاجتماعية الأخرى - لسلطان يعلو سلطانها الذى خصها به الاسلام ، ولا تقوم معاملاتها مع الآخرين إلا على أساس من الحرية والاستقلال والمساواة .

بالهجرة استقر الوطن الاسلامى ، ونشأت أمة الاسلام ولديها أهلية التكليف ومقومات الأمم كاملة ، فكانت قادرة منذ نشأتها على أن تضع قواعد العلاقات مع غيرها من المجتمعات بأن تبرم المواثيق والعهود .

ومن ذلك أن رسول الله ﷺ وادع مَنْ بالمدينة من اليهود وكتب بذلك كتابا - أى وثيقة وعهدا - بين المسلمين وبينهم . على ما روته كتب السيرة والسنة النبوية ، وكان هذا أول مقامه - ﷺ بدار الهجرة (المدينة) .

وفى هذه الدار نزل الوحى بالأحكام العامة التى هى من أسس الاسلام ومن خصائص هذا الدين الحنيف ففرضت الزكاة ، وكتب الصيام على المسلمين .

وأخذت التكاليف الشرعية تترى بعد ذلك ينزل بها الوحى فى شئون العبادات والمعاملات والعقيدة ، والأخلاق ، والهداية ، والارشاد حتى تمت النعمة وكمل الدين .

وفى دار الهجرة نزلت الآيات تصف المسلمين بأنهم أمة ، وتخاطبهم بهذا الوصف ، وتعاملهم على أساسه .

وباستقراء آيات القرآن الكريم لا نجد الخطاب واردا بهذا المعنى على دقته إلا فى أربعة مواطن تتدرج في الحديث عن الأمة الإسلامية تدرج حال الأمة نفسها .

فلقد كانت الأمة المسلمة دعوة أبينا ابراهيم عليه السلام ، ثم تحقق وجودها برسالة محمد ﷺ ، فقامت تفصل بين الحق والباطل ، فيما التبس على الأمم السابقة . ثم اكتملت لهذه الأمة خصائصها العامة ، ونزل الوحى بخيريتها وتكريم الله لها واتمام نعمته عليها .

هذه المواطن الأربعة التى أبرزت معالم الأمة الاسلامية ، وخاطبت المسلمين بهذا الوصف وردت فى آيات مدنية نزلت فى دار الهجرة .

بدات هذه الآيات بذكر الأمة الاسلامية فى سياق البشرى للمسلمين ، أن الله تعالى سيجعل منهم أمة صالحة على ملة أبيهم ابراهيم ، استجابة لدعائه عليه السلام وهو يرفع القواعد من البيت واسماعيل ، وَيُسْكِنُ ذريته بواد غير ذى زرع عند بيت الله المحرم ، فنادى ربه أن يجعل من ذريته وذرية اسماعيل أمة مسلمة ، وأن يبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وأن تعمر الأمة هذا البيت الحرام ، وتطهره للطائفين والعاكفين والركع السجود . ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

ثم تنتقل الآيات إلى مرحلة أخرى فتتحدث عن جنوح الأمم السابقة ، وتحريف ما نزل إليها ، ثم تذكر الأمة الاسلامية وأنها على الحق المبين ، وأن الوحى الذى نزل إليها هو الفيصل ، وهو الميزان الذى يوزن به ما درجت عليه الأمم من قبل من أعمال وعقائد ، فتشهد الأمة الاسلامية على هذه الأمم بمقدار قربها ، أو بعدها من الهوى والحق ، ليكون المسلمون هم الأمة الوسط ، والأمة العادلة التى تشهد على الناس .

قال عز وجل : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ .

ثم يأتى الموطن الثالث الذى خوطبت فيه الأمة الاسلامية بهذا الوصف ، وهو الموطن الذى تتحدث فيه الآيات عن مقومات هذه الأمة وخصائصها العامة فتصفها وصفا جامعا ، أمرا ، ونهيا ، يقول الله سبحانه : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

والمعنى : والله أعلم بمراده ـ أن جماع خصائص الأمة الاسلامية : أنها أمة تدعو إلى الخير ، وتأمر بالبر ، وتفعله ، وتتناهى عن المنكر وتجتنبه ، وأن العاقبة لها بالفلاح والفوز فى الأولى والآخرة .

إنها أمة لا تتمثل بأمم أخرى تباعدت عن عمل الخير ، تقول الإثم ، وتأكل السحت ، ولا تتناهى فيما بينها عن منكر ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ .

ومن ثم جرت الآيات فى هذا الموطن بتحذير المسلمين أن يجرى عليهم ما جرى على أقوام وأمم أخرى من التفرق والاختلاف من بعد ما جاءهم البينات

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ .

وإذا كان الخطاب فى الآية موجها إلى المسلمين أن تكون منهم جماعة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر يكون المعنى : أن الفئة الداعية إلى الخير هى بعض المسلمين ، وأن الوجوب هنا وجوب كفائى ، والوصف قائم بالبعض .

وهناك فهم آخر له وجاهته وهو أن الأمة بهيئتها كأمة خيرة مخاطبة بهذا الأمر ، فالمعنى : كونوا أمة تدعو إلى الخير ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .



ويرشح هذا الرأى ويزكيه قوله تعالى فى نفس الآيات : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ والوصف هنا راجع إلى المسلمين عامتهم وخاصتهم .

لا يكاد ينتهى هذا السياق الجميل من الأمر والنهى الذى يحدد للأمة خصائصها حتى يرد الموطن الرابع الذى يختم فيه الوحى وصفها بهذا الوصف العظيم :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ .

إذ يتضمن هذا القول الحكيم بيان حال هذه الأمة فى الفضل على غيرها من الأمم وفيه دليل على أن هذه الأمة الاسلامية خير الأمم على الاطلاق ، وأن هذه الخيرية مشتركة بين أول هذه الأمة وآخرها بالنسبة إلى غيرها من الأمم ، وإن كانت متفاضلة فيما بين أجيالها وأفرادها على ما ورد فى فضل الصحابة على غيرهم .

هذه الخيرية التى ثبتت للأمة الاسلامية ، هى فى أصلها خيرية الاسلام فى ذاته ، وقد أورثها الاسلام هذه الخيرية ميراثا عاما ، وحكما قاطعا بوصفها أمة ، فلا يقضى لأفراد بفضل على الناس إلا من ذكر الوحى فضله ، ذلك أن الله تعالى جعل الفضل للتقوى وهو سبحانه أعلم بمن اتقى .

وقد نالت الأمة الاسلامية هذه الخيرية بشروطها وحدودها ، وخصائصها التى وفرتها دار الهجرة ، وحفظها ذلك الجيل الصالح عن صاحب الهجرة رسول الله ﷺ .

والأمل أن تنال الأمة اليوم خيريتها ، فتسير على ما كان عليه أصحاب دار الهجرة عملا ، وسمتا ، وعبادة ، وتراثا .

أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن السُدى فى هذه الآية قال : قال عمر ابن الخطاب : لو شاء الله لقال : ﴿ أنتم خير أمة ﴾ فَكُنَّا كُلُّنَا : ولكن قال : [كنتم] فى خاصة أصحاب محمد ، ومن صنع مثل صنعهم : كانو خير أمة أخرجت للناس .

وأخرج ابن جرير أيضاً عن قتادة قال : ذكر لنا أن عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية ثم قال : [ياأيها الناس : من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله منها] .

فما أحرانا اليوم ونحن نتذكر حادث الهجرة النبوية الشريفة . أن نتمثل فضلها ، ومنة الله علينا فيها ، فنحفظ هذا القول من عمر بن الخطاب رضى الله عنه ونرعى نعمة الانتماء إلى هذه الأمة الخيرة ، الآمرة بالمعروف ، والناهية عن المنكر .

ما أحرانا أن نتآلف ونتآخى وأن نترك الشقاق ، وأن نعود إلى شرع الله نحكمه فى أمورنا ففيه دواء أدوائنا ، وصلاح أحوالنا ، وجمع كلمتنا ، ثم هو سمتنا وبه نسمو على غيرنا من الأمم .

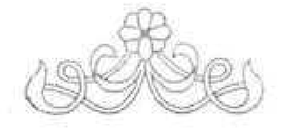
ما أحرانا أن نسارع إلى انقاذ شرع الله فى مجتمعنا حتى نكون المجتمع المسلم المسالم وأن نهجر تلك البضائع الخاسرة التى ألهتنا عن الحكم بالاسلام ، عقيدة وشريعة .

ماأحرانا أن نهاجر إلى الله فنتخلص

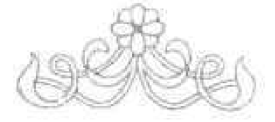
البـقـية ص ٣٣

دراسات إسلامية

تأمين قاعدة الإسلام بالمدينة



استغفار إبراهيم لأبيه



الحق والباطل

تأمين

قاعدة الإسلام بالمدينة بعد الهجرة

من أهم ما ينبغى على الأمة الاسلامية أن تذكره فى هذا العصر بالتأمل والدرس أن قاعدة الاسلام فى المدينة بعد الهجرة كانت هى حجر الأساس فى بناء التاريخ الاسلامى المجيد ، وأن الأسس التى قامت عليها كانت تجسيدا لتعاليم الاسلام فى توجيه حياة الأمة ، وتنظيم أركان الدولة فى مختلف الميادين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية •

ولو ركزنا النظر على القدرة الدفاعية ، لوجدنا أن سياسة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى بناء تلك القدرة قد حققت فى خلال عشر سنوات فقط اعداد جيش قادر ـ ليس على تامين شبه الجزيرة العربية فحسب ـ بل على مواجهة جيوش القوى الكبرى المحيطة بها : فارس فى الشرق ، وبيزنطة فى الشمال والغرب •

اولا ـ اقامة جبهة داخلية صلبة :

ولقد كان أول ما عمد اليه الرسول ﷺ فى المدينة ، اقامة جبهة داخلية صلبة وذلك بجمع صفوف المسلمين وتوحيد جبهتهم وايجاد رابطة قوية بينهم ، وبتنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية لكافة سكان المدينة من المسلمين والمشركين واليهود :

* بربط المهاجرين والأنصار بالمؤاخاة •

* وبتوحيد صف الانصار من أوس وخزرج •

* وبعقد معاهدة بين المسلمين من جهة وبين اليهود والمشركين من أهل المدينة من جهة أخرى لتنظيم شئون الحياة لهم جميعا •

ثانيا ـ القضاء على محاولات تفتيت الجبهة الداخلية :

وحرص الرسول ﷺ على تأمين سلامة الجبهة الداخلية بالتصدى لمحاولات تفتيتها أو اضعافها • ومن ذلك ما أخرجه ابن اسحاق وأبو الشيخ عن زيد بن أسلم قال : مر شاش ابن قيس ـ وكان يهوديا ـ على نفر من الأوس والخزرج يتحدثون ، فغاظه ما رأى من تآلفهم بعد العداوة ، فأمر شابا من يهود أن يجلس بينهم فيذكرهم يوم بعاث ، ففعل ،

للـواء : أ . ح .

محمد جمال الدين محفوظ

فتنازعوا وتفاخروا حتى وثب رجلان : أوس بن قيظى من الأوس ، وجعار بن صخر من الخزرج فتقاولا (تبادلا التفاخر) وغضب الفريقان وتواثبوا للقتال ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فجاء حتى وعظهم وأصلح بينهم فسمعوا وأطاعوا الله تعالى : « **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ** » .

ومن عجيب صنع القرآن ــ وهو يحذر من الفرقة والاختلاف ــ أنه عبر عن الاختلاف بالكفر ، لأن الاختلاف يوصل الى الكفر أو لأنه ملامح الكافرين ودأبهم ــ وهو ما يفهم من قوله تعالى « **وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ** (تختلفون) **وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ، وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** » (آل عمران ١٠١) .

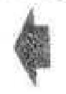
ففى ذلك توجيه للمسلمين بأن يكونوا أثبت الناس على الحق وأشدهم تمسكا به ، وأنهم لن يضلوا ما تمسكوا بكتاب الله وسنة رسوله وعملوا بما فيهما ..

ثم يوجه الله تعالى نداءه الى المؤمنين ليصغوا اليه ويهتموا بأمره ونهيه وارشاده ، ويامرهم بأن يتقوه حق تقاته وأن ينفضوا عن أنفسهم كل آثار الجاهلية من الكفر والفرقة والعداوة والبعد عن الخضوع لغير الله ، وعليم أن يذكروا ما كانوا عليه فى الجاهلية من عداوة وتقاتل وتفرق مما تسبب عنه اضعاف شانهم وتسلط عدوهم عليهم :

« **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ • وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** » (آل عمران ١٠٢ ــ ١٠٣) وفى صحيح مسلم ان رسول الله ﷺ قال : « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق جماعتكم فاقتلوه » .

وينبه القرآن الكريم أيضا الى خطورة الدور الذى يؤديه أعداء الدين والأمة فى التخذيل وتثبيط العزائم واضعاف الهمم ، ويوضح أنه كلما لقيت دعواهم آذانا صاغية فانهم يفرحون بذلك ويستبشرون وهذا شانهم فى كل عصر .

ومن الأمثلة التى أوردها القرآن أولئك المنافقون الذين دعوا المسلمين الى أن يتخلفوا عن الخروج لغزوة تبوك : « **فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا**



بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ • فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ • فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ »

(التوبة ٨١ — ٨٣) •

فالقرآن هنا لا يكشف محاولات التخذيل ولا يحذر المسلمين من الاستجابة لها فحسب ، بل يقرر أيضا ضرورة تطهير الأمة والجيش من أمثال هؤلاء المنافقين لشدة خطرهم •

ثالثا — حرمان الاعداء من مفاجأة المسلمين أو كشف أسرارهم :

فقد كان النبى ﷺ عيون وأرصاد فى المدينة يطلعونه على كل صغيرة وكبيرة تضر بالمسلمين فى السلم والحرب على حد سواء فاختار مثل حذيفة بن اليمان العبسى ليأتيه بأخبار المنافقين ونواياهم •

كما كانت له عيون وأرصاد خارج المدينة ، ففى مكة كان عمه العباس وبشير بن سفيان العتكى ، وفى القبائل العربية الأخرى فى أنحاء شبه الجزيرة العربية كان (على سبيل المثال) عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى فى قبيلة هوازن ، وكانت له أيضا عيون وأرصاد فى بلاد فارس وبلاد الروم •

وقد كان لهؤلاء العيون والأرصاد دورهم فى تأمين سلامة قاعدة الاسلام فى المدينة ، فلم تؤخذ على غرة أبدا ، فقبل (غزوة أحد) مثلا أرسل العباس عم النبى ﷺ رسالة يخبره فيها عن وقت خروج قريش لقتاله وعن عدد جيشها ، فأسرع حامل الرسالة بايصالها الى النبى ﷺ حتى انه قطع المسافة بين مكة والمدينة فى ثلاثة أيام ، فلما قرأ أبى بن كعب الرسالة على النبى طلب ألا يبوح بمضمونها لأحد •

وقبل (غزوة الخندق) التى عبا فيها المشركون عشرة آلاف مقاتل عدا اليهود لمهاجمة المدينة كان النبى ﷺ على علم بنوايا أعدائه من خلال عيونه وأرصاده فى مكة والقبائل العربية ، وحفر المسلمون خندقا حول المدينة كان مفاجأة للمشركين لما رأوه حتى قالوا : « والله ان هذا لمكيدة ما كانت العرب تكيدها »

وهذه الواقعة لا تدل على يقظة عيون الرسول وأرصاده وكفاءتهم فحسب ، بل تدل أيضا على عجز الأعداء عن الحصول على معلومات عن المسلمين ، وذلك على الرغم من أن حفر الخندق استغرق حوالى عشرين يوما ، كانت كافية جدا لعيونهم لكشفه والاخبار عنه •

وقد تحدث خبير المخابرات والجاسوسية العالمى (لاديسلاس فاراجو) عن قدرة المسلمين على حرمان العدو من مفاجأتهم وكشف أسرارهم فقال : « عندما قرر المكيون (قريش) أن يتخلصوا من محمد عليه الصلاة والسلام نهائيا ، عبأوا ضده قوة تتكون من عشرة آلاف مقاتل ، ولم ينزعج النبى ﷺ ، لأنه كان قد ترك فى مكة عملاء أكفاء أبلغوه بخطط أعدائه ، أما خصومه فلم يكن لهم عملاء

عنده ، ولذلك فعندما وصل المكيون الى المدينة ، أذهلهم أن يجدوا خندقا وجدارا يحيطان بالمدينة تماما احاطة السوار بالمعصم » •

رابعا — تطهير المدينة من اليهود :

سالم النبى ﷺ يهود المدينة وعاهدهم على المناصرة والمساعدة ولهم الحرية فى دينهم وفى جميع أحوالهم وأعمالهم ما وفوا بما عاهدوا ، فلما غدروا وخانوا العهد ، تخلص منهم جميعا ، وما أخذهم الا بما قدمت أيديهم ، فأجلى بنى قينقاع وبنى النضير ، وقضى على بنى قريظة ، وترك أهل خيبر بعد انتصاره عليهم زراعا فى أرضهم ولهم نصف ما يخرج منها حيث لم يصبح لهم نصير من اليهود أو الكفار •

خامسا : اجهاض تدابير العدو للعدوان :

ولم يكن الرسول ﷺ « يقف مكتوف الأيدى » أمام تدابير اعدائه للعدوان عليه ، بل كان عليه الصلاة والسلام « يتحرك بسرعة » الى أرض أولئك الاعداء فيجهض تدابيرهم ويقضى عليها فى مهدها وفى الكتاب العزيز قوله تعالى : « **وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ** » •

وأكبر دليل على قدرة المسلمين على الحركة السريعة على ذلك النحو ، أنهم كانوا «يباغتون» أعداءهم فى عقر دارهم ، لأن الرسول ﷺ كان يتحرك فور علمه بأنهم يدبرون للعدوان ؛ فيباغتهم قبل أن يستعدوا للقائه ، حتى لقد كانوا يتركون أرضهم وديارهم فرارا من مواجهة القوة الاسلامية ، ومن أمثلة هذه العمليات :

غزوة بنى سليم — ذى أمر — بحران ذات الرقاع — دومة الجندل — بنى المصطلق — بنى لحيان •

ولعل الدرس الذى نتعلمه من هذه المعطيات — على يد الرسول صلى الله عليه وسلم — أنه لا قيمة لأية قوة اذا لم تكن لديها القدرة على الحركة السريعة نحو الخطر أو التهديد فى الوقت المناسب وقبل فوات الأوان ، وأن اجهاض تدابير العدو للعدوان يجب أن يشكل ركنا من أركان الاستراتيجية العسكرية للأمة الاسلامية •

سادسا — أقصى درجات التأهب والاستعداد :

والحق أن القدرة على اجهاض تدابير العدوان ، والقدرة على رد العدوان بسرعة وقوة كانت من الخصائص البارزة لجيش الاسلام فى عصر النبوة ، فقد حرص الرسول القائد ﷺ على أن يكون المسلمون على أقصى درجات التأهب والاستعداد للقتال ، ولقد ضرب عليه الصلاة والسلام بنفسه المثل على ذلك حين سبق أهل المدينة نحو مصدر الصوت الذى أفزعهم ذات ليلة ، فلما انطلقوا وجدوه راجعا وقد استبرأ الخبر على فرس عرى (بدون سرج) والسيف فى عنقه وهو يقول : « لن تراعوا » !

وهكذا اجتمعت لدى المسلمين كل مقومات القدرة على الدفاع واجهاض تدابير العدوان :

١ — الانذار المبكر بفضل يقظة وكفاءة العيون والأرصاد ورجال الاستطلاع •

٢ — استعداد المسلمين الدائم للقتال وسرعة تلبيتهم لنداء النفير •

٣ — الكفاءة القتالية العالية بفضل التدريب على أساليب القتال بلا انقطاع حتى لقد كان بعض المسلمين يتدرب فى أيام العيد ؟

المعاصرون والهجرة

مع بداية المحرم يبدأ عام هجرى جديد هو امتداد زمنى فى تاريخ المسلمين ، وهو يذكرنا بالهجرة . هجرة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصحبه ، تلك الهجرة التى قضت على كل توقعات المشركين وهزمت اعدادهم ، وقدمت للعالم نماذج انسانية فريدة لم تتكرر وهاهو الفلك يدور دورته فيمضى عام ويقبل عام جديد آخر .

عام مضى لا ندرى ما الله فاعل به ، وعام آتى لا ندرى ما الله صانع فيه هذا عام ينادينا : يا ابن آدم أنا عام جديد وعلى عملك شهيد فتزود منى قبل أن أذهب ولا أعود .

يقول الله تعالى : **« إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِى الْأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ »** (سورة آل عمران ١٩٠ : ١٩١) .

الى تاريخنا ــ نحن المسلمين ــ ان أوله مشرق وهذا حاضره مظلم . أوله أمة قوية تكونت من لبنات صحراوية متفرقة جمع التوحيد بين قلوبها وربطت الأخوة الدينية بين عواطفها . رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يحفظ الله بهم الارض . بواطنهم كظواهرهم بل اجلى وسرائرهم كعلانيتهم بل أحلى وهممهم عند الثريا بل أعلى . ان عرفوا تنكروا . وان رئيت لهم كرامة أنكروا تحبهم بقاع الأرض وتفرح بهم أملاك السماء . قيمتهم فى علمهم وجهادهم لا فى حسبهم ونسبهم .

يقول الله تعالى :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » .
(الحجرات ١٣) .

ويقول سبحانه مخاطبا نبيه ــ صلى الله عليه وسلم .

« وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا » (الكهف آية ٢٨) .

تلك أمة تركها الرسول الكريم ــ صلوات الله وسلامه عليه بعد أن حول جهالتها علما

للأستاذ محمد المحمدى مراد غنيم

وحكمة • وشكها ايمانا واطمئنانا • تركها بين الأمم قوية عزيزة مرهوبة الجانب • لها فى شئون العالم رأى • وفى مجال الحياة أعمال •

مارسوا كل صفة نبيلة جاء بها دينهم فكانوا تطبيقا عمليا لمبادىء الاسلام • فسموا فى الحياة وسمت بهم الحياة • لهذا كان تكريم الله للمهاجرين على خطى الرسول — صلى الله عليه وسلم — وتقديمه لهم بايمانهم الصادق وجهادهم الظاهر فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم جليا ومتكررا فى آيات القرآن الكريم التى جعلت رحمة الله والقربى اليه مرتبة بترتيب السبق الى هذه الهجرة من مكة الى المدينة لحاقا برسول الله — صلى الله عليه وسلام •

ثم السبق الى نصرة الله ورسوله بالجهاد الصادق •

ثم الاتباع له بإحسان يقول الله تعالى : **وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ». (سورة التوبة آية ١٠٠) •

يرفع الله عز وجل درجة المهاجرين بايمانهم وجهادهم فيقول :

« **الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ** »• (سورة التوبة آية ٢٠) •

ولهم رفعة بنسبة بلائهم وقوة صبرهم وانتصارهم للحق بعد ما تبين لهم يقول تعالى:

« **ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ** » (**النحل ١١٠**) •

ويعدهم بثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة فيقول :

« **وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ • الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** » (النحل آية ٤١ ، ٤٢) •

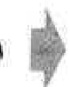
هذا صهيب الرومى لما أراد الهجرة قال له كفار قريش أتيتنا صعلوكا فقيرا فكثر مالك عندنا • وبلغت الذى بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ؟ والله لا يكون ذلك أبدا •

فقال لهم صهيب : أرأيتم ان جعلت لكم مالى • أتخلون سبيلى ؟ قالوا : نعم •

قال فانى جعلت لكم مالى فبلغ ذلك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : ربح صهيب •• ربح صهيب وفيه نزل قول المولى سبحانه وتعالى •

« **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ** » وتلاها — صلى الله عليه وسلم — على صهيب » (البقرة ٢٠٧) •





والصديق : أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ من قبل ذلك وضع ماله كله فى سبيل الله •• ووضع حياته كلها حمى لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الهجرة •

وكم من رجال لهم فى الهجرة أحداث يشيب لها الوليد تحملوها ـ فى سبيل الله ـ نصرة لدينه ، بل كم من نساء ضحين ـ فى سبيل الله ـ عز وجل ـ وهن الضعاف بالآباء والأمهات وترف الجاه ، وولين وجوههن الى الحبشة والى المدينة لله وحده فلما بدلت الأمة الاسلامية وغيرت ـ وفرطت وضيعت وهانت على نفسها وهانت عليها مبادئها وأعارت حوادث الدهر آذانا صماء وعيونا عشواء واشتغل أفرادها ورجال الفكر فيها بما لا يجدى من الفكر الخبيث وألوان العبث بدل الله عليها وغير أحوالها فتناوشتها الذئاب والسباع وطاح منها الأمن والسلام فهى كما يقول تعالى :

« وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ » (النحل ١١٢) •

وصدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم اذ يقول : توشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تداعى الأكله الى قصعتها فقالوا : أو من قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل • ولينزعن الله من صدور أعدائكم المهابة منكم • وليقذفن فى قلوبكم الوهن •

قالوا : ما الوهن يارسول الله ، قال حب الدنيا وكراهية الموت) (متفق عليه) •

تحليل فى الهجرة :

هاجر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ **وهاجر المؤمنون :**

فكانت هجرة خالصة لله ليسلم لهم دينهم •

لم تكن هجرة لطلب مال •• ولا كانت هجرة لزهرة من زهرات الدنيا ، تركوا المال وراءهم ، وحرمت عليهم الأرض بعدها •

وعندما ارتحلت أبدان القوم وأجسادهم من مكة الى الحبشة كانت هجرة قوم هجروا المعاصى تماما فكانت هجرتهم سلامة لدينهم وتركا للمعاصى ثم استقامة دائمة على الأمرين فلم يبدلوا بعد ذلك أبدا •

فليعلم من يريد العزة ، ويشتهى الكرامة أن هذا هو الثمن ، وليذكر المولى القادر القائل :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ • وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ • وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » (الأنفال ٢٣ : ٢٦) •

الهجرة الباقية :

وهى الدائمة الى أن يرث الله الأرض ومن عليها يقول رسول الله ـ صلى الله عليه

وسلم : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية (رواه الشيخان) فالعمل — فى سبيل الله — لتعود للاسلام أرضه ويرفرف عليها لواء الحق جهاداً فى سبيل الله واعلاء لكلمته هو الهجرة الباقية ، فليست هى هجرة من بلد الى آخر انما هى ترك اللهو والمعصية من أجل الاقبال على الله ، جاء بمسند أحمد رضى الله عنه من حديث فضالة بن عبيد بن ناقد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى حجة الوداع •

ألا أخبركم بالمؤمن ؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم • والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده ، والمجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله • والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب •

وفى سنن أبى داود من حديث عبد الرحمن ابن عوف عن أبى هند عن معاوية قال : سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم يقول : لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها •

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرد عنا كيد الطامعين • وأن يجمع كلمتنا على الخير والصلاح وأن يهيىء لنا من أمرنا رشداً •

وأن ينصرنا على أنفسنا وعلى أعدائنا انه قريب مجيب الدعوات ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم •

وفد نجران

فى سورة آل عمران

قال الله تعالى : « فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ » .

لما تم فتح مكة فى السنة الثامنة من الهجرة ، عظمت هيبة الدولة الاسلامية الفتية ، وخافها جيرانها الذين لا يزالون على دينهم من مشركين وأهل كتاب ، فلهذا بعثوا وفودهم الى الرسول صلى الله عليه وسلم يطلبون السلام أو يعلنون الاسلام .

ومن هذه الوفود وفد نجران ، وكانوا نصارى ، وعددهم ستون راكبا ، فيهم من أشرافهم أربعة عشر راكبا ، ثلاثة منهم يرجع اليهم أمرهم جميعا وهم : (العاقب) واسمه عبد المسيح ويعتبر أمير القوم وصاحب القول الفصل فى آرائهم .

(والسيد) صاحب مجتمعهم وملجؤهم فى وقت الشدة ، حيث يطعم الجياع ويغيث المستغيثين ، واسمه الأيهم .

(وأسقفهم) وعالم دينهم ، واسمه أبو حارثة ابن علقمة ، من فصيلة بكر بن وائل : فلما حضروا دخلوا على رسول ﷺ عقب صلاة العصر ، وكان عليهم ثياب (الحبرات) (١) — جبب وأردية (٢) — وكانوا مختمين بخواتم الذهب ، ومعهم بسط فيها تماثيل ، ومسوح جاءوا بها هدية للنبى ﷺ ، فلم يقبل البسط لوجود التماثيل بها ، وقبل المسوح ، فقال أصحاب النبى ﷺ : ما رأينا مثلهم جمالا وجلالة ، وحانت صلاتهم فقاموا فصلوا فى مسجد النبى ﷺ الى المشرق — أى الى بيت المقدس ، فقال النبى ﷺ (دعوهم) أى اتركوهم يصلوا كما أرادوا .

والعظة التى نأخذها من هذه القصة ، هى أنه يجوز لمن بيده الأمر أن يأذن لغير المسلم بدخول المسجد ، وأن يؤدى صلاته فيه حسب ديانته ، وهذا مثل أعلى فى التسامح مع أهل الأديان .

وأقام الوفد أياما يناظرون رسول الله ﷺ فى عيسى — عليه السلام — ويزعمون أنه ابن الله الى غير ذلك من العقائد الشنيعة ،

١ — ضرب من الثياب اليمانية .

٢ — جمع رداء وهو ما يلبس فى أعلى البدن .

لفضيلة الدكتور
مصطفى محمد الحديدى الطير

ورسول الله ﷺ يرد عليهم البراهين الساطعة، وهم لا يبصرون ، فنزل فيهم صدر هذه السورة الى نيف وثمانين آية ، وقد دعاهم رسول الله ﷺ الى المباهلة وسيأتى الحديث عنها بمشيئة الله تعالى .

ولو تتبعنا تلك الآيات التى نزلت بسببهم وشرحناها وناقشنا عقائدهم لاحتاجت الى سجل كبير ، وليس هذا مجال المجلات ، وانما مجاله الكتب الطويلة المبسوطة ، فلهذا نقتصر على بعض حججهم التى تبين طريقة فهمهم وتعصبهم لما عليه الآباء وان أباه الحق ، وناقضته البراهين ، واليك البيان .

« مناقشة عقائدهم » ..

بدأت سورة آل عمران بتقرير التوحيد بقوله تعالى «الٓمٓ : اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ» وتقرير حقية القرآن والكتب السماوية قبل تبديلها بقوله سبحانه « نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ » .

ثم سار النسق القرآنى على هذا النحو من احقاق الحق وابطال الباطل ، ولما دعاهم الرسول ﷺ الى الاسلام بعد أن أوضح لهم الحق .

قالوا : كنا مسلمين قبلك .

فقال صلى الله عليه وسلم : « يمنعكم من الاسلام ثلاث : عبادتكم الصليب ، وأكلكم لحم الخنزير ، وزعمكم أن لله ولدا » .

قالوا فمن مثل عيسى خلق من غير أب ؟

فأنزل الله فى هذه السورة ردا عليهم «إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ . الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ» ٥٩ ، ٦٠ سورة آل عمران .

والواقع أن الله تعالى يضع من القوانين التكوينية ما يشاء ، ويخالفها بأخرى كلما أراد ومن ذلك أنه خلق آدم من تراب بغير أب وبغير أم ، ثم قال له كن فكان ، وخلق حواء من غير أم ، ثم قال لها كونى فكانت ، ثم خلق عيسى من أم دون أب ، وخلق سائر الناس من آباء وأمهات ، وبهذا ظهر لمن له عقل أن تكوين الانسان لا يتبع قاعدة واحدة ، بل هو الى الله تعالى يفعل فيه ما يشاء ، وظهر أن آدم أعجب من عيسى خلقا ، حيث خلق بغير أب وبغير أم ، وأن حواء تساوى عيسى فى أنها خلقت من أصل واحد لا من أصلين ، فقد خلقت من ضلع آدم فهو أب لها وليس لها أم .

وهناك من يرى أنها خلقت من فضلة طينة آدم ، فتكون كآدم بغير أب وبغير أم ، ولو

كان الأمر كما زعم هؤلاء ومن على شاكلتهم ، لكان آدم ابنا لله وحواء بنتا لله ، لأنهما مثله أو أولى منه بالبنوة ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا •

لقد خفيت هذه الحقائق على النصارى مع وضوحها ، فتعصبوا لأفكار مدسوسة على النصرانية ، وهم يعرفون من دسها عليهم ، وهم يعتبرونه رسولا وما هو برسول ، فانه لم يكن من الحواريين ، بل كان عدوا لدين عيسى ثم انقلب صديقا مؤمنا ليهدم المسيحية عن طريق الدين •

« لا حاجة لله فى أن يتخذ ولدا » ••

ونحن نسأل هؤلاء وأولئك : أى حاجة لله فى أن يتخذ له ولدا ، لقد خلق الله السموات والأرض ، ولم يعى بخلقهن باتفاق جميع الأديان، وأنه مازال يدبرها ويحفظها، وهو جل جلاله لا تعتريه شيخوخة ولا ضعف وهو حى لا يموت ، وكل ذلك أمر مسلم به فى جميع الديانات ، فأية حاجة له الى الولد •

ان الولد معوان لأبيه ، والله غنى عن الاعانة، والولد يرث أباه بعد موته ، والله حى لا يموت، وأناجيلهم وعهدهم القديم مشحونة بالرد على معنى البنوة الذى فهموه ، ومن ذلك النص على أن من أطاع الله كان ابنا لله ، ومن عصا الله كان ابنا الشيطان ، فالمطيع فى كتبهم ابن لله وليس المسيح وحده ولا عزير وحده ، والعاصى ابن للشيطان ، فالبنوة فى كلتا الحالتين كناية عن مجرد الانتماء الشديد ، وليست بنوة الولادة والتناسل ، ومثل ذلك ما جاء عن السيد المسيح — عليه السلام •

وروى أنهم لما قالوا للنبى ﷺ : أرنا عبدا خلق من غير أب •

قال لهم صلى الله عليه وسلم « أعجبتم من عيسى ليس له أب ، فآدم ليس له أب ولا أم ، فذلك قوله تعالى « **وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا** » •

« دعوتهم الى المباهلة » ••

ولما لم تنجح معهم الحجج والبراهين الساطعة دعاهم الى المباهلة ، وهى أن يجتمع القوم اذا اختلفوا فى شىء ، فيقولون لعنة الله على الكاذب أو الظالم منا ، وفى ذلك يقول الله تعالى : « **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ** » •

فقال بعضهم لبعض : لا تفعلوا فانكم لو فعلتم اضطرم عليكم الوادى نارا فلهذا قالوا للرسول ﷺ : أما تعرض علينا سوى هذا ؟ فقال : « الاسلام أو الجزية أو الحرب » •

ومعنى الآية : فمن جادلك وخاصمك فى شأن عيسى بعد أن اتضح أنه عبد لله ورسوله — وليس ولدا لله — فقل لهم : اقبلوا ندع أبناءنا وأبناءكم ، ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نجتهد فى الدعاء أن يجعل الله لعنته على الكاذبين •

وقد رضى القوم بدفع الجزية بعد أن أخبرهم كبيرهم العاقب أنهم ان باهلوه

اضطرم عليهم الوادى نارا ، فان محمدا نبى مرسل ، ولقد تعلمون أنه جاءكم بالفصل فى أمر عيسى ، فتركوا المباهلة وانصرفوا الى بلادهم على أن يؤدوا كل عام ألف حلة فى صفر ، وألف حلة فى رجب ، فصالحهم الرسول على ذلك بدلا من الاسلام .

وزاد بعض المؤرخين أنه مع كل حلة أوقية من ذهب .

ثم قالوا أرسل معنا أمينا ، فأرسل معهم أبا عبيدة عامر بن الجراح ، وكان يسمى أمين هذه الأمة .

والمتأمل فى هذه القصة يرى أن امتناعهم عن المباهلة ، دليل على شكهم فى صدق ما هم عليه، وأن دعوة الرسول اياهم اليها دليل على ثقته بصدقه واطمئنانه الى نصر ربه ، وذلك من أعلام النبوة المحمدية .

أمره بدعوتهم الى التوحيد وترك الأرباب ..

ومما أمر به النبى ﷺ فى هذه السورة « قل **يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** (٦٤) » .

والمقصود من أهل الكتاب هنا من سيقت هذه الآيات لهم ، وهم وفد نجران وهذا ما قاله الحسن وابن زيد والسدى .

وقال قتادة وابن جريج وغيرهما : الخطاب فيها ليهود أهل المدينة ، خوطبوا بذلك لأنهم جعلوا أحبارهم فى الطاعة كالأرباب ، وقيل هم : اليهود والنصارى جميعا ، ونحن نرجح الرأى الأول ، لأن السياق يقتضيه ، وهذا لا يمنع من شمول الحكم لجميع أهل الكتاب ، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، ولهذا كتبها الرسول ﷺ فى كتابه الى هرقل ، وقد جاء فيه .

« من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وان توليت فان عليك اثم الأريسيين (١) ، و « **يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** » .

فان قيل : هل يكفى فى الايمان عبادة الله وحده دون النطق برسالة محمد ﷺ كما هو ظاهر نص الآية — فالجواب أنه لا يكفى ، فالشهادة برسالته شطر كل من الاسلام والايمان وذلك مفهوم من المقام ، فانه لا يدعو الى عبادة الله وحده سوى الرسول ﷺ ، فمن عمل بما جاء به فلابد أن يؤمن برسالته ليأخذ عنه كل الأحكام الدائرة حول التوحيد وغيره من شئون الدنيا والآخرة .

والمقصود من اتخاذ أحبارهم أربابا من دون الله أنهم ينزلونهم منزلة ربهم فى قبول تحريمهم لما لم يحرمه الله ، وتحليلهم لما لم يحلله قالوا : والآية حجة على بطلان رأى أبى حنيفة بثبوت الأحكام بالاستحسان العقلى عند عدم النص ، فانه تشريع لما لم يشرعه الله كما كان الأحبار يعملون ، وفيها رد على الروافض القائلين : يجب قبول قول الامام دون ابانة سبب شرعى ، هذا وبالله التوفيق .

---

١ — المقصود من الأريسيين عامة الشعب .

استغفار ابراهيم لأبيه

قال الله تعالى :

« مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ، وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ » التوبة ١١٣ ، ١١٤ والآيتان مدنيتان تعددت الروايات حول سبب نزول الآية : ما كان للنبى والذين آمنوا

١- روى عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة قال له رسول الله ﷺ : ياعم : قل لا إله إلا الله . أحاج لك بها عند الله ، فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية : اترغب عن ملة عبد المطلب ، فقال : أنا على ملة عبد المطلب أبداً فقال عليه الصلاة والسلام : لأستغفرن لك مالم انه عنه فنزلت الآية « إنك لا تهدي من أحببت » .

ولعل المؤمنين كانوا يستغفرون لأبويهم الكافرين ، وكان النبي ﷺ يفعل ذلك فلما نزلت سورة التوبة منعهم الله من الاستغفار .

٢ - يروي عن على أنه سمع رجلا يستغفر لأبويه المشركين قال : فقلت له : أتستغفر لأبويك وهما مشركان فقال : أليس قد استغفر ابراهيم لأبويه وهما مشركان ، فذكرت ذلك للرسول عليه الصلاة والسلام فنزلت هذه الآية : ما كان للنبى .

٣ - روي ان رجلا اتى النبى ﷺ وقال : كان أبى فى الجاهلية يصل الرحم ويقري الضيف ويمنح ماله ، وأين أبى فقال النبى : أمات مشركا ؟ قال : نعم ، قال : فى ضحضاح من النار فولى الرجل يبكى ، فدعاه ﷺ فقال له : إن أبى وأباك وأبا ابراهيم فى النار .

إن أباك لم يقل يوما أعوذ بالله من النار .

ومعنى الآية : ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ويصح أن آمنوا .. ما ينبغى وما يصح للنبى والذين يحتمل التعبير معنى النهى بمعنى أنهم نهوا

لفضيلة الدكتور
محمد محمد خليفة

عن الاستغفار وسبب المنع من الاستغفار ما ذكره الله في قوله : « من بعد ما تبين لهم انهم أصحاب الجحيم » وقوله تعالى : « إن **الله لا يغفر أن يشرك به** » وقد سبق قضاء الله بأن يعذب المشركين ولا يغفر لهم بسبب شركهم بنص الآية والعلة المانعة من الاستغفار ظهور أنهم من أصحاب الجحيم فلا فائدة من الاستغفار وهذه العلة لا تختلف بأن يكون المستغفر لهم من الأقارب أو الأباعد ، ولهذا قال الله : ولو كانوا أولى قربى .

« وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه » .

إن ابراهيم عليه السلام مع منزلته واتصافه بأنه أواه حليم منعه الله من الاستغفار لأبيه وقد حملت آيات القرآن استغفار ابراهيم لأبيه أكثر من مرة فيما حكاه القرآن في قوله :

١ - « وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ »
٢ - « رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ » .
٣ - « قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي »
٤ - « لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ » .

والاستغفار للكافر لا يجوز ، وهذا يدل على أن ابراهيم عليه السلام قد أذنب في طلب الاستغفار ، وكان الجواب ما حملته الآية : وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه .

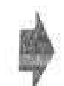
والضمير في وعدها يجوز أن يعود إلى أبي ابراهيم أي أن أباه وعده أن يؤمن فكان ابراهيم يستغفر له بناءً عن وعده له بالإيمان فلما تبين له أنه لم يؤمن وأنه عدو لله تبرأ منه ، وترك الاستغفار .

ويجوز أن يعود الضمير إلى ابراهيم وأنه قد وعد أباه أن يستغفر له رجاء اسلامه « فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه » . وقد اختلف في السبب الذي تبين به ابراهيم عليه السلام أن أباه عدو لله فقيل .

١ - إن الله عرفه ذلك عن طريق الوحي .
٢ - إن إصرار أبيه على الكفر هو الذي كشف لابراهيم عداوة أبيه لربه وقد ذيل الآية بقوله : « إن ابراهيم لأواه حليم » .

والأواه : هو شديد التأوه ، وإخراج النفس المحترق من صدره وروى عن النبي ﷺ : أنه قال : الأواه : الخاشع المتضرع وكان ابراهيم عليه السلام كلما تذكر تقصيره تأوه إشفاقا على نفسه واتصف ابراهيم كذلك بالحلم والصبر على الأذي والمحن .

ومن اتصف بهذين الوصفين تعظم رقته على الناس جميعا وبخاصة على أبويه حين يتهددهما مكروه في الدنيا أو ينتظرهما شر عظيم في الآخرة ، ومع هذه الرقة التي عرف بها ابراهيم فقد تبرأ من أبيه حين تبين عداوته لله .



استغفار إبراهيم لأبيه

رسل الله إلى ابراهيم

قال تعالى : « وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ • فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ • وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ • قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ • قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ • فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ • إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ • يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ » هود من ٦٩ ـ ٧٦ اللام فى قوله : لقد تفيد تأكيد خبر القصة المتوقعة بعد أن ساق قصة عاد وثمود

والرسل جمع رسول وأقل الجمع ثلاثة

وقد ورد قصة هؤلاء الرسل فى غير موضع من القرآن فجاءت فى سورة الذاريات : « هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ »

وفى سورة الحجر « وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ »

وفى العنكبوت : « وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ »

وكان الرسل الذين جاءوا ابراهيم عليه السلام ملائكة واختلف فيهم وفى عددهم .

١ ـ قال ابن عباس رضى الله عنهما : إنهما جبريل وملكان معه .

٢ ـ وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل

٣ ـ وقال الضحاك : كانوا تسعة

٤ ـ وقال محمد بن كعب : جبريل ومعه سبعة

٥ ـ وقال السدي : أحد عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم .

٦ ـ وقال مقاتل : كانوا اثنى عشر .

وكانت مهمتهم بالنسبة لابراهيم إبلاغ البشرى بالإنجاب من سارة بدليل قوله « **فبشرناها بإسحاق** » والمهمة الأخري أنهم أرسلوا إلى قوم لوط بالعذاب الذى كتبه الله عليهم بدليل قولهم فيما حكته هذه السورة « إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ » .

ولما كان المقصود فى هذه السورة ذكر أخبار أقوام الأنبياء ، وتكذيبهم لهم ولحوق العذاب بهم عدد الكثير من الأمم بأسلوب ، وإلى عاد .. وإلى ثمود .

أما ابراهيم فتغير الأسلوب حيث قال : « وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ » لأن الرسل لم يجيئوا بالعذاب لقوم ابراهيم وإنما جاءوا له بالبشرى ولقوم لوط بالعذاب ولهذا تغير الأسلوب بالنسبة لابراهيم ، وعاد الأسلوب إلى ما كان عليه بالنسبة لمدين حيث قال وإلى مدين

واختلف فى البشرى التى جاء بها الرسل فى قوله « وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ » فقيل :

١ ـ البشرى بالولد فيما ذكر في قوله تعالى : « **فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ** »

٢ ـ البشرى بسلامة لوط وإهلاك قومه الذين كانوا يعملون السيئات .

« قالوا سلاما » هذا استئناف وقع جوابا لسؤال مقدر تقديره : ماذا قالوا حين جاءوا وجاء الجواب قالوا سلاما ، وسلاما منصوب بفعل تقديره : سلمنا سلاما ، أو نسلم عليك سلاما « قال سلام » وهذا استئناف أيضا وقع جوابا بالسؤال تقديره : ماذا قال ابراهيم وجاء الجواب : قال سلام والمعنى أمرى سلام ، أى أنا أريد السلامة . ويجوز أن يراد سلام عليكم فحذف الخبر .

« فما لبث » ابراهيم « أن جاء بعجل حنيذ » العجل : ولد البقرة ـ الحنيذ : المشوى في حفرة من الأرض بالحجارة المحماة ، وذلك ما يفعله البدو .

وقيل : الحنيذ : الذى يقطر دسمه وقد كان ابراهيم عليه السلام كريما يحب الضيفان ، ويسعده أن يقدم لهم الطعام .

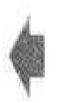
وقد روي أنه مر عليه خمسة عشر يوما لم ير فيها ضيفا ، فلما رأى هؤلاء الضيوف « الرسل » عجل بتقديم الطعام لهم ، ومالبث في المجيء ، أو لم يمض عليه وقت بعد أن حضر الضيوف حتى قدم لهم ذلك العجل المشوى . فلما رأى أيديهم لا تصل إليه إلى الطعام أو إلى العجل المشوي « نكرهم » وانكرهم ومادة « نكر وانكر واستنكر » بمعنى واحد .

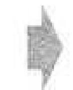
وقد امتنع الملائكة عن الطعام ، ولم تصل أيديهم إليه ، لأنهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون .. وقد جاءوا على صورة بشرية ، ولمجيئهم على تلك الصورة انكر عليهم موقفهم من عدم وصول أيديهم إلى ماقدم إليهم .

ولعل ابراهيم عليه السلام ما كان يعلم أنهم ملائكة بل هم من سواد الناس ، وقد خاف أن يصيبوه بمكروه ولذلك سارع إلى تقديم الطعام ، ولما امتنعوا عن الأكل خاف ، ولو اكلوا لأمن من الخوف .

أو لعله كان يعلم أنهم ملائكة ، ولكنه خاف أن يكون حضورهم لأمر ينكره من تعذيب قومه أو إيذائهم « واوجس » أى أضمر من جهتهم « خيفة » حينما ظن أن حضورهم لأمر قد يكون شراً وكأن الخوف تجلت أماراته في ملامح ابراهيم عليه السلام وحين سمع قولهم : لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط أى بالعذاب زال الخوف من نفسه ولم يصرح في هذه السورة أنهم أرسلوا بالعذاب ، وقد صرح به في سورة الذاريات : « **قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ** » إلخ .

« وامرأته » سارة بنت عم ابراهيم « قائمة » وراء الستر تستمع إلى الرسل ، لأنها ربما خافت هى كذلك حينما رأتهم لا يأكلون أو « قائمة » تخدم الأضياف وابراهيم قاعد « فضحكت » ولعل ذلك الضحك أثرا للفرح بزوال الخوف عن ابراهيم حين قال له الملائكة : « **لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ** » أو لعلها كانت ناقمة على





استغفار إبراهيم لأبيه

قوم لوط لفعل الخبائث ، فلما علمت أنهم جاءوا لاهلاكهم سرها ذلك فضحكت.

وقيل : إن سارة كانت طلبت من ابراهيم أن يرسل إلى لوط ابن أخيه ليضمه إليه خيفة أن ينزل الله بقومه شرا لما يفعلون من الخبائث ، ولما جاء الملائكة وأخبروا ابراهيم أنهم جاءوا لإهلاك قوم لوط فرحت فضحكت ، لأنه سيحدث لقوم لوط ماتوقعته وقد يكون فى الكلام تقديم وتأخير والأصل : وامرأته قائمة فبشرناها بإسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب فضحكت وكان سبب الضحك البشارة التى بشرت بها بالولد وقد قاربت المائة من سنى عمرها ..

وقيل : ضحكت ، بمعنى حاضت وذلك حين فرحت بالسلامة من الخوف ، وأنكر بعض علماء اللغة أن يكون ضحكت بمعنى حاضت ، وقرر بعضهم وجود الضحك بمعنى الحيض فى اللغة « **وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ** » .

« وراء » إما بمعنى بعد أى بعد إسحاق يعقوب .

وإما أن يكون الوراء بمعنى : ولد الولد .

وسئل الشعبى : أهذا ابنك ؟ فقال : نعم من الوراء ، وكان ولد ولده « قالت ياويلتا » الويل : أصله : وَىْ وهو الخزى ، فيقال : وى لفلان أى خزى له فويلك : خزى لك ، وقيل يقال ويل لمن وقع فى الهلاك .

وقال الزمخشرى فى الكشاف : الألف فى ويلتا مبدلة من ياء الإضافة فى ياويلتى كما فى يالهفا ، وياعجبا .

« **ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِى شَيْخاً** »

حيث كانت سارة بنت تسعين أو تسعة وتسعين ، وكان إبراهيم عليه السلام ابن مائة وعشرين سنة . والبعل : الزوج ، وأصل البعل : القائم بالأمر ، فالبعل قائم بشئون الأسرة .

وشيخا : حال ، والعامل معنى الاشارة ، وقرىء بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى : هو شيخ ، أو خبر بعد خبر ، أو هو الخبر ، بعلى بدل من اسم الاشارة أو بيان له وقد حملت الآية الكثير من التعجب فى قوله : ءألد وأنا عجوز ، وقولها : إن هذا لشىء عجيب وقول الملائكة : أتعجبين من أمر الله ، وقد تعجبوا من تعجبها .

وقد تعجبت بحسب العرف حيث إن المرأة التى تجاوزت التسعين ، وبعلها حين يتجاوز مائة وعشرين حين تبشر بالانجاب لا شك أنها تكون تنكر ذلك وتستكثره بسبب العرف المعروف ولم يكن التعجب بحسب قدرة الله .

وقد ذكرت بيان حالها فيما حكاه القرآن : ءألد وأنا عجوز على بيان حال الزوج فيما حكاه القرآن كذلك « وهذا بعلى شيخا » لأن بعد حالها من الولادة أعظم .

أما الشيوخ إذا تزوجوا بشابات فقد يكون الانجاب منهم كثير . والبشارة بالولد كانت متوجهة إليها ، ولهذا بدأت ببيان حالها فى أنها عجوز لا يتأتى منها الإنجاب .

إن هذا الشىء عجيب ، بالنسبة إلى سنة الله السائرة بين العباد ، والجملة استئناف

وقعت جوابا لسؤال مقدر ، وهى تعليل لاستبعاد حدوث الانجاب فى مثل هذه الأعمار .

« قالوا أتعجبين من أمر الله » وهذا استئناف كذلك يقع جوابا بالسؤال مقدر تقديره فماذا قالت الملائكة ، وجاء الجواب : قالوا أتعجبين من أمر الله ، والمراد بأمر الله قدرته وحكمته ، وقد أنكروا عليها تعجبها ، ومدار الإنكار أنها كانت ناشئة فى بيت النبوة ومهبط الوحى والآيات والمعجزات والخوارق ، فكان الجدير بها ألا تنكر هذه الخوارق التى بشرت بها من الانجاب فى هذه السن ، وكان الخليق بها حينما بشرت بذلك أن تسبح الله وتحمده وتكبره ولذلك قالوا : رحمة الله وبركاته عليكم حيث أن رحمته وسعت كل شىء ، ومنها يفيض الخير ، والبركات : الخيرات النامية المتكاثرة ومن بينها هبة الأولاد .

وقيل : الرحمة : النبوة ، والبركات : الأسباط من بنى إسرائيل ، لأن الأنبياء منهم وكلهم من ولد إبراهيم ، وأكثرهم من أولاد إسحاق ، أو من أولاد يعقوب بالأخص فإذا خص الله بيتا من البيوت بالكرامات والخيرات ، وظهرت فيه المعجزات والآيات البينات فما ينبغى أن يتعجب أحد من أهل ذلك البيت مما آتاهم الله .

« أهل البيت » منصوب على النداء أو على الاختصاص للمدح لأنهم أهل بيت خليل الرحمن إنه حميد فاعل كل ما يستوجب الحمد وهو المحمود الذى تحمد أفعاله « مجيد » كثير الخير والاحسان إلى عباده ، وهو الماجد ذو الشرف والكرم .

والمقصود من ذكر الحميد المجيد : إزالة التعجب حيث لا يتعجب من فعل الحميد المحمودة أفعاله الماجد الكريم العظيم الذى يفيض الخير على العباد .

وقد تداخلت قصة إبراهيم فى قصة لوط حيث قال الله .

« فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ۝ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ » .

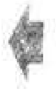
ولما ذهب عن إبراهيم الفزع ، وذهبت آثار الخوف واطمأن قلبه بعد أن عرف سبب مجيء الرسل .

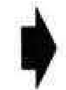
والفاء فى قوله : فلما ذهب لربط أحوال إبراهيم بعضها ببعض تلك الأحوال التى بدأت من قوله تعالى : « وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى » حتى ينتهى ما يتصل بابراهيم فى السرد القصصي عند قوله تعالى : « وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ » .

وأخر الفاعل فى قوله : « فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ » لتبقى النفس منتظرة وروده حتى يجىء فيتمكن فى النفس تمكنا عظيما .

ولقد سر إبراهيم عليه السلام « وجاءته البشرى » بعد أن ذهب عنه الخوف حين أنكر الأضياف وجواب لما فى قوله : فلما ذهب عن إبراهيم الروع إما أن يكون تقديره : أخذ أو شرع لدلالة الكلام عليه .

أو يكون تقديره : فلما ذهب عن إبراهيم الروع جادلنا .





استغفار إبراهيم لأبيه

وإبراهيم لم يجادل الله وإنما جادل رسل الله ، والذى دفع إبراهيم إلى المجادلة انه كان يريد تأخير العذاب عن قوم لوط بعد قول الملائكة : انا مهلكو أهل هذه القرية ، فقال إبراهيم : أرأيتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين ؟ أتهلكونها ؟ قالوا : لا ، قال : فأربعون ، قالوا : لا قال : فثلاثون قالوا : لا حتى بلغ العشرة قالوا : لا قال : أرأيتم إن كان فيها رجل مسلم أتهلكونها ، قالوا : لا فعند ذلك قال إبراهيم : إن فيها لوطا .

وقد ساق الله القصة فى سورة العنكبوت على النحو الآتى :

« وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ . قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ » . فمجادلة إبراهيم كانت في قوم لوط بسبب مقام لوط بينهم وقيل : ابراهيم حين جادل كان يرجو أن تلحقهم رحمة الله فيؤخر عذابهم أملا فى أن يقبلوا على الإيمان ، وأن يتوبوا عن المعاصي وفعل المنكرات .

وكان يفسر أمر الله فيهم بايصال العذاب لا على الفور بل يقبل التراخى .

وقد طلب من الملائكة أن يصبروا بعض الوقت لعلهم يتوبون .

اما الملائكة فكان رأيهم أن أمر الله فى هؤلاء لا يقبل التراخي ، بل ينبغي أن يكون على الفور ، فحصلت المجادلة حول تفسير أمر الله فى إيقاع العذاب بقوم لوط أيكون على الفور أم يصح فيه التراخى إلى حين أملا فى إيمانهم .

« إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ » وهذا مدح من الله لإبراهيم .

الحليم : هو الذى لا يتعجل فى إيقاع العقاب ، بل يؤخر العقاب أملا فى حصول العفو فجدال إبراهيم كان يهدف من وراء إلى الوصول إلى تأخير العقاب حينا لعلهم يؤمنون وكان إبراهيم أواها شديد التأوه والتحسر والحزن حين علم أن مجيء الملائكة لإهلاك قوم لوط ، فأخذ يتأوه ، فوصفه الله بهذه الصفة : الأَوَّاه .

ومن كان أواها كان منيبا راجعا إلى الله فى كل أموره لاجئا إلى التوبة والانابة كلما أحس بتقصير فى جنب الله .

وبهذه الصفات بين الله ما حمل إبراهيم عليه السلام على جداله مع الملائكة .

« يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ » لقد طلب الملائكة من إبراهيم الإعراض عن الجدال ؛ لأن أمر الله وقدره الجارى بإيصال العذاب إلى هؤلاء المجرمين قد جاء ، وإذا جاء أمر الله وقضاؤه بهذا العذاب فلا سبيل إلى دفعه ، ولهذا أمروه بترك المجادلة .

وكان أمر الله الذى جاء هو : «وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ » أى أن عذاب الله الذى قضى به لا يرد ولا يمكن دفعه بجدال ولا بدعاء ولا برجاء وانطلق ملائكة الله إلى حيث قرية لوط فيما ذكره القرآن بعد ذلك حول قصة قوم لوط فى قوله تعالى :

« وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا »

بحوث في الأموال (١)

الزكاة .. والضرائب

للشيخ فضل الرحمن بن محمد بن عبد الله

■ بين يدى البحث :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وبعد :

فإن الاسلام دين الله الخالص أرسل به - سبحانه - اول رسله ، وأول خلقه ادم - على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام - ونادى به خاتم النبيين والمرسلين محمد - ﷺ ، فهو الدين الذى ارتضاه الله - عز وجل لعباده دائماً ابداً .

قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ المائدة [٣] .

لقد جمع هذا الدين محاسن الدنيا والآخرة ، فما من عمل دنيوى يمارسه المسلم عن طاعة لله ورسوله إلا كان له اجر عبادة فمنهجه خير كله ليس فيه مشاكل ، إنما المشاكل منوطة بالمناهج البشرية ومع ذلك فالاسلام لا يتخلى عن حل ، ومع الكتاب العزيز ، والسنة الشريفة ومناهج الصدر الاول من أصحاب رسول الله - ﷺ ، ورضوان الله عليهم - إلى مناهج الائمة المقدمين الذين ارتضتهم هذه الأمة .. مع ذلك كله تزول العقبات ، وتتلقى الأرض رحمة السماء ، وتسير الحياة على خير ما يرجو البشر .

لقد ترك الاستعمار فى أكثر البلاد الاسلامية نظمه الاقتصادية التى ارتبطت بمصالحه ، وشيئا فشيئا كبّلتِ الأممَ الاسلامية وعاقت نهوضها ، ولقد آن الأوان أن نمارس نظام الاقتصاد الاسلامى الذى

أرسى دعائمه رسول الله - ﷺ وتوالى به العمل من خلفائه ثم من بعد ذلك إلى قرون ، نَعِمَ المسلمون فيها بالخير وفاضت عليهم النعمة فلما غَيَّروا وبدلوا سيطر عليهم الاستعمار وأورثهم فقرا ، بل ذلا فى أكثر الأحيان .

والزكاة احدى ركائز الاسلام وركن من أركانه أوجبته الشريعة وطالبت به رءوس الأموال حقا لله لا يمكن أن يتلاعب به مسلم بينه وبين سريرة نفسه وضميره لعلمه وايمانه بأن الله علام الغيوب ، والزكاة لا يجحدها إلا كافر ، وما منعها إنسان إلا وجب قتاله عليها ، والمسلمون - والحمد لله - يمارسون فرائض دينهم - فيما بينهم وبين أنفسهم طواعية لله ، وملايين المسلمين تلتزم باخراج الزكاة مع أن غالبية دولهم لا تطالبهم بها .. ولـكـــــن .. !

ما أكثر من يتهرب من الضرائب ، وما أكثر من يحتال لاسقاطها ، وما أكثر من ينجح فى ذلك ، وقد يفعل دون أن يحس من ضميره بتأنيب أو ألم ، فإن احساسا دينيا « ما » غير مرتبط بتلك الضرائب .. ها نحن نرى المسلم يمتنع عن الطعام والشراب ولذائذ الحس فى صيامه رمضان دون رقيب عليه إلا نفسه لعلمه اليقين أن الصوم فريضة من الله .. وكذلك احساسه فى الزكاة وغيرها .. ومحال أن ترتقى إلى هذه الدرجة شرعة ليست لله - عز وجل .

من أجل ذلك .. !

كان البحث .. وقد ألقينا الضوء - فيه - على الضرائب الجاهلية ، ونعنى بها ما كانت قبل الاسلام وما شاكلها .

وأرجو أن يكون هذا الجهد محل تقدير من علماء الأزهر الشريف(١) . والله أسأل كمال التوفيق .. إنه نعم المعين .

منهج الاسلام

للاسلام منهج يكون به المال حلالا ويكتسب شرعية اسلامية تجعله طيبا سواء منه ما يئول إلى الدولة .. أو يئول إلى الفرد ، وهو فى كلا حاليه المالُ الطيبُ الذى استخلف الله - عز وجل - فيه عباده .. والله - سبحانه - طيب ، لا يقبل إلا الطيب وما كان على غير هذا النهج فليس له عند الله قبول ، بل هو من الجاهلية وعلى شرعتها قديما وحديثا .

لقد تجمعت الميزانية الأولى فى الاسلام من موارد الدولة التالية :

الزكاة ، الغنائم ، الجزية ، الخراج ، القطائع ، العشور .. ولكل مورد من هذه أحكامه الشرعية التى يتحصن بها من الحرام فيكون حلالا كله ، ولم يكن من بينها المُكس

---

[١] كاتب البحث احد علماء باكستان ، وإمام مسجد مبارك بـ« لاهور » ، واحد اعضاء الدورة الثانية للائمة التى اقامها الأزهر بمدينة البعوث الاسلامية لتخريج ائمة على مستوى عال ينتفع بهم فى مجال الدعوة الاسلامية فى كافة انحاء العالم .

ملاحظة : فى بداية هذه الهوامش ننبه إلى ان المراجع قد اعد منها الباحث وهو بـ[باكستان] .

الذى نلقى عليه الضوء هنا باعتباره لونا من نظم الجاهلية الحرام :

المَكْس .. الماكس أو المَكَّاس :

وقد وردت فيه أحاديث شريفة تحرمه ـ باعتباره ـ ضريبة ظالمة ، ويطلق على مُحَصِّلِها « الماكس » أو « المَكَّاس » أو « صاحب المكس » وكان ضريبة تؤخذ جبرا فى الجاهلية ، قال رسول الله ـ ﷺ ـ

« إن صاحب المكس فى النار »[٢] وقال ـ عليه الصلاة والسلام :

« لا يدخل الجنة صاحب المكس ـ يعنى العشار »[٣] .

قال الحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ ـ بصدد ما حل ببعض الديار الاسلامية من هذا النوع من الضريبة :

« ... أما الآن فإنهم يأخذون مكسا باسم العشر ، ومكوسا أُخَر ليس لها اسم بل شىء يأخذونه حراما وسحتا ويأكلونه فى بطونهم نارا ، حجتهم فيه داحضة عند ربهم ، وعليهم غضب ولهم عذاب شديد »[٤] .

لقد رأى المنذرى هذا من بعض الحكام فتصدى لهم بالبيان فى القرن السابع الهجرى وجاء مثل ذلك فى « الفتح الربانى » قال :

« إن المكس من أعظم الذنوب ، وذلك لكثرة مطالبات الناس ومظلماتهم ، وصرفها فى غير وجهها »[٥] وقال ـ فى مكان آخر من مؤلفه :

« إنما كان فى النار لظلمه الناس وأخذ أموالهم بدون حق شرعى ، فإن استحل ذلك كان فى النار خالدا فيها أبدا ، لأنه كافر ، وإلا فيعذب فيها مع عصاة المؤمنين ما شاء الله ، ثم يخرج ويدخل الجنة »[٦] .

ولننظر ـ فى الموارد التى أقرها الاسلام :

■ **الجزية :**

وهى مال يؤخذ من أهل الذمة للاجتزاء به فى حقن دمائهم أى فى مقابل وجوب دفاع المسلمين عنهم وحماية أنفسهم وأموالهم وأرضهم ، وليس ذلك ليكون عنوان قهر لهم كما يحلو للبعض أن يردده حقداً على الإسلام والمسلمين ، ولأن وجوب الدفاع منوط بالمسلمين لم يكن عليهم جزية ، فعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ :

« ليس على المسلم جزية »[٧] .

فلم يفرضها الاسلام كما فرضها كسرى عنوان قهر وظلم[٨] .



---

[٢] الأموال لأبى عبيد ص ٤٦٩ ـ مسند احمد ١٠٩/٤ ، الفتح الربانى للساعاتى ١٧/١٥ .

[٣] سنن الدارمى ص ٣٠٩ ، وانظر مسند احمد ١٥٠/٤ ، والأموال ص ٤٦٩ ، والمستدرك للحاكم ٤٠٤/١ وابا داود ص ٤٠٨ .

[٤] الترغيب والترهيب ٥٦٧/١

[٥] الفتح الربانى للشيخ عبد الرحمن الساعاتى ١٨/١٥ .

[٦] الفتح الربانى ١٧/١٥ .

[٧] راجع المفردات للراغب الأصبهانى ، وسنن ابى داود باب فى الذى يسلم فى بعض السنة هل عليه جزية ... ؟

[٨] انظر تفسير المراغى ٩٦/١٠ .

روى أبو داود بسنده إلى عثمان بن أبى سليمان أن النبى - ﷺ - بعث خالد بن الوليد إلى أُكَيْدِر دُومَةَ ، فَأُخِذَ ، فأتوه به فحقن له دمه وصالحه على الجزية[9] .

وهى واجبة على أهل الذمة المصالحين للمسلمين قال تعالى :

« قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ »[10] .

ذكر الحافظ ابن حجر أن هذه الآية هى الأصل فى مشروعية الجزية ، قال :

واختلف فى سنة مشروعيتها فقيل : فى سنة ثمان ، وقيل : فى سنة تسع ١٠ هـ .

وليس كل أحد يؤخذ منه الجزية ، ولا كل جماعة ، فهذا عمر لم يأخذ جزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - أخذها منهم[11] وإذا تتبعنا باستقصاء أحوال الجزية وجدنا للإمام فيها فسحة فى إيجابها أو رفعها عن البعض فى أحوال خاصة ، وكان من منهج الخلفاء الراشدين التسهيل فى أخذ الجزية ، وتقديرها فى ضوء استطاعة المأخوذ منه .

سأل ابن نجيح مجاهدا : ما شأن أهل الشام عليهم أربعة دنانير ، وأهل اليمن عليهم دينار ؟ قال : ذلك من قبل اليسار[12]

خففت على أهل اليمن بسبب ضعفهم المادي .

■ **الخـــراج :**

من موارد الدولة الاسلامية ، وشاهدها على حفظ الثروة المحلية لأهلها ، وهو ضريبة موضوعة على رقاب الأرض ، وضعها عمر بن الخطاب فى الشام والعراق ومصر ، وأبى مصادرة هذه الأراضى وتوزيعها على الفاتحين .

روى عن العلاء بن الحضرمى - رضى الله عنه - أنه قال :

« بعثنى رسول الله - ﷺ - إلى البحرين فكنت آتى الحائط[13] يكون بين الأخوة يُسْلِمُ أحدهم ، فآخذ من المسلم العشر ، ومن المشرك الخراج »[14] والقاعدة فى ذلك كله الرفق فى التحصيل .

فقد استدعى عمر - رضى الله عنه - عثمان ابن حنيف ، وحذيفة بن اليمان ، وكانا قد تَوَلَّيَا مساحة الأرض بالعراق فسألهما : هل حملتما الأرض ما لا تطيق ، فقال عثمان : حملت الأرض أمرا هى له مطيقة ، وقال

---

[٩] سنن ابى داود - باب فى اخذ الجزية .
[١٠] التوبة ٢٩ راجع تفسير الآية لدى الفخر الرازى .
[١١] راجع فتح البارى لابن حجر ٢٥٩/٦ ، وانظر سنن الدار قطنى ١٥٥/٢ ، وكنز العمال ٥٠٢/٦ .
[١٢] صحيح البخارى - كتاب الجزية ، وانظر مصنف عبد الرزاق ٣٣٠/١٠ .
[١٣] الحائط :البستان .
[١٤] رواه احمد وابن ماجه .

حذيفة : وضعت عليها أمراً هى له محتملة ، وما فيها كثير فضل ، فاطمأن عمر[١٥] .

بل إن الاسلام يهدف إلى الرفق حتى فى الأحوال الخاصة كضريبة الغلة التى يفترضها السيد على رقيقه ، روى الامام البخارى - رضى الله عنه - عن أنس بن مالك قال :

« حجم أبو طَيْبَةَ النبى - ﷺ - فأمر له بصاع أو صاعين من طعام وكلم مواليه فخفف عن غلته أو ضريبته[١٦] .

وشدد رسول الله - ﷺ - النكير على المستهين بالام الناس ، فعن حكيم بن حزام - رضى الله عنه : انه مر بالناس - من اهل الذمة - قد اقيموا فى الشمس بالشام ، فقال : ما هؤلاء[١٧] ؟ قالوا : بقى عليهم شىء من الخراج ، فقال : إنى اشهد انى سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول :

« إن الله - عز وجل - يعذب يوم القيامة الذين يعذبون الناس » .

قال : وامير الناس يومئذ عمير بن سعد على فلسطين ، قال : فدخل عليه ، فحدثه فخلى سبيلهم[١٨] .

« يتبع »

[١٥] راجع للدكتور بدوى عبد اللطيف - الميزانية الاولى فى الاسلام - ص ١٩ ، ٢٠ سلسلة الثقافة الاسلامية ١٨ القاهرة ١٣٧٩ - ١٩٦٠ .

[١٦] صحيح البخارى باب ضريبة العبد وتعاهد ضرائب الاماء ، وانظر للترمذى - الجامع الصحيح باب ما جاء فى الرخصة فى كسب الحجام .

[١٧] .... اى ما حال هؤلاء .

[١٨] رواه مسلم ، وانظر مسند احمد ٤٠٣/٣ .

بالهجرة نشأت دار الإسلام - بقية

العمل ، ونستديمه عملا صالحا ، مثمرا نبتغى به وجه الله وصالح المسلمين .

إن هذه الأمة باقية بفضل الله إلى يوم الدين ، معصومة بعصمة الله عن أن تجتمع على ضلال ، مرعية فلا يضيع منها شىء من شرع الله الحنيف .

ما أحرانا أن نجتمع على الخير ، ونأتلف على الرشد ، ونتعاون على البر ، ونوثق روابط الاخاء الاسلامى ، على مثل ما وثق به محمد ﷺ الاخاء بين المهاجرين والأنصار فى يوم الهجرة ، ثم ننأى عن الشقاق ، ونسعى بكل ما نستطيع إلى الحب والتراحم والوفاق .

إنه ليطيب لى فى مطلع هذا العام الهجرى الجديد ان أهدى خالص التهنئة إلى جميع المسلمين فى اقطار الأرض ملوكهم ورؤسائهم ، وأمرائهم وقادتهم وشعوبهم .

واخص بالتهنئة ابناء شعب مصر . ورئيس مصر الرئيس محمد حسنى مبارك واسال الله ان يجعله عام خير ، ويسر ، وبركة ، وسلام ، وامن ، وعافية للمسلمين فى كافة الأقطار .

وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين .

الدولة الإسلامية

اجتماعيا .. واقتصاديا .. وسياسيا

ـ بداية تكوين الدولة الاسلامية :

لقد (١) كانت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة بمثابة بداية تكوين مجتمع اسلامى ذى شخصية متميزة مستقلة .

ولوجه الحقيقة ، فانه لا يمكن القول بأن الدولة الاسلامية الأولى قد قامت فى المدينة أثناء حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى بعد اتساع رقعة الدولة ، وشمولها لمعظم الجزيرة العربية ، فما كان محمد صلى الله عليه وسلم الا رسول الله ، ينطق بما يوحى اليه ، ويدير شئون حياة المسلمين الدينية والدنيوية على مقتضى ما ينزل به الوحى الالهى . يقول الله تعالى : « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا » (الأحزاب/٣٦) . وعلى هذا فممارسته صلى الله عليه وسلم للسلطات السياسية فى الدولة لا يعدو الممارسة الواقعية التى اقتضتها طبيعة الاجتماع ذاتها ، وما كان المجتمع الاسلامى آن ذاك الا النواة التى قامت عليها الدولة الاسلامية فيما بعد ، والمدرسة التى لقنت فيها المبادىء العامة الاسلامية والأسس التى تقوم عليها حياة المسلمين ، وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوضيح والتدريب العملى على تلكم المبادىء والأسس العامة .

فالدولة الاسلامية نشأت فى عصر أبى بكر أول الخلفاء الراشدين ، واكتملت نشأتها فى عصرى عمر وعثمان رضى الله عنهم أجمعين . والنظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى طبقت آنذاك كانت هى النظم الأصيلة المستندة الى أحكام القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

بيد أن هذه النظم على مثاليتها لم تستنفد كل الأغراض التى من أجلها أقام الأسلام دولته ، فقد كانت الخلافة الراشدة بداية مثالية لاقامة النظام الاسلامى على المبادىء العامة الواردة فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وأن هذا النموذج المثالى قابل للتطور فى اطار المبادىء العامة التى جاء

(١) المقال فكر الكاتب ومسئوليته الشخصية ، وحق نقده ثابت لكل متخصص .. مجلة الازهر

للعميد أ٠ح٠
الدكتور فوزى محمد طايل

بها الاسلام ، تبعا لتطور الحياة وتجدد المصالح وتبدل الأعراف ٠

ــ مصادر الأحكام فى الدولة الاسلامية : ــ

ان هدف قيام الدولة الاسلامية يتمثل فى تعمير الأرض ، وتحقيق وصيانة صوالح المسلمين ، وجلب السعادة للمجتمع الاسلامى كله ، ولبنى البشر جميعا ، فهو باختصار ، اقامة نظام الحياة الاسلامى بعناصره الدينية ، والمدنية ، والحضارية ، فالاسلام كل شامل لا يتجزأ ، وهو دين وشريعة وعقيدة ٠ يقول الله تعالى : « **ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ** » ٠ (الحج/٤١) ٠

وعلى هذا فان المجتمع الاسلامى لابد أن يستمد كل أحكام المبادىء العامة التى تحكمه اجتماعيا ، واقتصاديا ، وسياسيا من المصادر الالهية التى أنزلها الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يمكن بحال من الأحوال أن يوجد فى المبادىء العامة لهذا المجتمع نظرية بشرية ، لأن الأحكام العامة التى تحكم العبادات والمعاملات وشئون السياسة والحرب والاقتصاد والاجتماع ، كلها من وضع الخالق جل شأنه ، وانما ينحصر دور العلماء فى فهم النصوص والقواعد الكلية ، واستنباط أحكام الفروع ٠

ويعتبر كتاب الله (القرآن الكريم) والسنة النبوية الصحيحة هما المصدران اللذان لا خلاف بين فقهاء الشريعة الاسلامية كافة فى كل زمان ومكان على أنهما أصل ومصدر الأحكام والقواعد الكلية ٠ وهما مصدران نقليان ، الأساس فيهما هو النقل الصحيح ٠

بيد أن هناك مصادر نقلية أخرى جرى حولها جدل بين علماء أصول الفقه ، وهى بصفة عامة الاجماع (١) ، وقول الصحابى ، والشرائع السماوية السابقة ، والعرف ٠

وحيث ان القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قد اشتملا فى الغالب على المبادىء العامة ولم يتعرضا لكل الأحكام الجزئية ، فقد اعتمد الفقهاء على مصادر عقلية تتمثل فى القياس ، والمصلحة المرسلة والاستصحاب ، وكلها تدخل فى معنى الاجتهاد ، وبناء الأحكام التفصيلية على ما جاء فى القرآن الكريم



(١) الخلاف فى الاجماع غير معتد به خاصة اجماع الصحابة ٠ راجع مراتب الاجماع لابن حزم ٠

والسنة النبوية الشريفـــة من أحكام ومبادىء عامة .

على أن الأدلة النقلية ــ مع ذلك ــ تحتاج الى عمـل عقلى فى فهمهـا واستخراج الحكم منها ، كما أن الأدلة العقلية لاتكون معتبرة شرعا الا اذا استندت الى النقل .

ولزيادة الأمر وضـــوحا نورد فيمـا يلى شيئا من التفصيل :

١ ــ القرآن الكريم :

القرآن الكريم هو كلام الله تعـالى المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم باللفظ العــربى ، والمنقــول الينا بالتــواتر كتـابة ومشافهة ، والمدون بين دفتى المصحف ، المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس ، وهو وحده الذى تصح الصـلاة به ، كمـا يتعبد ويتقــرب الى الله بتـلاوته فى تدبر ، ويحكم بكفر من ينكره جملة أو تفصـــيلا ، وهـــو العمــدة والمرجع الأول فى اســتنباط الأحكام الشرعية .

وعلى هذا فلا يعتبر تفسير الآيات قرآنا كما لا تعتبر ترجمات معانى الآيات الى لغات أجنبية ــ مهما بلغت دقة الترجمة ــ قرآنا .

وبرغم أن آيات القرآن الكريم كلها قطعية [١] الثبوت ، الا أن دلالتها على معانيها قد تكون قطعية ، وقد تكون ظنية [٢] ومنها ما تكون معانيه ظاهرة محكمة ، ومنها ما تحمـل معانى تحتاج الى بذل الجهـد لفهمها واسـتخراج الأحكام منهـا .

ونصـــوص القـــرآن الكريم يوضح بعضها بعضا فخير ما يفسر به القـــرآن هو القـــرآن كمـا أن نصـــوص القرآن الكريم يقيد بعضها بعضا ، ويخصص بعضها بعضا ، فلا يجوز أن يفهم بعض نصوص القرآن الكريم بمعزل عن غيرها من النصوص القرآنية الأخرى .

٢ ــ السـنة :

لفظ « ســنة » فى اللغة العربية معنـــاه « الطـــريقة » [٣] ، أما فى الاصــطلاح الشرعى فيعنى ما صدر عن رســول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير .

والسنة التى تعتبر مصــدرا من مصــادر الأحـكام فى الدولة الاســلامية هى تلك التى صدرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصد التشريع والاقتداء ، ونقلت الينا بسند صحيح يفيد القطع أو الظن الراجح بصدقه .

ولم يختلف أحد من فقهاء الشريعة الاسلامية حول اعتبار القــرآن الكريم والسنة النبــوية الصحيحة المصدرين الأســاسيين للأحكام فى الاسلام ، وأن غيرهما من الأدلة الشرعية لابد أن يكون راجعا اليهما ، بل ان معظم المذاهب

---

(١) قطعية : اى تدل على معنى واحد لا يختلف عليه العلماء كقوله تعالى : فاعلم انه لا اله الا الله . و (قل هو الله أحد)

(٢) ظنية : اى تدل على اكثر من معنى ، وهى محل اجتهاد مثل قوله تعالى فى الصيام :« كما كتب على الذين من قبلكم » حيث جعله البعض خاصا بمن قبلنا مباشرة والبعض جعله عاما منذ آدم على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام .

(٣) .. أى محمودة أو مذمومة ..

الفقهية الاسلامية تعتبرهما المصدر الوحيد للأحكام فى الشريعة الاسلامية .

فالسنة مع القرآن تبين ما جاء فيه من مسائل كلية ، وتفصل مجمله . ولا يمكن أن يكون لها البيان الا اذا كانت صحيحة .

واذا كان هذا هو شأن السنة النبوية الشريفة فان المصادر النقلية الأخرى من اجماع أو قول صحابى أو عرف أو شرائع سماوية سابقة على الاسلام لا تصلح أن تكون مصادر مستقلة للاحكام فى الدولة الاسلامية (١) .

فالاجماع بمعنى « اتفاق أهل الحل والعقد من أمة محمد — صلى الله عليه وسلم فى عصر من الأعصار على حكم واقعة من الوقائع » يكون فيما فيه اجتهاد عن شورى تؤدى الى اتفاق .

ولعل من الانصاف أن نقرر أن أحدا من الصحابة الكرام لم يعتبر اجتهاده ، ملزما لأى صحابى آخر على الاطلاق .

واذا كان (العرف) ليس سوى « مصلحة عملية » فأساس الحكم به مراعاة المصلحة ونفى الحرج ، **لذا فالعرف ليس دليلا نقليا ثابتا** ، فلا يمكن بناء حكم شرعى فى الوقت الحالى على عرف نشأ واستقر فى عهد الدولة الاسلامية الأولى ، ثم تبدل ولم يعد له وجود الآن .

وأخيرا فان ما جاء بالشرائع السماوية السابقة على الاسلام من أحكام لا يجوز اعتباره مصدرا من مصادر الأحكام فى الدولة الاسلامية — ما لم يقره القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة .

٣ — الاجتهاد : —

الاجتهاد هو اصطلاح شرعى يقصد به أن « يبذل الفقيه غاية الجهد العقلى فى استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية » .

وقد وضع علماء أصول الفقه فى الشريعة الاسلامية شروطا معينة لابد من تحققها حتى يوصف من تتوفر فيه تلك الشروط بوصف (المجتهد) .

مجملها : العلم بمواضع آيات الأحكام فى القرآن الكريم .

والعلم بمراجع الحديث ومواضع الأحاديث فى كتب السنة المعتمدة .

ومعرفة قواعد اللغة العربية .

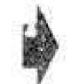
والعلم بمقاصد الشريعة الاسلامية (٢) .

والاجتهاد هو المصدر المتجدد من مصادر الأحكام الذى يحتفظ للنظم الاسلامية بالقدرة على مواجهة تطور أحداث الزمان ، واختلاف البيئة والمكان ، وهو الذى يحقق التناسب والتوازن بين هذه النظم وبين مقاصد الحياة ونظم تكوينها .

يقول فضيلة الامام الاكبر محمود شلتوت



(١) أى الآن ترجع الى الكتاب والسنة .
(٢) ومن ضروريات المجتهد : أن يعرف أيضا مواطن الاجماع حتى لا يحكى الخلاف فيما اجمعوا عليه كما يعرف مواطن الخلاف حتى لايحكى فيما اختلفوا فيه .



رحمه الله : « واذا ما كانت طبيعة الاسلام تدل على أنه دين يتسع للحركة الفكرية العاقلة ، وأنه لا يقف ـ فيما وراء عقائده الأصلية وأصول تشريعه ـ على لون واحد من التفكير ، أو منهج واحد من التشريع ، وقد كان بتلك الحرية ، دينا يساير جميع أنواع الثقافات الصحيحة والحضارات النافعة التي يتفتق عنها

العقل البشرى فى صلاح البشرية وتقدمها مهما ارتقى العقل ونمت الحياة (لخلصنا الى أن) للمرء أن يناقش المسألة ـ كما ناقش كثيرون من أعظم فقهاء هذه الأمة عبر الأجيال ـ فيقول ان المدى المحدود للأحكام المنصوصة فى القرآن والسنة لم يكن نتيجة سهو وقع من الشارع، ولكن على العكس ، أراد به أن يكون درعا لا

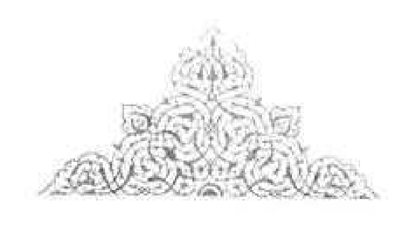
غنى عنه ، يقى الأمة من الجمود التشريعى والاجتماعى .. » .

والاجتهاد لا يكون مع النص القطعى الصريح اذ لا اجتهاد مع هذا النص ، وانما يكون مجاله حيث نجد نصا ظنى الورود والدلالة ، أو ظنى أحدهما فقط فيكون الاجتهاد فى هذا النص ، أو حيث لا نجد نصا يحكم الواقعة محل الاجتهاد .

وللاجتهاد أدواته التى يمكن اجمالها فى القياس ، والمصلحة المرسلة بتطبيقاتها من استحسان أو عرف أو سد الذرائع والاستصحاب ، وهذا الاخير يعبر عنه علماء الشريعة الغراء بأنه « آخر مدار الفتوى » (١).

صفوة القول أن الاسلام ، خاتم الديانات ، هو الشريعة (أى القانون) التى تحكم المسلمين فى كل أمور حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وأنه قد جاء بأحكام عامة وأخرى تفصيلية لتقام على دعائمها الدولة الاسلامية .

د. فوزى محمد طايل



(١) هذه الامور تتمة شروط المجتهد .



للأستاذ السيد حسن قرون

أكثر الكلمات دورانا على ألسنة الناس كلمة (الحق) ، (وكلهم أصحاب حق وظلموا فيه) وبعضهم يقولون : تريد الحق أم ابن عمه؟

ولقد تحريت فى معرفة ابن عم الحق ، فلم أعرف له اسما ولا رسما ، والمتحدثون به لا يريدونه ويعتقدون أنه من قبيل الباطل ولقد تحريت عنه وتفقدته فى الريف والمدينة وفى دواوين الحكومة والمؤسسات التجارية والصناعية وفى كل موطن من مواطن التجمع فعرفت أنه من مواليد النفاق وأنهم يلجئون اليه ذرا للرماد فى العيون ، أو يسوقونه فى الطرف وتبادل الدعابة لنيل المراد .

وليس الحديث عنه ، وانما جاء استطرادا ومن قبيل تداعى المعانى والا فالحديث يدور حول (الحق الصريح) و (الباطل الصريح)، وأيهما له الغلبة والظفر فى الحياة ؟

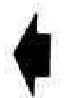
كان العقاد فى الثلاثينات والاستعمار الانجليزى يتربع على هام البلاد يصرخ فى شعره .

يا حق لا تبرح خباءك
اتعبتنا سعيا وراءك

وكنا نعجب من هذا القول فاذا قبع الحق فى خبائه ورضى الخنوع بانطوائه صارت الحياة جحيما لا تطاق ، وضل بالناس أملهم ، وحل اليأس فى كل مسعى ومنحى ، ووقف دولاب العمل ، وماتت الابتسامة على الشفاة ، وتمنى الناس أنهم لم يخلقوا ، ولكن ما هكذا يكون الحق وأولياؤه،وأولياء الحق من الكثرة بمكان، فالعدل والانصاف والشجاعة والضمير الحى والمروءة والحب والوفاء وما الى ذلك من الفضائل كلها من أوليائه وأحبائه وأنصاره ولا يمكن أن يختبىء أو ينطوى أو يترك دوره فى الحياة .

وتسألى ما الحق ؟

وأنت تعرفه وتحس به وتتطلع اليه وتخشى أن يضيع منك ، وما من شك فى أنه الشىء الثابت الذى لا يزول ولو زالت السماء والأرض ، فهو من أسماء الله الحسنى :



الحــــق .. والبـــاطـــل

« ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » (٦ سورة الحج)

أما الباطل فهو الشيء الزائل ، والله يخاطب بنى اسرائيل قائلا : « وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ » (٤٢ سورة البقرة) .

ويقول القرطبى فى تفسير هذا القول : قال ابن عباس : يعنى : كتمانهم أمر النبى ـ ﷺ ـ وهم يعرفونه ، والباطل فى كلام العرب خلاف الحق ومعناه الزائل .

قال لبيد :

« الا كل شيء ما خلا الله باطل » .

وأنت تجد الحق فى القرآن الكريم فى أكثر سوره من سورة « البقرة » الى سورة « العصر » والمعانى قد تتنوع ولكنها ترجع الى أمر واحد هو الثبات والقوة والظهور فليس من حق العقاد أن يقول ما قاله ، ولا أن يطلب الى الحق الاستتار وقد جعل للظهور والانتصار .

وتجدهم يقولون :«دولة الظلم ساعة ودولة العدل الى قيام الساعة».

وهو قول قد لا يروق لمظلوم أو مضطهد أو جائع أو عريان أو لشعب يئن تحت سياط الهوان مثل أفغانستان أو جنوب افريقية ، ولكن بقليل من التأمل تجد الحق فارعا رائعا يجتاب المسالك والممالك ولا يهدأ ولا يستقر حتى تسمع بعودة الحق الى نصابه.وقد جاءت على أيام كنت لا أنام من كثرة حديث النفس عن رحيل الانجليز من بلادنا وكان يغيظنى كتابنا حين يرددون فى مقالاتهم دولة الظلم ساعة ودولة العدل الى قيام الساعة .

ولقد عرف الناس الحق والحقوق من عهد ابنى آدم « إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ » عرفته الخلية الاولى وهى الاسرة كما عرفته المجتمعات المحلية والدولية ، وعرفته تجمعات العمال والمظاهرات النسائية ومن عجيب أمره أنك مطالب به نحو نفسك ، فقد روى البخارى فى صحيحه عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال : قال لى رسول الله ﷺ :

« يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ فقلت : بلى يا رسول الله قال : فلا تفعل ، صم وأفطر ، وقم ونم ؟ فان لجسدك عليك حقا ، وان لعينك عليك حقا ، وان لزوجك عليك حقا ، وان لِزَوْرِكَ عليك حقا ، وان بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام ، فان لك بكل حسنة عشر أمثالها ، فان ذلك صيام الدهر كله . فشددت فشدد على . قلت يا رسول الله انى أجد قوة قال : فصم صيام نبى الله داود عليه السلام ولا تزد عليه قلت : وما كان صيام نبى الله داود عليه السلام ، قال : نصف الدهر ، فكان عبد الله يقول بعدما كبر : يا ليتنى قبلت رخصة النبى ﷺ » .

وهذا الكلام عن صيام التطوع وقد قيل مثله لأبى الدرداء .

أما الحق الذى يختصم الناس حوله ، وتندلع الحروب فى سبيله فهو الحق الذى يجب أن يسود ولو أنصفوا لاستراحوا ، ولقد ألفت الكتب وألقيت الخطب وتعددت وسائل الدفاع عنه فى الاذاعة المرئية والمسموعة

وفى الصحف ليتغلب الحق على الباطل ، ولكن الباطل له زخرفه وسرابه الذى يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ومع ذلك لا ينتهون عن طلابه والسير فى ركابه والتغنى بمزاياه وجدواه ، وفى ميراث أسلافنا ما يعطيك صورة عن التخاصم والتقاتل بين الحق والباطل •

وفى ذلك حكايات مشهورة ونوادر معروفة، ونحن نذكرها لنؤكد هيمنة الحق وسلطانه المبين فى ميادين الحرب والسلم ، وفى قاعات المحاكم وأندية المجتمعات ، ونحن نقرؤها ونقصها ليهتدى الأبناء بمواقف الآباء •

قال أحدهم : انى لواقف على رأس المأمون يوما وقد جلس للمظالم ، فكان آخر من تقدم اليه وقدهم بالقيام امرأة عليها هيئة السفر ، وعليها ثياب رثة ، فوقفت بين يديه فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته • فنظر المأمون الى يحيى بن أكثم • فقال لها يحيى : وعليك السلام يا أمة الله ، تكلمى فى حاجتك — ويحيى قاضى القضاة — فقالت : — والخطاب للمأمون — :

يا خير منتصف يهدى له الرشد
ويا اماما به قد أشرق البلد
تشكو اليك عميد القوم أرملة
عدا عليها فلم يترك لها سبد (١)
وابتز منى ضياعى بعد منعتها
ظلما ، وفرق منى الأهل والولد

فأطرق المأمون حينا ، ثم رفع رأسه اليها وهو يقول :

فى دون ما قلت زال الصبر والجلد
عنى وأقرح (٢) منى القلب والكبد
هذا أوان صلاة العصر فانصرفى
وأحضرى الخصم فى اليوم الذى أعد
والمجلس السبت ان يقض الجلوس لنا
ننصفك منه ، والا المجلس الأحد

كان المأمون الخليفة العباس عادلا ويحب العفو عند المقدرة ، فلما كان يوم الأحد انعقد المجلس فكان أول من تقدم اليه المرأة ، فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال وعليك السلام • أين الخصم ؟ فقالت : الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين وأومأت الى العباس ابنه فقال : يا أحمد بن أبى خالد، خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم ، فجعل كلامها يعلو كلام العباس ، فقال لها أحمد ابن أبى خالد — الوزير — يا أمة الله ، انك بين يدى أمير المؤمنين وانك تكلمين الأمير (العباس بن المأمون الخليفة والحكم) فاخفضى من صوتك • فقال المأمون : دعها يا أحمد ، فان الحق أنطقها وأخرسه ، قال الراوى ثم قضى لها برد ضيعتها اليها وظلم العباس لها وردها الى بلدها مكرمة بكتاب توصية الى عامله ، وأمر لها بنفقة السفر •

وهذا العمل ينظر الى قول النبى ﷺ : « ان لصاحب الحق مقالا » وقد كان العربى أقدر الناس على تصوير ما يصيب الحق من محن ، وما يتراءى من الباطل من صلف ، فمما

---

١ — ماله سبد ولا لبد بفتح الباء فيهما أى قليل ولا كثير ، والسبد من الشعر واللبد من الصوف •

٢ — اقرح : جرح •

الحـــق .. والبـــاطــل

يُتَنَدَّر به ما حكاه « المبرد » فى كتابه « الكامل » عن موقف (عبد الله بن حسن بن حســن ابن على بن أبى طالب) من صديقه (عبد الله ابن مصعب الزبيرى) ــ يجتمعان فى تمى ــ وكان الزبيرى شاعرا يحب العلوى ويحترمه ولا يجد صدى لما يفعله فقال يصف ما بينه وبين صديقه :

له حــــق ولــــيس عليه حـــــق
ومهما قال فالحســـــن الجميـــل
وقد كان الرســـول يرى حقوقــا
عليــــه لغيره وهـــو الرســـول

يقول المبرد : فالذى يفتخر به عبد اللـــه (العلوى) يرى للناس عليه حقا فالمفتخر بـــه أجدر ويستمر المبرد فيقول : وقد قيل لعلى ابن الحسين (زين العابدين) وكان بين الفضل ــ رحمه الله ــ ما بالك اذا سافرت كتمت نسبك أهل الرفقة ؟ فقال أكره أن آخذ برسول الله ﷺ ما لا أعطى مثله ، فكأن المبـــرد باستطراده بقصة زين العابدين مع الرفقـــة يوازن بين موقفى حفيد الحسن وابن الحسين .

وكأن هذه القضية شغلته ، قضية التعامل بين الأصدقاء ، فيذكر قول جرير :

وانى لأستحيى أخى أن أرى لـــه
على من الحـــق الذى لا يرى ليا

ويشرح المبـــرد البيت فيقــول : هذا بيت يحمله قوم على خلاف معناه ، وانما تأويله أنى لأن جريرا يود أن يكون له من الفضـــل على أخيه مثل الفضل الذى لأخيه عنده . لأستحيى أخى أن يكون له على فضل ولا يكون لى عليه فضل ومنى اليه مكافاة فأستحيى أن أرى له على حقا لما فعل الى ولا أفعل اليه ما يكون لى به عليه حق ، وهذا من مذاهب الكرام ، ومما نأخذ به أنفسنا .

وهذا الشرح منه وتذييلـــــه بقولـــه « ومما نأخذ به أنفسنا » دعـــوة منه الى مكارم الأخلاق ومحاسن التصافى ، وهـــذا البيت وأمثاله تربية وتهذيب ورفع لمنار الكرامة الانسانية .

وهذه الخصال التى نذكرها لأسلافنا يجرى العالم نحوها ويملنها ولكنه فى داخل نفســـه يرفضها فالأمم المتحدة ومجلس الأمن ومحكمة العدل الدولية قامت بعد الحرب العالمية الثانية لتسوى بين الشعوب من حيث الحرية وحـــق تقرير المصير وحقوق الانسان ، وجعلت عاما للطفل وعاما للمرأة ، ولكنها شعارات لا تثبت عند طلب المساواة .

ومن الكلام المأثور : « لا يضيع حق وراؤه مطالب » .

وأحق ما يروى ما جـــرى بين عمـــر ابن عبد العزيز وابنه عبد الملك (مات عبد الملك فى سن الثامنة عشرة من عمره) .

قال عبد الملك لأبيه عمر الخليفة : يا أبت ما لك لا تنفذ الأمور ؟ فوالله لا أبالى فى الحق لو غلت بى وبك القدور . فقال له عمر : لا تعجل يابنى فان الله تعالى ذم الخمر فى القرآن مرتين وحرمها فى الثالثة ، وأنا أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدفعوه وتكون فتنة » .

هل قصر عمر ؟ أنا أعتقد أنه من حماة الحق والاستشهاد فى سبيله ، وكم للحق من أعوان وكم له من ضحايا ، ولكن النصر له عـــلى الباطل فى كل زمان ومكان .

دراسة مقارنة :

تحمل التبعة

فى التنفيذ الجبرى على أموال المدين فى الفقه الاسلامى

لفضيلة الدكتور
عبد الحكم أحمد شرف

من المعلوم أن تحمل التبعة قد يكن تحمـلا لتبعة هلاك ، وقد يكون تحملا لتبعة ضمان • كما أن الأخير قد يكون متمثلا فى تبعة ضمان الاستحقاق وقد يكون متمثلا فى تبعة ضمـان العيب الخفى ، وفيما يلى كلمة عن جهة تحمل التبعة فى كل نوع من هذه الانواع كما نص عليها الفقه الاسلامى بصدد موضوعنا ذاك ، مع الاشارة العجلى الى مـوقف القانون الوضعى ، ومدى الاتفاق أو الاختلاف بينه وبين الفقه الاسلامى فى هذا الصدد •

المطلب الأول

تبعة هلاك أموال المدين فى الفقه الاسلامى والقانون الوضعى

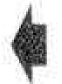
تمهيـد :

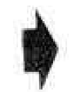
قد تهلك أموال الدين وهى تحت يد القضاء ، أو تحت يد الحارس عليها قبل قسمتها بين دائنيه وذلك دون اعتداء أو تقصير من هـذا ولاذاك ، فمن ذا الذى يتحمل تبعة هذا الهلاك ؟

ترى أن يكون المدين هو المتحمل لهـذه التبعة بحسب أن هذه الاموال لازالت عـلى ملكه ؟

أو أن الدائنين هم المتحملون لهذه التبعـة بحسب أن التنفيذ على تلك الاموال يجـرى لصالحهم ؟

أو أن القاضى أو الحارس هو المتحمل لهذه التبعة بمقتضى أن هذه الأمـوال فى حوزته وتحت يـده ؟





نعرض أولا لما يراه الفقه الاسلامى فى هذا الصدد ثم لما يراه القانون الوضعى فى الفرعين التاليين :

الفرع الأول

تبعة هلاك الأموال المحجوز عليها فى الفقه الاسلامى •

لقد انقسم الفقه الاسلامى بصدد هذا الموضوع الى اتجاهات ثلاثة :

الاتجاه الأول

يرى أن المدين هو المتحمل لهذه التبعة ، اذ أن يده وان كانت قد رفعت عن هذه الأموال الى أن يتم تصفيتها لحساب الدائنين الا أنه لا مشاحة فى أن ملكيته لهذه الأموال مازالت باقية ، ولا يغض من ذلك أن يكون التنفيذ عليها بالبيع يتم جبرا عن المدين لحساب دائنيه ، اذ أن ذلك يجرى للوفاء بحق لزمه — ومن ثم فانه يكون أحق هؤلاء بتحمل تبعة هذا الهلاك •

اذ أنه لا يمكن القول بتحمل الدائنين لهذه التبعة ، نظرا لكونهم لم يحوزوا هذه الأموال لعدم قسمتها عليهم بعد وبالتالى فهم براء من تحمل تبعة هلاكها •

كما أنه لا يمكن القول بتحمل القاضى أو الحارس على هذه الأموال لتبعة هلاكها كذلك، فكلاهما من ذلك برىء لأن دورهما لن يعدو دور الأمين أو المودع لديه ، وكل منهما لا يستأهل تحمله لهذه التبعة الا اذا ارتكب كل منهما ما يناقض دور الأمين أو فى حالة ما اذا التفت عن الرعاية الواجبة لها فهلكت بتقصير منه ، والفرض أن الهلاك فى حالتنا تلك ، لم يكن بتعد منهما ولا تقصير كذلك • وهذا هو ما اعتنقه جمهور الفقه حيث أنه يمثل رأى الأحناف (١) والشافعية (٢) •

---

(١) وفى ذلك تقول الفتاوى الهندية جـ ٥ ص/٦ « اذا باع القاضى عندهما — أى الامامان محمد وابو يوسف — مال المديون لقضاء دينه ·· فان العهدة على المطلوب (أى المدين) لا على القاضى وأمينه ·

والعهدة هى المسئولية عن تبعة الهلاك فى مصطلح الفقه الاسلامى

(٢) وفى ذلك يقول الامام الشافعى فى الام جـ ٣ ص ١٨٦ ·

« ولو مات رجل او افلس وعليه الف درهم وترك دارا بيعت بألف درهم فقبض أمين القاضى الألف فهلكت من تحت يده واستحقت الدار فلا عهدة على الغريم الذى باعها له ، والعهدة على الميت المبيع له او المفلس (وهو المدين) ·

وقد علل الامام الشافعى لهذا الحكم قبل ذلك فى ص ١٨٥ من نفس المرجع بقوله : « والعهدة فيما باع رأى القاضى — على المفلس لانه يبيع له ملكه فى حق لزمه فهو بيع له وعليه ، وأحق الناس بأن تكون العهدة عليه ، مالك المال المبيع ولا يضمن القاضى ولا أمينه شيئا ولا عهدة عليهما ولا على واحد منهما » ·

والحنابلة (١) ، والظاهرية (٢) والفقه الامامى (٣) .

الاتجاه الثانى

ويرى أنه يجب التفرقة فى هذا الصدد بين فرضين .

الفرض الأول

أن يكون تلف المال أو هلاكه حادثا بعد نزع المال من تحت يد المدين وقبل بيعه وهنا يكون المدين هو المتحمل لتبعة هذا الهلاك .

الفرض الثانى

أن يكون التلف أو الهلاك واقعا بعد البيع وقبل القسمة وفى هذا الفرض الاخير يكون الدائنون هم المتحملون لهذه التبعة .

ــ ومن ثم ــ فان هذا الرأى الفقهى يكون قد نزل بيع أموال المدين منزلة قسمتها بين دائنيه ولو لم تكن هذه القسمة قد تمت بعد وثبت ترتب على ذلك براءة المدين من كل حادث يصيب هذا المال بعد ذلك البيع وهذا هو ما ذهب اليه جانب من الفقه المالكى (٤) .

الاتجاه الثالث

ويرى أنه يجب التفرقة كذلك بين فرضين .

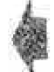
الفرض الأول : أن تكون قسمة المال المنزوع من تحت يد المدين غير محتاجة لسبقها بالبيع كما اذا كانت أموال المدين كلها نقود سائله .

وآنذاك يكون الدائنون هم المتحملون لتبعة هذا الهلاك .

ــ بيد أن ــ تحمل الدائن لتبعة الهلاك فى هذه الحالة ، انما هو مشروط بقدرته على القسم بأن كان حاضرا لاجراءات التنفيذ بالبيع ، أما اذا كان الدائن غائبا فانه لا تحمل لهذه التبعة بالنسبة له .

الفرض الثانى : أن تكون قسمة المال المنزوع من تحت يد المدين غير ممكنة الا بعد سبقها بالبيع لكون المال يتمثل فى عروض أو عقارات مثلا .

وهنا يكون المدين هو المتحمل لهذه التبعة :
ومبنى ما ذهب اليه أنصار هذا الاتجاه الأخير :



---

١ ــ وفى ذلك يقول الامام بن قدامة فى المغنى جـ ٤ ص ٤٩٧ .
« واذا تلف شىء من مال المفلس تحت يد الامين او بيع شىء من ماله وأودع ثمنه فتلف عند المودع فهو من ضمان المفلس (أى المدين) » .
٢ ــ وفى ذلك يقول الامام ابن حزم فى المحلى حـ ٨ ص ١٧٤ المسألة رقم ١٢٧٩ .
« وما تلف من عين المال قبل أن يباع فمن مصيبته ــ أى الدين ــ لا من مصيبة الغرماء لان حقوقهم لا فى شىء بعينه من ماله » .
٣ ــ انظر فى ذلك تحرير الاحكام الشرعية حـ ١ ص ٢١٦ .
٤ ــ وفى ذلك يقول صاحب أسهل المدارك جـ ٣ ص ٥ .
« اذا تلف بعد تفليسه ومنعه من التصرف فيه وقبل البيع فعليه (أى المدين) ، وأما بعد البيع فمصيبته على الغرماء » .
وأنظر لذلك بداية المجتهد جـ ٢ ص ٢٨٩ حيث يقول : « اذا هلك مال المحجور عليه وقبل بعض الغرماء ممن يصيبه ؟
.. قال ابن الماجشون : مصيبته من الغرماء اذا وقفه السلطان » .

أن قسمة النقود السائلة لا كلفة فيها ، كما أنها لاتحتاج الى وقت لاتمام بيعها ، فيجب الاسراع بقسمتها ، فاذا مالحقها الهلاك بسبب تراخى الدائنين فى اتمام قسمتها فتكون تبعة الهلاك عليهم أما قسمة العروض والعقارات ، فانها غير ممكنة فى الحال لاحتياج ذلك الى سبقها بالبيع ولا شك أن هذا الاخير يحتاج الى وقت فاذا ما لحقها الهلاك ، كان تحمل التبعة هنا من نصيب المدين لعدم قدرة الدائنين على المبادرة بقسمتها .

وهذا الاتجاه الأخير : هو المشهور فى مذهب الامام مالك رضى الله عنه (١) ويبدو لنا رجحان ما ذهب اليه أنصار الاتجاه الأول : وهو ذاك الذى يقضى بتحمل المدين لتبعة الهلاك فى هذه الحالة وذلك لما يلى :

اولا :

لأن الفقه يجمع على أن المال الذى فى حوزة القضاء بعد رفع يد المدين عنه ، انما هو على ملك هذا الأخير وأن اجراء التنفيذ عليه بالبيع الجبرى انما يتم باسم هذا المدين ، وان كان القضاء فى ذلك عنه نائبا وما من شك فى أن المالك هو المتحمل دون غيره لتبعة مثل هذا الهلاك .

ثانيا :

لأنه من المسلم به لدى اجماع الفقه . أن نماء المال ـ وهو تحت يد القضاء ـ انما هو من مغانم المدين ـ ومن ثم ـ فان المنطق الفقهى يقضى بحتمية تحمل المدين لمغارم هذا الهلاك اذ أنه لا مشاحة فى أن الغرم بالغنم كما يقول الفقهاء بحق (٢) .

ثالثا :

لأن القول بحتمية تحمل الدائنين لتبعة

---

١ ـ وفى ذلك يقول الامام الخرشى فى شرحه لمختصر خليل جـ ٥ ص ٣١٦ .

« ان الحاكم اذا وقف مال المفلس او مال الميت كله ليقضى منه ديونه ، فتلف ذلك المال ، فالمشهور أنه اذا كان عينا ذهبا او فضة ، فضمانه من الغرماء الحاضرين لتفريطهم فى قسمة العين ،

اذ لا كلفة فى قسمتها ، لأنها مهيأة للقسم ، واما العرض اذا تلف فضمانه من المفلس او من الميت (المدين) لا من الغرماء وعدم الضمان فى العرض مطلقا سواء كان مثل دين الغرماء ام لا ويكون من ضمان المفلس .. اذا كان العرض مخالفا لدين الغرماء وعليه اذا كان مثل دينهم فضمانه منهم لا من المفلس وهو قول ابن رشد لان المحاصة فيه كالعين لا تحتاج لبيعه فيضمنه الغريم .

وانظر لذلك الامام بن رشد فى المرجع جـ ٢ ص ٢٨٩ حيث يقول « اذا هلك مال المحجور عليه بعد الحجر وقبل قبض الغرماء ، ممن مصيبته ؟ .. قال ابن القاسم ما يحتاج الى بيع فضمانه من الغريم ـ اى المدين ـ لانه انما يباع على ملكه وما لا يحتاج الى بيع فضمانه من الغرماء فهذا هو القول فى أصول أحكام المفلس الذى له من المال ما لا يفى بديونه .

٢ ـ وهذا هو ما عبر عنه الامام ابن قدامة فى المرجع والموضع السابق بقوله .

« وقال مالك العوض منماله والدراهم والدنانير من مال الغرماء وقال المغيرة الدنانير من مال أصحاب الدنانير والدراهم من أصحاب الدراهم .. ولنا انه من مال المفلس ونماؤه له فصار تلفه عليه » .

هذا الهلاك فى حالة ما اذا كانت قسمة المال ممكنة دون بيع ـ كما هو الحال فى النقود ـ وذلك بدعوى تراخى الدائنين عن اتمام هذه القسمة ـ انما هو قول محل نظر ـ ومرد ذلك ـ أن افتراض نسبة التراخى فى قسمة النقود الى المدين ، لا يمكن التسليم بها وذلك لما يلى :

١ ـ لأن الأمر فى اتمام القسمة أو عدمه ، ليس الشأن فيه الى الدائنين بل هـو الى القضاء .

٢ ـ لأن القسمة لا تتم عادة الا بعد تصفية جميع أموال المدين .

٣ ـ لأنه لا يمكن عقلا أن يرفض دائن قسمة ما يمكن قسمته من أموال المدين دون بيـع اذ كيف يرفض عاقل عودة جزء من أمواله اليه على أى وجه يكون ذلك .

رابعـــا :

واذا اضيف الى ما سبق :

أن المدين كان هو السبب الأصيل فى خروج أمواله من تحت يده ، بامتناعه عن الوفاء لدائنيه لأدى ذلك الى حتمية القول بتحمله لما يترتب على ذلك من نتائج دون نظر الى منطق تسلسل الأسباب فى حالتنا تلك فبحسب الظاهر أن المدين لو وفى دائنيه اختيارا ما كان ثمة وجود للحاكم الذى قضى برفع يده عن أمواله لكـل هذا :

فانه يبدو لنا أن ما ذهب اليه جمهور الفقهاء هو عين الحق والعدل ـ ومن ثم ـ فانه يكون الأولى بالقبول والترجيح .

الفـــرع الثانى

تبعة هلاك الأموال المحجوز عليها فى القانون الوضعى ..

يجمع الفقه الوضعى على أن تبعة هـلاك المال المحجوز عليه ، انما تقع على عاتق المدين اذ أن ملكيته للمال الذى نزع من يده مازالت قائمة (١) .

وبالتالى فان حق الدائنين لاينقضى بسبب هذا الهلاك ولايتحملون تبعته (٢) ويستوى فى ذلك أن يكون هذا الهلاك حادثا قبل البيع أو حادثا بعده ، طالما لم تقسم حصيلة التنفيذ بين الدائنين .

وبذلك ينعقد الحكم الذى ذهب اليه اجماع الفقه الوضعى مع ما ذهب اليه جمهور الفقهاء فى الفقه الاسلامى .

المطلب الثانى

جهة تحمل تبعة الضمان بعد التنفيذ بالبيع .

تمهيد وتقسيم ..





---

١ ـ فتحى دالى ص ٢٠٥ ، ٣٦٨ ، محمـد حامد فهمى ص ٢٥٣ ، ص ٢٣٢ .

٢ ـ انظر فى ذلك .

الاستاذ/ فتحى دالى فى التنفيذ الجبرى ـ المرجع السابق فى ٢٠٥ ص ٣٦٩ ط ١٩٨٠ .

الاستاذ / وجدى راغب فى النظرية العامـة للتنفيذ القضائى ص ١٦٠ ط

د / محمد محمود ابراهيم فى أصول التنفيذ الجبرى على ضوء المنهج القضائى ص ٤٩٥ .

تقضى القاعدة العامة فى الفقه الاسلامى والقانون الوضعى بتحمل البائع لتبعة ضمان الاستحقاق والعيب الخفى فى حالة ما اذا كان هذا البيع باختيار المدين وارادته .

وقد يتضح وجود مثل ذلك فى حالة البيع الجبرى الذى يتم فيه التنفيذ على أموال المدين وفاء لحقوق دائنيه .

فمن ذا الذى يتحمل تبعة هذا الضمان فى حالتنا تلك ؟

هذا هو مانشير اليه فى الفرعين التاليين .

الفرع الأول : تبعة ضمان الاستحقاق ومداها بعد التنفيذ بالبيع .

أولا : فى الفقه الاسلامى .

لقد أجمع الفقهاء على أنه اذا اتضح أن المبيع الذى بيع جبرا عن المدين ، مستحق لغير هذا المدين ، فان الدائنين هم المتحملون لتبعة هذا الضمان سواء كان هذا الاستحقاق كليا أو جزئيا .

الا أنهم اختلفوا حول مدى مايرجع به صاحب الحق فى هذا الضمان (من رسا عليه البيع) الى اتجاهين .

الاتجاه الأول :

يرى أن المشترى وهو صاحب الحق فى هذا الضمان لا تعدو منزلته فى هذه الحالة أن تكون كمنزلة سائر الدائنين الآخرين .

ومن ثم ـ فان له أن يحاصص سائر الدائنين الآخرين بقيمة مايستحقه من هذا المبيع فيقتسم معهم أموال المدين قسمة غرماء ان كانت حصيلة التنفيذ لم توزع بعد على الدائنين الآخرين ، كما أن له أن يرجع على كل واحد منهم بنفس هذه القيمة التى يستحقها بموجب هذا الحصاص (أى التداخل معهم) .

اذا كانت حصيلة التنفيذ قد وزعت على الدائنين الآخرين وهذا الاتجاه هو ماذهب اليه الفقه المالكى (١) والأصح فى الفقه الحنبلى (٢) ومبنى ماذهب اليه أنصار هذا الاتجاه الأول :

أن حق المشترى آنذاك لايتعلق بعين معينة من أموال المدين بل هو يتعلق بذمته فقط فصارت منزلته كمنزلة سائر الدائنين العاديين.

ولاريب أن قصر تعلق الحق على ما فى ذمة المدين انما يستتبع ضرورة خضوعه لقسمة الغرماء .

---

١ ـ وفى ذلك يقول الامام الخرشى فى شرحه لمختصر خليل جـ ٥ ص ١٧٤ .

« اذا بيعت سلعة من مال المفلس .. ثم استحقت تلك السلعة فان المستحق من يده يرجع على كل واحد من الغرماء بالحصة التى تنوبه فى الحصاص فقط ، فلا يأخذ أحد عن أحد ، فلو كان عليه ـ أى المدين المفلس عشرون دينارا لاثنين ولم يوجد عنده الا سلعتان كل سلعة بعشرة ، وأخذ كل واحد من غريمه عشرة على قدر دينه ، ثم استحقت احدى السلعتين ، فان المستحق من يده يرجع على واحد منهما بثلث ما فى يده وهو ثلاثة وثلث لانه غريم طرأ على الغرماء » .

٢ـ وفى ذلك يقول الامام المقدس فى الشرح الكبير على هامش المغنى جـ ٤ ص ٤٩٩ « ولو باع شيئا ـ أى القاضى ـ أو باعه وكيله .. وخرجت السلعة مستحقة ساوى المشترى الغرماء لان حقه لم يتعلق بعين المال فهو بمنزلة أرش جنايات المفلس » .

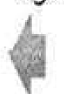
الاتجـاه الثاني :

ويرى أن رجوع المشترى صاحب الحق ف هذا الضمان لابد أن يكون قيمة الثمن الذى اشترى به كاملاً ، بل هو مقدم في الوفاء بهذا الثمن على سائر الدائنين الآخرين إذ أن منزلة هذا المشترى فى حالتنا تلك كمنزلة المرتهن ، ولا نزاع فى أن هذا الأخير إنما هو مقدم فى استيفاء حقه على سائر الدائنين الآخرين وهذا هو ما ذهب إليه الفقه الشافعى [1] .. ومقابل الأصح فى الفقه الحنبلى [2] كما أنه يمثل الراجح فى الفقه الإمامى [3] ومبنى ما ذهب إليه أنصار هذا الاتجاه الأخير يتمثل فيما يلي : ـ

أولاً : إن ما ذهب إليه أنصار الاتجاه الأول من القول بإخضاع المشترى لقسمة الغرماء فيما يستحقه من الثمن المقابل لهذا المبيع المستحق للغير يؤدي إلى إعراض الناس عن شراء اعيان أموال المدين وذلك لتخوف المشترى من ضياع جزء من حقه إذا ما خضع لقسمة الغرماء مع سائر الدائنين الآخرين ومؤدي ذلك ولازمه أن تقل الرغبات فى الشراء مما يستتبع قلة الثمن لعدم الرغبة فى الشراء ، ولا ريب أن فى ذلك إضرارا بالمدين والدائن والمشترى كذلك ..

ثانيا : إن المشترى صاحب الحق في ضمان الاستحقاق لا تعدو منزلته فى تلك الحالة أن تكون كمنزلة من وجد عين ماله فى حوزة المدين المفلس ولا ريب أن هذا الأخير له الحق فى استرداد تلك العين على ما يراه جمهور الفقه [4] وقياسا على ذلك فإنه يثبت للمشترى فى حالتنا تلك ، الحق فى استرداد الثمن كاملاً لأن عين حاله الذى وقفه مقابلاً لهذا المبيع ..

وليس شك فى أن ما ذهب إليه أنصار هذا الاتجاه الأخير هو الأولى بالقبول لقوة



« ١ » وفى ذلك يقول صاحب اسنى المطالب جـ ٢ صـــ ١٩٢

« وإذا استحق ما باعه الحاكم او امينه قبل القسمة والثمن المقبوض غير باق قدم المشترى بيد له على الغرماء ولا يضارب به معهم لئلا يرغب الناس عن شراء مال المفلس فكان التقديم من مصالح الحجر كأجرة الكيال ، وليس الحاكم او امينه طريقاً فى الضمان لانه نائب الشرع ولا حاجة لقوله ـ من زيادة قبل القسمة بل يوهم خلاف المراد »

« ٢ » وفى ذلك يقول صاحب الشرح الكبير الإمام المقدسى فى المرجع والموضع السابق

« وذكر القاضى احتمالاً آخر ، انه يقدم على الغرماء ـ أى المشترى فى ضمان الاستحقاق ـ لأنه لم يرض مجرد الذمة فكان اولى كالمرتهن ولأنه لو لم يقدم على الغرماء ـ لامتنع الناس من شراء مال المفلس خوفاً من ضياع اموالهم فتقل الرغبات فيه ، فيقل ثمنه فكان تقدم المشترى بذلك على الغرماء أنفع لهم ، ثم يقول بعد ذلك فإن كان الثمن موجوداً يمكن رده وجب رده وينفرد به صاحبه لانه عين ماله ، لم يتعلق به حق أحد من الناس وكذلك صاحب السلعة المستحقة بأخذها » ..

« ٣ » وفى ذلك يقول صاحب مفتاح الكرامة جـ ٥ صــ ٣٣٥ « لو خرج المبيع على المفلس مستحقاً رجع المشترى على كل واحد من الغرماء بجزء من الثمن إن كان قد تلف ويحتمها الضرب مع الغرماء لأنه دين على المفلس والأقرب التقديم لأنه من مصالح الحجر لئلا يرغب الناس عن الشراء ..

« ٤ » انظر مدونة الإمام مالك جـ ٤ صـــ ١٢٢ ، والأم جـــ ٣ صـــ ١٧٧ والمغنى لابن قدامه جـ ٤ صـــ ٤٥٦

ما اعتمد عليه من أدلة ، وذلك فضلا عما يستتبعه أعمال هذا الرأى من مصلحة محققة للدائن وللمدين ، فضلا عمن قرر له المشرع الحق فى هذا الضمان وهو المشترى الذى استحق المبيع من يده ..

ولكن : ماذا عن موقف القانون الوضعى ، مما أثاره الفقه الإسلامى فى هذا الصدد ذلك ما تجيبنا عنه الكلمة الآتية : ـ

ثانيـاً :

موقف القانون الوضعى من تحمل الدائنين لتبعة ضمان الاستحقاق ..

فى البيع الجبرى ومداره

لقد انعقدت كلمة الفقه الوضعى ، على ثبوت حق المشترى فى الرجوع بقيمة الثمن الذى دفعه مقابلا للمبيع الذى اتضح استحقاق الغير له « أى المشترى » وهو من رسا عليه المزاد فى حالة التنفيذ الجبري على أموال المدين ..

بيد أن الفقه الوضعى قد اختلف حول المتحمل لهذه التبعة فى ظل مجموعة المرافعات السابقة عنه في ظل المجموعة القائمة رغم أن مصدر الحكم فيهما يكاد أن يكون واحداً وهو النص القانونى ..

ففى ظل المجموعة السابقة :

كانت المادة ـ ٦٤٠ ـ مرافعات تنص على أن « كل شرط فى قائمة البيع يقضى بعدم ضمان الاستحقاق أو بأن يكون المشترى ساقط الخيار ولا يترتب عليه إلا الاعفاء من التضمينات لا من رد الثمن ..

وفى ظل هذا النص كان جمهور الشراح يذهبون إلى القول : بأن المدين هو المتحمل لتبعة هذا الضمان وفقا لما نصت عليه المادة ـ ٤٤٣ ـ من القانون المدنى مستدلين على ذلك بما يلي : ـ

أولاً :

إن المدين يعتبر بائعا ، وللمشترى أن يرجع بهذا الضمان على البائع ، ولئن كان البيع فى حالتنا تلك يجرى جبراً عن المدين ، إلا أن ذلك لا يمنع من الرجوع عليه باعتباره بائعا بحسب القواعد العامة .. إذ كما يوجد بائع بإرادته قد يوجد من يبيع بغير إرادته ..

ثانيـــاً : ـ

إن المدين قد اشترك فى إجراءات التنفيذ ، وأعلن بقائمة شروط البيع ، وكان واجبا عليه إن كان غير متأكد من ملكيته أن يبدى ملاحظته بهذا المعنى ويطلب إضافة شرط عدم الضمان ..

ثالثاً :

إن الأصل هو تطبيق ما تنص عليه المجموعة المدنية بالنسبة لحقوق والتزامات المشترى ، على المشترى بالمزاد ما لم يوجد نص خاص يستبعد حقا أو التزاما معينا ، ولا يوجد مثل هذا النص بالنسبة لضمان الاستحقاق [1] بيد أن تحميل المدين لتبعة

---

(١) انظر فى ذلك : جـ ٤

ـ الأستاذ / محمد حامد فهمى فى تنفيذ الأحكام والسندات الرسمية والحجوز التحفظية سنة ١٩٥١ ط ٣ ف ٤٤٩ صـ ٤٢٩

ـ الأستاذ / أحمد أبو الوفا فى إجراءات التنفيذ فى المواد المدنية والتجارية جـ ١ ١٩٧٦ ف ٢٧٧ صـ ٧٩١ .

هذا الضمان كان محلا لنقد جانب كبير من الفقه حتى عدل عن ذلك الحكم في ظل المجموعة القائمة، وأصبح الدائنون هم الملتزمون برد الثمن والتعويض إن كان له وجه، وذلك وفقا لما فسر الشراح به ما نصت عليه المادة - ٤١٦ - من تقنين المرافعات الحالي والتى تقضى بأنه « إذا استحق المبيع كان للمشترى الرجوع بالثمن والتعويضات إن كان له وجه ولا يجوز أن تتضمن قائمة شروط البيع الإعفاء من رد الثمن » ..

وكان مبنى عدول الشراح عن الحكم الأول كما ذكر الفقه هو: —

اولاً :

إن ضمان الاستحقاق مرتبط بالبيع الرضائى، وأساس الالتزام به هو إرادة البائع ولا أدل على ذلك من أنه يجوز للمتعاقدين الاتفاق على إنقاص هذا الضمان أو إسقاطه - م ٤٤٥ مدنى ..

وما من شـك فى أن إرادة المدين ليس لها وجود فى هذا البيع القضائى، ولا يتصور إلزام المدين بالتعويض بناء على بيع لا دخل لإرادته فيه ..

ثانيــاً :

إن رجوع الدائنين في هذه الحالة لن يكون على أساس ضمان الاستحقاق المنصوص عليه فى المجموعة المدنية إذ أن هذا الضمان، وفقا لما نص عليه القانون المدنى، يرتب الحق فى التعويض الكامل عما لحق المشترى من خسارة أو ما فاته من كسب بسبب استحقاق المبيع - م ٤٤٣ مدنى ..

وذلك في حين أن المشترى في البيع القضائى لا يحق له إلا استرداد الثمن فقط ولا يستحق التعويضات إلا إذا كان لها وجه، أى إلا إذا ثبت خطأ الدائن المباشر لإجراءات التنفيذ ..

وحتى في هذه الحالة فإن الدائن يكون مسئولا عن التعويض وفقا لقواعد المسئولية التقصيرية لا المسئولية العقدية ..

ثالثاً :

إنه لا يوجد ثمة بائع في البيع القضائى، وكل ما فى الأمر أن المشترى الذى اتضح له استحقاق المبيع مد يده بحق، له أن يسترد الثمن من خزانة المحكمة قبل توزيعه أو يسترده من الدائنين الذين حصلوا عليه عند التوزيع، ولا يمكن اعتبار هؤلاء بائعين [1] ..

وخلاصــة القــول :

إن استحقاق المبيع في البيع القضائى، يرتب للمشترى الحق فى الرجوع بالثمن قبل توزيع حصيلة التنفيذ أو الرجوع بهذه القيمة على الدائنين إن تم توزيعها عليهم وأن هذا لا خلاف عليه بين الفقه الإسلامى والقانون الوضعى ..

الفرع الثاني : مدى تحمل الدائنين لتبعة ضمان العيب الخفى في البيع الجبري

اولاً : في الفقه الإسلامى :

لئن كان الفقه الإسلامى قد قضى بتحمل الدائنين لتبعة ضمان الاستحقاق في البيع

---

(١) انظر فى ذلك : الأستاذ / فتحى والى فى المرجع السابق ف ٢٩٩ صـ ٥٠٦، ٥٠٧ الأستاذ وجدى راغب صـ ٢٠٦

الجبري لأموال المدين ، فهل يتحمل الدائنون كذلك تبعة ضمان العيب الخفي كما تحملوا من قبل تبعة ضمان استحقاقه ؟

— لم أعثر بجهدي المتواضع على نصوص فقهية من كتب فقهاء السنة - رضوان الله عليهم - تشير إلى الحكم في ذلك ، اللهم إلا ما ذكره الإمام ابن رشد في بداية المجتهد مما يفيد عدم الضمان في مثل هذه البيوع حيث يقول : « وقد ورد عنه - أى الشافعي - أن بيع البراءة - أى من العيوب - إنما يصح من السلطان فقط ، وقيل في بيع السلطان وبيع المواريث من غير أن يشترطوا البراءة » (١)

كما أن بعض الشراح المحدثين (٢) يرى أن ذلك هو ما يؤخذ من كتب فقه الشيعة الإمامية حيث ورد عنهم أن البيع بالمزايدة لا محل لضمان العيب فيه ، حيث جاء في كتاب وسائل الشيعة ..

« أن أحدهم كتب إلى عبد الله يقول : « جعلت فداك » المتاع يباع فيمن يزيد فينادي عليه المنادى فإذا نادى عليه برىء من كل عيب فيه فإن اشترى المشترى ورضيه ولم يبق إلا نقد الثمن فربما شهد فيه فادعى عيبا وانه لم يعلم بها ، فيقول المنادى قد برئت منها ، ويقول المشترى لم أسمع البراءة منها ، أيصدق فلا يجب عليه الثمن ؟ أم لا يصدق فيجب عليه ، فكتب عليه الثمن (٣) ..

ثـانيـاً : موقف القانون الوضعي

لقد قضى المقنن المدنى بأنه لا ضمان للعيب المحض في حالة البيوع القضائية والإدارية حيث نصت المادة - ٤٥٤ - مدنى على انه « لا ضمان للعيب في البيوع القضائية ولا في البيوع الإدارية إذا كانت بالمزاد » ..

والحكمة من استبعاد الضمان في الحالتين واحدة وهى التى تحدثت عنها المذكرة الإيضاحية بقولها : إن هذا البيع « قد أعلن عنه واتيحت الفرصة للمزايدين أن يفحصوا الشيء قبل الإقدام على المزايدة فيحسن بعد أن اتخذت كل هذه الإجراءات الا يفسخ لسبب لا يمكن توقعه فتعاد إجراءات طويلة ومؤدى ما سبق :

أن هذه البيوع تتم بعد النشر والإعلان عنها مما يتيح الفرص امام المشترى لفحص المبيع والتمكن من إدراك العيب وبخاصة ان شهود مثل هذه البيوع هم من الكثرة بحيث يستثير بعضهم ملاحظات البعض الآخر - إذ كلهم راغبون في الشراء - وذلك يجعل احتمال عدم الوقوف على العيب امرا نادرا وخاصة إذا ما وزع الثمن على الدائنين الذين يقومون بالإجراءات فيكون من الصعوبة بمكان إعادة الحال إلى ما كانت عليه قبل البيع ، ولا ريب أن كل هذه الأمور تدعو إلى توحيد الحكم في الحالتين » (٤) ..

---

(١) الإمام ابن رشد في بداية المجتهد جـ ٢ صـ ١٩٩ طـ ١٩٦٩

(٢) الأستاذ / حسن الزنون في شرح القانون المدنى العراقي - العقود المسماة عقد البيع ف ٢٢٦ صـ ٢٥٣ طـ ١٩٥٢

(٣) رسائل الشيعة جـ ٣ صـ ٤٤٧ نقلا عن المرجع السابق للأستاذ حسن الزنون .

(٤) الأستاذ / توفيق حسن فرج في عقد البيع والمقايضة صـ ٤٢٣ ، صـ ١٩٧٠

الإسلام في استراليا

لفضيلة الشيخ
عبد المنصف عبد الفتاح

لقد شعَّ نور الإسلام : في القارة الاسترالية : في أوائل اكتشافها عن طريق المسلمين الافغان : الذين هاجروا إليها : منذ عشرات السنين ، وكانوا يستخدمون في تنقلاتهم حينذاك : الإبل .. وكانوا دعاة إلى الدين الإسلامي الحنيف : بالقدوة الحسنة ، والسلوك الحميد ، مع بيان محاسن الإسلام ، وقيمه وآدابه .. ولم يفتهم أن يقوموا بإنشاء المساجد ، والزوايا لإقامة الصلوات الخمس في أوقاتها ، لا سيما في الولايات التي استوطنوا بها ..

وأشهر المساجد القديمة وأكبرها : جامع مدينة « بيرس » وقد أسس عام ١٨٠٥م .. وفيه تتجلى فنون العمارة الإسلامية القديمة .. وهذه القارة النائية : تمتاز مدنها وقراها : بروعة مظهرها ، وجمال تنسيقها ، ويبلغ عدد سكانها : حوالي خمسة عشر مليون نسمة .. ويبلغ عدد المسلمين فيها حاليا قرابة : أربعمائة ألف مسلم : يقطن ٩٠٪ منهم مدينتي « سدني » و« مالبورن » وفي هاتين الولايتين توجد أكثر المساجد ، والجمعيات الإسلامية . وفي هذه القارة : يوجد سبعة وثلاثون مسجداً : موزعون في سائر الولايات .

وأكبر الجاليات الإسلامية في استراليا : الجالية اللبنانية ، يليها : التركية ، وتمثلان تقريبا ٧٥٪ من عدد المسلمين ، ثم بقية الجاليات الأخرى : المصرية ، واليوغسلافية ، والألبانية ، والباكستانية ، والهندية ، والماليزية ، والأندونيسية ، والسورية ، والفلسطينية ، والصينية ، والفيجية وغيرها من بقية الجنسيات الأخرى .. وكل جالية منها : لها جمعية إسلامية :

ومن مجموع هذه الجاليات : يتكون مجلس الولاية ، ثم تشترك جميع مجالس الولايات الاسترالية : في تشكيل الاتحاد الاسترالي للمجالس الإسلامية : الذي يعتبر : القيادة العليا ، والممثل الرسمي لجميع



الإسلام في استراليا

المسلمين ، وبالتالى يكون حلقة الاتصال بين المسلمين المستوطنين بالقارة .. ومن فضل الله تبارك وتعالى : أن الإسلام : هو دين الإنسانية بأسرها ، والحريص على خيرها وإسعادها : قد عرف طريقه إلى قلوب الكثيرين : من الرجال والنساء : الاستراليين .. وللمسلمين الجدد : الذين اعتنقوا الإسلام : عن اقتناع تام : من أهل هذه البلاد : نشاطهم الملحوظ ، وجمعياتهم ذات الأثر الفعّال ، فقد تحول بعضهم : إلى دعاة مخلصين : يبلغون غيرهم من بنى جنسهم : ما أفاض الله عز وجل عليهم : من حلاوة الإيمان ..

ويتمتع المواطنون والقاطنون بهذه القارة : باحترام حقوق الإنسان ، وحرية ممارسة الأديان .. والعيشُ الكريم : متوفر للجميع : فى ظل عدالة مشرفة ، وقضاء نزيه .. وحرية العقيدة .. مكفولة لكل الناس ، كما أن الحكومة تمنح كافة الجاليات : معونة لفتح المدارس الخاصة ، لتعليم اللغات على اختلافها .. وكل الجاليات لها الحق : فى إلحاق أولادها بالمدارس الحكومية ، بعد انتهاء الفترة الصباحية فى المدارس الأهلية : لتعليم أولادها : الدين الإسلامى ، واللغة الأصلية ، فهى تشجع تعليم اللغات غير الإنجليزية ، كما أن هناك ترخيصاً رسمياً بتدريس مادة الدين الإسلامى بصفة رسمية : ساعة فى الأسبوع ، فى كل مدرسة ، يوجد بها عدد من أولاد المسلمين . كما أن اللغة العربية : قد أدخلت فى المناهج كلغة ثانية بعد اللغة الإنجليزية : لمن يرغب فى تعلمها ..

ومما يثير الغبطة فى النفوس : أنه فى عامى ١٩٨٤ ، ١٩٨٥م اعتنق الإسلام : ١٨٦ رجلاً وامرأة : من أصل استرالى وإنجليزى وألمانى وغيرهم : عن طريق بعض المناقشات والدراسات الإسلامية : بالمركز الإسلامى : بلاكمبا بسدنى ، وغيره من الجمعيات الإسلامية الأخرى .. وهم كالنبتة اليافعة يجب مدها بما ينميها : بالكتاب الإسلامى المترجم إلى اللغة الإنجليزية ، والشريط أو الفيلم الدينى الهادف الذى يعطى صورة مضيئة مشرقة عن القيم الدينية .

والحق يقال : إن الدعوة الإسلامية : فى المجتمع الاسترالى : تجد مناخاً جيداً . وعقولاً لا تعرف التعصب ، ولو وجدت حسن العرض مع الإخلاص ، وصدق النية ، والقدوة الصالحة : عن طريق الدعاة النابهين ، والهداة المرشدين : المؤمنين برسالتهم : ليكونن للإسلام : فى هذه القارة : شأن عظيم ، وانتشار على أوسع نطاق .. غير أن أولاد المسلمين فى هذه القارة : يواجهون ما يسمى بمشكلة الجيل الثانى : البنين منهم والبنات : الذين جرفتهم التيارات المادية ، والمغريات العصرية ، والاعلام المدنى المدمر :

ولا سبيل إلى حماية هذا الجيل من الذوبان : إلا بإنشاء المدارس الإسلامية ، والمعاهد الدينية .. والحال أنه لا توجد فى استراليا كلها : إلا مدرستان إسلاميتان إحداهما بها : ١٥٠ تلميذاً ، والأخرى بها : ٢٠ تلميذاً .. ورغم وجود آلاف التلاميذ الذين يعانون الضياع : ومستقبلهم فى ظل الأوضاع الراهنة : مظلم !! .. إن لم تكن هناك دراسة

جادة لهذه المشكلة ، وعمل إيجابي لإنشاء المدارس ذات الدوام الكامل ، والتى من شأنها : أن تنشىء جيلاً إسلامياً : فى هذه القارة ، وفى الوقت نفسه يكون أداة فعالة للإسهام فى بناء صرح المجتمع الاسترالى.

ومما يثير الأسى والأسف : أن حولت بعض المساجد التى سبق أن أنشئت فى : « أوليد » فى الفترة من ١٧٨٥ إلى ١٨٠٥م إلى متاحف يرتادها بعض السياح ولم يبق من الأفغانيين السابقين الذين قاموا ببناء هذه المساجد والذين كان يبلغ عددهم حوالى أربعين ألف مسلم ، سوى أربعة آلاف لا تزال متمسكة بدينها وقيمها .. وما سوى ذلك : فقد جهلوا تعاليم الإسلام ، ومبادئه ، فهجر الدين ، وتغيرت الأسماء !! لعدم وجود الدعاة الفاقهين لدين الله !!

وهذا هو المصير المؤلم : الذى ينتظر أولاد الجاليات الإسلامية المعاصرة ، إن لم تتدارك الدول الإسلامية ، وتقدر مسئوليتها أمام الله عز وجل ، قبل فوات الأوان ..

والأزهر الشريف على أتم الاستعداد : فى تغذية هذه المناطق بالدعاة المخلصين حتى تيسر له ذلك ، ولم تكن هناك عقبات تحول دون تحقيق هذه الرغبات ..

ولقد زرت بعض أسر الجاليات الإسلامية فى الفترة من ١٩٨٦/٥/٢٤ إلى ١٩٨٦/٦/١١م بسدنى لإلقاء بعض العظات الدينية ، ولاحظت أنه من المتعذر جداً التخاطب مع الأولاد باللغة العربية ، لأنهم لا يعرفون : سوى اللغة الإنجليزية : التى تدرس فى المدارس الحكومية ..

ومن أجل هذا التحول الخطير : لم تجد إدارة المركز الإسلامي بلاكمبا بسدنى بُدّاً : من أن تعمل جادة على حماية الفطرة ، لدى أولاد المسلمين ، وإنماء لشجرة الإيمان فى قلوبهم ، بفضل الجهود المشكورة التى يبذلها المركز الإسلامى ، وذلك عن طريق عدة وسائل إيجابية تتمثل فيما يأتى بيانه :

(١) تحفيظ وتلاوة القرآن الكريم .

(٢) دراسة الأحاديث النبوية الصحيحة مع بيان ماترمى إليه : من نصح وتوجيه وآداب إسلامية .

(٣) تعليم اللغة العربية

(٤) تدريس الفقه الإسلامي بطريقة سهلة ومبسطة .

(٥) ممارسة الصلاة عمليا ، والتدريب عليها .

(٦) إقامة مسابقات للقرآن الكريم سنويا فى العشر الأواخر من رمضان ، وتوزيع الجوائز المالية والعينية على الفائزين والفائزات فى ليلة القدر .

(٧) تعويد الفتاة المسلمة على الزى والحجاب الإسلامى من صغرها .

(٨) تأصيل العقيدة الصحيحة فى نفوس الشباب .

(٩) بيان واجبات المسلم فى المجتمع الذى يستوطنه ، ويعيش فيه ، وعدم الخروج على قوانينه فيما يتعلق بشئون الحياة.

ولاشك أن هذا عمل مشكور قام به ابن الأزهر ، **ولكنه يحتاج إلى دعم من الأزهر الشريف قلعة الإسلام الحصينة ، بإيفاد الدعاة ودعاته الموثوق بهم علماً وخلقاً وسلوكاً ، ليكونوا مشاعل النور والهداية : فى هذه القارة التى هى فى مسيس الحاجة إليهم لتستنير بمبادىء الإسلام وقيمه « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل »** .



مفاتح الغيب

المفاتح والمفاتيح : جمعان واحدهما مفتاح ، وهو مايفتح به الباب المغلق .

والغيب : كل ما غاب عنا واستتر ، مما لم يشاهده إنسان ، ولم يطلع عليه مخلوق ، وهذا مما لا نتوصل إلى معرفته بحال ، ولا يعلمه على حقيقته إلا الله عز وجل .

ومفاتح الغيب ، ومفاتيح الغيب : ما خفى على الخلق والعباد ، من الآجال ، والأرزاق والأحوال والثواب والعقاب ، وسوى ذلك مما لا يحيط به علما إلا الله العلى العظيم .

والإنسان بفطرته ، شغوف منذ القدم ، إلى كشف خفاء المجهول ، والوقوف على كنه المستتر وحقيقته ، واستطلاع الغيب ، وماوراءه من أسرار ،، وقد دفعه إحساسه بالنقص ، وخوفه مما غاب عنه ، إلى الاشتغال بالتنجيم ، ومعرفة « البخت » وقراءة الكف و « الفنجان » وادعاء العلم بالغيب ، وغير ذلك من ضروب الظن والتخمين ، لينال من وراء هذا تقدير الوري ، ويوصف بينهم بسعة الأفق ، والإدراك الواسع ، والالمام بما عجز ويعجز عنه سواه من الناس .

ولكن هيهات هيهات ، فلا يعلم الغيب على حقيقته إلا الله رب العالمين ، وأحكم الحاكمين .

وعلمه جل جلاله . علم ذاتي غير مكتسب . فهو تبارك اسمه ـ ملم إلماما تاما ، بجميع ما يحوي هذا الوجود ، من المخلوقات والكائنات ، محيط إحاطة شاملة بالكليات والجزئيات ، ماوجد منها ، وما سيوجد ، على الوجه الذى يريده رب البريات ، حتى تبدل الأرض غير الأرض والسموات .

وفى الآية التاسعة والخمسين ، من سورة الأنعام الكريمة ، يقول الله تبارك وتعالى ، وهو أصدق القائلين .

« وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ » .

ففى هذا النص الكريم ، جعل مولانا العلى العظيم ، للغيب مفاتح ، على طريق الاستعارة وروعة البيان ، لأن المفاتح يتوصل بها عادة ، إلى ما فى الخزائن ، المستوثق منها بالأغلال



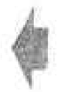
لفضيلة الشيخ
أحمد على منصور

والاقفال ، ومن علم مفاتحها ، وكيفية فتحها وغلقها ، توصل إلى ما بداخلها ، فأراد الله السميع العليم ـ وله المثل الأعلى فى السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم ـ أنه وحده ، هو المتوصل إلى المغيبات ، وإدراك حقيقتها ، فلا يتوصل إليها غيره مطلقا ، كمن عنده مفاتح أقفال المخازن ، ويعلم فتحها وإغلاقها ، فهو الملم بما فى المخازن ، وما تحويه بداخلها ، دون سواه .

ومن تأويل بعض الصالحين ، لقول الله العلى القدير : « وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ » أن عند مولانا ـ عز علاه ـ مفاتح الغيب ، لايدركها على حقيقتها إلا هو دون سواه ، وإن عندنا مفاتح الغيب ونحتاج دائما لنعم ربنا وعطاياه ، فمن آمن منا بغيب مولاه ، أسبل الستر على عيوبه وخطاياه ، ووفقه فى دنياه ، وشمله بعفوه ورحمته فى أخراه ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، والأمر يومئذ لله .

ولايخفى على الله جلت حكمته ، شيء فى الأرض ولا فى السماء ، ويعلم سبحانه وتعالى ، ما فى البر من النباتات والدواب ، وما فى البحر من الأسماك والحيتان والتماسيح . والجواهر واللآلىء وغيرها . وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، فيعلم تعالى شأنه ، عدد الأوراق الساقطة وأحوالها ، قبل السقوط ، والوقوع على الأرض ، وبعد ذلك ، ولا حبة فى ظلمات الأرض وباطنها ، ولا رطب طري ، ولا يابس جاف ، إلا فى كتاب مبين .

ويصرح العلى العظيم ، بعد هذا النص الكريم ، فى سورة الأنعام المجيدة ، بأن بقدرته وحكمته يقبض أنفسنا عن التصرف فى الليل بالمنام ، ويعلم ما كسبنا فى النهار من الذنوب والآثام ، ثم يوقظنا فيه ، ليقضى أجل مسمى ، وتوفى الآجال والأعمار بالتمام ، ثم نرجع ونرد بالبعث بعد الموت ، إلى الملك العلام ، فيحاسبنا على ما كان منا فى الدنيا يوم الزحام ، والله ـ تنزهت صفاته ـ هو القاهر فوق عباده . ويرسل عليهم حفظة ، وملائكة حافظين ، كراما كاتبين ، لتدوين ما يعملون ، حتى يكون ذلك أبعد للعباد ، عن الاقتراب من المعاصى والفساد ، إذا تفكروا أن صحائفهم ، ستقرأ يوم التناد ، على رءوس الأشهاد ، وإذا حل الموت بساحة أحدنا ، توفاه بأمر الواحد القهار ، ملك الموت وأعوانه . دون توان أو تأخير ، ثم يرد المتوفون إلى حكم الله العدل ، وجزائه الحق ، الذى يلى عليهم أمورهم ، ويقضى بالإنصاف بينهم ، ولا حكم فى يوم الحساب لغيره . وهو سبحانه أسرع الحاسبين ، لا يشغله حساب عن حساب ، ويحاسب جميع الخلائق فى مقدار حلب شاة .





مفاتح الغيب

عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً

وفى الآيات الثلاث الأخيرة من سورة الجن ، يقول مولانا اللطيف الخبير : « عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً . لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً »

فالله تعالى جده ، وسمت عظمته ، يعلم الغيب وحده ، دون سواه ، ولا يظهر أو يطلع على غيبه ، أحداً من خلقه ، إلا رسولا قد ارتضاه لعلم بعض الغيب ، ليكون إخباره بهذا البعض معجزة له ، فأنه عز علاه ، يطلعه على ما شاء من غيبه ، حتى يكون ذلك ادعى لقومه ، إلى تصديقه ، والإيمان بما جاء به ، وفى هذه الحالة يسلك مولانا من بين يدى الرسول ، ومن خلفه رصداً ، وحفظة من الملائكة الكرام ، يحفظونه من الشياطين ، ويعصمونه من وساوسهم ، ويباعدون بينه وبين تخاليطهم ، حتى يبلغ وحى الله العلى القدير ، دون زيادة ولا نقصان ، وليعلم الله القوى القادر ، أن المرسلين قد بلغوا رسالات ربهم كاملة ، وأنهم أدو الأمانات تامة ، ويحيط السميع المجيب ، بما لدي هؤلاء المرسلين . وما عندهم من العلم ، ويحصى جلت قدرته ، كل شيء عددا ، من القطر والرمل ، وورق الأشجار ، وزبد البحار ، فكيف لا يحيط بواسع علمه ، بما عند المصطفين الأخيار من وحيه وكلامه .؟

وقدرته عز وجل آخذةبنواصينا ، وحكمه العادل نافذ فينا ، وأمره بين الكاف والنون ، وبذكره يأنس الطائعون . وبتوحيده يبتهج الموحدون ، وبرؤية آثاره فى هذا الوجود تقر العيون ، ويهدي المتقين الصراط المستقيم ، ويعلم أنفاس خلقه بعلمه العميم ، ويري حركات أرجل النمل فى جنح الليل البهيم ، ويُدخل الصالحين النعيم ، ويسبحه الطائر فى وكره ، ويمجده الوحش فى قفره ، ويحيط بعمل العبد سره وجهره ، ويتكفل للمؤمنين بتأييده ونصره ، وتطمئن القلوب بذكره ، وكشف ضره ، وتقوم السماء والأرض بأمره ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير .

خمس لا يعلمهن إلا الله

وفى آخر آية من سورة لقمان ، يقول رب العالمين ، وأكرم الأكرمين ، وأرحم الراحمين . « إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَافِي الْأَرْحَامِ وَمَاتَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَاتَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » .

فالله عظمت حكمته ، عنده وحده علم الساعة ، ووقت مجيء القيامة ، وينزل الغيث والمطر فى وقته وإبانه . على ما تقتضيه حكمته ومشيئته ، ومصلحة البلاد والعباد ، من غير تقديم ولا تأخير ، ويعلم ما فى الأرحام ، ومواضع تكوين الأجنة ، داخل بطون الأمهات ، وهل فى هذه الأرحام والمواضع ، ذكور أو إناث ؟ وخلقهم تام أو ناقص ؟ وما تدري نفس ، بارَّة كانت أو فاجرة ، ماذا

تكسب غداً ، فى اليوم الذى يلى يومها مباشرة ، من خير أو شر ، وربما عقدت العزم على فعل الخيرات ، فسبق عليها القضاء ، فوقعت فى أحضان الشرور والسيئات ، وربما كانت مصممة على عمل الشر ، فدفعها المقدر عليها من مولاها ، إلى أن تجري فى مضمار الخير أشواطاً ، وما تدري نفس ، طائعة كانت أو عاصية ، بأى أرض تموت ، وفى اى مكان تلفظ أنفاسها الأخيرة ، وتغادر دار الزوال والفناء ، إلى دار الدوام والبقاء .

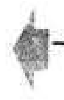
وربما اقامت بأرض ، وضربت فيها أوتادها ، وقالت لا أبرحها بحال ، حتى أموت بين ربوعها ، وأدفن فى مقابرها ، فترمى بها من حيث لا تشعر ، مرامى القدر ، وتشد الرحيل إلى أرض أخرى ، لم تخطر من قبل ببالها ، ولم تجر بالسابق فى حسبانها ، فتموت فيها ، ويوارى شبحها فى أجداثها وقبورها ، والله البارىء المصور ، هو العليم وحده بالغيوب ، الخبير دون غيره ، بما كان ، وبما سيكون . وبما هو كائن إلى يوم الحساب .

رأى أبـو جعفر المنصـور ، الخليفـة العباسي ، رحمه الله ، صورة ملك الموت فى منامه ، فسألة المنصور عما بقى من عمره ، فأشار بأصابعه الخمس ، ولما طلع النهار احضر ابو جعفر مؤولى الاحلام ، وطلب منهم تعبير رؤياه ، فعبـرها بعضهم بخمس سنوات ، وأولها آخرون بخمسة أشهر ، ورأى سواهم أنها خمسة أيام ، ولما سئل أبو حنيفة النعمان ، رحمه الله عن ذلك ، قال إنه إشارة إلى ماورد بهذه الآية الكريمة ، وأن الأمور الخمسة التى نصت عليها ، مما استأثر الله تبارك وتعالى بعلمه دون غيره .

وفى صدر هذه الآية الشريفة وختامها ، جعل العلم لله سبحانه ، وفى وسطها أسندت الدراية للعبيد والنفس ، لما فى العلم من الإدراك العميق للمعلـوم ، على وجهـه وحقيقته ، ولما فى الدراية من الختل وإعمال الحيلة ، فالنفس وإن أعملت حيلهـا ، واستخدمت مقاييسها ، ومواهبها وكل ما فى وسعها ، لا تصل بحال إلى معرفة ما يختص بها ، ولا شىء أخص بالإنسان ، وأشد اتصالا به ، من كسبه وعاقبته ، فإذا لم يكن له طريق إلى معرفتهما ، كان عن معرفة ما عداهما أبعد .

وقال النبي ﷺ : « مفاتح الغيب خمس ، لا يعلمها إلا الله تعالى »[1] وتلا هذه الآية الكريمة . وقال عبد الله بن عباس ، رضى الله تعالى عنهما : من ادعى علم هذه الخمسة ، أو بعضها ، فقد كذب على الله رب العالمين . وأخرج الامام البخاري ، رضي الله تعالى عنه ، فى جامعه الصحيح ، فى باب قول الله عز وجل : « عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً » عن عبد الله ، ابن أمير المؤمنين ، عمر ابن الخطاب ، رضى الله تعالى عنهما ، عنى النبى ﷺ ، قال :

« مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله : لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ، ولا يعلم مافى غد إلا الله ، ولا يعلم متى يأتى المطر أحد إلا الله ، ولا تدري نفس بأى أرض تموت إلا الله ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله .



(١) يليها بيان بالمرجع



مفاتح الغيب

وأمور الغيب كثيرة ، وإلى الله جل وعلا ، وحده علمها على حقيقتها ، وجعلها المصطفى الكريم ، صلوات الله وسلامه عليه ، خمساً فى هذا الحديث الشريف ، اقتداء بالقرآن العظيم ، فى الآية السابقة بختام سورة لقمان ، وتقريبا للأمر على السامعين . وتقليلا للانواع ، وتسهيلا للإلمام بها وحفظها .

وفى قول المصطفى ، ﷺ ، بهذا الحديث الشريف : « **لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله** » إشارة إلى قول الله القوى المتين ، فى الآية الثامنة من سورة الرعد .

« اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ، وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ ، وَمَا تَزْدَادُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ »

وما فى « وما تحمل كل أنثى ، وما تغيض الأرحام ، وما تزداد » إما أن تكون موصولة : والمعنى على ذلك ـ والله أعلم بمراده من كلامه الكريم ـ الله وحده هو الذى يعلم دون غيره ، الذى تحمله كل أنثى ، من الولد ، على أى حال هو ، من ذكورة أو أنوثة ، وتمام أو نقص ، وحسن أو قبيح ، وغير ذلك ، ويعلم وحده ـ جل شأنه ـ الذى تغيضه وتنقصه الأرحام ، التى تتخلق فيها الأجنة فى بطون الأمهات ، ويعلم وحده ـ تباركت نعمه ـ الذى تزداده هذه الأرحام ، وتشمل عليه ، من عدد الأولاد ، فإنها تارة يكون بها واحد ، أو اثنان أو ثلاثة ، أو اربعة ، ويعلم سبحانه أحوال الأولاد داخل الأرحام ، من تمام أو نقص ، وجمال أو تشويه .

ويعلم جل جلاله ، مدة مكث الأجنة فى هذه الأرحام ، فتكون تسعة أشهر فى الغالب ، أو أقل منها ، أو أزيد عليها ، إلى سنتين عند الحنفية ، أو إلى أربع سنين عند الشافعية ، أو إلى خمس سنين عند المالكية .

وإما أن تكون ما فى الآية الكريمة ، بالمواضع الثلاثة مصدرية ، فالمراد من النص الكريم على ذلك ـ والله أعلم .

إن الله جلت صفاته ، يعلم دون سواه ، حمل كل أنثى ، ويعلم غيض الأرحام ، وازديادها وكل شيء عنده ، عز شأنه ، بمقدار لأنه يخلق الأشياء بقدر وحدّ ، لا يجاوزه ولا ينقص عنه ، ولقد صرح مولانا عقيبَ هذه الآية ، بأنه وحده يعلم ما غاب عن الخلق وما يشاهدونه ، وهو الكبير العظيم الشأن ، الذى كل شيء دونه ، المستعلى على كل شيء بقدرته ، أو الذى كبر عن صفات المخلوقين ، وتعالى عنها ، علوا كبيرا .

ويدل هذا الحديث الشريف ، دلالة واضحة ، على جهل الإنسان التام ، بامور الدنيا ، وأحوال الآخرة ، لأنه يجهل نفسه وهى أقرب الأشياء إليه ، فلا يعلم ما تغيض الأرحام ، ويجهل مستقبله فلا يعلم ما يكون فى غده ، واليوم الذى يلى يومه . ويجهل العالم العلوى ، فلا يدري وقت نزول المطر ، ويجهل العالم السفلى ، فلا يدري بأي أرض يموت ، ويجهل حاله فى آخرته ، فلا يعرف متى تقوم الساعة ، وإذا لم يبقَ للإنسان ، من ضروب العلم بالدنيا والآخرة شيء يذكر ، فعليه أن يسارع إلى طاعة مولاه ، الذى يحيط بكل شيء علما ، ويفيض النعم على خلقه جودا وكرما ، ويقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات ، ويعلم ما تفعلون .

الفتاوى

اعداد : عبد الحميد السيد شاهين

س : من السيد / ع . م . المصرى من الزقازيق

هل مكسب خياط الملابس الحريمى حلال ام حرام ؟

وإذا كان حراما فما هو الحرام فيه ؟ وهناك عمل جاهز وهناك تفصيل فايهما الحرام وأيهما الحلال ؟

ج :حيث لم يقم الرجل بأخذ مقاسات السيدات ولا بملامسة اى جزء من اجسادهن ، والتى قامت بهذا العمل وهو أخذ المقاسات امرأة مختصة ، واقتصر عمل الرجل على التفصيل أو الخياطة فقط من غير أن يقوم بشىء مما تقدم لا فى الأول ولا فى الآخر ، فإنه لا مانع من ذلك شرعا ، ويكون الكسب الذى يحصل عليه فى مقابل عمله حلالا شرعا .

س من السيد / ع . المراغى مصر الجديدة

هناك مجموعة من العرب الوافدين إلى مصر للمتعة الحرام عن طريق تحصين انفسهم (بورقة الزواج العرفى) لمدة قد تصل إلى اسبوع أو خمسة عشر يوما مقابل مبلغ يتفق عليه بين كل . من المحامى وهذا العربى الوافد وأهل الفتاة ... فهل يندرج هذا الموضوع تحت قائمة زواج المتعة المحرم ؟ وما الحكم ؟

ج : إذا تزوج رجل ما بزوجة بإيجاب وقبول صحيحين وشاهدين ومهر محدد لا يقل عن اثنى عشر جنيها صح النكاح ولو لم يوثق ـ غير أن الزواج غير الموثق لا يترتب عليه آثاره من نفقة ومتعة ونسب عند الإنكار ...

أما إذا اتفق رجل وامرأة على أن يقضى معها فترة محددة من الوقت بمبلغ معين فإن هذا الاتفاق باطل ، لأنه من نكاح المتعة التى اتفق أهل السنة على بطلانه وإن كان بشهود .

وبالنسبة للزواج الأول فقد أصبحت الزوجة زوجة شرعية لمن عقد عليها بالإيجاب والقبول والمهر والشهود . ولا يفسخ هذا النكاح إلا بالطلاق ..

أما زواج المتعة المؤقت بزمن لقاء مبلغ من المال فإنه لا يحتاج إلى طلاق ، فهو باطل ابتداء ويحل للمرأة أن تتزوج بعد بمن تشاء ، لأن معاشرتها له باطلة

أما الزواج الشرعى القانونى الموثق لدى الجهات الرسمية فإنه يكون صحيحا شرعاً وقانونا ، وتترتب عليه جميع آثاره ، من نسب ومهر ونفقة زوجية ونفقة عدة ومتعة .. إلخ .

س من السيد / خ . ا . عامر من أسيوط

اقام جماعة من المسلمين مركزاً إسلامياً للدعوة لا يتبع حكومة من الحكومات ، ولا يمول رسمياً من اى جهة ، وإنما يعتمدعلى التبرعات الشخصية . فهل يجوز صرف جزء من اموال الزكاة لهذا المركز ؟

ج : يجوز توكيل أحد أعضاء المركز بصرف هذه الزكاة فى مصارفها الشرعية ومن بين مصارفها الشرعية كل مرفق يتخذ لصالح الجماعات الإسلامية ، كالمساجد والمدارس والملاجىء والمراكز الإسلامية التى ترعى شئون المسلمين .

س : من السيد / ع . ب . محمد من الاسكندرية

توفيت امراة عن زوج ، اخت شقيقة ، جد لأب فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للزوج النصف فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ، وللأخت الشقيقة النصف فرضا لعدم من يعصبها أو يحجبها ولا نفرادها ، وللجد لأب السدس فرضا لعدم من يحجبه والمسألة من ستة أجزاء وتعول إلى سبعة أجزاء .

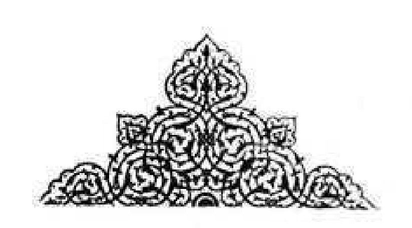
للزوج ثلاثة أجزاء ، والباقى وهو أربعة أجزاء يكون للأخت الشقيقة والجد لأب مقاسمة بينهما للذكر ضعف الأنثى ..

س : من السيد / ح . ع . حسن من البحيرة ..

توفيت امراة عن : اخ واخت شقيقين . واولاد اخ شقيق فمن يرث ومانصيبه ؟

ج : التركة كلها للأخ والأخت الشقيقين تعصيباً للذكر ضعف الأنثى ، ولا شىء لأولاد الأخ الشقيق لحجبهم بالأخ الشقيق .

والله أعلم





من أعلام الأزهر

فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الوهاب خلاف

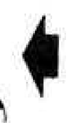
للمستشار محمد عزت الطهطاوى

عالم ازهرى جليل وفقيه اسلامى كبير كان ينحو دائما الى معالى الأقوال والأفعال سمح الوجه عف اللسان تميز بالمروءة والكرامة والخلق الكريم مثل ما تميز باستقامة الفكر والعقل والنفس ، يتجه الى الحقيقة فى فكر واضح لا التواء فيه ، والى التعبير عنها فى عبارة مستقيمة ، بينة لا ابهام فيها .

ذلك هو المرحوم الأستاذ الشيخ عبدالوهاب عبد الواحد مصطفى مصطفى خلاف الذى شرفنا نحن رجال القانون بالتلمذة عليه فى مواد الشريعة الاسلامية وأصول الفقه فى أربعينات هذا القرن ابان عمله أستاذا للشريعة الاسلامية فى كلية الحقوق بجامعة القاهرة فكان فى محاضراته ودروسه العلامة المتمكن فيما يبين ويكشف فى أسلوب سهل رصين ، يتخير من المعانى السهل المألوف والقريب المعروف ومالا يكون سهلا فى ذاته يقربه ويؤنسه ويختار له من الألفاظ والأساليب أقربها الى الأذهان وأوضحها فى البيان وأحسنها جرسا فى الآذان حتى لقد كان يمد أسلوبه البيانى بحق من السهل الممتنع .

يصفه زميله وصديقه المرحوم الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة فيقول :

كان الشيخ عبد الوهاب خلاف مشرقا فى آماله ، كما كان صابرا فى آلامه ان أصابته الضراء صبر وان أصابته السراء شكر فكان شأنه شأن المؤمن دائما مأجورا فى الحالين لا تبطره النعمة ولا تؤيسه من رحمة الله النقمة





وكثيرا ما كان فى شدائده يردد فى ضراعة المؤمن (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا) (١) وعندما فقد عزيزين من أبنائه كان يتأسى بأقوال المؤمنين ويتذكر عبارات الصابرين ويردد فى ايمان قول يعقوب عليه السلام فيما يحكيه القرآن الكريم عنه فى قوله تعالى (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ) (٢) وكان فى مجالسه الخاصة مع زملائه وعارفى فضله اذا استقام الحديث بين يديه نسى همومه وآلامه وأمتع مستمعيه بمعان يجمعها فى قول كأنه السلسبيل العذب ، لأنه يملك من فنون الحديث والعلم بمداخل النفوس والقلوب الكثير (٣) .

مولده ونشأته :

ولد رحمه الله بمدينة كفر الزيات من أعمال محافظة الغربية فى مارس سنة ١٨٨٨ م وعندما درج صبيا انتظم فى أحد كتاتيبها حيث حفظ القرآن الكريم ، وفى سنة ١٩٠٠ م التحق بالأزهر الشريف وظل ضمن طلابه حتى افتتحت مدرسة القضاء الشرعى سنة ١٩٠٧ م فانتظم فى سلك الدارسين بها اثر افتتاحها مباشرة وعند تخرجه منها سنة ١٩١٥ عين أستاذا بها واستمر ضمن هيئة التدريس بها حتى سنة ١٩٢٠ م حيث عين قاضيا بالمحاكم الشرعية وفى سنة ١٩٢٤ م استدعته وزارة الأوقاف ليعمل مديرا للمساجد فبقى بها حتى عين مفتشا بالمحاكم الشرعية فى منتصف عام ١٩٣١ ، وفى سنة ١٩٣٤ انتدبته كلية الحقوق بجامعة القاهرة ليعمل بها أستاذا للشريعة الاسلامية واستمر على ذلك حتى أقعده المرض مضطرا ثم وافاه قدر الموت فى يناير ١٩٥٦م (٤) .

كيف كان القاؤه للدرس :

كان القاؤه للدرس نسيجا وحده يزيد جمالا أن صوته ليس بالصوت اللين الرخو وليس بالأجش الخشن ، يستمع اليه السامع فلا يحس فى القائه تكلفا بينما تنساب — فى أثير صوته — مصحوبة بنغماته الالقائية المصورة بدقة لمعانيه التى يقصد احاطة طلبته بها .

منزلته المتميزة فى كلية الحقوق :

مما يلفت النظر أن كلية الحقوق بجامعة القاهرة ظلت متمسكة به بل وتمد فى خدمته بها حتى بعد احالته الى سن التقاعد سنة ١٩٤٨ واستمرت على ذلك حتى أقعده المرض ، ويبدو أن المسئولين بها رأوا فيه قوة للشريعة بشخصه المهيب وبيانه الرائع وبحوثه الفياضة ولا غرو فشريعة الاسلام بمكانتها القدسية

(١) سورة البقرة ٢٥٠ .
(٢) سورة يوسف ١٨ .
(٣) من مقال (الاستاذ عبد الوهاب خلاف) بقلم الشيخ محمد أبو زهرة منشور بمجلة لواء الاسلام العدد الحادى عشر السنة التاسعة رجب سنة ١٣٧٥ هـ — فبراير سنة ١٩٥٦ م .
(٤) كتاب الاسلام والمعاملات مجموعة احاديث الاستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف ملحق بمجلة الاذاعة سنة ١٩٥٦ .

ودقتها الفقهية تحتاج دائما أمام الدارسين لها الى شخصيات قوية من أمثال المرحوم الشيخ عبدالوهاب خلاف تجليها وترد عنها سهام الزائغين •

مكانته الوطنية والعلمية :

اشترك المرحوم الشيخ عبدالوهاب خلاف فى ثورة سنة ١٩١٩ ضد الغاصبين والمحتلين الانجليز فبرزت فيها خلاله ومواهبه الخطابية والكتابية وبعد انتهاء الثورة سما بوطنيته عن النفعية والحزبية وابتعد عن الأهواء والأغراض فما كانت رغبته الا أن يرى الأمة المصرية والأمة العربية والشعوب الاسلامية فى مقدمة الأمم الناهضة القوية العاملة لخير العالم وسلامه ، وعندما انتخب عضوا فى مجمع اللغة العربية أشرف على وضع معجم للقرآن الكريم •

ولقد سافر — رحمه الله أكثر من مرة الى الأقطار الشرقية الشقيقة للاطلاع على بعض المخطوطات النادرة فكان سفيرا ناجحا لمصر فى كل مكان ، ولما زار السودان فى شتاء سنة ١٩٤٦ م ألقى فى النادى المصرى عدة محاضرات تركت أثرا كبيرا وطيبا فى نفوس أبناء السودان الشقيق (١) •

تراثه العلمى :

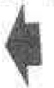
ألف رحمه الله كتبا كثيرة فى الفقه وأصوله وفى تاريخ التشريع الاسلامى وفى أحكام الأحوال الشخصية فى الشريعة الاسلامية على



مذهب الامام أبى حنيفة وما كان عليه العمل بالمحاكم الشرعية كما ألف فى شرح قانون المواريث الذى صدر برقم ٧٧ سنة ١٩٤٣ تعديلا لما سبقه من قوانين وفى أحكام الوقف فى الشريعة الاسلامية وما كان عليه العمل بالمحاكم المصرية كذلك وضع كتابا نادرا فى السياسة الشرعية وترك — رحمه الله — بضعة مجلدات من تفسير القرآن الكريم بعنوان (نور من الاسلام) وهذا عدا مادبجه من بحوث ومقالات كثيرة نشرها فى مجلة القضاء الشرعى ومجلة الأحكام ومجلتى الرسالة والثقافة ومجلة لواء الاسلام ابان صدورها حتى تاريخ وفاته فى بداية سنة ١٩٥٦ م •

نماذج من أحاديثه فى الاذاعة المسموعة :

وهذا نموذج مما قاله — رحمه الله — بعنوان : الدين المعاملة : (بنى



(١) المرجع السابق •



من أعلام الأزهر

الاسلام قانون المعاملات بين الناس على أسس تكفل تبادلهم حاجاتهم ومصالحهم من غير اضرار أحد بأحد ولا وقوع فى مشقة أو حرج ، ولا فتح باب للمنازعات والخصومات .

نهى عن أن يأكل أحد مال أحد بالباطل ، وان تكون المبادلات عن التراضى ، وكلمة الباطل تشمل كل وسيلة غير مشروعة لأخذ مال الغير فالنصب والغش والاحتيال واليمين الكاذبة وأشباه هذه كلها وسائل غير مشروعة والمال المكتسب بوسيلة منها مال حرام ، وأكل الحرام يحبط الأعمال ويمحق بركة المال الحلال قال تعالى « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ**) **ويقول رسول** الله — صلى الله عليه وسلم (البيعان بالخيار مالم يتفرقا ، فان صدق البيعان وبينا بورك لهما فى بيعهما وان كذبا وكتما فعسى أن يربحا ربحا ما ويمحقا بركة بيعهما ، وفى رواية — محقت بركة بيعهما . اليمين الفاجرة منفقة للسلعة ممحقة للكسب) (١) .

وسدا لأبواب المنازعات والخصومات أمر الله بالاشهاد حين التبايع فقال سبحانه (**وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ**) (٢) وأمر بكتابة الدين المؤجل فقال سبحانه (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ**) (٣) وبين سبحانه حكمة هذا بقوله (**ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا**) (٤) وأمر من اؤتمن أن يؤدى ما اؤتمن عليه فقال (**فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ**) (٥) .

ورفعا للحرج عن الناس فى معاملاتهم اغتفر الاسلام الغبن اليسير فى المعاملات وهو ما يتسامح الناس عادة فيه ولا يمكن الاحتراز عنه ، واكتفى فى انعقاد البيع بالتعاطى أى باعطاء المبيع للمشترى واعطاء الثمن للبائع عن غير توقف على صيغة لفظية بالايجاب والقبول ، واعتبر عرف المتعاملين ما جرى عليه تعاملهم مالم يهدم حكما شرعيا أو يعارض نصا ، وأباح بعض أنواع البيوع التى جرى بها عرف الناس ودعت اليها حاجتهم كبيع السلم وبيع الاستصناع .

وتكميلا لهذه الأسس القيمة حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدق فى

---

(١) اخرجه الخمسة وبذلك ورد فى كتاب تيسير الوصول الى جامع الاصول من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم تأليف الامام المحدث عبد الرحمن بن على المعروف بابن الديبع الشيبانى — الجزء الاول كتاب البيع صفحة ٥٣ المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٦ .

(٢) جزء من الآية ٢٨٢ من سورة البقرة .

(٣) جزء من الآية ٢٨٢ من السورة المشار اليها .

(٤) جزء من الآية السابقة فى السورة المشار اليها .

(٥) جزء من الآية ٢٨٣ من سورة البقرة .

المعاملة ذلك لأن المعاملة هى عنوان الذمة الطاهرة والتمسك بالحق والبعد عن الباطل والغش والكذب ولذا قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ (التاجر الأمين الصدوق مع النبين والصديقين والشهداء والصالحين) (١) .

ونهى الله سبحانه عن اللعب والعبث فى الكيل والوزن والقياس وأى نوع من التقدير فقال سبحانه (**وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ. الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ. وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ**) (٢) ورغب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السماحة والسهولة فى البيع والشراء والاقتضاء فقال (رحم الله رجلا سمحا اذا باع واذا شرى واذا قضى واذا اقتضى) (٣) والسماحة فى البيع أن يكون البائع باش الوجه حسن المقابلة وأن لا يكثر المساومة وأن لا يغالى فى الربح وأن لا يروج سلعته باليمين الكاذبة والمروجات الباطلة .

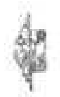
والسماحة فى الشراء أن لا يسئم المشترى البائع بكثرة الأخذ والرد ويستغرق جزءا كبيرا من وقته فيما لا فائدة فيه من تدقيق ممل .

والسماحة فى اقتضاء الحق أن يطالب الدائن مدينه فى هوادة ورفق وأن لا يشهر به ، بمطالبته أمام الناس وعلى مسمع منهم ، والا يلح عليه فى الطلب فى وقت هو يعلم أنه فيه شديد الاعسار ولا قدرة له على الأداء لأن هذا اعنات وارهاق وليس اقتضاء للدين وأن لا يجعل أول وسيلة له الخصومة أمام القضاء بل يسلك أولا سبيل الود والمعروف .

والسماحة فى قضاء الحق أو الدين أن يؤدى ما عليه فى وقت استحقاقه ، ويؤديه كاملا غير منقوص ولا يحوج صاحب الحق الى احتمال عناء أو مقاضاة .

وهذه المعاملة الحسنة تيسر للناس قضاء مصالحهم وتبادل حاجاتهم من غير خصومات ولا منازعات وتزيد مودتهم واخلاصهم فى تعاونهم ، ومن صدق الناس صدقوه ، ومن غشهم غشوه وكما يدين المرء يدان وبالكيل الذى يكيل به يكال له .

كان الامام أبو حنيفة تاجرا بالكوفة يتجر فى البز ـ أى فى ثياب الحرير ، وقد ذهب مرة الى المسجد وترك عامله فى محل تجارته فلما عاد من المسجد أخبره عامله أنه باع الثوب الفلانى فقال له أبو حنيفة (وهل أعلمت المشترى بالعيب الذى فى هذا الثوب) قال العامل : لا فظهرت علامة الاستياء على وجه أبى حنيفة فقال له العامل (أنا أستطيع أن أدرك المشترى وأجىء به) فقال أبو حنيفة (أدركه) فلما عاد المشترى ومعه الثوب أخذه منه أبو حنيفة وبسطه وأطلعه على العيب الذى فيه وقال له « أنت الآن بالخيار » فقال المشترى لأبى حنيفة « أما وقد صدقتنى فأنا أصدقك



---

(١) أخرجه الترمذى بذلك ورد فى كتاب تيسير الوصول السابق الالماع اليه كتاب البيع ص ٥٣ المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٦ هـ .

(٢) سورة المطففين ١ ، ٢ ، ٣ .

(٣) أخرجه البخارى والترمذى وبذلك ورد فى كتاب تيسير الوصول السابق الاشارة اليه .

ان الدراهم التى أمامك فيها عشرة دراهم زائفة فردها الى لأعطيك غيرها » (١) .

أما عن كتاباته الرائعة فما كتبه عن علم أصول الفقه قوله « علم أصول الفقه هو مجموعة القواعد والبحوث اللغوية والتشريعية التى يتوصل بها الى استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية ، وذلك أن أساس التشريع الاسلامى والمصدر الأول يرجع اليه فى معرفة الحكم الشرعى لأى عمل من أعمال المكلفين هو القرآن الكريم والسنة النبوية التى فسرت مجله وقيدت مطلقه وخصصت عامه وكانت تبيانا له وتماما .

ونصوص القرآن والسنة باللغة العربية لأن الله سبحانه ما أرسل رسولا الا بلسان قومه ليبين لهم .

واستنباط الأحكام الشرعية من هذه النصوص يتوقف على أمرين :

أولهما : العلم بأساليب اللغة العربية وطرق دلالة عباراتها وألفاظها حتى تفهم معانى النصوص كما تقتضيه اللغة التى وردت بها .

وثانيهما : العلم بمقاصد الشارع من تشريعه والمبادىء التى وضعها أسسا له حتى يكون فهم النص الشرعى على ضوء مقاصد الشارع ومبادئه ويكون العلم بهذه المقاصد والمبادىء سبيلا الى استنباط الحكم فيما لا نص فيه.

تحقيقا للأمر الأول استمد الأئمة المجتهدون من استقراء الأساليب العربية ومما قرره أئمة هذه اللغة قواعد يستعان بها على استفادة المعانى من النصوص وفهم ما تدل عليه بأى طريق من طرق الدلالة بحيث اذا طبقت هذه القواعد يكون فهم النص القانونى من القرآن أو السنة فهما صحيحا مطابقا ما تقتضيه أساليب اللغة وموافقا ما يفهمه العربى الذى ورد النص بلغته وهذه القواعد اللغوية الأصولية هى الشطر الأول من علم أصول الفقه .

وتحقيقا للأمر الثانى استمدوا من استقراء المبادىء التى بنى عليها الشارع تشريعه ، والعلل التى علل بها أحكامه قواعد يستعان بها على فهم النصوص حسبما أراد الشارع بها بحيث اذا طبقت هذه القواعد يكون فهم النص محققا مقصد الشارع منه ومتفقا والمبادىء التى بنى عليها التشريع لأن الركون الى عبارات النصوص القانونية وحدها وعدم مراعاة مقاصد الشارع وأسرار التشريع ومبادئه قد يحيد بطالب الحكم عن الصواب ، وهذه القواعد التشريعية الأصولية هى الشطر الثانى من علم أصول الفقه ، وهى كما يهتدى بها فى فهم نصوص القرآن والسنة يتوصل بها الى استنباط الحكم فى أية واقعة لم يرد بحكمها نص فى القرآن أو السنة .

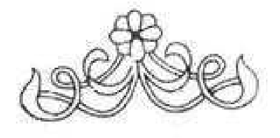
وعن نشأة وتطور علم أصول الفقه : يقول المرحوم الشيخ عبد الوهاب خلاف هذا العلم من الفنون المستحدثة فى القرن الثانى الهجرى،

البقية ص١١٩

(١) كتاب الاسلام والمعاملات مجموعة أحاديث الاستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف



الله والنفس



صدى الهجرة　　　　قصة الهجرة

الله والنفس

صلوات الليل اقمناها دعوات الصبح تلوناها
ودعونا مليون دعاء لم يبرح حلقاً وشفاها
مانفعُ صلاة لقلوب لم تعرف يوما بلواها
لم تعرف سر شقاء - النفس - وسر تعقد دنياها

***

وتريق العمر بلا امل او تلك حياة تحياها
يغريها وهم تصورها ويضللها عن مسراها
تعشو للنور مكابرة وتفر لاكداس دجاها

***

تنسى غافلة خالقها من ابدعها من سواها
من هذّب كل مشاعرها من الهمها كل تقاها
من اغدق نعما لا تحصى ويضاعفها من يرعاها
وادار الكون لخدمتها ارضا وسماء ومياها
من ارسل بالحق نبياً هو خير الخلق واصفاها
كي يصل النفس بخالقها ويخط لها درب هداها
ما نَفْعُ صلاة لقلوب قد شغلت عنها بهواها

للأستاذ: رشاد محمد يوسف

مانفع صلاة لنفوس ولغير الله نواياها
نسيت أنساها أنفسها وأضل على الأرض خطاها
ثملت بالإثم فأسكرها فتمشت خلف خَطَاياها
وحمية معتصم هدأت وتلاشى وَقْدُ شظاياها

***

الله الله لحيرتنا لضلال عقولٍ وَعَماها
الله لجيلٍ مضطربٍ لصلاح نفوسٍ ورضاها
تلقى من فيض محبته نوراً لجبين... محياها
تلقى من عزة طاعته ما يرفع أبدا ذكراها
تلقى من نور هدايته حلاً لجميع قضاياها

***

ما غير الله وان ملكوا أطراف الأرض وأدناها
ما غير الله وان صعدوا أطباق نجوم وسماها
الله الموعد واللقيا وأُخوة روح وعراها
ومشاعر وجدانٍ حيٍ وضميرٍ يرتقب الله
الله الجنةُ والمأوى وشفاء النفس ونجواها

***

صلوات الليل إذ صلحت سيعز بها من صلاَّها
دعوات الصبح إذاتجهت لله رأت كل مناها

قصة الهجرة

للشاعر عبد العليم القبانى

خواطر من وحى السماء ترود
تفيض علينا من سنا وتجود

معطرة الأنسام نشوانة الصدى
لها الكون سمع والزمان شهيد

تجلت علينا بعد عشر وأربع
مئينا توالت همسهن رعود

فعدنا إلى أرجاء مكة تلتقى
بنا نذر من أهلها ووعيد

وقد جابه الباغين فيها « محمد »
بعزم كحد السيف ليس يحيد

ثلاثة عشر كالحات سوافع
تكاد لها صم الجبال تميد

يمر قذى فى عين كل مكابر
ويبدىء فيها بالهدى ويعيد



صَدَى الهجْرة

محمد عبد الرحمن صان الدين

شادٍ على غصن المحرم قد شدا ... فى أيكة الدهر الطروب وغردا
كم هز أعطاف الوجود نشيده ... طربا وهدهد حِسَّه رجع الصدى
ماملَّت الأحقاب من ترجيعه ... ابدا ولا أودى به طول المدى
كم هجرة لمهاجرٍ فى الارض لم ... تَأبَهْ لها الأيام قد ذهبت سدى
والهجرة الغراء أَتْهَمَ ذِكْرُها ... كالعطر بين العالمين وأنجدا
ماهجرة تبغى المتاع كهجرة ... فى الله غيرت المسار الانكدا
اعظم بها من هجرة قد أطلقت ... فى الأرض نورا كان قبل مقيدا
فسرى حثيثا فى شعاب الدهر كى ... يهب الحياة نضارة وتوردا

★★ ... ★★

ياهجرة المختار إنك مرفا ... والهول أرغى فى الحياة وأزبدا
ومنارة اضواؤها منشورة ... ظلت لطلاب الحقيقة مرشدا
ذكراك للإنسان أورف واحة ... والعيش من لفح الهجير توقدا
لى كل عام فى رياضك نزهة ... أجد السكينة فى رباها والندى
ويرق وجدانى ويشرق خاطري ... فارى بعين الروح فيكِ محمدا
فى وحشة البيداء يسرى حاملا ... فى قلبه للناس مصباح الهدى
والشر يرصده بأعين حاقد ... ويبث فى كل المسالك مَرْصَدا
ليظل باب الرحمة المهداة من ... رب الوجود إلى الخلائق موصدا
لكن محال ان ينال الشر ... موصولا بأسباب السماء مؤيدا
فمضى يشيِّد أمة وسطا ... تقيم العدل فى الدنيا وتبنى المسجدا

★★ ... ★★

ياحادثا فى الدهر رَقَّ معينه ... مازلت للقيم الرفيعة موردا
تَرِدُ المشاعر والعقول حياضه ... ظمأى وتصدر بعد ما تشفى الصدى
إن تنفد الغدران من اغداقها ... فمعينُك الثَّرُّ الذى لن ينفدا
كم ازْفَد البحر الخِضَم وكم سقى ... عبر الدهور ولا يزال كما ابتدا
ما كان من مدد السماء فإنه ... يبقى على مر الزمان مخلدا

العلوم الكونية

طبيعة الغازات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ .. [البقرة آية ١٦٤] ..

مع خلق الله سبحانه وتعالى نتدبر آياته جلت قدرته وتعالت عظمته بروية تنفيذاً لما أُمرنا به .. وسعياً للوصول إلى غاية الايمان وكمال المعرفة بخالق هذا الكون العظيم كيف دبر ونفذ بجلال واقتدار لا نظير له .. مع خلقه ـ تعالى ـ نتدارس معاً مخلوقاً ليس بالمألوف لعقولنا .. بل قد لا يكون ملموساً لأبصارنا ولكنه ـ والله ـ فيه نفس الدقة ونفس الكمال ونفس القوانين المنظمة للحركة .. فيه كل تفاصيل خلق الله وصفاته عَزَّ رَبُّنا وجل ـ سبحانه ـ

مع الغازات ذلك المخلوق الممتد غير المرئى بالعيون .. ولكن يمكن تدبر تفاصيل كنهه بشىء من الدراسة التفصيلية لنقف على صفاته وخواصه ونظريات حركته .. والقوانين التى تحكم جزئياته .. فلا يسعنا إلا خشوعاً للرحمن ..

أحوال المادة

خلق الله سبحانه وتعالى المواد كلها وأقر لها أحوالا ثلاثة يمكنها أن تكون عليها كما أعطاها المقدرة على التحول من حال إلى آخر بزيادة أو نقصان درجة حرارتها !! وهذه الأحوال هى :

أ ـ **الحالة الغازية** : حيث يتميز الغاز بعدم احتفاظه بشكل ثابت وإنما ينتشر ليملأ أى حجم يسمح له بالبقاء فيه .. كما أن تأثره بتغيرات الضغط ودرجة الحرارة كبير ..

ب ـ **الحالة السائلة** : وحال السائل

للدكتور محمد ابراهيم حسين

أيضاً ليس له شكل ثابت ويتخذ شكل الوعاء الموجود فيه إلا أن الكمية من السائل تحتفظ بحجم له سطح محدد ولا يتأثر هذا الحجم كثيراً بتغير الضغط ودرجة الحرارة ..

جـ - **الحالة الصلبة** : وتتميز بالمحافظة على الشكل المحدد لها ويمكن وصفه بأبعاد ثابتة .. وتأثره ضئيل جداً بتغير الضغط ودرجة الحرارة ..

هذا وكما ذكرنا سابقاً يمكن أن تتحول المادة من حالة إلى أخرى فتنصهر المادة الصلبة بتجاوز درجة حرارتها لدرجة الانصهار وتتحول إلى سائلة .. وهذه بزيادة درجة حرارتها إلى درجة الغليان فتتحول إلى بخار والبخار يتحول إلى سائل بالتبريد حتى درجة التكثف ويتحول السائل إلى جسم صلب بالتبريد إلى درجة التجمد !! سبحان الله الذى أعطى كل هذا بهذه البساطة والحكمة ..

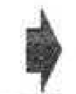
وننتقل الآن بشيء من التفصيل القليل عن الغازات .. المؤثر عليها .. قوانين سلوكياتها .. سعتها الحرارية .. انتشارها .. نظريتها فى الحركة .. حيودها عن المثالية النظرية .. لعل العقل يتذكر والقلب يخشع والنفس تطمئن لذكر الله ..

العوامل الخارجية التى تؤثر على كيان الغازات

يتوقف كيان كمية من الغاز على الضغط والحجم ودرجة الحرارة .. وهذا التأثر يخضع لقوانين محددة تمت دراستها وتحديدها عملياً ونظرياً ويصبح لها صيغ علمية ثابتة كما سنرى فيما يلى :

فمثلاً إذا كان لدينا كمية محددة من الغاز ذات درجة حرارة ثابتة فإن هذه الكمية تتأثر مع الضغط الواقع عليها تأثراً عكسياً بمعنى أنه بزيادة الضغط الواقع على هذه الكمية الثابتة من الغاز .. وعند ثبوت درجة حرارتها فإن حجم هذه الكمية يقل .. وقد ثبت علمياً أن الانخفاض فى الحجم عند زيادة الضغط يسلك مسلكاً معيناً يلاحظ فيه شدة تأثر الحجم عند الضغوط المرتفعة وقلة تأثره عند الضغوط المنخفضة ..

أما عند ثبوت الضغط فإن الحجم الثابت لكمية غاز محددة يتناسب مع زيادة درجة الحرارة .. وهذا يعنى أنه عند زيادة حرارة كمية محددة من الغاز فإن حجمها يزيد وذلك أيضاً طبقاً لعلاقة رياضية محددة وثابتة علمياً .



طبيعة الغازات

وقد أمكن ـ علمياً ـ الوصول إلى علاقة عامة تسمى القانون العام للغازات يمكن منه حساب حجم كمية غاز عند تغير كل من الضغط ودرجة الحرارة فى وقت واحد ..

السعة الحرارية للغازات

وهى تعبير عن كمية الحرارة اللازمة لرفع وحدة وزن واحدة من الغاز بمقدار درجة حرارة واحدة ..

ولما كان تمدد الغاز ضد ضغط خارجى يلزمه شغل فتكون السعة الحرارية عند ثبوت الضغط اكبر من السعة الحرارية للغاز عند ثبوت الحجم بمقدار الشغل المبذول ضد الضغط الخارجى أثناء التمدد ..

الضغط الجزئى للغاز

عند دراسة ضغط وحجم مخاليط من الغازات عند ثبوت درجة الحرارة أمكن التوصل إلى انه إذا خلط غازان أو أكثر عند درجة حرارة معينة دون حدوث تفاعل كيميائى بينهما فإن الضغط الكلى للمخلوط يكون مساوياً لمجموع الضغوط الجزئية لهذه المكونات .. ويعرف الضغط الجزئى لأحد مكونات المخلوط بالضغط الذى يحدثه هذا المكون لو ترك بمفرده ليحتل حجم المخلوط بالكامل عند نفس درجة الحرارة ..

الرطوبة النسبية للهواء

إذا تجمع غاز معين فوق الماء فإنه يختلط ببخار الماء المتصاعد من سطح الماء فى صورة غازية ويكون الضغط الكلى لمخلوط الغازات فوق سطح الماء مساوياً للضغط الجزئى للغاز الجاف مضافاً إليه ضغط بخار الماء ..

والهواء الجوى يعتبر مزيجا من غازات مختلفة مع بخار الماء حسب ما ثبت علمياً فى دراسة تكوين الهواء الجوى كغاز **ويطلق على بخار الماء الموجود فى الهواء الجوى لفظ الرطوبة** ولما كان عند كل درجة حرارة ضغط ثابت لبخار الماء المشبع أو بمعنى آخر حد اقصى لقيمة ضغط بخار الماء الذى يمكنه أن يختلط به الهواء عند هذه الدرجة من الحرارة اطلق على الهواء الذى يحتوى على رطوبة لها ضغط يعادل ضغط التشبع بأنه كامل الرطوبة أو أن رطوبته النسبية ١٠٠٪ ويطلق على النسبة المئوية لضغط بخار الماء فى الهواء عند درجة معينة إلى ضغط بخار الماء المشبع عند هذه الدرجة من الحرارة بالرطوبة النسبية ..

انتشار الغازات

الانتشار هو خاصية توسع المادة نتيجة لحركة جزيئاتها لتحتل اكبر حجم ممكن ونتيجة لهذه الخاصية تختلط الغازات مع بعضها وتنتشر المواد فى المذيبات لتكوين محاليلها .. وبدراسة انتشار الغازات وجد أن معدل انتشارها تحت ظروف متطابقة من الضغط والحرارة يتناسب عكسياً مع الجذر التربيعى لكثافتها .. فمثلاً معدل انتشار

الأيدروچين الغاز أربعة أمثال معدل انتشار الأكسچين حيث أن كثافة الإيدروچين أقل من كثافة الأكسچين ..

النظرية الحركية للغازات

وهى النظرية التى تفسر أسباب انصياع الغازات لما سبق شرحه من علاقات حيث تقوم النظرية الحركية للغازات على فروض معينة كالآتى :

١ - يتكون الغاز من جزيئات فى حركة مستمرة على شكل خطوط مستقيمة ويصطدم بعضها مع البعض أو بجدران الوعاء الحاوى لها ويعتبر الضغط الذى يحدثه الغاز على الوعاء نتيجة لهذه الاصطدامات ..

٢ - جزيئات الغاز فى حالة مرونة متناهية حتى انها لا تفقد شيئاً من طاقة حركتها أثناء التصادم ..

٣ - قوى التجاذب بين جزيئات الغاز وبعضها أو بينها وبين الوعاء الموجودة فيه يمكن تجاهلها لصغر قيمتها ..

٤ - الحجم الذاتى لجزيئات الغاز متجاهل بالنسبة لإجمالى الحجم الذى يشغله الغاز بالانتشار فمثلاً الحجم الذى يشغله جرام واحد من الماء عند ١٠٠ درجة مئوية وهو فى حالة سائلة هو السنتيمتر المكعب اما الحجم الذى تشغله نفس كمية الماء .. ولكن فى الحالة البخارية عند نفس درجة الحرارة هو ١٧٠٠ سنتيمتر مكعب ..

٥ - متوسط الطاقة الحركية لجزيئات الغاز يتناسب طردياً مع درجة حرارتها ..

وببعض العلاقات والاستنتاجات الرياضية يمكن التوصل إلى علاقة عامة تحكم حركة الغازات وتسمى بالمعادلة الحركية للغازات .. وهى تشكل علاقة بين ضغط الغاز وحجمه وطاقة حركة جزيئاته .. ومن هذه المعادلة يمكن اشتقاق الكثير من القوانين التى تفسر وتعبر عن الخواص الدقيقة للغازات ..

حيود الغازات عن المثالية

ولا يقف الأمر عند هذا الحد فإنه فى حالة تعريض الغازات إلى ضغوط مرتفعة وبخاصة فى درجات الحرارة المنخفضة ثبت عدم خضوع الغازات للمعادلة العامة للغازات المثالية التى سبق عرضها باختصار .. وذلك لأن بعض فروض النظرية الحركية للغازات لا ينطبق فى حال ارتفاع الضغط ولذلك فإنه للحصول على معادلة عامة للغازات وجب إدخال تصحيحين على المعادلة العامة للغازات المثالية تشمل قوى التجاذب بين جزيئات الغاز والحجم الذاتى لجزيئات الغاز ..

وبعد هذه الدراسة المختصرة جداً لهذا المثال من مخلوقات الله التى لا نراها وأحياناً لا نستشعر وجودها على الاطلاق كلها تخضع لقوانين محددة تحكم تحركاتها ... دقة متناهية .. وكمال لا حدود له فى الخلق .. وتفاصيل دقيقة للمخلوق - وسبحان الله وتعالى عما يشركون ..

هــذه وهــذه الأعشاب النباتات

٤

الحبة السوداء :

وهى المسماة « بالشونيز » فى اللغة الفارسية وتسمى ايضا (الكمون الأسود) ويسميها ارباب العطارة والأفاويف (الكمون الهندى) وقيل انها (الخردل) وروى أنه (ثمرة البطم) أو (الحبة الخضراء) وهذا وهم والأصح انها (الشونيز) وما عداها باطل .

والحبة السوداء كثيرة المنافع ، عظيمة الفوائد ، تنفع كثيرا من الأمراض لاسيما التهابات القولون ، والالتهابات الصدرية ، ومعجون الحبة السوداء بالعسل يفتت حصيات الكلى ، ويدفع ما يوجد منها بالمثانة ، وتستعمل أيضا كمدر للبول واللبن والحيض .

قد لوحظ أن للحبة السوداء مفعولا قويا طاردا للديدان الشريطية ، ولا أعتقد أنه يمكن الاعتماد عليها كعلاج جذرى اذ لابد من الرجوع الى الطب فى ذلك .

وقد ثبت فى البخارى (١٠/١٢١) ومسلم (٥/٢٢) من حديث أبى سلمة ، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم بهذه الحبة السوداء فان فيها شفاء من كل داء الا السام » والسام هو الموت .

وابن سينا فيلسوف الأطباء صاحب كتاب (القانون) وغيره من الأطباء قالوا بحيوية دور الحبة السوداء فى علاج كثير من الأمراض بدخولها كعنصر حيوى فى كثير من تراكيب الأدوية المعالجة لها .

وقيل أنها تساعد فى علاج الجرب ، لكنى ــ أى الكاتب ــ أستبعد ذلك ولا أعتقده لكنها قد تنفع من البرص فهذا أقرب للتصديق والاقتناع .

وقد ثبت أنها تشفى الزكام اذا دقت فى خرقه واشتمها مريض الزكام فانه يشفى .

وقال المجربون : انها تمحو الثآليل والشامة التى تظهر فى البدن ، ودهانها ينفع فى قرص الهوام والحشرات وضمادها يذهب الصداع و (الشقيقة) .

ومطبوخ الحبة السوداء يزيل أوجاع الأسنان الحادة المبرحة اذا استعملت مضمضة .

للدكتور السيد الجميلي

ومسحوق الحبة السوداء مع الخل مجرب فى علاج البرص والبهاق اذا طلى به ، وغير ذلك من المنافع والفوائد .

الريحـان : ــ

هو كل نبت أو عشب طيب الرائحة ، وفى كل بلد يختار له اسم ، فالعرب يسمونه الريحان ، وأهل المغرب يسمونه (الآس) والشاميون وأهل العراق يطلقون عليه (الحبق) .

والآس قاطع للاسهال ، مفرح للقلب ، مؤنس للنفس برائحته الطيبة الزكية ، ومقطوع ورقه اذا وضع على الرأس يذهب الصداع ويقطع الرعاف ، وقيل اذا ذر مسحوقه على القروح عجل بضمادها ، لاسيما قروح اليدين والساقين .

وهو برائحته الطيبة عندما يدلك به الجسم يطيب رائحته ويذهب (نتن) الابط و ــ (دفر) العانة والكرعين ، كما يجلو قشور الرأس ، ويقوى الشعر المتساقط ويعمق سواده ، كما يسكن التقلصات .

قال تعالى : ــ

« **وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانِ** » الرحمن (١٢/٥٥) والعصف هو ورق الزرع .

وقال ــ صلى الله عليه وسلم : ــ « من عرض عليه ريحان فلا يرده ، فانه خفيف المحمل طيب الرائحة » . أخرجه مسلم فى صحيحه .

قال تعالى : « **فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ** » الواقعة (٥٦ / ٨٨ ، ٨٩)

قال القرطبى : (فروح) أى فى القبر مقصود به طيب نسيم راجع تفسيره (٢٣٢/١٧) نقلا عن ابن قتيبة ، وورد نحوه عن أبى عمرو فى لسان العرب (٢٨٦/٣) .

الرمـــان : ــ

قال تعالى : ــ « **فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ** » الرحمن (٦٨/٥٥) ومعنى الآية : أى فى الجنتين من أنواع الفواكه كلها وأنواع النخل والرمان ، وقصد بالذات الفاكهة والنخل والرمان لأنها أغلب مأكولات العرب .

قال الامام الألوسى : فى روح المعانى (١٢٢/٢٧) ثم ان نخل الجنة ورمانها فوق (وراء) ما نعرفه » اهـ .

وقد وردت أحاديث لا تصح منسوبة للنبى ــ صلى الله عليه وسلم ولم نر داعيا حتى لمجرد سردها لأنها ظاهرة البطلان .

وحلو الرمان لذيذ الطعم جيد للمعدة والأمعاء يجلو الصدر ، وينفث المصدورين ، ملين للبطن ، يغذو البدن ويقويه ، وينفع المحمومين والناقهين كما يدفع فضول الطعام ويزيلها للخارج .

البقـيـة ص ٩٦

ذكرى هجرة محمد

صلى الله عليه وسلم

كانت الهجرة خيرا وبركة ، فما أن أذن بها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى انطلق المؤمنون أرسالا الى الحبشة ثم الى المدينة · كانوا يتقدمون الى النصر الذى وعد الله ·· عز وجل ·

تركوا مكة وزعماء الكفر وصناديد الشرك على جمر من غضب لم ينفعهم شيئا فما أن وقعت معركة بدر حتى طاحت هذه الرءوس وانتهت زعامة الشرك الى الأبد ·

وقليل من الأناة فى دراسة الزعامة بمكة بعد غزوة بدر تعطينا أكثر من دليل على تهاوى الشرك وانتهائه من الجزيرة الى الأبد·

تلك هى الهجرة وما أدت اليه ، فيالها من هجرة مباركة لرسول مبارك اصطفاه الله ــ سبحانه ، وسدد خطاه صلى الله عليه وسلم دائما أبدا على خير مايحب ربنا ويرضى ·

قال الأستاذ رحمه الله :

ذكرى هجرة محمد صلى الله عليه وسلم

قال تعالى : « إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ » ·

وقال تعالى : « وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ » ·

للحوادث الجسام رنين قوى على الأسماع حين ورودها عليها ، اذ تحدث برناتها القوية على السمع تكيفا للنفس ، وتأثيرا على الروح والعقل ، فتجعل السامع ينتقل بفكره من حالته العادية الى حالة السمو والارتفاع الى الدرجة التى تجعله فى مستوى من شاهد تلك الحوادث وكان منها على مرأى ومشاهدة ·

وأعظم حادث عرفه التاريخ الاسلامى ؛ حادث الهجرة التى انطلق فيها محمد ﷺ وصاحبه أبو بكر الصديق من مكة خفية ، اذ خرجا من دار أبى بكر فى الثلث الاخير من احدى ليالى الصيف قاصدين الى يثرب ، وقد كانا يعلمان حمارة القيظ ، وماتتلظى به رمال الصحراء المحرقة الفسيحة فى تلك الآونة من

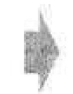
للأستاذ عبد الله مصطفى المراغى

اعداد : عبد الفتاح حسين الزيات

الزمن ، ولكنهما لشدة ايمانهما وقوة يقينهما ومنتهى تضحيتهما من أجل غايتهما ، نسيا أهوال السفر ومتاعب السير ومشاق الرمال ، نظرا لأنهما قد ارتفعت أرواحهما ، وصفت نفوسهما ورقت أفكارهما الى درجة جعلت غايتهما منحصرة فى الوصول الى سلامة الدعوة التى حملها الرسول وآزره عليها صاحبه أبو بكر الصديق .

ولم يكن التفكير فى الهجرة والباعث اليها وليد الأسابيع والأشهر ، بل هو وليد السنين والظروف القاسية ، والحوادث المتتابعة ، التى أنبتتها الأحقاد والحسد فى نفوس قريش ، وما خافوا عليه من زوال سلطانهم ، وعفاء عزهم ، وانمحاء سيطرتهم على أهل تلك الجزيرة ، وذلك لأنهم كانوا حراس الكعبة ، وبيدهم مقاليد البيت الذى تحج اليه العرب جميعها ، ويفدون اليه من كل صوب ، فاذا تفكير محمد فى الهجرة وبحثه عن مكان يبث فيه الدعوة قد جال بنفسه عقيب البعثة ، عندما نزل عليه قوله تعالى : « وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ » ، عندما دعا أهله وعشيرته ليتخذ منهم عونا على نجاح دعوته وابلاغ رسالته ، فما كان منهم الا أن سخروا منه ، وكانوا حربا عليه وعلى ما جاء به من الدعوة الى عبادة الله وحده ، وترك السجود لأصنامهم التى ورثوا عبادتها عن آبائهم ، وكانت ينبوع المجد والفخار عندهم .

ولقد أخذ التفكير فى الهجرة يزداد فى نفس محمد يوما بعد يوم ، فكلما وجد من أهل مكة اعراضا عن دعوته ، ومعاكسة لها ، ازداد تفكيره واشتد بحثه فى ايجاد بقعة صالحة يغرس فيها شجرة الايمان ، ويثبت فيها أصلها ويعلو فرعها ، بعد أن اشتد يأسه من اسلام أهل مكة ومن جاورها ، وبعد أن ردته ثقيف حين ذهب الى الطائف يلتمس من أهلها الظهير والمعين ، فما كان منها الا أن أغرت به سفهاءها وصبيانها للسخرية منه ، والاستهزاء بما دعاهم اليه ، حتى لقد بلغ به اليأس والقنوط ، فجلس بعد جهد سفهاء قريش له عند حائط لعتبة وشيبة ابنى ربيعة يحتمى به من عبث السفهاء وسخرية الأغبياء من أهل ثقيف ، ولقد جلس الى ظل شجرة من عنب وابنا ربيعة ينظران اليه والى ماهو فيه من شدة الكرب وظلمة الدنيا فى وجهه وضيقها عليه على ما هى به من رحابة وسعة ، حتى لقد دفعته هذه الحادثة اذ يئس من النصير والمعين الى أن يرفع أكف الضراعة الى الله تعالى ، ويفوه بقوله عليه السلام : اللهم اليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربى ، الى من تكلنى الى بعيد يتجهمنى ، أو الى عدو ملكته أمرى ، ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى ، ولكن عافيتك أوسع لى ! أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بى غضبك ، أو تحل



على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولاحول ولا قوة الا بك » !

ولم يكن نصيب محمد من ثقيف بأكثر مما كان نصيبه من كندة وكلب وبنى عامر وبنى حنيفة وغيرها من قبائل العرب التى اشتد أذاها وفحش قولها له ، فقد قل نصيره ، واشتد أعداؤه ، حتى بلغ التفكير بهم الى العمل على اماتته مع من تابعه جوعا ، وكتبت بذلك صحيفة علقت فى جوف الكعبة تتضمن قطع العلاقات بين محمد وأتباعه ، وبين سائر قريش

ولقد كانت آخر تلك المكائد ونهاية السهام التى توجهها قريش الى محمد ، هو ذلك الاجتماع وتلك المؤامرة التى حدثت بدار الندوة اذ تشاوروا فى أمر محمد وكيفية الخلاص منه والقضاء عليه ، واستراحتهم من المخاوف التى ينتظرونها ، فأشار بعضهم بحبسه وتكبيله بالسلاسل والاغلال حتى ينحصر شره وتخمد نار دعوته وينساه أصحابه ، فعورض ذلك الرأى بأن أصحاب محمد لايتركونه دون أن يخوضوا غمار حرب تصطلى نارها جزيرة العرب وتدور الدائرة عليها •

وقال البعض الآخر : أخرجوه من مكة حتى تنقطع دعوته عن أهلها ويزول اتصاله بأتباعه ، فعورض ذلك الرأى أشد المعارضة لما كان يتوقعه المعارضون الذين لم ينسوا بيعتى العقبة الصغرى والكبرى اللتين أبرمهما محمد مع أهل يثرب ، وكان المعارضون يعرفون شدة الوفاء والمناصرة من أهل يثرب الذين قالوا عند العقبة الكبرى ، وهم زعماء الأوس والخزرج ، قولة صدق يفدونها بالمال والولد والنفس والنفيس : « بايعنا على السمع والطاعة فى عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا ، وأن نقول الحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم » • فقد جال بخاطر المعارضين وطرقت آذانهم تلك المبايعة ، وما قطعته الأوس والخزرج على نفسها من مناصرة محمد ، والوقوف بجانبه ، والدفاع عن الحق الذى جاء به • كل هذه العوامل لم تغب عن أذهان هؤلاء المعارضين ، فاندفعوا لمعارضة هذا الرأى وقالوا : لاتخرجوه لأنه سيرجع عليكم مع أتباعه من أهل يثرب ، ويوقعون بكم شر البلاء وأعظمه •

وحينما عورض هذان الرأيان انبرى أبو جهل فى صلف وكبر وزهو ، لما عرف به بين أهله من قوة الشكيمة وشدة المعارضة والخصومة لمحمد وأتباعه ، وقال : الرأى أن نجمع من كل قبيلة رجلا جليدا فيضربوه بأسيافهم ضربة واحدة ، فاذا قتلوه تفرق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم على محاربة قريش كلها ، فيرضون بأخذ الدية • فانصاع الكل الى هذا الرأى ، وأخذوا يحبذونه •

وحينذاك صح العزم من الرسول صلى الله عليه وسلم على الهجرة ، حماية للدعوة ، وأمر على بن أبى طالب أن يبيت فى مضجعه ، وأن يتسجى ببردته ، فبادر على الى طاعته ، مع اعتقاده أن القوم يتربصون الفرصة لاقتحام الدار لقتل محمد ، ولكن عليا لم يعبأ بهذه المخاطر ، بل عزم على التضحية بنفسه افتداء لمحمد ودعوته ، وصحب النبى

أبا بكر فى السير حتى دخلا غار ثـور ، ولـم يفتهما أن قريشا لابد أن تطلبهما فى غـداة اليوم الذى تركا فيه مكة ، وقـد تحقق ذلك فان قرشا ذهبت تطلبهما ، وحلقت حـول الغار الذى استترا فيه ، وفى تلك اللحظة من الزمن اشتد خوف أبى بكر على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفى هذا نزل قوله تعالى :

« إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ » .

ولما اطمأنت نفسهما من خـوف قريش ، واصلا السير حتى وصلا الى المدينة التى تهيأ للقائه أهلها ، واستعدوا جميعا من يهـود ومشركين ومن آمن به من الأوس والخزرج ممن بايعوا بيعة العقبة الكبرى والصغرى ومن تابعه على الايمان .

وهنالك اشتد الزحام ، وخرج الكل يجتلى طلعة هذا القادم العظيم . وكان أول مافكـر فيه الرسول حينما دخل يثرب ، أن شرع فى بناء المسجد ، ومسكنه الذى يأوى اليـه . وطبيعى من محمد صلى الله عليه وسلم أن يجعل أول تفكيره بناء المسجد الذى يـؤدى فيه الركن الأعظم من أركان دعوته ، والعماد القوى ، ألا وهو ركن الصلاة فانها عمـاد الدين وقوامه .

ثم فكر بعد ذلك فى جمع كلمة أهل يثـرب ، وازالة ما بينهم من اختلافات من أجلها اشتدت الحروب وطال أمدها ، فهو واجد أمامه الأوس والخزرج اللذين نشأت بينهما الحروب التى اختتمت ببعاث ، أكبر حرب عرفهـا الأوس والخزرج ، ووجد أمامه اليهود تحتل بقـاعا كثيرة فى المدينة وحولها ، وتحتكر التجـارة ، وغير هؤلاء وهم المهاجرون الذين تبعـوه فى الهجرة وتركوا أموالهم وأولادهم بمكـة . اذن لابد لمحمد من أن يعمل على جمع الكلمـة ومحو أسباب الخلاف .

ولقد وفق الى طريق يحقق له بعض مـا أراد ، وذلك هو طريق الاخاء بين المهاجرين والأنصار ، فقد آخى بين نفسه وبين على بن أبى طالب ، وبين عمه حمزة ومولاه زيد ، وبين أبى بكر وخارجة بن زيد ، وبين عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك الخزرجى ، وتآخى كـذلك كل واحد من المهاجرين مع واحد من الانصار اخاء رتب عليه الرسول أحكام اخاء الـدم والنسب . وبهذه الوسيلة استطاع محمد أن يوحد بين المسـلمين القاطنين بيثرب ، واستطاع أن يقضى على الدسائس والوقيعة بين الأنصار والمهاجرين ، واستطاع أن يجعل للحرية فى العقيدة منزلة محترمة لايقدر أحد على مهاجمتها ، ولايعذب صـاحب الـرأى ولا صاحب العقيدة من أجل المخالفة وتـرك ما ورثه من التقاليد وعبادة الأوثان .

وفكر بعد ذلك أن يوثق الرابطة بيـن المسلمين واليهود حتى يأمن من شرهم على الدعوة ، فأبرم بينه وبينهم معاهدات حسن الجوار وعدم العدوان وتمكين الحرية ، وبذلك استطاع النبى أن يتفرغ لبث تعاليم الاسلام ، ويوثق الروابط بين المسلمين ، ويزيد المودة بينهم والاخاء ، بتعاليمه ومثله العليا التى كان يضربها لهم بأفعاله وأقواله .

وفكر أيضا فى تمكين دعوته وبثها فى جزيرة العرب وما جاورها ، بل فكر فوق ذلك فى محو الشرك والوثنية والعمل على توحيد الله والاخلاص له ، وحدد عبادته بما فى قوله تعالى : « **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** » .

ولم يترك الرسول أمر مكة وكفار قريش ، وكذلك لم يترك أهل مكة محمدا دون أن يعملوا على الكيد له ، وبذلك وقعت الغزوات بينه وبينهم من بدر ، وأحد ، وغيرهما ، وحصل بينه وبينهم صلح الحديبية الذى نقضت قريش ما جاء فيه وما قطعته على نفسها من عهود . ولقد كانت نتيجة النقض أن لايجد محمد بدا من القضاء على قريش ، وأن يضع الحد الفاصل ويقول الكلمة النهائية بينه وبينهم ، وذلك بأن يدخل مكة ويقرر مصير أهلها حتى يأمن شرهم وقد أعد جيشا عرمرما بلغ عدده عشرة آلاف مقاتل ، وزحف به الى مكة قاصدا فتحها دون اراقة دم .

ولما اقترب منها خرج اليه عمه العباس بن عبد المطلب ، وسفيان بن حرب ، وبديل ، وغيرهم يستطلعون قوته ومعداته ، وينظرون الى ذلك الذى خرج من بلدهم مكرها مغلوبا على أمره بالأمس ، واذ به يعود اليوم قويا فاتحا عزيزا مكرما يحمل راية الحق والدين الذى دعاهم اليه ، فما كان منهم الا المعاندة والخصومة .

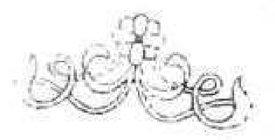
ولما استقر المقام بمحمد صلى الله عليه وسلم أخذ يستعرض صحيفة الماضى والذكريات الأليمة التى لحقته فى هذه الأمكنة من قريش ، والعذاب الذى ذاقه ولكن نفس محمد أعلى من أن ينتقم لنفسه ويثأر لها ، فقد شكر الله تعالى أن هيأ له الرجوع الى هذا البلد الأمين مكة ، أم القرى ، ومهبط وحيه ثم أخذ يطوف بالكعبة التى تشوقت نفسه اليها ، ولم ينقطع تفكيره عنها . ولما قضى طوافه وقف على باب الكعبة وتكاثر الناس حوله ، فقام فيهم خطيبا يتلو عليهم كتاب الله ، ويبين لهم حدوده وتعاليمه ، وأوامره ونواهيه ، ثم تلا عليهم قوله تعالى : « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** » . ثم سألهم بعد ذلك فقال : يامعشر قريش : ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم . قال : فاذهبوا فأنتم الطلقاء .

لقد عفا محمد صلى الله عليه وسلم عن الأعداء بعد أن ملك ناصية أمرهم ، واستولى على أرواحهم ، وأموالهم ، وما ذلك الا لأنه قد وصل الى غايته ، وأدى رسالة ربه ، فليس فى نفسه حفيظة أو غيظ ، أو حقد أو حسد ، لأن روحه العالية قد سمت فوق الحفيظة والغيظ ، والحقد والحسد .

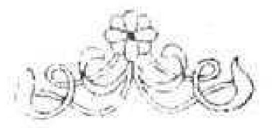
من أجل هذا كله كانت الهجرة وبواعثها من الأمور الجسيمة التى تحول الاسلام بسببها من حالة الركود والمعارضة بمكة ، الى حالة النشاط والجد والعمل بالمدينة : وهكذا كان الضرر والأذى والعنت الذى لحق النبى صلى الله عليه وسلم بمكة حتى أجلاه عنها سببا فى الخير ، ونصرة الحق ، واعلاء كلمة الله .

اللغة والأدب والنقد

بحوث من الماضي القريب



الهجرة والمهاجرون في القرآن



الفصل بين المضاف والمضاف إليه

من روائع

بحوث من الماضى القريب

حلقات الأدب فى الفسطاط

كانت (١) مدينة الفسطاط منذ القرن الثانى للهجرة مركز للتفكير والآداب ، يحج اليه كثير من أعلام المشرق • وكانت مصر قد اخذت تتبوأ مكانتها الفكرية والأدبية بين الأمم الاسلامية ، منذ استقرت شئونها السياسية فى ظل الدولة العباسية • ولم تكن مصر منذ افتتحها الاسلام اكثر من ولاية تابعة للخلافة ، ولكنها كانت بين ولايات الخلافة اشدها احتفاظا بشخصيتها والوانها القومية •

وكانت منذ البداية تأخذ بنصيبها فى بناء صرح التفكير الاسلامى • ولكنها كانت تشق فى هذا الميدان طريقها الخاص • وكانت منذ الفتح مركزا هاما للسنة والرواية يحتشد فيها جماعة كبيرة من الصحابة الذين اشتركوا فى الفتح والتابعين الذين عاصروهم (٢) • وفى القرن الأول أيضا وضعت بذور الحركة الادبية فنمت وأزهرت بسرعة ، حتى أنه يمكن القول أن مصر كانت منذ القرن الثالث قد كونت أدبها العربى الخاص ، ولم يأت القرن الرابع حتى كان هذا الادب يتميز بخواصه المصرية القوية عما عداه من تراث التفكير العربى فى المشرق والاندلس •

وكانت الفسطاط عاصمة الاسلام فى مصر منذ قيامها عقب الفتح سنة ٢١ هـ (٦٤١ م) حتى منتصف القرن الرابع • وقد قامت بجوارها مدينتا العسكر والقطائع دهرا(٣) ولكن العسكر كانت مركزا للامارة والادارة فقط، وكانت القطائع، وهى مدينة بنى طولون مدينة «بلاط»فقط ، أما الفسطاط فكانت قلب الاسلام النابض فى مصر ، ومهد التفكير والآداب فى تلك العصور • وحتى بعد أن قامت القاهرة المعزية سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) لم تفقد الفسطاط أهميتها الفكرية والأدبية • بل لبثت بعد ذلك عصورا تشتهر بحلقاتها ولياليها الأدبية وكانت هذه الحلقات والليالى الأدبية من محاسن الفسطاط،

---

(١) الرسالة ـ السنة الاولى ـ العدد الاول ص ١٥

(٢) يفرد ابن عبد الحكم فصلا طويلا لذكر الصحابة الذين دخلوا مصر وروى أهل مصر عنهم (فتوح مصر وأخبارها ص ٢٤٨ وما بعدها)

(٣) مدينة العسكر اقامها الجند العباسيون فى شمال الفسطاط سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠ م) ومدينة القطائع انشأها أحمد بن طولون بجوار الفسطاط مما يلى الشمال ايضا سنة ٢٥٦ هـ (٨٧٠ م)

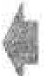
للأستاذ محمد عبد الله عنان
رحمه الله

يشيد بأهميتها وجمالها أدباء المشرق والمغرب الوافدين على مصر . وكانت فى الواقع نوعا من الأبهاء الأدبية Salans يجتمع فيها الأدباء والشعراء ، للقراءة والسمر والجدل والمساجلة ، وكانت مهاد اللقاء والتعارف بين الأدباء المحليين والنزلاء الوافدين من عواصم الاسلام الأخرى .

وقد بدأت هذه الحلقات الأدبية فى الفسطاط منذ القرن الأول . ولكنها كانت فى بدايتها دينية فقهية ، وكانت لها أهميتها فى تمحيص السنة والرواية . وكانت تجمع بين جماعة من أقطاب الفقهاء والحفاظ والمحدثين الذين يعتبرون فى الطبقة الأولى بين فقهاء الاسلام ورواة السنة، مثل يزيد بن حبيب ، والليث بن سعد ، وعبد الله بن وهب (١) ثم الشافعى وأصحابه .

ثم اتخذت هذه الحلقات طابعا أدبيا ، فكان يمزج فيها بين الكلام والأدب ، وكان معظم فقهاء هذا العصر أدباء أيضا يأخذون من الأدب بحظ وافر ، ولبعضهم فى النثر والشعر براعة خاصة . ونستطيع أن نذكر من هؤلاء الامام محمد بن إدريس الشافعى قطب الشريعة وحجة التشريع ، فقد كان أيضا أديبا مبرزا له فى الشعر والنثر محاسن وروائع ، وكذلك « آل عبد الحكم » الذين نذكرهم بعد ، وأبو بكر الحداد قاضى مصر ، والحسن بن زولاق المؤرخ، فقد كان هؤلاء جميعا من كبار الفقهاء والأدباء وكان الفقه والحديث والأدب (كل) يمتزج معا فى مجالسهم وأسمارهم . ولعل أبهى حقبة فى هذه الحلقات الشهيرة فى تاريخ الفسطاط (كانت) مستهل القرن الثالث الهجرى ففى ذلك الحين كان الامام الشافعى نزيل الفسطاط وكان مدى الاعوام التى قضاها بمصر منذ قدومه اليها فى أواخر سنة ١٩٨ هـ (٢) (٨١٣ م) حتى وفاته فى رجب سنة ٢٠٤ هـ (٨١٩ م) قطب الحركة الفكرية فيها وكعبة الصفوة من فقهائها وأدبائها يجذبهم اليه غزير علمه ورفيع أدبه ، وبارع خلاله .

وكانت حلقات الفسطاط شهيرة قبل مقدمه ولكنه أسبغ عليها بهاء وسحرا وروعة ، **وكان ابو تمام الطائى الشاعر الأكبر اذا صحت الرواية عن مقدمه الى مصر صبيا واشتغاله بسقى الماء فى المسجد الجامع يغشى هذه**



---

(١) توفى يزيد بن حبيب سنة ١٢٨ هـ والليث ابن سعد سنة ٢٧٥ هـ وعبد الله بن وهب سنة ١٩٧ هـ

(٢) هذه هى رواية الكندى (امراء مصر ص ١٥٤) . ولكن ابن خلكان يقول ان مقدم الشافعى الى مصر كان فى أوائل سنة ١٩٩ (١ ص ٥٦٦) ورواية الكندى أرجح فى نظرنا .

المجالس الأدبية فى حداثته وفيها تفتحت مواهبه الأدبية والشعرية والظاهر أنه كان طبقا لهذه الرواية يقيم فى الفسطاط فى خاتمة القرن الثانى أو فاتحة القرن الثالث أعنى فى نحو الوقت الذى كان فيه الشافعى نزيلها (١) .

وكانت أشهر هذه الحلقات أو الابهاء حلقة بنى عبد الحكم ، وهم أسرة مصرية نابهة كثيرة المال والوجاهة (٢) أنجبت عدة من كبار الفقهاء منهم عميد الأسرة عبد الله بن الحكم المصرى .

وهو من أقطاب الفقه المالكى أولاده محمد وسعد ابنا عبد الحكم وكلاهما فقيه ومحدث كبير ، وعبد الرحمن بن عبد الحكم أقدم مؤرخ لمصر الاسلامية (٣) . وقد كان بنو عبد الحكم منذ القرن الثانى أعلام الفقه والتفكير والأدب فى مدينة الفسطاط وكانت دارهم كعبة العلماء والأدباء ومنتدى للدراسات والاسمار الأدبية الرفيعة . وكانت حلقاتهم العلمية والأدبية تجذب أكابر العلماء الوافدين الى مصر من مختلف أنحاء العالم الاسلامى ، فلما قدم الامام الشافعى الى مصر كان بنو عبد الحكم أول من استقبله وأكرم وفادته ، وأمدته الأسرة النابهة بالمال ونظمت له سبل الاقامة والدرس ، وكانت أول من انتفع بعلمه وأدبه (٤) وبث مقدم الشافعى فى آداب الفسطاط روحا جديدة ، واشتهرت مجالسه وحلقاته الفقهية والأدبية . وكانت حقبة علمية أدبية زاهرة (١٩٨ — ٢٠٤ هـ) .

وكانت حلقات المسجد الجامع الى جانب الحلقات الخاصة ، أشهر المجتمعات العلمية والأدبية العامة . وكان المسجد الجامع أو جامع عمرو منذ انشائه سنة ٢١ هـ (٦٤١ م) قلب الفسطاط الفكرى وكانت تعقد فيه مجالس القضاء الأعلى كما كانت تعقد مجالس الفقه والأدب الخاصة. وصحن المسجد الجامع شهير فى تاريخ الفسطاط الأدبى ، وقد كان مدى قرون ندوة فكرية أدبية جامعة ، وكانت بين جدرانه توجه حركة التفكير والآداب فى مصر الاسلامية . ويبدو مما كتبه مؤرخو الفسطاط فى هذا العصر أن هذه الحلقات كانت دورية وكانت منظمة برغم صفتها الخاصة . وأنها كانت تعقد كل يوم تقريبا فى المسجد الجامع . ولكن الظاهر أن أهمها ما كان يعقد فى عصر يوم الجمعة ، وأن مجالس الجمعة كانت تعتبر كموسم أسبوعى يغص المسجد فيه بجمهرة الفقهاء والأدباء والقراء والنظارة . وفيها كانت البحوث الكلامية والمناظرات الأدبية . والمطارحات الشعرية والرواية التاريخية تنظم فى حلقات فرعية أو متعاقبة (٥) .

---

(١) راجع ابن خلكان فى ترجمة ابى تمام (١ ص ٣١٢) .

(٢) ابن خلكان فى ترجمة عبد الله بن الحكم (١ ص ٣١٢) .

(٣) توفى عبد الله بن الحكم سنة ٢١٤ هـ وتوفى ولده عبد الرحمن سنة ٢٥٧ هـ وابنه محمد سنة ٢٦٩ هـ .

(٤) ابن خلكان (١ ص ٣١٢) .

(٥) راجع فى الاشارة الى حلقات عصر الجمعة بالمسجد الجامع — ابن زولاق فى كتاب اخبار سيبويه المصرى (الصورة الفوتوغرافية للخطوط المحفوظ بمعرض الكتب وهى رقم ٤١٢٠ تاريخ) ص ١٣ و ١٤ و ١٦ و ١٧

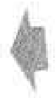
وكانت هذه الحلقات الأدبية الشهيرة تتأثر بتطور السياسة والأهواء السياسية..اذ كانت موئل التفكير والدعـــوة الى مختلف المذاهب الفقهية والأدبية . ففى سنة ٢٢٦ هـ مثلا أمـر محمد بن أبى الليث قاضى قضاة مصر تنفيــذا لرغبة الخليفة الواثق بالله ، بالقبض على جميع الفقهاء والمحدثين والأدباء باسم الامتحـان فى مسألة (خلق القرآن) وهى المعروفة بالمحنة فملئت السجون بالمنكرين لخلقه من العلمـــاء والأدباء .وأغلق المسجد الجامع فىوجه المالكية والشافعية ، وفضت حلقاتهم العلمية والأدبية ومنعوا من زيارة المسجد ، ومن بث آرائهـــم ونظرياتهم (١) وأخذ بنو عبد الحكم فوق أخذهم بالمحنة بتهمة أخرى ، هى تبديد أموال طائلـة ائتمنوا عليها من على ابن عبد العزيز الجروى، وهو زعيم خارج تغلب حينا على بعض نواحى مصر ثم أخمدت ثورته ، واتهم بالخيانة ،وتضى بمصادرة أمواله، فاتهم باخفائها بنو عبد الحكم، وقبض عليهم وعذبوا واستصفيت أموالهم أداء لما قضى به وتوفى بعضهم فى السجن (ســنة ٢٣٧ هـ) ثم أفرج عنهم بعد ذلك ، ولكن هذه المحنة ذهبت بوجاهة الأسرة النابهة وجاههـا وهيبتها (٢) فاضمحل نفوذ هذه الفكـــرة (٣) وتضاءلت أهمية هذه الحلقات الأدبية الباهرة التى اشتهرت بتنظيمها وعقدها زهاء نصـــف قرن. وفى نفس هذا العام أمر الحارث بن مسكين قاضى القضاة بمطاردة الفقهاء الحنفيـــــة والشافعية واخراجهم من المسجد الجامع وقطع أرزاقهم وحظر اجتماعاتهم (٤) .

وهكذا شـــتت شـــمل المجتمع الفـــكرى فى الفسطاط حينا وانزوت حلقاتها الأدبية الزاهرة حتى منتصف القـــرن الثـــالث ولكنها عـــادت فانتظمت وازدهرت واستعاد المســجد الجامع هدوءه وســكينته وردت حـــرية الاجتمـــاع والدرس . وجاءت الدولة الطولونية (٢٥٤ ــ ٢٩٢ هـ) (٨٦٨ ــ ٩٠٥ م) فأزهرت فى ظلهـــا الآداب والفنـــون وكان أحمد بن طولون أميرا مستنيرا يحب العلوم والآداب ويرعاها بتعضيده وحمـــايته ، ويجل مجالس العـــلم وحلقـــات الأدب (٥) . وكانت الفســـطاط ومســـجدها الجامع أيضا مثوى الحلقات والمجالس العلمية والأدبية فى هذا العصر ، لأن مدينة القطـــائع التى شـــيدها ابن طولون لم تكن كما قدمنـــا سوى مدينة بلاط وبطانة . ونبغ فى هذه الحقبة القصيرة عدد كبير من الأدباء والشعراء ، وبكت دولة الشـــعر دولة بنى طولون عند ذهـــابها أيما بكاء ، فقال شـــاعرها سعيد القـــاص من قصيدة طويلة رائعة :

طوى زينة الدنيـــا ومصباح أهلهـــا
بفقد بنى طولون والأنجم الزهـــر

وفقد بنى طـــولون فى كـــل موطن
أمر على الاســـلام فقدا من القطر

تذكرتهم لـــما مضـــوا فتتابعـــوا
كما ارفض سلك من جمان ومن شذر



---

(١) الكندى تسمية قضاة مصر ــ ص ١٢٧
(٢) الكندى ــ كتاب القضاة ــ ص ١٣٧ و ١٣٨
(٣) كذا ، ويبدو انه خطأ مطبعى وأن الصحيح هو .. (الاسرة)
(٤) الكندى ــ كتاب القضاة ــ ص ١٤٢
(٥) ابن خلكان ــ ١ ص ٦٩ .



بحوث من الماضى القريب

فمن يبك شيئا ضاع من بعد أهله
لفقدهم فليبك حزنا على مصر
ليبك بنى طولون اذ بان عصرهم
فبورك من دهر وبورك من عصر

وفى أوائل القرن الرابع كانت الفسطاط تضم جماعة كبيرة من أقطاب المفكرين والأدباء وكانت أبهاؤها ومجالسها الأدبية حافلة زاهرة • ففى تلك الفترة اجتمع من زعماء التفكير والأدب أبو القاسم بن قديد وتلميذه أبو عمر الكندى مؤرخ الولاة والقضاة وأبو جعفر النحاس المصرى الكاتب الشاعر ، وأبو بكر الحداد قاضى مصر ، وأبو القاسم بن طباطبا الحسينى الشاعر ، وأبو بكر بن محمد بن موسى الملقب بسيبويه المصرى ، والحسن بن زولاق المؤرخ الأشهر (١) وكثيرون غيرهم ، فكان لاجتماع هذه الصفوة العلمية والأدبية البارزة فى هذه الفترة أثر كبير فى ازدهار الحركة الفكرية بمصر فى أوائل القرن الرابع • فكانت حلقات الأدب فى أوج نشاطها وكان المسجد الجامع يومئذ جامعة حقة يموج بهذه الاجتماعات العلمية والأدبية الشهيرة • وكانت دولة التفكير والأدب فى بغداد قد أخذت فى الضعف والاضمحلال وأخذت مصر تتأهب للقيام بدورها فى رعاية التفكير الاسلامى فى المشرق وكان بنو الأخشيد (محمد بن طغج) وولداه (أنوجور) و (على) ثم وزيرهم الخصى النابه (كافور) — مدى دولتهم التى استمرت زهاء ثلث قرن (سنة ٣٣٤ — ٣٥٨ هـ) (٩٣٥ — ٩٦٩ م) — حماة للعلوم والآداب • وقد انتهى الينا من آثار الحسن بن زولاق المؤرخ ، أثر هام يلقى ضياء على تاريخ الحركة الأدبية المصرية فى هذا العصر وهو كتاب « أخبار سيبويه المصرى » وهو أبو بكر بن موسى الذى سبقت الاشارة اليه وقد كان صديقا لابن زولاق وزميلا له فى الدرس على ابن الحداد (٢) وكانت له أخبار وملح ونوادر أدبية طريفة عنى ابن زولاق بجمعها فى هذا الكتاب • وفى دار الكتب نسخة خطية وحيدة من هذا الأثر لاريب أنها من أقدم المخطوطات العربية التى وصلت الينا بل لقد انتهينا فى تحقيق شأنها الى أنها أقدم مخطوط أدبى مصرى وصل الينا وأنها من آثار عصر الفسطاط ذاته وبخط ابن زولاق نفسه (٣) •

وفى أثر ابن زولاق هذا اشارات كثيرة الى حلقات الفسطاط الأدبية فى عصره أعنى فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى •

---

(١) توفى ابن قديد سنة ٣١٢ هـ وأبو عمر الكندى سنة ٣٥٠ هـ وأبو جعفر النحاس سنة ٣٣٨ هـ وأبو بكر الحداد سنة ٣٤٥ هـ وسيبويه المصرى سنة ٣٥٨ هـ والحسن بن زولاق سنة ٣٨٧ هـ •

(٢) راجع السيوطى — حسن المحاضرة — ج ١ ص ٢٥٤ وراجع بحثى عن الحسن بن زولاق فى ملحق السياسة الادبى عددى (٢٨٤٦ و ٢٩٠٦) •

(٣) راجع تحقيقا مستفيضا قمت به فى شأن هذا المخطوط مؤيدا بالوثائق والادلة الخطية والتاريخية وقد نشر مع صور فتوغرافية لهذه الوثائق فى ملحق السياسة الادبى عدد ٢٧٨٥ • سيبويه (٩ من المخطوط وما بعدها) واعتقد ان فى هذه الابيات تحريفا يرجع الى صعوبة القراءة نظرا لقدم المخطوط وتخريمه فى مواضع كثيرة ، ولكن معانيها ظاهرة متناسقة •

ويبدو من سياق كلامه أن المسجد الجامع كان مثوى لأهم هذه الحلقات وأشهرها وأنها كانت ــ كما قدمنا ــ دورية منتظمة تعقد على الأغلب فى عصر يوم الجمعة وتجمع بين الفقهاء والأدباء وينعقد فيها الجدل الكلامى والحوار الأدبى والسمرى .

والظاهر أيضا أن هذا الجدل أو الحوار كان ينتهى أحيانا الى بعض ما ينتهى اليه فى عصرنا من مرارة واتهام وتراشق . وأن بعض المفكرين الأحرار كانوا ينقمون من عصرهم ما ننقم من عصرنا أحيانا من اعتداء على حرية الرأى والبحث ، وأن بعضهم كان يرمى بتهم المروق والالحاد اذا أطلق لنفسه حرية البحث والرأى على نحو ما يشير اليه سيبويه المصرى فى قوله من قصيدة أوردها ابن زولاق :

أَمَّا سبيل اطراح العلم فهو على
ذى اللب أعظم من ضرب على الراس
فَإِنْ سَلَكْتَ سبيل العلم تطلبه
بالبحث أبت بتكفير من الناس
وَإِنْ طَلَبْتَ بلا بحث ولا نظر
لَمْ تُضْحِ منه على ايقان ايناس
وانبذ مقالة من ينهاك عن نظر
نبذ الطبيب بذل القرحة الآسى (٣)

وهذه ظاهرة فكرية خطيرة يسجلها الشاعر المصرى على عصره أعنى أوائل القرن الرابع (حول سنة ٣٢٠ ــ ٣٤٠ هـ) وهى تدل على أن الجدل العلمى والأدبى كان يرتفع يومئذ الى مرتبة الايمان والعقيدة أحيانا وينحدر أحيانا أخرى الى درك التراشق والمهاترة .

كذلك هنالك فى قول الشاعر ما يدل على أن بعض المفكرين والأدباء كانوا يؤثرون الصمت على الجهر بآرائهم خيفة الاتهام والوقيعة .

وقد كانت حلقات المسجد الجامع بلا ريب أهم الحلقات الأدبية العامة ولكن هناك فى أقوال ابن زولاق ما يدل على أنها كانت تعقد أيضا فى بعض المساجد الأخرى . فمثلا كان الشاعر الأكبر أبو الطيب المتنبى الذى وفد على مصر سنة ٣٤٦ هـ (٩٥٧ م) ليستظل بحماية بنى الأخشيد يجلس فى مسجد يعرف بمسجد ابن عمروس وهناك يجتمع اليه الأدباء والشعراء ، وكانت حلقة المتنبى بلا ريب من أهم مجالس الشعر والأدب والفلسفة فى هذا العصر (١) .

هذا واما عن الحلقات والابهاء الخاصة فيشير ابن زولاق الى المجالس العلمية والأدبية التى كان يعقدها محمد بن طغج (الأخشيد) وولده (انوجور) (٢) ثم مجالس الوزيرين ابن الفضل جعفر بن الفرات والحسين بن محمد الماردانى (٣) .

والظاهر ان هذه المجالس والحلقات الأدبية كانت يومئذ من تقاليد الحياة الرفيعة ، وكانت نوعا من الترف الذى يأخذ به الأمراء والعظماء والأسر الكبيرة فان لهم جميعا على نحو مابينا فى سير الأبهاء الأدبية فى تلك العصور أكبر نصيب وذكر ، ويرجع اليهم فى اقامتها ورعايتها أكبر الفضل .

البقية فى العدد التالى

د. ع . خ

---

(١) راجع ص ٤٨ و ٤٩ .
(٢) راجع ص ٣٦ من المخطوط .
(٣) راجع ص ٣٢ و ٤٠ من المخطوط .

مع رسالة جامعية

الهجرة والمهاجرون في القرآن والسنة

هذا عنوان الرسالة التى حصل بها الباحث/ محمد ابراهيم عبد الرحمن – المدرس المساعد بكلية التربية جامعة عين شمس قسم اللغة العربية وآدابها • على درجة الماجستير فى الآداب تخصص الدراسات الاسلامية من كلية البنات جامعة عين شمس قسم اللغة العربية وآدابها بتقدير ممتاز (١) •

وهذه الرسالة أشرف عليها كل من : الاستاذ الدكتور ابراهيم ابراهيم هلال أستاذ الدراسات الاسلامية بكلية البنات جامعة عين شمس ، والأستاذ الدكتور/سعد أحمد دعبيس رئيس قسم اللغة العربية بكلية التربية جامعة عين شمس وشرفت بمناقشة كل من : الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب أستاذ الدراسات اللغوية بكلية آداب عين شمس والأستاذ الدكتور مصطفى محمد حلمى أستاذ ورئيس قسم الفلسفة والعلوم الاسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة.

✻ ✻ تتكون الرسالة من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة :

✻ أما المقدمة فقد أشار فيها الباحث الى بواعث اختيار هذا الموضوع وضرورة البحث فيه فى علوم القرآن والسنة ، كما أشار الى أثر الهجرة النبوية فى تغيير وجه الحياة ، وأثر المهاجرين فى سبيل الله فى رفع راية الاسلام •

واستفاد من المخطوطات ولاسيما مخطوط « الهجرة » للامام القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل واستفادت الرسالة من كتب الامام ابن قيم الجوزية وكتب التاريخ الاسلامى وقصص الأنبياء والسيرة النبوية الشريفة الى جانب العديد من المراجع الحديثة وكتب السنة.

✻ الفصل الأول وعنوانه : مفهوم الهجرة وأنواعها :

وتتبع هذا الفصل مادة الهجرة فى أشهر المعجمات العربية ، ثم اتجه الى أنواع الهجرة فقسمها الى قسمين متميزين :

الأول : الهجرة طلبا أو هربا •

والثانى : الهجرة الى الله ورسوله •

ومن النتائج التى أبرزها هذا الفصل مايلى :

١ – الهجرة فى معناها الاصطلاحى لاتخرج عن أصلها اللغوى كما استخدمه العرب – اللهم الا فى زيادات ومعان هى فى الواقع تأكيد

(١) ما ورد بهذه الدراسة هو جهد الباحث وفكره •• فهى قابلة للنقد من اى متخصص ••
مجلة الازهر •

عرض وتقديم
صفوت عبد الجواد

لهذا الأصل اللغوي الذي هو الترك والتحول أو الانتقال من أرض الى أخرى ، وترك الأولى للثانية بنية الاقامة فيها .

٢ ــ الهجرة كما هي متعارف عليها : انتقال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بشخصه وأصحابه ودعوته من مكة المكرمة الى مدينته (يثرب) حينما ائتمر أهل مكة بدمه ، وتربصوا به الدوائر بعد أن أعيتهم الحيل في أثنائه عن دعوته .

٣ ــ كانت الهجرة واجبة على المسلمين حتى فتح مكة فانتهى هذا الوجوب لقوله ﷺ : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » ولكن بقيت هجرتان واجبتان :

(أ) هجرة المحرمات لقوله ﷺ : « ... والمهاجر من هجر مانهى الله عنه » وقوله تعالى : « قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » سورة الانعام (١٥١ ــ ١٥٣)

(ب) هجرة أهل المعاصي أي تركهم حتى يرجعوا تأديبا لهم .

٤ ــ الهجرة تكون اما طلبا واما هربا ، فالهجرة طلبا كالهجرة لطلب الدين والسفر للعبرة والاتعاظ ، والهجرة لطلب العلم ، والكسب والتجارة وغيرها . أما الهجرة هربا كالهجرة من دار الحرب الى دار الاسلام .

والهجرة حذر المرض ... الخ .

٥ ــ انتشر في ربوع الجمهورية العربية اليمنية كثير من القرى التي تسمى بالهجرات ، ويرجع السر في تسميتها بذلك الى أن من كان يهاجر اليها لتلقى العلم يسمى مهاجرا لطلب العلم .

٦ ــ الهجرة من المعصية الى الطاعة من أهم أنواع الهجرة .

٧ ــ واجب على كل مسلم أن يهاجر الى الله ورسوله ، وتتمثل هذه الهجرة في الوفاء

بعهد الله سبحانه وتعالى وعبادته وطاعة رسوله ﷺ واتباع سنته •

٨ ـ هجرة المسلمين الكبرى هى قيادة الانسانية الى الله ، قيادتها الى التوحيد لايجاد مؤمن موحد بالله ولن يتأتى هذا الا اذا بدأ كل مسلم بنفسه فزكاها

٩ ـ تتضمن الهجرة الى الله تعالى هجران كل مايكرهه سبحانه واتيان كل مايحبه ويرضاه لأن المهاجر اليه لابد وأن يكون أحب الى النفس من المهاجر منه •

١٠ ـ الفرار الى الله والهجرة اليه من صفات المؤمنين الصادقين فهم يفرون الى الله ، ويهاجرون اليه فى كل يوم وفى كل وقت فهو هدفهم وغايتهم فى كل أعمالهم.

١١ ـ تمثل الجوانب الروحية معنى من معانى الهجرة ، فالعبادات الاسلامية على تعددها واختلافها انما هى تنسيق وتنظيم لأنواع وألوان من الهجرة الى الله ، فالصلاة هجرة من البيئة والجو والمادة الى الوقوف بين يدى الله ومناجاته لحظة من الزمن فهى هجرة الى الله • والزكاة انفصال عن جزء من المادة تقربا الى الله تعالى فهى ذهاب وهجرة اليه •

١٢-ان الصورة التامة الكاملة للهجرة الاسلامية الكبرى ، انما تتمثل فى أروع مظاهرها فى قوله تعالى : « قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ »

وقوله ﷺ : « لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » •

والفصل الثانى وأسماه الباحث : « الهجرة فى القرآن والسنة » :

اشتمل هذا الفصل على احصاء لنصوص القرآن الكريم التى تضمنت مادة الهجرة وأسفر البحث عن ورود مادة الهجرة فى سبعة وعشرين موطنا من مواطن التنزيل الحكيم قسمها الباحث الى محورين رئيسيين :

المحور الأول : ويمثل الاتجاه الحسى أو الهجرة الحركية : وتضمن هذا المنحى احدى وعشرين آية من آى القرآن الكريم وعالج ـ من خلالها ـ الباحث الاحكام الآتية :

١ ـ اقتران الهجرة بالايمان والجهاد •
٢ ـ ثواب المهاجرين والانصار •
٣ ـ مقاييس الايمان الصادق •
٤ ـ الهجرة من دار الكفر الى دار الايمان
٥ ـ نسخ حكم التوارث بالهجرة •
٦ ـ هجرة النساء وأحكامها •

والمحور الآخر : وهو الجانب المعنوى للهجرة وبلغت آيات هذا النوع ست آيات من آى القرآن الكريم قسمها الباحث الى الأحكام الآتية :

١ ـ أحكام هجر الزوجة التى يخشى نشوزها •
٢ ـ البعد الزمنى للهجرة •
٣ ـ حكم هجر القرآن الكريم •
٤ ـ هجر المشركين وأفعالهم •

ومن النتائج التى ابرزها هذا الفصل :

أولا : المهاجرون والأنصار أحق الناس

بأجزل الثواب وأعظمه لما تحملوا فى سبيل رفعة هذا الدين .

ثانيا : تجب الهجرة على المؤمن من دار الشرك الى دار الايمان فى أى زمان تنتهك فيه حرمة عقيدته ، ولا يستطيع حماية نفسه أو الدفاع عن دينه .

ثالثا : كان التوارث بالهجرة فى بداية الأمـــر حكمـا مؤقتا لعلــــة عارضة ثم نسخ هذا الحكم عندما زالت دواعيه .

رابعا : تناولت مادة الهجرة تشريـــع الأحكام لعقاب الزوجة التى يخشى نشوزهـا فى أسلوب ورقة تعامل حتى يستأصل المرض قبل أن يستفحل ويصعب علاجه

خامسا : أدت المرأة دورا كبيرا فى الهجرة وتحملت ما تحمله الرجال فى قوة عقيـــدة وسلامة ايمان ، فتركن أزواجهن فى الشرك حبا فى الله ورسوله فعوضهن الله خيرا .

وأما الفصــل الثالث ــ وعنوانه المهاجرون فى القرآن والسنة .

فقد اشتمل على تمهيد بين فيه الباحث أهمية هذه الهجرات وضرورتها لبقاء الدعوة، ثم تناول فيه الباحث نماذج من هجـــرات الأنبياء فى القرآن الكريم ومن هذه النماذج

١ ــ هجرة الخليل ابراهيم عليه السلام .

٢ ــ هجرة لوط عليه السلام .

٣ ــ هجرة موسى عليه السلام .

٤ ــ هجرة يونس عليه السلام .

وعولجت هذه الهجرات بشىء من التفصيل الذى يبين أماكن هذه الهجرات ومعزاها وأثرها ونتائجها لنصل فى النهاية الى أن هجـــرة المصطفى ﷺ لم تكن بدعا بين الرسل .

واما الفصل الرابع فعنوانه ــ « الهجــرة الأولى فى الاسلام ــ هجرتا الحبشة » :

وفيه عولجت المباحث التالية :

أولا : موقف قريش من الدعوة الاسلامية.

ثانيا : اختيار بلاد الحبشة مكانـــا للهجرة .

ثالثا : هجرة المسلمين الأولى الى الحبشة واستقبال النجاشى لهم .

رابعا : رجوع مهاجرى الحبشة الى مكة وأسبابه وعلاقة ذلك بحديث الغرانيق .

خامسا : الهجرة الثانية الى الحبشة .

سادسا : وقفات مع هجرتى الحبشة .

وأما الفصل الخامس والأخير وعنـوانه : « الهجرة النبوية ونماذج المهاجرين » .

وتعرض الباحث القضايا التالية :

أولا : الدعوة فى الطائف .

ثانيا : حتمية الهجرة وأسبابها

ثالثا : نماذج المهاجرين واختار الباحثعلى سبيل التمثيل : هجرة آل أبى سلمة ، وهجرة صهيب رضى الله عنه ، وهجرة عمر وأصحابه رضوان الله عليهم .

رابعا : موقف قريش من هجرة الرســول صلى الله عليه وسلم .

خامسا : خطــة الهجرة النبوية ووصــوله صلى الله عليه وسلم الى المدينة .

سادسا : حكومة الرسول فى المدينة وعالج الباحث فى هذه القضية المباحث الآتية :

١ ــ بنــــاء المسجد .

٢ ــ المؤاخاة بين المهاجرين والانصار

٣ ــ وثيقة اليهـــود .

وأما الخاتمة فتضمنت أهداف الدراســـة ونتائج البحث التى توصل اليها الباحث .

بقية

ومطبوخ شحمه بالقليل من العسل ودهانه كمرهم والاكتحال به يقطع التهابات العين •

الزنجبيل :

قال تعالى :

« وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً » الانسـان (١٧/٧٦) •

وقد ضربت العرب المثل بالزنجبيل مضروبا بالخمرمذوقين معاً • راجع الكشـاف للزمخشرى (٥١٢/٢) والقرطبى (١٤٠/١٩) ولسـان العرب لابن منظـور (٣٣٢/١٣) بنحوه ونحن فى التداوى نحذر طبعا من مذقـه بالخمر لأن هذا منهى عنه على سبيل التحريم ، وما جعل الله شفاء الأمة فيما حرم عليها كمـا قال سيدنا رسـول الله ـ صـلى الله عليـه وسـلم (١) •

وقـد ورد أن ملك الروم قـد أهـدى الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جـرة زنجبيل ، فأطعم كل انسـان قطعـة واطعمنى قطعـة » وراوى الحـديث هو أبو سـعيد الخدرى رضى الله عنه وعليه عاد الضـمير (واطعمنى) (٢) •

والزنجبيل مفيد للكبد الضعيف كما يساعد على تحليل البلاغم واذابتها وطردها •

يتبـع

---

(١) الصحيح الوارد فى ذلك عن ابن مسـعود قال : ان الله لم يجعل شـفاءكم فيما حرم عليكم ١٠ هـ صحيح البخارى باب شراب الحـلواء والعسل ••• مجلة الازهر •

٢ ـ لم نقع على هذا الحديث وليس موجـودا بمسند ابى سعيد الخدرى عند الامام احمد ومـا عثرنا عليه بمسند أنس بن مالك رضى اللـه عنـه قال : أهدى الاكيدرلرسول الله صلى الله عليـه وسلم جرة مِنْ مَنّ فلما انصرف رسول الله ﷺ عليه وسلم من الصلاة مر على القوم فجعل يعطى كل رجل منهم قطعة •• الحديث •• مسند أحمد ٣ / ١٢٢ ـ الميمنية •



الفصل بين المضاف والمضاف اليه

للدكتور أحمد عبد العزيز عبد الله

الاضافة بين اسمين نسبة تقييدية توجب لثانيهما الجر ابدا ، وهى ضربان :

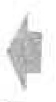
(أ) غير محضة ، وهى اللفظية نحو قارىء القرآن حسن الصوت ، ولاتفيد هذه الاضافة تعريفا أو تخصيصا ، لأن الغرض منها مجرد التخفيف كاضافة اسم الفاعل لمعموله فى المثال الأول ، أو رفع القبح كالمثال الثانى ، لأن فى رفع الصوت قبح خلو الصفة عن ضمير الموصوف ، وفى نصبه قبح اجراء وصف القاصر مجرى المتعدى ، وفى الجر بالاضافة تخلص منهـا .

(ب) محضة . وهى المعنوية التى تفيد تعريف المضاف ان كان المضاف اليه معرفا نحو كتاب خالد ، وتخصيصه ان كان المضاف اليه منكرا نحو ثوب رجل وصوت امرأة .

وانما يضاف الاسم الى غيره لكونه مختصا به نحو باب الدار أو مملوكها له نحو مال محمد ، وتكون الاضافة حينئذ على معنى اللام، أو لكون المضاف اليه ظرفا للمضاف كقوله تعالى « **بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ** » (١) فتكون الاضافة فى ذلك على معنى فى ، أو لكونه جزءا منه نحو خاتم فضة وباب ساج ، فهى على معنى من .

وقد تكون الاضافة لأدنى ملابسة كقوله تعالى : « **لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا** » (٢) فقد أضيفت الضحى الى ضمير العشية ولاعلاقة بينهما سوى كونهما طرفين لشىء واحد .

هذا . والمضاف اليه فى التركيب الاضافى متمم للمضاف ويتنزل منه منزلة التنوين ، وكما



١ ــ الآية ٣٣ من سورة سبأ .

٢ـ الآية ٤٦ من سورة النازعات .

لايجمع بين التنوين وأل ـ لايجمع بين الاضافة وأل »(١)

ومن ثم كان الفصل بين المضاف والمضاف اليه خلاف الاصل ، ولايجوز الا فى ضرورة الشعر بالظرف أو الجار والمجرور ، هذا هو مذهب جمهور البصريين .

قال سيبويه (ت ١٨٠ هـ) : ولايجوز ياسارق الليلة أهل الدار الا فى شعر كراهية أن يفصلوا بين الجار والمجرور (٢) أ . هـ (٣)
ومنع أبو على الفارسى (٤) (ت ٣٧٧ هـ) حذف نون غلامين فى قولهم : لاغلامين ظريفين لك ، لما يلزمه من الفصل بين المضاف والمضاف اليه بصفة المضاف .

وقد عقب عليه الشيخ عبد القاهر (ت ٤٧١ هـ) بقوله : وليس فى الكلام مضاف قد فصل بينه وبين المضاف اليه بصفته ، لاتقول : رأيت غلامى الظريفين زيد ، تريد غلامى زيد الظريفين وانما يجىء الفصل بالظرف نحو ماتقدم من قـوله :

كـأن أصواتِ من إيغالهن بنا
أواخر الميس أصوات الفراريج (٥)

ويكون ذلك فى ضرورة الشعر أيضا أ هـ (٦)»

وقد عده ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) قبيحا وان كان فى ضرورة الشعر اذ قال : والفصل بين المضاف والمضاف اليه بالظرف وحرف الجر قبيح كثير ، لكنه من ـ ضرورات الشاعر أ هـ (٧) وقد احتج لكثرته فى الشعر بأبيات منها بيت ذى الرمة المتقدم وقول أبى حية النميرى :

كما خط الكتاب بكف يوما
يهودى يقارب أو يزيل (٨)

وفيه الفصل بين المضاف الذى هو كف والمضاف اليه الذى هو يهودى بالظرف (يوما) لضرورة الشعر ، ومن ذلك قول درنا بنت عبعبة الجحدرية :

هما أخوا فى الحرب من لا أخاله
اذا خاف يوما نبوة فدعاهما (٩)

وفيه الفصل بين المضاف الذى هو أخوا والمضاف اليه الذى هو من بالجار والمجرور (فى الحرب) لضرورة الشعر .
ومن الفصل بغير الظرف قول الشاعر :

---

(١) ـ ينظر الاصول فى النحو لابن السراج ٢/٥ وشرح ابن يعيش ٣/١٩ والتصريح ٢/٥٤ والصبان ٢/٢٣٧ .
(٢) ـ يعنى المضاف والمضاف اليه .
(٣) ـ كتاب سيبويه ١/١٧٥
(٤) ـ الايضاح مع المقتصد ٢ / ٨١١ .
(٥) البيت من البسيط ، قائله ذو الرمة / د ٣٩ . الكتاب ١ / ١٧٩ ، المقتصد ٢ / ٨١٢ ، ابن يعيش ٣/٧٧ الافصاح ١٢٨ ـ الفراريج : صغار الدجاج والميس شجر تصنع منه الرحال ، وقد فصل فى البيت بين المضاف الذى هو اصوات والمضاف اليه الذى هو أواخر الميس بالجار والمجرور لضرورة الشعر .
(٦) ـ المقتصد ٢/٨١٢٠٦/ : الخصائص ٣ /٤٠٤ .
(٨) ـ البيت الوافر/فى الكتاب ١/١٧٩ الافصاح ١١٥ ، الانصاف ٢/٤٣٢ التصريح ٢/٥٩ . الاشمونى ٢/٢٧٨ وهو فى وصف رسوم الديار وقد عبث بها البلى كعبث اليهودى بالكتاب بالتحريف او الازالة وقد خص اليهودى لاشتهار اليهود بالتحريف والتغيير .
(٩) ـ البيت من الطويل / فى الكتاب ١/١٨٠ والمفصل ٣ / ١٩ والانصاف ٢ / ٤٠٥ والحماسة ٤١٠٨٢النبوة : أن لا يصيب السيف مضربا .

تمر على ماتستمر وقد شـــفت
غلائل عبد القيس منها صدورها (١)

وفيه الفصل بالفاعل الذى هو عبد القيس بين المضاف (غلائل) والمضاف اليه (صدورها) والأصل غلائل صدورها .

وقول الطرماح بن حكيم :

يطفن بحـــوزى المـرائع لم ترع ..
بواديه من قرع القسى ، الكنائن (٢)

وفيـه الفصل بين المضاف (قرع) والمضـاف اليه (الكنائن) بالمفعول الذى هو القسى لضرورة الشعر ومن الفصل بالمفعول قول الشاعر :

فزججتهــــا بمزجــة
زج القلوص ابى مـــزادة (٣)

فالأصل زج أبى مزادة القلوص . ففصـل بين المضاف والمضاف اليه بالمفعول الذى هو القلوص للضرورة أيضا ، وقد رأى (٤) ابن جنى ان فى هذا البيت دليلا على قوة اضـافة المصدر الى الفاعل وأنه عندهم اقوى مـــن اضافته الى المفعول لأن الشاعر قـد ارتكب ضرورة الفصل مع تمكنه من العدول عنها .

لكن بعض النحاة لم يعتد بهذا البيت حتى استبعد الزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ) كونه من أبيات الكتاب قال الزمخشرى : ومايقــع فى بعض نسخ الكتاب من قوله .

فزججتها بمزجة : زج القلوص أبى مزادة.

فسيبويه برىء من عهدته أ هـ (٥) وقال عنه البغدادى : هذا بيت لم يعتمد عليه متقنـو الكتاب حتى قال السيرافى : لم يثبته أحد من أهل الرواية وهو من زيادات أبى الحسـن الأخفش (ت ٢٢١ هـ) فى حواشى كتـــاب سيبويه فأدخله بعض النساخ فى بعض النسخ حتى شرحه الأعلم وابن خلف فى جملة أبياته أ هـ (٦) .

وانما برأ الزمخشرى سيبويه من عهدة هذا البيت ولم يعتمده متقنو الكتاب لانه قد وقع الفصل فيه بالمفعول ، ولم يثبت أن سيبويه قد أجاز الفصل بغير الظرف (٧) .

ولاخلاف فى أن هذا البيت قــد أثبت فى حواشى كتاب سيبويه بل انه قد أثبت فى أصل عدد من نسخ الكتاب كما أورده الفـراء فى كتابه معانى القرآن مرتين : الأولى عنـدما تحدث عن قوله تعالى « وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ



١ ـ البيت من الطـــويل لم يعلم قائله / فى الانصاف ٢/٤٢٨، وشرح الرضى للكافية ٢/٢٩٣ والخزانة ٤/٤٧٣ الغلائل جمع غليل فالمراد بها الأضغـان .

٢ ـ البيت من الطويل ايضا / فى ديوانه ١٦٩ والخصــائص ٢/٤٠٦ والانصـــاف ٢/٤٢٩ واللسان الحوزى : المتفرد التوحد والمراتع أماكن الرتع، والرتع: الاكل والشرب فى رغد وهو فى وصف بقر الوحش وقد احاط الاناث منها بفحلهن آمنات من اعدائهن .

(٣) ـ البيت من مجزوء الكامل ، لم يعلم قائله / فى الكتـــاب ١/١٧٦ والخصـــائص ٣/٤٠٦ والافصاح ١١٦، والفصل ٣/١٩ والخزانة ٤/٤١٦ زج الناقة : رماها برمح ونحوه لتسـرع فى السير المزجة: ما يزج به من رمح ونحوه القلوص : الناقة الفتية .

(٤) ـ الخصائص ٢/٤٠٦ .

١ ـ المفصل بشرح ابن يعيش ٣ / ١٩ .

(٦) ـ خزانة الادب ٤/٤١٦ .

(٧) ـ ينظر كتاب سيبويه ١/١٧٥ وما بعدها .

﴿مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ﴾ (١) حيث استبعد قراءة نصب (أولادهم) وجر « شركاؤهم » بالاضافة الى «قتل » لما يلزمها من الفصل بين المضاف والمضاف اليه بغير الظرف حيث قال •

وليس قول من قال : انما أرادوا مثل قول الشاعر :

فزججها بمزجة
زج القلوص أبى مزادة

بشىء وهذا مما كان يقوله نحويو أهل الحجاز ولم نجد مثله فى العربية أ هـ (٢)
والثانية عندما تكلم عن قوله تعالى « ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ (٣) إذ قال وليس قول من قال « مخلف وعده رسله (٤) » ولا زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم (٥) بشىء وقد فسر ذلك ، ونحويو أهل المدينة ينشدون قوله :

فزججها بمزجة
زج القلوص أبى مزادة

قال الفراء : باطل والصواب زج القلوص أبو مزادة أ هـ (٦) •

وتصويب الفراء يقتضى أن يكون زج مضافا الى القلوص ويكون أبو مزادة فاعلا للمصدر (زج) فلا يلزمه الفصل بين المضاف والمضاف اليه •

ويفهم من كلام الفراء أن البيت قديم ، وقد أنشده أهل الحجاز وأهل المدينة قبل الأخفش والفراء وسيبويه ، أى أنه قيل قبل نهاية القرن الثانى الهجرى فهو صالح للاستشهاد به •

ولاخلاف فى أن الأخفش والفراء من أعلام النحاة بعد سيبويه كما أن الأخفش كان من أقرب الناس الى سيبويه تتلمذ عليه ورافقه حتى وفاته وكان الراوية الأوحد لكتابه ، ولولاه ما عرف هذا الكتاب •

ولقد كان الأخفش ضنينا بكتاب سيبويه حتى ظن به نية ادعائه لنفسه ، فاحتال عليه الجرمى (ت ٢٢٥ هـ) والمازنى (ت ٢٤٩ هـ) وقرآه عليه ونقلاه عنه ، ولم يؤثر عنهما ما يقدح فى ضبط الأخفش وأمانته العلمية •

واذا كان الأخفش قد أذاع الكتاب منسوبا الى سيبويه ، فلا مجال للشك فيما يرويه ، ولاحاجة للأخفش فى أن يقحم فى الكتاب ماليس منه ، لأن مكانته العلمية تسمح له بأن يجهر بآرائه وآراؤه الخاصة تملأ كتب النحو ، ومنها ما عارض به أستاذه ، فكيف نقبل ما يقال من أنه أقحم فى الكتاب ما ليس منه ؟ •

ان الاشفاق على تراثنا العلمى يدفعنا الى

---

(١) ـ الآية ١٣٧ من سورة الانعام •
(٢) ـ معانى القرآن ١/٣٥٨ •
(٣) ـ الآية ٤٧ من سورة ابراهيم •
(٤) ـ أى بنصب « وعده » وجر « رسله » بالاضافة الى « مخلف » •
(٥) ـ بنصب الاولاد وجر الشركاء على الفصل بين المضاف والمضاف اليه •
(٦) ـ معانى القرآن ٢/٨١ •

استبعاد أدنى شك فى الأمانة العلميـــة لأى واحد من النحاة الأوائل ، وبخاصة اذا كان ذلك النحوى هو الراوية الوحيد لكتـــاب سيبويه .

ولقد أخذ سيبويه نفسه أغلب نحـوه فى الكتاب عن شيخه الخليل ، وهذا واضح فى كل صفحة من صفحات الكتاب ، وقد أقرأه الأخفس لتلميذيه الجومى والمازنى ، فلولا الثقة التامة بكل هـؤلاء الأعـلام لكان كل نص فى ذلك السفر الضخم ـ الكتـــاب ـ محتملا للشك والتشكيك .

ومن هنا نجد أنفســـنا مضـطرين الى التوقف فيما قاله الزمخشرى وتابعه فيـــه البغدادى ، وكون هذا البيت مجهول القائـل لايقدح فيه ، ففى كتاب سيبويه مايقرب من خمسين شاهدا لم يعلم قائلها ، فاذا كـانت صالحة للاحتجاج بها ـ فما وجه رد هـــذا البيت ؟ ولماذا لا يعـــد ضمن الضرورات الشعرية ؟

وقد جاء الفصل بالعطف فى قول الفرزدق :

يا من رأى عارضـــا يسر به
بين ذراعىْ وجبهة الأسد (١)

فقد فصل بين المضاف (ذراعى) والمضاف اليه (الأسد) بالمعطوف (وجبهة) لضرورة الشعر ، وقد عده المبرد (٢) (ت ٢٨٥ هـ) من قبيل حذف المضاف اليه من الأول اسـتغناء باضافة الثانى ، وتابعه الزمخشرى اذ قال :

وأما قول الفرزدق :

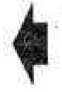
...... بين ذراعى وجبهـة الأسد

وقول الأعشى :

الا علالـــــة أوبـــــدا ..
هة قارح نهد الجــــزارة (٣)

فعلى حذف المضاف إليه من الأول استغناء عنه بالثانى .أ هـ [٤]) وهو عند سيبويه [٥] من قبيل الفصل بين المضاف « علالة » والمضاف إليه « قارح » بالعطف قال ابن جنى : وهذا أمثل عندنا من مذهب غيره فيه أ هـ [٦] .

فالفصل بين المضاف والمضاف إليه لا يجوز عند البصريين [٧] إلا بالظرف والجار والمجرور فى ضرورة الشعر لأن الظرف والجار والمجرور قيدان فى الجملة متممان لمعناها ،



---

١ ـ البيت من المنسرح / فى ديوان الفرزدق ٢١٥ والمقتضب ٤ / ٢٢٩ والخصائص ٢ / ٤٠٧ وابن يعيش ٣/٢٠ والعينى ٣/٤٥١ والخزانة ٤/٤١٦

ـ العارض :

السحاب يعترض الافق ، ذراعا الاسد : كوكبان أما جبهة الاسد فاربعة كواكب وذراعا الاسـد وجبهته من(انواء)العرب المحمودة لما يعقبها من المطر الغزير .

٢ ـ المقتضب ٤/٢٢٧ وما بعدها .

٣ ـ البيت من مجزوء الكامل/ فى ديوان الاعشى ٧٨ والكتاب ١/١٧٩ والخصائص ٢/٤٠٧ وابـن يعيش ٣/٢٢ وشروح سقط الزند ٢/٨١٠القارح من الخيل الذى اكل خمس سنين وبداهة القارح اول جريه/وعلالته بقية جريه .

(٤)] الفصل بشرح ابن يعيش ـ ٣/١٩ ٢ /٨١٠

(٥)] كتاب سيبويه ١/١٧٩

(٦)] الخصائص ٢/٤٠٧

(٧) ينظر الانصاف ٢/٤٢٧

ولذا صح إيرادهما حيث وقعا فى الكلام ، والظروف يتوسع فيها مالا يتوسع في غيرها ...

أما الكوفيون فيجيزون الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف وبالجار والمجرور وبغيرهما لضرورة الشعر وقد احتجوا لذلك بما تقدم من الفصل بالفاعل فى قوله .

تمر على ما تستمر وقد شفت
غلائل عبد القيس منها صدورها

وبالمفعول فى قول الآخر :
فزججتها بمزجة

زج القلوص أبى مزادة

ومثله بيت الطرماح :
يطفن بحوزى المراتع لم ترع
بواديه من قرع القسى الكنائن

كما احتجوا لذلك بالفصل بالعطف فى قول الفرزدق

يامن رأى عارضا يسر به
بين ذراعى وجبهة الأسد

وقول الأعشى :
إلا علالة أو بدا
هة قارح نهد الجزاره

كما احتجوا بقراءة[1] « فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدَهُ رُسُلِهِ » بنصب « وعده » مع جر « رسله » بالإضافة إلى « مخلف » فيلزم الفصل بالمفعول بين المضاف والمضاف إليه .

ولم يستحسن الأخفش تلك القراءة إذ قال :

وقال « مخلف » وعده رسله » فأضاف إلى الأول ونصب الآخر على الفصل »[2] ولا يحسن أن تضيف إلى الآخر[3] لأنه يفرق بين المضاف والمضاف إليه وهذا لا يحسن اهـ[4] .

ومما احتج به الكوفيون أيضاً قراءة بن عامر لقوله تعالى « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم »[5] **ببناء الفعل « زين » لمالم يسم فاعله ورفع « قتل » نائبا عن الفاعل مع إضافته إلى شركائهم « ونصب » أولادهم « مفعولا للقتل ، فيلزم الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول ولكن بعض النحاة يستبعد مثل ذلك فى القرآن الكريم .**

قال ابن خالويه [٣٧٠هـ] والحجة لمن قراه بضم الزاى انه دل بذلك على بناء الفعل لمالم يسم فاعله ورفع به القتل واضافه إلى شركائهم ونصب أولادهم بوقوع القتل عليهم ، وحال بهم بين المضاف والمضاف إليه ، وهو قبيح فى القرآن ، وإنما يجوز فى الشعر كقول ذى الرمة :

---

[١] ينظر معانى القرآن للأخفش ٢/٦٠٠ ومعانى القرآن للفراء ٢/٨١ وما بعدها .
[٢] يريد اضاف مخلف إلى وعده .
[٣] أى لا يحسن إضافة مخلف إلى رسله مع نصب وعده .
[٤] معانى القرآن للأخفش ٢/٦٠١ .
[٥] الآية ١٣٧ من سورة الأنعام .

كأن أصوات من إيغالهن بنا
أواخر الميس أصوات الفراريج

وإنما حمل القارىء بهذا عليه أنه وجده فى مصاحف أهل الشام بالياء فاتبع الخط اهـ[٦].

كما ردها الزمخشرى [٥٣٨ هـ] للسبب نفسه فقال : وأما قراءة ابن عامر « قتل أولادهم شركائهم » برفع القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف فشىء لو كان فى مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا ، كما سمج ورد «زج القلوص أبى مزادة » فكيف به فى الكلام المنثور ؟ فكيف به فى القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته ؟ والذى حمله على ذلك أن رأى فى بعض المصاحف « شركائهم » مكتوبا بالياء ولوقرىء بجر الأولاد والشركاء لكان الأولاد شركاؤهم فى أموالهم فوجد فى ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب اهـ[٧].

وإذا كان ابن خالويه والزمخشرى قد ردا هذه القراءة لما يلزمها من الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف فهذا حقهما باعتبارهما بصريين ، ولكن مالا نرضاه منهما ما ذكراه من أن الذى حمل ابن عامر على القراءة بها أنه وجد كلمة « شركائهم » فى مصاحف أهل الشام بالياء فاتبع الخط لأنه يوهم أن القارىء قد أعمل رأيه فى لبس عرض له ، والافتراض فى القراءة غير جائز ، كما أن أعمال الرأى والاجتهاد غير مقبولين فى هذا المجال ، لأنه خلاف المجمع عليه .

وهذه الجرأة فى نقد القراء تثير الشك فى قراءتهم ، وهو ما لايمكن قبوله ، وبخاصة إذا كان القارىء أحد القراء[٨] السبعة كابن عامر [ت ١١٨ هـ] الذين أجمع المحققون من العلماء على الثقة التامة بقراءاتهم ، لفرط عنايتهم بالسماع المتواتر ، ولالتزامهم الدقة والأمانة فى النقل ، وقد اشترطوا للرواية[٩] المقبولة شروطا أهمها :

١ ـ أن تكون الرواية متواترة عن جماعة يؤمن عدم تواطئهم على الكذب ، ومن طريق صحيح متصل برسول الله ـ ﷺ .

٢ ـ أن توافق الرواية الرسم العثمانى للمصحف الشريف .

٣ ـ إن توافق القراءة قواعد اللغة ولو بوجه من وجوهها .

فإذا استوفت الرواية تلك الشروط وجب قبولها ، قال ابن الجزرى [ت ٨٣٣ هـ] :
كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ، وصح سندها فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها ، ولا يحل انكارها ، بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها ،



[٦] الحجة فى القراءات السبع ١٥٠ ، ١٥١ .
[٧] الكشاف ٢/ ٥٤ .
[٨] القراء السبعة هم أبو عمرو بن العلاء ونافع بن عبد الرحمن ، وعبد الله بن كثير ، وعاصم ابن بهدلة ، وعبد الله بن عامر [صاحب هذه القراءة] وحمزة بن حبيب الزيات وعلى بن حمزة الكسائى .
[٩] النشر فى القراءات العشر ١/ ٩ .

سواء أكانت عن الأئمة السبعة ، أم كانت عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين اهـ[10] .

بل إن القراءات الشواذ يصح الاحتجاج بها إذا وافقت القواعد ، قال السيوطى [ت ٩١١ هـ] :

أما القرآن فكل ما ورد أنه قرىء به جاز الاحتجاج به فى العربية ، سواء أكان متواترا أم آحادا أم شاذا ، وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءة الشاذة فى العربية إذا لم تخالف قياسا معروفا ، بل ولو خالفته ، ويحتج بها فى مثل ذلك الحرف بعينه وإن لم يجر القياس عليه اهـ[11] .

ولأن الرضى بصرى لا يجيز الفصل بغير الظرف فى ضرورة الشعر فقد رد هو الآخر قراءة ابن عامر إذ قال : والفصل بغير الظرف فى غير الشعر أقبح من الكل مفعولا كان الفاصل أو يمينا أو غيرهما ، فقراءة ابن عامر ليست بذاك ، ولا نسلم تواتر القراءات السبع وإن ذهب إليه بعض الأصوليين اهـ[12] .

وقد تمسك أغلب البصريين بهذا المنهج الذى حملهم على رد قراءة أحد القراء السبعة ، حتى أن أحدهم وهو الرضى لم يسلم تواتر القراءات السبع ، وهو خلاف ما عليه جمهور المحققين من العلماء .

على أن هناك من النحاة الذين غلبت عليهم النزعة البصرية من عارض ذلك المنهج كالعلامة ابن حيان [ت ٧٤٥] هـ إذ قال :

فجمهور البصريين يمنعونها ، متقدموهم ومتأخروهم ، ولا يجيزون ذلك إلا فى ضرورة الشعر ، وبعض النحويين أجازها ، وهو الصحيح ، لوجودها فى هذه القراءة المنسوبة إلى العربى الصريح المحض ابن عامر ، الآخذ القرآن عن عثمان بن عفان قبل أن يظهر اللحن فى لسان العرب ، ولوجودها أيضا فى لسان العرب فى عدة أبيات قد ذكرناها فى كتاب منهج السالك من تأليفنا اهـ[13] .

ولا أستبعد وجود « شركايهم » بالياء فى مصاحف أهل الشام كما ذكر ابن خالويه والزمخشرى فقد نبه على ذلك الفراء حين قال : وفى بعض مصاحف أهل الشام « شركايهم » بالياء ، فإن تكن مثبتة عن الأولين فينبغى أن يقرأ زين[14] ويكون الشركاء هم الأولاد ، لأنهم منهم فى النسب والميراث فإن كانوا يقرءون « زين »[15] فلست أعرف جهتها إلا أن يكونوا آخذين بلغة قوم يقولون : أتيتها عشايا ، أى عشاء ، ثم يقولون فى تثنية الحمراء حمرايان ، فهذا وجه أن يكونوا قالوا « زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم »[16]

---

[١٠] المرجع المتقدم

[١١] الاقتراح فى أصول النحو ص ٤٨ .

[١٢] شرح الرضى للكافية ٢/٢٩٣ .

[١٣] البحر المحيط ٤/١٣٠ .

[١٤] يعنى بصيغة المبنى لما لم يسم فاعله

[١٥] أى بصيغة المبنى للمعلوم .

[١٦] معانى القرآن للفراء ١/٣٥٧ .

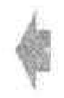
أقول : لا أستبعد وجود « شركايهم » بالياء فى مصاحف أهل الشام ورؤية ابن عامر لها ، لكن المستبعد أن يكون ابن عامر قد تأثر برسم الكلمة فى تلك المصاحف وبنى عليه هذه القراءة ، لأن القراءة سنة متبعة وقد أخذت بالتواتر المستوفى لشروطه ـ حسبما تقدم ـ والمستند إلى التلقى عن رسول الله ـ ﷺ الذى تلقاه تلقينا عن الأمين جبريل عليه السلام ، فلا مجال فيها للرأى والاجتهاد ، ثم أن ابن عامر قد توفى سنة ثمانى عشرة ومائة للهجرة ، أى أنه تابعى ، وقد أخذ قراءته عن الذين سمعوا من رسول الله ـ ﷺ ـ شفاها ، إذ هو متقدم على الفراء المتوفى سنة سبع ومائتين للهجرة بما يقرب من مائة عام ، وليس فى القراء السبعة مَنْ هو عربى محض كابن عامر وأبى عمرو بن العلاء [ت ١٥٤ هـ] ، فابن عامر من أوثق القراء سماعا وأكثرهم ضبطا .

ومجمل القول أن الفصل بين المضاف والمضاف إليه لم يجزه البصريون إلا فى ضرورة الشعر بالظرف أو الجار والمجرور ، فإن وقع فى الشعر بغيرها كالفصل بالمفعول أو بالعاطف فهو على تقدير حذف المضاف إليه من الأول استغناء عنه بالثانى ، اما فى النثر فلا يجيزونه بحال ، ولهذا حاولوا تخريج قراءة ابن عامر لآية سورة الأنعام السالفة الذكر ، بل ردها كثير منهم ، وقراءة بعضهم « فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله »(١٧) بنصب « وعده » وجر « رسله » بالإضافة إلى مخلف مع الفصل بينهما بالمفعول .

وأجاز الكوفيون عدا الفراء ـ الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف وبغيره فى الضرورة وفى الاختيار ، واحتجوا لمذهبهم بقدر مناسب من الشواهد الشعرية التى تقدم الكلام عنها ـ وبقراءة ابن عامر لآية سورة الأنعام « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم » بنصب الأولاد وجر الشركاء وبآية سورة أبراهيم « مخلف وعده رسله » بنصب الوعد وجر الرسل .

أما الفراء وهو أحد أعلام المذهب الكوفى فرأيه فى هذه المسألة أقرب إلى البصريين منه إلى الكوفيين فهو لا يجيز الفصل بين المضاف والمضاف إليه إلا فى ضرورة الشعر وبالظرف والجار والمجرور دون سواهما .

وإنما أجاز البصريون الفصل بالظرف والجار والمجرور فى الضرورة لأن الظرف والجار والمجرور قيدان فى الجملة متممان لمعناها ، فمن ثم صح إيرادهما حيث وقعا فى الكلام ، كما أن الظروف يتوسع فيها ما لا يتوسع في غيرها ، وكما جنح الفراء فى هذه المسألة إلى البصريين فإن ابن مالك [ت ٦٧٣ هـ] قد مال إلى الكوفيين فحذا حذوهم لذا أجاز الفصل بين المضاف المشبه للفعل والمضاف إليه بالظرف وبالمفعول وبالقسم وبالنعت ، وبالنداء للضرورة ، ولم يشترط سوى كون المضاف مشبها للفعل ، قال فى ألفيته :



[١٧] الآية ٤٧ من سورة ابراهيم .

فصل مضاف شبه فعل مانصب ..
مفعولا أو ظرفا أجز ولم يعب

فصل يمين واضطرارا وجدا ..
بأجنبى أو بنعت أو ندا

وقد تابع الأشمونى [ت ٩٠٩ هـ] ابن مالك فى شرح الألفية فقال : يجوز فى السعة [أى الاختيار] فى ثلاث مسائل

■ **الأولى** : أن يكون المضاف مصدرا والمضاف إليه فاعله والفاصل إما مفعوله كقراءة ابن عامر « قتل أولادهم شركائهم» وأما ظرفا كقول بعضهم : ترك يوما نفسك وهواها سعى لها فى رداها .

■ **الثانية** : أن يكون المضاف وصفا والمضاف إليه إما مفعوله الأول والفاصل مفعوله الثانى كقوله تعالى « فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله » وأما ظرفه كقولك :

انت آخذ منى قلمى ، بإضافة قلم إلى آخذ مع الفصل بينهما بالجار والمجرور ، وقولنا : أنت فاهم يوما درسى ، بإضافة درسى إلى فاهم والفصل بينهما بالظرف [يوما] .

■ **الثالثة** : أن يكون الفاصل القسم نحو هذا كتاب والله محمد ، بإضافة محمد إلى كتاب ، والفصل بينهما بالقسم ، وما حكاه الكسائى من قولهم : هذا غلام والله زيد ، بإضافة زيد إلى غلام والفصل بينهما بالقسم .

وما سوى ذلك مختص بالشعر وشواهده وفيرة تقدم الكثير منها ويفهم من كلام ابن مالك فى الألفية أن الفصل لا يجوز إلا والمضاف مشبها للفعل كالمصدر واسم الفاعل واسم المفعول ونحو ذلك مما يعمل عمل الفعل .

حتى تظل الصلة وثيقة بين المضاف والمضاف إليه مع الفصل بينهما فإذا كان الفاصل ظرفا للمضاف أو مفعولا له بقيت تلك الصلة بين المضاف والمضاف إليه وشيجة لأن الظرف قيد فى المضاف والمفعول معمول له ، وإذا كان الفاصل القسم فإنه تأكيد لمضمون الجملة وليس بغريب عنها .

وقد جاء الفصل بالنداء فى قول الشاعر :

كأن برذون أبا عصام
زيد حمار دق باللجام[18]

فقد فصل بين المتضايفين [برذون زيد] بالمنادى [أباعصام] لأنه تنبيه للمخاطب فليس بغريب عن الجملة .

وأرى أن ما ذهب إليه ابن مالك من اشتراط كون المضاف شبه فعل ـ غالب وليس بلازم ، فقد جاء الفصل والمضاف غير مشبه للفعل كالشاهد الأخير [كأن برذون ـ البيت] وما حكاه الكسائى من قولهم : هذا غلام والله زيد .

[١٨] هذا رجز لم يعلم قائله فى الخصائص ٢/ ٤٠٤ وفى الأشمونى ٢/ ٢٧٨ والعينى ٣/ ٤٨٠ البرذون الدابة والأنثى برذونة ، الدقوقة والدواقة البقر والحمر التى تدوس البر ، فالمعنى كأن دابة زيد ياأبا عصام حمار ملجم يدق البر ليفصل الحب عن التبن .

والخلاصة أن شواهد الفصل بالظرف وبالجار والمجرور كثيرة وبخاصة فى ضرورة الشعر ، وأن الفصل بالمفعول وبالفاعل وبالقسم والنداء قد جاء عن العرب ولكنه نادر فى النثر قليل فى الشعر .

ومن ثم فإن قول ابن الأنبارى[19] [ت ٥٧٧ هـ] عن شواهد الكوفيين [أما ما أنشدوه فهو مع ثلته لا يعرف قائله فلا يجوز الاحتجاج به] قد تضمن قدرا من التجاوز ، فليست كل شواهد الكوفيين مجهولا قائلها .

وكون قائل البيت مجهولا غير قادح فى الاحتجاج به بدليل أن أبيات سيبويه المجهولة القائل قد صح الاحتجاج بها .

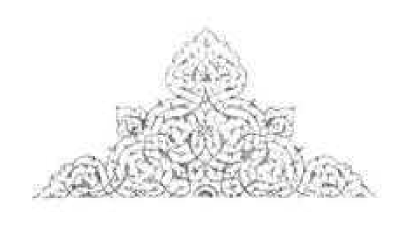
كما أن قول الزمخشرى[20] وأما قول الفرزدق : بين ذراعى وجبهة الأسد وقول الأعشى :

إلا علالة أو بدا : هة قادح نهد الجزارة[21] على حذف المضاف إليه من الأول استغناء عنه بالثانى فيه التجاوز أيضا فضلا عن تكلف تقدير المحذوف ، وما لا يحوج إلى الحذف أولى مما أحوج إليه ، وقد أورد سيبويه[22] بيتى الفرزدق والأعشى شاهدا للفصل بين المضاف والمضاف إليه ولم يقل إنه على تقدير حذف المضاف إليه من الأول .

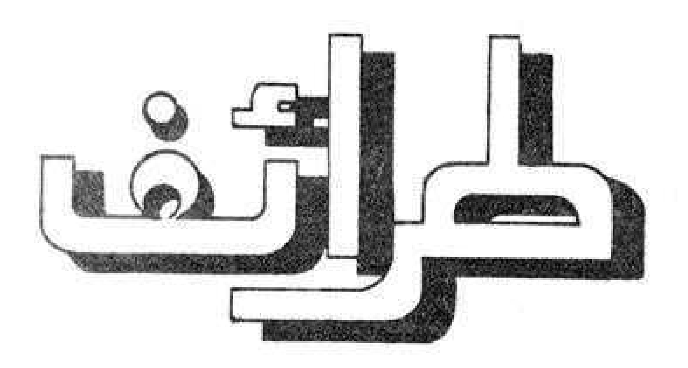
ومما يرجح رأى سيبويه أن القول بالحذف من الأول استغناء عنه بالثانى - قليل والكثير عكسه ، أى الحذف من الثانى لدلالة الأول ، لأن تقدم الدليل أوضح فى تعيين المراد من تأخره .

« والله أعلـــم »

تـــم



[١٩] الانصاف ٤٣٥/٢ .
[٢٠] المفصل ١٩/٣ .
[٢١] تقدم الكلام عن هذين البيتين عند الحديث عن رأى البصريين .
[٢٢] كتاب سيبويه ١٨/١ .



إيمانٌ نادر

اشترك الصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص فى أكثر من غزوة تحت لواء - رسول الله ﷺ - وكافأه الرسول - ﷺ - بأن دعا له بأن تكون دعوته مجابة .

وحدث أن فقد سعد بن أبى وقاص بصره .

فقال له ابنه : ادع الله ياأبت أن يرد عليك بصرك ، فقد بشرك رسول الله - ﷺ - باستجابة دعوتك ، فقال سعد : لابنه .

إن تتلذى بقضاء الله أحب إلى من إجابة دعوتى .

قولٌ كريم

قال ابو عبيدة بن الجراح لرسول الله - ﷺ - .

هل احد خير منا ؟ : اسلمنا معك ، وجاهدنا معك قال رسول الله - ﷺ - : « نعم .. قوم من بعدكم يؤمنون بى ولم يرونى .. » .

حمقا

سئل ابو العتاهية : اى خلق الله - تعالى - اصْغَر ؟ .

فقال : الدنيا ؛ لأنها لا تساوى عند الله جناح بعوضة ، ثم قال : وأصغر منها من عَظَّمَهَا .

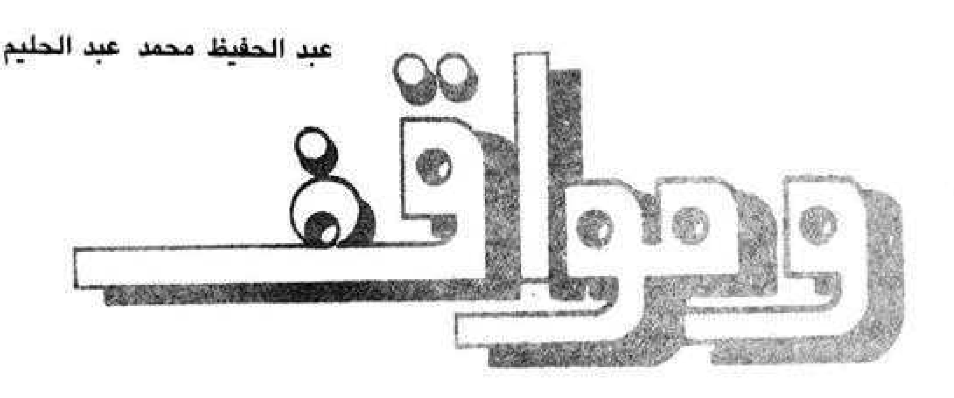
من أخلاق المؤمن

قال الحسن :

من اخلاق المؤمن قوة فى دين وحزم فى لين .

وحرص على العلم وقناعة فى فقر ، وإعطاء فى حق ، وبر فى استقامة ، وفقه فى يقين وكسب فى حلال .

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم



يا أخا الإسلام

لا تركنن إلى القصور الفاخرة
واذكر عظامك حين تمسى ناخِرَه
وإذا رأيت زخارف الدنيا
فقل : يارب إن العيش عيش الآخرة

السعادة

السعادة ثلاثة:

أما في النفس فهي الحكمة ، والعفة والشجاعة .

وأما في البدن : فهي الصحة والجمال والقوة .

وأما خارج النفس والبدن : فهي المال والجاه .

قالوا ..

● أقرب ما يكون العبد إلى الله إذا سأله ، وأبعد ما يكون من الناس إذا سألهم .

● العالم إذا لم يكن زاهداً في الدنيا فهو عقوبة لأهل زمانه .

● ليست النفس في البدن ، بل البدن في النفس لأنها أوسع منه .

● من أظهر شكرك فيما لم تأته ، فاحذر أن يكفر نعمتك فيما أتيته .

● حسب المؤمن من الله نصرةً أن يرى عدوه يعمل بمعاصي الله - عز وجل -

● عجبت ممن يشترى العبيد بماله ، ولا يشترى الأحرار بفعاله .

● ما أوسع الفرق بين أناس يكبرون بالوظيفة وأناس تكبر بهم الوظيفة .

دعاء

اللهم طهر قلبي من النفاق ، وعملي من الرياء ، ولساني من الكذب ، وعيني من الخيانة ، فإنك تعلم خائنة الأعين وماتخفي الصدور .

أنباء وآراء

بوادر مؤامرة ضد مسلمى اندونسيا

تشن حملة دولية كنسية ضد أندونسيا ليتمكن القساوسة المبشرون بمقاطعة «تيمور» من حرية الحركة ، فقد رفع هؤلاء القساوسة احتجاجاتهم الى مجالس دولية واثاروا فتنة « تقرير المصير » لهذه المقاطعة تمهيدا لعزلها عن الوطن الام : اندونسيا لاقامة دويلة تخصهم فى قلب هذا الجزء من العالم الاسلامى .

اذاعت لندن هذا الخبر بطريقتها الخاصة فى الثالثة بعد الظهر بتوقيت القاهرة يوم ١١ من ذى الحجة .

دورة تخصصية لتحقيق التراث :

اقام الأزهر الشريف دورة تخصصية لتحقيق التراث كان مقرها مكتبة الأزهر فى قاعتها العامة .

اختير للدورة أساتذة من مجمع البحوث الاسلامية ومن مكتبة الأزهر ومكتب الأمين العام انضم لهذه الدورة خمسة عشر أستاذا ، واستغرقت الدورة شهرا كاملا درست فيه المخطوط ومراجع التحقيق والمشكلات المنهجية فى التحقيق ، والمنهج الأمثل للتحقيق ، وقراءة النصوص ونسخها مع التعريف بمكتبة الأزهر .

حاضر فى هذه الدورة الأساتذة : د/ مهدى علام ، ود /حسين نصار ، د/ عبد العزيز الدالى د/ محمود فهمى حجازى وآخرون .

انتهت الدورة يوم الاثنين ٢٦ من ذى القعدة ١٤٠٦ هـ ٢/٨/١٩٨٦ م .

اجتاز الأساتذة اختباراتهم بنجاح ، وحصل الخمسة الأوائل على جوائز مالية ، قام بتوزيعها فضيلة د/عبد الفتاح بركة الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية .

يستعد الازهر لاقامة دورة تالية لدراسة نسخ المخطوطات استكمالا لدورة التحقيق .

مكتبة عربية اسلامية

ساهم عدد من أعضاء الجاليات العربية والاسلامية العاملين فى فرع الأمم المتحدة بفيينا فى انشاء وتكوين مكتبة اسلامية تعمل باحدث الأدوات والأجهزة الالكترونية . تضم المكتبة المراجع والكتب والنشرات والمجلات والصحف والمعاجم ، وتقدم خدماتها للوكالة الدولية للطاقة الذرية ومكتب الأمم المتحدة فى فيينا ومنظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية « اليونيدو » .

محاضرات عن الاسلام بجامعة فوردهام

بدات جامعة « فوردهام » بنيويورك فى

أحمد عبد الرحيم السايح

تنظيم محاضرات أسبوعية فى حرم الجامعة عن الاسلام دينا وحضارة •

وتلقت الجامعة مؤخرا المساعدات اللازمة من الجمعية الاسلامية للعلوم بالرياض لادخال مواد دراسية عن الاسلام واللغة العربية فى مناهج الجامعة •

من جهة أخرى قامت الجمعية الاسلامية بتسجيل المحاضرات التى ألقيت بمعهد « هارتفورد » عن الاسلام ، وتعتزم توزيع هذه المحاضرات على أكبر عدد من الجامعات •

تدريس الاقتصاد الاسلامى ضرورة شرعية

صرح الدكتور حسين شحاته مدير جمعية الاقتصاد الاسلامى والاستاذ بكلية تجارة الأزهر : بأن تدريس الاقتصاد الاسلامى بالجامعات ضرورة شرعية وذلك لحاجة المجتمع الاسلامى لمبادىء الاسلام الاقتصادية •

وقال : ان لوائح الجامعات يجب أن تنص على تدريس مناهج الاقتصاد الاسلامى بجوار الاقتصاد الوضعى ليتعرف الطالب على نظرة الاسلام الاقتصادية •

واضاف أن المنهج الاسلامى يدعو لرفع الكفاءة الانتاجية ولضبط وترشيد تكاليف الانتاج ، ولتنمية كفاءة العنصر البشرى كما يدعو المنهج الاسلامى الى الأخذ بنظام المشاركات الاسلامية كبديل للمعاملات الربوية •

صندوق النقد الدولى يتجه لدراسة الاقتصاد الاسلامى

بدأت لجان متخصصة بصندوق النقد الدولى فى دراسة الأسس التى يقوم عليها الاقتصاد الاسلامى وذلك بعد أن أشاد الصندوق بنظام المصارف الاسلامية التى ترفض التعامل بالربا على القروض •

وكانت مجلة « ستاف بيبرز » التى يصدرها الصندوق قد ذكرت أن النظام الاقتصادى القائم على الأسس الاسلامية هو أكثر استقرارا عند حدوث صدمات مالية • وهو ما لا يتوفر فى النظام المصرفى الغربى التقليدى •

السلوك عند الحكيم الترمذى ومصادره من السنة النبوية •

رسالة « دكتوراه » للزميل أحمد عبد الرحيم السايح محرر أنباء وآراء بمجلة الأزهر •

نوقشت الرسالة مساء الأربعاء ١٦ من شوال ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦/٧/٢ م تكونت لجنة المناقشة والحكم من فضيلة الأستاذ الدكتور محمد

أنباء وآراء

عبد الفضيل القوصى / وفضيلة الاستاذ الدكتور محمد أحمد الشريف ، وفضيلة الاستاذ الدكتور محمود مزروعة ، وفضيلة الدكتور على معبد فرغلى .

حصل الباحث على درجة العالمية من درجة استاذ - الدكتوراه) مع مرتبة الشرف الأولى وفق الله الزميل وسدد خطاه .

ثلاثة آلاف بلجيكى اعتنقوا الاسلام مؤخرا

أعلنت صحيفة « لوفيفا اكسبرس » البلجيكية بأن ثلاثة آلاف بلجيكى اعتنقوا الاسلام فى الآونة الأخيرة ، وتشهد العاصمة البلجيكية « بروكسل » حاليا نشاطا اسلاميا ملحوظا لدعم الدعوة الاسلامية فى الأراضى البلجيكية . فقد أقام المركز الاسلامى ببروكسل دورة تدريبية لجميع مدرسى التربية الاسلامية ببلجيكا .

بلغ عدد المشاركين فى هذه الدورة ستمائة مدرس . وتنقسم الدورة الى ثلاثة اقسام تبعا للغات : العربية والفرنسية والتركية .

مسلمات النمسا يتمسكن بالحجاب

ذكر الشيخ معصوم عيدى مدير المركز الاسلامى بالنمسا بأن المسلمات المقيمات بالنمسا ملتزمات بارتداء الحجاب الاسلامى كما يحرصن أيضا على أن ترتدى بناتهن حديثات السن الحجاب أو غطاء الرأس . وأضاف أن النمساويين عندما يشاهدون سيدة أو طفلة ترتدى الحجاب يعرفون أنها مسلمة . وبذلك أصبح الحجاب مظهرا من مظاهر المجتمع المسلم داخل أوربا .

وقال ان المراة المسلمة المرتدية الحجاب تنال احترام وتقدير المجتمع النمساوى ولا يمثل الحجاب أى عقبة أو مظهر من مظاهر التخلف . بل يعد مظهرا للتساؤل من قبل النمساويين عن حكمة ارتداء المرأة المسلمة

الحجاب خاصة وهى تعيش فى مجتمع أوربى وأكد مدير المركز الاسلامى بالنمسا على ضرورة أن تربى الأسر المسلمة فتياتها منذ الصغر على ارتداء الحجاب وبث معانى الاسلام فى صدورهن لحمايتهن من الانحراف والانحدار فى تيارات المجتمع الأوربى .

تعديل القوانين التى لا تتفق مع الشريعة

أنهت لجنة الشئون الدينية المنبثقة عن المؤتمر العام الرابع للحزب الوطنى الديمقراطى

أعمالها وأوصت اللجنة بالاسراع فى تعديل مواد القوانين التى لا تتفق مع الشريعة الاسلامية وفق ما سبق الاعلان عنه فى بيان الحكومة أمام مجلس الشعب لعام ١٩٨٦

وضرورة العمل على الانتقال التدريجى بالمجتمع من الأوضاع غير المتوازنة الى حالة من الكفاية

والعدل مع اعتماد اسلوب الاسلام فى الاصلاح المتدرج طريقا الى الانتقال بالمجتمع المصرى مما يشكو منه الى ما يرجو أن يكون عليه بالحكمة والطمأنينة .

وأوصت اللجنة التى ضمت كبار علماء الاسلام بتبنى الحزب منهجا اسلاميا لاصلاح المجتمع فى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية يصل بمصر الى اقامة المجتمع الفاضل الذى تنشده . مع ضرورة العناية بالمؤسسات العاملة فى حقل الدعوة الاسلامية وفى مقدمتها الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف من جميع النواحى العلمية والمالية والادارية والاعلامية .

الاسلام وجامعة فرانكفورت

يواصل العلماء والباحثون المسلمون جهودهم لانشاء كرسى فى جامعة فرانكفورت الألمانية للدراسات العربية والاسلامية وتأتى الفكرة فى اطار برامج معهد تاريخ العلوم العربية والاسلامية التابع للجامعة الذى قطع شوطا بعيدا من مرحلة تأسيسه . وبدأ فى تنفيذ سلسلة من مشاريعه التى تهدف الى نشر الثقافة الاسلامية فى الجامعات الألمانية .

وكانت الحكومة المحلية لمدينة فرانكفورت قد زادت مخصصات الجامعة لتوسيع الكليات ومخصصات العلوم التطبيقية والانسانية . وستساهم هذه الزيادة فى امكانية دعم الدراسات الاسلامية بالجامعة .

ويقوم معهد تاريخ العلوم العربية والاسلامية بجامعة فرانكفورت حاليا بالتوسع فى تدريس اللغة العربية للأجانب وبخاصة الألمان . وفى نطاق هذه النهضة التى تشهدها جامعة فرانكفورت يصدر معهد تاريخ العلوم العربية والاسلامية بالجامعة مجلة دورية تشكل بعثا جديدا للدراسات العربيةوالاسلامية فى مجالات العلوم .

تنشيط جمع الزكاة وحسن توزيعها

طالب المؤتمر الاسلامى الثانى للزكاة الذى نظمته حديثا دار الفتوى اللبنانية . تنشيط جمع فريضة الزكاة ، وحسن توزيعها لأنها ترتبط ارتباطا كليا باحياء الفرائض الاسلامية جميعها وخاصة تعزيز الدعوة الى الله ونشر الوعى الاسلامى للالتزام بأركان الاسلام شهد المؤتمر لفيف من العلماء والمفكرين من شتى بلدان العالم الاسلامى حيث أكدوا على ضرورة اتخاذ الخطوات اللازمة لتنسيق الجهود من أجل جمع الزكاة وتضافر الجهود الاسلامية للاستفادة من فريضة الزكاة .



من خير ما كتب

الدكتور / سعيد إسماعيل على
أستاذ أصول التربية
جامعة عين شمس

البعد الإسلامى فى إعداد المعلم

على الرغم من المحاولات الشرسة التى شهدها تاريخ مصر الحديث منذ الالتقاء الساخن بالحضارة الغربية أثناء حملة نابليون الاستعمارية عام ١٧٩٨ بهدف « تغريبها » وغزو عقلها وثقافتها لفصلها عن جذورها الممتدة فى أعماق الثقافة الإسلامية . الا أن تلك المحاولات التى تجىء فقط على أيدى أوربيين وأمريكيين . بل دعا إليها وتشيع لها مصريون أعلام . لم تؤت أكلها ، وان كانت قد نجحت مع الأسف الشديد فى اصابة الثقافة فى مصر بعديد من الجراح والآلام .

ومن الحقائق الأساسية التى أصبحت فى حكم المسلمات فى الدراسات التربوية المعاصرة ، أن التربية تشتق موجهاتها من ثقافة المجتمع الذى تمارس فعلها فى أحضانه . ونحن اذ نقول « ثقافة المجتمع » فانما نعنى بها هذا المعنى الشامل الذى يجعل منها وعاء يشمل كل ما هو مكتسب نتيجة جهد الإنسان سواء كان ذلك ماديا أو فكريا . لذلك يصبح من الضرورى لعملية الاعداد التربوى للمعلمين فى مصر ، أن تستند إلى الثقافة القائمة فى المجتمع المصرى بخصائصها وتياراتها وينابيعها الماضية والحاضرة ، المحلية والعالمية .

واذا كان من المحتم أن تحدث عملية اختيار هنا وانتقاء ، لتعزز الاحاطة الكاملة والشاملة بهذه الثقافة يكون من الطبيعى أن يتصدر الطابع العام ، والاتجاه الغالب على هذه الثقافة ، وهو بعدها الإسلامى ، ويكون ذلك بأن تحتل « التربية الإسلامية ، فلسفة وتاريخا واجتماعية » مكانا رئيسيا فى مناهج إعداد المعلم .

واذا كان البعض قد يجد حرجا فى ذلك نظرا للحقيقة المؤكدة بأن ليس كل طلاب معاهد وكليات التربية فى مصر مسلمين ، فاننا نرى مبالغة فى الشعور بهذا الحرج لأن دراسة نوعية من الفكر لا تعنى ضرورة فرضه ولا تستلزم الإيمان به . اننا لا نود هنا أن نخلط بين أهداف الدراسة العلمية التى تنحصر فى المعرفة والتثقيف والتحليل والنقد ، بين أهداف الدعوة التى تتجه إلى التبشير والترويج وكسب الأنصار والأعوان . أن أوضح أدلتنا على ذلك هذا العدد غير القليل من الأساتذة والباحثين الغربيين ممن اصطلحنا على تسميتهم بـ « المستشرقين » ، وهم يهود ومسيحيون ، نذروا حياتهم لدراسة الثقافة الإسلامية دون أن تشكل هذه



الدراسة خطرا على عقيدتهم ، وكم من معاهد ومراكز وأقسام فى العديد من الجامعات الغربية تتخصص فى الدراسات الإسلامية دون مخاصمة نتيجة اختلاف الملة والعقيدة .

ولم نذهب بعيداً ؟ فجميع الطلاب فى المدارس يدرسون تاريخ مصر الإسلامية باعتبار أنه يشكل حقيقة تاريخية لا يمكن اغفالها أو التغاضى عنها بغض النظر عن عقيدة الدارس ومذهبه .

إننا ونحن نعد طلابنا فى أقسام التاريخ والفلسفة بكليات الآداب ، نرى أن مستلزمات الدراسة التاريخية أن يدرس طلابها « التاريخ الإسلامى » ، وأن مستلزمات الدراسات الفلسفية أن يدرس طلابها « الفلسفة الإسلامية » وكذلك نجد أن مستلزمات الدراسة القانونية ، أن يدرس طلاب الحقوق الشريعة الإسلامية ، لأنها تشكل المصدر الرئيسى والتنظيم الاساسى فى العلاقات الاجتماعية فى مصر .. وبنفس هذا المنطق ، نرى نحن ضرورة أن تتضمن إعداد المعلمين فى مصر مادة قائمة بذاتها عن « التربية الإسلامية » .

الدكتور / جمال الدين محمود
رئيس محكمة النقض

العدل والرحمة جناحا المسئولية فى الإسلام

تعد المسئولية فى الإسلام تكليفاً على العباد من الله عز وجل والعقل فى الإسلام مناط التكليف فبهذا العقل شرف الإنسان على سائر مخلوقات الله لأن العقل والشرع معا هما فى الحقيقة جانبان لطريق واحد هو طريق الهداية للإنسان ـ وما أروع قول الإمام الغزالى : [العقل شرع من الداخل والشرع عقل من الخارج] .

وإذا كانت التكاليف الشرعية فى العبادات والمعاملات توجه إلى العقلاء فحسب فإن المسئولية أو الجزاء لا يمكن أن تلحق الإنسان إلا إذا كان عاقلاً مدركا ـ فلا مسئولية على الحيوان أو الجماد ـ كما كانت بعض النظم القانونية القديمة ـ ولا مسئولية على الصغير الذى لم تكتمل طاقته العقلية أو المجنون الذى زالت طاقته العقلية من قديم أو لسبب طارىء ولم يكتف الإسلام بمجرد توافر القدرة العقلية فى الإنسان ـ وهى تتوافر للصبى الصغير المميز فى معرفة الخير والشر لا سيما ما كان فطريا فى الإنسان ـ ولكن الإسلام وضع قدراً لا تفريط فيه لقيام المسئولية كاملة أمام الله والناس وفى العبادات والمعاملات وهو بلوغ الإنسان مبلغ الرجال من الناحية الظاهرة وفى هذه السن وهى سن البلوغ الطبيعى يستعد الإنسان بحسب الفطرة للمشاركة فى تكوين الجيل التالى وهنا يرى الإسلام بحق أن قدرته العقلية تبرر محاسبته على التمييز بين الخير والشر وبين الطاعة والعصيان وبين الهدى والضلال ـ

ولا مانع بعد ذلك من التدرج فى محاسبته بحسب إدراكه وعلمه وخبرته فيما ليس فيه نص قاطع من الشرع يحدد المسئولية ويعين الجزاء .

العدل والرحمة فى الجزاء

وحين تفرض المسئولية فى الإسلام على الإنسان يراعى الشارع الحكيم طاقات الإنسان وقدراته كلها - فهو العليم بالخلق - **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** - ولذلك فان الله تعالى فيما ورد من الحديث الشريف يتجاوز عما يحدث الإنسان به نفسه من شر لا يرتكبه لأن توارد خواطر الإنسان لا يكون فى مقدوره دائما منعه أو توجيهه وجهة الخير دائما - ومن ناحية أخرى فإن الإنسان لا يعيش منفرداً بنفسه منعزلا بنفسه عن غيره ولذلك كان لمواقف الغير ولظروف الحياة التى تفرض نفسها على الإنسان وزنها واثرها - فالمسئولية تنتهى حيث تقوم الضرورة - فالضرورات تبيح المحظورات .

« إلا ما اضطررتم إليه » فكانت الضرورة استثناء شرعيا من المسئولية - وهى فى العقل توجب نفس الحكم لأنه لا تكليف إلا بمقدور وبذلك يبدو أن العقل والشرع كلاهما جانب من طريق واحد خطه الله للإنسان .

المسئولية تقابل الحق

وحيث تكون المسئولية يقوم الحق بجانبها ليوازنها وليعين الإنسان على القيام بواجبه ، فالحاكم الذى لا يملك سلطة مطلقة لا يسأل عن رعيته ولكنه يسأل إذا كان يملك عليهم من الطاعة ورب الأسرة يسأل عن أهله لأن الشرع أعطاه حق التوجيه والإرشاد والإصلاح والحساب والعامل لا يسأل عن عمله حتى يعطى أجره والمواطن لا يسأل عن العصيان فى المعصية وانما يحاسب إذا قصر فى العمل المشروع أو امتدت يده إلى غيره بغير حق وحيثما نظرنا فى المجتمع وفئاته وأفراده وجدنا أنه حيث تكون المسئولية يوازنها الحق وبذلك يكون كل المجتمع سائلا ومسئولا فلا يخرج أحد من نطاق المسئولية مطلقا إلا إذا رضى لنفسه أن يكون مجرداً من كل سلطة ومحروما من كل حق وبذلك لا يكون هناك اعفاء من المسئولية لمن له سلطات أو حقوق فى المجتمع كما كان الشأن فى معاملة الملوك والقياصرة والأباطرة والأكاسرة أو كما يكون فى بعض النظم التى تقوم على الاستبداد والطغيان - فالإسلام يقيم نوعاً من الولاية المتبادلة بين الناس - « وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ » وذلك لأن المجتمع كله بجميع أفراده يتبادل الحقوق والواجبات ومن ثم تصبح المسئولية فى مقابل الحق ولا يشعر إنسان أنه يتحمل كل المسئولية ولا يملك حقاً يوازنها أو يصبح لإنسان كل الحقوق وليس هناك واجب يلتزم به أو مسئولية يتحملها أمام الناس .

فضيلة الشيخ / أحمد حسن مسلم
عضو لجنة الفتوى بالأزهر

الذين يركبون متن العناد

وهب الله تعالى الانسان العقل ليميز به الخير من الشر .. والحق من الباطل ، والنافع من الضار في كل شئون هذه الحياة ، فإذا سيطر حكم العقل سعد الانسان وافلح وربح ، وبالتالى يسعد معه مجتمعه الذى يعيش فيه ، ويسيطر عليه الأمن والأمان . والسلم والسلام ..

أما إذا خالف الانسان حكم العقل وسيطر عليه الهوى فإنه يركب متن العناد .. ومن ركب متن العناد قاده الشيطان إلى الهاوية وصدق الله رب العالمين حيث يقول : « **ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله** » ؟

وإذا تمكن العناد من النفس قادها إلى كل سوء . والحق بالمجتمع أفدح الأضرار ، وجعل هذه الحياة تعسة نكدة ، ولعل هذا هو السر فى قول النبى الكريم صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » أى لا يؤمن الانسان ايماناً كاملاً يحقق له الخير والسعادة ويحقق لمجتمعه الأمن والرخاء إلا إذا كل سعيه فى هذه الدنيا متمشياً مع هدى الوحى الذى وصل إلينا عن طريق أنبياء الله تعالى ورسله وخاتمهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

ونحن إذا نظرنا بنور البصر وبنور البصيرة إلى الآثار المترتبة على العناد رأيناها عميقة الضرر الذى يلحق بالأفراد والمجتمعات ، ولا سيما إذا كان هذا العناد نابعاً من أصحاب القيادات فى البشر الذين لا يخضعون لحكم العقل والمنطق والصواب .

والذين لا يخضعون لقوانين شرع الله تعالى ، إنهم بهذا الانحراف فى الرأى يقودون أقوامهم إلى التهلكة . ولو حكموا العقل وحكموا ما شرع الله لعباده لسعدوا وسعدت معهم أقوامهم الذين يخضعون لرأيهم وينزلون عند فكرهم .

إن تعاليم السماء تقول على لسان سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع » ووقوف الانسان بين يدى الله تعالى آت لا محالة ولو طال الزمان .. فماذا يكون جوابه إذا سئل عن فساد رأيه الذى حمل قومه عليه ؟

وخلاصة القول : أن تحكيم العقل والدين أصل كبير فى تحصيل السعادة ، وأن الخضوع للعناد والهوى أصل كبير فى جر الشر والبلاء ..

الدكتور / عبد الجليل شلبي

قرآن وسنة

الآداب العامة فى الاسلام السلام والاستئذان .

من ذلك أنه يسن لمن دخل على قوم أو مر بهم ـ جماعة أو أفراداً ـ أن يقرئهم السلام

بقوله : السلام عليكم . وابخل الناس من بخل بالسلام وورد : « من قال : السلام عليكم كتب الله له عشر حسنات ، فإذا قال « ورحمة الله » كتب له عشرون حسنة ، وإذا قال « وبركاته » كتب له ثلاثون حسنة ..

والرد على المسلم واجب ، وفى القرآن : **« وإذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها »** والأحسن منها أن يزيد على ما قال المسلم ، فإذا قال : « السلام عليكم » رد عليه بقوله « وعليكم السلام ورحمة الله » أو زاد « وبركاته » .

اما إذا قال البادىء « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » فإنه لم يبق لمن يرد عليه شيئاً يزيده ، فلذلك فهو يرد التحية فقط بمثلها .. ولا زيادة فى الشرع بعد هذا ..

وإذا دخل المسلم بيتاً فإنه لابد أن يستأذن اهله ، وإذا نادى من الخارج أو دق الجرس ، فقيل من ؟ فلا يقول أنا وإنما يذكر اسمه فإذا لم يؤذن له فى الدخول رجع بدون غضاضة أو امتعاض ، لأن الناس ليسوا على استعداد دائماً لاستقبال الزائرين .

وفى القرآن **« يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها ، ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ، فإن لم تجدوا فيها احداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو اذكى لكم ، والله بما تعملون عليم ، ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم ، والله يعلم ما تبدون وما تكتمون »** .

والبيوت غير المسكونة هى المحال العامة من بيوت التجارة ونحوها ، فهذه لا عورات فيها ، ولا تحتاج لاستئذان ..

وقد سأل رجل رسول الله [صلى الله عليه وسلم] عما إذا كان يستأذن على أمه أولاً ، فلما أرشده إلى الاستئذان قال إنها أمى ، يريد أن يبين مدى قربها منه ورفع الكلفة بينهما ، فقال له رسول الله [صلى الله عليه وسلم] : أتحب أن تراها عريانة ؟! قال : لا . قال فاستأذن عليها .

وهذه المسألة من مسائل الذوق الاجتماعى ، والبداية بالسلام تحدث ألفة بين الشخصين ، وترفع الحجاب عما بينهما ، وقد طلبت الآية أن يستأنس الداخل ، أى ينشىء او يطلب أنساً بمن هو داخل عليهم .

وفى الحديث : « تصافحوا يذهب الغل عنكم ، وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء » .

فالحمد لله إن كان ديننا دين وعى اجتماعى ..

ويكره أن تقبل يد من تسلم عليه إلا شخصاً ترجى بركته ، أو يجب احترامه كالوالد . وقد قبل سعد بن مالك يد رسول الله [صلى الله عليه وسلم] ، ولما وفد عليه عبد القيس ابتدروا يديه ورجليه وهو [صلى الله عليه وسلم] ترجى بركته ويجب احترامه وتقديره لا ريب ، صلى الله عليه وسلم .

ومن السنة أن يسلم الصغير على الكبير ، والمار على القاعد ، والراكب على الماشى .

هذا شىء من الآداب العامة أرشدنا إليه ديننا الحنيف ، وفيه من ذلك وأمثاله كثيرة والحمد لله ..

من أعلام الأزهر
الشيخ عبد الوهاب خلاف - بقية

وذلك أن المجتهدين وأهل الفتيا فى صدر الاسلام كانوا فى غنى عن قواعد وبحوث لغوية يتوصلون بها الى استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها •

وكذلك كانوا فى غنى عن قواعد وبحوث تشريعيه لأنهم قريبو العهد بالرسول — صلى الله عليه وسلم — وقد شهدوا فجر التشريع ووقفوا على أسباب نزول الآيات وورود الأحاديث وعرفوا من ذلك كله مقاصد الشارع ومبادئه وأسرار التشريع وعلله واستقر ذلك فى نفوسهم وكون لهم ملكة تشريعية لم يحتاجوا الى غيرها فى فهم النصوص وفى الاستنباط فيما لا نص فيه •

وأما من جاءوا بعد الصدر الأول من المسلمين فلم تسلم لهم تلك الملكة اللسانية التى سلمت لسلفهم لهذا مست الحاجة الى وضع قواعد وبحوث لغوية يتوصل بها الى فهم النصوص العربية على مقتضى أساليب اللغة العربية ومسالكها فى الدلالة •

وكذلك لم تسلم لهم تلك الملكة التشريعية التى سلمت لسلفهم لبعد العهد بفجر التشريع فمست الحاجة أيضا الى وضع قواعد وبحوث تضبط مقاصد الشارع ومبادئه ليتوصل بها الى فهم النصوص حق فهمها والاستنباط فيما لا نص فيه •

وهذه الضوابط اللغوية والمبادىء التشريعية بدأت قليلة مبثوثة فى ثنايا الأحكام الفقهية وعللها ففيما كتبه أصحاب أبى حنيفة عنه من الأحكام ، وفى موطأ الامام مالك بن أنس ، وفى كثير مما دون فى عهد الأئمة المجتهدين بعض قواعد هذا العلم وبحوثه لأن كل مجتهد كان يشير الى ما بنى عليه اجتهاده من مبادىء لغوية أوتشريعيه •

وأول من دون من قواعد هذا العلم وبحوثه مجموعة مستقلة مرتبة مؤيدا كل بحث بالبرهان ، ووجهة النظر فيه الامام محمد بن ادريس الشافعى المتوفى سنة ٢٠٤ للهجرة فقد كتب فيه رسالته الأصولية التى رواها عنه صاحبه الربيع المرادى وهى أول ما دون فى هذا العلم فيما نعلم ، ولهذا اشتهر على ألسنة العلماء أن واضع علم أصول الفقه الامام الشافعى ، وتتابع العلماء على التأليف فى هذا العلم بين اسهاب وايجاز (١)

وبعد

فلقد خدم الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف الشريعة الاسلامية ، خدمها بقلمه وبمحاضراته وبأحاديثه وبحوثه خدمها بشىء آخر هو شخصيته الوقورة المهيبة، رحمه الله ورضى عنه وأجزل له عظيم الأجر وجميل المثوبة قال تعالى « يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ » (٢)

---

(١) المرجع السابق •

(٢) سورة المجادلة ١١ •

أ- حول مقال نسب الإمام الشافعي

رضى الله عنه وقسم المعلومات بالأهرام

المنشور بعدد ذي القعدة

١٤٠٦

كتب الأستاذ السيد حسن قرون إلى المجلة بالرسالة التالية:

الأخ العزيز الدكتور على احمد الخطيب رئيس تحرير مجلة الأزهر تحية من الله مباركة وبعد .. فلقد عنَّ لى ان اردّ على رسالة الأديب عبد الرحمن سيد عبد الرعوف التى ياخذ علىّ فيها ما ذكرته فى المقالة فكتبت ..

فارجو نشر تلك المقالة إن وجدت انها تفيد الحقيقة للقارىء ولكم منى جزيل الشكر والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

** ** **

السيد حسن قرون

جاءتنى رسالة قيمة من الأديب البار الأستاذ عبد الرحمن سيد عبد الرعوف مدرس اللغة العربية بمدرسة أدفو الاعدادية الحديثة . ياخذ علىّ شيئين فى شىء واحد هو البيت الذي نسبته لأبى طالب وجاء مكسورا وهو :

ايا اخوينا عبد شمس ونوفلا أعيذكما بالله أن تحدثا بيننا حربا

والأستاذ عبد الرحمن عدَّ البيت مكسوراً بزيادة لفظ « بيننا » وبحذفه يسلم البيت وله مراجعة فى هذا الشان شواهد « قطر الندى وبل الصدى » وكتاب السيرة النبوية لابن هشام وعَيَّنَ الصفحة فى كل كتاب .. وقال : إن البيت لطالب بن أبى طالب وبالرجوع إلى ما ذكرتبين لى صحة ما ذهب إليه ، وقد يكون لمحفوظاتى دخل فى الخلط بين قول الوالد « أبى طالب » والابن « طالب » فأبو طالب يقول فى بعض قصائده يخاطب بعض قبائل قريش الذين افسدوا الود بين هاشم والمطلب وبقية بطون قريش ..

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا وتيما ومخزوما عقوقا ومأثما

بتفريقهم من بعد ود والفة
جماعتنا كيما ينالوا المحارما

كان هذا في بدء الدعوة إلى الإسلام في مكة ، ولكن ما قاله الابن طالب بن أبي طالب قاله عقب غزوة بدر ، وتراه مضطربا مفرق الفكر غير واضح الخطة ، فهو يبكي قتلى بدر في لهفة حارة ويمدح محمداً ﷺ بشعر صادق ، وتحار في ذلك الموقف فمن تلك الأبيات يجيء هذا البيت الذى يدور حوله المقال ففي صفحة ٢٧٣ من الجزء الثاني « سيرة بن هشام » جاء هذا العنوان ..

وقال طالب بن أبي طالب يمدح رسول الله ﷺ ويبكي أصحاب القليب من قريش يوم بدر :

ألا إن عيني انفدت دمعها سكْبا
تبكي على كعب وما إن ترى كعْبا

وكعب هو كعب بن لؤى راس القبيلة المقابلة لعامر بن لؤى يقول فيها ..

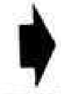
فيا أخوينا عبد شمس ونوفلا
فدًا لكما لا تبعثوا بيننا حربا
ولا تصبحوا من بعد ود والفة
احاديث فيها كلكم يشتكي النكبا

وترى الألفاظ هنا متقاربة بين قول الأب أبي طالب والابن طالب ، وأن ما أسقطه الأستاذ عبد الرحمن للوزن مثبت هنا بالرواية الصحيحة : « فدا لكما لا تبعثوا بيننا حربا » فقد كان يرى كما رأى أبوه أن عبد شمس وما ولدت ونوفلا وما انجبت يجب أن تكون مع أخويهما هاشم والمطلب وهم أبناء « عبد مناف » سيد قريش وكنانة ..

ويمدح النبي ﷺ ويحتج على موقف قريش منه فيقول :

فما إنْ جنينا في قريش عظيمة
سوى أن حمينا خير من وطيء التربا

وهو بيت في غاية الجمال يمثل صورة جميلة لخير الناس محمد ﷺ ولو كان طالب يملك عقله لآمن وانضم إلى جيش المسلمين ولكنه بكى ونهكته هزيمة قريش حتى قرر



رسالة قارئ

الانسحاب والاتجاه إلى مكان لا يعرفه احد لقد وقف أبوه مناصرا ابن اخيه وهو غير داخل فى الإسلام ولم يهرب من المواجهة ولكن طالبا خالف الشجاعة الهاشمية فلم يكن بطلا فى الحرب ولا داعية إلى السلم على حين كل اخوته قد أسلموا : على وجعفر وعقيل وكانوا أبطالا ..

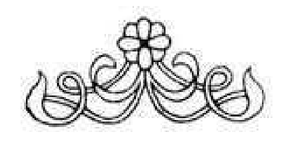
واختلاف نوفل وعبد شمس ومنه امية مع هاشم والمطلب والقتال الذى دار بين الفريقين فى بدر جعل هند بنت عتبة « من بني عبد شمس » وزوج أبى سفيان بن حرب بن أمية تقول فى مقتل ابيها وتذكر هاشما والمطلب :

أعيني جودا بدمع سرب
على خير خندف لم ينقلب
تداعى له رهطه غدوةً
بنو هاشم وبنو المطلب

وتأمل قولها فى ابيها « خير خندف » وخِنْدِف تجمع كل قبائل الياس بن مضر من بني أسد وبنى تميم وضبة وكنانة وقريش ومزينة ، ومن قتل هذا العظيم ؟ قومه بنو هاشم وبنو المطلب ..

ولقد فتح نفسى لتجلية الموقف الأستاذ عبد الرحمن سيد" فتح الله عليه" واشكره على إعجابه بمقالاتى فى مجلة الأزهر التى يهتم بها ويحرص على تجليدها ..

السيد حسن قرون ..



ب - حول مقال الأفكار الخاطئة

التي ينشرها المستشرقون

وردت الرسالة التالية إلى المجلة :
الأستاذ الفاضل / رئيس التحرير
بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ومن اتبعهم إلى يوم الدين ..

ورد في عدد شهر رمضان في مجلة الأزهر الغراء مقال « الأفكار الخاطئة التى ينشرها المستشرقون » للدكتور موريس بوكاى صفحة ١٣٦٨ ، جاء بهذا المقال صفحة ١٣٧٤ على لسان د . بوكاى أن ترجمته لمعنى "العلق" أنه شىء يعلق كما يتفق مع حقائق علم الأجنة كما بينه بعد ذلك وأنه ليس دما متجلطا كما ورد في الترجمات للقرآن .. وأرى هذا التفسير يختلف عن الحديث الصحيح للنبي ﷺ الذى رواه الامام البخارى ومسلم وجاء في الأربعين النووية « عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال حدثنا رسول الله ﷺ وآله وسلم وهو الصادق المصدوق « أن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويأمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أوسعيد » ..
إلى آخـر الحديـث ..

وكما قال الامام النووي في الشرح « انه قيل:إن النطفة في الـطور الأول تسرى في جسد المرأة اربعين يوماً وهى « أيام التوحمة » ثم بعد ذلك تجمع ويذر عليها من تربة المولود فتصير علقة ثم يستمر في الطور الثانى فياخذ في الكبر حتى تصير مضغة ..
وإذا كان علم الأجنة يقول:أن البويضة المخصبة تعلق في اليوم السادس فليس معنى هذا أن العلقة من التعلق ، بل نقول : أنها ـ كما جاءت في كتب التفسير ـ من دم متجلط وانظر مثلاً إلى البيضة تجدها بعد فترة من الوقت إذا كانت في درجة حرارة مرتفعة يصير بها دم .. من أين جاء هذا بدءا لتكوين الجنين والله أعلم ..

ورد أيضاً فى المقال رأى د . بوكاى فى آراء المفسرين عند التفسير لبعض الظواهر الطبيعية ، ولنا رأى أن كبار المفسرين لا يمكن أن نتهمهم بالخطأ هكذا بمنتهى السهولة ..

وهذا رأينا ونسأل الله تعالى أن يلهمنا الصواب والله ولى التوفيق ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

د . محمود يوسف جمال
ماجستير طب الأطفال ـ الجزء الثانى
جامعة القاهرة

وهذا جواب كاتب المقال ، قال سيادته :

الجواب يتركز فى نقطتين :

الأولى : أن المترجم نقل رأى الكاتب « الدكتور بوكاى » بأمانة . وهو ليس مسئولا عن هذا الرأى ..

الثانية : انه لا قطع برأى علمى تفسيراً للقرآن أو برأى علمى تحمل عليه مفاهيم الآيات القرآنية ..

ولقد نبه المترجم تعليقا بالهامش على الترجمة على أنه لا يوافق أن يفسر القرآن تفسيراً علميا مباشراً ذلك أن المكتشفات والنظريات العلمية متغيرة بطبيعتها ..

وإذا سمح بالبيان العلمى كان السماح بشرط أن يكون البيان العلمى تعليقا على التفسير بالمأثور أوالتفسير البيانى ، لا أصلا تحمل عليه مفاهيم الآيات ، أو يلتحق بالنصوص ..

ومن هنا فإن تفسير « العلق » أو« العلقة » بالشىء الذى يعلق ، أو بالدم المتجلط ، لا يعدو أن يكون فهما ـ جائزا ، ولكل وجهة ..

ولا يصح القطع بأى منهما على وجه تجبر عليه الآيات ..

هذا وبالله التوفيق ..

محمد حسام الدين

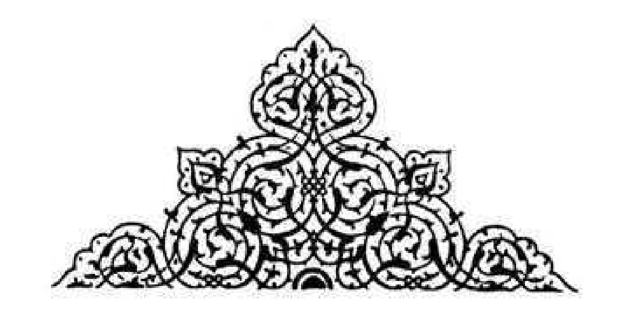
فهرس العدد

الموضوع — الصفحة

الموضـــوع | الصـــفحة

مراجعة وعناوين داخلية
الأستاذ عبد المنعم ابراهيم مهنا

alone is the sole directing force in the life of the whole universe including mankind. The aim of every person who submits to Allah (God) is not to make other people do what he wants, but what Allah (God) wants. This is living through Allah's guidance, accepting what is allowed and permitted, and rejecting what is forbidden. Islamic teachings constitute a complete integrated comprehensive code that is applicable and specific to all the various facets of human life. This code deals with personal individual conduct; family structure and ties community relationships; governmental growth, jurisdiction and authority; financial buildup and economic systems; individual and community health; scientific progress, mental and moral civilization founded on education and knowledge; combat of social diseases; regulation with precision of the individual's role in the society; and above all justice, dignity, and the real true rights of man. There is nothing that concerns the life of mankind that is not considered i; combat of social diseases;
regulation with precision of the individual's role in the society; and above all justice, dignity, and the real true rights of man. There is nothing that concerns the life of mankind that
is not considered if beneficial sound knowledge of the endless horizons of truth and reality. It satisfies the requirements of mankind both the material and the spiritual, and disciplines the desires and releases in safety the twists of human complexities. It is the saviour of mankind in this life and in the Hereafter to attain "Falah".



social disconcert and morbid violent confusion of human communities arises essentially from the deviation away from spiritual commitment. Man-made laws of social structure are evry diverse and inadquate, being basically founded on changing the material environment of the individual and that man can create his own truth and reality and mold himself to fit into it. Such philosophy with its opposing ideologies of socialism and capitalism has resulted in the formulation of false gods and has stranded human understanding into a state of selfish blindness and social injustice, into a form of virulent secular nationalism and self worship. The evils and malignancy of a materialistic secular society find support and advocates among members of the scientific arena who accept and provide logic to the various categories of secular knowledge because they know no other; and the best of them try to force religious and spiritual values to fit into that logic; while it is secular knowledge that should fit religious and spiritual values and disciplines.

The pursuit of man-made social reformation is a delusion that will elevate itself to a false god and will finally degenerate into the imposition of the founder's own selfish and narrow view of right and wrong on the saciety at large.

The essential task facing each individual is not how to change others, but how to change oneself. The objective is spiritual renewal at one's own level which is achieved by one's possession of basic human rights and dignity. These basic human rights and dignity are provided to mankind by Islam, and are supported by Divine Guidance how to implement these rights at all levels of human social structure; personal, familial, community, national, and mankind at large. Islamic teachings indicate that human nature is inherently good, and the continual rememberance of Allah (God) produces virtue and sustains righteousness. The uniquely complex disciplines of the human communities emphasize the need for structural innovation. Such requirements can be drawn from the dynamism, practicability and moderation of the Divine Guidance and the Islamic law of jurisprudence. In this law, there is no power struggle, no racial discremination or prejudice, no injustice. The Holy Quran states "And we have made you nations and tribes so that you may know and cooperate with one another. Verily, the most honoured of you in the sight of Allah (God) is the one who is most God-fearing. Allah is All-Knowing, All-Cognizant. (Surat Al-Hujurat, XLIX, 13).

The ultimate aim of every religion is to restore the faith and belief in the hearts and minds of mankind that Allah (God)



man's fulfilment. The modern age appears to suffer a surgence of secular triumphalism; the blind understanding that man can create and uphold truth and reality, and solve all his problems without divine guidance is a grave mistake. This understanding inevitably results from man's arrogant and ignorant worship of the self, and claim power by extortion of an exclusivist monopoly of truth and reality, and rejecting to consider the validity of any other channel of thought. According to Islamic philosophy, all human activity and effort should be directed towards the achievement of spiritual and moral excellence. Man must utilize the powers of observations, analysis, reasoning and judgement in a logical scheme within the framework of freedom of choice, thought and action. This frame work of individual freedom originates from by the direct relationship of man with Allah (God), being alone responsible for his deeds and conduct, and his conscience answerable only to Allah (God). Man is provided with spiritual guidance and jurisprudence, and is endowed with qualities of thought and reasoning. Islam teaches that all human activity should to directed towards the achievement of "Falah" - which is a total comprehensive tangible understanding of a pan success and welfare of the individual in this life and the Hereafter. The society that neglects the preparation for the Hereafter can never achieve "Falah" in this life. Ibn khaldun indicates that the ascent and decline of civilizations and nationhood is spiritual and moral performance. The commitment to a transcendent goal in belief induces ascendancy, prosperity and "Falah" ; while indifference to the transcendent in rejection of belief leads to moral corruption, false gods, spirtual decay, social and individual injustice, and the downfall of the civilization. Every ultimate value or purpose other than Allah (God) is basically false and contrary to Reality.

The world wide surfeit of materialism and false gods resulted in a crescendo of social disruption and disintegration manifested in crime, rape, murder, sexual perversion, psychopathias, mental delusions delinquencies, alcoholic and drug addiction, and child abuse. These are some of the more common signs and symptoms of a diseased unhealthy human community. Inspite of all the vigilant painstaking diligant efforts of social reformers, the pathology and disease patterns of mankind the word over are rapidly increasing. No real safeguards remair to exist in the world social order of today, and human communities live in perpetual fear and unstability.

The origin and etiology of all forms and manifestations of

ISLAM AND MANKIND

By : Fathy Mahmoud Youssuf

The teachings of Islam have been precisely detailed in the Revelation of the Holy Quran. These teachings have been formulated in comprehensive laws of Sharia by the Hadith and the traditions of the Prophet Muhammad (prayers and peace be upon him). The precepts of the Islamic Sharia encompasses all aspects of the worldly life of mankind, and deals with precision and practical realism the fundamental rights and duties of man in society. The jurisprudence of the Islamic Sharia governs the moral and sociatal aspects of human life, and satisfies the requirements for a healthy pychological,spiritual and bodily balanced stability of man. The present treatise deals with major issues that are most relevant to mankind in current world circumstances. The understanding of the basic Islamic beliefs can most certainly releave mankind of existing social distortions. An analysis of Islamic thought and jurisprudence regarding the individual, the family, the community and the state, will provide a total integrated struture of a healthy human life. The only requirement is the proper and optimal implementation of the Islamic Sharia founded on gradual basis of education. The issues discussed are illustrative of the degree of pertinence and suitability of Islamic teachings to human nature. Inspite of, and contrary to the biassed unfounded and unscientific trends of prevailing unreligious world thought today, the teachings of Islam will remain to be the only and most suitable form of system for the life of mankind, if properly understoad and properly implemented.

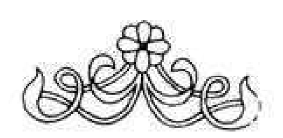
The rapid and malignant growth of atheism materialism, and religious decline has identified the existance of polytheistic concepts that organised the formulation of false gods in the mind of man. These originate from subtle premises of thought, the goals of personal power, wealth, prestige or the like, that substitute for the belief in the One God in the person's value system. Such false god's eventually and inevitably destroy their own worshippers. This understanding is a basic message in Islamic teachings. The pursuit of false gods manifests itself in the deviation from truth and reality which are the prerequists to

dignity, freedem and respect. Communism is basically built on class antagonism and conflict, while Islam formulates respect, love, cohesion between classes. The core of communist ideology is abolishment of law system regulating the relationships between individuals, and between the society and state; such is absolutely rejected is Islam, where an integrated system of Sharia (Low of Jurisprudence) is most highly recognised.

The Islamic system is basically based on Islamic beliefs, all of which control the individual relations between people and safequards their interests; balancing that with the interests of the society and public at lavge. Power interference establishes and maintains the existance of this equilibrium. Without faith and belief, such equilibrium will be impossible to maintain, and individual interests will dominate as occurs in a liberal system, or power interferance dominate for its intersts as occurs in a communist system.

Islam teaches that Allah (God) has honoured man and guaranteed his freedom and human diginity, and essential equality. Those who are more beneficial to society are the preferable. The wellfare of man in this world and in the hereafter is the corner stone of Islam, for man is regarded as vicergent of Allah (God) on earth. Man in an implemented Islamic system has to practice his full rights and freedoms given to him, and to safeguard these rights, they become preserved for others.

The Islamic law controlls all walks of life, political, economical, cultural, social, scientific, familial and all other details. The head of the state enjoys same rights and falls under all obligations. The Islamic state has a unique independent personality derived from belief in Allah and submission to the Jurisprudence of the Holy Quran and the Sunna of the Prophet (prayers and peace from Allah be upon him).



political power maintains a political guarantee for preserving human and freedom.

The nature of the Islamic system although it bears some similarities to current ideologies and political schools yet it is essentially unique and basically different to all other. The prime factor that determines this difference is that the Islamic system is derived from the Holy Quran, the Revelation from Allah, and from the Sunnah and traditions of the Messenger of Allah-Muhammad (prayers and peace be upon him). This makes the Islamic system totally divine; while all other political doctrines are man-made. This in itself makes the whole differences in oncepts, understanding, legislation and implementation.

An analysis of the similarities and differences between the Islamic doctrines and other ideologies can be made comprehensive by comparing Islamic teachings with other schools. Such an analysis will reveal that even in aspects of similarities there are root differences. Islam and neoliberalism have similar power activity to ensure social rights, however, their sources and ultimate consequences are very different. Again, the right of ownership bears different philosophies and limitations in both systems. The integration achieved between the individual and public interests in the Isalamic system is not realised in the neoliberalist system due to conciliation, fluency, and lack of confidence, between state and individual. The concept of secularism in the neoliberalist thought is too far reaching and severely encroaches on the spiritual element in the life of man. The concept of capital investment and the whole fiscal system is totally different in Islam than in liberalism. Another important facet of difference lies in the concept of human rights and freedom; such in the liberalist system is totally mutilated, misunderstoad, malpracticed, and wrongly implemented.

Islam socialist ideology rejects monopoly, exploitation and social injustica. However, the means implemented to prevent such social disorders are very diverse and different. Self criticism is a form of propaganda and hypocritical, while in Islam, it is a bosic ordinance akin to Towba (repentence). The concept of the "Shura" of group dicision-making is unprecedented in any man made ideology. Extreme socialist thought (Communist) essentialy rejects belief and religious practice, and consequently deprives the society from basic understanding of confidence, human

and wealth of the deceased takes place according to the exact text of the defined system of heirship heredity and testment and not according to the desire in a written statement of will.

Power interference in an Islamic system also aims at establishing, maintaning and controlling a very distinct equilibrium between individual and public interests. This is achieved by a sytem of social guarantee and upholding human rights and freedom.

The system of social guarantee is essentially the direct outcome of a healthy, virtuous, mentally stable, benificiary social environment. An honest society is a prosperous society where poverty and need should be erradicated; and where the highest degree of mutual respect and love prevail. In such society, all individuals Muslims and Non-Muslims alike enjoy the advantoges and values of social guarantee. This social provision dominates consequent upon two main essentials a material and a mental. The material aspect aims at establishing homogeneity and social cohesion by preventing class prejudice and distinction, by abolishing crime and its causes, avoiding capital influence, and prevention of social disorder. The mental aspect is the achievement of a stable healthy mental pattern of the society by always establishing what is right and forbidding what is wong-the optimization of virtue in the society. Social guarante is not a mere moral and religious instruction, it is a legalized legislated system which is protected by judicial claims, and the state power must interfere if necessary to ensure it.

Social guarantee of individual and public interests is verified by both legal and religious means. The legal aspest is achieved by the priority to protect and defend the working class as an apriori right maintaing a balance of this right and labour production, efficiency and output. The religious aspect constitutes "the Zakat", charity endowments, vows and the like. This premises of funds are properly redistributed in the society according to a well legalised legislated system made functional by Islamic teachings.

The upholding of human rights and freedom are ensured by both legal and political constitution. The Islamic system of "Hudud" is administered through an independent infallible judiciary function. The freedom of public opinion and public

of the individual, and the security of the state. The security of the individual comprises, the person, the family, the community and the society at large; and also inculcates the Islamic personality which is based on faith, discipline, ,aternity, and moral excellence in a manner that leads to :ohesion and balance of the society. This cohesion and balance is ichieved and maintained by the system of the "Hisbah" which :ontrols and protects individual rights and values; and by the)enalty policy of the "Hudud". The security of the state is the)reservation of the external security of the state which is achieved by the "Dawah" to Islam through the propagation and explanation of Islamic teachings, and by "Jihad". Jihad defends dignity, independence, freedom, and ligitimizes itself to oppose oppression and persecution, to defend freedom of belief, to maintain justice and human rights, to secure peaceful dawah, and to defend state treaties.

A second important aspect of power interfernce is the imposition of a specific economic system and controlled economic activity without encroaching on presonal freedom. According to the principles of the Islamic economy system, the economic activity of the individual should conform with the individual's material interests together with the economical public interest and balance. These activities on the part of the individual are basically controlled by personal moral principles of truth, honesty, promise, confidence and quality control of trade commodities. Such media of trade honesty and efficiency is safeguarded by state authority. The whole structure of trade and economic system guarantees equal opportunities, prevents monopoly and profiteering, rejects exploitation, extravagance, hoarding and black marketing. Usury (Riba) is absolutely condemned, while the trade concept of offer and demand is respected. Power interference on price control of commodaties takes place only in specific circumstances.

The Islamic system of state power establishes an accurate organization of personal ownership. In its practical application, it takes into consideration the innate quality of human nature to procure and preserve material wealth. There is no expropriation by the state except in case of necessity for public advantage and on prompt payment of adequate compensation. There is no confiscation of legally gained and legitimately obtained profits or property. Capital investment is highly encouraged. All property, trade activities, captial possession must be subject to the law of "Zakat". State authority is responsible for collection and redistribution of the "Zakat" in its proper legislated channels. The distribution of the property

THE ISLAMIC SYSTEM-ITS SOURCES AND NATURE

By: Dr. Fawzy Muhammad Tayel

The Islamic state is that whose constitutional structure is based on and derived from the Holy Quran and the Sunnah (tradition of the Prophet prayers and peace be upon him). This constitutional structure aims at implementing the Shariah (Islamic law of Jurisprudence) as its system of governance in all walks of life.

The first Islamic state was in reality established by the first Khalifa of Islam Abu-Bakre Ibn Kuhafa, and was later developed by his successor Omar Ibn Al-Khattab. The Prophet Muhammad (prayers and peace be upon him), however,was essentially the founder of Islamic teachings as were derived from the Revelation of the Holy Quran, and his traditions. It was during the life time of the Prophet (prayers and peace by upon him) that the complete facets of Islamic teachings were recognised and practiced by the compainons that formed the Islamic community at the time.

The Islamic law of Jurisprudence derives its elements from the Holy Quran and the Sunnah as the fundamental sources of the Islamic constitutional system. Diligence and effort on the part of the learned men (Ulama) to understand, extract, derive, formulate, and explain the Islamic law system from its souress must be a perpetual duty.

One of the most important and critical aspects of the Islamic system of Shariah is power interference. The excercise of power activities in an Islamic state is a very balanced and calibrated authority; being essentially for safeguarding the integrity and security of the Islamic society, and the imposition of a regulatory mechanism upon economic structural systems and activities to safeguard the overall wellfare of the community and society.

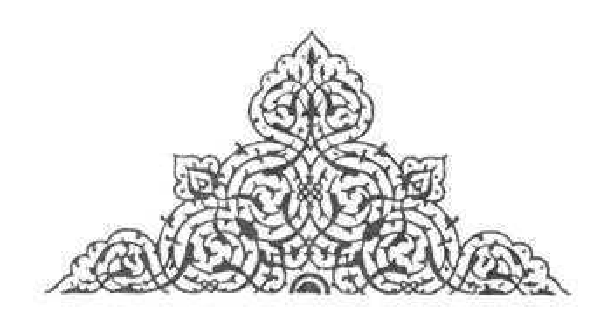
The security of the Islamic society constitutes the security

Allah, an appraisal of devoutness, a practice of their perseverance, and an experience for long distance travel in adverse conditions. The unique nature and significance of the campaign to Tabouk was at the time and even today beyond complete appreciation and understanding; even those who remained behind experienced an acrimonous ordeal. It was the last campaign that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) commanded. Furthermore, the campaign of Tabouk and the great battle of Badre are the only two whose events have been detailed and particularized in seperate Suras of the Revelation of the Holy Quran.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was conscious of the mental patterns and psychological structure of the Muslim army as it tracked its way south from Tabouk to Al-Madinah. With great precision and tact of command, the army was governed back to Al-Madinah. Some chroniclers, however, relate that on the way back from Tabouk, there was an incident of an attempt to kill the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). It was schemed by a band of fourteen hypocrites to push the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) from over a ridge as they rode over it. Huzaifa Ibn Al-Yaman and Ammar Ibn Yasser were close and were able to confront the masked renegades and blind their mounts but could not identify them. The identities of these men was revealed to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) through divine knowledge, and their names were disclosed only to Huzaifa Ibn Al-Yaman and told to keep them secret. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) when asked to order the killing of those hypocrites said "I hate that people will speak that Muhammad kills his companions ".

The army was entering the outskirts of Al-Madinah and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) said "In Al-Madinah, there are folks who were with you at every pace you walked and at every valley you crossed, they were detained by excuse". It was the month of Ramadan of the nineth year of Hijrah when the Muslim army arrived at Al-Madinah.

Prayers and peace be upon our magnanimous prophet.



the heart, and the best deeds are those that are useful, and the little that suffices is better than the plenty that .distracts, and the best of riches is the richness of the self, and the head of wisdom is the fear of Allah, and the best that dwells the heart is certainty of believe "Yaquin", and uncertainity is the root of disbelief, and intoxication is the gathering of evil, and the worst investment is Usury "Riba", and the worst food is the illicit possession of the Orphan's money, and the best of all characters of man is patience, I ask Allah forgiveness for myself and my people, I ask Allah forgiveness for myself and my people, I ask Allah forgiveness for myself and my people".

After the withdrawal of the Bezantine forces from the borders, and the organization of the peace treaties with the peoples of Aylah, Al-Jarbaa, and Azrouh; there was no purpose for the Muslim army to remain any longer in Tabouk. Preparations for the return journey were made, however, one more security measure had to be assured. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) ordered Khalid Ibn Al-Walid at the head of four hundred horsemen to go to Dumat Al-Jandal to the north-east of Tabouk a stronghold on the roads from Al-Madinah to Syria and Iraq. There were fears that Ukaydir Ibn Abdel-Malek Al-Kindi, the Christian King of Dumat Al-Jandal would later allow and assist Berzantine troops to infilterate the frontiers and invade Muslim territory. Khalid Ibn Al-Walid went north - east to Dumat Al-Jandal, and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) with the remainder of the Muslim army travelled south to Al-Madinah. Khalid entered Dumat Al-Jandal meeting no resistance and captured Ukaydir while out hunting, took him back to Al-Madinah with two thousand camels, one thousand sheep, grain and armour. At Al-Madinah, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) gave Ukaydir his freedom and arranged a peace treaty of Muslim protectorship of Dumat Al-Jandal for a yearly tribute. Some chroniclers relate that Ukaydir entered Islam.

The journey back from Tabouk to Al-Madinah was also possessed with hardships. The very limited provisions of water and food, the extreme heat and dryness and the physical exhuastion of the men. The purpose of the whole campaign to Tabouk was not significant in the minds of many. There was no combat, no martyrdom, no bravery excersiced, no spoils of war collected. They could not appreciate the premonitory political, strategic and security values of the withdrawal of the Bezantine forces into Syria, and the peace treaties transacted with frontier communities; what has been achieved was not worth the extreme hardships they have experienced. Others fully identified the great importance of what had been accomplished, and also recognized that the whole campaign to Tabouk was ordained by

heavy sand storms that blinded people and mounts. The army pursued its march to Tabouk.

One night, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) said to his campanions "Tomorrow, Allah willing, you will come unto the spring of Tabouk, you will not reach it until the sun be hot. Whoso cometh unto it, let him not touch its water until I myself be come" The first two men to reach the spring drank from it, and when the main army arrived, the water from the spring had become less than a trickle. The two men were rebuked for disobeying instructions. The prophet (prayers and peace from Allah upon him) ordered that as much water as possible to be scoooped up and made ablution and poured the ablution water over the mouth of the spring supplicating to Allah with stoicism and humbleness. Soon, water gushed forth from the spring and continued to flow to satisfy the needs of all. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him)turned to Muadh Ibn Jabal, who stood nearby and said "It may be, O Muadh, that thou shall live to see this place as a vale of many gardens".

The Muslim army remained in Tabouk for twenty days. There was no encounter with Bezantine forces who left the frontiers to the interior of Syria for its defence under the impression that the Muslim army might invade Syria. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) had no such intention and remained at the frontiers. While at the frontiers, several peace treaties were arranged with Christian and Jewish communities living on the frontiers and along the eastern coast of the gulf of Aqabah. In return for a yearly tribute, they were offered protection by the Islamic state. These peace treaties were with Yuhanna Ibn Rubah, the peoples of Al-Jarbaa, and Azrouh. A document of security was signed which stated. "In the name of Allah most Gracious most Merciful. This is a secrity from Allah and Muhammed the Messenger of Allah to Yuhanna and the people of Aylah, their mounts on land and sea. They have the covenant of Allah and the Messenger of Allah, and those with them from the people of Syria, and the people of Yemen, and the people from the sea. They are granted safe passage on all roads they travel".

Some chroniclers relate that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) spoke to his companions while in Tabouk with these words. With his back to a palm tree, he praised Allah and said "The speech of utmost truth is the Book of Allah, and the tightest bond is "Taqwa", and best faith is the faith of Ibrahim, and the best tradition is the sunna of Muhammad, and the most honourable speech is the remembrance of Allah, and the best examples for guidance is that of the Prophets, and the most honourable death is in martyrdom, and the worst blindness is unruliness after guidance, and the most evil blindness is that of

Indeed Hell surrounds the unbelievers.
(Surat Al-Tawba, IX, 48 - 49).

Among those who stayed behind were four men of good faith and devout in Islam. They did not deliberately decide to remain, no did they proffer excuses, they could not bring themseleves to make the necessary preparations to leave, till it was too late and the army had left. These men were Kaab Ibn Malik, Mararah Ibn Rabie, Hilal Ibn Umayah, and Abu Khaythamah Malik Ibn Qays. About ten days after the army had marched out, Abu Khaythmah came home on a day of intense heat to seek the cool shade of his garden. There were two huts clean and sprinkled with water, and a wife in each but ready with a meal and cooled water. He stood up and exclaimed "The Messenger of Allah is out in the glare of the sun and the blazing hot winds, and Abu Khaythamah is here in the cool shade, attended by two wives with food and water !, that shall not be, by Allah I shall not enter these huts until I have joined the Messenger of Allah". Abu Khaythamah prepared his provisions, saddled his camel and set off with all speed to join the Muslim army bound north. Abu Khaythamah met with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) at Tabouk. The narrative of the other three men who stayed behind became subject to Quranic Revelation due to its specific significance. The details of this narrative will be considered in its propers place after the return of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to Al-Madinah.

The army marched north in the blistering heat and scorching dryness consuming the limited supplies of water and provisions. The men dredged their way across the vast expansive desert, hungry, thirsty and exhausted; yet with equanimity and determination, they were in "Jihad" for the cause of Allah, following the Messenger of Allah. Despite all the hardships the men were experiencing, they remained very calm, placid and self composed, they showed obstinate resolution and challenging patience. There was a generalized inherent recognition of the divine nature of this campaign. They reached Al-Hijre where the dwellings of Thamoud were engraved and cut in rock. The men rushed to the wells for water; but the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) announced "Do not drink from these waters, and do not use it for ablution for prayers, and do not use it for making dough for bread, give any dough you have made to the camels and do not eat anything from it". The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) also ordered "Do not enter the dwellings of those who have been unjust to themseleves, and do not walk at night alone but in pairs". That place was famous for

Madinah, and Ali Ibn Abi Taleb was left responsible for the Prophet's family. The hypocrites spread the rumour that Ali was left behind because he would burden the Prophet who wanted to be relieved of Ali's presence. On hearing that Ali overtook the army at the first halt and reported what was said. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) said "They lie, return and remain to represent me in my family and in yours; O Ali that you should be unto me as Aaron was unto Moses, save that there is no Prophet after me".

The march north to Tabouk started, thirty thousand warriors, the largest Muslim consortium under the command of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). They moved in the parching heat of the north Arabian desert uncertain of their destiny, yet very confident of the support of Allah, because they were out there for the cause of Allah. They were armed with the certainity, and "Yaquin" of their faith. Truely this was the "army of hardships"; hardships of the intense heat, hardships of lack of water and provisions, hardships in the very limited resources, hardships in the few number of mounts available, and hardships in the final confrontation of a strong enemy.

The leader of the hypocrites at Al-Madinah, Abdullah Ibn Ubii Ibn Salool had gathered an army of hypocrites and those with doubt and uncertainity in their faith. They camped opposite the Muslim camp outside Al-Madinah. When the Muslim army started the northbound march, the hypocrite army returned to Al-Madinah with the excuse that the weather was too hot to bear and they announced that they cannot go out to join that campaign. The Quranic revelation in this context states:

> "Those who were left behind rejoiced in their inaction behind the back of the Apostle of Allah.
> They hated to strive and fight with their property and their persons in the cause of Allah. They said, "Go not forth in the heat". Say "The fire of hell is fiercer in heat". If only they could understand.
> (Surat Al-Tawba, IX, 18)

> "Indeed they had plotted sedition before, and upset matters for you; until the truth arrived and the decree of Allah became manifest, much to their disgust.
> "Among them many a man says "Grant me exemption and draw me not into temptation".
> Have they not fallen into temptation already ?

The time was the seventh month of Rajab of the nineth year of Hijrah, September-October 630 AD. The season was late summer, the drought and heat were very intense and oppressive. It was the time for the fruits to ripen. These reasons together with the formidable soldiery reputation of the imperial Bezantine legions, made many less devout Muslims reluctant to join and made excuses to stay behind. The hypocrites addressed people against joining the campaign, and some of them regularly gathered in the house of Sewilem the Jew to blunt and enfeeble the enthusiasm of Muslims to join the northern campaign to Tabouk. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) ordered Talha Ibn Ubaidullah with some others of the companions to burn the house down. The majority of the people, however, were making ready with all possible speed. The rich men among the Muslims competed with one anather in their donations of money for the preparation of the army. Osman Ibn Affan gave enough for the mounts and armour of ten thousand men. Àbu Bakre gave all his wealth, Omar Ibn Al-Khattab gave half his wealth; and several others gave very generously. Several poor people went to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to ask for mounts. Some were given mounts, and others were not because no mounts were available, these turned away weeping in disappointment. A subsequent revelation glorified in honour the memory of those "weepers".

> "Nor is there blame on those who came to thee To be provided with mounts, and when thou saidst, "I can find no mounts for you" they turned back, their eyes streaming with tears of grief that they had no resources wherewith to provide the expenses".
>
> (Surat Al-Tawba, IX, 92).

The component conditions of the campaign to Tabouk were very taxing and challenging to the Muslims, severely testing their devoutness to their faith. The very long distance of travel, the intense heat and dryness, the season of fruit gathering, the very limited resources, and the reputed formidable enemy to confront. For such circumstantial difficulties, the army was popular by the name "the army of hardships". When all the worriors from the tribes arrived, the army was thirty thousand strong including ten thousand horsemen. The camp was outside Al-Madinah with Abu Bakre temporarily in charge, while the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was attending to the final arrangements and administrative matters before leaving Al-Madinah. Muhammad Ibn Maslamah was to be responsible for the ministership of Al-

THE EXPEDITION TO TABOUK

By : Dr. ANAS Moustafa El-Naggar MD, PHD.

In the name Allah most Gracious most Merciful.

The power structure of the Arab peninsula changed after the conquest of Macca, the battle of Hunayn and the siege of Al-Taif. This change crowned the Muslim community as the most powerful, and justified their need to implement the laws of Islamic jurisprudence and adminstrative and fiscal legislations in territories which accepted Islam and were in allegiance with Muslims. The whole Arab peninsula recognized the domination and authority of Islam, and accepted the mastery and ruling of the new creed. Non-Muslim tribes that remained in their faith had to pay dividend for their security, and Muslim tribes had to pay the Zakat. A status of power and social stability had been realized.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was diligently engaged in establishing that status of power and social stability within the Arab penisula under Islamic jurisdiction. From Syria the north frontier of the Arab peninsula, however, one danger appeared to be threatening the Islamic state. There were growing rumours that the Bezantine Roman Emperor Heraclius was making preparations for a military campaign against the growing Muslim state and was planning to invade their northern frontiers. Heraclius also enlisted for that campain the christian Arab tribes of Lakhm, Judham, Ghassan and Amilah and marched south to reach Balqa. These reports that reached the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) were partially exaggerated and partially not the truth. However, summons were announced to all arab Muslim tribes to prepare and send at once to Al-Madinah all available armed and mounted worriers for the northern Syrian campaign against the Bezantines. Contrary to the usual practice not to divulge the true objective and direction of any expedition, this time there was no secrecy, and the exact purpose and destination of the campaign were fully and exactly declared. The campaign was to be under the command of the Prophet himself (prayers and peace from Allah upon him).

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

MUHARAM, 1407 H.

CONTENTS

Preparation of Prints : Mrs. Fatimah Muhammed Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION





مجلة
شهرية
جامعة

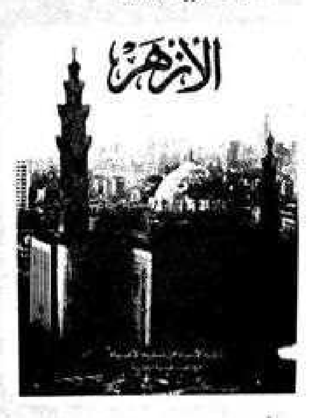
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي

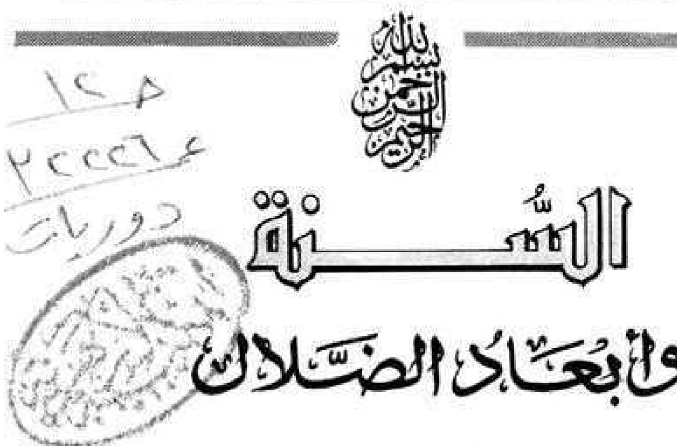
رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف





السنة وأبعاد الضلال

لولم تكن السُّنَّةُ إلا « حكمة » من عين اليقين .

ولولم تكن إلا « هدى » إلى صراط مستقيم .

ولولم تكن إلا «تاريخا » يسجل خُطا هذا الدين .

لولم تكن السُّنَّةُ إلا ذلك لَحَقَّتْ لها الحرمة والخلود ، فإنما هي تراث عزيز نادر لم تملكه أمة قبلنا ، ولا حازه شعب في الوجود .

فكيف .. ؟

وهي ـ من قبل ذلك كله ـ تشريع في الدين ، وتوجيه لفهم الكتاب العزيز ، وقدوة لمن احتاط لدينه وطلب رضا رب العالمين .

وهل آمن بالقرآن من نبذ السنة .. ؟!

كلا ... والله !!

الجزء الثاني

السنة التاسعة والخمسون

صفر ١٤٠٧ هـ ● أكتوبر ١٩٨٦ م

ما آمن بالقرآن من نَبَذَ السنَّة ، فإن القرآن لا يستغنى عن السنة ، وما القرآن والسنة إلا جناحا هذا الدين ، مَنْ مَسَّهُ ـ أو أحدهما ـ بسوء فقد طعن الدين ، وإنما يريد نَبْذَ السنة إنسان يستعد لذبح الكتاب العزيز فالمروق منهما جميعا .

ثم لماذا يضيق من ضاق بالسنة ؟!

هل بلغ من العلم ما يؤهله لأن يفهم الكتاب العزيز فهما يتضح له به الاسلام ، فلا يخرج على هذا الدين ؟

من عجب .. أنه لم يَدْعُ إلى نبذها ذو ثقافة عربية رفيعة ، أو عمق إسلامى مشهود !

وهل يعنى نبذ السنة إلا سيطرة الأهواء ، والخروج عما عليه المسلمون ، فتكون فتنة تتكاثف لها الظلمات ، وينأى عنها الهدى والرشاد .

وما غاب ذلك كله عن سيد المرسلين ﷺ ، ولا صحابته ، ولا صدر التابعين ـ رضوان الله عليهم أجمعين .

روى الإمام الحجة أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمى فى « سننه » بسنده إلى أبى ذر ـ رضى الله عنهما ـ قال :

« أمرنا رسول الله ـ ﷺ ـ الا يَغْلِبونا على ثلاث : أن نأمر بالمعروف ، وننهى عن المنكر ، ونعلم الناس السُّنَنَ » .

وهذا هو الاسلام يقيم فينا ما أقمنا هذه الثلاث ؛ فمن دعا إلى نبذها فليس منا ؛ فلينظر مِمَّنْ هو ؟ ... ولمن يفعل ؟

قال الإمام الزهرى ـ رضى الله عنه :

الاعتصام بالسنة نجاة .

وروى الدارمى عن عبد الله الديلمى ـ رضى الله عنهما ـ قال : بلغنى أن أول ذهاب الدين ترك السنة ، يذهبُ الدينُ سُنَّةً سُنَّةً ، كما يذهب الحبلُ قُوةً قُوة .

من أجل الدين ـ إذاً ـ كان الحرص على السنة .

يقول ابن عباس ـ رضى الله عنهما :

إن كان ليبلغنى الحديثُ عن الرجل فآتيه ـ وهو قائل ـ فأتوسد ردائى على بابه ، فتَسْفِى الريحُ على وجهى التراب ، فيخرج فيرانى فيقول :

يابن عم رسول الله ، ما جاء بك ؟ الا أرسلت إليّ فآتيك ؟
فأقول : أنا أحق أن آتيك ... فأسأله الحديث[1] .
ويوصي ـ رضي الله عنه ـ المسلمين ـ بالحديث فيقول :
« تذاكروا هذا الحديث لا ينفلت منكم ، فإنه ليس مثل القرآن مجموع محفوظ ، وإنكم إن لم تذاكروا هذا الحديث ينفلت منكم ، ولا يقولن أحدكم : حدثت أمس فلا أحدث اليوم[2] ، بل حدث أمس ولتحدث اليوم ، ولتحدث غداً .
زاد :
فإنه من كان سمعه يزداد به علما ، ويسمع من لم يسمع »

.. .. ..

وليعلم مسلم : ما السنة ؟
روى الدارمي ـ بسنده إلى الامام الأوزاعي ، عن حسان ـ رضي الله عنهم ـ قال :
« كان جبريل عليه الصلاة والسلام ـ ينزل على النبي ـ ﷺ ـ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن » .
وبسنده إلى مكحول ـ رضي الله عنهما ـ قال :
السنة سنتان :
سنة الأخذ بها فريضة وتركها كفر ، وسنة الأخذ بها فضيلة وتركها إلى غيره[3] حرج »اهـ
أليس قد علمنا أجزاء الصلاة وعدد ركعاتها ومقادير الزكاة وفرائض الحج من فعله ـ ﷺ ـ فمن جحدها كان كافرا وهل علم ـ من لم يعلم ـ أن « السنة قاضية على القرآن ، وليس القرآن بقاض على السنة » فكيف نتركها ؟!

.. .. ..

وهذه دورة المروق ... ، ودائرة الفتنة حيث خلايا الداعين إلى نبذ السنة لينقضوا ـ من بعدها ـ على القرآن الكريم :
روى الدارمي ـ بسنده إلى أبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ـ ﷺ :
إن هذه السورة لما أنزلت على رسول الله ـ ﷺ :
﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ .
قال رسول الله ـ ﷺ :
ليخرجُنَّ منها أفواجا كما دخلوه أفواجا .

.. .. ..

وقد علمت ـ أيها المسلم ـ بم يكون الخروج ؟
أعاذنا الله تعالى .
فرجل مدع علما يتطاول إلى رد حديث رسول الله ﷺ :

حدث سعيد بن جبير رضى الله عنه يوما بحديث عن النبى - ﷺ - فقال رجل : فى كتاب الله ما يخالف هذا .

قال سعيد : الا أرانى أحدثك عن رسول الله - ﷺ - وتعرض[4] فيه بكتاب الله ، كان رسول الله - ﷺ - أعلم بكتاب الله منك .

قال عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه :

« إنكم ستجدون أقواما يزعمون أنهم يدعونكم إلى كتاب الله ، وقد نبذوه وراء ظهورهم .

ثم يوصى - رضى الله عنه - المسلمين ليمكن رد هؤلاء الأدعياء ، فيقول :

« فعليكم بالعلم ، وإياكم والتبدع[5] ، وإياكم والتنطع[6] ، وإياكم والتعمق ، وعليكم بالعتيق » .

وآخر يردد حكما أو أحكاما اختلفت من صحابى إلى آخر دون أن يعنى ببيان ميدانها ، أو يقول لمحدثه : إنها بعيدة عما افترض الله ، ولو أن صحابة رسول الله - ﷺ - أجمعوا على السُّنَّة جميعا لضاق بالمسلمين الأمر ، وما يَسَّرَنا اتفاقُهم .

قال عون بن عبد الله - رضى الله عنه :

« مَا أُحِبُّ أن أصحاب النبى - ﷺ - لم يختلفوا ؛ فإنهم لو اجتمعوا على شىء فتركه رجل ترك السنة ، ولو اختلفوا فأخذ رجل بقول أحد أخذ بالسنة » .

وثالث : همه متشابه القرآن يذيعه ابتغاء الفتنة ، وإيهام الناس بالباطل ، وفيهم روى الدارمى بسنده إلى عائشة - رضى الله عنها - قالت :

تلا رسول الله - ﷺ - :

﴿ هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ فقال رسول الله ﷺ .

﴿ إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاحذروهم ﴾ .

أو جماعة تنتهج دعوة تُسِرُّ بها دون عامة المسلمين ، وفيهم يقول عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه :

«إذا رأيت قوما يَتنجون[7] بأمر دون عامتهم فهم على تأسيس الضلالة » .

أى نعم ، ماداموا يسرون بها ولا يجهرون ، وينتبذون بها المكان الخفى ولا يظهرون .

قال أبو قلابة - رضوان الله عليه :

« إن أهل الأهواء أهل الضلالة ، ولا أرى مصيرهم إلا النار ، فَجَرِّبْهُم فليس أحد منهم ينتحل قولا - أو قال حديثا - فيتناهى به الأمر دون السيف .

وإن النفاق كان ضروبا ثم تلا :

﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ ﴾ .

﴿ وَمِنْهُمْ مَن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ .

﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ) .

فاختلف قولهم ، واجتمعوا فى الشك والتكذيب » اهـ

وتلك سمات واضحة على من يشق أمر المسلمين وهم جميع ، وقد تُطلَب الزعامةُ خلال ذلك النفاق.روى الدارمى بسنده إلى ربيعة بن يزيد قال ، قال معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه : يُفتَح القرآن على الناس حتى تقرأه المرأة والصبى والرجل ، فيقول الرجل : قد قرأت القرآن فلم أُتَّبَعْ ، والله لأقومن فيهم لعلى أُتَّبَعْ ؛ فيقوم فيهم فلا يُتَّبَعْ ، فيقول : قد قرأت القرآن فلم أُتَّبَعْ ، وقد قمت فيهم فلم أُتَّبَع ، لَأَحْتَظِرَنَّ فى بيتى مسجداً لعلى أُتَّبَع فيحتظر فى بيته مسجداً فلا يُتَّبَع

فيقول :

قد قرأت القرآن فلم أُتَّبع ، وقمت فيهم فلم أُتَّبع ، وقد احْتَظَرْتُ فى بيتى مسجداً فلم أتبع .

والله لآتينهم بحديث لا يجدونه فى كتاب الله ، ولم يسمعوه عن رسول الله لعلى أُتَّبَعْ .

قال معاذ : فإياكم وما جاء به ؛ فإن ما جاء به ضلالة .

وهكذا تدور الفتنة حتى يستهين المرء منهم بدينه أعاذنا الله .

د/ على أحمد الخطيب

مراجع احاديث المقال :

هى ـ جميعا ـ من مقدمة الإمام الدارمى لكتابه سنن الدارمى" طبع دار المحاسن بالقاهرة عام ١٣٨٦ .

[١] قائل : نائم .. فساله الحديث .. اطلب منه ماجئت من أجله .

[٢] اى يضيق بالتكرار ، فاوصاه ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ بالتكرار .

[٣] اى إلى غيرها حرج ، فقد يكون (الغير) بدعة ـ عصمنا الله .

[٤] عرض الرجلَ : ناقض كلامه .

[٥] تبدع : صار مبتدعا .

[٦] التنطع : تنطع فى الكلام : تفصح فيه وتعمق ورمى بلسانه إلى نطع الفم : ما ظهر فى داخل الفم من الغار الأعلى حيث موقع اللسان من الحنك .

[٧] من النجوى وهى المساراه من السر .

فقيد الإسلام وفقيد الأزهر

فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ
حسين عبد المجيد هاشم

في يوم الجمعة الخامس عشر من المحرم لعام سبعة وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية ، الموافق للتاسع عشر من سبتمبر لعام ستة وثمانين وتسعمائة وألف ميلادى نعى الناعى علماً شامخاً من أعلام الإسلام والأزهر هو فضيلة الأستاذ الدكتور حسين عبد المجيد هاشم وكيل الأزهر الشريف فافتقدنا برحيله بقية الأخيار الراحلين والسلف الصالحين الذين أضاءوا دروب العلم للسارين وطرق الخير والبر للسالكين .

فكان رحمه الله مثلا في سلامة القلب ، واستقامة القصد ، وحسن الإدراك للأمور وتدبر العواقب ، وكان حسن المعاملة للجميع عن سماحة في النفس تغضى عن غرور المغترين ، وحلم في الطبع يعرض عن سفه الجاهلين ، وسعة في الصدر تسع آمال الراغبين ، ونزاهة في اليد والجوارح ، وعفة في اللسان والخواطر ، فلا يرى الا هاشا باشا رضيا نديا سخيا ، يصدر في أفعاله وأقواله عن همة عالية ترتفع به عن السفساف من الأمور ، والدون من الأغراض والغايات مع تواضع جم يخفض به جناحه من الرحمة ، وثقة بالله يصلب بها عوده من العزة .

نمته في المكارم أسرة شريفة النسب عالية الحسب ذات قدر عزيز بين أهل العلم والتقوى والدين ، وذات منزلة كريمة بين تلاميذها ومريديها وذات مكانة رفيعة بين أهلها وعارفيها ، وذات مجد تليد وأثر حميد .

وفقيد الأزهر العزيز الراحل الأستاذ الدكتور حسين عبد المجيد هاشم قد ولد لهذه الأسرة الكريمة في « بنى عامر » من أعمال محافظة الشرقية في عام ١٩٢٥م خمس وعشرين وتسعمائة وألف من الميلاد وحفظ القرآن الكريم وانخرط في سلك طلاب الأزهر الشريف حيث حصل على الشهادة العالية من كلية أصول الدين عام ١٩٥٣م ، ثم على

للأستاذ الدكتور عبد الفتاح عبد الله بركة

شهادة العالمية مع اجازة التدريس عام ١٩٥٤م ، وعمل فى نفس العام مدرسا بالمعاهد الدينية ، ولكنه لم يقنع فى طلب العلم بهذا المستوى بل إنه بعد أن فتحت الدراسات العليا بالأزهر أبوابها تقدم إليها وواصل طلبه ودراسته العلمية فى قسم التفسير والحديث ، وقد استطاع الحصول على درجة الدكتوراه (العالمية مع درجة أستاذ) عام ١٩٦٤ وكانت رسالته التى قدمها لهذه الدرجة عن « الإمام البخارى : محدثا وفقيها » ، وقد نشرتها فيما بعد الدار القومية للطباعة والنشر .

وفى عام ١٩٦٥م تم تعيينه مدرسا للتفسير والحديث بقسم التفسير والحديث بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر .

ثم حصل على درجة أستاذ مساعد عام ١٩٧١م .

ثم على درجة أستاذ عام ١٩٧٦م .

وفى مشيخة الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود رحمه الله اختاره فى درجة « وكيل الوزارة لإدارة شئون مكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر » .

ثم اختاره فى العام التالى أمينا عاما لمجمع البحوث الإسلامية .

وكان آخر منصب تولاه رحمه الله هو منصب وكيل الأزهر الذى تولاه فى أوائل عام ١٩٨٥م فى المشيخة الحالية لفضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر .



وكان للفقيد الراحل نشاطه العلمى والاجتماعى الواسع ، فكان - رحمه الله - عضوا بمجمع البحوث الإسلامية ، وعضوا بالمجلس الصوفى الأعلى ، وعضوا باتحاد الكتاب ، وعضوا بجمعية التراث ، كما كان عضوا بلجنة الدستور فى مشروع التكامل بين مصر والسودان .

وكان يشارك - رحمه الله - بفكره وعلمه فى كثير من نواحى النشاط المختلفة وذلك بالحديث فى المناسبات المختلفة ، وفى معالجة الأحداث المتجددة ، فى وسائل الاعلام .



والمنتديات العامة والخاصة ، فيثرى بذلك ملتقى الآراء ، ويساعد على اعتدال الفكر واستقامة الوجهة .

كما شارك بأبحاثه وآرائه ومناقشاته فى كثير من المؤتمرات العلمية ، ومن أهم هذه المؤتمرات مؤتمر القرآن الكريم بالسودان عام ١٩٦٨م .

ومؤتمر الهيئات الإسلامية برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة عام ١٩٧٣م .

والندوة التى نظمها المركز الإسلامى فى واشنطن عن الإسلام فى العالم المعاصر عام ١٩٨٠م .

ومؤتمر العلوم الإسلامية الثانى باستنبول فى جمهورية تركيا عام ١٩٨١م ومؤتمر علماء أفريقيا بالسودان عام ١٩٨٣م .

وافتتح المركز الإسلامى بتوليدو بولاية اوهايو بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٣م .

وللفقيد الراحل من الكتب ما يزيد على العشرين بين تاليف وتحقيق وشرح من أهمها :

*** رسالته للدكتوراه بعنوان « الإمام البخارى محدثاً وفقيهاً » .**

*** شرح رياض الصالحين للإمام النووى ـ جزءان ـ .**

*** حجة الإسلام الغزالى .**

*** البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث الشريف ـ ٣ أجزاء ـ**

*** خمسة أجزاء من مسند الإمام أحمد على نسق الأجزاء التى أخرجها من قبل الشيخ أحمد شاكر رحمه الله**

*** الوحى الإلهى .**

*** الرصـــــافى .**

*** الدين القيم ـ جزءان ـ .**

عدا كثير من البحوث والمقالات التى حفلت بها المجلات العلمية والإسلامية .

ومع هذا النشاط الواسع لم يحرم طلاب العلم من ثمرات علمه وتوجيهاته ، فقد أشرف على عشرات من الطلاب الذين حصلوا تحت اشرافه على درجات الماجستير والدكتوراه سواء فى مصر أو فى البلاد العربية ، وقد صار بعضهم أساتذة كباراً وأصحاب ذكر بارز فى ميدان العلوم .

رحم الله فقيد الإسلام والأزهر الأستاذ الدكتور الشيخ حسين عبد المجيد هاشم رحمة واسعة ، وأجزل مثوبته بمقدار ما قدم للإسلام وللعلم ولأمته وفوق ما قدم من واسع فضله ، وأدخله برحمته فى عباده الصالحين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

وإنا لله وإنا إليه راجعون

الأمين العام
لمجمع البحوث الإسلامية
« أ . د / عبد الفتاح عبد الله بركه »

دراسات إسلامية

التفسير النحوي للقرآن الكريم

بحوث في الأموال

عبد الله بن كثير القارئ

التفسير النحوي

للقرآن الكريم

نعم ، للنحاة سهم فى تفسير كتاب الله ، فقد وقفوا وقفات طويلة عند آياته الكريمة ، وأوغلوا فى تفهم معانيها ايغالاً ظهر واضحا فيما كتبوه من اعراب آيات الذكر الحكيم ، إذ ظهرت كتب مستقلة بالاعراب ، وكأنه أصبح غرضاً مستقلا لا يندرج فى التفسير العام ، ونطيل القول لو تتبعنا ما كتب مستقلا عن الإعراب منذ بدأ به (قطرب أبو على) وتابعه (أبو حاتم السجستانى) ، و « المبرد » ، و « ثعلب » ، و « الأنبارى » و « ابن النحاس » ، و « ابن خالويه » ، و « مكى بن طالب » و « اسماعيل بن خلف » و « التبريزى » و « الحوفى » و « العكبرى » ، وقد أحصى الأستاذ ابراهيم الابيارى جماعة من هؤلاء فيما كتبه فى القسم[1] الثالث من كتاب اعراب القرآن المنسوب للزجاج ، فليرجع إليه من يريد .

وكنا نحمد لهؤلاء صنيعهم وهو محمود فى أكثره ـ لو أنهم خلصوا من التكلف البعيد ، بل أزيد فأقول : لو أنهم فكروا فى المعنى قبل أن يفكروا فى الإعراب ، وهذا من أهم ما يجب أن يتوجهوا إليه ولكن (الصنعة النحوية) تشتط بهم فى بعض الأحيان فتدعوهم إلى اعتساف لا يقبله النظر المتئد .

واضرب المثل بشاهدين أذكرهما من كتاب (منار الهدى فى الوقف والابتدا) للعلامة الأشمونى ، حيث قدم الصفة النحوية الظاهرية . غافلا عن السياق العام للآيات .

فهو فى قول الله عز وجل « كُلاً نُمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ، وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا » أجاز أن يقف القارىء على قوله : نمد ، ويبتدى بقوله[2] (هؤلاء وهؤلاء) وهو خطأ لا يميزه المعنى ، لأن (هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك) ليست جملة مستقلة ، ولكنها منصوبة بما قبلها ، فكيف يجوز أن نقف على قوله تعالى نمد دون أن يفسد المعنى .

كما أنه أجاز فى قوله تعالى « وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن

---

[١] اعراب القرآن جـ ٣ ص ١٠٩٢ ط ثانية .

للدكتور محمد رجب البيومى

يَنفَعَنَا ، أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ »[٣] أجاز أن يقف القارىء عند قوله : « قُرَّةُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لاَ » ثم يبدأ (تَقْتُلُوهُ) ومع أن الفعل مجزوم بلا فقد ذهب إلى رفعه بناء على لغة شاذة ، استشهد لها ببيت معروف ، وما أظن سياق المعنى يقبل ذلك .

وإذا كان موسى قد كان قرة عين لامرأة فرعون ، ولم يكن قرة عين لفرعون فهذا لم يتبين عند قول الزوجة ، بل تبين فى النهاية بعد أعوام طوال ، وقد يستسيغ هذا المعنى من يؤمنون بما يسمى بالتفسير الاشارى ، ولكن تكلف المعنى وتكلف الإعراب واضحان .

نحن لا نمنع أن يعرب مفسر القرآن بعض كلماته فى سياق التفسير ليدل على المعنى ، لأن الإعراب فرع عنه ، ولكننا نمنع أن يتحول تفسير كتاب الله تطبيقات لقواعد النحو ، وإذا كنا لا نستسيغ أن يشرح عالم قصيدة قديمة لامرىء القيس أو زهير فيوجه همه لإعرابها غافلاً عن تتبع المعانى ، فكيف نستسيغ أن يصبح تفسير القرآن مجالا لكل احتمال إعرابى يطرأ على ذهن المفسر ، وافق المراد أم خالفه ؟

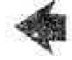
إن وجود الإعراب الموجز فى تفسير بعض الآيات ضرورة ، إذ قد يسعف بتعيين المعنى على وجه محدود ، والإعراب الموجز يهدى ويرشد ، على نحو ما نجده فى تفسير الجلالين والنسفى والبيضاوى والزمخشرى ، والتفاسير الثلاثة الأولى قد نقلت عن الزمخشرى نقلا واضحا لا يخطئه الدارس .

رأى العلامة ابن مضاء

نظر ابن مضاء إلى ما ذهب إليه النحاة فى الحذف والتقدير ، حيث قدروا كلمات حذفت ، ولا يتم الكلام إلا بها ، وذلك من غير دليل متعين ، فقرر أن التأويل فى عبارات البلغاء من البشر خطأ لا عقاب عليه ، أما الخطورة كل الخطورة ففيما نعربه من كتاب الله حين نقدر محذوفا لا نتأكد أن الله عز وجل قد عناه فى مراده ، يقول ابن مضاء :[٤]

« وأما طرد ذلك فى كتاب الله تعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وادعاء زيادة معان فيه من غير حجة ولا دليل إلا القول بأن كل ما ينصب إنما ينصب بناصب ، والناصب لا يكون إلا لفظا يدل على معنى ، إما منطوقا به ، وإما محذوفا مرادا ومعناه قائم فى النفس ، فالقول بذلك حرام على من تبين ذلك ، وقد قال رسول الله ﷺ ، من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ » .

ومقتضى هذا الخبر النهى ، وما نهى عنه فهو حرام ، إلا أن يدل دليل ، والرأى ما لم يستند إلى دليل[٥] ، وقال ﷺ : من قال فى



[٣] منار الهدى للاشمونى سورة القصص آية ٩ .

[٤] الرد على النحاة لابن مضاء تحقيق الدكتور محمد ابراهيم البناص ٧٣ .

[٥] كذا بأصل المقال ، وفى الكلام نقص ، والمعنى والله أعلم : والرأى ما لم يستند إلى دليل لا يقال به فى كتاب الله .

القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار» وهذا وعيد شديد ، وما توعد الله على فعله فهو حرام ، ومن بنى الزيادة فى القرآن بلفظ أو معنى على ظن باطل قد تبين بطلانه ، فقد قال فى القرآن بغير علم ، وتوجه الوعيد إليه ، ومما يدل على أنه حرام بالاجماع على أنه لا يزاد فى القرآن لفظ « غير المجمع على اثباته ، وزيادة المعنى كزيادة اللفظ بل هى أحرى لأن المعانى هى المقصودة والألفاظ دلالات عليها ومن أجلها » .

وفى مجال التعليق على قول ابن مضاء نذكر أن المعربين من النحاة يتفقون معه فى أن زيادة أى لفظ على النص القرآنى حرام لا جدال فيه ، وهم عند أنفسهم لا يزيدون شيئا إنما يقدرون ما يفهم من السياق ، وفهمهم قد يعتوره الخطأ وهو ما حذر منه ابن مضاء ، ثم ما ندعو إلى التخلص منه حين نكثر من الأقوال المحتملة عندما نعرب القرآن .

وقد سبق ابن جنى رحمه الله إلى تقرير ذلك حين قال فى كتاب الخصائص تحت عنوان (بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى)[٦] :

فإذا مر بك شىء من هذا عن أصحابنا فاحفظ نفسك منه ولا تسترسل إليه ، فإن أمكنك أن يكون تقدير الإعراب على سمت تفسير المعنى ، فهو ما لاغاية وراءه ، وان كان تقدير الإعراب مخالفا لتفسير المعنى ، تقبلت تفسير المعنى على ما هو عليه ، وصححت طريق تقدير الإعراب حتى لا يشذ شىء منها عليك ، وإياك أن تسترسل فتفسد ما تؤثر إصلاحه .

أمثله من زيادات المعربين

فى كتاب « إعراب القرآن » المنسوب إلى الزجاج ، اجتهاد كبير يدل على بصر فى الفهم ، واحاطة فى النظر ، وقد استقل بموضوعات نحوية أدرج تحتها الأمثلة الموضحة من كتاب الله ، على حين نجد الكثرة من زملائه لا ينهجون هذا النهج الشاق الدقيق ، بل يسوقون الآيات وفق ترتيبها فى المصحف الكريم ، دون أن يجمعوا النصوص المتفقة فى أبواب مستقلة مما يستدعى التفرغ والمعاناة .

وعلى جودة اتجاه المؤلف نجده يقدر من المحذوف ما يصح أن يكون موضع النظر ، بل ما نقطع بعدم صوابه فى بعض الأمثلة ، وهو ما حذر منه ابن جنى وأضرابه !

ففى الباب الأول من الجزء الأول فصل تحت عنوان (هذا باب ما ورد فى التنزيل من إعراب الجمل) وقد اشتمل على ثلاثين صفحة تشمل بيان المحذوف من كلام الله كما يراه المؤلف ، ونختار منه هذه الأمثلة .

(١) ص ١٧ يقول المؤلف : ومنه ، أى من المحذوف من كلام الله ـ قوله تعالى : « وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ »[٧] ، أى قل للإنسان الطاغى واقترب تر العجب .

---

[٦] الخصائص جـ ١ ص ٣٨٤ ت الشيخ النجار .

[٧] سورة العلق آية ١٩ .

وتوجيه فعل الأمر إلى الإنسان الطاغى مما لا دليل عليه ، لأن الخطاب لرسول الله ﷺ وكلمة « تر العجب » من ابتكارات المؤلف ولا علاقة لها بالنص الكريم .

(ب) ص ١٨ ومنه « وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ »[٨] اى وسبيل المؤمنين ، ونحن نرى أنه لا حذف لأن استبانة سبيل المجرمين توضح النقيض وهو سبيل المؤمنين ، لذلك نقل الأستاذ الابيارى فى الهامش قول أبى حيان (وقيل خص سبيل المجرمين لأنه يلزم من استبانتها استبانة سبيل المؤمنين ، وعليه فلا حذف .

(جـ) ص ٢٠ ومن اضمار الجملة قوله تعالى « فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ »[٩] اى فضربوه ببعضها فحيى وأخبر بقاتليه ثم خر ميتا ، ويدل على صحة الاضمار قوله ثم قست قلوبكم ، لأن قست معطوف على خر .

والحذف عند جمهور المفسرين هو فضربوه فحيى دل عليه قوله تعالى اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ، اما قوله : وأخبر بقاتليه وخر ميتا فلا يعلم من النص ولا دليل يعطيه من سياقه ، ولا ادرى كيف تعطف قست على خر وهى غير موجودة أصلا .

هذه أمثلة تدل على التسرع فى فهم الكتاب المبين ، وتؤكد ما عناه ابن مضاء حين حذر من التقدير المحسوب على النص القرآنى ، كأنه منه وهو عنه بعيد .

كتب التفسير

اهتمت كتب التفسير الموجودة بأيدينا منذ أبى جعفر الطبرى بالإعراب النحوى اهتماما جعل النحو جزءا من التأويل ، وتفسير الطبرى يضم من المسائل النحوية المتعددة ما لو جرد فى حيز مستقل لكان كتابا من أجزاء ، إذ كتب أبو جعفر رحمه الله فى تأويل دقائق الأسلوب القرآنى ، وفى توجيه بعض القراءات الأصلية وغير المتواترة ما دل على رسوخ قدم فى العربية ، وما ترك صداه فى أكثر ما جاء بعده من التفاسير ، ولكن الذى باعد بينه وبين الاشتهار بالرأى النحوى فى القرآن أن الرجل الكبير كان دائرة معارف علمية ، فقد أولى التفسير الفقهى والكلامى والبيانى واللغوى والتاريخى ما أولى التفسير النحوى من اهتمام ، وبهذه الثقافة المديدة المتشعبة لم يعز تفسيره المبسوط إلى فرع علمى واحد ،

أما التفسيران اللذان طارت شهرتهما فى التفسير النحوى فهما تفسيرا الزمخشرى وأبى حيان على ايجاز فى الأول ، وإسهاب فى الثانى ، ومن آية صاحب « الكشاف » أن خصومه الذين نازلوه الرأى فى معتقده الكلامى وتأويله الاعتزالى ، قد اعترفوا بنبوغه فى العربية ، فكان تفسيره البلاغى كتفسيره النحوى موضع الاهتمام ، وقد قلت : إن البيضاوى والنسفى كادا يحتذيانه فى الإعراب احتذاء بل إن نصوصه تنقل



[٨] سورة الأنعام آية ٥٥

[٩] سورة البقرة آية ٧٣ .

بألفاظها في مواضع كثيرة ، والرجلان إمامان من أئمة أهل السنة ، ولكن مكان الزمخشري الضليع في علوم العربية لا يخفى على أحد ، ولا يستخف به منصف .

وقد كتب الدكتور عبد العال سالم مكرم فصلا جيدا من المنحى النحوي[10] عند صاحب الكشاف ، ختمه بحديث جيد عن أخطاء الزمخشري النحوية التي نبه إليها الدارسون !

وأي علم لا يخلو من الأخطاء كما اتبعتها بما قاله متعقبوه وفي طليعتهم الإمام أحمد بن المنير صاحب الانتصاف ، ومما أشار إليه الدكتور مكرم هذا المثال الذي اعتده دليلا على لجوء الزمخشري إلى ظاهر اللفظ ، وقوانين الإعراب وإهمال المعنى :

قال الزمخشري في قوله تعالى : « وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا »[11] : « منكم » ، أو « وإلا اتباعا قليلا » .

فرد ابن المنير بقوله « وفي تفسير الزمخشري هذا نظر ، لأنه جعل الاستثناء من الجملة التي وليها بناء على ظاهر الإعراب ، وأغفل المعنى ، وذلك أنه يلزم على ذلك جواز أن ينتقل الإنسان من الكفر إلى الإيمان ، ومن اتباع الشيطان إلى عصيانه وخزيه ، وليس لله عليه في ذلك فضل ، ومعاذ الله أن يعتقد ذلك ، وبيان لزومه أن « لولا » حرف امتناع لوجود وقد أبانت امتناع اتباع المؤمنين للشيطان فإذا جعلت الاستثناء من الجملة الأخيرة فقد سلبت تأثير فضل الله في امتناع الاتباع عن البعض المستثنى ضرورة ، وجعلت هؤلاء المستثنين مستبدين بالإيمان وعصيان الشيطان الداعي إلى الكفر بأنفسهم لا بفضل الله »[12] .

وقد بين ابن المنير نقده بمثال جيد أعقب كلامه ، ولا أدري لماذا أسقطه الدكتور مكرم فلم يذكره مع أنه يزيد الاعتراض سطوعا ، حيث قال ابن المنير عقب قوله « لا بفضل الله » : ألا تراك إذا قلت لمن تذكره بحقك عليه لولا مساعدتي لك لسلبت أموالك إلا قليلا ، كيف لم تجعل لمساعدتك أثرا في بقاء القليل للمخاطب وإنما مننت عليه بتأثير مساعدتك في بقاء أكثر ماله ، لا في كله .

وهذا الشاهد وأمثاله مما يضاف إلى تسلط القاعدة النحوية لدى المفسر تسلطا يوقع في مجانبة الصواب ومثل الزمخشري لا يغيب عنه هذا الخطأ لو تابع النظر وردد التفكير .

تفسير أبي حيان

وقد طارت شهرة البحر المحيط لأبي حيان في مجال التفسير النحوي ، لأن العالم النحوي الكبير قد أشبع الحديث الإعرابي في كل ما تعرض له من التأويل ، والنحو مجال شهرته ، وموضع أستاذيته فليس بغريب أن ينفسح مجال الحديث عنه في تفسير كتاب الله

[10] القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية للدكتور عبد العال سالم مكرم ص ٢٣١ .
[11] سورة النساء الآية ٨٣ .
[12] الانتصاف لابن المنير هامش الكشاف جـ ١ ص ٢٨٥ ط مصطفى محمد .

لمثل أبى حيان ، على أن من انصاف الرجل أن نشير إلى أنه لم يغفل الجوانب الهامة فى تفسير كتاب الله حين خص النحو بمزيد الايضاح ، إذ كان من منهجه فى التفسير كما ذكر فى المقدمة ، وكما لاحظ الدارس فى مجال الفحص ، كان من همه أن يبتدىء أولا بالكلام على مفردات الآية المراد تفسيرها لفظا لفظا والأحكام النحوية لهذه اللفظة مستقلة عن التركيب ثم يشرع فى تفسير النص ذاكراً ما يتعلق به من أسباب النزول أو المناسبة أو النسخ إن وجد ، ثم الإلمام بالقراءات متواترة وشاذة ، ناقلا أقوال السلف والخلف فى فهم معانيها وموضحا ما يخصها من غوامض الإعراب مع عدم التكرار إذ يحيل إلى السابق إذا عرض نظيره دون ترداد لما قيل ، وبذلك نجا تفسير أبى حيان من السأم الذى يغمر القارىء حين يطالع فى التفسير واحد ما سبق أن قاله المؤلف من قبل وقد لا يزيد الأمد عن صحيفتين أو ثلاث ، وهذا ما دفع ابن هشام إلى أن يذكر فى مقدمة المغنى ما لحظه من التكرار المسهب حول الآيات القرآنية فى مجال الإعراب ، وهو ينقد ذلك بوضوح يتجلى فى قوله[١٣] :

« فتراهم يتكلمون على التركيب المعين بكلام ثم حيث جاءت نظائره أعادوا ذلك الكلام ، الا ترى أنهم حيث مر بهم مثل الموصول فى قوله تعالى : « هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ »[١٤] ذكروا أن فيه ثلاثة أوجه وحيث جاءهم مثل الضمير المنفصل فى قوله تعالى « إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ »[١٥] ذكروا فيه ثلاثة أوجه أيضا ، وحيث جاءهم مثل الضمير المنفصل فى قوله تعالى « كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ »[١٥] ذكر فيه وجهين ويكررون ذكر الخلاف فيه إذا أعرب فصلا ، أله محل باعتبار ما قبله أم باعتبار ما بعده أم لا محل له والخلاف فى كون المرفوع فاعلا أو مبتدأ (إذا) وقع بعد إذا فى نحو « إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ »[١٧] أو (إن) فى نحو قوله « وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ »[١٨] أو (الظرف) فى نحو « أَفِي اللَّهِ شَكٌّ »[١٩] أو (لو) فى « « وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا »[٢٠] . . . . ثم يضرب ابن هشام أمثلة كثيرة يقول بعدها « مما إذا استقصى أمل القلم وأعقب السأم » .

ونحن فى التفاسير المعاصرة نلحظ الاعتدال فى الحديث عن مباحث النحو المتعلقة بايات الكتاب ، وذلك ما نرجو أن يكون سائدا فيما يجد من التفسيرات ، لأن ايضاح المضمون فى كتاب الله هو الأصل ، ولا نحتاج إلى النحو إلا بقدر ما يكون عونا على الايضاح فحسب وما عدا ذلك اطناب فى غير مجال .

---

[١٣] مقدمة المغنى ص ١٠ جـ ١ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .
[١٤] البقرة الآية ٢ ، ٣ .
[١٥] البقرة الآية ١٢٧ .
[١٦] المائدة الآية ١١٧ .
[١٧] الانشقاق : الآية الاولى .
[١٨] النساء الآية ١٢٨ .
[١٩] ابراهيم الآية ١٠
[٢٠] الحجرات الآية ٥



نعمة الله على إبراهيم وإسحاق ..

قال تعالى «وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ .» يوسف ٦ والآية مكية

« وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ » .

الخطاب ليوسف عليه السلام ، والكاف بمعنى مثل ، أى ومثل ذلك الاجتباء الذى رأيت آثاره من سجود الكواكب النيرة يجتبيك ربك ، والمعنى : وكما اجتباك ربك لمثل هذه الرؤية العظيمة التى تنم عن الشرف والعزة يجتبيك ربك ويصطفيك على عظماء الخلائق ، وكما سخر الله لك الكواكب فسجدت لك فى الرؤية يسخر الله لك وجوه الناس وهاماتهم فتذعن وتخضع لك ، وقد اصطفى الله يوسف عليه السلام للنبوة والسلطان .

والاجتباء : قد يراد به النبوة وليس فى اللفظ ما يدل على أن المراد بالاجتباء النبوة وقد يراد به علو المنزله والدرجة .

وقد كان يعقوب شديد الحب ليوسف وأخيه ، واشتد حبه ليوسف بعد الرؤيا التى راها فكان كثيرا ما يضمه إلى صدره ، وقد حسده أخوته لهذا الحب الشديد ، وأدرك يعقوب هذا الحسد وتجلت له أماراته .

ولما راى يوسف رؤياه فى سجود الكواكب له أمره أبوه ألا يخبر أخوته بهذه الرؤيا ، لأنهم يعرفون تأويل الرؤى ، وذلك قد يدفعهم إلى الكيد ليوسف إذا قصها عليهم .

والرؤيا بمعنى الرؤية إلا أنها مختصة بما كان فى النوم لا اليقظة .

« وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ » .

وتأويل الأحاديث قد يراد منها :

١ ـ تعبير الرؤى ، ويسمى التعبير تأويلاً ، لأنه يؤول ما يراه الناس فى منامهم وكان يوسف عليه السلام حجة فى علم التعبير .

٢ ـ تأويل الأحاديث : يراد به : معانى كتب الله وسنن الأنبياء ، وما اشتبه على الناس من مقاصد تلك المعانى ، والأخبار المروية عن الأنبياء السابقين ، وسميت كذلك لأنه يحدث بها عن الله ورسله .

لفضيلة الدكتور
محمد محمد خليفة

٢ ـ قد يراد من تأويل الأحاديث : كيفية الاستدلال بأصناف المخلوقات على قدرة الله وحكمته .

« وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ »

إذا فسر الاجتباء كما سبق بالنبوة فيفسر هنا إتمام النعمة بسعادة الدنيا فى المال والولد والمكانة فى قلوب الناس وحسن الثناء ، ولسعادة الآخرة فى معرفة الله وحسن الخلق وفهم العلوم التى تعين على فهم دلائل قدرة الله وعظمته .

وإذا فسر الاجتباء بعلو الدرجة والمنزلة ويفسر إتمام النعمة بالنبوة ، وإتمام النعمة بالنبوة هى التى أتمها الله من قبل على أبويه إبراهيم وإسحاق .

ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب على ضوء تفسير إتمام النعمة بالنبوة يقتضى أن يكون أولاد يعقوب أنبياء .

وقوله : إنى رأيت أحد عشر كوكبا ، تأويله : أحد عشر نفسا لهم فضلهم ودينهم ، ويهتدى بهم كما يهتدى بالكواكب ، وهذا كذلك يدل على أن أولاد يعقوب كانوا أنبياء وكيف يسوغ أن يكون أولاد يعقوب أنبياء وقد فعلوا مع يوسف ما فعلوا من القائه فى الجب ليطفئوا ثورات الحسد فى نفوسهم ، وأجيب بأن هذا الذى وقع منهم كان قبل نبوتهم ، وعصمة الأنبياء إنما تكون وقت النبوة لا قبلها وقيل : إن المراد من قوله : ويتم نعمته عليك بخلاصك من المحن كما أتمها على أبويك إبراهيم بإنجائه من النار حين ألقى فيها ، وقيل لها : يانار كونى بردا وسلاما على إبراهيم ، واتخاذه خليلا وبفداء إسماعيل من الذبح .

وأتمها على إسحاق بأن جعل من صلبه يعقوب ومن صلب يعقوب يوسف والأسباط وكل أنبياء بنى إسرائيل من يعقوب .

ثم ذيل الآية بقوله : « إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » فالله عليم حيث يجعل رسالاته ، وعليم بمن يستحق الاجتباء ، ومن يستحق أن يعلمه تأويل الأحاديث ، ومن يستأهل أن يتم الله عليه نعمته ، وهو « حكيم » حيث يختار للنبوة النفس العالية المشرقة وهو فعال لكل ما تقتضيه الحكمة .

وقد أتم نعمته على آل يعقوب حين جعل منهم فى الدنيا أنبياء وملوكا ، ووصل ذلك بنعمة الآخرة عليهم حيث يجعلهم فى الدرجات العلى فى الجنة .

« يوسف السجين يكشف عن ملته وملة آبائه »

قال تعالى يحكى مقالة يوسف للفتيين فى السجن :

« وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ » يوسف ٣٨ والآية مكية . طلب الفتيان السجينان مع يوسف تفسير رؤياهما وتلك الرؤيا حكاها القرآن فى قوله تعالى : « وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي

«أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ» وطلبا منه تأويل مارأيا .

فأخبرهما يوسف بأنه فى علم تأويل الأحاديث والرؤى فوق ما يفقه العلماء ، وأنه يستطيع أن يخبرهما بما سيكون من طعامهما الذى يقدم لهما فى السجن قبل أن يأتيهما ، فيصفه ، ويحدد لهما نوعه فإذا جاءهما الطعام وجداه كما أخبرهما يوسف وأخبرهما أن ذلك العلم مما علمه الله له ، وأوحى به إليه .

وجعل يوسف ذلك الإخبار هو المسلك الذى يدخل منه إلى قلبيهما قبل أن يذكر لهما التوحيد ، ويدعوهما إلى الإيمان بالله ويقبح لهما الشرك .

وحين تمكن من قلبيهما أعلن لهما أنه ترك ملة الوثنيين فيما حكاه القرآن فى قوله : إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله .

وهم أولئك الذين أجمعوا على الشرك وعبادة الأوثان ، وقال ذلك ليرغب صاحبى السجن فى الإيمان والتوحيد ، وينفرهما عما كانا فيه من الشرك والضلال ومعنى الترك هنا فى قوله : إنى تركت الامتناع عن تلك الملة لا تركها بعد أن دان حينا ويدل على أن الترك هو الامتناع عن الدخول فى تلك الوثنية قوله : « ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء » أى ما يصح لنا نحن الأنبياء لقوة نفوسنا أن نشرك بالله .

« وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ » .

لقد أخبر يوسف صاحبى السجن بأنه نبى وقدم المعجزة التى أيده الله بها وهى علم الغيب ، ثم اتبع ذلك بإعلان أنه من بيت النبوة وأن أباه يعقوب وجده إسحاق وجد أبيه إبراهيم كل هؤلاء أنبياء وكلهم من آبائه فإذا عرف الفتيان أنه من نسل أولئك الأنبياء انقادوا له وتأثروا بقوله .

ونص الآية يدل على أنه على ملة إبراهيم وشريعته ، وقوله : ما كان لنا أن نشرك بالله يدل على أن الله طهر آباءه من الشرك .

« ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ » أشار بقوله : ذلك إلى ما تقدم من عدم الشرك وحصول الإيمان أو ذلك التوحيد من فضل الله حيث أيدنا بالنبوة ، ورشحنا لقيادة الأمة .

« وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ » المبعوث إليهم « لا يشكرون » فضل الله أو لا يشكرون بمعنى لا يوحدون فإن التوحيد شكر لله على تلك النعمة .

وأن ذلك الذى نصبه الله من الأدلة لنهتدى به من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون بل ينساقون وراء أهوائهم كافرين غير شاكرين أو أن التوحيد من فضل الله ، لأن الله أعطانا عقولاً نستبين بها دلائل التوحيد .

وأعطى الناس كذلك عقولا « وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ » أى لا يصرفون تلك العقول فيما خلقت له من التفكر فى آيات الله التى تقود إلى الإيمان به فكأنهم لا يشكرون الله على نعمة العقول حيث لم يوجهوها إلى ما خلقت له من التبصر فإذا لم يفعلوا ذلك التبصر فقد جحدوا نعمة العقل الذى يتدبرون به فى الآيات .

الخمر أم الخبائث

لفضيلة الشيخ
محمد حافظ سليمان

بسم الله الرحمن الرحيم

« الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ »

سورة الأنعام ٨٢

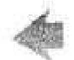
لا ريب أن الإيمان قوة تحمى المسلم من الانحدار إلى ارتكاب المنكرات ، واقتراف الموبقات ، لهذا جاء الاسلام ليدعو أتباعه إلى السمو والمكرمات ، وفعل البر والخيرات ، والبعد عن الخطيئات والإعراض عن اللغو وتجنب أهل السوء الذين اعوج سلوكهم فشردوا من طاعة الرحمن إلى طاعة الهوى والشيطان ، والله يريد من المؤمن أن يكون إنسانا بجسده ملكا بخلقه وسلوكه ليتخلص من وساوس الإثم وهواجس الشر ، لذلك كان الاسلام دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، فهو دين اليسر وعقيدته غير معقدة ، ولقد تبين من تدرج تحريم الخمر أن الفطرة السليمة تابى على العاقل أن ينزل بشرب الخمور إلى منحدر سحيق يؤذى العقل ويضر بالصحة والمال والسمعة والله يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ .

والاسلام شديد الملاحظة دقيق المراقبة فى اتخاذ الوقاية من كل ما يضر بالعقل والنفس والدين والعرض والمال ، لأن الوقاية خير من العلاج ، لذلك فهو يؤاخذ كل من لم يرحم نفسه ، وهو يعتبر من ظلم نفسه كمن ظلم غيره على حد سواء ، لأن الرحمة بالنفس تصنع الطاعات ، وهذا الدين القيم كالحياة للإنسان ولن يستقر إلا فى نفوس الأبرار أولى الألباب السليمة .

الخمر رجس من عمل الشيطان

كان المسلمون ـ قبل تحريم الخمر ـ يشربونها فذهب عمر ومعاذ ونفر من



أصحاب الرسول رضى الله عنهم ذهبوا إلى النبى صلوات الله وسلامه عليه، وقالوا له، أفتنا يارسول الله فى الخمر: فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال، وكانهم يشعرون بوجدانهم - أن الاسلام سيحل الطيبات ويحرم الخبائث ومنها الخمر، بل هى أم الخبائث، لما فيها من المفاسد والإثم الكبير، فنزل قول الله تعالى:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾.

[سورة البقرة ٢١٩]

وهذا مما يرجح التحريم، فحرمها فريق لانها إثم كبير والإثم محرم، وشربها فريق آخر لأن هذا التحريم ليس قاطعا فى نظرهم.

ولقد حدث أن شرب احدهم خمراً فسكر ثم أم المصلين فخلط فى قراءته فقرأ «قل يأيها الكافرون. أعبد ما تعبدون»: فقال عمر رضى الله عنه: اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا، فنزل قول الله تعالى:
﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾.

[سورة النساء - ٤٣]

فنادى مناد ألا يقرب الصلاة سكران، ثم شرب ناس فسكروا فأخذوا ينشدون شعرا فيه هجاء يثير العداء، فطلبوا من الله أن يبين للناس بيانا فى الخمر شافيا فنزلت الآية القاطعة فى التحريم وفيها قول الله تعالى «فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»..

أرأيت كيف تدرج الاسلام فى تشريع تحريم الخمر؟ لأن العرب أكثروا من شربها وقد تفننوا فى وصفها فى أشعارهم ولم يكن يسيرا عليهم تحريمها مرة واحدة، فلم يشق عليهم هذا التدرج، حيث قال بعضهم نحن نشربها لمنافعها، وقال غيرهم لا توجد أى منافع لنا فى الإثم فحرموها على أنفسهم، ولقد كان التدرج فى تحريمها موافقا للطبائع البشرية، ولما نزل قول الله تعالى «لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ».. قال فريق نشربها ونجلس فى بيوتنا.

وقال آخرون لا خير فى شىء يحول بيننا وبين الصلاة فى جماعة، ومن ثم كان هذا التدرج فى التشريع لحكمة، فكانت آية البقرة وآية النساء، كانتا حلقتين للتحريم، ومقدمتين للأمر القاطع بالمنع البات الجازم، بآية سورة المائدة وقد بينت بيانا شافيا كافيا بالأدلة الواضحة والبينات القاطعة على التحريم بما لا يدع مجالا للشك أو التأويل، لأنها رجس من عمل الشيطان ولا يسمى رجساً إلا كل محرم بالاجماع ﴿ قُل لَّا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾.

وعمل الشيطان كله محرم، والخمر موصوفة بأنها رجس من عمل الشيطان ولم

يقل أحد إن الشيطان عمله فيه خير ، ولكن فيه ضر وشر وذنوب وفى قوله « فاجتنبوه » أمر يؤكد التحريم ، لأن هذا الأمر للوجوب بتحريم الخمر ، والله قد رتب الفلاح على الاجتناب بقوله « لعلكم تفلحون » وشرب الخمر يؤدى إلى السكر ، والسكر يسبب العداوة بين الناس والبغضاء ، وكل ما يؤدى إلى ذلك فهو حرام ، وما حرم الله المسكرات إلا لأنها سبب البلاء والشقاء والمتاعب والعناء .

والخمر تصد عن ذكر الله وعن الصلاة

الخمر تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وما يصد عنهما فهو حرام ، وقد اقترن ذكر الخمر بالميسر وبالأنصاب وبالأزلام وكلها موصوفة بالرجس الذى نهى الله عنه بقوله « فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور » ، وكل رجس حرام .

وما هـــى الخمـــر ؟؟

كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام ، وما أسكر كثيره فقليله حرام ، وعن على رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ نهاهم عن « الْجِعَةُ » وَالْجِعَةُ « بكسر الجيم وفتح العين » نبيذ الشعير « البيرة » فيحرم تعاطيها والاتجار فيها ، والمخدرات خمر يحرم الربح الناتج من تجارتها وتحرم زراعتها وتصنيعها لأن الحرام لا ينتفع به بأية وسيلة وأما تعاطى المخدرات فهو مهانة ودناءة وعدوان على العقل والمال ، والمال رزق الله والخمر اسم لكل ما يخامر العقل « كالكونياك والويسكى والشمبانيا » ومن الخمر كل ما أسكر سواء كان سائلا ، أو جامدا ، أو عصيرا ، لأن الاسلام ينظر إلى العلة فى التحريم وإلى الأثر الذى تحدثه بعد تعاطيها من اختلال العقل الذى يفسد العلاقات الودية ويطوع للنفس ارتكاب الموبقات وهذا فوق ضياع الأموال والأوقات ، ولا شك أن الاسلام يبنى أحكامه على تحصيل المنافع ودفع المضار ، لهذا كان حراما كل مسكر ومفتر سواء كان مشموما أو مأكولا أو مشروبا كالأفيون والحشيش والكوكايين لأنها تضر ، ولها من المفاسد ما للخمر ، فهى حرام بروح النص وعلته دفعا للضرر .

قال ابن تيمية:إن فيها من المفاسد ما ليس فى الخمر وقال ابن القيم: إنها « اللقمة الملعونة » فهى مدمرة ولهذا كان انتشارها خطيرا على المجتمعات ، ومن ثم وجب القضاء عليها بكل وسيلة وقد يتم الاصلاح بالقضاء على الخمور استكمالا لتطهير الجو الاسلامى من أم الخبائث شربا وبيعا وصنعا ، تنفيذا لأمر الله وحفظا على سلامة العقول والأبدان ، وصيانة للسمعة وحرصا على الأموال وهى نعمة من الله وأمانة فى أيدى المستخلفين فيها ، وإن اقتراف الموبقات وترك الطاعات



بفعل الانحرافات يحدث خللا فى النشاط الحيوى القوى والعقلي والاجتماعى ، فإذا تبين لنا أن أكثر المنحرفين قد سقطوا من حساب المجتمع بهذا الانتاج الشخصى الهزيل بسبب ضياع الثروات ثمنا للسموم التى تذهب بأصحابها فى النهاية إلى السجون أو مصحات العلاج ، وكان الأولى أن ينفق المال فيما ينفع ، فى التنمية الصحية والاجتماعية والثقافية ، حيث لا مبرر لارتكاب هذه المحرمات التى يمقتها الاسلام ويأباها ، والله يقول : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ . ﴾ .

[سورة البقرة ـ ٢٦٨]

ويقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه

« كل أمتى يدخل الجنة إلا من أبى ، فقالوا ومن يأبى ؟ قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى » .

وروى الشيخان فى صحيحهما بسندهما عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال :

« لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » .. لأن الإيمان عصمة ووقاية وخشية من الله علام الغيوب .

وروى أبو داود بسنده عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال : لعن الله الخمر وشاربها ، وساقيها ، وبائعها ، ومبتاعها . وعاصرها ومعتصرها ، وحاملها والمحمولة إليه ، وعلى هذا فإن التجارة فى الخمور حرام على كل مسلم يحترم دينه وويل للإنسان من نفسه الأمارة إذا أصيب بداء يدمر الصحة ويحطم الشخصية لتصبح ممسوخة كما نشاهده فى وجوه السكارى والمدمنين المساكين الذين يهدمون أنفسهم بأنفسهم ، ويخربون بيوتهم بأيديهم ، وترى وجوههم عليها غبرة ولو أنهم أمنوا واتقوا وتابوا وأنابوا لكان خيرا لهم ، وإن رسول الله ﷺ يقول :

« من فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده لا شريك له وأقام الصلاة وآتى الزكاة فارقها والله عنه راض » . « رواه ابن ماجه » .

وقد أجمعت الأمة المحمدية من لدن رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، على تحريم الخمور ، مهما حاول الذين أصيبوا بجنون التأويل إباحتها فإن تحريمها ثابت بالكتاب والسنة ، فقد روى أبو داود بسنده عن النبى ﷺ أنه قال : « ليشربن ناس الخمر يسمونها بغير اسمها » .

[رواه ابن حبان وصححه]

وروى ابن ماجه بسنده عن عبادة بن الصامت عن النبى ﷺ أنه قال : يشرب ناس من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها رواه أحمد بلفظ لتستحلن طائفة من أمتى الخمر [سنده جيد] .

وروى النسائى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : حرمت الخمر لعينها قليلها وكثيرها ، وبهذا استدل أبو حنيفة على أن الخمر حرام لعينها سواء أسكرت أم لا ، لأنها سموم وهموم ، وذنوب وعيوب ، وهى منكرات وموبقات ، وضرر وخطر ، والمخدرات مدمرات .

وهل يجوز التداوى بالخمر ؟

روى أبو داود فى سننه بسنده عن أبى الدرداء قال قال رسول الله ﷺ إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تتداووا بحرام وفى رواية : إن الله لم يجعل شفاء أمتى فيما حرم عليها .

وشذ من قال بجواز التداوى بها بحجة أن الضرورات تبيح المحظورات ، ويقول الأستاذ الدكتور / محمد جعفر فى كتابه ما من شىء يكون فى الخمر يتوهم أنه مفيد إلا وفى الحلال ما يغنى عنه .

إن الاسلام لا يحرم شيئا إلا لما فيه من أضرار تلحق بالبشر ، أفينكر عاقل جناية الخمر على الجوهرة الغالية وهى العقل ؟ وهل يجحد منصف مؤمن أخطار المخدرات وعدوانها على الصحة وعلى المال ، وعلى الذرية بسبب هذا الدمار الذى يلحق المدمن « فى بيته » ، لهذا فرض الاسلام وجوب الحد على شارب الخمر انصافا وتأديبا وردعا ، وقد أحسنت الحكومة صنعا حيث حاربت بكل قوة المدمنين والمهربين « أعداء المجتمع » الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، فهم أعداء الإنسانية ، فهم غير أوفياء إذا عاهدوا ، غير أمناء إذا ائتمنوا ، غير صادقين إذا حدثوا وقد وصف ابن القيم المخدرات بأنها تذهب بنخوة الرجال والمعانى الفاضلة فى الإنسان ، ولو اطلع إنسان على ضخامة الأموال الضائعة فى المخدرات لهاله ذلك الضياع الكريه الذى بدل نعمة الله نقمة ، ولا ريب أن من يلعب بالنار يحترق .

والمسكرات أشد خطرا وأعظم ضررا من مرض الطاعون لأن الإدمان داء يؤدى إلى فساد العزيمة وضعف الهمة وفقدان الإحساس بالمسئولية ، ذلك لأن المخدرات بأنواعها تجعل حياة المدمن جحيما على كل مدمن أو سكير ، فهى تحطم الأعصاب وتصيب المرء بالضغط النفسى والدموى والعصبى ، وبضياع المال وسوء المآل ، كما هو مشاهد ، أفيجهل مسلم أن الاسلام قد منح المسلمين عزة الأقوياء وشرف الأوفياء ؟ فلا ضعف ولا استخذاء أمام هذه السموم والهموم فى رحلة الإدمان التى تنتهى بالخسران وبانهيار اقتصاد المدمن وصحته « ونفسيته » ومتاعب أسرته ، ذلك هو المدمن المسكين ، الذى ينتقل من طاعة الرحمن إلى طاعة الشيطان ، ومن حب التعمير إلى فعل التدمير ، ومن حرية الإرادة إلى أسر العادة ، ومن الاستقامة إلى الندامة ، ومن السعادة إلى الشقاوة وسوء المصير ، والله يقول :

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا .



الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ .

وقد انفرد الإنسان دون غيره من الحيوانات بتخدير عقله بإرادته وبظلم نفسه بنفسه ومن أصيب بالإدمان فقد حبط عمله وخاب أمله وانحدر إلى أحط الدرجات ، ذلك لأن الاستقامة هى اللبنة الأولى فى بناء الشخصية المثالية فى الرجل العظيم ، أما سقيم الوجدان فقد آثر نداء نفسه ، ولكن الاسلام يقدر الإنسان منذ كرمه ربه وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا ، ولا يرضى له ربنا أن يكون ظلوما جهولا ، إن ضياع الأوقات والأموال والعدوان على العقل والصحة ، والعبث واللهو كل أولئك مدون عند الله الذى يعلم ما تكسب كل نفس وهو القائل :

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ .

« سورة المجادلة ٦ »

إن الواجبات لكثيرة فلا لهو ولا عبث ، ولا إهمال ولا استهتار لأن حياة الأبرار تتطلب صالح العمل الذى يحقق الأمل ، والله يقول ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

وويل للإنسان من صحبة الأشرار أصحاب الخلق الذميم الذى يعدى السليم المستقيم إذا لم يكن قويا أمام نوازع الشر ومثيرات الفتن .

﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ .

[سورة الزخرف ـ ٦٧]

والله يقول ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۝ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝ لَقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِى وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴾ .

سورة الفرقان ـ ٢٧ ـ ٢٩]

من رحمة الله بالعباد أن جعل باب المتاب مفتوحا لمن تاب وحسنت عزيمته ونيته وخشع قلبه لذكر الله وما نزل من الحق والله يقول : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

[سورة الانعام ـ ٥٤]



(٢)

الدولة الإسلامية

للعميد : أ.ح
الدكتور فوزى محمد طايل

انتهيا فى مقالنا السابق إلى أن رسول الله محمداً ﷺ قد أقام مجتمعا اسلاميا على أسس راسخة مستمدة من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وإلى أن هذين المصدرين « القرآن الكريم والسنة النبوية » هما المصدران الأساسيان اللذان تبنى عليهما الأحكام ، وتصاغ على ما جاءا به من مباديء ـ كل القوانين فى الدولة الاسلامية بالاجتهاد الذى تراعى فيه اعتبارات المصلحة ، وتغير الأزمان ، وتبدل الأعراف .

كان محمد رسول الله ﷺ رسولا نبيا معصوما ، لا ينطق عن الهوي ، يبلغ ما ينزل عليه من ربه ، فكان عليه الصلاة والسلام القدوة والمعلم ، ولقد أقام الخلفاء الراشدون الدولة الاسلامية الأولى التى اقتضتها الشريعة الاسلامية التى تنظم كل جوانب الحياة فى مجتمع المسلمين .

او كما ورد فى التعبير الحديث انه يوجد تلازم بين فكرة الدولة ووجود شريعة « نظام قانونى » وأنه لا يصح الفصل بين القانون والدولة لوجودهما فى حالة اعتماد وتساند متبادلين « ١ »

أوجه نشاط الحكومة فى الدولة الاسلامية :

تمارس الحكومة فى الدولة الاسلامية « وهى المنوط بها تنفيذ شرع الله » أوجه نشاط ترعى بها صوالح الأفراد والمصلحة العامة ، وتحافظ على كيان المجتمع من الداخل وفى الخارج .

(١) راجع ا . د . ثروت بدوى النظم السياسية دار النهضة ١٩٧٥ ص ١٥٨ / ١٦٧ .

وللمحافظة على كيان المجتمع من الداخل تعمل الحكومة كل ما من شأنه أن يحقق :

أولا ـ بناء الفرد المسلم :

نزلت الكثير من الآيات القرآنية مخاطبة الفرد من حيث هو فرد ، كما روي العديد من الأحاديث النبوية الشريفة منتهجة نفس المنهج ، وقد كان هدف القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وضع الفرد أمام مسئوليته من جهة إذ يقول الله تعالى :

﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى . وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى . وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَي ﴾ « النجم ٣٨ ـ ٤٠ » ومن جهة أخرى كان الهدف تهذيب نفس الفرد وضميره ، وحثه على تحسين سلوكه الخارجي والتمسك بالفضائل والبعد عن الرذائل ، ولعل أوضح ما اهتم به الإسلام من أمور في سبيل بناء الفرد المسلم ما يلي :

غرس الإيمان في نفس الفرد : فالمؤمن هو من يؤمن بالله خالق كل شيء ، وبملائكته ، وبكتبه ، وبرسله ، وباليوم الآخر ، وبالقدر خيره شره . وهو يعمل مراقبا الله في كل أعماله . وجوهر الإيمان الانصياع لأوامر الله والانتهاء عما نهى عنه . يقول الله تعالى : في أول سورة البقرة : ﴿ الٓمٓ . ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ . وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ . أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ « البقرة ١/٥ »

٢ ـ تعويد الفرد على النظام والانضباط :

فالمسلم يلتزم ، عن رضي وطيب خاطر بدافع من إيمانه ، وتحت رقابة وسلطان ضميره ، بأن يأتى بما أمره الله به من أمور تتصل بعلاقة الإنسان بربه ، أو علاقته بغيره من الناس ، وكلها أمور تعمل على جعل النظام والانضباط غريزتين تحكمان سلوك الفرد ، فالمسلم مأمور بأداء الصلاة بأسلوب محدد ، وفى توقيتات محددة ، خمس مرات فى اليوم والليلة . وهو مأمور بالامتناع عن الطعام والشراب طوال نهار شهر كامل محدد كل عام .. وهكذا باقى أركان الاسلام جاءت لخلق فرد منضبط فى مظهره وسلوكه .

ومن مظاهر الانضباط والنظام فى السلوك اليومى داخل الأسرة ما جاء فى قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ . « النور/٥٨ » .

٣ ـ تقوية انتماء المسلم لعقيدته دون سواها : فانتماء الفرد المسلم وكل ولائه لا يكون للأسرة ولا للقبيلة ولا للبلدة التى يعيش فيها أو القومية العرقية هذه أو تلك ،

وإنما يكون للعقيدة التى تمتلك على الفرد حسه ووجدانه ، وتدفعه إلى بذل كل رخيص وغال من أجل الذود عنها ولقد ذكر القرآن الكريم أن الانتماء إلى العقيدة الاسلامية هو انتماء إلى خير أمة على وجه الأرض ، وذلك فى قول الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ « آل عمران/ ١١٠ » .

فمن من البشر لا يحب أن يكون منتميا إلى مجتمع يعتقد أنه خير المجتمعات على الاطلاق .. ؟

٤ ـ الدعوة إلى التمسك بمكارم الأخلاق :

فلقد وصف الله تعالى رسوله الكريم بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ « القلم/ ٤ » ثم أمرنا بالتأسى به فى قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ « الأحزاب/ ٢١ »

لقد دعا الاسلام إلى التمسك بالأخلاق الكريمة والتحلى بالفضائل والآداب ، وجعل ذلك من الواجبات العامة المفروضة على كافة أفراد المجتمع .

عن أبى ذر جندب بن جنادة ، وأبى عبد الرحمن معاذ بن جبل رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ قال : « اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » [رواه الترمذي]

وقد روي الترمذي أن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم عليه السلام : يا خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار ، تدخل مداخل الأبرار ، فإن كلمتى سبقت لمن حسن خلقه أن أظله فى عرشي وأن أسكنه قدسى وأن أدنيه من جواري » .

من أجل ذلك ربط الاسلام الخلق بالإيمان ربطا وثيقا ، وجعل عدم التمسك بحسن الخلق دليلا على ضعف الإيمان .

سأل رسول الله ﷺ أصحابه يوما قال : أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ، ويأتى وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا وضرب هذا . فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح فى النار » « رواه مسلم » .

الدعوة إلى التمسك بمكارم الأخلاق هى الخطوة الأولى لايجاد مجتمع اسلامى يسوده السلام الاجتماعى وهى الإجراء الوقائى لتلافى وقوع الجرائم ، خاصة فى مجالات النفس والمال والعرض .

لقد جاءت بعض الأحكام الأخلاقية فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة متدخلة فى أدق تفاصيل الحياة الاجتماعية للفرد المسلم :

احيانا فى صورة الفرض كقوله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ



بما يصنعون ◌ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ « النور ٣٠/٣١ » .

وأحيانا أخري تأتى الأحكام فى صورة الأمر المندوب إليه : كآداب الطعام ، وآداب الطريق ، ورد التحية ، والدعوة ، والحلم ، والصبر والشجاعة ، والتواضع ، وقد تأتى هذه الأحكام مرتبطة بجزاء أخروي كالصدق والوفاء بالعهد .

ومن الأمور التى تتسق مع الدعوة إلى التمسك بمكارم الأخلاق ، تحريم سوء الخلق . وقد قرن الله تعالى سوء الخلق بالشرك به سبحانه ، وهو اكبر الكبائر ، إذ يقول الله تعالى : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون ﴾ « الأعراف ٣٣ » .

وبذا نجد الاسلام قد نهى عن كل ما من شأنه إثارة الاضطراب وعدم الاستقرار فى المجتمع .

عن أبى هريرة أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ، ولا تجسسوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ههنا ، التقوى ههنا ، التقوي ههنا ، « ويشير إلى صدره » بحسب امريء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه . إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ، ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم . « رواه البخاري ومسلم » .

٥ ـ **التعليم** : فإن من تمام تربية الفرد تعليمه وإكسابه من الخبرات والمهارات ما يمكنه من أن يكون عضواً صالحا منتجا فى المجتمع ، ولا غرو فقد نزلت أولى آيات القرآن الكريم مشيرة إلى التعليم باعتباره فرضا من فروض الاسلام ، إذا يقول الله تعالى : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ◌ خلق الإنسان من علق ◌ اقرأ وربك الأكرم ◌ الذى علم بالقلم ◌ علم الإنسان مالم يعلم . . ﴾ « العلق ١/٥ » ويعتبر قوله الكريم : ﴿ وقل رب زدني علما ﴾ « طه ١١٤ » بمثابة شعار من شعارات الفرد المسلم ، وقد كرم الله العلم والعلماء فى غير ما آية قرانية ، فقرر أن العلماء هم أكثر الناس خشية لله تعالى لما يطلعون عليه من مقدرة الخالق جل وعلا من خلال علمهم ، كما جعل من العلم معيارا

للتفضيل بين بنى البشر ، ومن آيات الله في تكريم العلماء قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ « آل عمران / ١٨ » .

لقد كفل الاسلام حرية الرأى ، وحرية التعبير عنه لكل الراشدين من أفراد المجتمع بيد أن حرية الرأى ، وحرية التعبير عنه لن تكون لهما قيمة تذكر . بل ستصبحان ضارتين بمصالح المجتمع مالم تنبثقا عن إدراك صحيح بحقائق الأمور وتفكير سليم منطقى ، وهذان الأخيران لا يتحققان بدون التعليم والثقافة .

ما يجب تعلمه أولا :

من أجل هذا كان التعليم حقا للمواطن في الدولة الاسلامية ، وفرضا عليه في آن واحد . وإذا كان التعليم هو الوسيلة لفهم الأمور وإدراكها ، ثم التعبير بالكلمة المكتوبة أو بالقول ، بما يتفق مع ما جاء به الشرع ، وبما لا يتعارض مع نص محكم قطعى الدلالة ، فإن من الواجب أن تكون اللغة العربية ، والقرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة من العلوم الأساسية الواجب أن يتعلمها كل فرد في المجتمع الاسلامى ، بل ويتقنها حق الاتقان تدريجيا في كل مراحل التعليم ، بغض النظر عن معتقداته الدينية ، فإذا كان الهدف واضحا جليا بالنسبة للمسلمين ، فإنه أيضا واضح جلى بالنسبة لغير المسلمين من أفراد المجتمع ، إذ أنهم مطالبون في غير شئونهم الشخصية ومعتقداتهم الدينية بالانصياع لأحكام الشريعة الاسلامية ، القانون الذى يحكم المجتمع .

والتعليم في مرحلته الأولى فرض عين على كل المسلمين رجالا ونساء . شيوخا وأطفالا ، وهو فرض على الكفاية فيما بعد ذلك .

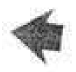
لقد سخر الله تعالى الشمس والقمر ، وسخر ما في السماء ، والأرض وما بينهما للإنسان ، ومن مقتضى هذا التسخير استخدام العلم للاستفادة من هذه المسخرات ، وهذا التصرف في حد ذاته يعتبر بمثابة العبادة لأنه امتثال لأمر الله تعالى .

وتعلم الصنائع والحرف والمهن وكافة الأعمال التى تنهض بالمجتمع الاسلامى وتجاري أحدث تطور وصل إليه العقل والفن البشريين ، كلها من الفروض الكفائية التى يأثم المجتمع كله ، حكومة وأفرادا ، خاصة وعامة ، إن لم يقم بها من يستطيع سد حاجة المجتمع الاسلامى والسعي به إلى الصفوف الأولى بين الأمم .

فالاسلام قد جعل من العلم المادى والعلم الدينى فريضة ، ولم يفرق بينهما ، ولم يجعل أى تعارض بين الدين والعلم .

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ . « الإسراء ٣٦ »

يقول فضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود : « فالسمع ، والبصر ، هما أساس العلم المادي ، علم التجربة والملاحظة ، أما القلب ، فإنه أساس العلم الالهامى .. ويضيف : إن مسألة التعارض



بين الدين والعلم إنما هى مسألة وهمية إذا نظرنا إلى حقيقة الأمر » .

ثانيا - إقامة المجتمع الفاضل :

١ - تنظيم الروابط الأسرية : فالأسرة فى المجتمع الاسلامى هى الخلية الأساسية التى إذا صلحت صلح المجتمع كله ، وهى المدرسة الأولى التى يتم فيها تعليم الفرد وتربيته .

لقد جاء القرآن الكريم والسنة والنبوية الشريفة بأحكام دقيقة لتنظيم علاقات أفراد الأسرة كل منهم بالآخر ، وجاءت هذه الأحكام مفصلة تفصيلا مستفيضا خاصة فيما يتعلق بأسلوب بناء الأسرة وتسيير حياتها بدءا بالزواج وحقوق الزوجين كل منهما تجاه الآخر ، وعلاقات الآباء بالأبناء ، وأحكام المواريث والوصايا ، والنفقة ، ومسئولية الولاية على المال وعلى النفس ، وقد صور الاسلام العلاقة داخل الاسرة على أنها علاقة مودة ورحمة . وقد تولى الفقه الاسلامى تفصيل ما جاء مجملا من هذه الأحكام ، فقضى الاسلام بذلك على كثير من أسباب النزاع بين أعضاء الأسرة الواحدة قبل أن يبدأ هذا النزاع وجعل حل كثير من قضايا الأسرة الواحدة يحل داخلها فلا يعلم به غريب عنها .

٢ - تحقيق الأخوة بين أفراد المجتمع :

أوضح القرآن الكريم أن الأخوة بين بنى البشر جميعا تنبع من طبيعة خلقهم من أب واحد وأم واحدة . هذه الأخوة تقتضي منطقيا التساوى بينهم ، فلا يكون تفاضل على أساس جنس أو لون أو مالا دخل للإنسان فيه .

يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ « الحجرات ١٣ » .

ويقول رسول الله ﷺ : « الناس سواسية كأسنان المشط » .

وإذا كان الاسلام قد قرر الأخوة العامة بين بنى البشر ، فإنه قد خص المسلمين بأنهم أخوة ، وأنهم كالجسد الواحد يشعر كل منهم بشعور الآخر ويحس بإحساسه ويتألم لألمه ، كما أنهم جميعا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

لقد أوصى الاسلام فى غير ما آية ، وفى غير ما حديث بالإحسان إلى الجار ، وإلى الصديق ، وإلى ذوى القربى ، وإلى أولى الأرحام .

وفى سبيل المحافظة على جو المحبة والتفاهم بين أفراد المجتمع ، ينهى الاسلام عن القطيعة إذ يقول رسول الله ﷺ : « لايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ، يلتقيان فيعرض هذا ، ويعرض هذا ، وخيرهما من يبدأ بالسلام كما يدعو الاسلام للإسراع فى الاصلاح بين المتخاصمين توقيا من وقوع الشر .

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ « الحجرات ١٠ » .

وفيما رواه الترمذي وأبو داود قوله ﷺ : « الا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة ؟ قالو بلى قال : « إصلاح ذات البين وفساد ذات البين هى الحالقة » .

٣ ـ صيانة الحرمات الفردية درءا للنزاع : فالاعتداء على الحقوق والحريات الشخصية للفرد يعد سببا أساسيا فى حدوث الفوضى ، وعدم الاستقرار ، وفساد المجتمع بأسره . لذا فقد أحاط الاسلام كرامة الإنسان بسياج من الاحترام إذ يقول الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴾ « الحجرات / ١١ » .

ويعتبر الاسلام الاعتداء على النفس أو المال أو العرض من الكبائر التى تستوجب إقامة الحد فى الدنيا ، ولعنة الله فى الآخرة .

ومن كرامة الإنسان حرمة المسكن الذى هو من أخص خصوصيات الفرد فى المجتمع ، فهو مستودع حرماته ، ومقر أمنه ، وأهم مجالات ممارسته لحقوقه وحرياته الشخصية . من أجل هذا يصون الإسلام حرمة المسكن جاء أمر الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ « النور/ ٢٧ ـ ٢٨ » ويقول سبحانه : ﴿ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ « البقرة ١٨٩ » .

٤ ـ حفظ التوازن بين مصالح الأفراد : فبعد أن نظم الاسلام العلاقة بين أفراد المجتمع ، وبعد أن وضع الحدود التى يمارس فيها كل فرد حقوقه وحرياته دون مساس بحقوق وحريات الآخرين ، يأتى دور السلطة الحاكمة فى اتخاذ إجراءات ايجابية من أجل حفظ التوازن بين مصالح الأفراد ، وقد سلك النظام الاسلامى فى هذا المجال مسلكا فريدا على مرحلتين :

المرحلة الأولى : إعادة التوازن فى العلاقات بين الأفراد حال بدء اختلال هذا التوازن ، وقبل تمامه ، وذلك عن طريق نظام الحسبة .

المرحلة الثانية : تقويض الخلل الذى حدث فى العلاقات الاجتماعية عن طريق إقامة الحدود ، أو توقيع العقوبات الأخرى .

أ ـ نظام الحسبة :

وهو أحد التطبيقات العملية لمبدأ « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » وهو نظام تنفرد به الدولة الاسلامية دون سواها ، والحسبة تعد بمثابة إجراءات وقائية مبكرة تمنع اى انحراف عن النظام الاجتماعى الاسلامى القويم فى مراحله الأولى وقبل أن يؤتى آثاره الضارة المخلة بالمجتمع ونظامه .

وقد مارس رسول الله ﷺ الحسبة فيما رواه الترمذي عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها ، فقال : يا صاحب الطعام ما هذا ؟ فقال : أصابته السماء يا رسول الله ، فقال : أفلا جعلته فوق الطعام كى يراه الناس ؟ ثم قال : « من غشنا فليس منا » .

وقد كان الخلفاء الراشدون يمارسون الحسبة بأنفسهم وبخاصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .. فلما كثرت مهام الدولة ،

البقية ص ٢٣٢

أمانة الاختيار

والتكليف بالوسع

من مبادئ القيادة والإدارة في الإسلام

يجمع علماء الإدارة وخبراء القيادة على أن من أهم أسباب الخلل فى اجهزة العمل « عدم الملاءمة بين متطلبات العمل وبين قدرات الفرد الذى يقوم به » أو ما يعبر عنه عادة بعدم وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب .

والواقع أن قيام الفرد بالعمل الذى تناسبه قدراته واستعداداته وميوله يُمكِّن من استغلال طاقاته افضل استغلال مما يرفع من مستوى ادائه للعمل ، ومن مستوى الكفاءة فى تحقيق الأهداف وتحصيل النتائج المرجوة .

ويقرر علماء النفس ان هذا المبدأ ينطوى على عامل معنوى له وزن كبير فى مجال الادارة والقيادة ، وهو أن « التوافق » بين الفرد والعمل ، يحفظ له « صحته النفسية » لأنه يوفر له المناخ والفرصة « لتحقيق ذاته » فى ميدان العمل ، وتكيفه وتوافقه مع البيئة التى تحيط به ، ويجعل سلوكه على النحو الذى يتفق مع فكرته عن نفسه ، ويشعره بالسعادة والرضا عن نفسه وعن غيره من الناس .

أما إذا أُهمل هذا المبدأ ، وكُلف الفرد بعمل لا يتناسب مع قدراته وميوله ، فإن الاضرار التى تنتج عن ذلك لا تلحقّ بالفرد وحده ، بل تلحق بالعمل نفسه وما يحققه من مصالح الناس والأمة وذلك ما نوضحه فيما يلى :ـ

الأضرار التى تلحق بالفرد :

(١) تعرضه للاضطرابات النفسية نتيجة لعدم التوافق النفسى وشعوره بعدم الرضا .

(٢) تعرض صحته للضرر إذ يحتمل ألا يتحمل جسمه أعباء العمل أو قد يتعرض لإصابات العمل .

(٣) حاجته إلى وقت للتدريب أطول نسبياً مما يحتاجه زميله الذى تتفق قدراته وميوله مع العمل ، وقد يتسبب ذلك فى تأخير حصوله على الأجر .

(٤) ضعف الانتاج بالمقارنة بما يحققه زملاؤه مما يقلل من الدخل الذى يحصل عليه

للواء ا.ح : محمد جمال الدين محفوظ

وبخاصة فى المنشآت التى تربط الأجر بالانتاج .

(٥) قلة أو انعدام الفرص أمامه للترقية إلى الدرجات الأعلى .

الأضرار التى تلحق بالعمل :

١ ـ زيادة تكاليف التدريب وتكاليف الانتاج .

٢ ـ ضعف ونقص الانتاج .

٣ ـ زيادة معدلات الغياب أو حوادث وإصابات العمل .

٤ ـ كثرة مشاكل العاملين وبخاصة بينهم وبين رؤسائهم .

٥ ـ سوء العلاقات الانسانية .

توجيهات الإسلام :

والحق أن الإسلام وضع القواعد الراسخة التى تضمن سلامة اختيار الأفراد للأعمال التى يكلفون بها والتى تعد أكمل مرشد إلى تطبيق مبدأ وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب :

أولاً : اختلاف قدرات الأفراد :

اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون الناس مختلفين بعضهم عن بعض فى الاستعدادات والقدرات وهو ما يسميه علماء النفس بالفروق الفردية ، فلايوجد فردان متشابهان تشابها تاما على الاطلاق حتى التوائم التى تولد من مشيمة واحدة لا تتشابه من جميع النواحى .

وحركة الحياة تنطوى على أشكال متنوعة من العمل ، لكل شكل منها طابع خاص ويتطلب فيمن يقوم به قدرات واستعدادات تتناسب معه ، فيكون من مستلزمات النجاح فى إنجاز الاعمال أن يتم التوافق بين العمل والعامل .

وقد كان الرسول القائد ﷺ القدوة المثلى فى تطبيق هذا المبدأ ، فسجل عصر النبوة قدرته الفائقة وبصيرته النافذة فى معرفة النفوس والمواهب والقدرات ومعرفة ما يلائمها من المهام والأعمال .

ومن ذلك أنه عليه الصلاة والسلام فى غزوة أحد أمسك بسيف وقال : « من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ » ، فقام إليه رجال يريدون أخذ السيف ، لكنه امسكه عنهم حتى قام أبو دجانة فأعطاه له ، ولقد اثبتت أحداث المعركة حسن اختيار الرسول القائد ﷺ لأبى دجانة ، فقد سأل رسول الله ﷺ قائلاً : وما حقه يارسول الله ؟ فقال الرسول ﷺ : « أن تضرب به العدو حتى ينحنى » ، ولقد قاتل أبو دجانة بهذا السيف قتالا شديدا فلما دارت الدائرة على المسلمين قام بعمل يدل على الشجاعة والفدائية المنقطعة النظير إذ حنى ظهره على الرسول ﷺ وجعل من ظهره ترسا أو درعا تحميه ، فكانت سهام الأعداء تقع فيه .

ثم إن المبدأ هو بعض ما يفهم من قول الرسول ﷺ : « كل ميسر لما خلق له » (رواه البخارى والطبرانى) .

ثانياً : قاعدة التكليف بالوسع :

والإسلام لا يكلف الإنسان بما لا يطيق وذلك بعض ما يشير إليه قول الله تعالى : « **لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا** » (البقرة ٢٨٦) ففى ذلك توجيه إلى مراعاة قدرات الفرد واستعداداته عند اختياره للعمل ، بحيث لا يقوم بعمل يتطلب قدرات ليست فيه أو لا يقوى على أدائه .

ثالثاً : سلامة الاختيار وأمانته :

ولكى يضع الإسلام الضمانات الكفيلة بوضع الرجل المناسب فى المكان المناسب ، فقد جعل أمر اختيار الأفراد للأعمال أمانة فى عنق المسئول تتطلب العدل واستقامة الضمير والموضوعية والبعد عن اختيار غير الاكفاء محاباة أو نفاقا ، والله تعالى يقول : « **إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** » (النساء ٥٨) .

عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله ، الا تستعملنى « أى تولينى عملاً عاماً » . قال : فضرب بيده على منكبى ثم قال : « ياأبا ذر ، إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزى وندامة ، إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها » (رواه مسلم) .

وعنه أيضاً أن الرسول ﷺ قال له : « ياأبا ذر إنى أراك ضعيفاً وإنى أحب لك ما أحب لنفسى ، لا تَؤَمَّرن على اثنين ، ولا تَلِيَنَّ مال يتيم » (رواه مسلم) « وقد فسر ضعف أبى ذر بضعفه عن القيام بوظائف الولايات والعجز عن تنفيذ أمورها ورعاية حقوقها ، وذلك لأن الغالب فى أبى ذر كان الزهد واحتقار الدنيا والاعراض عنها » .

وعنه أيضاً أن النبى ﷺ قال : « من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل ، فليتبوأ مقعده من النار » (رواه أحمد) .

وعنه أن الرسول ﷺ قال : « إذا ضيعت الأمانة ، فانتظر الساعة ، قيل يارسول الله ، وما اضاعتها ؟ قال : إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » (رواه البخارى) .

وعن يزيد بن سفيان قال : قال لى أبو بكر الصديق حين بعثنى إلى الشام : يايزيد ، إن لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالإمارة ، وذلك أخوف ما أخاف عليك بعد ما قال رسول الله ﷺ : من ولى من أمر المسلمين شيئاً ، فَأَمَّرَ عليهم أحدا محاباة ، فعليه لعنة الله ، لا يقبل منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم (رواه الحاكم ـ وصرفا ولا عدلا : أى لا يقبل الله منه فرضا ولا نفلا) .

وقد بلغ من اهتمام الرسول ﷺ بمبدأ سلامة الاختيار وأمانته أنه عدَّ مخالفته غشا لله ولرسوله وللمسلمين فقال : « أيما رجل استعمل رجلا على عشرة انفس ، علم أن فى العشرة أفضل ممن استعمل ، فقد غش الله وغش رسوله وغش جماعة المسلمين » (رواه أبو يعلى عن حذيفة) .

رابعاً : سلامة الاختيار من أسباب نجاح الأعمال :

ويقرر الإسلام أن سلامة اختيار الأفراد للعمل من أهم أسباب النجاح فى الأعمال وتحقيق الأهداف ، ومن الأمثلة على ذلك

اختيار الرسول القائد ﷺ للعيون والأرصاد « رجال المخابرات » .

فوظيفة رجل المخابرات لا يشغلها بكفاءة إلا من تتوفر لديه قدرات وخصائص خاصة كالذكاء وحاسة حب الاستطلاع وسرعة البديهة والتصرف السليم .

وصفاء الرؤية ، والمرونة وسرعة التحول من حال إلى حال ، والثبات والاتزان فى مواجهة أخطر المواقف وأحرجها ، والقدرة على كتمان المعلومات .. الخ ..

ولقد كان للرسول ﷺ عيون وأرصاد سواء فى مكة أو فى المدينة وداخل شبه الجزيرة وخارجها ، وليس أدل على توفر صفات رجل المخابرات فيمن اختارهم ممايلى :

١ ـ لم ترد فى تاريخ السيرة حادثة واحدة انكشف فيها أمر واحد من رجال المخابرات المسلمين .

٢ ـ كانت نوايا الأعداء بالعدوان تبلغ الرسول القائد ﷺ فى وقت مبكر يمكنه من اتخاذ إجراءات المواجهة حسبما يقتضى الموقف .

٣ ـ لم يضع خطة لغزوة أو سرية دون أن تكون لديه المعلومات اللازمة للتخطيط الناجح عن العدو وعن الأرض والظروف المحيطة .

ومن الأمثلة البارزة فى هذا المجال نذكر مايلى :

● فى غزوة الخندق كان النبى ﷺ على علم بنوايا أعدائه على نحو مبكر جدا مكنه من حفر خندق حول المدينة كان مفاجأة للمشركين

حين رأوه حتى قالوا : « والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها » .

وقد نوه بكفاءة رجال مخابرات النبى ﷺ ، خبير المخابرات والجاسوسية العالمى« لاديسلاس فاراجو » فقال : عندما قرر المكيون « قريش » أن يتخلصوا من محمد ﷺ نهائيا عبأوا ضده قوة من عشرة آلاف مقاتل ، ولم ينزعج النبى لأنه كان قد ترك فى مكة عملاء أكفاء أبلغوه بخطط أعدائه ، أما

خصومه فلم يكن لهم عملاء عنده ، ولذلك فعندما وصل المكيون إلى المدينة أذهلهم أن يجدوا خندقا وجدارا يحيطان بالمدينة»

● وفى الخندق أيضاً اختار الرسول ﷺ حذيفة بن اليمان العبسى لكى يتسلل إلى معسكر قريش ويأتيه بالمعلومات عنهم وهى مهمة من أخطر مهام المخابرات ، فاستطاع حذيفة أن يدخل المعسكر ويندس بين الصفوف وكانت الريح تهب بشدة ، فقام ابو سفيان زعيم قريش ينادى : يامعشر قريش ، ليتعرف كل امرىء على جليسه ، واحذروا الجواسيس والعيون !!

يقول حذيفة : فأخذت بيد جليسى عن يمينى وقلت من أنت ؟ فقال : معاوية بن أبى سفيان ، وقبضت على يد من على يسارى فقلت : من أنت ؟ قال : عمرو بن العاص !

بهذا التصرف الذكى السريع ، انقذ حذيفة نفسه من أن ينكشف امره وهو مندس وسط صفوف الأعداء ، ولو لم يتصرف بمثل تلك السرعة ، أو أصابه الارتباك ، أو تاخر لحظة واحدة ، لبادره كل منهما بالسؤال ، وتعرض لان ينكشف امره ، ولضاع على المسلمين الهدف الذى أرسلوه من أجله .



عن أبى سعيد الخدرى « رضى الله عنه » قال : قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] :

« لا تسافر المرأة يومين إلا ومعها زوجها أو ذو محرم »[1]

البيان

١ ـ تمهيد :ـ منذ بزغ فجر الإسلام ، وهو يعلن المساواة بين الرجل والمرأة فى القيم الإنسانية وتبعاتها ويقرر الحقوق والواجبات لكل منهما ، وأن للنساء ثواب أعمالهن الصالحة ، كما أن للرجال ثواب أعمالهم الصالحة ، فكلاهما ـ إذاً ـ مكلف مسئول ، قال تعالى :

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً ﴾[2]

٢ ـ النساء يتحملن المسئولية فى حدود قدرتهن :

النساء يتحملن المسئولية فى حدود طاقتهن وطبيعتهن ، وتحملن العمل فى ميادين القتال مع رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وكن يقمن بواجبهن [وهن ربات بيوت] ، نحو المقاتلين خير قيام ، من تطبيب المرضى ، وتضميد الجرحى ، ونقل المرضى .

عن الرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذْ ، قالت : « كنا نغزو مع رسول الله [صلى الله عليه وسلم] نسقى القوم ونخدمهم ، ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة »[3]

وكن يخلفن المقاتلة فى منازلهم فيحرسنها ، ويحملن عنهم عبء حمايتها ، ومن البدهى ، أنهن ما ثبتن لهذه الأعمال إلا وهن مستعدات للدفاع عن أنفسهن .

عن أنس [رضى الله عنه] قال : [إن أم سليم اتخذت خنجراً يوم حنين ، فقالت : اتخذته ، إن دنا منى أحد من المشركين بقرت بطنه][4] .

وفى رواية أم عطية الأنصارية قالت : [غزوت مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سبع غزوات ، أخلفهم فى رحالهم ،

---

(١) رواه البخاري
(٢) سورة النساء آية ١٢٤
(٣) رواه البخاري
(٤) رواه مسلم



للاستاذ محمد صابر البرديسي

وأصنع لهم الطعام ، وأداوى الجرحى ، وأقوم على المرضى](٥) .

إن الاسلام ليرحب بكل جهد مثمر ، من أجل الجماعة ، مهما كان القائم به ، رجلاً كان أو امرأة ، وهو يبيح للمرأة أن تمارس كل عمل دعت إليه الحاجة فى السلم ، أو دعت إليه الضرورة فى الحرب ، بشرط التصون والعفة ، وعدم الابتذال والاستهتار .

أما أن تتخذ المواقف والمناسبات فرصاً للتهتك والفحشاء والمنكر ، باسم النجدة والعمل الصالح ، فذلك ما يأباه الاسلام والأخلاق ، وتأباه المروءة والشرف وكرامة الإنسان .

٣ ـ سفر المرأة :

قال العلماء : [يجوز سفر المرأة وحدها فى الهجرة من دار الحرب والكفر ، وللمخافة على نفسها ولقضاء الدين ولرد الوديعة ، والرجوع عن النشوز] وهذا مجمع عليه .(٦)

أما السفر لغير هذه المواضع ، فإن المرأة لا تسافر إلا مع زوجها أو مع ذى محرم ، لما ورد عن ابن عباس (رضى الله عنهما) انه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) [لا تسافر المرأة إلا مع ذى محرم ، ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم ، فقال رجل : يا رسول الله ، إنى أريد أن أخرج فى جيش كذا وكذا ، وامرأتى تريد الحج ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : أخرج معها](٧) .

(أ) وهذا ما ذهب إليه إبراهيم النخعى والشعبى وغيرهما ، فإنهم قالوا : (لا يجوز للمرأة أن تسافر ـ سواء كان السفر قريباً أو بعيداً ـ إلا إذا كان معها زوج أو ذو محرم لها ، وقالوا بعموم الحديث ، واشتماله على حكم السفر مطلقاً) .

(ب) وذهب الحسن البصرى ومن معه إلى أن المرأة لا يجوز لها أن تسافر ليلتين بلا زوج أو محرم ، للحديث الذى صدر به هذا المقال ، فإذا كان أقل من ذلك فإنه يجوز .

(جـ) ومذهب عطاء وسعيد بن كيسان : أنه يجوز للمرأة السفر بمفردها فيما دون البريد(٨) فإذا زاد فليس لها السفر إلا بمحرم واحتجوا بحديث أبى هريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى



(٥) رواه مسلم ـ ومعنى اخلفهم فى رحالهم : اتعهد منازلهم بالحراسة عند ذهابهم لميدان القتال .

(٦) سبل السلام للعسقلانى ص ٣١٥ .

(٧) رواه البخاري

(٨) البريد : فرسخان ، وقيل اربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة أميال ، والميل اربعة آلاف ذراع

الله عليه وسلم) « لا تسافر امرأة « بريداً » إلا مع زوج أو ذى محرم)[٩] .

(د) ومذهب الأوزاعى ، والليث ، ومالك والشافعى قالوا : (للمرأة أن تسافر فيما دون اليوم بلا محرم ، لكن عند مالك والشافعى ، لها أن تسافر للحج الفرض بلا زوج ومحرم ، فإنهما خصّا النهى عن ذلك بالأسفار غير الواجبة ، لما روى عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ، أن تسافر مسيرة يوم إلا مع ذى محرم)[١٠] .

(هـ) ومذهب الثورى ، وأبى حنيفة ، وأبى يوسف ، ومحمد ، قالوا :

« ليس للمرأة أن تسافر مسافة ثلاثة أيام فصاعدا ، إلا مع زوج أو ذى محرم ، فإذا كان أقل من ذلك ، فلها أن تسافر بغير محرم ، لما روى عن ابن عمر (رضى الله عنهما) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (لا تسافر المرأة ثلاثاً إلا ومعها ذو محرم)[١١] . وللجمع بين هذه الآراء والمذاهب ، وبين الأحاديث التى وردت فى ظاهرها متباينة ، قال القاضى عياض :

فى رواية أبى سعيد (ثلاث ليال) وفى رواية أخرى عنه « يومين » وفى الأخرى « أكثر من ثلاث » وفى حديث ابن عمر (ثلاث) وفى حديث أبى هريرة (مسيرة ليلة) وفى الأخرى عنه « يوما وليلة » وفى الأخرى عنه « ثلاث » ـ وهذا كله لا يتنافى ولا يختلف فيكون (صلى الله عليه وسلم) منع من ثلاث ومن يومين ، ومن يوم ، أو يوم وليلة ، وقد يكون هذا منه (صلى الله عليه وسلم) فى مواطن مختلفة ، ونوازل متفرقة ، فحدث كل من سمعها بما بلغه منها وشاهده ، وإن حدث بها واحد ، فحدث بها مرات على اختلاف ما سمعها)[١٢] .

وقال النووى عن الأحاديث التى ورد فيها تقييد السفر بيوم أو يومين ، أو ثلاثة ، أو غير ذلك : (ليس المراد من التحديد ظاهره ، بل كل ما يسمى سفراً ، فالمرأة منهية عنه إلا بالمحرم ، وإنما وقع التحديد عن أمر وقع ، فلا يعمل بمفهومه) .

وأما أمره (صلى الله عليه وسلم) فى بعض الأحاديث للرجل بالخروج مع إمرأته ، فإنه أخذ منه الإمام أحمد ، أنه يجب خروج الزوج مع زوجته إلى الحج إذا لم يكن معها غيره .

وغير « أحمد » قال : لا يجب عليه ، وحمل الأمر على الندب ، قال : وإن كان لا يحمل على الندب إلا لقرينة ، فالقرينة عليه ما علم من قواعد الدين ، أنه لا يجب على أحد بذل منافع نفسه ، لتحصيل غيره ما يجب عليه).

والأرجح أن الحج مطلقاً لا يجب على المرأة إلا إذا وجدت محرماً بأن وجود المحرم من شرائط الوجوب ، ولما جاء فى الأحاديث .[١٣] .

والمراد بالمحرم : كل من لا يحل له نكاحها على التأبيد ، لقرابة أو رضاع ، أو صهرية ـ والعبد والحر والمسلم والذمى سواء

(٩) اخرجه الطحاوي والبيهقي وابو داود (١٠) رواه مسلم من حديث ابي سعيد عن ابي هريرة
(١١) رواه ابو داود واخرجه الطحاوى (١٢) عمدة القارى شرح صحيح البخاري جـ ٦ (١٣) سبل السلام جـ ٢

إلا المجوسى (الكافر ولو كان أبا لها) لأنه لا يؤمن أن يفتنها[١٤] عن دينها ، وكذلك سائر القرابة المحرم من الكفار ، لوجود العلة ولأنه لا يحصل به المقصود ..

هذا (ولابد من شرط العقل والبلوغ ، لعجز الصبى والمجنون عن الحفظ) وعن الحماية لها والغيرة عليها .[١٥]

وتحج مع المحرم حجة الإسلام بغير إذن زوجها ، لأن حق الزوج لا يظهر مع الفرائض كالصوم والصلاة)[١٦]

ونقل ابن المنذر الاجماع على أن للرجل منع زوجته من الخروج إلى الأسفار كلها ، وإنما اختلفوا فيما كان واجباً[١٧]

(٤) سفر زوجات النبى (صلى الله عليه وسلم) للحج فى عهد عمر :

وقد سافرت زوجات النبى (صلى الله عليه وسلم) فى عهد عمر بن الخطاب وبعث معهن « عثمان بن عفان » و « عبد الرحمن بن عوف » رضى الله عنهم للحج ،

وفى الحديث (أذن عمر « رضى الله عنه » لأزواج النبى (صلى الله عليه وسلم) فى آخر حجة حجها ، فبعث معهن عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن رضى الله عنهما)[١٨]

قال الكرمانى : « فإن قلت : عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن ، لم يكونا محرمين لهن ، فكيف أجاز عمر « رضى الله عنه » لهن السفر دون محرم ؟ وفى الحديث [لا تسافر المرأة ليس معها زوجها أو ذو محرم]؟!

قلت : النسوة الثقات يقمن مقام المحرم ، أو أن الرجال كلهم محارم لهن ، لأنهن أمهات المؤمنين ، وكيف لا ، وحد المحرم صادق عليهما).[١٩]

ويقول ابو حنيفة فى هذا المجال : (كل الناس لعائشة [وبقية زوجات النبى صلى الله عليه وسلم] محرم فمع أيهم سافرت فقد سافرت بمحرم وليس الناس لغيرها [وبقية زوجات النبى] كذلك ، لأن أزواج النبى [صلى الله عليه وسلم] كلهن أمهات المؤمنين ، وهم محارم لهن ، لأن المحرم من لا يجوز له نكاحها على التأبيد ، فكذلك أمهات المؤمنين حرام على غير النبى [صلى الله عليه وسلم] إلى يوم القيامة .[٢٠]

ومن هن اللواتى سافر للحج معهن « عثمان بن عفان وعبد الرحمن » ؟ إنهن أزواج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأمهات المؤمنين اللواتى لا يطمع فيهن طامع ، ولا يرف عليهن خاطر .

وبعد فإن الاسلام سمح ، أجاز المرأة كل ما دعت إليه الضرورة والفطرة وصانها من كل شر ، ومن كل ما يمس كرامتها ، ولم يأب عليها إلا ما يتعارض مع طبيعتها .

بصر الله المرأة المسلمة إلى ما فى دينها ، من المحاسن ، ووفق الله الأمة الاسلامية إلى العمل لما فيه سعادتها وامنها وطمانينتها . والله الموفق .

---

(١٤) ولأن المجوسي يرى جواز زواج البنت والأخت .. فلا محرم بينهم .. مجلة الأزهر

(١٥) فى هذه الشروط نظر لذا يتحفظ امامها بعض العلماء .. مجلة الأزهر

(١٦) الاختيار لتعليل المختار ، تاليف د . عبد الله محمود مودود الموصلى الحنفي ص ١٨٤ ص ١٨٥

(١٧) عمدة القارىء شرح صحيح البخاري جـ٨ ص ٢١٠ (١٨) رواه البخاري

(١٩) شرح صحيح البخاري ٤٠٧/٨ (٢٠) نفس المصدر

بحوث فى الأموال

الزكاة .. والضرائب

٢

العشور :

ولسنا نعالج منها عشور « الحرث » ، أعنى زكاة الزروع والثمار ، وإنما نعنى بها « العشور التجارية » تلك « المفروضة على اموال التجارة الصادرة من البلاد الاسلامية والواردة إليها ، وقد أوجبها فى الاسلام عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ حيث الفتوحات الكثيرة شرقا وغربا ، وقد أحاطها بالقيود التى تتفق وروح الاسلام فجعلها متنوعة ، فكانت على المسلمين ربع العشر .. [أى ٢,٥٪] وعلى الذميين نصف العشر [٥٪] وعلى الحربيين العشر [١٠٪] .. »[١] ..

عن أنس رضى الله عنه قال : قال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ [لعامله][٢] :

« خذ من المسلمين من كل أربعين درهما درهما ، ومن أهل الذمة من كل عشرين درهما درهما ، وممن لا ذمة له من كل عشرة دراهم درهما »[٣] » ..

وعن سعيد بن زيد ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : يا معشر العرب ، احمدوا الله الذى رفع عنكم العشور[٤] ..

قال الشيخ الساعاتى ـ فى شرح هذا الحديث ، مبينا معنى العشور فى الحديث :

« يعنى ما كانت تأخذه ملوكهم ورؤساء قبائلهم منهم من الضرائب والعشور ونحو ذلك[٥] ..

ونقل أبو عبيد ـ صاحب « الأموال » ـ بشأن العشور ، قال : إنه قد كان له أصل فى

« ١ » راجع الدكتور بدوى عبد اللطيف ـ « الميزانية الاولى فى الإسلام » فصل العشور

« ٢ » من أولئك العمال زياد بن حدير ـ رضى الله عنه ، نقل ذلك العلامة الشوكانى فى « نيل الأوطار »

« ٣ » المحلى لابن حزم ١١٥/٦

« ٤ » مسند احمد ١٩٠/١ ـ مصنف ابن ابى شيبة ١٩٧/٣ ـ مجمع الزوائد للهيثمى ٨٧/٣

« ٥ » انظر للشيخ أحمد عبد الرحمن الساعاتى ـ الفتح الربانى ١٩/١٥

لفضيلة الشيخ
فضل الرحمن بن محمد بن عبد الله الباكستانى

الجاهلية يفعله ملوك العرب [6] والعجم جميعا ، فكانت سنتهم أن يأخذوا من التجار أموالهم إذا مروا بهم [7] ..

سئل رسول الله ﷺ - عن العشور .. ؟ قال ﷺ :

« إنما العشور على اليهود والنصارى وليس على المسلمين عشور » [8] ..

ونقل الإمام الترمذى - رضى الله عنه - فى باب « ما جاء ليس على المسلمين جزية » فروى فى « جامعه » عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تصلح قبلتان فى أرض واحدة ، وليس على المسلمين جزية » [9] ..

قال الإمام الترمذى : والعمل على هذا عند عامة أهل العلم .. « و » أن النصرانى إذا أسلم وضعت عنه جزية رقبته [10] ..

وفى تفسير الإمام فخر الدين الرازى : تسقط الجزية بالإسلام والموت عند أبى حنيفة لقوله - عليه الصلاة والسلام :

« ليس على المسلم جزية [11] » ..

وكان أبو حنيفة يقول : لا يجتمع خراج وزكاة على رجل [12] ..

فليس على المسلمين - إذاً - إلا الزكاة فقط ، وما فرض على تُجّارهم فى جزء من العشر بشرطه .. قال تعالى :

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ المزمل ٢٠ ، وقال تعالى عنها « فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ » التوبة « ٦٠ » ..

الزكـــاة :

وهى احد أركان الاسلام الخمسة ، وهى واجبة على كل مسلم ملك النصاب وحال عليه الحول ، وحَوْلُ كل شيء بحسبه ، فحول « الحرث = الزروع والثمار » دورته ، وليس سنة زمنية كالمال ..

ومن جحد الزكاة كفر لإنكاره معلوما من الدين بالضرورة ، ولهذا قاتل أبو بكر - رضى الله عنه - منكريها ، إنها حق الله فى المال ، وحق الله واجب الأداء ، فتؤخذ من مانعها قهرا [13] ..



« ٦ » قد يعتقد البعض ان العرب لم يكن لهم ملوك .. والحقيقة أن العرب انشاوا ممالك بشمال الجزيرة فى الحيرة وغسان

« ٧ » أبو عبيدة - الأموال ص ٤٧٣

« ٨ » انظر للترمذى - الجامع الصحيح ١٩/٣ - وسنن ابى داود ص ٤٣٢ - ومصنف ابن ابى شيبة ١٩٧/٣

« ٩ » و « ١٠ » الترمذى - الجامع الصحيح ١٠٩/١ - مصنف ابن ابى شيبة ١٩٧/٣ - وانظر سنن ابى داود ص ٤٣٣ ونيل الأوطار ٦٤/٨ ، ومسند احمد ٢٨٥/١

« ١١ » التفسير الكبير للفخر الرازى ٣٤/١٠

« ١٢ » مصنف ابن ابى شيبة ٢٠١/٣

« ١٣ » هذا إذا اقر بإمساكها وانه لم يخرجها ..

قال رسول الله ﷺ :

« إذا أديت زكاة مالك فقد قضيت ما عليك » (١٤) ..

وقالت فاطمة بنتُ قيس - رضى الله عنها : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « ليس فى المال سوى الزكاة » (١٥) ..

وقد روى عن النبي ﷺ - من غير وجه : أنه ذكر الزكاة فقال رجل : يارسول الله ، هل علىّ غيرها ؟ فقال : لا ، إلا أن تتطوع (١٦) ..

ونقل الإمام أبو الحسن بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى الماوردى - فى ضوء قول رسول الله ﷺ :

« ولا يجب على المسلم - فى ماله - حق سواها » (١٧) ..

إن تمام إسلامكم أن تؤدوا زكاة أموالكم (١٨) ..

روى أبو هريرة - رضى الله عنه - أن أعرابيا قال لرسول الله ﷺ : « دلنى على عمل إذا عملته دخلت الجنة . ! قال :

تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤدى الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان ، قال : والذى نفسى بيده لا أزيد على هذا . ! فلما ولّى قال النبي ﷺ :

من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا (١٩) ..

قال رسول الله ﷺ : إذْ أرسل معاذا إلى اليمن :

« أدعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ؛ فإن أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة فإن أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم »(٢٠) ..

وفـى روايـــة :

« فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة أموالهم » (٢١) ..

وفى حديث رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل :

« فإن أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ؛ فإنه ليس بينه وبين الله حجاب » (٢٢) ..

ثبت - إذًا - من روايات البخارى وغيرها أن الزكاة واجبة على المسلمين فقط لا يخاطب بها غيرهم ، يؤديها منهم كل صاحب نصاب

« ١٤ » الترمذى ١٠٧/١ - ابن ماجة ص ١٢٨ - ابن حجر - فتح البارى ٢٧٢/٣ - زوائد ابن حبان ص ٢٠٤ - كنز العمال ٢٩٣/٦

« ١٥ » كنز العمال ٣٢٢/٦ - الميزان الكبرى للشعرانى ص ٢

« ١٦ » الترمذى ٣ / ٥

« ١٧ » الأحكام السلطانية ص ١١٣

« ١٨ » كنز العمال ٦ / ٢٩٦

« ١٩ » صحيح البخارى ص ١٨٧ - فتح البارى ٣ / ٢٦١

« ٢٠ » صحيح البخارى ص ١٨٧ (هو المقرر بمدارس باكستان) ..

« ٢١ » صحيح البخارى ص ١٩٦

« ٢٢ » صحيح البخارى ص ٢٠٣ - وأبو داود ص ٢٢٣ ، وابن ماجة

لا مخرج له من ذلك ، وليس لمحصلها « الساعى » أن يتعدى « وسط » المال إلى « كرائمه » كذلك ليس من حقه أن يأخذ مال الزكاة حسب رغبته زيادة أو نقصانا .

جاء فى عهد أبى بكر الصديق إلى أنس ـ رضى الله عنهما ـ حين أرسله إلى البحرين :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه فريضة الصدقة التى فرض رسول الله ﷺ على المسلمين ، والتى أمر الله بها رسوله ، فمن سُئِلَها من المسلمين على وجهها فليعطها ، ومن سئل فوقها فلا يعط [٢٣] ..

قال شاه ولى الله الدهلوى : إذا طلب منه زيادة فلا يعط [٢٤] ..

القدر المأخوذ :

ولما كان الاسلام نظام حياة المسلمين فقد احتفظ بمعطيات ما نحتاجه فى كل شئوننا قال تعالى : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِن شَىْءٍ . ﴾ الأنعام « ٣٨ »

ولقد عنى الفقهاء ـ رضوان الله عليهم ـ بوضع تفصيل دقيق لكل أنواع الزكاة : عَيْنًا وحَرْثًا وماشية .

فهى فى الحرث : الزروع والثمار العشر أو نصف العشر حسب كيفية الاستنبات إذا أديت بما لا مشقة فيه أو كان فيه مشقة ، ففى الأول العشر وفى الأخير نصف العشر ..

وهى فى المال ربع العشر أى ٢,٥٪ ..

وهذه الزكاة إنما تتوقف على صاحب النصاب فى أى منها .. فأما ما أخرجه من لا يملك نصابا : حرثا أو عينا أو ماشية ، فإنما هو صدقة ليست واجبة ، أى عبادة مالية تطوعية يؤديها المسلم عن طيب نفس ..

ولقد كانت الحاجة أشد ما تكون إلى المال فى عصره ـ ﷺ ، وإبان فترة المسلمين الأولى بالمدينة ، وساعد على تجاوز الأزمات دعوته ﷺ إلى التطوع بالصدقة غير الواجبة ، ومع شدة الحاجة وإلحاحها لم يفرض رسول الله ﷺ على المسلمين شيئا بعد الزكاة ، ولعل فى الحديث التالى ما يبين الشدة التى كان عليها المسلمون :

عن أبى موسى ـ رضى الله عنه قال : « خرجنا مع النبى ﷺ فى غزاة ، ونحن ستة نفر ، بيننا بعير نَعْتَقِبُهُ فنقبت أقدامنا ، ونقبت قدماى ، وسقطت أظفارى ، وكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت : « غزوة ذات الرقاع » لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا . »[٢٥] ..

وكان رسول الله ﷺ إذا عرض الأمر فاشتدت الحاجة حث أصحابه على الصدقة عن نفس راضية ، وما أخذ منهم شيئا إلا ما وجب عليهم ، وغزوة تبوك خير شاهد على ذلك ..

وعلى ذلك عمل الخلفاء الراشدون ، وبه تمسك أصحاب رسول الله ﷺ عن عائشة ـ رضى الله عنها :

توفى رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين صاعا ..

ومات ﷺ وما عنده مال يكفيه ، ولا شاء جمع مال بغير مشقة ، ولم يشرع عملا يتخذه من يعده دليلا يفرض به على الناس ما شاء من مُكْسٍ أو غيره ..

« ٢٣ » صحيح البخارى ١ / ٢٢٢ طبعة الوهبية .

« ٢٤ » الحجة البالغة ص ١٥٣ .

« ٢٥ » صحيح البخارى ـ كتاب المغازى ـ غزوة ذات الرقاع .



الانتماء

في ضوء الهجرة النبوية

أطلت على المسلمين فى شتى مشارق الدنيا ومغاربها ذكرى الهجرة النبوية المباركة ، لتكون معنى يتجدد عطاؤه فى كل سنة ، وواحة يتفيأ المسلمون ظلالها فى كل عام ، فيجدون فيها كل معانى العطاء والوفاء ، ويأخذون من وحى أحداثها عبراً تنير أمامهم الطريق وتأخذ بيدهم نحو الحياة الكريمة ، والسعادة الدائمة .

ومآثر الهجرة النبوية كثيرة ، ودلائلها متعددة ، أجتزىء منها فى تلك المناسبة ، ما يؤخذ من مجريات وقائعها ، ليكون نبراساً فى حياتنا الاجتماعية ، ودليلاً يبعث من خلالها مشاعر الوطنية ، لتجد مبادىء الاسلام فى ظل دولة يؤثرها أبناؤها بالحب ، ويتعهدونها بالوفاء والعطاء ، الرعاية الطيبة ، والتطبيق السليم .

وينبغى أن يكون معلوماً أن حب الوطن فى الإسلام لم يكن مجرد شعور انسانى يقتصر على ميول القلب ، دون أن يتخذ شكل السلوك البشرى المنضبط ، الذى يحاسب الانسان بموجب الخطاب المنظم له ، فيثاب على الوفاء له ، ويعاقب على التقصير فى واجبه ، ومن ثم كان حب الوطن إذا أردنا أن نبرز قدر قيمته فى نظر الشارع ، ونقيسه بمعايير العطاء البشري يتفوق على حب النفس والمال ، ويتجاوز حب الأهل والولد ، فكل تلك الأمور رغم خطرها فى حياة الناس تأتى بعد حبه فى المرتبة ، فإذا تعارض الحفاظ عليها مع الدفاع عنه ، فأنها فى سبيل تلك الغاية المقدسة تهون ، ومن أجل حب الوطن ترخص .

وفى هذا الصدد أيضاً نجد أن الاسلام وهو يقارن بين الوفاء بحقوق الوطن ، والوفاء بحقوق الناس ، عندما تحل ظروف التفاضل يعطى لحقوق الوطن مرتبة تفوق أخطر حقوق البشر ، ومنها على سبيل المثال حق الزوج على زوجته فى الطاعة الخالصة وعدم الخروج إلا بإذنه إذا هجم العدو على الوطن ، هذا الحق يسقط وجوباً ، لهذا السبب الأهم وتخرج المرأة بغير إذن زوجها مجاهدة فى سبيل الله ، ومدافعة عن حمى الوطن ، وما يقال على حق الزوج ، يقال على حق السيد على



عبده ، وهو حق مطلق الحدود فى جانب السيد ، فالعبد وما ملكت يداه ملك لسيده ، ورغم حساسية وضعه أمام سيده ، إلا أن القاعدة المستفادة من نصوص التشريع : أنه لا طاعة لمخلوق فى أمر إذا تعارض مع الدفاع عن الوطن ، حتى ولو كان هذا المخلوق زوجاً أو سيداً ، وكان هذا الأمر طاعة الزوجة للأول ، وخضوع العبد للثانى ، ففى سبيل الوطن يهون كل شىء ، وكانت هجرة النبى صلى الله عليه وسلم ، ظرفاً لهذه المعانى ومصدراً لها على نحو ما سنرى .

مصادر حب الوطن فى الإسلام :

ومما لاشك فيه لدينا ، أن هذا التأصيل لحب الوطن شرعاً ، وذلك التقنين للولاء له ،، والقيام بواجب الانتماء إليه ، لم يأت من فراغ ، بل وجد له فى مصادر التشريع الاسلامى ، ما يبرر وجوده ، ويؤصل قواعده ، وبالرجوع إلى أصول هذا التشريع الاسلامى العظيم ، فى كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، نجد أن لهذا النوع من الولاء صدى كبيراً فيهما ، فالكتاب الكريم ينطق به ، والسنة النبوية الشريفة كانت ترجمة اصيلة له قولاً وفعلاً وتقريراً ، وذلك ما نود أن نشير إليه بالتفصيل الذى يبرز هذا المعنى من الكتاب والسنة :

أولاً : من القرآن الكريم :

١ ـ يقول الله تعالى : « وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ[1] » .

ووجه الدلالة فى هذا القول الكريم :

أن الله تبارك وتعالى ، قد حكى عن نبيه إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، ما يعبر عن هذا المعنى فى قلبه ، حيث دعا ربه أن يجعل البلد الحرام الذى تعلق قلبه به .. واستوطن أهله فيه ، آمناً من الخوف ، مطمئناً من أحداث الدهر ، كما دعاه سبحانه أن يغدق عليه من وافر نعمه ، وعظيم فضله ، ثمرات طيبات مباركات يقتاتها أهله ، ويتنعم بها سكانه ، وإذا تأملنا ما جرى على لسان أبى الأنبياء إبراهيم من دعاء ، لوجدنا انه يشتمل على أعظم نعمتين يمكن أن يكونا أملاً لأى وطن ، وهما نعمة الأمن من الخوف ، والطمأنينة على الرزق ، وقد من الله بهاتين النعمتين على قريش بقوله تعالى : « فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ »[2] ، فالاطعام من الجوع والأمان من



(١) سورة البقرة ـ اية ١٢٦

(٢) سورة قريش ـ الآيتان ٣ ، ٤

الخوف ، هما غاية المراد ، فى المجتمع ، ومظهر حضارته ، بل هما أعظم نعم الله على اى وطن من الأوطان باطلاق ، ويتضح من هذا الدعاء الكريم مقدار ما يجيش به قلب إلى الأنبياء لموطن أهله ، وموئل أمله مع ربه ، ومستقر عبادته ، فهو علامة على هذا الحب وترجمان له ، وتعبير عنه ، لأن جانب الدعاء يفيد ذلك ، فليس من المعقول أن يلهج اللسان بالدعاء لرب الأرض والسماء بالخير لمكان ، دون أن يكون حبه قد سبق ذلك الدعاء ، وتلك قرينة تبرهن على وجود الانتماء للأرض والتعلق بالمكان ، على ضوء ما تقرره الآية الكريمة .

ولا يقدح فى وجه الاستدلال منها على ما نريد أن نصل إليه ، بأن ذلك كان فى شرع من قبلنا ، لأنه من المقرر شرعاً ، أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد دليل ناسخ ، وقد ورد فى التشريع الاسلامي ما يؤيده ، بل ويتفق معه ، فصاحب الملة الوارد فيها النص الكريم هو سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء ، الذى ذم الله من يرغب عن ملته بقوله الكريم : « **وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ**[3] . كما مدح من يتبع ملته بقوله الكريم « **وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً** »[4] .

وأمر نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بقوله : « **قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** »[5] ..

٢ ـ ويقول الله تعالى : « **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ** »[6]

ووجه الدلالة فى هذا القول الكريم :

أن الحق سبحانه وتعالى قد خاطب نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم ، بما يكشف فى قلبه عن حبه للجهة الكائن فيها بيته الحرام ، ومن ثم كان قلبه معلقاً بهذا البيت المبارك ، راغباً فى التوجه إليه أثناء الصلاة ، وقد جاء أمر الله بتحويل القبلة إليه متوائماً مع ما يعلمه علام الغيوب ، الذى يعلم السر وأخفى ، كما يعلم ما تضمره القلوب .

وإذا كانت الآية الكريمة تبين جهة التعلق بمكان محدد . وبالنسبة لشخص معين هو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهى تعبر فى سيرته العطرة عن نوع من السنة ، يمكن أن يتخذ مصدراً شرعياً يقاس عليه كل مكان فى أرض الله يتحقق فى الانسان عليه معنى العبودية لله عز وجل ، لعبادة يقوم بها ، وقد جعلت الأرض للنبى صلى الله عليه وسلم مسجداً وطهوراً ، أو لواجب شرعى

(٣) سورة البقرة ـ آية ١٣٠
(٤) سورة النساء ـ آية ١٢٥
(٥) سورة الأنعام ـ آية ١٦١
(٦) سورة البقرة ـ آية ١٤٤

يؤديه تجاه زوجة أو ولد أو أهل فى أى بلد من بلاد الاسلام .

ثانياً : من السنة النبوية :

كانت حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، تفيض حباً ورحمة ، وقد وصفه ربه عز وجل ، بقوله : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ »(٧) . [سورة التوبة آية ١٢٨] .

وكان الحب فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، سلوكاً يتمثل فى كل ما يعود بالخير على الأمة الاسلامية ، والعزة للمجتمع الاسلامى ، وكان ذلك يمثل سمة بارزة فى حياة المبعوث رحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم ، ومن يستقرىء سيرته العطرة يجد أن حب النبى عليه الصلاة والسلام لأمته كان متعدد العطاء ، ومتشعب السخاء ، ومجسدا لكل معانى الوفاء والانتماء ، وكانت كل تلك المعانى إحدى دلائل هجرته النبوية المباركة .

مظاهر الحب فى الهجرة النبوية :

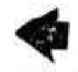
ولقد كانت الهجرة النبوية ظرفاً فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، أراده الله ليكون محلاً لهذا الشعور النبوى الكريم ، وليظل معناه متجدداً فى حياة الأمة الاسلامية كلما استدار الزمان ، وأقبل موعد الاحتفال بها كل عام ، وليجد المسلمون فى كنف تلك المناسبة الكريمة ، وما يستنهض فيهم الهمة ، ويستحث فيهم الاخلاص لله ، والقيام بما يمليه واجب الوفاء للدين والوطن ، حيث كانت الهجرة النبوية المباركة مناسبة متجددة للتذكير بهذا المعنى الاسلامى الكريم .

وإنه لموقف تهتز له أشد قلوب الناس قسوة ، حين يجد الإنسان نفسه محمولاً على سبيل الاضطرار لمغادرة وطنه ومفارقة أهله ، الذين عاش معهم وأخذوا منه العمر كله إلا قليلاً ، فضلاً عن قلب سيد المرسلين وأشرف الخلق ـ صلى الله عليه وسلم ، الذى يذوب رقة وحباً وحناناً ورحمة ، فكان ما أثر عنه من قول يبرز ارتباطه ببلده وتعلقه بالمكان الذى نشأ فيه ، بما يعتبر أعظم مصدر لحب الوطن والانتماء إليه ، ومن هذه الأحاديث :

١ ـ ما رواه الترمذى مرفوعاً ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين هم بالهجرة قال مخاطباً « مكة وهو واقف بالجزورة ، والله انك لخير أرض الله ، وأحبُ أرض الله إلى الله ، وأحب أرض الله إلىَّ ، ولولا أن قومك أخرجونى ما خرجت »(٨).

ووجه الدلالة فى هذا الحديث الشريف :

أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قد عبر



(٧) تفسير الجلالين ص ٢٠ ـ تحقيق الدكتور محمد شعبان اسماعيل ـ مطبعة الشمرلى .

(٨) الحديث أخرجه الترمذى ـ فى كتاب المناقب ، وابن ماجة فى كتاب المناسك ، والدارمى فى كتاب السير عن عبد الله بن عدى بن حمراء الزهرى ، وراجع : شرح حديث « إنما الأعمال بالنيات » ـ لشيخ الاسلام ابن تيمية ، تحقيق عبد الله حجاج ـ ص ٥٢ ـ مكتبة التراث الاسلامى .

عن شعوره نحو مكة بما يظهر مكانتها فى قلبه ، ويبين منزلتها من نفسه ، وقد صرح بحبه لها حين قال : « وأنك لأحب أرض الله إلى » كما عبر أيضاً عن ولائه ، لهذا البلد الحرام ، الذى جعله الله مقراً لأول بيت وضع للناس مباركاً وهدى للعالمين ، والذى شهد بزوغ فجر الدعوة إلى الله ، والاخلاص من صاحبها عليه السلام للرسالة التى بعثه الله بها ، ولقومه الذين يريد لهم من الله الهداية ، يفهم هذا المعنى من قول الرسول صلى الله عليه وسلم الذى يعبر عن شدة تمسكه بها ، وشديد اعتزازه بكل ذرة فيها ، فذلك ما يستفاد من عبارته الكريمة : « ولولا أن قومك أخرجونى ما خرجت » ، أنه معنى الوفاء ، ومعنى الحب الذى شمل الزمان والمكان ، والناس أجمعين منه صلى الله عليه وسلم وهو يدل على معنى الولاء أبلغ دلالته .

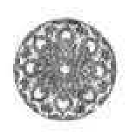
٢ ـ ومن هذه الأحاديث .. ما رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها ، أنها قالت : « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وعك أبو بكر وبلال ، فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : « اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وصححها ، وبارك لنا فى صاعها ومدها ، وأنقل حماها فاجعلها بالجحفة »(٩)

ووجه الدلالة فى هذا الحديث الشريف :

أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد شمل حبه كل مكان حل به ، وها هو يبرز فى هذا الحديث الصحيح بعضاً من جوانب هذا الحب النبوى الكبير ، لمكان كان يعيش فيه وهاجر منه فى سبيل الله ، ومكان حل به ايضاً فى سبيل الله ومن أجل الدعوة إلى الله .

وقد دل الحديث صراحة على حب النبى صلى الله عليه وسلم لموطنه ، حيث حظيت مكة من هذا الحب بجانب كبير ، ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حينما نزل بالمدينة بعد الهجرة ، إذا به يدعو الله تبارك وتعالى ، بما يعكس فى قلبه الحب لهذا البلد الكريم ، ويترجم عن الوفاء له ، ولاشك أن توجه الانسان إلى الله بالدعاء وطلب الخير للمكان ، إنما هو أعظم دلائل الحب له والانتماء إليه ، وكان هذا السلوك النبوى الرشيد ، دليلاً على هذا المعنى الجليل ومصدراً له .

هذا وبالله التوفيق .



(٩) صحيح البخارى ـ جـ ٥ ص ٧٣ .

الحزب والأحزاب في القرآن الكريم

للأستاذ / أحمد عزت محمد البرادعي

ما اشبه القرآن الكريم بالكنز الفريد المجيد . ولله المثل الاعلى . وهذا الكنز يضم فى ارجائه مختلف اللآلىء وشتيت الجواهر . وكل ناظر فيه بالتعمق والتدبر يستطيع أن يحصل منه على بعض هذه الفرائد ، وتختلف حظوظ الناظرين فيه والعاكفين عليه من هذه الخرائد ، ولكن الجميع لا يستقصون جوانبه . ولا يحصون عجائبه . ومن غرائب القرآن الكريم انك تتابع كثيراً من الفاظه فى متباين استعمالاتها ، فترى للفظ معنى عاما واسعا . يشمل استعمالاته او يغلب عليها ويمكنك من هذه المتابعة للفظ من الالفاظ ان تُقَعِّدَ لاستعماله فى الغالب قاعدة او ما يقاربها ولا يشترط ان تكون تلك القاعدة موجودة بنصها وفصها عند كل استعمال بل تكون هى او ما يشير إليها ، او ما يذكر بها من قريب او بعيد .

وللحزبية وما تفرع من مادتها حديث فى القرآن الكريم قد يدخل فى هذا التقعيد أو يدنو منه ، وقد تابعت استعمال مادة الحزبية فى التنزيل المجيد ورأيت أن أعرض له بالبحث لعل فى ذلك من الفائدة ما يتلاءم مع مناسبات الزمان وإلا فهو على الأقل تذكير بحديث القرآن .. وقبل أن نعرض للحزبية فى القرآن يحسن أن نعرض معانيها فى اللغة ، فقد تتعاون المعانى اللغوية مع الاستعمالات القرآنية لتلك المادة على إيضاح ما نريد استنتاجه من ذكر الفاظ « الحزبية » فى الكتاب الحكيم ..

نلاحظ أن معنى الحزبية الغالب فى اللغة يدل على التفرق والانقسام والاختلاف والشدة والغلظة أحيانا ، فقد جاء فى القاموس : « الحزب بالكسر الورد والطائفة والسلاح ، وجماعة من الناس والأحزاب : جمعه، وجمع كانوا تألبوا وتظاهروا على حرب النبى ﷺ

وجند الرجل وأصحابه الذين على رأيه ، (انى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب) هم قوم نوح وعاد وثمود ومن أهلكه الله من بعدهم وحازبوا وتحزبوا صاروا أحزابا ، وقد حزبتهم ، تحزيبا وحزبه الأمر نابه واشتد عليه أو ضغطه والاسم الحزابة .. وأمر حازب وحزيب شديد . جمعه حزب . والحزابى والحزابية مخففتين الغليظ إلى القصر كالحزاب بالكسر والحزب والحزباءة ، بكسرهما الأرض الغليظة وجمعه حزباء وحزابى .. وحازبته كنت من حزبه ..

وفى النهاية لابن الأثير : طرأ على حزبى من القرآن فأحببت الا أخرج حتى أقضيه ، الحزب ما يجعله الرجل على نفسه من قراءة أو صلاة كالورد ، والحزب النوبة فى ورود الماء .. وفى حديث أوس بن حذيفة : سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف تحزبون القرآن .. اللهم أهزم الأحزاب وزلزلهم ، الأحزاب الطوائف من الناس جمع حزب بالكسر .. كان إذا حزبه الأمر صلى ، أى إذا نزل به هَـمٌّ أو أصابه غم . ومنه حديث على : نزلت كَرَائِهُ الأمور وحوازب الخطوب ، جمع حازب وهو الأمر الشديد .. ومنه حديث الافك : ومضت محنة تحازب لها ، أى تتعصب وتسعى سعى جماعتها الذين يتحزبون لها .. ومنه حديث الدعاء : اللهم أنت عدتى إن حزبت[1] ..

وها هو ذا الراغب الأصفهانى فى كتابه (مفردات القرآن) يشير إلى المعانى اللغوية العامة لكلمة (الحزب) فى القرآن الكريم ، فيقول : « الحزب جماعة فيها غلظ ، قال عز وجل : « أَىُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا » وحزب الشيطان ، وقوله تعالى : « وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ » ، عبارة عن المجتمعين لمحاربة النبى ﷺ « فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ » ، يعنى أنصار الله ، فقال تعالى :

« يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِى الْأَعْرَابِ » .

والقاعدة العامة ، أو المعنى الغالب فى استعمال القرآن لكلمة (الحزب) هو الدلالة على الانحراف إلى السوء والشر ، والرمز إلى الباطل والسفه ، فلا يرد هذا اللفظ إلا فى مواطن الفسوق والإجرام ، اللهم إلا إذا أضيفت كلمة (الحزب) إلى الله ، فإن المقام يكون مقام خير وتبشير ، فى الحال أو الاستقبال ، وأما إذا أضيفت إلى غيره فهى سوء وضلال فى الحاضر والمآل ..

وكأن القرآن يشعرنا بذلك أن الحزبية البعيدة عن صراط الله سيئة أيا كانت ، وكأنه قد استعمل كلمة (الحزب) عند النسبة إلى الله لمجرد المشاكلة ومجاراة السياق ، على حد

---

(١) لم ننقل عن القاموس والنهاية كل ما ورد بها عن المادة ، بل قطفنا من كل منها الجزء الملائم للموضوع .

قوله تعالى : « وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ » وقوله : « إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ » ولذلك نرى تعبير القرآن « حزب الله » يأتى فى سياق التعرض لحديث « حزب الشيطان » .

وفى القرآن الكريم ذكر لأربعة أصناف من أحزاب الشر والضلال .

الأول : منها أتباع الشيطان مطلقا .

والثانى : القوم الكافرون الضالون الذين مضوا قبل مجىء الرسالة الهادية الخاتمة .

والثالث الأحزاب الذين تألبوا عليه فى غزوة الخندق ، وأذاقهم الله بقوته ما أذاقهم من النكال والوبال ، وقد خص الله سورة من سور القرآن الكريم باسمهم ، وكان ذلك أيضاً من بين الاشارات إلى خطرهم وسوء تحزبهم ، فأمرهم يحتاج إلى التنبيه الجلى لنحذر منهم الحذر القوى .

والصنف الرابع هم شذاذ اليهود والنصارى الذين عارضوا الاسلام ووقفوا فى طريقه معاندين أو مفترين .

ويجمع هذه الأصناف كلها جامع الشر والضلال .

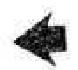
وشواهد هذا التصوير من القرآن الكريم ما يقوله ربنا فى سورة فاطر : « إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ » وقريب من هذا قول الله تعالى فى سورة المجادلة : « اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ » وهاتان الآيتان تشيران إلى الصنف الأول من أصناف الأحزاب فى القرآن ..

ولننتقل إلى الصنف الثانى منها ، يقول الله تبارك وتعالى فى الآية الخامسة من سورة غافر : « كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ » .

والأحزاب هنا هم الذين تركوا طريق الرحمن وخالفوا الرسل ، وهم عاد وثمود وقوم فرعون وغيرهم وقد وصف القرآن هؤلاء الأحزاب بأوصاف سيئة ، فهم طغوا وبغوا على رسلهم وحاولوا ليتمكنوا منهم ويعذبوهم أو يقتلوهم وهم قد جادلوا مبطلين ، أرادوا بذلك محاربة الحق ، فماذا كانت عاقبة هؤلاء الأحزاب ؟ ... قال تعالى : « فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ » .. غافر .

ويقول الله سبحانه وتعالى أيضاً فى الآيتين « الثلاثين والحادية والثلاثين » من سورة غافر : « وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ . مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ » .

والأحزاب فى الآية الأولى فسرتها الآية الثانية وهم قوم نوح وعاد وثمود ومن بعدهم من الذين كفروا وتمردوا وعصوا الرسل فوصفهم سيىء وجزاؤهم أليم ، فكل حزب



منهم كان له يوم دمار وقد فصل القرآن الكريم لنا ذلك فى مواطن كثيرة .

ومثل ذلك الآيات التى وردت فى سورة الزخرف : « وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ. إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ. فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ » . (الآيات ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥) .

وفى الآية الحادية عشرة من سورة (ص) نجد القرآن يقول : « جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ » وبعدها فى الآية الثالثة عشرة يقول : « وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ » والآية الأولى جاءت بعد آيات تصور جهالات الكفار على الرسول وعنادهم معه ، فهى تقول على لسانهم :

« مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ • أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا » ، فرد الله عليهم قائلا : « بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ . أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ . أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ » وهذا استنكار من الله لطريقتهم السيئة ، ثم أرشد رسوله الا يبالى بهم ، ولا يكترث بجمعهم ، ولا يهتم لعنادهم ، فقال : « جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ » ما هم إلا فئة من الكفار المتحزبين على رسول الله ﷺ . وهم مهزومون فلا تبال بما يقولون وفى الآية الثانية نرى الأحزاب كما رأينا من قبل ضالين خاسرين ، وهم ثمود وقوم لوط وأصحابه الأيكة وكلهم خاسر فى طريقته ولذلك قال الله بعد ذلك : « إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ » .

ومما يتصل بهذا اللون من الأحزاب ، ويبين لنا بوضوح ما قررناه فى صدر الكلام من أن القرآن يذكرنا بأن كل حزب غير حزب الله ، وكل طائفة غير طائفة المؤمنين به ، وكل جمع غير الجمع المقبل عليه ، يكون فى خبال

وضلال ، قول الله تعالى فى سورة الروم : « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ » كانوا شيعا أى فرقا وأحزابا كل فرقة تطيع إمامها الذى يقودها ويغويها ، وكل حزب منهم فرح مسرور يحسب باطله حقا ، وهيهات .

ومثل ذلك قول الله تعالى فى سورة المؤمنون :

« يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ • وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ • فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ • فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ. أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ. نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ »

الآيات رقم

٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ،

(المؤمنون) .

ويأتى بعد هذا الصنف الثالث من الأحزاب التى تحدث عنها القرآن الكريم .

لقد اقبل رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام اقبال الفجر الساطع بعد الليل المظلم ، ولكن الكفار عاندوه وعارضوه ، وكانت بينه وبينهم مصاولات وغزوات ، وها هو ذا القرآن الكريم يتعرض لبعضها فيقول فى الآية العشرين من سورة الأحزاب : « يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى الْأَعْرَابِ » .

وفى الآية الثانية والعشرين من السورة نفسها يقول : « وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا » .

والأحزاب هنا ايضاً جماعات شر وسوء وهم الكفار الذين حاربوا المسلمين فى غزوة الخندق ، فكانت عاقبة أمرهم وخيمة ، فهزمهم الله بالخوف الشديد والريح العاصفة .

ثم يأتى الصنف الرابع وهم الذين تَأَبَّوْا على الاسلام من شذاذ اليهود والنصارى ، والقاعدة فيهم هى نفس القاعدة ، إنهم احزاب ، وأنهم فى ضلال ، وأنهم إلى وبال ..

ففى القرآن فى الآية السابعة عشرة من سورة هود : « أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ » .

نزلت هذه الآية فى التفرقة بين من آمن بمحمد والاسلام من اليهود ، والذين ظلوا على كفرانهم والمراد بالشاهد (القرآن) ، وبكتاب موسى (التوراة) التى كانت اماما يقتدى به فى الدين ورحمة ، أى نعمة عظيمة من الله إلى الذين نزلت عليهم ، ونلمح هنا طائفتين : طائفة استجابت لله فآمنت بدين الله عقلا واستدلالا ، فكانت من المهتدين ، وكانت من حزب رب العالمين ، وطائفة أخرى تحزبت وتفرقت وعملت ضد الهدى فضلت ضلالا بعيدا .

وفى الآية السادسة والثلاثين من سورة الرعد يقول الله تعالى : « وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ » .

وقد نزلت الآية فيمن أسلم من اليهود والنصارى ، واهتدوا بدين الله الحق ، وانضموا إلى حزب الله الصدق ، فكانوا من المفلحين ، والمراد بالأحزاب هنا كفرة اليهود والنصارى الذين أنكروا بعض ما فى القرآن ، وظلوا على عنادهم لرسول الله ﷺ .

وبعد أن عرضنا أصناف الأحزاب الأربعة التى تحدث عنها القرآن الكريم ننتقل إلى تبيان أن الحزب إذا نسب إلى الله كان خيرا وفلاحا ، فالله سبحانه وتعالى يقول فى الآية



السادسة والخمسين من سورة المائدة : « وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ » .

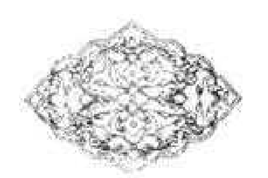
وفي سورة المجادلة رسم القرآن العظيم لنا الصورة الجميلة الحسنة لحزب الرحمن في قوله تعالى : « كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ . لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » الآيتان رقم ٢١ ، ٢٢ .

وقد روى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : خط لنا رسول الله ﷺ خطا ثم قال : هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال : هذه سبل كل شيطان يدعو إليه ، وقرأ

« وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ »[٢] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « تفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة ، كلهم في النار إلا فرقة واحدة قالوا : من هي يارسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابى[٣] .

« أحمد عزت البرادعي »



---

(٢) ، (٣) حرصت مجلة الأزهر ، واعلنت اكثر من مرة تلفت نظر السادة الكتاب إلى وجوب تدوين مراجع الأحاديث الشريفة ، لا سيما وبعضهم يختار الاحاديث الشريفة من غير مصادرها الاصلية مما يؤود محررى المجلة بحثا وتنقيبا ، وابسط واجبات التعاون ان يبين الكاتب مصدره فيوثق بذلك كلامه .

وقد وجدنا اشارات للحديث الأول فيما اورده ابن كثير - رضى الله عنه في تفسيره لآية الانعام ٢ / ١٩٠ دار إحياء الكتب العربية .

وأما الحديث الثاني فيمكن النظر فيه في مسند احمد ٢ / ٣٣٢ وابى داود - السنة ، والترمذى - الايمان ، وابن ماجة - الفتن .

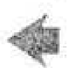
حصاد الدعوة الإسلامية
في وسط أفريقيا

للدكتور عبد الله نجيب محمد

كان من نتائج الفتح العربي وهجرة القبائل العربية إلى شمال افريقيا أن اغرقت البلاد بالدماء العربية ، وتاثرت بشدة بحضارة العرب والثقافة الاسلامية ، وانجلت النتائج بتعريب المنطقة ، واعتناق « البربر » للاسلام ، وتسابقهم في مضمار الفتوحات الاسلامية في الأندلس تحت إمرة القائد « طارق بن زياد البربري » مولى « موسى بن نصير » وتوالت ـ بعد الفتح ـ هجرات القبائل العربية على دفعات عبر مصر والسودان والمسالك الصحراوية إلى مناطق السافانا جنوب الصحراء ، وبعض هؤلاء هاجروا ثم استوطنوا بعض المناطق المحيطة ببحيرة « تشاد » فقبائل « كانم » و « البيجرمي » و « واداي » تعتبر من اقدم الشعو[illegible]ي دخلت الاسلام ، بل هي امنع قلاعه في تلك البلاد ، ولديهم نظم تعليمية ممتازة خاصة في « ابشر » عاصمة « واداي » لانها على اتصال دائم بالسودان النيلي ومصر .

والسودان شرقي بحيرة تشاد حتى مدينة « فاشودة » و « دارفور » و « كردفان » مأهول بالمسلمين ، بينما لا يزال سكان « بحر الغزال » والسفح الغربي لهضبة الحبشة على وثنيتهم ، أما الصومال وساحل كينيا وتنجانيقا (تنزانيا الآن) والجزر المتاخمة للساحل وخاصة « زنجبار » فقد أصبحت بلاداً إسلامية منذ زمن بعيد .

وانفسح مجال الإسلام تدريجياً ليشمل المنطقة الممتدة من « السنغال » و « النيجر »



إلى نيجيريا ، ثم امتدت التأثيرات العربية إلى الكاميرون والكونغو وأواسط القارة ، وللإسلام مراكز ومستقرات تحيط بالقارة من غربها وشمالها وشرقها ، تضيق وتتسع على شكل أشبه بالهلال وكانت الدعوة إلى الإسلام تسير في ركاب التجار ، وعلى طول الطرق الممتدة من شرق القارة إلى غربها مخترقة « أوغندا » و « الكونغو » ونشأت عدة مستقرات أساسية حول البحيرات العظمى و « كاسونجو » و « نيانجوى » وعلى طول أحد أفرع نهر الكونغو ، حيث أقيمت القرى التي تحيط بها المزارع ، والحدائق وتقام فيها الكتاتيب لتعليم الصبية القرآن الكريم .

دخل الاسلام شمال « الكاميرون » في عهد امبراطورية « بورنو » الإسلامية التي حولت قبائل « كوتوكو » المجاورة لبحيرة « تشاد » إلى الإسلام ، ثم ازداد عدد المسلمين في تلك المناطق بفضل قبائل « الفولا » في القرن الثامن عشر ، الذين غزوا المنطقة ، ونشروا الإسلام بها على نطاق واسع ، وخاصة في أعالي نهر « بنوى » (فرع من نهر النيجر) وفي هضبة « أداماوا » . أما في جنوب هذه المنطقة فقد نشأت دولة إسلامية على يد ملك « بامون » الذي اعتنق الإسلام في عام ١٩١٤ ، وأعلن أن دين الدولة هو الإسلام ، ولكن ظهور الأوروبيين في ذلك الوقت قضى على الجهود المبذولة لنشر الإسلام ، حيث اتبع الأوروبيون سياسة التفريق بين القبائل وضرب بعضها بالبعض ، علاوة على إنشاء المدارس التبشيرية بقصد اكتساب الناس إلى المسيحية .

أما في « الكونغو » فقد ارتبط الوجود الإسلامي به ، بجهود أهل زنجبار والمستقرات الإسلامية التي امتدت على طول ساحل شرق أفريقيا : اقتحم المسلمون بلاد الكونغو من « أوغندا » إلى « نياسا » ومن دعاة المسلمين وتجارهم المشهورين الذين كان لهم دور عظيم في نشر الإسلام « سعيد بن جمعة » و « سالم بن محمود » و « خميس بن بهلول » وعشرات غيرهم من أهل التجارة والسياسة ، الذين جابوا المناطق الأوغندية وحول البحيرات العظمى ، ومنهم أيضا « محط بن حلفان » و « بوانا عمر » و « الشريف ماجد » الذين جابوا مناطق « نياسا » و « تنجانيقا » (تنزانيا) وعلى رأس هؤلاء جميعاً « سليمان بن الزبير » رسول السلطان « برغش » في « زنجبار » الذي كان يقطع القارة من شرقها إلى غربها .

كان العرب قد سبقوا الأوروبيين في ارتياد هذه الجهات ، وقد اعترف بذلك « ليفنجستون » في رسائله إلى أوروبا التي يقول في بعضها : « كنت أجد آثارهم (أي العرب) أينما أحل ، وكلما حسبت نفسي سرت طريقاً ما سارها احد منهم قبلي وأنا اعبر القارة من « تبشوانا لاند » خلال صحراء « كلهاري » وحول بحيرة « نقامى » وفوق نهر « زمبيزي » فأنجولا ، وعبر القارة مرة أخرى إلى « فليمين » عند ساحل موزمبيق ، بعد سبع سنوات من الأقدام انتهت سنة ١٨٥٦ عرفت أن عربياً اسمه « سعيد بن حبيب بن

سليم اللفيفي » طوف ما طوفت من قبلي بشهور قليلة » ولم تكن تسنده حكومة ولا جماعة ولا دولة تعنى بأمره كما كان الحال مع « ليفنجستون » وغيره .

كان المسلمون في الكونغو يلبسون جبباً بيضاء ، ويتلفعون بكوفيات مطرزة ، ويحرصون على وقارهم وحسن مظهرهم ، وكانوا ينقشون على أبواب منازلهم آيات من القرآن الكريم ، ويتدارسون العلم في مساجدهم ومنتدياتهم ومنازلهم .

ومن الشخصيات الإسلامية البارزة في الكونغو « حميد الدين المرجبي » العُماني الأصل ، والذي عرف باسم « تيبوتيب » ، وقد ولد في مدينة « طابورة » في شرق أفريقيا بين سنتي ١٨٣٠ ـ ١٨٤٠ ، ورحل إلى الكونغو ، وأقام دولة إسلامية في منطقة « أوتيرا » الواقعة بين فرعين من فروع نهر الكونغو برعاية « برغش » سلطان زنجبار ، وما لبث أن سيطر على معظم مقاطعات الكونغو بين عامي ١٨٨٢ ـ ١٨٨٦ ، وبدأ الإسلام ينتشر تدريجياً في البلاد بجهود هذا الرجل العظيم غير أن ملك « بلجيكا » « ليوبلد الثاني » قام في تلك الأثناء بانشاء مستعمرة في حوض الكونغو ، وبدأ الضغط على الدولة الإسلامية الوليدة ، وفي نفس الوقت قامت انجلترا بتقليص سلطان « زنجبار » على المناطق الداخلية المتاخمة لدولته ، حيث اقتسمتها مع ألمانيا وفرنسا سنة ١٨٨٦ ، وما لبث البلجيكيون أن قضوا على « حميد الدين » وقتلوا ابنه « سيف » في معركة حامية ، واستولوا على دولته ، وأخضعوا المسلمين في تلك الجهات ، وبدأوا استعماراً فعلياً واستغلالا بشعاً لشعب الكونغو ، وبدأوا أيضا في إنشاء المدارس التبشيرية وإدخال الناس في المسيحية .

ومن المحزن حقاً أن يقضي على هذه الدولة الإسلامية التي كانت أملا لسكان وسط القارة ، ولكن الأوروبيين كانوا في خشية دائمة من قيام مثل هذه الدولة ، فعمدوا إلى محو آثارها والقضاء عليها نهائياً ، ومما يثير الأسى في نفس كل مسلم قول « جرنڤيل » الذي كان وزيراً للدولة في حكومة « لومومبا » ! « لقد زَوَّرَ البلجيكيون كل شيء في الكونغو ، فليست مدينة « ستانلي ڤيل » سوى مدينة « تبوتيب » الذي أقام هذه المدينة قبل قدوم الرحالة « ستانلي » وليس العرب كما قالوا لنا تجار رقيق . وإنما هم تلك الموجة الانسانية التي اختلطت بنا وصاهرتنا ، وتركوا لنا لغة مولدة من لغتهم (لهجة من لهجات اللغة السواحيلية) وديناً وحضارة وسماحة تسوي بين كل الناس ، كما تركوا على ارضنا دماءهم ، والبلجيكيون يحصدونهم بالأسلحة الحديثة ، وليس أعز علينا شيء من هذا الدم العربي الذي سال في الماضي كما سال ويسيل دمنا الآن في بلادنا على أيدي نفس أعداء العرب في القرن الماضي » .

في ركاب الاستعمار جاء المبشرون من كاثوليك وبروتستانت ، وخاضوا حرباً عنيدة مع العرب في وسط القارة ، منها (حرب العرب) كما سميت فيما بعد في « نياسا » وكانوا يحرضون حكوماتهم ضد العرب ، وقد



أراد « كارل بيتر » وأصحابه من رواد الاستعمار الألماني في « تنجانيقا » (تنزانيا) سنة ١٨٨٥ أن يكون التبشير « أداة مهمة من أدوات الاستعمار الأوروبي المسلح » فيما يقول « رونالد أوليفر » في كتابه « العنصر التبشيري في شرق أفريقيا » وكانوا يحثون حكوماتهم على أن تمزج الحركة التبشيرية بالحركة التوسعية في ألمانيا .

وعلى أي حال فقد قام صراع غير متكافىء بين العرب والوافدين الأوروبيين الذين استصرخوا دولهم فجاءتهم بالعتاد والسلاح والجيوش الجرارة ، بينما كان المسلمون ينصتون لعلهم يسمعون أخبار قدوم الجيوش المصرية أو العثمانية قادمة إليهم لتشد أزرهم وتنقذهم من محنتهم ، ويتسامعون بثورة المهدي في السودان ، وغضب سلطان عُمان وزنجبار ، فيصيخون السمع مرة أخرى ، على أمل أن تمتد إليهم يد المساعدة ، ولكنهم لا يجدون في النهاية من يقف إلى جانبهم فكانت النتيجة تساقطهم واحداً بعد واحد ، بعد أن بذلوا ما وسعهم ، وضحوا بأنفسهم في ساحة الشرف والجهاد .

وقد حاول الأوروبيون بشتى الطرق طمس معالم التأثير العربي في تلك المناطق ، فحاربوا الإسلام وادعوا عليه ادعاءات شتى ، وافتروا على أهله ، ورموهم بكل منقصة ، ولكن الحقيقة الجلية لا تطمسها الدعاية الزائفة . ويعرف الأفريقيون جميعاً أن العرب والمسلمين كانوا رسل حضارة ، تركوا حيث حلوا أسواقاً رائجة ، ومهدوا الطرق ، ونظموا أساليب الادارة والحكم ، وابتدعوا وسائل للزرع والحصد ، وأزالوا بعض الغابات وزرعوا محلها محاصيل متنوعة .. إلى آخر ما يقوله الأب « سلمانز » في كتابه عن « المسألة العربية والكونغو » .

كذلك حرص الأوروبيون على اتهام العرب بأنهم كانوا تجار الرقيق في المنطقة ، واتخذت هذه المقولة هدفاً لتنفير الأفريقيين من الاسلام ، مع أن العرب قد اقتصر دورهم في هذه التجارة على شراء الرقيق من بائعيهم الأفريقيين ، ولم يقتنصونهم بأنفسهم ، كما كان يفعل الأوروبيون ، كذلك كانت العلائق بين العرب ورقيقهم انسانية إلى أبعد الحدود ، وقد كتب في ذلك « ديوارت باربوسا » سنة ١٥١٨ قائلا : « وحال الرقيق في « محبسة » تدل على ما لأسيادهم العرب هنالك من إنسانية ، يعجز الواحد أحياناً أن يميزهم عن أسيادهم ، إذ يبيح لهم هؤلاء أن يقلدوهم فى اللباس ، وفى غيره من شئون العيش ».

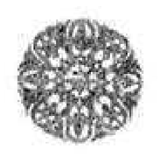
وعلى أية حال ، فقد أدرك الأفريقيون الهدف من هذه الدعاية المسمومة (وإن كان بعضهم لازال متأثراً بها خاصة في جنوب السودان) ويبدو واضحاً أن النشاط يدب مرة أخرى في أوصال الدعوة الإسلامية في وسط أفريقية ، وأصبحنا نسمع كثيراً عن علماء وفقهاء يجددون النهضة الإسلامية الشاملة ، ويعملون على نشر اللغة العربية ، وزيادة الارتباط والاتصال بالشعوب العربية

الأخرى ، مما ينبىء بانتعاش وشيك للدعوة الاسلامية بين الشعوب الزنجية .

وقد عبر الشاعر الأوغندي « بيترمواني » في قصيدته المشهورة « قد قامت الصلاة » عن مشاعر الأفريقي الداخل في الإسلام وأحاسيسه ، حيث يقول :

كل شيء يتوقف بغتة
الابل تنيخ وتستريح
والسكون يعم كل مكان
وعلى الرمل الوهاج المتألق
يركع المسلم الغيور المتعبد
في اتزان وحسن ايقاع
يسجد لله مكباً في الرمل على وجهه
في دروب الصحاري برمضائها المحترقة
ترى أفواج الرجال وقوفاً يصلون
ما أشد الحرارة وما أقساها
ولقد خلا طريق القوافل من القوافل
وامتدت الصحراء رحيبة فسيحة
فما الانسان بشيء إذا قيس بها
كن معنا يا الله
الله بعيد قريب أقرب من حبل الوريد
إنه عند الهرم الراسخ
عند كثبان الرمل المهيل
عند سكون شواطىء النيل
وهدوء شواطىء الخرطوم
إنه تعالى في كل مكان
فرض علينا الصلاة
إذا قامت الصلاة

إن الاسلام ينطلق الآن إلى كل مكان حول خط الاستواء ولكن يجب علينا أن نبذل الجهد لمساعدة إخواننا الافريقيين في كل مجال ، إن الصراع الدائر في أفريقيا الآن سوف يتحدد على أساسه أي الثقافتين هي الغالبة ، الثقافة العربية الإسلامية أم الغربية المسيحية . والله مظهر نوره ولو كره الكافرون



عبد الله بن كثير القارى

كثير من الناس حين يذكر ابن كثير تنصرف اذهانهم إلى جهبذ التفسير ، واستاذ التاريخ الكبير ، والمحدث الشهير ، الحافظ الثبت الثقة عماد الدين ابو الفداء إسماعيل بن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هجرية ، رحمه الله تعالى ولا تجرى السنتهم بذكر علم من اعلام القراءات ، وسيد من سادات التابعين هو عبد الله بن كثير القارى ، المنسوب إلى تميم الدارى .

يقول عنه صاحب خلاصة تذهيب الكمال فى أسماء الرجال ص ١٧٨ :

هو عبد الله بن كثير الكنانى مولاهم ابو معبد الدارى المكى أحد الأئمة السبعة القراء عن ابن الزبير ومجاهد بن جبر المكى ، وعنه عبد الله بن أبى نجيح وشبل بن عباد وَثَّقَهُ بن المدينى والنسائى . توفى سنة عشرين ومائة عن خمس وسبعين سنة أ.هـ

خلاصة أقول : ومن هذه الترجمة القصيرة تظهر سكانة الرجل بين المحدثين والمقرئين .

يقول ابن الجزرى فى غاية النهاية ١ : ٤٤٣ عدد رتبى ١٨٥٢ قيل له الدارى لأنه كان عطارا ، والعطار تسميه العرب دارياً نسبة إلى « دارين » موضع بالبحرين يجلب منه الطيب .

وقيل الدارى الذى لا يبرح داره ولا يطلب معاشا ، أو إلى بنى الدار أو إلى تميم الدارى الصحابى الجليل . تابعى مولى فارس بن علقمة الكنانى كان إمام الناس بمكة لم ينازعه فيها منازع ولذلك نقل عنه أبو عمرو ابن العلاء الحافظ ، والخليل بن أحمد الفراهيدى ، والامام الشافعى .

يقال له : غالب القوم - يعنى القوم السبعة القراء - بالعلو والرفعة لما أنه لزم مجاورة مكة واقام بها وهى أشرف البقاع عند اكثر العلماء إلا ما كان من أمر البقعة التى حوت جسد رسول الله ﷺ فإنها أشرف بقعة فى الكون على الإطلاق .

يقول أبو القاسم النويرى فى شرحه لطيبة النشر فى القراءات العشر « مخطوط » فى وصفه رضى الله عنه :

كان عبد الله بن كثير بن المطلب الدارى فصيحاً بليغاً جسيماً أبيض اللون طويلاً أشهل العينين ، يخضب بالحناء ، عليه

للأستاذ عبد الفتاح أبو سنة

السكينة والوقار لقى من الصحابة عبد الله بن الزبير، وأبا أيوب الأنصارى، وأنس ابن مالك، وقرأ على أبى السائب عبد الله ابن السائب المخزومى، وعلى أبى الحجاج مجاهد بن جبر المكى، وعلى درباس مولى ابن عباس، وقرأ درباس على مولاه ابن عباس، وقرأ ابن عباس على أبى، وزيد ابن ثابت، وقرأ عمر، وزيد، وأبىٌّ، على رسول الله ﷺ.

وقيل: من أراد التمام فليقرأ بقراءة ابن كثير، سأله الناس أن يجلس على كرسى الإقراء فأنشد أبياتا فى ذم نفسه:

بُنَىَّ كَثيرٍ كَثِيرُ الذنوب
ففى الحل والبل من كان سبه
بُنَى كثير دهاه اثنتان
رياءٌ وَعُجَبٌ يخالطن قلبه
بنَى كثير أكول نؤوم
وليسَ كذلك من خاف ربه
بنى كثير يعلم علما؟
لقد أعوز الصوف من جز كلبه

ولعل القارىء الكريم يلحظ تواضع هذا الإمام من تمثله بتلك الأبيات. يقول العلامة ابن الجزرى: فى ترجمة ابن كثير القارى «المرجع السابق» رأيت بخط أبى عبد الله الحافظ قال: وبعض القراء يغلط ويورد هذه الأبيات لعبد الله بن كثير وإنما هى لمحمد ابن كثير أحد شيوخ الحديث.

قلت: وممن أوردها لابن كثير القارى أبو طاهر بن سوار وغيره أ هـ.

أقول لهؤلاء وهؤلاء: إن لم ينشئها فقد تمثل بها ليعرب عن تواضعه وحيائه وسماحته من جانب، وليلقن الناس درسا فيما يجب على المعلم من التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل: كالرياء والعجب. فالرياء شرك خفى، والاعجاب بالنفس او بالرأى أو بالعمل آفات تهلك الرجال، وكثرة الأكل والنوم تفوت الخير الكثير، وتقسى القلوب، وأن أبعد القلوب من الله القلب القاسى، ثم يختم ابن كثير رضى الله عنه هذه الأبيات النادرة قائلاً: أى علم يقوله بنى كثير إنه بمثابة شعر الكلاب يجزها أصحابها لحاجتهم إلى الصوف، والذين يستعملون «المغزل» يجيدون التمييز بين الخيطين، وصانعو الثياب يحسنون التفرقة بين النسيجين. ولعل تصغير كلمة «ابن» تعطيك إحساسا بصدق صاحب الترجمة فيما يقول، وحسبك من فضله، وجلالة قدره، وعلو كعبه فى سائر فنون العربية قول الأصمعى: «كان ابن كثير القارى أعلم بالعربية من مجاهد بن جبر المكى» كما روى ابن مجاهد من طريق الشافعى ـ رحمه الله النص على قراءته عليه.

روى القراءة عنه إسماعيل بن مسلم، وجرير بن حازم، والحارث بن قدامة، والحمادان، وابنى أبى فديك وأبى مليكة وسفيان بن عيينة وأبى عمرو بن العلاء الحافظ. ولم يزل عبد الله هو الإمام المجتمع عليه فى القراءة بمكة حتى مات رحمه الله تعالى سنة عشرين ومائة.

الفتاوى

س : من السيد / ع . يوسف ... منيا القمح - شرقية

ضاق المسجد بالمصلين يوم الجمعة وتكرر ذلك .. فلجأ الأهالى إلى تمهيد سطح المسجد وأدوا صلاة الجمعة فوقه .. فهل الصلاة صحيحة علماً بأن المصلين يعلون الإمام ؟ وهل يمكن اعتبار سطح المسجد مكملاً للمسجد عند الضرورة ؟ .

◆◆◆

ج : لامانع من أداء المصلين لصلاتهم على سطح المسجد إذا ضاق المسجد بالمصلين وتعذر وقوفهم خلف الإمام .

س : من السيدة / ك . ك . كامل من أمريكا

أشهرت إسلامى فى شهر ذى الحجة سنة ١٤٠٦هـ - أغسطس سنة ١٩٨٦م .. ولى ولد يبلغ من العمر (١١ سنة) أحدى عشرة سنة . ووالده مسيحى ويريد أخذه فما الحكم ؟

◆◆◆

ج : ولد هذه السيدة من زوجها المسيحى السابق الذى لم يبلغ يتبعها فى إسلامها ، وهى أحق بحضانتها له من سواها لإسلامها ، حفاظاً على دينه وخلقه ...

س : من السيد / ع . م . إسحاق

أشهر الأب إسلامه إشهاراً صحيحاً وله طفل صغير فى حضانة أمه الكتابية فمتى يحق للأب ضم الطفل إليه ؟

◆◆◆

ج : الطفل يكون فى حضانة أمه الكتابية إلى أن يبلغ سنا يفرق فيه بين الأديان ويخشى عليه أن يتبع أمه فى دينها . وحينئذ يضم إلى أبيه فإن امتنعت أمه حكم القاضى بنزعه من حضانة أمه إلى حضانة أبيه أو حضانة من هو أقرب إلى أبيه المسلم من النساء .

س : من السيد / ف . ا . الباجورى من المنوفية

هل الأب مطالب بدفع دين ابنه المتوفى ؟

◆◆◆

ج : ما دام المتوفى توفى ولم يكن عنده مال ولا تركة وعليه دين ، فإن الدين فى هذه الحالة

اعداد : عبد الحميد السيد شاهين

يسقط ، والأب ليس مطالبا بدفع الدين المستحق على ابنه ..

س : **من السيد / ا . ج . أحمد من الصف**

عقدت قرانى على بنت عمى ، وبعد العقد أخبرتنى والدتى باننى رضعت من جدتى لأبى أكثر من خمس رضعات . وأنا أصدق والدتى فى هذا . فما الحكم ؟

◆◆◆

ج : ما دام أخبرتك أمك بأنك رضعت من جدتك لأبيك خمس رضعات فأكثر ووقع فى قلبك صدق أمك ، فإنه فى هذه الحالة تعد الفتاة بنت أخيك من الرضاع ، والرضاع يحرم به ما يحرم من النسب ، والواجب عليك الآن أن تطلقها وتعطيها وثيقة طلاق ، لأن العقد باطل شرعاً .

س : من السيد / ع . فتحى - مصر الجديدة

طلقت زوجتى طلقة اولى رجعية وكانت حاملا . وبعد الطلاق بعشرة أيام وقبل أن أراجعها وضعت الحمل . فراجعتها بعقد ومهر جديدين أمام شهود .

ومرة ثانية حلفت عليها قائلاً : (على الطلاق ما يدخل ابن أخيك البيت ولو دخل تكونى طالق) قاصداً التهديد والمنع تجنباً للمشاكل . ودخل .

ومرة ثالثة قلت لها أنت طالق . فما الحكم ؟

◆◆◆

ج : بالنسبة للمرة الأولى يقع بها طلقة واحدة بائنة بينونة صغرى لاتحل له إلا بعقد ومهر جديدين . وحيث إنك راجعتها بعقد ومهر جديدين فإن العقد صحيح شرعاً .

وعن الثانى بأنه يمين معلق ، وحيث إن الحالف كان يريد به التهديد والمنع فلايقع به طلاق .

وعن الثالث يقع به طلقة واحدة رجعية فله مراجعة زوجته ما دامت فى العدة فإذا انقضت عدتها منه حلت له بعقد ومهر جديدين وبرضاها ، وتبقى معه على طلقة واحدة .

س : من السيد / م . م . عدنان من العريش

توفى رجل عن زوجة ، إخوة أشقاء ذكور وإناث ، إخوة لأم ذكور فمن يرث وما نصيبه ؟

◆◆◆

ج : للزوجة الربع فرضاً لعدم وجود الفرع الوارث ، وللإخوة لأم الثلث فرضاً لعدم من يحجبهم يقسم بينهم بالتساوى ، والباقى للإخوة الأشقاء تعصيباً يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى . **والله أعلم**

من أعلام الأزهر
الشيخ
أحمد الاسكندرى

علم من الاعلام كرس حياته لخدمة دينه ووطنه ، شارك فى الحياة العامة والفكرية وجال فى كل ميدان .. حلق فى سماء العلم وطوف فى ميدان الأدب فاخرج للناس ما شفى النفوس وطهر القلوب رحمه الله وطيب ثراه وجعل الجنة مثواه بقدر ما دافع عن لغة القرآن وهذب النفوس وربى الأجيال .

مولده ونشاته :

ولد الشيخ أحمد على عمر الاسكندرى فى فبراير سنة ١٨٧٥ م فى مدينة الاسكندرية .. ونشأ فى بيئة دينية فقد كان والده الشيخ على عمر الاسكندرى مقيما للشعائر وخطيبا من خطباء مساجد الاسكندرية عالما عاملا .. فلا غرو أن يقال .

وينشا ناشىء الفتيان منا
على ما كان عَوَّدَهُ ابوه

فى البداية .. حفظ الشيخ أحمد الاسكندرى القرآن الكريم على يد والده ، فخلص له البيان واستضاء طريقه بنور القرآن ، واتقد قلبه حبا وشوقا وتطلعا إلى العلوم والمعارف . ثم انطلق إلى المعهد الدينى بالاسكندرية فالتحق به مكبا على الطلب شغوفا بالأدب . بل دفعه التطلع والطموح إلى الرحيل إلى القاهرة فالتحق بأزهرها الشريف حيث ارتوى بما شاء الله له أن يرتوى به من نبع العلوم الفياض ، وكعادة النابغين فى عصره أكمل مسيرته حتى انتهى إلى جدول من جداول الأزهر له أثره وتأثيره ففى سنة ١٨٩٤ التحق بمدرسة دار العلوم .. فكان مشربه من منبع أصيل : من الأزهر الشريف ، وجدول فياض معطاء زاهر دار العلوم .

شيوخه :

ولئن كان للبيئة أثرها وتأثيرها ، وكانت الثقافة تلعب دورها فى تكوين الشخصية وانطباعاتها وسلوكها فإنه لمن الخير أن نعرف ونتعرف على شيوخ أستاذنا ولعل من أبرزهم أصحاب الفضل والفضيلة : الحسين المرصفى ، وحمزة فتح الله ، وحسن الطويل ، وعثمان غالب ، وحسونة النواوى .

للأستاذ أحمد محمد الخواص

تخرجه :

وعلى يد هذه النخبة الممتازة من الفضلاء وبما ورثه شيخنا الاسكندرى من بيئته الأولى ، وما كمن لديه من استعدادات فطرية جبلته على حب التراث والدفاع عنه والعمل على إحيائه ، مع الملاحظة لماتتطلبه الحياة المتطورة .. على يد هذه النخبة وبهذه المؤثرات وتلك الدوافع تخرج الشيخ فى مدرسة دار العلوم ١٨٩٨ م ولديه أسباب للمشاركة فى البناء .

تخرج الشيخ فى مدرسة دار العلوم وقد زامل فيها إبان دراسته : أحمد راشد ، عبد الوهاب خير الدين ، مصطفى عنانى ، أحمد خليل ، حامد حسين والى ، مهدى أحمد خليل ، عبد الحميد مخلص ، عبد الرحمن الكنانى ، ثم حصل رحمه الله على درجة الأستاذية ١٩٣٨ م ومضى به وبهم ركب الحياة ..

تقلبه فى الوظائف :

الحياة مدرسة منها نتعلم وفيها نعلم ، وخيركم من علم العلم وعلمه ، ومن هذا المنطلق عرف الناس للعلم قدره .

قم للمعلم وفه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا

عرف الشيخ قدر المهنة فامتهن التعليم .. عمل مدرسا بالمدارس الابتدائية والثانوية آنذاك ومن هذه المدارس التى شرفت بعلمه وفضله : ـ مدرسة رأس التين بالاسكندرية ،



ومدرسة الغربية ، والسويس الابتدائية ، كما تولى نظارة مدرسة المعلمين بالفيوم ، والمعلمين بالمنصورة ، ثم صار مفتشا مساعدا بالمعارف العمومية .. ثم عاد من تجواله فى بساتين العلم إلى داره : دار العلوم ١٩٠٧ م .. مدرسا للإنشاء والأدب ، والعروض ، والقوافى ، والتوحيد وظل بها ربع قرن من الزمان يقرن الحديث بالقديم ويعيد إلى الحياة من العلوم ما شارف الزوال .

لقد اقترح* رحمه الله تدريس فقه اللغة فى هذه الدار فبعث هذا العلم بعد طول رقاد .. لم يكن رحمه الله صاحب شعار يرفع فحسب بل إن الشعور بالسعادة ليحيط به عندما يرى العمل والتطبيق لما أشار به أو اقترحه .. ومن ثم فقد سارع عندما استجيب إلى اقتراحه

مبادرا إلى حمل عبء تدريس هذه المادة .. فقسمها قسمين :

قسم خاص بنشأة اللغات والاشتقاق والنحت واختلاف اللهجات .

وقسم خاص بوضع الألفاظ اللغوية للمسميات ..

واختير رحمه الله ـ عضوا مراسلا بالمجمع العلمى العربى بدمشق سنة ١٩٢٢ .

واستمرت جهود الشيخ وأثمرت .. وكان لجهوده المتواصلة ومواصلته للبحث والدراسة أثر أيما أثر فى توجيه الدراسات العربية فى دار العلوم .

ولم يقف شيخنا عند دار العلوم فحسب كما لم يقف علمه على طلبتها فقط فقد انتدب لتدريس الأدب العربى فى كلية الآداب بالجامعة المصرية سنة ١٩٢٣ ، وتقديرا لجهوده واعترافا بخبرته ووضعا له فى مكانته استعان به أحمد نجيب الهلالى (باشا) وزير المعارف سنة ١٩٣٤ فى وضع مناهج اللغة العربية للمدارس الابتدائية والثانوية ومراجعة كتب اللغة العربية لهاتين المرحلتين فارتفع قدره وعلا سهمه .

وعندما أنشىء مجمع اللغة العربية سنة ١٩٣٢ اثر محاولات سابقة وقع الاختيار على الشيخ ليكون عضوا من أعضائه ورفعه علمه إلى المشاركة فى سبع من لجان المجمع التى بلغ مجموعها إحدى عشرة لجنة .

وفى عهد وزارة محمد بهى الدين بركات (باشا) للمعارف تمت موافقة مجلس الوزراء على اختيار فضيلته عضوا فى المجلس الأعلى لدار الكتب ، ومع أنه (رحمه الله) قضى فى هذا العمل ثلاثة أشهر إلا أنه محا غبار النسيان عن لآلىء التراث .

وكما كانت البداية كتاب الله حفظا وأداء فقد شارفت النهاية وهو فى خدمة كتاب الله رسما وكتابة .

فى خدمة القرآن الكريم :ـ

قام رحمه الله بتصحيح النسخة الرسمية للمصحف الشريف مع حفنى ناصف ، ومصطفى العنانى ، وهى النسخة التى أمر بإخراجها جلالة الملك فؤاد ، ولا تزال تطبع حتى الآن مع أجزاء منفردة ومجموعة من الكتاب العزيز كما شارك فى وضع كتاب قواعد رسم المصحف الشريف وطريقة كتابته .

تلاميذه :

لهذا العالم الجليل أفذاذ تلقوا العلم على يديه :

إن الناظر فى الحياة العلمية المعاصرة ، والمتبصر لمعالم النهضة الحديثة فى عصرنا يرى الشيخ رحمه الله متمثلا فى تلاميذه أعلام العصر الحديث من أمثال : أحمد حسين والى ، ومحمد خلف الله أحمد ، وعبد الوهاب أبو العيون ، ومحمد المدنى ، وعلى الجارم ، ومهدى علام ، وهاشم عطية ، وعبد العزيز عيسى ، وعطية الصوالحى ، وابراهيم مصطفى ، وعلى النجدى ناصف ... إلخ .

هؤلاء هم الاعلام الذين سلمهم الشيخ لواء النهضة العلمية والأدبية فرحم الله شيخنا ومن رحل منهم عن عالمنا وأطال ـ جل جلاله ـ عمر من بقى فينا مواصلا المسيرة مسيرة العلم والإيمان .

رحلاته العلمية :ـ

لم يكن نشاط الشيخ العلمى والأدبى قاصرا على وطنه بل شارك فى المؤتمرات

الدولية وأدلى فيها بدلوه :

شارك فى مؤتمر المستشرقين السادس عشر المنعقد فى أثينا سنة ١٩١٢ وكان من أعضاء الوفد المصرى المشاركين له فى هذه الرحلة الشاعر : أحمد شوقى ، وحفنى ناصف ، وأحمد زكى .. واستطاع الشيخ بما أوتى من قوة الحجة وغزارة العلم وما جبل عليه من حرص على لغة القرآن الكريم استطاع أن يقنع المستشرقين فى هذا المؤتمر بإصدار قرار يقضى بأن اللغة العربية الفصحى هى التى تصح للبلاد الاسلامية العربية للتخاطب والكتابة والتأليف وأن من واجب الحكومات أن تعنى بنشرها بين الطبقات الشعبية لتقضى على اللهجات العامية .

كما مثل الشيخ مجمع اللغة العربية فى المؤتمر الطبى التاسع بالقاهرة سنة ١٩٣٦ .. وفى المؤتمر العاشر فى بغداد سنة ١٩٣٨ .

أعماله اللغوية والأدبية :ـ

لا يتسع المجال لسرد هذه الأعمال وبيان ما فيها فقط نكتفى بالإشارة إلى بعضها .. وهذه الأعمال منها ما اختص الشيخ بكتابته ومنها ما شارك غيره أو شاركه الغير فيها .. بل منها ما عرف طريقه إلى الطباعة ومنها المخطوط الذى لم ير بعد الطريق إلى القراء ..

فمما انفرد به الشيخ :

- تاريخ آداب اللغة العربية فى العصر العباسى .
- تاريخ آداب اللغة العربية فى الأندلس والدول المتتابعة .
- نزهة القارىء .. للمدارس الثانوية جـ ١ ، ٢ .
- فقه اللغة جـ ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .
- معجم المعانى جـ ٢ .
- أمثال عربية .
- أبيات مختارة من مختارات الثعالبى .
- اقتراح المصطلحات الكيميائية .

ومن مؤلفاته التى أخرجها مع آخرين

- الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه .
- المفصل فى تاريخ الأدب العربى جـ ١ ، ٢ .
- المجمل فى تاريخ الأدب العربى .
- سلسلة كتب المنتخب من أدب العرب .
- صفوة تاريخ مصر والدول العربية جـ ١ ، ٢ .

ومن مخطوطاته رحمه الله :

- آداب اللغة الدارجة المصرية .
- نزهة القارىء جـ ٤ ، ٥ ، ٦ .
- تاريخ الأدب العربى فى جميع عصوره .
- كتاب تاريخ المصاحف .
- معجم المعانى جـ ٣ ، ٤ .
- الرأى الفصل فى قضايا العصر .

والقارىء لنزهة القارىء وفقه اللغة ومعجم المعانى يستطيع التأكد من غزارة علم الشيخ وسعة اطلاعه ، فقد قدم دراسات عن الحيوان والكائنات الحية والجماد ، ومظاهر الطبيعة المختلفة ، والطب ، والأحياء ، والصحة ، والكيمياء ، والطبيعة ، والتاريخ ، والجغرافيا .. إلخ ..

هذا إلى جوار العديد من الخطب التى القاها فى المحافل الرسمية والمقالات التى نشرها فى المجلات المتخصصة والبحوث التى قدمها أو شارك فى مناقشتها منتصرا للغة العربية .



من ذلك خطبته التى ألقاها فى نادى العلوم حول منع التعريب فى المسميات الحديثة ، وخطبه التى ألقاها فى مؤتمر المستشرقين عن اللغة الدارجة وخطبته فى المؤتمر الطبى العاشر فى بغداد .

شعره : -

إن المتتبع لشعره وإن قل .. يشعر بما فيه من عاطفة متدفقة صادقة نحو العروبة ولغتها الأصيلة بل إنه ليحس باحساس الرجل فى حب العلم وطلبه ..

يقول رحمه الله : -

لغتى دون غيرها
سلمت من يد النوب
لغة الدين والدنيا
لغة العلم والأدب ...

هذه لغتنا وتلك مكانتها فما هى مكانتنا وكيف نسمو إليها .

يقول رحمه الله : -

فهلموا إلى العلا
نستعد بعض ما ذهب
ننشد العلم نافعا
فى ديار ومغترب
كل صعب ميسر
للذى جد فى الطلب

ولا أدل على الأصالة العربية فى شيخنا من نقده لابن خلدون فى مقدمته فيما زعمه عن العرب فى مقدمته ، نقد الشيخ رحمه الله حديثه بأسلوب علمى استند فيه على الوقائع والأحداث ودعمه بالاحصائيات التى لا تخطىء .

إنه الغيور دائما على العروبة والاسلام ولقد دفعته تلك الغيرة وفى غير تعصب إلى انتقاد جورجى زيدان فى كتابيه : - تاريخ الأدب العربى ، وتاريخ العرب قبل الاسلام حتى أن جورجى زيدان نفسه ليقر بموضوعية النقد معترفا بفضل الرجل إذيقول « إن انتقاد الشيخ أحمد الاسكندرى يشتمل على أمور حرية بالالتفات واصلاحات سننظر فيها .... » .

وتظهر مكانة الشيخ ومنزلته فيما حصل عليه من أوسمة ونياشين فقد حصل على « وسام الرافدين » المدنى ، كذلك حصل على « نيشان النيل » فى عهد الملك فؤاد الأول .

وتأتى شهادة تلو شهادة لتعترف للشيخ بفضله .

ومن خلال هذه المسيرة لشيخنا عبر الحياة نستطيع أن نؤكد أن شيخنا .. قد خلق فى سماء العلم ، وطوف فى كل بستان .. لثم الزهور وارتشف الرحيق فأخرج ما شفى النفوس ، وطهر القلوب .. غاص فى بحار المعارف فاستخرج الدر والياقوت .. ومكن للعربية أن تسود ومهد لأبنائها طريق البيان والبنيان .

وفاته : -

ولئن طال التنقل والترحال فى ركب الحياة فلابد من الرحيل إلى رحاب الله .

وجاءت ساعة الرحيل فى يوم الثلاثاء الثامن عشر من صفر سنة ١٣٥٧ هـ الموافق التاسع من ابريل سنة ١٩٣٨ م فانتقل رحمه الله إلى جوار ربه ..

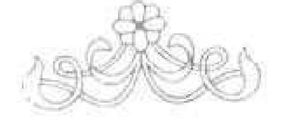
أهم المصادر : -

○ أسرة الشيخ
○ رسالة ماجستير عن الشيخ للباحث / ابراهيم عبد الرازق أحمد

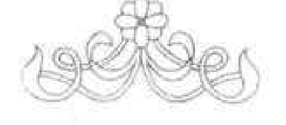
الشعر والشعراء

إشراف: د. حسن جاد

ألوان الهجرة



حوار مع النفس



صرخة زنجي

أنوار الهجرة

عادت تطل على الدنيا معانيها وتملأ الكون إشراقاً مرائيها
عادت بكل جلال الحق عاطرةً بكل ما حملت يوماً لياليها
ذكرى على الدهر ما زالت منائرها نبع الضياء إلى الدنيا وما فيها
تجلو الغيوم عن الأفهام كاشفةً ما رسبته الليالى فى دياجيها
أم القرى دارة التاريخ تذكرها وكيف طوّف بالآيات تاليها
محمد بكرها المعصومُ تعرفه يقرُّ بالفضل قاصيها ودانيها
وكيف بشرّ بالتوحيد وانطلقت الله اكبر ترقى فى مراقيها
نورٌ من الله يسرى فى رسالته فيملأ الخير والبشرى نواديها

***

أم القرى روعتها ندوةً عقدت يطوف بالشر والأحقاد ساقيها
اخانها الراى ام ضل الرشاد بها وحاد عن خطوات العقل حاديها
راحت تقطع فى جهل وشائجها وتطفىء المشعل الهادى بأيديها
هل كان أحمدُ الا نبتَ واديها هل كان أحمد الا من غواليها
قد اجمعوا امرهم والشر رائدهم أن يخمدوا جذوة بانت خوافيها
وحاصروا البيت من كل البطون فتى تشرب الحقد فى الأعماق يذكيها
والمصطفى فى أمان الله منطلق لغاية جل رب الكون معليها
ومر بالقوم فالأبصار غاشيةٌ وأصبحوا طرفةً للناس ترويها

***

وموكب النور نحو الغار غايته والغار يسيح فى اضوائه تيها
قد كان قفراً تجول الضاريات به فصار أنس الليالى فى صحاريها
به توارى رسول الله يصحبه خير الأخلاء عن أنظار رائيها
هنا انتهى أثر الأقدام وانطلقوا يريد أن يشبع الأحقاد طاغيها
بمدخل الغار دار الكفر دورته وداخل الغار خوفٌ من تلافيها
نفسى فداؤك نال القوم بغيتهم لو ينظرون إلينا من أعاليها
وينطق الصادق المختار مبتسما هون عليك فإن الله راعيها

للأستاذ / رشاد محمد يوسف

عادوا يجرون زيل الخزى وانتشروا يفتشون دروباً فى بواديها
ويضرب الله امثالاً لمن كفروا لو اعملوا العقل فهماً فى مراميها
حماية الله للهادى وصاحبه اوهى الخيوط إذا ما شاء يحميها

**

سائل سراقة والآمال تسبقه والنوق تخطر فى دل تمشيها
ماذا دهاه وقد غاصت قوائمه وهذه الرجفة العظمى يعانيها
وكيف عاد وقد عادت سكينته ببشرياتٍ واحلامٍ يرجيها

**

ما بال يثرب للترحيب قد خرجت وفى مشارفها نادَى مناديها
اهل بدراً ونوراً ساطعاً وهدى مِلْءَ المسامع والأبصار داعيها
عاشت إلى نوره تهفو مواكبها وعاش فى قلبها اغلى امانيها
حتى إذا عانقته بعد طول سرى وصافحت ركبه الغالى دراريها
راحت تنافس من يحظى بجيرته ويحرز السبق تشريفاً وتنزيها

**

لبيك ياداعى التوحيد سوف ترى فى آل يثرب آمالاً ترجيها
الأوس والخزرج الأبطال قد مسحوا كل العداوات وانجابت عواديها
مهاجرون وانصار وآصرة على المودة والتقوى تلاقيها
هم عسكر الفتح حزب الله منطلق يبنى الحياة على حق ويعليها
يؤسسون على اسم الله دولتهم الحق رائدها والعدل قاضيها
والمصطفى مثل اعلى واسوتهم اخلاق احمد جلت فى تساميها

**

ياهجرة المصطفى والنفس حائرة والمسلمون حيارى فى فيافيها
والأرض والعرض والأخلاق فى خطر فمن يرد العدا عنها ويجليها

**

ياسيدى يارسول الله بارقة من الضياء إذا اشتدت دياجيها
لتستفيق قلوب المسلمين على هدى من الله يهديها ويحميها

حوار مع النفس

للشاعرة جليلة رضا

« إن النفس كالحديقة لابد لها من تشذيب وتقليم »

دقت الساعة نصف الليل .. هيّا لِلرحيلْ
اهبطى الوادى ومُرّى بين هاتيك السهول
ثم سيرى فى مسافاتى ولا تخشى هوانى
وانظرى : هل من غريب جاءنا عبر الزمان
إن يكن .. فلتطرديه .. فهو يانفسى دخيل

■■■

إنَّ سَهْلِىَ فيه أشجارُ كثيفات الظلالِ
إنها تمتص آفاقى وتستدنى خيالى
شمّرى يانفس عن ساقيك حتى تصعديها
وارفعى الساعد ، هيا شذبيها شذبيها
آه ما اقسى الطفيلياتِ فى روض الجمال

■■■

هاهنا جذعُ عقيم يتحدى فى العراء
وهنا قشرٌ سقيمٌ وغصونٌ فى التواء
إن تكنْ فابتريها فهى سُمٌ فى العروق
إن عندى معولى الدامى ومنشارى الدقيق
إن تكن آلات هدم فهى آلات بناء

■■■

انتهينا .. لا تخافى الآن من نزف الجراح
فغداً فى كل غصن سنرى ألف جناح
إن تكونى قد ملأت الآن سهلى بالضحايا
انت قد طهرت انفاسا وضوأت حنايا
فاصعدى واديك جذلى .. ثم نامى للصباح .. ؟

صرخة زنجي

د عزت شندى موسى

أى ذنب أن تبدَّى أسودا ... وادعٌ .. ما مد بالسوء يدا
اى شأن للورى فى خلقتى ... ذاك شأن الله . من قد أوْجدا
اهو الكفر بمن صورنا ؟ ... كل مخلوق بلون زُوِّدا
ام عقوق للذى أبدعنا ... كل حى فى إطار قيدا

★★★

اى فضل يدعيه أبيض ... أغلظَ البهتانُ منه الكبدا
اى حق يبتغيه طامع ... وهو لا يملك فيه السندا
اى تمييز ترى ينشده ... بئس ما امتاز به او نَشَدا
اى حقد بات يكوى قلبه ... إن شر الناس من قد حقدا
إن من عَيَّبَ خَلْقًا ، عاجز ... هل ترى يخلق إن شاء .. يدا ؟
إن من حقَّر لونا كافر ... انكر المولى الذى قد عُبدا

★★★

اى قانون لهم يحرمنى ... منه أضحى بابُ عيشى مُوصَدا
ماروى التاريخ فى عصر زها ... أن ربُّ الدار منها طُردا
هل رايت الأخَ يغتال أخًا ... وشقيقا لشقيق وادا ؟
ليس من فرَّق شعبا سيدا ... إن من ألَّف كان السيدا

★★★

لم أشقى بين فقر مدقع ... وابتئاس .. وهو يلقى الرغدا ؟
هل يعيب التبر أقتام عرا ... أو صفار اللون عاب العسجدا ؟
أيها العادى تمهل واتئد ... إننى لست عدوا كالعدا
نحن صنوان سنمضى صحبة ... فى الحياة اليوم .. والموت غدا

وقفة أمام صقلية

للاستاذ / عبد العليم القباني

« صقلية » انداحت لمرآك أضلعي
وجفّت على أعماقها فيك أدمعي

وعادت بي الذكرى حشودا تمردت
على الصمت تخطو بي إلى كل موضع

هنا ألف تذكار ، هنا ألف قصة
هنا همسة التاريخ في سمع من يعي

هنا ياجدار البحر ، ياحضنه الذي
تطاول والدنيا بمرأى .. ومسمع

توالت من الصحراء يوما شبولها
فما الموج في تياره .. المتدفع

ودوّت هنا « الله أكبر » فانثنت
جيوش ، وولت كالقطيع المُفزَّع

وأحنت حصون شامخات بروجها
لديها وأوهت موقعا بعد موقع

هنا أتقلت يوما حضارة أمة
تحن إليها الشمس في كل مطلع

أضاءت بصحراء الحجاز وأقبلت
على هدى ذياك النداء الموقّع

فألقت بأوهام القرون وأطلعت
سنى العلم من ايمانها المترفع

وأعلت بناء الحق والعدل بعدما
لوى الجهل أعصاب الزمان المروّع

فواأسفا والذكريات تهدّني
وأين الذى أبكى ، فيبكى أسىً معى ؟

صقلية انهارت صروح وأقفرت
دروب ، وأوفى مصرع بعد مصرع

وداست حمى الشرق الخطوب فهل تُرى
سيقوى عليها بعد طول التصدع ؟

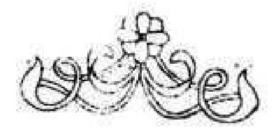
فهل تدركين الآن مابي ؟ وهل درت
صخورك كم كانت مثارا لأدمعي ؟

على أنني ألزمت نفسي رشادها
وعدتُ بقلب مستطار التطلع

أرى لمحات الفجر في غيهب الدجى
وقد تشرق الآمال بعد التمنع

العلوم الكونية

فلينظر الانسان مم خلق..؟ فماذا عن الحياة..؟



هذه الاعشاب .. وهذه النباتات



فلينظر الإنسان مم خلق..؟

فماذا عن الحياة..؟

تناولنا فى سلسلة المقالات السابقة ، تاملات فى قانون الحياة ، وادركنا من خلالها - يقينا . أن « لااله إلا الله » هو ذلك القانون الذى يحكم كل انواع المعرفة البشرية فى قمتها العلمية .
فماذا عن الحياة نفسها ؟

يخبرنا علم الأحياء أن هناك مملكتين كبيرتين للحياة : المملكة النباتية والمملكة الحيوانية .. فما نقطة البدء فى فهم الحياة واسرارها ؟

لو عدنا إلى « ذلك الكتاب » لو جدنا أن أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ « سورة العلق » وفيها يقول المولى - عز وجل :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ .

ولذلك اتخذنا « خلق الإنسان » مفتاحا لفهم هذا اللغز المجهول - الحياة - فالإنسان قد فضله الله على كثير من خلقه - ولذلك فهو أحق بالبداية لتفهم أسرار الحياة .

يبدأ الجسم البشرى رحلة الحياة ، وزاده منها خلية واحدة هى الخلية المخصبة - الناتجة من اتحاد « بويضة » الأم بـ « الحيوان المنوي » للأب . وعلى الرغم من صغر حجم هذه الخلية ، حيث لا تري بالعين المجردة ، إلا أن فيها كل أسرار الحياة ، وهى ككل الخلايا الحية لها تركيب محدد .

فما تركيب الخلية الحيوانية ؟

الخلية هى أصغر وحدة تعبر عن خصائص الكائن الحى وهى محاطة بجدار خلوى كروى الشكل تقريبا وهذا الجدار يفصلها عن الخلايا المجاورة ليصنع « من كلٍ » كياناً مستقلا فى هذا التركيب الكلى .

وتوجد بداخل هذا الجدار الخلوى المادة الحقيقية الحية وتسمى « البروتوبلازم » ينقسم هذا البروتوبلازم إلى سائل هلامى



للدكتورة سعاد حسين البيلى

يعرف بـ « السيتوبلازم » وجسم كروى الشكل يعرف باسم «النواة» يحتوي السيتوبلازم على حبيبات صغيرة سابحة فيه ـ بعضها عبارة عن مواد غذائية مخزنة والبعض الآخر له وظيفة تنظيم العمليات الحيوية التى تتم داخل الخلية .

أما النواة فهى تحتوي على جسيمات صغيرة تسمى « الكروموزومات » وهى عبارة عن تراكيب خيطية ، وهى التى تحمل الجينات التى تحمل بدورها الصفات الوراثية التى تنتقل من جيل لآخر كالطول واللون والملامح ومستوي الذكاء .. الخ .

وبالقرب من الحدود الخارجية للنواة يوجد جسيم مزدوج يعرف بـ « السنتروزوم » وله دور خاص فى عملية انقسام الخلية هذا عن تركيب الخلية !!

فمم تصنع الخلايا ؟

تعتبر الخلايا أبسط التنظيمات التى لها أدق صفات الحياة ، لذلك فإن تركيبها فى « ذاته » له أهميته ، كذلك فإن مراحل تخليق هذه الخلية ـ من الناحية المادية له أهمية خاصة ـ وهذه المراحل مرتبة كالآتى :

١ ـ الذرات : وأقصد بها الذرات الخمس الرئيسية التى تدخل فى تركيب المادة الحية وهى : الايدروجين والأكسجين والكربون والنتروجين والفوسفور : وهى جميعا من العناصر الطبيعية الموجودة فى الأرض ، كذلك توجد عناصر أخرى ولكن بكميات أقل بكثير ، ومن الايدروجين والأكسجين يتكون الماء وقد أخبرنا الحق تبارك وتعالى بقوله : ﴿ « وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ « الأنبياء ٣٠ » وهناك أيضا لفتة أخرى وهى قول الحق تبارك وتعالى ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى » فهذا الإنسان قد آل فى النهاية إلى عناصر الأرض كما خلقها ونسقها وأحياها رب السموات والأرض ـ سبحانه وتعالى

٢ ـ جزيئات بسيطة : وهى عبارة عن اتحادات بين « ذرات » ويطلق عليها أحيانا اسم « الجزيئات العضوية » ويوجد منها مئات الأنواع المختلفة فى الخلايا الحية وهى تبلغ عشرة أضعاف حجم الذرات الأساسية التى تدخل فى تكوين الخلية .

٣ ـ سلسلة جزيئات : وهى عبارة عن جزيئات بسيطة متصلة ببعضها بحيث ينتج عنها سلاسل طويلة ويبلغ حجم أكثر هذه السلاسل أهمية بالنسبة للتكوين الخلوى أكثر من « خمسمائة مرة » من حجم الجزيئات البسيطة أى أكثر من خمسة آلاف



مرة من حجم الذرات وأكبر جزيئات هذه المجموعة لا ترى إلا بأكثر المجاهر الالكترونية قوة .

٤ ـ التراكيب : وهى عبارة عن جزيئات متصلة ومرتبة فى تنظيمات هندسية داخل الخلية الحية ويصل أصغر هذه التراكيب حجما أكثر من مائة مرة من حجم الجزيئات المتصلة متوسطة الحجم ، وأكبرها حجما يصل إلى الف مرة من حجم الجزيئات المتصلة أو أكثر من ذلك ، وهذه يمكن رؤيتها بالمجاهر العادية .

٥ ـ الخلايا : وهذه كما ذكرنا سابقا عبارة عن الحد الأدنى من التراكيب المنظمة الحية . وأغلب الخلايا ضئيلة الحجم ولا يمكن رؤيتها بالعين المجردة ولكن يمكن رؤيتها بواسطة عدسة مكبرة أو مجهر عادي .

هذا عن تركيب الخلية بشكل عام ومراحل تكوينها من ذرات العناصر التى خلقها الله .

●●●

فماذا عن الخلية المخصبة تلك التى تمثل بداية تكوين الإنسان ؟

وما المراحل التى تبدأ السير فيها هذه الخلية « اللغز » بعد تكوينها ؟

تبدأ هذه الخلية « اللغز » رحلتها الانقسامية فى رحم الأم حيث تنقسم إلى خليتين ، وهاتان بدورهما تنقسمان إلى اربع خلايا ثم ثمانية وهكذا حتى نحصل ـ بعد حوالى خمسة وخمسين انقساما ـ على عدد من الخلايا الذى يُكَوِّنُ جميع أعضاء الجسم البشرى ، وكل خلية من هذه الخلايا تدخل فى تركيب نسيج ، ومن مجموع الأنسجة تتكون الأعضاء كالمعدة والقلب والرئة وغيرها ، ومن مجموع الأعضاء التى تتسق مهمتها لأداء دور معين يتكون الجهاز ، كالجهاز الهضمى والتنفسى والدورى . ومن مجموع هذه الأجهزة يتكون جسم الإنسان .

ويؤكد أساتذ علم الأجنة أن هناك سمتين رئيسيتين لتخليق الجنين .

السمة الأولى : أن الخلايا الناتجة عن الانقسام لا ينفصل بعضها عن بعض ولكنها تلتصق ببعض كما لو كانت تعلم مسبقا أنها تشارك فى مشروع عام على خلاف أى انقسام خلوى آخر ، حيث يكون ناتج الانقسام فيه عبارة عن وحدتين مستقلتين تماما ـ كما فى انقسام البكتريا وتكاثرها .

السمة الثانية : « **هى تخصص الخلايا** » ، كل مجموعة من الخلايا تعكف على القيام بعدد محدد من المهام الخاصة ، وعملية التخصص هذه غير عكسية ، فلا رجعة فيها إلى الوراء

ولنا أن نسأل : كيف ينشأ الاختلاف خلال التخليق الجنيني ؟

كيف تتوجه الخلايا حتى تصبح خلايا جلد أو عضلات أو خلايا عصبية أو خلايا عظمية ؟

إننا نعلم أن الجنين عبارة عن كتلة من الخلايا سريعة الانقسام هذا الانقسام الذى يستمر بنشاط سريع بعد الولادة ثم يتناقص معدل هذا النمو ببطء وإبان الطفولة وحتى مرحلة البلوغ عندئذ يتوقف انقسام الخلايا وتسهم كل خلية من خلايا الأعضاء والأنسجة على وقف عملية النمو هذه إسهاما متناسقا بدقة مدهشة .

فكيف تعرف الخلايا متى تتوقف عن النمو ؟

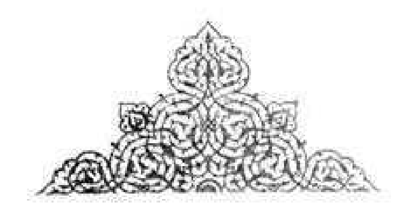
من الذي يخبرها أن الأعضاء التى هى جزء منها قد أصبحت الآن فى الحجم الصحيح ؟ وما طبيعة إشارة أو اشارات وقف الإنقسام ؟

يجيب علم الأحياء عن هذه الأسئلة الكثيرة إجابات مبهمة ويعد الباحثون بمزيد من مواصلة الأبحاث ولكننا نعلم علم اليقين أن الله ـ سبحانه وتعالى وهو صاحب القدرة المطلقة والمشيئة المختارة ـ قد أخبرنا فى « ذلك الكتاب » بأنه وحده « يعلم ما فى الأرحام » ليس جنس الجنين القابع فى رحم أمه فقط ، إنه ـ سبحانه وتعالى ـ يعلم كل شيء عما فى الأرحام ، ماضيه وحاضره ومستقبله ، والأكثر من ذلك انه يقدر له قدره ويهييء كل الأسباب التى تحقق هذه المشيئة الالهية .

إن الله وحده هو الذى يملك خلق العناصر وهو وحده ـ سبحانه ـ الذى خلق قانون تجميع هذه العناصر وترتيبها ، وهو وحده سبحانه الذى خلق فيها الروح ـ فلا يستطيع تركيب كيميائى ميت أن يحمل شعلة الحياة .

وأخيراً ، فإن نظرة عامة ثاقبة على الإنسان على كل أجهزته ، وأعضاء هذه الأجهزة وهى تعمل طيلة حياة الإنسان ، كل يؤدى دوره الذى خلقه الله من أجله بلا توانٍ أو تعجل .. فى تناسق كلى لا يستطيع القلم أن يصفه أو يضع له تعبيراً يتسق مع عظمته وإبداعه .

هذه النظرة الثاقبة يمكن أن تستشف شيئا من عظمة الله فتسجد له خاشعة راهبة .



هذه الأعشاب وهذه النباتات

٥

السنا والسنوت :ـ هو السنا المكى ، دواء مجرب يسهل افراز الصفراء ، وينشط خلايا الكبد ، وهو مأمون الغائلة ولم يقف صاحب « زاد المعاد » ـ رحمه الله ـ على حقيقة السنا والسنوت وذكر فيه سبعة أقوال فى كتابه « ٤ / ٣٢٠ » ط . دار الرسالة منها أنه حب يشبه الكمون وليس بكمون ، أو أنه الشبت ، أو التمر ، أو الرازيانج والصحيح غير ذلك .

السفرجل :

يمتاز السفرجل بأنه موسوم بصفة القبض وتسكين العطش وقطع القيء ، وإذهاب غثيان النفس ، وتهدئة المعدة الثائرة .

كما أن له مفعولاً مدراً للبول ، ويعالج قرحة الأمعاء إلى حد كبير ، ولمغسول أوراقه فوائد تشبه التوتياء فى تأثيرها المنظف للعين .

وأجوده ما كان مشويا أو مطبوخا بالعسل ، وحبه نافع لالتهابات الحلق والشعب الهوائية ، وهو يقوى القلب ويجلو الصدر .

روى ابن ماجة فى سننه « ٣٣٣٩ » عن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه قال : « دخلت على النبى ﷺ وبيده سفرجلة فقال : « دونكها ياطلحة ، فإنها تجم الفؤاد » وقد ذكر هذا الحديث بطريق آخر الحاكم فى مستدركه « ٤/ ٤١١ » وقد توبع هذا الحديث فظهر فى رواية ابن ماجة ثلاثة مجاهيل كما أن رواية الحاكم معلولة السند لأن فيها عبد الرحمن بن حماد الطلحى ، قال أبو حاتم : منكر الحديث ، قال ابن حبان وغيره : لا يحتج به .

وروى النسائى أيضاً من طريق آخر قال : « أتيت النبى ﷺ وهو فى جماعة من أصحابه وبيده سفرجلة يقلبها ، فلما جلست إليه ، دحا بها إلىَّ ثم قال : « دونكها أبا ذر ، فإنها تشد القلب وتطيب النفس ، وتذهب بطخاء الصدر » وقد حكم الشيخ شعيب الأرناؤوط على هذا الحديث بالضعف أيضاً .

ولكن صاحب « زاد الميعاد » ـ رحمه الله ـ

ذكر هذين الحديثين ولم يخرج واحداً منهما ، وسكت عنهما .

السواك :

وهو ما يتخذ من خشب الأراك ، ونحذر من استعماله من أشجار مجهولة حيث يعمد البعض من الناس إلى استعمال بعض النباتات غير المعروفة كسواك وهذا خطر شديد فادح يجدر التنويه عنه والاشارة إليه .

وقد كان سيدنا رسول الله ﷺ يستعمل السواك أغلب أوقاته فكان لا يفارقه أبداً فكان لا يزال يستاك حتى ظن البعض من الصحابة أنه - أى السواك سيفرض مع الوضوء .

ننتهى إلى أن السواك سنة مأثورة ، وعادة مرغوب فيها ، وقد ورد فى الصحيحين حديث متفق عليه عنه ﷺ « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عن كل صلاة « البخارى « ٢/٣١٢ » ومسلم « ٢٥٢ » من حديث أبى هريرة رضى الله عنه . وذكر البخارى « ٤/١٣٧ » تعليقا عنه ﷺ :- « السواك مطهرة للفم ، مرضاة للرب » .

وأخرج مسلم « ٢٥٢ » أنه ﷺ كان إذا قام من الليل يشوص فَاهُ بالسواك . وأخرجه البخارى أيضاً فى الصحيح « ٢/٣١٢ » .
كما ذكر مسلم « ٢٥٣ » أنه ﷺ كان إذا دخل بيته ، بدأ بالسواك . ﷺ وقد وردت فى السواك أحاديث كثيرة صحيحة .

الشبرم :

نوع من الشجر منه صغير ومنه كبير ، وله قضبان حمراء مائلة للبياض ، وثمره حب صغير أحمر لونه ، للشجيرات عروق عليها قشور حمراء والمستعمل منه لين قضبانه . وقشر عروقه .

والشبرم منقث ، ينفع المصدورين ، والاكثار منه قاتل ، ويعمد كثير من الناس إلى نقعه فى اللبن الحليب يوما وليلة ثم يخرج المنقوع ، ويجفف ويخلط معه الورد أو العسل أو عصير العنب ثم يعطى بعد ذلك مشروبا نافعا مفيداً ، وقد قتل المعالجون به أبرياء كثيرين نتيجة خطأ استعماله وعدم ضبط الجرعة العلاجية المناسبة منه .

وقد روى الترمذى وابن ماجة فى السنن من حديث أسماء بنت عميس ، قالت : قال رسول الله ﷺ : « بماذا كنت تستمشين ؟ » قالت : بالشُبْرم قال : « حَارٌ حارٌ » الترمذى « ٢٠٨٢ » وابن ماجة « ٣٤٦١ » وهو ضعيف الإسناد .

الصَّبـر :

وله كثير من المنافع سيما الهندى ، فهو يذكى العقل ، ويزيل فضول الصفراء وينقى الجوف وينظف المعدة ، وقد خيف أن يأتى



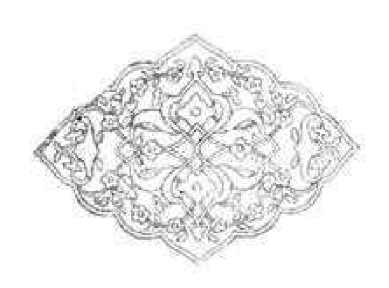
بتفاعلات غير مرغوب فيها إذا وُصِفَ فى الجو البارد .

وقيل : إن فيه نفعاً لقرحة المعدة ، وعلاج أوجاع المفاصل كما أنه يساعد على التئام الجراحات الغائرة .

وقد روى أبو داود فى كتاب « المراسيل » أن رسول الله ﷺ قال : ـ « ماذا فى الأمرين من الشفاء ؟ الصَّبِرُ والثُّفَّاء » وهو حديث ضعيف وقد أخرج أبو داود فى سننه « ٢٣٠٥ » والنسائى « ٦/٢٠٤ ، ٢٠٥ » من حديث أم سلمة قالت : دخل علىَّ رسول الله ﷺ حين توفى أبو سلمة ، وقد جعلت علىَّ صَبراً ، فقال : « ماذا يا أم سلمى ؟ » فقلت : إنما هو صبر يارسول الله ليس فيه طيب فقال : « إنه يشبُّ الوجه ، فلا تجعليه إلا بالليل » . وقد ذكره صاحب « زاد المعاد » « ٤/٣٣٤ » .

الطلح :

ذهب أكثر العلماء إلى أنه الموز ، وقيل هو الشجر ذو الشوك ، وقيل بل نبت آخر ، والأغلب أنه الموز وهو الرأى المختار عند أبى حيان فى بحره المحيط « ٨/٢٠١ » قال تعالى « وطلح منضود » الواقعة ٥٦/٢٩ وقيل الطالح عند العرب شجر من العضاه وذكره القرطبى فى التفسير ١٧/٢٠٨ والطبرى أيضاً « ٢٧/١٠٤ » وأجود الطلح النضيج الحلو ، يفيد المصدورين فينفث بلاغمهم ويدر البول وينقى المثانة ويزيد المنى ويقوى الحركة للنساء ويلين الطبيعة ، وإذا أضيف إليه السكر أو العسل كان أكثر نفعاً .



الإعجاز العلمى

فى القرآن الكريم ١٤

أ . د . محمد جمال الدين الفندى

العمق الثالث عشر من أعماق الإعجاز العلمى فى القران الكريم :

هناك فرق كبير بين ما قد تبدو عليه بعض الأشياء ظاهريا فى الطبيعة وبين حقيقة أمر تلك الأشياء . والأمثلة على ذلك وفيرة كما سنرى . وكان من الطبيعى أن يحكم الإنسان البدائى على الأشياء حسب ما يبصرها أو ما يراه باديا من أمرها ظاهريا .

وهكذا كانت الأرض عنده أكبر من النجوم ومن الشمس والقمر مثلا وكثيرا ما خدعته الطبيعة بظواهرها كما يحدث فى السراب ، إلا أن الانسان سريعا ما عرف بالتجربة والمران أن السراب مجرد خداع بصر . ثم عرف تفسيره العلمى فى عصر العلم ، كما عرف معنى الوضع الظاهرى ومعنى « خداع البصر » فنحن عندما نركب القطار مثلا وننظر أثناء سيره إلى الشجر الثابت على سطح الأرض نري الشجر يجري تباعا ، ولكننا نعرف تماما أن الشجر ثابت وأننا نحن نتحرك منطلقين مع القطار !

ولقد تعرض القرآن الكريم فى سياق حديثه عن الكون « كتاب الله المنظور » إلى مثل تلك الظواهر المنبثة فى الأرض والسماء وبين الأحياء .. ولكن المعجز حقا أنه يذكرها بأسلوب علمى سليم لا يثير فضول الجاهلين ، ولا يوفر ذريعة للمكابرين أو الجاحدين . ويمثل هذا الأسلوب العلمى القرانى العمق الثالث عشر من أعماق الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم . والله تعالى يقول :

١ ـ « وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ » آل عمران « ٧ » والمعنى أن من حكمة الله تعالى أن جعل من القرآن آيات قد يدق معناها على أذهان كثير

من الناس أو يثير فضولهم ، من أجل أن يدفع العلماء على البحث والاجتهاد . ولا يعلم تأويل هذه الآيات إلا الله تعالى

والذين سبقوا بالعلم من الناس وتمكنوا منه .

ومن نعم الله تعالى أن جعل العلم يفتح أمامنا آفاقا واسعة في ظلها تمكن العلماء من إدراك الوفير من المعاني العلمية القرآنية المعجزة والتعبيرات الأخاذة في كتاب الله العزيز ، مصداقا لقوله تعالى :

٢ ـ « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ » فصلت « ٥٣ » ومضمون المعنى أن اتساع معرفة البشر سوف يفتح أمامهم آفاق الإعجاز القرآني ، وتظهر أعماقه الرائعة . ومن الآيات كذلك قوله تعالى في هذا المجال :

٣ : وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ» ص « ٨٨ » ـ يعني سوف تعلمون أيها المكذبون له صدق وسلامة كل ما اشتمل عليه القرآن الكريم من وعد ووعيد ، وأخبار ، وآيات كونية بعد وقت غير بعيد !!. هو ذا إعجاز القرآن يتجدد في عصر العلم ويظهر إعجازه العلمي في شتى المجالات .

أمثلة من الآيات :

١ ـ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ» العنكبوت « ٢٠ » ترسى هذه الآية الكريمة ـ في بساطة لفظية ـ أساس علم طبقات الأرض « الجيولوجيا » من غير أن تثير فضول الجاهلين . فإن تاريخ الأرض منذ نشأتها الأولى مكتوب ومدون بين طبقات قشرتها التي نعيش عليها وذلك بلغة تسمى لغة الأحافير والأحافير . جمع « أحفورة » وهي ما تبقى من أجسام الكائنات التي عاشت على الأرض .

ومن آثار الماضي أيضا بقايا العناصر مثل اليورانيوم وعلى العلماء أن يسيروا في الأرض ، وأن يجمعوا تلك الأحافير والبقايا ويربطوا بينها من أجل تتبع تاريخ الأرض وما عاش عليها من حشرات وحيوانات ونباتات ، وما توفر فيها من عناصر نادرة هذا هو مضمون تأويل الآية الكريمة التي تدفع الباحثين على التنقل بين أرجاء الأرض المختلفة لجمع الأحافير التي تدل على آثار الخليقة الأولى والتي هي في مجموعها سجل حافل لتاريخ الخليقة حتى الآن .

٢ ـ « وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ » الأنبياء « ٣٢ » ـ أي جعلنا مافوق رءوسكم ـ وهو الغلاف الجوي الذي يرتفع بغير عمد إلى علو ألف كيلو متر عبر الفضاء الكوني ـ جعلناه سقفا محفوظا ، أي تمسكه الأرض بقوة جاذبيتها فلا تتركه يفلت إلى الفضاء الكوني ، ذلك لأن من خصائص الغازات الاندفاع والتسرب إلى الفراغ الذي تعرض له وتتعادل قوة جذب الأرض مع قوة إفلات الهواء من أعلى فيظل الغلاف الجوي مرفوعا إلى علو ألف كيلو متر بغير عَمَدٍ نراها ، مصداقا لقوله تعالى :

٣ ـ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ـ الطور « ٥ »

٤ ـ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا». لقمان « ١٠ »

والقرآن الكريم يستبعد عنصر الصدفة فى خلق الكون وماحوي والصدفة هى التى يعول عليها المكابرون ويلجأ إليها الجاحدون فى تفسير خلق الأشياء ، ولكن هل الصدفة يمكن أن تجعل للشيء الواحد فوائد وآيات عديدة ؟! وان استطاعت « جدلا » ذلك هل فى مقدورها أن تثبت تلك الفوائد والآيات على مر الزمن واختلاف المكان ؟!! إن العقل السليم إنما يرفض مثل هذا الإدعاء ولهذا يقول الله تعالى :

﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾

أى لايفكرون فى الخدمات التى يؤديها هذا السقف العجيب لأهل الأرض فيستبعدون عنصر الصدفة ويؤمنون بالخالق المدبر العليم .

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ الملك « ١٠ »

ومن أظهر خدمات هذا السقف التى يؤديها لأهل الأرض كما عرفناها فى عصر العلم :

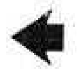
١ ـ ما فيه من غاز الأكسجين اللازم للحياة ؛ لأنه يكسب الخلايا القدرة على العمل وتقل مقادير هذا الغاز كما يقل الهواء عموما بالارتفاع فوق سطح الأرض ، وبذلك يشعر الإنسان عندما يصعد إلى أعلى بضيق الصدر والحاجة إلى صدر أوسع تدريجيا فإذا ما واصل الصعود يختنق تماما ويموت غير بعيد عن سطح الأرض ، ولقد استطاع الإنسان فى هذا العصر أن يقيس معدلات التغير فى مقادير الهواء الجوى معبرا عنها بضغطها كلما ارتفع إلى أعلى على النحو الآتى :

الارتفاع بالمتر	الضغط الجوى	بوحدة المللبار
سطح الأرض	١٠١٣	مللبار
١٥٠٠	٨٥٠	مللبار
٣٠٠٠	٧٠٠	مللبار
٦٠٠٠	٥٠٠	مللبار
١٠٠٠٠	٣٠٠	مللبار
١٢٠٠٠	٢٠٠	مللبار
٢٠٠٠٠	٠٥٠	مللبار
٣٠٠٠٠	٠١٠	مللبار

ومن الواضح أن مقدار الهواء ـ ومن ثم الأوكسجين ـ يقل إلى نصف قيمته تقريبا عند الارتفاع إلى ستة كيلو مترات . وهذه الحقائق العلمية يعبر عنها القرآن الكريم فيقول :

﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ الأنعام « ١٢٥ » .

٢ ـ فى هذا السقف يوجد أيضا غاز ثانى أكسيد الكربون ، وهو الذى تمتصه النباتات لتأخذ منه الكربون « عنصر هو الفحم » وتخرج الأوكسجين خالصا نقيا إلى الجو ، والذى يقوم بهذه العملية هو « الخضر » أو « اليخضور » أو « الكلوروفيل » فى ضوء الشمس ويجيء ذكر هذه الحقيقة فى القرآن بأسلوب معجز أخاذ لم يثر فضول الجاهلين ، ولكن أظهر الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم فى عصر العلوم ، إذ يقول :



* يعادل المللبارونن نحو ثلاثة ارباع ملليمتر زئبق .

وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً ». الأنعام « ٩٩ » ـ ، والكربون الذى يستخلصه الخضر من ثانى أكسيد الكربون الذى فى الجو هو أساس السلسلة الغذائية كلها . فمنه يصنع النبات الخشب ، والسكر ، والزيوت ، والنشا ..

٣ ـ فى هذا السقف يوجد بخار الماء الذى به تثير الرياح السحب فينزل منها المطر الذى هو مصدر كل المياه العذبة على الأرض .

أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ». الواقعة « ٦٩ » ، والمزن هو السحاب المطر .

٤ ـ فى هذا السقف يحدث ضوء النهار بتشتت أشعة الشمس فى الطبقة السطحية الرقيقة التى لا يزيد ارتفاعها عن « ٢٠٠ » كيلو متر ، وهى تواجه الشمس دائما وتنسلخ من جسم الغلاف الجوى المظلم كما نسلخ جلد البعير من البعير مثلا :

«وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ . يس « ٣٧ »

وتتعدد آيات هذا السقف ولا يتسع المقال ولا المجال للدخول فى تفاصيلها ، ونكتفى بذكر بعضها :

٥ ـ فيه يسري الصوت .

٦ ـ يحرق الشهب فى طبقاته العليا .

٧ ـ يفتت النيازك قبل وصولها إلى سطح الأرض .

٨ ـ يحمى أهل الأرض من الأشعة الكونية الفتاكة ، وأغلب الأشعة فوق البنفسجية التى ترسلها الشمس .

٩ ـ يحول دون تسرب ماء الأرض إلى خضم الفضاء الكونى فلا تصير الأرض عالما جافا خربا مثل القمر .

١٠ ـ تعمل التيارات الهوائية على توزيع طاقة الشمس بالتساوي بنقلها من مناطق « وفرتها » بين المدارين إلى مناطق « شَحْتها » عند القطبين .

كروية الأرض :

تكاد لا تخفى كروية الأرض فى هذا العصر على أحد ، خصوصا بعد أن تم تصويرها من الفضاء الذى تسبح فيه ويجيء ذكر هذه الحقيقة الكونية فى كتاب الله العزيز بأسلوب قرآنى لا يثير فضول الجاهلين فى آيات عديدة ومواضع مختلفة نذكر منها قوله تعالى :

١ ـ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ».. الزمر « ٥ » .

فلو لم تكن الأرض كرة لخيم الظلام ، أو طلع النهار ، على أرجائها دفعة واحدة ، ولكن هناك تتابع فى تكوير الليل على النهار والنهار على الليل يستلزم أن تكون الأرض كرة .

٢ ـ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً». يونس « ٢٤ » ، قال بعض المفسرين أن « ليلا أو نهاراً » هنا للتعمية حتى لا يعرف أحد زمن القيامة ، هل سيكون

ليلا أم يكون نهاراً . ولكن من الواضح أنه إذا كانت الأرض كرة « وتلك هى الحقيقة » فإنه عندما تقوم الساعة يكون نصف الكرة الأرضية فى الليل والنصف الآخر فى النهار ، نعم ، فالنصف الذى يواجه الشمس يكون فى النهار ، بينما يكون النصف الذى لا يواجه الشمس فى الليل ، ولذلك فإن قوله تعالى : ليلا أو نهاراً

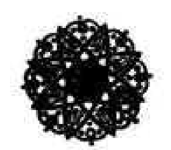
يعنى ليلا ونهاراً بسبب كروية الأرض :

٣ ـ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا « النازعات ٣٠ » ،

وتفسير الآية الكريمة الظاهر هو أن الأرض بعد ذلك مهدها وأعدها للسكنى . ولكن من الجائز أيضا القول بأن « دحاها » هنا اشارة إلى « الدحية » وهى البيضة فى بعض لهجاتنا العربية .

والواقع أن الأرض ليست كاملة التكوير ، إذ يزيد طول قطرها الاستوائى « بسبب دورانها حول محورها » على طول قطرها القطبى بنحو ٤٣ كيلو مترا .

ومعنى ذلك أن الأرض بيضاوية الشكل وهو ما تشير إليه كلمة (دحاها) ، وهى إعجاز علمى أخاذ .



الدولة الإسلامية
بقية

وتخصصت وظائفها ، تميزت وظيفة المحتسب .

هذا وللحسبة ونظامها شروط ووسائل ومهام وأهداف لن يتسع هذا المقال لتناولها تفصيلا .. وسوف نعود إليها بإذن الله في مقال لاحق .

ب ـ إقامة الحدود وتوقيع العقوبات الأخرى :

فمهما بلغ المجتمع من الكمال ، ومهما كان المجتمع فاضلا فإن الطبيعة البشرية تأبى إلا أن يكون هناك ضعاف النفوس الذين لا يأبهون بنظام ولا تحد شهواتهم حدود ولاعادة التوازن داخل المجتمع فقد جاء الاسلام بنظام دقيق للعقوبات يمكن التعرف على أقسام ثلاثة فيه :

ـ القسم الأول :

وهو « الحدود » وهذه عقوبات قررها الله تعالى لأمهات الجرائم التى تنحصر في « الزنا » والقذف ، والسرقة ، والردة ، والحرابة ، وشرب الخمر .

ـ القسم الثانى :

وهو « القصاص والدية » وتنحصر في جرائم القتل ، والتعدي على ما دون النفس من أعضاء جسم الإنسان

ولا يسمح النظام السياسي الإسلامي بالتراخي في تطبيق أي من العقوبات السابقة أو الاعفاء منها أو تمييعها ، لأن ذلك قد يغري بالمزيد من الجرائم .

إن نظام الحدود والتعازير الذى جاء بها الإسلام يعد الوسيلة النهائية لاقرار السلام الاجتماعي في الدولة الإسلامية ، ومن خلاله يحفظ التوازن والاستقرار وتصان الحريات والحقوق .. وسوف نلتقي بإذن الله على صفحات مقال لاحق لزيادة الأمر تفصيلا وإيضاحاً .

وبعد .. لقد انتهينا من توضيح أوجه نشاط الحكومة في الدولة الإسلامية للمحافظة على كيان المجتمع من الداخل وذلك امتثالا لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ « النحل ٩٠ »

ولا عجب ، فإذا ما تم بناء الكيان الداخلي للانسان على أسس إيمانية قويمة ، منزلة من عند الخالق عز وجل ، وإذا ما تم تهذيب سلوكه في المجتمع ، حتى لا تفرز العلاقات الاجتماعية إلا الخير والفضيلة والمحبة والتآلف والتعاطف والرحمة بين أفراد المجتمع .. وإذا ما قامت الحكومة الإسلامية بدورها في صيانة الحريات ، وحفظ التوازن ، ومراقبة تطبيق شرع الله في المجتمع فإنه لن يكون إلا مجتمعاً تسوده الفضيلة والسلام والتماسك .

فماذا إذن عن دور الحكومة الإسلامية في المحافظة على كيان المجتمع في الخارج ؟ إن لها في هذا المجال طريقين متلازمين هما وجهان لعملة واحدة ألا وهما الدعوة الإسلامية والجهاد .. هذا ما سوف نتناوله بإذن الله في مقالنا القادم .

الرُّقية

وأخذ الأجر على قراءة القرآن

للشيخ عبد الرحمن الجزيرى

تقديم : الأستاذ عبد الفتاح حسين الزيات

لعل الغفلة عن معانى الأحاديث الصحيحة إلى عدم الإحاطة بالأحاديث الثابتة فى الموضوع الواحد والعلم بأسبابها .. والمتقدم منها والمتأخر كل ذلك قد يفضى مع المتجرئين على العلم بحديث ما أنزل الله به من سلطان .

لكن الراسخين فى العلم يعلمون أن الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خالية من التضارب والتناقض والاضطراب .

وفى المقال التالى ما يرشد إلى الصواب فى هذه القضية .

قال الشيخ عبد الرحمن الجزيرى ـ رحمه الله :

عن أبى سعيد « أن رهطاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقوا فى سفرة سافروها حتى نزلوا بحى من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم ، فلدغ سيد ذلك الحى ، فسعوا له بكل شىء لا ينفعه شىء .

فقال بعضهم : لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين قد نزلوا بكم ، لعله أن يكون عند بعضهم شىء ! فأتوهم ، فقالوا : ياأيها الرهط إن سيدنا لدغ فسعينا له بكل شىء لا ينفعه شىء ، فهل عند أحد منكم شىء .

فقال بعضهم : نعم والله إنى لراق ، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا ، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلاً ! فصالحوهم على قطيع من الغنم ، فانطلق فجعل يتفل ويقرأ الحمد لله رب العالمين حتى لكأنما نشط من عقال فانطلق يمشى ما به قلبة .

قال : فأوفوهم جعلهم الذى صالحوهم عليه .



الرقيـة وأخـذ الأجـر

فقال بعضهم : أقسموا ، فقال الذى رقى : لا تفعلوا حتى نأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذى كان فننظر ما يأمرنا .

فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا له ، فقال : وما يدريك أنها رقية ؟ أصبتم ، أقسموا واضربوا لى معكم بسهم ». رواه البخارى فى كتاب الطب

يتعلق بشرح هذا الحديث أمور :

(١) شرحه إجمالاً .

(٢) هل تجوز الرقية بالقرآن وغيره .

(٣) هل يجوز أخذ الأجرة على قراءة القرآن والرقية به .

(٤) وإذا كانت تجوز فهل لها ذلك الأثر الذى يعتقده الناس .

(١) لعل معنى هذا الحديث ظاهر لاخفاء فيه إلا فى بعض ألفاظه ، وإليك بيانها :

« يضيفوهم » معناه : ينزلونهم ضيوفاً عليهم . يقال : ضيف الرجل بالتشديد تضييفاً : أنزله به ضيفاً .

« والرهط » : أقله ما دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة ، وقد يطلق الرهط على أكثر من ذلك ، وهو هنا ثلاثون كما صرح بذلك فى بعض الروايات ، حتى صرح أيضاً بأن عدد الجعل الذى أخذوه ثلاثون شاة فخص كل واحد منهم شاة .

« والقطيع » : هو الشىء المقتطع سواء كان من غنم أو غيرها ، والمراد به هنا الغنم كما ذكرنا . « فجعل يتفل ويقرأ الحمد لله رب العالمين »: ينبغى أن يكون التفل بعد القراءة لا فى أثنائها . وقد قيل : إن حكمة ذلك أن بركة القراءة تحصل فى الجوارح التى يمر عليها الريق فتحصل البركة فى الريق أيضاً ، فإذا أصاب محل الألم كان له أثره فى البرء .

« ونشط من عقال »: المشهور فى اللغة أن نشط بالفتح وكسر الشين معناه عقد ، وأنشط معناه حل . فالمناسب هنا أن يقال أنشط لأن معناه حل من عقال ، أى حبل . ولكن الرواية نشط بضم النون وكسر الشين معناه حل من عقال ، وهذا لغة فيه .

« وقلبة » بتحريك حروفه كلها معناه : علة ، وسميت العلة قلبة لأن الذى يصاب بها يقلب من جنب إلى جنب لمعرفة محل العلة وموطن الداء .

« وما يدريك أنها رقية »: الغرض من هذا اللفظ تعظيم ذلك الأثر الذى ترتب على قراءة الفاتحة ، لأن « ما أدرك » كلمة تقال عند التعجب من الشىء ، وتستعمل فى تعظيم ذلك الشىء أيضاً ، وهو المناسب هنا كما بينا .

« والرقية » بضم الراء وسكون القاف : تجمع على رقى بضم الراء ، يقال رَقَى يرقى رُقْية ، ورقيت فلاناً أرقيه بمعنى عوذته من شر ما يؤذيه .

(٢) اختلف العلماء فى جواز الرقية بالمعنى الذى ذكرناه ، فمنهم من قال إنها لا تجوز لأن الدين الاسلامى مبنى على قواعد كونية ،

وأسباب معقولة مرتبطة بمسبباتها الطبيعية ، فلا يجوز للناس أن يتحولوا عن هذه الأسباب إلى الرقية والتعاويذ والتمائم ونحو ذلك ، ويذروا ما خلق لهم ربهم من العقاقير الطبية ، والأدوية النافعة لكل داء من الأدواء . وهذا الفريق الذى ينكر جواز استعمال الرقية ونحوها يقول : إنه قد ورد فى السنة ما يؤيد رأيه هذا : من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « اقرءوا القرآن ولا تغلوا فيه ، ولا تجفوا عنه ، ولا تأكلوا به ، ولا تستكثروا به ». رواه أحمد .

ومعنى « لا تغلوا فيه »: لا تزيدوا فيه ما ليس منه ، سواء كان فى تلاوته أو فى غيرها . ومعنى « ولا تجفوا عنه » لا تتحولوا عن المبالغة فى احترامه . فهذا الحديث صريح فى النهى عن الأكل بالقرآن سواء كان على سبيل الرقية أو غيرها . ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « اقرءوا القرآن واسألوا الله به ، فإن من بعدكم قوماً يقرءون القرآن يسألون به الناس » . رواه أحمد والترمذى .

ومن ذلك ما رواه ابن ماجة عن أبى بن كعب ، قال : « علمت رجلاً القرآن فأهدى لى قوساً ، فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : إن أخذتها أخذت قوساً من نار ».

ومن ذلك ما رواه أبو داود وابن ماجة من حديث عبادة بن الصامت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعثمان بن أبى العاص « لا تتخذ مؤذناً يأخذ على أذانه أجراً ».

فهذه الأحاديث وأمثالها تدل على أن كتاب الله تعالى قد أنزل على الناس للهداية وسلوك السبل القويمة التى توصل إلى صلاح المجتمع الانسانى ، والقضاء على كل ما يخالف العقل والسنن الطبيعية . فيجب على المسلمين أن يستمسكوا به ، وأن يفقهوا معانيه على وجهها الصحيح ، وأن يتدبروه كما أمرهم الله به فلا يتخذوه سلعة لا تجديهم نفعاً ويتركوا قواعده الخلقية والعمرانية ، والاجتماعية التى اشتمل عليها ، فإن ذلك خسران لاشك فيه .

هذا هو رأى القائلين بعدم جواز الرقية .

(٣) أما أخذ الأجرة على قراءة القرآن ، فقد عرفت من الأحاديث التى أسلفناها حجة القائلين بالمنع .

اما الفريق الآخر الذى يقول بالجواز ، فانه يقف بإزاء ذلك الكلام موقف المستمسك بالأحاديث الصحيحة التى وردت فى هذا المقام ، فيقول للفريق الأول : وماذا تصنعون بحديث البخارى الذى معنا وأمثاله من الأحاديث الصحيحة التى لا توازيها الأحاديث التى عولتم عليها فى الصحة والمتانة ؟ وقد أجاب بعضهم عن ذلك بأن حديث البخارى وأمثاله من الأحاديث التى تدل على جواز أخذ الأجرة على القرآن ، وعلى جواز الرقية بالقرآن ، منسوخة بهذه الأحاديث . ولكن هذا الجواب غير سديد ، لأنه لا دليل على النسخ مطلقاً . على أن الأحاديث الدالة على عدم جواز أخذ الأجرة على قراءة القرآن يمكن تأويلها : فقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الأول « لا تأكلوا بالقرآن » ، معناه : لا تطلبوا ولا تسألوا به



الناس ، أما إذا أعطيتم من غير مسألة فذلك جائز لا مانع منه .

والحديث الثانى صريح فى أن المنهى عنه إنما هو سؤال الناس بالقرآن . وحديث أبى الذى رواه ابن ماجة وإن كان صريحاً فى النهى عن أخذ القوس فى نظير تعليم القرآن أجرة ، ولكن يمكن حمله على خصوص هذه الحادثة .

هذا ما يقوله المحدثون وشراح الأحاديث . ويجمل بنا أن نذكر أيضاً آراء الفقهاء فى هذا المقام ، ثم نبين ما عساه أن يكون الصواب :

فأما الفقهاء ، فإن الحنفية يقولون : إن الإجارة على الطاعات غير صحيحة . وهذا هو أصل مذهبهم ، لأن كل طاعة عندهم يختص بها المسلم لا يصح الاستئجار عليها ، وكل قربة تقع من العامل إنما تقع عنه لا عن غيره ، فلو لم يكن أهلاً لأدائها فلا يصح أن يأخذ عليها أجراً من غيره . ويستدلون على هذا الأصل بالأحاديث التى ذكرناها .

أما حديث أخذ الأجرة على الرقية الذى معنا هنا وأمثاله فإنه ورد فى حالة خاصة وهى إكرام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فليست المسألة قاعدة عامة يمكن اتخاذها حجة ، وإلا كانت قراءة الفاتحة على من لدغ دواء عاماً ، والواقع غير ذلك ، فإن سورة الفاتحة قد اشتملت على عقائد وحكم ودعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم وغير ذلك من العلـوم والمعـارف التى لا يمكـن استقصاؤها ولم تكن يوماً من الأيام دواء لمن يلدغ . وعلى فرض أنها دواء لذلك فالشرط فى إفادتها أن يكون الراقى بها له حالة خاصة تقربه من الله عز وجل كهؤلاء الأصحاب الذين أخلصوا لله ورسوله ؛ فهى بمنزلة دعاء يستجيبه الله منهم . وهذا هو رأى المتقدمين من الحنفية . أما المتأخرون منهم فقد أجازوا أخذ الأجرة على بعض الطاعات للضرورة كتعليم القرآن ، وتعليم العلم ، والأذان ، والامامة ، والوعظ . هذا هو رأى الحنفية .

أما المالكية فإنهم يقولون إن قراءة القرآن والأذكار والتهاليل ونحوها مختلف فى أخذ الأجرة عليها ؛ والمنقول عن الامام مالك رضى الله عنه ، أن هذه الأشياء لا يصح أخذ الأجرة عليها . فالرقية بالقرآن ونحوه مختلف فيها عندهم .

أما الحنابلة فإنهم يقولون : إنه يجوز أخذ الأجرة على الطاعات وتعليم القرآن ونحوه لا بعنوان كونها أجرة ، بل بعنوان كونها صلة ينتفع بها فى نظير حبسه على أدائها . ووافقهم الشافعية فى بعض الأمور ، فقالوا تصح الأجرة على الإمامة فى مقابل إتعاب نفسه بالحضور إلى موضع معين ، لا على أداء الصلاة نفسها . ومثل الامامة فى ذلك الخطبة . وأجازوا أخذ الأجرة على قراءة القرآن وعلى الأذان والاقامة ونحوهما .

هذا هو ملخص آراء المذاهب فى هذا الموضوع .

(٤) والذى ينبغى أن يعلم ها هنا أن العلماء اتفقوا على جواز الرقية عند اجتماع ثلاثة شروط .

الشرط الأول : أن تكون بكلام الله تعالى ، أو بأسمائه وصفاته .

الشرط الثانى : أن تكون باللسان العربى .

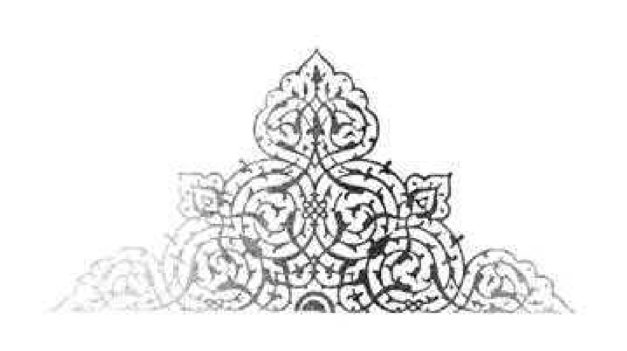
الشرط الثالث وهو أهمها : أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها ، وأن المريض قد يشفى بإذن الله تعالى لا بهذه الرقية . ويدل على هذا ما رواه البخارى نفسه فى هذا الباب من أن النبى صلى الله عليه وسلم . كان يرقى نفسه فى المرض الذى مات فيه بالمعوذات .

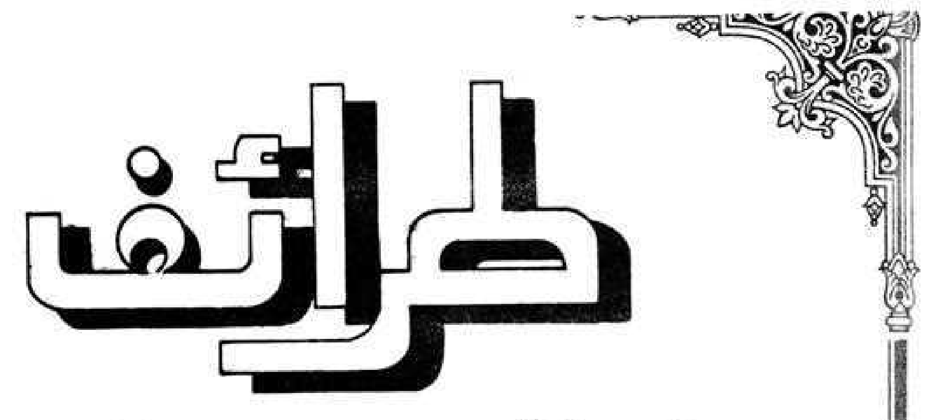
هذه الشروط ذكرها شراح الحديث كالحافظ ابن حجر وغيره .

وقد نقل عن ابن التين « أن الرقى بالمعوذات - وغيرها من أسماء الله تعالى إذا كان على لسان الأبرار من خلق الله مفيد قد يستجيبه الله تعالى ، ولكن قد عز هذا النوع فلم يوجد من المقربين من يستجاب له على هذا النحو . ومن الأسف أن الناس قد فزعوا إلى تلك الرقى المنهى عنها . ومن يفعل ذلك بغير اللسان العربى المفهوم كان متهماً بالشرك ».

هذا ما ذكره الفقهاء والمحدثون فى مسألة الرقية ونحوها . ولكن الناس فى زماننا هذا قد غفلوا عن معانى الأحاديث الصحيحة ، وتركوا آراء علماء المذاهب ، واندفعوا خلف المضللين الذين يتشبثون بظاهر الأحاديث فيصرفون الناس عن التمسك بالوسائل المشروعة طمعاً فى أموالهم ، فكثر لذلك الدجالون ، وساعدهم على تضليل الجهلة سوء فهم بعض الفقهاء لمعانى الأحاديث والفقه . ويا ليتهم فهموا منها ما قد يتبادر إلى أذهان الصالحين من أن تلاوة القرآن ونحوه من الدعوات الصالحات يجب أن تكون خالصة لوجهه الكريم ، لا أنها سلعة من السلع التى تبتز بها أموال الناس بالباطل . وحسبنا الله ونعم الوكيل ،

عبد الرحمن الجزيرى





حقيقة

قال بعض الحكماء : مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعاً .

ولو رغب في الجنة كما يرغب في الدنيا لفاز بهما جميعاً .

ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعا .

نصيحة

يابني : خذ العلم من أفواه الرجال فإنهم يكتبون احسن ما يسمعون ، ويحفظون احسن ما يكتبون ، ويقولون أحسن ما يحفظون .

العالم النصوح

ورد في القول المأثور :

لا تجلسوا عند كل عالم ، إلا عالم يدعوكم من خمس إلى خمس :

من الشك إلى اليقين ، ومن الرياء إلى الإخلاص ، ومن الرغبة إلى الزهد ، ومن الكبر إلى التواضع ، ومن العداوة إلى النصيحة .

تفسير

قال بعض العارفين عن قوله تعالى : ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سداً ﴾ هو طول الأمل وطمع البقاء . ﴿ ومن خلفهم سداً ﴾ هو الغفلة عما سبق من الذنوب ، وقلة الندم عليها ، والاستغفار منها .

خطايا وحسنات

قال لقمان الحكيم لابنه :

يابني ، اجعل خطاياك بين عينيك إلى ان تموت . وأما حسناتك فالْهُ عنها ؛ فإنه قد أحصاها من لا ينساها .

أما وجد الشيطان بريداً غيرك ؟

جاء رجل إلى وهب وقال : إن فلانا شتمك فقال : أما وجد الشيطان بريدا غيرك ؟! .



أنت والدق سواء

دق رجل الباب على الجاحظ
فقال الجاحظ : من أنت ؟
فقال الرجل : أنا .
فقال الجاحظ : أنت والدق سواء .

حقا

سمع حكيم رجلا يقول لآخر :
« لا أراك الله مكروها »
فقال له : كأنك دعوت عليه بالموت ؛ فإن صاحب الدنيا لابد له أن يرى مكروها .

أحسن شعره

سئل ابن العتاهية عن أحب شعره اليه ، فقال :

لیت شعری فإننی لست أدری
أی یوم یکون آخر عمری
وبأى البلاد تفيض روحى
وبأى البلاد يحفر قبرى

قالوا

- ثلاثة من كنوز الجنة : كتمان الصدقة ، وكتمان المصيبة ، وكتمان المرض .
- كلام العبد فيما لا يغنيه خزلان من الله .
- ما تزاحمت الظنون على شىء مستور إلا كشفته .
- إذا أقبلت الدنيا على إنسان أعطته محاسن غيره وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه .
- ينبغى أن نفرح بالموت ، ونغتم بالحياة لأنا نحيا لنموت ونموت لنحيا .
- من ألبسه الليل ثوب ظلمائه نزعه عنه النهار بضيائه .
- لأن أترك المال لأعدائى بعد موتى خير من أن احتاج لأصدقائى فى حياتى .
- كل مودة عقدها الطمع حلها اليأس .

دعاء

اللهم الطف بى فى تيسير كل عسير ؛ فإن تيسير كل عسير عليك يسير .



من بلاغة الكناية

فى القرآن الكريم

الكناية واد من أودية البلاغة ، وركن من أركان الفصاحة ، وتفتقر إلى شىء من الدقة لما فيها من الغموض ، ومعناها : الستر ، يقال : كنيت عن الشىء إذا سترته .

ولها تعريفات متعددة :

عرفها عبد القاهر بقوله :

أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعانى ، فلا يذكره بلفظه الموضوع له فى اللغة ، ولكن يجىء إلى معنى هو تاليه وردفه فى الوجود فيو مىء به إليه ويجعله دليلاً عليه ، مثال ذلك قولهم : هو طويل النجاد ، يريدون : طول القامة ، وقولهم فى المرأة : نؤوم الضحى ، والمراد أنها : مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها ، فقد أرادوا فى هذا كله ـ كما ترى ـ معنى لم يذكروه بلفظه الخاص به ، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه فى الوجود ، وأن يكون إذا كان ، أفلا ترى أن القامة إذا طالت : طال النجاد ؟ ، وإذا كانت مترفة لها من يكفيها أمرها ردف ذلك أن تنام إلى الضحى (١) .

وعرفها ابن أبى الأصبع بقوله :

هى عبارة عن تعبير المتكلم عن المعنى القبيح باللفظ الحسن وعن النجس بالطاهر ، وعن الفاحش بالعفيف (٢) ، ومن عادة العرب انهم يكنون عن الشىء بغيره إذا كان يقبح ذكره وعرفها الخطيب القزويني بقوله :

هى لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه (٣) . واختلف علماء البيان فى الكناية : هل هى من الحقيقة أو من المجاز ؟

---

١ . دلائل الاعجاز ص ٦٦ : محمود شاكر

٢ . بديع القرآن ص٥٣ ، تحرير التحبير ص ١٤٣ .

٣ . شروح التلخيص جـ ٤ ص ٢٣٧ .

قيل : إنها من قبيل الحقيقة [٤] ، وقيل : إنها من قبيل المجاز [٥] :

وقيل - وهو الأشهر - إنها واسطة بين الحقيقة والمجاز [٦] .

ويفرقون بينها وبين المجاز من حيث القرينة ، فقرينة المجاز مانعة من إرادة المعنى الحقيقي ، أما قرينة الكناية فمجوزة لإرادة المعنى الحقيقي [٧] .

ولابد أن تكون هناك صلة بين المعنى الحقيقي ، والمعنى المراد ، وإلا كان ذلك إلغازاً وتعمية ، ولم يكن بلاغة وبيانا ، فعندما تقول - فى مقام المدح مثلاً : « على نظيف اليد » ، يدرك السامع أن النظافة الحسية لليد ليست مرادة هنا ، حيث لم تجر عادة الناس فى المدح أن يذكروا مثل هذا المعنى التافه ، وإنما المراد أنه أمين لا تمتد يده لسرقة أو رشوة ، أو نحو ذلك ، وهكذا صارت الصلة بين المعنى الظاهرى . والمعنى المراد قوية جعلت مهمة الانتقال من المعنى الأول للكلام إلى المعنى الثانى المراد واضحة لا لبس فيها ولا غموض بعد أن ساعد على هذا الوضوح عرف اللغة ، وما اصطلح عليه الناس فى التعبير عن أغراضهم.

والكناية أبلغ من التصريح ؛

لأنها تبرز المعانى المجردة فى صور محسوسة ، فيكون ذلك أوقع فى النفس ، وأدعى إلى قبولها وتأكيدها ، كما أنها توقظ الفكر وتدفعه إلى البحث عما وراء الصورة الظاهرة للكلام حتى يصل إلى المراد ، ويعرفه عن طريق العلائق والصلات بين المعانى الظاهرة ، والمعانى المرادة منه .

كما أن أسلوب الكناية عندما يقع موقعه الأنسب له ، ويخرج عما اعتاده الناس ولاكته الألسن ، وابتذل على أفواه العامة يكون طريفا معجبا تأنس له النفس وتجد متعتها فى الإنصات إليه [٨] .

واسلوب الكناية يؤدى المعنى مصحوبا بدليله ؛

ولاشك أن ذكر الشىء يصحبه برهانه ودليله أوقع فى النفس وآكد لإثباته من أن ترسله ساذجا غفلا من غير برهان .

فإذا قلت : هو جم الرماد ، كان أبهى



٤ . دلائل الاعجاز ص ٦٦ . مفتاح العلوم ص ١٨٩ ، الاشارة إلى الايجاز ص ٣٨٥ .

٥ . الطراز حـ ١ ص ٣٦٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، جوهر الكنز ط ١٠ .

٦ . شروح التلخيص حـ ٤ ص ٢٣٨ وخاصة حاشية الدسوقى .

٧ . انظر شرح ابن يعقوب حـ ٤ ص ٢٣٨ .

٨ . انظر من بدائع النظم القرآنى ص ٦٩ د . السيد عبد الفتاح حجاب .

لمعناك ، وانبل لمغزاك من أن تدع الكناية إلى التصريح باللفظ المساوى لها فى الدلالة على المعنى ، كأن تقول : هو مضياف جداً ، فليست المزية حينئذ للكناية ، لأنك زدت بها فى ذات المعنى ، فدللت على قرى أكثر ، بل لأنك اثبت له القرى من وجه هو أقوى وأبلغ وأوجبته إيجابا هو أشد وأوثق [٩] .

وقد تكون الكناية طريقا من طرق الإيجاز والاختصار :

يقول الزمخشرى عند الحديث عن قوله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ ﴾ [١٠] . الآية ٢٠ .

فإن قلت : ما معنى اشتراطه فى اتقاء النار ، انتفاء إتيانهم بسورة من مثله ؟ قلت : إنهم إذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله ﷺ ، وإذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ، ولم ينقادوا ، ولم يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم : إن استبنتم العجز فاتركوا العناد ، فوضع « فاتقوا النار » موضعه ؛ لأن اتقاء النار لصيقة وضميمة ترك العناد من حيث إنه نتائجه ، لأن من اتقى النار ترك المعاندة ، ونظيره أن يقول الملك لحشمه : إن أردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطى ، يريد فأطيعونى واتبعوا أمرى ، وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط ، وهو باب الكناية التى هى شعبة من شعب البلاغة ، وفائدته الايجاز الذى هو من حلية القرآن ، وتهويل شأن العناد بإنابة اتقاء النار منابه ، وإبرازه فى صورته مشيعا ذلك بتهويل صفة النار ، وتفظيع أمرها [١١] .

شيء من صور الكناية القرآنية :

ولا مجال هنا للخوض فى تقسيمات المتأخرين للكناية إلى صفة ، وموصوف ، ونسبة إلى غير ذلك ، وإنما الذى يهمنا هنا هو الإشارة إلى بعض صور الكناية القرآنية من وجهة نظر المتقدمين الذين لم يتعلقوا بشيء من هذه الخلافات ، وإنما ذكروا أسبابا أخرى تتعلق بفن الكناية ، انظر إلى القاضى الجرجانى يقول ـ بعد أن عدد كثيراً من فوائد الكناية :

« اعلم أن الأصل فى الكنايات عبارة الإنسان عن الأفعال التى تستر عن العيون عادة بألفاظ تدل عليها غير موضوعة لها تنزها عن إيرادها على جهتها ، وتحرزا عما وضع لأجلها ، إذ الحاجةُ إلى ستر أقوالها كالحاجة إلى ستر افعالها ، فالكناية عنها حرز لمعانيها [١٢] .

- ٩ - دلائل الاعجاز ص ٧١ ، ٧٢ ، ٢٦٢ .
- ١٠ - البقــرة ٢٤ .
- ١١ - الكشــاف حـ ١ ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .
- ١٢ - كنايات الادباء ص ٤ لابى العباس احمد بن محمد الجرجانى الثقفى المتوفى ٤٨٢ هـ ط الخانجى .

وللقرآن الكريم فى هذا الباب المثل الأعلى ، والمنزلة التى تعجز عنها أساليب الأدباء ومعلوم أن لكتاب الله تعالى غاية أخلاقية لها مكانها البارز بين الغايات السامية التى يحققها ذلك الكتاب المعجز ، وإذا كان هذا شأنه فلا بد من أن تتفق ألفاظه وأساليبه وصوره البيانية مع هذه الغاية ، وهذا يفسر لنا خلوه تماما من كل ما يجرح الذوق أو يخدش الحياء ، أو يتعارض مع التربية الخلقية التى يغرسها ذلك الكتاب الكريم فى النفوس المؤمنة [١٣] .

فكثيراً ما تأتى آيات كريمة تتضمن أحكاما متصلة بالفقه الاسلامى ، وبموضوعات لا يحسن التصريح بها فتقوم الكناية حينئذ بدورها ، أنظر إلى كناياته عن الاتصال الجنسي بالمرأة بـ « الرفث » تارة ، وبـ « المباشرة » تارة أخرى ، فى قوله : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ ، وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ، عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ، وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ . ﴾ [١٤] . وكني عنه بالسر فى قوله تعالى : ﴿ وَلَـٰكِن لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً ﴾ [١٥] ، وذكر صاحب البرهان فيه لطيفة أخرى وهى : لأنه يكون من الآدميين فى السر غالبا ، ولا يسره ماعدا الآدميين إلا الغراب ، ويحكى أن بعض الأدباء أسر إلى أبى على الحاتمى كلاما فقال : ليكن عندك أخفى من سفاد الغراب ، ومن الراء فى كلام الألثغ . » [١٦] . وكنى عنه بالغشيان فى قوله تعالى : « فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفاً » [١٧] ، وبالإفضاء فى قوله تعالى ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ ﴾ [١٨] .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ [١٩] .

أنظر إلى الأدب العالى والذوق الرفيع ، وصور الكناية التى تؤدى الغرض أداء أبلغ من التصريح ، ولقد توالت الكنايات فى الآية ، وأخذ بعضها بعناق بعض ، لأن الحقائق المعبر عنها بها مما يجب ستره وتغطيته ، فأدت الكناية دورها أروع أداء ، والكنايات فى الآية هى : ﴿ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ ﴾ ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ ﴾ ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ ﴾ ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ﴾ ، وفى الكناية الأخيرة تجد التشبيه والكناية يتعاونان على ابراز المعنى فى صورة مهذبة ، أنظر إلى التشابه بين صلة الزارع بحرثه ، وصلة الزوج بزوجه فى

« ١٣ » انظر من بدائع نظم القرآن ص ٧٢ .
« ١٤ » البقرة ١٨٧ .
« ١٥ » البقرة ٢٣٥ .
« ١٦ » البرهان فى علوم القرآن حـ ٢ ص ٣٠٣ .
« ١٧ » الأعراف ١٨٩ .
« ١٨ » النساء ٢١ .
« ١٩ » البقرة ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

هذا المجال الخاص ، وبين ذلك النبت الذى يخرجه الحرث وذلك النبت الذى تخرجه الزوج ، وما فى كليهما من تكثير وعمران . وفلاح [٢٠] . كل هذه الصور والمعانى تنطوى تحت كلمة « الحرث » التى كنى بها القرآن عن المعاشرة الزوجية . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَؤُوهَا ﴾[٢١] .

فظاهر الآية دال على أن الأرض هى العقارات ، والديار هى المساكن والأموال والمنقولات وقوله : ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَؤُوهَا﴾ يحتمل أن يكون كناية عن فروج النساء ، ونكاحهن وهذا من جيد الكناية ونادرها ، لمطابقتها لقوله تعالى : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ والحرث إنما يكون فى الأرض فلهذا إزدادت الكناية رشاقة وحسنا [٢٢] .

إلى غير ذلك مماكنى به الكتاب العزيز عن اللقاء الجنسي كالملامسة .

كذلك جاءت الكناية عن الأشياء المستهجنة باللغو فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ [٢٣] أى لا يذكرون الشىء بألفاظه المستهجنة ، وإنما يكنون عن لفظه ويتنزهون عن قوله معرضين عنه منكرين له [٢٤] . ومن المعانى التى أفادتها الكناية هنا عفة المؤمنين ، وحسن أدبهم ، وكريم شمائلهم ، وحيائهم ، وحرصهم على البعد عن الشبهات حيث لا يخالطون أهل اللغو والعبث ، فالمقام مقام مدح بالنسبة لهم .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ ﴾ [٢٥] فقد كنى بالمراودة عن الفحشاء التى طلبتها هذه المرأة منه ، وقد عبر عن هذا المعنى بعبارة مهذبة أغنت عن ذكر القبيح .

وتأمل الكناية التمثيلية ، وما فيها من جمال التعبير ، وروعة التصوير ، وقوة التأثير ، وعرض المغتاب فى أفظع صورة ، وأقبح وجه فى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ . ﴾ [٢٦] . يقول ابن القيم [٢٧] :

فمن بديع التمثيل قوله تعالى : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ فإنه مثل الاغتياب بأكل الانسان لحم انسان آخر مثله ، ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله لحم الأخ ، ولم يقتصر على لحم الأخ حتى جعله ميتا ، ثم جعل ما هو فى الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة فهذه أربع دلالات واقعة على

« ٢٠ » انظر التصوير البيانى ص ٧٥ ، ٧٦ .
« ٢١ » الأحزاب ٢٧ .
« ٢٢ » انظر الطراز حـ ١ ص ٤٠٦ .
« ٢٣ » الفرقان ٧٢ .
« ٢٤ » انظر كنايات الأدباء ص ٣ .
« ٢٥ » يوسف ٢٣ .
« ٢٦ » الحجرات ١٢ .
« ٢٧ » الفوائد صـ ١٢٧ ، وانظر الكشاف حـ ٣ ص ٥٦٨ ، وحاشية الشهاب على البيضاوى حـ ٨ ص ٨١ .

ماقصدت له مناسبة مطابقة للمعنى الذى وردت لأجله .

أما تمثيل الاغتياب بأكل لحم إنسان آخر مثله فشديد المناسبة جداً ، وذلك ، لأن الاغتياب إنما هو ذكر مثالب الناس ، وتمزيق أعراضهم ، وتمزيق العرض مماثل لأكل لحم من يغتابه ، لأن أكل اللحم فيه تمزيق لا محالة .

وأما قوله . ﴿ لَحْمَ أَخِيهِ ﴾ فلما فى الاغتياب من الكراهة ، لأن أرباب العقل والشرع قد أجمعوا على استكراهه وأمروا بتركه والبعد عنه ، ولما كان كذلك كان بمنزلة لحم الأخ فى كراهته ، ومن المعلوم أن لحم الانسان مستكره عند انسان آخر مثله إلا أنه لا يكون مثل كراهة لحم أخيه ، وهذا القول مبالغته فى الاستكراه لا أمد فوقها وأما قوله : « ميتا » فلأجل أن المغتاب لا يشعر بغيبته ، ولا يحسُّ بها .

وأما جعله ما هو فى الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة فلما جبلت عليه النفوس من الميل إلى الغِيبَةِ والشهوة لها مع العلم بأنها من أذم الخلال ، ومكروه الأفعال عند الله والناس .

وهكذا كلما مر بنا لفظ من الفاظ هذا التعبير الكنائى زاد فى نفوسنا استبشاع الغيبة ، حتى إذا انتهينا من الآية قرَّ عندنا أنه لا مزيد على هذه الكراهة ، فانظر إلى أى مدى بلغ التصوير الكنائى فى اقناعنا بالنفور من اقتراف هذا الفعل الكريه ، والرغبة فى تناول أعراض الناس ، وقد آثر القرآن هذه الألفاظ على ما يماثلها فى تأدية معناها تعويلا على البلاغة ، واعطاء لجانب البلاغة ما يستحقه ، فنزل الآية على هذه الهيئة ، والتعبير الكنائى فى هذا الموضع له فائدة لا تكون لو قصد المعنى بلفظه الخاص به ، وذلك لما يحصل للسامع من زيادة التصوير المدلول عليه لأنه إذا صور فى نفسه مثال ما خوطب به كان أسرع إلى الرغبة عنه .

ولجمال هذا التعبير القرآنى فى إبراز صورة الغيبة وبشاعتها نراه يجرى على ألسنة الناس والأدباء والشعراء فى بساطة أخاذة ، فيصلون منه إلى دقة الغرض ومغزاه فيكون له فعل السحر فى ازدراء الغيبة ومن يتصف بها .

للكناية مدى واسـع

والكناية مجالها واسع ، فهى تضم فى دائرتها ـ فضلا عما تقدم ـ التعبير الذى يترك ظلالا خفيفة يشتغل بها الذهن ، ويعمل فيها الخيال ، فيتشعب المعنى ، ويتسع ويزيد بالايحاء من دلالة الكلام ، وإن كان المعنى شريفا واللفظ مقبولا (٢٨) ، وبهذا يكون التعبير بالكناية أبلغ وأوقع فى النفس ، وأكثر دقة فى الدلالة على الغرض المقصود ، وهذا حديث الكتاب العزيز عن نساء الجنة فى قوله



٢٨ • انظر القرآن إعجازه وبلاغته ص ١١٨ .

تعالى : ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ (٢٩) فهذا كناية عن العفة ، لأن المرأة التى تقصر طرفها ، وتغض بصرها ، ولا تطمح بعينيها إلى غير زوجها تتصف بالعفاف والطهر .

ومن لطيف الكنايات وأحسنها قوله تعالى : ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ (٣٠) وهى كناية عن فرج القميص ، أى لم يعلق ثوبها ريبة ، فهى طاهرة الأثواب ، وفروج القميص أربعة : الكمان ، والأعلى ، والأسفل ، وليس المراد غير هذا ، مشيراً إلى خطأ من توهم هنا الفرج الحقيقي ، لأن القرآن أنزه معنى ، والطف إشارة ، وأملح عبارة من أن يريد ما ذهب إليه وهم الجاهل ، لا سيما والنفخ من روح القدس بأمر القدوس (٣١) ، فاحصان الفرج هنا رمز للطهارة ، وإيماء للعفة ، وإشارة إلى تكامل النموذج الانسانى فى أم عيسى عليهما السلام .

ومن التصوير الكنائى الرائع قوله تعالى : ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾ (٣٢) فخفض الجناح كناية عن التواضع ، ولين الجانب والمبالغة فى الرحمة ، والبعد عن الترفع والغطرسة فى حق الوالدين ، فالطائر يرفع جناحيه ويبسطهما إذا أراد الترفع إلى السماء ، ويخفض جناحيه ويقبضهما إذا أراد أن يهبط إلى الأرض .

ومن الكنايات القرآنية تصوير البخيل فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ، وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً ﴾ الا ترى أن التعبير عن البخل باليد المغلولة إلى العنق ، فيه تصوير محسوس لهذه الخلة المذمومة فى صورة قوية بغيضة منفرة فهذه اليد التى غلت إلى العنق لا تستطيع أن تمتد ، وهو بذلك يرسم صورة البخيل الذى لا تستطيع يده أن تمتد بانفاق ولا عطية ، والتعبير ببسطها كل البسط يصور لك صورة هذا المبذر الذى لا يبقى من ماله شىء كهذا الذى يبسط يده ، فلا يبقى بها شىء ، وهكذا استطاعت الكناية أن تنقل المعنى قويا مؤثرا (٣٣) .

ومن الكنايات القرآنية قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ . ﴾ (٣٤) يقول الزمخشرى : كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدى منك ، كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذى تلصقه بزوجها كذبا لأن بطنها الذى تحمله فيه بين اليدين ، وفرجها الذى تلده به بين الرجلين (٣٥)

والصور الكنائية فى القرآن الكريم كثيرة لا يدركها إلا من تذوق حلاوة القرآن .

---

(٢٩) الرحمن ٥٦ .

(٣٠) الأنبياء ٩١ .

(٣١) انظر البرهان فى علوم القرآن حـ ٢ ص ٣٠٥ . ٣٠٦ .

(٣٢) الاسراء ٢٤ .

(٣٣) انظر من بلاغة القرآن ص ٢٢٦ .

(٣٤) الممتحنة ١٢ .

(٣٥) الكشاف حـ ٤ ص ٩٤ .

من الروائع

بحوث من الماضي القريب

حلقات الأدب في الفسطاط

٢

للأستاذ محمد عبد الله عنان

لبثت الفسطاط عاصمة الاسلام في مصر منذ قيامها سنة ٢١ هـ (٦٤١ م) حتى سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) . وفي ذلك العام كان الفتح الفاطمي ، وكان قيام القاهرة المعزية التي وضعت خططها الأولى في شعبان سنة ٣٥٨ ، ونشات القاهرة بادىء بدء مدينة ملكية فقط لتكون قاعدة للدولة الجديدة ومنزلا للخلافة الفاطمية[١] ، ونشا جامعها الأزهر الذي اسس بعد قيامها باشهر قلائل (جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هـ) مسجداً للإمامة الجديدة فقط ومضى زهاء نصف قرن قبل ان تبدو العاصمة الجديدة في شيء مما تميزت به بعد ذلك بين الامصار الاسلامية من عظمة وروعة وبهاء ، وقبل ان يبدا الجامع الأزهر تاريخه الادبي الباهر ولكن ظلت الفسطاط بعد ذلك عصوراً تحتفظ بمكانتها الادبية ، ولبثت حلقاتها ولياليها الأدبية شهيرة بين ادباء المشرق والمغرب .

وبدأ الجامع الأزهر ينافس المسجد الجامع في حلقاته ومجالسه الأدبية منذ عهد الخليفة العزيز بالله ، إذ استأذن وزيره الشهير يعقوب ابن كلس سنة ٣٧٨ هـ أن ينظم بالأزهر على نفقته بعض مجالس القراءة والفقه .

وفي خاتمة القرن الرابع ، في عهد الحاكم بأمر الله ، انشئت دار الحكمة بالقاهرة ونظمت مجالسها ، فكانت مثوى للمجالس العلمية الكلامية والفلسفية .



(١) راجع تاريخ القاهرة ونشأتها وتطوراتها ، وتاريخ خططها في كتابي « مصر الاسلامية » و « تاريخ الخطط المصرية »

ولسنا نتحدث عن القاهرة ومكانتها العلمية والأدبية بين الأمصار الاسلامية فى العصور الوسطى ، ولا عن أزهرها الذى غدا فيما بعد أعظم جامعة اسلامية ، كذلك لسنا نتحدث عن دار الحكمة ومجالسها الشهيرة التى كانت تتخذها الخلافة الفاطمية أداة لتحقيق دعوات دينية فلسفية غامضة ، فذلك ليس من موضوعنا وإنما نتتبع تاريخ الفسطاط الأدبى ، بعد قيام القاهرة ، منافستها العظيمة الفتية .

فقدت الفسطاط أهميتها السياسية والرسمية ، ولكنها احتفظت عصوراً أخرى بأهميتها الاجتماعية والأدبية وفى فترات كثيرة كانت تتفوق على القاهرة بطابعها الأدبى وهذا ما يشيد به بعض أدباء المشرق والأندلس الوافدين على مصر فى عصور مختلفة ومن هؤلاء : أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت الأندلسى الذى وفد على مصر فى أوائل القرن السادس الهجرى[٢] فى عهد (الأفضل شاهنشاه) ودرس الحركة الفكرية والأدبية فى مصر يومئذ وكتب عنها رسالة لم يصلنا سوى شذور قليلة منها ، وفى هذه الشذور[٣] يتحدث ابن أبى الصلت عن بعض أدباء مصر وعلمائها ، ومجالسهم واجتماعاتهم بما يدل على أن الفسطاط كانت ما تزال مركزاً هاماً للحركة العلمية والأدبية .

ووفد ابن سعيد الأندلسى إلى مصر بعد ذلك بنحو قرن ، نحو سنة ٦٣٧ هـ (١٢٤٠ م) ، ولبث بها أعواما طويلة يدرس شئونها وأحوالها ، فإذا بالفسطاط ما تزال تحتفظ بأهميتها الأدبية ، وإذا بها ما تزال مثوى للأدباء ومركزاً لأبهاء الأدب ، وإذا لياليها الأدبية ما تزال شهيرة ويفرد ابن سعيد فى كتابه « المغرب فى حلى المغرب » فصلا كبيراً للفسطاط عنوانه : « كتاب الاغتباط فى حلى الفسطاط[٤] ، يتحدث فيه عن المدينة ، وزياراته لها واجتماعاته بأدبائها ، ولا سيما شاعرها الكبير جمال الدين أبى الحسن الجزار ، أشهر شعراء مصر فى هذا العصر ، وما لقيه من كرم وفادته وشهده من رائع أدبه ، وقد كان الشاعر الكبير يومئذ ، على ما يظهر شاباً فى عنفوان شاعريته لأنه توفى بعد ذلك بنحو أربعين سنة فى

(٢) توفى امية بن أبى الصلت الأندلسى سنة ٥٢٩ هـ

(٣) توجد عدة صحف مخطوطة من هذه الشذور ، ذيل بها كتاب « اخبار سيبويه المصرى » الذى سبقت الاشارة إليه والمخطط بمعرض دار الكتب رقم (٣٥٤ تاريخ) ومما يدل على أن هذه الشذور إنما جزء من رسالة كتبها أمية بن أبى الصلت عن مصر هو اشارة ابن أبى اصيبعة إليها فى كتاب مناقب الأطباء (ج ٢ ص ١٠٦) وكذلك اقتباس (ابن أبى القفطى) منها فى كتابه « اخبار الحكماء » (ص ١٢٧)

(٤) راجع هذا الكتاب فى مجموعة الكتب التى يضمها كتاب « المغرب فى حلى المغرب » لابن سعيد الأندلسى ومعه اربع مجلدات مخطوطة بدار الكتب هى الوحيدة منه وليست متصلة ولا متناسقة لأنها جزء من الكتاب الأصل فقط (رقم ٢٧١٢ تاريخ) وقد نشر المستشرق (تاكلت) منه قسما هو « كتاب النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة » .

(٦٧٩ هـ ـ ١٢٨٠ م)[٥] وهو صاحب الأرجوزة التاريخية الشهيرة المسماة « بالعقود الدرية فى الأمراء المصرية » وفيها يستعرض ذكر أمراء مصر وملوكها منذ عمرو ابن العاص إلى الملك الظاهر بيبرس[٦]، وكانت الفسطاط قد عادت يومئذ فاستردت كثيرا من بهائها السالف ، وأهميتها الاجتماعية القديمة بسبب قيام المدينة الملكية الجديدة التى أنشأها الملك الصالح فى جزيرة الروضة المقابلة للفسطاط (٦٣٨ هـ) واتخاذها قاعدة للسلطنة، وانتقال البلاط والحاشية إليها ، وسكن كثير من الأمراء والكبراء بالفسطاط فى الضفة المقابلة لنهر النيل ، وهو ما يشير إليه ابن سعيد فى قوله ، « وقد نفخ روح الاعتناء والنمو فى مدينة الفسطاط الآن لمجاورتها للجزيرة الصالحية (جزيرة الروضة) ، وكثير من الجند قد انتقل إليها للقرب من الخدمة ، وبنى على سورها جماعة منهم مناظر تبهج الناظر » .

ويشير ابن سعيد فى كتابه السالف الذكر إلى ليالى الفسطاط واجتماعاتها الشائعة فى الليالى القمرية ، وأشهرها ما كان يعقد فى « القرافة » مما يلى المقطم فى قبة الإمام الشافعى التى كانت قد أنشئت على قبره وكان المسجد الجامع قد عفت أهميته شيئاً فشيئا منذ قام منافسه القوى ، الجامع الأزهر وغيره من المساجد والمدارس الجامعة بمدينة القاهرة ، ولكنا نراه ما يزال حتى القرن السابع مثوى للأدب واجتماعاته ، وبرغم عفائه وقدمه ونسيان أمره ، كانت تعقد فى عرصاته حلقات للقراءة والدرس ، وهو ما يشير إليه ابن سعيد أيضا خلال وصفه للمسجد الجامع فى منتصف القرن السابع ، بيد أن هذه الحلقات لم تكن من الأهمية والرونق والانتظام مثلما كانت عليه فى القرون الأولى يوم كان المسجد الجامع مجتمع الأمراء واقطاب التفكير والأدب . وكانت يومئذ أقرب إلى الصبغة المدرسية ومع ذلك فقد بقى للمسجد الجامع حتى ذلك العصر ـ كثير من ذكرياته الأدبية المجيدة وهو كعبة الأدباء والشعراء يجتمعون فيه كلما سنحت فرص الاجتماع لعقد الأسمار والمطارحات الأدبية وإليك نموذجا لهذه الاجتماعات الشهيرة أورده ابن فضل الله العمرى فى موسوعته الكبيرة « مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار » فى حديثه عن المسجد الجامع :

« حكى على بن ظافر الأزدى قال : روى لى أن الأعز أبا الفتوح بن قلاقس وابن المنجم اجتمعا فى منار الجامع فى ليلة فطر ظهر بها



---

(٥) راجع ترجمة جمال الدين الجزار فى السيوطى حسن المحاضرة (ج ١ ص ٢٧٢) وقد اورد له ابن سعيد أيضا ترجمة فى المغرب فى المجلد الثانى من المخطوط الورقة ١٤١ .

(٦) نشرت هذه الأرجوزة برمتها فى حسن المحاضرة (ج ٢ ص ٤١)

الهلال للعيون وبرز فى صفحة بحر النيل كالنون ومعهما جماعة من هواة الأدب الذين ينسلون إليه من كل حدب فحين رأوا الشمس فوق النيل غاربة وإلى مستقرها جارية ذاهبة وقد شمرت للمغرب الذيل واصفرت خوفا من هجمة الليل والهلال فى حمرة الشفق كحاجب الشائب أو زورق الورق فاقترحوا عليهما أن يصنعا فى ذلك الوقت النزيه على البديهة فصنع ابن قلاقس :

انظر إلى الشمس فوق النيل عارية
وانظر لما بعدها من حمرة الشفق

غابت وأبقت شعاعا منه يخلفها
كأنما احترقت بالماء فى الغرق

وللهلال ، فهل وافى لينقذها
فى أثرها زورق قد صيغ من ورق ؟

وصنع ابن المنجم :

يارب سامية فى الجو قمت بها
أمد طرفى فى أرض من الأفق

حيث العشية فى التمثيل معركة
إذا رآها جبان مات لِلْفَرَقِ

شمس نهارية للغرب زاهية
بالنيل مصفرة من هجمة الغسق

وللهلال انعطاف كالسنان بدا
من سورة الطعن ملقى فى دم الشفق

« وحكى على بن ظافر أيضا قال : أخبرنى ابن المنجم الصواف بما معناه : قال صعدت إلى سطح الجامع بمصر فى آخر رمضان مع جماعة فصادفت به الأديب الأعز أبا الفتوح ابن قلاقس ونشو الملك على بن مفرج بن المنجم وشجاعا المغربى فى جماعة من الأدباء فانضممت إليهم فلما غابت الشمس وفاتت ، اقترح الجماعة على ابن قلاقس وابن المنجم أن يعملا فى صفة الحال فكان ما صنعه نشو الملك :

وعشى كأنما الأفق فيه
لازورد مرصع بنضار

قلت لما دنت لمغربها الشمـ
س ولاح الهلال للنظار

اقرض الشرق صنوه الغرب ديـ
ـارا فأعطى الرهين نصف سوار

وكان الذى صنعه ابن قلاقس :

لا تظن الظلام قد أخذ الشمـ
س وأعطى النهار هذا الهلال

إنما الشرق أقرض الغرب ديـ
ـنارا فأعطاه رهنه خلخالا(٧)

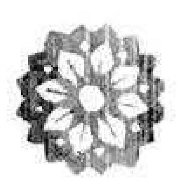
---

(٧) مسالك الأبصار ج (طبع دار الكتب) ص ٢١ و ٢١١ .

ونحن نعرف أن الشاعر المصرى الاسكندرى الأشهر (ابن قلاقس) كان من شعراء النصف الأخير من القرن السادس الهجرى (٥٣٢ ـ ٦٠٧ هـ) وكذلك ابن المنجم من شعراء هذا العصر واذن فقد كان المسجد الجامع ، حتى أوائل القرن السابع منتدى لأكابر الأدباء والشعراء ، وكانت الفسطاط لا تزال شهيرة بلياليها وحلقاتها الأدبية ، حتى بعد ذلك بنحو نصف قرن على نحو ما يشير إليه ابن سعيد الأندلسى .

ومنذ أواخر القرن السابع الهجرى نرى الفسطاط تفقد أهميتها الاجتماعية والأدبية شيئاً فشيئا ، ونرى المسجد الجامع وقد غمره النسيان والعفاء وقلما نظفر فى سير القرن الثامن بما ينبىء عن مكانة الفسطاط أو أهميتها الاجتماعية أو الأدبية بل نرى الفسطاط فى هذا العصر تنتهى إلى ضاحية متواضعة لمدينة القاهرة ونرى القاهرة تغمر بعظمتها وبهائها وأهميتها العلمية والأدبية عاصمة الاسلام الأولى فى مصر ونراها مثوى كل حركة فكرية أو أدبية ونرى الجامع الأزهر كعبة العلماء والأدباء لا فى مصر وحدها بل فى العالم الاسلامى كله ، على أن مؤرخ الآداب فى مصر الاسلامية لايسعه حين يعالج تاريخ الآداب فى عصور الاسلام الأولى إلا أن يلاحظ أهمية الدور الكبير الذى أدته الفسطاط وحلقاتها ولياليها الأدبية ، وأداه مسجدها الجامع فى تطور الحركة الفكرية والأدبية فى مصر

تم البحث



« استدراك »

سقط من الفهرس الهجائى لاسماء المقالات من عدد ذى الحجة سنة ١٤٠٦ هـ « قضية الانتماء فى ضوء التشريع الاسلامى » للدكتور عبد الله مبروك النجار وقد توالت على الصفحات :

١١٧٨ ـ ١٣٨٥ ـ ١٥٢٠ ـ ١٧٠٦ ـ ١٨٦٥ .

رحلة الرهب إلى بحر اللهب

جلست على شاطيء البحر فوق صخرة ناتئة من الأرض كلسان هائم ممتد إلى الماء يروم الري والتبرد ، أو كأنها عنق طفيلي يتطلع إلى معرفة ما يكن البحر في أعماقه من أسرار وعجائب ، متحدية لطمات الموج وعربدة الرياح العاتية ، وقد أخذت في ترشف قدح من عصير الفاكهة المثلوج ، وأنا على أصفى ما يكون المرء ذهنا وحسا ، أستقبل الأنسام الندية العبقة وابترد بقطرات الماء الشاردة من الموج المتكسر على الصخرة الصماء التى أجلس عليها ، كل شيء حولى هاديء جميل البحر ساج وديع ، والسماء مصحية وشمس الضحى مازالت أشعتها في فتور النوم لم تحتد بعد ، ولكنها بعثت في الأرض الحيوية والأنس والبهجة .

وأرسلت طرفي إلى عرض البحر الذى لايبلغ مداه البصر أتابع الفلك القادمة إلى المرفأ والمقلعة منه إلى غاياتها ترفرف عليها أعلام الأمم التى تنتمي إليها . كل ما أراه ، وما أحس به ساحر بهيج يهدهد المشاعر والوجدان ، ولكن ما إن بلغت بى البهجة مداها والمتعة أوجها حتى وجدتنى على النقيض - كما هو شأنى عند حالات الانبساط النفسي - انبعاثا من حقيقة أن كل متعة في الحياة حين تصل غاية مداها تذبل وتجف ، وكل لذة عندما تبلغ أوجها تموت ، ففجأة وجدت لساني يهينم بالآيات الكريمة ذات الأسرار الرهيبة « والبحر المسجور[١] » « وإذا البحار سجرت[٢] » « وإذا البحار فجرت[٣] » وقد أخذت معانيها تربو وتمتد وتتشعب في خاطري ووجدانى ، ورحت أسائل نفسي : تري متى ؟ وكيف ؟ أمامتى فلاسبيل إلى معرفته ، فعلمه عند ربى قد تكون - أى الساعة - بعد لحظة ، وقد تكون بعد أجيال ودهور وأما كيف فكل تصوير وتخييل لما يحدث ماهو إلا تقريب يناسب عقل الإنسان الضئيل . وتجاربه المحدودة في الحياة ، وقدرة حواسه على التحمل ، وقد بلغ القرآن الحكيم مدى ما تحتمله الألفاظ ، ووفي غاية ما تستوعبه

« ١ » آية (٦) من سورة الطور .
« ٢ » آية (٦) من سورة التكوير .
« ٣ » آية (٣) من سورة الانفطار .

« ٤ » قد تحدثت عن هذه الآيات في بحث سابق أرسل إلى المجلة ، وليس ذا مجال تفسير .

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

على مدى الدهور ، إلا أن الحقيقة التى لا ريب فيها هى ان الساعة تاتي بغتة دون توقع وانتظار ، ومن يدري لعلها فى القريب تكون ، فإن الكثير من أشراطها ومقدماتها التى أخبر بها الصادق الأمين ـ محمد ﷺ قد ظهرت فى واقع الحياة وتوالت تترى.

وهنا تحركت لأغير من جلستى ، وأستنشق نفسا عميقا من نسيم البحر المترقرق وقد نجمت فى نفسى رغبة عجيبة ولكنها وجلة مرتعشة فهززت رأسي مبتسما وقلت : ما أكثر شطحات النفس وجنوحها ، وما أعجب أن ترغب فى رؤية البحر المسجور « المشتعل » على أن أكون فى درع الأمان وحصن السلامة !!

ولكن ما بال العلم ؟ هل عجز سلطانه وجبروته عن تحقيق ما يطمح إليه الانسان ذلك المخلوق العجيب ؟ أم ماذا ؟ ألم يحضر الذى عنده علم من الكتاب عرش بلقيس من اليمن إلى بيت المقدس فى الشام عبر آلاف الأميال فى طرفة عين . ولست أدري من يكون ذلك الذى عنده علم من الكتاب

أهو إنسان أم ملك أم مخلوق آخر ؟ إن القرآن الكريم لم يكشف لنا عن ماهيته وسره فليبق كما شاء الحكيم العليم فى طى الخفاء كما بقيت حقيقة البراق الذى سري بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام ـ إلى المسجد الأقصى ، وعرج به إلى ما فوق السماء السابعة ، وعاد به فى هزيع من الليل ، ولا تسل كم قطع فى تلك المرحلة المذهلة من مسافات بين السموات تستغرق بلايين البلايين من السنين الضوئية ، وجاء من رحلته تلك بأخبار عن الماضي والحاضر والمستقبل فلا شك إذاً أنه انطلق بسرعة تفوق سرعة الضوء المستحيلة على قدرة الإنسان وطاقته الطبيعية المعهودة ، إلا أن الحادثين قد وقعا ـ وإن كانا خارقين ، وما أحسبها إلا قدرة القدير الكامنة فى قوله كن فكان

ذلك ما كان فى غابر الزمان ، فما شأن العلم فى العصر والأوان ؟ لقد صنع الكثير المعجز من مفاتيح مكنون الطبيعة ، واستخدام ما توصل إليه من طاقات تعجز عنها مردة الجان ، ألم يصنع الإنسان بالعلم مركبات وأجهزة تسير بأسرع من الصوت ، فتصل ما بين أطراف الأرض فى لحظات ، وتنطلق فى الفضاء فتقتحم الكواكب والنجوم ، وتنقل إلينا نحن البشر فى كل مكان كل عجيب من مسموعات ومرئيات ونحن فى حجراتنا على المقاعد والأسرة ـ عبر آلاف الأميال فى دقائق إن لم يكن فى ثوان ، مخترقة الأجواء ، قاطعة الصحاري ، والجبال والأنهار .

كل هذا صحيح يجري فى الواقع فما علاقته بالبحر المسجور المستتر خلف الغيب فى

المستقبل المجهول ، فلا تناله حواس أو عقول ؟

لقد جاء أساطين العلم ، وعمالقة المعادلات الرياضية التى مكنت الإنسان من إطلاق مارد الطاقة الجبار المذهل من سجنه والذرة التى لا تكاد ترى ، وأضافت إلى الأبعاد الثلاثة « الطول والعرض والعمق » بعدا رابعا هو الزمن فما غير الكثير من المعتقدات والمفاهيم السائدة ، وجعل العلماء يقررون أن العلم لو توصل إلى صنع مركبة تنطلق بسرعة الضوء لقهر الأبعاد التى منها الزمن ، ولرأى الإنسان بعينيه حقائق الوجود ، وأحداث الزمان فى الماضى والحاضر والمستقبل ، ولكنهم عادوا فأقروا بأن ذلك إن لم يكن مستحيلا فهو فى حكمه ، وهنا سطع أمام الفكر قول الله تعالى فى سورة التكاثر . « كلا لو تعلمون علم اليقين ، لترون الجحيم » ومن لنا بعلم اليقين الذي يرينا الجحيم ونحن على ظهر الأرض قيد الحياة ، وآه من « لو » هذه تلك التى سدت الطريق أمام نزعات النفس وجنوح الفكر . فقلت : إذن العلم عاجز وطبيعة الكائنات تأبى ، ولستُ رسولا يخضع الله له نواميس الكون ، فأنى لى الوصول إلى البحر المسجور الذى تروم النفس استطلاع مشهده ـ والعياذ بالله ـ وما أكثر المنى وأقل الأسباب .

وبينما أنا فى بلبال من أمرى تدفعنى رياح الرغبة ، ويصدنى جبل القنوط إذ سنحت لى سانحة من خاطر حولت عجزى إلى قدرة ، وحيرتى إلى مضاء فقد اكتشفت أنى أملك المركبة التى تبلغنى ما تصبو إليه النفس بأسرع من الضوء الذى تحدث عنه العلماء دون شر يلحقنى أو خطر يتهددنى .

إنها التصور والخيال أجل .. أجل إنهما المركب الذلول التى يملكها كل إنسان حسب إمكاناته الفطرية والعلمية إن أحسن استخدامها ، وهى طوع أمره ، ورهن مشيئته .

عند ذلك لم أتردد ولم أتأن ، وفى أقرب من لمح البصر ، امتطيت متن التصور ، وبسطت أجنحة الخيال ، متزودا بتصوير القرآن ، وسافرت فى مستقبل الزمان إلى البحر المسجور ، فما هى إلا ومضة برق خاطف حتى كنت هناك ، فرأيت وسمعت ، ويا هول ما رأيت وما سمعت !! لقد انطفأت الشمس كما ينطفى المصباح حينما ينقطع عنه التيار الكهربى فى ليل حالك السواد لا نجوم فيه تلمع ، ولا كواكب تسطع ، فتجعل للوجود معالم وأبعادا تهدى فى ظلمات البر والبحر ، وكأنى قد هويت فى جُبٍّ محكم الغطاء لا قرار له ، وطفقت أتجلجل فيه لا أرى شيئا ، ولا أحس إلا بصقيع أكاد أجمد معه وأتحول إلى جليد ، ولاحت منى التفاتة حائرة مذعورة فوقع بصرى على مشهد رهيب .. رهيب ، ومنظر يشيب ، ويجعل الوليد مثلى بل يزيد ، إنه الرعب الساحق ، يعانق الهول الماحق ، وقعت بينهما وحيدا مفردا ، لا عاصم ولا ظهير ، وأظننى صرخت قائلاً : يا إلهى .. ماذا أرى؛ البحر نار تتأجج ، والموج سعير يتضرم ، ولهيب يشق صدر لهيب بألوان حمراء ، صفراء ، زرقاء ، سوداء ، بل كل

ألوان الطيف ، وينبعث من ذلك الأتون المتسعر شهيق وزفير ، وزمجرة وهدير مما يصعق كل حى ، ويذيب كل شيء ، وقد أخذ ذلك الجاحم المتفجر يتجشأ جشاء ما قرع الأسماع ولا اقتحم الأنوف أفظع ولا أنتن منه ، وما ذاك الذى يمتد من قلب السعير متقذفا فى هوج وجنون ؟ إنه أعناق هائلة من اللهب تتلوى وتتلفف فى عربدة وسعار ، وقد أخذت تتضخم وتستطيل حتى بلغت مدى كل حد ، ونهاية كل فج ، وملأت الآفاق ، وسدت كل منفذ ومهرب ، وقد أشرفت من تلك الأعناق رءوس بالغة العظم كأن كل رأس منها طور أشم ، لها عيون كفوهات البراكين الثائرة ، تحدق فى غيظ وحنق ، وهى تقذف بالحمم وترمى بالشرر ، وعلى سبيل التقريب كأنها عيون أصلات « ثعابين ضخمة » هائمة غازية ، ووحوش جائعة ضارية ، انطلقت من سجن تبحث عن فرائسها المشتهاة ، ومافرائسها إلا الناس والحجارة ، وقد برزت منها مناقير أصلب من الحديد تقصر وتطول ، أخذت تنقض هنا وهناك لتلتقط من بين الحشود الذاهلة من البشر من غلبت عليه شقوته ، كما يلتقط الهدهد ما تعرى من دود الأرض إلا أن الدودة تستقر فى حوصلة رطبة لينة وذاك يندفع إلى قرار الجحيم ، وصرت كلما التقط منقار من تلك المناقير الرهيبة إنسانا أحسست بقصعة داخل المنقار وأنا فى منأى عنه ، وأنا لا أعرف فى تلك الحشود البشرية أحدا ، ولا يعرفنى أحد ، وليس بيننا إلا رابطة الانسانية ، ودب فى نفسي أنى أحمل سرا جعل ذلك اللهب المارد المهول يتحاشانى وينأى عنى ، وما كاد ذلك الخاطر يبسم فى خلدى حتى وجدت كل هاتيك الأعناق المسعورة تتحول إليَّ ، وتلتف حولى ، وتكاد تطبق عَلَيَّ من كل جانب ، ولا واقى منها ولا حاجز ، فاشتد بى الكرب ، وعلا وجيب القلب ، وانبهرت الأنفاس ، وزاغ البصر ، وليس ثم مناص أو مفر ، فناديت صارخا : يا أرحم الراحمين بك أستغيث وأستجير ، ـ وعند الشدة يعرف الانسان ربه ـ وسرعان ما نكصت جحافل اللهب مرتدة خابية ثم اختفت فى جوف اليم ، وكأن شيئا لم يكن ، ونظرت فإذا بى أجدنى جالسا على مقعدى فوق الصخرة الممتدة فى الماء ، وإذا الشمس ساطعة كما هى ترسل أشعتها العسجدية إلى سطح البحر الساجي الوديع ، ومددت يدي إلى قدح الشراب لأعبَّ الثمالة المتبقية فيه ، كى أرطب حلقى الجاف ، ولسانى اليابس ، وقمت متثاقلا أجر قدمى من الإعياء ، وأنا أتلفت حولى كالمرتاب ، لأستيقن من أن الحياة الدنيا ما زالت تتحرك فى مجلسها المألوف ، وتجرى على سننها المعهودة ، ورحت أتمتم ـ وأنا كاسف النفس ، جاشى الشعور ـ ، قائلاً :

لو أن الإنسان يتدبر القرآن بنظرات ثاقبة ، وأحاسيس مرهفة : لتكشفت له حقيقة الوجود ، ولشاهد عظمة الخالق المعبود ، ولما قارف إثما ، أو دنس الأرض بخطيئة . ولكن ...

لمن خلقت الجنة والنار ؟ !

مع رسالة جامعية

النزعة التأملية

فى الشعر العربى الحديث فى مصر حتى ١٩٦٠

نوقشت هذه الرسالة يوم الاثنين ٥ من شعبان ١٤٠٦ هـ الموافق ١٤ من ابريل ١٩٨٦ م .. بكلية اللغة العربية .. جامعة الأزهر .. بمدرج الشيخ ابراهيم حمروش .. تحت اشراف الأستاذ الدكتور / على على صبح ـ رئيس قسم الأدب والنقد بالكلية وشارك فى مناقشة الرسالة كل من :

الأستاذ الدكتور / سعد ظلام ـ عميد كلية اللغة العربية ـ بالقاهرة ..

الأستاذ الدكتور / محمود على السمان ـ أستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية ـ بطنطا ..

وقد استمرت المناقشة أربع ساعات ، منح الباحث بعدها درجة « الدكتوراه » « مع مرتبة الشرف الأولى » .

ولقد اختار الباحث هذا الموضوع لثلاثة أسباب:

الأول : محاولة اشباع جانب عقدى ببيان موقف الاسلام من القضايا التى حملها شعر التأمل والموضوعات التى عبر عنها .

الثانى : اشباع ميل نفسي إلى دراسة هذا اللون من الشعر ـ يعني شعر التأمل ـ الذى يحمل موقف الشعر من قضايا الحياة والموت والمصير والايمان والشك ـ وما يشبه ذلك ـ فى حقبة زمنية هى من أشد الحقب خطرا ، وأوضحها أثرا فى الفكر العربى الحديث .

الثالث : محاولة اضافة جديدة إلى صرح الدراسات الأدبية فى المكتبة العربية وقد سجل الباحث الموضوع بعنوان « النزعة التأملية فى الشعر العربى الحديث فى مصر » ولم يقل « الشعر المصرى » تجنبا لشبهة الفصل بين مصر والعروبة وبعدا عن الترويج لفكرة الاقليمية المدمرة . وفى تحديد المدة الزمنية للبحث لم يشر إلى البداية اعتمادا على أن البداية الناهضة للشعر العربى الحديث معروفة مشهورة تتمثل فى ظهور رائد البعث الشاعر محمود سامى البارودى .

للباحث حسن أحمد عبد الحميد

وحدد الباحث نهاية مدة الدراسة بسنة ١٩٦٠ م بناء على أن العقد السادس من هذا القرن يمثل - فى تصوره - بداية مرحلة جديدة فى التاريخ السياسي والاجتماعي والأدبي في مصر تختلف عما سبقها ، وأن التغيرات الحقيقية فى ملامح الحياة بشتى جوانبها ظهرت مع بداية هذا العقد .

وفى محيط الأدب خاصة نمت مع بداية العقد السادس أو قبلها بقليل الدعوة إلى ما يعرف « بالشعر الحر » وظهر أدباء عنوا بالتنظير لهذا الشعر ونشر نماذجه وترويجه .

أما عن المنهج الذى اتبعه الباحث فى هذه الدراسة .. فيقول :

« استخدم البحث المنهج التاريخي في تتبع الجذور واستكشاف المؤثرات . وأفاد من المنهج النفسي في التعليل للظواهر والتعرف على ما بين الظروف الخاصة والمزاج النفسي للشاعر ونتاجه الفني .

واعتمد المنهج الفني في تقويم شعر التأمل من جهة الألفاظ والأساليب والخيال والتصوير والموسيقى ووحدة القصيدة ومن جهة المضمون .

وأخيراً اهتدى البحث بالقيم الاسلامية المستمدة من القرآن والسنة وأقوال السلف الصالح في نقد مضمون شعر التأمل .

وهكذا يمكن أن يكون « المنهج التكاملى » الذى يستفيد بالمناهج جميعها هو منهج هذه الدراسة .

تقسـيم الرسالة :

وقد جاءت الدراسة في تمهيد وثلاثة ابواب تحوى عشرة فصول بين مقدمة وخاتمة .

أما التمهيد .. فقد تكفل بتتبع جذور التأمل في الشعر العربى القديم .

وأما الأبواب والفصول فهى :

الباب الأول : التجربة التاملية في الشعر العربي :

مفهومها - تطورها - المؤثرات فيها .

وينقسم فصلين :

الفصل الأول : مفهوم التجربة التأملية فى الشعر العربى وتطورها :

ويقع هذا الفصل فى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : شعر التأمل بين المدلول اللغوى والمصطلح الأدبي :

وقد حدد الباحث فى هذا المبحث مفهوم شعر التأمل الذى على أساسه اختار نماذج الدراسة وقد استرشد فى تحديد هذا المفهوم بالدلالة اللغوية للفظ التأمل كما وردت فى معاجم اللغة .

المبحث الثاني : التأمل بين الدين والفلسفة والشعر :

وفرق الباحث فيه بين التأمل في هذه المجالات الثلاثة ، وانتهى إلى أن شعر التأمل شىء آخر غير المواعظ الدينية ، وشيء آخر غير نظم الأفكار واجترار الأخبار .



مع رسالة جامعية

المبحث الثالث : تطور شعر التأمل في العصر الحديث في مصر :

وقد أشار الباحث فيه إلى أن تأملات البارودي وجيل الرواد جاء أكثرها في ثوب شعر الحكمة القديم ، ثم بين تفوق شوقي في باب التأمل .

ونوه بدور جيل المجددين « شكري والعقاد والمازني » في تطور هذا اللون من الشعر ، ثم بدور الجيل الذى تلاهم .

الفصل الثاني : المؤثرات في النزعة التأملية في الشعر العربي الحديث في مصر :

ويقع هذا الفصل في خمسة مباحث تكفل كل واحد منهما بالحديث عن احد المؤثرات وتلك المؤثرات هي :

١ ـ الاطار والشخصية .
٢ ـ تيارات الثقافة واتجاهات الفكر .
٣ ـ النقد الأدبي الحديث .
٤ ـ الترجمة .
٥ـ شعر المهجر .

الباب الثاني : موضوعات التأمل في الشعر العربي الحديث في مصر :

ويحوى ستة فصول هي :

الفصل الأول : الله ـ عز وجل ـ وقد بدا للباحث أن شعر التأمل في هذا الموضوع سار في ثلاثة اتجاهات :

١ ـ اتجاه صوفي مسرف في التعبيرات المشكلة عن مقامات الحب الالهي وأحواله .

٢ ـ اتجاه اسلامي ملتزم بحدود الاسلام في تصور قضايا الألوهية والتعبير عنها .

٣ ـ اتجاه فلسفي يبدو فيه كثير من الشك والحيرة والتمرد .

ثم تأتي بقية الفصول هكذا :

الفصل الثاني : **الشيطان** .
الفصل الثالث : **النفس** .
الفصل الرابع : **الطبيعة** .
الفصل الخامس : **الحياة** .
الفصل السادس : **الموت** .

وفي هذه الفصول التي خصصها الباحث لدراسة موضوعات التأمل في الشعر أشار إلى الفكر الفلسفي والديني حول هذه الموضوعات إشارات موجزة لأن الشعراء عندما يتناولون تلك الموضوعات لامندوحة لهم عن التأثر بهذا الفكر أو ذاك .

الباب الثالث : **شعر التأمل في ميزان النقد** :

ولما كان شعر التأمل له خصائصه المميزة في الشكل وفي المضمون قسم الباحث هذا الباب فصلين :

الفصل الأول : خصائص الشكل في شعر التأمل :

ويقع في أربعة مباحث هي :

المبحث الأول : خصائص الألفاظ والأساليب .
المبحث الثاني : الخيال والتصوير .
المبحث الثالث : موسيقى الشعر .
المبحث الرابع : وحدة القصيدة في شعر التأمل .

أما **الفصل الثاني** : فعنوانه : « خصائص المضمون في شعر التأمل » :

ولأن شعر التأمل يغلب عليه الطابع الفكرى خصص الباحث المبحث الأول من هذا الفصل للوقوف على مدى نجاح الشعراء فى المواءمة بين الفكر والعاطفة وهذا المبحث بعنوان « مضمون شعر التأمل بين الفكر والعاطفة » ..

وجاء المبحث الثانى من هذا الفصل بعنوان « مضمون شعر التأمل فى ميزان النقد الاسلامى » وفيه تقييم للمضامين التى حوتها أشعار التأمل فى ضوء القيم الاسلامية المستمدة من القرآن والسنة . مستندا فى ذلك التقييم إلى ما يمكن تسميته « منهجا اسلاميا فى النقد » .

وبعد هذه الفصول تأتى الخاتمة ، وفيها ذكر الباحث أهم النتائج التى حققها البحث ، وتلك النتائج هى :

أولاً : شعر الحكمة هو الطور الأول لشعر التأمل .

ثانياً : الفكر العميق والعاطفة الجياشة هما جناحا التجربة التأملية فى الشعر .

ثالثاً : شعر التأمل يستفيد بمعطيات الفلسفة وآراء الدين ، ويحمل أطرافا من العلوم كالتاريخ وغيره .

رابعاً : خضع شعر التأمل فى الشعر العربي الحديث فى مصر لعدة عوامل أثرت فيه بوضوح وعمقت مجراه وحددت وجهته .

خامساً : يزاحم أحمد شوقى ـ من بين شعراء جيله ـ دعاة التجديد في ميدان التأمل ويشاركهم في أكثر موضوعاته ويفوقهم أحياناً .

سادساً : تخلو تأملات جيل الرواد والمحافظين من معانى الشك والحيرة والتمرد ، ويصدرون فى تأملاتهم عن تصوير اسلامى صحيح .

سابعاً : مع اشتداد حملات التبشير والاستشراق والاستغراب فى مطلع القرن العشرين ، علت فى شعر التأمل نبرات الحيرة والشك والتمرد .

ثامناً : ضرورة وجود منهج اسلامي فى النقد الأدبي ، يرشد إلى المفاهيم الصحيحة ويوجه الشعراء إلى استلهام التصور الاسلامى فى تعبيرهم عن قضايا ـ الوجود والحياة والمصير ـ وما يشبه ذلك .

تاسعاً : القول بعزل الدين عن الشعر غير سديد .

عاشراً : ليس من شأن الناقد التعرض لعقائد الشعراء ، وعليه أن يقف عند تحليل المضمون والاشارة إلى ما فيه من صواب أو خطأ لا يتعدى ذلك .

أحد عشر : لا يستدل بصورة قاطعة على عقيدة الشاعر من قصيدة ، لأن القصيدة نتاج موقف معين فى تجربة خاصة ووقت محدد ، وقد تتغير المواقف ، وتتبدل الأحوال وذلك هو ما يفسر ورود قصيدتين لشاعر واحد تعبر احداهما عن شك وحيرة ، والأخرى عن سكينة ويقين .

اثنا عشر : شعر التأمل شعر وجدانى غنائى ـ على الرغم من عنايته بالفكر . ذلك هو عمل الباحث فى تلك الدراسة ـ ندعو الله سبحانه ـ أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به ـ ولله الحمد فى الأولى والآخرة .



أنباء وآراء

الرئيس مبارك يطالب رؤساء وفود الدول الإسلامية ببذل الجهود لايقاف حرب الخليج .

■ التقى مؤخرا الرئيس مبارك برؤساء الوفود فى مؤتمر العواصم الإسلامية ، طالبهم الرئيس بالعمل على وقف نزيف الدم فى الحرب الدائرة الآن بين العراق وإيران وأكد أن مصر تدعم القضية الفلسطينية وتبارك كل تعاون بين العواصم الإسلامية فى مجال تبادل الخبرات .

الاسلام لا يعرف الفصل بين الدين والسياسة

أكد الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر : أن الإسلام لا يعرف الفصل بين الدين والسياسة لأنه دين ودولة والإسلام فى مجمع أحكامه نظم حياة الأفراد وحياة الجماعات ونظم الحياة بالعدل بين الناس .

وقال الإمام الأكبر فى حديث لمجلة « الوطن العربى » التى تصدر فى باريس : إن التطرف الدينى الذى يحدث من بعض الجماعات سببه سوء الفهم للدين ، وأكد فضيلته على أن هذا التطرف يرجع أساساً إلى خلو مناهج التعليم التى يدرسها شبابنا بالمدارس والجماعات من القرآن ومن مبادىء الإسلام وأخلاقياته وطالب شيخ الأزهر بضرورة تعديل المناهج بالمدارس والجامعات حتى يعرف الأبناء المعلومات الكافية عن أحكام الإسلام وعباداته ومعاملاته وأخلاقياته . وأكد أن المناهج يجب أن تمتد لتشمل الأبناء من الحضانة إلى نهاية الدراسة الجامعية .

الدكتور عبد الفتاح بركة
وكيلا للأزهر بالإنابة

أُصدر فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر قراراً بأن يتولى الدكتور عبد الفتاح بركة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية مهام وكيل الأزهر بالإنابة إضافة إلى عمله أمينا عاما لمجمع البحوث الإسلامية .

السنة وشبهات المستشرقين

بدأ المركز الدولى للسيرة والسنة ممارسة عمله من مبنى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . وصرح الدكتور محمد الطيب



د . أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ صفوت عبد الجواد

النجار : بأن الهدف الأول لقيام المركز هو تحقيق أمهات كتب التراث الخاصة بالسيرة والسنة النبوية ونشر المخطوطات التى كتبت عن الأحاديث النبوية وتاريخ العصور الأولى للإسلام .. كما يضطلع المركز بدحض الشبه والمفتريات التى نسبت زورا إلى رسول الله ﷺ فى سلوكه وفى معاملاته وفى علاقاته الخاصة والعامة وكذلك الرد على كتابات المستشرقين الذين دسوا على سيرة الرسول أمورا بعيدة عن الحق ، وشوهوا سيرته بطريقة فادحة ، متبعين أسلوب دس السم فى العسل .

وقال : إن الباب مفتوح لكل من يرغب فى العمل بالمركز من أساتذة السيرة والسنة النبوية والباحثين الإسلاميين فى هذا الشأن .

مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية والاسلامية

ضمن احتفالات القرن الخامس عشر الهجرى صدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب التربية العربى لدول الخليج كتاب « مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية والإسلامية » والكتاب يقع فى جزءين ويبلغ عدد صفحاته ٦٥٠ صفحة ويتضمن أربع عشرة دراسة حول قضايا القرآن الكريم ، السنة النبوية ، السيرة ، الاقتصاد ، المعاملات ، الشريعة الإسلامية ، النظم السياسية فى الإسلام ، التاريخ ، الجغرافيا ، العلوم والحياة الاجتماعية ، الفن العربى الإسلامى ، الفلسفة ، الدراسات الأدبية ، وقد هدفت هذه الدراسة إلى تصويب الأخطاء التى وقع فيها المستشرقون نتيجة للمناهج التى طبقوها فى دراساتهم للحضارة العربية الإسلامية وما خلفته من تراث فى مختلف العلوم والفنون ، وإلى توجيه اهتمام الباحثين إلى الأسس التى قامت عليها الدراسات الاستشراقية والنتائج التى توصلت إليها من تشكيك وافتراء وتزييف للحقائق .

علماء الاسلام يساهمون فى تطوير التعليم بالصين

زادت نسبة دخول الأطفال بمدارس المسلمين الذين بلغوا سن التعليم فى منطقة « قويوان » بمقاطعة « نينغشيا » وهى المقاطعة الإسلامية فى الصين بفضل مساعدة الأئمة وعلماء الإسلام فقد بلغت نسبة دخول المدارس للأطفال المسلمين ٨٢٫٦٪ فى المائة عام ١٩٨٥ بزيادة ٣٫٧ فى المائة عن عام ١٩٨٤م .. ساهم علماء



أنباء وآراء

الإسلام والأئمة خلال العامين الماضيين فى تطوير التعليم بهذه المنطقة ، وأقنع بعضهم الأهالى المسلمين بإرسال أولادهم إلى المدارس وانشا بعضهم مدارس إسلامية مائة في المائة ومن المعروف أن عدد التلاميذ المسلمين يشكل ٣٤٫٩ فى المائة من إجمالى عدد التلاميذ فى المدارس الابتدائية بهذه المنطقة .

أول شركة اسلامية فى الصين

وافقت حكومة الصين الشعبية لأول مرة فى تاريخها على تاسيس شركة استثمارية صينية مصرية مشتركة تعمل وفقاً لمبادىء الشريعة الإسلامية وقد تأسست هذه الشركة بالاتفاق بين حكومة « نينغشيا » التى تقع فى غرب الصين وبنك فيصل الإسلامى ، ويقول الحاج اسحاق هونج زنجيو رئيس الوفد الصينى ومدير الشركة الإسلامية الدولية للاستثمار والائتمان بمنطقة « نينغشيا » لقد تكللت جهود عام كامل بالنجاح بفضل رعاية واهتمام رئيس حكومة الشعب فى « نينغشيا » ووزير الأوقاف المصرى .

استثمار أموال المسلمين وفق الشريعة الاسلامية

برز فى الولايات المتحدة مؤخراً نظام نقدى جديد يقوم على الأسس الإسلامية وهو بمثابة نظام (بنكى) خال من الفوائد ، ويتيح للمسلمين فى أمريكا استثمار أموالهم وفق الشريعة الإسلامية .

صرحت مصادر مالية فى واشنطن بأن صندوق الأمانة التعاونى وهو الصندوق الوحيد الذى يخضع للنظم والأسس الإسلامية قد انتهى تقريباً من عملية التسهيل مع اللجنة الأمنية المصرفية « سيك » خلال هذا العام محولا الحلم إلى حقيقة بالنسبة إلى المسلمين الذين يواجهون صعوبات حول كيفية استثمار أموالهم فى الولايات المتحدة وفق الشريعة الإسلامية .

مستقبل الجالية الاسلامية فى أسبانيا

ناقش المؤتمر الثالث عشر للمركز الإسلامى فى أسبانيا الذى عقد مؤخراً بمدينة « غرناطة » مستقبل الجالية الإسلامية فى أسبانيا ودارت أعمال المؤتمر الذى اقيم بالتعاون مع الندوة العالمية للشباب الإسلامى حول أربعة محاور أساسية هى :

قضية الدعوة ومنهجها ووسائلها ، وكيفية التعامل مع الحكومة الأسبانية ، وأسلوب العمل والتنسيق بين الجماعات الإسلامية والمطلوب منها ، وقضية الجيل الجديد .

وفى ختام جلسات النقاش أصدر المؤتمر بياناً تضمن توصيات عديدة تركزت بشكل واضح حول قضية الجيل الجديد وكيفية تجنيبه الضياع والأزمات ، والحفاظ على هويته الإسلامية والفكرية والعاطفية وتجنيده لخدمة مستقبل الدعوة الإسلامية .

جامعة اسلامية فى أوروبا

يعتزم الثرى الفلبينى أمير الله إقامة جامعة إسلامية كبرى فى مدينة لوسرن «بسويسرا» من المقرر أن يلتحق بالجامعة ثلاثة آلاف طالب وطالبة ويحاضر بها ثلاثمائة محاضر من كل ديار العالم الإسلامى يهدف المشروع إلى تجميع الدارسين فى العالم الإسلامى فى جامعة إسلامية واحدة تأكيداً للوحدة الإسلامية وحتى لا تتشتت جهود الدارسين وأفكارهم فى الدول الغربية وسوف تكون الدراسة باللغتين العربية والانجليزية .

نشاط اسلامى للمجلس الاسلامى الأوغندى

أعد فضيلة الشيخ حسين رجب كاكوزا قاضى قضاة أوغندا تصوراً جديداً لطبيعة عمل المجلس الإسلامى الأوغندى فى الفترة القادمة يستهدف التصور الجديد تكريس جهود الدعاة فى التعريف بالإسلام ، وتبيين جوانب العظمة الإسلامية فى مختلف الجوانب العقدية والأخلاقية والتشريعية . وصرح قاضى القضاة بأن المجلس يعمل فى اتجاه بعيد عن التحزب أو التعصب الطائفى .

الشيخ محمد متولى الشعراوى رئيسا لمؤتمر السيرة بأمريكا التليفزيون الأمريكى ينقل الجلسة الافتتاحية

يعقد المؤتمر العالمى الثالث للسيرة النبوية فى أمريكا يوم ٢٦ ديسمبر القادم ولمدة أسبوع .. يتولى رئاسة المؤتمر فضيلة الداعية الإسلامى الشيخ محمد متولى الشعراوى ويحضره عدد كبير من المفكرين والكتاب المسلمين يناقش المؤتمر سيرة الرسول ﷺ ومنهجه الذى ينتفع به فى مواجهة التحديات المعاصرة كما يناقش فى جلسة خاصة وسائل تربية الشباب فى الإسلام وتقرر أن تنقل برامج الإذاعة وموجات التليفزيون الأمريكى على جميع القنوات وقائع افتتاح المؤتمر وخطاب الشيخ الشعراوى الذى يلقيه فى الجلسة الأولى وسيتم لقاء عبر المؤتمر بين الإمام الشعراوى ورؤساء الجامعات الأمريكية بناء على طلبهم .

المطالبة بإعادة النظر فى مناهج المعاهد الأزهرية

■ طالبت شعبة التعليم الأزهرى بالمجالس القومية المتخصصة بإعادة النظر فى مناهج المواد الثقافية التى أدخلت على التعليم الأزهرى التى أفقدته ميزته التى تميز بها عما عداه من أنواع التعليم المختلفة ، وأكدت أن الاهتمام بالمواد الأزهرية سيمكن الطالب عندما يتخرج من أن يكون ملما بكافة القضايا الدينية التى تؤهله لأن يكون داعية يستطيع أن يواجه التيارات التى تحاول تقويض الإسلام .

مصر تشارك فى المؤتمر الأوربى للسكر

اشتركت مصر فى المؤتمر الأوربى الثانى والعشرين لدراسة مرض السكر .

يبحث المؤتمر أحدث الوسائل لمنع حدوث المضاعفات مع استعراض الجديد فى علاج مرض السكر .

من خير ما كتب

للدكتور/عبد الجليل شلبى

قران وسنة

كانت عقيدة التوحيد التى بثها الإسلام فى نفوس الناس وثبة بالعقلية العربية ، وان شئت فبالعقلية الانسانية بعامة . كان شاقاً على العرب كما هو شاق على الكثيرين أن يؤمنوا بإله لا تدركه الأبصار ، وليس له جسم ولا ولد ولا والد ، وهذه ولا ريب ـ ميزة امتاز بها الاسلام عن كافة الأديان والعرب لعجزهم من قبل عن هذا الادراك ـ اتخذوا لهم آلهة مجسمة صنعوها بأيديهم ثم عبدوها ولم يكن لديهم تفكير ميتافيزيقى يمكن أن يدركوا به وجود خالق لا يراه أحد .

وقد كان أتباع الأنبياء من قبل يفعلون ذلك ، فاليهود قالوا لموسى : أرنا الله جهره وبين كل نبى ونبى كان الناس ينسون عقيدة التوحيد فأحياناً يتخذون لهم أوثاناً وأحياناً يعبدون المخلوقات ويتخذونها وسائط تقربهم إلى الله زلفى وأحياناً يصفون الله بصفات المخلوقين وهكذا .. وكلها مظاهر من عجز العقلية البشرية عن إدراك وجود اله ليس كمثله شىء ولا تزال مظاهر هذا العجز بيننا إلى الآن .

وكان الرقى الاجتماعى الذى توالت به أحكام التشريع الاسلامى رقياً عقلياً أيضاً ، عرف كل إنسان ما له من حقوق وما عليه من واجبات عرف أن عليه أن يحترم ملكية الناس وأموالهم وأعراضهم وكانت الحياة الجاهلية تعتمد على القوة وحدها وأكبر من هذا وذاك أن عرف الانسان أنه يعمل دائماً تحت سمع الله تعالى وبصره فهو يخافه فى وحدته كما يخافه بين الناس فكانت المحافظة على حقوق الآخرين مكفولة بقدر ثبات العقيدة وعمق الايمان لهذا كان من الطبيعى أن يمشى التياران معاً تيار العقيدة وتيار التشريع جنباً إلى جنب .

ومما رقى به الاسلام العرب أنه عمل على محو أميتهم وتعلمهم فروع المعارف المختلفة فمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. رد على المقوقس طبيبه أَمَرَ العرب أن يستشيروا الحارث بن كَلَدَة فى أمراضهم وأن يستعينوا برأيه وعلمه كذلك أمر أبى بن كعب أن **يتعلم اللغة العبرية وجعل فداء الأسير القارىء فى غزوة بدر أن يعلم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة .**

الدكتور/محمد رجب البيومى .

المسلسلات الاذاعية والتاريخ

توالت المسلسلات الاذاعية المرئية والمسموعة التى تتخذ التاريخ المعاصر

للأستاذ عبد الفتاح السيد عبد السلام

مجالًا لها ، وقد استطاعت أن تشد الانتباه بما تعرض من أحداث ، وتصور من شخصيات ، وتتقن من إخراج ، وتبدع من أداء ، كل ذلك حق لاشك فيه ، ولكن الذى يجب أن يكون موضع الانتباه الحذر هو أن المسلسل الاذاعى الذى يشاهده ويسمعه العامة ، ليس كالرواية التاريخية التى تطبع فى كتاب ، ويتداولها القراء ، وجمهرتهم من المثقفين .

فقارىء الرواية التاريخية على حظ من المعرفة يميز به بين الواقع والخيال ويعرف مدى حرية المؤلف فى اضافة أشياء خارجية تظهرالوقائع فى مظهر أخاذ وليست من التاريخ الحقيقى فى شىء .

أما الكثرة الكاثرة من مشاهدى المسلسلات الاذاعية فى التليفزيون وسامعيها فى الراديو فهم من العامة وفيهم الأميون الذين يعتقدون أن كل ما يعرض حق لاشك فيه .

ومهمة المسلسل الاذاعى حينئذ أن يحرص على الأمانة المفرطة فى تصوير الوقائع ورسم الشخصيات ، وارتباط الأحداث لأن الجانب الثقافى فى المسلسلة يوازن الجانب الفنى ولا يحب أن يطغى الفن على الحقائق شداً للانتباه وجذباً للأنظار ولا سيما إذا كان الواقع الحقيقى بأحداثه وشخصياته مما يكفى لدى المؤلف النابه والمخرج المقتدر والممثل الجيد أن يكون موضع الاستمتاع الفنى الباهر ، ومكان الغذاء الدسم للفكر ولكن ما نقرره الآن لا يجد التطبيق الواعى فيما نشاهد ونسمع ، حين يجور المؤلف على الحقائق ، ويفتن المخرج فى الاغراب ، فيعطيان الفكرة المخطئة ، ويظهران الشخصيات التاريخية فى غير واقعها المعهود ، وقد تكون هذه الشخصيات ذات عهد قريب ، رأيناها رأى العين ، وعرفنا حقيقتها السافرة ، وفهمنا دورها التاريخى من ألفه إلى يائه ثم تجىء المسلسلة لتبتعد عن الواقع الملموس ، فيكون ذلك موضع الدهشة البالغة والاستغراب العجيب .

الدكتور / سمير عبد الفتاح الجزار

ما قــل ودل

إن بلوغ الحقيقة والخروج من أسوار الجهالة ، واستقامة الطريق ، وفتح العقول لضياء المعرفة ، كل هذا لا يأتى إلا بطريق العلم ، فالعلم فى نظر المسلم هو قمة الهدى التى يبلغها الإنسان فهو السبيل إلى معرفة الخالق والطريق لفهم أسرار الحياة .

« قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ » فالإيمان بالله جلت قدرته وعظم شأنه ما هو إلا نوع



من العلم بالله وما يكون التوحيد المطلق والايمان الصادق والعقيدة الراسخة إلا بالوقوف على حقائق الكون مدققا متمعنا وبادراك للقدرة التى تفردت بذلك الابداع متفحصا دارسا . وبذلك يرتقى الانسان إلى افاق رحبة سامية يتعلم كل خير ويدرك قضايا الوجود ويتبصر فى كل ما يحيط به ويتيقن حقائق الحياة .

فالعلم لا خير فيه ولا رجاء منه ولا أثر له إن لم يهد إلى الحقيقة الأولى وهى معرفة الله سبحانه وتعالى.

الأستاذ / مصطفى أمين

فكــــرة

عندما اختلفت دول الأوبك وعجزت عدة أيام عن الوصول إلى اتفاق هبط سعر برميل البترول إلى خمسة دولارات ، وعندما اتفقت هذه الدول قفز سعر البترول قفزة كبيرة اتمنى أن نستفيد من هذا الدرس ، وأن نعلم أن سبب خيبتنا أننا اختلفنا على كل شيء ، ولم نتفق إلا على الخلاف والانقسام !

ولو اتفقت الدول العربية والاسلامية لانتهت الحرب العراقية الإيرانية فى أيام ، ولانتهت المذابح اليومية فى لبنان ، ولخصصنا جزءاً كبيراً من المبالغ التى ننفقها فى القتال والتدمير والتخريب على التعمير وإطعام الجائعين ومعالجة المرضى والتعليم ! .

ويجب أن نعترف أن الدول الكبرى أصبحت لا تحسب للعرب أى حساب ، ذلك أنها تعلم تماما أننا عجزنا عن أن نتفق على أبسط الأمور ، وأن ما تقبله الدولة الأولى ترفضه الدولة الثانية وتلعنه الدولة الثالثة ، وبعد أن كان لنا الوزن الهام فى الاستراتيجية الدولية أصبحنا صفرا بسبب هذه الصراعات ولا يهمنا إذا كنا صفرا صغيرا أو صفرا كبيرا المهم أننا صفر والسلام ! .

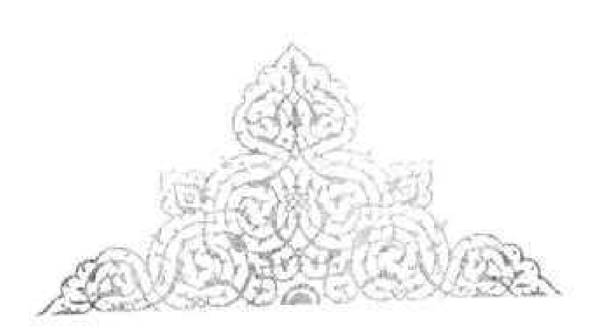
والغريب أنك لا تجتمع بأى سياسى عربى على انفراد الا ويعترف بالكارثة التى أصبنا بها ، ويقرر أننا نحن الذين ننتحر بطريقة «الهراكيرى» عندما نمضى فى خلافاتنا السخيفة ، ومع ذلك فإن أحدا منا لا يحاول أن ينهى هذا الخلاف الذى أصبح اللعنة التى أصابتنا !

واليوم نرى أن الاتحاد السوفيتى بدأ يغازل سرا إسرائيل ، وما كان يجرؤ على اتخاذ هذه الخطوة الخطيرة لو وجدنا متحدين متضامنين.

من كان يصدق فى سنة ١٩٤٤ عندما انشانا الجامعة العربية أن يكون حالنا بهذا السوء فى سنة ١٩٨٦ واننا نعجز أن نجمع ملوك ورؤساء العرب فى اجتماع قمة ، بل نعجز أن نجمع وزراء الخارجية فى اجتماع ، بل نفشل فى إصدار قرار باستنكار العدوان الوحشى على افغانستان ، ونعجز عن وقف الحرب فى لبنان . وترسل دول عربية السلاح والذخيرة إلى إيران لقتل العرب والمسلمين فى العراق ! أخشى أننا اصبحنا نجهل القراءة والكتابة السياسية .

فهرس العدد

of our youth, it is not homosexuality, it is not illicit intercourse in sex and production of illegitimate childern, it is not the amplification of lust and lewdness, it is not alcoholism, drug addiction, rape, or any form of social distortion and disease. Any human community experiencing such signs and symptonus of the twenty century disease syndrome is not at all civilized inspite of what it may have or what it claims to have. True civilization of the human community is the achievement of the best form and organization of the mental, physical, psychological, cultural and spiritual condition of the individual. This is attained by careful planning, instructing, preeching, management organisation, stability, of tranquility, ethics, and the unequivocal differentiation between right and wrong, betwwen virtue and vice, and the honest recognition and realization of the concept of freedom. Such assets are attained in a human community when they are basically practiced and implemented in the family as the fundamental unit of the human society. Islam in its most original teachings has provided mankind with the elements and structural ingredients for the emancipation of mankind from evil and social disease to virtue, liberation and real freedom.



them with harshness, that ye may take away part of the dower ye have given them, except where "They have been guilty of open lewdness. On the contrary, live with them on a footing of kindness and equity"
"And if you decide to take one wife in place of another, and ye had given the latter a whole treasure for dower, take not the least bit of it back; would ye take it by contortion and manifest wrong.".
"And how could ye take it when ye have gone in unto each other, and they have taken from you a solemn covenant".
(Surat An-Nisa, IV, 19,20,21)

The essence of Islamic philosophy in marriage is that the man takes up a wife in a solemn dignified reverent manner to love and cherish in honesty in the face of Allah, because the contract agreement of marriage is basically a covenant and promise with Allah, and the man takes that wife as a trust from Allah. With this understanding of security prevails the full rights and guaranteed position of the womnan. Besides these prerogatives, the wife has the right of affection, kindness and good companionship, satisfaction of emotienal requirements and physical needs. Any proof of the violation of these rights of the wife entitles her to file a divorce appeal in court, when the divorce can be granted.

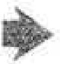
The careful attention given by Islam to the family constitution springs from the full recognition that the family is the miniature structure of the community and humanity at large. Any damage, disorganisation or pathology in the family structure will certainly be transcribed and reflected unto the children of that family. Paternal differences, disputes, quarrels, selfishness, dishonesty, unchastity, hatred will engrave itself on the mental patterns and psychological network of the children. The result will be immorality, sin, delinquency, delirium and frenzy hysterical conduct prevailing among the human population. The true civilization and culture of human communities is certainly not measured by the size of budget, nor the strength of armies, nor the race in space and nuclear science or technology, nor the power to govern and twist the fate of nations to serve the purpose of the strongest. True civilization is not the sound of hysterical frenzy, violent music at discos, it is not the total loss and aimless conduct

Since marriage is essentially a contract between a man and a woman as two persons participating in matrimonial life, such a contract includes certain rights and obligations. For the husband, the most primer right is the right of guardian ship which is not power or authority. Guardianship refers to an understanding of provision, adminstration, and protection. The man essentially manages the affairs of the family; this managerial function of the husband is the (wilayah) of the man, it is not an exaltation but a serious responsibility for which he must be prepared in strength, wisdom, and other qualities and abilities. In her choice of husband, the woman must consent to a man worthy of this (wilayah) over her and the family. Within the concept of (Wilayah) lies an enormous amount of responsibility and function. With this understanding therefore, the term guardianship becomes no more a prerogative to the man but rather a commission of trust, an assignment to undertake, a duty to perform. This assignment entails, financial, educational, cultural, social aspects of the family. In this context, the Holy Quran states.

> "Men are protectors and maintainers of women, because Allah has given the one more ability than the other, and because they support them from their means. Therefore, the righteous
>
> women are devoutly obedient, and guard in the (husband's) absence what Allah would have them guard"
>
> (Surant An-Nisa, IV, 34).

Within the scope of rights according to Islamic teachings, the woman certainly enjoys more substantial and concrete rights than those enjoyed by the man. Such woman rights include essentially freedom of choice with no compulsion. This grants the woman the same authority of approval and choice of the husband as the man has in the choice of his wife. Another privilage of woman is her total independence in property; all that a woman owns is exclusively her own and the husband has no right to take or dispose of anything without her consent. She is also the sole owner of her dowry given to her at the marriage contract. She has no least financial responsibility to the fanmily except at her own free voluntary will. The Holy Quran states:

> "O ye who believe ye are forbidden to inherit women against their will nor should ye treat



In an explicit, precise, comprehensive statement, the Holy Quran categorises all the interdictions of marriage in Islam.

> "And marry not women whom your fathers married except what is past, it was shameful and odious, an abominable custom indeed.
> Prohibited to you (for marriage) are your mothers, daughters, sisters, father's sisters, mother's sisters, brother's daughters, sister's daughters, foster mothers (who gave you suck), foster sisters, your wife's mothers, your step-daughters under your guardianship, born of your wives to whom ye have gone in. Those who have been wives of your sons proceeding from your loins; and two sisters in wedlock at one and the same time, except for what is past. Indeed Allah is oft-forgiving most Merciful.
> Also prohibited are Women already married".
> (Surat An-Nisa, IV, 22-23).

For marriage to take place, certain provisions and requirements have to be fulfilled. The most essential of these provisions are mutual agreement and unequivocal consent; overtness by witnesses who legally testify such marriage because marriage is an overt social relationship. The dowry which is an specified amount of money paid by the groom. The money purse is unimportant; rather it is a symbol of honour to the bride and indication of his desirability and a sacrifice for her.

The soil of true relationship between husband and wife is the existance of genuine affection and honest intimacy. The sence of responsibility to share in the formation of a family must always prevail and become the governing facter of every action. Each partner must work to satisfy the psychological and physical needs of the other; keeping an equilibrium between both. the most vital qualities for successful relationships is honesty, humbleness, unselfishness, self denial, magnanimity and self sacrifice. This attains the prime goal of successful matrimonial relationships which will provide the environment to cultivate and school the progeny with similar qualities of virtue. There must be a continuous living air of kindness, emotion, mercy which both partners should always maintain by their conduct and behavior.

copiously rich in instructions of culture and education both relevant to parents and to children at all ages.

The foundation of family structure is the premise of marriage. The first and most important step in marriage for both woman and man is to make certain that no interdiction prevents the marriage. In Islam, the laws of jurisprudence (Shariah) describe two types of interdictions, permenant and temporary.

Permenant interdiction are certain conditions which render certain women permenantly not eligible for marriage to certain men. This according to the shariah occurs as a result of blood relationship, or as a result of first degree kinship, or as a result of foster relaionship. Interdictions because of blood relationship occurs when man and woman are directly related as mother (Son), daughter (father); or parent related as sister (brother), half sister, as well as their daughters (sons); or grandparent related as aunts (uncles). Interdictions because of relationship by marriage as stepmother (step father) even if divorced or widowed., Daughter-in-law (son-in-law), mother-in-law (father-in-law), wife's daughter (husband's son). Marriage in presence of Poster relationship is prohibited by Islam. A child who is breast fed by a woman other than his mother is considered his actual mother, consequently the some limitations of marriage apply exactly to her, and her children. The daughter of the foster mother become a sister, and the sister of the foster mother becomes an aunt. An obvious type of interdiction is to marry an already married woman.

Temporary interdiction are certain conditions where the interdictions exit for reasons that may terminate, and in this case the interdiction is eliminated when the reason no longer holds. A man must not marry two sisters at the same time, but if one is divorced or dies, he is allowed to marry the sister. Also, a man must not marry his wife's aunt except when the wife is no longer his wife. A Muslim man must not marry a mushrika "polytheist", he can marry a woman belonging to a Divive Faith, Christianity or Judaism. However, a Muslim woman is not allowed to marry a non-muslin man because of the husbands legal power over the wife. Consequently, a non-muslim legal power as husband would threaten the Islamic faith of the wife and that of her children.



Quran repeatedly stressed the loyalty of children to parents as next to the worship of Allah.

> "Thy lord hath decreed that ye worship none but Him and that ye be kind to parents. Whether one or both of them attain old age in thy life, say not to them a word of contempt, nor repel them but address them in terms of honour".
>
> (Surat Al-Isra, XVII, 23).

On the other hand, parents are advised to give guidance and good example to their children. They must instruct them, teach them, tutor them and train them to high standards of ethics, duty, morals and constructive understanding of right and wrong. The Holy Quran gives these consepts precisely in the example of Luqman giving his son wholesome advice, religious, moral, behavioral, social and conceptual.

> "Behold, Luqman said to his son by way of instruction; O my son join not in worship (others) with Allah, for false worship is indeed the highest wrong-doing".
>
> "O my son, establish regular prayer, enjoin what is just, and forbid what is wrong; and bear with patient constancy whatever betide thee, for this is firmness of purpose in the conduct of affairs".
>
> "And swell not thy cheek in arrogance and pride at men, nor walk in insolence over the earth, for Allah loveth not any arrogant boaster".
>
> (Surat Luqman, XXXI,13,17,18)

The whole integration and cohesion of the family is basically constructed on the conduct and behavior of the parents, their differentiation between right and wrong, their concept of virtue, and above all their faith. The children will grow up to follow the same patterns of behavior and temperament, and will achieve congruent understanding of the same elements of goodness and chastity. The Holy Quran and the Honourable tradition of the Prophet (prayers and peace be upon him) are

FAMILY CONSTITUTION IN ISLAM

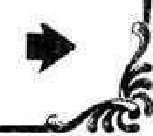
By : Dr. Abdel Halim Hifney Bakry
Translated By : Dr. Sami Ayyad.

Islamic teachings and laws of jurisprudence have very meticulously dealt with and governed the family structure. Divine legislations have been revealed in the Holy Quran to establish the fundamentals of family constitution and relationship among the various family members. In very great detail aspects of marriage, divorce, inheritance have been extensively dealt with in the Holy Quran by Divine Revelation. This signifies and asserts the prime importance of the family structure as the building brick in a community and in the society at large (the ummah).

Islamic teachings focus on providing the family members with the best emotional and moral forms of relationships. Therefore, the husband wife relationship and unity should be based on genuine mutual love, affection, respect, selfishness, modesty, understanding and tolerance. This is to provide a healthy environment for the culture of children, and to attain a perpetual cohesion of purpose between the two partners. The Holy Quran states.

> "And among His signs is this, that He created for you, mates from among yourselves, that ye may dwell in tranquillity with them, and He has put love and mercy between your (hearts). Verily in that are signs for those who reflect"
>
> (Surat Al-Rum, XXX,21).

The same importance was given to the relationship between the children and the parents which symbolizes the foremost model of loyalty, respect and reverence. The Holy



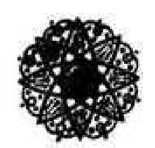


frameworks postulated. This escapism of man from all the theories advanced occurs in an illusive and subtle manner, and proves their utter failure for the suitability to human life.

Islam, however, provides a unique view of man in the universe which is uncompromising and which is everlasting. Man in the Islamic perespective is the "Vicegerent" of God on earth. His real true task and mission is total surrender and submission to the Will of Allah. Man does not make a law but submits to the law already made by God and adminsters it. Man was born with the freedom to be good or bad; if he develops his powers and administers his mental faculties for the moral, spiritual and material enhancement of mankind, his conduct is virtuous; but if he misuses his resources and freedom and utilizes his mental faculties for immoral selfish exploitation, his conduct is vile and abscene. The difference between the two opposing conducts of man is very subtle and thin. It is the guiding light of Allah that makes man distinguish the difference.

The believer "Momin" is the one that adheres and follows the path prescribed by Allah in the Holy Quran and the Sunna of the Prophet (prayers and peace be upon him). The believer is at peace with himself, in harmony with the environment and society. All conflicts are resolved and all knowledge and understanding are sequential and rooted. Islam is not static by a dynamic propelling force founded on the bond and linkage with the Transcendant force utilizing Transcendent universal knowledge strength, freedom in absolute form and abundant measures.

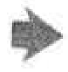
Let all Believers not be deceived by the black poison of those evil forces, Let us be aware lest they beguile us. "Our lord, Let not our hearts deviate now, after thou hast guided us, but grant us mercy, grant us guidance, grant us knowledge, grant us Light from Thine Presence, for Thou art the Grantor of bounties."

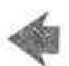


dignity. The role of divine guidance as the sole source of value is to provide mankind with the formula that suits his nature and the nature of the universe around him. "Tawhid" is the nucleus of man's commitment and submission to Allah, recognizing no authority except that of Allah and accepting no guidance other than that from Allah. The recognition of no authority except that of Allah is the fountain of real freedom and emancipation, it is also the source of strength and confidence, it is also the alphabet of knowledge and wisdom, it is also the soil of justice and equality. The acceptance of no guidance other than that from Allah is the positive. commitment to the divine system, law, code "Shariah" of Allah as the only really totally suitable for man's life to attain welfare and success in this life and in the Hereafter. It is a divine system, founded on logic scientific bases, conforming with man's physic, and psychology, it is given to man from the Creator of man.

Those who reject "Tawhid" and those who antagonize the Shariah are the misguided the followers of diabolism, satanism and human demonism. They subject their minds and intellects to become the tools of wickedness and evil; they enslave their abilities to serve the forces of drakness, distortion, vice, perversion, corrpution, falsification, obscenity and evil. They worship false gods under the guise of capatalism, communism, Existen tialism, Zionism, Masonism and all the odd eccentric patterns of the errors of the human mind. they are the pagans of modern times, the idolaters of secularism, the founders and propagators of human infamy and disaster. They protect and provide erroneous logic and spurious justification to achieve their objective. This objective is to induce doubt and agnosticism in the minds of the human society, to produce a condition of human mental detachment with the reality of the Transcendent, with the Creator, with Allah.

Man is the main creation in this universe. There are various theories which deal with the functions, responsibilities, accountabilities, desires and aspirations of man in this life; his inter-relations with nature and environment, his social behavior and psychological patterns, his equilibrium amidst the infinite ocean of human existance, his temprements and concerns. All the theeories put forward have failed to command universal acceptance; from Plato, Aristotle, Ibn Khaldun, Freud, Gardiner and others; man showed escapism from all the





Such arguments are unfounded; scientific knowledge as known in modern ages is the creation from Allah, the Creator, the Transcendent that revealed the Holy Quran and gave knowledge to the Prophet to formulate the guidance and the code for humanity. The Holy Quran and the Sunna have been very precisely interpreted and implemented with unparalleled success at times in history to prove prosperity and goodness to the human race.

Islam is a specific system of belief, worship, and a code for a way of life, behavior and conduct. It completely encompasses the material and also spirital elements of mankind. It claims a universal following with a social order of structure composed from the doctrines of Allah, the Creator. Islam advances an integrated system, a unique ideology of moral, cultural, political and ecnomic principles. It is not mundane or purely theological issues of religious dogmas, but it is a subtle expansive practical, very optimized and scientific.

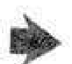
Islam aims to attain social human goodness, excellence, equality, justice, true freedom and spiritual elevation. This lost quality is the essence of human correctness. All those who shriek and shout, all those who critisize, all those who oppose and antogonise, all those who dwell in the mirage of false knowledge, all are devoid of spiritual clarity, transparency of understanding and are without the facility of perception and true comprehension. They are prisoners of their own haughty ignorance, and slaves to a dictated man-made equivocal ideology to which they become idolaters. They speak of freedom and they practice no freedom but despotic fascism; they speak of human rights which they themselves destroy and devilishly exploit.

Communism, Imperialism, Masonism, Zionism and the various other similar groups that deny the spiritual element of human nature are all in coalition against the belief in Allah the Creator, against the belief in the Transcendant Divinity, against "Tawhid". "Tawhid" is the essence of all faiths, and is the cornerstone and fountainhead of the Islamic faith. "Tawhid" is the concept and process for the transformation, culture and civilization of the human race and restoration of human

against Islam is self evident. Islam with its unique teachings, its infallible Quran, ubiquity of "Shariah", and its attainment of human excellence, virtue and honour was and will remain the solid bastion of human virtue and authentic reality and truth. Islam is preserved by Divine care, no power or force can touch a molecule of its structure; what is happening among the human race is only a test of stability, genuine belief, and "yaquin". Since the birth of faith and belief, such forces have existed. At the time of the Prophet (prayers and peace be upon him) the activity of the Hypocrites is well documented. These evil forces of human elements change their mask, their mechanism of function, their devious dishonest logogram to suit a certain purpose of evil at a certain time of history at a certain place. The trend nowadays is to defame Islamic personalities and undermine and shake the belief of the Islamic public in the text of the Holy Quran and the Sunna of the Prophet (prayers and peace be upon him). However, the Holy Revelation warns specifically of such actions.

> "And this He commands, Judge thou between them by what Allah hath revealed, and follow not their vain desires; and beware of them lest they beguile thee from any of the teachings which Allah hath revealed to thee ....".
>
> (Surat Al-Maidah, V, 49).

The current trend which these forces adopt is the frenzy avalanche attack against the implementation of the Islamic Shariah as a constitution of government. They develop and advance various false difficulties originating basically from their vile intentions, and secondly from their blank ignorance of the Islamic "Shariah" Some of them are stallions for an evil driver, and as belligerent gladiators imposing their stumpy secular knowledge to question, criticize, defame and with insolent insurgence denounce and condemn the Islamic faith as quoted from the Holy Quran and the Honourable Sunna. They go to the extent of emphasizing the impossibility of implementing the Quran and the sunna in what they claim to be modern age of knowledge and secular science . At other times, the argument is raised that the Holy Quran and the Honourable Sunna cannot be well interpreted to be a suitable source of governmental constitution.



BEWARE OF THEM LEST THEY BEGUILE THEE

By : Magdi Abdel Hameed Basheer

In a previous article under the same title, consideration was given that certain evil rooted groups find liberty among human communities to propagate evil philosophy and satanic thoughts. Their prime aim is to antagonise sound logic and genuine faith wherever that exists. These evil rooted groups take various names, guise behind political trends, and various philosophies, and plant rancor, deception and misguidance in the minds of the human race. Communism, Masonism, Bahaism, Zionism are all various embodements of the same evil.

The sequential outcome of world history showed that these forces have an inherent stringent hatred to Islam. By careful planning and organization, they aim at defaming and undermining the Islamic creed. In their logistics, they develop a mastery of twisting and diffusing facts to render the clear dimensions of any issue sink into the depths of nothingness. The members of these groups belong to various nationalities and ethnic backgrounds, and may belong also to various faiths, judaism, christianity and Islam. They, however, become devoid of any loyalty or sympathy of belonging to any nationality or religion They become esentially empty of all reality and fertility to achieve prosperity and human goodness. Behind the facade of humanity, brotherhood, human rights, the support of proletarian, and freedom; they conceal the ugly face of disbelief, heresy, immorality, corruption, and social turpitude. They are very skilled at rhetorical public address and demagogue; and are also very clever at distorting and doubting personal conversations. Behind the mask of friendship, brotherhood, and humanity; they are very poisonously critical of everything. They essentially constitute the evil forces of the human race, "the human devils" to spread demonism by all means and processes among the human race.

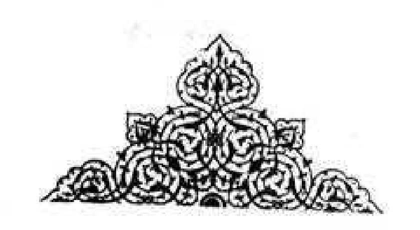
The existing and chronic hatred of these satanic groups

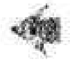
grave, for verily they disbelieved in Allah and His Messenger and died in their iniquity".

(Surat Al-Tawbah, IX,84).

According to other traditions, however, this verse had been already revealed immediately after the return from Tabouk and was no longer applicable to Ibn Ubii. The state of soul in which Ibn Ubii died was not known for certain, however, it was possible that the imminence of death had changed him. On his death bed, Ibn Ubii asked the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to give him a garment of his own in which he could be shrouded, and to accompany his body to the grave, and to pray Allah for his forgiveness. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) did as he had promised. The son of the dead man Abdullah Ibn Abdullah Ibn Ubii Ibn Salool the truely devout muslim was present throughout all these occasions.

Prayers and peace be upon our magnanemous prophet.





them from demolishing their idols with their own hands; and deputized Al-Mughirah Ibn Shubah to return with the delegation to destroy Al-Lat, taking with him Abu Sufyan Ibn Harb from Macca ao assist him.

The delegation entered Islam and fasted the remainder of the month of Ramadan at Al-Madinah and then returned to Al-Taif accompained by Al-Mughirah, Abu Sufyan joined the party in Macca. The youngest member of the delegation Osman Ibn Abi Al-Aas was the most knowledgable in Islam and Quran and was therefore commissioned as their Imam. At Al-Taif Al-Mughirah single handed destroyed the idol Al-Lat amidst the lamentations of a multitude of women who bewailed the loss of the idol. The city of Al-Taif and the Thaquif tribe finally submitted to Islam and with that the whole western region of the Arab Peninsula "the Hijaz" was under the banner of Islam from the Syrian Bezantine borders north to the borders of Yemen south. Many tribes from all over the Arab Peninsula sent envoys to Al-Madinah to declare Islam and proclaim fealty and allegiance to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The nineth year of Hijrah had been called the "year of deputations".

Abu Amer Al-Rahib the militant enemy of Islam was taking refuge in Al-Taif since he left Macca when the Muslims marched on the city. When Al-Taif gave in to Isalm, Abu Amer fled to Syria, and it was there that he died" a fugitive, lonely, despondent and homeless" thus fulfilling the curse he had unwittingly laid upon himself.

Abdullah Ibn Ubii Ibn Salool the cousin of Abu Amer and the head of the hypocrites at Al-Madinah, fell seriously ill during the month of Shabaan of the nineth year of Hijrah. By the month of Zu Al-Quida of the same year, it was clear that he was dying. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) visited Ibn Ubii during his sickness, and led the funeral prayer beside the grave when he had been burried. Not long afterwards the verse was revealed with reference to the hypocrites.

> "And never pray the funeral prayer over one
> of them who dieth, nor stand beside his

Urwah Ibn Massour was at the time of the siege abcent at Yemen. When he returned to Al-Taif, he closely watched and recognized the growing influence of the Muslim State, and through his inherent wisdom, realized the truth of the new creed of Islam. He went to Al-Madinah, proclaimed Islam and returned to his tribe of the Taquif to summon them to enter Islam. They refused and finally killed him. This incidence made the tribes around the Thaquif highly repungent and antagonistic to the Taquif, which resulted in insecurity of graze pastures and routes of trade convoys of the Thaquif tribe.

Like the return from the battle of Great Badre, the return from the expedition of Tabouk during the month of Ramadan of the Nineth year of Hijrah was fraught with sadness. Another daughter of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), Um kulthum had died during the absence of her husband Osman Ibn Affan with the expedition in Tabouk.

During the same month of Ramadan, the tribe of the Thaquif from Al-Taif finally decided to send delegates to Al-Madinah to discuss peace terms with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and to consider asking for certain dispensations if they were to enter Islam. They were very arrogant militant tribe who had previously killed one of their chieftains Ibn Mossoud for embracing Islam. They were hospitably received at Al-Madinah and a tent was pitched for them not far from the Mosque. Khalid Ibn Said Ibn Al-Aas was commissioned to act as intermediary spokesman between them and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

It followed as a matter of course that if they entered Islam their territory would be under the protection of the Islamic State. they requested that their idol of worship Al-Lat be kept undestroyed for three years, and when refused, they asked for two then for one year and then for a month's respite which was also refused. They finally begged not to make them destroy Al-Lat with their own hands. They further requested sanction not to perform the canonical five daily prayers. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) insisted that they should pray; saying "There is no good in a religion that has no doctrinal prayer. The Prophet (Prayers and peace from Allah upon him), however, agreed to excuse





> except to Him. Thereafter, He relented towards them that they might repent. Verily Allah is Ever-Relenting the Merciful"
> (Surat Al-Tanwbab, IX,117-118).

The congregation rejoiced, and some hastened from the Mosque to inform the three men of the Prophet's announcement that Allah had accepted their repentance. The story of the three men is extensively related in the books of Sira and the books of Hadith as narrated by Kaab Ibn Malik himself, the youngest of the three.

Some authoritative authors classify those who did not join the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) in the expedition of Tabouk into four classes of people. The first group included those who were instructed to stay to administer certain functions specified by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him); this group included Aly Ibn Abi Taleb, Muhammad Ibn Maslamah, Abdullah Ibn Um Maktoom and few others. The second group were those with true genuine excuses as the prostrate, the old, the sick, and the weepers who wept when there were no mounts available to carry them and who were too poor to afford the price of mounts. The third group included the three who were truthful and made sincere repentance, and the seven who chained themselves to the pillars at the Mosque. The fourth group were the vicious hypocrites who really deserved the wrath of Allah.

The completion of the expedition to Tabouk had great repercussions all over the whole Arab Peninsula. All the Arab tribes had entered Islam or were seriously considering this matter. The diffusion of Islam all over the Peninsula had certainly been established, and the tribal clans were making preparations to unite with the Islamic State at Al-Madinah by sending envoys and delegations to Al-Madinah to proclaim their fealty and allegiance to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and to Islam.

Among the first to consider the allegiance with Islam was the tribe of the Thaquif whom the Muslims had besieged at Al-Taif after the battle of Hunayn. The siege was lifted without the surrender of Al-Taif. One of their chieftains

them, and pray thou for them. Yerily thy proyer is a salace for them, and Allah is Hearing Knowing".

(Surat Al-Tawbah, IX,102-103).

These men were weak and succumbed to the evil temptation of staying behind without excuse, although there was good in them. To these men was held out the promise of forgiveness if they repented and took up all acts of charity to purify their souls aided by the prayers of Allah's Messenger for their solace.

Among those who with no excuse could not drive themselves with enough enthusiasm and eagrness to join the expedition were Kaab Ibn Malik, Mararah Ibn Rabie and Hilal Ibn Umayah. These men were known to be devout staunch Muslims, and their absence from the expedition to Tabouk was a surprise to all and subject to enquiry. Facing the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), they proffered no excuses, but admitted their wrong doing with blunt truthfulness. They were ordered to wait until Allah would decide their case; and to remain as outcasts with no body to speak to them. Again they were ordered to avoid their wives. Certainly these men were very severely tested and acridly challenged as to the authenticity of their faith.

For fifty days they lived in acrimonous tightness and after the dawn prayer of the fiftieth day, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) annonunced in the Mosque that Allah has relented to them. In the word of the Holy Revelation:-

"Assured has Allah relented towards the Prophet, and the Muhajereen, and the Ansars who followed him at the hour of distress; after the hearts of a party of them had nearly swerved aside; and He then relented to them, for He is unto themm most clement, Merciful.
"And He relented also towards the three who were left behind until when the earth for all its vastness was straitened for them, and their souls were straitened; and they perceived that there was no refuge from Allah



Never stand thou forth therein. Surely a mosque built from the first day on piety is more worthy that thou shouldst stand therein. In it are men who love to purify themselves and Allah loveth the pure".

(Surat Al-Tawbah, IX,107,108).

The connotation of " a mosque built from the first day on piety " refers to the Mosque of Qubaa and the Prophet's Mosque at Al-Madinah. In a more general scence, it refers to any Mosque built on piety, where purity of heart, mind, soul and body is fundamental to a true Muslim. With this Revelation, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) did not pray in the mosque and instructed Malek Ibn Al-Dukhshom, Maen Ibn Adii and Assem Ibn Adii to burn down that false mosque of "Dhirar". By this ends the story of this building originally intended to falsify truth, scheme against Muslims, and act as a centre of hypocrite activity. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) realized that the dangers of hypocrite activity were now more effective due to the spread of Islam among most tribes in the Arab Peninsula Such new converts into Islam were easy subjects deceived to be by hypocrite influence. It was important therefore to expose the real intentions of the hypocrites and antidote their poison.

After the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) settled at Al-Madinah, the matter of those who had not taken part in the expedition of Tabouk came to the stage of events. The hypocrites among these fall-outs went to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to present various false untrue excuses which were accepted while being clearly reminded that Allah knew their most secret thoughts. These numbered eighty men. Another group of seven men who were honest Muslims chained themselves to the pillars of the mosque in repentance and refused to be unchained untill Allah decreed a judgement. In this respect, the Revelation of the Holy Quran states.

"And others hae confessed their faults, they have mixed-up a righteous deed with another vieious. Perchance Allah is to relent fowards them. Verily Allah forgiving, Merciful. Take thou almo of their riches, thereby thou wilt cleanse them and purify

AFTER TABOUK

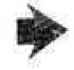
By : Dr.Anas Moustafa El. Maggav Md, Phd.

In the name of Allah most Gracious and most Merciful.

The muslim army reached a place called Zi Awan on the outskirts of Al-Madinah on its way back from Tabouk. At this place, a group of hypocrites had built a mosque similar to that the muslims had built at Qubaa at the time of the Hijrah. These men were Khizam Ibn Khalid, Mutaab Ibn Qushayr, Thalaba Ibn Hatib and several others. This mosque was built on the request of Abu Amer Al-Rahib a militant enemy to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), to become a centre of hypocrite activity against Islam. In order to confirm the apparent nature of the mosque as a place of Muslim worship, the hypocrites asked the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to perform prayer "Salat" in that mosque. This request came as the expedition to Tabouk was starting; and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) apologized and postponed the matter until the return from Tabouk, if Allah willed.

As the Muslim army reached Zi Awan where that mosque of "Dhirar" was built, the hypocrites requested from the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to bless the mosque by performing prayers in it. This time the Holy Revelation revealed to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) the true nature of the mosque of "Dhirar" with instructions not to perform prayers in that mosque. The Holy Quran in this context states:

> "And there are those who put up a mosque by way of mischief and infidelity, to disunite the believers and in preparation for one who warred against Allah and His Messenger beforetime. They will indeed swear that their intention is nothing but good; but Allah doth declare that they are certainly liars.



Al-Azhar Magazine

English Section

Safar, 1407

Vol., 59, Part II

Contents

Preparation of Prints by: Mrs. Fatimah Mohamad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION





الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
● صورة الغلاف



الميلاد .. والأمل .. والقضاء

حكمة النبوة يختار الله ـ جل علاه ـ لها من يشاء ، ويؤتيها من يشاء : فليس لبشر أن يُعِدَّ نبيا ، ولا لِعِلْمِ بَشَرٍ أن يبلغ حكمة الأنبياء .

لكن الأماني أحلام تُدير الرءوس ، وتُسكر العقول :

سأل خليفة بن عَبْدَةَ المِنْقَرى محمَد بن عدى بن ربيعة بن سَوَاءةَ بن جُشَم بن سعد المنقرى ـ رضى الله عنهما ـ : « كيف سَمَّاك أبوك في الجاهلية محمدا » ؟

قال محمد : أما أنى سألت أبى عما سألتنى عنه ، فقال :

خرجت رابع أربعة من تميم : أنا أحدهم وسفيان بن مُجَاشع ، ويزيد بن عَمرو ابن حُرقوص بن مازن ، وأسامة بن مالك ابن جُندب بن العنبر



● الجزء الثالث ●
● السنة التاسعة والخمسون ●
● ربيع الأول ١٤٠٧ هـ ●
● نوفمبر ١٩٨٦ م ●

ـ نريد ابن جفنة الغسّاني بالشام ، فلما قدمنا الشام نزلنا على غدير عليه سمرات ، وقربه قائم الدَّيرانى : فقلنا: لو اغتسلنا من هذا الماء وادّهنا ولبسنا ثيابنا ثم اتينا صاحبنا !! ففعلنا ، فأشرف علينا الدَّيْرانى ، فقال :

إن هذه لَلُغَةُ قوم ماهى بلغة أهل هذا البلد !

قلنا : نعم ، نحن قوم من مضر !

قال : من اى المضائر ؟ قلنا : من خِندف

فقال : أما إنه سيبعث منكم وشيكا نبيٌ ، فسارعوا إليه ، وخذوا حظكم منه تَرْشُدُوا ؛ فإنه خاتم النبيين !

فقلنا : ما اسمه ؟ قال : محمد .!

فلما انصرفنا من عند ابن جفنة ولد لكل منا غلام فسماه محمداً تأميلا أن يكون ابنه ذلك النبي المبعوث »

وفى الحق :

لقد كان أهل الكتاب يتحدثون عن ظهور النبى الخاتم ، وانتشرت هجرتهم إلى قلب الجزيرة العربية لعلمهم أن البعث وشيك ، وأنه فى هذه المنطقة ، معتقدين أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لابد أن يكون منهم ، مطمئنين لذلك كل الاطمئنان ، فها هى النبوة المرسلة توالت فى ذرية إسحاق بن إبراهيم ـ على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام ، منذ أكثر من عشرين قرنا فلم لا تستمر وتطاولوا يهددون العرب ويستفتحون عليهم به « وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ » . البقرة (٨٩) .

وتاريخ انتشار بعث النبى الخاتم قديم ، يضرب فى تليد الزمن إلى أكثر من قرن ونصف من قبل الإسلام ، ولعله كَثُرَ ـ فقط ـ فى الجاهلية الأخيرة التى قضى عليها الإسلام .

عندما صارت دعوى أهل الكتاب أكثر إلحاحاً وأشد تهديداً،فإنَّ ثَمَّةَ أثرا يدل على وجود التسمية معاصرة لامرىء القيس بدليل ملحمة بينه وبين : « محمد بن حُمْران بن أبى حُمْران الْجُعْفِى » وقد لقبه امرؤ القيس ـ فى خصومته له ـ بـ« الشويعر » فقال ـ يهجوه :

بَلِغَــا عَنِّـى الشـويـعـر أنـىَ عمـدَ عـينٍ حَللتهن حَـريمـا

وكان محمد بن حمران شاعراً ، وقد نال من امرىء القيس نيلا شديداً ، إذ يقول :

وقـالـوا : هجـوت ، ولم أهْجُـه وهـل يَجِدَنْ فيـك هاج مـرامـا

ويذكر أبو جعفر : محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمى البغدادى ـ فى كتابه : « الْمُحَبَّر » ـ الْمُسَمَّيْن بـ« محمد » فى الجاهلية أملا أن يكونُوهُ فَعَدَّ :

---

(١) جاءت رواية اللسان ـ مادة حمد :

بلـغـا عنـى الشـويـعـر انـى عمـد عـينٍ بكيتُـهُنَّ حَـرِيمـا

و(حريم)اسم رجل . اهـ

«محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم التميمي الدارمى .

ومحمد بن البراء بن طريف بن عُتْواره بن عامر بن ليث الكنانى .

ومحمد بن خُزَاعى بن علقمة بن محارب بن مرة بن هلال بن فالج السلمى

ومحمد بن حمران بن مالك الجعفى .... صاحب امرىء القيس .

ومحمد بن عقبة بن أحَيْحة بن الجلاح الأوسى من بنى جحْجَبَى .

ومحمد بن مسلمة الأنصارى أخو بنى حارثة .

ومحمد بن الجِرْماز بن مالك بن عَمرو بن تميم» اهـ

وعبارة ابن حبيب - رضى الله عنه - دقيقة،إذْ لم تسجل حصراً كما فعل « صاحب اللسان » الذى قال :« ومن سُمِّىَ فى الجاهلية بـ(محمد) سبعة » فأوقع الحصر فيمن ذكرهم ابن حبيب - رضى الله عنهما .

ومما يجدر التنبيه إليه - بصدد هذه المسائل وأشباهها - انها أمور لا يتعلق بها حصر ، ولا تبلغها دقة ، فالقوم - حينئذ - أميون ، وتاريخهم يتناقلونه روايات ؛ فإن علق بأحدهم حادث فدار حوله القيل والقال وتناوله الشعراء عاش فى الذاكرة ، وإلا اندثر ، فالأسلم التجاوز عن القول بالحصر ، وكذلك عن القول : بأن (فلانا) بعينه كان أوَّلَ من سُمِّىَ محمداً ؛ فلا يعلم ذلك إلا الله - جل علاه .

لقد ذهب « ابن منظور » إلى حصرهم فى سبعة أشخاص ، كذلك ذهب إلى الحصر - بوجه ما - الإمام السهيلى - فى الروض الأُنُف - إذ ذكر : « أنه لا يعرف فى العرب من سُمِّىَ (محمداً) قبل النبى - ﷺ - إلا ثلاثة ، فذكر فيهم : محمد بن أحيحة ، ومعه محمد بن سفيان بن مجاشع ، ومحمد بن حُمران . وسبقه إلى هذا الحصر (الحسن بن خالويه) فى كتاب (ليس) وقد تعقبه مغلطاى فأبلغ » اهـ .

ولنتجاوز الحصر إلى ما وقع بأيدى المحققين وبخاصة ابن الأثير - صاحب (أسد الغابة) ، وابن حجر صاحب (الإصابة) لنرى أن الأمر أوسع مما تقدم ، فهذا :

(١) محمد بن عدى بن ربيعة الذى روى له أبوه (سر التسمية) ، وقد رجح ابن حجر إسلامه ، وترجم له فى الإصابة برقم (٧٧٨٧) ، وفى أسد الغابة ترجم له ابن الأثير برقم (٤٧٤٨) .

(٢) محمد بن الحارث بن حُدَيج أَحَدُ من سُمِّىَ فى الجاهلية وترجمتة بالإصابة رقم (٨٣٦٦) .

(٣) ومحمد بن أسامة بن مالك بن جندب بن العنبر ، ووالده أحد الأربعة المذكورين فيمن قصدوا ابن جفنَة ، ترجم له ابن حجر برقم (٨٤٩٣) .

(٤) محمد بن أسامة بن مالك بن جندب - والده أحد الأربعة ، ترجم له ابن حجر برقم (٨٤٩٣) ، وقال : مات قبل البعثة .

(٥) محمد بن يزيد بن عمرو بن ربيعة بن حُرقوص ـ والده ثالث الأربعة المتقدمين لابن جفنة ، ترجم له ابن حجر برقم (٨٥٣٣) ، ولم يذكر شيئاً عن صحبته ، فكأنه كسابقه ابن أسامة .

(٦) محمد الأسدى برقم (٨٥٣٤) .

(٧) محمد الفُقَيْمى برقم (٨٥٣٧) .

ثم لا يعلم الغيب إلا الله .

وجدير بالذكر أن بعض من سُمِّىَ (محمداً) فى الجاهلية الأخيرة أسلم مثل : محمد بن مسلمة بن خالد بن عدى الخزرجى ـ رضى الله عنه ـ فهو مثل محمد بن عدى ابن ربيعة المتقدم ذكره ، وابن مسلمة ـ رضى الله عنه ـ ولد قبل البعثة بنحو عشرين سنة ، وأسلم قديما على يدى مصعب بن عمير ـ رضى الله عنهم ـ ، شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله ـ ﷺ ـ وكان سفير عمر ـ رضى الله عنهما ـ المتجول إلى عُمَّاله للتفتيش عليهم ، قال فيه حذيفة بن اليمان :

« إنى لأَعْلَمُ رجلا لا تضره الفتنة : محمد بن مسلمة »

ترجم له ابن الأثير برقم (٤٧٦١) وابن حجر برقم (٧٨٠٠) .

وليتم لهذا البحث حقه ينبغى أن أشير إلى التوصية الآتية ؛ فأقول :

إن كثيراً من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ ورضى الله عنهم حمل هذا الاسم الكريم ، ولم يُعْلَمْ ـ بقول فَصْل : هل نشأ فى الإسلام ، أم اعتنقه تاركاً للوثنية ، أعنى ـ بوضوح : هل هو مخضرم من حيث هذا الاسم الكريم فعاش به جاهلية وإسلاما . أم لا .. ؟ ثم بعد :

فقد تبخرت أحلام المتربصين الذين أسرعوا إلى هذا الاسم الكريم رجاء النبوة ، ولم يكن إلا أمر الله الذى يؤتى الحكمة من يشاء ، فهو ـ جلا علاه ـ الذى اختار سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمى القرشى ـ ليكون هو محمداً الخاتم ﷺ .

ولم يكن يبدو لأحد ، ولا للبيت الهاشمى نفسه أن النبوة ستشرق فيهم ، وأن آمنة بنت وهب فازت بالحمل العظيم الذى اهتز لولادته عرش كسرى وخمدت نيرانه ، وازدان الكون لمولده ، وعاش فى الناس إلى أبد الآبدين .

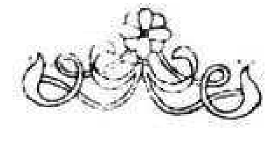
د. على أحمد الخطيب

المراجـــع :

أسد الغابة لابن الأثير طبع الشعب ـ الجزء الخامس .
الإصابة لابن حجر طبع مكتبة الكليات الأزهرية ـ التاسع والعاشر .
المحبر لابن حبيب البغدادى ـ دار الآفاق الجديدة بيروت .
لسان العرب مادة حمد .

مع الإمام الأكبر

رائد الهدى



واقع الأمة الإسلامية

ولد الهدى

هذا الانسان خليفة الله في أرضه : تتابعت أجياله ، وتشعبت قبائله ، وإنه ليطغى أن رآه استغنى ، ثم يجار ويلوذ خاشعا خاضعا منيبا حين تقف به مواهبه ومآربه ، وتنسد في وجهه الطرق والفرج ، ويضل ويزل حين تستعبده شهواته ونزواته ؛ إلا من رحم الله سبحانه الذي تعهد الانسان بالهداية عصمة له من الغواية ؛ بإرسال الرسل مبشرين ومنذرين يبلغون رسالات الخالق إلى هذا الانسان ليستقيم على طريق الله الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى . حتى إذا كثر جحوده لخالقه ، وسادت حيوانيته ؛ وصارت حياته ظلما ، وظهر الفساد في الأرض بما كسبت أيدي الناس ؛ كانت رحمة الله وغوثه لهذا الانسان ، وكان أن : ولد الهدى فالكائنات ضياء : فهو ـ ﷺ ـ : الحقيقة الكبرى للانسانية المستخلفة في الأرض ، تستمد الأجيال المتعاقبة من هديه نورا يضيء لها آفاق الحياة « وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾ .. سورة النمل ـ آية ـ ٩٣ ـ

في ذكرى مولد الرسول محمد ﷺ نذكر أن الله قد أكرم به الانسانية حيث جعله نورا يهتدي به ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ. يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ . سورة المائدة ـ آية ـ ١٥ ، ١٦ ـ

أدبه الله وعلمه كيف يتعامل مع خلائق الانسانية المتغايرة بل والمتنافرة ، فأنزل عليه قوله : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ . سورة الأعراف ـ آية ـ ١٩٩ .

سُموًّا برسول الله ﷺ عن عثرات الناس ، وقصور معارفهم وإدراكهم لتعظيم قدره ، وعلو منزلته ، حيث كان من سمة العظماء أن ينأوْا عن الصغار والصغائر وأن تبرز خصائص النفوس الزاكية عند جهل الجاهلين .

هذا النبي الذي حباه ربه بنعمه ، ففضله على جميع خلقه ، وكرمه وأكرمه بميزات لم يعطها غيره من الأنبياء والرسل ـ عليه وعليهم الصلاة والسلام ـ ، وبما لاطفه به وواساه ، وامتدحه وأثنى عليه ، وبما كمل به محاسنه خَلْقا وخُلُقا ، وبما أضفاه عليه من أسمائه : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ . سورة التوبة ـ آية ١٢٨ .

وقد جعله الله أمانا لأمته . ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

يستغفرون ﴾ . سورة الانفال ـ آية ٣٣ .

ولقد تكفل الله بحفظه وحمايته ﴿ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ سورة المائدة ـ آية ٦٧ ـ كما تكفل بحفظ دينه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ . سورة الحجر آية ـ ٩ ـ

نعم : كرمه الله وأكرمه : فلم يخاطبه باسمه كما خاطب السابقين من الرسل ؛ بل قال الله في خطابه : ﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ . سورة المائدة ـ آية ٦٧ ـ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ ﴾ . سورة الانفال ـ آية ٦٤ ـ آيات كثيرات تعطى كرامته وتكريمه من الله ، بينما قال الله لغيره من الانبياء ﴿ يا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا ﴾ سورة هود ـ آية ـ ٤٨ ـ ﴿ يا مُوسَى إِنِّ أَنَا اللهُ ﴾ . سورة القصص ـ آية ٣٠

وأدب الله في قرآنه أمته في الحديث معه وعنه تشريفا وتوقيرا ، واحتراما له وتقديرا فقال : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ .. سورة النور ـ آية ٦٣ ـ ونهى عن رفع الصوت فوق صوته ﷺ فقال الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِين آمنوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ. إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ. إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ . وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ . سورة الحجرات ـ ٢ : ٥ ـ

ذلك حكم الله وتأديبه فما بال بعض الناس في هذا العصر يغفلون عن هذا الأدب القرآني مع الرسول ﷺ ، حتى استباحوا ذكر اسمه الشريف مجردا من لقب الرسالة والنبوة ، وما بالهم قد رفعوا أصواتهم ، وأطلقوا ألسنتهم ، وشرعوا أسنتهم يغتالون سنته ويغتابون سيرته ، وينكرون ما ثبت ، ويصرفون المسلمين عن الأسوة به والاستمساك بدينه .. ما بال هؤلاء يتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول ، ويتنادون بهجر السنة والسيرة والتشكيك فيهما ، وما بال بعض الصحف والمجلات قد سودت صحائفها بترويج هذا الافك والبهتان يلبسون الحق بالباطل ألا فليعلموا أنهم مسئولون عن حصائد ألسنتهم وأقلامهم و ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ سورة الفجر ـ آية ١٤ ـ

البقية ص ٣٣٧

واقع الأمة الإسلامية المعاصر

في حوار مع الإمام الأكبر شيخ الأزهر

على مدى أكثر من ألف واربعين سنة خلت من الزمن قام الأزهر الشريف بدور عظيم في خدمة الاسلام والمسلمين ، وإعلاء راية التوحيد ..

ومن الأزهر خرج رجال غيروا وجه الحياة المعاصرة ، ورفعوا لواء العدالة ، ولا يزال الأزهر الشريف ـ على العهد به ـ الكعبة العلمية التي تشد إليها الرحال

والأزهر بماضيه المشرق يعايش كل صغيرة وكبيرة تمر بها الأمة الإسلامية وإذا كان حاضر الأمة الإسلامية يحوى المتناقضات ، وينم عن اضطراب شديد ، وخلل في موازين عديدة فهناك جوانب أخرى مشرقة تحتاج إلى دعمها للوصول من خلالها إلى تحقيق عزة المسلمين وقوتهم ، وسيادتهم .

ومن هنا كانت الانطلاقة لبدء الحوار مع فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر :

○○ قلت للإمام الأكبر شيخ الأزهر :

يعيش المسلمون في الحاضر صحوة إسلامية تتجلى في المطالبة بالأخذ بالحل الإسلامي للقضاء على المشكلات التى تراكمت نتيجة الانغماس في العمل بالمذاهب الوضعية .. فما الطريق إلى استمرارية هذه الصحوة ؟

■ **يقول فضيلته :**

ـ الإصلاح يبدأ دائماً بالتعرف على مواطن العلة .. شأننا في ذلك شأن الطبيب الذى يجتهد في علاج مريضه ، فهو قبل أن يصف الدواء لابد له من التعرف على مواطن الداء .

وهكذا ينبغى أن يكون قادة الصحوة الاسلامية في مستوى معرفى يتيح لهم الوقوف على أدواء المسلمين ، ومن ثم التوجه نحو علاجها ، وتخليص المجتمعات الإسلامية منها .

ولعل أبرز أدواء المسلمين المعاصرة هى الفرقة والتمزق والخلافات التى تطفو على سطح العلاقات في العالم الإسلامى بين الحين والحين .. وهى خلافات ليست عميقة الجذور في نفوس الناس ، فالأمة الإسلامية ـ والحمد

---

(١) عن الوعي الإسلامي ـ العدد ٢٦٥

أجرى الحوار
محمد الدسوقى محمد

لله - بخير ، وترعى فيما بينها - إلى حد كبير - قول الله تعالى : « اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ » . والمسلمون فى الحاضر بخير ، ذلك أنهم يقومون بفروض دينهم وشعائره فى حدود الاستطاعة بعد أن انتهت - فى الغالب - حالة التبعية للدول الاستعمارية . تلك التبعية التى أثقلت كاهل المسلمين بالمشكلات ، وضاعفت آلامهم زمناً طويلاً .

غير أن هذا الاستعمار ما زال مسيطراً فكرياً على الأمم أو الشعوب الإسلامية ، وقد كان المستعمرون متفاوتين فى درجة السيطرة الفكرية لكنهم تركوا أثراً سيئاً يتمثل فى وجود مدارس ثقافية متعددة فى العالم الإسلامى .. وهى كلها مدارس وضعية لا تتلاقى مع القيم والمبادىء الاسلامية السامية .

وهذا هو الذى أحدث هذه الفرقة الفكرية ، بل والفرقة السياسية أيضاً ، فإذا أردنا لهذه الصحوة - التى لا جدال فى أنها واقع - أن تستمر رشيدة ، وأن نصل من خلالها إلى الغاية الكبرى فى تحقيق قوة المسلمين ، وعزتهم ، وسيادتهم فلابد من العمل المخلص والجاد من أجل تنقية الصفوف ، واستقامتها .

ولابد من الالتقاء على قدر كبير ومشترك من الفكر فى المجالات الحياتية المختلفة من اقتصادية ، وسياسية ، وعسكرية ، وإجتماعية ، ونحوها .. ولن يتحقق هذا الإلتقاء الفكرى فى مختلف القضايا التى تواجه المسلمين إلا بالعودة إلى المنابع الإسلامية الصافية .

إن العودة بالمسلمين إلى إسلامهم الصحيح اخذا بمنهاج القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ضرورة عصرية تقتضيها الحياة الحاضرة بما حوت من أزمات ومشكلات لا خلاص منها إلا بمنهج الإسلام الحنيف .

وأؤكد أن العودة بالمسلمين إلى أصولهم الحقيقية ، ومنابعهم الصافية أمر ضرورى . ويجب أن نعمل لبلوغه تحقيقاً لمكانة الأمة الإسلامية التى جعلها الله تعالى باستمساكها بشرعه الحنيف خير أمة .. قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ آل عمران / ١١٠ .

والقواعد والأصول الإسلامية ثابتة صالحة للأخذ بها فى كل مكان ، وفى كل زمان ولا يضير المسلمين أن تكون الفروع المختلفة ، ذلك أن اختلاف الفروع وتجددها إنما هو تميز حتى تحتوى الأحكام الاسلامية كل جديد فى الحياة عن طريق خاصية « الاجتهاد » وبعمل ومثابرة العلماء والمفكرين والمجتهدين .

واستمرارية الصحوة الإسلامية تتطلب إعادة النظر فى كل ما تقدمه أجهزة الإعلام فى



ديار المسلمين ، فلابد من الإقلاع عن مجاراة ومحاكاة الإعلام غير الإسلامى فيما يقدم من مواد وبرامج تدعو إلى الإباحية والإلحاد .

تقويم اقتصاد المسلمين

○○ **وأسال فضيلة الإمام الأكبر :**

يتخذ البعض من العلاقات الإقتصادية بين المسلمين وغير المسلمين تكأة لعرقلة التوجه الإسلامى المعاصر والحيلولة دون بلوغ المسلمين لغايتهم السامية فى الاحتكام لشرع الله ، إذ يلوحون بأن اقتصاديات المسلمين ستنهار نتيجة إنصراف غير المسلمين عن التعامل مع المسلمين على الأسس الإسلامية .. فكيف ترون هذه المزاعم ؟

■ يجيب فضيلته بقوله :

لماذا نبادر إلى الذيل ونترك الرأس ؟.. لابد أن نتوجه إلى إصلاح الراس أولاً حتى يستقيم السلوك وليستقيم الناس فى اخلاقهم الخاصة ، ومن ثم تقوى روابط الأخوة بين المسلمين أجمعين .

نريد أن ننقى صفوفنا من المخالفات ، والمتناقضات مع أحكام الله سبحانه وتعالى على مستوى الأفراد والجماعات والشعوب ثم يأتى بعد ذلك دور البحث فى المشكلات الاقتصادية المتشابكة مع غيرها لنعمل على تقويمها واستقامتها مع أحكام الدين الحنيف .

ونحن لا نفرض تحريم الربا على غيرنا ، وإنما نفرضه على أنفسنا ، ولابد من أن تكون معاملات المسلمين فيما بينهم فى نطاق شرع الله سبحانه وتعالى .

والحقيقة أن المسلمين بأيديهم أن يقضوا على مشكلاتهم وأزماتهم الاقتصادية المعاصرة متى خلصت النيات ، وقويت العزمات ، وأحسن التوجه نحو تحقيق خير المسلمين بالتكامل فيما بينهم ، فالأمة الاسلامية ـ بفضل من الله تعالى ـ تملك مقومات هذا التكامل . غير أن الخلافات والمشكلات التى يعيشها المسلمون الآن تقف حجر عثرة فى طريق تحقيق هذا التكامل الذى سيدفع حتماً بالأمة إلى مكانة رفيعة بين الأمم .

والعودة إلى أحكام الإسلام ، والعمل بشريعته لن يضر مطلقاً بالجانب الاقتصادى فى ديار الإسلام ، ويكفى لتوكيد ذلك أن نتذكر معاً أن حياة القرشيين الإقتصادية كانت تقوم فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم على التبادل التجارى مع القبائل المجاورة ، ومنها غير المسلمين ـ وتنزل آيات القرآن الكريم لتقضى بمنع المشركين من دخول البيت الحرام ، ومثل هذا ولد شيئاً من الخوف من انهيار الناحية الاقتصادية فى قريش لدى البعض غير أن القرآن الكريم أزال هذا الخوف وأكد أن الغنى الحقيقى إنما هو فى رضوان الله عز وجل ، قال تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ التوبة / ٢٨ .

إن تطبيق أحكام الله تعالى يمثل الغاية السامية والكبرى التى تتبعها عزة المسلمين، وقوتهم، وسيادتهم.

دحض عمليات التنصير

○○ **قلت:**

العمليات التنصيرية تزداد وتشتد ضد التجمعات الإسلامية فى كثير من البلاد التى تعانى من النكبات والأزمات، وتعيش ظروفاً غير عادية، لدرجة أن القائمين على تلك العمليات لم يجدوا حرجاً فى أن يعلنوا أن زيارة «بابا روما» الأخيرة لعدد من دول أفريقيا كانت لإيقاف المد الإسلامى.. ترى ما واجب المسلمين فى مواجهة تلك العمليات.

■ **يقول فضيلة شيخ الأزهر:**

- ينبغى فى هذا المجال أن تكثف جهود القائمين على أمور الدعوة الإسلامية على المستوى العالمى المعاصر فى البلاد التى يوجه أعداء الإسلام إليها أنظارهم وجهودهم، وعلى الدعاة أن يعملوا على إحياء روح التواصل بين الشعوب الإسلامية تحقيقاً ودعماً لروح التناصر فيما بينها لمواجهة تلك الأمور المؤلمة التى تقوم على إنتهاز الفرص، واستغلال الأحداث الطارئة.

ومن المؤسف أن بعض الدول الأفريقية فى الحاضر يبلغ عدد المسلمين فيها نسبة عالية تمثل الأغلبية، ومع ذلك تجدها لا وجود لها لضعفها داخلياً، ولفرقتها شأنها فى ذلك شأن الأمة الإسلامية كلها.

والمأمول أن تنشط جهات الدعوة الإسلامية وتتكامل، ذلك أنه لا يمكن أن تتحقق قوة المسلمين، أو عودتهم إلى وحدتهم فى الكلمة والصف إلا إذا سار عمل الدعاة سيراً متوازياً مع المشكلات المعاصرة، بحيث يحسن الدعاة اختيار طرق وأساليب الدعوة التى تصلح لكل قطر أو بلد أو مجتمع.

والعمل لدفع عمليات التنصير عن الشعوب الإسلامية ليس مهمة العلماء وحدهم، فالعلماء مهمتهم تنتهى عند الكلمة لكن الحكومات لها فى هذا المجال دور كبير.. وحين اذكر أجهزة الدعوة إنما أعنى كل من يحمل العبء ويضطلع بالمسئولية تجاه نشر الإسلام وفى المقدمة الحكومات الإسلامية.

والعمليات التنصيرية كثيرة ومتعددة ولابد من مواجهتها بالعمل الجاد الحريص على الإبقاء على الخير فى النفوس الإسلامية، ولابد من التكامل والتعاون بين مختلف المؤسسات والمنظمات الإسلامية فى هذا المجال.

أمة المسلمين واحدة

○○ **واسأل فضيلة شيخ الأزهر:**

تعانى الأقليات الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها من ظلم واضطهاد السلطات غير الإسلامية لا لشىء إلا لردها عن دين الله تعالى ورغم الصيحات المستغيثة لهذه الأقليات فلا عمل للأمة الإسلامية يرفع الظلم أو ينهى الاضطهاد.. فما تعليقكم على هذا؟

■ يجيب فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق :

- إن الإسلام الذى ندين به والقرآن الذى أنزله الله هادياً للتى هى أقوم قد جعل المسلمين أمة واحدة ، وقد حرص نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم على تأكيد أخوة المسلمين فقال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » رواه أحمد .. وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً : « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم » رواه الترمذى .

وهذا هو القرآن كلام الله يتلى علينا وفيه قوله تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) الحجرات / ١٠ .. وقوله تعالى : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا) آل عمران / ١٠٣ .

إن الإسلام بنى أمة متحدة ، ومجتمعا مترابطا يتواصى بالخير وبالحق وبالصبر .. ذلك المجتمع الذى وصفه رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام بقوله : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه أحمد ، وبقوله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » متفق عليه .

هذه توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة إلى ما ينبغى أن تكون عليه مسئولية الشعوب الإسلامية بعضها تجاه بعض . إذ لابد من قيام العلاقة بين هذه الشعوب مهما اختلفت لغاتها وألوانها ومواقعها على أرض الله .. ولابد أن تكون العلاقة علاقة تعارف شامل وتقارب إلى درجة الانصهار فى بوتقة واحدة حيث مثلها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجسد الواحد .

ومن أوليات ما ينبغى الاهتمام به بين الشعوب الإسلامية التعاون والتناصر والتعاضد للوقوف ضد أولئك الذين اتخذوا بلاد الإسلام هدفاً لغزوهم وأسلحتهم واضطهادهم ، وذلك بوصفهم مسلمين مستمسكين بقيم وتعاليم وأحكام دينهم الحنيف .

إن الأمر خطير .. ولقد آلمتنا الأنباء المفزعة عن القتل والتدمير والتشريد للمسلمين فى بلغاريا وغيرها .. تلك الأنباء التى رددتها بعض الصحف فى بلاد العرب والمسلمين على استحياء وكأن الأمر لا يعنى هذه الأمة شعوباً وحكومات وحكاماً بينما تفيض أنهار الصحف بالغث من الأخبار والحوادث .

لقد أخرست وسائل الاعلام العربية والإسلامية على اختلاف أشكالها وألسنتها ، وألوانها - إلا القليل - عن فضح هذه المخازى ونشرها على الشعوب الإسلامية بل وعلى العالم كله . بينما توافقت الصهيونية والشيوعية على القضاء على الأقليات الإسلامية تنقض عليها واحدة بعد الأخرى .

إن تصفية هذه الأقليات عار وإثم كبير يلحق بالعالم الإسلامى ، وهو مسئول عما يحدث الآن للمسلمين فى بلغاريا وغيرها من

الدول إن منظمة المؤتمر الإسلامى مسئولة مسئولية كبرى عن تحريك الشعوب الإسلامية وحكوماتها وحكامها للوقوف ضد هذه الاغتيالات الجماعية للمسلمين فى بلغاريا والفلبين وتايلند ، وجنوب أفريقيا وغيرها .. وهى مطالبة بفضح هذه الاعتداءات .

أين حقوق الإنسان وحرية العقيدة التى يتشدق بها الغرب والشرق على حد سواء ؟ أين مجلس الأمن ؟ وأين هيئات الأمم المتحدة المتخصصة وجمعيتها ؟

● إن الأزهر الشريف طالب منظمة المؤتمر الإسلامى بتحمل الأمانة بالتحرك السياسى باسم شعوب المسلمين لحماية الأقليات الإسلامية فى تلك البلاد من القتل والتشريد ، ومن تأييم النساء ، ويتم الصغار ، ومن إفساد العقيدة ، ومن الاكراه على الخروج من الإسلام بالتعذيب والتغريب والقتل .

وعلى المسلمين أن يتذكروا كيف قامت شعوب أوروبا وأمريكا بل وحكوماتها ضد إحدى دول أوروبا الشرقية حين ناهضت المسيحية والمسيحيين فيها ، وانتصرت هذه الشعوب وحكوماتها المسيحية ضد الشيوعية فهل أنتم فاعلون أيها المسلمون .

● إن النداءات تتعالى ضد التفرقة العنصرية فى جنوب أفريقيا وغيرها وأولى بالحكومات الإسلامية أن تتنادى بحماية الأقليات الإسلامية وأن تتبنى هذه القضية فى المحافل الدولية ، وهذه من أولى مهام المسلمين ، ولو أحسنت الأمة الإسلامية التوجه نحو تحقيق وحدتها وقوتها لاستطاعت أن تبسط حمايتها على المسلمين الذين يعانون من الظلم والاضطهاد على أيدى غير المسلمين .. إننا نجد أية دولة من الدول الكبرى تمد نفوذها لحماية رعاياها فى أى مكان لكن تمزق الأمة الإسلامية يحول بينها وبين تحقيق ذلك ، بل لعلى لا أبالغ حين أقول إن الأقليات الإسلامية تكتوى بنار فرقة المسلمين وخلافاتهم ففرقة المسلمين هى التى أضرت بالأقليات الإسلامية .

حماية الشباب من الغزو الفكرى

○○ قلت :

يتعرض الشباب المسلم لعمليات غزو فكرية متعددة تهدف إلى تذويب هويته الإسلامية وإحلال الصور البالية من التبعية الفكرية الهدامة للشرق أو الغرب محلها .. وهذا من شأنه أن يصيب الأمة الإسلامية فى شبانها الذين يمثلون الأمل والمستقبل .. فما الطريق للوصول بالشباب إلى شاطىء النجاة ؟

■ يقول الامام الأكبر فى معرض إجابته على هذا التساؤل

● المؤلم فى الحقيقة أن وسائل الأعلام فى بلاد المسلمين تبث وتنشر على الناس كل ما من شأنه أن يساعد ويساند القوى الأخري التى تروج للأفكار الفاسدة ، والآراء الوافدة على ديارنا ، والثقافات التى لا تصلح لشبابنا ، ولا تفيدنا فى شىء .. ولذا فإنه من الضرورى أن يتوجه القائمون على هذه الأجهزة إلى الأخذ بالثقافة الإسلامية لتقدم للناس ما يصلح حالهم ويدلهم على الطريق المستقيم .

وينبغى للقائمين على التعليم فى ديار الإسلام أن يعيدوا النظر على وجه السرعة فى المناهج الحاضرة لتوفير المزيد من العناية بتدريس مادة التربية الإسلامية أو الثقافة الإسلامية بحيث تكون للقرآن الكريم الدور الأعلى والأسمى فى التربية فى مختلف مراحل التعليم .

إننا حين نفعل هذا نكون قد أزلنا هذه التقلصات الفكرية الموجودة بين شبابنا والتى تظهره على أنه يعيش فراغاً دينياً شديداً .

أما تلك الجرعات البسيطة التى تعطى للطالب فى مراحل التعليم الأولى ثم تنقطع عنه فى مراحله العليا ، وفى الوقت الذى يتفتح فيه عقلياً لكل المعلومات والمعارف فإنها ليست كافية للحد من الدور المؤثر لتلك الوسائل المغرية التى تعمل لخدمة المذاهب الدخيلة على ديارنا .

ومن عجب أن المذاهب المعاصرة سواء أكانت اجتماعية ، أم سياسية ، أم اقتصادية لها نشراتها وكتبها وإذاعاتها ووسائلها الميسورة والجذابة .. فى حين نجد أن الثقافة الإسلامية غائبة لا يقوم عليها أحد ، وهذا من شأنه أن ينفر المتخصصين من العمل لها .

ووسائل الإعلام التى تملكها الدول الإسلامية - ولا أعنى دولة معينة - لا تعنى بعرض أو تقديم الثقافة الإسلامية .. اللهم إلا فى القليل من برامجها .

ومن هنا يجدر بنا أن ندعو تلك الأجهزة إلى العناية بعرض المبادىء الإسلامية بكثافة خاصة إننا فى هذا العصر ندرك يقينا ما لأجهزة الإعلام الحديثة من أثر قوى فى نفوس الناس .

لابد أن تتوجه هذه الأجهزة إلى تذكير الناس دائماً بما يصلح من شئونهم فى شتى أمور حياتهم ، وينبغى أن يتوجه المسلمون إلى الاستفادة بهذه الأجهزة لخدمة الدعوة الإسلامية ، فليس معنى نجاح أعدائنا فى استخدامها لخدمة الشر أن نرغب عن تطويعها للخير ، وإنما معناه أن نجتهد لنجعل منها أدوات ووسائل لبذر الخير ، وإصلاح شئون الناس فى الدنيا والآخرة .

ولابد أيضاً من قيام كافة الأجهزة داخل ديار المسلمين بالعمل لتنمية الإلتزام بالأخلاق والمبادىء الإسلامية لدى الشباب المسلم طواعية ، واختيارا عن طريق تجلية حقائق الدين الحنيف ، وشرح قضايا الشباب وإبراز الحلول الإسلامية الناجعة لها .

والذى لا يخفى على أحد ، ولا ينكره إلا جاحد أو مكابر أو جاهل أن حلول المشكلات العالمية المعاصرة موجودة ، وجاهزة فى الإسلام بما حوى من أحكام وقيم ومبادىء ، ذلك أن الإسلام يتميز على غيره من الديانات التى سبقته ، وعلى النظم والمذاهب والنظريات الإجتماعية والسياسية والإقتصادية الحديثة والمتضاربة التى تسود العالم المعاصر ، والتى يقدمها مبتدعوها إلى العالم الإسلامى كثقافة عالية ليوقعوا الخلل فى صفوف المسلمين ، وليصرفوهم عن التماس علاج عللهم فى الدين الحنيف وفى مصدريه الأساسيين القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

إن الإعلام الخارجى يوجه سمومه إلى الشباب المسلم باعتباره مستقبل الأمة بغية

إفراغ صدورهم من قيم الإسلام وأحكامه ، ولتحل محلها أفكار خبيثة من شأنها إحداث فرقة بين المسلمين ، وهذا يحتم أن تكون للمسلمين وقفة لمواجهة هذا كله .

الأزهر يمد يد المعاونة للجميع

○○ قلت لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر :

برغم تعدد المنظمات والمؤسسات والجمعيات القائمة على أمر الدعوة الإسلامية فنحن نلحظ أن فكرة الغرب عن الإسلام لا تزال يشوبها بعض الخلط ، ويعتريها بعض التشويه .. فهل ترى أن هناك حاجة لتوحيد عمل تلك الجمعيات والمنظمات تحت إشراف هيئة واحدة مثل الأزهر الشريف ؟

■ يقول فضيلة الشيخ جاد الحق :

- نحن لا نطالب إطلاقاً بأن يفرض الأزهر نفسه على أية جهة من الجهات العاملة فى حقل الدعوة الإسلامية ، ولكن الأزهر دائماً يؤكد أنه يمد يد المعاونة والتكامل مع كل الجهات . ونحن نطلب الحد الأدنى الذى يمكن أن يقبل وهو التكامل بين المنظمات والمؤسسات القائمة على نشر الإسلام الحنيف .

لقد أصبنا فى عصرنا هذا بداء حب الذات ، والإعلام عنها بشتى الطرق ، فكل جهة تريد أن تعلن على الناس أنها تعمل ، وفى أحوال كثيرة يسبق الإعلان عن العمل تحقيق العمل نفسه .

ولابد فى الحاضر من التوجه نحو التكامل - لا مجرد التنسيق بين المنظمات والجهات القائمة على أمر الدعوة الإسلامية حتى يخرج العمل منتجاً ومثمراً فى هذا المجال .

ويتساءل الإمام الأكبر شيخ الأزهر : ماذا يضر لو عمل عالم الأزهر مع الجهة التى تستطيع أن تقدم المعونات المادية .. وبهذا نضمن وجود الكلمة مع المساعدة المادية ؟.. وماذا يضر لو قامت المؤسسات الغنية ببناء المؤسسات التعليمية فى البلاد التى تحتاج إليها ، ثم يوفد الأزهر مبعوثيه - على نفقته - لتعليم أبناء المسلمين فى هذه المؤسسات الجديدة ؟ أعتقد أن التعاون بين المنظمات القائمة على الدعوة الإسلامية لن يضر بأحد ، أو بمنظمة من المنظمات ، وإنما سيفيد فى مجال الدعوة فائدة عظيمة ما أحوجنا إلى الوصول إليها .

والأزهر يعلن - من خلالكم - استعداده التام للتعاون مع كل الجهات القائمة على أمر الدعوة الاسلامية فى شتى أنحاء العالم ، والأزهر لا يتعامل مع الحكومات وحدها ، وإنما يتعامل مع الشعوب ذاتها أيضاً ، فالجمعيات التى ترسل إلينا فى طلب مدرسين أو دعاة نرسل إليها بما يسد حاجتها ما دمنا نجد فى هذا فائدة تعود على المسلمين .

أكرر مرة أخرى .. الأزهر لا يفرض نفسه على أحد ولا هيئة أو جمعية ، ولا يطلب زعامة من نوع معين ، وإنما يطالب بضرورة التوجه نحو إيجاد تكامل بين الجهات القائمة على الدعوة الاسلامية فى سائر أنحاء العالم .

الحاجة ملحة للمعالجات الاسلامية

○○ وأسأل فضيلة شيخ الأزهر :

كيف ترى حاجة المجتمعات الإسلامية المعاصرة إلى القدوة القابلة للتقليد والمحاكاة والمسايرة على طريق دعم التوجه الاسلامي المعاصر ؟

■ يقول :

- فى الواقع هذا أمر على درجة كبيرة من الأهمية بعد أن أكثر الناس فى مجال الوعظ العام ، وأسهبوا فيه .. ذلك أن تقديم الممارسة العملية للناس من شأنه أن يكون اقوى فى التأثير ، ولذا أرى أن الدعاة مطالبون بأن يقدموا من انفسهم ومن ممارساتهم نماذج عملية لما يدعون إليه من مثل عليا وأخلاق فاضلة وقيم سامية .

ونحن على مستوى الأمة - أفراداً وجماعات - علينا أن نقدم مؤسسات تلتزم بهذا الدين ، وتقدم ممارسات تبين فاعليته فى التأثير وصناعة الحياة .

هنالك مجال واسع لاقامة مؤسسات تبين فاعليته فى التأثير وصناعة الحياة .

هنالك مجال واسع لاقامة مؤسسات تقدم للناس ما يشبع حاجاتهم اليومية فى إطار إسلامى ، فعند تقديم المعالجات والحلول فى إطار إسلامى سوف يكون الأثر عظيماً فى جذب الناس للإسلام .

إن هذا الانسان الذى قامت مؤسسة إسلامية بتأمين فرصة التعليم له على أعلى المستويات ، والذى أشبعت حاجاته المادية الملحة عن طريق مؤسسات إسلامية لاشك فى أن استمساكه بالإسلام سيكون أقوى لأنه رأى القدوة فى كثير من الممارسات داخل المجتمع سواء أكانت هذه الممارسات فردية أم جماعية .

● **على المسلمين ان يتيقظوا .. فالاستعمار الفكرى هو البديل الجديد للاستعمار العسكرى !!**

نحن بحاجة إلى وجود القدوة على المستوى الفردى ، وبحاجة إلى مؤسسات تقدم هذا الدين فى مستوى معالجات متكاملة لواقع الحياة ، وهذا - بعون الله تعالى - سوف يقود إلى مزيد من المؤسسات ومزيد من العطاء ليلتزم المجتمع بكل قطاعاته بأحكام الشريعة الإسلامية ، ومن ثم تكون للأمة الإسلامية مكانتها التى اختصها الله تعالى بها .. قال تعالى : (**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**) **آل عمران** / ١١٠ .

الاسلام أمن .. وأمان

○○ كلما ذكرت الشريعة الاسلامية حلا للبعض ان يضع فى طريقها المعوقات ، ولعل اخطر ما ظهر فى الآونة الأخيرة ذلك السيل من الكتابات التى قصد منها إلى التقليل من شان الشريعة وصد الناس عنها . فكيف ترون هذه العراقيل ؟

■ يقول الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر :

- أثار موضوع تطبيق الشريعة الإسلامية حواراً ارتفع صوته ، وعلا صراخه ، حتى جاز أن نسميه جدلاً خرج عن الجادة ، وانحرف عن الهدف ، فصار قضية ساخنة ومثيرة

البقية ص ٣٩٧

دراسات إسلامية

محمد خاتم النبيين ورحمة الله للعالمين

أصحاب اليمين وأصحاب الشمال

ابن حزم الأندلسي

محمد خاتم النبيين

ورحمة الله للعالمين

صلى الله عليه وسلم

قال تعالى « مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ » .. وقال سبحانه « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » .

البيـــان

في صبيحة اليوم الأغر الثاني عشر من ربيع الأنور ، استقبل الزمان محيا طفل وسيم ، يسر مرآة القلوب ، ويؤنس وجهه الأرواح ، ويُقَرُّ سناه العيون .

ولم يكن في جملة مستقبلية والده عبد الله ، فقد رحل إلى ربه والحبيب في بطن أمه ، فأقبل على دنياه يتيماً ، ثم لم تلبث أمه الشابة الحسيبة النسيبة أن لحقت أباه ، فنشأ فاقد الأب ثاكل الأم ، ذلك الوليد الذي عنيناه هو محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

والأيتام عادة لا يقام لهم وزن ، ولا يهتم بتربيتهم ، وبخاصة من حرموا أمهاتهم ، فينشئون على أخلاق ليس لها ضابط ، ولا يتجهون فيها غالبا إلى الكمال ، لحرمانهم عطف الآباء ، وحرصهم على تجميل سجاياهم ، وبفقدهم حنان الأمهات وفائق رعايتهن .

لكن محمداً اليتيم لم يكن على أي نحو من الضياع والحرمان ، فإن العناية الإلهية ادخرته أزلا ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين ، وهادياً للعالمين ، ورافعاً لواء التوحيد والأخلاق الفاضلة بين الناس أجمعين ، فلذا كفلته بأجمل رعاية ، وربته على أكمل المناهج ، وسلكت به سبيلا من الأخلاق كامل الاستقامة ، ينتهي بصاحبه إلى تحمل أعظم التبعات فنشأ في صباه وفي شبابه على أعلى مستوى من المعايير الخلقية الفاضلة ، في صفاء النفس وطهارة الضمير وعلو الهمة وكمال السلوك ، فما حدثت منه كبوة ، ولا حدثته نفسه العظيمة بصبوة ولا بنبوة .

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

طهارة أصوله

كان صاحب الذكرى العطرة رفيع الحسب، جليل الأرومة طاهر الأصول، إذ تبرانسبه الشريف من سفاح الجاهلية، ولم يعرف لوليد سواه مثل آبائه الغر الميامين، في علو الهمة ومحاسن الشيم.

عن علي كرم الله وجهه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي، ولم يصبني من سفاح أهل الجاهلية شيء»[1].

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لم يلتق أبواي قط على سفاح، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة، لا تنشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما»[2].

وفي صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم».

اليهود كانوا يتوقعون ميلاده

كانت الكتب السماوية تبشر بقرب ميلاد رسول من بنى اسماعيل، موطنه وادي فاران بالحجاز، وقد جاء بتلك الكتب علاماته، ومنها خاتم النبوة بين كتفيه، وكان اليهود يتوقعون ظهوره في الفترة التي ولد فيها، وكانوا أيام حروبهم مع الأوس والخزرج يستفتحون به عليهم ويتوعدونهم بأنهم سيبادرون بالايمان به، ويقتلونهم معه قتل عاد وارم، ولكنهم كفروا به، وسارع الأوس والخزرج إلى الايمان به بعد حرب بُعَاث الشهيرة، وفي ذلك يقول الله تعالى في سورة البقرة «وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ

(١) الحديث من أول قوله: «خرجت من نكاح» إلى قوله .. «ولدني أبي وأمي» أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ـ كتاب علامات النبوة ـ باب: في كرامة أصله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعزاه للطبراني في الأوسط: عن علي. وفيه: محمد بن جعفر بن محمد بن علي ـ صحح له الحاكم في المستدرك، وقد تكلم فيه، وبقية رجاله ثقات. ا. هـ مجمع الزوائد جـ ٨ ص ٢١٤، طبع دار الكتاب العربي. وأخرجه الإمام السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور وفيه «ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء» وعزاه لأبي عمر العدني في مسنده، والطبراني في الأوسط وابن نعيم في الدلائل، وابن عساكر كلهم: عن علي ـ رضى الله عنه ـ ا. هـ الدر المنثور جـ ٣ ص ٢٩٤ طبع دار المعرفة بيروت. وانظر تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ١٧٧. ط الشعب.

(٢) الحديث أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة: عن ابن عباس. ا. هـ الدر المنثور المصدر السابق.

كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ » . وفي سورة البينة « لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ. رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفاً مُّطَهَّرَةً. فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ، وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ » إلى آخر السورة وكان بحر الظهران راهب يسمى عيصا من أهل الشام ، وكان يقول : « يوشك أن يولد فيكم يا أهل مكة مولود تدين له العرب ويملك العجم ، وهذا زمانه » رواه عبد الله بن عمرو بن العاص .

تبشير التوراة والانجيل به

جاء في الاصحاح الثامن سفر التثنية الذي هو أحد أسفار التوراة (وسوف أقيم لهم نبياً مثلك من بين اخونهم ، وأجعل كلامي في فمه ، يكلمهم بكل شيء آمره به ، ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم به باسمي فأنا الذي أنتقم منه ، فأما النبي الذي يجترىء عليّ بالكبرياء ، ويتكلم باسمي بما لم آمره به أو باسم آلهة اخرى فليقتل ، وإذا أحببت أن تميز بين النبي الصادق والكاذب فهذه علامتك : أن ما قاله ذلك النبي باسم الرب ولم يحدث فهو كاذب يريد تعظيم نفسه ، ولذلك لا نخشاه) .

وقد أخبرنا الرسول بأخبار مستقبلة كثيرة حدثت كما أخبر عنها ومنها ما لا ينفع معه الحدس والتخمين ، كالإخبار بأن الروم سيغلبون الفرس بعد أن قهرهم الفرس قهراً شديداً حتى كادوا يحتلون القسطنطينية عاصمة ملكهم ، وحدد زمن قهرهم ببضع سنين ، وقد حدث ذلك تماماً .

وبشر عيسى عليه السلام في الانجيل بأنه سيجيء بعده (الفارقليط) ومعناه أحمد ، ويصدقه في القرآن قوله تعالى في سورة الصف الآية : « وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ » .

ويوجد بالتوراة والانجيل وغيرهما من كتب العهد القديم بشارات عديدة ، وحسب القارىء ما تقدم ، لأن المقال لا يتسع للافاضة في ذلك .

حاجة العالم إلى بعثة عامة

كان العرب يسيرون على منهج زعموه شريعة جدهم إبراهيم عليه السلام ، وما كان شيء مما يفعلون كما يدعون ، فإن إبراهيم كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ، فالصلاة كانت في شريعته لله ، ولكنهم جعلوها للأوثان ، والحج والعمرة في ملته كانا لله ، ولكنهم جعلوهما للأحجار والأنصاب ، ولم يكن في شريعته بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ، ولا وأد للأطفال الصغار من الاناث أكثر من الذكور ، ولا كان فيها حرمان من الميراث للنساء ولا للصغار ، ولا غير ذلك مما يخالف المثل العليا التي تتسم بها الرسالات السماوية ولكنهم ألصقوها زوراً بإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .

وكانت الحرب بينهم سجالا لأوهن الأسباب وأدنى العلل ، فكم من قبيلة أفنتها قبيلة ، وكم من فصيلة طحنتها فصيلة ، وكان وأد البنات لديهم من المكرمات خوفاً من العار ، ووأد الذكور عندهم حذراً من الفقر

والحرمان ، وكانت قلوبهم فيما يفعلون أقسى من الحجارة « وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ » .

وكانت الكلمة من زعيم القبيلة كالنص الإلهي ، فهي واجبة التنفيذ وإن جانبت الصواب وجلبت العار ، وكانت سوق الدعارة قائمة على ساق ، في بيوت خارج القرى ترفع عليها الرايات ، وكانت ضحاياها من الاماء غالباً ، وأحياناً تكون خلة بدون استعلان ، وكانوا لا يستحون من نسبة أولادهم من السفاح إليهم ، فتارة يستلحقونهم بمعرفة القائف وأخرى يجعلون الحق في إلحاقهم إلى المرأة البغي نفسها ، وقد جاء في كتب السير حديث تفصيلي عن تلك الجرائم وأحكامها لديهم ، رواه رواة ثقات .

وكان العالم من شرقه إلى غربه يمتلىء بالفتن ، ويموج بالبلايا والمحن ، وتسوده شريعة الغاب وقانون الضواري ، والأمم وقود للحرب بين أمتين تسيطران على شعوبه : الفرس شرقاً والروم غرباً ، وأرزاق الناس نهب لأولئك المسيطرين ، وأفرادهم عبيد لأولئك الجبارين ، ولا أحد من هؤلاء المسيطرين يخشى نقمة الجبار ، والديانتان السماويتان سخـرتهما الشهـوات لخـدمـة الطغـاة المستبدين ، وحرفت الأهواء كتبهما بثمن قليل ، فكان العالم كله بحاجة إلى بعثة عامة شاملة ، ترفع المظالم عن المعذبين ، وتكبح جماح الظالمين ، وتنظف العقائد من الوثنية ، وزعم البنوة للخالق الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وتطمئن كل عامل على رزقه ، وتنتقم للمظلوم من ظالمه ، وتنشر بين الناس الأمن والطمأنينة ، وتعيد الحق إلى نصابه ، والعدل إلى محرابه .

فكانت هذه البعثة من نصيب رجل عظيم ، من انضر أرومة فيهم ، وأعرق مجد في أنسابهم ، أذاقه الله اليتم في طفولته ليعظم إحساسه بآلام الناس ، فإنه لا يعرف الألم إلا من جربه ورباه من غير أبوين على أرفع السجايا ، ليستطيع القيام بعبء هذه الدعوة العظيم ، وأمره في باكورة ثبوته بقيام الليل إلا قليلا ، لتصفو روحه أتم صفاء ، ويشتد عزمه في كفاح الأقوياء « يأيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا ، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا . إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا . إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا . ان لك في النهار سبحا طويلا . واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا » .

القرآن والسنة دستور رسالته

لقد أيد الله رسوله الأمي العظيم بالقرآن المجيد . فإنه « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وكما جعله معجزة باقية بقاء الزمان ، لتكون آتية في كل آن ، جعل لرسوله حق بيان مجمله بسنته ، وهو في كلتا الحالتين . « لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى » .

فإذا قرأت القرآن والسنة وجدت مناهج سديدة ، يسعد بها البشر في كل أمة وفي كل عصر ، ووجدت نصوصاً مرنة صالحـة للاجتهاد الذي شرعه الله للناس ، وفق ضوابط يعرفها العلماء ، يسمونها « أصول الفقه »

فمن اجتهد في دائرتها وأخطأ فله أجر ، ومن اجتهد وأصاب فله أجران .

وحين شرع لهم الاجتهاد منعهم من الأخذ بالراي والهوى ، حتى يعصموا أنفسهم من عذاب الجحيم ، فلا بد من رجوع المجتهد إلى النصوص في الكتاب ، والسنة ثم إلى الاجماع ثم إلى القياس على ما وردت فيه النصوص ، لوجود العلة المشتركة بين المقيس والمقيس عليه ، ولن تجد امراً يحدث في الناس على امتداد الزمان ، إلا وجدت أصلا فيما تقدم يعطيك الحكم المطمئن الذي يرفع عن الأمة الحرج ، وكل من خرج عن مناهج السلف الصالح في استنباط الأحكام ، فهو مبتدع وصاحب هوى ولا يقبل قوله .

لقد تضمن الاسلام قوانين عظيمة في التعامل مع الخلق والخالق ، تحل بها مشكلات البشرية في العقيدة والمعاملات ، ومناهج سديدة في السلوك والاخلاق ، وكل ذلك جاء به رجل عظيم عرف بالصدق والأمانة ، أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، نشأ بين أمة أمية ، مؤيد بمعجزة القرآن وسائر المعجزات ، فلا يسع المنصف العاقل إلا أن يؤمن به نبياً ورسولا عظيماً ، وبما جاء به شرعة ومنهاجاً ، ليسعد في دنياه وأخراه ، ولهذا ترى الاسلام يزحف سليمًا على الدول المتحضرة العالية الثقافة ، « ولتعلمن نبأه بعد حين » .

شهادة المنصفين الأجانب

لقد حظي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بانصاف الكثير من الفلاسفة المستشرقين ، ومن هؤلاء الكاتب الانجليزي الأشهر (توماس كارليل) فقد قال في كتابه الأبطال : لقد أصبح من أكبر العار على أي متمدن من ابناء هذا العصر أن يصغى إلى أناس حاقدين كاذبين على محمد ، وآن لنا أن نحارب مزاعمهم السخيفة المخجلة ، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول ، ما زالت السراج المنير مدة اثنى عشر قرناً ، لنحو مائتي مليون من الناس[1] خلقهم الله كخلقنا ، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاشت بها هذه الملايين وماتت عليها أكذوبة وخدعة ، أما انا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبداً ، ولو أن الكذب والغش يروجان عند الخلق هذا الرواج في الناس إلا بله مجانين ، وما الحياة إلا سخف وعبث وأضلولة كان الأولى بها أن لا تخلق ـ ثم قال : والله إن الرجل الكاذب لا يقدر أن يبنى بيتاً من الطوب ، فهو إذا لم يكن عليماً بخصائص الجير والتراب وما شاكلهما ، فما ذلك الذي يبنيه بيت ، وانما هو تل من الأنقاض لا يستطيع أن يبقى على دعائمه اثنى عشر قرناً من الزمان ، يسكنه الآن مائتا مليون مسلم ، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم) .

ويقول الكونت هنري الفرنسي في معرض الاستدلال على صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم : لسنا نحتاج في اثبات صدقه إلى

(١) كان عددهم كذلك في عهده ، ولكنهم يبلغون اليوم قريباً من مليار نسمة .

اكثر مما يأتي :

١] كان محمد أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، وهذا الوصف لم يعارض فيه أحد .

٢] وإنه لم يسترشد في دينه بمرشد تقدمه .

٣] وإنه كان ينفر من عبادة الأوثان وتعدد الآلهة وكان يعرف بوجدانه الواحد الأحد لما اعتكف وحده بغار حراء يعبد الله .

٤] ومع كونه أمياً جاء ومعه قرآن يعجز فكر البشر عن الاتيان بمثله لفظاً ومعنى .

٥] وإنه لما تلا جعفر بن ابي طالب ما جاء في القرآن عن زكريا ويحيى على النجاشي فاضت عيناه بالدموع ، وفي اليوم التالي طلب منه أن يقرأ ما جاء فيه عن المسيح ففعل ، فاستغرب الملك لما علم أن المسيح عبد الله ورسوله فآمن بمحمد وما جاء به .

٦] وأن محمداً أتى بالقرآن دليلا على صدق رسالته ، وهذا الكتاب سر من الأسرار لا يدركه ألا من صدق بأنه من عند الله .

٧] انه لا ينكر أحد أن مظهره كان مظهر نبوة فعلا ، وما بقى فيه فكر خاص به .

٨] إنه كان لا يميل إلى الزخارف والاستكبار والبخل ، فقد كان يحلب شاته بنفسه ويجلس على التراب ، ويرتق ثوبه ونعله بيده ، وكان قنوعاً . خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز البر ، ولم تكن له حاشية ولا وزير ولا حشم ، لم يرغب طول حياته في المال وكان كل ما يأتيه يتصدق به ، وبلغ من السلطان غايته .

إلى غير ذلك من الحقائق التي ذكرها هذا المنصف بلا تشويه .

راي المسيو دينيه في الاسلام

يقول الفنان الكبير (المسيو دينيه) الرسام الفرنسي بعد أن أسلم وسمى نفسه باسم (ناصر الدين) أن العقيدة الإسلامية لا تقف عثرة في سبيل الفكر ، وكما أن الأسلام صلح منذ نشأته لجميع الشعوب والأجناس ، فهو صالح كذلك لكل أنواع العقليات وجميع درجات المدنيات ، وهو كما يهيج الرجل العملي في أسواق لندن مثلا ـ حيث الوقت هناك من ذهب ، فإنه يأخذ بلب الفيلسوف الروحاني ، وكما يتقبله الشرقي صاحب الخيال الشعري في السماء والماء ، وضوء القمر وهدوء السحر ، والصحراء والمدر والزرع والشجر ، يأخذ بمجامع المفكر الغربي الذي عكف على الابداع في الفن ورسم الصور الرائعة في الشعر والنثر ، فكم من فيلسوف وقسيس ومصور وشاعر ، وطبيب وصيدلي ومحام وسياسي في الشرق والغرب قرءوا عن الاسلام فبهرهم رُواؤه ، واستحوذ عليهم تناسبه مع الفطرة السليمة ، وجذبتهم إليه عقائده وعباداته فآمنوا به راغبين راسخين ، لا رغباً ولا رهباً ، بل اقتناعاً عميقاً وحباً ، فهو الرحيق السائغ ، والمنطق السليم والمنهج المستقيم .. الخ .

الاسلام مؤتلف مع العلم والعقل

إن دين الإسلام الذي جاء به خاتم المرسلين صديق للعلم ، وصاحب وفي للعقل ، فلا ترى بينه وبينهما تنافراً ولا خلافاً ، بل مودة وائتلافاً ، وكما أن الإسلام يحصن على تعلم العلم وتحكيم العقل ، فالعقل يهدى إلى الاسلام ، والعلم ربيب آياته ، أو دليل على صحة اتجاهاته ، فالحق لا يؤيده أقوى من العلم ولهذا كانت عصور العلم في بغداد ودمشق وقرطبة والقاهرة وغيرها من العواصم الإسلامية ، هي أزهى عصور الأمة الإسلامية ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .



مولد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وكيفية الاحتفال به

احمد الله سبحانه واصلي واسلم على اشرف خلقه ، وسيد رسله ، وإمام انبيائه ، وعلى آله واصحابه واتباعه .

كلما حال الحول واهلّ هلال ربيع الأول دعانا داع للقيام بما يجب علينا للروح المحمدية الشريفة من الإشادة بذكرها والتنويه بها وفاء ببعض حقها علينا وعلى الإنسانية كلها .

اما حقها علينا فيما افدنا من عقائد صحيحة وآداب سامية وفضائل عالية وزعامة في الأرض لم تخصص بها امة من قبلنا .

وأما حقها على الناس فلأن أساس دعوته « صلى الله عليه وسلم » كان توحيد الله « عز وجل » وتنزيهه عن الأنداد والشركاء ، وبذلك محا عن الإنسانية عار الشرك الممقوت ، وأطلقها من ذل التقليد البغيض ، وصرفها إلى عبادة الله المستحق وحده العبادة . وهذه الدعوة المحمدية أضاءت العالم بما نشرته فيه من العلم والحرية ، وما أتت به من نور ماز الحق من الباطل والخير من الشر والعدل من الظلم فاستنارت به نفوس كادت تصير أشباحاً من كثرة ما أحيطت به من خرافات وأباطيل . وبهذا النور استطاعت هذه النفوس أن تلقي من عواتقها أنياراً ، ومن كواهلها آصاراً ، وتخلع من أعناقها أغلالاً ، وأرجلها أصفاداً . بذلك خلصت الإنسانية من ظلمات متراكمة طال عليها الأمد فيها حتى كادت تنتكس إلى البهيمية الباحتة . لذلك حق عليها أن تحتفل بمولد الرسول « صلى الله عليه وسلم » .

لماذا لم يحتفل المسلمون الأوائل بمولد الرسول الكريم ﷺ ؟

المسلمون في العصور الأولى لم يكونوا محتاجين إلى الاحتفال بيوم مولد الرسول « صلى الله عليه وسلم » لأنهم لقرب عهدهم وتعلقهم به « صلى الله عليه وسلم » ، ولشدة تمسكهم وعملهم بكل ما جاء به



لفضيلة الشيخ
توفيق إسلام يحيى

الرسول « صلى الله عليه وسلم » من عند الله « عز وجل » كانوا كأنهم يرونه « صلى الله عليه وسلم » أمامهم ، لا يبعد عن أبصارهم ولا يغيب عن أذهانهم لحظة واحدة ، فهم - وهذه هى حالهم - لم يكونوا بحاجة إلى الاحتفال بمولده « صلى الله عليه وسلم » وإظهار فرحهم وسرورهم بالمولد النبوي الشريف ، لأن فرحهم هذا لم يكن يفارقهم في حالة يقظتهم ، بل كان يلازمهم في كل روحاتهم وغدواتهم ، وفي كل حركاتهم وسكناتهم . لكن بكرّ الغداة ومر العشى ، وانقضاء العصر تلو العصر ، وتكاثر أعباء الحياة وزيادة مشاكلها رأى المسلمون أن يخصصوا وقتا من أوقات خضم مشاكلهم يظهرون فيه فرحهم وسرورهم برسول الله « صلى الله عليه وسلم » يشغلون هذا الوقت كله في دراسة سيرته النبوية الشريفة ويشرحونها لأولادهم وأحفادهم فاختاروا يوم مولده « صلى الله عليه وسلم » لتخصيصه بهذه المهمة الكريمة .

متى بدأ المسلمون يحتفلون بالمولد النبوي الشريف ؟

قال السخاوي : « إن عمل المولد حدث بعد القرون الثلاثة ، ولا يزال أهل الإسلام فى سائر الأقطار وفي المدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات » .

مَن أول من احتفل بمولده « ﷺ » ؟

أول من أحدث الاحتفال بمولده « صلى الله عليه وسلم » من الملوك هو الملك المظفر أبو سعيد صاحب إربل . وألف له الحافظ بن وحية تأليفا أسماه « التنوير في مولد البشير القدير » فأجازه الملك بألف دينار .

وكان احتفال الملك المظفر بالمولد الشريف في شهر ربيع الأول احتفالاً عظيماً ، وكان يصرف على المولد - كما قيل - ثلاثمائة ألف دينار .

لماذاتحتفل الأمم بذكريات أبطالها ؟

إن الأمم المختلفة تحتفل بذكرى عظمائها ونوابغها وقادتها للإشادة بذكرهم وتقدير أعمالهم وفاءلحقهم عليها وتذكيراً للحاضرين بأعمال الماضين ليحفزوا هممهم على الاقتداء بهم والسعي لبلوغ درجات المجد التي استحق المحتفل بهم من أجلها هذا التكريم . وهذه الذكريات تختلف في أشكالها تبعا لاختلاف الأمم في أمزجتها وميولها وعاداتها .

ولهذه الذكريات آثار بعيدة المدى عند من يفهم الغرض منها ويدرك السر في المحافظة عليها . وأهم ما يقصد من ذلك العظة والاعتبار والتذكر والاستبصار ، وتحفّز النفوس إلى القدوة وتشوقها إلي التشبه

بالأسوة ، وإغراء الشباب بالسعي في طريق الرقي لبلوغ المجد فضلاً عما في الاحتفال من تكريم المحتفل به وتخليد ذكره .

هل الرسول الكريم ﷺ في حاجة إلى مثل هذا التكريم ؟

الرسول الكريم محمد « صلى الله عليه وسلم » ليس في حاجة إلى تكريم الناس بعد أن كرمّه الله - عز وجل - فرفع ذكره ، وأعلى قدره ، وخلد اسمه فى الكتاب المبين ، وقرنه باسمه فى الشهادتين . ومقامه الكريم ليس بالمقام الذي يناله الإنسان بالسعي والكسب . بل هو منحة الله - عز وجل - وفضله ، يختص به من يشاء من عباده . وليس من بين المخلوقات من هو أولى بهذا المقام ممن أرسله الله رحمة للعالمين .

كيف يكون الاحتفال بهذه الذكرى العطرة ؟

يكون الاحتفال بذكرى مولده « صلى الله عليه وسلم » بإحياء سنته المطهرة بالعمل بها ، واتباع المبادىء السامية التى أتى بها ، والتحل بالأخلاق الفاضلة التى اتصف بها ودعا الناس إليها . لا يكفي في هذه الذكرى العطرة أن تتلى قصة المولد ، وتضاء المصابيح ، وتلقى العظات ثم تنسى . لأن صاحب الذكرى « صلوات الله وسلامه عليه » لم يكن قوالا وإنما كان فعالاً . والكلام إذا لم يتبعه العمل كان الإيمان به ضعيفا ، إذ لا يكفي أن تقول لمحبوبك : إنى أحبك . وإذا كنت جاداً في هذا القول فإنه يتطلب منك أن تتحمل تبعاته . وأن تقوم بما يكلفك به هذا الحب من اتباع سلوك المحبوب وتجشم المشاق في سبيل رضاه .

تدبر قول الله عز وجل : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ . . [1] وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ . . ﴾ [2] وقوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [3].

فإذا أحيينا سنته المطهرة - وذلك بالعمل بها - واتبعنا المبادىء السامية التى أتى بها ، وتحلينا بالأخلاق الفاضلة التى اتصف بها ودعانا إلى التحل بها ، حينئذ فقط نكون فعلاً قد احتفلنا بهذه الذكرى العطرة على الوجه الذي يرضى المحتفل به - صلوات الله وسلامه عليه - ويفيدنا في الدنيا والآخرة .

والأخلاق الكريمة التى اتصف بها الرسول « صلى الله عليه وسلم » ودعانا إلى التحلي بها كثيرة جداً ، تولت كتب السيرة المحمديةبيانها . ونحن نذكر هنا بعضا منها بقدر ما يسمح به المقام :

[١] الآية ٣١ من سورة آل عمران .
[٢] الآية ٥٤ من سورة النور .
[٣] الآية ٧ من سورة الحشر .

من اخلاقه ﷺ

كان النبي « صلى الله عليه وسلم » أعلم الناس وأشجعهم وأعفهم وأسخاهم ، لا يبيت عنده دينار ولا درهم . وكان أشد الناس حياء لا يثبت بصره على وجه أحد ، يجيب دعوة الحر والعبد ، ويأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ، يبدأ أصحابه بالمصافحة ، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده « صلى الله عليه وسلم » حتى يكون الأخذ هو الذي يرسلها . وكان إذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ، ويعطى كل واحد من جلسائه نصيبه حتى لا يظن جليسه أن أحدا اكرم عليه منه . ينفذ الحق ولو عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه ، ولم يرقط مادا رجليه بين أصحابه ، يعود المرضى ويشهد الجنائز ، ويمشي وحده بين أعدائه . يكرم أهل الفضل ، ويتألف أهل الشرف ولا يجفو على أحد . يقبل معذرة المعتذر ويمزح ولا يقول إلا حقاً . يتشاغل عما لا يشتهى ، ولا يذم أحدا ولا يعيره ، ولا يشافهه بمكروه ، ولا يحتقر مسكينا لفقره . ولا يهاب ملكا لملكه . يدعو هذا وذاك دعاء مستويا إلى الله تعالى .

جمعت له السيرة الفاضلة والسياسة الكاملة التامة . كيف لا وقد كان خلقه « صلى الله عليه وسلم » القرآن ، فسبحان من أدّبه وقال في وصفه :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [٤] .

وصيتــه صلى الله عليه وسلم معاذاً

وقد روت كتب الحديث أن معاذا « رضى الله عنه » قال :

أوصاني رسول الله « صلى الله عليه وسلم » باتقاء الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل ولزوم الإيمان والتفقه في القرآن ، وحب الآخرة ، والجزع من الحساب ، وخفض الجناح ، وقال : ـ أى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » لمعاذ ـ

« أنهاك أن تسب حكيما ، أو تكذب صادقا ، أو تطيع آثما ، أو تعصى إماما عادلا ، أو تفسد أرضا . وأوصيك باتقاء الله عند كل شجر ومدر ، وأن تحدث لكل ذنب توبة ، السر بالسر والعلانية بالعلانية » .

إذا تحلينا بهذه الصفات الفاضلة التى ذكرناها ، وبالصفات الأخرى التى لم يتسع المقام لذكرها ، ونفذنا الوصايا الكريمة التى أوصى النبي « صلى الله عليه وسلم » بها معاذا « رضى الله عنه » نكون حينئذ ـ كما ذكرنا سابقا ـ قد احتفلنا حقا بهذه الذكرى العطرة .

[٤] الآية ٤ من سورة القلم .

هل يثاب المحتفلون بهذه الذكرى العطرة ؟

قال الإمام أبو شامة - شيخ النووى - : « ومن أحسن ما ابتدع فى زماننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده « صلى الله عليه وسلم » من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور ، فإن ذلك مع باقية من الاحسان للفقراء مشعر بمحبة النبي « صلى الله عليه وسلم » وتعظيمه في قلب من يفعل ذلك . وشكر الله تعالى على ما مَنَّ من إمجاء رسوله « صلى الله عليه وسلم » الذي أرسله الله رحمة للعالمين ..

وذكرت كتب السيرة المحمدية الشريفة أن ابا لهب أعتق جارية « ثويبة الأسلمية » حين بشرته بولادة النبي « صلى الله عليه وسلم » سروراً بهذه البشرى وفرحا بولادة محمد « صلى الله عليه وسلم » . وبعد أن مات أبو لهب - وفي حقه نزلت سورة « تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ - رآه بعض اصحابه في المنام فسأله عن حاله بعد موته فقال له : إني أعذب عذابا شديداً لكن هذا العذاب يخفف عني مساء كل اثنين بسبب إعتاقي لجاريتي حينما بشرتني بولادة محمد فرحا بهذه الولادة .

ولقد رأيت تعليقا لفضيلة الشيخ عليش الكبير - رحمه الله - على هذا الكلام في هامش كتاب للسيرة موجود بمكتبة مسجد الحرم النبوي الشريف بالمدينة المنورة ملخصه : إذا كان الله « عز وجل » يخفف العذاب عن أبي لهب مساء كل اثنين لإعتاقه جارية حينما بشرته بولادة محمد « صلى الله عليه وسلم » مساء الاثنين سروراً بولادته فكيف لايثاب المسلم إذا احتفل في هذه الليلة فرحاً وسروراً بذكرى مولد المصطفى « صلى الله عليه وسلم » ؟ !

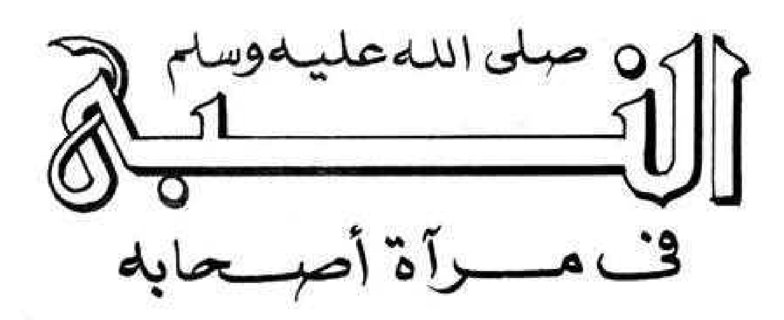
والعلامة ابن تيمية - رحمه الله - يشير في كتابه « اقتضاء الصراط المستقيم .. » [٥] إلى أن من احتفل بمولده « صلى الله عليه وسلم » إظهاراً لمحبته للنبي « صلى الله عليه وسلم » وتعظيمه يرجى أن يثاب على ذلك .

وفقنا الله - سبحانه - إلى إحياء سنته « صلى الله عليه وسلم » بالعمل بها واتباعه في كل ما أتى به حتى يتم احتفالنا بذكرى مولده العطرة على أكمل وجه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه .

---

[٥] راجع كتاب « اقتضاء الصراط المستقيم .. » صفحة ٢٩٤ و ٢٩٧





للأستاذ عبد الحفيظ فرغلي القرني

بسم الله الرحمن الرحيم ـ الحمد لله رب العالمين ـ والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين .

وبعد .. فقد أرسل الله سيدنا محمداً إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

وقد تناول العلماء والمفكرون قديماً وحديثاً سيرته الزكية ، وعرضوها أمام الأنظار ، ومهما كثرت الكتب في عرض هذه السيرة فإنها لم توف صاحبها حقه من البيان ، فما قام به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أعباء جسام وتبعات عظام نحو الإنسانية جمعاء أكبر من هذه الأقلام ، التي كتبت عنه ، ووصفت بطولته وعظمته وجهاده وأخلاقه وعمومية رسالته والآداب التي وضعها والتشريع الذي أرسى دعائمه ، أو دافعت عنه ضد بعض الأقلام الجامحة والأفكار الطاعنة التي لم تسلم من الحقد ولم تبرأ من الحسد .

والراوون لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، والمتحدثون عن نواحي عظمته ، والمدافعون عنه جميعاً قاموا بعمل عظيم له أثره الكبير وتقديره المشكور في ميدان العلم والأدب والتاريخ والإيمان والحب .

ولكن يبقى مع ذلك أن خير من يحكي لنا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم هم أصحابه الذين رأوه وعايشوه وصادقوه وأحبوه وآثروه على أنفسهم وذويهم وأموالهم ، وجاهدوا معه فأوصافهم له هي أصدق أوصاف ..

ونستعرض معا من خلال ما رواه هؤلاء الأصحاب رضوان الله عليهم والذين اعتنت بسيرتهم وأخبارهم كتب التراجم الصادقة الموثقة ـ بعض جوانب حياة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من خلال رواياتهم لها ..

في البشارة بمولده :

جاء في ترجمة كعب بن عدي بن حنظلة ـ

فيما يرويه ابن الأثير ـ أن أباه كان أسقف الحيرة ، ويقص كعب بنفسه قصة اسلامه فيقول :

لما فرغ المسلمون من أمر مسيلمة مررت براهب فرقيت إليه فدارسته فقال لي : انصراني أنت ؟ قلت : لا ـ قال : فيهودي ؟ قلت : لا . فذكرت محمداً فقال : نعم هو مكتوب . قلت : فأرنيه ، فأخرج سفراً ثم قال : ما اسمك ؟ قلت : كعب .

ففتح فقرأت فعرفت صفة محمد ونعته ، فوقع في قلبي الإيمان فآمنت حينئذ وأسلمت . ومررت على الحيرة فعيروني ، ثم توفي أبو بكر ، فقدمت إلى عمر فأرسلني إلى المقوقس .

(أسد الغابة ٤/٤٨٣)

ويحدث ابن الأثير أيضا عن الفلتان بن عاصم قال : كنا قعوداً عند النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرأى رجلا يمشي في المسجد فقال : يا فلان ، قال : لبيك يا رسول الله

فقال له النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أتشهد أني رسول الله ؟

قال : لا . قال : تقرأ التوراة ؟ قال : نعم . قال : والانجيل ؟ قال : نعم . قال : ثم ناشده . هل تجدني في التوراة والانجيل ؟ قال : سأحدثك . نجد مثل نعتك يخرج من مخرجك ، كنا نرجو أن يكون فينا ، فلما خرجت نظرنا فإذا أنت لست به .

قال : من أين ؟ قال : نجد من أمته سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ، وأنتم قليلون . فأهل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكبر ، وقال : والذي نفسي بيده لأنا هو ، وإن من أمتي لأكثر من سبعين ألفاً وسبعين ألفاً وسبعين ألفاً .

(أسد الغابة ٤/٣٦٨)

في الخوارق التي صاحبت مولده :

وقد صاحب مولده ـ صلى الله عليه وسلم ـ خوارق تدل على نباهة شأنه وعلو فضله ، من ذلك ما حدث به بعض من شاهدن ولادته ـ فقد قالت فاطمة بنت عبد الله ، وهي أم عثمان بن أبي العاص الثقفي :

شهدت ولادة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين وضعته أمه آمنة ، وكان ذلك ليلا . قالت : فما من شيء أنظر إليه من البيت إلا نور ، وإني لأنظر إلى النجوم تدنو حتى أقول : يقعن علي .

(الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ـ ٨ /٦٧)

وفي رواية ابن الأثير عنها قالت : شهدت آمنة لما ولدت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما ضربها المخاض نظرت إلى النجوم تدنى حتى إني لأقول : ليقعن علي ، فلما ولدت خرج لها نور أضاء له البيت الذي نحن فيه والجدار ، فما من شيء أنظر إليه إلا نور .

(أسد الغابة ٧/ ٢٢٨ ، ٣٦٦)

وجاء في ترجمة خالد بن معدان ما يرويه عن عتبة بن عبد عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أنهم قالوا : « يا رسول الله أخبرنا عن نفسك . قال : أنا دعوة إبراهيم

وبشرى عيسى بن مريم ، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصري من أرض الشام »

(أسد الغابة ٦ /٢٩٦)

وليس غريباً أن تتواكب الدنيا كلها في الاحتفال بمقدم سيدها ، فتدنو الكواكب وتشرق الكائنات وتنكس الأصنام وترجم الشياطين ويعم الكون كله البهجة والسرور .

جاء في ترجمة هاني المخزومي ما يروي عنه : « لما كانت ليلة ولد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ارتجس إيوان كسرى وسقط منه أربع عشرة شرافة ـ وغاضت بحيرة ساوة وفاض وادي السماوة وخمدت نار فارس ، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، ورأي الموبذان إبلا صعاباً تقود خيلا عراباً ، قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها » ..

الإصابة في تمييز الصحابة ٦ / ٥٢٤ ، أسد الغابة ٥/٣٨٢ .

و (ساوة) مدينة بين الري وهمذان ، و (السماوة) بادية بين الكوفة والشام ، و (المُوبَذان) ـ بضم الميم وفتح الباء ـ فقيه الفرس وحاكم المجوس .

وفي قصة فقده وهو صغير :

ويروي أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد وهو صبي وجعل جده ينشده حتى عثر عليه .

روى ابن الأثير في ترجمة سعيد بن حيدة ما يرويه ابنه عنه . قال : حججت في الجاهلية فإذا برجل يطوف وهو يقول :

يــارب رد راكبي محمــداً
رد إلى واتخذ عندي يدا

فسأل عنه فقيل له : هذا عبد المطلب فقد ابنه محمداً . (أسد الغابة ٢/ ٣٨٥ ـ ٤ / ٥٠١)

ورواه ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة سعيد بن حيوة ٢/ ٦١٤ وأخرج البيهقي هذا الخبر في دلائل النبوة في باب شفقة عبد المطلب على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بتمامه :

قال : هذا سيد قريش وابن سيدها عبد المطلب بن هاشم ، ومحمد هو ابن ابنه ، وهو أحب الناس إليه ، وله ابل كثيرة ، فإذا ضل منها بعث فيها بنيه يطلبونها ، وإذا أعيا بنوه بعث ابن ابنه ، وقد بعثه في ضالة أعيا عنها بنوه ، وقد احتبس عنه . قال راوي الحديث : فو الله ما برحت البلد حتى جاء محمد وجاء بالابل .

ويذكر ابن هشام أن هذا الفقد كان في أثناء رجوع حليمة به إلى مكة ، فالتمسته فلم تجده ، فأخبرت عبد المطلب فخرج يطلبه فلم يجده فقام عند الكعبة يدعو الله أن يرده . وروى ابن سعد في طبقاته أنه قال :

لا هم أد راكبي محمــداً
اده إلى واصطنع عندي يدا
أنت الذي جعلته لي عضداً
لا يبعد الدهر به فيبعـدا
أنت الذي سميته محمداً

وفي خصائصه صلى الله عليه وسلم :

وقد خص الله نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بخصائص لم تتهيأ لغيره من البشر ، ويأتي في مقدمة ذلك : (وجوب الاستجابة له) مصداقاً لقوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ » (الأنفال ٢٤)

وقد جعل الله اتباعه وسيلة إلى حب الله « قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ » آل عمران ـ ٣١ ـ

وجعل طاعته طاعة لله « مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ » النساء ٨٠ .

واستجابة المدعو للرسول صلى الله عليه وسلم واجبة ولو كان المدعو في الصلاة ، عن أبي سعيد المعلى قال : كنت أصلى ، فمر بي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فناداني ، فلم آته حتى فرغت من صلاته ـ فقال : « ما منعك أن تأتيني إذ دعوتك ؟ قلت : كنت أصلي . قال : الم يقل الله عز وجل : استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم ؟ أتحب أن أعلمك سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد ؟ قال : فذهب يخرج فذكرته فقال : الحمد لله رب العالمين » .

(أسد الغابة ٦/ ١٤٣)

ومن خصائصه الشفاعة : حدث عبد الرحمن الأوزاعي قال : مررت بعبد الواحد ابن عبد الله بن بسر وأنا غاز وهو أمير على حمص ، فقال لي : يا أبا عمرو الا أحدثك بحديث يسرك ، فوالله ربما كتمته الولاه ؟ قلت : بلى .

قال : حدثني أبي عبد الله بن بسر ، قال : « بينما نحن بفناء رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ جلوس ، اذ خرج علينا مشرق الوجه يتهلل ، فقمنا في وجهه فقلنا : يا رسول الله إنه ليسرنا ما نرى من إشراق وجهك وتطلقه ، قال : إن جبريل أتاني آنفاً فبشرني أن الله عز وجل أعطاني الشفاعة . قلنا : يا رسول الله ، أفي بني هاشم خاصة ؟ قال : لا . فقلنا : في قريش عامة ؟ قال : لا . فقلنا : في أمتك ؟ قال : هي في أمتي للمذنبين المثقلين »

(أسد الغابة ٣/١٨٧)

وجاء في ترجمة عوف بن مالك الأشجعي ما يرويه عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « أتاني آت من عند ربي عز وجل فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة ، فاخترت الشفاعة وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً » (أسد الغابة ٤/ ٣١٣) .

بل إن المؤمنين من أمته لهم شفاعة أيضا .

قال عبد الله بن أبي الجدعاء : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم . قلنا : يا رسول الله سواك ؟ قال : سواي ؟ »

أسد الغابة ٣/ ١٩٦ ورواه أحمد في مسنده ٣٠ / ٤٧٠ ـ وروى في أسد الغابة مرة أخرى ٦/ ٤٩ .

إلا أنه يخشى على أمته الاتكال على الشفاعة فيتركون العمل فيرشدهم ، قال

مصعب الأسلمي : « انطلق غلام لنا فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : أسألك أن تجعلني ممن تشفع له يوم القيامة . فقال : من علمك أو أمرك أو دلك ؟ فقال : ما أمرني إلا نفسي . قال : إني أشفع لك ، ثم رده فقال : أعني على نفسك بكثرة السجود »
أسد الغابة ٥/ ١٨٠

وإن رحمته - صلى الله عليه وسلم - المهداة للعالمين لتدنو حتى يدخل الجنة كل من رآه من المسلمين .

روى عقبة أبو عبد الرحمن الجهني - وكان أصابه سهم مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : لا يدخل النار مسلم رآني ولا رأي من رآني ولا رأي من رأى من رآني » .

أسد الغابة ٤/ ٥٦

ومن خصائصه - صلى الله عليه وسلم - استجابة دعوته ولو كانت عارضة .

روى ابن حجر في الاصابة في ترجمة أم قيس الأنصارية ، قالت : « توفي ابن لي فجزعت فقلت للذي يغسله ، لا تغسل ابني بالماء البارد فتقتله ، فذكر ذلك عكاشة للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : مالها .. ؟ طال عمرها ! قال : فلا نعلم إمرأة عمرت ما عمرت » الاصابة ٨/ ٢٨١

فمن باب أولى استجابة دعوته المقصودة :

دعا لأنس بن مالك رضى الله عنه بكثرة المال والولد ، فولد له من صلبه ثمانون ذكراً وابنتان ، ومات وله من ولده مائة وعشرون ولداً ، وكان له بستان يحمل الفاكهة في السنة مرتين ، وكان فيه ريحان يجيء منه ريح المسك » .

أسد الغابة ١/ ١٥١ .

وهو سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ، ومن كان سيدهم في الآخرة فهو سيدهم في الدنيا ..

ولعلو منزلته وقربه من ربه - جل وعلا - جاز التوسل به ، بل هو أمر بذلك فقد روى عثمان بن حنيف : « أن رجلا ضرير البصر أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : ادع الله أن يعافيني » ، فقال : إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك . قال : ادعه . قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويدعو بهذا الدعاء « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إنى توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضي لي اللهم فشفعه في » الاستيعاب لابن عبد البر الترجمة رقم ١٧٦٩ - ٣/ ١٠٣٢ - أسد الغابة ٣/ ٥٧٧ - ورواه الترمذي وابن ماجة ، وفي تحفة الأحوذى أبواب الدعوات - وذكره المالكي في كتابه مفاهيم يجب أن تصحح ص ٥٢ وذكر توثيق ابن تيمية له - .

هذه شذرات من سيرة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - بلسان أصحابه رضى الله عنهم - نقدمها تحية في ذكرى مولده المبارك راجين من الله الرحمة والمغفرة والرضوان .

عبد الحفيظ فرغلي القرني



من أحداث السيرة النبوية

بيعات العقبة الثلاث

من الأحداث الجديرة بالتسجيل فى تاريخ السيرة النبوية العطرة بيعات العقبة الثلاث[1] لأنها تمثل فى السيرة مواقف تاريخية فذة تعتبر بحق المقدمة لحادث الهجرة النبوية ولذلك تعد من أخطر اللحظات فى تاريخ البشرية إذ انبعثت فى لحظة تمامها طلائع النور لتبدد ظلمات الصدور وانفجرت من خلالها ينابيع الاستنارة الدينية لتتدفق بالخير فتغسل أدران الأرض . إنها البيعات التى توثقت بين النبى ﷺ وبين القادمين من يثرب إلى المواسم فى مكة وكانت النواة لجبهة الأنصار .

والعقبة لغة الطريق الوعرة فى الجبل ، أضيفت جغرافيا إلى خليج العقبة الذراع الشرقى للبحر الأحمر ويقع على طرفها الشمالى ميناء العقبة ، وورد اللفظ فى سورة البلد فى قوله تعالى : « فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ » بمعنى مجاهدة النفس والشيطان لبذل النفس والنفيس فى طاعة الله ثم هو فى الحجاز اسم للمكان بين منى ومكة المكرمة حيث وقعت أحداث البيعات يؤمه حجيج المسلمين كل عام أول افاضتهم من عرفات حيث تقوم الجمرة المنسوبة إلى العقبة وقل من يذكر منهم حين وقوفه لرجم الجمرات أكثر من أنه منسك من مناسك الحج يؤدى برمى الجمرات فى حين أن المكان يثير فى نفوس العارفين ذكرى عزيزة على كل مسلم ، وهى لحظات من النور تمت خلالها البيعة بين النبى ﷺ وبين الأوس والخزرج .

والبيعة عقد يأخذه الإنسان على نفسه ببذل الطاعة والوفاء بالالتزام الذى يتضمنه ميثاقها .

ومبايعة رسول الله على أمر مَّا هى فى حقيقتها مبايعة لله سبحانه وتعالى .

« إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ

---

[١] ثابت ـ قطعا ـ وقوع البيعتين : الثانية والثالثة فى العقبة ، وكذلك الأولى ، نقل ذلك العدوى عن ابن القداح ـ فى ترجمة : عُوَيم بن ساعدة ـ رضى الله عنهم بأسد الغابة ٤/٣١٦ ترجمة رقم ٤١٣٢ ـ قال : إنه شهد العقبات الثلاث ، وذلك أن ابن القداح قال : العقبة الأولى ثمانية ، والثانية اثنا عشر ، والثالثة سبعون .... اهـ .... مجلة ، الأزهر .



للأستاذ محمد الليثى على محمد

فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

وقد كان النبى ﷺ يُبَايع على شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وعلى إقامة الصلوات الخمس لوقتها وأداء الزكاة المفروضة وصوم رمضان وحج البيت والجهاد فى سبيل الله والنصح للمسلمين كما بايع على الاقدام فى أمر الله عز وجل وعلى أن لا يأخذ المبايع فى الله لومة لائم إلى غير ذلك من خصال الخير التى جاء بها الإسلام[1] .

وقد مكث الرسول ﷺ بمكة عشر سنين يتبع الناس فى منازلهم وفى مواسم أسواقهم وحجهم يقول :

« من يؤوينى .. من ينصرنى حتى أبلغ رسالة ربى وله الجنة » .

فلا يجد مجيبا وإن أَحَسَّ احدهم ميلا إلى دعوته خاف بطش قريش فكتم فى نفسه وانصرف ؛ فكانت البيعة على النصرة من أهداف عرض نفسه ﷺ على القبائل وقد حدث أن تعرض فى موسم الحج لستة نفر من الخزرج من موالى يهود منهم أسعد بن زرارة فدعاهم إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن ودعاهم إلى الاسلام وإلى معاونته فى تبليغ الرسالة فقال بعضهم لبعض « إنه للنبى الذى كانت توعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه . فقد كانت تهددهم اليهود كلما كان بينهم شىء .

« إن نبيا مبعوثا قد أطل زمانه نتبعه نقتلكم معه قتل عاد وإرم » لذلك آمنوا وصدقوا وقبلوا ما عرض عليهم من الاسلام وقال سعد بن زراة : انا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعزمنك وتواعدوا على المقابلة فى الموسم المقبل . وكانت هذه أول بادرة تبرق بالأمل فى نشر الدعوة فى يثرب فلما عادوا دعوا أهل يثرب حتى فشا فيهم الإسلام ولم تبق دار بها إلا وذكر فيها رسول الله .

فلما كان موسم الحج التالى قدم أثنا عشر رجلا أثنان من الأوس وعشرة من الخزرج واجتمعوا بالنبى عند العقبة واسلموا وبايعوا على بيعة النساء ولم يكن قد أذن للنبى بالقتال . وفى ذلك يقول عبادة بن الصامت « كنت فيمن حضر العقبة فبايعناه على بيعة النساء وهى :

« ألا نشرك بـالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل اولادنا ولا ناتى بهتان

[١] وعادة كانت البيعة التى لا يؤخذ فى نصها وجوبُ الدفاع عن الدين بالقتال فى سبيله يستوى مضمونها ومضمون البيعة للنساء ، ومن هنا يتردد فى (السيرة) القول بأن النبى ﷺ ـ بايع بعض الرجال بيعة النساء ، أى بيعة ليس فى نصها القتال .... مجلة الأزهر .

بيعات العقبة الثلاث

نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه فى معروف والسمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره واثره علينا وألا ننازع الأمر أهله وأن نقول بالحق حيث كنا لا نخاف فى الله لومة لائم » .

ثم قال رسول الله ﷺ فإن وفيتم فلكم الجنة ومن غش من ذلك شيئا فأخذ بحده فى الدنيا فهو كفارة له ، وإن ستر عليه إلى يوم القيامة فأمره إلى الله عز وجل إن شاء غفر وإن شاء عذب .

وعاد المبايعون إلى المدينة وهم معاذبن الحرث وذكوان بن عبد قيس وعبادة ابن الصامت وأبو عبد لرحمن بن ثعلبة والعباس بن عبادة بن نضله وأبو الهيثم ابن اليهان وعويم بن ساعدة وأبو أمامة وعوف بن عفراء ورافع بن مالك وقطبه ابن عامر وعقبة بن عامر .

وعقب وصولهم وانتشار الأمرين أهل المدينة كتبوا إلى الرسول ﷺ :

« إن الاسلام قد فشا فينا فابعث إلينا رجلا من اصحابك يقرئنا القرآن ويفقهنا فى الاسلام ويعلمنا يسننه وشرائعه ويؤمنا فى الصلاة » فبعث إليهم مصعب بن عمير .

روى الدارقطنى عن ابن عباس : أذن رسول الله ﷺ بالجمعة قبل أن يهاجر ولم يستطع أن يجمع بمكة ولا يبدى ذلك فكتب إلى مصعب بن عمير : اما بعد فانظر اليوم الذى تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم فاجمعوا نساءكم وأبناءكم فإذا زال النهار عن شطره فتقربوا إلى الله بركعتين »[1] .

ومن الملاحظ أن صيغة المبايعة قد خلت من النص على أن يمنعوه حتى يبلغ رسالة ربه كما كان يفعل من قبل حين العرض على القبائل فعن الدلائل لأبى نعيم أنه ﷺ حين جاء كندة فى منازلهم بعكاز جعل يكلمهم ويقول لهم :

ادعوكم إلى الله وحده لا شريك له ، وأن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم ؛ فإن أظهر فأنتم بالخيار .

وقال لنبى عامر بن صعصعة :

فإن اتيتكم تمنعونى حتى أبلغ رسالة ربى ولم أكره أحدا منكم على شىء وهى بيعة على النصرة .

وقويت شوكة الاسلام فى المدينة ولم تبق دار منها إلا وفيها رهط من المسلمين فأتمروا جميعا فقالوا ـ فيما بينهم : حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطوف ويطرد فى جبال مكة فرحل منهم سبعون رجلا قدموا فى الموسم التالى مع من قدم من مشركى يثرب وقابل وفدهم النبى فوعدهم منى وسط أيام التشريق ليلة النفر الأول إذا هدأت الرجل أن يوافوه فى الشعب الأيمن إذا انحدروا من منى بأسفل العقبة وأمرهم الا ينبهوا فى ذلك الوقت نائما ولا ينتظروا غائبا حتى يتم اللقاء فى خفية من

[١] شرح الزرقانى على المواهب .

قريش . فلما فرغوا من حجهم توجهوا إلى موعدهم كاتمين أمرهم عمن معهم من المشركين فتسللوا بعد أن مضى الثلث الأول من الليل تسلل القطا الرجل والرجلين حتى بلغت عدتهم ثلاثة وسبعين رجلا اثنان وستون من الخزرج وأحد عشر من الأوس ومعهم امرأتان أم عمارة نسيبة بنت كعب وأسماء بنت عمرو ابن عدى فوجدوا النبى ﷺ قد سبقهم إلى الموعد ومعه العباس بن عبد المطلب حضر اللقاء يتوثق لابن أخيه قال العباس ابن عبد المطلب : يامعشر الخزرج إن محمدا منا حيث علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه - [وكان العباس على دين قومه] - فهو فى عز من قومه ومنعة وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه فإنه فى عز ومنعة من قومه وبلده .

فقال البراء بن معرور كبيرهم : « والله لو كان لنا فى أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل مهجنا دون رسول الله خذ لنفسك ولربك ما أحببت .

فتلا رسول الله ﷺ - القرآن ودعا إلى الله ورغب فى الاسلام ثم قال :

أشترط لربى أن تعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئا ولنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم متى قدمت عليكم . فأخذ البراء بن معرور بيده وقال نعم فو الذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع من أزرنا[1] فبايعنا يارسول الله فنحن والله أبناء الحرب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر . فقال الهيثم بن النبهان حليف بنى عبد الأشهل يارسول الله إن بيننا وبين الرجال[2] حبالا وإنا قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا . فتبسم رسول الله (ﷺ) ثم قال : بل الدم الدم والهدم الهدم أنا منكم وأنتم منى ذمتى ذمتكم وحرمتى حرمتكم أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم ، فتحركت عواطف عمه العباس فقال وهو يستوثق العهد لأبن أخيه :

« عليكم بما ذكرتم ذمة الله مع ذمتكم وعهد الله مع عهدكم فى هذا الشهر الحرام والبلد الحرام يد الله فوق أيديكم لتجدن فى نصرته ولتشدن من أزره .

فقالوا نعم فقال العباس اللهم إنك سامع شاهد وأن ابن أخى قد استرعاهم ذمته واستحفظهم نفسه اللهم كن لابن أخى عليهم شهيدا .

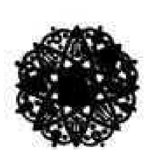
---

[١] انفسنا وأهلينا ونساءنا (٢) اليهود .

وأقبل أبو الهيثم على قومه فقال : ياقوم هذا رسول الله أشهد أنه لصادق وأنه اليوم فى حرم الله وأمنه وبين ظهرى قومه وعشيرته فأعلموا ان تخرجوه رمتكم العرب عن قوس واجده فإن كانت طابت أنفسكم بالقتال فى سبيل الله وذهاب الأموال والأولاد فادعوه إلى أرضكم فإنه رسول الله حقا وإن خفتم خذلانا فمن الآن فقالوا عند ذلك قبلنا عن الله وعن رسوله ما أعطيانا وقد أعطينا من أنفسنا الذى سألتنا يارسول الله فقال أبو الهيثم أنا أول من بايع ثم أقبلوا للمبايعة فقال العباس ابن عبادة كما فى البداية عن عاصم بن عمر : يامعشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل قالوا نعم قال إنكم تبايعون على حرب الأحمر والأسود من الناس فإن كنتم ترون أنكم إذا أنهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن فهو والله إن فعلتم خزى الدنيا والآخرة وإن كنتم ترون أنكم وافون بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا : فانا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف . فمالنا بذلك يارسول الله إن نحن وفينا ؟ قال : الجنة قالوا : أبسط يدك فبسط يده فبايعوه .

ثم قال كما جاء فى طبقات ابن سعد « إن موسى أخذ من بنى إسرائيل اثنى عشر نقيبا فلا يجدن منكم أحد فى نفسه ان يؤخذ غيره فإنما يختار لى جبريل . ثم تَخَيَّر تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس لكل عشيرة منهم نقيبا وقال للنقباء : أنتم كفلاء على غيركم كفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومى فقالوا نعم ثم قال ارفضوا إلى رحالكم .

ولما شكا المسلمون ما يلقون فى مكة من اضطهاد أمرهم بالهجرة إلى المدينة حيث جعل الله لهم فيها إخوانا ودارا يأمنون بها . وكانت هذه البيعة مدخلا للهجرة النبوية إلى المدينة المنورة ولتبدأ الدعوة تأخذ طريقها إلى الانتشار .



المراجع: سيرة ابن هاشم ـ طبقات بن سعد . شرح المواهب اللدنية ـ زاد المعاد لابن القيم .
إمتاع الأسماع للمقريزى .

إدارة الرسول

صلى الله عليه وسلم

للأستاذ محمد صابر البرديسي

دعا الرسول ﷺ إلى الاسلام سرا ثلاث سنين واسلم من اسلم من المسلمين فى باديء الأمر كالسيدة خديجة وعلى بن ابى طالب ، وابى بكر الصديق وغيرهم .

ثم امر الله رسوله بالجهر بالدعوة ، وبمبادات قومه ، وان يصدع بما امر به قال تعالى : « فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ »[1] وقال تعالى « وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ، وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ »[2] .

قال ابن اسحق : « فلما بادي رسول الله « ﷺ » قومه بالاسلام وصدع به كما أمره الله ، لم يبعد منه قومه ، ولم يردوا عليه ـ فيما بلغنى ـ حتى ذكر آلهتهم وعابها ، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه ، وأجمعوا على خلافه وعداوته ، إلا من عصم الله تعالى منهم بالاسلام ، وهم قليل مستخفون .. ولما اضهد المشركون من قريش أصحاب رسول الله « ﷺ » أشار الرسول « ﷺ » على أصحابه بالتفرقة فى البلاد ، وبالهجرة إلى الحبشة مع نسائهم علما منه بأن ملكها يحسن جوارهم ولا يظلمهم ، ثم دعاهم إلى الهجرة بدينهم ، فراراً من أذى قريش الذين اشتدوا عليهم . عن ابن عباس « والله إن كان المشركون ليضربون أحدهم . ويجيعونه ويعطشونه ، حتى ما يقدر على أن يستوي جالسا من شدة الضر الذي نزل به حتي يُعطيهم ماسألوه من الفتنة .

فكان الأمر بالهجرة أولا وثانيا أول تدبير إداري من الرسول أنقذ به أصحابه من عنف المشركين وإيذائهم . وقد سار « ﷺ » فى قيادة الدولة الجديدة للمجتمع عبر مـرحلتين مترابطتين .

١ ـ سورة الحجر رقم ٩٤ والمعنى : اجهر بالذي تؤمر به

٢ ـ سورة الشعراء آية ٢١٤ ، ٢١٥.

الأولى : نشر تعاليم الاسلام بما ينظم حياة الفرد فى مكة للتخلص من قيود العصبية .
الثانية : تنظيم جماعة المسلمين فى المدينة ، لإعلاء شأن المجتمع الاسلامى وإعداد بنائه لحمل رسالة الاسلام إلى سائر أرجاء العالم .
[١] ففى مكة : قد أرسي القواعد التالية للمجتمع ، وفق ما جاء بها القرآن الكريم .
أولا : الدعوة إلى وحدانية الله ، واتخاذ هذه العقيدة الدينية الأساس لبناء مجتمع جديد فى نظمه ومثله العليا ، وأوضح القرآن الكريم أهمية هذه الدعوة ، وأن المجتمع العربى وأهله لم تكن لهم معرفة بها من قبل ، قال تعالى : « وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ »(٣) .
ثانيا : تقرير فكرة البعث والحساب بعد الموت لدي الإنسان ، حيث الجنة والنار حسب ماقدمت يداه فى الحياة الدنيا .

واستهدفت هذه العقيدة الإطاحة بما كان مفهوما فى المجتمع القبلى ، وأوضحت مسئولية الانسان فى هذه القضية مسئولية فردية « فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » وعلى أساس أنه لاتزر وازرة وزر أخري .

فهذه العقيدة بعثت مسئولية جديدة أيقظت فى المرء الضمير .

ثالثا : اتخاذ التقوي أساسا للتفاضل وبناء الأخلاق الكريمة ، قال تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ »(٤) وبدأت التقوى فى الاسلام ، وما حوته من مقاييس أخلاقية تنظم العلاقة بين الناس على قواعد جديدة ، وتعمل على سعادة أفراد المجتمع ورفاهيتهم ، إذ أنها قامت على أساس الايمان بالله ومرضاته .
رابعا : التأكيد على وحدة الرسلات ، وأنها تستمد تعاليمها جميعا من الله سبحانه وتعالى ، وذلك للقضاء ، على تعدد المعتقدات فى المجتمع القبلى وحيرته أيضا بين أتباع المسيحية واليهودية قال تعالى : « شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ »(٥).

ولكن الملأ من قريش ومن حولهم ، أعلنوا استنكار ما جاء به محمد ، ورأوه غريبا على مجتمعهم ، وقالوا عنه : مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ »(٦) وقالوا : « مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ »(٧) .

ودار الصراع بين الملأ من قريش ومن حولهم ، وبين الرسول « ﷺ » ، وفى كل مرحلة من مراحل الصراع يفقد المجتمع القبلى سطوته ، وكان الرسول « ﷺ » يحمل قوته .

وتجلي عجز قريش حين بعثت بعتبة بن ربيعة إلى الرسول الكريم ليغريه على ترك الدعوة الاسلامية ، مقابل منحه الملك عليهم ،

٣ ـ سورة سبأ آية ٤٤
٤ ـ الحجرات آية ١٣
٥ ـ سور الشوري آية ١٣
٦ ـ المؤمنون آية ٢٤
٧ ـ سورة ص آية ٧

وجاء ذلك فى الحوار الذى دار بين الرسول الكريم ، وعتبة بن أبى ربيعة .

قال عتبة للرسول : يا ابن أخى ، إن كنت تريد بما جئت به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا . وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا حتى لانقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكا ، ملكناك علينا .

ولما انتهى عتبة من عروضه على محمد « ﷺ » تلك العروض التى تكشف عن المفاهيم الخاطئة تجاه الدعوة الاسلامية ، قال له رسول الله « ﷺ » « أو قد فرغت يا أبا الوليد ؟ » .

قال : نعم .

قال الرسول : فاسمع منى .

قال عتبة : افعل .

فقال الرسول « ﷺ » : « بسم الله الرحمن الرحيم » « حمٓ . تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ • كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ . وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ »(٨) .

وما كاد يستمع عتبة إلى هذه الآيات حتي ارتعدت فرائصه ، وهزت أقوال الرسول الكريم مفاهيم عتبة عن المجتمع القبلى ، وعاد إلى قريش ، يؤكد طلائع القيادة الرشيدة قائلا :

يا معشر قريش أطيعونى ، واجعلوها بى ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوا الله ليكونن له ولقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصيبه العرب ، فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب ، فملكه ملككم ، وعزه عزكم . وكنتم أسعد الناس به ، ولكن ملأ قريش أبى الا التمادي فى غيَّه ، وبعصبيته القبلية ، وايقاع الأذي بالرسول ، وبأتباعه فى مكة .

واستطاع مجتمع المسلمين فى مكة أن يحقق مبدأ جديداً وهو أن واجب الفرد لم يعد يقتصر على قبيلته ، وإنما صار يشمل المؤمنين بالدعوة الاسلامية ، وبدأ هذا المفهوم الجديد يهز المجتمع القبلى كله رغم صلف قريش ، وشدة بأسها .

[ب] فى المدينة : لم يعد أمام الرسول « ﷺ » سوي أن ينقل هذا المفهوم والدعوة التى استند إليها هذا المفهوم إلى ميدان جديد ، وأرض جديدة تكون أكثر ملاءمة لنموه وازدهاره ، بعيداً عن قريش ، معقل النظم القبلية والعصبية الجاهلية ، ووجدت الدعوة الاسلامية ، ومفاهيمها تربة جديدة بين أهل يثرب « المدينة » الذين التقى بهم الرسول « ﷺ » فى سوق عكاظ حيث وجد منهم استجابة للدعوة الاسلامية ، وتعاليم الاسلام ، حيث قال أعضاء وفد الخزرج للرسول « ﷺ » : إنا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر مابينهم ، فعسي أن يجمعهم الله بك ، فستقدم عليهم فتدعوهم إلى أمرك ، وتعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك » .

ولقيت الدعوة الاسلامية ومفاهيمها استجابة من أهل يثرب حتى تم بينهم ، وبين الرسول الكريم ، بيعة العقبة الثانية ، ثم

٨ ـ سورة فصلت الآيات ١ ـ ٥

هجرته « ﷺ » إلى يثرب ، حيث بدأت هناك صفحة مشرقة ورائعة فى بناء الدولة الاسلامية وقيادتها الجديدة .

نظام الحكم فى عهد الرسول « ﷺ » .

كان من أظهر آثار الدين الاسلامي أن آخى بين المسلمين على اختلاف قبائلهم ، وقرابتهم ، وأحل الوحدة الدينية ، محل الوحدة القومية فأصبحوا متساوين جميعا ، وغدوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، قال تعالى :

« وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . »(٩)

ولقد تلاشت بهذه المساواة والأخوة كل الفروق الجنسية التى طالما مزقت شمل العرب ، وأصبح الدين دون الجنس ، هو الأساس فى تحديد العلاقات بين الراعى والرعية ، قال تعالى : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ .(١٠)

وفى المدينة وضع نظام الدولة الاسلامية ، وضع نواة النظام الإدارى ، فكان يبعث إلى القبائل المختلفة التى دخلت فى الاسلام ، من يقرئها القرآن . وكان ينيب عمالا على القبائل ، وعلى المدن الكبيرة ، وكانت وظيفة هؤلاء العمال هى الإمامة فى الصلاة وجمع الصدقات إذ لم يكن هناك خراج . وكان يتخيرهم - ﷺ - ممن اشتهروا بالصلاح والتقوي والعلم والتفقه فى الدين وقد فرض النبي - ﷺ لابن أسيد الذى ولاه مكة درهما كل يوم ، فكان هذا الراتب ما وضع من الرواتب للعمال .

قيادة تهوي إليها الأفئدة :

إن الذين عاشروا رسول الله « ﷺ » أحبوه كل الحب ، وجعلوه المثل الأعلى لهم ، وكان أحب إليهم من أنفسهم وأموالهم وأولادهم ، حب الفعل والعاطفة إلى حد الهيام ، ومايبالون أن تندق أعناقهم ، ولا يخدش له ظفر .

عن عبد الله بن سلام قال : « أول ما قدم رسول الله « ﷺ » المدينة انحفل الناس إليه ، فكنت فيمن جاءه ، فلما تأملت وجهه ، واستثبته علمت أن وجهه ليس بوجه كذاب ، قال : وكان أول ما سمعت من كلامه أن قال : « يا أيها الناس ، افشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام . تدخلوا الجنة بسلام »(١٢) .

حاول ابن سلام استكشاف أخبار المهاجر ، فنظر إليه يستطلع حقيقته ، فكان أول ما أطمأن إليه بعد التثبيت من أحواله ، إن هذا ليس بكاذب ، فحقيقة الرسول الممتدة فى باطن نفسه وأعماق سريرته أضفت على ملامح وجهه امارات الصدق والصفاء والوضوح والشفافية .

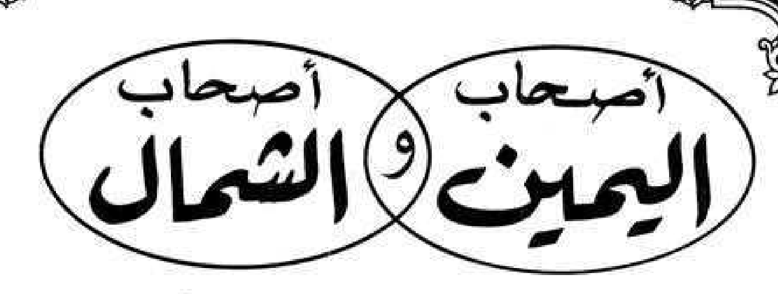
وسيبقى هذا أنموذجا مع الأجيال ، لتحقق معنى الايمان فى أعلى الدرجات ، والله الموفق .

---

٩ - سورة الأنفال آية ٦٣

١٠ - سورة الحجرات آية ١٣

١٢ - رواه الترمذي وحسنه



أصحاب اليمين و أصحاب الشمال

للدكتور محمود محمد رسلان

خطب ابو بكر الصديق - رضى الله عنه - يوما فقال :

« اما تعلمون انكم تغدون وتروحون لاجل معلوم ؟

فمن استطاع ان يقضى الاجل وهو فى عمل الله عز وجل - فليفعل ، ولن تنالوا ذلك إلا بالله عز وجل »[1] .

فإن الله عز وجل يقول : ﴿ لَا يَسْتَوِى أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾[2] .

نعم لا يستوى هؤلاء وهؤلاء فى حكم الله تعالى يوم القيامة ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[3] . وقال تعالى : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِى الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾[4] .

وكذا تمضى أيات الكتاب العزيز تفرق بين الابرار والفجار فالابرار اصحاب الجنة ، والفجار نزلاء النار .

ومن ثم قال سبحانه : ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾[5] . أى الناجون المسلمون من عذاب الله عز وجل[6] .

أعمال دالة على صفات أهل اليمين :

منها ما جاء فى قوله تعالى :

﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ . يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ . أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ . ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ . أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾[7] .

◄

(١) تفسير ابن كثير جـ ٤ ، ص ٣٤٢ ط الحلبى

(٢) الحشر من الآية : ٢٠ .

(٣) الجاثية : ٢١ .

(٤) ص : ٢٨ .

(٥) الحشر : ٢٠ .

(٦) تفسير ابن كثير جـ ٤ ، ص ٣٤٢ ط الحلبى .

(٧) البلد : ١٣ - ١٨ ، وفك الرقبة : عتقها والمسغبة : المجاعة ، والمقربة : القرابة ، والمتربة : الفقر والمرحمة . الرحمة .

وفى الحديث الشريف : « من أعتق رقبة مسلمة فهو فداؤه من النار »[8] .

وفى الحديث أيضا « الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذى الرحم اثنتان : صدقة وصلة رحم »[9] .

أوصاف أصحاب الشمال وعقابهم :ـ

يقول العزيز الحكيم : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾[10] . اى أصحاب الشمال ﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴾ اى مطبقة عليهم ، فلا محيد لهم عنها ، ولا خروج لهم منها[11] .

فأصحاب الشمال هم الذين سيأخذون كتب أعمالهم بشمالهم : إنهم المنافقون ، المكذبون للوعد والوعيد والحساب ، والنشور ، والثواب والعقاب ، والجنة والنار ، إنهم الذين يقولون :

﴿ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ . أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ . قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ . لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾[12] . ثم هم ـ من بعد ـ رهن عقيدتهم وأعمالهم .

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ . فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا . وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾ [13] وإنما وصل إلى هذا المنعطف جزاء عقيدته وعمله في دنياه ، فقد كان اعتقاده باستحالة الآخرة داعيا له إلى نبذ عقيدة الجزاء فانطلق في دنياه يغرف من الشهوات ويحيا الملذات .. ﴿ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا[14] إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ [15] . ﴾ أي ظن أن لن يبعث ويؤكد هذا الأمر قول الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ . وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ . يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ . مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ . هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾ [16] وكربه لا يمنع الجزاء ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ . ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ . ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ [17] .

فإذا سألت عن سبب هذا المصير المؤلم ، جاءك الجواب ﴿ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ . فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ . وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ . لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ [18] ﴾ .

فأصحاب الشمال : هم الكفرة الفجرة ، الملاحدة ، الذين كذبوا بالرسالة الخاتمة ، وبرسولها ﷺ ، فإذا سأل سائل عن أصحاب الشمال : أين هم ؟ أتاه الجواب :

---

(٨) مسند الإمام أحمد : ٤/١٥٠ .
(٩) مسند الإمام احمد : ٤/٢١٤ .
(١٠) البلد : ١٩ .
(١١) تفسير ابن كثير سورة البلد .
(١٢) الواقعة : ٤٧ ـ ٥٠ .
[١٣] الانشقاق : ١٠ ـ ١٢ ، والثبور : الهلاك .
[١٤] الانشقاق : ١٣
[١٥] الانشقاق : ١٤ ، ويحور : يرجع .
[١٦] الحاقة : ٢٥ ـ ٢٩ .
[١٧] الحاقة : ٣٠ ـ ٣٢ .
[١٨] الحاقة : ٣٣ ـ ٣٧ ، والحميم : الماء الحار ، والغسلين : غسالة أجواف أهل النار ، وجلودهم .

﴿ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ . وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾ (١٩) أي من دخان شديد السواد ﴿ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ (٢٠) أي ليس طيب الهبوب ، ولا حسن المنظر .

قال ابن جرير : العرب تتبع هذه اللفظة فى النفي فيقولون : هذا الطعام ليس بطيب ولا كريم ، هذا اللحم ليس بسمين ولا كريم . فإذا ما سألت عن سبب استحقاقهم لهذا العذاب . جاءك الرد : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ (٢١) أي كانوا في الدنيا منعمين مقبلين على لذات أنفسهم لا يلوون على ما جاءتهم به الرسل ، ﴿ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴾ (٢٢) . أي يقيمون على الشرك ، ولا ينوون توبة ، وإنهم ـ لضلالهم وتكذيبهم ﴿ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ . فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (٢٣) .

هذا هو القصاص ، وذلك هو الجزاء ، ثم بعد : ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (٢٤) .

ومن انصاف الله سبحانه للبشر أن ساق لهم هذه الرؤية ليكونوا على بينة من أمرهم ..

﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا . اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ (٢٥) فالقرآن يجسم المعانى هنا ، ويبرزها في صورة حسية ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ .

قال بعض الصلحاء : هذا كتاب لسانك قلمه ، وريقك مداده ، وأعضاؤك قرطاسة ، أنت كنت المُمْلِي على حفظتك ، مازيد فيه ولا نُقِص منه ، ومتى أنكرت منه شيئاً يكون فيه الشاهد منك عليك (٢٦) .

ونص الآية الكريمة يفيد أن عمل ابن آدم محفوظ عليه : قليله وكثيره مُدَوَّنٌ عليه ليلا ونهارا صباحا ومساءً .

قال تعالى : ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾ .

أى نجمع له عمله كله فى كتاب يعطاه يوم القيامة إما بيمينه إن كان سعيدا وإما بشماله إن كان شقيا (منشورا) مفتوحا يقرؤه هو وغيره . فيه جميع عمله .

---

[١٩] الواقعة : ٤٢ ـ ٤٣ ، والسموم : الريح الحارة

[٢٠] الواقعة : ٤٤ .

[٢١] الواقعة : ٤٥ .

[٢٢] الواقعة : ٤٦ ، والحنث : الشرك ، والكبير من الذنوب ايضا .

[٢٣] الواقعة : ٥٢ ـ ٥٦ ، والزقوم : شجرة مرة كريهة الرائحة ثمرها طعام أهل النار . المعجم الوسيط مادة : « زقم » . والهيم : قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة : الإبل العطاش الظماء ، وقال السدى : الهيم : داء يأخذ الإبل فلا تروي ابدا حتى تموت ، فكذلك اهل جهنم لا يروون من الحميم ابدا . راجع تفسير ابن كثير حـ ٤ صـ ٢٩٥ ط الحلبي .

[٢٤] الكهف من الآية : ٢٩ .

[٢٥] الاسراء : ١٣ ـ ١٤ .

[٢٦] تفسير القرطبي سورة الاسراء ط الشعب .

﴿ يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ . بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ . وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴾ . .

﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾

وكل واحد يقرأ كتابه ولو كان أميا فإن الله سبحانه يُقْدِرُهُ على ذلك .

ولما تلا الحسن البصرى - رضى الله عنه : ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾(٢٧) قال : ياابن آدم بسطت لك صحيفتك ، ووكل بك ملكان كريمان : أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك ، فأما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك ، وأما الذى عن شمالك فيحفظ سيئاتك فاعمل ماشئت .. أَقْلِل او أكثر حتى إذا مت طويت صحيفتك فجعلت فى عنقك فى قبرك حتى تخرج يوم القيامة كتابا تلقاه منشوراً اقرأ كتابك .. الآية ؛ فقد عَدَلَ - والله - من جعلك حسيب نفسك(٢٨)

فأصحاب اليمين هم الأبرار لهم النعيم المقيم فلا يَيْأَسُون أبدا ، محظوظون بمشاهدة المولى - عز وجل - لا يضامون فى رؤيته ، وإنها لأمتع لذاتهم مطلقا ، ثم هم مسرورون بما اشتهت أنفسهم مما يرونه متاعا لهم مقيمين مع طيبات أطهار مقصورات عليهم قال عز وجل :

﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ . فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ . وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ . وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ . وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ . لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ . وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ (الواقعة ٢٧ - ٣٤)

والفُرُش : جمع،واحده فراش ، ففى الآية إلماح إلى النساء ، لذا جاءت الآيات التاليات إعرابا عنهن قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً . فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا . عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ .

وهؤلاء الأبكار العرب الأتراب المنشآت ، إنما أنشأهن الله عن خلق آخر كن فيه عجائز رُمْصا شُمْطا فَصِرْن فى هذا الخلق الأخير على أجمل ما تتمنى المرأة لنفسها من جمال وخير .

وفى الحديث عن رسول الله - ﷺ - لمن طلبت إليه أن يدخلها الله الجنة ، فقال - عليه الصلاة والسلام : « **يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز** » فلما ولت تبكى قال - ﷺ - أخبروها أنها لا تدخلها وهى عجوز . إن الله - تعالى - يقول : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً . فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴾ .

وهكذا رواه الترمذى فى الشمائل .

سألت السيدة أم سلمة - رضى الله عنها - رسول الله - ﷺ - عن قوله تعالى : ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ فقال - عليه الصلاة والسلام : « **هن اللواتى قبضن فى الدنيا عجائز رُمْصاً شُمْطاً** »(٢٩) .

---

(٢٧) ق - ١٧ .

(٢٨) تفسير ابن كثير ٣/٢٨ ط الحلبى .

(٢٩) الرَّمَص بزنة - قلم : قذى تلفظه العين تسميه العامة عُمَاص - بزنة قماش،والفعل من الرمص بزنة عجب يقال،رمصت عينه أو عينها فهو أرمص وهى رمصاء والجمع منه رُمْص بزنة قُفْل،والشمطاء التى خالط سواد شعرها بياض والجمع كسابقه وزنا .

خلقهن الله بعد الكبر ، فجعلهن عذارى ، عربا متعشقات محببات اقرابا على ميلاد واحد » .

سألت: يارسول الله ؟ نساء الدنيا أفضل أم الحور العين ؟ قال ﷺ : بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة[٣٠] .

سألت: يارسول الله ؟ وبم ذاك ؟ قال : **« بصلاتهن ، وصيامهن ، وعبادتهن الله عز وجل ألبس الله وجوههن النور ، وأجسادهن الحرير ، بيض الألوان ، خضر الثياب ، صفر الحلى ، مجامرهن الدر ، وأمشاطهن الذهب » ، يقلن :**

نحن الخالدات فلا نموت أبدا ، ونحن الناعمات فلانبأس ابدا ، ونحن المقيمات فلا نظعن أبدا ، ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا طوبى لمن كُنَّا له ، وكان لنا .

سألت: يارسول الله ، المرأة منا تتزوج زوجين والثلاثة ، والأربعة ، ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها مَنْ يكون زوجها ؟ قال : يا أم سلمة تُخير فتختار أحسنهم خلقا فتقول : يارب إن هذا كان أحسن خلقا معى فزوجنيه ، ياأم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة .

فكان رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « والذى بعثنى بالحق ما أنتم فى الدنيا أعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم »[٣١] .

« لأصحاب اليمين » أى أن الحور العين خلقن لأصحاب اليمين ، أو ادخرن لأصحاب اليمين ، أو زوجن لأصحاب اليمين .

وفى وصف رجال الجنة ، ما روى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : **« يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعاً بذراع الملك:**

على حسن يوسف ، وميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة ، وعلى لسان محمد جُرْدٍ مُرْد مُكَحَّلين[٣٢] ، وفى رواية :

« يبعث الله أهل الجنة على صورة آدم فى ميلاد عيسى ثلاثة وثلاثين جرداً مرداً مكحلين ، ثم يذهب الله بهم إلى شجرة فى الجنة ، فيُكْسَوْن منها ، لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم »[٣٣] .

---

(٣٠) الظهارة من الظهور ضد الخفاء فهى ماعلا فظهر ولم يل الجسد ، وبطانة الثوب : ماولى منه الجسد ، أى ماكان داخلا .

(٣١) راجع حديث الصور بتفسير ابن كثير ٤ / ٢٩٢ ط الحلبى .

(٣٢) اخرجه ابو بكر بن ابى الدنيا . انظر المصدر السابق ٤ / ٢٩٣ .

(٣٣) نفس المصدر ٤ / ٢٩٣ ـ اخرجه ابو بكر ابن ابى داوود .

فأصحاب اليمين كناية عن المؤمنين الذين يأخذون كتب أعمالهم بأيمانهم فيسرون سروراً عظيماً، كما قال تعالى ﴿ فأما مَنْ أوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسِيرًا . وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً ﴾(٣٤).

ولقد أكد الله هذا الأمر فقال :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ . إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ . فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾(٣٥) .

وهكذا تتنزل النعم الإلهية على المؤمنين حتى ورد فى الكتاب العزيز :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً . خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً . ﴾(٣٦) أى ضيافة وكرامة .

لقد عرف السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ مكانة أصحاب اليمين عند ربهم ، وعاقبة أصحاب الشمال ومآلهم ، فرغبوا فيما عند الله ، فكرسوا جهودهم ليكونوا من أصحاب اليمين ، فعملوا لهذا اليوم كل حساب ، فلم يخالط نفوسهم شك فيما عند الله من نعيم أبدى مقيم .

ولقد أكد القرآن الكريم أن مستقر أصحاب اليمين ﴿ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ(٣٧) ﴾ فإذا سألت عن تمتعهم جاءك هذا الوصف المجسم لحالتهم وأنهم :

﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ . مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ . يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ . لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ . وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ . وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ . وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ . جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً . إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً ﴾(٣٨)

فإذا سألت: لِمَ كل هذا النعيم ، وهذا الكرم العميم ؟ جاءك الرد : ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يعْملون(٣٩) ﴾ .

ويؤكد حقيقة هذا النعيم المقيم لأهل اليمين قول الله تعالى :

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً . عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً . يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً . وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً . إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً . إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً . فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً .

٣٤) الانشقاق : ٧ ـ ٩ .
٣٥) الحاقة : ١٩ ـ ٢١ .
٣٦) الكهف : ١٠٧-١٠٨
٣٧) الواقعة : ١٢ .
٣٨) الواقعة : ١٥ ـ ٢٦
٣٩) الواقعة : ٢٤ ـ

وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً . مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً . وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً . وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا . قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً . وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً . عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً . وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً . وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً . عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً . إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً ﴾[٤٠]

فهل بعد هذه النعم الربانية ، والمنزلة العظيمة ، المدخرة لأهل الجنة يوجد من يعرض عنها ، فلا يرغب في العمل الصالح ؟ ويحرم نفسه نعم الله التى أعدها للطائعين من عباده ، لكن المسلم الصادق لا يكف عن العمل الصالح ، والدعاء صباح مساء رجاء أن يكون من أهل اليمين ، والحمد لله الذى نزّل الكتاب ، وهو يتولى الصالحين .

د . محمود محمد رسلان

---

٤) الإنسان ٥ - ٢٢ .

ولد الهدى - بقية

الا فليؤد العلماء وكل صاحب قلم ولسان متدين مخلص للاسلام واجبه فى الدفاع عن رسول الله وسنة رسول الله ﷺ وليبين للناس الحق ويجلوه ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ سورة الأنفال - آية ٤٢ -

الا فليتابع الفاقهون للإسلام تلك الأباطيل بالإبطال بالحجة والبرهان ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ .. سورة الانبياء - آية

في ذكرى مولد الرسول محمد ﷺ نذكر كمال عصمته عن النقائص والشبهات وحفظ الله تعالى له من الأعداء والشياطين والمخالفات حتى نقتدي به في عفة لسانه ، ونقاء قلبه ، وحكمته فى أسلوب الدعوة ، وكمال رحمته وشفقته وعفوه وصبره وعدله ووفائه ، وكمال آدابه .

فى ذكرى مولده الشريف نراجع انفسنا فى الأعمال والأقوال والسيئات والحسنات حتى نستبين اتباعنا للاسلام الذي بعثه الله إليه داعيا وبه عاملاً وما فارق الدنيا إلا بعد أن أدى الأمانة ، وأبلغ الرسالة ، وأتم الله هذا الدين .

وليكن الرسول ﷺ أسوتنا وفي قلوبنا فقد رفع الله ذكره وجعل الصلاة عليه عبادة أمر بها عباده فقال :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ . « سورة الأحزاب آية - ٥٦ » . **صدق الله العظيم**

بحوث في الأموال

الزكاة.. والضرائب

الفصل الأخير

وإذا قامت الدولة على أسس إسلامية ، وصارت الشريعة الإسلامية هى مصدر التشريع فيها ، فما الحال إذا جمعت الزكاة فقط ، وألغت ما عداها ثم لم تجد ما يكفى حاجتها من تمويل مشاريعها وإعطاء موظفيها رواتبهم فضلاً عما يجدر من حين إلى آخر من واجبات يناط بالدولة تنفيذها ؟

لقد كان الحال فى العهود الإسلامية الأولى من البساطة بحيث لم تتشعب الواجبات ووسائلها على النحو المعاصر ، وكانت دخول الدولة حينئذ كافية ، بل أكثر من كافية .

ثم ثانياً :

إذا جمعت أموال الزكاة فهل للدولة الإسلامية أن تنفقها فى مصارفها المختلفة فتشترى ما يتطلبه الدفاع من أسلحة حديثة وغيرها .. علماً بأن مصارف الزكاة قد عينها القرآن فصارت حقاً معلوماً لذوات بأعيانهم فى مقدمتهم من لا يجوز مس حقوقهم بحال ، أعنى : الفقراء المساكين .. ؟!!

نقول :

يقول المولى - عز وجل - فى الكتاب العزيز :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ » البقرة ٢٠٨ والمعنى - والله أعلم :

« يا أيها الذين آمنوا مارسوا شعائر الإسلام جميعها ، تقومون بها كلكم فى طاعة ؛ فليعمل المسلمون أجمعون بكل شعب الإيمان ، ووجوه البر ، وليجتنبوا ما يدعوهم إليه الشيطان فإنه عدو مبين لبنى الإنسان من تبعه باء بالخسران .»

وهذا معناه أن الإسلام وشريعته أمانة نحن مطالبون بالمحافظة عليها تطبيعاً فى كل مناحى حياتنا ، وهذا يعنى وجوب العناية التامة بكل مصادر الثروة الطبيعية فى أرض الوطن الإسلامى لأنها من الذخيرة التى استودعنا الله إياها ؛ فالعمل على حسن إستغلالها ، وإقامة الوسائل العلمية والآلية التى تؤدى إلى إستثمارها - كل ذلك أمانة ينبغى عدم التفريط فيها ، وإنه لمن أكبر العبث والسرف أن توجد أرض فى الإسلام

للأستاذ فضل الرحمن بن محمد بن عبد الله الباكستانى

خواء من الدار أو الزرع أو المصنع ، وتركها [بوراً] يعنى لونا من الإسراف المخبول الذى تحذرنا الشريعة منه .

وليس من بلد إسلامى إلا به أكثر من مصدر ثروة طبيعى ثروة زراعية ، أو معدنية ، إلى جانب المياه والقوة البشرية فما حجتنا إلى الله ؟!

والدولة الإسلامية لا تكون إسلامية إلا إذا قامت باسم الإسلام ممارسة لشريعته ، وليس فى الإسلام إلا الجد والاجتهاد وإستمرار العمل . ثم بعد :

فإن كل ما ينفق على دفاع الدولة فهو فى سبيل الإسلام ؛ فهو إتفاق فى [سبيل الله] الذى نصت عليه الآية .

ولا خلاف فى أن الزكاة تنفق فى شراء الأسلحة وقت الحاجة .. ويتناسب ذلك مع تطور السلاح نفسه .. قال تعالى :

« وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ » سورة الأنفال ٦٠

انه ينبغى أساساً ـ كما قلت : عدم التفريط بحال فى حق الفقراء والمساكين على أى وجه من الوجوه ..

إن الله كرم بنى آدم فقال :

« وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ »

وهو ـ سبحانه ـ الذى شرع الزكاة حقاً للفقراء والمساكين فقال :

« إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ..» الآية

والله ـ سبحانه ـ مُنزه عن التناقض ، وشرعته المثل الأعلى[1] .

وإذن .. فعندما نناقش مصاريف تنفقها الدولة من الزكاة فيما يخص مشاريعها المختلفة ، فإنما يكون ذلك كائناً ومستقراً فى غير حق الفقراء والمساكين وبقية أصحاب المصارف ، فللدولة أن تنفق ـ من بعد أصحاب الحقوق ـ فى بناء الطرق والجسور والمستشفيات والمدارس وغير ذلك .

روى عن الإمام أحمد أنه جعل الحج من [سبيل الله] ويدخل فى ذلك جميع وجوه

---

(١) .. لقد صدرت بالفعل أكثر من دعوة خبيثة فى هذا المجال منها تلك الدعوى البراقة التى تقول : لم لا نبنى بأموال الزكاة مصانع تدر مالا للفقراء والمساكين ..؟

افيشرع هذا المدعى على الله ؟ وهل يضمن قيام المصنع على خير حال دائم فلا يصاب بتلف أو حريق ؟ وهل يضمن وصول الحق لكل فقير مسكين ..؟ وإلى أن يقام المصنع فما يسد حاجة الفقير ؟...

افلا صمت على مذهبة وكتم امره علَّ الله يتوب عليه .. مجلة الأزهر

الخير من تكفين الموتى ، وبناء الجسور والحصون وعمارة المساجد ونحو ذلك .

والحق أن المراد و [سبيل الله] مصالح المسلمين العامة التى بها قوام أمر الدين والدولة كتأمين طرق الحج وتوفير الماء والغذاء وأسباب الصحة[٢] .

ونقل الإمام البيضاوى ـ فى تفسيره :

[وللصرف فى الجهاد بالإنفاق على المتطوعة ، وابتياع الكراع والسلاح ، وقيل : فى بناء القناطر والمصانع[٣] .

وذكر الفخر الرازى :

قال الشافعى ـ أى عن الغازى : يجوز أن يأخذ من مال الزكاة ـ وإن كان غنياً ، وهو مذهب مالك وإسحاق وأبى عبيد .

قال أبو حنيفة وصاحباه ـ رحمهم الله : لا يعطى الغازى إلا إذا كان محتاجاً .

واعلم أن ظاهر اللفظ فى قوله (**وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ**) لا يوجب القصر على كل الغزاة ، فلهذا نقل القفال فى تفسيره عن بعض الفقهاء أنهم أجازوا صرف الصدقات على جميع وجوه الخير من تكفين الموتى ، وبناء الحصون وعمارة المساجد لأن قوله (**وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ**) عام فى الكل[٤] .

من هنا أجمل بعض المفسرين القول فى الزكاة فقال عنها : إنها : « باب واسع يشمل كل مصلحة للجماعة .. إن الله ـ تعالى ـ فرض فى أموال الأغنياء صدقة لمواساة الفقراء ومن فى معناهم ، وإقامة المصالح العامة .

وروى عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك والحسن البصرى ـ رضى الله عنهم ـ أنهما قالا :

« ما أعطيت فى الجسور والطرق فهى صدقة ماضية »[٥]

وعن القاضى أبى يوسف ـ إذ ذكر مصارف الزكاة :

« وَسَهْمٌ فى إصلاح طرق المسلمين »[٦] .

وعن المالكية : يصح أن يشترى من الزكاة سلاح وخيل للجهاد .[٧]

وقال الشافعى ـ رضى الله عنه :

« يعطى الغزاة الحمولة والرحل والسلاح والنفقة والكسوة »[٨] .

ونقل الحافظ بن حجر العسقلانى ..

« كذلك الغازى يحل له أن يتجهز من الزكاة وإن كان غنياً ، لأنه ساع فى سبيل الله ، قال الشارح :

يلحق به من كان قائماً بمصلحة عامة من مصالح المسلمين كالقضاء والإفتاء والتدريس ـ وإن كان غنياً .

(٢) تفسير المراغى ١٤٥/١٠ (٣) تفسير البيضاوى ٤٣٠/١

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازى ٦٨١/٤ بتصرف يسير

(٥) أبو عبيد الأموال ٥٠٩ ومصنف ابن أبى شيبة ١٦٦/٣

(٦) الخراج ص ٨١

(٧) الفقه على المذاهب الأربعة ص ٦٢٣

(٨) الأم ٧٥/٢

وأدخل أبو عبيد من كان فى مصلحة عامة فى (العاملين) وأشار إليه (البخارى) قال : (باب رزق الحاكم والعاملين) وأراد بالرزق ما يرزقه الإمام من بيت المال لمن يقوم بمصالح المسلمين كالقضاء والفتيا والتدريس فله الأخذ من الزكاة فيما يقوم به مدة القيام بالمصلحة وإن كان غنياً »[٩] .

وكذا نقل ابن رشد صاحب بداية المجتهد[١٠] .

وعن الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه : « .. روى أن عدى بن حاتم أتى أبا بكر الصديق ـ رضى الله عنهما ـ بنحو ثلاثمائة بعير صدقة قومه فأعطاه منها ثلاثين بعيراً ، وأمره بالجهاد مع خالد فجاهد بنحو من ألف رجل »[١١] .

وروى إبن حزم عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن الحج يعتبر « فى سبيل الله » .

وصح عن إبن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن يعطى منها فى الحج قلنا : نعم ، وكل فعل خير فهو « فى سبيل الله »[١٢] .

وكذا قرر مولانا عبد الماجد دريابادى الهندى فى تفسيره .[١٣]

وفى (تفسير المنار) أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعطى « من الصدقة مائة ناقة فى نازلة سهل بن أبيذ جثعمة إطفاء للثائرة وفيه » :

والتحقيق أن (سبيل الله) هنا : مصالح المسلمين العامة التى بها قوام أمر الدين والدولة دون الأفراد ، وأن الحج ليس منها ؛ لأنه واجب على المستطيع دون غيره ، وهو من الفرائض العينية بشرطه كالصلاة والصيام لا من المصالح الدينية الدولية ..

ولكن شعيرة الحج وإقامة الأمة لها منها فيجوز الصرف من هذا السهم على تأمين طرق الحج وتوفير الماء والغذاء وأسباب الصحة للحجاج إن لم يوجد لذلك مصرف آخر »[١٤] والشيعة على ذلك :

وبذلك ثبت ـ فى ضوء ما أسلفنا ـ أن كلمة « وفى سبيل الله » من الآية الكريمة ـ تتسع اتساعاً كبيراً نستطيع أن نستفيد منه لإصلاح نظامنا المالى الاقتصادى حتى يتفق والتعاليم الإسلامية . ونتخلص بالتالى من انظمة مالية لا يقرها الإسلام لا زالت ـ على ما تضفى على المجتمع من وزر ـ تكبل خطاه وتعوق مسيرته ، وتضع على كاهل المسلمين فروضاً ليست عليهم .

وفى الحديث الشريف قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

---

(٩) سبل السلام ٢/١٤٥ ، ١٤٦
(١٠) بداية المجتهد ١/٢٠١
(١١) الأم ٢/٧٥
(١٢) المحلى لابن حزم ٦/١٥١
(١٣) تفسير ماجدى ٢/٧٥
(١٤) تفسير المنار ١٠/٥٧٩ ـ ٥٨٥

الـزكاة .. والضـرائب

« إن تمام إسلامكم أن تؤدوا زكاة أموالكم[١٥] »

وعنه - صلى الله عليه وسلم :

إذا أديت زكاة مالك فقد قضيت ما عليك[١٦].

وقال - عليه الصلاة والسلام :

ليس فى المال حق سوى الزكاة[١٧].

ومن الإنصاف أن تقول :

إن المسلمين لا زالوا - والحمد لله - عند النازلة يبذلون الكثير دون انتظار عائد ، يفعلون ذلك عن طيب نفس ، وفيما بذلوه ويبذلونه ما ليس بزكاة وليس هو واجباً عليهم ، والحروب التى مرت بهم خير شاهد على ذلك وما فعلوا إلا مرضاة لله - عز وجل - .

والسؤال الأخير :

ماذا تفعل الدولة إذا لم تكف أموال الزكاة ؟!

تقول :

من حقها حينئذ أن تطالب بضرائب فتفرضها تصاعدياً متفاوتة بتفاوت رءوس أموال الأغنياء ، وتبقى ما بقيت الضرورة ، ولا يجوز أن تزيد فى مجموعها عما أوجبته تلك الضرورة حتى إذا زالت الضرورة زالت الضريبة .

وفى هذا التشريع إرساء لمصدر الطمأنينة والثقة فى نفوس المسلمين مما يدفع المؤمنين إلى إقرارهم بما يمتلكون فى صدق ورضا .

ولم يثبت أن نظام الضرائب نجا - فى أى مكان فى العالم بحكم وضعه فى ظل الاقتصاد الغربى - من عبث كثير من المواطنين به فى كافة أنحاء العالم ؛ وتفنن الكثير منهم إلى الهروب منه .

يحدث هذا كله فى الوقت الذى نرى فيه كثيراً من المسلمين يؤدى عن رضا ما فرضه الله عليه من زكاة ، وما فرضته عليه الدولة من ضريبة .

وإنما يحرص الإسلام على فرض الضريبة بشرطيها المتقدمين وعلى الحال الذى ذكرنا أمنا من وقوع الظلم ، فإن نتيجته وخيمة إذ هو مؤذن بخراب العمران . يقول ابن خلدون - رحمه الله :

إن العدوان على الناس فى أموالهم ذاهب بآمالهم فى تحصيلها واكتسابها لما يرونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهابها من أيديهم ، وإذا ذهبت آمالهم فى اكتسابها وتحصيلها انقبضت أيديهم عن السعى فى ذلك وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعى فى الاكتساب ... والعمران ووفوره ونفاق أسواقه إنما هو بالأعمال وسعى الناس فى المصالح والمكاسب ذاهبين وجائين ؛ فإذا قعد الناس عن المعاش وانقبضت أيديهم عن المكاسب كسدت أسواق العمران ، وانتقضت الأحوال ، وابْذَعَرّ[١٨] الناس فى

---

(١٥) كنز العمال ٦/٢٩٦
(١٦) الترمذى : باب ما أديت زكاة مالك
(١٧) الميزان الكبرى للشعرانى ٢/٢
(١٨) ابذعر الناس : تفرقوا وفروا

الآفاق من غير تلك الإيالة[19] فى طلب الرزق فخف ساكن القطر وخلت دياره واختل باختلاله حال الدولة ...

إن الملك لا يتم عزه إلا بالشريعة ، ولا قوام للشريعة إلا بالملك ، ولا عز للملك إلا بالرجال ، ولا قوام للرجال إلا بالمال ولا سبيل إلى المال إلا بالعمارة ، ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل .

إن الظلم مخرب للعمران ، وإن عائدة الخراب فى العمران على الدولة بالفساد والانتقاص .

ومن أشد الظلامات وأعظمها فى إفساد العمران تكليف الأعمال وتسخير الرعايا بغير حق »[20].

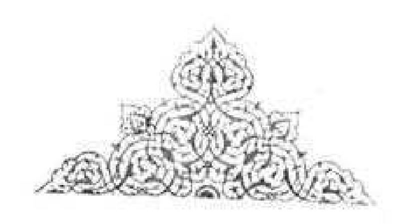
وكتب شاه ولى الله الدهلوى ـ رحمه الله ـ قال :

سبب من سببى خراب البلدان ضرب الضرائب الثقيلة على الزراع والتجار والمتحرفة [أهل الحرف] والتشديد عليهم حتى يفضى [ذلك] إلى إجحاف المطاوعين واستئصالهم ، وإلى تمنع أولى البأس الشديد وبغيهم ، وإنما تصلح المدينة بالجباية اليسيرة وإقامة الحفظة بقدر الضرورة »[20]

والإنسان أطوع لما توجيه عليه الشريعة ؛ فإذا تجووز أمرها أسرع بالفرار مما زيد عليها .

والله ـ سبحانه ـ نرجو أن ينعم علينا بالرشاد ، وبتطبيق أمره والعمل بشريعته حتى يسعد المسلمون فى كل مكان ويبذون برفعتهم كل دولة فى الوجود على سلم قائم واحترام متبادل .

ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .



(١٩) الايالة : الدولة أو جزء منها

(٢٠) باختصار مع المحافظة على النص الأصلى فيما هو منقول هنا عن مقدمة ابن خلدون ـ رحمه الله ص ٢٨٦ ـ ٢٨٩ ط مصطفى محمد (٢١) حجة الله البالغة ص ٩٣ دار الكتب الحديثة

ابن جُزَىّ الأندلسى

مصنف

"التسهيل لعلوم التنزيل"

حياته .. ثقافته .. مؤلفاته

فقد جذبنا الشوق وحب الاستطلاع الى تقصى كتب التفسير لكتاب الله المبين . وما اكثر اهتمام أئمة المسلمين وجلة علمائهم عبر الأجيال ، وعلى توالى الأعوام فى وضع التفاسير وتأليفها محاولين مخلصين ايضاح آيات الله المحكمات جهد استطاعتهم وعلى قدر طاقتهم. ولكل تفسير أسلوبه ومنحاه ومزاياه . حتى زخرت المكتبة الاسلامية بصنوف كثيرة من هذه التفاسير . وكان منها المطول الذى يعد مرجعا لخاصة العلماء . ومنها الموجز الذى لا يكاد يروى غلة ولا يطفىء ظمأ .

فاعتمدنا على الله المستعان . راجين منه الهداية والتوفيق فى الوصول بعد طول البحث والمحاولات الى تفسير يتفق أو يقرب أسلوبه من أسلوب العصر مع الايجاز الوافى ، وحسن العرض للمعانى . والاعتماد أولا على أيضاح معنى الآية بغيرها من الآيات التى تتصل بها ، وترتبط بها فى المعنى مع الأمانة والصدق فى النقل والرواية . فكان أن ظفرنا بهذا الكتاب « التسهيل لعلوم التنزيل » .

وليس بدعا أن يكون « كتاب التسهيل لعلوم التنزيل » على ما أوضحنا ، فهو لعالم فذ من ثقات علماء الأندلس المشهود لهم. الذين يتميز أسلوبهم البيانى بمسحة الأدب والوضوح . فمؤلفه العالم العلامة الحافظ المفسر محمد بن جزى الكلبى أحد علماء غرناطة الأعلام . كان فذا فى نباهته والمامه ــ بالفقه والأصول ، وعلم الكلام والتفسير ، والحديث والقراءات ــ كما كان نابغة فى اللغة والبلاغة والأدب . وكان الى كل ذلك مؤرخا وشاعرا وخطيبا وكاتبا بارعا .

ولقد تجلت صفات هذا العالم وتبحره فى شتى العلوم والفنون فى تفسيره هذا . فبدأ فى صورة رائعة قوية واضحة . مع قوة التعبير ، وجمال التصوير ، وروعة العرض للمعانى .

وجدير بالقارىء أن يحرص على قراءة المنهج الذى صدر به المؤلف كتابه ، وبين فيه منزلة علوم القرآن بين سائر العلوم . وأنها أشرف العلوم قدرا . وأن المصنفين فيها اختلفوا

لفضيلة الشيخ
إبراهيم عطوه عوض

فى أساليب تصنيفهم اختلافا كثيرا وكل سلك طريقا نحاه ، وذهب مذهبا ارتضاه « وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ » وبين أنه سلك فى تفسيره مسلكا نافعا اذ جعله وجيزا جامعا . وبين أربعة مقاصد قصدها هذا الكتاب .

وقد قدم له مقدمتين : احداهما فى ــ أبواب نافعة وقواعد كلية جامعة ــ والأخرى فى ــ ما كثر دوره فى القرآن الكريم من الألفاظ اللغوية وايضاحها .

وجعل المقدمة الأولى اثنى عشر بابا تناولت مباحث هامة عن القرآن الكريم . منها كيف نزل ؟ وكيف جمع ؟ والسور المكية والمدنية وما يتميز به كل منهما . والمعانى والعلوم التى تضمنها القرآن ، ثم الفنون التى تضمنها وهى اثنا عشر فنا . ثم أسباب الخلاف بين المفسرين ، والوحدة التى يرجح بها بين أقوالهم : ثم عرج الى بيان سبب انقسام السلف الصالح فى تفسيره الى فرقتين ، فالناسخ والمنسوخ ، ثم جوامع القراءات وهى على نوعين : مشهورة وشاذة . ثم الوقف والفصاحة والبلاغة وأدوات البيان . ثم اعجاز القرآن والدليل على أنه من عند الله عز وجل ، ثم فضل القرآن الكريم ، وأذكر ماورد عنه فى الحديث الصحيح .

وكلها مباحث قيمة قد يعانى الباحث عنها فى غير هذا الكتاب جهدا مضنيا من أجل الوصول اليها والالمام بها ، وقد لا يجد السبيل لها ممهدا .

وفى المقدمة الثانية ذكر صاحب التسهيل كل كلمة لغوية وقعت فى موضعين أو أكثر فى القرآن الكريم ، وفسرها سواء كانت اسما أو فعلا أو حرفا . وبين أنه انما جمعها فى هذا الباب لفوائد . وأنها لفوائد قيمة تميز بها هذا الكتاب .

يقول ... رحمه الله :

صنفت هذا الكتاب ــ فى تفسير القرآن العظيم وسائر ما يتعلق به من العلوم وسلكت مسلكا نافعا اذ جعلته وجيزا جامعا .. قصدت به أربعة مقاصد ــ تتضمن أربع فوائد :

الفائدة الأولى : جمع كثير من العلم فى كتاب صغير الحجم . تسهيلا على الطالبين ، وتقريبا على الراغبين . فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمنته الدواوين الطويلة من العلم . ولكن بعد تلخيصها وتمحيصها . وتنقيح فصولها ، وحذف حشوها وفضولها . ولقد أودعته من كل فن من فنون علم القرآن : اللباب المرغوب فيه، دون القشر المرغوب عنه ، من غير افراط ولا تفريط . ثم انى عزمت على ايجاز العبارة وافراط الاختصار . وترك التطويل والتكرار .

الفائدة الثانية : ذكر نكت عجيبة وفوائد غريبة ، قلما توجد فى كتاب . لأنها من بنات صدرى ، وينابيع ذكرى . ومما أخذته عن شيوخى رضى الله عنهم ، أو مما التقطته من مستظرفات النوادر الواقعة فى غرائب الدفاتر .

الفائدة الثالثة : ايضاح المشكلات ، اما بحل العقد المقفلات ، واما بحسن العبارة ورفع الاحتمالات ، وبيان المجملات .

الفائدة الرابعة : تحقيق أقوال المفسرين . السقيم منها والصحيح ، وتمييز الراجح من المرجوح . وذلك أن أقوال الناس على مراتب .

فمنها الصحيح الذى يعول عليه .

ومنها الباطل الذى لايلتفت اليه ومنها ما يحتمل الصحة والفساد . ثم ان هذا الاحتمال قد يكون متساويا أو متفاوتا والتفاوت قد يكون قليلا أو كثيرا . وأنى جعلت لهذه الأقسام عبارات مختلفة تعرف بها كل مرتبة ، وكل قول . فأدناها ما أصرح بأنه خطأ أو باطل . ثم ما أقول فيه انه ضعيف أو بعيد . ثم ما أقول ان غيره أرجح أو أقوى أو أظهر أو أشهر . ثم ما أقدم غيره عليه اشعارا بترجيح المتقدم أو بالقول فيه . قيل كذا ، قصدا للخروج من عهدته .

وأما اذا صرحت باسم قائل القول : فانى أفعل ذلك لأحد أمرين : اما للخروج عن عهدته ، واما لنصرته اذا كان قائله ممن يقتدى به ، على أنى لست أنسب الأقوال الى أصحابها الا قليلا وذلك لقلة صحة اسنادها اليهم ، أو لاختلاف الناقلين فى نسبتها اليهم ، وأما اذا ذكرت شيئا دون حكاية قوله عن أحد . فذلك اشارة الى أنى أتقلده وأرتضيه ، سواء كان من تلقاء نفسى . أو مما أختاره من كلام غيرى . واذا كان القول فى غاية السقوط والبطلان لم أذكره تنزيها للكتاب . وربما ذكرته تحذيرا منه . وهذا الذى من الترجيح والتصحيح مبنى على القواعد العلمية . أو ما تقتضيه اللغة العربية . وسنذكر بعد هذا بابا فى موجبات الترجيح بين الأقوال ان شاء الله .

وسميته (كتاب التسهيل لعلوم التنزيل) وقدمت فى أوله مقدمتين :

احداهما : فى أبواب نافعة وقواعد كلية جامعة .

والأخرى : فيما كثر دوره من اللغات الواقعة .

وأنا أرغب الى الله العظيم الكريم أن يجعل تصنيف هذا الكتاب عملا مبرورا ، وسعيا مشكورا . ووسيلة توصلنى الى جنات النعيم، وتنقذنى من عذاب الجحيم . ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .. وبعد :

فان المصادر المتعددة التى تناولت تاريخ الأندلس تجمع على الاهتمام البالغ بشخصية ابن جزى الكلبى — أبى القاسم — فهى تذكره فى موضع التقدير والاعتزاز وتضعه فى صف الأعلام الذين برزوا خلال هذا التاريخ الحافل الذى أنشأته الدولة الاسلامية فى الفردوس المفقود . ويمثل ابن جزى واحدا من هذه النخبة والصفوة التى حفلت بها (غرناطة) فى عصرها الأخير . حيث كانت ملاذ العلماء والمفكرين من مختلف أنحاء الأندلس بعد سقوط قرطبة ، وبلنسية ، ومرسية ، وأشبيلية .

وقد عاش ابن جزى عصرا زاهرا من عصور غرناطة — الى أن توفى عام ٧٤١ هـ . وقبل سقوط آخر معقل للاسلام فى الأندلس عام ٨٩٧ هـ .

تقع مملكة غرناطة فى واد عميق يمتد من المنحدر الشمالى الغربى لجبال (سييرنيفادا)

ويمتد الى ساحل البحر من المرية الى جبل طارق • وتظللها الآكام العالية من الشرق والجنوب • ويحدها من الجنوب نهر شتيل فرع الوادى الكبير • وتشرف من الجنوب الغربى على بساط شاسع أخضر وافر الخصب • هو المرج الكبير الذى يمتد غربا الى مدينة لوشة (١) • ويطلق العرب على جبال سييرا نيفادا جبل الثلج •

ويصف المؤرخون غرناطة أيام الدولة الاسلامية بأنها كانت جنة من جنات الدنيا • تغص بالغياض والبساتين اليانعة • فضلا عن أن المدينة كانت نموذجا بديعا للعمارة الاسلامية • تغص بالصروح والأبنية الضخمة• وكانت مدينة الحمراء وقصرها المنيف من أروع ما فيها (٢)

وقد حكم مملكة غرناطة بنو نصر منذ عام ٥٩٥ هـ ــ ١١٩٨ م • وأول رجالهم محمد ابن يوسف بن نصر بن قيس الخزرجى • وهم من يسمون دولة بنى الأحمر • وقد استمرت مملكة غرناطة حتى عام ٨٩٧ هـ •

وقد استطاعت هذه المملكة أن تبقى ردحا من الزمان بفضل دهاء ملوكها وحنكتهم السياسية • اذ كانت كالجزيرة وسط الممالك النصرانية ، تهب عليها العواصف من كل جانب (٣) • وكان لصداقة ملوك غرناطة مع بنى مرين فى المغرب أثرها البعيد فى معاضدتهم ، وارسال عونهم الحربى لهم •

وقد بلغت غرناطة فى انهاض العلوم والآداب ما بلغته قرطبة وارتقت فيها الفنون ارتقاء عظيما • وانصرف أهلها الى العلم والبحث • وظهر بها عدد كبير من العلماء الأعلام •

ولد ابن جزى سنة ٦٩٣ هـ وتوفى ٧٤١ هـ • فعاش أزهى عصور غرناطة • وشهد عصر السلطان أبى الوليد اسماعيل ، الذى امتاز عصره بتوطيد الملك ، واستقرار الأمور ، واحياء عهد الجهاد • كما شهد عصر ابنه أبى عبد الله محمد • وعصر أخيه أبى الحجاج يوسف ابن أبى الوليد • وكان عالما وشاعرا يحمى الفنون والآداب •

وفى عهده بلغت غرناطة ذروة قوتها العسكرية ، وبلغت العلوم والآداب الأندلسية أوج التقدم والازدهار ، وسطع بلاط غرناطة • وكان يعيد بفخامته وبهائه ذكريات بلاط قرطبة (٤) •

يقول الأستاذ محمد عبد الله عنان فى عرضه للحركة العلمية فى غرناطة فى هذا العصر : (ونبغ من علماء الدين والفقه فى هذه الفترة كثيرون منهم ــ أبو القاسم عبد الله بن جزى الكلبى الغرناطى ــ فقد ولد عام ٦٩٣ هـ • وتولى الخطابة بغرناطة • وتوفى سنة ٧٤١ هـ فى موقعة طريف) •

وقد أورد ذكره كثيرون فى مقدمتهم : ابن حجر فى الدرر الكامنة ، وابن فرحون فى الديباج ، والكتانى فى فهرس الفهارس ، والبغدادى فى ايضاح المكتون •

وترجم له الأستاذ محمد بن محمد ابن مخلوف (٥) فى كتابه (شجرة النور الزكية

---

(١) محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس
(٢) نفس المصدر السابق
(٣) الاسلام فى الأندلس لمصطفى عبد البديع
(٤) محمد عبد الله عنان : نهاية الاندلس
(٥) انظر القوانين الفقهية لابن جزى

فى طبقات المالكية بقوله : هو أبو القاسم محمد ابن أحمد بن جزى الكلبى الغرناطى • من ذوى الأصالة ، والوجاهة ، والنباهة ، والعـدالة • الامام الحافظ العمـدة المتفنن • أخـذ عـن ابن الزبير ، لازم ابن رشـد ، وأبا المجـد ابن أبى الأحـوط ، والقـاضى بن برطـال ، وأبا القاسم بن الشاط •

وفى الدراسات الحديثة • كتب عنه الزركلى فى الأعلام ، وكحالة فى معجم المؤلفين • وتناوله محمد عبد الله عنان فى كتابيه (لسـان الدين ابن الخطيب ، نهـاية الأندلس) • وذكـره بروكلمان فى الجزء الثانى من كتابه (تاريـخ الأدب العربى) •

وأجمعت هذه المصادر على أنه عالم أديب ، شارك فى العربية والفقه والأصـول ، وعـلم الكلام والحديث ، والقراءات والتفسير •

وأشهر مؤلفاته هى :

١ ــ وسيلة المسلم فى تهذيب صحيح مسلم •

٢ ــ الأقوال السنية فى الكلمات السنية •

٣ ــ الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبـار •

٤ ــ القوانين الفقهيـة فى تلخيص مذهب المالكية •

٥ ــ التنبيه على مذهب الشافعية ، والحنفية، والحنبلية •

٦ ــ تقريب الوصول الى علم الاصول •

٧ ــ النور المبين فى قواعد عقائد الدين •

٨ ــ المختصر البارع فى قراءة نافع •

٩ ــ أصول القراء الستة غير الامام نافع •

١٠ ــ الفوائد العامة فى لحن العامة •

١١ ــ التسـهيل فى علوم التنزيل ــ وهو كتابنا هذا •

١٢ ــ فهرسـة كبيرة اشتملت على كثير من أهل المشرق والمغرب ــ وغير ذلك •

ولقد أوردت كتب التراجم والتاريخ ثلاث شخصيات باسم ابن جزى •

الأول : ابن جزى أبو بكر ــ أحمد بن محمد ــ المتوفى عام ٧٨٥ هـ • وهو عالم مشارك فى الفقه والعربية ــ ولى الخطـابة والقضـاء بغرناطة ــ ومن تصانيفه شرح ألفية ابن مالك فى النحـو •

الثانى : المـؤرخ محمد بن محمد المتـوفى سنة ٦٩٣ هـ

الثالث : صاحبنا هذا المشهور بأبى القاسم • وهو محمـد بن أحمـد بن محمد بن عبد الله ابن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزى الكلبى الغرناطى •

وقد أجمع الباحثون أنه توفى وهو يحرض الناس يوم معركة طـريف فى السـابع من جمادى الأولى سنة ٧٤١ هـ • وتردد فى بعض المراجع أن ترجمته وردت فى (نفـح الطيب) الجزء الثالث من صفحة ٢٧٠ الى ٢٧٣ • وقد راجعنا الجـزء الثالث ــ بل والجـزء الأول والثانى أيضا من نفح الطيب فلم نجده • وكان الموضع الذى أشـار اليه الباحثـون هو باب (ذكر من رحل من الأندلسيين للمشرق) • ولم ترد فى ترجمة ابن جزى اية اشارة الى انه سافر الى المشرق •

وليس من شك فى أن ابن جزى علم من اعلام الفكر والثقافة فى عصره • وواحد من الرجالات البارزين فى مجال القضاء والفقه والتفسير •

فلله دره • مفسرا وقاضيا وفقيها ومؤلفا •

الفتاوى

إعداد: عبد الحميد السيد شاهين
ويجيب عليها: لجنة الفتوى بالأزهر

س: من السيد / و . ش . الجيزاوى

ما حكم التبنى فى الإسلام ؟

ج: التبنى - بمعنى إلحاق طفل برجل ليكون كابن صلبه ويحمل اسمه وليس من مائه ولا من صلبه - حرام وكبيرة من الكبائر؛ لأن فيه خلط الأنساب، الله قد كرم الإنسان بحفظ نسبه وعرضه، كما أن فيه تحليلا لما حرم الله، يقول الله تعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ** ﴾ وسواء فى ذلك معلوم الأبوين أو مجهول الأبوين، يقول تعالى: ﴿ **ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ** ﴾[1].

أما التكفل باللقيط فهو واجب شرعا على الأمة الإسلامية، وللإنسان أن يعطيه من رعايته وعطفه وحنانه ومن ماله ما يشاء تبرعا لله، فأما أن يضيف اسمه على اسمه فلا[2]، فليتق المسلمون ربهم وليمتثلوا أمر الله بالمحافظة على أنسابهم وأعراضهم.

س: من السيد / ع . م . شلتون ... البحيرة

تقدم شاب لفتاة ودفع المهر و(الشبكة) وهدايا، وأنفق على الحفل الكبير الذى أقيم بهذه المناسبة ولم يعقد عليها، ثم تقدم الشاب يريد فسخ الخطبة .. فما الحكم ؟

(١) مواليكم : بنوعمكم .

(٢) ويعنى ذلك بضعة أحكام، فمن يقوم بكفالة إنسان تتعلق بمكفوله - إذا كان على النحو الوارد فى الفتوى - عدة أحكام:

أ - لا يرث عن كافله .

ب - يحرم عليه النظر إلى نساء كافله، والخلوة بهن، والسفر معهن كمحرم، وهو منهن أجنبى لا يحل له منهن إلا ما يحل لأجنبى تقدم للزواج من إحداهن .. إلخ .. مجلة الأزهر .

ج : الشبكة جزء من المهر ، والمرأة لا تستحق المهر إلا بالعقد عليها فكذلك الشبكة ، فيجب على الفتاة أن تردهما إليه ، وكذلك ترد الهدايا القائمة .. أما المستهلكة فلا تعوضه عنها .. ، وتكاليف الحفل الذى أقيم عن اتفاق منهما ، تقسم هذه التكاليف مناصفة بينهما .

س : من السيدة / م . محمد الجمالية

رجل طلق زوجته ويريد أن يتزوج بأختها . فهل هذا جائز شرعاً ؟

ج : ما دام قد طلق زوجته وانتهت عدتها منه جاز له أن يتزوج من أختها .

س : من السيد / م . ق . حسين القليوبية

هل يجوز الصرف من الزكاة على تعمير المساجد ؟

ج : صرف الزكاة إلى الفقير المحتاج أحق وأولى من صرفها على تعمير المساجد ، وبعد كفاية المحتاج يجوز الصرف لتعمير المساجد وذلك من مصرف (وفى سبيل الله) .

س : من السيد / ع . م . حجازى المنوفية

توفى رجل عن : أم ، أب ، وزوجة لم يدخل بها ولها مؤخر صداق وقد كتب لها قائمة منقولات وأحضر هذه المنقولات .. كما ترك شقة سكنية تملك له بعد ثلاثين سنة بعد دفع المستحق عليه من اقساط ، ودفع من قسطها سنة ونصف سنة تقريباً .. فكيف تقسم هذه التركة ومن يرث وما نصيبه ؟

ج : المقدم والمؤخر يعد ملكاً للزوجة ، وكذلك المنقولات المكتوبة بالقائمة من حق الزوجة ولها ربع المبلغ المدفوع للشقة ، وكذلك ترث الربع إن كان له تركة .

وللأم السدس فرضا لوجود عدد من الإخوة ، وللأب الباقى تعصيبا . ولا شىء للإخوة .

س : من السيد / ن . ع . الشاهد الشرقية

توفى رجل عن : زوجة . ثلاث بنات ، أم . إخوة أشقاء ذكور وإناث . فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للزوجة الثمن فرضا ، وللأم السدس فرضا ، لوجود الفرع الوارث وللبنات الثلاث الثلثان فرضا ، لعدم من يعصبهن يقسم بينهن بالتساوى ...

والباقى للإخوة الأشقاء تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .

س : من السيد / ط . ى . العباسى طنطا

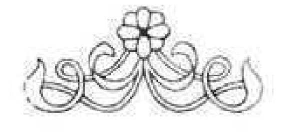
دفنت والدتى فى مقبرة ليست ملكا لى ، وبعد ست سنوات طلب المالك نقل الجثة لحاجته إليها . فهل يجوز نقلها ؟

ج : يجوز نقل الجثة حيث طلب مالك الأرض أرضه ، وذلك مع المحافظة على الجثة وعدم امتهانها وفقا للقواعد الصحية ..

الشعر والشعراء

إشراف
الدكتور حسن جاد

الذي علم بالقلم



مولد النور



بين المد والجزر

مولد النور

في فؤادى خواطرٌ تتودد وبقلبي مشاعرٌ تتجدَّد
هي زادى في رحلة العمر مابي حاجةٌ بعدها لكي اتزود
هي ترنيمتي وورد يقيني هي ابقى من كل شيء واخلد
إنها الحب يامنار الحيارى كلما طال عمره.. يتاكد
حب فجر من الهداية صاف كم اضاء الورى واعطى واسعد
حب نبع من السماحة والجود وكنز من المكارم اجود
حب ظل من الأمان ظليل في صحارى من اللظى تتوقد

•

انت ياباعث الفضائل في النفس وياصاحب السبيل الممهد
انت للسالكين خير دليل وسراج لكل فكر تشرد
انت نور ورحمة وحنان انت طب الوجود. انت محمد

•

جئت والناس والنفوس ظماء وقلوب إلى الهدى تتودد
جئت والعقل لا يعي ماتمنى خاطر مقفر وذهن مبلد
جئت والنفس في خسيس الدنايا للخطيئات أسلمت كل مقود
جئت والفكر سادر في ضلال شط في الخطو واستباح والحد
جئت والحب في الحنايا غريب والبنيات بالبراءة توءد
وخطا القوم في شتات وخلف وحروب مريرة تتبدد
وقوى البغي شرعة للتباهي والقوى الظلوم فيها مسَوَّد
والغنيّ استباح كل حرام جمّع المال والنضار وعدد
وضباب الجمود ارخى ستارا عطل الفكر والحياة وافسد

•

جئت جمعت خطوهم في تاخٍ بارك الله غرسه فتوحد
جئت بالنور فاستفاقت قلوبٌ طال تحنانها لطلعة أحمد
جئت بالأمن واحة للحيارى يتلاقى بظلها كل مجهد
جئت خضرت بالهدى كل درب وزهت قفرة واخصب فدفد

•

سيد الخلق يامنار الحيارى نفحة من ضياك نهنى ونسعد

شعر: رشاد محمد يوسف

الملايين من بنيك نيام ... أمل ضائع وجهد مبدد
أرضهم منبع الرسالات صارت ... والرسالات فوقها تتهدد
ريحهم ضيعت بكل سبيل ... والصراعات بينهم تتعدد
أمرهم في ديارهم صار شتى ... والأعادى بأرضهم تتوعد
نام عنا رعاتنا وابتلينا ... بذئاب من حولنا تترصد
وغدونا في أرضنا كغثاء ... ساقه السيل حين أرغى وأزبد

•

قال قوم: شفيعنا، ثم ناموا ... يمضغون الرؤى بفكر مجمد
حسبهم عزلة وحبات ورد ... وحروف على الشفاه تردد
قلت ياقوم والإله تعالى ... قوله الفصل في الكتاب تحدد
آمنوا واعملوا وجدوا وجودوا ... واجعلوا الدين شرعة تتجسد

•

ياملايين من عشيرة طه ... جَمّعُوا شملكم برأى مسدد
شأننا اليوم في الحياة عجيب ... طلسم غامض ولغز معقد
يرتقى الكون حولنا ثم نغفو ... في سراديب أمسنا نتمدد
كيف نلهو وبيننا سور الوحى ... وفينا تعيش سنة أحمد
كيف نرضى بوصمة الجهل فينا ... والنبى الكريم بالجهل ندد
كيف نشقى والله خص رُبَا نا ... بجنى الخير والقطوف وأسعد
كيف نرضى تخلفا أو جمودا ... ولنا السبق من قديم تعدد

•

ياملايين من عشيرة طه ... آن أن ينتهى زمان التردد
آن أن نستفيق عقلا وقلبا ... ليس بالأمنيات فالأمر أبعد
لا تناموا على الضنى ويهوذا ... كل يوم أضل فيكم وأفسد

•

خير ذكرى لأحمد حين نحمى ... قدس قرآننا وحرمة معبد
خير ذكرى لأحمد حين نمحو ... وصمة الجهل والجمود الملبد
خير ذكرى لأحمد حين نصفو ... ونحيل الحياة بالحب أرغد
خير ذكرى لأحمد حين نقفو ... في دروب الحياة خطو محمد



جف السحاب وفاضت البيداء فاسقوا الحيارى أيها الندماء
يا ايها الندماء هذا منهل لا الكرم يعرفه ولا الشعراء
وتتفياوا شعرى فإن ظلاله شماء باذخة الذرى غناء
لا تعذلوه إذا تسامى وازدهى فبه لذكر محمدٍ خيلاء
ومحمد انشودة للأنبياء وقمة يحبو لها الحكماء
زفته للأرض السماء كريمة وعليه من ألق الجلال رواء
فكان جدب البيد حقل سنابلٍ لما همت بمجيئه النعماء
شابت دموع التائهين فضمهم صبح تألق بالهدى ومساء
حتى إذا اتشح الوجود بنوره لهث الدجى واستخزت الظلماء
واخضوضرت بالنور وهى عقيمة صحراء حبلى بالظما جرداء
ودعا الخليل الله فى وديانها أن يستعز بظلها الحنفاء
يارب قد أسكنت من ذريتى بلداً على شفتيه يظمأ الماء
حتى أتيت فكنت أكرم دعوة لبت نداها للخليل سماء
ومشيت فى ألق الشباب مطهرا مترفعا عما أتى العظماء
فاضات بعدك للشباب منارة إن الشباب توثب وبناء
أرأيت أشراف القبائل إذ أتوا للبيت .. تحدو ركبهم أهواء
يتنازعون لمجدهم ووجودهم حجراً تتيه بلونه الظلماء
وتنابزوا .. حتى إذا ما استحكمت بين القبائل فتنةٌ هوجاء
استحكموك وأنت أعدل حاكمٍ لا الحقد لامسه ولا البغضاء
فجعلتهم ـ والله يشهد والورى ـ خدما .. وأنت لبيته البناء

ooo

شعر: إبراهيم عيسى

وذهبت تستجلى اليقين وقد دجت في الناس أرواح وهن ظماء
وحوى الوجود بنوره وجلاله لما احتواك على الوداد حراء
ورنا لك الرحمن من عليائه فعنا الزمان وكبر البشراء
واصطفت الملا الملائك وانحنى جبريل يدفعه اليك ولاء
واتاك يسعى وهو اكرم من سعى فرنا القضاء وشاقه الإصغاء
يا ايها الأمى يانور الورى بك تستطيل على السما الغبراء
اكملت أى الأنبياء باية الحق في جنباتها لا لاء
كالليل تغمره النجوم بنورها حتى تبدد نورهن ذكاء
اتممت ما شاء الهدى فختامه مسك وشرعك للبقاء بقاء

○○○

يا ايها البشر السماوى الذى لضيائه تتفرغ الظلماء
اشكو الطريق اليك فامدد راحة يرجو نداها تائب خطاء
واعد إلى نور الحقيقة عالما قد كبلته غواية عمياء
عشق السنا وعليه من إصر الدجى قيدٌ له عند الضحى اصداء
قد خيمت فيه الجراح .. وولولت ريح الخطايا .. والمنى اشلاء
سالت دموع النور فوق ظلامنا ورمت شراع رجائنا الأنواء
والشوك أدمى الورد .. حتى عطره صلبت رؤى احلامه الأرزاء
وتوثب الشر الحبيس بعالم جنت به الأهواء والبغضاء
تبًا لعلم لا يضمد جرحنا ويضيء ليلًا تحته أسراء
العلم وحى الله بعد كتابه فاحموا سناه أيها العلماء

نفثات فى موكب
الذكرى العاطرة

شعر: أحمد مصطفى حافظ

ماذا أقول بذروة العلياء يا واحد الآحاد والعظماء
مهما قبست من الشموخ قصائدى فلأنت فوق المدح والإطراء
هبْ لى شعاعاً من بيانك علني ارقى لسدة سيد البلغاء
وأصير من فيْض لنبعك .. قطرةً لأضوع بالأشذاء والأنداء

•••

فى مولد الهادى البشير خريدتى تغفى حياءً .. بعد طول عناء
ذكراه ليست فى (ربيع) وحده بل نفحها يسرى مدى الآناء
بالوجد فى وقت الأذان .. هزارها ينفك يشجينا صباح مساء
أنا لست أهلا لانتضاء يراعتى لأصوغ ما قد شع من لألاء
أنا من أنا .. ياعطر روحى .. من أنا (همزيتى) عجزت عن الإفضاء
من بعد شوقى و(البُصِيرى) من لها أو بعد (حسان) شذا الشعراء

•••

أنا نبتة فطرية .. قد شاقها أن تنتمى للدوحة الشماء
هيهات تبلغ ماتروم، ودونها فى العمر .. عاصفة الهوى الهوجاء
لكننى ياخير خلق الله قد وضح السبيل لنصرة وعزاء
لى فى كتاب الله خير ذخيرة للنفس .. تُقْصيها عن الأهواء

•••

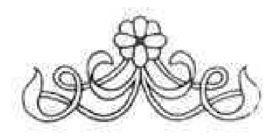
إيه حبيب الله .. إنى فى أسى لشتات شمل الأمة السمحاء
كانت - بفضلك - خيرة الأمم التى قد أخرجت للناس بالآلاء
واليوم عَمَّ الخطب فى أرجائها و(القدس) صارت مرتع الأعداء
.. أواه بعدك يا(فلسطين) التى قد كرمت فى ليلة الإسراء
فالمسجد الأقصى بغزو مفجع قد ضج .. للتقصير والإغضاء
وجنوب لبنان يضيع أمامنا ويموج بالتمزيق والشحناء

•••

ياعُرْبَ هُبُّوا وانهضوا بتلاحم ودعوا شقاق تناحر وهجاء
ماذا نقول - بحالنا - لنبينا والقهر ميسمنا بغير مراء
من كان يخشى الله واليوم الذى شاب الوليد به لهول بلاء
فَلْيَمْضِ فى كنف الشريعة راسخا لجهاد نفسٍ .. أو جهاد فداء

العلوم الكونية

هذه الأعشاب وهذه النباتات



الطلبة الصناعية

هذه الأعشاب وهذه النباتات

٦

العنب : —

من أفضل الفواكه وأكثرها نفعـا ، يؤكل رطبا ويابسا ، وأخضر ويانعا •
ويعتبر فاكهة من الفواكه ، وطعـاما من الأطعمة ، وأدما مع الادام ، ودواء مع الأدوية ، يحتـوى العنب على نسـبة عاليـة من (الكربوهيدرات) أغلبهـا سـكر الجلوكوز Glucose **، تقدر نسبته بنحو ١٦٪ ، كمـا يحتوى على (البروتين) بمعـدل ٨٪ ونسبة قليلة من الدهـون لا تربو على ٥ر٪ ولا يزيد على هذه النسبة أيضـا أغلب المواد المعدنيـة كالبوتاسيوم والحديد والفوسفور والكالسيوم والنحاس ، وهى جميعا تساعد على زيادة قلوية الـدم • وقـد ثبت احتـواء العنب عـلى كميـات وفيرة من الأحماض العضوية الطبيعية** Nataral organic Amino Acids **التى تساعد على تليين القناة الهضمية وتعمل على تيسـير عملية الهضـم مثل حمض الطرطريك والليمونيك •** Tartaric and citric acids

والمعلوم أن العنب يعطى الكيلو جرام منه طاقة حرارية قدرها ٦١٥ سـعرا وهى نسـبة هائلة •

وقد استعمله المصريون الأقدمون غذاء ودواء عالجوا به بعض الأمراض وقد وردت معلومات قيمة عنه ذكرها القدماء فى قرطاس « هرست » الطبى الذى يرجع عهده الى ألفى سنة قبـل الميـلاد •

وقد لوحظ فقر العنب فى الفيتامينات ، وقد رجح كثير من الأطباء قوة فعالية العنب الجاف (الزبيب) على العنب الطازج فى تقوية الكبد وعلاج الضعف العام •

ولا تغرينا فوائد العنب فى اطلاق كميـات كبيرة من الطاقة أن نعول عليه فى كـل الأحوال بل ثمة بعض الحالات لابد أن نهجره فيها ونعدل عنه مثل حالات مرض السكر Diabetes mellitus وكثير من حالات التهابات القولون ، لأن العنب سريع التخمر والتعفن فى القناة الهضمية ممـا يضاعف من الآثار غير المرغوب فيها •

وقد ورد ذكر العنب فى القـرآن الكريم فى مواضع شتى ، قال تعالى فى سـورة عبس

للدكتور: السيد الجميلي

(٨٠/٢٨) « فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا. وَعِنَبًا وَقَضْبًا » •

والقضب هو القت وهو مروى عن أهل مكة كما ذكر الامام الطبرى فى تفسيره (٣٠/٣٧) وكما ذكره القرطبى فى جامعه عن ثعلب وابن قتيبة ، فراجعه ان شئت (١٩/٢١٩) وفى معرض تعداد آلاء الله وفضائله على الانسان يذكر لنا القرآن الكريم فى سورة يس (٢٦/٣٤) قوله تعالى : « وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ » راجع تفسير جامع البيان (٢٣/٤) •

العنبر : —

وقد اختلف فيه ، فقالت طائفة : هو نبات ينبت فى قعر البحر ، فيبتلعه بعض أحياء البحر حتى اذا ثملت منه قذفته رجيعا ، فيقذفه البحر الى ساحله ، وهذا هو الرأى المختار عندى •

وقد قال آخرون : انه جفاء من جفاء البحر أى زبد من زبده •

وقال : قوم ، بل هو طل ينزل من السماء فى جزائر البحر ثم تقذف به الى الساحل •

ولكن ابن سينا لم يفلح فى توهمه « أنه ينبع من عين فى البحر » •

وللعنبر ألوان مختلفة ، وهو نافع للممعودين أصحاب المعدة المعتلة الباردة ، وبخوره ينفع الزكام والصداع والشقيقة ، وفى تنبيه الحواس الخاصة ، وهو يستعمل الآن فى تحضير كثير من الأرواح العطرية •

وقيل : ان العنبر من أفخر وأعظم أنواع الطيب بعد المسك وقد ثبت فى صحيح مسلم (رقم ٢٢٥٣) والترمذى فى جامعه الصحيح من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قد قال فى المسك : — « هو أطيب الطيب » •

وذكر الشيخان فى الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله فى قصة أبى عبيدة أنهم أكلوا من العنبر شهرا ، والحديث وارد بتمامه فى صحيح البخارى فى كتاب المغازى رقم ٦٤ باب غزوة (سيف البحر) رقم ٦٥ ، وذكره مسلم فى صحيحه رقم (١٣٦١) وهذا هو العنبر الذى جزر البحر عنه وانحسر عنه ماؤه من أحياء البحر وهو ميت لمفارقته الماء ، وليس من النباتات ولا الأعشاب ، فاشتراك اللفظ بين النبات ، والحيوان يشمل الطبيعة الحيوانية وكذلك النباتية •

العود :

ويقال له : (القسط الهندى) ويوجد منه نوعان : الأول ويستعمل فى الأدوية ، وقد ورد فى البخارى ومسلم رقم (١٤٢٩) قوله صلى الله عليه وسلم : — « عليكم بهذا العود الهندى فان فيه سبعة أشفية ، يستعط به من العذرة ، ويلد به من ذات الجنب » •

وروى هذا الحديث بطريق آخر الامام أحمد فى مسنده (٦/٣٥٦) ولكن النوع الثانى يستعمل فى الطيب ، ويسميه كثير من الناس (الألوه) وقد أخرج الشيخان فى (صفة نعيم أهل الجنة) أن « مجامرهم الألوة » فى البخارى (٦/٢٦٠) ومسلم (٢٨٣٤) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقيل : ان العود ضروب وأنواع كثيرة يجمعها اسم الألوة .

الفاغية : ــ

هى نور الحناء ، من أطيب الرياحين ، وقد ورد عنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : « سيد الرياحين فى الدنيا والآخرة الفاغية » راجع مجمع الزوائد للهيثمى (٥/٣٥) لكن سند هذا الحديث ضعيف ، وقال البعض : بل ضعيف جدا ، والله أعلم بحال هذا الحديث ، ولا أستطيع أن أقول فيه برأى حيث لم أعثر له على سند قوى فيما بين يدى من مراجع .

ومن الفاغية تستخرج بعض المراهم التى تستعمل فى تدليك المرضى بالفالج ، وهى ملينة للمفاصل والعضلات .

الكتم :

نبت سهلى ينبت بالسهول ورقه يشبه ورق الزيتون وثمره يشبه حب الفلفل فى داخله نوى (جمع نواة) .

والكتم المطبوخ بالماء يستعمل مدادا يكتب به ، ومشروب عصارة ورقه يسبب تهييجا للمعدة واثارة للقيىء .

Stimulates vomitting

وقيل : ان مسحوق بذر الكتم ينفع العين اذا اكتحل به لكن التجريب العملى لم أقف على شىء منه فى هذا الصدد .

وقد ورد فى الصحيحين عن البخارى (٧/٢٠٠ ، ٢٠١) ومسلم (٢٢٤١) عن أنس ــ رضى الله عنه ــ أن أبا بكر ــ رضى الله عنه ــ قد اختضب بالحناء والكتم » .

وقد روى الامام البخارى فى صحيحه (١٠/٢٩٨ ، ٢٩٩) عن عثمان بن عبد الله ابن موهب ، قال : دخلنا على أم سلمة ــ رضى الله عنها ــ فأخرجت الينا شعرا من شعر رسول الله ــ صلى الله عنه وسلم ــ فاذا هو مخضوب بالحناء والكتم .

كذلك ثبت فى الصحيح (١٠/٢٩٧) عن أنس ــ رضى الله عنه ــ أنه قال : لم يختضب النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ (١) وذكر نحوه مسلم فى صحيحه رقم (٢٣٤١) .

وثبت أيضا فى صحيح مسلم (٢١٠٢) النهى عن الخضاب بالسواد فى قوله صلى الله عليه وسلم فى شأن أبى قحافة : « غيروا هذا الشيب وجنبوه السواد » .

وقد توهم البعض أن فى ذلك تعارضا ، والواقع الذى عليه أكثر الأئمة أنه ــ صلى

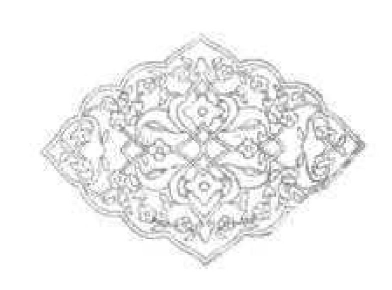
(١) اى لم يختضب ــ صلى الله عليه وسلم بما نهى عنه ... مجلة الازهر .

الله عليه وسلم ـ خضب بشهادة أنس وغيره
والى هذا الرأى انتهى أحمد بن حنبل وجماعة من الفقهاء ، لكن مالكا أنكره ، وفى « زاد المعاد » (٤/٣٦٧ ، ٣٦٨) أن النهى كان عن التسويد البحت ، وأن الخضاب بالسواد المنهى عنه هو خضاب التدليس كخضاب شعر الجارية ، والمرأة الكبير تغرى الزوج ، وخضاب الشيخ يغرى المرأة بذلك فانه من الغش والخداع ، أ هـ . بتصرف ولعل الذى أتى به « زاد المعاد » أقرب الى الاقناع فى محاولة التوافق بين النصوص الصحيحة القاطعة الثابتة عن سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

والدليل على صحة هذا الرأى ـ والله أعلم ـ أن الحسن والحسين ـ رضى الله عنهما كانا يخضبان بالسواد .

والصحيح الذى عليه فضلاء الأمة من علماء المسلمين أنه لا يجوز الطعن فى الأحاديث المتفق عليها أو التى رواها الشيخان أو رجال السنن بأسانيد صحيحة أو حسنة بغير دليل فان المقطوع به أن أحدا من أهل العلم لا يمكن أن يتعمد مخالفة سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما لا يجوز التعليق على قوله صلى الله عليه وسلم .

د. السيد الجميلى



تأملات فى الحياة

الكُلية الصناعية

خلق الله الانسان وزوده بالعقل فامتاز على كثير من الخلق بنور العلم وذكاء الفكر وعبقرية الاختراع ، فانطلق فى رحلة العلم يحدوه شغف دائم الى كشف المجهول ، والتغلب على ما قابله من مشكلات ومعضلات •

ولاشك ان (الألم) من أعتى مشكلات الانسان فهو لايرى — ولايسمع ···· ولانستطيع قياسه — ولكن عندما يحدث ينقلب نظام الانسان ويصبح همه الأول والأخير هو ازالة هذا الالم •

وعندما يحدث أى خلل فى أداء الوظائف المنوطة بكل عضو من أعضاء الجسم البشرى — يختل بذلك النظام كله — وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما شبه المجتمع الاسلامى فيما بينه من ترابط وتواد وتراحم بالجسد فى ترابطه حتى اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى •

وأى خلل فى عمل الوظائف التى تؤديها الأعضاء لا يؤدى الى الألم فقط ولكن قد يودى بحياة الانسان كما يحدث فى الأزمات القلبية بحياة الانسان كما يحدث فى « الأزمات القلبية » أو « ضيق التنفس » أو « الفشل الكلوى » — لذلك فان أيدى العلماء مختلفى التخصص تتشابك وتتعاون من أجل حل مشكلات الانسان وآلامه فى الحياة •

وقبل أن نتعرض لكيفية عمل الكلية الصناعية وتركيبها — يجب أن نلقى الضوء على (مصدر الاقتباس) وهو جسم الانسان •

فالمعروف أن جسم الانسان يحتاج الى الغذاء والماء لكى يعيش ويستعمل الجسم هذه المواد لانتاج طاقته الحيوية ولبناء خلايا جديدة • وينتج عن هذه العملية نفايات لايحتاج اليها الجسم :

فهناك نفايات الغذاء التى تخرج يوميا عن طريق الجهاز الهضمى •

وهناك ثانى (أكسيد الكربون) الذى يخرج مع هواء الزفير •

كذلك هناك نفايات يحملها الدم يضر بعضها الجسم اذا بقى فيه زمنا طويلا مثل (البولينا) التى تنتج من هدم (المواد البروتينية) •

وكذلك (حمض البوليك) •

ثم ان الجسم فى حاجة دائمة الى التخلص من الماء — فهو يحتوى على أكثر من حاجته من الماء — كذلك فبعض الماء الذى نشربه



للدكتورة : سعاد حسين البيلى

يستعمل فى اذابة بعض النفايات مثل (البولينا) و (حمض البوليك) حتى يسهل خروجهما من الجسم •

وعلى ذلك ، فوظيفة الكلى هى فى العمل على :

تخليص الدم من النفايات القابلة للذوبان فى الماء •

وتخليصه كذلك الماء الزائد عن حاجة الجسم!

وعلى ذلك فالكلى تعمل على التوازن الكيميائى لجسم الانسان بصورة مستمرة — لاتنقطع ليل نهار — حتى ونحن نائمون — هناك جنود تعمل بلا ملل — من أجل الحفاظ على الحياة ودوام اتزان وسائل الحياة •

وهذا الجندى — الكلية — عبارة عن عضو عضلى يبلغ طوله ١٢ سم وعرضه ٦ سم وسمكه ٣ سنتيمترات وتوجد فى الجانب الداخلى لكل كليه ثلاثة أنابيب :

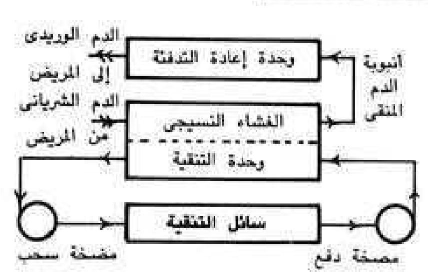
أحدها : شريان كبير يحمل الدم المراد تنقيته •

والثانى : وريد كبير يحمل الدم الذى تمت تنقيته •

والثالث : الحالب الذى يحمل البول الى المثانة ، وهو عبارة عن كيس ذى نسيج عضلى مطاط فى فتحته السفلى توجد عضلة المثانة التى تتحكم فى الاخراج وتنتهى بقناة مجرى البول ويتم عن طريقها تخليص الجسم من البول •

مع الدورة :

واذا ما تتبعنا الشريان الذى يحمل الدم



رسم تخطيطي لدورة تنقية الدم باستخدام الكلية الصناعية فى تصميمها الأول

الى الكلية لتنقيته — نجد أنه ينقسم فى الكلية الى فروع تنتشر فى الكلية وتتفرع الى فروع أصغر فأصغر حتى تصير الى أصغر نوع من الأوعية الدموية وهى الشعيرات • فاذا فحصنا هذه الشعيرات بالمجهر ، فاننا نرى أنها لاتنتشر على هيئة شبكة كما هى العادة — بل نرى أن نحو خمسين من هذه الشعيرات تتجمع بعضها الى بعض على هيئة كرة مصمتة حولها حويصلة تتدلى منها أنبوبة دقيقة على هيئة « خية »• وكل هذه الأجزاء :

الكرة والحويصلة والأنبوبة الدقيقة تشكل الوحدة الكلوية المسماة « نفرون » ويبلغ عددها فى كل كلية أكثر من مليون وحدة •

وفى أثناء مرور الدم فى (النفرون) يستخلص منه الماء بما فيه من نفايات ذائبة مارا الى الحويصلة ثم الى القناة الملتوية حيث يزداد تركيزه ومن ثم يسمى البول • ويمر البول بعد ذلك الى أنابيب أكبر — تصب فى جزء مجوف فى الكلية ومنه للحالب ثم المثانة •

ومن رحمة الله سبحانه وتعالى بخلقه



الكلية الصناعية

أن الانسان يستطيع الحياة فى صحة جيدة بكلية واحدة ـ ولولا ذلك لكان أى خلل يصيب احدى الكليتين خطرا على حياة الانسان ، بل ان العلماء قد اكتشفوا ان الانسان يستطيع الحياة بنصف كلية مادام سليما .

ولشدة أهمية وظيفة الكلية ، فان سدس الكلية فقط هو الذى يعمل فى أى وقت من الأوقات حتى تأخذ بقية الأجزاء فرصة كافية للراحة واستعادة النشاط .

فاذا فشلت الكليتان معا فى أداء الوظيفة المنوطة بهما ـ فان ذلك يؤدى الى ارتفاع مستمر فى نسبة (البولينا) فى الدم مما ينتج عنه فى البداية آلام شديدة تزداد فى شدتها مع الوقت فان البولينا سامة التأثير ، كما أن الماء المحتجز فى الجسم يؤثر على الاتزان الكيميائى لجسم الانسان . لذلك يلجأ الانسان الى استخدام الكلية الصناعية حيث تقوم بعملية غسيل للدم على فترات منتظمة لتخليصه مما تراكم فيه من (بولينا) و (حمض بوليك) .

والجزء الأساسى فى جهاز الكلية الصناعية يحاكى « النفرون » حيث يتم فيه عملية انتقال لمكونات البول من الدم الشريانى الى (سائل الاستخلاص) ـ وهو سائل له تركيب كيميائى خاص ـ من خلال غشاء نسيجى خاص . وبعد تكرار هذه العملية عدة مرات يمكن الحصول على الدم المنقى حيث يعاد حقنه الى جسم الانسان .

ولقد بدأ العمل فى تصميم أول كلية صناعية فى فبراير سنة ١٩٦٣ حيث كون فريق من المهندسين الكيميائيين والنوويين والميكانيكيين بالتعاون مع مجموعة من الأطباء الأمريكان بجامعة كاليفورنيا ـ مجموعة عمل لانجاز هذا العمل الفريد .

والجهاز يتصل بالانسان عن طريق أنبوبتين

الأولى : لسحب الدم الشريانى من يد المريض لتنقيته .

والثانية : لدفع الدم المنقى الى جسم المريض مرة ثانية فى وريد رئيسى بيد المريض . وبين عمليتى السحب والدفع ـ يمر الدم على عدة وحدات متتالية تحتوى على الغشاء النسيجى يمرر الدم بها من جانب حيث يندفع بقوة دفع القلب ـ وعلى الجانب الآخر يدفع سائل التنقية ـ ذو التركيب الكيميائى الخاص ـ بواسطة مضخة لها قدرة تتناسب مع قوة دفع الدم من الجسم . ويحتفظ سائل التنقية بدرجة ٢٠° مئوية حتى لا يكون وسطا لنمو البكتريا وبذلك نضمن سلامة دم المريض من التلوث ، ولما كان هذا النظام يترتب عليه مشكلة (تبريد الدم) الى ما يقرب من درجة العشرين المئوية حيث يكون الفاصل بينهما هو هذا الغشاء الرقيق ـ لذلك يجب اعادة تدفئة الدم قبل دفعه مرة ثانية الى جسم الانسان وتتم عملية التدفئة هذه فى جهاز خاص يمرر فيه الدم خلال « سربنتينا » تحاط بتيار متجدد من الماء الدافىء حتى تصل درجة حرارة الدم الخارج من الجهاز الى ٣٧°م ، ويوضع جهاز تدفئة الدم بالقرب من المريض حتى لا يبرد أثناء سيره فى أنبوبة توصيل الدم للمريض .

وعندما تم تنفيذ هذا الجهاز الأول ـ كان المرضى يترددون على المراكز الطبية المتخصصة فى هذه العملية مرتين فى كل أسبوع وفى كل مرة

يظل المريض متصلا بالجهاز لمدة تتراوح بين ١٢ الى ١٦ ساعة وفى نهاية المعالجة فان المحاليل الناتجة والمحتوية على البول تعتبر من المخلفات التى يجب التخلص منها — ويعقم الجهاز استعدادا لاستخدامه مرة ثانية .

وكانت هذه العملية شاقة ومكلفة جدا — خاصة اذا علمنا أن حجم الجهاز المستخدم لكل مريض كان يشغل خمس مساحة الغرفة التى يستخدمها . وعند مقارنة هذا الحجم مع حجم الكلية فى جسم الانسان تقريبا — يحار العقل البشرى ولا أن تدركه رحمة الله فيلمس شيئا من القدرة الالهية اللامحدودة .

وبدأ العقل الانسانى يعمل ليصل الى تحسين لهذا الوضع ، فتمت عدة تحسينات كانت الفكرة الأساسية فيها واحدة — اذ كانت منصبة على تركيب (سائل الاستخلاص) وطريقة تغذيته للجهاز بحيث يمكن معالجة عديد من المرضى فى آن واحد فى المركز الطبى ، كذلك تم اختزال حجم الجهاز المستخدم للشخص الواحد حتى يتمكن من استخدامه فى المنزل ، أو حتى أثناء الليل .

وفى التعديل الجديد تظل درجة حرارة (سائل الاستخلاص) ٣٧°م اى نفس درجة حرارة جسم الانسان وبذلك يمكن زيادة كفاءة الجهاز بدرجة ١٥٪ ، كذلك يمكن الاستغناء عن (وحدة اعادة تدفئة الدم) قبل عودته الى الجسم .

ثم بقيت مشكلة احتمال نمو (البكتريا) عند هذه الحرارة الدافئة ، ومشكلة أخرى وهى أنه لم يعرف على وجه الدقة تركيب محلول (الاستخلاص المناسب) لأكبر نسبة من المرضى — اذ لكل مريض ما يناسبه من التركيب الكيميائى الأمثل للمحلول .

ومن المشكلات الهندسية العويصة — أيضا — (نظام التحكم) فى تركيب (سائل الاستخلاص) ودرجة حرارته ومحتواه من البكتريا حتى نضمن وجود أعلى درجة لأمان جميع المرضى ، وسلامة صحتهم ولو عجزت احدى مكونات الجهاز عن أداء وظيفتها المثلى .

وثمة مشكلة يتفق عليها الجميع هى أن تكلفة هذا الجهاز باهظة ولنا هنا وقفة ...

من منا قد حسب تكلفة عمل هذا العضو العضلي الذى يحمله فى جنبيه ويعمل مدى الحياة .... ستون عاما أو أكثر أو أقل .

من منا تصور أن كل هذه العمليات الهندسية من : اعداد محاليل ، وضخ ، واستخلاص وانتقال مادة واتزان كيميائى على أعلى مستوى قياسى فى الدقة .... يدور داخل هذا العضو وليس فقط مجرد العمليات الحيوية .

هذا شىء مما عرفناه ، فماذا عما لانعرفه من أعضاء أخر فيما خلق الله .

الا سبحان القائل : ولايحيطون بشىء من علمه الا بما شاء » .

د. سعاد البيلى

من أعلام الأزهر

الحسينى هاشم

أكتب هذا المقال وأنا مشرد الذهن ، مبلبل الخاطر ، فقد فاجأنى نعى الحسينى هاشم مفاجأة قاسية ، لم يسبق لها تمهيد يلطف من حدتها .

وكل من يعرف الراحل الكريم قد استشعر مزيد اللوعة على فقده ، إذ كان من هؤلاء الصفوة الذين يحوزون حب الناس جميعاً ، فلا تجد لهم انسانا واحدا يقاسمهم العداء وذلك لسلوك مثالى يتأرج بعبير الإسلام ، ويضرب المثل فى كرم النفس ، وسلامة الصدر ، وكرم الإيثار مع تواضع أصيل لا يعرف التصنع ، ونبل عريق يتحاشى المباهاة :

وقد نشأ الحسينى فى أسرة طاهرة تجمع عناصر الفتوة الاسلامية الأصيلة ، وتتمسك بتقاليد الإسلام فيما تأخذ وفيما تدع ، وتترجم عن شمائل الطبيعة النقية ، والفطرة الخالصة التى جبلها الله على المودة والحب والتقوى المتحرزة عن الصغار الدافعة إلى البذل والإيثار .

لقد زاملت الفقيد فى عهد الدراسة الأولى ، وزرت بيته الكريم فى « بنى عامر » إحدى قرى الشرقية ، فكنت أجد عميد الأسرة العارف بالله الشيخ أحمد هاشم رائع الهيبة ، فياض البر ، حسن اللقاء ، كان زعيماً دينيا تهوى إليه القلوب من كل فج ، فمسجده الفسيح آهل « بالغادى والرائح » وبيته العامر نافح بالخير والزاد لكل وافد .

وأصوات التسبيح تتردد فى كل مكان ، ومجالس البر والمصالحة والدعوة إلى التئام الشمل لا تكاد تنقطع ، إذ ما يكاد يقع حادث فى قرى الشرقية ، حتى يلجأ المتنازعون إلى الشيخ الكبير وكأنه رئيس محكمة رسمية ، فيفصل فى الأمر فصل الحكم العدل ، ويجد من حلاوة القبول وسماحة الرضا ما يسهل العسير مهما كان شاقا حرجا .

والقرى المصرية فى حاجة إلى هذا النمط من الهداة ، يكونون موضع الثقة البالغة من النفوس ، فيجذبون إلى ساحة الخير كل شارد ، ويضمدون بالحكمة والموعظة الحسنة دامى الجراح .

للدكتور محمد رجب البيومى



حدثنى عالم كبير من مفكرى أبناء الشرقية فقال ما عرفت رجلا كالشيخ أحمد هاشم ؛ وقع نزاع بين قريتين ، وسالت الدماء وطالب كل فريق بالثأر ، وجاء الخبر إلى العارف بربه ، فهرع سريعاً إلى القريتين ، ودعا السكان جميعاً إلى ضيافته فى قريته يوم الجمعة فانهالت الوفود خلف الوفود حتى ضاقت بهم الأرض ، ووسعهم منزل الرجل سماحة وإيناساً وطعاماً وشراباً ثم استمع إلى كل فريق ، وأشار بالصلح داعياً إلى التجاوز فتراضى المتخاصمون على كثرتهم المفرطة وخرجوا أحباباً يتعانقون !

فى هذه البيئة الكريمة نشأ الحسينى هاشم كما نشأ ابن عمه محمود هاشم .

وقد كنا بمعهد الزقازيق الدينى نزور « بنى عامر » فى أيام الخميس والجمعة ، لننتقل إلى جودينى خالص ، ولنرى مثلا نادراً لا يعرفه على حقيقته إلا من شاهده فالشيخ الكبير لا يكاد ينام الليل فإذا أذن الفجر تقدم الناس إلى الصلاة ثم دعا بأكواب اللبن ففرقها بنفسه على الحضور قبل أن يبارحوا المسجد ، ثم يمضى إلى الساحة ليستقبل الناس مستمعا إلى ما يرجون ، وهو لا ينى عن التسبيح والذكر ، ومراعاة الوافدين بأكثر مما يستطيع .

[النشأة الأولى]

فى هذا الأفق الملائكى الناضر عرفت الحسينى هاشم طالباً بمعهد الزقازيق ، فعرفت شمائله التى لازمته صغيراً ، وصحبته كبيراً ، دون أن يتغير فى شىء كان منذ صغره حيياً خجولاً ، لا يقتحم المجالس ، ولا يرفع الصوت بالمعارضة . بل كان يقبل على الدرس فى صمت ، ويسأل أستاذه فى هدوء ، ويتعهد رقيقى الحال من زملائه بالمعونة ، فكان يشترى الكتب الدراسية لبعض من لم يستطع الشراء ، وكان منزله فى عهد الطلب صورة مصغرة من منزله الآن فى عهده الأخير ، يؤمه الزملاء عن محبة راغبة ، وودٍ أكيد فلا يجدون غير البشاشة الحانية .

وقد وفقه الله فى ميدان التحصيل منذ نشأته متجهاً إلى حقل الدعوة الدينية خطيباً فى المساجد ، وواعظاً فى الندوات ، ثم التحق بكلية أصول الدين .

ولم يشأ أن يقصر دراسته على العلم وحده ، فاتجه إلى الأدب ، ونشر فى الصحف الأسبوعية مقالات تنبىء عن موهبة واستعداد ، وما كان يعرف الزهو فى شىء ، بل كان يعرض نتاجه الأدبى فى حياء بالغ ، وكنت موضع مشورته إذ ذاك فجعلت أقارن بين تواضعه الخجول على حسن استعداده وتشامخ غيره على جدب موهبته فأرى عجباً أى عجب .

وقد لا يعرف القارىء أن الحسينى هاشم نشأ شاعراً ، ونظم عدة قصائد لم تحظ بقبوله فآثر الاغضاء عنها ، ماتت إحدى شقيقاته وهو طالب بكلية أصول الدين فبكاها بدموعه ، ثم استجاب إلى قريحته فنظم قصيدة باكية بادر بقراءتها على فى مسودتها المتواضعة ، فأخذتها منه ، ثم تقدمت بها إلى مجلة الثقافة دون أن يعلم فنشرت بالعدد الصادر بتاريخ ٣ يولية سنة ١٩٥٠ ، ومنها هذه الأبيات .

قل للنواعس بعدها
إن المحاسن فى التراب
قل للورود تبعثرى
فالروض أصبح كاليباب
وقع المصاب وليس كل
مصيبة مثل المصاب
. أنا لا أحس من الحيا
ة سوى التياع واضطراب
أنا لست جبارا فلا
أقوى على حمل المصاب
ياموت انت فجعتنى
فامسح بنفسك ذا العذاب
انقذ وجودى من حيا
ة عيشها السم المذاب
فالقبر آمال الذى
فقد الأحبة والصحاب

وفاجأت الحسينى بالقصيدة على صفحات مجلة الثقافة وهى حينئذ من مجلات الأدب ، ذات القدر الرفيع ، ولازلت أذكر ، ابتسامه الطريف وهو يقول : أنت بعثتها للمطبعة دون ان يقراها الدكتور أحمد أمين .[1]

[فى ميدان الوظيفة]

بعد أن تخرج الحسينى من كلية أصول الدين عين أستاذا للتفسير والحديث بمعهد الزقازيق الدينى ، ثم انتدب إلى التدريس بمعهد غزة الدينى ، وغزة يومئذ فى كنف الإدارة المصرية ، ولكنه لم ينس صحبته للكتابة العلمية النافعة بالمجلات الدينية ، وهى صحبة وثيقة الصلة بمشاعره الذاتية ..

وكانت المناسبات العلمية تدعوه إلى السجال العلمى بين الأساتذة والنظراء من زملائه ، والمجال العلمى يتطلب اعتدادا وجرأة ، وهما غير ما طبع عليه الحسينى من تواضع وهدوء ، ولكنه عمل على التوفيق بين النزاعات المتضاربة ليسهم بدوره فى تصحيح الأخطاء ، ونصرة ما يراه من الحق المبين .

(١) للأستاذ الدكتور الحسينى رحمه الله قصيدة « القدوة الحسنة والإدارة الإسلامية » نشرت بمجلة الأزهر عدد « صفر ١٤٠٤ ص ٢٤٥ » ـ مجلة الأزهر .

أذكر أن عالماً كبيراً من أساتذته أخرج مؤلفاً علمياً ألم فيه بحديث عن المفسر المؤرخ أبى جعفر الطبرى فلم يضعه موضعه العلمى الصحيح ، بل قاسه بغير ميزان عصره ، إذ لابد من تقرير البيئة العلمية الخاصة فى كل زمان .

وقد قرأ الحسينى ما كتب أستاذه عن الطبرى ، وتحرج أن يقف منه موقف المعارض ، كما تحرج أن يسكت عن خطأ يجب تصحيحه ، وأذكر أنه قابلنى حينئذ ، فأشرت عليه أن يقول ما لديه دون تحرج ، فاختلاف الرأى لا يفسد قضية الود ولكنه سكت قليلاً ثم قال ، سأنشر فصلا « بمجلة الأزهر » عن مكانة أبى جعفر الطبرى فى التفسير والتاريخ فأصحح أخطاء الأستاذ دون أن أشير إليه ، فاذا ألم القراء بمقالى عن الطبرى أدركوا ما أعنيه دون أن أجابه أستاذى ، فعلاً ظهر عدد رمضان سنة ١٣٨٣ هـ من مجلة « الأزهر » يتضمن كلام الحسينى عن الطبرى دون أن يشعر أحد أنه يصحح خطأ رآه .

وهذا السلوك النفسى يكشف عن مشاعر الرجل ، ويصور مذهبه الخلقى الذى التزمه طيلة حياته ، ولو كنت مكانه لنقدت المقال مصرحا بخطأ من وقع فى الخطأ ، فما من أحد ينجو من الاعتراض ، ولكن الطبائع تتعدد ، وأشرف هذه الطبائع ما اتجهت بصاحبها إلى المسالمة والاحتياط .

ولا أنس موقفاً آخر للحسينى ، فقد كتب أحد زملائه مقالاً علمياً « بمجلة الأزهر » ذهب فيه إلى أن « البسملة » ليست جزءاً من السورة القرآنية وساق أدلة جمعها من أقوال بعض العلماء ، فلم يقع المقال موقع القبول من الحسينى ، وكتب رداً مؤيداً بالحج نشرته « مجلة الأزهر » وعقب عليه الأستاذ عبد اللطيف السبكى مؤيداً مزكيا ، ولكن الدكتور الحسينى أشار إلى الزميل بوضوح ، وحين سألته عن اختلاف مسلكه فى النقد عما عرفته منه حين كتب مقاله عن الطبرى ، قال : إن الأول أستاذى وله حق الإذعان ،

والثانى زميلى ، ومن حقه أن يبدى الرأى ، ومن حقى أن أعقب !

هذا وقد كان الأستاذ خالد محمد خالد نشر مقالاً بجريدة الجمهورية عن تعدد الزوجات فى الاسلام نزع فيه منزعا غاليا ، فرد عليه الحسينى بأدلة مقنعة ، ولكن جريدة الجمهورية حينئذ لم تنشر رد الحسينى فقابلنى ليقدم الىّ ما كتب ، وليسأل فى تواضع : هل أنا مخطىء ؟ قلت أنا معك ، وابعث بردك إلى مجلة الأزهر لأن تجلية الحقائق على صفحاتها أكمل وأوفى ، وقد كان ، فنشر الحسينى رده بعدد شوال ١٣٨٠ هـ ، وأذكر أن الأستاذ الزيات قد حذف منه بعض الحقائق المشتهرة لذيوعها ، وكان صدر الحسينى فسيحاً حين قال لى : إن الزيات يعلمنا كيف نهجر المقدمات وندخل فى الموضوع !

[رسالة الدكتوراه عن البخارى]

التحق الحسينى بالدراسات العليا بكلية أصول الدين ، وهو مدرس بالمعهد الدينى ، ووفق بنجاح حتى حصل على درجة الدكتوراه

من أعلام الأزهر

برسالته العلمية عن « الإمام البخارى محدثاً وفقيهاً » ، وهى أنضج ما كتب الدكتور بحثاً واستقصاء ودفاعاً عن السنة المجيدة وقد كانت المناسبة ملحة لصدور مثل هذه الرسالة القيمة ، لأن الجو الدينى قد تسمم بكتاب سماه صاحبه « أضواء على السنة المحمدية » وقد لاقى قبولاً من زعانف مغرضة لا تعرف عن تدوين السنة شيئاً ، وقد سرها أن يكون هذا الكتاب معول هدم للحقائق الثابتة فأكثرت له الطبل المدوى دون تحقيق.

وكان من العجب العاجب أن الذين عدوه بحثاً رائعاً فى بابه ليسوا من رجال الحديث ، ولا يكادون يلمون بحقائق العلم الصحيح ، وكانت الأمانة العلمية تدعوهم إلى أن يقفوا فى الكتابة عند اختصاصهم ، ولكنها مصر التى تفتح باب الحديث عن كتب الاسلام لكل كاتب ، علم أو جهل ، فجاء كتاب الدكتور الحسينى ليفند ما سيق من لغط لا تراعى فيه الحقيقة ، ولا تؤخذ من لبابها الصحيح .

والحسينى هادىء الطبع ، مهذب النقاش وهو بهدوء طبعه ، وسلامة منهجه ، يجذب إليه المنصفين ممن ينشدون الاستماع إلى القول دون صخب مفرقع ، لأن الضجيج وإن كان فى موكب الحق لا يتعب الاقناع الشاق ، ولكن التمسك بآداب البحث والمناظرة فى دفع الحجة ، وايضاح الدليل هوالسبيل القريب إلى الاقناع ، وإذا كان البخارى رضى الله عنه قد اشتهر بالحديث وحده فإن الناحية الفقهية فى أثره العلمى كانت فى حاجة إلى مزيد من الجلاء .

وقد قدم الحسينى إمام المحدثين فقيهاً له منحاه الهادىء فى الاستدلال والتوجيه والاعتصام بالأثر النبوى فى الراى ، والباب الرابع من الرسالة الخاص بفقه البخارى يجمع من الحقائق المتناثرة ما يؤلف موضوعاً جديداً نسج الحسينى خطوطه خيطا خيطا حتى استوى ضافى الذيول بهيج الرواء ! وقد افاض فى الحديث عن نشأة البخارى وحياته العلمية ، وعن حركة تدوين السنة قبل الإمام ، وعن منهج البخارى فى التدوين .

واذكر أن بعض الناقدين أخذ على الحسينى تعصبه الشديد للبخارى ! وهو مأخذ موضع نظر ، لأن المؤلف يتعصب للحق حين يتعصب للإمام ، وماذا عسى ينتظر القارىء من دارس يتحدث عن إمام تناوله الأدعياء بالطعن المغرض فزعموا أن الصحيح فى كتابه الخالد قليل قليل ! إنها فرية مغرضة لا يكون دفعها تعصبا للرجل بل تعصباً للحقيقة التى أوشكت أن تضيع بين قوم يهرفون بما لا يعرفون .

لقد خص الباحث ثلاثة فصول من كتابه للرد على الشبه الظالمة التى تنسج افتراء حول السنة المطهرة ، وهو فى الوقت نفسه يظهر صحة المنهج الذى احتذاه البخارى فى التدوين ، وإذا كانت هذه الشبهة قد ترددت فى كتب الاستشراق فقد أجاد الباحث تتبعها فى مظانها تتبعاً يقظا حذراً ، كما سرد بعض الأحاديث التى وجه إليها الطعن وبين خطأ ما قيل عرض لما قاله الأستاذ الدكتور أحمد أمين فى ضحى الإسلام إذ أشار إلى قلة اهتمام الدارسين بالمتن ، وكثرة اهتمامهم بالسند فذكر أن الاهتمام بالسند والمتن معاً كان من دأب المحدثين .

وأظن أستاذنا الخضر حسين رحمه الله قد كتب فصلاً خاصاً بهذه الناحية جلافيه الحقيقة جلاء ساطعاً ، ولعل كثرة الحديث عن رجال الاسناد والحرص على تدوين حياتهم وتتبع ما روى من أخلاقهم تتبعاً دقيقاً لا يغفل الهاجسة المستترة هو الذى أكثر الحديث عن رجال الاسناد بصورة جعلت ما قيل عن المتن يبدو فى صورة أقل ! ولكن المسألة ليست مسألة كم فحسب ، فقد فحص السند كما فحص المتن .

وإذا كان الحسينى قد اهتم بتفنيد كل ما ادعاه المغرضون من ريب ، فقد قام مقاماً كبيراً ، وقد بلغ برسالته العلمية مبلغ الجودة المتقنة ، ذات الهدف النبيل .

[أعمال شتى]

تصدر الدكتور الحسينى بعد الدكتوراه لتدريس الحديث بكلية أصول الدين فى مصر ، وفى كليات مماثلة بالسودان والمملكة العربية السعودية ، وأصدر كثيراً من الكتب لتلاميذه فى هذا المجال ، وقد كان أثيراً لدى تلاميذه وزملائه معا لما حباه الله من خلق نبيل .

أذكر أنه فى أثناء بعثته إلى المملكة العربية السعودية بمكة المكرمة تولى تدريس الحديث لطلبة الدراسات العليا بكلية الشريعة هناك ، وكان بعض أساتذته بكلية أصول الدين بمصر يزامله فى التدريس للمادة ، فى فرقة مماثلة ، فتوجه - رحمه الله - إلى أستاذه فى قاعة الدرس وجلس فى صفوف التلاميذ ، فدهش الأستاذ وتساءل عن موقف الحسينى ، فقال الدكتور فى براءة ، أنا تلميذك ، وقد كنت استمع إليك فى كلية أصول الدين بمصر ، ولابد أن أواصل الاستماع هنا لأستفيد ، فقام الأستاذ وعانقه متأثرا .

وأنا أحرص على تدوين هذه المآثر الخلقية لأنها نادرة الوقوع فى زمننا هذا .

وإذا صدرت عن مثل الدكتور الحسينى فانها تصبح مظنة القدوة ، وموضع الاحتذاء ، ممن يسرهم أن يتمسكوا بالصراط القويم .

أذكر أن المحدث الكبير المغفور له الأستاذ أحمد محمد شاكر كان يقوم على إخراج « مسند الإمام أحمد بن حنبل » فى عدة أجزاء بلغت العشرين[1] وقد أوفى على الغاية فى دقة التخريج ، والصبر على المراجعة ، والتوفيق بين الروايات المختلفة بما لا يستغرب من مثله ، ثم انتقل إلى رحمة الله ، فرأى الناشر أن يستعين بالدكتور الحسينى فى تهيئة ما بقى من أجزاء المسند . وقد كنت فى زيارة الحسينى فوجدته يقول فى حيرة ، لقد عهد إلى أن أقوم مقام العلامة الشيخ أحمد شاكر ، وأين أنا منه ؟ بل أين أنا من تلاميذه ؟ إن العبء ضخم ، والجهد امحدود ، فماذا ترى ؟

قلت إن حبك لحديث رسول الله سيمدك بالعزم والأيد إن شاء الله ، فصاح الحسينى يقول : والله لقد استحييت من رسول الله أن أرفض هذا العمل ، وسأبذل جهدى ، فإذا قصرت عن الغاية المثلى التى التزمها الشيخ شاكر ، فليغفر الله لى .

---

(١) ما طبع من مسند احمد بدار المعارف قبل ان يتولى الدكتور الحسينى هاشم مهمته باخراج المسند - لا يتجاوز سبعة عشر جزءا .

من أعـلام الأزهــر

وقد نشر الحسينى بعض الأجزاء وتقدير عمله العلمى يرجع إلى ذوى الاختصاص

[أحاديثه الإذاعية]

عرفنا معدن الدكتور الحسينى العلمى فيما كتبه عن البخارى رضى الله عنه وكذلك فيما أخرجه عن « الوحى الالهى » وعن « أئمة الحديث النبوى » وغيرهما من بحوثه المشتهرة ، وأذكر أنه أصدر كتابا عن الشاعر العراقى معروف الرصافى يلم بمواقفه الاجتماعية والقومية ، مما يدل على أنه لم ينس هوايته الأولى للأدب ، وشغفه بالشعر ، والمقالة الفنية .

أما ما أشير إليه الآن فهو أحاديثه الدينية التى يلقيها فى الإذاعة والتليفزيون وقد جمع بعضها فى كتابه « الدين القيم » بجزئيه ، وهى أحاديث سهلة ذات منزع ميسر ، حدده الإمام الأكبر عبد الحليم محمود رحمه الله ، حيث أوصى تلميذه وصهره الدكتور الحسينى بمراعاة حق العامة فى الهداية والارشاد إذ رأى الإمام الأكبر أن فريقاً من كبار المتحدثين لا يفرقون بين الكلمة المذاعة والمقال العلمى ، فهم يحدثون جمهرة المستمعين ، وكأنهم يؤلفون كتابا ، والإمام الأكبر يدعو المتحدث فى مجال عام أن يراعى حق الجمهور فى استيعاب النفع ، ويأخذ على فريق من العلماء محاولة غموض مصطنع لا يصل بالمعلومات الدينية إلى ذهن السامع من أيسر طريق .

وقد استجاب الحسينى فى أحاديثه العامة إلى دعوة أستاذه ، فتعمد التبسيط تعمداً ، وأذكر أنى قلت له فى مجال الحوار الخاص بهذه النقطة إن الأستاذ الكبير الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله كان يرضى حاجة العامة والخاصة معاً ، بوضوحه ودقته ، إذ كان يحسن اجتماعهما معاً ، فسامعه يتشبع بآرائه مهما بلغت درجة ثقافته ارتفاعاً وانخفاضاً ، ذكرت ذلك للحسينى فقال ، ومن مثل دراز حتى ينحوا منحاه ؟

ولست بذلك أضائل من قدر الأحاديث الإذاعية ولكنى أعرف أن مقتضى الحال سر بلاغى دعا إليه النقاد ، وأن التيسير أولى من التعسير إذا وجه الخطاب إلى الجمهور ، والنفوس البشرية تسأم الجد المتعمق ، ومن واجب الداعية أن يمهد لهذه النفوس طريق الاصغاء ، لا أن يدعوها إلى العزوف .

على أن الحسينى لم يقتصر على أحاديث الإذاعة إذ كان يزور مساجد الشرقية زيارات متتابعة ليلقى العظات الموسمية ، وإن القرى الهادئة فى مراكز مينيا القمح وكفر صقر وأبو حماد وبلبيس وفاقوس وغيرها .

قد سعدت بالراحل العزيز ، واطمأنت إلى وعظه المتكرر ، كما استشعرت حزنا على فقده ، إذ كان مصباح توجيه ، ولواء هداية.

لقد مضى الداعية العارف بالله الشيخ محمود هاشم إلى ربه ، فكان بقاء الحسينى من بعده عزاء للذين يعرفون مكانة الأسرة الهاشمية فى المجتمع الإسلامى .

وقد شاء الله أن يلحق به ، لينكأ جرحا لا يجد الاندمال ، ولكن الله لن يضيع قوما تواصوا بالحق ، واعتصموا بالخير ، وسيهيىء من الخلف من يرعى أمانة السلف أما وحشتى القاسية لرحيل الحسينى فليس لها غير الصبر الجميل .



إعداد : عبد الفتاح حسين الزيات

ان شريعة تدعو الى كرم الأخلاق ، وتعنى ببيانها تفصيلا لهى شريعة حق وعدل تقدم العظة على الأمر ، والرحمة على البطش . انها شريعة الله ذى الأسماء الحسنى والصفات العلا ، شريعة الاسلام الجامعة لمكارم الاخلاق التى تنفر من الظلم والشح وسوء الخلق .
قال الكاتب ــ رحمه الله :

عن جابر ــ رضى الله عنه ــ أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « اتقوا الظلم ، فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح ، فان الشح أهلك من كان قبلكم ! حملهم على أن سفكوا دماءهم ، واستحلوا محارمهم » رواه مسلم .

يتعلق بشرح هذا الحديث أمران :

١ ــ بيان معنى الظلم وآثاره الضارة فى الشريعة الاسلامية .

٢ ــ بيان معنى الشح وآثاره الضارة بين النــاس .

١ ــ كل الناس يعرفون معنى الظلــم ، ويدركون معنى العدوان على الأنفس والأعراض والأموال والحقوق العامة والخاصة ، فاذا اعتدى أحد على غيره فى نفسه أو مالــه أو عرضه ، أو سلبه حقا من حقوقه فقد ظلمه ، ومن يفعل ذلك فقد خسر خسرانا مبينا ، وكان عرضة للهلاك فى الدنيا والآخرة .

لقد نهى الله عن الظلم فى غير موضع مــن القرآن الكريم ، ولعن الظالمين وهددهم بأشد

أنواع الجزاء ، ومن ذلك قوله تعـــالى : (**وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ**) •

فلينتظر الظالمون الذين يفلتون من الجـزاء الدنيوى على ماكسبت أيديهم عقاب الله تعالى يوم القيامة ، وان عقابه لشديد ، وان أخـذه لأليـم •

ومعنى « تشخص فيه الأبصار » لا تقر فيه أبصارهم من شدة الهول والفزع •

ومعنى « مهطعين » ، مسرعين الى مـن يدعوهم • كما هو شأن الأسير الذى لايملك لنفسه نفعا ولا ضرا •

ومعنى « مقنعى رءوسهم » • رافعـــى رءوسهم من شدة الهول •

ومعنى « لا يرتد اليهم طرفهم » ، لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى أنفسهم •

ومعنى « وأفئدتهم هواء » قلوبهم لاتعى شيئا من شدة الفزع والهول •

والغرض من هذه الآية الكريمة تمثيل الحالة التى يكون عليها الظالمون يوم القيامة ، يوم لاينفع مال ولابنون ، فبين الله سبحانه أن جريمة الظلم يترتب عليها يوم القيامة من العذاب والفزع ماسيصعق له الظالمون الذين ينتهكون حرمات الضعاف بقوتهم ، ويستعذبون التنكيل بعباد الله بدون أن يحسبوا لخالقهم حســابا فبين سبحانه أن هؤلاء الظالمين سيستولى عليهم فزع العذاب وهول الموقف ، فيذهب بعقولهم، ويتملك مظهر ذلك الفزع حواسهم ، فتشخص أبصارهم بحيث لا يستطيعون أن يحـركوا رءوسهم كما يشاءون ، كما هو شأن الولهان الفزع الذى تفاجئه الكوارث ، وتزعجـــه النائبات •

ومما لاريب فيه أن هذه الآية الكريمة قـد بينت ما سيلاقيه الظالمون من هول وفزع أحسن بيان • وان فيها لعظة وعبرة للطاغين الـذين تفرهم شهوة الجاه والسلطان فيسلبون الناس حقوقهم ويؤذونهم فى أموالهم ، وأعراضـهم، وأنفسهم ، وحقوقهم ، وهم ناعمون متلذذون بسلطانهم الزائل • وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون •

أما الأحاديث الواردة فى التحذير عن الظلم وتخويف الظالمين ، فهى كثيرة لا تقف عنـد حد • ومنها هذا الحديث الذى نشرحه • فقد أمرنا رسول الله ـ ﷺ ـ أن نتقى شر الظلم ونتحاشاه ، لأن شره مستطير ، ولابد أن ينتقم الله من الظالمين فى الدنيا والآخرة ان لم يتوبوا من ظلمهم ، ويرجعوا عن غيهم ، ويردوا الحقوق لأربابهـا •

ومن ذلك ما رواه مسلم وغيره من أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « أتدرون ما المفلس » ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع • فقال : « ان المفلس من أمتى من يأتى يـــوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم

هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح فى النار » •

ومن ذلك قوله ﷺ : « ان الله يملى للظالم ، فاذا أخذه لم يفلته » • رواه البخارى ومسلم وغيرهما ، وقد جاء فى آخر هذا الحديث ذكر قوله تعالى : (وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) •

ومن ذلك قوله — ﷺ — : « صنفان من أمتى لن تنالهما شفاعتى : امام ظلوم غشوم وكل غال مارق » رواه الطبرانى •

ان هذا القدر الذى ذكرناه من شناعة الظلم فى نظر الشريعة الاسلامية ظاهر قد لا يخفى على أحد من الناس ، ولكن الذى يجب على المسلمين أن يتنبهوا له ، ويحاربوه بكل ما لديهم من قوة ، هو ما يبعثهم الى الوقوع فى مثل هذه المحظورات الموبقة التى قضت على كثير من قوتهم المادية ، والأدبية ، وأورثتهم ذلا بعد عز ، ومهانة بعد شرف وكرامة • فمن أهم الوسائل الباعثة على ارتكاب جريمة الظلم تحكم سلطان الشهوات على الأنفس ، والرغبة فى الحصول على أكبر قسط ممكن من تلك الشهوات الفاسدة التى تنقضى سراعا ، ثم تترك وراءها حسرات لا تنقضى ولا تفنى ، وشقاء لا ينقطع ، وعذابا أليما • فترى ذوى الجاه والسلطان تزين لهم بطانة السوء حب سماع النمائم والوشايات ، فيبطشون بالمؤمنين الغافلين الأبرياء طاهرى القلوب سليمى الصدور ، ويذيقونهم من أنواع الظلم والحيف ما قد يقضى على أرواحهم وأموالهم وكرامتهم ، ويسلبهم حقوقهم الطبيعية وهم غافلون •

وترى كثيرا من الناس يكادون يكونون فوضى فى باب الأموال ، فكل من أتيح له أن يستولى على مال الغير بأية وسيلة من الوسائل لايتأخر عن ذلك بدون مبالاة بأوامر ربه ونواهيه • ألم ينه الله تعالى نهيا شديدا عن الغش والخيانة وتطفيف الكيل والميزان ؟ ألم يقل سبحانه : (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ • وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ) ؟ ألم يقل سبحانه : (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) ؟ ألم يقل :(إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) ؟ ألم يقل — ﷺ — : (كل لحم نبت من حرام ، فالنار أولى به) ؟ ألم يقل : (من غشنا فليس منا) ؟ الى غير ذلك من النهى الشديد الجازم عن الظلم فى باب الأموال • فما بال المسلمين يظلم بعضهم

بعضا ، ويغش بعضهم بعضا . ألا ان ذلك لهو الخسران المبين .

يفعل المسلمون ذلك ، ويتركون دينهم وراءهم ظهريا ، كأنهم لم يسمعوا قول النبى — ﷺ — : (كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وعرضه ، وماله) .

ألا فليعلم المسلمون أن ارتكاب هذه الجرائم واقتراف هذه المظالم هى السبب فى انحطاطهم وتأخرهم ، ولا ينفعهم الا أن يرجعوا الى الله ربهم ، ويعملوا صالحا ، لعلهم يفلحون .

٢ — أما معنى الشح ، فهو : الامساك عن الانفاق حيث يجب البذل ، سواء كان واجبا دينيا كزكاة المال ، والنفقة على الزوج والأولاد ونحوهم ممن تجب على المكلف نفقتهم ، ومثل ذلك الانفاق على احياء نفس يتوقف على ذلك الانفاق احياؤها ، أو كان واجبا تقتضيه المروءة بأن ينفق ما يناسب حاله ، فلا يليق أن يكون ذا مال كثير ويعيش عيشة البؤساء ، أو يضيق على أولاده وأهله ، فيحرمهم من أنعم الله تعالى ، أو يسقط كرامته فى البيئة التى يعيش فيها ، فيصبح بذلك عرضة لتحقير الناس اياه ، وغير ذلك من الأمور التى تخل بالمروءة فاذا حفظ الانسان نفسه من هذا لايكون بخيلا فى نظر الدين . أما كونه كريما فذلك تابع لحالته المالية ، وتفاوت أنظار الناس فى تقدير الكرم، والذى يحفظ الانسان من شر الشح هو العمل بقوله تعالى : (وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) .

أما شر مضار الشح وأكبر آفاته ، فهو فقد التعاون بين الناس وذهاب التراحم والتواد من بينهم ، وحلول العداوة والبغضاء محل ذلك ، لأن الشحيح يبغض التعاون بطبيعته ، ولا تسمح نفسه ببذل شىء من ماله ولو يسيرا لمساعدة الضعفاء ، فتمتلىء قلوبهم ضغنا عليه، وتثور أنفسهم حسدا عليه ، فاذا فشا الشح فى أمة كانت نتيجته فوضى الاشتراكية التى يترتب عليها سفك الدماء ، واستحلال المحارم. لذلك يشير قول النبى — ﷺ — (واياكم والشح ، فانما هلك من كان قبلكم بالشح ، أمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالبخل فبخلوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا) من حديث رواه أبو داود والحاكم .

والشح والبخل بمعنى واحد ، فمعنى قوله — عليه الصلاة والسلام — أمرهم بالبخل فبخلوا . أمرهم عن الكف عن معونة الناس.

وقيل « الشح » الحرص على ما عند غيره. « والبخل » الحرص على ما عنده . فذلك صريح فى أن الشح خطر اجتماعي كبير ، يترتب عليه هلاك الأمم وفناؤها ، لأن الانسان بحسب تكوينه الطبيعى ، وفطرته التى فطره الله عليها محتاج الى التعاون مع غيره فى هذه الحياة فلا يمكنه أن يسلك سبيلها وحده وأن يقطع مراحلها منفردا ، بل لابد له من ذلك فى الاستناد الى غيره والتعاون معه فى كل أطواره من وقت وجوده الى أن يوارى

فى التراب • وكلما اشتد ضعف الانسان اشتدت حاجته الى غيره ، فتراه فى حال طفولته محتاجا الىغيره فىكل شىء ، فاذا مانشأ وترعرع استقل

فى بعض أموره ، ولكنه لم تنقطع حاجته فى البعض الآخر •

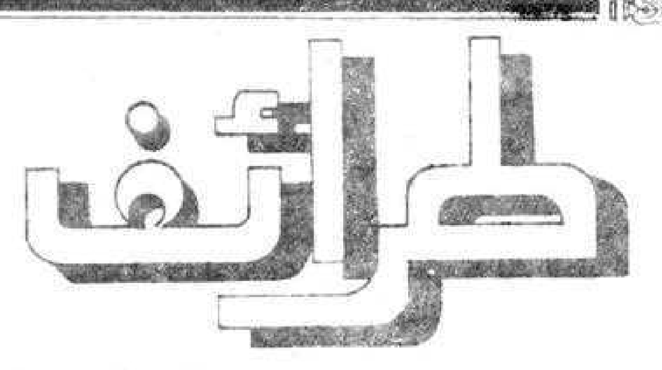
ومن ذلك يتضح أن التعاون من ضروريات المجتمع الانسانى ، وبقاء العمران •

والشح ينافى التعاون والتراحم بين الناس وهيهات أن تجد الرحمة الى نفس الشحيح سبيلا ، لأن الشح يدعوه الى أن يقاطــع أرحامه وأقرب الناس اليه ، فضلا عن البعيدين عنه ، ويدعوه الى القسوة والغلظة ، فــلا يغيث مكروبا ، ولا يعين ضعيفا ، ولو توقفت حياته على معونته • يدعوه الى أن يكسب المال من أى طريق بدون تفرقة بين حلال وحــرام يدعوه الى أن يحقد على كل من يحاول أخــذ شىء من ماله ولو كان من أبنائه وأهله ، وقد يفضى به ذلك الحقد الى ارتكاب الجنــايات وسفك الدماء • فلا ريب فى أن الشح من أكبر الآفات التى تضر بالمجتمع الانسانى •

ولذلك قال ــ صلى الله عليه وســـلم ــ : « اللهم انا نعوذبك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممــات » رواه مسلم ••

عبد الرحمن الجزيرى
المجلد الحادى عشر





المصطفى ﷺ عند البوصيرى

تتباهى بك العصور وتسمو
بك علياء بعدها علياء

وبدا للوجود منك كريم
من كريم آباؤه كرماء

حبذا عقد سؤدد وفخار
أنت فيه اليتيمة العصماء

ومحيا كالشمس منك مضيىء
أسفرت عنه ليلة غراء

ليلة المولد الذى كان للديـ
ـن سرور بيومه وازدهاء

وتوالت بشرى الهواتف أن قد
ولد المصطفى وحق الهناء

« وجاءت سكرة الموت »

أخرج ابن سعد عن عروة قال : لما مات الوليد بكت أم سلمة فقالت :

يـاعـين فـابكى للـوليـد بن الـوليـد بن المغيرة
كان الوليد بن الوليد أبو الوليد فتى العشيرة

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « لا تقولى هكذا يا أم سلمة » ، ولكن قولى : « وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد » .

(روح المعانى للإمام الألوسى جـ٢٦ ص ١٨٣) .

وأخرج أحمد وابن جرير عن عبيد الله مولى الزبير بن العوام قال : لما حضر أبو بكر الوفاة تمثلت عائشة بهذا البيت :

أعاذل ما يغنى الحذار عن الفتى
إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

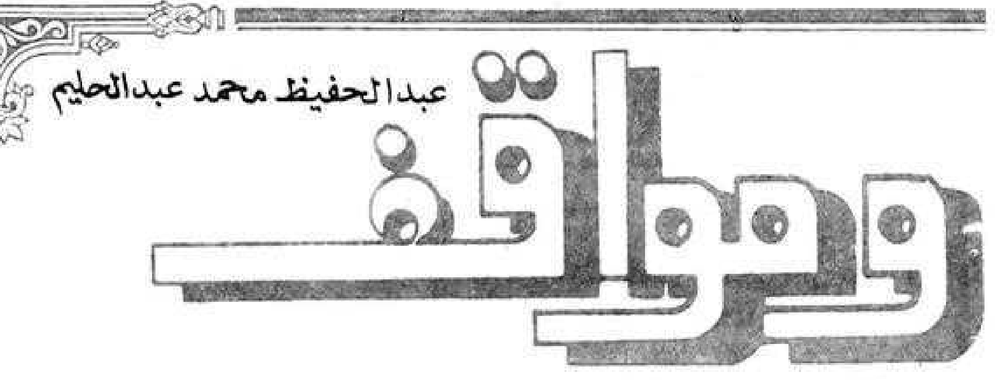
فقال أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ ليس كذلك يابنية ولكن قولى : « وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد » .

« قوم ألهموا الكلام »

أخرج المسعودى فى « مروج الذهب » بسنده قال : قال صاحب العقد :

بينما معاوية جالس فى أصحابه إذ قيل له : الحسن بالباب .

فقال معاوية : إنه يريد إن دخل علينا أفسد ما نحن فيه !!



فقال له مروان بن الحكم :

إيذن له ؛ فإنى أسأله عمال ليس عنده فيه جواب .

قال معاوية : « لا تفعل ، فإنهم قوم : ألهموا الكلام عن وحى واغترفوه من بحر » .

« وصية »

أوصى سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ رعيته فنصح لها فى دينها ودنياها وشان حياتها كله فمن ذلك قوله :

« تعلموا العلم ، وتعلموا للعلم السكينة والحلم ؛ وتواضعوا لمن تُعلِّمون ، وليتواضع لكم من تُعلِّمون ، ولا تكونوا من جبابرة العلماء ولا يقوم علمكم مع جهلكم » .

« تسوبة »

من شعر أبى نواس :

يارب إن عظمت ذنوبى كثرة
فلقد علمت بان عفوك أعظم

إن كان لا يرجوك إلا محسن
فبمن يلوذ ويستجير المجرم

ادعوك رب كما أردت تضرعا
فإذا رَدَدْتَ يدى فمن ذا يرحم

مالى إليك وسيلة إلا الرجا
وجميل عفوك ثم إنى مسلم

« أى بيت تقوله العرب أشعر »

● قيل لأبى عمرو بن العلاء : أى بيت تقوله العرب أشعر ؟

قال : البيت الذى إذا سمعه سامعه سولت له نفسه أن يقول مثله ، ولأن يخدش أنفه بظفر كلب أهون عليه من أن يقول مثله .

● وقيل للأصمعى : أى بيت تقوله العرب أشعر ؟

قال : الذى يسابق لفظه معناه .

● وقيل للخليل : أى بيت تقوله العرب أشعر ؟

قال : البيت الذى يكون فى أوله دليل على قافيته .

● وقيل لعميرة : أى بيت تقوله العرب أشعر ؟

طرائف ومواقف

قال : البيت الذى لا يحجبه عن القلب شىء .

وأحسن من هذا كله قول زهير :

وإن أحسن بيت أنت قائله
بيت يقال إذا أنشدته: صدقا

« من علامات الخير »

● من علامة الزهد : أن تعرض عن الدنيا وهى مقبلة عليك .

● من علامة الورع : أن تتوقى الشبهات .

● من علامة الصدق : أن تكون كلمتك واحدة فى الرغبة والرهبة والطمع واليأس .

● من علامة التقوى : أن تحسن معاملتك للناس .

● من علامة علو الهمة : ألّا ترضى لنفسك من كل شىء إلا بأحسنه .

● من علامة الكرم : أن تكون للبذل فيما لا يتحدث عنه الناس أسرع منك للبذل فيما يشتهر بينهم .

● من علامة حسن الأخلاق : أن تكون فى بيتك أحسن الناس أخلاقا .

● من علامة الحكمة : أن تحمل نفسك على ما تريد أن تدعو الناس إليه .

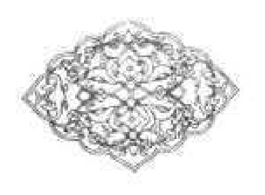
« دعاء »

اللهم اجعلنا مهتدين ، غير ضالين ، ولا مضلين .

اللهم اجعلنا سلما لأوليائك ، حَرْباً على أعدائك .

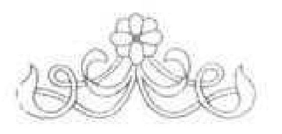
اللهم إنا نحب بحبك من احبك ، ونعادى بعداوتك من عاداك .

«قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ».



اللغة والأدب والنقد

القيم البيانية للاستعارة ومعايير حسنها



من أسرار العربية في البيان القرآني

القيمة البيانية

للاستعارة ومعايير حسنها

عند البلاغيين والنقاد

الاستعارة من أساليب العرب القديمة التى حفل بها الأدب العربى على مر العصور كما حفلت بها أساليب القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، لما لها من أثر فى الأسلوب ، ومنزلة فى التعبير ، لايغنى عنها غيرها ، ولا يفى بموقعها فى الأسلوب سواها ، كما أنها تزيد من ثراء اللغة واتساعها فى الألفاظ كما هو شأن المجاز بصفة عامة ، لأن فيها زيادة فى الأسماء ، وخلع أوصاف تخص فى الحقيقة الأعيان والجواهر ، لا الأحداث والأعراض(١) « فهى من اتساعهم فى الكلام اقتدارا ودالة ليس ضرورة ، لأن ألفاظ العرب أكثر من معانيهم ، وليس ذلك فى لغة أحد من الأمم غيرهم ، فانما استعاروا مجازا واتساعا ، ألاترى أن للشىء عندهم أسماء كثيرة ، وهم يستعيرون له مع ذلك » . (٢) وهى « أفضل المجاز ، وأول أبواب البديع ، وليس فى حلى الشعر أعجب منها ، وهى من محاسن الكلام اذا وقعت موقعها ، ونزلت موضعها » (٣) .

وعن الغرض من الاستعارة ، وأثرها فى الأساليب يقول أبو هلال العسكرى :

« وذلك الغرض اما أن يكون شرح المعنى وفضل الابانة عنه ، أو تأكيده والمبالغة فيه ، أوالاشارة اليه بالقليل من اللفظ ، أو تحسين المعرض الذى تبرز فيه ، وهذه الأوصاف موجودة فى الاستعارة المصيبة ، ولولا أن الاستعارة المصيبة تتضمن مالاتتضمنه الحقيقة من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالا » (٤) .

وقد انتفع الامام عبد القاهر بهذه العبارات وغيرها فى تفصيل القول فى أثر الاستعارة ، وفضلها فى الأساليب ، وخصوصا عبارة أبى هلال العسكرى السابقة كما سيأتى .

وسيدور حديثى فى هذا الموضوع حول المعالم الرئيسية التالية بمشيئة الله تعالى :

---

(١) ينظر الخصائص لابن جنى ٢/٤٤٢ والمثل السائر لابن الاثير ١/١٤٢ ـ ١٤٣ والمزهر للسيوطى ١/٢٠٧ ـ ٢٠٨ .

(٢) العمدة لابن رشيق القيروانى ١ / ٢٧٤ .

(٣) المرجع السابق ١ / ٢٦٨ .

(٤) كتاب الصناعتين ص ٢٧٤ .

للدكتور عبد الجواد محمد محمد طبق

١ ــ القيمة البيانية للاستعارة كما يراها الامام عبد القاهر مع ايراد بعض النماذج التطبيقية التى توضح هذه القيمة .

٢ ــ الاتجاهات العامة والبارزة لمعايير حسن الاستعارة قبل مدرسة المتأخرين ، وخصوصا عند الامام عبد القاهر الجرجانى .

٣ ــ مناقشات المتأخرين حول هذه الاتجاهات ، وما أضافوه اليها أو استنبطوه منها .

٤ ــ خلاصة مركزة لمعايير حسن الاستعارة مستنبطة من المناقشات السابقة ، ومن مناقشات بعض البلاغيين والنقاد حول بعض الاستعارات الجيدة والمعيبة عند بعض الشعراء .

المعالم البارزة للقيمة البيانية للاستعارة عند الامام عبد القاهر الجرجانى :

نستطيع من خلال تتبعنا لحديث الامام عبد القاهر عن منزلة الاستعارة أن نلخص أهم وظائفها فى الأساليب فى الآتى :

١ ــ التزيين والتجميل .

٢ ــ الايجاز والاختصار .

٣ ــ الجدة والطرافة .

٤ ــ البيان والايضاح .

٥ ــ تقوية المعنى وتوكيده ، والمبالغة فى اثباته .

وسنورد فيما يلى بعض عبارات عبد القاهر الجرجانى التى أمكن استنباط هذه الخصائص للاستعارة منها ، ثم نطبق عليها ببعض النماذج ليتضح المقصود باذن الله .

١ ــ التزيين والتجميل :

عن التزيين والتجميل يرى الامام عبد القاهر أن الاستعارة « أمد ميدانا ، وأشد افتتانا ، وأكثر جريانا ، وأعجب حسنا واحسانا ، وأوسع سعة ، وأبعد غورا ، وأذهب نجدا فى الصناعة وغورا من أن تجمع شعبها وشعوبها ، وتحصر فنونها وضروبها ؛ نعم وأسحر سحرا ، وأملأ بكل ما يملأ صدرا ، ويمتع عقلا ، ويؤنس نفسا ، ويوفر أنسا ، وأهدى الى أن تهدى اليك عذارى قد تخير لها الجمال ، وعنى بها الكمال ، وأن تخرج لك من بحرها جواهر ، ان باهتها الجواهر مدت فى الشرف والفضيلة باعا لايقصر ، وأبدت من الأوصاف الجليلة محاسن لاتنكر ، وردت تلك بصفرة الخجل ، ووكلتها الى نسبتها من الحجر ، وأن تثير من معدنها تبرا لم تر مثله ، ثم تصوغ فيها صياغات تعطل الحلى ، وتريك الحلى الحقيقى » (٥) .

هذا ومن الملاحظ أن الامام عبد القاهر قد أورد حديثه المسهب عن مزايا الاستعارة دون أن يشفع هذا الحديث بالتطبيق المباشر على بعض النماذج ، لتبرز بصورة أوضح الميزة التى يتحدث عنها ، مع أنه يعرف قيمة التطبيق، وأثره فى توضيح المراد ، بل انه يبرز القيمة التطبيقية لها بقوله : « وانما ينجلى الغرض

(٥) أسرار البلاغة ص ٣٢ .

منها (٦) ويبين اذا تكلم على التفاصيل ، وأفرد كل فن بالتمثيل » (٧) ولذلك نراه يبرز قيمة الاستعارة بالتطبيق على الشواهد العربية فى مواطن متفرقة من الدلائل والأسرار ، وان كان لم يصنع ذلك فى أثناء حديثه المسهب عن قيمة الاستعارة هنا ، ولذلك آثرت ايراد بعض الشواهد لابراز هذه القيمة بصورة مباشرة ، حتى لايكون كلام الامام هنا أشبه بالخيالات ، أو التصورات التى يعوزها تأييد من واقع الأساليب .

ومن الاستعارات التى تحقق فيها حديث عبد القاهر عن تزيين المعنى وتجميله هنا قول الوأواء :

فاسبلت لؤلؤا من نرجس وسقت
وردا وعضت على العناب بالبرد

فقد استعار اللؤلؤ لدمع العين ، والنرجس للعين ، والورد للخد ، والعناب لأطراف الأصابع المخضبة ، والبرد للاسنان ، وبذلك أبرز المستعار له فى كل استعارة فى صورة جميلة حسنة ، هى صورة المستعار منه وهو اللؤلؤ والنرجس والورد والعناب والبرد ، وبذلك استوفى الغرض المطلوب من ابراز بعض محاسن من يتحدث عنها .

٢ ـ الايجاز والاختصار :

وعن الايجاز والاختصار يقول الامام : « فمن خصائصها التى تذكر بها ، وهى عنوان مناقبها أنها تعطيك الكثير من المعانى باليسير من اللفظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر ، وتجنى من الغصن الواحدة أنواعا من الثمر » (٨) . ومن هذا القبيل قوله تعالى : « **وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ** » (٩) ، لأن « حقيقة القرض ها هنا أن الشمس تسقط عليهم وقتا يسيرا ، ثم تغيب عنهم ، الاستعارة أبلغ ، لأن القرض أقل فى اللفظ من كل ما يستعمل بدله من الألفاظ ، وهو دال على سرعة الارتجاع ، والفائدة أن الشمس لو طاولتهم بحرها لصهرتهم وانما كانت تمسهم قليلا بقدر ما يصلح الهواء الذى هم فيه ، لأن الشمس اذا لم تقع فى مكان أصلا فسد » .

٣ ـ الجدة والطرافة :

وأما الجدة والطرافة « فمن الفضيلة الجامعة فيها أن تبرز هذا البيان فى صورة مستجدة تزيد قدره نبلا ، وتوجب له بعد الفضل فضلا ، وانك لتجد اللفظة الواحدة فيها فوائد حتى تراها مكررة فى مواضع ، ولها فى كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد وشرف منفرد ، وفضيلة مرموقة ، وخلابة موموقة » (١٠) .

من ذلك قولهم : ضحكت الأرض « اذا أنبتت ، لأنها تبدى عن حسن النبات كما يفتر الضاحك عن الثغر » (١١) .

وقول الشاعر :

---

(٦) أى من الاستعارة .
(٧) المرجع السابق ص ٣٣ .
(٨) المرجع السابق .
(٩) الكهف ١٧ .
(١٠) الاسرار ص ٣٢ ـ ٣٣ .
(١١) كتاب الصناعتين ص ٢٨٣ .

لاتعجبى يا سلم من رجل

ضحك المشيب برأسه فبكى

فقد صور الشاعر انتشار المشيب وبياضه فى الرأس بالثغر الأبيض الذى يظهر عند الضحك ، وبذلك أبرز صورة المشيب فى هذه الصورة الطريفة للثغر .

ومن هذا القبيل فى التشبيه قول بعضهم .

تفاريق شيب فى الشباب لوامع

وماحسن ليل ليس فيه نجومُ

هذا ولعل التمثيل لهذه الميزة بقولهم : « ضحكت الأرض » اذا أنبتت أولى ، لأن التصوير فى البيت الأول وان كان يبرز انتشار الشيب فى الرأس بصورة طريفة ، الا أنك تحس نفور الشاعر من هذا الشيب ، وحزنه على انتشاره بدليل قوله « فبكى » وان كان التصوير فى حد ذاته يبرز الغرض المطلوب ، وهذه الوظيفة للاستعارة قريبة جدا من الوظيفة الأولى ، وهى التزيين والتجميل كما هو واضح .

٤ ـ ايضاح المعنى وبيانه :

وأما ما فيها من بيان وايضاح « فلأنك ترى بها الجماد حيا ناطقا ، والأعجم فصيحا ، والأجسام الخرس مبينة ، والمعانى الخفية بادية جلية ، ان شئت أرتك المعانى اللطيفة التى هى من خبايا العقول كأنها جسمت حتى رأتها العيون » (١٢) ولذلك كان للشعر أثره « فيما يصنعه من الصور ، ويشكله من البدع ، ويوقعه فى النفس من المعانى التى يتوهم بها الجماد الصامت فى صورة الحى الناطق ، والموات الأخرس فى قضية الفصيح المعرب والمبين المميز ، والمعدوم المفقود فى حكم الموجود المشاهد » (١٣) ومن الاستعارات التى برز فيها هذا المغزى الاستعارة السابقة فى قوله جل شأنه : « **وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ** » ، حيث ان فيها فضلا عن الايجاز بيانا لأثر الشمس فيهم ومقداره والاستعارة فى هذه الآية الكريمة : « **فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ** »(١٤) حيث صور الجماد فى صورة الحى صاحب الارادة ، والاستعارة فى قول امرء القيس :

وقد أغتدى والطير فى وكناتها

بمنجرد قيد الأوابد هيكل (١٥)

لأن حقيقته مانع الأوابد من الذهاب والافلات ، والاستعارة أبلغ ، لأن القيد من أعلى مراتب المنع عن التصرف ، لأنك تشاهد ما فى القيد من المنع ، فلست تشك فيه » (١٦) ومن الاستعارات التى أبرزت غير المرئى فى صورة المرئى المشاهد لزيادة البيان والايضاح قوله جل شأنه : « **وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ** » (١٧) « فان حقيقته : وانه فى أصل الكتاب ، فاستعير لفظ الأم للأصل ، لأن الأولاد تنشأ من الأم كنشأة الفروع من الأصول ، وحكمة ذلك تمثيل ماليس بمرئى حتى يصير مرئيا ، فينتقل السامع من حد



(١٢) الأسرار ص ٣٣ .
(١٣) المرجع السابق ص ٢٩٧ .
(١٤) الكهف ٧٧ .
(١٥) ديوان امرىء القيس ص ٥١ دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٩٢ / ١٩٧٢ .
(١٦) كتاب الصناعتين ص ٢٧٧ .
(١٧) الزخرف ٤ .

السماع الى حد العيان ، وذلك أبلغ فى البيان » (١٨) .

ولعل هذه الميزة فى الاستعارة هى أبرز مزاياها ، وعليها يدور فضل الاستعارة على الحقيقة ، ولذلك يقول الرمانى : « فكل استعارة حسنة فهى توجب بلاغة بيان لاتنوب منابه الحقيقة ، وذلك أنه لوكان تقوم مقامه الحقيقة كانت أولى به ، ولم تجز الاستعارة » (١٩) .

٥ ـ تقوية المعنى وتوكيده والمبالغة فى اثباته :

وأما فضلها فى تقوية المعنى وتوكيده فلان أثر الاستعارة ليس فى ذات المعنى وحقيقته، بمعنى أنه لاتوجب زيادة فى المعنى الذى تثبته على الحقيقة ، وانما يرجع فضلها الى ايجاب المعنى واثباته والحكم به ، فالمزية فيها راجعة الى الاثبات لا الى المثبت كما يقول عبد القاهر (٢٠) ، أى فى طريقة اثبات هذا المعنى وتوكيده لا فى زيادة المعنى المثبت ، أى الذى تثبته على الحقيقة ، فليس فضل قولك: « رأيت أسدا يصرع الأعداء بسيفه » على قولك : « رأيت رجلا شجاعا » أن الأول يفيد زيادة فى شجاعة الرجل لايفيدها الثانى ، وانما فضل القول الأول على الثاني يرجع الى طريقة اثبات هذه الشجاعة للرجل ، وكأنك أثبت له هذه الشجاعة بالدليل ، وهو أنك أطلقت عليه اسم الأسد ، وأنت لاتطلق عليه هذا الاسم الا من بعد أن تدخله فى زمرة الأسود ، وتجعله كأنه واحد منهم .

واقرأ قوله تعالى : « **رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا** » (٢١) تحس بما فى لفظ اشتعل من مبالغة فى اثبات انتشار الشيب فى الرأس حيث صور بصورة اشتعال النار فى الهشيم .

هذا ومن الجدير بالذكر ان الاستعارة الواحدة قد تجتمع فيها عدة مزايا كما هو واضح مما سبق غاية الأمر أنه قد تكون هناك ميزة فى الاستعارة أبرز من غيرها ، وهى لاتمنع من وجود مزايا أخرى ، فالنكات لاتتزاحم كما يقولون ، وما ذكرته من شواهد انما هو نماذج فقط لابراز أهم أغراض الاستعارة التى تحدث عنها الامام ، ولايمنع ذلك من ملاحظة أغراض أخرى تفهم من معطيات الأساليب ، وأغراض الكلام .

ومن الاستعارات التى تحقق فيها أكثر من غرض ـ بالاضافة الى ماسبق ـ قوله تعالى: « **إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ** » (٢٢) لأن المراد بالشهيق لفظة واحدة الفظيع ، وهما لفظتان والشهيق لفظة واحدة ففى الاستعارة ايجاز ، كما أن فيها ـ فضلا عن ذلك ـ زيادة بيان وتوضيح لحال جهنم عندما يلقى فيها الكفار .. وهكذا .

ويمكن القول بأن الامام عبد القاهر بحديثه

(١٨) الاتقان فى علوم القرآن ٢ / ٤٤ .

(١٩) النكت فى اعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن) ٢ / ٨٦ طبع دار المعارف بمصر .

(٢٠) ينظر دلائل الاعجاز صفحات ٥٦ ، ٥٨ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ تعليق د . خفاجى .

(٢١) مريم ٤ .

(٢٢) الملك ٧ .

الضاف هذا عن الاستعارة وقيمتها الفنيــة البيانية فى الأساليب قد وضع معالم أساسية مازال النقد الحديث يجد فيها نبعا خصبا لكثير من معالمه حول الاستعارة ومكانتها ، على الرغم من تطور العقل البشرى وثرائه بما استمده من الدراسات العديدة والحديثة للعلوم المختلفة كعلم الجمال والفلسفة وعلم النفس وغير ذلك من العلوم •

وبعد : فالاستعارة مثل آلة المجهر التى تستطيع بها أن ترى فى العبارة أشياء لم تكن تستطيع أن تراها بدونها ، وبذلك تكتسب العبارة طاقة جديدة لم تكن بدونها ، كما أنها تحدث نشاطا لغويا ؛ وتجعل العمل الأدبى خلاقا لمعناه ، وليس مجرد صور محسنة فيها تذوب العناصر جميعا ، وتعطى شكلا أو قواما فنيا جديدا (٢٣) وفيما ذكرناه من شواهد أصدق دليل على ذلك •

ولما كانت الاستعارة بهذه المنزلة وضع البلاغيون والنقاد لحسنها شروطا ومعايير ان روعيت فيها تحققت لها المنزلة السابقة ، وكانت جديرة بهذه الدرجة العالية التى أحلها اياها الامام وغيره فى العبارات السابقة •

وقد رأيت من المناسب أن أعرض أولا للاتجاهات الرئيسية لهذه المعايير قبل مدرسة المتأخرين ، ثم أعرض بعد ذلك لمناقشات المتأخرين حول هذه المعايير التى وضع أساسها السابقون من البلاغيين والنقاد •

معايير حسن الاستعارة قبل مدرسة المتأخرين

من الأصول المهمة فى حسن الاستعارة حسن التشبيه القائمة عليه ، وذلك بأن تكون العلاقة قوية بين الطرفين فيها « فالعرب انما استعارت المعنى لما ليس له اذا كان يقاربه أو يناسبه أو يشبهه فى بعض أحواله ، أو كان سببا من أسبابه ، فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشىء الذى استعيرت لـه ، وملائمة لمعناه » (٢٤) •

وقد وضح هذه العلاقة القاضى الجرجانى أيضا فى قوله : « فملاكها تقريب الشبه وتناسب المستعار له للمستعار منه » (٢٥) كما أكد عليها ابن رشيق فى قوله : « انما يستحسنون الاستعارة القريبة ، وعلى ذلك مضى جلة العلماء ، وبه أتت النصوص عنهم ، واذا استعير للشىء مايقرب منه ويليق به كان أولى مما ليس منه فى شىء » (٢٦) •

فالاستعارة اذا ليست صنعة شكلية ، أو صناعة لفظية تلحق فيها شيئا بشىء لمجرد الالحاق ، أو تضع فيها لفظا مكان آخر لمجرد الوضع دون مراعاة المناسبة بينهما والتى تسيغ هذا الصنيع ، ولذلك أطلق قدامة بن جعفر على استعمال اللفظ فيما لايناسبه ولايليق به فأحسن الاستعارة ، واستشهد لذلك بقول أوس بن حجر :

وذات هدم عارنوا شرها
تصمت بالماء تولبا جدعا (٢٧)

(٢٣) انظر : نظرية المعنى فى النقد الأدبى ص ٨٥ ــ ٨٧ د • مصطفى ناصف •
(٢٤) الموازنة للآمدى ١ / ٢٦٦ •

(٢٥) الوساطة بين المتنبى وخصومه ص ٤١ •
(٢٦) العمدة ١ / ٢٦٩ •
(٢٧) ذات هدم أى خلق بالية ، عارنوا شرها =

فسمى الصبى تولبا وهو ولد الحمار (٢٨) .

وكان لهذه العبارات كلها أثر كبير فى حديث الامام عبد القاهر عن هذا المعيار فى حسن الاستعارة ، اذ يقول : « واعلم أنى لست أقول لك انك متى ألفت الشىء ببعيد عنه فى الجنس على الجملة فقد أصبت وأحسنت ، ولكن أقوله بعد تقييد وبعد شرط ، وهو أن تصيب بين المختلفين فى الجنس وفى ظاهر الأمر شبها صحيحا معقولا ، وتجد للملاءمة والتأليف السوى بينهما مذهبا ، واليهما سبيلا وحتى يكون ائتلافهما الذى يوجب تشبيهك من حيث العقل والحدس فى وضوح اختلافهما من حيث العين والحس ، فأما أن تستكره الوصف وتروم أن تصوره حيث لايتصور فلا ، لأنك تكون فى ذلك بمنزلة الصانع الأخرق ، يضع فى تأليفه وصوغه الشكل بين شكلين لا يلائمانه ولايقبلانه ، حتى تخرج الصورة مضطربة ، ويجىء فيها نتو ، ويكون للعين عنها من تفاوتها نبو ، وانما قيل : شبهت ولا نعنى فى كونك مشبها أن تذكر حروف التشبيه أو تستعير ، وانما تكون مشبها بالحقيقة بأن ترى الشبه وتتبينه ، ولايمكنك بيان مالايكون ، وتمثيل مالا تتمثله الأوهام والظنون » (٢٩) .

ويوضح هذا المبدأ فى حسن الاستعارة مرة أخرى بقوله :

« ان اطراح ذكر المشبه والاقتصار على اسم المشبه به ، وتنزيله منزلته ، واعطاءه الخلافة على المقصود انما يصح اذا تقرر الشبه بين المقصود وبين ماتستعير اسمه له ، وتستبينه فى الدلالة » (٣٠) وفى مجال العلاقة بين حسن التشبيه والاستعارة أوضح الامام أنه ليس كل تشبيه حسن تحسن الاستعارة القائمة عليه ، بل قد يحسن التشبيه ولاتحسن الاستعارة اذا كان هناك خفاء فى العلاقة بين الطرفين . يقول عبد القاهر : « فليس كل شىء يجىء مشبها بكاف أو باضافة مثل اليه يجوز أن تسلط عليه الاستعارة ، وتنفذ حكمها فيه حتى تنقله عن صاحبه ، وتدعيه للمشبه عى حد قولك : أبديت نورا ، تريد علما ، وسللت سيفا صارما تريد رأيا فذا ، وانما يجوز ذلك اذا كان الشبه بين الشيئين مما يقرب مأخذه ، ويسهل تناوله ، ويكون فى الحال دليل عليه ، وفى العرف شاهد له حتى يمكن المخاطب — اذا أطلقت الاسم — أن يعرف الغرض ، ويعلم ما أردت » (٣١) .

وفى المقابل وضع الامام معيارا آخر فى علاقة حسن الاستعارة بحسن التشبيه ، وهو أنه قد تحسن الاستعارة دون التشبيه المبنية عليه ، كأن تبنى الاستعارة على تشبيه مبتذل « فهذا النحو لتمكنه وقوة شبهه ، ومتانة سببه قد صار كأنه حقيقة ، ولايحسن لذلك أن تقول فى العلم « كأنه نور » وفى الجهل « كأنه ظلمة » ولاتكاد تقول للرجل

اذرعها عارية ، التولب : ولد الجحش الصغير ، جدعا : شىء الغذاء والبيت فى ديوان أوس بن حجر ص ٥٥ تحقيق د. محمد يوسف نجم . دار صادر بيروت ١٣٨٧ .

(٢٨) ينظر : نقد الشعر لقدامة ص ١٧٥ تعليق د . محمد عبد المنعم خفاجى . م الكليات الأزهرية ١٩٧٩ .

(٢٩) أسرار البلاغة ص ١٣٠ .

(٣٠) المرجع السابق ص ٢٨٩ / ٢٩٠ .

(٣١) المرجع السابق ص ٢١١ .

فى هذا الجنس : كأنك قد أوقعتنى فى ظلمة ، بل تقول : أوقعتنى فى ظلمة » (٣٢) وسيأتى مزيد بيان لذلك .

تأثير النظم فى حسن الاستعارة أو قبحها:

وكان للنظم الذى استحوذ على الكثير والكثير من حديث الامام عبد القاهر نصيب كبير أيضا فى حسن الاستعارة ، فلم يغفل الامام ربط الحسن أو القبح فى الاستعارة بالنظم الذى ترد فيه ، وقد استرشد فى ذلك بما وضع الآمدى أساسه فى تعقيبه على الاستعارة المعيبة فى قول أبى تمام يمدح الحسن بن وهب .

سأشكر فرجة اللبب الرخى
ولين أخادع الدهر الأبى (٣٣)

بقوله : « فانما قبح الأخدع لما جاء به مستعارا للدهر ، ولو جاء به فى غير هذا الموضع أو أتى به حقيقة ، ووضعه فى موضعه ماقبح ».

ومن منطلق النظم أيضا استحسن الآمدى قول البحترى :

وانى وان بلغتنى شرف المنى
وأعتقت من ذل المطامع أخدعى (٣٤)

وقول الفرزدق :

وكنا اذا الجبار صعر خده
ضربناه حتى تستقيم الأخادع (٣٥)

وجعل الاستعارة فى قول أبى تمام :

فضربت الشتاء فى أخدعيه
ضربة غادرته عودا ركوبا (٣٦)

قريبة من الصواب (٣٧) .

فاستعارة الاخدع للدهر فى بيت أبى تمام الذى يمدح فيه الحسن بن وهب معيبة لبعد المناسبة بين الطرفين فى الاستعارة ، ولذلك لم يحسن فى النظم اضافة الأخادع الى الدهر وأما استحسان استعمال الأخدع فى بيت البحترى فهو من قبيل النظم أيضا ، لأن العتق والعبودية يظهران أكثر فى العنق ، والأخدع عرق فى جانب العنق ، فكان استعماله مع « أعتقت » مناسبا .

وعلى هذا الأساس أيضا حسن استعماله فى بيت الفرزدق ، لوروده فى سياق تصعير الخد ، وضرب الجبار حتى يستقيم عنقه ، فتستقيم الأخادع فيه .

وأما استعارة الأخدع للشتاء فقد جعلها قريبة من الصواب ، وليست صوابا تماما ، لأنه لاحظ فيها تصوير الشتاء بالدابة الجموح التى ذللت وخضعت ، وهذا له علاقة بالأخدع كما سبق ، ولما لاحظ بعد المناسبة بين الطرفين ، أعنى المستعار له والمستعار منه فى الاستعارة لم يستحسنها ولذلك أصبحت الاستعارة فى البيت حسنة من وجه ، وقبيحة من وجه آخر ، وبهذا كانت قريبة من الصواب ، ولم تكن صوابا تماما ، كما أنها لم تقبح قبح الاستعارة فى البيت السابق لأبى تمام .

---

(٣٢) المرجع السابق ص ٢٨٩ .
(٣٣) ديوان ابى تمام شرح التبريزى ٣ / ٣٥٤ والاخدع : عرق فى جانب العنق ، والجمع اخادع ، والأبى المتكبرة اللبب: موضع المنحر من كل شىء ، اللبب : البال ، ويقال : فلان رخى اللبب :اذا كان فى سعه .
(٣٤) ديوان البحترى ٢ / ١٢٤١ تحقيق حسن كامل الصيرفى ط ٣ دار المعارف .
(٣٥) ديوان الفرزدق ص ٤٢ المجلد الأول ط دار صادر ببيروت ١٣٨٥ / ١٩٦٦ .
(٣٦) شرح التبريزى ٢ / ١٢٦ .
(٣٧) تنظر الموازنه للامدى ١ / ٢٧١ طبع دار المعارف .

ولا يخفى أن أساس القبح أو الحسن أو التوسط بينهما فى استخدام لفظ الأخدع كان مرجعه الى النظم الذى وردت فيه هذه اللفظة ، لا الى قبح أو حسن هذه اللفظة فى حد ذاتها كما هو واضح مما سبق •

وقد نسج عبد القاهر الجرجانى على منوال الآمدى هنا فى قوله :

« فقد اتضح اذا اتضاحا لا يدع مجالا للشك أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هى ألفاظ مجردة ، ولا من حيث هى كلم مفردة ، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها فى ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التى تليها ، أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ ، ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك فى موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك فى موضع آخر كلفظ « الأخدع » فى بيت الحماسة :

تلفت نحو الحى حتى وجدتنى
وجعت من الاصغاء ليتا وأخدعا

وبيت البحترى :

وانى وان بلغتنى شرف الغنى
واعتقت من ذل المطامع أخدعى

فان لها فى هذين المكانين ما لا يخفى من الحسن ، ثم انك تتأملها فى بيت أبى تمام :

يادهر قوم من أخدعيك فقد
أضججت هذا الأنام من خرقك

فتجد لها من الثقل على النفس ، ومن التنغيص والتكدير أضعاف ما وجدته هناك من الروح والخفة ، والايناس والبهجة » (٣٨) •

وقد حسن استعمال لفظ « الأخدع » فى بيت الحماسة لما ارتبط به فى السياق من قوله : تلفت ، لأن التلفت يكون بالعنق الذى يشتمل على الأخدع ، وقد وضح ـ فيما سبق ـ حسن استعمال هذا اللفظ فى بيت البحترى ، وأما استعماله على سبيل الاستعارة فى بيت أبى تمام فقد قبح لبعد المناسبة بين الطرفين فى الاستعارة كما سبق •

ويؤكد الامام تأثير النظم فى الاستعارة بقوله : « انك ترى اللفظة المستعارة قد استعيرت فى عدة مواضع ، ثم ترى لها فى بعض ذلك ملاحة لا تجدها فى الباقى » (٣٩) •

كما يؤكد مرة أخرى أثر النظم فيها ، وبالتالى أثر الاستعارة فى الاعجاز الذى لا يكون الا بالنظم فى قوله : « فاذا بطل أن يكون الوصف الذى أعجزهم من القرآن فى شىء مما عددناه (٤٠) لم يبق الا أن يكون بالاستعارة، ولايمكن أن تجعل الاستعارة الأصل فى الاعجاز ، وأن يقصد اليها ، لأن ذلك يؤدى الى أن يكون الاعجاز فى آى معدودة فى مواضع من السور الطوال مخصوصة ، واذا امتنع ذلك فيها لم يبق الا أن يكون (الاعجاز) فى النظم والتأليف ، لأنه ليس من بعد ما أبطلنا أن يكون فيه الا النظم (٤١) •

ثم استدرك الامام بعد ذلك خوفا من أن يظن أن الاستعارة وغيرها من ضروب المجاز

---

(٣٨) دلائل الاعجاز ص ٣٨ ، ٣٩ •
(٣٩) المرجع السابق ص ٦٢ •
(٤٠) أبطل الامام هنا جملة اشياء يظن أن الاعجاز بها كالالفاظ المفردة او المعانى المجردة ، أو الاتيان بكلام له مقاطع وفواصل على نمط القرآن •• الخ ينظر الدلائل ص ٢٩٤ ومابعدها •

بمنأى عن الاعجاز ، حيث حصره فى النظم بقوله :

« فان قيل : قولك : الا النظم يقتضى اخراج ما فى القرآن من الاستعارة وضروب المجاز من جملة ما هو به معجز ، وذلك ما لا مساغ له، قيل : ليس الأمر كما ظننت ، بل ذلك يقتضى دخول الاستعارة ونظائرها فيما هو به معجز ، وذلك لأن هذه المعانى التى هى الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من بعدها انما هى من مقتضيات النظم ، وعنها يحدث ، وبها يكون ، لأنه لا تتصور أن يدخل شىء منها فى الكلمة وهى أفراد لم يتوخ فيما بينها حكم من أحكام النحو ، فلا يتصور أن يكون هنا فعل أو اسم قد دخلته الاستعارة من دون أن يكون قد ألف مع غيره ، أفلا ترى أنه ان قدر فى « اشتعل » من قوله تعالى : « وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا » ألا يكون الرأس فاعلا له ، ويكون شيبا منصوبا عنه على التمييز لم يتصور أن يكون مستعارا ، وهكذا السبيل فى نظائر الاستعارة ، فاعرف ذلك (٤٢) .

ومن الواضح أن الامام يؤكد مرة بعد أخرى أثر النظم فى الاستعارة ، وبالتالى أثر الاستعارة فى الاعجاز الذى لا يكون الا بالنظم .

وقد طبق على هذا الأساس شواهد عديدة وضح فيها قيمة النظم فى حسن الاستعارة وجمالها ، كما تلاحظه فى تعليقه على بيت ابن المعتز :

وانى على اشفاق عينى من العدا
لتجمح منى نظـــرة ثم أطرق

فقد ذهب الى « أن من الاستعارة ما لا يمكن بيانه الا من بعد العلم بالنظم والوقوف على حقيقته » (٤٣) لأنك قد « ترى أن هذه الطلاوة، وهذا الظرف انما هو لأن جعل النظر يجمح ، وليس هو كذلك ، بل لأن قال فى أول البيت : « وانى » حتى أدخل اللام فى قوله : « لتجمح » ثم قوله : « منى » ، ثم لأن قال : « نظرة » ولم يقل : « النظر » مثلا ، ثم لمكان « ثم » فى قوله : « ثم أطرق » وللطيفة أخرى نصرت هذه اللطائف ، وهى اعتراضه بين اسم « ان » وخبرها بقوله : « على اشفاق عينى من العدا » (٤٤) .

فى العبارة السابقة ترى عبد القاهر قد وضح مواطن تأثير النظم على حسن هذه الاستعارة ، والذى لم يرجع اليها فى ذاتها ، وانما لما أحاط بها من أسرار فى هذا النظم ، وان كان عبد القاهر لم يوضح سر تأثير استعمال هذه الألفاظ والعبارات على الاستعارة ، ولعله يقصد أن قوله فى البداية : « وانى » ليؤكد جموح هذه النظرة منه ، وقد سوغ له تصدير العبارة بان دخول اللام على خبرها فى « لتجمح » ليزيد هذا التوكيد ، كما أن فى قوله « منى » اشارة الى أن هذه النظرة منكورة منه هو بالذات ، وربما لو أتت من غيره

البقية ص ٤١٢

(٤١) الدلائل ٢٩٩ / ٣٠٠ .
(٤٢) المرجع السابق ص ٣٠٠ / ٣٠١ .
(٤٣) المرجع السابق ٣٠٠/٣٠١
(٤٤) المرجع السابق ص ٧٩ .

من أسرار العربية

في البيان القرآني

دراسة لغوية قرآنية

تمهيـــد :

كلما طالت دراستى المتخصصة فى النحو أدركت أن ليس فى الامكان عزله عن سائر علوم العربية : لغة وبلاغة وأدبا ٠٠ وعجبت لمـــاكان من هذه العزلة التى يبـدو أننـــا ـ نحن القائمين على العربية لغة وبلاغة وأدبـــا ـ فرضناها على أنفسنا وعلى الدارسين ، وهـــذا النهج المستحدث ضد طبيعة الدراسة اللغوية المتكاملة المتعارف عليها عند علماء العـــربية الأوائل ، حيث التقت وتواصلت علوم العربية ، وخدم بعضها بعضا دون أن تتماحى المعـــالم المميزة لكل علم منها ٠

ولقد كان لنا من الكتاب العمدة « كتـــاب سيبويه » ما يصحح فهمنا للتخصص ٠ فمباحث النحو فيه لا تنفك موصولة بمباحث الصرف ، وأساليب البلاغـــــة بادية فيه ، ومن ديوان الفصحى شعرا ونثرا أخذ علماء اللغة قواعدهم وشواهدهم للنحو والصرف والبلاغة ٠٠

ومنذ اتصلت فى دراستى المتخصصة للنحو بالدراسة القرآنية أجدى على هذا الاتصال ، وزودنى بذخائر من كتب علماء القرآن غفلنـــا طويلا عن كونها منابع أصيلة للنحو واللغة والبلاغة ، وأرهف ذوقى اللغـــوى بنكت من أسرار العربية لاغنى عنها لدارسى النحو ، ومنها أقدم هذا البحث فى (مسألة الترادف) ٠

وتجدر الاشارة هنا الى أن كثيرا من العلماء الأفاضل قدامى ومحدثين تنـــاولوا الترادف والاعجاز البيانى فى القرآن الكريم ٠ منهم مـــا أضافته (أســـتاذى) الدكتورة عـــائشة عبد الرحمن فى كتابها القيم (الاعجاز البيانى فى القرآن الكـــريم) ٠ وانى اذ أنتمى الـــى المدرسة الاسلامية التى تقرر أن العلم الكسبى يظل مفتوحا أبدا يستقبل اضافات الأجيـــال ، أحـــاول أن أضيف لبنة جديدة الى الصرح العلمى الـــذى بدأه أساتذتنا ، وفاء بالمبدأ العلمى فى منهجنـــا (وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا)

صدق الله العظيم

الترادف والاعجاز القرآنى :

شغل علماء اللغة قديما بقضية التـــرادف ، واختلفت مذاهبهم فيها ، فمنهم من ذهب الى انكار المترادف فى اللغة العربية ، فرأى أن كـــل ما يظن من المترادفات انما هـــو من المتباينات التى تتباين بالصفات كما فى الانسان والبشر ، فان الأول موضوع له باعتبار النسيان ، أو باعتبار أنه يؤنس من الانس ، والثانى باعتبار أنه بادى البشرة ٠

للدكتورة سهير محمد خليفة

وذهب قوم الى أن الشيء الواحد يسمى بالأسماء المختلفة نحو : السيف والمهند والحسام ، يعنى أنه — وان اختلفت ألفاظها — فانها ترجع الى معنى واحد .

وقيل : ان الاسم واحد وهو السيف ، وما بعده من الألقاب صفات .

وأما من منع الترادف فقال : ليس منها اسم ولا صفة الا ومعناه غير معنى الآخر (١) .

واحتج من قال بالترادف بأنه لو كان لكل لفظة معنى غير معنى الأخرى لما أمكن أن نعبر عن شيء بغير عبارة ، وذلك أنا : نقول في (لَا رَيْبَ فِيهِ) : لاشك فيه ، فلو كان الريب غير الشك لكان التعبير عن الريب بالشك خطأ ، فلما عبر بهذا عن هذا علم أن المعنى واحد .

قالوا : انما يأتى الشاعر بالاسمين المختلفين للمعنى الواحد في مكان واحد تأكيدا ومبالغة ، كقوله :

*** وهند أتى من دونها النأى والبعد ***

قالوا : فالنأى هو البعد .

ورد من رفض الترادف في اللغة ومنهم « ابن فارس » قال : ان في (قعد) معنى ليس في (جلس) ، ألا ترى أنا نقول : قام ثم قعد ، وأخذه المقيم المقعد ، وقعدت المرأة عن الحيض .. فيكون القعود عن قيام ، والجلوس عن حالة هى دون الجلوس ، لأن الجلس (٢) المرتفع ، والجلوس ارتفاع عما هو دونه .

وعلى هذا يجرى الباب كله ، وأما قولهم : ان المعنيين لو اختلفا جاز أن يعبر عن الشيء بالشيء ، فانا نقول : انما عبر عنه عن طريق المشاكلة ولسنا نقول : أن اللفظين مختلفان فيلزمنا ما قالوه ، وانما نقول : ان في كل واحدة منها معنى ليس في الأخرى (٣) .

وروى عن « أبى على الفارسى » أنه قال : كنت بمجلس سيف الدولة بحلب ، وبالحضرة جماعة من أهل اللغة وفيهم « ابن خالويه » ، فقال « ابن خالويه » : أحفظ للسيف خمسين اسما ، فتبسم أبو على وقال : ما أحفظ له الا اسما واحدا وهو السيف . قال ابن خالويه : فأين المهند والصارم وكذا وكذا ، فقال أبو على: هذه صفات ، وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة (٤) .

وقال «المبرد» في مقدمة كتابه (ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد) :

هذه حروف ألفناها من كتاب الله عز وجل متفقة الألفاظ مختلفة المعانى ، متقاربة في القول مختلفة في الخبر على ما يوجد في كلام العرب ، لأن من كلامهم اختلاف اللفظين واختلاف المعنيين ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين .فأما اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين فنحو قولك : ذهب وجاء ، وقام وقعد ويد ورجل وفرس .

---

(١) انظر : خطبة الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى

(٢) بفتح فسكون

(٣) انظر المزهر للسيوطى«النوع السابع والعشرون»في معرفة الترادف

(٤) المزهر للسيوطى ١ / ٢٤٠ .

وأما اختلاف اللفظين والمعنى واحد فقولك : ظننت وحسبت ، وقعدت وجلست ، وذراع وساعد ، وأنف ومرسن (١) .

وأما اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين فنحو : وجدت شيئا ، اذا أردت وجدان لضالة ، ووجدت على الرجل من الموجدة ، ووجدت زيدا كريما ، علمت .

ومن ذلك : (عين) للتى يبصر بها ، وتقول : هذا (عين) الشىء ، أى حقيقته ، و (العين) المال الحاضر ، و (العين) : عين الميزان ، و (العين) : سحابة من قبل القبلة ، .. وهذا كثير جدا .

ومنه ما اتفق لفظه ولكنه لشيئين متضادين كقولهم : (جلل) للكبير والصغير والعظيم أيضا ، و (الجون) للأسود والأبيض ، وهو فى الأسود أكثر ، و (المقوى) للقوى والضعيف ، و (الرجاء) للرغبة والخوف .. (٢)

وممن فرق بين دلالات الألفاظ التى تطلق على الشىء الواحد : أبو منصور الثعالبى فى (فقه اللغة) وأبو هلال العسكرى فى (الفروق اللغوية) وأحمد بن فارس فى (الصاحبى فى فقه اللغة) .

ومن انكار الترادف ما نقلـه ثعلب عن ابن الأعرابى قال :

كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد ، فى كل واحد منهما معنى ليس فى صاحبه ، ربما عرفناه فأخبرناه به ، وربما غمض علينا فلم يلزم العرب جهله .

وقال آخرون :

اذا وقع الحرف على معنيين متضادين فمحال أن يكون العربى أوقعه عليهما بمساواة بينهما ، ولكن أحد المعنيين لحى من العرب ، والمعنى الآخر لحى غيره ، ثم سمع بعضهم من بعض ، فأخذ هؤلاء عن هؤلاء ، وهؤلاء عن هؤلاء قالوا : فالجون الأبيض فى لغة حى من العرب والجون : الأسود فى لغة حى آخر ، ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر .. (٣) .

ومن أنكر الترادف « أبو بكر بن الأنبارى » فى أول كتابه « الأضداد » قال :

هذا كتاب ذكر الحروف التى توقعها العرب على المعانى المتضادة ، فيكون الحرف منها مؤديا عن معنيين مختلفين ، ويظن أهل البدع والزيغ والازدراء بالعرب أن ذلك مظنة لنقصان حكمتهم وقلة بلاغتهم ..

ثم قال :

وقد يكون الفرق دقيقا لا يتنبه له الا العارف بلغة العرب (٤) .

وليس اختلاف الألفاظ يؤدى الى اختلاف المعانى فقط ، بل اتفاق الألفاظ مع اختلاف الضبط يؤدى أيضا الى اختلاف المعانى واتفاق الألفاظ واختلاف المصادر يؤدى الى اختلاف المعانى .

قال « ثعلب » فى فصيحه فى باب (فعلت وفعلت) بكسر عين الأولى وفتح عين الثانية، تقول :

---

(١) فى قول المبرد « اختلاف اللفظين والمعنى واحد » نظر ، فقد بين أبو هلال العسكرى الفرق بين هذه الدلالات فى كتابه:الفروق اللغوية .

(٢) ما اتفق لفظه واختلف معناه للمبرد صفحة ٢:٦ بتصرف ، وانظر الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى .

(٣) المزهر للسيوطى ١ /٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٤) الاضداد ص ٧

نقهت الحديث مثل فهمت ، ونقهت من المرض أنقه فيهما جميعا ، وقررت به عينا أقر وقررت فى المكان أقر ••• ولبست الثوب ألبسه لبسا ، ولبست عليهم الأمر ألبسه لبسا ••• وعمر الرجل فى منزله ، وعمر المنزل ، وعمر الرجل اذا طال عمره •• (١) •

ومما اتحد لفظ فعله ، واختلفت معانيه لاختلاف مصادره قولهم : (وجدت المال وجدا وجدة ، ووجدت الضالة وجدانا ، ووجدت فى الحزن وجدا ، ووجدت على الرجل موجدة ، وتقول فى كله يجد •

وجلوت العروس جلوة ، وجلوت السيف ونحوه جلاء ، وجلا القوم عن منازلهم جلاء ، وأجلوا أيضا ، وأجلوا عن القتيل لاغير اجلاء ••) (٢) •

وكذا فعلت وأفعلت باختلاف المعنى ، تقول : شرقت الشمس اذا طلعت ، وأشرقت : اذا أضاءت وصفت •• وقد أجبرت الرجل على الشىء يفعله ، فهو مجبر ، وجبرت العظم ، والفقير فهو مجبور •• وصدقت الرجل الحديث وأصدقت المرأة صداقا وصدقة •• وقد ترب الرجل اذا افتقر فهو ترب ، وأترب اذا استغنى (٣) •

وممن قال : ان اختلاف العبارات يوجب اختلاف المعانى « أبو هلال العسكرى » فى الفروق اللغوية ، قال :

ان اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعانى ، ان الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الاشارة ، واذا أشير الى الشىء مرة واحدة فعرف ، فالاشارة اليه ثانية وثالثة غير مفيدة • وواضع اللغة حكيم لا يأتى فيها بما لا يفيد ، فان أشير منه فى الثانى والثالث الى خلاف ما أشير اليه فى الأول كان ذلك صوابا ، فهذا يدل على أن كل اسمين يجريان على معنى من المعانى وعين من الأعيان فى لغة واحدة ، فان كل واحد منهما يقتضى خلاف مايقتضيه الآخر ، والا لكان الثانى فضلا لايحتاج اليه •

والى هذا ذهب المحققون من العلماء واليه أشار المبرد فى تفسير قوله تعالى : (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) •

قال :

فعطف (منهاجا) على (شرعة) ، لأن الشرعة لأول الشىء ، والمنهاج لمعظمه ومتسعه واستشهد على ذلك بقولهم : شرع فلان كذا اذا ابتداه ، وأنهج البلى فى الثوب اذا اتسع فيه •

قال : ويعطف الشىء على الشىء وان كانا يرجعان الى شىء واحد ، اذا كان فى أحدهما خلاف للاخر ، فأما اذا أريد بالثانى ما أريد بالأول فعطف أحدهما على الآخر خطأ • لاتقول جاء زيد وأبو عبد الله ، اذا كان زيد هو أبو عبد الله •• وذلك مثل قول الحطيئة •

الا حبذا هند وأرض بها هند
وهند أتى من دونها النأى والبعد

وذلك أن النأى يكون لما ذهب عنك الى حيث بلغ ، وأدنى ذلك يقال له : نأى • والبعد تحقيق التروح والذهاب الى الموضع السحيق • والتقدير : أتى من دونها النأى الذى يكون أول البعد ، والبعد الذى يكاد يبلغ الغاية •

(١) فصيح ثعلب ص ٢٧٢ • (٢) المرجع السابق ص ٢٨١ • (٣) انظر فصيح ثعلب من ٢٧٣:٢٧٧

قال أبو هلال رحمه الله : والذى قالـه ههنا فى العطف يدل على أن جميع ما جاء فى القرآن ، وعن العرب من لفظين جاريين مجرى ماذكرنا ، من : العقل واللب ، والمعرفة والعلم، والكسب والجرح ، والعمل والفعل ، معطوفا أحدهما على الآخر فانما جاز هذا فيهما لمـا بينهما من الفرق فى المعنى ، ولولا ذلك لم يجز عطف زيد على أبى عبد الله اذا كان هو هو (١)٠

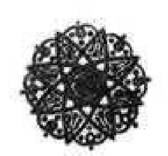
والقرآن الكريم كتاب العربية المبيـن ، ومعجزة نبينا صلوات الله عليه وسـلامه ، نزل عليه ــ ﷺ ــ والعرب أرباب الفصاحة والبيان ، فتحداهم أن يأتوا بمثله ٠

نقل الزركشى عن ابن عطية قال : (انه الذى عليه الجمهور والحذاق ــ وهو الصحيح فى نفسه ــ أن التحدى انما وقع بنظمه وصحة معانيه ، وتوالى فصاحة ألفاظه ٠

ووجه اعجازه أن الله قد أحاط بكل شىء علما ، وأحاط بالكلام كله علما ، فاذا ترتبت اللفظة من القرآن علم باحاطته أى لفظـة تصلح أن تلى الأولى ، ويتبين المعنى بعـد المعنى ، ثم كذلك من أول القرآن الى آخره٠

والبشر مع الجهل والنسيان والذهـول ، ومعلوم بالضرورة أن أحدا من البشر لا يحيط بذلك ، (وبهذا جاء نظم القرآن فى الغايـة القصوى من الفصاحة ، وبهذا النطق) يبطـل قول من قال : ان العرب كان فى قدرتهـا الاتيان بمثله ، فلما جاءهم النبى صلى الله عليه وسلم صرفوا عن ذلك وعجزوا عنه ٠

والصحيح أن الاتيان بمثل القرآن لم يكن قط فى قدرة أحد من المخلوقين ، ولهذا تـرى البليغ ينقح الخطبة أو القصيدة حولا ، ثـم ينظر فيها ، فيغير فيها ، وهلم جرا ٠ وكتاب الله سبحانه وتعالى لو نزعت منه لفظة ، ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم توجد ٠ ونحن تتبين لنا البراعة فى أكثره ، ويخفى علينا وجهها فى مواضع ، لقصـورنا عن مرتبة العرب يومئذ فى سـلام الذوق ، وجودة القريحة ، وميز الكلام (١) ٠



(١) الفروق اللغوية ص ١٠: ١٢

(٢) البرهان فى علوم القرآن ٢/ ٩٧

تتصارع حولها الأقلام ، وتجرى بها أنهر الصحف .

وبرز فى هذه الجولة حول الشريعة ـ ولا أقول عليها ـ من اخترعوا ألقاباً ومسميات دخلوا بها على الناس حتى يصيخوا السمع لما يقولون ، أو ليقرأوا ما يكتبون ، فهذا كاتب إسلامى ، وذاك مفكر إسلامى .. مسوغات ورخص ابتدعوها واخترعوها لأنفسهم حتى يبيعوا ما يخترعون من فكر وأوهام باسم الإسلام إحياء للجدل حول العلمانية والإسلام ، وجعل الإسلام دينا ودولة أو أنه دين فرض لعبادة الله لا شأن له بحياة عباد الله على هذه الأرض ، وخلط وبعد عن استيعاب أصول الإسلام وفروعه ومقاصده ، ودوامات من الفكر يتوه فيها الحكماء والعلماء .

لكن هذا الجيل قد انتبه بعد رقاد إلى العودة إلى الذات .. ذات المسلمين وسماتهم وليس إلا الإسلام سمة لهم .. الإسلام عدله .. الاسلام فى حرصه على العلم والتعليم .. الاسلام فى حرصه على الترابط والتكافل الاجتماعى .. الاسلام فى تربيته للفرد وللجماعة وللأمة .. الاسلام فى حرصه على السلام الاجتماعى والألفة بين طوائف الشعوب والأمة فلا تفرقة بسبب اللون ، أو الفقر ، أو الغنى ، ولا اضطهاد بسبب الدين .

لقد حرم الاسلام الغش فى العقود ، وحمى من لا يحسن التعاقد ، وحث على عمارة الأرض ، وإشاعة الحياة والأمن والأمان ، وجاء بفروض محددة لا تقبل الاجتهاد فى صلة الانسان المسلم بالله ، كما بين الحلال والحرام فى التعامل فى مجالات الحياة الاجتماعية بين بنى الانسان .. قال تعالى .. (**فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ**) ـ لأنه أقل بكثير مما أحل ـ وقال : (**وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ**) ، فالاسلام دين السماحة والتسامح ، وهو دين النظافة والطهارة والعفة .

ويعود فضيلة شيخ الأزهر للتساؤل من جديد : هل نختلف كل هذا الاختلاف حول الاسلام ونتجادل لا بقصد الفهم وإنما فى لجاجة وغلظة ؟ لقد أمطر بعضهم الاسلام وشريعته وابلا من السخط وكثيرا من النقد دون أن يستوعب هذه الشريعة بل دون أن يفقه قول الله تعالى : (**وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**) **آل عمران / ٧٨** .

هذا الجدل الصارخ الذى انعزل عن الطريق الحق نحا بالقضية ـ قضية تطبيق الشريعة الاسلامية ـ إلى سيل من الصد عن سبيل الله تعالى ، وعن الاستقامة إلى تحريف متعمد للمفاهيم والقيم الاسلامية .

إن حرية الكلمة مكفولة بشرط ألا تضر بالقيم الأساسية للاسلام وللمجتمع الاسلامى ، فليس من حرية الكلمة أن نسخر من بناتنا وسيداتنا الملتزمات ، وأن نغريهن بالخروج عما التزمنه بدعوى أن لفظ « الحجاب » لم يرد فى القرآن الكريم أو أنهن إنما لجأن إلى هذا الالتزام لفقرهن وعجزهن عن مسايرة التطور الحضارى ، وكأن الحضارة ليست إلا فى عرى النساء وتبذلهن .. يقول الله تعالى : (**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً**) **البقرة / ٨٣** .



السائح الأزهري

دعاة الأزهر في أندونسيا

والسائح الأزهرى هو : محمد عبد العزيز البتشتى ، عالم من علماء الأزهر ومن مبعوثيه الى العمل فى أندونيسيا •

وقد هدى الى أن يسجل ما رآه وما عاناه وما زاوله من عمل وكشف النقاب عن الحياة فى جزر آسيا والعالم الاسلامى فى تلك الجزروما يتصل بهـا •

والرجل خليق بالنظر الى ما كتب ، ومع أنه يقول فى تواضع : « ولم أكتب عن كل شىء رأيت ، ولـم أكتب عن كل عـادات وتقـاليد« أندونيسيا » لقصر المدة ••• ولكثرة عاداتهم وتقاليدهم ، لتعدد جزرهم التى بلغت أكثر من « ثـلاث عشرة ألف جزيرة » لـكل جـزيرة تقـاليد •

ونحن يكفينا ما كتب واليه اتجه ، ولكل امرىء ما نوى ، واننظر فيما قدمه لنا وموقفه منه ، وحظ الاسلام من جهود الأزهر فى عصرنا الملىء بالعجائب والتكالب على الرغائب المنبثقة من الأثـرة وتغليب مطـامع النفس الأمـارة بالسوء على دوافع المثل العليا الخيرة واليـك يساق الحديث :

اخلاقيـات أزهرية :

وحين أقول أخلاقيات أزهرية فانما أعنى الخلق المصرى حين يظهر فى نمـوذج عـالم أزهرى متدين يدعـو الى الفضـيلة ويتغنى بمكارم الأخلاق ، وأنا لم أجالس السـائح الأزهرى ــ أعنى المؤلف ــ ولم أقـابله ولكن كتابه يقدمه لنا من غير قصد انسانا وفيا صادقا يحب اخـوانه وتلاميـذه ، ويهش للمقـابلة الحسنة والخدمة النافعة ولو كانت اشـارة أو ابتسامة ولا يضن بذكر الأسماء والأماكن ، وله فن جميل فى ايراد المشـاهدات ، فن من القصص الذى لا يعلن اعلن اسـمه ولكن ترى رسمه ، ولاتعجل فكل ذلك ستجده فى أثنـاء عرض الكتاب وتعليقنا عليه •

وأول ما يصادفك من الحب والوفاء حديثه عن الأزهر ومكانته من الدعوة الاسلامية وأثره فى مسيرتهـا ••• « من مكة والمدينـة بعثت الدعوة الاسلامية ، وحضارة هتف بها القرآن

عرض وتعليق
الأستاذ السيد حسن قرون

الكريم فى أنحاء الدنيا ... ثم كان الأزهر بعدهما منارا لدعوة الاسلام » وهو كلام صادق لم ينفرد بقوله هو بل سبقه وردده كبار الساسة والمفكرين فى الشرق والغرب ، ولكنه من السائح الأزهرى يعد وفاء ، لا لأنه تعلم فيه أو لأنه اختاره ليقوم بالدعوة فى أندونيسيا بل لأنه ذكره ليؤكد الحقيقة وليبين موقف الأزهر من بلاد الاسلام ، وحسن اختياره فيمن يوفدهم لهذا العمل الجليل ، لأن مبعوثه الى أى بلد اسلامى هو حامل رسالته المقدسة.

وحامل هذه الرسالة عليه أن يجمع مع الايمان بها خلقا فاضلا يبعث الناس على احترامه وتوقيره » هنا الوفاء ، فمادام قد مثل مايريده الأزهر من حسن خلق ، ومظهر لائق بالداعية عملا وقولا فقد وفى واتصف بالوفاء. فليكن متسامحا ، نظيفا فى ملبسه ومأكله ، حريصا على تأدية فرائض الاسلام متمسكا بسننه وآدابه ، يحترم علماء البلد الذى يحل فيه ، يشارك المسلمين فى أفراحهم وأتراحهم ، لايتحزب مع أى حزب ، يتساوى الجميع فى المعاملة ، فهو رسول الأزهر اليهم جميعا ، وهو بهذا يكون عنوان الوفاء ونموذج الالتزام لحمل الأمانة وأداء الرسالة .

فى الطريق الى أندونيسيا :

يخيل الى أن الاستاذ « البنتشى » ــ وهو السائح الأزهرى ــ رجل مفتوح العقل والوجدان مفتوح العين مع قوة الملاحظة فمنذ ركب الطائرة من مطار القاهرة الساعة الواحدة من صباح أول يولية سنة ١٩٦٩ قد أعد نفسه ليلتقط صورا حسية ومعنوية على مدى الطريق فهو يذكر من طار معه الى أندونيسيا : الاستاذ محمود جاد عكاوى وأسرته ومن طار فى طريقه الى « تايلاند » الاستاذ أحمد بيبرس وأسرته ، ووصف تنقلات الطائرة ونزولها فى الكويت ثم فى مدراس ، ووصف معركة الطائرة مع الطبيعة « بين الزوابع والأعاصير » وقد سلمت الطائرة بدعاء أهل التقوى فهبطت فى مطار « بانكوك » وشكر الركاب الله على نجاتها . (ص ١٠ من الكتاب) .

حاجة السائح الى اللغات :

امتحن السائح الأزهرى امتحانا عسيرا « فى بانكوك » عاصمة « تايلاند » فقد تخلف فيها ليسافر على طائرة أخرى فى اليوم التالى الى « جاكرتا » نقلته سيارة شركة الطيران الى فندق وسط المدينة ، وفى هذا الفندق رأى نفسه غريبا وحيدا كيف يتعامل مع الناس ولايعرف لغة التخاطب ؟ وبدا له أن يجرب حظه مع من حوله ، فقد جاع والجوع لايعرف الانتظار ، فاستجاب لعصافير بطنه ، فوضع يده على زر الجرس ... حضر شاب نظيف انحنى أمامه فى أدب تحدث بالانجليزية وبالفرنسية ففهم أن السائح الأزهرى لايعرف لغة غير لغته ، وهنا جاء دور الاشارات ، يقول : أشرت الى فمى ففهم أنى أريد ماء لأشرب ، فتقدم الى الثلاجة

السائح الأزهرى

ففتحها وأشار الى زجاجة الماء ، فأفهمته بالاشارة أننى لاأريد ماء • أشرت الى بطنى ففهم أننى أريد دورة المياه للحاجة فأشار اليها وتركنى وخرج •

فماذا يصنع ؟ دفعه الجوع الى النزول •• صالة واسعة تضم كثيرا من النزلاء وزوارهم، جلس على كرسى ، أخذته الحيرة ، يريد نجدة من السماء ، وجاءت النجدة ، من أحد العمال فى « البوفيه » وكان المسلم الوحيد فى ذلك المكان تقدم فقام بمطالب السائح الأزهرى ، ولاسلامه قصة • يقول العامل : أنا المسلم الوحيد فى هذا الفندق وبقية العاملين فيه بوذيون ، تعلمت كثيرا من مبادىء الدين وقليلا من اللغة العربية من الأستاذ « على عيسى » مصرى مسلم من الاخوان « فر من زوار الليل» واستقر هنا فى بانكوك وتزوج أختى • وعلى عيسى يقوم بتدريس اللغة الانجليزية بمدارس الحكومة ولاينسى الدعوة الاسلامية ومن حظ السائح الأزهرى أنه التقى بذلك العامل الذى له مصاهرة بداعية اسلامى فقام بالخدمة خير قيام سواء فى الفندق أو فى المطار •

واحتاج الى اللغة بعد أن تركه عامل الفندق فقد جلس فى المطار على أريكة فهو مسافر الى جاكرتا ، مد اليه موظف الشركة ورقة مكتوبة باللغة الاجنبية ليملأ خاناتها ، لم يعرف ماذا يكتب دار بعينيه حوله يريد منجدا •• وكان المنجد رجلا يجلس بجانبه ، أخذ جواز سفره نقل منه المعلومات المطلوبة لتلك الورقة ، واحترمه لأنه من علماء الأزهر ومبعوثه الى أندونيسيا ، وتبين أنه مسلم من « ماليزيا » وتحير وقال فى نفسه : ماذا أفعل حتى لغة البلاد المبعوث اليها لاأعرفها ؟ وتذكر موقفه من تعلم اللغات حين كان طالبا فى قسم التخصص حين ذهب مع زملائه الى شيخ الأزهر الشيخ المراغى ليطلبوا منه اعفاءهم من تعلم اللغات. فقال لهم ستكونون فى حاجة اليها يوم يبعثكم الأزهر دعاة الى البلاد الاسلامية ، ندم الشيخ على ما فعل ولكن لات ساعة مندم •

وركب الطائرة فوصل الى « سنغافورة » فوجد مايسره ، شاهد الأستاذ محمود عكاوى فتنفس الصعداء وانحلت كل العقد ، لأنه يعرف أندونيسيا ويحمل « الماجستير » فى لغتها وآدابها •

ولقد ذكرت لك ذلك وأطلت فيه ، لأن المبعوث الأزهرى فى حاجة ماسة الى اللغات الأجنبية ويجب على المشرفين على التعليم فى الأزهر العناية التامة بذلك النوع من التعليم ، ويجب أن يؤخذ أبناء الأزهر من صغرهم بمعرفة اللغات الحية العالمية وباللغات التى ينطق بها من يذهبون لتعليمهم الدين الاسلامى ، ولامانع من الاختيار ، لكل دولة مجموعة تعد اعدادا مناسبا لها وحتى لايتعب الأزهرى فى حله وترحاله وفى تخاطبه وتعامله مع أجناس البشر •

فى أندونيسيا :

فى جاكرتا نزل فندقا اختاره له الأستاذ عكاوى ، ومنه سيكون اتصالهم بالجهات الرسمية ، وقد كان ففى الصباح ذهبا الى سفير مصر ، وسفير مصر فى ذلك الزمان هو الدكتور محمد فؤاد شبل الذى يقدر الأزهر حق قدره والذى طلب من الحكومة المصرية أن يرتفع عدد مبعوثى الأزهر الى « مائة وأربعين » لكل مليون

عالم ، وبهذا التعبير أعطانا احصاء عن عدد سكان أندونيسيا من أبنائها وأنهم مائة مليون وأربعون مليونا فى عام ١٩٦٩ وكان عدد مبعوثى الأزهر فى حينه عشرين مبعوثا • وقد نوه السفير بعهد الرئيس « سوهارتو » الذى « يتمنى له الجميع أن يفوز فى معركة التقدم والنماء لتصل أندونيسيا الى عهد الاطمئنان والرخاء • ولاسيما وقد تخلص من الشيوعية ودعوتها الى البغضاء • ص ١٥ من الكتاب •

وكان عمل السائح الأزهرى بمدينة « جامبى » مختارا لجامعة « سلطان طه سيف الدين » الاسلامية الحكومية ، وجامبى عاصمة محافظة فى « سومطرة » تقع تحت خط الاستواء يبلغ عدد سكانها مائتى ألف نسمة ، أكثر من ٩٠٪ منها مسلمون •

والأستاذ السائح لايترك شيئا مما يلاقيه الا حدثك عنه وساقك اليه ، فقد سافر بطائرة صغيرة الى جامبى ويصف مقاعد الطائرة التى تشبه مقاعد عربات الدرجة الثالثة بقطار الصعيد ، يصحبه مندوب الشئون الدينية ليقدمه للجامعة •

كان فى استقبالهما مدير الجامعة وعمداء الكليات والمدرسون وجميع الطلبة والطالبات لأول عالم مصرى أزهرى مبعوث من الأزهر ورسول من اخوانهم المسلمين فى مصر •

والجامعة فى ذلك لم تكتمل • وعدد طلبتها فى كلياتها الثلاث (الشريعة ــ وأصول الدين ــ والتربية) وسنواتها التسع مائة وستون طالبا وطالبة منهم موظفون وبقيتهم يعملون فى أعمال أخرى •

والعلوم التى يقوم بتدريسها هى اللغة العربية ــ والاجتماع بالمدرسين ، ويكون حديثه باللغة العربية ليتعودوا النطق بها ، والقاء المحاضرات الدينية فى مساجد المدينة •

يتبع

أنباء وآراء

الاهتمام بمراجعة المصاحف والتوسع فى معاهد اللغات

محور مباحثات شيخ الأزهر ورئيس الوزراء

● **بحث الدكتور على لطفى رئيس الوزراء مع فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الجهود الخاصة بنشر الدعوة الاسلامية وخطة تطوير المعاهد الأزهرية وحل مشاكلها والتوسع فى إنشاء المعاهد التجريبية التى تدرس اللغات الأجنبية ، كما تم استعراض إجراءات تنفيذ القانون فيما يختص بمراجعة المصاحف للتأكد من خلوها من أية أخطاء مطبعية .**

افتتاح الدورة الثالثة

لمجمع الفقه الاسلامى

● افتتح الأمير حسن ولى عهد الأردن أعمال الدورة الثالثة لمؤتمر [مجمع الفقه الاسلامى] الذى يشترك فيه عدد كبير من العلماء والمفكرين والشخصيات الاسلامية . وقد طالب الأمير حسن ـ فى كلمة له ألقاها فى الافتتاح ـ المشاركين فى المؤتمر الخروج بقرارات تعزز التضامن الاسلامى وتعمل على إنمائه وإثراء المجتمع الاسلامى مشيراً إلى أن هذا لا يأتى إلا بدراسة المشكلات التى تعترض سبيل النهوض فى العالم الاسلامى وقد ناقش المؤتمر الذى استمر ستة أيام عدة موضوعات من بينها دور البنوك الاسلامية فى التنمية ووظائف الزكاة وتوجيهها لصالح التنمية وأسهم الشركات الاسلامية .

الدين يعود للمدارس التركية

● مادة الدين أصبحت ضمن المناهج الدراسية فى جميع المراحل بالمدارس التركية ..

الرئيس التركى [ايفرين] أصدر قراراً بذلك وطلب إلى الجهات المسئولة إنشاء معهد عالٍ للدراسات الدينية واللغة العربية . ومن ناحية أخرى نشطت حركة النشر للكتب الاسلامية التى تلقى رواجاً من جميع الأوساط .

وقد لوحظ أن كتاب [إحياء علوم الدين] للامام الغزالى ترجم إلى اللغة التركية وتم طبع ٢٠٠ ألف نسخة نفدت فور طرحها إلى الأسواق .

التنديد بالاسلام فى الغرب

● **ندد الأب « ميشيل ليلون » وهو متخصص فى شئون الاسلام بالصورة المشوهة التى يقدمها الغرب عن الدين الاسلامى فى كتابه « لو شاء الله » وأعرب**

د . أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ صفوت عبد الجواد

الأب ميشيل ليلون عن اسفه لما جاء في بيان للأساقفة الفرنسيين في إبريل ١٩٨٤ من أن الغرب يجب أن يساعد مسيحيي لبنان ولم يشكك الأب ليلون في مبدأ المساندة المشروعة والضرورية . إلا انه اشار إلى أن لفظ الغرب به غموض يعيد إلى الأذهان فترة الاستعمار والحروب الصليبية وقال : إنه لا يمكنه قبول أن تستمر فرنسا والكنيسة في الحكم على الاسلام من خلال الصورة المشوهة التي كونتها عنه : إن الغرب يشهد اليوم انهياراً روحياً واضحاً في الوقت الذي تظل فيه الرسالة القرآنية مصدراً حياً للقيم الاجتماعية والإنسانية والدينية التي لا تلقى التقدير الكافي لدينا .

باحث من سيراليون يشهر إسلامه ..

● اشهر [خوتوماى] عمدة مدينة [لخونو] بسيراليون إسلامه مؤخراً بعد فترة طويلة من البحث والدراسة ومقارنة الأديان . وقال [محمد خوتو] - وهو اسمه الجديد - أنه اتصل في بادىء الأمر بالقساوسة والمبشرين وتباحث معهم في قضاياهم الدينية كما بدأ في قراءة القرآن والتعرف على الأصول الشرعية وقد هداه عقله بعد فترة من البحث إلى اعتناق الاسلام . وقال إن الدعوة الاسلامية بها قوة ذاتية تستطيع بها أن تحقق الانتشار والنجاح . ولكن يعوزها بعض الإمكانات المادية والاعلامية في ظل التكثيف الدعائي لأصحاب الديانات الأخرى .

بنوك لبن الأمهات ممنوعة
في العالم الاسلامي

● تجربة بنوك لبن الأمهات التي تتعثر في البلاد العربية محظورة في البلاد الاسلامية لأن إرضاع الأطفال من هذا اللبن حرام جاء ذلك في قرارات المجمع الفقهي لمنظمة المؤتمر الاسلامي الذي عقد مؤخراً في جدة بالمملكة السعودية .

وكان المجمع قد استعرض دراستين واحدة فقهية والأخرى طبية حول هذه البنوك وبعد مناقشتهما تبين :

(١) أن بنوك اللبن تجربة قامت في بعض الدول الغربية وقد ظهرت بعض سلبياتها الفنية والعلمية فانكمشت وقل الاهتمام بها .

(٢) الاسلام يعتبر الرضاع لحمة كلحمة النسب يحرم به ما يحرم بالنسب ومن مقاصد الشريعة العليا المحافظة على النسب وبنوك اللبن تؤدي إلى الاختلاط والريبة في الأنساب .

(٣) العلاقات الاجتماعية في العالم الاسلامي توفر للمولود ناقص الوزن والمحتاج إلى اللبن البشري ما يحتاج إليه من

أنبـــاء وآراء

الاسترضاع الطبيعي الأمر الذى يغنى عن بنوك اللبن وبعد مناقشات فقهية وطبية قرر المجمع منع إنشاء بنوك لبن الأمهات فى العالم الاسلامى .

أول مركز لنقل نخاع العظام

يتم انشاؤه فى طب قصر العينى

● تقرر إقامة أول مركز لنقل نخاع العظام لعلاج حالات سرطان الدم والجهاز الليمفاوى فى كلية طب قصر العينى ويرأسه الدكتور شوقى الحداد . وقد تأكدت أهمية نقل نخاع العظام خلال المؤتمر الدولى للسرطان الذى عقد أخيراً فى بودابست بالمجر واشترك فيه أربعون من الأطباء والجراحين والعلماء من أنحاء العالم .

تركزت أبحاث كثيرة على نجاح نقل نخاع العظام . والمطالبة بالتوسع فى إنشاء مراكزه .

أول نوفمبر الدورة الرابعة

لدعاة العالم الاسلامى

● الدورة التدريبية العالمية الرابعة لأئمة ودعاة العالم الاسلامى تبدأ أول نوفمبر القادم ولمدة ثلاثة أشهر تضم هذه الدورة ٩٨ دارساً سيضيفهم الأزهر ويتكفل بنفقات سفرهم واقامتهم بمدينة البعوث الاسلامية .

وقد صرح الدكتور عبد الودود شلبى الأمين العام للجنة العليا للدعوة الاسلامية والمشرف على الدورة أن بين هؤلاء الأئمة ٢٠ من كل من السودان والصومال وبنجلادش . و١٤ من المغرب و١٠ من [نيجيريا] و(٥) من كل من جيبوتى وغانا و٣ من زائير .

عن السيرة النبوية

سـوف تقـدم وزارة الشـئون الدينيـة الباكستانية سبع جـوائز ، قيمـة كل جائزة خمسة آلاف دولار لأحسن كتاب تم تأليفه عن السيرة النبوية باللغات العربيـة والفارسـية والتركيـة والانجليزية والفرنسية والأسبانية والألمانية وذلك خلال صدور الكتاب فى الفترة الواقعة بين أول ديسـمبر ١٩٨٤ وحتى آخـر نوفمبر ١٩٨٥ . واشـترطت الـوزارة عـلى المؤلفين فى المسابقة أن يتناول الكتاب المقـدم أحد الموضوعات عن حياة الرسـول صلى الله عليه وسلم وخدمته للاسلام والقاء الضوء على مساهمة الرسول الكريم وخدمتـه للانسـانية والاسـلام ، وأن يكون الكتاب نموذجا للبحث العلمى والامتياز الأدبى .

مؤتمر اسلامى بـ « الكاريبى »

تبحث رابطة العالم الاسلامى حاليا ترتيبات انعقاد مؤتمرها الاسلامى العالمى القادم فى بحر الكاريبى بالولايات المتحدة الامريكية بالتعاون مع الجمعيات والهيئـات الاسـلامية بالقـارة

الأمريكية لمناقشة أهم القضايا والمشاكل التى تواجه المسلمين بأمريكا ، وايجاد الحلول لها والتى تمكنها من تحقيق كيان اسلامى مستقل .
من المنتظر أن يعقد المؤتمر قبل نهاية العام الحالى وذلك فى اطار المؤتمرات العالمية التى تعقدها الرابطة لاستعراض أهم القضايا الاسلامية العالمية ودعم المسلمين والوقوف بجانبهم لتحقيق مطالبهم .

كشف المخططات الاستعمارية

أوصت ندوة « فكر المسلمين السياسى » التى عقدت حديثا بلندن . بضرورة التفاهم

والتعاون بين العاملين فى الحقل الاسلامى على أساس من التقوى وضمن هدف ومنهج واحد .

وطالبت الندوة التى نظمها المعهد الاسلامى بلندن حديثا وحضرها عدد من العلماء والمفكرين والكتاب بضرورة كشف المخططات الاستعمارية السياسية والفلسفية للفكر السياسى الاستعمارى .

وطالبت الندوة (الأكاديميين) الاسلاميين باصدار مجلة علمية بمختلف اللغات تسمى مجلة « الفكر السياسى الاسلامى » لتوضيح حقيقته بعيدا عن الاختلافات والأهواء التى يحاول البعض لصقها بالاسلام .

وأكدت الندوة أن تمزيق الأمة الاسلامية كان نتيجة مباشرة للفكر السياسى الاستعمارى وانتهازية الذين تواطأوا مع القوى الاستعمارية .

القضايا الطبية من وجهة نظر الشريعة

يعقد فى أول فبراير القادم المؤتمر الطبى الاسلامى الذى تنظمه كلية الطب بعين شمس بالتعاون مع الأزهر الشريف .
صرح الدكتور محمد حسن الحفناوى الأمين العام للمؤتمر : أن اللجنة التحضيرية للمؤتمر وجهت الدعوة لعدد كبير من أطباء وعلماء مصر وممثلين عن الهيئات الطبية فى الدول العربية والاسلامية بالاضافة الى أطباء من أوربا وأمريكا وآسيا وافريقيا ، وبعض المستشرقين من مختلف دول العالم .
ومن المتوقع أن يحضر المؤتمر نحو خمسمائة عالم .

ملتقى الفكر اسلامى
بـ « سطيف »

أوصى ملتقى الفكر الاسلامى العشرون بتحصين الطلبة الدارسين فى الخارج بقدر كاف من الثقافة الاسلامية ، وتوظيف العلوم الانسانية فى خدمة الانسان ، وايجاد حلول ناجحة للمشكلات التى تواجهها الدول الاسلامية .
وكان الملتقى قد عقد مؤخرا بمدينة « سطيف » الجزائرية وحضره أكثر من ألف وخمسمائة من المفكرين والعلماء وأساتذة الجامعات بدعوة من وزارة الشئون الدينية بالجزائر لمدة أسبوع .

أنبـــاء وآراء

مجمع بحوث الحضارة الاسلامية

تضمن البرنامج العلمى للمجمع الملكى لبحوث الحضارة الاسلامية بـ (عمان) مجموعة من المشاريع الطموحة أبرزها موسوعة الحضـــارة الاسلامية التى من المتوقع أن تصدر فى عشرين مجلدا ، ويستغرق اعـدادها عشر سـنوات ، والفهرس الشامل للتراث الاسلامى المخطوط ويستغرق للعمل لانجازه ست سنوات •

هناك أيضا معاملة غير المسلمين فى الاسلام والتربية العربية الاسلامية والادارة المالية فى الاسلام • والشورى فى الاسلام •

مؤتمر المدن الاسلامية

يدعو لاغلاق الملاهى

وجه المؤتمر العام الرابع لمنظمة العواصـم والمدن الاسلامية الذى عقد فى القاهرة مؤخرا : نداء الى العواصم الاسـلامية بالامتناع عن اصدار تراخيص جديدة لملاهى الرقص والخمور والعمل على اغلاقها تدريجيا تنفيذا لأحكـام الشريعة الاسلامية •

قرر المؤتمر فتـح باب العضـوية فى جميع عواصـم الـدول الأعضاء بمنظمة المؤتمـر الاسلامى على أن تكون مكة المكرمة والمدينـة المنـورة عضـوين دائمين نظـرا لمكانتهمـا الاسلامية •

ثلاثة آلاف يشهرون إسلامهم

جـاء فى النشرة الأســـبوعية « لوفيف اكسبريس » التى تصدر فى العاصمة البلجيكية بروكسل أن ثلاثة آلاف قد اعتنقوا الاســلام فى الفترة الأخـيرة •• والجـدير بالذكر أن الحكومة البلجيكية قد اعترفت بالدين الاسلامى رسميا عام ١٩٧٤ وأعطت الجاليات الاسلامية التى تعيش هناك حق اقامة الشعائر الاسلامية ونشر الفكر الاسلامى •

وقد صدر هذا القانون بعد مناقشـة واعية داخل البرلمان البلجيكى •

يصدر المسلمون فى بلجيكا مجلة اسـلامية باسم « رسالة المسجد » وهى تعتبر أول مجلة دينية موجهة تصدر للمسلمين المقيمين بالدول الأوربية للتعريف بالاسلام •

الايدز القاتل ينتشر فى ٧٤ دولة

أعلنت منظمـة الصـحة العالمية أن مرض (الايـدز) القـاتل ينتشر حاليـا فى نحـو أربع وسبعين دولة من بين مائة دولة فى القارات الخمس أعلنت عن اكتشـاف حالات مرضـية فيها ••

ذكر تقرير منظمة الصحة العالمية : أن دول أوربا تلى الأمريكتين من حيث عدد المرضى تليها أفريقيا ثم استراليا ونيوزيلندا وأخيرا آسيا ••

كشـف التقـرير أن ما بين ٥ و ١٠٪ من السيدات الحوامل فى الدول التى ينتشر فيهـا المرض فى أفريقيـا ينقلن فيروس المرض الى أطفالهن •

طالبت منظمة الصحة العالمية دول العـالم باتخاذ اجراءات وقائيـة للسيطرة على المرض واقامة أنظمة مراقبة لاعطاء صورة أكثـر دقة عن انتشار المرض بين سكانها •

من خير ما كتب

للأستاذ
عبد الفتاح السيد عبد السلام

الاستاذ محمد خضر من كلمات الشيخ الشعراوى فى الحضارة ..

نجاح حضارة العواصم الاسلامية فى ربطها بمنهج الله للانسان ..

دعا فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى اعضاء مؤتمر العواصم الاسلامية الذى اختتم بالقاهرة الى ربط منجزاتهم فى صيانة الاثار والرقى بالعواصم بالقيم العليا فى الاسلام ، لأن الاسلام هو دين الحضارة ..

وقال : ان واجب هذا المؤتمر أن يعمل على سلامة الحضارة وربط المدينة بالدين ، وهو يهدف الى الحفاظ على نفائس هذا الوجود وذخائره فى بلدان المدن الاسلامية ، ومعلوم أن الحفاظ والحفظ والاحتفاظ كلها معان لاتكون الا لشىء نفيس وغال ينبغى الحفاظ عليه ، ولذا فيجب أن تعرف ما قدمه المؤتمر من خير عميم. وأضاف : أن كل جيل أخذ ممن سبقه تراثا وهكذا تتسلسل عملية الأخذ من جيل الى جيل حتى نصل الى جيل لم يأخذ التراث من جيل سبقه ، انما أخذ هذا التراث من خالق هذا التراث ..

ويدلل فضيلة الشيخ الشعراوى على أن قاعدة الفساد لا تكون الا فى بنى الانسان فقط دون الكون كله فيقول :

ان الكون الذى نعيش فيه نجده نوعين : الأول كون تأثر بالانسان وأدى له كل النفع فى ايجاد بقاء جنس الانسان ، وكون آخر ليس للانسان دخل فيه وهو يؤثر فى الانسان ..

فمثلا ، الجماد والنبات والحيوان ليس له تأثير ، ولذلك فلا يوجد فساد فيه ، أما الفساد فيكون فيما للانسان تدخل فيه ان لم يسر على المنهج الذى أراده الله تعالى له ، وهذا يؤيده **قول الله تعالى :**

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِى السَّمَوَاتِ وَمَن فِى الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

من خير ما كتب

وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ .. » .

اذن فكل الأجناس تسجد ، وكثير من الناس يسجدون ، وهذا يدل على أن هناك من بنى الانسان من لا يطبق منهج الله تعالى فى الخضوع له ولما أراد .

خلق الله وخلق البشر

ويفرق الشيخ الشعراوى بين ما خلقه الله تعالى للانسان وبين ما خلقه الانسان وصنعه لنفسه ويوضح عيوب خلق البشر التى لم يلحظها أثناء صنعها فيقول :

الأشياء التى خلقها الله تعالى تعطيك النفع سواء طلبتها أم لم تطلبها كالشمس والقمر والظلال والنور ، وهناك أشياء تنفعك ان طلبتها وتفاعلت معها كالأرض حين تزرعها مثلا .

ويضيف : أن المطايا التى خلقها الله لها عادم وهذا العادم يفيد الانسان ، ولكن المطايا التى صنعها الانسان لها عادم وعادمها يضر بالانسان وهذا الضرر — وان كان لا يعرف أثره فى فرد أو فى جيل — الا أنه ضرر شديد وبالغ ، ولك أن تتصور أن سيارة واحدة يصيب عادمها كذا من الأمتار فى مكان ما ، فما بالك .. بملايين السيارات فى البلدان المختلفة ..

بين الصلاح والهبوط :

ويستنتج الداعية الكبير الشيخ الشعراوى مما سبق أن الحضارات تعطى الصالح صلاحا ولكن قد تهبط بأشياء تأتى بالضرر فى ذلك الفعل نفسه ومثال ذلك (السيارة) التى صنعها الانسان اذا مات قائدها وهو يقودها تظل منطلقة ولا يوقفها سوى اصطدامها بشىء ما..

على عكس الدابة التى خلقها الله فان مات صاحبها وهو يقودها غيرت اتجاهها وذهبت من حيث أتت ، وربما احتالت فى أخذه ان كان جريحا مثلا ، حتى توصله الى منزله .

اذن فالشىء المصنوع وان كان القصد منه المنفعة قد يأتى بالضرر البالغ والذى يغيب عن ذهن صانعه الذى عرف شيئا وغابت عنه أشياء .

الحضارة مطلوبة ولكن ..

ان الحضارة مطلوبة والتقدم يخدم البشرية .. والحق يطلب منا أن نعتبر من كل آية تمر بنا وألا نمر عليها ونحن معرضون دون أن تلفت أنظارنا حيث يقول :« وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ » .

هكذا يحض الشيخ الشعراوى — كما أراد الله على الانتفاع بآيات الله فى الكون ويضرب مثالا لذلك بآية أو ظاهرة صغيرة بنى عليها علم الفضاء وهى ظاهرة الجذب وحكاية التفاحة التى سقطت على رأس مكتشف نظرية الجاذبية وبنى عليها قاعدة الجذب ، ومن هذه القاعدة جاء البحث عن علم الفضاء ..

اذن ، فالحضارة مطلوبة والانتفاع بآيات الله فى الكون واجب ولكن شريطة أن يسير هذا على منهج الله تعالى وما أراده الحق تبارك وتعالى منا ، والا فالحضارة تنقلب الى معادلة خاسرة لا تفيد كما نلحظ ذلك فى التليفزيون

الذى ألهى الناس عن كثير من الخير والعمل ولننظر مثلا واحدا فى تأثيره على أهل الريف وتعطيلهم عن أرضهم وزراعتهم وصلواتهم المبكرة .

يوضح الشيخ الشعراوى السبب الأساسى فى خلل تكوين العالم الآن والظروف التى يمر بها من طغيان وحروب وارهاب وفساد فيقول:

سبب كل ذلك أن الانسان لم يعتبر نفسه خليفة ـ كما أراده الله ـ وانما اعتبر نفسه أصيلا فى الكون ، ولذلك نشأ الفساد .. ولو أن هذا الانسان اعتبر نفسه خليفة لعرف حجم المسئولية الملقاة عليه ، ولكن لما اعتبر نفسه أصيلا نسى هذه المسئولية .. فالعلو فى الكون مسئولية وليس تشريفا ، لأن الانسان ان علا فلابد أن يعطى خيره لمن دونه أو أن يكف شره عن غيره ، ولو تيقن ذلك تماما لما طلب العلو أو الارهاب .

ويختم فضيلة الشيخ الشعراوى حديثه فى المؤتمر قائلا :

ان الخالق لم يضع قانونا للنبات أو للحيوان أو للجماد ولكن وضع القانون للانسان لأن الثانى مخير والأول مقهور .. وان الناس لم يعاملوا ربهم بما يعاملون به أنفسهم ، ولو طوع الانسان نفسه لمنهج الله لما نشأ فساد ولساد الصلاح فى الكون كله كما أراد الله تعالى ، ومثال قانون الله للانسان كمثال « الكاتلوج » الذى يكون مع الآلة لتسيرها واصلاحها ان طرأ عليها فساد أو عطل ؛ فكما أن الآلة لا يسيرها الا قانونها فان الآلة الانسانية لا يسيرها أيضا الا قانونها الذى وضعه خالق الخلق ..

ولهذا فاننا اذا ربطنا حضارة عواصمنا فى الآثار والتنسيق والمعمار وسائر الوان الجمال اذا ربطناها بما طلبه الدين منا فان النجاح الكامل سيكون نتيجة المؤثرات التى تعقدها منظمة العواصم الاسلامية .

فضيلة الشيخ/محمد الغزالى :

فى الاعلام الاسلامى

الاعلام الاسلامى . مسئولية

أن الاعلام الاسلامى ضيق بمعنى أنه يتحرك فى أطر مرسومة من غير المسلمين وبطرق ملتوية ، لا يدركها العاملون فيه ، وهذه كارثة.

ان الاسلام ثروة لا وجود لها حيث الحقائق الاجتماعية والسياسية علاوة على الحقائق الدينية التى لا تقبل الشك ، وهذه الثروة فى حاجة الى العقول الذكية اعلاميا لاكتشافها الاكتشاف الذى يجعل المستمع والمشاهد والقارىء ، يقتنع بها بعد التعرف عليها على مدى العقول التى تستبين فيه محور الصدق الذى نرجو أن يكتشفه الذين يعملون فى هذا المجال ان العبء ثقيل على أجهزة الاعلام الاسلامى ولكنها يجب الا تتوانى لحظة واحدة فى محو الأمية الاسلامية فى الغالبية العظمى. ونجاح الاعلام الاسلامى لا يمكن أن يتحقق الا اذا كانت دعوته قرآنية حيث الحكمة والموعظة الحسنة .

ان الاعلام الاسلامى يقع على عاتقه ايضا مسئولية ربط العالم باللغة العربية ليتعرف علينا العالم . وليعرف الدستور الذى أرسله الله الى العالم كله ليعيش بعد ذلك فى أمن وسلام .

من خير ما كتب

الدكتور/عبد الجليل شلبي :

فى المدرسة والواجب

قرآن وسنة :

يفىء ابناؤنا الناشئون فى مدارسهم بمختلف مراحلها . يدفع بهم ذووهم ، ويدفعون هم بانفسهم الى أقدس الأمكنة وأشرف البنائين المدارس بما تبثه فى نفوس روادها من حب الفضيلة وحسن السلوك والرغبة فى المعرفة ، وانارة العقول .. هى بلا ريب أطهر الأمكنة واشرفها ، وكما قال شوقى :

بيوت منزهة كالعتيق

وان لم تستر ولم تحجب

والمعلمون أشرف وأجل بنائين ، لأنهم على حد قول شوقى أيضا : « يبنون أنفسا وعقولا » وهم لهذا ورثة الأنبياء ، لأن الله — سبحانه — أرسل الأنبياء معلمين .

ولكنا ازاء هذا التقدير والاقرار بشرف المدرسة والمدرس ، ينبثق فى أذهاننا سؤال تلقائى :

هل تؤدى المدرسة ما يجب . وينتظر أن تؤديه فى هذه الأيام ؟

لاريب أن تعليمنا — فى الوقت الحاضر — لايعدو المظهر الشكلى ، ولاريب أن استفادة أبنائنا العلمية والتربوية ضئيلة جدا ، وليس من الملائم أن نوازنها بحال مدارسنا منذ أربعين أو خمسين عاما . كما أنها لاتوازن بأى حال بالمدارس الأوروبية .

لقد كثرت مدارسنا ولكن الثقافة فيها ضحلت، ومسألة ضحالة الثقافة فى مراحل تعليمنا كلها ليست أمرا هينا ، بل هو أمر يحتاج الى التفكير وتضافر القوى ، فليست مسألة خاصة بوزارة معينة ولكنها مسألة حياة الأمة ومستقبلها ، ابناؤنا الذين ندفع بهم الى المدارس هم قادة الأمة فى غد ، والأمم لاتوزن بكثرة أعدادها ، ولكنها توزن بعدد ونوع مثقفيها ، وأسهل الطرق للفتك بأى أمة ، وأقتل ما يصيبها من الأدواء ، هو قتل مدارسها وتهكها فريسة للجهل .

نحن أكثر الأمم تعليما عاليا ، وحملة الشهادات العليا فى العالم الشرقى أرفع نسبة بين أمتهم من أمثالهم فى العالم الأوروبى . ولكن الذى يحصل على الشهادة الثانوية فى انجلترا — مثلا — أكثر معلومات وأعمق فكرا، وأهدى الى البحث ممن يتخرج فى جامعاتنا .

يكفى جامعاتنا أن الذين تخرجوا فى كلياتها العلمية الى الآن لم يقدموا جديدا ، ولم يقووا على هضم ما قدم الآخرون ، والذين خرجتهم الفروع الأدبية لايعرفون محتويات المكتبة العربية ، ولايقوون على قراءة ما يقدم لهم منها . فياضيعة الأعمار تمضى سبهللا . واذا استمر الأمر على ذلك فالى أين نحن سائرون؟

هناك أمر آخر ، هو ضعف الثقة فى مدارس الحكومة مما كثر معه قيام المدارس الخاصة وهى مدارس خاصة بالأثرياء ، واذن فلم يعد التعليم مجانا ولا متاحا لكل طبقات الشعب .

الشيخ/كمال أحمد عون

الأزهر بين جيلين

بعد أن شعر المسئولون فى المراكز القيادية الأزهرية بالخطر يحيق بالتعليم فيه بدأوا اتخاذ الوسائل لينحسر هذا الخطر عنه ، فمنذ سنوات

منعوا التحاق حاملي الاعدادية العامة بالقسم الثانوى بالأزهر ، ومنعوا كذلك قبول حملة الثانوية العامة بالكليات الأزهرية ، وتعاونت جامعة الأزهر فى الصمود لتخطى هذا المنع مع المجلس الأعلى للأزهر الذى أصدر قرارا سابقا بذلك وبقى الاصلاح .

ولقد قلنا من قبل أن المشيخة الحاضرة لا تتحمل تبعة هذا الخلل الجسيم فى مسيرة التعليم بالأزهر ، وقد أصابها فى الصميم، ولكنها تتحمل — ولاشك — تبعة استمراره طوال مدتها ، فبقاؤه ساعة مع امكان ازالة وصمته اثم كبير ، وازالته مع صدق العزم ، والنية ليست بالأمر العسير ، ولعل الظروف مواتية له فى الاصلاح أكثر من ذى قبل .

حاجة الأزهر الى اصلاح عاجل وحاسم لا تخفى على ذى عينين . يعلم ذلك تمام العلم كل عالم من علمائه ، داخل الأزهر وخارجه ، لانستثنى منهم أحدا .

ويعلم كل طالب من طلبته ، وكل من يعنيه من المسلمين أمر الأزهر ، وكان منه قريبا بل صار يعلم الآن طلاب العلم وأساتذته فى الجامعات العربية والاسلامية كما سمعناه منهم شخصيا .

ولقد نبه كثير من المخلصين الى الخطر المحدق برسالة الأزهر ، من جراء الأسلوب الذى جرت عليه سياسة التعليم الأزهرى فى العشرين عاما الأخيرة .

وسيظل الأزهر فى محنته ، مقطوعا عن طريقه ، حتى يأذن الله بقوة جديدة رافعة ، تحمله بحول الله تعالى من كبوته ، وتصلح ما اختل فيه من بنيته ، وتدفعه لاستئناف مسيرته ، هذه القوة الرافعة لابد لها من عزم واقدام ، وتوفر على العمل الجاد ، فى اخلاص وبصيرة ، على أقدام أولى العزم من الرسل ، والعلماء بحق هم الوارثون لهم .

قدامى الشيوخ

ان رسالة الأزهر اليوم على سعتها فى الداخل ، وفى الخارج العربى والاسلامى والعالمى، ليس لها — مع الأسى البالغ رصيد من شباب العلماء يخلف سلفه .

انها الآن تقوم على أكتاف جمع كريم من علمائه ، سبقوا الغاشية التى حلت بالأزهر فى سنواته الأخيرة ، فهم قد حفظوا كتاب الله ، ودرسوا علوم الاسلام دينية وعربية وثقافية ، ومنهم فى كليات الأزهر ومعاهده ، وفى مساجد الأوقاف ، والدعوة والارشاد ، والمراكز الدينية ومجمع البحوث الاسلامية وغيرها .

وبعضهم على وشك الاحالة الى المعاش أو بلغوها . وكثير منهم يملأون بمحاضراتهم وكتاباتهم دور العلم وجامعاته فى البلاد العربية والاسلامية ، أو يشرفون عليها ويديرونها ، حيث لا تتقيد معهم بسن ، ولا نشبع من علمهم بعطاء والأزهر ليتصل من حلقاته ما انقطع ، فى حاجة الى كل جهد من بنيه المخلصين ، وكل جهد يقدمه مسلم غيور على دينه وتراثه . هؤلاء جميعا مدعوون لعمل ايجابى كل بما يستطيعه .

من خير ما كتب

ان على المسئولين حتما أن يبادروا ضروريات الاصلاح • وبخاصة بعد أن صار الأزهر مختصا وحده بوضع سياسة التعليم فيه — كما أفتت بذلك الجمعية العمومية للفتوى بمجلس الدولة •
عليهم أن يطببوا لهذا المرض الذى طال أمده ، وما أيسر العلاج لو نهضت العزائم وصحت النيات •

دعامة الطالب

ان زيف الامتحانات قبولا ونقلا وشهادات فى المعاهد الدينية هو أس الداء ، ورأس البلاء، وقد أصاب الأزهر كله بضربات قاضية ، كما أصاب مكاتب القرآن الكريم فى مقاتلها — هذا البلاء يمكن القضاء عليه فورا بعزمة من عزمات الاخلاص لله ورسوله ودينه ، واستشعار الأمانة العظمى فيما تقلده الأزهر من تعليم أبناء المسلمين ، وتربيتهم دينيا وخلقيا ، ليصلحوا فى أنفسهم ، ويصلحوا بالقدوة الطيبة والدعوة الحكيمة غيرهم ••

ولا مبالاة بأوهام تخيل أن ضبط العمل واتقانه يحرم الأزهر من طلابه •

فاذا اخترنا طالب الأزهر وانتقيناه من حفظة كتاب الله خاصة ، كما كان من قبل ، وان قل العدد عاما أو عامين ، حتى لو انقرض صف من الغثاء أو أكثر ، فلن يضير الأزهر قلة فى العدد، وما انتصر المسلمون يوما بكثرة أعدادهم ، وما هو الا المريض يحتمى عن غذاء فاسد ملىء بجراثيم المرض ، حتى يسترد عافيته ، ويختار ما يحفظ صحته ، وما يمنحه دما نقيا يجرى فى شرايينه ، طاهرا بحفظه كتاب الله •

واذا عادت العناية بحفظ القرآن الكريم ، عادت العافية الى المكاتب والمدارس ، وتوفر حافظوه فى عام أو عامين ، ففى سن الحفظ المعتاد ، ومع التوفر عليه والعناية به يستطيع التلميذ فى شهور قليلة ، مالا يستطيعه فى سنوات طويلة ، مشحونة بمواد الدراسة • وعلينا حينئذ رعاية هذا الطالب ، كالذى كان أو أفضل، وقصر جهده على منهج واحد مصفى من شوائبه، يطبقه ويحقق الغاية المرجوة منه •

اصلاح المدرس

أما المدرس المنشود فهو المعدن النفيس فى جوهر العملية التعليمية ، وهو عمودها الفقرى، ولابد من توافره حتى يتماسك لها كيان سليم •
واذا كان المدرس الصالح فى وضع الأزهر الحالى عملة نادرة ، فلن يعجز حكمة المخلصين من أولى العلم عمل جاد وسريع فى سبيل توفير القدر الضرورى منه عاجلا •
ولقد كان شيوخنا — أحسن الله اليهم — يذكروننا جيدا أن شهاداتنا العلمية — على قيمتها الحقيقية فى أزمان خلت — ليست الا مفتاحا لدخول ساحة الدرس والعلم من جديد •
ولو شعر المدرس بالجد من حوله وممن فوقه لأخذ يعلم نفسه سريعا ، ليستطيع أن يعلم• غيره من طلبة العلم • ولو وضعت له قواعد التوجيه الصحيح ، والمتابعة الحقيقية ، وتأكد من موازين التقدير والتقويم ، واطمأن الى حاضره ومستقبله ، لتبدل ضعفه قوة ، وركوده حركة ونشاطا وضيق صدره سعة وانشراحا ••

ثم هـــــذه الدورات العلمية ، والمطالعات المفروضة ، والمسابقات التى تعقد للترقيات كشرط أساسى فى كل خطوة .

ولو أردنا نهضة علمية لأزهرنـــا الحبيب يقيله من عثاره فلابد لنا من الانتفاع بالقادرين على العمل من علماء الأزهر المحالين عـــلى المعاش ، قبل أن تفقدهم الحيـاة العلمية الى الأبـــد .

وان كثيرين من أساتذة المعاهد القدامى كانوا يقومون بالتدريس فى جامعات البلاد العربية وما يزالون ، منظورا اليهم نظر اجلال وتقدير حقيقى ، على أنهم يمثلون علم الأزهر الأصيل:

وان مما يشرف الكليات ان يندب الى قاعة الدرس أساتذة تضلعوا من العلم ، وقضـــوا حياتهم فى رياضه . وان مما يشرف هـؤلاء الأساتذة الكبار أن يعودوا برســالة التعليم قائمين ، فهم بهذا يواصلون حظهم من الميراث المحمدى ، وقد بعث المصطفى صلى الله عليه وسلم كما أخبر عن نفسه ــ معلما . انها الاغاثة الحقيقية أن يعود الى ساحة الدرس فى المعاهد والكليات القادرون على التدريس الراغبون فيه، فيرفعوا من شأن هيئة التدريس فى الأزهـــر ويكونوا القدوة لزملائهم الشباب .

القيمة البيانية للاستعارة ـ بقية

لما كانت كذلك ، وقد نكر « نظرة » ليشير الى أن هذه نظرة غريبة غير معهودة منه ، ولذلك كانت محل أنكار ، وأما ايثار حرف العطف « ثم » فللاشارة الى امتداد أثر هذه النظرة قبل اطراقه ، لأنها نظرة جموح ذات أثر طويل، كما أن فى قوله : « على اشـــفاق عينى من العدا » اشارة الى اختلاسه هذه النظـرة ، وتحسبه لها ، ومحاولة كبتها خوفا من العدا ، ومع ذلك تغالبه وتصر على الجموح » .

وكل هذه الاعتبارات فى هذا النظم تضفى قوة وجمالا على استعارة لفظ « تجمح » للعين كما هو واضح ، فليس حسن الاستعارة هنـــا راجعا اليها فى ذاتها ، بل لما اكتنفها من نظم ، وما أحاط بها من دقة فى اختيار الألفاظ فى هذا النظم .

ومثل ذلك صنع فى استعارة السيلان للسير السريع الحثيث فى البيت المشهور :

سالت عليه شعاب الحى حين دعـــا
أنصـــاره بوجوه كالدنانير (٤٥)

وبذلك يتضح أن مجرد النقل فى الاستعارة لايسيغها ، كما أن حسنها لايرجع اليهافىذاتها وانما لأثر النظم الذى قد أحاط بها .

---

(٤٥) المرجع السابق ٧٧ / ٧٨ .

فهرس العدد



OBITUARY



Dr. Hussien Abdel-Magid Hashem died on Friday 15th of Muharam 1407 Hijriah, September 19th 1986, AD.

Born in Bani Amer in the Province of Sharkiah in 1925 in Egypt. He learned the Holy Quran at an early age, and Joined Al-Azahr University where he obtained the "Alamiah" Degree in 1954, then the Doctorate Degree in 1964 in Islamic Theology.

Dr. Hussien ascended the various posts at Al-Azahr University, and became the Secretary General of the Islamic Research Academy in 1980, and then Vice Rector of the Al-Azahr in 1985.

Dr. Hussien was highly reputed in both Arab and International Islamic circles for his very pious and humble character. His eminent knowledge of Islam authorized him to publish several leading Islamic publications and as professor at Al-Azhar University was greatly gifted as a teacher.

The Al-Azahr Magazine for itself, on behalf of the Al-Azhar University, and on behalf of the Muslim nations and communities all over the world; pays tribute and praise to the memory of the honourable man.

May Allah ordain him with mercy, forgiveness and grace. May Allah reward him for the sincere efforts and services he offered for Islam. May Allah bless his soul.

the monoply of knowledge; since all principles of knowledge are contained in the Holy Quran. It is the right of every human person to enrich his understanding to attain wisdom and perception, through which faculty, he will grant that justice and the right to others.

The sixth and last human right to attain justice is the right to ownership of productive property. This requires fundamental changes in the infrastructural monitary institutions and systems. These changes should aim at freeing all human beings from the bonds of wealth concentrations and monopolies both within and among the nations that effectively deny and oppose the basic human right of equal opportunities.

Together, these six human rights form the essentials of justice and of human harmony and peace. Justice may be defined as the will of Allah for each human person and society expressed in their commitment of "Tawhid". In Islam, the paradigm for all public issues is justice; and justice is the product of divine purpose. Consequently man should be governed by a delicate sence of justice because he has a purpose created by Allah, and man's happiness comes from being faithful to the nature of that purpose.

The substance of justice in the Islamic thought is nothing other than attainment of human rights. Justice becomes a powerful principle and motivating force the more it is looked upon as being sacred. The concept of justice as sacred has no real sustaining power in a secular society where there is no recognition of Allah's Will but only man's own arbitrary creation. Consequently, secular justice always lacks divine harmony and balance. This divine harmony and balance is a cardinal Islamic principle known as "Mizan". Secular justice is in reality no more than a farce, a tool of propaganda used by those in pursuit of worship of false gods; modern age being the most polytheistic in human history. The principal lesson of history which is also one in Islamic thought is that such false gods eventually and inevitably destroy their own worshippers This is a basic message throughout the Holy Quran and also in Christian and Jewish scriptures.

Together, the six human rights considered produce human homogenity, harmony and peace; they are the outcome of Allah's will to mankind and are the elements of justice which in itself becomes the product of their implementation and man's commitment to practice them.

to the principles of political subsidiarity should prevail under the abosute sovereignty of Allah. This certainly will prevent the tyranny of political and monitary powers.

The right to dignity is an essential human element, and is also the purpose and criterion of all human rights of both men and women equally. Human dignity is a universal requirement which is very deeply established and practiced in the Islamic system. The optimization of human dignity is attained by the full normalization of all aspects of human nature including his physical, mental, financial, political and other functions. Any distortion or disorder in man's normal or moral behavior results in undermining his dignity.

The right to knowledge is primarily a duty of each individual person towards one's self as well as a social duty. The Holy Quran has delineated essentially three sources of knowledge for the human person. The first is "Haqq Al-Yaqeen" which is that certain knowledge that comes directly from Allah. This occurs in revelation to a selected group of people "the prophets" or by private inspiration to a person as guidance for his own personal life. The second is "Ain Al Yaqeen" which is observational or experimental knowledge gained from observing the phenomena of creation of Allah including that of man himself. Observation of the physical creation in the natural sciences encompasses that portion of knowledge designated as the Ayat (signs) of Allah. Observation of man himself who is in direct link with the transcendent constitutes the other portion of knowledge collectively known as Ibadat Allah (worship of Allah). Worship of Allah is the ultimate end and true rationale of all human thought and existance. The third source of knowledge is "Ilm Al Yaqeen" or intellectual knowledge. Since this is the most indirect source of knowledge, it includes only the product and interactions of the rational mind. It is the outcome of the processing and rationalization of that knowledge gained by the mind from the study of the Revelation, the physical universe, and man.

This Islamic guidelines on the pursuit of knowledge dictate that every human person should seek to know, learn, and transmit knowledge. Knowledge by definition is reality and truth that comes from Allah. Man does not create knowledge, he only discovers it. No man has



to group identity, the right to liberty, the right of personal dignity, the right to knowledge, and the right of private properrty. These human rights formulate the roots of the Islamic teachings at the time of the Prophet Muhammad prayers and peace be upon him. Upon such roots, justice prevailed for each human person and for the Muslim community. Upon such justice, a very prosperous civilization was founded fourteen centuries ago based on the Islamic Shariah whose substance and ingredients were the elements of justice founded on human rights.

The right of life constitutes within its meaning the right to a decent honourable dignified life without fear or supression. This is achieved by a delicate balance of man to man relationship, no man should claim for himself what is the product of another man's efforts and skills. Honesty, purity and unselfishness are fundamental to attain justice, but what is really important is the absoluteness of one's commitment. The right of life in the Islamic value system is very highly evaluated, and the Islamic legislative disciplines of the Shariah attach very great importance to the life of a human person at any age, and also to the safety and integrity of the component parts of the body and their physiological functions. The duty of Jihad in the cause of Allah primarily aims at securing human rights, and maintaining that for one's self and others.

The second human right is the right of group identity. This includes the duty to protect group rights of minority groups and non-sovereign nations against absolute political sovereignty. Absolute political power is the source of grave injustice to several human communities and nations; as known throughout history and more malignant in this modern age.

The third is the right of liberty which includes everyone's duty to protect every other person's freedom of religion and freedom of constructive opinion. It is the duty of every person entrusted with power to abide by some formal or institutionalized system of moral law. The concept of responsive consultation "Shura", and or informed consensus "Ijma" of the community in response



HUMAN RIGHTS IN ISLAM

BY :
Dr. Robert D. Crane.

The Glorious Quran and the Traditions of the Prophet Muhammad prayers and peace be upon him are the fundamental sources of the Islamic system. The nucleus value of everything Islamic is the sacredness of the human person and the ascending structural levels of family and community that ultimately derive from that person. The human person is sacred because he is the only direct intellegent link with the transcendent and is therefore the source of all meaning in the created universe.

The sacredness of the human person as an elemental instrument of Divine love and Divine action provides a basic ordering principle for all Divine Doctrines. Islam as the final and most complete Divine Doctrine institutes precise definition and optimization of justice and human rights. The necessary uniqueness of each person and of each person's own destiny in the Divine plan of creation establishes the sacredness of the human person and of his role within the human community. Allah communicates with the person and acts through the person, not through the collective. The Divine call to man to achieve and maintain justice becomes in the first order a personal responsibility and then a social and collective responsibility. The purpose is for each human person to change himself as the first step to change his community, therefore the person is the focus of change.

Islam meaning total submission to Allah essentially indicates following not our own will but the will of Allah. Justice is one of Allah's attributes and is the core value of Allah's will to human dignity from which all human rights derive. The unique Islamic disciplines of Shariah define the basic substances that formulate the original values for human rights as requirements to achieve justice. These are the right to life, the right

Prophet (prayers and peace from Allah be upon him) celebrate in commemoration the birthday of the Prophet. This celebration does not add to his honour or dignity. Both dignity and honour have been bestowed upon him by Allah. He has been elevated in honour and grace above all humanity, and he has been highly praised on more than one occasion in the Holy Quran. Muslins should therefore understand that celebrating the occasion of the Prophet's birthday is not only be eating, chanting and other subjective activities. The true real spirit of commemoration should be objectively directed towards following his teachings, precepts, guidance, following his path and the Light that came with him to emancipate and salvage mankind from the pits of darkness to the brightness of virtue and knowledge. Our high respect, esteem, love, obedience, orientation, mental patterns, devotion, sencerity and total obligation should be normalized and programmed to follow the teachings of the Prophet of Islam, Muhammad (prayers and peace from Allah be upon him).

Muslims should express their celebration of the Prophet's birthday by loving him more than their love for their parents, wives, children or themselves. In an honourable Hadith, on the authority of Anas may Allah be pleased with him said the Prophet (prayers and peace be upon him)said "None of you will have faith till he loves me more than his fathers, children and all mankind". (Al-Bukhari). Truely our Prophet stands as an exalted standard of character, conduct, and perfection of qualities. He received divine teachings and culture and also received the highest rank of honour that Allah and His Angels send blessings in his honour. The Holy Quran states:-

> "Indeed Allah and His Angels send blessings on the Prophet. O ye who believe send ye bleassings on him and salute him with all respect"
> (Surat Al-Ahzab, XXXIII, 56)

Let us all pay tribute in honour and blessing to the greatest of all men, to the Prophet, the Messenger, the Apostle of Allah. Muhammad prayers and peace from Allah be upon him.

At the age of forty years, he received the commission to stand forth and proclaim the Message, the Bounty, the Light, the Guidance of Allah. The Message that spoke of the supreme will of Allah, the moral code to which man must tune his will to attain the highest bliss and gratification. He grew steadfastly in virtue and purity to teach and preach the Divine message to complete the chain of Revelations of the divinely inspired Apostles before him. He was asked to stand forth, to summon and declare the True Path that leads men to the Right and forbids the wrong. He was the example of the practice of perfect righteous human conduct and spiritual purity. His efforts were opposed by the pagans in offence, conflict, mockery, hatred, persecution, threats, torture, exile, wars and the shaking of the foundation of history and social patterns. With unrelenting patience and confident endurance, the Prophet (prayers and peace from Allah be upon him) remained actively in persue of the Message willingly submitting to Allah.

For twenty three years, the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah be upon him) summoned all mankind close and distant to the Message of Allah. With patience, hope, conflict, political and combat strategy, came the final prevailing triumph. He taught the supreme profound spiritual Truth, he answered questions, relieved doubts and fears. He was generous, kind, tolerant, serene and supremely magnanemous. He taught in words and in example of conduct the laws and codes by which mankind could live in a society of virtue, goodness, peace, mental stability, social order and justice, chastity and purity, and human love. For twenty three years the message of Allah came as an inspiration in protected verses as the need arose, on different occasions and in different places. They were recorded in writings and in the hearts and minds of several of the disciples. As the body of the Holy Revelation grew, it was arranged to become the Holy Quran, the words of Allah, the sacred Scriptures of the Islamic Faith. The Holy Quran, the original source of Islamic knowledge, philosophy, and jurisprudence. Muhammad the Prophet prayers and peace be upon him) was commissioned by Allah, to propagate the words of Allah.

Every year during the first half of the month of Rabie Al-Awal of the Hijrah, Muslims followers of the

the seal of the Prophets, and Allah is aware of all things".
(Surat Al-Ahzab, XXXIII, 40).

The Prophet Muhammad (prayers and peace be upon him), was born in Macca on Monday the 12th day of the month of Rabie Al-Awal;August 2nd 570 AD. His father Abdullah Ibn Abd-Al-Mutaleb was from Bani Hashem of the Quraish. His mother Aminah Bent Wahb was from Bani Zuhrah of the Quraish. The year of his birth corresponded to "the year of the Elephant" in which Abrahah the vice-regent of Yemen rode to Macca with the intention to destroy the Kabaah. At the front of the army, an elephant was led which when facing the Kabaah refused to advance one step. Abrahah blinded by personal ambition to destroy the Kaabah was determined. The whole campaign ended with an utter disaster, and the whole army of Abrahah was stormed by birds pelting pebbles which pierced the bodies of men and killed them. In that year "of the Elephant", the Holy Kabaah was save by Divine power from destruction on the Hands of the invador Abrahah. In that year also, the Prophet Muhammod prayers and peace be upon him was born by Divine selection.

The supplication of Ibrahim to Allah, the prophecy of Mosses, and the glad tidings in the message of Jesus were all fulfilled. There was born into the world a child of noble birth, yet nobler still in grace and Divine choice. He was possessed and gifted with the key to knowledge and wisdom which opened to him the enchanted realms of creation. He was marked out to receive and preach the words of the Holy Quran, the words of Allah. Muhammad was born in the fullest blaze of history; with no learning, he lived and worked with pasture folk to earn his living. He wondered and travelled the valleys and deserts, never losing his way to truth and righteousness, he walked honest, upright and straight to be reputed Al-Amin "the man of Honesty". He stood for all humanity making his special care the neglected and the oppressed, the orphans, the women, the children, the old and those in need. He provided from the endless richness of his own character, comfort, mental solace and spiritual strength.

becomes therefore fully justified as the second source of Islamic teachings after the Holy Quran. The "Hadith" constitutes teachings that are directly related to the life of man in all its detail, to become a way of life rather than a mere canonical religion of a prosaic pattern. In the Holy Quran it states:-

> "O ye who believe, Obey Allah and obey the Messenger ..."
> (Surat Al-Nisa, Iv, 59).

> "And obey Allah and His Messenger if ye do believe".

> "O ye who believe, Obey Allah and His Messenger, and turn not away from him when ye hear (him speak).
> (Surat Al-Anfal, VII, 1,20)

> "And take what the Messenger assigns to you and deny yourselves that which he forbids you. And fear Allah, for Allah is strict in punishment.
> (Surat Al-Hashr, Lix, 7).

These Quranic quotations indicate that Allah has directed all Muslims to obey the Messenger of Allah just as adherently as they obey the words of Allah. The fact that the Holy Quran has been Divinely preserved, and that the Honorable Hadith have been meticulously and very carefully documented, gives the conclusive evidence that the message of Islam in the words of the Holy Quran and annexed by the Hadith is the final universal message to all mankind. This message includes within its doctrines and teachings all the doctrines and teachings that came about on the tongues of other Prophets prior to Muhammad (prayers and peace from Allah be upon him) and all the other Prophets before him. Every Prophet was ordained with guidance to a particular group of people. The Prophet Muhammad was sent with guidance to mankind and Jinn at large to worship Allah. He is the seal of all Prophets and Apostles of Allah, and no other Prophet will succeed him. In this context, the Holy Quran States:

> "Muhammad is not the father of any man among you, but the messenger of Allah and

in the endless well, and the more he digs the more he learns. This category of men with all our tribute and respect to them are not the subject of this treatise, they are mentioned as men gifted with intellegence and wisdom to search and pronounce the creation of Allah. With their search and wisdom, they have certainly affected changes in the life of man over history, and will continue to affect that change.

The second category of the two groups are the Messengers and Prophets of Allah. Prayers and peace from Allah be upon them all. These men were selected and chosen, they were ordained and destined to carry the messages Allah to mankind. These Messengers and Prophets influenced human life in its totality by their eternal teachings and personal example of their life and conduct. They taught the essential core of Tawhid, the essence of man's recognition of the Oness of the Creator. They preached virtue and goodness, purified man's soul from evil and suffering. They attained a total change of the entire system of human existance and structure. They established codes and formulations for the moral, social, economic, political, wellfare aspects of man's life. These Messengers and Prophets brought forth the Light of guidance from Allah the Creator of the whole universe and beyond, to the life of mankind on earth. Man the viceregent of Allah on earth has received the elements of enlightment and guidance, the landmarks of discipline and dignity from Allah on the hands of these Messengers and Prophets.

Muhammad Ibn Abdullah the Messenger of Allah and the Prophet of Islam is the last of these Prophets. The complete unbridged record of his life, conduct, teachings, sayings "Hadith" and his guidance remains extensively available and precisely documented. Muhammad the Prophet of Islam (prayers and peace from Allah be upon him) is the only man in history whose entire life is totally archived and chronicled in detail. He is the only man in history whose sayings "Hadith" are very scholastically classified, arranged categorized, revised and interpreted. The "Hadith" of the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah be upon him) have been subject to meticulous scrunity and optimization of authentic true referencing and documentation. The "Hadith" in the Islamic creed

COMMEMORATION OF THE PROPHET'S BIRTH

BY :
Nasr El - Dein Abdel - Fattah Sholkamy

Praise be to Allah and prayers and peace be to our Prophet Muhammad Ibn Abdullah Ibn Abd- Al-Mutaleb, and upon his kins, companions, followers and callers of his message of Islam. The last of the Prophets of Allah, the Messenger of the message of Islam, and the bearer of the Revelation of the Holy Quran. The final eternal message to mankind at large, to light the path to human excellence, goodness and distinction.

The history of mankind has witnessed the lives of hundreds of great men who have achieved greatness and left their imprints on the pages of history, and have influenced the lives of human populations in some aspect or another. the majority of these men of greatness left the scene of life, and with their death came the gradual decay of their thought, reputation and the once renouned fame. These men left behind nothing permanent in the form of personal example or teachings. These men were great whilst they existed to maintain their greatness, once they passed away, very little was left behind to affect the totality of human life.

Two groups of those men of greatness have achieved greatness by affecting a change in human life in its totality. These two groups of great men are the scientists and men of wisdom, and the Prophets of Allah to mankind.

The first category of the two groups, namely, the scientists and men of wisdom have been defined in the Holy Quran as those that have been endowed with superb mastery of thought and perception to recognise Allah's presence through the knowledge of their sciences. With this recognition as fundamental, they perceive the true realms of creation with its infinite bounderies of knowledge, and achieve wisdom by their realization that Allah's creation is ever beyond human reach. Man digs

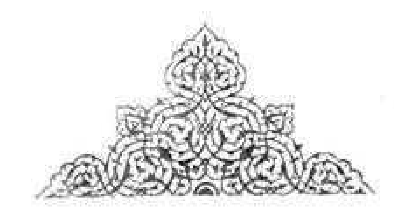
The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) stressed several times the need to make perfection one's aim in every worldly performance and several Hadith indicate that this aim must be unworldly and detached. To be ready to depart is to be detached. The famous guidance of wisdom after the Prophet "Do for this world as if to live for ever and for the Hereafter as if to die upon the morrow". "Be in this world as a stranger or as a passer-by.

The "Zakat" was prescribed at the end of the nineth year of Hijrah by a Revelation of the Holy Quran.

> "Alms are for the poor and the needy, and those employed to administer the funds; for those whose hearts have been reconciled; for those in bondage, and in debt; in the cause of Allah, and the wayfarer. Thus is it ordained by Allah. And Allah is All-Knowledgable and Wise.
> (Surat Al-Tawbah, IX, 60).

When the last month of Zu Al-Hija came, the time of Pilgrimage was on, and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) appointed Abu-Bakr to take charge and perform Pilgrimage with the people.

Prayers and peace be upon our magnanemous prophet.



understanding of those who newly entered the new creed. Ali Ibn Abi Taleb, Muaz Ibn Jabal, Abu Moussa Al-Ashaary and Khalid Ibn Al-Waleed were delegated to go to various parts of Yemen with directives and counselling. It is related that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) walked on foot to accompany Muaz to the outskirts of Al-Madinah while Muaz was mounted, explaining to him how to summon for Islam. Uyainah Ibn Hisn was sent to Bani Tamim; Rafei Ibn Makieth to Guhaynah; Amre Ibn Al-Aas to Fazara. Others were commissioned to go to other tribes to collect the "Zakat"

Gradually, all the tribes of the whole Arab peninsula ranged themselves round the standard of Islam. Whole tribes proclaimed their fealty and allegiance to Islam collectively. The revelation of the Holy Quran documented this crescendo of pan-islamization which lasted literally during the nineth and tenth years of Hijrah.

> "When comes the triumph of Allah and victory and thou dost see the people enter Allah's religion in crowds.
> Then celebrate the praises of thy lord, and ask for His forgiveness. He is oft returning in grace and mercy.
> (Surat Al-Nasr, CX, 1,2,3).

Every man should humble himself before Allah, and confess his human frailities and seek Allah's grace; attributing any success not to his own merits but to Allah's mercy and grace and to ask forgiveness.

Amidst all this exaltation and glorification came the illness of Ibrahim, the Prophet's son from Mariyah. It was clear that he would not survive. He was tended by his mother and her sister Sirin. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) visited him continually and was with him when he was dying, and assured them that Ibrahim would be in paradise. Funeral prayers and burial were attended.

person of Jesus. The Revelation came to resolve the matter.

> "The similitude of Jesus before Allah is as that of Adam. He created him from dust, then said to him "Be", and he was.
> "The Truth comes from God alone so be not of those who doubt".
> "If any one disputes in this matter with thee; now after knowledge hath come to thee; say "Come, let us gather together, our sons and your sons, our women and your women, ourselves and yourselves. Then let us earnestly pray and invoke the curse of God on those who lie"
> (Al-Imran, III, 59,60,61).

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) explained the high position of Jesus as a Prophet refuting the dogma that he was God or the son of God. If he was born without a human father, Adam was without a human father or mother. Our physical bodies are dust. The real greatness of Jesus arose from the divine will and command "Be", after that he was ordained a prophet, spiritual leader and teacher. The Christian embassy from Najran were highly impressed on hearing this passage of the Revelation, however, ingrained habbits and customs prevented them from accepting Islam as a body of faith. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) firm in his faith proposed the solemn gathering for supplication to Allah to invoke the curse on those who should lie. The Christians declined and they were dismissed in a spirit of tolerance with a promise of protection from the Muslim state in return for a tribute.

The deputations from all other tribes were very conclusive in accepting Islam, and submitting with free will to the teachings of the Holy Quran. They returned to their tribes carrying within their hearts and minds the Light of faith, condensations of belief and the elements of guidance. The Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) commissioned from his companions to accompany the deputations back to their home to instruct them and their tribes in the teachings, requirements and jurisprudence of Islam. Such an action was a necessity to establish the faith of Islam in the belief and

Not all the deputations were conclusive, the chieftain of the Bani Amir, Amir Ibn Tufayl was an arrogant man who retained his hatred to Islam. Under pressure from his tribe, he came to Al-Madinah. In return of his Islam, he requested to succeed the Prophet as the guardian of Islam. When he was refused that request, he turned away threatening to go against Islam. When he had gone, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) prayed to Allah to guide Bani Amir, and rid Islam of Amir Ibn Tufayl. Amir died on the way home. The tribe of Bani Amir sent another delegation and an agreement was reached after they accepted Islam.

The delegation of Bani Hanifah came to Al-Madinah and with them was Musaylamah Ibn Habib Ibn Thumamah from Bani Hanifah. The envoys met with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and accepted Islam. When they arrived at their homes at Al-Yamamah, Musaylamah reverted, and claimed that he had been made partner in prophecy, and received the revelation from heavens. He allowed adultery, debauchery, usury, drukedness, and ordered his followers not to pray. He critisized the teachings of Islam and professed amendments. His expert practice of magic, sorcery and witchcraft impressed most of Bani Hanifah to believe and follow him. Musaylamah sent two messengers to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) with a message stating that he had been ordained partner in prophecy and was entitled to own half the domain. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him answered "From the Messenger of Allah to Musaylamah the liar; greetings upon him who follows the guidance; "For the earth is Allah's to give as heritage to such of this subjects as he pleaseth; and the end is best for the righteous". (Surat Al-Araf, VII, 128). Eversince, Musaylamah has been called "Musaylamah the Liar". Musaylamah the liar commanded Bani Hanifah as renegades against Islam. He was killed during the wars against the renegades at the time of Abi Bakre.

The Christians of Najran appointed sixty delegates to arrange a pact with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). They were of the Byzantine rite from whom they received rich subsidies. The delegates were received in the mosque where they were allowed to perform their prayers facing the east. During the audiances they had with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) several points of doctrine were discussed. There was some disagreement concerning the

THE DEPUTATIONS TO AL - MADINAH

BY :
Dr. Anas Moustafa El - Naggar MD, PHD

In the name of Allah most Gracious most Merciful.

The conquest of Macca, the victory at Hunayn and the expidition to Tabouk resulted in the pan-islamization of the leading Arab tribes of the koraysh, the Hawazen, followed by the Thaquif.. The other Arab tribes recognised the undisputed mastery and influence of the Muslims and hereby reconsidered seriously their standing in the light of the new power structure of the Arab peninsula. The propagation and surge of the new creed of Islam had become well established beyond any regression. The voice of reality, truth, human rights, justice inherent in the teachings of Islam, prescribed by the Revelation of the Holy Quran; began to find acceptance in the hearts of people, and the curtain of stubborn antagonism to Islam was gradually lifting.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) remained at Al-Madinah after his return from Tabauk, and there the delegation from the Thaquif came to submit and accept Islam. The tribe of Thaquif was not the only tribe to send envoys; several other tribes from all over the Arab peninsula came to Al-Madinah to proclaim Islam. It is beyond the precept of this text to discuss the details of these delegations, some texts have included extensive analysis of the subject including the names of eighty tribes. Amongst these were delegations from the tribes of Muzainah, Assad, Tamim, Murrah, Thalaba, Muhareb, Kalaab, Kenanah, Ashga, Sulaym, Rabieah, Hanifah, Shayban, Taii, Kindah, Bahrah, Guhaynah, Jurm, Ghassan, Hamdan, Ashaary, Daws, Thumalah, Aslam and Najran. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) gave time to attend and listen to these delegations, replied cordially and stressed the obligations of Islam.

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Rabie Al-Awal, 1407

Vol., 59. Part III

CONTENTS

Preparation of Prints - Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION



حمل كل منهم هذا الاسم الكريم .. « محمداً » وتسمى به ، وكان صاحباً لرسول الله - ﷺ ، وامتازوا على سابقيهم بالاسلام «١» .

هؤلاء السابقون الذين حملوا هذا الاسم الكريم على أمل أن يَحْظَوْا بالنبوة ، وشاء الله أن يموتوا على « الجاهلية » وباءت أمانى آبائهم بالخذلان كما باءت أمانى أهل الكتاب ، فلم يكن رسول الله - ﷺ وسلم - من هؤلاء ولا هؤلاء ، وضاق أهل الكتاب بإرادة السماء فأسرعوا يخفون من الكتاب دلائل النبوة فى رسول الله ﷺ .. وهيهات فقد بقيت واضحة ..

«١» انظر افتتاحية ربيع الأول ١٤٠٧ .





مجلة
شهرية
جامعة

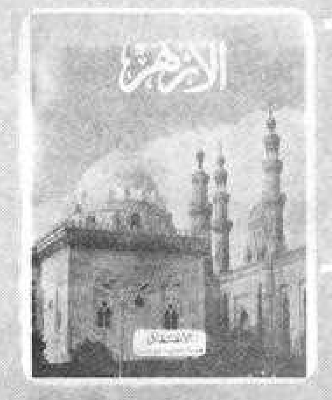
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان :
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف



● الجزء الرابع ●
● السنة التاسعة والخمسون ●
● ربيع الآخر ١٤٠٧ هـ ●
● ديسمبر ١٩٨٦ ●

ونزلت ـ فى الناس ـ خيرة الله ـ جل جلاله؟ فاختار محمداً بن عبد الله ﷺ رسولا خاتما « لِئَلاَّ (٢) يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ » .

والمحمدون الأوائل فى الاسلام هم أصحاب هذه الكلمة التى نقدمها فصولا تُوعِبُ سماتهم مكتفين بمن تحقق أورجح لدى علمائنا المحققين أمره فمن أولئكم ـ رضوان الله عليهم ـ من حمل الاسم الكريم جاهلية وإسلاما وهم :

١ ـ **محمد بن مسلمة بن خالد الخزرجى** ، وقد سبق الحديث عنه فى مقالنا السابق .

٢ ـ **ومحمد بن عدى بن ربيعة بن سعد المنقرى** ، رجحه ابن حجر وَرَدَّ فيه إنكار ابن الأثير ، وقد ذكرناه فيما مضى .

٣ ـ **ومحمد بن قيس بن مخرمة** ، وتَرَجَّح عندى صحبته إذ وُلِدَ أبوه فى عام الفيل ، وهو نفس العام الذى ولد فيه رسول الله ـ ﷺ ـ وليس ما يمنع أن يسلم يوم الفتح مع أبيه .. رضى الله عنهما ، وله فى « أسد الغابة » الترجمة رقم « ٤٧٥٧ » والإصابة رقم « ٨٣٠٥ » .

٤ ـ **ومحمد بن قيس بن شُرَحْبيل القرشى** ، ذكره ابن حجر بما أثبته عن ابن القداح : أنه كان من مهاجرة الحبشة ، ولم يذكر الرواة أنه كان حينئذ رضيعا أو طفلا أو صبيا مما يرجح أنه أقدم من ذلك وله فى الإصابة الترجمة رقم: ٧٧٩٥ .

٥ ـ **ومحمد بن الحارث بن حُدَيْج** . وقد سمى بهذا الاسم الكريم فى الجاهلية نلحقه بهذا القسم ـ وإن لم يكن صحابيا ـ لأنه أسلم فى عهد عمر ـ رضى الله عنهما ـ فلم تكن له صحبة ولا رؤية .

أثبته أبو حاتم السجستانى ـ رضى الله عنه ـ وذكر رحلته إلى عمرَ أبو عبيدة مَعْمَرُ بن المثنى وترجم لهابن حجر فى الإصابة رقم « ٨٣٦٦ »[٣]

ثم أولئك قوم من صحابة رسول الله ـ ﷺ تَحَلَّوْا بهذا الاسم الكريم ولم يصحب التأريخ عنهم أمارات ترجح « خضرمة » أصحابها أو نشأتهم فى الاسلام ، وأولئك رضوان الله عليهم .

١ ـ **محمد الأنصارى** : وقد دار هذا الاسم الكريم على أربعة فى الترجمة لدى القوم ذكر مع كل منهم « حديث » تجد طرفا له عند الآخر مما يحمل على الظن بأن « محمد » أو « محمد الأنصارى » أو « محمد الدوسى[٤] » شخصية واحدة ، وقد ترجم لها فى « أسد الغابة » بالأرقام : « ٤٦٩٩ ـ ٤٧٠٠ ـ ٤٧١٩ ـ ٤٧٦٨ » وفى « الإصابة » بالأرقام : « ٧٨٠٦ ـ ٧٨٠٧ ـ ٧٨١١ » . ولا جدال فى ثبوت أحدهم فقد وقع ذكره فى حديث بصحيح مسلم .

« ٢ » والمعنى : ليعلم أهل الكتاب . والآية .. آخر سورة الحديد .

« ٣ » مما يؤسف له أن طبعة الإصابة هذه تعوزها الدقة فى الترقيم فقد عثرنا على أرقام مكررة ، ولم نجد بدا من ذكر الرقم الموجود برأس الترجمة .

« ٤ » وذكر باسم « سعد الدوسى » أيضا .

٢ - **محمد بن بشر الأنصاري** : وترجم له ابن الأثير برقم « ٤٧٠٤ » وذكره ابن حجر فى ترجمته رقم « ٧٧٥٣ » وقال : « يأتى فى الذى بعده » أى فى الترجمة رقم « ٧٧٥٤ » وفيها ذكر أنه ابن « بشير » لابشر ، وقال : ذكره البخارى فى الصحابة ، والرواية عنه فى « الشيماء بنت نُفَيْلَة الأزدية » واحدة فى « أسد الغابة » و « الإصابة » .

٣ - **محمد بن جابر بن غُرَاب** ، كذا بأسد الغابة ، وعند ابن حجر : « عراب[٥] » بمهملة وله بالأولى الترجمة رقم « ٤٧٠٦ » وبالإصابة رقم «٧٧٥٥» .

٤ - **محمد بن سليمان بن رفاعة بن خليفة بن أبى كعب** : ترجم له ابن حجر فى الاصابة برقم « ٧٧٧٠ » مثبتا له عن ابن القداح ، وقال : « شهد أحداً وحضر فتح العراق » فأما "محمد أبو سليمان" المترجم له بأسد الغابة برقم « ٤٧٣٠ » فلم تَثْبُتْ صُحْبَتُهُ وقال أبو نُعَيم فيه : صوابه محمد بن سليمان الكرمانى اهـ وهذا الكرمانى تابعى،وليس هو من أثبته ابن القدّاح ونقله صاحب « الإصابة » .

٥ - **محمد بن صفوان الأنصارى من بنى مالك بن الأوس** - رضى الله عنه -

ترجم له صاحب أسد الغابة برقم « ٤٧٣٤ » وهو صاحب الترجمة رقم « ٧٧٧١ » بالإصابة ، وفى الإصابة ذِكْرٌ لما دار حول اسمه من تقديم وتأخير : هل هو صفوان بن محمد أو محمد بن صفوان ، قال ابن حجر : « والأول أصوب » .. زاد الواقدى - رحمه الله - له كُنْيَةٌ ، فقال : « أبو مرحب : محمد بن صفوان » رضى الله عنه .

٦ - **محمد بن صيفى بن الحارث بن عُبَيد بن غنَان بن عامر بن خَطْمة الأنصارى** - رضى الله عنه . له الترجمة رقم « ٤٧٣٦ » بأسد الغابة ، وله بالإصابة الترجمة رقم « ٧٧٧٣ » وثبت عنه حديث صححه الحاكم وابن خزيمة ، وأثبت هذا الاسم - كذلك - عدا هذين الإمامين محمد بن سعد صاحب الطبقات ، وأبو حاتم ، وأزال أبو حاتم . رضى الله عنه - ماظنه البعض حيث رآه « محمد بن صفوان » صاحب الترجمة السابقة ، فذكر رضى الله عنه : أن محمداً بن صيفى مدنى ، ومحمد بن صفوان كوفى ، أى صحابى أقام بالكوفة ، ويكفى - فى ذلك - ما أثبته أعلام الصحيح كما تقدم ، وثمة قرشى يحمل نفس الاسم وسنعرض له رضى الله عنه .

٧ - **محمد بن علبة القرشى** : رضى الله عنه ، ترجم له ابن الأثير برقم « ٤٧٥٠ » وابن حجر برقم « ٧٧٨٩ » وقد رجح صحبتَه ابنُ الأثير رضوان الله عليه عن ابن مَنْدَهْ حيث وقع للأخير حديث هُبَيْب بن مُغْفل - يخاطب محمد بن علبة القرشى قائلا له : أما سمعتَ رسول الله - ﷺ - يقول - أى فيمن يجر إزاره أو ثوبه خيلاء - : « **من وطئه خيلاء وطئه فى النار** » . ورواه ابن حجر فى الإصابة بنفس الاسناد ، فقال : أما سمعتَ رسول الله - ﷺ - يقول : « **ويل للأعقاب من النار** » قال ابن حجر : وهذا الحديث صحيح السند اهـ وهذا مما يرجح صحبة ابن علبة - رضى الله عنهم - أجمعين .

« ٥ » وهنا نصطحب ماسبق ان اشرنا إليه من عدم الدقة فى طبعة الإصابة .

٨ ـ **محمد بن أبى عَمِيَرةَ المُزَني** ـ رضى الله عنه أثبته البخارى وقال : له صحبة ، وأَوْرَدَهُ البغوى فى ترجمة « محمد » ترجم له ابن الأثير برقم [٤٧٥٤] وابن حجر برقم [٧٧٩٢] .

وذكر له ابن الأثير حديثا عن جُبَير بن نُفَير ـ رضى الله عنهما ـ ذكره كذلك ابن حجر وأورد له حديثا آخر قال الإمام البغوى عنهما : لاأَعْلَمُهُ روى غير هذين الحديثين .

٩ ـ **محمد بن نضلة بن عبد الله بن مُرَّة بن كبير بن غَنْم الأسدى** رضى الله عنه.ترجم له ابن الأثير برقم « ٤٧٦٤ » ومن هذه الترجمة استكملنا نسبه من أخيه(مُحرز)المترجم له بأسد الغابة برقم « ٤٦٨٥ » وترجم له فى الإصابة برقم « ٧٨٠١ » قطع ابن الأثير به فقال « هاجر هو وأخوه محرز إلى رسول الله ـ ﷺ.قال محمد بن إسحاق : وممن هاجر إلى رسول الله ﷺ ـ محمد ومحرز ابنا نضلة » أ هـ .

وكذا ترجم له ابن حجر ، وهو أسدى،لا أنصارى من أهل المدينة؛ولذا عقب ابن حجر على كلمة (الأنصارى) بأنها وَهْمٌ ممن ذكرها .

١٠ ـ **محمد بن أبى دُرَّة الأنصارى** ـ رضى الله عنه .

أثبته ابن حجر فى الترجمة رقم « ٧٧٦٥ » ذكر ابن شاهين عن ابن أبى داود عن ابن القداح ـ رضى الله عنهم ـ قال ابن القداح : « صحب النبى ﷺ وشهد فتح مكة »أ هـ .

١١ ـ **محمد بن عبد الله بن مَجْدَعة الأنصارى** ـ رضى الله عنه .

أَوْرَدَهُ ابن شاهين عن ابن أبى داود عن ابن القدّاح ، وذكر ابن القداح أنه شهد بيعة الرضوان والمشاهد بعدها ، وكان فى الحرس يوم بنى قريظة ترجم له فى الإصابة برقم « ٧٧٨٣ » ..

١٢ ـ **محمد بن عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف القرشى** ـ رضى الله عنهما ذكره البلاذرى وغيره فى أولاد عبيدة ـ رضى الله عنه .

ويثبته أن والده « عبيدة » كان من السابقين فى الإسلام ، واستشهد يوم بدر ، ويعنى ذلك وجود محمد ـ رضى الله عنه ـ قبل مقتله .

ترجم له فى الإصابة برقم « ٧٧٨٥ » .

١٣ ـ **محمد بن النضر بن الحارث بن علقمة بن كَلَدَة بن عبد مناف بن عبد الدار** ـ رضى الله عنه كان يلقب « المرتفع » . أثبته ابن حجر فى الاصابة رقم « ٨٣٠٨ » .

١٤ ـ **محمد الكنانى** ـ رضى الله عنه .

كذا أثبته أبو حاتم الرازى ، وقال : رأى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وترجم له ابن حجر برقم « ٨٣٠٩ » .

أولئك ـ رضوان الله عليهم ـ كل من تأكد وجوده أو رجح وقد ضربنا صفحا عن غيرهم ممن لم يثبت المحققون أو يتأكد لنا وجوده فى هذا الفصل الذى عنيناه . وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

د. على أحمد الخطيب

دراسات إسلامية

الدعاء بأسماء الله الحسنى

تفسير الطبري بين اتجاهين

بهائية جديدة في ثوب مسيحي

الدعاء

بأسماء الله الحسنى

قال الله تعالى فى سورة الأعراف ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

البيان

سبب نزول هذه الآية - كما قال مقاتل وغيره من المفسرين - أن رجلا من المسلمين كان يقول فى صلاته : « يارحمن يارحيم » .

فقال رجل من المشركين بمكة : أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون ربا واحدا ، فما بال هذا يدعو ربين اثنين ، فأنزل الله سبحانه « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها » .

فهذه الألفاظ المتعددة أسماء مسماها واحد هو الله تعالى - كما يطلق على الواحد أكثر من اسم - أو صفات لموصوف واحد هو الله تعالى - كما يكون للشخص الواحد صفات متعددة ، وليست كما زعم الجاهلى آلهة متعددة .

وكان أهل الجاهلية يدعون اللات والعزى ومنات وغيرها ، فأمر المسلمون أن يدعوا الله بأسمائه الحسنى ، ويتركوا هؤلاء المشركين ومزاعمهم فجزاؤهم على الله تعالى .

وقد ورد فى حديث متواتر « إن لله تسعة وتسعين اسما - مائة إلا واحدا - من أحصاها دخل الجنة » .

ومعنى (أحصاها) عدها وحفظها وذكر ما يشاء منها فى أدعيته ، وليست أسماء الله مقصورة على هذا العدد عند بعض الأئمة ، فقد ذكر القرطبى فى كتاب له اسمه (الكتاب الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى) - ذكر - أكثر من مائتى اسم ، لكن المتفق عليه منها هو تسعة وتسعون ، وما عداها مختلف فيه .

وقد جاء فى حديث نبوى حصرها فى تسعة وتسعين كما يلى :

« **هو الله لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور ، الغفار القهار الوهاب الرزاق**

بقلم الشيخ
مصطفى الحديدى الطير

الفتاح ، العليم القابض الباسط ، الخافض الرافع المعز المذل ، السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير ، الحليم العظيم الغفور الشكور ، العلى الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل ، الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم ، الودود المجيد الباعث الشهيد ، الحق الوكيل القوى المتين الولى الحميد ، المحصى المبدىء المعيد المحيى المميت الحى القيوم ، الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر ، المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن ، الوالى المتعال البر التواب المنتقم العفو الرءوف ، مالك الملك ذو الجلال والاكرام ، المقسط الجامع الغنى المغنى ، المانع الضار النافع النور الهادى ، البديع الباقى الوارث الرشيد الصبور » .

ولفظ الجلالة هو علم على الذات الأقدس ـ جل وعلا ـ والراجح أنه اسم الله الأعظم ، ولا يصح اطلاقه على غيره تعالى وهناك اسماء أخرى لا يصح اطلاقها على غيره تعالى كالرحمن والمحيى المميت ، وما يجوز اطلاقه على غيره كالرحيم والكريم .

وأكثرها يباح ذكره وحده ، وبعضها لا يذكر وحده كالمميت والضار ، فلا يقال يامميت ياضار ، بل يقال : يامحيى يامميت ، ياناقع ياضار .

ويقول الألوسى : والذى أراه أنه لا حصر لأسمائه ـ عزت أسماؤه ـ فى التسعة والتسعين ، ويدل على ذلك ما أخرجه البيهقى عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « من أصابه هم أو حزن فليقل : اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتى فى يدك ، ماض فىَّ حكمُك ، عَدْل فىَّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبى ، ونور صدرى ، وذهاب همى وجلاء حزنى » الحديث ، وهو صريح فى عدم الحصر .

وحكى محيى الدين النووى اتفاق العلماء على ذلك ، ثم نقل عن بعضهم أنه أوصلها إلى ألف ، وعن بعض آخر إلى أربعة آلاف .. اهـ .

أما ما جاء فى الحديث السابق من أن « لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة » فهو من باب التيسير على الناس ، فليقتصروا عليها حتى لا يسيئوا فى استعمال الأسماء ، فإنها توقيفية وقد وصف الله أسماءه بالحسنى ، فهى أحسن الأسماء ، لتضمنها أحسن المعانى ، وقد طلب الله من المؤمنين أن يدعوه بها ، ويتركوا الذين يلحدون فى أسمائه ، أى يميلون بها وينحرفون عن الحق إلى الباطل .

ودعاؤه بأسمائه الحسنى ، أن يدعوه مع كل اسم بما يناسبه من الدعاء ، كأن يقول : يارحيم ارحمنى ، ياحكيم احكم لى ، يارازق

ارزقنى ، ياتواب تب علىَّ ، فإن دعوت باسم عام قلت : يامالك ارحمنى ، ياعزيز احكم لى ، يالطيف ارزقنى ، فإن دعوت بالاسم الأعظم - الله - فهو صالح لكل دعاء .

ولا تقل : يارازق اهدنى .

قال ابن العربى : وهكذا رتب دعاءك تكن من المخلصين والالحاد فى أسمائه تعالى يكون بالتغيير فيها - كما فعله المشركون - وذلك أنهم عدلوا بها عمَّا هى عليه ، فسموا بها أوثانهم ، فاشتقوا اللات من الله ، والعزى من العزيز ، ومناة من المنان - قاله ابن عباس وقتادة .

ومن الالحاد بها زعمهم أنها لمتعدد كما سبق بيانه فى أسباب النزول ، والزيادة فيها بغير توقيف من الكتاب أو السنة ، كقول أهل البادية : ياأبا المكارم ياأبيض الوجه ياسخى ، ومن الالحاد فيها النقص عما علم منها ، وأشده تجريده تعالى من الصفات - كما يقوله المعطلة والمقصود من قوله تعالى « وذروا الذين يلحدون فى أسمائه » الوعيد ، كقوله « ذرنى ومن خلقت وحيدا » وقوله « ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون » ويدل على ذلك ختم الآية بقوله « سيجزون ما كانوا يعملون » .

هل يَردُّ الدعاء القدر ؟

قد يقول قائل : إذا كان الأمر المطلوب فى الدعاء مقدورا تحقيقهَ فى علم الله ، فما فائدة الدعاء ، بالنسبة له - وهو أمر سيقع ولابد - وإن لم يكن مقدورا حصوله فإن الدعاء لا ينفع فيه ، لأن الدعاء لا يرد القدر ، فإن عِلْمَ الله لا يتخلف .

والجواب أن الدعاء ينفع فيما جعله الله أزلا مترتبا عليه كترتب الشفاء على استعمال الدواء ، فلابد من حصول الدعاء ليحصل المطلوب به .

ولهذا الاشكال سألت الصحابة رسول الله ﷺ فقالوا (أرأيت أعمالنا هذه أهى شىء قد فرغ منه ، أم هى أمر يستأنفه الله تعالى

فقال : « **بل هى شىء قد فرغ منه** »

فقالوا : **ففيم العمل إذن**

فقال « **أعملوا فكل ميسر لما خلق له** »[1]

واعلم أنه سبحانه يحب من عبده أن يسأله جازما ، قال ﷺ « **لا ينبغى أن يقول أحدكم** : **اللهم اغفر لى إن شئت ، ولكن يجزم ويقول** : **اللهم اغفر لى** »[2] .

ويكفى للدلالة على فضل الدعاء ، قوله ﷺ « **الدعاء مُخُّ العبادة** »[3] وذلك لما فيه من تفويض الأمر له سبحانه ، والاعتراف بأن مرد الأمر إليه وحده .

---

[١] الحديث أخرجه الإمام أحمد فى مسنده - من حديث أبى الدرداء رضى الله عنه - ج ٦ ص ٤٤١ طبع دار الفكر بيروت بلفظ : عن أبى الدرداء قالوا يارسول الله : أرأيت ما نعمل أمر قد فرغ منه ، أم أمر نستأنفه ؟ قال : بل أمر قد فرغ منه قالوا : كيف بالعمل يارسول الله ؟ قال : « كل امرىء مهيأ لما خلق له » .

[٢] الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه - كتاب التوحيد - باب : قول الله تعالى : إنما قولنا لشىء .. إلخ ج ٩ ص ١٧١ بلفظ : عن أبى هريرة عن النبى ﷺ - قال : « لا يقل أحدكم اللهم اغفر لى إن شئت ، ارحمنى إن شئت ، ارزقنى إن شئت ، وليعزم مسألته ، انه يفعل ما يشاء ، لا مكره له » .

[٣] الحديث أخرجه الترمذى فى سننه - كتاب الدعاء - باب : ما جاء فى فضل الدعاء ج ٥ ص ٤٥٦ رقم ٣٣٧١ بلفظه عن أنس . وقال الترمذى : حديث غريب من هذا الوجه ، لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة .

وحسبك للدلالة على أهميته أنه تعالى يغضب من عبده إذا نزلت به شدة فلا يدعوه ، قال تعالى ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

واعلم أنه لابد من أن يكون للدعاء أثر ، فإما أن يسعف الله الداعي بما طلب ، إن وافق القضاء والقدر ، وإما أن يشرح الله صدره ويلهمه الصبر ، فيسهل عليه احتمال البلاء ـ إذا لم يصادف دعاؤه القضاء بتحقيقه .

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « **دعوة المسلم لا ترد إلا لإحدى ثلاث ـ ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ، إما أن يعجل له في الدنيا ، وإما أن يدخر له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء بقدر ما دعا** » .

الأمة الهادية بالحق

وقد عَقَّبَ الله هذه الآية بقوله ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ .

والمراد بهذه الأمة أمة الاسلام ، فقد قال ﷺ « **هم هذه الأمة** » أخرجه ابن جرير وغيره عن ابن جريج .

وروى الشيخان بسندهما عن معاوية والمغيرة ابن شعبة قالا : قال رسول الله ﷺ « **لا تزال من أمتى أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك** » .

وقد تضمنت الآية والحديث أن أمة محمد ـ ﷺ ـ ستظل تهدى إلى الحق بالحق ، وبه يعدلون إلى أن تقوم الساعة ، وأن جماعة كثيرة منها ستبقى على هذا المنهج ، ولو خالفهم غيرهم وتخلى عنهم سواهم .

واستدل الجبائى بالآية على صحة الاجماع في كل عصر ، سواء في ذلك عصر النبى ـ ﷺ والصحابة ـ رضى الله عنهم ـ وغيره ،إذ لو اختص لم يكن لأمره فائدة ، لأنه معلوم ، وعلى أنه لا يخلو عصر من مجتهد إلى قيام الساعة ، لأن المجتهدين هم أرباب الاجماع :

فإن قيل : إن ذلك مخالف لما روى عنه ﷺ « **لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق** »[4] « **ولا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض : الله ، الله** »[5] **والجواب أن ذلك الزمن ملحق بيوم القيامة ، لصاحبته له ، والمراد عدم خلو العصر من مجتهد فيما عداه وقيل المراد من الحديثين الاشارة إلى غلبة الشر ، فلا ينافى وجود القليل مِمَّن يهدون بالحق وبه يعدلون ، والله تعالى هو الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآب .**

---

[٤] الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب الفتن ـ باب : قرب الساعة ج ٤ ص ٢٢٦٨ رقم ١٣١ ط الحلبى من رواية عبد الله بن مسعود .

[٥] الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب : ذهاب الإيمان آخر الزمان ج ١ ص ١٣١ رقم ٢٣٤ ط الحلبى عن أنس .

تفسير الطبرى

فى اتجاهين

يقول الدكتور أحمد الشرباصى فى كتابه « قصة التفسير(١) » •

« والكثيرون على أن أعظم كتاب يضم المأثور من التفسير هو تفسير : (محمد ابن جرير الطبرى) •

المتوفى سنة عشر وثلثمائة وهو يعد حجر الأساس فى أدب التفسير القرآنى، وفيه بذور « لابداء النظر فى التفسير ، وفتح للباب أمام أعمال الرأى فى التفسير » •

وما قاله الدكتور الشرباصى دقيق فى بابه ، لأن قوله : « ان الكثيرين على أن أعظم كتاب يضم المأثور هو كتاب الطبرى » صحيح من ناحية أن هذا التفسير الكبير جمع أقوال السابقين ممن تقدموه فى هذا المضمار ، وضاعت آثارهم فتكفل الطبرى بتدوينها ، وتلك ميزة جليلة جعلت كتابه العظيم مصدرا زاخرا يجمع أقوال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأقوال الصحابة ومن تبعهم بأحسان فى هذا المجال الربانى من تفسير كلام العزيز الحميد ، فهو فى هذا المجال بمثابة كتاب سيبويه فى النحو ، اذ جمع ما قيل قبل عصر التدوين ، وأصبحنا نعرف آراء من تقدمه من أعلام النحاة من كتابه ، ولولاه ما عرف ما قال عيسى بن عمر، ويونس بن حبيب ، والخليل ، والأخفش الكبير، ويزيد على كتاب سيبويه بأن نهج الطبرى فى تفسير كتاب الله قد احتذاه نفر كثير ممن تلوه من أعلام التفسير ، أما نهج سيبويه فقد التزم الكزازة فى التعبير حتى احتاج الى شروح كثيرة ، ولا يقرؤه بفهم واستبصار غير ذوى العزم ، اذ كانوا يقولون لدارسه : هل ركبت البحر ؟

وقد قال الشرباصى : « ان تفسير الطبرى فيه بذور لابداء النظر ، وفتح للباب أمام اعمال الرأى فى التفسير » • وكلمة بذور تشير الى الحظ القليل من الرأى • وهو ما كشف البحث الدائب فى هذا التفسير عن خلافه ، اذ شاع عنه دون بحث أنه كتاب التفسير بالمأثور تبعا لما ذكره العلامة ابن خلدون فى مقدمته ، فظن الدارسون أنه يقتصر على المأثور وحده ،وكانت مخطوطاته ضئيلة بين أيدى الناس ، فلم يقفوا على منهجه ، حتى أذن الله بوجود نسخة كاملة

---

(١) « قصة التفسير » للدكتور احمد الشرباصى ص ٧٥ .

منه بالمملكة العربية السعودية منذ قريب ، فتهيأت الوسائل لطبعه ، ووقف الدارسون على منحاه اذ ظهرت الطبعة الأولى فى أوائل هذا القرن .

يقول الأستاذ محمد الفاضل بن عاشور(١) « وبهذه الطريقة ــ طريقة المناقشة ، واستخلاص مايراه من الاتجاه الصائب فى التفسير ــ أصبح تفسير ابن جرير الطبرى تفسيرا علميا ، يغلب فيه جانب الأنظار غلبة واضحة على جانب الآثار » .

فابن خلدون قد ذهب الى أنه تفسير أثرى فحسب ، وتابعه فى ذلك أكثر من كتبوا فى مضمار التاريخ التفسيرى ، والشرباصى يقول انه يحوى البذور لابداء النظر فى التفسير ، وفتح الباب أمام اعمال الرأى ، وابن عاشور التونسى يقول ان جانب النظر يغلب فيه غلبة واضحة على جانب الآثار والكتاب بأيدينا فلماذا نجد فيه ؟

تحقيق وتتبع

أما أن كتاب الطبرى يجمع المأثور فهذا ما لا شك فيه ، فأنت تجده يحشد كل ما صحت نسبته لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكفى به مفسرا لا سبيل الى الحيدة عما قال مما صحت نسبته اليه ، كما يجمع ما ذكره عبد الله بن عباس ، وتلاميذه ، وما روى عن ابن مسعود وعلى بن أبى طالب وأبى بن كعب ، وما استفاده من تفسير ابن جريج ، والسدى ، وما ذكره ابن اسحق ، ولعل ياقوت الحموى قد قارب الصواب حين قال :(٢) ببعض التصرف « ذكر أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من تابعى التابعين ، وكلام أهل الاعراب من الكوفيين والبصريين ، ومجملا من القراءات ، والكلام فى الناسخ والمنسوخ ، وأحكام القرآن والخلاف فيه ، والرد عليهم ــ (على أصحاب الخلاف) ــ من كلام أهل النظر ، فيما تكلم فيه أهل البدع ... وذكر فيه من كتب التفاسير المصنفة عن ابن عباس خمسة طرق ، وعن سعيد ابن جبير طريقين ، وعن مجاهد بن جبير ثلاثة طرق ، وعن قتادة بن دعامة ثلاثة طرق ، وعن الحسن البصرى ثلاثة طرق ، وعن الضحاك ابن مزاحم طريقين ، وعن عبد الله بن مسعود طريقا ، وتفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وتفسير ابن جريج وتفسير مقاتل بن حيان سوى ما فيه من مشهور الحديث عن المفسرين وغيرهم ، ولم يتعرض لتفسير غير موثوق به .

وكان اذا رجع الى التاريخ والسير والأخبار حكى عن ابن السائب والواقدى ، كما رجع للكسائى والفراء والأخفش وقطرب وغيرهم مما يقتضيه الكلام عند حاجته وربما لم يسمهم اذا ذكر شيئا من كلامهم » .

(١) « التفسير ورجاله » لابن عاشور ص ٣٦ .

(٢) « معجم الأدباء » ج ١٨ ص ٦٤ .

فالطبرى بهذه المادة المستفيضة قد جمع المأثور عن سابقيه ، ولكن الرجل عالم فقيه مؤرخ قراء ذو نظر فى علم الكلام ولم يقف عند عرض ما تقدم به السابقون من الأقوال بل ناقش وجادل وخاصم ونفى وأثبت ، وأبطل وأحق ، وصال بالأثر النقلى ، والدليل العقلى ، وحارب أهل الأهواء والبدع محاربة صارمة ، وهو بهذا الخوض السابح فى كل مجال صاحب نظر ورأى !

فنحن أميل الى ترجيح ما قاله الأستاذ ابن عاشور من أن جانب النظر يغلب فيه غلبة واضحة على جانب الآثار لأن الكتاب بأيدينا ، وفيه ما يدل على استقلال المفسر الكبير ، وسطوعه بالرأى المؤيد بالدليل ، واذا كان لكل كتاب ما يؤاخذ عليه حين يستند الطبرى الى بعض الاسرائيليات ، وحين يروى بعض ما ضعف من الأخبار دون مناقشة اكتفاء بذكر السند ، وحين يعجله السرد عن استيفاء كل الأدلة لبعض الأحكام الشرعية ، فالرجل انسان لابد أن يؤخذ من أقواله ويترك ، وحسبه أنه بذل الجهد الجاهد لا فى مجال التفسير وحده بل فى مجالات كبار !! وقد عاش فى القرن الثالث ، وهو قرن كثر فيه المد العلمى فى كل اتجاه ثقافى، وتعددت به المذاهب ، وانتشرت أقوال أصحاب البدع والأهواء ، وكل هؤلاء يستشهدون بكلام الله على وجهه تارة ، وعلى غير وجهه تارات ، ولابد للمفسر الكبير أن يقذف بالحق على الباطل ، وأن يكشف الرغوة عن الصريح .

فالطبرى — رحمه الله — يبدأ فى تفسيره بذكر الآية الكريمة ، فيفسرها بما ينطق به المدلول الصريح ، ثم يذكر ما قيل فيها مدعما بسنده الى الرسول أو الصحابى أو التابعى ، واذا كانت الآية ذات أقوال متعددة ذكر هذه الأقوال باسنادها ، واختار ما رجح لديه بالدليل ، وعقب على مالا يرتضيه بما يدل على مكان الضعف ، وذكر أوجه الاعراب ، وما يمت الى القراءات ، واستنبط من الأحكام ما يشير اليه النص .

يقول الدكتور الذهبى(١) : (ثم هو لا يقتصر على مجرد الرواية ، بل نجده يتعرض لتوجيه الأقوال ويرجح بعضها على بعض ، كما نجده يتعرض لناحية الاعراب وان دعت الحال الى ذلك ، ويستنبط الاحكام التى يمكن ان تؤخذ من الآية مع توجيه الادلة ، وترجيح مايختار .

(أمثلة مختارة)

ونسوق ثلاثة أمثلة فى مجالات مختلفة ، هى مجالات النحو والفقه وعلم الكلام لنرى منحى المفسر الكبير فى النقاش وندرك أنه كان رأسا فى كل مايخوض به مما له مساس بكلام النحو .

١ — ففى مجال النحو — نذكر بعض الاختصار دائما — ماسطره فى تأويل قول الله عز وجل :

« **قَالَ سَآوِى إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ** (٢) » .

(١) « التفسير والمفسرون » ج ١ ص ٢١٠ .

(٢) « تفسير الطبرى » ج ١٢ ص ٢٨ سورة هود الآية ٤٣ .

قال الطبرى : اختلف أهل العربية فى موضع (من) فى هذا الموضـــع ، فقـــال بعض نحويى الكوفة ، هو فى موضع نصب لأن المعصـــــوم بخلاف العاصم ، والمرحـــوم معصـــوم ، كأن نصبه بمنزلة قوله :

« وَمَالَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ » ومـــن استجاز (اتباع الظن) والرفع فى قوله

وبلـــــــــدة ليس بها أنيس
الا اليعـــافير والا العيس

لم يجزله الرفع فى من ، اذ لايجوز لك فى وجه أن تقول المعصوم هو عاصم فى حال ، ولكن لو جعلت العاصم فى تأويل معصوم لجاز رفـــــع من ، ولاينكر أن يخرج المفعول على فاعل ، ألا ترى قوله (من ماء دافق) معناه والله أعلم من ماء مدفـــوق .

وقال بعض نحويى البصرة (الا من رحم) على معنى لكن ، ويجـــوز أن يكون على تأويل لاذا عصمة الا من رحم قال الطبرى : ولا وجه لهذه الأقوال التى حكيناها عن هؤلاء لأن كـــلام الله تعالى انما يوجه الى الأفصح الأشهر مـــن كلام من نزل بلسانه . وما وجد الى ذلك سبيل، ولم يضطرنا شىء الى أن نجعل عاصما بمعنى معصوم ولا أن نجعل الا بمعنى لكن ، اذا كنا نجد لذلك مخرجا صحيحا . وهو ماقلنا من أن معنى ذلك قال نوح لاعاصم اليوم من أمـــر الله الا من رحمنا فأنجانا من عذابه ، كما يقال لامنجى اليوم من عذاب الله الا الله » .

٢ ــ وفى مجال الفقه نذكر ماقاله الطبرى عن حكم مسح الرأس فى قوله تعالى :

« يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـــوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِـــلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَـــى الْمَـــرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ (١)»

قال الطبرى : اختلف أهل التأويل فى صـــفة المسح ، فقال بعضهم : امسحوا بما بدا لـــكم أن تمسحوا به من رءوسكم بالماء اذا قمتم الى الصلاة ، كأن يمسح مقدم الرأس الى الوجه ، أو يمسح يافوخه ، أو يمســـح شعره ، أو أى جانب من رأسه ، وقال آخرون ان المســـح لجميع الرأس .

وقال أبو حنيفة ويوسف : لا يجزىء مسح الرأس بأقل من ثلاثة أصابع .

قال الطبرى : والصواب أن الله أمر بالمسح ، ولم يحدد حـــدا ، لايجـــوز التقصـــير عنه ، ولا مجاوزته . وان كان ذلك كذلك فما مســـح به المتوضىء رأسه ، فاستحق أن يقال انه مسح برأسه ، فقد أدى ما فرض الله عليه من مسح ذلك . لدخوله فيما لزمه اسم ماسح برأسه اذا قام الى صلاته .

فان قال قائل : ان اللـــه قد قال فى التيمم : « فَامْسَـــحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ » افيجزىء

---

(١) « تفسير الطبرى » جـ ٦ ص ٧٩ ســـورة المائدة الآية ٦ .

المسح ببعض الوجه واليدين فى التيمم •
قيل له : كل مامسح به من ذلك فى التراب تنازعت فيه العلماء •

فقال بعضهم يجزيه ذلك فى التيمم •
وقال بعضهم لايجزيه ، لما جاءت به الحجة نقلا عن نبينا صلى الله عليه وسلم ، ولاحجة لأحد علينا فى ذلك اذا كان من قولنا أن ماجاء من آى الكتاب عاما فى معنى ، فالواجب الحكم به على عمومه ، حتى يخصه مايجب التسليم له ، فاذا خص منه شىء ماخص منه خارجا من ظاهره ، وحكم سائره على العموم ، وقد بينا العلة الموجبة صحة القول بذلك فى غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته هنا » •

٣ ــ وفى مجال علم الكلام ننقل ماذكره الطبرى بصدد قول الله « اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ • صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ » حيث قال (١) :
وقد ظن بعض أهل الغباء من القدرية أن فى وصف الله جل ثناؤه النصارى بالضلال بقوله (ولا الضالين) دون اضافة اضلالهم الى نفسه ، وتركه وصفهم بأنهم المضلون كالذى وصف به اليهود أنه مغضوب عليهم ، دلالة على صحة ما قاله اخوانه من جهلة القدرية جهلا منه بسعة كلام العرب ، وتصاريف وجوهه ، ولو كان الأمر على ماظنه لوجب أن يكون كل موصوف بصفة أو مضاف اليه فعل ، لايجوز أن يكون فيه سبب لغيره ، وأن يكون كل ما كان فيه ذلك من فعله ، ولوجب أن يكون خطأ قول القائل : تحركت الشجرة اذا حركتها الرياح ، واضطربت الأرض اذا حركتها الزلزلة وما أشبه ذلك •

وفى قوله جل ثناؤه « حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم (٢) » وان كان جريها باجراء غيرها اياها مايدل على خطأ التأويل الذى تأوله من وصفنا قوله فى (ولا الضالين) ••• الخ ماأفاض فيه •

موسوعة كبرى

هذه نقول يسيرة تدل من ناحية أولى على تبحر الطبرى فى مواد الثقافة العلمية المتشعبة فى عصره ، وتدل من ناحية ثانية على أن الرجل ذو نقاش هادف ، وصاحب رأى فى ترجيح مايعرض له من آراء السابقين أو توهينه ، والكتاب الكبير بعلومه الواسعة جدير بقول أبى الفرغانى فيما نقله الداودى فى طبقات المفسرين(٣) (او ادعى عالم أنه تصنف منه ــ من تفسير الطبرى ــ عشرة كتب كل كتاب منها يحتوى على علم مفرد لفعل) ، ولعلنا بذلك ندرك مكانة تفسير الطبرى من الرأى الناهض بالدليل •

(د • محمد رجب البيومى)

(١) « تفسير ابن جرير » ج ١ ص ٦٤ سورة الفاتحة ٦ ، ٧ •
(٢) سورة يونس الآية ٢٣ •
(٣) طبقات المفسرين للداودى ص ٢٣ •

موقف الإسلام
من بنك لبن الأمهات

بقلم د. عبد الله مبروك النجار

يثور الكلام في هذه الأيام حول فكرة يطرحها أصحابها باسم مصلحة الطفل ورعايته، وهذه الفكرة تتمثل فى إنشاء بنك للبن الأمهات يقوم بتجميع ألبان الآدميات عن طريق البيع أو التبرع، ثم تبريده وحفظه فى ثلاجات للمدة التى يصلح فيها للاستعمال [1]، أو تجفيفه وإعطائه للأطفال المحتاجين للرضاعة، أو تعبئته وبيعه للناس فى معلبات، مثل معلبات الألبان التى تباع حالياً للأطفال، فهو فى فكرته يقوم على غرار بنك الدم الذي يقوم بتجميع فصائله وتقديمها للمحتاجين انقاذاً لحياتهم ومحافظة على أرواحهم [2].

ومن مبررات هذه الفكرة عند أصحابها، ما صدر عن منظمة الصحة العالمية من منشورات تعكس وجهة النظر العلمية والطبية التى تؤكد على أن لبن الأم هو أفضل غذاء للطفل لما يحتوى عليه من قيمة غذائية عالية تتناسب مع عمر الطفل وتتزايد مع نموه، كما أنه يكسبه مناعة ضد كثير من الأمراض التي تصيب الأطفال، فضلاً عن التكوين النفسي للطفل، وهو أمر لا يقل خطورة عن نموه

[1] أثبتت البحوث الطبية ان لبن الام يمكن ان يحفظ فى الثلاجة لمدة أربع وعشرين ساعة دون ان يتلف، راجع الندوة العلمية لجمعية أصدقاء لبن الام، فى ١٩٨٥/١٠/٢٨، إعداد دكتورة هدى زكى خليل، وأخريات ـ ص ٥٥، منشورات جمعية أصدقاء لبن الام بمستشفى الحسين الجامعى.

[2] راجع فى مضمون فكرة بنك اللبن: دكتور السيد عبد الحكيم عبد الله ـ «أهمية الرضاعة الطبيعية صحياً ودينياً» ـ ص ٨٤ ـ هدية مجلة الأزهر عن شهر ذى القعدة سنة ١٤٠٦ هـ.

الجسماني [٣] ، ولما كان بعض الأطفال الرضع لا يجدون هذا اللبن عند والدتهم ، فإن من المصلحة لهم أن يتوافر البديل له عن طريق أمهات أخريات من اللائى يتوافر عندهن اللبن ولا يحتجن إليه ، ولا يمكن تحقيق الفائدة المنشودة إلا من خلال هذا البنك المأمول ، فمصلحة بعض الأطفال تقتضى وجوده .

اهتمام الاسلام بإرضاع الطفل :

وقبل أن نبين موقف الاسلام من فكرة هذا البنك ، ونظراً لأن الداعين إليها قد طرحوها تحت شعار مصلحة الطفل ورعايته ، يجدر بنا أن نبين موقف الاسلام من الطفل واهتمامه به فى ذلك الجانب الحيوي من جوانب حياته وهو الرضاع والتغذية ، حيث لم يدخر الاسلام وسعا فى سبيل تحقيق تلك الغاية ، بما يعكس الأهمية المنوه عنها للبن الأم كأنسب غذاء للطفل وأعظم أداة لتكوينه بدنياً ونفسياً ، ومن ثم جاء توجيه الاسلام فى تلك الحالة مرشداً ومحدداً ، فأناط القيام بعبء هذا الواجب على من هم أولى الناس به ، وأجدرهم برعايته ، وأقدرهم على القيام بشأنه ، وهما والداه ، الأم بالارضاع ، والأب بالانفاق والكسوة ، يشير إلى هذا المعنى ، قول الله تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ﴾ [٤] ، حيث يرشد هذا القول الكريم الوالدات إلى أن يرضعن أولادهن حولين كاملين ، وقد جاء التعبير القرانى بالوالدات وليس بالأمهات ، ليشير إلى أولوية دور الوالدة وواجبها فى هذا المقام ، حتى لا يتحول عنها ويسـند إلى غيرها وهى الأم البـديلة التى تستـأجر لارضـاعه إلا للضرورة ، وهو واجب على الوالدة يقابله واجب على الأب متمثلاً فى الانفاق والبذل من أجل مصلحة الطفل بالمعروف ومن غير تعسف أو ضرر [٥] ، فهو واجب للأم وحق لها معا .

وإذا كان ارضاع الوالدة لطفلها هو الأصل ، كما أنه هو الأعم الأغلب ، إلا أنه قولا يتيسر فى بعض الأحيان ، منها مثلاً حين لا يوجد عند الأم لبن أصلاً ، فقد لاينزل اللبن فى ثدى بعض الأمهات ، أو قد يوجد اللبن عند الأم ، ولكنها تمتنع عن الارضاع كيدا لوالده فى بعض الحالات ، فيأتى مسلكها مخالفاً لقول الله تعالى : ﴿ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا ﴾ « الآية » ، أو طلبا لأجر معين

---

[٣] راجع فى فوائد الرضاعة الطبيعية : المرجع السابق ـ ص ٣٣ ، وما بعدها ، ونشرة منظمة الصحة العالمية « وحدة صحة الأم والطفل » إدارة صحة الأسرة ـ فى سنة ١٩٧٩ م .

[٤] سورة البقرة ـ آية ٢٣٣ .

[٥] راجع فى هذا المعنى : مختصر تفسير ابن كثير ـ جـ ١ ـ ص ٢١١ وما بعدها ـ تحقيق الأستاذ الصابونى ـ دار القرآن الكريم ببيروت .

لا يقدر عليه الوالد [٦] ، وقد قدر الشارع سبحانه وهو العليم بخلقه وقوع مثل تلك الحالات ، فشرع لها الحلول ، وأوجد لها البدائل ، فأجاز استئجار امرأة أخرى غير الأم لتقوم بمهمة ارضاعه ، حفاظاً على الطفل ، واهتماما به حين يوجد مانع من قبل الوالدة سواء كان بارادتها أم بغير ارادتها ، ومن ثم شرعت اجارة الظئر ، ومعناها : أن تلزم المرأة نفسها بإرضاع طفل لا تلزم شرعا بإرضاعه نظير أجر [٧] ، وقد دل على مشروعيتها الكتاب والسنة وإجماع الأمة .

١ ـ من الكتاب :

يقول الله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ [٨] . حيث أشارت الآية الكريمة إلى وجوب دفع الأجرة عند الارضاع ، وفى ذلك دليل على مشروعيته ، سواء كانت المرضعة هى الأم وانفصلت عن زوجها بالطلاق ، أو كانت غيرها [٩] .

٢ ـ ومن السنة :

ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » [١٠] ، حيث دل الحديث الشريف ، على مشروعية الرضاع ، وعلى آثاره التى تتمثل فى كونه سببا للتحريم كما يحرم النسب ، وقد استرضع النبي صلى الله عليه وسلم لولده ابراهيم [١١] .

٣ ـ ومن الاجماع :

حيث أجمع الفقهاء على مشروعية الرضاع ، وقد حكى هذا الاجماع ابن قدامة حيث قال : « أجمع أهل العلم على جواز استئجار الظئر » [١٢] .

هكذا كان الإسلام حريصاً على مصلحة الطفل ورعايته ، وتوفير اللبن الطبيعي له قدر ما يمكن ، فدعوى أصحاب تلك الدعوة ، ان الهدف هو مصلحة الطفل ليست جديدة على الاسلام ، لأنه أحرص ما يكون على تحقيق أحسن الفرص لتغذية الطفل وارضاعه ، بل هو الأسبق دائماً فى مجال مصلحة الطفل ومنفعة البشرية جمعاء .

ضوابط المشروعية فى الرضاع :

ولكن الاسلام حين شرع الرضاع لمصلحة الطفل ورعايته ، قدر أنه حين يوجد بشروطه من القدر والمدة ووصوله إلى جوف الرضيع

[٦] دكتور زكريا البرى ـ أحكام الأولاد فى الإسلام ـ ص ٣٢ ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ سنة ١٩٦٤ م .
[٧] الفتاوى الهندية ـ جـ ٤ ص ٣٤٥ .
[٨] سورة الطلاق ـ آية ٦ .
[٩] تفسير النسفى ـ جـ ٤ ـ ص ٢٦٧ .
[١٠] نيل الأوطار ـ للشوكانى ـ جـ ٦ ـ ص ٣١٧ .
[١١] المغنى لابن قدامة ـ جـ ٦ ـ ص ٧٣ .
[١٢] المرجع والمكان السابقين .

مع بقائه على صفاته إذا خلط بغيره فإنه على تلك الهيئة ينبت اللحم ، وينشز العظم ، وبالتالى فإنه يصبح علة للتحريم لما فيه من شبهة الجزئية بين الرضيع ومن أرضعته [١٣] ، فيحرم منه ما يحرم من النسب ، وقد ثبتت مشروعية التحريم به من الكتاب والسنة واجماع الأمة على نحو ما سنرى .

تقييم فكرة بنك اللبن :

وإذا ما أردنا تقييماً لتلك الفكرة يستهدف بيان جدواها ، ومدى أهميتها فى حياة المجتمع الإسلامى بصفة عامة ، ومقدار تحقيقها لمصلحة الطفل بصفة خاصة ، يستبين لنا أنها تنطوى على كثير من المحاذير التربوية والمضار الاجتماعية ، فضلاً عن تعارضها مع مبادىء التشريع الإسلامي ، ويمكن ابراز تلك المآخذ على النحو التالى :

أولاً : أهمية الفكرة موهومة :

وإذا كان قيام هذه الفكرة قد بنى فى جانب كبير منه على الأهمية التى يعلقها أصحابها عليها ، فأننا بعد بيان مدى اهتمام الإسلام بالطفل واجازته للرضاع من أجل مصلحته وحسن رعايته ، يتضح لنا بجلاء أن تلك الأهمية المنتظرة ، لا تعدو أن تكون ضرباً من ضروب الوهم ، بما يجعل وجود مثل هذه البنوك لا مبرر له ، ولا جدوى تعود من ورائها ، حيث لم يترك الإسلام لعملها مجالاً فى المجتمع الإسلامى ومنه مصر ، ذلك أن الغالبية من الأطفال ترضعهم والداتهم ، ومن يتبقى منهم دون ارضاع من والداتهم يمكن أن يجد حظه عند أم بديلة على النحو المعهود شرعاً ، لكنها بالرضاع تصير أمه ، ويترتب عليه حرمة المصاهرة ، وبعد هذه وتلك لن يبقى طفل دون رضاعة أمومية ، اللهم إلا فى القليل النادر ، وبالتالى تكون تلك الأهمية موهومة ولا وجود لها فعلاً ، بل وليست هناك حاجة ملحة إلى قيامها [١٤] .

ثانياً : الفكرة تجافى مصلحة الطفل :

ومن المتوقع بل ومن المؤكد أيضاً ، أن هذه الفكرة لن تقوم إلا على انقاض المصلحة المزعومة للطفل عند أصحابها ، لأن انشاء مثل هذه البنوك سيكون مدخلاً لكثير من المفاسد والشرور ، ومنها ضياع مصلحة الطفل ذاته ، لأن هذه البنوك ستعمل على تشجيع الأمهات من أجل تقديم ألبانهن لها ، كما أن الحاجة ، وارتفاع تكاليف المعيشة ، وضيق ذات اليد عند كثير من الأمهات ، قد يدفع بهن كل ذلك إلى بيع ألبانهن لتلك البنوك [١٥] ، وحرمان أولادهن منها ، فكل

[١٣] فى هذا المعنى : دكتور محمود الطنطاوى ـ الأحوال الشخصية فى الشريعة الاسلامية ـ ص ١١٤ ـ دار النهضة المصرية .

[١٤] وقد اقر ذلك المجمع الفقهى لمنظمة المؤتمر الإسلامى الذى عقد مؤخراً بجدة ، راجع جريدة الأخبار ـ العدد رقم ١٠٧٤٥ الصادر يوم الجمعة ١٩٨٦/١٠/٢٤ ـ ص ٦ .

[١٥] دكتور السيد عبد الحكم عبد الله ـ نفس المراجع ـ ص ٨٥ .

ما ستؤدى إليه هذه الفكرة أنها سترضع فئة من الأطفال على حساب فئة أخرى هي الأحق بالرضاع والأولى به شرعاً وطبعاً وعقلاً ، وفى ذلك من المفسدة ما هو أكبر من المصلحة ، وأقل ما فيه من فساد أنه يقدم أمراً على حساب الأهم ،، ولا يخفى ما فى تلك الفكرة من اضطراب وفساد .

كما أن الفكرة سيترتب عليها كثير من الأضرار النفسية والأدبية فى مقتبل حياة الطفل ومستهل رجولته ، وطوال عمره ، حين يتسع نطاقها ، فيشمل كثيراً من الدول ، وفى ظل هذا الاتساع ستعمل كل دولة على مساعدة الأخرى ومنها بلاد الإسلام ، بفائض ألبان نسائها ، وقد يترتب على هذا أن يطعم الطفل لبن امرأة كافرة أو زانية أو فاجرة ، فتكون أُما له وبالتالى يظل عارها يلاحقه طوال حياته . والرضاع من الأم المشركة يجعلها أما لها حرمة الأم مع شركها ، وربما مال إليها الرضيع فى محبة سلوكها المشين ، ولهذا كره الرضاع بلبن الحمقاء كيلا يشبهها الولد فى الحمق ، فإنه يقال أن الرضاع يغير الطباع [١٦] ، وفى ذلك من الأضرار ما يهدد مستقبل الرضيع ، ويوجب حمايته منها ، ولن يتأتى ذلك إلا من خلال سد الذرائع أمام هذه الفكرة ، وقطع أسباب وجودها .

ثالثـاً : بيئة الفكرة غير إسلامية :

وإذا كان لمثل هذه الفكرة وجود فى كثير من المجتمعات الأوربية ، فان وجودها فى مثل تلك الدول قد يكون له مبرر عند أهلها ، لأنهم لا يعرفون الحلال والحرام ، ولا يعرفون ما شرعه الإسلام لمصلحة الطفل وارضاعه من أحكام ، ومن ثم فانهم قد ابتدعوها كأى فكرة بعيدة عن هديه ، دون وازع من دين ، أو ضابط من عقيدة [١٧] . أما نحن فإننا نملك البديل الشرعى كما أن عندنا التوجيه الالهى وهو الرضاع المنظم شرعاً بأثاره وأحكامه ، وبالتالى فإن مكان هذه الفكرة غير أرضنا الطيبة ومجتمعنا المسلم ، لأنها لا تصلح فيه ، ذلك من زاوية المصلحة والعقل والمنطق ، وذلك هو المهم ، أما الأهم منه فضلاً عن هذا وذلك : تتعارض مع القواعد الشرعية التى تنأى بها عن المشروعية وتجعلها وسيلة لاستباحة ما حرمه الله تبارك وتعالى ، وذلك هو الأدهى والأخطر ، فالفكرة تتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية ، وتنطوى على كثير من وجوه الحرمة فيها ، وذلك ما نود أن نبرزه فى هذا المقام .

---

[١٦] المغنى لابن قدامة ـ جـ ٧ ـ ص ٥٦٢ .

[١٧] وفى هذا المعنى يقرر المجمع الفقهى لمنظمة المؤتمر الإسلامى : أن التجربة قامت فى بعض الدول الغربية ، وسرعان ما ظهر الكثير من سلبياتها الفنية والعلمية فانكمشت وقل الاهتمام بها ، راجع : جريدة الأخبار ـ المكان السابق .

أولاً : الفكرة تتعارض مع أحكام الشريعة :

ورغم أن فكرة انشاء بنك للبن الأمهات عديمة الأهمية وليس لها ما يبرر وجودها فضلاً عن مجافاتها لمصلحة الطفولة ورعايتها ، وهو الشعار الذى رفعه مروجوها ، وعدم ملاءمتها لتربيتنا المسلمة ، فإنها تتعارض مع أمر معلوم من الدين بالضرورة ، وهو حرمة المصاهرة بسبب الرضاع ، وفى ذلك ضياع للنسب واختلاط للأنساب ، وقد يترتب عليها أن يتزوج الرجل أمه من الرضاع أو اخته وفى هذا مخالفة لنصوص الكتاب والسنة واجماع الأمة .

١ ـ أما الكتـــاب :

فقول الله تعالى فى آية المحرمات : ﴿ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ ﴾ [١٨]، حيث نص على تحريم الأمهات والأخوات من الرضاع ، كما دلت الآية على تحريم غيرهما بطريق الاشارة . لأن الله تعالى ، لما سمى المرأة التى قامت بالارضاع أما ، وسمى أولادها بأخوات الرضيع دل ذلك على وجود الصلة التى تربط بين هذا الرضيع وبين هذه الأصناف كلها على أساس الجزئية التى حدثت عن طريق الرضاع فيكون له حكم التحريم بالنسب [١٩] .

٢ ـ وأما الســـنة :

فقد وردت بها الأحاديث الكثيرة التى تدل على حرمة المصاهرة بالرضاع ، اقتصر منها على ما رواه الإمام على رضى الله عنه عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : إن الله حرم من الرضاع ما حرم من النسب [٢٠] ، حيث دل هذا الحديث الشريف على ما ذهبت إليه الآية الكريمة ، من أن الرضاع يترتب عليه حرمة المصاهرة وذلك حكمه وتلك هى آثاره .

٣ ـ وأما الاجمـــاع :

وقد دل الاجماع على أن الرضاع محرم للمصاهرة فى الجملة وأنه يحرم منه ما يحرم من النسب ، وقد حكى هذا الاجماع ابن رشد حيث قال : « اتفقوا على أن الرضاع بالجملة يحرم منه ما يحرم من النسب [٢١] ، وهكذا دلت النصوص الشرعية من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، واجماع الفقهاء على أن الرضاع يحرم منه ما يحرم من النسب ، ولا شك أن انشاء بنك للبن الأمهات ينطوى على مجافاة لتلك النصوص الشرعية ومخالفة لأحكامها ، وبالتالى فإنه سيكون وسيلة لارتكاب المحرم متمثلاً فى تبديد

---

[١٨] سورة النساء ـ آية ٢٣ .
[١٩] دكتور محمود الطنطاوى ـ المرجع السابق ـ ص ١٠٨ .
[٢٠] نيل الأوطار للشوكانى ـ جـ ٦ ص ٣١٧ وما بعدها .
[٢١] بداية المجتهد ، ونهاية المقتصد ـ جـ ٢ ص ٣٥ ـ مطبعة الاستقامة .

النسل واختلاط الانساب وضياع الحقوق ، وشيوع الفاحشة ، ووجود أولاد من حرام ، وذلك حرام ، وما يؤدى إلى الحرام يأخذ حكمه وذلك بناء على قاعدة أن الوسيلة إذا كانت مفضية إلى مفسدة أخذت حكمها من تحريم او كراهية [٢٢] ، وبالتالى يكون حكم انشاء مثل هذا البنك وفقا لتلك القاعدة الفقهية حراما ، ذلك أن أقل ما فيه يتعارض مع أمر معلوم من الدين بالضرورة .

ثانياً : وجوه التحريم فى بنوك اللبن :

ولا شك أن أحكام الشريعة يجب أن تراعى فى روحها وفى أهدافها ومقاصدها لأن الله سبحانه وتعالى حين يحرم علينا أمراً إنما يحرمه لمصلحة مؤكدة تعود علينا من وراء ذلك التحريم سواء بانت لنا علته أو خفيت علينا ، ومن ثم وجب الاحتياط فى هذه المسائل بالبعد عن شبهة الحرام فيها ومنها الرضاع الذي يحرم منه ما يحرم من النسب ، ومن المؤكد أن التساهل فى أمر الارضاع والابتذال فيه ، يتضمن تجاسرا على أحكام الله ، وجراة على مقاصد شريعته ، ومخالفة لكتابه ، وسنة نبيه وإجماع الفقهاء وما هو معلوم من الدين بالضرورة .

١ - حقيقة الرضاع فى الشريعة الإسلامية :

ولا يقلل من خطورة التحريم بالرضاع أن يتعسف البعض فيقصر التحريم به على ما كان عن طريق الثدى ، إذ أن حقيقة الرضاع كما عرفه الفقهاء : هو اسم لحصول لبن امرأة أو ما حصل منه فى جوف طفل [٢٣] . وقد عرفه الدسوقى فى حاشيته على الشرح الكبير بقوله : حصول لبن امرأة للجوف ولو شكا للاحتياط [٢٤] ، ويتضح من خلال هذا التعريف للرضاع ، أنه يسوى بين حصول الطفل على اللبن بطريق الثدى أو بغيره كتناوله بواسطة البزازة أو الكوب أو الملعقة ، كما يسوى بين حصوله على اللبن سائلاً أو غير سائل كان يتناوله جبناً أو زبادى أو مجففاً أو غيره ، وعلى هذا فإن فكرة انشاء بنك اللبن سيؤدى إلى تناول الطفل لغير لبن أمه ممن جمع اللبن منهن بطريق مباشر أو غير مباشر وبالتالى تتعلق به الحرمة فى كل الصور احتراماً للحكم فى اللبن الصافى ، وبعداً عن الشبهة فى المختلط بغيره أو الذى

[٢٢] راجع : ابن القيم - اعلام الموقعين - جـ ٣ ص ١٤٧ - الطبعة الأولى مطبعة الاستقامة . والموافقات للشاطبي جـ ٤ ص ١١٢ المطبعة السلفية - ومحمد سلام مدكور - المدخل للفقه الاسلامى - ص ٢٤٢ وما بعدها - الطبعة الرابعة - دار النهضة العربية .

[٢٣] دكتور عبد الفتاح حسينى الشيخ - حكم الدين فى انشاء بنك للبن الأمهات - فتوى موجودة بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة .

[٢٤] حاشية الدسوقى على الشرح الكبير - جـ ٢ - ص ٥٠٢ وما بعدها .

خرج عن طبعه بأى وجه من الوجوه ، فإن سائر الوسائل غير مص الثدى تأخذ حكمه ، لأنها تصل باللبن إلى جوف الطفل ويحصل بها انبات اللحم وانشاز العظم ، فوجب أن تأخذ حكمه وهو التحريم [٢٥] .

إذا اجتمع الحلال والحرام غلب الحرام :

والقول بهذا الحكم هو الذي يجب أن يكون لأن فيه حيطة فى الدين ، وبعداً عن مواطن الحرام وشبهته ، كما أنه هو الذي يتفق مع القواعد الكلية للفقه الإسلامى ، حيث أن الشيء إذا تردد بين الحل والحرمة كان جانب التحريم أولى ، ومن القواعد المقررة فى هذا الصدد ، أنه إذا اجتمع الحلال والحرام فى شيء غلب الحرام [٢٦] الأمر الذي يرجح جانب التحريم عند من يشتبهون فى حرمته .

ما يوصل إلى الحرام يأخذ حكمه :

والتعامل مع بنك اللبن على فرض وجوده حرام سواء كان بعوض أم بغير عوض أى عن طريق التبرع ، لأنه سيكون وسيلة إلى ارتكاب محظور ، لأن السيدات اللاتى يقمن بإعطاء لبنهن للبنك سيقعن ضحية للجهالة ولن يعرفن وقتها مصير ألبانهن ، ولا من الذى تعاطاها من الأطفال ، فتقع الحرمة ويختلط النسب وهذا حرام ، فيأخذ ما يوصل إليه حكمه حتى ولو كان بذل اللبن من المرأة على سبيل التبرع للبنك . فإذا أرادت بيعه وقع البيع باطلاً عند جميع الفقهاء من منطلق الرجوع إلى قواعد الفقه الكلية التىتقرر أن : ما يوصل إلى الحرام يأخذ حكما سدا لذريعة الفساد والافساد ، فلا يعقل أن يقرر أحد الفقهاء جواز بيع لبن المرأة ، وهو يعلم أنه سيكون ذريعة لاختلاط الأنساب وانتهاك ما حرمه الله ، لا يمكن أن يقرر أحد الفقهاء ذلك فيضع نفسه فى موقف حرج مع ربه حين يجيء وأى هذا مخالف لكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واجماع الأمة فى تحريم المصاهرة بالرضاع ، أقول : لا يعقل ولا يمكن أن يتصور هذا .

والمسألة واضحة فى مذهب أبى حنيفة ، وقد جاء فيه أنه لا يجوز بيع لبن امرأة فى قدح [٢٧] ، إذ هو جزء من الأدمى مكرم مصون عن الابتذال بالبيع [٢٨] ، ولأن الاجماع قد انعقد على أن اللبن ليس بمال فلا يجوز بيعه [٢٩] ، كما أن اللبن لا يباح الانتفاع به شرعاً على الاطلاق ، وإنما لضرورة

[٢٥] دكتور عبد الفتاح حسينى الشيخ - المرجع السابق .

[٢٦] الاشباه والنظائر - لابن نجيم - ص ١٠٩ - مؤسسة الحلبي سنة ١٩٦٨ م ، والأشباه والنظائر للسيوطى - ص ١٠٥ وما بعدها - الطبعة الأخيرة شركة مصطفى الحلبي .

[٢٧] وهذه أحد جوانب التعامل مع هذا البنك المزعوم .

[٢٨] فتح القدير - للكمال بن الهمام - جـ ٥ ص ٢٠١ والهداية عليه ، وشرح العناية عليه للبابرتى ، نفس المكان السابق ، وسعد حلبى نفس المكان .

[٢٩] بدائع الصنائع للكاسانى - جـ ٥ ص ١٤٥ .

تغذية الطفل ، وما ينتفع به إلا على وجه الضرورة لا يكون ما لا فلا يجوز بيعه بوجه [٣٠] .

وإذا كان بعض الفقهاء قد أجاز بيعه للضرورة [٣١] . فإنه لا يقصد مطلقاً أى وجه لمشروعية قيام هذا البنك ، لأنه لا يعقل كما قررنا أن يخرق بمثل هذا الرأى الحرمة الواضحة ويستحل ما حرمه الله بالرضاع ، فإن التحريم به ثابت بإجماع الفقهاء ، ولا يمكن أن يخالف أحد الفقهاء ما أجمع عليه ، وإنما الفهم السليم لمثل تلك الاجازة لهذا اللون من التعامل باللبن لا يتعدى حالات نادرة ، كما لو كان الطفل على شفا الهلاك ، وامتنعت المرأة عن بذله إلا بمقابل مثلاً ، وحتى فى هذه الصورة النادرة ، فإن الضرورة غير قائمة فى حق من بذلته فيكون تصرفها حراماً ، ومثل حالات الضرورة هذه غير موجودة فى زماننا ، بعد أن تنوعت أساليب التغذية ، وتعددت أنواع الألبان التى تحقق تلك الغاية، ومن ثم لم يبق لمثل هذه الحالات أدنى تصور فى وقتنا ، وذلك الفهم هو الذى يستقيم قياساً على ما تصبوا إليه فى مسائل مشابهة حيث قرروا بطلان صور مشروعة من البيع لما يترتب عليها من غاية فاسدة مثل بيع السيف لمن يعلم أنه سيقتل به أو العنب لمن يتخذه خمراً وهكذا [٣٢] .

عمل غير صالح ، وغير إسلامى :

وعلى هذا النحو يكون انشاء هذا البنك عملاً غير إسلامى ، ولا يتواءم مع أحكام ديننا الحنيف الذى تقرر تحريم المصاهرة بالرضاع ، وهو لا يتعدى فى فكرته وفى دوافعه ، وفى الغايات التى تهدف إلى تحقيقها ، أقول : لا يتعدى كونه فكرة خبيثة تستهدف الاطاحة بجانب حيوى من جوانب شريعة الله التى تصون النسب وتحفظ الاعراض ، وتقيم الحقوق على أساس من الطهر والمشروعية ولهذا فإنه يكون حراماً ، والله أعلم .

---

[٣٠] المرجع والمكان السـابقين .

[٣١] راجع : بداية المجتهد ـ جـ ٢ ص ١٢٧ ، ومغنى المحتاج ـ جـ ٢ ص ٢٢٤ وما بعدها ، والمغنى والشرح الكبير عليه ـ جـ ١ ـ ص ٧٤ .

[٣٢] راجع : حاشية الدسوقى على الشرح الكبير ـ جـ ٢ ـ ص ٥٠٢ حيث يقول : لو خلط لبن امرأة بلبن أخرى صار ابنا مطلقا لهما تساويا أم لا » وراجع : نفس المرجع ـ جـ ٣ ص ١٥ حيث يقول : « من شروط المعقود عليه عدم حرمة لبيعه » وتبين الحقائق للزيلعى ـ جـ ٦ ص ٢٩ ، وراجع : مغنى المحتاج جـ ٢ ص ٣٧ ، ٣٨ حيث يقول : « ولا يجوز بيع الرطب والعنب لعاصر الخمر ، اى لمتخذها كذلك بأن يعلم فيه ذلك أو يظنه غالباً ، ومثله بيع الغلمان المرد » البيض « ممن عرف بالفسوق والفجور وبيع السلاح من باغ وقاطع طريق ونحوها وكذلك كل تصرف يفضى إلى معصية » . والمغنى لابن قدامة جـ ٤ ص ٢٢ ، حيث يقرر : ولا يجوز شراء ما فيه شبهة لوجود الحلال والحرام فيه . ، والروضة الندية شرح الدرر البهية ـ للقنوجى البخارى جـ ٢ ص ٩٩ ، حيث يقول : ولا يجوز بيع العصير إلى من يتخذه خمراً وهكذا تواترت نصوص الفقهاء على بطلان صور كثيرة من البيع ، لما تؤدى إليه من فساد ، أو غاية خبيثة تتصل بأمر محرم فى الإسلام ومثل ذلك من تقوم ببيع لبنها حيث يترتب عليه فساد كبير يتصل باختلاط الأنساب وانتهاك حرمة الرضاع ، وهو ما سيقوم به ذلك البنك المزعوم ، ومما تجدر الاشارة إليه ، أن المجمع الفقهى لمنظمة المؤتمر الاسلامى قد انتهى بعد مناقشات فقهية وطبية إلى منع انشاء بنوك لبن الأمهات فى العالم الاسلامى وحرمة الرضاع منها ، راجع : الأخبار المشار إليه .

حقوق الإنسان

في السنة والقرآن

الإنسان خليفة الله فى الأرض : قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ البقرة « ٣٠ » وذلك ليحقق العدل والأمن ، والرفاهية ، ولذا كرمه وانزله منزلة سامية ، وفضله الله تعالى على كثير من خلقه ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ الإسراء « ٧٠ » .

وارسل الله الرسل مبشرين ومنذرين ، لهداية الخلق إلى الحق وإلى الطريق المستقيم ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . وكان خاتم الأنبياء والمرسلين محمداً ﷺ ، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، لأن الإنسانية شبت عن الطوق ، وهيمنت رسالة الإسلام على ماقبلها ، واستقرت فى كتاب خالد .

وهدفت شريعة الإسلام إلى تحقيق مصالح الناس ، والعدل بينهم ، والرحمة بهم ، والرقى والكمال والجمال ، فكفل الإسلام للإنسان الحاجات الضرورية والكمالية : كالدين ، والعقل ، والعرض ، والمال ، والمحافظة على النفس .. إلخ وتكفلت الشريعة الإسلامية بما يحقق ذلك ويوجده ، وبما يصونه ويحفظه فى نفس الوقت ، أى أنها راعت الجانب الإيجابى والجانب السلبى لخيره أبداً : يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ النحل « ٩٠ » .

ويقول سبحانه : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ الأعراف « ١٥٧ » ويقول الرسول - ﷺ - « لا ضرر ولا ضرار »(١) .

وقرر الإمام الشاطبى فى (الموافقات) : أن كل حكم شرعى فيه حق لله تعالى من جهة وجوب العمل به ، وفيه حق للعبد من جهة أنه ماشرع إلا لمصلحة .

وفى الإسلام : الأصل فى الأشياء الإباحة ،

---

[١] رواه ابن ماجه فى سننه باب الأحكام ، ورواه الإمام احمد بمسنده ٥/٣٢٧ وبروايته .. ولا إضرار ١/٣١٣ .

د. توفيق محمد شاهين

والأصل فى الإنسان البراءة، ومايثبت باليقين لا يزول بالشك ... إلخ من المبادىء التشريعية، التى تكفل مصالح الناس.

ومفهوم الأمة والدولة فى الإسلام يقوم على أساس عقيدى فكرى (أيديولوچى)، ولا يقوم على أساس عرقى، ولا على أساس جغرافى أو تاريخى.

أى أن الأمة والدولة فى الإسلام تقوم على أساس إنسانى عالمى، لا على عصبية ولا عرقية.

يقول الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ آل عمران « ١١٠ ».

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾

والناس ـ كل الناس ـ أمام القانون ـ شرع الله ـ سواء، والمسئولية فردية، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ الإسراء « ١٥ ».

ويعتمد الإسلام أساسا فى تربية أتباعه على التربية الأخلاقية، ليكون الدافع والحافز والباعث وكذلك المانع أخلاقيا، ذاتيا، نابعاً من القلب والضمير والوجدان قبل الخوف من القانون وخشيته.

وتقوم دولة الإسلام على تحقيق العدالة بأوسع معانيها، وفى كل مجالاتها: اجتماعيا، وسياسيا، وقضائيا، وإداريا، ودوليا، صيانة وحماية للحقوق والحريات فى صورها المتعددة، للمسلم وغيره على السواء..

ولتحقيق هذه العدالة والمحافظة عليها بالتالى، كان الحكم فى الإسلام على أساس الشورى، بمعانيها السياسية والفقهية الشاملة، حتى يتحقق معناها الكامل، ومبناها القائم على الاحترام فلا ظلم، ولا استبداد، ولا ديكتاتورية فى الإسلام، قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ النحل « ٩٠ »، وقال سبحانه: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ الشورى « ٣٨ ».

ولتحقيق تكافؤ الفرص والعدالة فى المال والاقتصاد، يقول سبحانه ـ عن المال: ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾ الحشر « ٧ ».

وتكون العدالة بين المسلم وغيره، لقوله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ الممتحنة « ٨ ».

وقد نزل الوحى بعشر آيات من القرآن الكريم، لتبرئة يهودى اتهمه مسلم بغير حق يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا .. إلى قوله تعالى: ﴿ أَجْراً عَظِيماً ﴾ النساء « ١٠٥ ـ ١١٤ ».

فغير المسلمين حقوقهم مصونة فى دولة الإسلام ، ومن ظلمهم أو اعتدى عليهم ، أو آذاهم ، أو نال منهم بغير حق : فقد برئت منه ذمة الله ورسوله ؛ لأن لهم فى دار إقامتهم ماللمسلمين ، وعليهم ما عليهم . وأمنهم وأمانهم واجب على المسلمين ، والوفاء بعهودهم وعقودهم أمر مفروض ، لا توهنه عاطفة أو نزوة أو حيدة .

والأمة فى الإسلام خيِّرةٌ ، تتعاون على كل مامن شأنه نفعها وخيرها وسعادتها ورفاهيتها ، وبالتالى متكاتفة لإخماد الفساد ، ومنع الظلم والإثم ، يقول سبحانه : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ المائدة « ٢ » .

ويقول تعالى : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ الحجرات « ٩ » .

وسلوك الأمة داخليا وخارجيا ـ دوليا ـ يقوم على الأمن والعدل والعزة ، وحسن المعاملة ، وحفظ الحقوق ، يقول سبحانه :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ . وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ الأنفال « ٦٠ ، ٦١ » .

وهذه الأمة ـ على هذا الهدى ـ لها الهداية والسيادة والعزة والتمكين ، قال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ القصص « ٨٣ » قال سبحانه وتعالى : ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ الحج « ٤١ » .

فالمجتمع الإسلامى ربانى بالإيمان ، مطيع لله ، متعاون متآزر ، حامل للمسئولية ، ودافعه ذاتى إيمانى ، لإقامة الحق والعدل والسلام والخير والحق والجمال .

الإسلام أول من قرر حقوق الإنسان :

والحق يقال ، والواقع يشهد ، والتاريخ يسجل : أن الإسلام أول من قرر حقوق الإنسان ـ بل والحيوان ـ فى شمولية ووضوح وفعالية وتطبيق لهذه الحقوق فى جميع المجالات التى يحياها الإنسان ، والتى تكفل له كرامته وإنسانيته ، وأمنه واعتباره وتكريمه ..

قضى بها الخلاق العليم الذى يعلم من خلق فشرع له مافيه الخير ، ورضى بها أتباع الإسلام فنفذوها راضين عن طواعية واختيار .

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ الأحزاب « ٣٦ » .

فمنذ أكثر من ألف وأربعمائة عام ، قرر

الإسلام حقوق الإنسان ، وأطاع المسلمون ، فأصبح القرار نافذ المفعول ، وجنت البشرية ثمرات التطبيق ، فسعدت وأسعدت ، أحياناً من الزمن .

ونحن نعلم أن البشرية تطلعت من قديم إلى مايكفل حقوقها ، ويصون كرامتها من عبث العابثين وطغيانهم ، وتطلعت إلى تقرير ما يكفل لها الحق والعدالة فى ظل قوانين ثابتة .. فعرفت عن اليونان والرومان وغيرهم مايسمى « بالقانون الطبيعى » ، ونظرية « العقد الاجتماعى » و« قانون الشعوب » الرومانى .. فكانت قوانين فيها صلاح ، ولكنها انتقدت ، وعطلت ، ونفذت جزئياً أو جانبياً ، وكان انتقادها من مفكرين دعوا إلى مساندتها بوجوب مراعاة وتطبيق مبادىء ثابتة للعدالة ، حتى اعلنت حديثا « حقوق الإنسان » فى وثائق دستورية وأعراف دولية تنادت باحترامها ، كما فى ثورة أمريكا على بريطانيا سنة ١٧٧٦م ، وفى الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م ، وبعد الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٤م .

وصدر الإعلان العلمى لحقوق الإنسان ، عن الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨م ، وكان هذا الإعلان تطوراً بارزاً فى الإعلان عن حقوق الإنسان ، والحقت به ملاحق تستدرك مافات ، أو توضح مبهما ، أو تخصص عموماً .. ويمكن إجمال هذه الحقوق والحريات الأساسية للإنسان فيما يلى :

١ ـ أن للفرد الحق فى الحياة والحرية وسلامة شخصه ، فلا رق ولا تعذيب من ثَمّ .

٢ ـ وصيانة حياة الفرد الخاصة وأسرته ومسكنه ودخائل شئونه الخاصة وشرفه وسمعته حق مصون .

٣ ـ وللشخص أن ينتسب إلى جنسية أخرى .

٤ ـ وله حرية التنقل والإقامة والهجرة والالتجاء .

٥ ـ والإنسان حر فى تفكيره ، ودينه ، وممارسة شعائر دينه ، والتعرف عليه ودراسته .

٦ ـ وللشخص حرية الرأى والتعبير .

٧ ـ وجميع الأفراد متساوون أمام القانون .

٨ ـ وللفرد الحق فى إدارة شئون بلاده بنفسه أو بانتخاب غيره ، والشعب هو مصدر السلطات ممثلاً فى أفراده .

٩ ـ وللفرد الحق فى إقامة أسرة وتعينه الدولة إذا احتاج .

١٠ ـ وللشخص حق التملك ، والعمل والتعليم .

١١ ـ وللشخص الحق فى الضمان الاجتماعى والتربوى ومستوى لائق فى المعيشة والصحة والرفاهية .

وأشار الإعلان إلى مايجب على الشخص نحو وطنه مجملاً ، كما أنه حذر من التحايل على نصوص الإعلان أو تعطيلها لكنه لم يحدد جزاء لمن ينتهك هذه الحقوق أو يعطل تنفيذها ، بينما كان الإسلام حريصاً على سدّ هذه الثغرة ، يقول سبحانه :

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا

مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ المائدة « ٣٣ » .

ويحدثنا الأستاذ الدكتور محمد البهى ـ رحمه الله ـ فى كتابه : (الإسلام فى حياة المسلم) ناقداً ماصدر من اعلان عن حقوق الإنسان فى القرن العشرين بخاصة ، يقول ما موجزه :ـ

حقوق الإنسان التى تعلنها المؤسسات الدولية الحديثة فى قرننا العشرين ، هى تنازل من قوى لضعيف ، تنازل من مستعمر بقوة السلاح لمستعمر بسبب الجهل والفقر والمرض ، وهى تنازل عن بعض امتيازات أوجدها لنفسه القوى بحكم قوته إلى ضعيف ظل فترة طويلة موضع استغلاله واستذلاله ..

كما يرى أن هذه الإعلانات : تدوين نظرى لا تتخطى إلى التطبيق العملى فى علاقة الطرفين : القوى والضعيف .. ، وتغطية للصورة الرهيبة للاستعمار حتى تنخدع الشعوب الضعيفة فترة أخرى ؛ فتلقى إليه بالزمام فى شبه أمان واطمئنان .

ويقول : إن اعلان عدم التفرقة فى التعليم بين لون ولون من البشر . وعدم التفرقة فى الحقوق السياسية على أساس الجنس أو الرأى ، وعدم التفرقة بين سكان الوطن الواحد فى الحقوق المدنية ـ هو فى واقع الأمر تجربة لعلاج بعض المشاكل الاجتماعية التى أوجدها الجشع والغرور بالقوة المادية ، والتقدم فى الحضارة الصناعية عند فريق من الشعوب التى تهزأ بالقيم الروحية الإنسانية .

أما الإسلام فلا يواجه فى نظامه هذه الأزمات بين القوى والضعيف ، ولا يواجه حلّ المشاكل الاجتماعية التى يسببها الجشع والغرور بالقوة المادية ؛ ولذا اليست تعاليمه الخاصة بالإنسان إعلانا بحقوق الإنسان على نحو اعلان تلك المؤسسات الدولية الحديثة .

ويقول المؤلف فى موضع آخر :

احتفال الأمم المتحدة بذكرى حقوق الإنسان حين تحتفل به : « يدل على أن المدنية الإنسانية الحديثة لم تنجح من قبل ـ حتى وقت قيام هذه الهيئة الدولية ـ فى رد اعتداء الإنسان على الإنسان ، وفى دفع استغلال الإنسان ، للإنسان . وربما يدل ذلك على أن « حقوق الإنسان » مشكلة أوجدتها هذه المدنية نفسها بسبب تفوق بعض الشعوب على بعض ، لا فى خصائص الإنسان ، ولكن فى تطور الصناعة واستغلال الخامات ، والاعداد للقوة المادية ..

ويرجى لهيئة الأمم المتحدة أن تترسم خطى الإسلام فى تصفية رواسب الماضي البغيض يوم جاء . وتعمل جادة على تخليص الشعوب الضعيفة من استذلال بقايا المستعمرين ، كما عمل الإسلام من قبل على تحرير الرقيق وتخليصه من استغلال المالكين له » .أ هـ

فالمعنى : أن إعلان حقوق الإنسان حديثاً لم يكن نتيجة نزعة إنسانية ، وإنما كان تنفيسا عن كبت ، وإعلاناً عن إفلاس فى سياسة استعمارية ، وعلاجاً لوضع معوج طال أَمَدُهُ وانتشر ظلام وظلمه ، واستيقاظا لضمير طال سباته وغفوته ، غير أنه ـ حتى حين استيقظ ـ جنح إلى ما يهواه وما فيه مصلحته .

ولكن الإسلام دين الإنسانية ، هو الذى قدر كرامة الإنسان ، وصانها بتعاليمه من الإذلال ، والمهانة يقول الله تعالى ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ ﴾ الحجرات « ١١ » .

تكافؤ إنسانى وكفالة حقوق فى الإسلام : -

وينظر الإسلام إلى الناس جميعا نظرة واحدة ، لأن طبيعتهم الإنسانية واحدة ، لا تفاضل بينهم ، لأنهم خلقوا من طبيعة واحدة ، ومهما تفرقوا إلى شعوب وقبائل ، لكنهم سيتعارفون ويتوادون من جديد ، كأمم وجماعات ، لأن مآل أمرهم إلى أصل نشأتهم .

يقول سبحانه : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ أول سورة النساء .

ويقول سبحانه : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ الحجرات « ١٣ » .

فالآية تشير إلى أن الناس متساوون بفطرتهم ومتماثلون بطبيعتهم : فى نشأتهم الأولى ، وفى دخولهم إلى الحياة الاجتماعية ، وإلى أن تسامى بعضهم فى الإنسانية والفضل هو الذى يفاضل بينهم ، أو يرفع عنهم لباس التساوى والتماثل .

هذه الأطوار الثلاثة أشارت إليها الآية الكريمة .

ويزيد الرسول - ﷺ - الأمر تأكيداً وتفصيلاً ، فى تساوى الناس فى الاعتبار البشرى والقيمة الإنسانية ، وأن التفاضل إنما هو بصالح العمل ونفع الإنسانية ، حين يقول : ﴿ أيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، ليس لعربي فضل على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أبيض ، ولا أبيض على أحمر إلا بالتقوى . ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد . ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب ﴾ [٢] .

الناس متساوون فى الاعتبار البشرى أمام الإسلام ، وقد أتاح لهم فرصا متساوية فى العمل والمعرفة والعلم، وتملك المال واستثماره ، وقيادة المجتمع ، وفرصة العدل فى القول والحكم ، وحرية المعتقد . . وفى هذا كفالة الإسلام لحقوق الإنسان فى خطوط عريضة .

وأنكر الإسلام إفساد المجتمع ، والإخلال بأمنه واستقراره ، ولم يرض بأن يمارس الإنسان حرياته فيما يضره أو يضر المجتمع معه كما عاب الاعتقاد الردىء ، والعمل السىء وحرم الإسلام الظلم والاستبداد والاستعباد ومقارفة الخطيئة والإثم وامتهان كرامة الإنسان . ولم يرض عن الاكراه والقهر ، والاستئثار والأثرة والأنانية ، نرى ذلك فى ضوء هذه النصوص :

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ الحجرات « ١٣ » .

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ فصلت « ٤٦ » .

﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ البقرة « ٢٥٦ » .

[٢] من خطبته ﷺ فى حجة الوداع .

﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ فاطر « ٤٣ » .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ البقرة « ١٧٠ » .

﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ . وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ الشعراء « ١٨٢ » .

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ الأنعام « ١٥٢ » .

ويقول الرسول ـ ﷺ ـ : « كلكم راع ، وكل راع مسئول عن رعيته » [٣] . ويقول عليه الصلاة والسلام : « إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام » [٤] .

حقوق الإنسان هبة من الله ، وليست من إنسان : ـ

الله هو الحق ، وهو مصدر حقوق الإنسان وواجباته في الإسلام ، ولأن الله هو العدل الحكم ، كان تشريعه هو الحق والعدل ، والعليم بشئون خلقه ، فلا محاباة ولا تحامل .

يقول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ الحديد « ٢٥ » . ففي الآية إشارة واضحة إلى إقامة العدل ، وعمارة الحياة الدنيا .

« فالمقصود من إرسال الرسل وإنزال الكتب أن يقوم الناس بالقسط في حقوق الله وحقوق خلقه » .

« فالحقوق هبة الله ، وليست منحة إنسان ، وفي مقابلها واجبات في الإسلام ، والواجب أن تؤدى الواجبات قبل طلب الحقوق . والإشارة إلى الكتاب والميزان واضحة في وجوب ضمان العدل بين الناس ، وحفظ الحقوق وصيانتها ، احتراماً للإنسان والإنسانية .

وكون الحق والواجب من الله ، يجعل الأمر عقائدياً وإيمانياً ، يجب على المسلم ألا يفرط فيه ولا يتهاون ، وإلا كان ظالما لنفسه وملوما ، على نحو ما تحكيه الآيات الكريمة .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ . قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا . إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا . فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ النساء « ٩٨ ـ ٩٩ » .

ويقول سبحانه : ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴾ النساء « ٧٥ » . فصيانة الحقوق واجب الإنسان والخنوع والخضوع لغير الله ليس من الإيمان في شيء ، لأن عزة المؤمن من عزة الله .

[٣] متفق عليه .

[٤] من خطبته ـ ﷺ ـ في حجة الوداع .

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ المنافقون « ٨ » .

فعقيدة الإسلام تحقق للإنسان حقوقه وعزته وكرامته ، لأنه مع بني جنسه أمام الله سواء ، فلا يؤله إنسان أو شيئاً غير الله .. وعليه أن يحافظ على حرياته وكرامته ، وأن يقاتل دونها إذا تَخَطَّفَتْهَا الْحُتُوفُ السود ، أو اعتدى عليها معتد .

قال تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ الحج - « ٣٩ - ٤٠ » .

عموم المساواة للأفراد في الإسلام :

قلنا : إن الإسلام سوى في الاعتبار البشرى والقيمة الإنسانية لجميع الناس ، وتفاضلهم إنما هو في التقوى ونفع الإنسانية ، بغض النظر عن الجنس واللون وما شاكل ذلك .

فالناس متساوون أمام شريعة الله . يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ النساء « ١٣٥ » .

قال أبو بكر - رضى الله عنه - في أول خلافته :

« ألا إن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق منه ، وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق له » .

والناس أمام القضاء سواء في كل شيء : في الولاية ، واقامة الدعوى ، وأصول المرافعة ، وتطبيق النصوص ، وتنفيذ الأحكام ، وتحرى العدالة التامة بين الخصوم ، يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ، وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ النساء « ٥٨ » .

وقد وقف بعض الصحابة موقف الند مع خصومهم أمام قاضى المسلمين ، وسرهم ذلك ، إذا استبشروا بأن للعدالة حماية في رعاية القضاء ، وأن القاضى يسوى بين القادة والرعية في كل شيء .

حماية الإنسان في الإسلام :

الحياة الإنسانية غالية ، لأنها هبة الله وبنيان الرب وقد شدد القرآن في وجوب حماية النفس الإنسانية ، وصيانتها ، وتقديرها واحترامها .. وجعل قتل نفس واحدة كقتل الناس جميعاً ، يقول سبحانه : ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ المائدة « ٣٢ » .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ الأنعام « ١٥١ » ، لأن حفظ النفس من مقاصد الشريعة الأساسية .

وشرع القصاص عقوبة رادعة للمعتدى ، وتقديراً للحياة ، ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة « ١٧٩ » .

البقيه ص ٥٢١

بهائية جديدة

فى ثوب مسيحى

« صن مون » .. هذا البهائى الذى ظهر فجأة على السطح وامتلات بأخباره الصحف فى الغرب والشرق . من يكون ؟

وما أهدافه الحقيقية التى يقف وراءها الماسون ؟

لقد نشرت مجلة تايم TIME تحليلاً دقيقاً - منذ عدة شهور - عن هذه النحلة « CWLT كولت » وغيرها من النحل التى شاع أمرها بين الأمريكيين وكيف انخدع بها بعض السذج فراحوا يؤيدونها عن إيمان ويقين .

وقد نعت الصحيفة على الشعب الأمريكى هذه السطحية فى تقبل هذه الخرافة ، والانقياد الأعمى وراء كل دعىّ يحترف الكهانة والعرافة .

ان « صن مون » ليس الا حلقة فى سلسلة طويلة من الأدعياءوالكذبة الذين عرفهم العالم منذ منتصف القرن الماضى بَدْءًا بـ« **البهاء** » و« **غلام ميرزا** » و« **هارى كريشنا** » و« **المهاريشى** » ، وبطل جوايانا الشهير الأب القاتل « **جونز** » .. !

صورة واحدة متكررة تظهر كفقاعات على سطح البشرية التى أفقدتها حضارة الغرب المادية اللاهثة الاتزان والطمأنينة . حين عجزت هذه الحضارة عن تلبية حاجة الإنسان المادية والروحية ، وتركته نهبا لاعصار الشهوات والفجور الذى يهدد العالم بكارثة محققة ..

وحيث عجزت الكنيسة ، وفشلت فى احتواء هذه الظواهر الهدامة ، وفى تقديم العلاج والحلول لهذه الأزمات التى يعانى منها الإنسان فى كل يوم ولحظة .

رجل يدعى الوحى ، ويزعم الاتصال بالمسيح منذ حوالى نصف قرن ، وتروج له الصحف عن طريق اعلانات تكلف الملايين بسبب هذا النشر ، ويقيم - على حسابه - مؤتمرات تفوق تكلفتها مثل هذه الملايين - فى أى مكان من الأرض - .

الا يثير ذلك فى نفوسنا الشك ؟ ويدفعنا إلى التساؤل المريب عن مصدر هذه الثروة التى لا تملك مثلها حكومات فى بعض بلاد الشرق ؟

انه (نبى) أمريكى حقا .. نبى من عائلة « **روكفلر** » .. و« **فورد** » .. و« **روتشيلد** » .. و« **مانهاتن بنك** » .

د. عبد الودود شلبى
الأمين العام للجنة العليا للدعوة

وكان أولى وأنفع لثروته أو دعوته أن تبقى فى خزائن البنوك ، وأن يستثمر نبوته الكاذبة بعيداً عن الديانات التى ترفض أمثاله من الماسونيين عبيد اليهود ..

ولكن الرجل مدفوع إلى مخطط يهدف إلى تدمير الأديان من أساسها فوق هذه الأرض ، ويسعى بوحى « **ماسوني** » إلى تنفيذ ما كلف به من التخريب والهدم ..

إن « **مون صون** » **لم يأت بجديد** .. فالذى يدعو إليه مرفوض فى الجوهر والشكل والمسيحيون ـ قبل المسلمين ـ يرفضون دعوته المفضوحة بالمنطق والعقل .. وإلا فعلى أى أساس تقوم دعوة التآخى بين الأديان .. الشائعة فى هذا العصر ؟

هل هى دعوة إخاء على أساس تقريب المسيحية من الإسلام وتقريب الإسلام من المسيحية .. ؟ إن كان هذا هو المطلوب .. فبالله .. كيف يتم هذا التقريب ؟

هل يترك المسيحيون إيمانهم بالأب والابن والروح القدس إلى الإيمان بالواحد الأحد .. الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ؟

مستحيل أن يفعلوا ذلك ..

أم يترك المسلمون إيمانهم بالله الواحد إلى الإيمان بالثالوث المسيحى ؟

الف مستحيل ولن يكون .

أم يترك المسلمون والمسيحيون عقائدهم إلى الإيمان بـ« صن مون » والاعتراف به نبياً جديداً لكل البشر ؟

مستحيل أن يقع ذلك .. لأنها دعوة إلى الردة وعودة إلى الجاهلية الأولى فى حياة البشرية ..

لقد ظهرت فى أندونيسيا جماعة باطنية ماسونية تهدف إلى هذه الغاية ، **وليست « الفاتشاسيلا »** التى تعتبرها الدولة دستوراً مقدساً فى سياستها العامة الا تعبيراً عن هذه الردة .

وفى كتاب « سى سانجك ديجاتى » « SESANG DIJATI » المعتمد عند هذه الطائفة تقرأ تلك العبارات التى تفضح حقيقة هذه الطائفة ، وحقيقة الدعوة التى يتبناها هؤلاء المتنبئون الكذبة ..

يقول هذا الكتاب المطبوع فى جاكارتا سنة ١٩٦٠ وفى صفحتى ٨٧ ـ ٨٨ ما نصه بالحرف :

« **شهادة التوحيد وشهادة الرسول المأخوذتان من الشهادة الإسلامية المكتوبتان بالخط الأخضر « اشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله » من هو محمد فى الحقيقة ؟** .

هو النور المحمدى ، هو نور ذات الله الذى تقاصر عنه الوصف .. المنبثق من

الوحدانية .. الحال بالجسد .. المتحد فيه الخلق والخالق ... المعروف عند أهل المعرفة بالتثليث ... الله .. الرسول .. محمد .. المتلاشى فى الأحدية وما النور المحمدى سوى المسيح عند الدين المسيحى أو المسمى بالسيد الابن وهو أيضا حقيقة رسول الله ... !!!

اليس هذا هو مايدعو إليه « صن مون » بالروح إن لم يكن بالنص والحرف .. فعلى أى أساس يتم هذا التقارب الذى يدعو إليه هذا الرجل ؟

هل يتم هذا التقارب على أساس سياسى ؟ لقد ثبت فشل هذه التجربة من خلال الأحلاف التى لقنوها « شهادتى الإسلام » ومن خلال جمعية الصداقة المسيحية الإسلامية التى أنشأها القس الأمريكى هوبكنز .

لقد كان « **هوبكنز** » هذا مبشراً مسيحياً ، وفى أثناء إقامته فى لبنان دعا إلى إقامة هذه الجمعية لأن مثل هذا العمل فى رأيه : يساعد على التقارب بين الإسلام والمسيحية ، ويوقف حملات البغضاء والكراهية بين أتباع الدينين وقد استجاب بعض علماء المسلمين إلى هذه الدعوة .

ـ كما فعل ذلك مع « صن مون » بعض علماء تركيا ـ .

وتم اللقاء والاتفاق فى « بحمدون » على المبادىء التى تسير عليها الجمعية وفى النهاية اكتشف المسلمون أن هذه الجمعية أنشئت لغرض واحد هو محاربة الشيوعية أما الإسلام والمسلمون فلم يكن لهم أى اعتبار أو تقدير فى نظر القائمين على هذه الجمعية بل زادت حملات الكراهية للإسلام بعد ذلك على امتداد قارات العالم وساحاته فى أنحاء الدنيا .

فإذا لم تكن هذه الدعوة دينية ، ولا دعوة سياسية فإلى أى مذهب تنتسب هذه الحركة « الصنمونية » ؟! ..

انها جزء من التحرك البهائى الماسونى الذى بدأ يتشكل فى صور جديدة كنوادى « الروتارى » ونوادى « الليونز » بعد أن افتضح أمر هذه الماسونية ، وفاحت رائحة جرائمها العفنة كما حدث أخيراً فى إيطاليا .

وإذا كانت الماسونية أو البهائية قد اختارت الدين المسيحى مظلة لحركتها الجديدة فإن هذا التشكل الجديد لن يغير من واقع الأمر شيئا .. وسواء أكان اختيارها لهذه اللعبة رجلاً شرقياً هو « **صن مون** » الكورى أو « **المهاريشى** » الهندى أو كان اختيارها لـ« مجمع الأديان » الذى أنشأه ظفر الله خان القاديانى ...

فنحن ـ المسلمين ـ فى غنى عن أية نحلة من هذه النحل .. بعد أن أكمل الله لنا الدين وأتم علينا النعمة بهذا الدين .. وبعد أن انزل على نبينا محمد كتاباً جامعاً ، وشاملاً لكل ما فيه خير الإنسانية وخير المسلمين .

فهو كتاب العقيدة الصحيحة الواضحة ، وهو كتاب الأخوة الإنسانية الجامعة ، وهو

كتاب الحياة لكل ما فى هذه الحياة ، ومن فى هذه الحياة أيا كان موقعه ومكانه فى كون الله . هو الكتاب الذى يعترف بما سبقه من الكتب ويعترف بكل من جاء قبل محمد ـ ﷺ ـ من الرسل ، ويعترف بالإنسانية كلها كأسرة واحدة من أب واحد هو آدم ، ومن أم واحدة هى حواء .

وبالرغم من تظاهر الحركة بدعوة المسلمين والمسيحيين إلى هذه الحركة الا أنها فى الحقيقة ، وفى الواقع ومن خلال التجارب الكثيرة السابقة لا تستهدف سوى الإسلام وحده لأن المسيحية فى نظر الماسونية أو البهائية لم تعد خطرا .. والا لما قامت هذه الحركة وأشباهها فى معظم اقطار أوربا وأمريكا وإنما يكمن الخطر فى الإسلام الذي يقف شامخا فى وجه هذه المؤامرة الكبرى ..

ومن الأمور المحيرة .. أن تقف الكنيسة موقفا سلبيا من هذه الهرطقة .. وأن تسكت عن هذا الرجل الذى يحاصرها فى كل ناحية .. وألّا يصدر عنها قرار واحد بالادانة ...

لقد هربت الكنيسة من ميدان معركتها الحقيقية لتحارب (بالتبشير) فى جبهات أخرى وديعة ومسالمة وضد المسلمين الأبرياء الذين لا حول لهم ولا قوة .

وهى بهذا الهروب ترتكب خطيئتين فى حق نفسها وفى حق المسيحية ..

فهى « **أولا** » تثبت فشلها فى مواجهة الباطل والخرافة ، وهذه هى الخطيئة الأولى .

وهى « **ثانيا** » لم تتوقف عن إرسال جحافل المبشرين للعدوان على الإسلام والمسلمين فى أسيا وأفريقيا ..

وهذه أكبر الخطايا ، والعقبة الكؤود فى طريق أى تفاهم .

والكنيسة فى النهاية هى الخاسرة .. فإذا كانت البهائية .. أو الماسونية تستهدف الإسلام فى حركاتها السرية الهدامة فهى تستهدف كذلك المسيحية وبنفس القوة .

وكما يقول أحد منشورات الماسونية :

اننا لن نكتفى بالانتصار على المتدينين ومعابدهم إنما.غايتنا الأساسية هى إبادتهم من الوجود كليًا ..

إن النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته الا بالقضاء على الدين ... ستحل الماسونية محل الأديان ، وستقوم محافلها مقام المعابد .

وقد حدث عندما توفى « البرت بويك » AL-BERT POYK رئيس الماسونية الأعلى سنة ١٨٩٣ وانتخب « لمى » LEMMI خلفا له : علق صورة المسيح مقلوبة على قصر الماسونية وكتب تحتها هذه العبارة الجارحة النابية :

قبل مغادرتكم هذا المكان .. أبصقوا فى وجه هذا الإبليس الخائن ..

فهل يعى المسيحيون ـ قبل المسلمين ـ أبعاد هذه الحركة ؟ وأبعاد هذه الفتنة ؟ وأبعاد هذه المؤامرة التى لن تترك ـ على قيد الحياة ـ مسيحيا ولا مسلما إذا قدر لها النجاح والوثوب إلى السلطة .. ؟

الدولة الإسلامية

اجتماعيا.. واقتصاديا.. وسياسيا

٣

أوضحنا فى مقالينا السابقين كيف أن الدولة الاسلامية الأولى - وهى النموذج الذى يحتذى - قامت على هدى توجيهات رسول الله محمد ﷺ ، وكيف أن كل نواحى الحياة فيها كانت محكومة بأحكام مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة .

وأنا ما كان زمن وجود الدولة الاسلامية ، وأيا ما كان اتساع رقعتها فإن للسلطة الحاكمة فيها أوجه نشاط تمس الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية من أجل إقامة شرع الله ، ومن أجل أن تجعل كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى .

ولقد أوضحنا أن الوجه الأول من أوجه نشاط الحكومة فى الدولة الاسلامية هو المحافظة على الكيان الداخلى للدولة بتعهد الإنسان المسلم الفرد ، وبنائه على الأسس القويمة التى يرضاها الله ، وتهذيب سلوكه . فإذا ما صلحت لبنات المجتمع ، صلح البناء الاجتماعى الداخلى كله ، وأصبح يشد بعضه بعضا .

أما الوجه الثانى من أوجه نشاط الحكومة فى الدولة الاسلامية فهو المحافظة على سلامة الدولة من الخارج .

دعامتنا تأمين الكيان الخارجى

لقد أنزل الله تعالى شريعة الاسلام على محمد ﷺ ، وبين لنا فى كتابه العزيز أن هذه الشريعة عالمية ، إذ يقول الله تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » . (سبأ / ٢٨) ، كما أمر رسوله أن يبلغ الرسالة ، وجاء أمر الله هذا عاما ، فلم يخص بالتبليغ قوما بعينهم ؛ إذ يقول الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ

للتحميد: أ ـ ح

د. فوزي محمد طايل

تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ » (المائدة / ٦٧) ولقد أدرك بعض المستشرقين هذه الحقيقة فنرى (أرنولد) يقول : « لم تكن رسالة الاسلام مقصورة على بلاد العرب فقط ، بل كان للعالم كله نصيب فيها ، فهى إذ تدعو إلى إله واحد ، كذلك لا يكون غير دين واحد يدعى إليه الناس كافة » .

وكما أمر الله تعالى رسوله بالدعوة إلى الاسلام صراحة متبعا طريق الحكمة والموعظة الحسنة فى قوله تعالى : « ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » . (النحل / ١٢٥) ، فإن الله تعالى قد أذن للمؤمنين بالجهاد فى سبيله :

تأمينا لنشر دعوته .

ودفعا للظلم عن المسلمين .

وحماية للأقلية المسلمة المستضعفة فى الأرض .

فالدعوة الاسلامية تعرض على من لم تبلغه ، ولا تفرض على أحد ، ولا يكره عليها إنسان ؛ إذ يقول الله تعالى : « لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ » (البقرة / ٢٥٦) ، ويقول سبحانه : « وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ » ، (الكهف / ٢٩) ، فإن أجاب القوم ، أو عاهدوا على عدم التعرض للدعوة ودفعوا الجزية فيها ، وإن أبوا ومنعوا كلمة الله أن تكون هى العليا ، وإن آذوا المسلمين أو تعرضوا لهم بسوء ، كان الجهاد فى سبيل الله لحماية العقيدة وتأمين نشرها ، لا لاكراه الناس على الايمان بالله والدخول فى الاسلام .

ولا غرو فالاحتكاك فى الحروب ييسر للمثل العليا والأخلاق القويمة ودعوة الحق أن تسرى بين الناس وتعلو على الباطل .

يقول ابن خلدون : « إن الضعيف مأخوذ دائما بتقليد القوى واتباعه ذلك أن القوة فى ذاتها دعوة إلى اتباع فضائل من يتحلى بها ، ولأن ضعف القلوب يجعله يقتبس من أسباب القوة عند الغالب » .

وعلى هذا فإن دِعَا مَتَىْ تأمين الكيان الخارجى للدولة الاسلامية هما : الدعوة إلى الاسلام ، والجهاد فى سبيل الله .

وحتى تنجح الدولة الاسلامية فى إقامة هاتين الدعامتين فهناك أمران لابد من توافرهما :

الأمر الأول : أن تمتلك الدولة الاسلامية من القوة الذاتية اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وعسكريا ما يمكنها من القيام بالدعوة إلى الاسلام والجهاد فى سبيل الله .

الأمر الثانى : أن يكون المظهر العام للمسلمين فى الداخل والخارج قدوة يقتدى بها ، وأسوة لمن أراد أن يتأسى بهم من الشعوب الأخرى ، ولن يكون هذا إلا بتجسيد

فروض الاسلام وآدابه فى التصرفات الفردية والاجتماعية وبالأسلوب الذى أوضحناه فى مقالنا السابق ، فما أكثر ما تغنى المثل العليا والقدوة الحسنة والمعاملة الطيبة عن وسائل الدعوة الأخرى .

أولا ـ نشر الدعوة الاسلامية

١ ـ حال المسلمين اليوم

لقد أهمل المسلمون ، نتيجة ضعفهم وبعدهم عن دينهم الحق ، الدعوة والتعريف بالاسلام ، حتى بين المسلمين أنفسهم ، حتى أصبح المسلمون فى أطراف البلاد الاسلامية ، وحيث يكونون أقليات فى بلاد أخرى ، أصبحوا لا يعرفون من الاسلام إلا اسمه ، والشهادتين ، والصلاة على انحراف ونقص فى ادائها ؛ ففيهم من لا يعرفون الحلال من الحرام ؛ فكم من زيجات تمت بين مسلمين بوثنيات ، ومسلمات بغير مسلمين .. هذا فضلا عما يفعله التبشير النصرانى النشط (حتى فى البلدان الإسلامية ذاتها) من محاولات تنصير للمسلمين ، أو على الأقل تشويه لركائز الإسلام وأحكامه .. وهذا هو الربا ، وأشباه الدعارة ، وشرب الخمر ، وتشويه قوانين الزواج والطلاق وما إليها ، نجدها وقد نشبت براثنها فى مجتمعات إسلامية ، فوهنت وكادت تنهار أمور هى معلومة من الدين بالضرورة .

إن الغالبية العظمى من العالم غير الاسلامى يتعرفون على الاسلام اليوم من خلال الكتابات الصليبية وكتابات المستشرقين ، التى يهدفون من ورائها إلى هدم الاسلام وطمس معالمه وتشويه قيمه ومبادئه ، ذلك لأن الدعوة الاسلامية لم تصل إليهم ، ولأن القائمين على أمر المسلمين لم يولوا هذا الأمر العظيم ما يستحقه من عناية .

٢ ـ فى وجوب الدعوة

إن نشر الدعوة الاسلامية فى كل ارجاء المعمورة فرض عين على القادر ، وهو فرض كفاية على الجماعة الاسلامية (أى على السلطة العامة فى الدولة الاسلامية) التى عليها أن تعد الدعاة وتزودهم بالوسائل والامكانات اللازمة .

ولما كانت الدعوة الاسلامية من قبيل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وجب أن يعهد بها إلى جماعة متخصصة فى هذا الأمر الذى غدا فنا وعلما يدخل فى إطار السياسة العامة للدولة الاسلامية بحيث لا يغنى عنه المجهود الفردى . يقول الله تعالى : « وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ » (التوبة / ١٢٢) ويقول جل شأنه : « وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ » . (آل عمران / ١٠٤ ـ ١٠٥) .

إن التطور العام الذى تعيشه الإنسانية المعاصرة أساسه عودة الدين فإنه أساس

حاسم فى خلق وتشكيل السلوك فى العلاقات الدولية .

ولنلق نظرة على قطاع صغير من قطاعات التبشير بالنصرانية فى قارة أفريقية مثلا ، إذ تقوم الحكومات بتقديم المعونات والدعم المادى لجماعات التبشير بصورة تتسم « بالاهتمام واليقظة » ـ على حد تعبير أحد الكتاب الغربيين ـ فتقوم الارساليات التبشيرية بإنشاء ، أو تنشيط عمل المستشفيات والمدارس ، وتقتحم مشاكل التعليم والصحة ، وتطوير الزراعة ، وحفر الآبار وتحسين أحوال المرأة ، ومعاونة اللاجئين والإمداد بالمواد الغذائية ، وقد خصص لذلك مئات الآلاف بل الملايين من المبشرين ، ورصدت آلاف الملايين من الدولارات والعملات الأخرى لنفس الغرض . ويكفى أن نعرف أن حجم أحد المؤسسات التبشيرية وتسمى « جيش الخلاص » ، (وهو مؤسسة منظمة على نسق الجيوش وتقوم بربط التبشير الدينى بفعل الخير وتقديم التبرعات المالية والقيام بالأعمال الاجتماعية فى الدول التى ينتشر فيها) ، بلغ ما يزيد على مليون شخص تعمل فى ٨٦ دولة مستخدمة فى تبشيرها ١١٠ لغة . هذا جزء من كل !!

ألم يأن للمسلمين أن يستيقظوا ؟!!

٣ ـ ميادين الدعوة وأهدافها

إن للدعوة الاسلامية مجالين : الأول داخل الدولة الاسلامية ذاتها ، والثانى خارجها . وللدعوة فى كل من المجالين أهدافها :

أما فى داخل الدولة الاسلامية فأهدافها ما يلى

أ ـ تحويل أحكام الشريعة الاسلامية إلى واقع عملى يراعيه الأفراد فى سلوكهم اليومى ؛ فالايمان كما روى عن الحسن البصرى ـ رضى الله عنه : هو « ما وقر فى القلب وَصَدَّقَهُ العمل » .

ب ـ حماية المجتمع الاسلامى من الاتجاهات المنحرفة والالحادية ، ومحاولات تشويه الشريعة الاسلامية ، وتسهيل طريق الغواية والضلال . وطريق حماية المجتمع يكون :

ـ بالاهتمام بتوعية القمم من أساتذة الجامعات ، ورجال التعليم ، والإعلام ، والقائمين على الإدارة والسلطة العامة فى كل الميادين ، فكم من هؤلاء من ليس له حظ كبير من المعرفة الحقة بأصول دينه وتعاليمه . فإذا ما صلح هؤلاء صلح المجتمع بالضرورة ، فهم من المجتمع بمثابة العقل والحواس ، وهم القدوة التى يحتذى بها الجميع .

ـ بشغل أوقات فراغ الشباب والأطفال فيما هو نافع من رياضة وقراءة نافعة ومشاهدة (للافلام) الهادفة إلى بث روح الاسلام وقيمه الفاضلة فيهم . ولنتق الله فى شباب مجتمعاتنا الاسلامية فهم سواعد المجتمع حاليا وقادته فى المستقبل .

ـ وبالعمل على تحويل النشاطات المحرمة التى تتحدى شعور المسلمين وقيمهم فى بعض المجتمعات إلى نشاطات أكثر نفعا للمجتمع ، فيتم تطهير المجتمع ولا يضار أصحاب تلك النشاطات فى آن واحد .

ـ وبمراعاة وسائل الإعلام ـ وكم أصبحت مؤثرة وخطيرة ـ للقيم الدينية الاسلامية عند

عرضها للموضوعات التى أصبحت تقتحم البيوت والعيون والعقول والحواس دون أى استئذان .

— وتنقية التعليم العام فى كل مراحله مما يشوبه من اتجاهات إلحادية ، ومن كل ما يتعارض مع قيم الاسلام وتعاليمه ، ودعمه بكل ما يساعد على غرس العقيدة الاسلامية وفهم فروض الاسلام .

— وتطوير دور المساجد ودعمها بوسائل شغل الفراغ فيما يقره الدين ويحض عليه من علم وثقافة ونشاط رياضى واجتماعى ، كى يجد فيها المسلم كل ما يشبع ميوله المشروعة فيقبل الناس عليها فتعمر .

وأما فى خارج الدولة الاسلامية فأهداف الدعوة ما يلى

أ - التعريف الصحيح بالاسلام بين الأقليات المسلمة ، وإبعاد كل المؤثرات المحرفة للاسلام فى أذهانهم ، ومعاونتهم على حسن إقامة شعائر الاسلام وتعليمه لأبنائهم لينشئوا نشأة اسلامية صحيحة .

ب - الدعوة إلى الاسلام بين غير المسلمين بالحكمة والموعظة الحسنة والقدوة ، وبالوسيلة التى تناسب كل مجتمع من المجتمعات .

جـ - الرد على محاولات تشويه الاسلام وتحريف دعوته ورد الشبهات عنه باستخدام كل الوسائل المتاحة . وليكن معلوما أن الدعوة الاسلامية وهى فرض كفاية ، يجب أن تَبْلُغَ كل فرد فى العالم وإلا وقع الاثم على كل المسلمين . ولحسن الحظ فقد أصبح أمر تبليغ الدعوة أيسر كثيرا من ذى قبل ، نتيجة تقدم وسائل المواصلات ووسائل الإعلام والاتصال .

٤ - مادة الدعوة الاسلامية الفنية ووسائلها

تتناول الدعوة الاسلامية :

موضوعات العقيدة .

وإقامة الفرائض .

والتعريف بشئون المعاملات والعلاقات فى المجتمع .

والسيرة النبوية وما فيها من معان سامية وخلق كريم .

كذا الأهداف الاسلامية السامية من حرية ، وعدل ، ومساواة ، وأخوة .... إلخ .

لقد اتخذت الدعوة الاسلامية ، فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى عهد الخلفاء . الراشدين من بعده صورة كانت تتناسب والظروف السياسية والاجتماعية آنذاك ، فكانت الدعوة تتم من خلال الرسائل التى ترسل إلى الملوك والأمراء على يد مبعوثين ، لدعوة هؤلاء الحكام وشعوبهم إلى الدخول فى الاسلام ، فقد كان الناس فى تلك الأيام على دين ملوكهم . بيد أن الاسلام قد انتشر فى ربوع بلاد أخرى ، فيما بعد ، عن طريق الاتصالات التجارية . وليست هذه الطريقة أو تلك بمثابة شرع واجب الاتباع ، فما كانت إلا وليدة ظروف وإمكانيات ذلك العصر .

أما وقد تغير الزمان فإن على الدعوة

الاسلامية أن تطور أساليبها لتجارى التقدم الاجتماعى والفكرى والعلمى الذى يسود عالم اليوم .

إن وسائل الدعوة الاسلامية يجب أن تَسْتَخْدِمَ ، بجانب الوسائل التقليدية ، الإذاعة المسموعة ، والمرئية ، وشرائط التسجيل ، والصحافة ، والدعاية ، والمحاضرات ، والكتب والنشرات ، والوفود ، وتبادل البعثات والأساتذة ، وإنشاء المراكز الاسلامية ، ومكاتب الدعاية ، والمصحات والمراكز الاجتماعية الاسلامية .

إن اللغة توحد الفكر وتيسر التفاهم وتسهل التعبير وتؤكد الروابط والألفة والانتماء . لذا كان لزاما أن يتم نشر اللغة العربية فى أرجاء المعمورة لتأليف القلوب ولتسهيل نشر الدعوة : فاللغة العربية هى لغة القرآن وهى لغة التبليغ ، وإلى أن يتم نسر اللغة العربية ، **فإن من المجدى فى مجال الدعوة نشر المصطلحات الاسلامية باللغة العربية مترجمة إلى اللغات الأجنبية ، وترجمة كتب الفقه والسيرة ، وتأليف دائرة معارف إسلامية . ولا ننسى فى هذا المجال وإلى حين تحقيق الوحدة الاسلامية ـ التنسيق بين المؤسسات الاسلامية حتى لا يصدر من إحداها ما يتعارض مع عمل الأخريات .**

٥ ـ إعداد الدعاة وتنظيم عملهم :

لعل أولى المراحل فى هذا المجال هى حسن انتقاء الأفراد المتطوعين المؤمنين حقا بعقيدتهم ، والذين لا يرجون من وراء عملهم إلا وجه الله ورضوانه . كما يجب أن يكون الدعاة على مستوى يمكنهم من تحقيق اللقاء الفكرى والاجتماعى والسلوكى المناسب مع جمهور المجتمع الذى سيعملون فيه .

إن على الداعى أن يكون قدوة تحتذى ، ومرآه تعكس مبادىء الاسلام ومثله العليا . والداعى الجيد هو من كان لين الجانب يدعو بحكمة . يقول الله تعالى : « وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ » (آل عمران / ١٥٩) .

والداعى إلى الاسلام يجب أن يكون ذا شخصية نافذة ، لا يعيبه عيب خلقى أو جسمى ، كريم الخلق موطأ الكنف ، رفيقا فى المعاملة ، يبعد عن مواطن الشبهات ، ويتجه إلى معالى الأمور ، ولا يُنْزل إلى سَفْسَافِها بشوشا ، يعمل بمقاصد الشريعة ، فعلى الدعاه أن يُيَسِرَوُا ولا يُعَسِّرِوُا ، يُبَشِرَوُا ولا يُنَفِرَوُا .

فإذا ما تم انتقاء الدعاة من ذوى الثقافات المختلفة والخبرات المتباينة ، والتخصصات المتنوعة يتم تأهيلهم تأهيلا يتناسب مع ميادين عملهم ، فيتعلمون لغة المجتمع الذى سيدعون فيه إلى الله ، ويدرسون أنماطه الاجتماعية ، وسلوك أفراده ، وتاريخهم ، وواقعهم ، ومشاكلهم النفسية والاجتماعية والاخلاقية .

وأخيراً يتم توزيع الدعاة على ميادين عملهم يؤدون وظائفهم على منابر المساجد ، ومن خلال الإذاعة والتليفزيون ، وكذا من خلال المنشآت والمؤسسات الصحية والتعليمية والاجتماعية والدعائية .

إن الدعوة تحتاج إلى الحجة والبرهان ، والقدوة وقوة البيان ، كما تحتاج إلى مشاركة

الدعاة فى اقتحام مشكلات المجتمع ، ولا يملك هذا أو ذاك إلا خيرة مثقفى ومتعلمى الأمة الاسلامية الذين يتمتعون بخير الصفات ، ويمتلكون أحدث وسائل التأثير والدعوة ، ويجيدون أستخدام هذه الوسائل .

ثانيا : الجهاد

١ ـ مفهوم الجهاد

إن الوجه الثانى من أوجه الدفاع عن الدولة الاسلامية وتأمينها من الخارج هو « الجهاد » : ولقد انقسم الفقهاء المسلمون قديماً وحديثا إلى ثلاث فرق حينما ذهبوا يفسرون معنى كلمة الجهاد ففريق فسر كلمة « الجهاد » بأنها المرادف لكلمة « الحرب » ، وهذا واضح فى تعريف الراغب الأصفهانى لهذه الكلمة فى مفرداته إذ يقول : « هو استفراغ الوسع فى مدافعة العدو » .

أما الفريق الثانى فقد فسر كلمـة « الجهاد » تفسيراً آخر بأن قسم الجهاد إلى قسمين : جهاد باللسان ، وهو الدعوة إلى الاسلام ، وجهاد بالسنان ، وهو قتال العدو .

وهناك فريق ثالث أدخل فى معنى الجهاد كل عمل فيه بذل جهد وإدارة صراع ، سواء تم ذلك مع النفس ، أو مع الحياة بوجه عام ، أو مع العدو فأدخل بذلك وسيلة ثالثة فى الجهاد وهى القلب : فأصبح الجهاد يتم بالقلب واللسان واليد فى تفسيرهم وجعل هذا الفريق الأخير من الصبر جهاداً ، ومن طلب العلم جهاداً ، ومن مجاهدة النفس جهاداً ، ومن الوقوف فى وجه الظلم جهاداً ، ومن تأمين حدود الدولة جهاداً .

وإذا كان الفريق الثالث أقرب فى تفسير كلمة الجهاد إلى نتيجة الاستقراء الظاهرى لما ورد فى الجهاد من آيات مباركات ومن أحاديث نبوية شريفة ، إلا أننا نضيف ـ والله أعلم ـ أن الجهاد هو بذل غاية الجهد ومنتهى الطاقة للتغلب على كل ما من شأنه ألا تكون كلمة الله هى العليا .

فالجهاد هو بذل أقصى الطاقة مع النفس وهواها ، ومع الشيطان ونزغاته ، وهو السعى الجاد الذى لا يعرف الوهن من أجل امتلاك أسباب القوة لدى المسلم كفرد ، ولدى المسلمين كأمة ، تحسبا واستعدادا ليوم يصل فيه الجهاد إلى منتهاه حيث يكون قتال العدو . فللجهاد مرحلتان :

مرحلة سلبية بالاعداد والاستعداد .

ومرحلة إيجابية بإدارة الصراع المسلح مع العدو .

والقوة التى نقصدها هى قوة الجسم ، وقوة العقل ، وارتفاع المعنويات ، وقوة الايمان والعقيدة ، والقوة الاقتصادية ، والسياسية ، وترابط المجتمع ، وارتفاع شأن العلم ، ثم هى فى النهاية القوة العسكرية التى ترهب عدو الله وعدو الاسلام .

يقول الله تعالى : « وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ » (الأنفال / ٦٠) .

٢ ـ حتمية الجهاد

إن القتال والتدافع سنة الحياة منذ خلق الله الأرض ومن عليها ، وسيظل الأمر كذلك إلى أن تقوم الساعة ، وهذه الظاهرة حقيقة اجتماعية وتاريخية لا سبيل إلى إنكارها ، بل إن الله تعالى جعل فيها عمار الأرض واستمرار الحياة ، إذ يقول سبحانه : « وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ » (البقرة / ٢٥١) . ومن جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم : « الجهاد ماض إلى يوم القيامة »[١] .

يقول ابن خلدون فى مقدمته : « إن الحرب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة فى الخليقة منذ براها الله » .

ورغم ما يتردد من دعوات للسلم ونزع السلاح وما إليها فإننا نجد الدول ، كبيرها وصغيرها ، شرقيها وغربيها ، تكرس جزءا كبيرا من ميزانياتها لأغراض الاعداد للحرب ، بل إن القوة العسكرية وإدارة الصراعات المسلحة فى انحاء العالم ما فتئت تؤدى دورا كبيرا فى تحقيق أهداف السياسة الخارجية للدول ، وبصفة خاصة لدى الدول الكبرى .

٣ ـ فرضية الجهاد

تحدث فقهاء المسلمين وأفاضوا فى الجهاد ، فما من كتاب فقه إلا ويذخر بشروح حول هذا الموضوع وخلاصة ما قيل : إن الجهاد فرض كفاية ، إلا إذا هوجمت دار الاسلام (الدولة الاسلامية بالتعبير الحديث) فإنه يصير فرض عين على كل مسلم .

وإذا كان أمر الله صريحا فى إعداد القوة قدر المستطاع استعدادا لقتال العدو ، فإن على الدولة الاسلامية أن تعمل كل ما شأنه أن يكون لها قوة ذاتية تخشى جانبها ، وأن تكون دولة قوية متكاملة البناء الاقتصادى والاجتماعى والسياسى والعسكرى ، لا تعتمد إلا على سواعد أبنائها ، وعلى إمكاناتها . فإذا ما تم لها ذلك فإن على أعداء الدولة الاسلامية أن يفكروا مرات ومرات قبل الاقدام على الاعتداء عليها ، أو الوقوف فى وجه دعوة الحق وارتفاع كلمة الله ، فتقل فرص قيام الحرب وسفك الدماء .

٤ ـ العلاقة بين الدولة الاسلامية وغيرها من الدول

حتى يمكننا الوقوف على حقيقة الجهاد كما نراها ـ والله أعلم ـ فإن علينا أن نستعرض نظرة القرآن الكريم إلى الجهاد ، كما تبدو لنا :

أ ـ لا يكون الجهاد إلا لتحقيق غاية مشروعة ، فهو فى سبيل الله ، وليس لفرض سلطة أو لتقوية سلطان أو للاعتداء على أحد ، يقول الله تعالى : « وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

[١] رواه أبو داود

الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ » (البقرة / ١٩٠) .

ب - الاسلام ، وهو عقيدة الدولة الاسلامية ، دين قوة ، لا يدعو إلى الاستسلام والتخاذل ، بل إلى اليقظة والاستعداد ، ويوضح لنا أن ترك الجهاد سوف يؤدى بالضرورة إلى انهيار المجتمع الاسلامى من الداخل ومن الخارج . يقول الله تعالى : « وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ » (الحج / ٤٠) .

ويقول رسول الله ﷺ : « ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب » ، ويقول ﷺ : « إذا ضن الناس بالدينار والدرهم ، وتبايعوا بالعين ، واتبعوا أذناب البقر ، وتركوا الجهاد فى سبيل الله أنزل الله بهم بلاء فلم يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم » (زاد المعاد جـ ٢ ، ص ٥٨) .

هذا فضلا عن أن ترك الاستعداد المستمر للجهاد يعد مخالفة صريحة لمبدأ عام فى الاسلام مؤداه أن « الجهاد ماض إلى يوم القيامة » .

ولا نقصد من هذا أن الاسلام أمر بالقضاء على كل أعدائه ، أو على إكراههم والاستيلاء على أراضيهم بالقهر لأن هذا لا يتمشى مع قول الله تعالى : « وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ »[١] (يونس / ٩٩) ، لكن ما قصدنا هو أن تمتلك الدولة الاسلامية قوة الردع التى تمنع العدو من العدوان ، وألا تدع المبادأة وزمام الأمور في يد غيرها .

جـ - إن الدعوة الاسلامية ، وهى فرض إسلامى ، بلا خلاف ، تحتاج إلى قوة تساندها وتؤازرها وتردع من يتعرض لها بسوء ، أو يكره المسلمين فى خارج الدولة الاسلامية أو يحرمهم التمتع بحرية العقيدة وممارستها يقول الله تعالى : « وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا » (النساء / ٧٥) .

د - إن الدولة الاسلامية مأمورة بقبول إذا عرض العدو ذلك واحترم العهود والمعاهدات ودليل ذلك قوله تعالى :

« فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا » (النساء / ٩٠)

---

[١] يكاد يقع الاجماع على وجوب الجهاد فى حالين :
أ - أن يطأ العدو أرضا مسلمة .
ب - أن يصدقوم الدعوة أن تصل إلى الناس بالنفس .

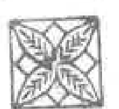
« وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » (الانفال / ٦١) .

هـ - إن العلاقة بين الدول الاسلامية وغيرها من الأمم أساسها حسن الجوار وحسن التعامل بشرط التزام هذه الأمم بعدم القتال وعدم التعرض لدين الله كما يقول الله

تعالى : « لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » .

فالجهاد بشقيه السلبى (الاستعداد واتخاذ أسباب القوة) ، والايجابى بمدافعة العدو ، هو وسيلة الدولة الاسلامية لحماية أمنها الخارجى وتأمين نشر الدعوة الاسلامية ، وصيانة الكرامة والحريات ، وتأمين الحدود والمجتمع . فالحرب هنا حرب دفاعية ، المبادرة فيها ضرب من الدفاع والاستعداد المستمر فيها وسيلة منع وقوع الحرب وإقرار السلام .

ذلك وللجهاد فى الاسلام أسس ومبادىء وآداب لن يتسع المقام لسردها وتوضيحها ، وسنفرد لها بإذن الله مقالا خاصا .





وأبونا شيخ كبير

عن سلمة بن سعد انه وفد إلى رسول الله « ﷺ » هو وجماعة من أهل بيته وولده ، فاستاذنوا عليه فدخلوا فقال : « من هؤلاء ؟ » قيل له : هذا وفد عنزة فقال : « بخ بخ بخ » نِعْمَ الحيُّ عنَزَة مَبْغِيٌّ عليهم منصورون ، مرحبا بقوم شعيب وَأَختَانِ موسي .. الحديث «١» .

قدم لنا الأستاذ الدكتور على الخطيب رئيس تحرير مجلة الأزهر الغراء هدية فى شهر صفر سنة ١٤٠٧ هـ من مصنفات الإمام جلال الدين السيوطى ٨٤٩ ـ ٩١١ هـ وهى :

« تنزيه الأنبياء عن تسفيه الأغبياء »

والحق أقول : إن هذا الكتيب يعد بمثابة وجبة شهية لمن أراد أن يتذوق طعم الأدب مع أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام ، فيتذوق طعم الإيمان وحلاوته ، ويتشرب قيم الإسلام وأصالته ، ويلبس تاج الإحسان وحلته .

وقد عرض الجلال السيوطى ، رحمه الله تعالى ـ نماذج رائعة لأساليب الأدب مع رسل الله المختارين لأداء الرسالات ، وتبليغ الأمانات وكيفية توقيرهم وتعزيرهم ونصرتهم واتباع النور الذى أنزل معهم ، كما نعى على أولئك السفهاء الذين لا يحسنون الحديث عنهم حيث يطلقون ألسنتهم فى كثير من الأمور بما يوجب سفك دمائهم ولا يعلمون عاقبة أمرهم .

وفى ثنايا روائع الكتاب ودوره وقعت عينى على عبارة فى تحقيق هذا الكتيب والتعليق عليه تفيد أن نبى الله موسي لم يعاصر شعيبا على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام ولم ير أحدهما الآخر .

ورحت أتحسس حادث السقيا من ماء مدين فى سورة القصص وتساءلت ؟

«١» المعجم الكبير للطبرانى جـ ٧ صـ ٥٥ ترجمة سلمة بن سعد العنزى ، وكذلك رواه حنظلة بن نعيم ، رواه أبو يعلى فى الكبير والبزاربنحوه باختصار عنه ، وأحد اسنادى أبى يعلى رجاله ثقات كلهم . مجمع الزوائد جـ ١٠ فى باب عنزة صـ ٥١ عن سلمة ابن سعد العنزى



للأستاذ عبد الفتاح أبو سنه

فمن يا ترى هذا الذى دعا نبى الله موسى إلى دار ضيافته ، وأجلسه على مائدة كرمه ، وزوجه من ابنته ؟

وذهبت أجرى وراء كتب التفسير والحديث والتاريخ وغيرها من المراجع فرأيت أبا عبد الله القرطبى يقول فى سورة القصص ص ٤٩٨٦ ط الشعب :

وأكثر الناس على أنهما ابنتا شعيب عليه السلام وهو ظاهر القرآن . قال الله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ كذا فى سورة الأعراف ، وفى سورة الشعراء : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ • إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ ﴾ . الآية قال قتادة : بعث الله تعالى شعيبا إلى أصحاب الأيكة ، وأصحاب مدين أ هـ تفسير القرطبى .

قلت : ومدين صاحبة الأيكة وهو الشجر الملتف الكثير .

وبين ثنايا البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى عند قوله تعالى : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾ قال : قال عمر بن الخطاب : قد سترت وجهها بكم درعها .

والجمهور على أن الداعى أباهما هو شعيب عليه السلام وهما ابنتاه ،
وقال الحسن : هو ابن أخى شعيب واسمه مروان .

وقال أبو عبيدة : هارون ، وقيل هو رجل صالح ليس من شعيب بنسب ، وقيل : كان عمهما صاحب الغنم وهو المزوّج ، عبرت الإبنة عنه بالأب إذ كان بمثابته اهـ تفسير البحر المحيط جـ ٧ صـ ١١٤ مطبعة دار الفكر .

وبين سطور « روح المعانى » لخاتمة المحققين وعمدة الموقعين أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى قرأت : وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج أنه قال : بلغنى أن أبا الامرأتين ابن أخى شعيب واسمه رعاويل ، وقد أخبرنى من أصدق أن اسمه فى الكتاب « يثرون » كاهن مدين ، والكاهن حبر .

وحكى الطبرسى عن بعضهم أن يثرون اسم شعيب لأن شعيبا اسم عربى ، وقد أخبرنى بعض أهل الكتاب بذلك أيضا إلا أنه قال « يثرو » بدون نون فى آخره قال العلامة الألوسى : وأنت تعلم أن هذا وأمثاله مما تقدم مما لا يقال من قبل الرأى ، وكأنى بك . تعول على المشهور الذى عليه أكثر المفسرين وهو أن أباهما على الحقيقة شعيب عليه السلام إلى أن يظهر لك ما يوجب العدول عنه أ هـ تفسير الألوسى جـ ٢٠ ص ٥٤ تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ طبعة المطبعة المنيرية .

قلت : ولم يظهر لى ما يوجب العدول عنه ، فإن صاحب قصص الأنبياء الشيخ

وأبونا شيخ كبير

عبد الوهاب النجار رحمه الله هو الذى تبنى هذا الرأى وتولى بجهده المشكور تبرئة شعيب من صحبة موسي عليهما السلام حتى قال :

﴿ ولقد راودت نفسي على أن أقول إن الشيخ الكبير هو شعيب النبى عليه الصلاة والسلام ﴾ فتمثل لى شيخ المعرة يقول :

لا تظلموا الموتى وإن طال المدى
إنى أخاف عليكموا أن تلتقوا .

وخشيت أن يلقانى شعيب عليه الصلاة والسلام فى عرصات القيامة فيلببنى إلى الله عز وجل ويقول : أى ربى سل عبدك هذا لم جعلنى صاحب موسى الذى استأجره ، ولم أكن صاحبه ولا وجدت فى زمنه ؟

وما علم استاذ التاريخ الاسلامى أن الأنبياء والرسل يتمنون صحبة من هو أجل قدرا ، وأعظم أثرا عند الله والناس فهاهو الحق تبارك وتعالى يأخذ العهد على النبيين أن يؤمنوا برسول الله ﷺ وبنصرته إن هم أدركوه ثم يشهدهم ويشهد معهم ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ﴾ . الآية ، وها هو موسي يتمنى أن يكون واحداً من أمة أحمد التى قرأ عنها فى ألواحه التى نزلت عليه فيقول له الحق تبارك وتعالى : ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ فلا غرو أن يتمنى شعيب صحبة موسى كما تمنى موسى صحبة نبينا محمد عليهم جميعا الصلاة والسلام ، لا أن يمسك بتلابيب الشيخ النجار فى عرصات القيامة ليبرأ من صحبة موسى عليه السلام .

ثم ذكر رحمه الله صيغا أوردها ودلل على أنها لا تفيد الجزم القاطع بأن صاحب موسى هو شعيب عليه السلام مثل : ﴿ يقولون ﴾ ﴿ بلغنى ﴾ والحقيقة كما تراها فى هذا البحث أن هذه الصيغ قد وردت فى غير شعيب لا فى شعيب نفسه ، وأن جمهور المفسرين على أنه نبى الله شعيب .

وأما شكه فى قبر شعيب فأطمئنه فى قبره وقد عرف الحقيقة فى دار الحق قائلاً : إن معالم قبور سائر الأنبياء قد درست ، ولم يبق منها إلا قبر سيد الأولين والآخرين ليكون معجزة تنضم إلى معجزاته ﷺ حيا وميتا ، وليظل قبره الشريف مناراً هاديا ودليلا كافيا على أنه ﷺ خاتم النبوات ومتمم الرسالات إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

وهذا هو قصص القرآن لمجموعة من أفاضل العلماء وكبار المحققين على رأسهم محمد أحمد جاد المولى ، محمد أبو الفضل ابراهيم يقولون : يرى الحسن البصرى ومالك ابن انس أن الشيخ هو شعيب عليه السلام وناهيك بهذين التابعين الجليلين ، ولست بحاجة أيها القارىء الكريم إلى التعريف بهما فهما ممن قال رسول الله ﷺ فى أمثالهما ﴿ رب مبلغ أوعى من سامع ﴾ .

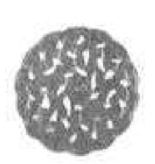
وبانتقالى إلى قسم المخطوطات بمكتبه الأزهر عثرت على مخطوطة نادرة للعلامة الكسائى النحوى باسم « قصص الأنبياء »

فنقلت منها ما نصه : ﴿ فلما عزم موسى على الخروج من مدين ﴾ قال : فبكى شعيب بكاء شديدا وقال : لأنك يا موسى مبارك عليّ وكيف تخرج بابنتي ، وأنا قد ضعفت فلا تضيعني مع كبر سني .. الخ القصة ، أ هـ مخطوطة قصص الأنبياء للعلامة الكسائي ورقات ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ . قلت : والمخطوط بخط الشيخ موسى أبو الذهب الذي فرغ من كتابتها يوم الجمعة المبارك شهر صفر سنة ١٢٧٠ هـ .

وأما ما أورده المعلق على كتاب « تنزيه الأنبياء عن تسفيه الأغبياء فهذا نصه : ﴿ كان شعيب مرسلا في الفترة بين القرن الثامن عشر والخامس عشر من قبل الميلاد أقرب إلى لوط ﴿ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾ وكان موسى في القرن الخامس عشر على نبينا وعليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام .

أقول : إن ما ذكر في المجلة بعيد كل البعد عن أصول التحقيق والتدقيق خاصة إذا كان الرأي مخالفا لما عليه جمهور المفسرين والعلماء ، وكان الأحرى بالمحقق أن يذكر المصادر التي استقى منها هذه المعلومة حتى لا يترك القراء في حيرة من أمرهم . هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن الدليل التاريخي الذي أورده يعد حجة عليه وليس دليلا له . فقد اعترف بأن شعيبا أرسل ما بين القرن الثامن عشر والخامس عشر قبل الميلاد ، وبعث موسى الكليم في القرن الخامس عشر وفي هذا الكلام ما يدل على أن موسى الشاب قد التقى بشعيب الشيخ الكبير قلت : وقد ذهب موسى إليه قبل البعثة وهذا آكد في التقائه به ولايخفى على عالمنا الجليل أن الأمم السابقة كانت أطول أعمارا وأكثر أعمالا ، أما هذه الأمة المحمدية فإنها أقصر أعمارا وأضعف أجساداً ، فعوضهم الله كرامة لنبيهم ببعض الليالي والأيام الفاضلة :

﴿ فالصلوات خمس والأجر خمسون وشهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ، وليلة القدر خير من ألف شهر ، وغير ذلك من نفحات الرحمن . هذا والنقد البناء يقيم الصرح الشامخ ، ويرأب صدعه ، فهو بمثابة لبنة أو حجر زاوية يتعجب الناس من البناء ويقولون : لو وضعت اللبنة مكانها لا نسدت الفرجة الظاهرة ، وبدأ البناء بكامل هيئته والكمال لله ورسوله والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب .





حرصت مجلة الأزهر على نشر هذا المقال تلبية لواجب النقد وحرصاً على الفائدة ونسأل الله - سبحانه - أن يلهمنا الصواب والحرص على العلم الصحيح ، والسعى له والرضا بنتائجه .

ثم نشكر للكاتب الكريم بسطه للموضوع بأكثر مما تناوله تعليق التحرير بالمجلة ، وقد أورد سيادته حديثاً شريفاً زادنا وجوده استمساكا بما ذهبنا إليه ، فإن الحديث الشريف هو من « إثبات العام » الذى لا يقتضى « إثبات الخاص » فلو أن إنساناً أشار إلى شىء فقال - وهو صادق : « هذا ورق » لا يقتضى كلامه أن ما أشار إليه « كتاب » ولكنه إذا أشار إليه - صادقاً - وقال : « هذا كتاب » لاقتضى كلامه أنه من ورق ، كذا لأن إثبات الأخص يثبت الأعم ضرورة وليس العكس .

والحديث الشريف من إثبات الأعم - إذ يقول - عليه الصلاة والسلام :

مرحبا بقوم شعيب . وأختان موسى

نعم فالوفد من مدين التى كان منها شعيب ، وليس الوافدون معاصرين لشعيب - عليه السلام - بداهة

وقوله - عليه الصلاة والسلام : « وأختان موسى » هى من إثبات الأعم أيضاً فإن موسى - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - تزوج من مدين ، فهم أختانه على العموم ، كما نقول نحن :

المصريون أخوال إسماعيل بن إبراهيم ، وإبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وعليهم أجمعين .

ولقد بسط الكاتب فى شخصية حمى موسى بما دلنا على أنه لا إجماع بين جمهور المفسرين على أن شعيبا هو حمو موسى ، فالحسن يراه ابن أخى شعيب ، واسمه مروان أو هارون عند أبى عبيدة ، وقيل : هو رجل صالح ليس من شعيب بنسب ، وقيل : كان عمهما ... الخ

وهذه الاحتمالات - فى ذاتها - كافية للأخذ بالأحوط وبيان أن ظاهر الآيات لا يعطى الدليل على أن شعيبا حمو موسى ، ولو أن فى الأمر حديثاً صحيحاً فيه النص على ذلك لما تردد أحد فى الأخذ به .

فأما الأستاذ النجار - رحمه الله - فمؤرخ أعطى دراسته ، ومن حق كل باحث

متخصص أن يعقبه بالمزيد .... وإنما لنا دراستنا الخاصة عن شعيب ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام [1] .

لذا نتساءل ونرجو أن نحاط علما :

هذه الفترة التى التقى فيها موسى بشعيب ـ على نبينا وعليهما أفضل الصلاه والسلام ـ

أكانت قبل أن يبعث شعيب فى أهل مدين ؟

أم كانت بعد البعثة وقبل أن يحل بهم العذاب ؟ أى أثناء الدعوة ؟

أم بعد أن حل بهم العذاب ؟

ونحن ـ على كل أمر من الثلاثة ـ نرجو ـ مخلصين ـ أن نشق طريقنا بقلب سليم ورغبة مخلصة فى طلب الحق :

إن الكتاب العزيز يقرر ـ فى حمى موسى ـ أنه « شيخ كبير » والحال كما قرأنا أنه يعجز عن أداء عمل ضرورى فوكله إلى ابنتيه ، وما أسرع طلبه للاستقرار وتأمين مصادر الحياة لأسرته فزوج موسى ـ عليه السلام ـ بابنته .

ولا جدال إطلاقاً أن ذلك كله تم فى مرحلة متقدمة من عمر هذا الشيخ النبيل .. وذلك يدفع إلى ترجيح أن هذا اللقاء كان بعد أداء الرسالة لو أنه كان شعيبا ـ عليه السلام .

وهذا محال :

فمن المعلوم ضرورة أن من سنن الأنبياء ألاَّ يعودوا إلى الإقامة فى مواطن العذاب التى تَوَلَّوْا عنها وليس من نبى خرج من قريته ثم أهلكها الله فعاد لها بعدئذ ، وشعيب تلقى أمر ربه بالتَّوَلِّى عن تلك القرية . قال تعالى :

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِى دَارِهِمْ جَاثِمِينَ . الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ . فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ الأعراف ٩١ ـــ ٩٣

فلعل موسى أقام معه قبل أن يبعث ... وهو محال أيضاً وأمر ذلك ظاهر فإنه شيخ كبير .

أم بعد نزول العذاب .. ولن يكون شعيبا بحال ؛ فشعيب ترك مدين ورحل عنها .

أليس الأسلم أمام ذلك كله .. وأمام ما ساق الكاتب من أدلة محتملة أن نقول :

إن لقاء موسى لشعيب لم يتم ، وأنه لو كان كذلك لكنا فى حاجة إلى دليل من المعصوم صلى الله وسلم وبارك عليه .؟!

د . على أحمد الخطيب

---

١ ـ راجع وثنية العرب وأثرها فى الأدب الجاهلى ـ مكتبة كلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر .

الفتاوى

س : من السيد / خ ـ سعد . الزمالك

هل يجوز للرجل أن يتزوج من بنت أخت زوجته المتوفاة ؟

ج : لا مانع من زواج الرجل من بنت أخت زوجته بعد وفاة الزوجة وانقضاء عدتها شرعا وهى أربعة أشهر وعشرة أيام .

س : من الآنسة / ف . ع . إسماعيل مصر الجديدة

فتاة متخرجة من الجامعة تريد الزواج من شخص مقتنعة به ووالدها يعارض هذا الزواج . فهل يصح لها أن تتزوج بغير إذنه ؟

ج : للفتاة البالغة العاقلة أن تزوج نفسها بدون ولى ـ وذلك على مذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه ـ وهو ما أخذ به القانون فى الأحوال الشخصية فى مصر .

س : من السيد / م . أ . إبراهيم . منشية ناصر .

ما حكم تربية الخنازير وبيعها ؟

ج : قال الله تعالى فى كتابه : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ » ويقول : « قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ » .

وبذلك فلحم الخنزير يحرم على المسلم أكله ، وما حرم أكله يحرم على المسلم أن يربيه وأن يتاجر فيه حتى ولو كان يبيعه لغير المسلم .

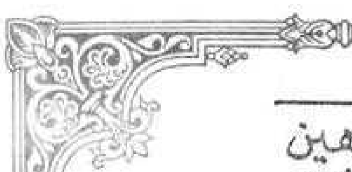
س : من السيدة / ت . ج . على . الشرابية .

طلقنى زوجى ثلاث مرات متفرقات بقوله لى : أنت طالق ـ رسميا ـ فما الحكم ؟

ج : بطلاقك من زوجك ثلاث مرات متفرقات ـ رسميا ـ أصبحت مطلقة منه طلاقا بائنا بينونة كبرى ، لا تحلين له حتى تنكحى زوجا غيره ويدخل بك دخولا حقيقيا أى يعاشرك معاشرة الأزواج ، فإذا طلقك أو مات عنك وانقضت عدتك منه جاز لك أن ترجعى إلى الأول بعقد ومهر جديدين وبرضاك وحضور شاهدين فإذا لم يدخل الزوج الثانى بك ولم يعاشرك معاشرة الأزواج حرم الزواج بين الزوجة والزوج الأول .

س : من السيد / م . م . سليمان . المنوفية .

حلفت على زوجتى وعلى بنتى بقولى لابنتى : « على الطلاق ما أنا داخل بيتك بعد زواجك ولو دخلت البيت ده تكون



إعداد: عبد الحميد السيد شاهين
ويجيب عليها: لجنة الفتوى بالأزهر

أمك محرمة علىّ » نظرا للألفاظ التى قالتها لى ابنتى فما الحكم ؟

ج : هذا يمين يلزمك إذا حنثت فيه بأن دخلت البيت كفارة يمين وهى « إطعام عشرة مساكين » .

س : من السيد / ع . ا . البكرى من طنطا .

توفى الجد عن ـ ابنى ابن ـ أخوة أشقاء ـ فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : التركة كلها لابنى الابن تعصيبا يقسم بينهما بالتساوى ، ولا شىء للأخوة الأشقاء لحجبهم بالفرع الوارث .

س : من السيد خ . م . الطوخى من بنها .

توفى رجل عن : أم . ست أخوات شقيقات ـ أخ لأب . فمن يرث ومانصيبه ؟

ج : للأم السدس فرضا لوجود عدد من الأخوات ، والثلثان للشقيقات الست فرضا لعدم من يعصبهن أو يحجبهن يقسم بينهم بالتساوى ، والباقى للأخ لأب تعصيبا .

س : من السيد / ح . مبروك . بنى سويف .

ج : توفى رجل عن أولاد عم شقيق ذكور فقط . فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : التركة كلها لأبناء العم الشقيق الذكور تعصيبا يقسم بينهم بالتساوى .

س : من السيد / ر . رياض . المنصورة

توفى رجل عن : أم أخ شقيق فقط .. فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للأم الثلث فرضا لعدم وجود الفرع الوارث أو عدد من الأخوة والأخوات : والباقى للأخ الشقيق تعصيبا .

س : من السيد / ف . عبد الرءوف . المنيا .

توفى عن : أم . أخت شقيقة . أخت لأب .. فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للأم السدس فرضا لوجود عدد من الأخوات ، وللأخت الشقيقة النصف فرضا ، لانفرادها ولعدم من يعصبها أو يحجبها ، وللأخت لأب السدس تكملة للثلثين ..

والباقى يرد على الأم والأخت الشقيقة والأخت لأب بنسبة فروضهن لعدم وجود أحد من العصبة .

والله أعلم ...

« عبد الحميد السيد شاهين »

ظاهرة غير سوية

يجب القضاء عليها [1]

■ يشدني إلى الكتابة فيما سأقدمه الآن أمر له خطورته ، وهو أن بعض الباحثين في مجال الفكر الإسلامي يتحدث عن « الفلسفة الإسلامية » وكأنها قد أصبحت بديلة للنصوص المنزلة قرآناً وسنة .

يقول أحدهم : وهو من الباحثين الشباب ، في مقدمة كتاب له ظهر أخيراً بعنوان « مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية » ما يلي :

« إذن فالفلسفة الإسلامية ليست لوناً من الترف العقلي ، أو المماحكات الجدلية عديمة الفائدة ، وإنما هي - في رأينا - ضرورة فكرية عقائدية ، واتجاه علمي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالواقع العملي ، ونموذج أخلاقي يمتزج بحياة الإنسان اليومية » .

كما يقول بعد قليل في نفس المقدمة :

إن الفلسفة الإسلامية **طاقة مبدعة** بامكانها أن **توجه حركة** المجتمع الإسلامى وأن تبين له أفضل المناهج الممكنة » .

ولم يرد طوال الكتاب ما يكشف عن تقرير الباحث للنصوص المنزلة : قرآناً وسنة ، على أنها هى التى تهيىء الأذهان ، وتوجه النفوس أصلاً من خلال تدبر أي الذكر الحكيم والسنة النبوية المطهرة .

ومن الواضح أن النص الأول المذكور أعلاه قد جعل « الفلسفة الإسلامية التى قال عنها صاحب هذه الكلمات ، من بعد فى النص الثانى إنها « طاقة مبدعة » أي أنها من صيغ عقل إنساني ، أقول جعلها النص الأول ، ليس فقط ضرورة فكرية ، بل أيضاً ، كما صرح بذلك : « ضرورة عقائدية » .

وهذا تصريح له خطورته من الناحيتين : العقائدية والعلمية ، أما من الناحية العقائدية : فأصول العقيدة تستمد من النصوص المنزلة ، وليس من قول مفكر مسلم ، وأما من الناحية العلمية : فالعلوم الدينية من « فقه » و « أصول فقه » و « تفسير » و « علوم حديث » .. الخ ، تقوم كلها فى أصلها على النص المنزل ، فكيف تكون « الفلسفة الإسلامية » « ضرورة فكرية عقائدية » لها « قوة الإبداع » والتكوين ، إذا كان الباحث قد أسقط تماماً من حسبانه النصوص المنزلة ، ولفت الأنظار فقط إلى الإبداع الفكري الإنسانى دون تقدير لأثر النصوص المنزلة فى مجال صقل الذهن ، وتهذيب النفس وضبط الجوارح .. الخ أي ضبط جوانب العقيدة .

---

١ - نشر هذا المقال بصحيفة الأهرام الدولى العدد ٣٦٤٤١



أ . د . فوقية حسين محمود

إن المفكر المسلم يسترشد من حيث النظر ، ومن حيث العمل في حياته اليومية ، وفي جميع جوانبها بنصوص الله عز وعلا ، تلك النصوص التى أعطت له فرصة الاجتهاد ، وهو اجتهاد فى حدود مقدور عقله ، أما ما يفوق مستوى عقله ، العقل البشري ، أقصد عالم الغيب ، وبعض جوانب الحياة اليومية من عالم الشهادة ، خاصة ما يتعلق منها بالإرث .. وغيره من المسائل التى يحتاج فيها الإنسان إلى حسم واضح ، لتستقيم معيشته ، فمن نعم الله على الإنسان ، أنها كلها نصية ، وما يرد فيه نص فلا اجتهاد فيه ، فأصبح عمل الذهن على « قدٍّ » الأمور التى لم يرد فيها نص وهي كثيرة ، والجهد بصددها كبير .

فاعتبار « الفلسفة الإسلامية » ضرورة عقائدية كما قال المؤلف أمر مرفوض تماماً ، ليس فقط من حيث العقيدة ، بل من حيث العلم أيضاً ، فالعلم الحقيقي يكون في تقديرى أن النصوص المنزلة : قرآناً وسنة هى الأصل في العقيدة وفى العلم ، وأن الفلسفة الإسلامية علم جزئي من بين العلوم التى يمكن أن تترتب على النصوص المنزلة ، فصاحب كتاب « مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية » الذى بمقدمته هذه النصوص والذى يحوى فصولاً بها كثير من الشوائب ، تكشف عن حقيقته ، وهي أنه ليس من أصحاب الصقل الفكري الإسلامي القويم ، أي أنه ليس لديه تكوين سليم في العلوم الإسلامية ، ذلك التكوين الذى يجب أن يكون مع أهل الاختصاص من رجال اللغة العربية والعلوم الدينية ، ومما يؤكد ذلك أنه دعا فى كتابه هذا إلى أن تكون الصحوة في مجال الفكر الإسلامي على أيدي أهل الفلسفة ، ولم يشر إطلاقاً إلى رجال الدين من متخصصين في الفقه وأصوله ، وأصول الدين والتفسير والحديث .: الخ ، وفي هذه الدعوة بتر للأصول الأصيلة ، وهو ما يخرج الباحث عن الوقفة العلمية الصحيحة في مجال الفكر الإسلامي ، وحديثه في الفصل الأول من كتابه ، عن مجالات الفلسفة الإسلامية يؤكد هذا الموقف المبتور ، لأنه يدخل جميع العلوم الدينية من فقه وأصول فقه .. الخ ، تحت لواء الفلسفة ، وكان ما سماه بفلسفة إسلامية هو الأم ، والمفروض أن يصرح بأن القرآن والسنة هما الأصل الذى نمت حوله هذه العلوم بل لا نجد في كتاباته تقديراً للنص المنزل ـ كما أشرنا ـ ونلاحظ أنه يستشهد بكلام للشيخ مصطفى عبد الرازق في هذا المقام ، ناسياً أن الشيخ مصطفى قد جعل القرآن والسنة ، هما الأصل وأنه لم يقبل أن يضع علم الكلام ضمن كتابه « في التمهيد لتاريخ الفلسفة » وإنما جعله في صميمه للكتاب ، أي وضعه بصفة منفصلة عنه تقديراً منه لعلو قدر العلوم الدينية على مستوى الفلسفة ، ذلك العلم الجزئى الذى هو من نتاج اجتهاد العقل الإنساني ، كما نراه فى مجالات الفلسفة يتحدث عن علم

« أصول الدين » ويدعو بخصوصه لمواصلة البحث ف « الفرق فقط دون شرح الأصول » اي أصول العقيدة ، وكما انه ف موضع آخر من الكتاب يتحدث عن المشكلات الحقيقية والمشكلات الزائفة ، فإذا به يجعل المشكلات الحقيقية هى تلك التى تتعلق بالحكم ، والزائفة ، أي التى لا يهتم بها الجماهير هى تلك التى تتعلق بالدفاع عن العقيدة ، علماً بأن ما يتعلق بمشكلات الحكم كان قد استقر امره لإقرار الفقهاء له وإقرار الفقهاء لأمر من الأمور ينهى المشكلة ، لأنهم يقرونه عن إجماع يهدفون منه الى اكتساب مرضاة الله عز وجل ، وليس لإرضاء المخلوق ، فهم يراعون مقتضيات تطبيق النصوص المنزلة ، ومن بين مقتضيات الاجتهاد دراسة ظروف الواقع ومعرفة تطوراته ، واختيار ما يرون أنه يناسب الجزئية التى لم يرد فيها نص .

فكيف والأمر كذلك فسقط شرح أصول العقيدة من كتاب يحمل عنوان « مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية » وأكثر من هذا كيف يكون كتاب هذا عنوانه يخلو من تقدير النصوص المنزلة ؟ ومن الاستشهادبها ؟

إن هذا الكتاب أدعى أن يحمل عنوان : « مدخل لدراسة حركة الاستشراق » خاصة وأنه تخطيط لكيفية تناول الفكر الإسلامي ف المستقبل القريب بأسلوب يقضى على أصالة هذا الفكر ، ويغفل أصول العقيدة .

إن هذا الكتاب ظاهرة ، هي نتاج تعرف صاحبه على فكر أهل الاستشراق فقط ، دون أهل العلم من المتخصصين في العلوم الدينية والواجب أن ندرس العلوم الدينية على حقيقيتها ثم نثنى بدراسة المهتمين بالدراسات الإسلامية من المستشرقين وغيرهم لأن المعيار الصحيح لضبط الرأي ف مجال هذه الدراسات هو في العلوم الدينية الأصيلة .

فمثل هذا الكتاب ظاهرة غير سوية ، يجب القضاء عليها .

ومن الظواهر الأخرى المؤسفة التى تتفشى ف مجال الدراسات الإسلامية **ظاهرة التساهل ف تكوين الباحث** العلمى في مجال هذه الدراسات . وهذا التساهل له عدة مظاهر .. منها :

تفضيل الاتجاه **إلى الأبحاث القصيرة** التى تسقط من حسبانها فصولاً ، ليست تكراراً لأي معلومات سابقة **وإنما تفضيلاً مجدياً لبعض** مسائل البحث تضفى إذا ما بقيت سمات التكامل على أبعاد الموضوع خاصة وأن البحث العلمي له متطلبات وأصول لابد من استيفائها ، وإلا كان العمل دون المستوى ـ ومنها ، أي من مظاهر التساهل المخل في مجال الدراسات الإسلامية ، **إغفال** معرفة القرآن وعلومه وعلوم الحديث وجميع العلوم التى ظهرت حول القرآن والسنة ، وأيضاً معرفة كيفية تحقيق نصوص هذا التراث وكيفية إجرائه وإخراجه ووضع الفهارس للآيات والأحاديث والآثار وقبل كل شىء حصر الدراسات السابقة ف الموضوع ، لإبراز الجديد في البحث .

وياحبذا لو اقلع منظمو المقررات عن وضع علمى أصول الفقه واصول الدين تحت لواء الفلسفة ـ وفعلوا ما يمليه الأمر بجامعة الأزهر الشريف ليتضح للدارسين الجدد أن الفلسفة لا يمكن أن تحل محل النصوص المنزلة به .

من أعلام الأزهر

الحسيني هاشم

عرض وتعليق
الأستاذ السيد حسن قرون

« ألسنة الخلق اقلام الحق »

هذا القول المأثور المشهور لا ينطبق على أحد كما ينطبق على فقيد الأزهر والإسلام الدكتور الحسيني هاشم . فقد كان من أحب الناس إلى الناس ، ينتظرون قدومه ، ويتهللون لرؤيته ، ويفرحون بوجوده بينهم ، وما جلست مجلساً ، ولا اشتركت في ندوة ، ولا تحدثت مع أحد ممن يحبون الأزهر وشيوخه إلا ذكر الحسيني هاشم بالتجلة والإكرام ، والثناء عليه بالخير وجميل المسلك ، وحسن الصنيع .

ومعروف أن الوظائف والتطلع إلى المناصب مما يدفع الناس ومنهم الأخيار والأطهار إلى التنافس والتدافع ليأخذ كل ما يرومه وقد يكون المتنافس ذا حق واضح ولكنه لا يسلم من القيل والقال إلا فقيدنا العزيز « الحسيني هاشم » فلم اسمع يوماً حديثاً حول مناصبه التى تولاها ، ولا سمعت منه أو عنه شكوى من تخطيه أو إيثار غيره عليه ، فكل أموره تجري رخاء حيث تمضى به سنن الترقي ، وترتيب المناصب .

وكثير ممن يلون المناصب العلمية ويقومون بالتدريس والإشراف ينالهم من تلاميذهم وطلابهم ، ومريديهم شيء من النقد غير الواعي أو النقد الواعي ، ولكني التقيت بطلاب كثيرين رأوا في الحسيني هاشم أبا حانياً ومربياً فاضلا بإزاء العلم الغزير والحرص على إفادة الطلاب ، فإذا قلنا : إنه كان محط الأنظار حيثما يرحل أو يحل فلا نعدو الحقيقة والحقيقة الناصعة التى لا تحتاج إلى برهان .

وليس يصح في الأذهان شيء
إذا احتاج النهار إلى دليل

ولنا أن نرجع كل ذلك إلى بيئة الأسرة وإلى صنع الأزهر في بعض أبنائه وإلى رعاية الله لمن ارتضاه ليكون قدوة ونموذجاً بشرياً يحمى النفوس من الانزلاق في دواعي الفتنة ومهاوي الغواية .

ولد الحسيني هاشم في قرية « بني عامر » بمحافظة الشرقية من أسرة عريقة فهو سليل الدوحة النبوية الشريفة ، وأسرة - هذا شأنها - تعنى بأبنائها أبلغ العناية وتوجههم - حين التوجيه - إلى مكارم الأخلاق باتباع أوامر الدين الإسلامي الحنيف ، وتحببهم في حفظ القرآن وتعمل على تعليمهم التعليم الذي يتصل بالدين بأوثق الصلات .. وهو الأزهر الشريف .. وهكذا ربى الحسيني هاشم فحفظ القرآن ، وطلب العلم بالأزهر وكان له ذكاؤه وجده واجتهاده فبرز بين زملائه بشمائل تذكر له وفضائل تصونه ، وما زال الجد حليفه حتى نال « الدكتوراه » وتولى التدريس وانفتح المجال له ليصعد في سلم الوظائف ودرجات الترقي ، وهداه الله لبناء بيت كريم فتزوج كريمة صاحب الفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود وهو الرجل الذي عرف بالورع والعلم والتصوف ، فتم للحسيني هاشم السكون والمودة في البيت ، والتجلة والمحبة في الأزهر بين طلابه وبين أترابه ورؤسائه ومرءوسيه .

في مارس سنة ١٩٢٥ ، ولد الحسيني هاشم في قرية بني عامر ، وفي ١٩ من سبتمبر ١٩٨٦ ، توفى بالقاهرة وشيعت جنازته في قريته حيث دفن في مقابر الأسرة فله من الله الرحمة ومنا والذكرى الدائمة جزاء ما قام به من أعمال ظاهرة في العلم والدين ، وكان آخر المناصب التي تولاها وظيفة وكيل الأزهر .

جهود الحسيني هاشم
في خدمة الدين والثقافة الاسلامية

ما من شك في أن مجهوده بين طلابه يذكر ولا ينسى وكذلك تمثيله للأزهر ومصر في المؤتمرات الإسلامية ، وبحوثه فيها تحسب من رصيده في مجال الدعوة وخدمة العلم وتعديل السلوك في مصر وخارجها .

واقف وقفة مقصودة لجهده في خدمة الكتاب والسنة ، ولقد اشتهر فضيلته بأنه محدث وله باع طويل في العمل بكتب السنة وفي مقدمتها كتاب البخاري ، ولكني أرى أنه بجانب تلك الميزة له اتجاهات أخرى تضعه في منزلة علماء الكلام والمفسرين والمؤرخين والخطباء ، وسأتحدث عن كل ما ذكرت وإن لم أستطع التفصيل في تلك العجالة فالايجاز يغني عن الاطناب والاشارة تؤدي ما تؤديه العبارة والمنشود إعطاء صورة في اطار لرجل فاضل تتحدث عنه المجتمعات ، بما يدعو إلى الفخر بتغلب الناحية الروحية على الناحية المادية فيه وهذا مطلب عزيز نذكره ولاننساه ، ونؤيده ونقف وراءه بكل ما نملك من قوة وجاه .

في ذى الحجة سنة ١٤٠٤ هـ ، كانت هدية مجلة الأزهر « الوحي الإلهي » تأليف الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية ، وهو كتاب طبع قبل ذلك ، ولكن المجلة أرادت أن ينتفع قراؤها بهذا التأليف النفيس ، وهذا الكتاب تعرض لأمور يجب على المسلم أن يعرفها فهي من مطلب عقيدته :

فمن موضوعات الكتاب الوحي والقرآن والكتاب ، تلقى الوحي من الملك ، في الجو

الملائكي نزل القرآن الكريم ، ظاهرة الوحي القرآني .

وتعرض الكتاب للفروق التي تميز وحي القرآن ، والأحاديث القدسية ، والأحاديث النبوية ، وفي آخر الكتاب كان العنوان « القـرآن والمستشرقـين » وقـد أشبـع الموضوعات شرحاً وتعليقاً في بيان لا يعوزه المنطق ولا الجمال ، ومما عرفته منه وسررت بحصولي عليه شرحه الواضح لوحي القرآن خاصة ، وفي سبيل ذلك تناول « الوحي الشرعي » في ضوء الآية الكريمة :

« وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ » الشورى الآية ٥١

ففي هذه الآية حالات للوحي مع الأنبياء جاءت في ثلاث صور ، الأولى وتكون بإلقاء الله المعنى في قلب نبيه يقظة أو مناماً مع جعله يشعر شعوراً كاملاً واضحاً بأن هذا المعنى من عند الله كما حدث لإبراهيم عليه السلام في منامه حين رأي الأمر بذبح ابنه فقال له كما جاء في القرآن الكريم : « يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى » ؟

الصورة الثانية للوحي الشرعي أن يكلم الله نبيه من وراء حجاب مثل ما حصل لموسى عليه السلام حين ناداه ربه في ليلة باردة وهو مع أهله ، فمما قاله الله له : « وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى » .

الصورة الثالثة : أن يرسل الله ملكاً رسولاً وهو أمين سر الوحي جبريل عليه السلام وهو بتعبير القرآن « الروح الأمين » .



فبأي هذه الصور نزل القرآن الكريم ؟

يعقد الدكتور الحسيني هاشم فصلا عنوانه « الوحي القرآني » ليجيبنا عن هذا السؤال فيقول ما ملخصه : ونمضي مع خاتمة الصور وهي أن يرسل الله رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء وهى الطريق الوحيد إلى وحي القرآن بمعنى أن القرآن ليس له طريق غيره .

« وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ » . الآيات ١٩٢ ـ ١٩٥ من سورة الشعراء .

وليس للروح الأمين دخل في الموحى به ، فليس له غير التبليغ المأمور به ، وليس لمحمد عمل فيه ، ويسمى القرآن الكتاب كما جاء في كثير من السور .

ولكن جبريل عليه السلام يتصل بالنبي



بحالات متنوعة فأيها يكون فيها نزول القرآن ؟

الدكتور الحسيني أورد في هذا ما رواه البخاري بإسناده المتصل عن عائشة رضى الله عنها في صحيحه أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وَعَيْتُ عنه ما قال .

ـ وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول . قالت عائشة رضى الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد وإن جبينه ليتفصد عرقاً » .

وقد بان لنا من إجابة النبي لسائله حالتان واضحتان :

الحالة الأولى : يأتيه ملك الوحي في صورة ملائكية وفي هذه الحالة تعترى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة منشؤها تقريب الطبيعة البشرية إلى ملاءمة الطبيعة الملائكية والجو الملائكي ، إنها بتعبير ابن خلدون : « انسلاخ من البشرية الجسمانية واتصال بالملائكية الروحانية » ، وفي هذه الحالة يحدث عند قدوم الملك صوت صلصلة مثل صلصلة الجرس تنبيهاً وإيذاناً بقدوم الوحي ، والحكمة في ذلك أن يتفرغ النبي تفرغاً تاماً لما يسمعه فلا يبقى فيه مكان لغيره ، ولا تكون الصلصلة إلا مقدمة . وبعدها يلقى إليه الكلام بلسان عربي مبين .

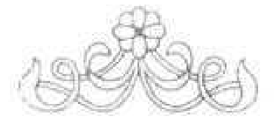
يقول الدكتور الحسيني : ونجد في تعبير الرسول الدقيق .. « فيفصم عني وقد وعيت » ما يفيد أن الوعي حصل أثناء تلقيه ووجوده مع الملك وكان واعياً تماماً مدركاً حاضراً في أتم حالة الحضور .. وكان يتابع جبريل في كل حرف مردداً على لسانه الشريف ما سمعه من الوحي محركاً اللسان به قبل انقضاء الوحي خوف الضياع حتى طمأنه الله بأنه ضمن له حفظه وجمعه له في صدره . قال تعالى « **لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ . فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ** » . وأورد آيات أخر ، ويؤكد أن الأصوات ليست إلا للتنبيه لهذا الإفراغ والاستعداد .

الحالة الثانية : كما نص الحديث أن يتمثل الملك رجلاً فيكلم النبي عليه الصلاه والسلام ويعى ما يقول ، بتمثل الملك على صورة رجل وهي مغايرة للصورة الأولى ، لأن جبريل عليه السلام انتقل من الروحانية والملائكية إلى البشرية الجسمانية ، فيكون على صورة « دحية الكلبي » أو على صورة أعرابي ، ويراه الحاضرون ويسمعونه وهو يحدث النبي ولا يعرفون حقيقته ، وليس في هذه الحالة شدة ولا يثقل جسمه صلى الله عليه وسلم ولا يتصبب جبينه عرقاً ولا يشعر كأنه يقبض فهو أهونه عليه . وفي صحيح أبي عوانة : قال عليه الصلاة والسلام وهو أهونه ، على أنه وحي السنة ، أما وحي التزيل فقد ورد في الحديث الصحيح بالسند المتصل في

البقية صـ ٥١٠

العلوم الكونية

ماذا يأكل مرضى الكبد؟



هذه الأعشاب وهذه النباتات

ماذا يأكل مرضى الكبد؟

مرضى الكبد ليسوا مرضى بمرض واحد اسمه « الكبد » فأمراض الكبد متعددة متنوعة وما يوصف لمريض – من دواء – لنوع خاص من هذه الأمراض – قد يضر مريضا آخر ، لأنه يحمل نوعا من مرض الكبد مخالفا لما يحمله سابقه .. وكلاهما مريض بالكبد .

ولم يقل العلم الحديث كلمته النهائية بعد – في غذاء – مرضى الكبد فقد كانت الاعتقادات السابقة المنتشرة بين الناس تشير إلى ضرورة تناول « العسل » وإلى ضرورة الابتعاد عن « الدهنيات » ، وقد أنكرها العلم منذ سنوات قليلة ، ثم عاد ليؤكدها أخيرا .

وكثيرا ما تكون المواد النشوية ضرورية لبعض أنواع أمراض الكبد ، وشرب العسل – الذى هو مادة سكرية قوية – قد يؤدى الاكثار منه إلى سوء الهضم والإسهال والمغص ، وفقدان الشهية لأيام عديدة ؛ بل قد يتسبب الاغراق في شرب « العسل الأسود » في كراهية المريض له – كما هي العادة – وقد ذكر لي أحد المرضى أنه يصاب بميل إلى القيىء عندما يذكر أمامه اسم « العسل » لكثرة ما أكل منه وشرب أثناء مرضه .

وقد كنا نسمح للمرضى بأكل المواد الدهنية ولا نمانع فيها مادامت شهية المريض تقبلها ، ولعله من العجيب حقا أن يعود الاعتقاد القديم في تحريم الدهون على مرضى الكبد ليصبح « نظرية علمية » حديثة مازالت في دور التجارب والمشاهدة حيث ثبتت صعوبة تصرف خلايا الكبد في المواد الدهنية ، وقد اكتظت الخلايا الملتهبة بالدهن ، وعجزت عن التخلص منه ، وأصبحت خلايا الكبد الملتهبة المزدحمة بالمواد الدهنية عرضة للتآكل والاختفاء والمهاجمة بالخلايا التى تؤدى إلى التهابات الكبد وتليفه وإلى التعطل .

وهذه بعض الحقائق التى اثبتها العلم أخيراً بالنسبة لمريض الكبد ، ولنعد – معاً – لنقول : إن أمراض الكبد قد تعددت وتنوعت ، ونحن نقوم – الآن – بتشخيصها وتصنيفها ، ثم ننتهى – بالمريض – إلى نوع أو اكثر منها حسب حالته .

ونوجز الحديث عن بعض أمراض الكبد بطريقة مبسطة حتى يمكننا أن نعرف :

ما المسموح ، وما الممنوع من أنواع الطعام المختلفة لهؤلاء المرضى ؟!

ولنبدأ بالالتهاب الكبدى الحاد أو « الفيروسى » .

ولعله من الجدير بالذكر أن نقول : إن « الفيروسى » الكبدى الذى يؤدى إلى « الالتهاب الكبدى الفيروسى الحاد » هو نوع من أنواع الالتهابات الكبدية الحادة التى قد تحدث لأسباب أخرى غير « الفيروسى الكبدى » فعلى سبيل المثال قد تحدث من بعض المواد الكيماوية الموجودة فى المبيدات الحشرية وخلافها من كيماويات .

وقد تحدث نتيجة تناول بعض الأدوية التى نستعملها فى العلاج - على سبيل المثال أيضا - من بعض أدوية الروماتيزم وعلاج الحالات العصبية والنفسية وخلافها من أنواع الأدوية الأخرى .

لذلك ننصح أن يكون تناول أى دواء تحت إشراف طبى دقيق .

فأما مريض « الالتهاب الكبدى الحاد » فعليه تناول عصير الفواكه والشراب المحلى بالسكر وقطعة صغيرة من الخبز أو « البسكويت »



د. على مؤنس

بالعسل ، سواء كان عسل نحل ، أو عسل قصب ، وذلك حتى يبدأ المريض باشتهاء الطعام ، عندئذ يمكن أن يتناول الطعام العادى خاليا من الدهون .

ونقصد بالطعام العادى الطعام غير « المُسَبَّك »[1] والمقليات والمحمرات ، بل عليه بالطعام المسلوق أو « النيىء فى نيىء » مع عدم ملء المعدة دفعة واحدة حتى لو دفعته شهيته إلى ذلك بل يتناول قدرا بسيطا من الطعام كل ثلاث ساعات إلى أن ينتظم هضمه .

أما مرضى « التهاب الكبد المزمن » فهنا - أيضاً - ننصح بتناول الطعام العادى السابق ذكره مع الاقلال من المواد الدهنية ، وليس الامتناع عنها تماما ، لأنها ضرورية لامتصاص بعض الفيتامينات الهامة ، وللمحافظة على توازن الصفراء فى الدم ، ولذلك يمكن أن يضاف إلى الطعام المسلوق أو « النيىء فى نيىء » قليل من الزبد الطازج وقت تقديم الطعام .

● ● ●

أما مرضى « تليف الكبد المتكافىء » فعليهم تناول الطعام السابق ذكره مالم يوجد تورم بالقدمين وانتفاخ فى البطن ، هذا الانتفاخ الذى يطلق عليه « الاستسقاء » فلابد حينئذ من الامتناع تماما عن الملح ، وبالتالى عن « المُخَلَّلات » و « المشهيات » .

وإذا قلنا بالامتناع عن الملح فإننا نضع - فى الاعتبار - أن الملح موجود فى « المعلبات » والأدوية الفوارة المهضمة ، وفى

---

[1] يطلق كثير من المصريين هذا اللفظ على الطعام الذى يعد على مراحل متتالية مما يجعله عسير الهضم على العكس من عملية وضع الطعام كله مرة واحدة فى إناء الطبخ لينضج كله معا وهذا الأخير هو الذى يطلق عليه المصريون المحدثون « نىّ فى نىّ »

المواد الغازية ، كما أنه - أى الملح - يدخل فى صناعة الخبز ، وبالتالى فإن الامتناع التام عن الملح واستبدال عصير الليمون به عند الطعام ؛ يعتبر من العوامل الهامة الأساسية للقضاء على هذا الورم بالقدمين والبطن ، وبخاصة - إن التزم المريض بالراحة التامة . كما أن تحديد كمية السوائل بما فيها الماء بما لا يزيد على لتر يوميا من العوامل الهامة المساعدة على الشفاء .

• • •

أما مرضى « التليف الكبدى المصاحب بالغيبوبة الكبدية » فقد تظهر على المريض بعض المظاهر الدالة على قدوم هذه الغيبوبة ، وذلك من خشونة بالصوت ، ورجفة باليدين ، وميل شديد إلى النوم أثناء النهار ، واليقظة والقلق ليلاً ، وتغير تصرفات المريض من قول أو فعل لم يتعوده أهله عليه . وعادة ما تتفاقم حدة هذه الأعراض حتى تقع الغيبوبة كاملة.

وقد يفيق مريض الغيبوبة الكبدية ، ولكنه معرض لتكرارها ، لاسيما مع الإفراط فى استعمال مدرات البول التى - عادة - ما يلجأ إليها الأطباء المعالجون . كما قد تكون معاودة هذه النوبات من الغيبوبة نتيجة الإسراف فى أكل اللحوم ، أو الاصابة باضطرابات هضمية ينتج عنها غازات كثيرة نتيجة عسر الهضم .

لذلك كان من الواجب على هذا المريض الالتزام الكامل ببرنامج الطعام ، ولذلك وجب - معه - الامتناع عن « البروتينات » مثل : اللحم والدجاج والأسماك والجبن وخلافه .

لكن ..

ثبت أن الامتناع الكامل عن المواد البروتينية ضار جداً إذا زاد على عشرة أيام ، فيصبح من الضرورى جداً أن يتناول المريض المواد البروتينية حفاظا على صحته .

ومن فضل الله تبين أن « اللبن الحليب » وما به من مواد بروتينية هامة يمكن لهذا المريض أن يتناوله دون حدوث النوبة الكبدية حيث إنها لا تخرج مادة « النشادر » كما هو الحال فى الجبن بأنواعه ، واللحوم بأنواعها والأسماك بأنواعها ، وبخاصة السمك « المحمر » .

ولا ننسى أن « الجيلى » الذى يقدم للمريض على أنه غذاء خفيف سهل الهضم ضار جداً به ، فأما اللبن فإن (اللتر) منه يحتوى على (٣٩ جراما) بروتينات ، وهو مقدار كاف جداً لهذا المريض ، وعلى (٣٠ جراما) مواد دهنية ، وهى - بدورها - مقدار كاف أيضاً ، ويحتوى على (نشا) اللبن وهو (اللاكتوز) ، كذلك هو هام جداً كمصدر غذائى عظيم ، ثم هو يتحلل - فى الأمعاء - إلى حامض يمنع امتصاص (الأمونيا) التى قد تسبب الغيبوبة الكبيرة .

ولا ننسى - أيضاً - أن اللبن (الحليب) يساعد على امتصاص (الزنك) الذى ينقص فى دم مرضى الكبد ، فيتسبب نقصه فى نقص بعض (الهرمونات) .

من أجل ذلك كله كان اللبن الحليب مصدر غذاء هاما لمرضى الكبد .

وفى صحيح مسلم - من حديث أنس بن مالك - رضى الله عنه قال :

« إن أُناساً من عُرَيْنَة قدموا على رسول الله - ﷺ - المدينة

فاجْتَوَوْها[٢] ، فقال لهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

إن شئتم أن تخرجوا إلى إبل الصدقة فتشربوا من ألبانها وأبوالها . ففعلوا وصحوا »[٣] .

فهذا رسول الله ـ ﷺ ـ أول من وصف اللبن لمرضى الكبد ، ونرى كيف صح هؤلاء المرضى .

ويمكن إضافة الفواكه بأنواعها إلى اللبن الحليب ، كما يمكن إضافة بعض الخضروات الطازجة أو المسلوقة بإضافة الليمون بدون ملح ، وبذلك يصبح غذاء مرضى الكبد المعرضين لتكرار الغيبوبة مكونا من :

أ ـ اللبن الحليب بمقدار (كيلو) يوميا ، ويمكن صنع (الزبادى) منه ، أو (المهلبية)[٤] أو (الأرز باللبن) من هذا (الكيلو) .

ب ـ الفواكه المختلفة .

جـ ـ الخضروات الطازجة ، أو المسلوقة بدون الملح مطلقا وإضافة الليمون ونعنى بالخضروات ما هو مثل : الخس ، الطماطم ، الخيار ، الجزر على هيئة (سلطة) خضراء مع تقليل البصل والبقول من مثل (اللوبيا) و (الفاصوليا) والعدس و (الفول المدمس) .

ولا يؤخذ من هذه البقول إلا بعدتقليل جزء من اللبن المقرر يوميا من الكيلو.

والله المستعان .

د / على مؤنس



[٢] اجتوى الشيء : لم يوافقه .

[٣] الجامع الصحيح للإمام مسلم ١٠١/٥ مؤسسة الطباعة والنشر .

[٤] حلوى تتخذ من اللبن دون دهن مطلقا

هذه الأعشاب وهذه النباتات



بعد أن قطعنا رحلة علمية طوفنا فيها آفاق عالم الأعشاب ومملكة النباتات وقد سبرنا غورها ، وعرجنا على فوائد كل منها ، يطيب لنا ـ وقد أشرفنا على نهاية هذه الدراسة ـ أن نكرر تحذيرنا من الاستعمال العشوائى لهذه النباتات التى يظهر أكثرها بمظهر جميل يروق النظر ، وهى المجهولة الطبيعة تضمر فى داخلها سموما قاتلة فتّاكة •

والمرض هو : خروج الجسم عن حدود الاعتدال •

وهو أيضا : تقصير العضو أو الجهاز عن أداء مهمته الفسيولوجية المنوطة به ، والتى لا يعول الا عليه فيها •

مصطلحات القدماء وأضرب المرض :

وقد استعمل القدماء مصطلحات فى شروحهم للأمراض تختلف كثيرا عما نستعمله اليوم ، ولذلك فقد أصبحت مهجورة معدولا عنها على الرغم من ثبوتها فى مراجعهم ومصنفاتهم ونحن انما نذكرها للأمانة العلمية وللاحاطة حتى تقرب طلاسمها للأذهان ، وان كان الطب الحديث قد جفاها •

قيل فى هذه المراجع القديمة : ان الأمراض على ثمانية أضرب : أربعة بسيطة ، وأربعة مركبة ، فالبسيطة هى : البارد كالآس ، والحار كالبصل والرطب كالزنجبيل ، واليابس كالتين •

والمركبة : الحار الرطب كالطلح والزبيب ، والحار اليابس كالأرز والثوم ، والبارد الرطب كالبطيخ واليقطين ، والبارد اليابس كالبلح والتمر •

وقد ذكر ابن رسول فى (المعتمد) وابن قيم الجوزية فى (الطب النبوى) وغيرهما هذه النعوت للأمراض لكن بعضا من هذه النعوت كان حدسا وتخمينا غير سديد ، وهم معذورون فى هذا لأن طبيعة التفهيم فى عصورهم كان تقتضى هذا ، وهذا لايمكن أن يقدح بحال فى عظمة وقيمة ما قد قدموه للتراث الانسانى •

ولست مع الراغبين فى اعادة هذه المصطلحات العافية الدارسة لأنها غير دقيقة فى التمييز بين الأمراض الباطنة والظاهرة المتشابهة الطبائع والأعراض والتى تأخذ تقريبا نفس الاشارت مما يوقع فى التخليط والوهم فان الحمى الروماتيزمية Rheumatic fever على سبيل المثال تأخذ نفس الطبيعة الحارة لمرض الروماتويد Rheumatoid Arthritis مع

اختلاف كل منهما فى الأسباب والأعراض والمضاعفات وطريقة العلاج .

فبينا نرى التهاب المفاصل الروماتيزمى
Rheumatic Arthritis
بعد العلاج لايترك أثرا ، نرى أن التهاب المفاصل الروماتويدى قد يترك تشوهات قد يصعب علاجها مع الاهمال لها فترة من الزمان.

كذلك فان (الصمام المتيرالى) هو أكثر صمامات القلب تأثرا بالحمى الروماتيزمية .
Rheumatic Mitral Valve Stenosis
لكن مرض الروماتويد لاتأثير له على القلب. هذا فضلا عن دور مرض الروماتويد فى اماطة اللثام عن تشخيص بعض أمراض المناعة فى الجسم .

هذا ما أردنا وتوخينا الاشارة اليه والتنويه عنه ، حتى تنجلى الصورة تماما ، فلا يكون ثمة مجال لمن يطلب أثرا بعد عين .

النرجس : ــ

يضمد الجرح ، ومطبوخه عند شرب مائه يهيج القيىء فى مركز القيىء بالنخاع المستطيل بالمخ
Stimulates Vomitting Centre in the Medulla Oblongata.

كما يساعد على التئام القروح الغائرة الحادة والمزمنة ونسب البعض من المجربين الى زهرة فعاليته فى علاج البرد والزكام ، وانى لأعتقد أن هذا راجع الى احتوائه على مضادات الهستامين Antihistamines وقد ذكر ابن قيم الجوزية فى زاد المعاد (٤/٣٩٩) « عليكم بشم النرجس، فان فى القلب حبة الجنون والجذام والبرص لايقطعها الا شم النرجس » .

وقد وجدت تعارضا شديدا بين هذا القول وبين أساسيات طب الامراض الجلدية ، فعمدت الى موضوعات ابن الجوزى فوجدته قد حكم عليه بالوضع فقال : « هذا حديث موضوع ، ولا أصل للحديث » أ هـ .

قلت:الحمد لله .

راجع الموضوعات (٣ / ٦١) كتاب الطيب باب فى فضل النرجس . ومن ثم يجب الاحتراس من الاحاديث الموضوعة وما أكثرها.

نبق : ــ

ورد عن السابقين أنه شجر السدر ، كان شائعا فى الجزيرة العربية ، وثمره يعقل البطن، ويقطع الاسهال ويقوى المعدة ، ويغذو البدن ، وينفع ادرار الصفراء Stimulates Bile Flow

وقد ورد فى صحيح البخارى (٦ / ٢١٨ و ٢٢٠) من حديث مالك بن صعصعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكر النبق فى الحديث الصحيح وأنه قد رأى سدرة المنتهى ليلة أسرى به ، واذا نبقها مثل قلال هجر .

ورس : ــ

نبت أصفر ، يشبه السمسم الى حد كبير ، يستعمله البعض كصبغ للجلد والوجه ، وقد أخرج الترمذى فى جامعه الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان ينعت الزيت

والورس من ذات الجنب » راجعه (٢٠٧٩) وقد ضعفه ابن ماجة (٣٤٦٧) .

كما أخرج الزيلعي في نصب الراية (٢٠٥/١ و ٢٠٦) بشواهد يقوى بعضها بعضا عن الحاكم والبيهقي والدارقطني يرتقي بها الى (درجة الحسن) ويرتفع عن (الضعيف) عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : كانت النفساء تقعد بعد نفاسها أربعين يوما ، وكانت احدانا تطلى الورس على وجهها من الكلف » .

وذكره أيضا أبو داود (٣١١ ، ٣١٢) والترمذي (١٣٩) .

وقطع ابن القيم بصحة الحديث مع أنه غير ذلك التصحيح والله وحده أعلم بحقيقة ذلك وقيل ان الورس ينبت في اليمن دون بلاد العالم ولايوجد منه في بلاد العرب الاخرى ، ولعل في هذا القول شططا الى حد كبير .

وفوائد الورس كثيرة منها علاج كلف الوجه والحكة Urticaria وبثور الحميات Vesicles

وذكر بعض الشيوخ ، أنه يعينهم على قضاء حوائجهم ، واستدل بعض الفقهاء على ذلك أن المحرم يحرم عليه أن يلبس أثوابا من ورس أو زعفران لأجل ذلك ولكنى لا أذكر مرجع ذلك الرأى .

يقطين :

هو القرع المسمى الدباء ، واسم اليقطين أعم وأشمل ، وهو محمود الطبيعة ، مذكور في طب الأقدمين ، وهو لطيف ينفع المحمومين — المصابين بالحمى — يقطع العطش يذهب الصداع ، يمنع الامساك وَيُلَيِّنُ الطبيعة .

وقد ورد عن أنس رضى الله عنه في الحديث المتفق عليه عند البخاري (٤٨٨/٩) ومسلم (٢٠٤١) قال : ـ "ان خياطا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعه ، فذهبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرب اليه خبزا من شعير ، ومرقا فيه دباء وقديد ، قال أنس : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالى الصحفة ، فلم أزل أحب الدباء من ذلك اليوم»ولايزال حتى يومنا هذا يصفه المعالجون لمرضاهم من المحمومين كغذاء شاف سهل الهضم عظيم النفع جم الفائدة .

قال تعالى : —

(وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ) الصافات (١٤٦) ورب سائل يسأل : لماذا اختار الحق تبارك وتعالى شجر القرع بالذات ؟؟ فالجواب لأنها ذات أوراق كبيرة عريضة ، وتجمع برد الظل ، ولايقربها الذباب ، لأن جسم سيدنا يونس عليه السلام حينما أخرج من البحر لم يكن يحتمل الذباب .

راجع تفسير التسهيل لعلوم التنزيل (١٧٦/٣)

اليوسفى :

من جملة الفواكه النافعة التى أراد الله لها أن تنتشر في فصل الشتاء لتناسب جو البرد فتقوى مناعة جسم الانسان ليتصدى لبرد الطبيعة ، حيث انه مثل البرتقال تماما يحتوى على كميات كبيرة من فيتامين أ و (ج) و (ب) المركب .

وثبت بالتجريب الطبى في بريطانيا سنة ١٩٣٧ و سنة ١٩٣٨ أن اطعام الأطفال الصغار ثمار اليوسفى قد أدى الى سرعة نموهم وقوة بنيتهم .

ومغلى قشور اليوسفى يحصن الجسم ضد

كثير من أمراض الجهاز الهضمى والتنفسى ، وشرابه غذاء مناسب للأطفال والكبار والناقهين المحتاجين الى الغذاء السهل الهضم ، ولعلـه أكثر مناسبة للحوامل والمرضـعات حيث يساعدهن علـى ادرار اللبن ، ويمـدهن بالفيتامينات .

الياميش :

هو من الفواكه العظيمة القيمة تتناول خليطا من الجوز واللوز والبندق والفستق ، وهـى متقاربة بعضها الى البعض ، اذ تحتوى عـلى نسبة عالية من الدهون ثم نسبته لابأس بها من البروتينات ، وقليل من المواد الكربوايدراتية ، فضلا عن بعض الاملاح المعدنية . وفواكـه الياميش غنية بمادة الفوسفور وكذلك اليـود وتحتوى أيضا على نسب مرتفعة من الحديد .

وعلى الرغم من احتوائها على نسبة مرتفعة من فيتامين أ الا أنها تسبب عسرا فى الهضم مما جعل الأطباء ينصحون مرضى القولون والجهاز الهضمى بالابتعاد عنها ، لاسيما الشـيوخ المسنين .

الينسون :

نبت قديم عرفه المصريون القدماء وشربوا مغلى بذوره وأحبوه ، وأدخلوه فى توابل كثيرة شاعت عندهم فى عصورهم البعيدة السحيقة .

وقد لوحظ أن شراب الينسون يسبب نشاطا للقناة الهضمية ويحفز الغدد الهضمية عـلى ممارسة نشاطها بقدرة وكفاءة ، كما يسـاعد المعدة والأمعاء على الانقباض وقد عرف عنـه تسهيله لعمليات الولادة بزيادته انقباضـات الرحم As it increases Uterine Contractions واليه يرجع ويعزو تنشيط الغدد اللبنية فى ثدى الأم الوالدة فى الأيام الثـلاثة الاولى عقب الولادة مباشرة لافراز مادة (اللبأ) المسماة بالسرسوب أو الكولستروم وهى مادة من أغذى ما يتناوله الوليد فى بداية حياته .

أما بخصوص تقويم هذا الطب الأخضر أو الطب النباتى ، فاننا لانقول باعفائه تماما ، ولكن مجمل القول فيه أنه بدائى منسوخ بما هـو أنفع وأجدى وأنسب منه الطب الحـديث المعاصر (١) لما أدخل فى استخراج واستخلاص العقاقير من أدوات متطورة حتى أن عمليـة التصنيع لاتتدخل فيها يد انسان البتة ، كـذلك تطور وسائل التعقيم ، والتعبئة ، من ثم فانه قمين بنا ـــ حسب طبيعة العصر والنهضـة والمثالية المرجوة المنشودة ـــ أن نميل الى الطب المعاصر بل لانرغب عنه بأى حال من الاحوال، وليكن الاتجاه للأعشاب فى الحالات النـادرة جـدا .

واذا كنا فى دراساتنا وبحوثنا الطبية ننظر الى مراجع الستينيات والسبعينيات على أنهـا قديمـة وقد أصـبحت مسبوقة بكثـير من المستحدثات ، فان طب الأعشاب والنباتات له نفس الحكم تقريبا ، وأرجو أن يفهم أن هذا ليس رأيا خاصا لى انما هو المنظور الحقيقى لكثير من أطبائنا المعاصرين .

د . السيد الجميلى

---

(١) هذا رأى الدكتور الطبيب كاتب المقـال ، ولمن شـاء من المختصـين ـــ فقط ـــ معارضته بالحجة العلمية . . . مجلة الأزهر .

في مؤتمر الأديان العالمي

الخطبة التي ألقاها الأستاذ الشيخ

محمد عبد الله دراز

« يا أذنَ الحَيِّ اسْمَعِي » هذا صوت الإسلام - في ذاته - يدوى فيسمعه كل مهتم بشئون الأديان ، ويعلم - طوعاً أو كرهاً - جلال هذا الدين .. الذى لا يضيره ما يلم بأهله ..

إنه الحق من لدن الحق سبحانه لا يضعف ولا يلين لأنه الحقيقة التي تعيش قوية بذاتها وتظل تعلن عن نفسها إلى الأبد

يقول الأستاذ الدكتور - رحمه الله -

يعقد في عواصم أوربا في دورات متعاقبة مؤتمر يدعى [مؤتمر الأديان العالمي] وقد دعي حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغي لحضوره فاعتذر وأرسل إليه بخطبة له قوبلت بما تستحقه من الحفاوة والاكبار ، وكان لها صدى بعيداً في الجرائد والمجلات العالمية .

وقد دعي الأزهر في دورة المؤتمر التي انعقدت في هذه السنة بباريس في جامعة السوربون فندب حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الإمام فضيلة الشيخ محمد عبد الله دراز عضو بعثة فؤاد الأولى الأزهرية ليلقى كلمة الأزهر في ذلك المؤتمر . فألقاها بالفرنسية ، فكان إعجاب المؤتمرين بها عظيماً حتى قال عنها السير فرنسيس رئيس المؤتمر : إن كلمة الأزهر هي الكلمة الرئيسية !

وقد وافق المؤتمرون بالإجماع على اقتراحين قدمهما الأستاذ دراز يراهما القراء في الخطبة .

وإن مجلة الأزهر لتفخر بأن تنشر لأحد نجباء أبنائه كلمة جليلة القدر كانت أول



إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

ما سمع الأوربيون من أمثالها عن الإسلام ، فنهنئه بهذا الفوز العظيم ، ونرجو أن يكثر الله من أمثاله فى علماء الدين .

وإليك ترجمة الخطبة :

باسم الأزهر ، ذلك البيت العتيق الذى هو أقدم الجامعات الدينية العلمية المعروفة فى العالم ، وأكبر المفاخر الأدبية للقطر المصرى ولمدينة القاهرة ، والمركز الذى تلتف حوله قلوب مئات الملايين من البشر ، يعدونه رمزاً خالداً لحضارتهم ، ومنبعاً دائم الفيضان لثقافتهم الروحية .

بل باسم الإسلام ، ذلك الدين الخاتم الذى أخرج للناس يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، ويمحو ما بينهم من فوارق الأنساب والأجناس ، واللغات والألوان ، ليجعل منهم أمة واحدة على قدم سواء ، لافضل لأحد منهم على أحد إلا بالعمل الصالح ؛ بل باسم الإنسانية التى اجتمعتم اليوم للتشاور فى الوسائل الفعالة لتخفيف آلامها ، وإنقاذها من الهاوية ، التى أشرفت على التردى فيها :

باسم الأزهر والإسلام والإنسانية ، أرحب بقدومكم ، وأحيى فيكم ذلك الشعور النبيل الذى أوحى إليكم فكرة هذا المؤتمر ، وأتمنى لكم النجاح والتوفيق ، فيما ترسمونه من الخطط لتأييد السلام العام .

***

يا حضرات السيدات ويا حضرات السادة :

إن نظرة واحدة نلقيها على العالم اليوم ، لتكفى لإدراك ما يسود بين شعوبه من روح العداوة والشحناء ، وما ينبعث فى أقطاره من زفرات الشكوى والأنين .

فمن أين جاءت هذه النزعة الشريرة التى تنذر بأسوأ العواقب ؟

أليس منشؤها هو تحكم المادية وازدياد نفوذها فى تسيير مجرى الأمور العالمية ؟

وإذا كان الأمر كذلك أفلا يكون العلاج الوحيد هو أن نعود إلى الروح فنعيد إليها سلطانها الذى أهملناه فى هذا العصر إهمالاً كبيراً ؟ ثم ما هى تلك القوة التى تستطيع أن تضطلع بهذا العبء الشاق إن لم تكن هى قوة الدين ؟

غير أننا إذا رجعنا إلى الأديان نلتمس منها المعونة ، هالنا ما نراه من اختلافها اختلافاً طالما كان من أسباب الخصومات والحروب ، بدل أن يساعد على حسن التفاهم والتقريب بين القلوب ، فهل نستطيع أن نجد من وراء



هذا الاختلاف وحدة مشتركة فى المبادىء والمطامح تصلح أن تكون محوراً لتقرير السلام بين معتنقيها، وتسهيل تعاونهم على الخير المشترك للجميع؟ هذه هى النقطة الأساسية التى تدور عليها أعمال المؤتمر، وهذا هو الاشكال الذى يحاول المؤتمر أن يجد له حلاً.

أما أنا فأميل إلى أن يكون هذا الحل على أساس الفصل فى الأديان بين ناحيتها الاجتماعية وبين نواحيها الأخرى، وأعتقد أن افتراق الأديان فى عقائدها وشعائرها وكثير من تعاليمها لا يمنع التقاءها من الوجهة الخلقية عند قاعدة واحدة هى أساس التعاون المطلوب؛ وذلك أنها كلها تأمر بالعدل والاحسان، وتنهى عن الظلم والعدوان، وكلها تسوى فى هذه المعاملة الدنيوية بين أتباعها وبين أعدائها.

***

اسمحوا لى إذاً أن أستعرض الديانات التى هى أكثر انتشاراً فى العالم اليوم، أعنى الديانة الهندية «البرهمية» والديانة البوذية، والديانة اليهودية، والديانة المسيحية، والإسلام؛ لكى أبين بإيجاز ما فى كل واحدة منها من روح التسامح والرحمة الإنسانية:

أما الديانة الهندية فإن التاريخ يحدثنا أنها لم يقع منها اضطهاد قط للفلسفة الالحادية التى نشأت بين ظهرانيها، حتى إن الفيلسوفين «كابيلا» و «كانادا» وغيرهما أمكنهم أن يزعموا أن كتابهم المقدس «الفيدا» ليس كافياً للخلاص، بل أمكنهم أن ينكروا وجود الإله، البتة، ومع ذلك لم يمسهم من رجال الدين أذى ولا إحراج، بل إن الديانة البوذية التى هى فيما يظهر وليدة تلك الفلسفات الإتحادية استطاعت أن تنشر نظرياتها العدمية بملء حريتها وبقيت على ذلك اثنى عشر قرناً دون أن يقاومها أحد من البراهمة بالعنف. نعم إنها آل أمرها إلى أن طردت من الهند وهاجرت نحو الشمال ونحو الشرق، حتى زعم بعض المؤرخين أنها الجئت إلى ذلك بتأثير التعصب الدينى البرهمى، لكنهم فى الحقيقة ليس عندهم دليل إيجابى يؤيد هذا الرأى.

والديانة البوذية بدورها ما اعتدت قط على أحد من مخالفيها. على أن مبادئها نفسها تضطرها اضطراراً إلى الاحتمال وتوسيع الصدر لكل خلاف، فإن من جرد نفسه من تأثير اللذة والألم، وجعل منتهى همه إنكار الذات والوصول إلى الفناء والعدم، لا يمكن أن يجد غضاضة فى أى مذهب يخالفه مهما كان متطرفاً. هكذا نجد مشكلة السلام العالمى محلولة بطبيعتها فى الديانة البوذية بحيث لا محل لوضع السؤال فيها.

ولعل الديانة التى تليها مباشرة فى هذا المعنى هى «الديانة المسيحية» إذ أنها لا تتصل بالأحوال الزمنية إلا اتصالاً ضعيفاً؛ ولذلك نرى فيها طابع التواضع والسلام، بل قد يقال طابع الخضوع والاستسلام، أوضح من أن يحتاج إلى بيان؛ فشعارها ليس فقط «أحب جارك كما

تحب نفسك » بل « أحب عدوك وصلِّ لمن يضطهدك » أو بعبارة أخرى « من ضربك على الخد الأيمن فامدد له الخد الأيسر »، وهنا تحسن الاشارة إلى أن المسيحيين فى العصور الأولى كانوا يتحرزون تحرزاً شديداً من الانخراط فى سلك الجندية ؛ وأن من دخلها منهم مضطراً كان يجب ألا يسفك دم أحد ؛ وإلا لكان جزاؤه الطرد من حظيرة الدين .

غير أن الناظر فى تاريخ اليهودية[1] والإسلام قد يجد فيهما شذوذاً عن القاعدة ، وقد يتسرع فى الحكم بعدم انطوائهما على روح الرفق والتسامح ؛ ذلك أن موسى ومحمداً عليهما السلام لم يكونا مؤسسى دين فحسب ؛ بل كان كل منهما جامع شتات أمة ومؤسس دولة : كلاهما كان مشرعاً وحاكماً ، وكلاهما قاد الجيوش لفتح بلاد الأعداء ؛ ويضيف الإسلام إلى ذلك أنه توسع فى هذه الفتوح فأنشأ امبراطورية من أعظم الامبراطوريات فى أسرع زمن عرفه التاريخ .

ولكن الخطأ كل الخطأ ، بل الظلم للحقيقة ، أن توصم هذه الفتوحات النبوية بوصمة البغى والعدوان ؛ فليس هناك مثال واحد يدل على أن اليهودية أو الإسلام أباح البدء بالاعتداء على الطوائف الأخرى سواء اكان ذلك لمقاصد دينية أم لأغراض سياسية ؛ بل الواقع على العكس من ذلك أنهما احتملا الاضطهاد أمداً طويلاً قبل أن يأذن لأتباعهما باتخاذ القوة للدفاع عن حياتهم وعن حريتهم فى اعتناق الحق والدعاء إليه ؛ وهذا الدفع المشروع ما زال حقاً مقرراً لا يجادل فيه عاقل ﴿ **وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ . إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ** ﴾ .

يكفى فى شأن اليهودية أنها رفعت قيمة الحياة الإنسانية إلى درجة لم تصل إليها أشد النظريات العصرية تحمساً فى الدفاع عن حق الفرد .

ينقل لنا القرآن عن التوراة أن قتل النفس بغير حق لا يقاس فى نظرها بقتل أمة بل بقتل الإنسانية جمعاء ، وحياته بحياتها : ﴿ **مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً** ﴾ .

***

وأما الإسلام فمن السهل الرجوع إلى كتابه وإلى حياة نبيه ، فكتابه لا يزال غضاً طرياً محفوظاً فى نصه وحرفيته كما تركه صاحبه ؛ وحياة نبيه قد سجلها التاريخ بتفاصيلها بأتم عناية وضبط . وإن نظرة

---

١ ـ يتحدث فضيلة الدكتور هنا عن اليهودية نظراً إليها من حيث أنزلت فى كتابها المقدس الذى لم يتناوله تغيير ولا تبديل ، أى من حيث الحقيقة التى قررها الإسلام فى القرآن الكريم فى حديثه عن موسى ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ وعن كتابه . ومـا من شك ـ فى أنه من حيث هذه النظرة ـ تلتقى بأحكام الاله الواحد التى أنزلت فى التوارة والانجيل والقرآن . فأما ما حدث نتيجة التغيير والتبديل فليس للبحث به شأن .. مجلة الأزهر .

واحدة فى هذين المصدرين لكافية فى معرفة موقف الإسلام نظرياً وعملياً من قضية السلام العالمى .

نعم إن الإسلام قد خاض كل ميادين الحياة وتدخل فى جميع جزئياتها ، ولكنه على رغم ذلك بقى محتفظاً بسموه الروحى حتى فى أشد الشئون ارتباطاً بالمادة ، وهكذا كان وجه براعته أنه استطاع أن يوفق بين المطالب الروحية والمطالب الزمنية للإنسان ، بنسبة عادلة مستقيمة .

لا يتسع نطاق هذه المحاضرة للإتيان على ما فى القرآن وتاريخ نبيه من براهين على سماحة الإسلام وسعيه للوحدة والائتلاف بأوسع ما فى حدود الإمكان ؛ فلنكتف بالإشارة إلى شىء من ذلك . أما من الوجهة النظرية فقد سعى الإسلام لتأسيس هذه الوحدة على دعامتين :

أولاً : من طريق توحيد الغاية ، وذلك بدعوة الناس جميعاً إلى عبادة إله واحد .

وثانياً : من طريق التوفيق بين وسائل هذه الغاية ، وذلك ببيان أن الشرائع السماوية ترجع كلها إلى أصل واحد ، ودعوة معاصريه من أهل الأديان السابقة إلى تكوين أسرة روحية واحدة تؤمن بجميع الكتب وجميع الأنبياء بدون تفريق بين أحد منهم . ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ** ﴾ ﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِىَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِىَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾ ﴿ **إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾ .

ونرى القرآن فى أثناء هذه الدعوة يعنى دائماً بربط الإسلام بالأديان التى سبقته منذ عهد نوح : ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ** ﴾، ويصور نبى الإسلام بصورة المأمور باتباع هدى من قبله : ﴿ **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ** ﴾، ويقول إنه لم يجىء بجديد يهدم القديم وإنما جاء مجدداً لما اندرس منه ، مبيناً لما خفى ، مصححاً لما حرف : ﴿ **قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ** ﴾ وبالجملة ليعيد الدين إلى نقاوته الأولى .

بل إن اسم الإسلام نفسه « **فى اصطلاح القرآن** » اسم مشترك يضعه القرآن على لسان أكثر الأنبياء المتقدمين ، يقول فى شأن إبراهيم : ﴿ **إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ . وفى شأن يعقوب : ﴿ **إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِى قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾. وفى شأن التوراة وأنبياء بنى إسرائيل : ﴿ **يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا** ﴾. وهو حين يقول بصيغة الحصر : ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** ﴾ لا يمكن أن يعنى إلا هذا المعنى المشترك بين الأديان

المنزلة ، وإلا لكان هادماً للأساس الذى أراد أن يقيم عليه بناء هذه الوحدة .

غير أن هاهنا نقطة يجب التنبيه إليها : وهى أن القرآن حين دعا إلى هذه الوحدة لم يجعلها غاية يطلب الوصول إليها من كل طريق ، وشراءها بكل ثمن ، بل نظر إليها كمثل عال وأمل عزيز ينبغى الاقتراب منه بقدر الطاقة ، واعترف فى أكثر من موضع بأن هذا الأمل متعذر التحقيق : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾.

هذه النظرة لها نتائجها الطبيعية فى مسلك الإسلام بإزاء مخالفيه ، فهى التى جعلته يواجه الحقيقة الواقعة بالاحتمال والتسامح .

وهى التى حددت مهمة الرسول بأنها ليست هى إكراه الناس على الإيمان وإنما هى التعليم والانذار ثم تفويض الأمر فى عقائدهم إلى الله الذى سيتولى الحكم بينهم فى يوم الفصل ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ. لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ ﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ ﴿ قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ومن المهم أن نلاحظ أن هذا الموقف لا يخص علاقة المسلمين بأهل الكتاب ، فان أكثر هذه النصوص مكية فى شأن الوثنيين أنفسهم . وقد صرح القرآن بأن هذه هى حدود مهمة الرسول بإزاء الطوائف كلها ، وذلك فى الآية المدنية الجامعة : ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾.

وأما من الوجهة العملية ، فالإسلام « أولاً » : قد حظر البدء بمناوشة مخالفيه أو بمضايقتهم فى الحياة المادية وما داموا مسالمين له ، وأمر فى هذه الحال بحسن جوارهم ليس بطريقة سلبية فحسب بل بالبر إليهم ، والعدل بينهم : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ ولقد كان من أول الأعمال التى قام بها النبى بعد الهجرة إلى المدينة محالفته لليهود ومؤاخاته بين المهاجرين والأنصار ، وبذلك أنشأ فى المدينة أمة واحدة من عناصر ثلاثة مختلفة فى الجنس والدين ، يستوى قحطانيهم وعدنانيهم وإسرائيليهم كما يستوى مسلمهم ومشركهم ويهوديهم ، فى حقوق الولاء وحسن الجوار والتناصر على دفع المغيرين . كما كان من أواخر أعماله مصالحته لنصارى نجران ، وإقرارهم على دينهم فى قلب الوطن العربى الإسلامى .

ثانياً : فى الحال التى تستحكم فيها العداوة وتكون الظروف مهددة باحتمال وقوع

حرب ، وضع الإسلام وسائل كافية لاتقائها فى الوقت نفسه الذى يكون فيه المسلمون أشد قوة ؛ وأوصى بقبول كل شروط يعرضها المخالفون ما دامت تؤدى لحقن الدماء وصيانة الحرمات وحسن العلاقات بين الجانبين . ومن الأمثلة الواضحة فى هذا الموقف السلمى النبيل تلك المعاهدة التى وقعها الرسول بنفسه مع قريش فى عام الحديبية . هذا والمعاهدات الإسلامية ليست حبراً على ورق ، بل هى عقود دينية يوجب الإسلام تنفيذها بدقة وأمانة حتى مع الوثنيين ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ** ﴾. ولقد كان فريق من أهل الكتاب يوفون بعهودهم إلى أهل ملتهم ولكنهم لا يرون الوفاء واجباً بعهودهم مع المسلمين ﴾ يقولون ﴿ ليس علينا فى الأميين سبيل ﴾ فجاء القرآن ناعياً عليهم هذا التفريق ، مبيناً أن الوفاء بالعهد واجب إنسانى عام : ﴿ **بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ** ﴾.

ثالثاً : فى الحال التى تصبح فيها الحرب أمراً واقعاً ، وضع الإسلام قواعد عملية كثيرة تخفف من أهوالها وتحدد بانصاف ما يقتضيه الموقف الدفاعى البحت ، فنهى عن قتل المرأة فى بيتها والراهب فى متعبده ، والفلاح فى مزرعته : وبالجملة حصر القتال فى ميدان الحرب لا يتعداه : ﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ** ﴾ وفى هذا الميدان نفسه نهى عن التشفى بالتمثيل والتعذيب : ﴿ **وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾.

رابعاً : فى الحال التى تنجلى فيها المعركة عن ظفر المسلمين ، ضرب الإسلام أمثلة عالية فى الكرم والصفح عن الماضى وعدم الاستمرار فى تتبع الفارين الذين يطلبون الأمان ويلقون كلمة السلام : ﴿ **وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ ومن أروع الأمثلة فى ذلك موقف الرسول يوم فتح مكة مع قريش الذين ناصبوه الحرب والعداء أكثر من عشرين سنة ، إذ قال لهم بعد أن ظفر بهم : ﴿ **اذهبوا فانتم الطلقاء** ﴾ وأطلق سراح أكثر من ستة آلاف أسير .

***

أما أن محمداً عليه السلام نفسه كان مطبوعاً بفطرته على التسامح وحب السلام ، وأنه كان داعية توفيق لا تفريق ، فذلك ما تدل عليه كل حياته حتى قبل النبوة ، ولأضرب لذلك مثالين اثنين فقط :

[**أحدهما**] حادث الحجر الأسود حين اختلفت القبائل فيمن يكون له شرف وضعه فى مكانه من الكعبة وحكموا محمداً « **الأمين** » بينهم ، فلم يتحيز فى حكمه لجانب قبيلته هو ، بل حكم أن يوضع الحجر فى رداء ، وأن تأخذ كل قبيلة بطرف لتساهم كلها فى هذا الشرف ، وهكذا كان به حقن دمائهم والتأليف بين قلوبهم .

[**الثانى**] اشتراكه حين كان له من العمر خمس وعشرون سنة فى حلف الفضول ، وهو

شبه مؤتمر صغير تحالفت فيه قريش على نصر المظلوم وحفظ الأمن العام .

● إن إثارة هذه الذكرى فى يومنا هذا وفى مكاننا هذا لها موقع خاص فى نفسى ، وإنى لا أستطيع أن أدفع عن خيالى هذه المقارنة بين الماضى والحاضر . ويلوحْ لى أننا الآن إنما نطبع على غرار ذلك الماضى البعيد ، وإنما نترسم الخطوات الأولى للنبى العربى الكريم .

● إن فكرة الاجتماع والائتلاف نفسها يرى عليها فى الإسلام مسحة من طابع القدسية ، فخير يوم عند المسلمين اسمه يوم « **الجمعة** » أى يوم الإجتماع ، وخير مكان عندهم اسمه « **الجامع** » .

إن المحبة المتبادلة بين المؤمنين هى إحدى النعم العظمى التى يمتن الله عليهم بتحقيقها بالفعل : ﴿ **وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً** ﴾ وإن المحبة المتبادلة بين الناس أجمعين هى إحدى الأمانى الغالية التى فتح القرآن بابها أمام المسلمين :

﴿ **عَسَى اللهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللهُ قَدِيرٌ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾.

إن اسم « **السلام** » نفسه واسم « **الإسلام** » يرجعان فى اللغة العربية إلى أصل واحد ؛ وإن أحب التحيات إلى المسلمين هى الدعاء بالسلام .

***

وبعد : فإننا نستطيع أن نخلص من هذا البيان إلى النتائج الآتية :

[**أولاً**] أن الأديان كلها ، بدلاً من أن تكون سبب نزاع وخصام فى شئون هذه الحياة ، هى على الضد من ذلك تنادى بالائتلاف والوئام .

[**ثانياً**] أن السبب الحقيقى لهذه الخصومات هو بالعكس تعمد الانحراف عن الدين ، وأن كل طائفة تثير نار الحرب باسم الدين كاذبة فى دعواها الانتساب إلى دينها .

[**ثالثاً**] أن العلاج الوحيد للآلام الإنسانية الحاضرة هو أن يعنى رجال كل دين عناية خاصة بالجانب الخلقى العام منه ، فينمّو فى أتباعهم عاطفة الأخوة الإنسانية باسم الدين نفسه .

إن هذا التقارب والتعاون فى الحياة العملية إن تم على وجهه سيكون خطوة أولية فى سبيل التفاهم فى الحقائق الدينية نفسها ، ويرجى

من وراء ذلك تقليل فوارقها النظرية وتسهيل الوصول إلى الحقيقة بالبحث الحر، فى جَوٍّ وِدِّيٍّ نزيه.

***

وفى الختام أحب أن أعرض على هيئة المؤتمر اقتراحين عمليين أرجو أن يؤخذ الرأى عليهما :

الأول : أن تنشر خلاصة قرارات المؤتمر على رجال الدين فى كل أمة، وأن يرجى منهم المساهمة فى علاج الأزمات الراهنة بتحريض اتباعهم على اقتفاء هذه المثل العليا

الثانى : أن يطلب باسم المؤتمر إلى مختلف الحكومات أن تنصف الشعوب المظلومة التى تحت نفوذها.

إننا إن فعلنا ذلك نكون قد قمنا بنصيبنا من الواجب الدينى والإنسانى لخير الجميع.

المجلد العاشر

من أعلام الأزهر - بقية

البخاري : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة ».

وقد جاء في صحيح البخاري مثال الحالة الثانية : « باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان والإسلام، والإحسان وعلم الساعة وبيان النبي صلى الله عليه وسلم له.

ثم قال : جاء جبريل يعلمكم دينكم فجعل ذلك كله ديناً » ثم أورد الحديث كله.

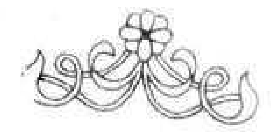
ونخلص مما تقدم أن الحسيني هاشم في بحثه القيم حصر « الوحي القرآني » في حالة واحدة، هي أن يكون النبي في يقظته التامة ووعيه الكامل ويأتيه الملك جبريل بمقدمات الحضور بصلصلة مثل صلصلة الجرس، فينسلخ النبي من حال البشرية إلى روحانية الروح الأمين الملك مع احتفاظه بوعيه الكامل فيتلقى الوحي ويعى منه ما نزل عليه، فالقرآن لا يأتي الرسول في منامه ولا يوحى إليه من وراء حجاب، ولا يتلقاه حين يكون جبريل على صورة إنسى، بل لابد أن ينتقل الرسول من بشريته إلى روحانية الملك، ليتلقى القرآن، ولم يستقر هذا المعنى في خلدى إلا بعد أن قرأت كتاب « الوحي الإلهي » لفقيدنا العظيم.

أما الأحاديث النبوية فتكون بالوحي ولكن في حال مغايرة لما ذكرت آنفاً وقد تكون باجتهاده صلى الله عليه وسلم، وأما الأحاديث القدسية فيقول عنها : ولا تنحصر تلك الأحاديث القدسية في كيفية من كيفيات الوحي، بل يجوز أن تنزل بأية كيفية من كيفياته كرؤيا النوم، والالقاء، في الروع على لسان الملك ـ هذا موجز مبين وإن أردت المزيد فعليك بالكتاب ففيه جلاء ووفاء ورواء >

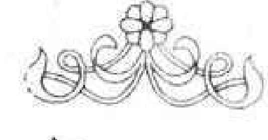
الشعر والشعراء

إشراف: د. حسن جاد

الذي علم بالقلم



ابتهال



بين المد والجزر

الذى علم بالقلم

للأستاذ صلاح عفيفى

بترك الهوى واتباع القيم تسود الشعوب وترقى الامم
وبالصدق تنجح غاياتنا ونفلح حين نفى بالقسم
وبالحق ترجح كفاتنا وتصبح هاماتنا فى القمم
ولله تخلص نياتنا فتصفو النفوس وتسمو الهمم
وبالحزم تبرأ آفاتنا وتمحى كبائرنا واللمم
وبالعزم نلحق آمالنا وما من بعيد على من عزم
عسى الله يقبل أعمالنا ويعصم من بحماه اعتصم
ويصلح بالبر أحوالنا ويجمع من شملنا ما انقسم
ويشرح افئدة فى الصدور بنور الهداية بعد الظلم
ويسمح من فضله بالكثير ويفتح من فيضه بالنعم
فاولى لنا ثم اولى لنا وقد عدل الله فيما حكم
قضاء الأمور بوحى الضمير ورد الحقوق وصون الذمم
محال محال دوام لحال وهيهات هيهات يجدى الندم
فلا يشترى الحر ذلا بمال ولا ساد فى قومه من ظلم
ومن قاده خطوه للضلال ومال فما نال غير النقم
وما دام للمرء غير الحلال وغير الإباء وغير الشمم
وكم آذنت أنْعُمٌ بالزوال إن انعدم الشكر حلّ العدم
يجوع من الشبع المتخمون إذا ما البطون اعتراها النهم
ويشبع من قلة قانعون وقد بارك الله فيما قسم
وكم قرية أهلها مسرفون فنت وَأَلَمَّ بها ما الم
ولاذ باربابهم مُدَّعون فلم يستجب لنداهم صنم
فيارب انزل علينا الهدى لتثبت فوق الطريق القدم
إليك المصير ومنك الندى وانت المنزه منذ القدم
ولو اننا قد خلقنا سدى لما كنت علمتنا بالقلم

ابتهال

أ. محمد عبد الخالق ندا

يامن إليك المفزع والمنتهى والمرجعُ
تعنو لقدرتك الوجـ ـوه وتستكين وتخشع
إنى إليك مهاجر أبغى النجاة وأفزع
كم بت يدنينى إليك تذلل وتضرع

واظل فى شوق إليـ ـك وقد جفانى المضجع
وأخاف منك واتقيك وفى جنابك أطمع

حيران ألتمس الضياء وقد نأى بِىَ المهيع
والليل يغشانى فأسـ ـبح فى الظلام وأرتع
كيف الهدى والنفس منها كل شىء ينبع

وأنا المسبح فى الدجى كالطير بات يرجّع
ما أعذب النجوى لقلبى والخلائق هُجَّعُ

يامن عبادته لقلبى طهرة وترفّع
هذا جمالك فى الوجود يفيض فيه ويبدع

إن ضاقت الدنيا فلى منك الجناب الأوسع
أو ضلت الألباب أنت لى الملاذ الأمنع

أنت الرجاء لكل من فى يأسه يتطلع
انت الضياء لكل من يغشاه ليل أسفع

أنت الحياة ومن معينك وِرْدُنا والمشرع

***

بين المد والجزر

شعر: د. عزت شندي موسى

كلما مر شبابي ضل من شجو صوابي
ما شبابي ما كتابي؟ هل لسؤلي من جواب؟
مالهذا العيش أضحى كخداع أو سراب
وحياة المرء تبدو كوميض لشهاب
بينما أجري ولا أدري إلى أين مآبي

★★★

أين ولى مستساغي من طعام وشراب
أينما وجهت عيني لا أرى غير اغتراب
ذلك البدر تجلى واختفى خلف السحاب
ذلك الكوكب أمسى غاربا بين الروابي
ذلك البلبل غنى وثوى فوق الهضاب
والغدير العذب أضحى ناضباً بعد انسياب
رحلة تمضي سريعا في ذهاب وإياب
وأنا الحيران لا أدري متى فصل الخطاب

★★★

أين أهلي وصحابي قد مضى كل الصحاب
أين أحبابي وكانوا سلوتي عند المصاب
أين أهدافي وكانت لا تبالي بالصعاب
أين طيشي وغروري وظنوني وارتيابي
كلها راحت وأبقت ذكريات .. كالحباب
ليس من باق سوى الرحمن يهديني صواب
ليس من خلد لغير الله قهار الرقاب

محمد رجب البيومي شاعرا

بقلم: أحمد مصطفى حافظ

يتعين أن نتعرف على شخصية الدكتور محمد رجب البيومي، ذات الأبعاد الثرة الفسيحة - بعمق - قبل أن نشرع في قراءة متأنية لشعره .. فهو باحث قدير سخي العطاء، قدم للمكتبة العربية نتاجا قيما غزيرا، في حقل الدراسات الأدبية والتاريخية، منذ أكثر من ثلث قرن من الزمان، وتدفقت مقالاته وبحوثه وقصائده، عبر أنهر العديد من كبريات المجلات الأدبية والدينية المتخصصة، بمصر والعالم العربي، مثل الرسالة والثقافة والهلال، والأديب والكاتب والأزهر، والبيان والجديد والفيصل، وغيرها.

وقد ولد شاعرنا بالكفر الجديد، مركز المنزلة، بمحافظة الدقهلية، في أكتوبر عام ١٩٢٣، وتعلم بالأزهر، ونال العالمية من كلية اللغة العربية سنة ١٩٤٩، وتاريخه حافل بالمؤلفات الممتازة، التي حصل بها على العديد من الجوائز الأدبية، إذ حصل على جائزة «شوقي» من المجلس الأعلى للفنون والآداب، عن مسرحية: «انتصار»، وجائزة مجمع اللغة العربية الأولى. عن مسرحية شعرية أخرى، هي: «فوق الأبوة» وجائزة المجمع عن الدراسات الأدبية بكتابه: «الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير» وهو الذي نال به درجة الماجستير من كلية اللغة العربية في النصف الأخير من الستينيات. أما رسالة الدكتوراه فكانت عن «البيان النبوي» كما حصل على جائزة المجمع عن التراجم الأدبية، بكتابه عن: «محمد توفيق البكري: حياته ونشأته».

وأخيرا، حصل على جائزة المجمع عن ديوانه: «صدى الأيام» والدكتور محمد رجب البيومي، مثل المازني، يكتب كما يتحدث، أما الشعر .. فيحتاج إلى تجربة منتخلة - على حد تعبيره الذي نوافقه عليه. كما يقول في حديثه لجريدة «الجزيرة» [١].

«١» عدد ١٤ من المحرم سنة ١٣٩٤ هـ

ويقول أيضا عن الشاعر أنه هو : « ذلك الذى يعبر عن ذاته ، ونزعات وجدانه الصادقة ، فى إطار يتناسب مع حرارة التجربة وصدق الإنفعال» [٢] .. وهذا يفسر لنا تعاطفه مع « الشريف الرضى » الذى كان شاعرا ذاتيا ، مثله ، وتسلكه نزعاته الوجدانية فى عداد الأفذاذ الموهوبين .

ويعلل الدكتور رجب البيومى عدم اشتهار الشريف الرضى ، كغيره من كبار شعراء العربية ، لوقوعه ـ زمنيا ـ بين المتنبى وأبى العلاء المعرى .. الأمر الذى صرف الناس عنه ، إلى .. هذين العبقريين ، فدارت حولهما المعارك النقدية ، هجوما وتأييدا ، حتى ملأت الدنيا وشغلت الناس .. وهذا تعليل له وجاهته بلا ريب ..

ومهما يكن من شيء ، فإن الدكتور البيومى بعد ذلك ، بل قبل ذلك كله . شاعر ، يمتلك ناصية التعبير عن مشاعره وأحاسيسه ، كما دللنا على ذلك بدراسة لنا من قبل ، عن ديوانه : « صدى الأيام [٣] » .

ومن هذا الديوان ـ صدى الأيام ـ نزداد معرفة بنشأة الشاعر فى مدارج طفولته حينما نقرأ له ـ بقصيدته ـ « مستقبل طفل » قوله :

لم ألق طفلا بائسا
إلا ذكرت طفولتى
وعرفت محنته التى
نهضت تطابق محنتى
ورحمت شقوته وإن
لم يستفد من رحمتى

وحينما نقرأ له ، بقصيدة « أبى » قوله :

وآثر تعليمى ، ولم يك ذاغنى
فأنفق جهدا طال منه تعجبى
يظل وراء الرزق يكدح متعبا
لأرفل فى نعمائه .. غير متعب

إلى أن يقول :

ويعلم أنى بالقراءة مولع
فيملأ بالأسفار والصحف مكتبى

ويتبدى لنا جانب هام آخر من معالم شخصيته الفكرية ، فى قصيدته « جنون الشهرة » بذات الديوان ، التى تتسم بالواقعية ، والتى يعد موضوعها قاسما مشتركا بين جميع الناس عامة ، وَالأُبَاَة منهم بصفة خاصة ، والمرهفين بصفة أخص .. وقد وجد الشاعر البيومى لديه الشجاعة الكافية ، لكى يبسط لنا القول ، مسجلا أفكارا تؤرقه ، وخواطر تنفك تأخذ بخناقه ، بقوله :

أابذل جهد الجن فى الأمس واليوم
وأحرق أعصابى .. لِأَنْبَهَ فى قومى
يعذبنى حب اشْتِهَارى فى الورى
فأسمو لآمال .. يضيق بها عزمى
إذا حدَّثوا عن عالِمٍ متضلع
أقول: متى تجرى الأحاديث عن علمى ؟
أُؤَرِّق نفسي كى أَخُطَّ مقالة
يطالعها القراء ممهورة باسمى

« ٢ » المصدر السابق

« ٣ » أنظر عدد مجلة الجديد الصادر فى أول فبراير سنة ١٩٨١ ، ص ٢٦

إلى أن يقول :

جماهير قراء أحاول عدَّهم
فلا تنهض الأرقام بالعدد الضخم !
تخَّيلتُ جمعا منهمو مترقبا
محيَّاى . يعتدُّ اللقاء من الغُنْم

ثم يسدل الستار ، مصطدما بأرض الواقع ، يقول :

ويرجع لى عقلى ، فأُدرك واقعى
وحيداً أعانى الصمت فى منزلى الجهم

ولسنا مع الشاعر فى تحسُّره بالبيت الأخير ، لانفراده ووحدته فى « منزله الجهم » كما يقول .. فالوحدة ، أو العزلة ، هى مملكة أفكار الشاعر الملهم ، وبدونهما لا يستطيع أن يفىء إلى تأملاته وخواطره ، ليغوص على الدرر ، ويستنزل الغرر ..

وقد أتيح لنا أن نزور الشاعر فى « صومعته » بالمنصورة ، منذ وقت قريب ، فهالنا مايستوقف الزائر عند ولوجه باب المنزل ، حيث يُفاجأ بصور أعلام الفكر والأدب ، التى اختصها الشاعر بركن بارز من جدران ردهة المنزل ، جنبا إلى جنب مع الزعماء والقادة المصلحين ،، فنجد إطارات بديعة تضم شخصيات : مصطفى صادق الرافعى وأحمد أمين وطه حسين والعقاد والمازنى والمنفلوطى وهيكل وتوفيق الحكيم ، بجانب إطارات أخرى تضم صور الكواكبى وسعد زغلول ومصطفى كامل ومحمد فريد ومصطفى النحاس وحسن البنا والمراغى ومحمد كرد على ، وغيرهم من أعلام أمتنا الإسلامية .

وفى الجدار المقابل نشاهد منظرا طبيعيا خلَّابا ، من ورق الحائط الفاخر ، يُمثل منظراً



ناضراً لغابة شجراء ، تنطق بالروعة والجمال .. فإذا تجاوزنا ذلك كله ، وتقدمنا إلى الأمام قليلا ، نُفاجأ بمكتبة الدكتور الزاخرة بشتى الكنوز الفكرية ، من الكتب والمراجع الهامة الكبيرة ، والدوريات فى شتى التخصصات الأدبية والعلمية والثقافية ، التى جُمِّعَتْ فأوعت .. ووسط ذلك كله مكتب الدكتور ذو المقعد الوثير ، حيث يأنس إليه ، أثناء قيامه بتدوين مؤلفاته ، وتسجيل معانيه وإلهاماته .. وبعد ذلك كله ، ألست معى أيها القارىء ، فى تعجبنا من نعت الدكتور ، لمثل هذا الصرح الثقافى ، بأنه بيت جهم ، وأنه يعانى فيه من هدأة الصمت ؟ والصمت ألزم ما يكون لأرباب الفكر وذوى التأمل والملكات الأدبية والفنية ..

إلا أننا سرعان ما ندرك السبب فى ذلك كله ، حينما نتذكر قول أبى العلاء

ولو أنى حُبيت الخلد فردا
فلن أرضى مع الخلد انفرادا

وقول الدكتور رجب البيومي نفسه ، مناجيا « سمير خيالة » بقوله :

أناديك كى أُفْضى إليك بهاجس
فترمُقُنى فى غبطة وسرور
وترحم ضعفى حين تدرى حقيقتى
وتبكى لتقصيرى وفرط قصورى
وتلمس ذنبى فادحا . فتسيغه
وتُوليه فى رفق .. سماح غفور

إلى أن يقول لرفيق « المشاركة الوجدانية » الذى يبحث عنه بصبر نافد :

عرفتك وضّاح الملامح باسما
تخفُّ إذا أدعوك دون فتور
أُريك ادّعاءً لا يطاق احتماله
فتقبل منى .. كبرياء غرورى
فازعم أنى فى زمانى نابغ
يعيش على الدنيا ، بغير نظير
وأن بيانى خالد .. ستذيعه
دهور من الأجيال .. خلف دهور

وقد صدقت نبوءة الدكتور البيومى بالفعل . بالنسبة لشعره ـ وإن خالها من قبيل الأمنيات العزيزة المنال ـ ولكن .. بعد أن صهرته الآلام المبرحة فى بوتقتها الرهيبة .. وصدق شاعر الإنسانية « شكسبير » حينما قال :

« شعرنا كالنار الكامنة فى الحجر الصوان ، لا تظهر إلا عند القدح » .

وكم أشعر بالتياع مذيب ، تمثل فى اصطدام رجب البيومى بمحنة مزلزلة ، ألا وهى مأساته الداوية بفقد زوجته أثناء فترة عمله بنجد بالمملكة العربية السعودية ، ونستدل على ذلك من قوله بقصيدة « داء السقام ـ على سرير الألم :

أتاتى إلى نجد لتلقى مصيرها
وقد تركت خير الأطباء فى مصر
بنت أملا كالصرح .. فانهار فوقها
وفوقى ، فأردانا .. ولماَّ نكن ندرى

أما هذا « الأمل » الذى بنته زوجته ، رحمها الله ، فيتمثل فى طموحها إلى تأمين مستقبل ابنائهما ، كما يفعل الكثير عن طريق التغرب والسفر ذى الفوائد السبع ، وكما يقول شاعرنا :[٤]

قد تغرَّبْتُ لا لشىء سوى أن
أقضى العمر فى بلادى هنيا
أجمع المال كادحا لتعيشى
فى حياة ، ترفُّ زهرا شذياً
ولك المطعم النظيف شهيا
ولك المنزل الرحيب عليا
ولأطفالنا من الخصْب والرفه
حياة تفيض نوراً ورِياًّ

إلى أن يقول :

أنتِ أنتِ التى دفعْتِ إلى هذا
وشاركتنى المكان القصيا
كم تباطأت أستخف فأبديت
جفاء مُرًا وغيظا حميا
ومددت الآمال تبنين حلما
ضاحك الوجه ، فاتنا عبقريا

« ٤ » ديوان « حصاد الدمع » ص ٥٦ .

وهتفت : الأولاد يبغون تأمينا
بدنيا تعجُّ بؤساوغيا
لما لا ندفع الأعاصير عنهم
إذ نقيم السياج صلبا قويا

ولكن ، هل تحقق للشاعر شيء مما توخاه ؟ يقول :

حسرتاه ، وألف واحسرتاه
حينما انْهدَّ كل شيء عليا !

ثم يصور لنا لوعته حينما يصل إلى مطار القاهرة وحيداً متضعضعا ، بدونها :

أسفى أن أجيء مصر وحيداً
حيث لا ننزل المطار سويا
ويخف الأصحاب نحوى حيارى
ويعزُّونني ، فأُغضى شجيا
ويرينُ الهمُّ الثقيل على ظهرى
فأسعى محدودبا مَحْنيا
وتقول العيون .. عاد ولم تأتِ
فأغضى محوِّلا مُقلتيا
ويصير اللقاء نعيا ، كأنى
لم أكابد يوم الوفاة النَّعيا

أما وقع المصاب عليه ، ومفاجأته به ، التى يصورها قوله :

نزلْتُ بها دار السقام مؤمِّلا
شفاء لها .. أعتدُّه أهون اليُسر
ولم أدر أن الأرض بعد دقائق
سترتجُّ بى ، كالراسيات لدى الحشر
وأن كيانى سوف ينهار طائرا
كما فعلت هوج العواطف بالذر

حتى إذا وقعت الواقعة ، نراه يزفر من أعماقه ، قائلا :

عزيزة أعز من عينيا
حبيبة أحب من فى الدنيا
بحبها الحافز كنت أحيا
واليوم إذ ماتت .. فلست حيا

●●●

كسقطة الصاعقة المدمرة
كرَجْفة الزلزلة المزمجرة
كصرخة القنبلة المنفجرة
قد كان وقع نعيها عليّا

●●●

عجزت أن أصرخ وارتميت
وغبت عن حسي فما وعيت
تسألنى .. لم أدر ما صنعت
فإن عقلى لم يكن لديّا

وحينما يفيء إلى نفسه ، يصور لنا حيرته البالغة إزاء أبنائه ، وكيف يمكنه إطلاعهم على النبأ الفاجع ، وإشفاقه عليهم من رد الفعل العنيف :

وحينما عاودنى رشادى
وحسرتى تأكل فى فؤادى
عييت أن أسعى إلى أولادى
بنعيها .. وحق لى أن أعيا(٥)

وبعد التسليم بالأمر الواقع ، ومواجهة الحياة الأليمة ، بغير الزوجة الأم ، يقول :

تحملت أعباء الأبوة صامتا
وإن تك فوق الظهر تجثم كالطود
أأحمل أعباء الأمومة فوقها
فأسقط منهاراً ، وماأنا بالجلد

(٥) المصدر السابق ص ١٥ ، ١٦ بقصيدة « رحيل مفاجىء » .

الصبح أمًّا في الحياة ووالدا
رويد شقائي ، كم يضاعف من وجدي
فكم ليلة كابدتُها مع طفلة
تئنُّ فأُبدي جازعا مثلما تبدي
أيَسْلِمُنِي كَدْحُ النهار لمهنتي
ويسلمني الليل الطويل إلى السهد«٦»

ثم يصور في قصيدة أخرى رائعة موقف أبنائه ، ونشأتهم ناعمين بين أحضان الأمومة :

تربوا فراخا في العشاش تزقهم
حمامة أيك بالأهازيج تهدل
يحسُّون فيض الحب تحت جناحها
فما منهمُ إلا الأثير المدلل
إذا اشرقت شمس بدفء سعت بهم
تجاه الضفاف الخضر لا تتمهل
وإن عصفت ريح بغصن تجمَّعت
تقيهم هبوب الريح ساعة تقبل
رعتهم .. وخَلَّتْ نفسها فهي بينهم
على غلواء الكدح تضوى وتنحل«٧»

ومهما يكن من أمر ، فإننا نلمح وسط دياجير الحزن الكثيفة ، بصيص نور ، يشي بمقدرة الشاعر الفنان ، الذي لا يقعد به الخطب الجسيم ، عن تلمُّس طريقه على درب النبوغ ، فيلتقط ريشة الإبداع ، ليصور لنا مشاعره القلبية إزاء مُلهمته وزوجته الحبيبة ، غير عابىء بمن قد يأخذ عليه تغزُّله فيها ، وهو في موقف الرثاء لها ، فيقول :

يا أخت نيِّرة السماء وَضَاءةً
هل للكواكب في التراب مدار ؟
بخلت عليك القبة الزرقاء أن
تُجلى بها .. والنيرات تغار
فهويت للغبراء كنز صباحةٍ
لاتفتديه .. فضة ونُضار
متغزل أنا فيك رغم مصيبتي
مهما يضجُّ الناقد الثرثاء
أنكرت وصفك في الحياة تزمُّتا
أيجوز لي ، بعد الردى ، الإنكار
إن كان وصف الحسن فيض مشاعر
فإلام يُكبت صوته الهدار«٨» .

وقوله بقصيدة أخرى :

تحيفها الداء الممضُّ رشيقة
نضيرة عود شبَّ مُخْضَوْضرَ القد
تلألأ في عيني بهيجا رواؤها
كما لألأ الطلُّ النثير على الورد«٩» .

وقوله بقصيدة ثالثة :

ولذت بديني مستعصما
لعلي أخفف برح المصاب
فقلت لقد خلدت روحها
وإن فني الجسم تحت التراب

«٦» المصدر السابق ص ٣٥ ، ٣٦ بقصيدة « رفيقة دربي »
«٧» المصدر السابق ص ٢٧ ، ٣٦ بقصيدة « يقولون ماما » .
«٨» المصدر السابق ص ٢٤ بقصيدة « أكباد أطفالي »
«٩» المصدر السابق ص ٣٦ ، ٣٧ بقصيدة « رفيقة دربي »

ستخفق في سبحات النسيم
وتعلو مع النجم فوق السحاب
وتسقط طلاً بزهر الرُّبى
وتعلو غناء بشادى الرباب
وتمضى لفردوسها المشتهى
إذا هي شاءت فما من حجاب
لقد خلصت من شديد الضنى
وكم كابدت منه أقسى العذاب «١٠» .

وصفوة القول ، فإن مثل هذا النسيب ، كما يقول شاعرنا الكبير :

نسيب تلظَّتْ بالرثاء حروفه
فإن رحت تتلوه ، تأوَّهْتَ صاليا

فالموت أمر وارد .. والكل للأجداث سائر ..
وعزاؤك و ....

عزائى رسول الله من كل ميت
وحسبى ثواب الله من كل هالك
إذا مالقيت الله عنىِّ راضيا
فإن شفاء النفس .. فيما هنالك

حقوق الانسان فى السنة والقرآن بقية

وحتى القتل الخطأ ، جعل الإسلام فيه دية لأهل القتيل « لا تقل الآن فى تقديرها لما كان فى الماضى عن مائة الف دولار » ، وعليه أيضاً كفارة ، وهى عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين ، يقول تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً . وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾ النساء « ٩٢، ٩٣ » .

وقبل قرون عديدة حفظ حديث الرسول ﷺ الحقوق والحرمات ، وحرم أى اعتداء عليها ، حين قال :

﴿ كل المسلم على المسلم حرام : عرضه وماله ودمه ﴾

ومن قاتل دفاعا عنها وقتل فهو شهيد ،

« د . توفيق محمد شاهين »

« ١٠ » المصدر السابق ص ١١٢ بقصيدة « وهم جميل » ..

القيمة البيانية للاستعارة ومعايير حسنها

عند البلاغيين والنقاد

ومما يزيد من قدر الاستعارة ويرفع من شأنها أن تلتئم مع غيرها من استعارات أخرى تقوى المعنى وتدعم الالحاق فيهـا مـن عدة جهات ، قصدا الى تحقيق الغرض المقصـود منهـا ٠

يقول عبد القاهر : « ومما هو أصـل فى شرف الاستعارة أن ترى الشاعر قد جمع بين عدة استعارات قصدا الى أن يلحق الشـكل بالشكل ، وأن يتم المعنى والشـبه فيما يريد ، مثاله قول امرىء القيس :

فقلت لـه لمـا تمطى بصـلبه ... وأردف اعجـازا ونـاء بكلكـل

لما جعل لليل صلبا قد تمطى به ثنى ذلك فجعل له أعجازا قد أردف بها الصلب ، وثلث فجعل له كلكلا قد ناء به ، فاستوفى جملـة أركان الشخص ، وراعى ما يراه الناظر مـن سواده اذا نظر قدامه ، واذا نظر خلفه ، واذا رفع البصر ومده فى عرض الجو (١) » ٠

فامرؤ القيس هنـا قـد جمـع بين عـدة استعارات مبنية على بعضها ، وملتئمة فى نسق عجيب ، وتآلف غريب ، فلما أراد أن يعبر عن ظلام الليل وطوله وتثاقلـه راعى مـا يراه الناظر من سواده اذا نظر قدامه لأنه جعل لليل كلكلا ، وكذلك اذا نظر خلفه لأنه جعل له أعجازا يردف بعضها بعضا ، وكذلك أيضا اذا اذا رفع البصر ومده فى عرض الجو ، لأنـه جعل له صلبا يتمطى ، وبذلك استعار لليل من

(١) المرجع السابق ٦٢/٦٣ ٠

الجمل صلبه المتمطى ، وأعجازه المترادفة ، أى الطويلة الممتدة ، وكلكله الثقيل .

وقد استجاد هذا النوع من الاستعارة من قبل عبد القاهر الآمدى ، ولم يلتفت الى من عاب هذه الاستعارة ، ولعله يقصد قدامة بن جعفر حيث جعلها من النوع الوسيط لما اكتنفها من غموض فى التشبيه بسبب بناء بعضها على بعض ، وقد تبعه فى ذلك ابن سنان الخفاجى الذى قسم الاستعارة من حيث الحسن والقبح الى قسمين : قريب مختار وبعيد مطرح ، فالقريب المختار ما كان بينه وبين ما استعير له تناسب قوى وشبه واضح ، والبعيد المطرح اما أن يكون لبعده مما استعير له فى الأصل ، أو لأجل أنه استعارة مبنية على أخرى فتضعف لذلك (٣)واستشهد لهذا النوع الأخير ببيت امرىء القيس السابق ، الا أنه جعله من النوع المتوسط لما رأى فيه من دقة النظم واحكام الصنعة على النحو السابق .

أما العلوى فقد بالغ فى قبول مثل هذا النوع من الاستعارة المرشحة أو الموشحة على حد تعبيره ، والتى تسمو فى حسنها وبلاغتها على المطلقة والمجردة ، ومن هذا المنطلق ذهب الى أن ابن سنان الخفاجى ينكر الاستعارة المرشحة .

قال العلوى : « وقد زعم عبد الله بن سنان الخفاجى انكار الاستعارة المرشحة ، وقال : ان الاستعارة المبنية على أخرى من أبعد الاستعارات ، وأنكر عليه الآمدى هذه المقالة وما قاله الآمدى هو المعول عليه ، فان هذه الاستعارة المرشحة من أعجب الاستعارات وأغربها ، واستطرفها كل من علماء البيان»(٤)

وفى عبارة العلوى هذه مجافاة للصواب من وجهين :

أولهما : أن ابن سنان الخفاجى لم يعتبر الاستعارة المبنية على أخرى مرشحة حتى يكون فى انكاره لها انكار للمرشحة ، بل هذا النوع من الاستعارة ردىء عنده كما ذكرت ، فهو لم ينكر الاستعارة المرشحة بمفهومها الشائع عند البلاغيين ، واعتبار الاستعارة المبنية على أخرى من قبيل المرشحة اعتبار خاص بالعلوى لم أعرفه لأحد سواه .

ثانيهما : أن الآمدى لم ينكر عليه هذه المقالة ، لأن الآمدى سابق عليه ، ومتوفى قبله (٥) ولعل العلوى قد التبس عليه الأمر هنا عندما رأى الآمدى ينكر على من عاب هذه الاستعارة مقاله ، فظنه يقصد ابن سنان ،

(٢) تنظر الموازنة للآمدى ١/٢٦٦ ونقد الشعر لقدامة ١٧٧ وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ١٣٦ .

(٣) سر الفصاحة ص ١٣٦ .

(٤) الطراز للعلوى ١/٢١٢ .

(٥) توفى الآمدى ٣٧٠ هـ وابن سنان الخفاجى ٤٦٦ هـ .

وقد ذكرت أنه ربما كان يقصد قدامة لأنه سابق عليه (٦) .

والحق أن ابن سنان الخفاجي كان مغاليا حين رفض كل استعارة مبنية على أخرى ، لأن المدار فى القبول أو الرفض هو قوة العلاقة بين الطرفين ، وهى متحققة فى هذه الاستعارة مع شيء من الاحكام والدقة ، وقد اعتبر الطيبى اجتماع عدة استعارات معيارا من معايير حسنها فى قوله : أن تجتمع فى الكلام عدة استعارات كما فى قوله تعالى : « فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ » (٧).

دقة التشبيه الذى تبنى عليه الاستعارة :

ومن حسن الاستعارة أيضا عند الامام أنه كلما ازداد التشبيه الذى بنيت عليه خفاء كلما كانت الاستعارة أحسن وأجود ، ولذلك تصل الاستعارة الى المرتبة العليا اذا ألف الكلام تأليفا بحيث لو ورد الى التشبيه لكان كلاما غثا باردا تعافه النفس ، وينفر منه الطبع ، ويلفظه السمع ، وقد استشهد لهذا النوع العالى المرتبة من الاستعارة بقول ابن المعتز:

أثمرت أغصان راحته
لجناة الحسن عنابا (٨)

وقارن بينه وبين قول الوأواء الدمشقى فى استعارة العناب أيضا :

فاسبلت لؤلؤا من نرجس وسقت
وردا وعضت على العناب بالبرد

بقوله : « ألا ترى أنك لو حملت نفسك على أن تظهر التشبيه ، وتفصح عنه احتجت الى أن تقول : « أثمرت أصابع يده التى هى كالأغصان لطالبى الحسن شبيه العناب من اطرافها المخضوبة ، وهذا مالا تخفى غثاثته من أجل ذلك كان موقع العناب فى هذا البيت أحسن منه فى قوله : « وعضت على العناب بالبرد » وذلك لأن اظهار التشبيه فيه لا يقبح هذا القبح المفرط ، لأنك لو قلت : وعضت على أطراف أصابع كالعناب بثغر كالبرد لكان شيئا يتكلم بمثله ، وان كان مرذولا ، وهذا موضع لايتبين سره الا من كان ملتهب الطبع حاد القريحة . وفى الاستعارة علم كثير ، ولطائف معان ، ودقائق فروق » (٩) .

نسأل الله تعالى الالهام والتوفيق فى كشف بعض أسرار هذا العلم ، وسبر غور هذه اللطائف ، وتلك الدقائق والفروق . انه سميع مجيب .

وخفاء التشبيه الذى تبنى عليه الاستعارة، ويزيد فى حسنها ، والذى أشار اليه الامام هنا هو ما عبر عنه المتأخرون من بعده بعدم اشمام رائحة التشبيه لفظا فيها كشرط لحسنها كما سيأتى .

ولنبدأ الآن بعرض المناقشات الرئيسية عند المتأخرين حول بعض ما وضع أساسه

---

(٦) توفى قدامة بن جعفر ٣٢٧ هـ .

(٧) النحل ١١٢ وينظر البيان فى علمى المعانى والبيان للطيبى مخطوط رقم ٢٦٨ بدار الكتب المصرية ورقة ٨٧ .

(٨) ديوان ابن المعتز ص ٣٦ شرح وتقديم ميشيل نعمان . ط الشركة اللبنانية للكتاب ١٩٦٩.

(٩) الدلائل ٣٤٦ .

الامام عبد القاهر وغيره من معايير لحسن الاستعارة .

معايير حسن الاستعارة عند المتاخرين

ركز المتأخرون بعد الامام على معيارين لحسن الاستعارة مستنبطين من العرض السابق ، وهما :

١ — رعاية جهات حسن التشبيه .

٢ — عدم اشمام رائحة التشبيه لفظا .

وسأتحدث عنهما فى ضوء مادار عندهم من مناقشات حولهما .

وقد بدأ المتأخرون مناقشاتهم حول معايير حسن الاستعارة بالتوقف عند لفظ الحسن فى الاستعارة ، وهل يعنى ما به أصل الحسن فقط ، أو ما به أصله وزيادة ، بحيث لو عريت الاستعارة عن هذه الزيادة فى الحسن لا نحكم بقبحها بالضرورة ، بل تكون فى مرتبة متوسطة ولعل هذا الاعتبار الأخير هو المقصود عندهم ، وقد يفهم من قول السكاكى الاستعارة لها شروط فى الحسن ان صادفتها حسنت ، والا عريت عن الحسن وربما اكتسبت قبحا » (١٠) فهى ان خلت عما به أصل الحسن كانت قبيحة ، وان خلت عما به زيادته كانت وسطا بين الحسن والقبح ، وبذا تكون مراتب الاستعارة من هذه الجهة ثلاث : حسنة ومتوسطة وقبيحة كما سيأتى قريبا .

ولنبدأ بعرض المناقشات حول المعيار الاول من معايير حسن الاستعارة وهو :

١ — رعاية جهات حسن التشبيه

وهذا الأساس يعنى — كما سبق — أن كل حسن فى التشبيه هو حسن فى الاستعارة ، وكل قبح فيه هو قبح فيها لبنائها عليه :

وقد اعترض على هذا المعيار بأنه غير مطرد ، فقد يحسن التشبيه ولا تحسن الاستعارة اذا كان الوجه خفيا ، وقد تحسن الاستعارة ولا يحسن التشبيه المبنى عليها اذا كان الوجه بعكس ذلك كما أشرنا سابقا فى كلام الامام عبد القاهر ، وكما سيأتى مزيد بيان له .

ولعله يمكن الجواب عن ذلك بأن المراد بالحسن والقبح المعهودان عند الحديث عن التشبيه ، فالمقصود معايير التشبيه المعهودة لديهم ، وأما ما يذكر هنا من قوة للشبه أو ضعف له فهو خاص بالمقارنة بين التشبيه والاستعارة من هذه الزاوية ، وهى تذكر هنا لأول مرة ، وليست معهودة من الحديث عن التشبيه استقلالا كما سيأتى ، وبذلك يكون هذا الأساس مقيدا لا مطلقا .

وسأركز فيما يلى على أهم معايير حسن التشبيه التى تؤثر فى حسن الاستعارة ، ومنها :

أ — كون الوجه شاملا للطرفين ، ومتحققا فيهما كما فى قوله تعالى : « **وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا** » (١١) فان المناسبة بين ابيضاض الرأس بالمشيب ، واشتعال النار فى الحطب شديدة من جهة سرعة الالتهاب والانتشار شيئا فشيئا ، واحالة ما انتشر فيه عن صفته قبل ذلك ، وتعذر التلافى وعظم الألم ،

---

(١٠) مفتاح العلوم ص ١٨٣ .

(١١) مريم ٤ .

وتعقب الجمود والخمود (١٢) وكل هذه معان مشتركة ومتحققة فى الطرفين ، ولذلك كان الوجه شاملا لهما .

وقد اعترض على هذا المعيار بأنه شرط صحة فى الاستعارة لاشرط حسن ، اذ لا يصح التشبيه ولا الاستعارة المبنية عليه الا بكون الوجه شاملا للطرفين ومتحققا فيهما ، ويمكن أن يقال : إن القدر المطلوب فى صحة التشبيه والاستعارة من تحقق الوجه فى الطرفين أقل من المطلوب من تحققه فيهما للحسن ، اذ يكفى فى صحة التشبيه والاستعارة شمول الوجه للطرفين ولو ادعاء ، والمعتبر هنا للحسن الشمول الحقيقى أو الظاهر ، وعبارة الأطول هنا : وكأنه أراد ظهور الشمول ، أو الشمول تحقيقا ، والا فشمول وجه الشبه مما يتوقف عليه التشبيه لا حسنه (١٣) .

ولم يرتض ابن يعقوب المغربى هذا الجواب ، لأنه اذا كان المراد فى شرط الحسن الشمول ، وفى شرط الصحة مطلق الشمول الصادق بالادعائى كما فى التهكم فهو غير مستقيم ، لأن الشمول الادعائى انما يقبل لكونه فى حكم الحى ، وذلك يقتضى أن الشمول الحسى شرط للصحة لا شرط للحسن ، ولذلك رأى أن الأولى اسقاط هذا الاعتبار فى شرط الحسن طالما أنه شرط للصحة (١٤) . وأما عبد الحكيم فقد أجاب عن هذا الاعتراض بما لا يبعد عما أجاب به العصام ، فقد رأى « أن المراد بالشمول الشمول بلا شبهة ، فاذا تحققت الشبهة فى الشمول يكون التشبيه باقيا ، وكذا الاستعارة الا أنه لا يبقى حسنهما » (١٥) .

وأما الدسوقى فقد نقل جوابا عن هذا الاعتراض عن العدوى مؤداه أن شرط الحسن تحقق الوجه فى الطرفين بقدر متساو ، فان تفاوت هذا التحقق كان شرط صحة لا شرط حسن . بمعنى أنه ينبغى فى شرط الحسن تحقق الوجه فى الطرفين حقيقة أو لزوما ، فان كان متحققا فى أحدهما بمعنى كونه جزءا منه ولازما للآخر كما فى الحديث الشريف : « كلما سمع هيعة طار اليها » فهو شرط صحة لا شرط حسن ، لأن قطع المسافة بسرعة جزء من أحدهما ولازم للآخر (١٦) .

ويمكن استنباطا من هذه الأجوبة عن هذا الاعتراض أن نقول : ان شمول الوجه لكل من الطرفين شرط لصحة الاستعارة وحسنها معا غاية الأمر أنه لا يشترط تحققه فى صحة الاستعارة تحققا كاملا كما هو الحال فى شرط الحسن .

هذا ويمكن تقسيم الاستعارة باعتبار الوجه من حيث تحققه فى الطرفين ، وقوة

(١٢) ينظر الاكسير فى علم التفسير للطوفى ١١٣ .

(١٣) الاطول للعصام ١٦٥/٢ وينظر تقرير الانبابى على شرح سعد الدين وتجريد البنانى ص ٣٠٣ وما بعدها .

(١٤) ينظر مواهب الفتاح ٢٢٢/٤ « شروح التلخيص » .

(١٥) حاشية عبد الحكيم على المطول ص ٤٨٠ .

(١٦) تنظر حاشية الدسوقى على المختصر ٢٢١/٤ ، ٢٢٢ « شروح التلخيص » .

العلاقة بينهما الى ثلاثة أنواع : جيدة ومتوسطة ورديئة ، وهذا التقسيم يفهم من كلام الطوفى البغدادى ، كما يمكن أن يفهم من عبارة اسكاكى السابقة أيضا وان كان الطوفى قد صرح بأن الاستعارة من هذه الجهة نوعان : جيد وردىء ، ولما تحدث عن النوع الجيد جعله مرتبتين ، وهذا ما دعانى أن أجعل مراتب الاستعارة عنده ثلاث ، ويتضح ذلك من قوله :

« الاستعارة نوعان : جيد يجب استعماله وتوخيه ما أمكن ، وردىء يجب اجتنابه ما أمكن . أما الأول فهو ما اشتد الامتزاج والتناسب والتشابه فيه بين المستعار له والمستعار منه » . وقد استشهد لهذا النوع بقوله تعالى : « **وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا** » وبقوله جل شأنه :

« **وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ** » (١٧)

وقد وضح شدة الامتزاج والتناسب بين الطرفين فى الأولى ، وأما فى الآية الثانية فقد صور ازالة ضوء النهار عن الليل بسلخ الجلد عن الشاة ، بجامع ما فى كل من ظهور شىء كان مختفيا ، ومن تلاصق وتلاحم بين التباس الضوء بالظلام والتباس الجلد بالشاه وما فى كل من صعوبة الازالة ... الى غير ذلك من المعانى المشتركة بين الطرفين والتى يمكن ملاحظتها بطول التأمل والنظر .

وأما النوع الجيد الآخر الذى هو أقل حسنا من الأول ، وهو ما اعتبرته وسطا فقد ذكره الطوفى بقوله :

« ومما دونها فى الطبقة قول أبى تمام :

ومعرس للغيث تخفق بينه

رايات كل دُجُنَّةٍ وطفاء

فاستعار لفظ المعرس وهو موضع التعريس لموضوع وقوع الغيث ، ولفظ خفوق الراية وهو اضطرابها لهبوب السحاب عند همولها وانصبابها ، ولاسيما الطفاء وهى القريبة من الأرض ، ولفظ الراية لهدب السحابة ، وهو المتدلى منها ، وكأنه هدب القطيفة ، بجامع التدلى ، ولفظ الدجنة ــ وهى الظلمة ــ للسحابة السوداء » .

فلما لم تكن العلاقة بين الطرفين قوية فى هذا النوع من الاستعارة كما هو الحال فى النوع الأول ، حيث لم يشتد الامتزاج بين الطرفين كما اشتد فى سابقه جعل هذا النوع دون الأول ، ولم يجعله منه لما سبق ، كما لم يجعله من النوع الأخير لوجود وجه للارتباط بين الطرفين ، وأما النوع الأخير من الاستعارة وهو ما جعله رديئا فقد حدده بقوله : « فما كان ارتباط التناسب بينهما بعيدا » ونقل عن ابن الأثير من شواهده قول أبى تمام :

يوم فتح سقى أسود الضواحى

كثب الموت رائبا وحليبا (١٩)

---

(١٧) يس ٣٧ .

(١٨) ديوانه ٢٣/١ والتعريس : النزول فى آخر الليل ، وهو مستعار ، لان التعريس لذوى الشخوص من الحيوان .

(١٩) ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى ١٧٠/١ ط ٤ .

كما نقل عنه أنه عابه وبالغ فى تقبيحه من وجهين :

أحدهما : أن الكثب هى الألبان ، واحدتها كثبة ، والمشابهة بين الموت واللبن بعيدة ، ثم لم يكفه ذلك حتى جعل فيها رائبا وحليبا .

الثانى : أن من شأن الموت أن يستعار له ما يكره لا ما يستطاب .

وقد رد الطوفى نقد ابن الأثير هذا بما يجعل الاستعارة هنا فى غاية العلو لا فى غاية السقوط ، الا أن ما ذكره الطوفى لا ينهض دليلا على وجهة نظره ، لأنه ذكر أن الموت يستعار له السقى أيضا ، واستشهد لذلك بما هو غير مسلم ، لأن الموت لا يستعار له الا السقى المر ، لا اللبن المستطاب ، كما فى قولهم : سقاه الموت ، وجرعه منه كأسا مرة ، فنقد ابن الأثير مبنى على الذوق السليم ، والاحساس الصادق ، ولذلك أراه سليما ، وما ذهب اليه الطوفى هنا متكلف مردود (٢١) .

هذا ومما تجدر الاشارة اليه ونحن بصدد الحديث عن قوة العلاقة وشدة الامتزاج بين الطرفين كأساس لحسن الاستعارة أن كثيرا من النقاد قد عاب على أبى تمام وغيره كالمتنبى كثيرا من الاستعارات التى افتقدت هذا المعيار ، وقد دارت مناقشات عدة حول مدى قبول أو رفض هذه الاستعارات ، وقد حاول بعضهم ايجاد وجه للمناسبة بين الطرفين يصحح هذه الاستعارات ، بينما رفض غيرهم هذا التكلف (٢٢) .

وقد آثرت عدم خوض غمار هذه المعركة النقدية التى طال النقاش فيها ، وكثر الجدل حولها ، لأنها ينبغى أن يخصص لها بحث مستقل .

(ب) وفاؤه بالغرض منه كبيان حال المشبه اذا استعير له المشبه به فى قول الشاعر :

كأن سهيلا والنجوم وراءه
صفوف صلاة قام فيها إمامها

وكما فى استعارة مقلة الظبى للوجه الأسود اذا كان الغرض تزيين المشبه ، أو استعارة المسك الذى هو بعض دم الغزال لحال من فاق البشر وهو منهم فى قول أبى الطيب :

فان تفق الأنام وأنت منهم
فإن المسك بعض دم الغزال

وذلك اذا كان الغرض بيان امكان المشبه ... وهكذا .

والمراد بالوفاء بالغرض هنا افادته على جهة الكمال ، أو الوفاء بلا شبهة كما سبق فى الحديث عن شمول الوجه للطرفين ، فلا يقال : ان هذا شرط صحة لا شرط حسن .

(جـ) كون الوجه غير مبتذل : كأن يكون غريبا لطيفا لكثرة مافيه من تفصيل كما فى قول الشاعر :

---

(٢٠) أى هذا النوع من الاستعارة .
(٢١) ينظر الاكسير فى علم التفسير ص ١١٣ وما بعدها .
(٢٢) تنظر الموازنة للآمدى ١/٢٧١ والوساطة بين المتنبى وخصومه ٤٠ ، ٤٢٩ للقاضى الجرجانى .

واذا احتبى قربوسه بعنانه
عَلَكَ الشكيم الى انصراف الزائر

حيث شبه هيئة العنان الممتد بين فم الفرس وظهره على الجانبين بهيئة الاحتباء بثوب أو غيره بجامع الهيئة الحاصلة من شىء ممتد الى جهات متعددة يجمع بين شيئين ، ويربطهما برباط واحد ، فغرابة الوجه ناشئة من كثرة تفاصيل الحركة والاتجاه فى عدة اتجاهات ، مع ملاحظة غرابة التشبيه لبعد بين الطرفين فى الذهن .

ومن التشبيه غير المبتذل للبعد بين الطرفين مع كثرة التفصيل فى الوجه أيضا تشبيه هيئة زهرة البنفسج بصورة أوائل النار فى أطراف كبريت فى قول الشاعر :

ولا زوردية تزهو بزرقتها
بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها
أوائل النار فى أطراف كبريت

فاذا استعيرت صورة المشبه به للمشبه كانت الاستعارة حسنة لقيامها على تشبيه حسن (٢٣) .

وهذا بخلاف تشبيه الوجه الجميل بالشمس فى الاشراق مثلا ، أو تشبيه الشجاع بالأسد ، والكريم بالبحر ، والجميل بالبدر ، ثم استعارة المشبه به للمشبه (٢٤) فلا تحسن الاستعارة هنا لبنائها على تشبيه مبتذل .

وهذا الاعتبار فى حسن التشبيه الذى يؤثر فى حسن الاستعارة ، أعنى كون الوجه غير مبتذل قد ينافيه اعتبار آخر فى حسنها ــ كما سيأتى ــ وهو كون الوجه فيها جليا حتى لا تكون الغازا « فكأنهم اشترطوا فى حسنها كون الشبه جليا ، وكونه غير جلى ، وهذا تناف » (٢٥) وسنعرض فيما يلى لازالة هذا التناقض .

أثر وضوح وجه الشبه أو خفاؤه فى حسن الاستعارة :

حاول سعد الدين التفتازانى أن يحل ما يبدو أنه تناقض هنا حيث اشترطوا فى حسن التشبيه ألا يكون الوجه مبتذلا كما سبق ، كما اشترطوا فى حسن الاستعارة ما يبدو فى ظاهره أنه مناقض كذلك وهو وضوح وجه الشبه فيها حتى لا تكون ألغازا أو تعمية ، فذهب السعد الى « أن الجلاء والخفاء مما يقبل الشدة والضعف ، فيجب أن يكون (الوجه) من الجلاء بحيث لا يصير الغازا ، ومن الغرابة بحيث لا يصير مبتذلا » (٢٦) أى يكون فيه قدر من الجلاء لا يجعله الغازا ، وقدر من الغرابة لا يجعله مبتذلا ، فيكون وسطا بين المبتذل والخفى كما ذهب اليه الدسوقى (٢٧) .



---

(٢٣) تنظر حاشية الدسوقى على المختصر ٢٢٢/٤ « شروح التلخيص » .
(٢٤) تنظر دلائل الاعجاز ص ٥٨ ومواهب الفتاح لابن يعقوب ٢٢٢/٤ شروح التلخيص .
(٢٥) حاشية الدسوقى على المختصر ٢٢٨/٤ « شروح التلخيص » .
(٢٦) مختصر سعد الدين التفتازانى ٢٢٨/٤ « شروح التلخيص » .
(٢٧) المرجع السابق للدسوقى .

ومع هذا الايضاح للدسوقى حول عبارة السعد السابقة فمازال يبدو فيها نوع من القلق وعدم الاحكام ، لأن تعليقه عليها لم يجعلها محددة الهدف تماما ، واضحة المراد ، ولذلك وقفت أمام صياغتها والمراد منها على هذا الوجه السابق وقفة طويلة ، وأخيرا عثرت على مافى العبارة من قلق واضطراب،وأن وجهها الصحيح الذى يؤدى الى الهدف المقصود منها دون عناء يقتضى أن تكون هكذا : « فيجب أن يكون (الوجه) من الجلاء بحيث لا يصير مبتذلا ، ومن الغرابة بحيث لا يصير ألغازا » (٢٨) .

وبهذا تستقيم العبارة ، وتؤدى معنى محددا هو أن الجلاء المطلوب فى الوجه لحسن التشبيه له حد معين حتى لا يصل التشبيه الى درجة الابتذال ، وكذلك الغرابة المطلوبة فيه لها حد معين حتى لا يصل التشبيه الى مرحلة الالغاز ، وهذا هو مراد السعد بقوله فيما سبق : « ان الجلاء والخفاء مما يقبل الشدة والضعف » فلا تنافى اذن بين ما ذكر فى حسن التشبيه من كون الوجه غير مبتذل ، وما يذكر هنا من حسن الاستعارة من كون الوجه واضحا جليا ، فالمطلوب فى حسن التشبيه قدر من الخفاء حتى لا يكون مبتذلا ، وفى حسن الاستعارة قدر من الوضوح حتى لا تكون ألغازا ، فليس المطلوب فى حسن كل منهما على طرفى نقيض كما قد يفهم .

ويرى أستاذنا الدكتور محمد أبو موسى فيما يتعلق بهذه النقطة « أن يكون الشبه قويا واضحا وان كان بين طرفين متباعدين ، وهذا نفسه هو شرط الحسن فى التشبيه ، لأن تباعد الطرفين لا يحقق بلاغة التشبيه الا اذا قوى الشبه بين هذين المتباعدين ، حتى يكون مقدار قربهما فى القلب على مقدار بعدهما فى الحس » (٢٩) فالأساس واحد فى كل من التشبيه والاستعارة ، غاية مافى الأمر أنه اذا كان الوجه قويا واضحا بين الطرفين جاز أن ينتقل التشبيه الى الاستعارة حتى وان كان مبتكرا لم يؤلف الالحاق بين الطرفين فيه كما فى قول امرىء القيس :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها
تمتعت من لهوبها غير معجل (٣٠)

« فهذا التشبيه من أولياته ، ولم ينكر أحد عليه هذه الاستعارة ، بل هى محسوبة له لا عليه ، فليس الأساس هو الالف وجريان العادة فحسب ، وانما الأساس هو الوضوح والصفاء » (٣١) وان لم تجر به العادة ،

ولا يسوغ أن نفهم أن المراد بجلاء الوجه فى الاستعارة أن يكون قريبا مبتذلا ، وان كان هذا لا يفقدها الحس تماما كما هو واضح مما سبق ، وانما المراد أن يكون الوجه

(٢٨) درر العبارات فى تحقيق معانى الاستعارات للحموى ص ١٧٦ تحقيق عبد الحليم شادى .
(٢٩) التصوير البيانى ص ٣٢٣ .

(٣٠) ديوان امرىء القيس ٣٨ دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٩٢/١٩٧٢ .
(٣١) التصوير البيانى فى الموضع السابق .

« ظاهرا يفهمه الخاصة وغيرهم وان كان التشبيه بعيدا غريبا كأن يكون الوجه كثير التفاصيل »(٣٢) فكلما بعد الوجه في الاستعارة عن القرب والابتذال كلما ازدادت الاستعارة حسنا « فمن المركوز في الطباع أن الشيء اذا نيل بعد الطلب له ، أو الاشتياق اليه ، ومعاناة الحنين نحوه كان نيله أحلى ، وبالميزة أولى ، فكان موقعه من النفس أجل وألطف ، وكانت به أضن وأشغف » (٣٣) .

ولذلك يذكر الطيبي من معايير حسن الاستعار « أن تكون بعيدة الغور لا تدرك في بدء الفكرة كما في قول بعضهم :

وسالت بأعناق المطى الأباطح

وأن تكون تفصيلية كما في التشبيه » (٣٤)

وينبغي مع هذا أن يظل الحد الذي ذكرناه في بعد الوجه عن الابتذال ماثلا أمامنا حتى لا يؤدي البعد عن الابتذال مطلقا الى الالغاز والتعمية ، ولا يصطدم هذا بقولهم : ان خير الكلام ما كان معناه الى قلبك أسبق من لفظه الى سمعك ، لأن المطلوب في الاستعارة قدر من الخفاء « يكون المعنى به كالجوهرة في الصرف ، لا يبرز لك الا بعد أن تشقه عنه ، وكالعزيز المحتجب لا يريك وجهه حتى تستأذن عليه ، ثم ما كل فكر يهتدي الى وجه الكشف عما اشتمل عليه ، ولا كل خاطر يؤذن له في الوصول اليه ، فما كل أحد يفلح في شق الصرفة ، ويكون بعد ذلك من أهل المعرفة .

وقد دعا ابن رشيق الى التوسط بين الوضوح والخفاء في الاستعارة « فلا يجب للشاعر أن يبعد الاستعارة جدا حتى ينافر ، ولا أن يقربها كثيرا حتى يحقق ، ولكن خير الأمور أوساطها » .

والخلاصة بعد كل هذه المناقشات أن الشرط في حسن الاستعارة أن يكون التشبيه الذي بنيت عليه غير مبتذل ، بأن يكون بعيدا غريبا ، ولا يناقض هذا ما اشترطوه في حسن الاستعارة من كون وجه الشبه فيها جليا ، لأن جلاء الوجه فيها لا يعني بالضرورة أن يكون قريبا مبتذلا ، بل يعني قوة العلاقة ووضوحها بين الطرفين في التشبيه .

كما أنه ينبغي ألا تصل غرابة التشبيه الذي بنيت عليه وبعده الى حد الالغاز والتعمية في فهم العلاقة بين الطرفين ، فيكون فيه قدر من الخفاء لا يصل به الى حد الالغاز ، وقدر من الوضوح لا يصل به الى حد الابتذال ، كما ذكر سعد الدين .

أثر القرينة في حسن الاستعارة :

للقرينة أثر ايضا في حسن الاستعارة ، بمعنى أنها ينبغي أن تكون موافقة لمقامها ، والمخاطب بها ، فتكون واضحة مع الغبي ، وخفية مع الذكي ، ومتوسطة بين الوضوح والخفاء مع المتوسط بين الغباء والذكاء ، وهذا أمر عام لا يخص قرينة الاستعارة وحدها ، بل هو شرط عام لحسن كل نمط من التراكيب يحتاج الى قرينة .

يتبع

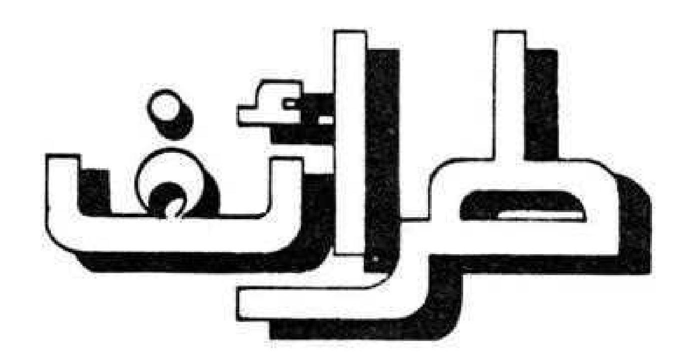
---

(٣٢) تقرير الانبابي على الشرح والتجريد ٣٠٥/٤ .

(٣٣) أسرار البلاغة ١١٨ .

(٣٤) التبيان في علمي المعاني والبيان مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٦٨ ورقة ٨٧ .





واحدة بواحدة

ما كان الله ـ عز وجل ـ ليفتح على عبد باب الشكر ويغلق عنه باب الزيادة .

ولا ليفتح على عبد باب الدعاء ، ويغلق عنه باب الإجابة .

ولا ليفتح على عبد باب التوبة ، ويغلق عنه باب المغفرة .

التحيات أربع

قال الأسنوى :

التحيات أربع : تحية المسجد بالصلاة ، والبيت بالطواف ، والحرم بالإحرام ، ومنى بالرمى .

وزيد عليه تحية عرفة بالوقوف ، وتحية لقاء المسلم بالإسلام .

ان الله هو الرزاق

جاء رجل إلى حاتم الأصم فقال : من اين تأكل ؟

قال : من خزائنه .

فقال الرجل : يلقى عليك الخبز من السماء ؟

قال : لو لم تكن الأرض له لكان يلقى على الخبز من السماء .

فقال الرجل : أنتم تقولون الكلام .

قال : إنه لم ينزل من السماء إلا الكلام .

فقال الرجل : انا لا أقوى على مجادلتك !

قال : لأن الباطل لا يقوم مع الحق .

قالوا

● قيل للأحنف بن قيس : إن المختار بن

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم



عبيد يزعم أنه يوحى إليه ، فقال : صدق ، وتلا : « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم » .

● قيل لأبى عمرو بن العلاء : هل كانت العرب تطيل ؟

قال : نعم ليسمع منها .

قيل : فهل كانت توجز ؟

قال : نعم ليحفظ عنها .

● قال أبو زيد : دخلنا على أبى الدقيش وهو شاك فقلنا له : كيف تجدك .

قال : أجدنى أجد ما لا أشتهى ، وأشتهى ما لا أجد ، ولقد أصبحت فى شر زمان وشر أناس : من جاد لم يجد ، ومن وجد لم يجد !!

بين متصدق وسائل

■ **مر أديب كبير بشيخ يتكفف الناس على قارعة الطريق ، فوقف يعطيه شيئاً ، ثم أخذ يبحث فى جيوبه عن حافظة نقوده فلم يجدها ، لقد نسيها فى الحلة التى استبدلها !!**

وكان السائل المسكين لا يزال باسطا يده فى يد السائل وصافحه بشدة . فتهلل وجه السائل وقال له :

أشكرك !! هذه أيضاً صدقة .

دعـــاء

اللهم إنى أعوذ بك من شر الخلق ، وهم الرزق وسوء الخلق ياأرحم الراحمين ويارب

حقا

وكم من مريض نعاه الطبيب
إلى نفسه وتولى كئيبا
فمات الطبيب وعاش المريض
فأضحى إلى الناس يَنعى الطَّبِيبَا

أصلح نفسك أولا

لك الخير لُمْ نَفْساً عليك ذنوبها
ودع لوم نفس ما عليك تُليمُ
وكيف تَرَى في عين صاحبك القَذَى
ويَخْفَى قذى عينيك وهو عظيم

من حكم الأحنف

الأحنف بن قيس سيد بنى حنيفة الذى قيل فيه إذا غضب الأحنف له مائة الف سيف وله حكم قيمة منها قوله :

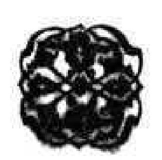
● من لم يصبر على كلمة سمع كلمات .

وقيل له من السيد السيد ؟

فقال : هو الذى إذا اقبل هابوه ، وإذا أدبر عابوه .

ومن أقواله : من تسرع إلى الناس بما يكرهون ، قالوا فيه ما لا يعلمون .

ومن أقواله أيضاً : الكامل من عدت هفواته .



السائح الأزهري

دعـــاة الأزهــــر فى أندونسـيا

(٢)

عـــادات وتقـــاليد :

يغلب على ظنى أنى أشرت الى ملامح مـن شخصية الأستاذ محمد عبد العزيز البنشتى فى السطور السابقة ، فمن القاهرة الى أندونيسيا الى اختياره ليقوم بالتدريس فى جامعة جـامبى ولك أن تراجـع ما كتبته لتتبين تلك الملامح ، وسأسير معه من هنا لنتعرف على ما وقع عليـه بصره وسمعته أذنه وما لمسـته يـداه وتذوقه وشمه لنعيش معه فى تلك البلاد النائية الغالية .

وأول مشاهداته التى قدمها لنا الاحتفالات فى جامبى ، وأولها الاحتفال بالمولد النبـــوى الشريف .

ونحن فى مصر نحتفل رســـميا بالمولد فى الثانى عشر من شهر ربيع الأول ، وان سبق ذلك احتفال شـــعبى بصـــناعة حـلوى المـــولد ورفـــع الزينـــات ، وبعـــد الاحتفـــال تهـدأ الحـــال وأما فى جامبـــى ـــ وهى تمثل أندونيسيا ـــ فالاحتفـــال بالمولد النبوى يقام فى شهرين كاملين : شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر ، مساجدهم كبيرة ولكنهـا تزدحم فلا تجد موضعا لقدم قد خلا ، ونصف مساحة المسجد للرجال ونصفه الآخر للنســاء ويشتركون فى تقديم الطعام لجميع الحاضرين ولاينسى أن يقول : « اشتد الزحام هذا العـام رغبة فى الاســـتماع لأول عالم مصرى يقيم بينهم » .

والمولد النبوى وان كان ذكرى الا أنــه يعطى حركة الحياة ، ولذلك أتبعه بتقليد يتبـع فى الموت والوفاة وسماه « التهاليل » وقـــد صور ما رأى : يموت ابن آدم فيقولون عنــه « تنتقـل دنيـــا » فهم لايصرخون ولايبكون ، أحزانهم فى صدورهم وآلامهم فى قلوبهم ، وهم يتقبلون العزاء ثلاثة أيام ، ومن تقاليد التهاليل على الميت أن يتولى أحد العلماء أو أكبر القـــوم سنا افتتاح مجلس القراءة والجميع يقرأ معـــه « ســـورة يس » « وســـورة الاخلاص » « والمعوذتين » و « الفاتحة » ، وآمن الرسول بما أنزل اليه من ربه .. الآية « ولايكلف الله

نفسا الا وسعها » الآية .. « وان الله وملائكته يصلون على النبى » ـ الآية ـ ثم « يستغفرون الله العظيم » ثلاث مرات . « ولا اله الا الله سيدنا محمد رسول الله » « اللهم صل على محمد » « اللهم صل وسلم وبارك عليه ثلاث مرات ، ثم يقرأون «الفاتحة» وآية «الكرسى» وسورة « الاخلاص » والمعوذتين » ويختمون بالدعاء للمتوفى .

ثم يقدم الطعام لجميع الحاضرين ، وأغلب أطعمة المأتم من الحلوى معها أكواب من الشربات ، تستمر اقامة التهاليل ثلاثة أيام متتالية لاترى علامات الحزن على وجوههم ، ولو أن مبعوثا غيره تحدث عن تلك التهاليل لاكتفى بما تقدم ولكن قوة الملاحظة لاتفارقه وأن تجلدهم وصبرهم لايملك عليه حواسه فيقول : ان الحزن يبدو فى عينى الأم مهما تحجر الدمع فلا يفيض ، ويشارك فى هذا الالم الزوجة والأب والابن ... عجزت التقاليد أن تقتلع حزن قلوبهم وآلام نفوسهم . (ص ٢١ من الكتاب) . ألست ترى معى أن السائح الأزهرى خبير بالعواطف الانسانية والغرائز البشرية ؟ وبصفته معايشا للأندونيسيين يحدثك عن الشيوعية ويذكر جذورها وأنها قامت عقب ثورة روسيا البلشفية ، ظهرت منذ ١٩٢٠ فكأنها صاحبت شيوعية روسيا بتشجيع من الاستعمار الهولندى « لاشاعة الحركات الهدامة ولمقاومة التيار الدينى » .

وتحدث عن الانقلابات الشيوعية بعد الاستقلال ، ودعايتها ضد الأديان ، ومن أن الشيوعية تتعارض مع الاسلام ، وأشار الى مواطن تسللها من الاتحادات والنقابات المهنية وتتغلغل فى منظمات الطلبة والعمال واستدراج أكبر عدد منهم لاعتناق الشيوعية كوسيلة لاصلاح المجتمع .

مع أن الشعب الأندونيسى منح الحرية للحزب الشيوعى مرتين الا أنه لم يقبله وقضى عليه سنة ١٩٦٦ بقرار انتهت به قصة الشيوعية .

ومن التقاليد التى تحسبها لاتكون فى آسيا وجزرها حكاية الشياطين والجان والعفاريت ولكن الشيخ « البتشتى » يحدثك عنها بأسلوب شائق مفزع ، لو ذكره كما كتبه لأخذ منى حيز المقال ولكن مالايؤخذ كله لايترك بعضه ، وقد جعل لذلك عنوانا هو : « الهنتو بيصار » ..

أقام هو فى فندق جميل واسع الأرجاء تطيب فيه الاقامة ، غرف كثيرة بكل غرفة سريران أقام فى غرفة ، وفى عصر يوم وصل بعض الزائرين من مدينة « بالمنبغ » أقام فى الحجرة الملاصقة لحجرته رئيسهم ، وما أن تركه قومه حتى أخذ يقىء بصوت مخيف وحاول الشيخ النوم فلم يعقد الكرى أجفانه الا غرارا وفى الساعة الثامنة صباحا سكت الصوت وانتهى القىء .

لقد مات الرجل ، مات مسموما ، فقد كان « بالمنبغ » وقبيل أن يبارحها تناول طعاما فاسدا ـ هكذا قالوا . ولكنه ترك وراءه خطرا كبيرا . كيف كان ذلك ؟

نقل الرجل الى جاكارتا ودفن عند أهله ، ولم يدفن فى الفندق ما خلفه من مادى ومعنوى كل مافى حجرة اقامته من أسرة ودولاب ومراتب ومنقولات صب عليه بترول وأحرق ، وفتحت

نوافذ الحجرة وأبوابها وغسلت بالماء وأنيرت الحجرة بالكهرباء ليلا ونهارا ثلاثة أيام ، يتردد عليها بعض قارئى القرآن الكريم يتلون كتاب الله ويترنمون بالأذكار .. ثم أغلقت — ولم تغلق المتاعب . كيف ؟

هجر النزلاء الفندق ولم يبق فيه غير السائح الأزهرى وتحاشى الناس المرور بجوار الفندق حتى الضباط والجنود وعائلاتهم الذين يسكنون خلف الفندق لم يرهم ، وأصبح لايرى الا العامل المكلف بالخدمة يقدم له طعامه ثم يستأذن فى الرجوع الى منزله .

فى هذه الفترة زاره صديق خريج الأزهر ، فعرض عليه أن يسكن فى الفندق معه ففزع صديقه وسأله لم ترفض فتعجل وتركه ، وأحس أن هناك شيئا فالناس يزلقونه بنظراتهم المتوجسة . وذات يوم جلس عند دكان الحاج عبدالله حداد (تاجر عربى من حضرموت) فشاهد امرأة عجوزا فى السبعين من عمرها تنظر اليه وتطيل النظر مما دعاه ليسأل الحاج عبد الله عن السيل الجارف من النظرات ؟

قال الحاج كيف لا تعرف السبب ؟ ان أهل المدينة جميعهم يقولون : انه يسكن فى الحجرة التى مات فيها الزائر مسموما « هنتو بيصار » . وما هو ؟

— شيطان كبير مارد ، يخافه الناس حتى العلماء . قال الشيخ واذا كان جبارا . فلم لم يبطش بى ؟؟ فحدثه الحاج عن موقفه من الشيطان وكيف كان صراع بينه وبينه ، وختم كلامه بقوله مخاطبا الشيخ : « وفى تقديرهم أنك لن تتركه حتى يرحل ويولى الأدبار » وهنا عرف لماذا ابتعد الناس عنه وعن زيارته ، وتحدى الموقف فحين عاد الى الفندق ليلا أضاء جميع غرفاته وطرقاته ليقابل « الهنتو بيصار » المارد الجبار ولم يحضر ، ومكث على ذلك عشرة أيام ذهب بعدها الى باندونج » مع وفد العلماء المشتركين بتلاميذهم فى مسابقة حفظ القرآن الكريم .

الجن

لقد أثار هذا الحادث الشيخ ليحدثنا علميا عن الجن ، فتساءل : من هم ؟ وهل نراهم ؟ وهل يتشكل ؟ وأين يسكن ؟ وكيف تحترس منه ؟ أسئلة تحتاج الى اجابة . وخلاصة الاجابة أن الجن جنس خلقه الله من النار كما خلق الانسان من الطين ، وخلق الملائكة من النور ، والرسل مرسلة الى الثقلين : الانس والجن ، وأن مسكن الجن الأرض التى نسكنها ، وهم يأكلون الطعام الذى نأكله من حب ولحم ، ويقول : ان العظم الذى نلقيه يكسوه الله لحما ليأكله الجن ، ولذلك يحرم الاستنجاء بالعظم ، ويذكر أن النبى محمدا ﷺ اجتمع بالجن ، وفى كل مايقدمه يؤيده بالقرآن والسنة . والجن لا يظهر لنا بصورته الحقيقية ولكنه يتشكل فى صور المخلوقات الأخرى من الحيوان والانسان والزواحف ويؤكد ذلك بالأحاديث النبوية . ويذكر أن الشيطان هو المتمرد من الجن ولكل انسان شيطان ، وسئل النبى عن ذلك فقال فى رده على سؤال : « ومعك يارسول الله » ؟ قال: « نعم ولكن ربى أعاننى عليه حتى أسلم » .

والشيطان يمثل الشر فى الأرض ، والله يحذرنا من عداوته ، ويسأل سؤالا ويجيب عنه فيقول بعنوان «متى يحفظك الله من الشيطان؟»

ويحفظك ربك منه اذا أنرت قلبك بالايمان .

«إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ » .

ويستمر فى الكلام عن الشيطان ويذكر ماجاء فى حقه من القرآن الكريم والحديث الشريف ثم يتحدث عن صلة الجن بالناس ، فيتذكر رأى الشيخ محمود شلتوت — رحمه الله — وخلاصته كما قال : أما ما وراء الوسوسة والاغواء من ظهورهم للانسان العادى بصورتهم الأصلية أو بصورة أخرى يتشكلون بها ، ومن دخولهم فى جسمه واستيلائهم على حواسه ومن استخدامه اياهم فى جلب الخير ودفع الشر ، واستحضارهم كلما أراد ، ومن استطلاع الغيب عن طريقهم ، ومن التزوج بهم ومعاشرتهم وغير ذلك مما شاع على ألسنة الناس — فهذا كله مصدره خارج عن نطاق المصادر الشرعية ذات القطع واليقين .... الى أن يقول : درج المشعوذون فى كل العصور على التلبيس وعلى غرس الأوهام فى نفوس الناس وجعلوا الجن تلبس جسم الانسان وأن لهم قدرة على استخراجه ، ومن ذلك كانت بدعة الزار ... وينقل لنا كل ما قاله المرحوم محمود شلتوت ويكتفى به ولا يذكر رأيه كمؤلف ، ولكنه باختياره دل على أنه موافق لما ذره الشيخ شلتوت . وقد أخذ الجن من الكتاب صفحات يحسن الوقوف عليها ومناقشتها لفائدتها . وكنت أود منه أن يذكر موقفه من الجن والناس، وكيف نحارب تلك الأوهام فى مصر والبلاد الاسلامية الأخرى ، ونجعل ما جاء فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة اماما لا نخالف أمره ولا نردد أقوال الجهلة والمشعوذين أقول ذلك لأنه تحدث عن أهل سومطرة بما يفيد أنهم أكثر الشعوب تقبلا للآراء الجديدة مع احتفاظهم بتقاليدهم القديمة وعاداتهم الموروثة .

ومن تلك العادات ما ينبغى الوقوف ضده والحوار معه وبيان الخطأ فيه من ذلك الميراث . فقد ذكر المؤلف : « كيف يقسم الميراث فى ريف سومطرة ؟ » وكان ما سجله : ففى الأرياف مثلا مازالت تؤول تركة المتوفى بحسب تقاليدهم لا بحسب الشرع ، ألعقار من بيوت ودكاكين وأطيان زراعية وبساتين من نصيب البنت ، والمال السايب من النقود يرثه الأولاد الذكور . والبنت الكبرى تقوم مقام أبيها فى الانفاق على اخوتها الصغار حتى يبلغوا مبلغ الرجال .

هنا تكون مهمة الدعاة ، القرآن يقرأ منهم ومن غيرهم وينبغى أن تشرح آيات الميراث كما تشرح آيات الزواج والطلاق والحلال والحرام وقصص العظة والاعتبار والا فما فائدة المبعوث الأزهرى ؟ أينتظر ليرجع من عندهم بتقاليد ما أنزل الله بها من سلطان ..؟ ووجود الميراث الشرعى عنوان بقاء الاسلام .

معلومات وسلوكيات :

زار الأستاذ « البتشتى » كثيرا من مدن أندونيسيا ، وقام بالتدريس والقاء المحاضرات فى بعضها ، وهى بلاد كبيرة وكثيرة وامكاناته تعجز عن بلوغ الأمل فى زيارة كل المدن والأقاليم ولكنه ان لم يقم بالزيارة والكشف والمشاهدة فهو يطالع ما كتب عنها وقد قرأ كتاب الدكتور أحمد شلبى « موسوعة التاريخ الاسلامى »

فتعلم منه أن الجزر الأندونيسية فى المنطقة الاستوائية ، السنة فيها فصلان فصل الجفاف، وفصل الأمطار ، وفصل الأمطار يبدأ فى ديسمبر وينتهى فى مارس • والأشهر الباقية تقل فيها الأمطار حيث تنزل كل يوم ساعة أو ساعتين نزولا خفيفا • ونزول الأمطار طول العام صبغ كل أراضيها بالخضرة فى السهل والجبل فكلها للخصب والنماء « جاكرتا » عاصمتها تعد أكبر عاصمة لدولة اسلامية فى العالم مائة وأربعون مليونا من المسلمين تقريبا يحتلون أطول طريق من جزر البحار يربط بين آسيا شمالا واستراليا جنوبا ، تقع بين ٩٢ درجة ناحية الغرب حتى ١٤٣ درجة الى الشرق ، و٦ درجات أفقية الى الشمال حتى ١١ درجة أفقية الى الجنوب • امتدادها من الغرب الى الشرق يساوى المسافة من أيرلندة الى جبال القوقاز — امتداد قارة أوربا من الغرب الى الشرق ؛ طولها ثلاثة آلاف ومائتى ميل ••• عدد جزرها ١٣٦٧٧ مساحة يابستها ٧٣٥٨٦٥ ميلا مربعا •

من هذه الجزر جزر هامة هى :

١ — كالمنتان •

٢ — سومطرة •

٣ — سلاويسى

٤ — غينيا الجديدة •

٥ — وجاوة ومساحتها ٥١٢٠٠ ميل مربع ، وهى أقل الجزر الكبرى المذكورة مساحة يسكنها أكثر من ثمانين مليونا ومعنى هذا أن أكثر من نصف سكان أندونيسيا يسكن فى تلك الجزيرة « جاوة » وتعتبر من أكثر بلاد العالم ازدحاما •

وأندونيسيا لو قرأتها مجزأة : (أندو) الهند ، و (نيسيا) الجزر لوجدت معناها « جزر الهند » وهو الاسم القديم الذى كان يطلق عليها ، وتسمى أيضا « الجزر الخضراء » لأنك لا تجد فيها شبر أرض الا وقد اخضر بالنبات أو الشجر •

استقلت أندونيسيا بعد جهاد موفق وأول علم لها رفعه المهندس أحمد سوكارنو والدكتور محمد حتى فى ١٧ من أغسطس ١٩٤٥ — وفى كل مكان ترى هذا العلم مرفوعا بلونيه الأبيض يعلوه الأحمر ، والعلم الذى رفع يوم المناداة بالاستقلال مازالت أندونيسيا تحتفظ به ، ترفعه على سارية القصر الجمهورى فى جاكرتا يوم عيد الاستقلال ، وينزل فى مساء ذلك اليوم نفسه ليحفظ فى صندوق من الخشب الثمين •

وشعار الدولة عجيب وضع حسب تفكير وطنى سديد ، فهم يعتزون باعتزازهم بالعلم •

مم يتكون شعار الدولة ؟

يقول المؤلف :

رمزوا الى عظمتهم وقوتهم بطائر « القارود » الذى تزين صوره جدران معابدهم ، عدد ريش كل من جناحيه سبع عشرة ريشة،ذيله ثمانية ، وعنقه خمسة وأربعون أرقام ترمز الى تاريخ استقلالهم (١٧ من أغسطس ١٩٤٥) وتصوير واقع الأمة المتعددة القبائل واللغات وألوان الحضارة ، ومع ذلك ظلت أمة واحدة وشعبا متماسكا • عبر عن هذا المعنى أحد أدبائهم بعبارة كتبت على الشريط الذى تمسك به رجلا الطائر «متنوع لكنه واحد»

◆ السائح الأزهرى

ودرع يرمز الى الكفاح خلفه الأحمر والأبيض لون العلم الوطنى ، وخمس قطع على الدرع تمثل « البانتشاسيلا » وهو ما يعتبرونه الأساس الفلسفى للدولة •• يمر بوسط الدرع

خط يرمز الى خط الاستواء على أنها من الأقاليم الاستوائية ، ونجمة ذهبية فى وسط الدرع ترمز الى الربانية المتفردة •

ثم السلسلة ذات الحلقات المستديرة والمربعة تمثل مبدأ الانسانية العادلة •• ورأس الثوريشير الى ديمقراطية الشعب فى حكمه النيابى •• وسنبلة الأرز والقطن تؤكد العدالة الاجتماعية لكافة أفراد الشعب الأندونيسى العظيم (وبالكتاب شعار الدولة بالرسم) •

البانتشاسيلا :

هى الأساس الفلسفى للثورة ، وأساس الدستور الذى أعلنوه غداة الاستقلال ، ومعنى « البانتشا » خمسة ، و « سيلا » معناها الأساسى ، فيصير المعنى « الأسس الخمسة المتلاحمة » وتجزأ على هذا النحو :

١ ـ الربانية المتفردة : أى الايمان بالرب الواحد الأحد •

٢ ـ الانسانية •

٣ ـ الوحدة الأندونيسية •

٤ ـ الشعبية الموجهة بالحكمة فى الشورى النيابية •

٥ ـ العدالة الاجتماعية لكافة الشعب •

معالم جاذبة ••

منها مسجد الاستقلال الذى بنى فى جاكرتا على أطلال قلاع الاستعمار بعد الهدم فكان أعجوبة المبانى ، شيدت مبانيه على عشرة آلاف متر مربع فى خمسة أدوار •• وللمسجد مئذنة ترتفع ٦٦٦٦ سم ستة آلاف وستمائة وستة وستون سنتيمترا بعدد اى القرآن الكريم تعلوها مكبرات الصوت تذيع الأذان فى أوقات الصلوات الخمس (راجع ص ٥٨ وما بعدها) ويذكر « باندونج » ولها ذكريات تتصل بالعمل السياسى المصرى ،

و « قاروت » التى نقل المؤلف اليها للعمل بها وعدد سكانها مائة ألف نسمة عاصمة لأحد مراكز محافظة باندونج الستة •

وبالقرب من قاروت حمامات معدنية « انشى بنسى » أى مياه ساخنة ولاينسى مدينة « جكجاكرتا » التى تقع فى وسط جاوة ويعمل بها صديقه محمود عكاوى وقد دعاه لقضاء شهر رمضان معه ، فانتهز الفرصة وحدثنا عن الصيام والقيام فى أندونيسيا شعب متدين والتراويح عندهم عشرون ركعة ، ويقوم بالصوم الرجال والنساء والأطفال ولقداسة الشهر لا يسرق اللص فى رمضان ، ويتحدث عن الهلال ويوم الشك وآراء علماء المسلمين فى توحيد أوائل الشهور العربية ، ويذكر كل ما يتعلق بالصوم وليلة القدر والعيد ويذكر عيد الأضحى وما يتبع فى أندونيسيا •

ومن حين الى آخر يتحدث عن الدين واللغة العربية وتجار حضرموت فى تلك البلاد ، ويقول والعرب منذ دخلوا أندونيسيا دخلوا بلغتهم ودينهم ولم يدخلوا فاتحين ، بل دخلوا تجارا

مسالمين ، وترى كثيرا من الطباع المتقاربة بين العرب والأندونيسيين ، حتى فى الزواج تجد المرأة لا تغضب اذا تزوج عليها بعلها مادام قد أخبرها ، ومن عاداتهم المساومة فى البيع والشراء .

وقد تحدث المؤلف عن الديانات فى أندونيسيا فذكر أن ١٣٠ مليونا هم المسلمون وعشرة ملايين لبقية الأديان ومنها الوثنية والسماوية ، وتحدث عن رجل صينى « أضعه أنا فى منزلة جارودى اليوم » اسمه « بابا سيون » ألقى محاضرات عدة شهدها المؤلف تناول فيها كل معالم الدين الاسلامى ببصيرة مستنيرة وعقل متفتح كان بوذيا ثم صار مسيحيا ثم استقر به الايمان مسلما .. وقال « لو أنفق المسلمون عشر ما ينفقه المبشرون لاكتسح الاسلام ماعداه من الأديان » ص ٧٩ من الكتاب وله رأى ينبغى تفهمه فهو يسأل : لماذا لم يبين الله الحكمة فى العبادات ؟ ويشرح ومن كلامه أن الله لو بين الحكمة فيها والعلة والسبب لتحولت طاعة العابد وايمانه الى هذه العلل والأسباب .. فالطبيب لا يسأله المريض عن تركيب الدواء ويتقبله وينفذ أوامر الطبيب .

والكتاب به كثير من الأحكام الاسلامية التى كانت تجىء عرضا أو قصدا فيذكر الحكم ويؤيده بالقرآن والسنة ، ولما ذكر الشريعة والأحكام بادر فذكر التصوف وشرح الكرامات، وانى أخالفه فى ارجاع توفيقه فى بعض الأمور الى شيخه من أهل التصوف ، فهو قد درس عناية الله بخلقه ما استقاموا على الهدى ، ولكن ما ذكره لا يضر العقيدة فهو من قبيل ذكر القدوة الحسنة .

والكتاب كشاف لحياة بلاد نحن نحبها ونتمنى أن يدوم الصفاء الايمانى لها والرخاء المادى بين ربوعها ، وأن تستمر لهم نظرتهم نحو أنفسهم وتمسكهم بآداب دينهم ، فمن منهجهم أن حبك لرسول الله يحملك على أن تتحرى ما كان يصدر عن النبى صلى الله عليه وسلم وتتبعه (ص ١٧٧) . ولم يعجبنى ما وصفهم به المؤلف بقوله : « فى أندونيسيا تمسكهم بدينهم حماهم على أن تثور بينهم الخلافات لأية شبهة فى سنة أو مندوب » وينبغى أن يعالج ذاك المسلك حتى يصلوا الى تعاليم الاسلام فى اخاء ومودة وشكرا للمؤلف فقد أتاح لنا أن نرى بما صوره اخوة لنا فى الاسلام يتجهون الى قبلة الاسلام فى أريحية الايمان يلفهم الاخاء الاسلامى فى رداء اسلامى قشيب .



شوقي .. والجامعة الإسلامية

أراني – قبل الحديث عن الجامعة الإسلامية – مدفوعاً إلى الالمام بما كان عليه حال الامة قبلها ، وما منيت به من تخلف اهلها فريسة بين مخالب الاستعمار ، واستهدف تيار الجامعة المتوثب .

وغنى عن البيان ، أن ما أحرزته الدول الأوربية من تقدم كان ثمرة التفوق العلمي ، بما انتهى إليه من ثورة صناعية بلغت أوجها في (انجلترا) خلال النصف الأخير من القرن الثامن عشر ، ثم شملت القارة الأوربية ، فأحدثت تطوراً خطيراً في الأسلحة ، بما لها من تأثير على السياسة العالمية ، وفتح لأبواب التجارة الدولية على مصراعيها ، وما لبثت أن سيطرت على أسواق الشعوب الشرقية ، كما يتضح من أقوال قادة الغرب ، وزعمائه فـ (جوزيف شامبرلين » زعيم المحافظين في انجلترا يقول : « إن السبيل إلى العمل المتواصل الذي يضمن الرخاء للشعب هو عن طريق فتح أسواق جديدة مع مضاعفة نشاط الأسواق القديمة »[١] .

فهو يهدف إلى غزو الأسواق الشرقية لصالح تجارة بلاده ويقول الوزير الفرنسي (جول فيري) في مجلس النواب : « إننا نبحث عن أسواق لتصريف منتجاتنا الصناعية ، وتجارتنا ، وتوظيف أموالنا خارج أوروبا ، ولا مندوحة عن هذا اذ أن أسواق أوروبا توصد في وجه أوربا »[٢] .

أما الشرق فى أواخر القرن الثامن عشر ، فكان كما وصفه (فولنى) (Volney) السائح الفرنسي حين زار (مصر) والشام بقوله : « الجهل سائد في سوريا كما في مصر وسائر تركيا .. انقضى عصر الخلفاء ، وليس من العرب أو الترك الآن علماء في الرياضيات أو الفلك ، أو الموسيقى ، أو الطب ، ويندر فيهم من يحسن (الفصادة) وإذا احتاجوا إلى الكى استخدموا له النار ! وإذا عثروا بمتطبب أفرنجي عدوه من آلهه الطب ، وأما علم النجوم ، فقد صار عندهم للتنجامة ، واستطلاع الطوالع وفي دير (ماريوحنا) بالشوير طائفة من الرهبان .. لا يقلون جهلاً عن سواهم ، وإذا قال قائل لهم إن الأرض -

---

[١] الدكتور (أحمد سويلم العمري) - ادب (شوقي) في السياسة والاجتماع : ٢٣ المطبعة الفنية الحديثة سنة ١٩٧٢ نشر مكتبة الانجلو المصرية .

[٢] المرجع السابق نفسه .

تدور عدوا قوله كفراً ، لأنه يخالف الكتاب المقدس »[٣] .

وما بزغت شمس القرن التاسع عشر ، حتى أضحى الشرق ـ على حد تعبير الاستاذ (أحمد أمين) : « شيخاً هرماً حطمته الحوادث ، وأنهكه ما أصابه من كوارث ، من حروب صليبية ، وما تبعها من فساد نظام ، واستبداد حكام واستئثارهم بالمغانم ، وفوضى أحكام ، وخمود عام » .

فقد الدين روحه وصار شعائر ظاهرية لا تمس القلب ، ولا تحيي الروح ، وسادت الخرافات ، وانتشرت الأوهام .

فما انحدرت شمس القرن التاسع عشر إلى الزوال ، وكادت حتى كان العالمان الآسيوي والافريقي عامة ، والقسم الاسلامي منهما بصفة خاصة ، قد وصلا إلى مرحلة بعيدة من الانحلال والانهيار ، فالدولة العثمانية قد منيت بالهزائم ، وخسرت الكثير من أجزائها بمقتضى معاهدة « برلين » عام ١٨٧٨ ، وتتابع النفوذ الغربي يبسط رواقه على شمال أفريقية فأعقب اخضاع (الجزائر) سقوط (تونس) و (مصر) ثم اتجهت الدسائس الاستعمارية صوب (مراكش) وطرابلس ، فإذا انتقلنا إلى الجوانب الاقتصادية . والاجتماعية من حياة الأمم ألفينا العالم الاسلامي يعيش في داخل الغشاء الزراعي ، أو القبلي البدائي في اسلوبه وتنظيمه ، ولم يأخذ بأسباب التقدم العلمي الحديث في ميادين الصناعة والنقل ، ولم يتأثر بالحركات والتيارات الفكرية التي شهدتها أوروبا منذ القرن السادس عشر ، فران على القوم الجمود في التفكير والتقاليد أو لعلنا لا نعدو الحق ، إذا قررنا أن المسلمين فقدوا عنصراً من أهم عناصر التقدم ، ونقصد به الحرية والمرونة في التفكير ..[٤] .

ذلك هو الشرق في أواخر القرن الثامن عشر ، وخلال القرن التاسع عشر استرخاء مميت أسلمه إلى مرارة الجهل ، وبؤس الفقر ، وقاتل الظلم ، وقد استهدفت حالته تلك تحرك الاستعمار لتحقيق أمانيه العذاب بغزوه اقتصادياً ، وفكرياً ، ففي (مصر) نشأ .. ما يسمونه .. إلى الوقت الحاضر .. (المصالح الأجنبية ، وقد أصبحت عنصراً قوياً ، وهاماً في الاقتصاد الأهلي ، والحياة الاجتماعية ، وألقى على الدولة المصرية عبء حماية هذه المصالح الأجنبية وليست هذه المصالح قاصرة على نشاط اقتصادي أو مالي ،

---

[٣] جرجي زيدان تاريخ آداب اللغة العربية ١١/٤

[٤] من مقال للدكتور (راشد البراوي) تحت عنوان (نواح من فلسفة اقبال الاجتماعية والسياسية ـ مجلة ـ رسالة الباكستان العدد (٣٥) السنة الثانية (٥ رجب سنة ١٣٧٠ هـ ـ أول مايو سنة ١٩٥١ م ص ١٠

وإنما صاحب هذا النشاط منذ بدأ في (مصر) نشاط آخر ثقافي »[٥] .

ومن ذلك حركة التبشير ، التي نهض بها في النصف الأول من القرن التاسع عشر بعض الجماعات الدينية الأوربية في مصر وسائر الشرق[٦] :

وخطورة هذا النشاط الثقافي تكمن في أنه « قام في مصر مستظلا بالامتيازات الأجنبية ، غير حافل بالدولة ، ولا خاضع لسلطانها ، ولا ملتفت إلى حاجات الشعب وأغراضه ، ولا معنى إلا بنشر ثقافة البلاد التي جاء منها ، والدعوة لهذه البلاد ، وتكوين التلاميذ المصريين على نحو أجنبي خالص ، خليق أن يبغض إليهم بيئتهم المصرية ، وأن يهون في نفوسهم قدر وطنهم المصري .. » [٧] .

حسب الغرب من التعليم نشر ثقافته هو لتضرب بجذورها فى الأمة ، فتجنت معالم ثقافتها ، لتجد لنفسها مجالها الفسيح فى النمو والانتشار ، حتى المدارس الوطنية فإنها « تدرس لغته ، وآدابه ، وفنونه ، وعلومه وهذه تزاحم الثقافة القديمة للبلاد شيئا فشيئا »[٨] :

وماذا بعد غفلة الشرق ، وغزوه اقتصاديا ، وثقافيا إلا الاحتلال فقوة الغرب أوقفته على انهيار الشرق ، فأمعن فى دراسته ، وأعد العدة لا لتهامه ، وَضَعْفُ الشرق أسلمه إلى سكون الموتى فغفل عما أحيط به من خطر إذ « كان الشرق جاهلا كل الجهل بما يجرى فى الغرب من أساليب سياسية فى الحكم ، وأساليب حربية فى الحرب ، وعلم ، وآداب ، وفن فى الحياة الفكرية على حين كان الغرب عالما بكل مافى الشرق علما واسعا ، بما يبث من عيون يمدون أممهم بتفاصيل ما يجرى فى الشرق ، ويؤلفون الكتب فى آثاره ، وعاداته ، وتقاليده ، ويضعون التقارير فى قواته الحربية ، على من لا يذهب من الشرق إلى الغرب إلا القليل النادر ، ولمناسبات قوية .. فلم يشعر الشرق إذن بقوة الغرب ، ولم يستفد منها إلا بعد أن فاجأه بالغزو »[٩] .

وحين دوت المدافع الأوربية فى سماء الأمة ـ استيقظت مذعورة من سباتها ، وإذا بلدانها الإسلامية تسقط فى أيدى الأوروبيين تساقط أوراق الخريف بقوى الأعصار ، ففرنسا ضمت الجزائر سنة ١٨٣٠ »[١٠] .

ثم دَاهَمَتْ تونس فأسقطتها سنة ١٨٨١ »[١١] .

---

[٥] الدكتور (أحمد عزت عبد الكريم) ـ تاريخ التعليم فى (مصر) الجزء الثانى ـ الكتاب الخامس : ٨٢٢ ـ ٨٢٣ م . النصر سنة ١٩٤٥ م

[٦] المرجع السابق نفسه ، وانظر تاريخ آداب اللغة العربية ٤/٢٧ .

[٧] الدكتور (طه حسين) مستقبل الثقافة فى (مصر) : ٧٢ م المعارف يوليو سنة ١٩٣٨ م .

[٨] المرحوم « أحمد أمين » فيض الخاطر : ٥/ ١٩٢ .

[٩] قصة الأدب فى العالم : ٣ / ٢٨٠ ـ ٢٨١

[١٠] راجع الحركات الاستقلالية فى الغرب العربى « علال الفاسى » : ٣ ط ١ م الرسالة القاهرة « ١٣٦٨ هـ ١٩٤٨ » وانظر يقظة العرب : ٦٤

[١١] راجع الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى : ٤٤ ـ ٤٥ وتاريخ الدولة العلية العثمانية : ٢٠٨ .

وما يمر عام حتى تحتل « انجلترا » « مصر » « فالسودان »[12] :

وفى عام ١٩٠٤ ، وبمقتضى الاتفاق الودى المشهور (تتنازل « فرنسا » عن مزاحمتها « لانجلترا » فى « وادى النيل » بينما تعترف لها هذه « بمراكش » كمنطقة نفوذ « فرنسى »)[13] .

فماذا بقى إذن من ساحل أفريقية الشمالية ؟ (قد خرج من يد « تركية » وهذا باستثناء « طرابلس الغرب » التى استولت « ايطالية » فيما بعد أى فى عام ١٩١٢ م على جزء كبير منها ، على أنها بقيت فى ذلك الحين المنطقة الوحيدة التابعة لحكم السلطان فى أفريقية)[14] .

ـ ٢ ـ

فأين تركيا ؟! وما شأنها ؟!

يحدثنا التاريخ أنه لم تبق لها من وسيلة للمقاومة حتى لقبت بـ « الرجل المريض » فهى إلى مشكلاتها الداخلية تعانى من ضربات الروس القاصمة ، وانتقاص الأوربيين لأطرافها[15] .

وقد استحكمت قبضة الغرب بمنهج دقيق دُعّم بـ (أسس استهدفت غايتين) :

الأولى : تحطيم قوى الشرق المعنوية ، والمادية ، والروحية تحطيما يحيل هذه الأمم إلى قطيع بدائى مسلوب الرأى ، مزلزل العقيدة ، مهدر الحقوق .

والثانية : أن تتحول بلاد الشرق إلى إقطاعيات زراعية ، ومناجم للمواد الأولية ، لتمد الغرب بحاجياته ليقوى ، ويعتز ، وتزداد قبضته تحكما وقوة ، ورسمت برامج التعليم ، ودارت عجلة الحياة بكامل ألوانها لتؤدى إلى الهدف المنشود)[16] فى هذا الجو القائم انبثق ليل اليأس عن فجر من الأمل بعبقرية المصلح الكبير ، « جمال الدين الأفغانى » رجل وطنه الاسلام فى أى بلد من بلاده ، ألهبته محنة العالم الاسلامى ، فهام بين أرجائه داعيا ، ومبشرا عساه يقيل الأمة من عثرتها فتنهض متآزرة بقوة الوحدة ، متجردة من قيود الاستعمار يقول : (لقد جمعت ما تفرق من الفكر ، ولمت شعث القصور ، ونظرت إلى الشرق ، وأهله ، فاستوقفتنى « الأفغان » وهى أول أرض مس جسمى ترابها ، ثم « الهند » ، وفيها تثقف عقلى « فإيران » بحكم الجوار ، والروابط « فجزيرة العرب » من « حجاز » هى مهبط الوحى ، ومن « يمن » وتبابعتها ، و« نجد » و« العراق » و« بغداد » وهارونها ، ومأمونها ، و « الشام » ودهاة الأمويين فيها ،

---

[١٢] راجع يقظة العرب : ٦٤

[١٣] الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى : ١٠٥ .

[١٤] يقظة العرب : ٦٤

[١٥] راجع ما نقله الاستاذ « أنيس المقدسى » عن « روحى الخالدى » العوامل الفعالة فى الأدب العربى الحديث : ٢١ وانظر « كمال أتاتورك » ٧ ـ ٨ وانظر أيضا يقظة العرب : ٥٨ .

[١٦] العروة الوثقى والثورة التحررية الكبرى : الطبعة الأولى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٧ دار العرب للبستانى بال قاهرة .

و « الاندلس » وحمراؤها ، وما آل إليه أمرهم : فالشرق الشرق ، فخصصت جهاز دماغي لتشخيص دائه ، وتحرى دوائه ، فوجدت أقتل أدوائه داء انقسام أهله ، وتشتت أراؤهم ، واختلافهم على الاتحاد ، واتحادهم على الاختلاف ، فعملت على توحيد كلمتهم ، وتنبيههم للخطر الغربى المحدق بهم)»[١٧] .

فما كانت « الأفغان وحدها شاغل فكره ، وملتقى أهدافه ، بل كان مقصده السياسي (أنها من دولة اسلامية من ضعفها ، وتنبيهها للقيام على شئونها ، حتى تلحق الأمة بالأمم العزيزة ، والدولة بالدول القوية ، فيعود للاسلام شأنه ، وللدين الحقيقى مجده ، ويدخل فى هذا تنكيس دولة « بريطانيا » فى الأقطار المشرقية ، وتقليص ظلها من رؤوس الطوائف الاسلامية)»[١٨] .

ولكم عانى الرجل فى سبيل مقصده من إكراه ، ولكم لقي من عنت ، فما ضعفت منه مدى الحياة إرادة ، ولا ونيت له أبداً عزيمة ، ففى « باريس » يستدعى تلميذه الشيخ « محمد عبده » من منفاه لمعاونته فى إصدار صحيفة « العروة الوثقى » التى كان هدفها الأساسي ، « دعوة المسلمين إلى توحيد جهودهم لمكافحة الاعتداء الأوربى ، ومناهضة الاستعمار)»[١٩] .

ومالبثت تلك الدعوة أن اتخذت سبيلها إلى القلوب ، فاستجاب لها مفكرو الشرق»[٢٠] وتجاوبت أصداؤها فى مختلف أنحائه ، وأضحى زعيمها « قوة لا يستهان بها فى العالم الاسلامى ، حتى أخذت دول الغرب تحسب له حسابا »[٢١] .

فمضى يدعو إلى الاتحاد بمثل ما أعرب عنه تلميذه الإمام « محمد عبده » فى مستهل أول عدد من « العروة الوثقى » بقوله : « إن مجاوزة الحد فى تعميم الاعتداء تنسي الأمم ما بينها من الاختلاف فى الجنسية ، والمشرب ، فترى الاتحاد لدفع ما يعمها من الخطر الزم من التحزب للجنس والمذهب ، وفى هذه الحالة تكون دعوة الطبيعة البشرية إلى الاتفاق أشد من دعوتها إليه للاشتراك فى طلب المنفعة .

أبعد هذا يأخذنا العجب إذا أحسسنا بحركة فكرية فى أغلب أنحاء المشرق فى هذه الأيام . كل يطلب خلاصاً ، ويبتغى نجاة ، وينتحل لذلك من الوسائل والأسباب ما يصل إليه فكره على درجة من الجودة والأمن ، وأن العقلاء فى كثير من أصقاعه يتفكرون فى جعل القوى المتفرقة قوة واحدة يمكن لها القيام بحقوق الكل ؟!

بلى كان هذا أمراً ينتظره المستبصر ، وإن

[١٧] كلمة السيد « جمال الدين الأفغانى » فى مستهل « العروة الوثقى » والثورة التحررية الكبرى .
[١٨] « السيد محمد رشيد رضا » تاريخ الاستاذ الامام الشيخ « محمد عبده » الجزء الأول : ٣٤
[١٩] الاسلام والتجديد فى مصر : ١١
[٢٠] راجع « محمد عبده » « لقدرى قلعجى » ١١ ـ بيروت ـ دار العلم للملايين سنة ١٩٤٨ م
[٢١]يقظة العرب : ٦٦ .

عمى عنه الطامع ، وليس فى الإمكان إقناع الطامعين بالبرهان ، ولكن ما يأتى به الزمان من عاداته فى أبنائه ، بل ما يجرى به القضاء الإلهى من سنة [الله] فى خلقه سيكشف لهم وهمهم فيما كانوا يظنون[٢٢] .

فالجامعة الإسلامية إذن دعوة إصلاح سياسى واجتماعى مستمدة من أسس الإسلام ، وقواعده ، تهدف إلى تكتل الدول الإسلامية ، والنهوض بها فى ضوء العقيدة الصحيحة .

ويتضح من قراءة [العروة الوثقى] أنها كانت تنظر إلى العالم الإسلامى كله على أنه وحدة ، فإن ذكرت [مصر] أو [الهند] فعلى سبيل المثال ، وكانت تقصد أول ما تقصد إلى مناهضة الاحتلال الأجنبى بجميع أشكاله ، وتهدف إلى رفع نيره عن العالم الإسلامى كله عن طريق ثورة الشعوب ، وبث روح العزة القومية بواسطة العقيدة الدينية الصحيحة ، وخلق الأمل فى النجاح مكان اليأس ، وتوثيق الصلات بين الشعوب الإسلامية كلها لنتعاون على دفع أذى الأجنبى عنها ، والتخلص من المستبدين الظالمين من أهلها ، وتأسيس الحياة الإجتماعية والدينية ، والسياسية على أسس أصول الإسلام الأولى : من إعداد السلاح ، ومقابلة القوة بالقوة ، وطرح العقائد الدخيلة التى تدعو إلى الاستسلام مثل رمى العبء كله على القضاء والقدر .

وإفهام الشعوب أن الإسلام فى شكله الصحيح لا يتنافى مع المدنية ، ولا يعوق التقدم ، والوصول إلى ما وصلت إليه الأمم الأخرى[٢٣]

تلك هى الجامعة الإسلامية ، ومن مجمل آراء زعيمها وتعاليمه ، وسياسته نقف على « أن الغرض الذى كان يصوب نحوه أعماله أو المحور الذى كانت تدور عليه آماله ، توحيد كلمة الإسلام ، وجمع شتات المسلمين فى سائر أقطار العالم فى حوزة دولة واحدة إسلامية تحت ظل الخلافة العظمى »[٢٤].

ويتضح من تجارب الأمة مع حركة [الجامعة الإسلامية]، أن النزعة الدينية كانت حينئذ ، وحتى مطلع القرن العشرين ـ أقوى من التشدق بعصبية جنسية ، أو التمسك برابطة قومية ، فقد باتت الأمة مأخوذة بمطامع الدول الكبرى من جانب ، وإثارة النزعات الطائفية ، ومظاهر التعصب من جانب آخر « فكانت روسيا لا تنقطع عن إثارة الفتن بين دول البلقان ، وتأليبهم على الحكم التركى ، ومدهم بالسلاح بدعوى التخلص من حكم المسلمين . وكانت العرائض تنهال على الملكة [فكتوريا] طالبة إنقاذ المسيحيين من مذابح المسلمين ، وكان [جلاد ستون] زعيم حزب الأحرار [بانجلترا] يلقى الخطب الرنانة ، ويؤلف الرسائل

[٢٢] العروة الوثقى ـ الخميس [١٥ جمادى الأولى هـ ـ ١٣ مارس سنة ١٨٨٤] مطبعة الترقى [بيروت] سنة ١٣٢٨

[٢٣] زعماء الإصلاح فى العصر الحديث . ٣٠٦

[٢٤] تراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر : ٦٦/٢

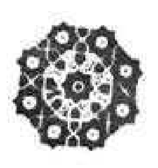
المطولة ، ناسبا إلى [تركيا] اضطهاد المسيحيين مشيراً إلى السلطان [عبد الحميد] بقوله : [الشيطان] و [عدو المسيح] »[25].

وليس وراء التعصب من غاية أبعد مدى مما انتهى إليه الكاتب الفرنسى [كيمون] فقد أسلمه إلى « الطعن فى الإسلام ، واقتراحه القضاء على المسلمين ، ونبش قبر الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، ونقل عظامه الطاهرة إلى [متحف اللوفر] فى [باريس] »[26]

فكان أن تأخذت الأمة بحافزى : الغيرة على عقيدتها ، والدفاع عن كيانها ، فاستجابت لهواتف الدين ، ولاذت بلواء الخلافة ، كما لاحت بدعوة [الأفغانى]- للسلطان [عبد الحميد]- فرصة صيانة الإمبراطورية العثمانية المتداعية ، فخف لمؤازرة « فكرة الجامعة الإسلامية ، ونشر شعاره المعروف [يا مسلمى العالم اتحدوا] »[27].

إذ « كان يطمح أن يصبح رأس العالم الإسلامى بالإسم ، وبالنفوذ ، ومما لاشك فيه - أن أى نجاح تصيبه هذه السياسة - كان لابد أن يزيد مركزه قوة فى الميدان الدولى .. كانت الناحية البارزة فى سياسة عبد الحميد انها تستهدف بصورة خاصة التأثير فى العناصر غير التركية ، ولا سيما العرب لأن جمهرة الترك المؤلفة أكثريتها من فلاحى [الأناضول]- كانت طيعة بطبعها ، وموالية للعرش بينما كان العرب وحب الحرية متأصل فى نفوسهم أقل خضوعاً ، ومما زاد فى خطورة الأمر أنهم أخذوا يظهرون علائم مغلقة تشير إلى تفتح الوعى القومى .فى نفوسهم » .

د . محمد سلامة صالح



[25] الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر: ٢/١

[26] [السيد محمد رشيد رضا]- تاريخ الأستاذ الإمام [الشيخ محمد عبده]: ٨٠١

[27] الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر: ٢/١ .

الإعلام الدولى

للأستاذ أحمد طاهر

عرض وتقديم
عاطف زهران

تمهيد :

« هناك عدة تعريفات للاعلام الدولى او الدعاية ، وبوجه عام يمكن القول : ان الدعاية هى محاولة التاثير على الآخرين للتصرف بشكل معين ما كانوا يتصرفونه فى غيابها ، اى أنها (الاتصال بغرض الاقناع من خلال وسائل الاعلام) وذلك لتغيير الآراء تجاه مسائل معينة ٠

اما الدعاية الدولية فانها تجتاز الحدود الدولية حيث تقوم مؤسسات او افراد من دولة معينة بنقل الدعاية لمواطنى دولة اخرى ، بغض النظر عن جنسية الاشخاص الذين يتولون العملية الدعائية »[١] ٠

ولعنا ندرك ما تبذله الدول من جهود فى هذا الميدان ، فى عصر يسر للعالم كله أن يعيش فى قرية واحدة عن طريق وسائل اعلامية متطورة ٠ واصبحنا فى العالم الثالث عامة والاسلامى بخاصة نتلقى رسائل عديدة من معسكرات شتى ٠

وأصبحت الاذاعات الدولية من أبرز وسائل الاعلام الدولى بما لها من قدرة على تخطى الحواجز ، وبذلك فهى تصل لآذان المستمعين فى الصحراء وفى البحر وفى الحواضر والبوادى ، وتستطيع الدوران حول الأرض فى جزء من الثانية لتوافيك بالحدث آن وقوعه ٠ ولاعتبارات كثيرة أخرى ٠

(١) د٠ محمد العوينى ، الاعلام الدولى بين النظرية والتطبيق ص ١١٠

يقصد بالاذاعة الدولية

« ارسال الصوت والموسيقى عبر مساحات شاسعة ليستقبلها جماعة أو جماعات من الناس خارج حدود الدولة التى تقوم بالارسال وذلك بلغات يمكن للمستمعين الموجهة اليهم الخدمة فهمهما » .(٢)

فالاذاعة الدولية وسيلة هامة فى مجـــال الاعلام الدولى تنبه لاستخدامها أصـــحاب المذاهب (والأيديولوجيات) منذ وقت مبكـر بقصد نشر نظرياتهم وأفكارهم على أوسـع مدى ممكن . وبقينا نحن نستقبل هذه الافكار ونتأثر بها . دون أن نفكر فى توجيه رسالتنـا اليهم . وفى نشر ديننا الحنيف الذى كلفنا الله بابلاغه الى الناس كافة حيث حلوا وفى كل زمان كانوا . فالاذاعة الدولية تعطينا فرصا نفيسة لايصال دعوتنا اذا نجحنا فى بناء أجهزة ارسال قوية وهيأنا لذلك (كوادر اعلامية)قادرة على مخاطبة الجماهير بلغاتهم وعلى قـــدر مستوياتهم الاجتماعية والثقافية . مستفيدين بأرقى ما وصل اليه العلم من أجهزة أقوى ، واجراء بحوث ميدانية تتيح لنـا التعرف على ظروف المدعوين وأحوالهم وما يلائمهم ، حتى نضمن وصول صوتنا بكفاءة معقولة .

والكتاب الذى معنا يضع أمامنا حقائق كثيرة حول الاذاعات الدولية .

*الكتاب والمؤلف *

مؤلف الكتاب أحد رواد الاعلام الدولى فى مصر ، وله خبرات طويلة فى هذا المجال ومؤلفات هامة مثل « الاذاعة والسياسة الدولية ». وغيره من المؤلفات فى الميادين الأخرى . وكتابه الذى نعرض له يقع فى (٢٣٥) صفحة من القطـــع المتوسط ويقسم الى ثلاثة أبواب عدا المقدمـة والاهداء .

تحدث فى الباب الأول عن الاذاعة الالمانيـة والاذاعة البريطانية والاذاعات الشـــيوعية وصوت أمريكا .

وفى الباب الثانى عن الاذاعات فى العـــالم الثالث .. فى الشرق الأوسط وأفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية .

وفى الثالث عن الاذاعات السرية والاذاعات الدينية . ثم عن التداخل والاستماع والدعاية.

والكتاب كله عن الاذاعات الدولية(٣) تاريخهـا ونظمها وتمويلها وانتشارها وعوائقها باعتبارها أحد أهم وسائل الاعلام الدولى . وقد أضحت ذات آثار لاتنكر . ممادعا الدول الكبـــرى للتنافس فى هـــذا الميـــدان . مستثمرة قدرة الاذاعـــة على تخطى الحواجـــز ووصـــولها الى البشر حيث كانوا لتنقل لهم الافـــكار والاخبار من مواقع الاحداث ولحظة وقوعها

٢ـ د.جيهان ر شتى . الاعلام الدولى بالراديو والتليفزيون ص ٤ .

(٣) عرض الكاتب لا يدل على ان . الكتاب كله عن الاذاعات الدولية ... مجلة الازهر .

بالكيفية والصيغة التى تريدها الدولة المرسلة بغض النظر عن الحقائق تماما •

ونحن نجد آثار ذلك حين نستمع من مناطق بعيدة لاذاعات تصلنا حتى غرفات نومنا بما تريده من أيديولوجيات ونظريات ، فصارت احدى قنوات الغزو الفكرى الهامة •

حققت الاذاعة الدولية انتصارا كبيرا للاعلام الدولى • « ولقد صمدت صور الاعلام الدولى عن طريق الاذاعة أمام اختبارات الزمن • اذ استطاع الاعلام عن طريق الاذاعة أن يأتى بنتائج لم تستطع وسائل الاعلام الاخرى تحقيقها سواء من ناحية استمالة الشعوب أو فى مجالات التعليم والتثقيف والاثارة ، فالاذاعة كانت أولى وسائل الاتصال فى عبور الحدود القومية حاملة الأخبار والبيانات كما هى أو كما شاء لها المحرر مع تجديدها يوما اثر يوم •• » ص ٨ ، وبذلك ساعدت الاذاعة على خلق القرية العالمية • كتب دستوفسكى يقول :

« ان العالم أخذ يتجه نحو الاتحاد ، ونحو تكوين مناخ صحى بتغلبه على المسافات التى تفصل بينه • وباستخدام وسائل لنقل الافكار عبر الاثير ، ولكن للأسف لا ثقة هناك ولا أمل فى قيام مثل هذا التقارب بين الشعوب » ص١٣

* الاذاعات الشيوعية *

اتجه الاتحاد السوفيتى لاستخدام الاذاعة الدولية منذ وقت مبكر • وكان أول من استخدم الراديو خارج الحدود لتوصيل نظريته وأفكاره الشيوعية الى الجاليات الروسية المنتشرة فى جميع أنحاء روسيا والى العالم الخارجى فى نفس الوقت • وذلك سنة ١٩٢٠ أو ماقبل ذلك بقليل • وقد اشتهرت مقولة لينين عن الراديو •• « انه صحيفة بلا ورق ولا حدود » وأخذ الاتحاد السوفيتى يطور فى اذاعاته الدولية ، ويوليها اهتماما كبيرا • حتى صار يحتل المركز الأول فى هذا الميدان :

« فروسيا تذيع فى الوقت الحاضر اذاعات دولية بثمان وأربعين لغة منها (١٢) لغة لأوربا (١٣) لغة لأفريقيا ، (٥) لغات للشرق الأوسط ، (٢٠) لغة لجنوب وشرق آسيا ، (٤) لغات للشرق الأقصى ، (٣) لغات لأمريكا اللاتينية ولغة واحدة لأمريكا الشمالية (١) ، أى أكثر من أى محطة دولية ، ويقدم ارسالها هى ودول أوربا الشرقية فى أكثر من (٣٥٤٠٠) ساعة أسبوعيا » ص ٣٩ وترسل عبر هذا الكم الهائل السياسة الروسية وانجازات النظام الاشتراكى للدولة •• ولكن نسبة المستمعين لهذه الاذاعات الروسية يأتى فى مركز متخلف عما عداه من الاذاعات الدولية الغربية وذلك لأسباب كثيرة لاتخفى •

* العالم الثالث *

العالم المتقدم معنى بتوجيه رسائله الاعلامية على أوسع نطاق من خلال الاذاعات الدولية وندرك تماما أننا محاطون باذاعات دولية واضحة من لندن وأمريكا ومونت كارلو • على سبيل المثال • فالعالم الثالث مستهلك جيد

(١) حاصل الجمع هو ثمان وخمسون لغة ••وليس كما ذكر المؤلف •• الكاتب •

لهذه الاذاعات على عكس المستمع فى الدول الصناعية الذى لايهتم بالاستماع للاذاعات كثيرا لانتشار التليفزيون وتقدم الصحافة الى غير ذلك • فالمستقبل فى العالم المتخلف يعانى من الفقر والجهل والأمية وغير ذلك من الأسباب التى تجعله يقبل على الاذاعات الأجنبية . اذ يجد فيها مالا يجده فى اذاعاته المحلية التى لا تعطيه حاجاته لظروف تلك الدولة ونظامها وسياستها •

« وجمهور العالم الثالث مشوق الى تلقى الرسالة • فهو يريد أن يسمع ويدرس الأيديولوجيات المختلفة •• فالراديو هوالوسيط النموذجى لايصال الرسالة الى الجماعات التى تتعامل ثقافيا بالطريق الشفهى بل لقد تغلب الراديو على الأمية ليصبح الأداة الرئيسية لربط شعوب الدول النامية بالأنشطة السياسية وغير السياسية داخليا » ص ٨٩ •

والاذاعات الدولية فى الدول المتقدمة بما تمتلكه من أجهزة بث قوية وامكانيات مالية كبيرة ، وتقدم صناعى يعطيها القدرة على ايجاد مراسلين لها فى العواصم العالمية ومواقع الأحداث ، والقيام بدراسات ميدانية عن المستمعين كل ذلك يساعدهم على اشباع نهم المستمع الى الاخبار والمعلومات التى ترسلها تلك الاذاعات الى العالم الثالث لاحتوائه فكريا •

وثمة أقطار نامية تسعى لاحتلال مكان بين هذه الدول فى توجيه اذاعات دولية لمحاولة التغلب على التعتيم الاعلامى على قضاياها ولتعرض قضاياها ونظمها وسياساتها وعقائدها على الرأى العام العالمى •

* الاذاعات الدينية *

هذا الفصل من أهم فصول الكتاب • وفيه عرض لنماذج من الاذاعات التبشيرية التى انتشرت فى بقاع كثيرة تدعمها قوى كبرى وتيسر لها ميزانيات هائلة للعمل على نشر المسيحية . وليرينا تقصيرنا فى ابلاغ رسالة ديننا العالمية التى كلفنا الله بها • لكيلا يكون للناس على الله حجة •

فبين لنا نظم هذه الاذاعات وتمويلها واشكالها واهتماماتها ومراكز انتاج موادها • وركز على قارة افريقيا التى يسعى المنصرون لتنصيرها قبل نهاية القرن العشرين • فحاصرتها الاذاعة التبشيرية من داخلها ومن خارجها •

واستخدمت الكنيسة الاذاعة فى روما فى سنة ١٩٣١ • يوم قدم ماركونى البابا بولس الحادى عشر الى ميكروفون الفاتيكان • وفيما بعد ازدهرت الاذاعات النصرانية وكتب الكاهن الذى يشرف على راديو الفاتيكان كله بمناسبة مرور (٤٠) سنة على انشاء راديو الفاتيكان قال فيها :

« لا نستطيع اليوم أن نتصور كيف يستطيع الاب المقدس أن ينجز مهمته البابوية العالمية بدون راديو الفاتيكان • فهذا الراديو يعمل على سد حاجات الراديو الكاثوليكى » ص ١٦٦ •

ولايقل اهتمام سائر الطوائف الأخرى

بالاذاعة التبشيرية عن اهتمام الكاثوليكية ويجب علينا في العالم الاسلامي أن نعرف ذلك ونجتهد لحماية المسلمين من أخطار هذه الاذاعات وغيرها • وذلك لايكون الا باذاعات قادرة على حمل رسالتنا للناس كافة • تدعوهم الى الاسلام وندفع المفتريات الباطلة التى راجت عنه ، ونزيل حجب الجهل التى صنعتها أجهزة الاعلام الاستعمارية ، ونواجه التعتيم الاعلامي المتعمد على قضايانا الاسلامية وذلك الغزو الفكرى الذى يستهدف عقيدتنا وقيمنا وحضارتنا •

ـ ملاحظات أخيرة

١ ـ رأينا من خلال استعراض الموضوعات التى ضمها الكتاب أنه من أوله الى أخره يتحدث عن الاذاعات الدولية • وكان من المنتظر أن يحمل الكتاب اسما يتفق مع مضمونه • « الاذاعات الدولية » مثلا • مع أنه لم يتعرض من قريب ولامن بعيد لغير الاذاعات • مع أن هناك وسائل أخرى عديدة للاعلام الدولى•

٢ ـ أنه دلنا على النشاط الذى تعمل به الاذاعات الدولية الموجهة الينا لتصلنا في مخادعنا عل ذلك بحث الدول الاسلامية التى دخلت ميدان الاذاعات الدولية منذ مايزيد عن ربع قرن لتضاعف جهودها وتقوى أجهزتها وتعنى بالمضمون الاعلامى عناية تتناسب مع الاذاعات الدولية التى تعمل في خفاء أو علانية للنيل من الاسلام كنظام شامل للحياة •

فعلى اذاعاتنا الموجهة أن تجعل الدعوة الى الاسلام أحد أهدافها وأن تعد سجلات لما يشاع عن الاسلام وتجند علماء المسلمين للرد على هذه الشبه التى حالت دون اسلام الكثيرين • غير متناسبة أن الهدف الأول لها هو التعريف بالاسلام والدعوة اليه بأساليب مناسبة •

٣ ـ « يعانى الاعلام الدولى للدول النامية من انخفاض درجة فاعليته بسبب انخفاض درجة كفاءة المؤسسات الاعلامية • وعدم تزويدها بالأشخاص الأكفاء • وانتشار المعوقات الادارية ، واعتبار المبررات الأخرى سببا جوهريا يتحكم في عمل هذه المؤسسات مع عدم المقدرة على ادراك طبيعة الوظيفة الإعلامية الدولية وحدودها ومداها ، ومعالجة جوانب الضعف فيها ، كما تعانى هذه الأجهزة بوضع عام من انخفاض امكانياتها المالية ، وعدم توفر الأدوات العصرية الكفيلة بزيادة فاعلية العمل الاعلامى لهذه الدول • الأمر الذى يعوق تحقيق أهداف سياستها الخارجية من خلال العمل الاعلامى » (١) •

واننا لننتظر اليوم الذى يتمكن المسلمون فيه من اعداد اذاعات قوية لا تقل في مستواها العلمى والتقنى عن غيرها من الاذاعات الدولية الكبرى •• يصلون عبرها الى مشارق الأرض ومغاربها يعرضون عليهم الحنيفية السمحة ، ويقصون عليهم امجاد الاسلام وتاريخ ابطاله ويثبتون لهم قدرة الاسلام على انقاذهم مما هم فيه فيخرجونهم من الظلمات الى النور •

---

(١) د• محمد العوينى المرجع السابق ص ١٨ •

أنباء وآراء

العثور على مخطوطة للقرآن الكريم عمرها أكثر من ٨٠٠ عام فى الهند

● عثر على مخطوطة نادرة للقرآن الكريم كتبت منذ أكثر من ٨٠٠ سنة فى مكتبة مدينة [بنته] بشمال الهند . وذكرت مصادر هندية أن المخطوطة التى عثر عليها مؤخراً بخط الشيخ عبد القادر الجيلانى وهو واحد من كبار العلماء المسلمين .

وأشار الباحثون الإسلاميون إلى أن المخطوطة تحتوى على ترجمة لمعانى آيات القرآن الكريم باللغة الفارسية .

وقد وضعت الترجمة على هوامش الصفحات قبل ٢٠٠ عام وأوضح الباحثون أن هذه المخطوطة كتبت خلال فترة الحاكم العثمانى أبو مظفر يوسف فى بغداد .

الإمام الأكبر يصرح : الأزهر يراجع قوانين باكستان بناء على طلب رئيسها !

شهد الامام الأكبر شيخ الأزهر خلال زيارته مؤخراً لباكستان وبنجلاديش المؤتمر الطبى الإسلامى الرابع .

ولقد ألقى فضيلته بحثاً أمام المؤتمر بعنوان [الإسلام وصحة الإنسان] .

وقد صرح شيخ الأزهر بأنه بحث خلال لقائه بالرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق سبل دعم التعاون الدينى والثقافى بين البلدين ، كما وافق فضيلته على طلب الرئيس الباكستانى بأن يراجع الأزهر الشريف كافة القوانين المعمول بها فى باكستان لبحث مدى مطابقتها لأحكام الشريعة الإسلامية ، وأضاف شيخ الأزهر أنه قد بحث مع رئيس بنجلاديش عدداً من القضايا المطروحة على الساحة الإسلامية ودور الأزهر فى دعم النشاط الدينى والثقافى فى بنجلاديش .

وقد حث الإمام الأكبر شيخ الأزهر المجاهدين الأفغان أن يكونوا قوة واحدة وألا يسمحوا بحدوث أية خلافات فيما بينهم وأن تظل صفوفهم متآلفة حتى يتحقق لهم النصر بعون الله .

وقال شيخ الأزهر خلال لقائه بالمجاهدين الأفغان فى اقليم بيشاور الواقع على الحدود الباكستانية الافغانية والذى يقيم فية ثلاثة ملايين من اللاجئين الافغان :

إننى أوصيكم بما أوصى به الله المسلمين . ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ .

استغرقت زيارة شيخ الأزهر أسبوعين بدعوة من رئيسى باكستان وبنجلاديش .

د . أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ صفوت عبد الجواد

مشروع انشاء محكمة عدل اسلامية

أعلن الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي شريف الدين بيرزاده أنه صدرت عن اللجنة القانونية المنبثقة عن المنظمة التى اجتمعت مؤخراً باشتراك خمس عشرة دولة من أعضاء المنظمة وثيقة حول حقوق الإنسان فى الإسلام ومشروع إنشاء محكمة عدل إسلامية للفصل بين القضايا الدولية للمسلمين .

ومن المقرر أن تعرض هذه القرارات والتوصيات التى انبثقت عن اللجنة القانونية على مؤتمر القمة الإسلامى الخامس الذى سيعقد فى النصف الثانى من شهر يناير المقبل بدولة الكويت .

قرار للمنظمة الاسلامية للعلوم والتكنولوجيا

قررت المنظمة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا افتتاح مكتب إقليمى لها فى القاهرة .

ستكون أكاديمية البحث العلمى مقراً لهذا المكتب .

صرح بهذا الدكتور على الكتانى المدير العام للمنظمة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا فور وصوله القاهرة للتشاور حول الترتيبات النهائية مع العلماء المصريين حول المكتب فى الإعداد لبدء تشغيله .

وقال : إن المنظمة التى مقرها جدة رأت افتتاح مكتبين إقليميين لها فى قارتى : آسيا وأفريقيا . حيث تم افتتاح المكتب الإقليمى فى آسيا بمدينة « إسلام أباد » فى باكستان منذ شهر ثم وقع الاختيار على القاهرة لافتتاح المكتب الإقليمى الثانى اعترافاً بالدور العلمى الرائد والوزن القوى للدراسات التكنولوجية فى جمهورية مصر العربية .

وقال مدير المنظمة الإسلامية : إن أهداف المنظمة تأتى فى إطار تبادل الدراسات والبحوث العلمية والتكنولوجية وتشجيع هذه الأبحاث فيما بين الدول الأعضاء لربط العلماء المسلمين وضمان مستقبل علمى تكنولوجى للعالم الإسلامى .

الاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم والمعاهد الأزهرية

طالب المجلس القومى للتعليم بالاهتمام بمكاتب تحفيظ القرآن باعتبارها معاهد ابتدائية ، على أن يدرج فى الخطة الخمسية المقبلة الاعتمادات اللازمة لتنفيذ خطة استكمال المعاهد القائمة ومعالجة الأوضاع الحالية بالمعاهد الأزهرية والتوسع فى إنشائها .

أنبـــاء وآراء

كما طالب المجلس بضرورة تلبية احتياجات المحافظات من المعاهد الأزهرية مع مراعاة التوازن بكل محافظة بالتنسيق مع الجهود الذاتية والاستفادة بالمساجد فى سد العجز فى مبانى المعاهد للتدريس لطلبة الصفوف الأولى بـالمـدارس الابتدائية . وكان المجلس قد عقد اجتماعاً برئاسة الدكتور محمد عبد القادر حاتم المشرف على المجالس القومية المتخصصة ناقش فيه تقريراً حول المبانى والمنشئات الأزهرية وسبل تطويرها وتحديثها على أساس خطط علمية ، ودعم الجهود الذاتية فى هذا المجال وحصر المعاهد الأزهرية لتحديد ما تحتاج إليه من ترميم وإصلاح . كما أوصى المجلس بضرورة دعم الدولة للجهود الذاتية بالحوافز المتنوعة .

مؤتمر أساقفة فرنسا يقرر الاسلام منهج سياسى واجتماعى شامل

مؤتمر أساقفة فرنسا دعا المسئولين الفرنسيين إلى اعتراف موضوعى وضرورى بالإسلام الذى وصف بأنه أصبح أخيراً ثانى ديانة فى فرنسا .

وقد أعرب المؤتمر عن احترامه للإسلام ، وأبدى رغبته فى التعايش فى ظل روح الإخاء مع المسلمين .

وكان المؤتمر قد عقد مؤخراً فى « لورد » بجنوب فرنسا وقد خصص جانباً من اجتماعاته للإسلام وبعض الشئون المتعلقة بالمسلمين فى فرنسا . وقد حضره نحو مائة أسقف استمرت اجتماعاتهم أربعة أيام ..

وقد أكد المحاضرون بالمؤتمر على أن الإسلام لا يعتبر بالنسبة للمسلمين مجرد عقيدة فحسب ، بل إنه منهج سياسى واجتماعى شامل ، وأن الإسلام فى فرنسا أصبح واقعاً منظماً يمكن رؤيته اجتماعياً ولم يعد محصوراً بين الأفراد ، وأن المعرفة الحقيقية بالإسلام تضمن تجنب الكثير من الأفكار التى يصنعها الجهل وعدم الفهم !

سياسة جديدة لتنمية العالم الاسلامى

قرر الاتحاد الدولى للبنوك الإسلامية فى أول مؤتمر يعقده ، وضع سياسة خاصة لتعبئة الموارد المالية وتوجيهها لتنمية العالم الإسلامى من خـلال المصارف الإسلامية التى وصل عددها حالياً إلى أربعة وخمسين مصرفاً .

وصرح أحمد النجار سكرتير عام الاتحاد بأن هدف الاتحاد هو توظيف الأموال فى مشاريع كبيرة فى الـدول الإسلامية على أساس مبدأ المشاركة بين المواطنين ورجال الأعمال . كما تقرر بالتعاون بين المصارف إنشاء صندوق نقد يقوم بتنفيذ المشاريع المختلفة عن طريق طرح أسُهم لتمويلها .

وأضاف سكرتير عام الاتحاد بأن بيان المؤتمر حث المصارف على تكوين سوق مالية إسلامية جديدة لتعبئة الموارد من أجل التنمية .

ومما يذكر أن أول مصرف إسلامى تم انشاؤه كان فى مصر عام ١٩٦٣ م .

من خير ما كتب

للأستاذ
عبد الفتاح السيد عبد السلام

الأسرة والمدرسة مسئولتان عن غرس العقيدة الدينية في الأبناء

ناشد الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر منظمة المؤتمر الإسلامي أن تقوم بدورها في العمل على تحقيق وحدة الصف الإسلامي وجمع الكلمة وتجاوز الخلافات التي تحدث بين بعض الدول الإسلامية وذلك لمصلحة الأمة الإسلامية .

كما طالب الأسرة والمدرسة في المجتمع الإسلامي بأداء دورهما الأساسي في غرس القيم الإسلامية الأصيلة في نفوس الصغار وركز فضيلته على الاهتمام بالشباب المسلم ودعا العلماء إلى الالتحام بهم لتبصيرهم بأمور دينهم وتحصينهم من الأفكار والعادات الدخيلة على الإسلام نتيجة انبهارهم بتقاليد وعادات الغرب وعدم معرفتهم لأمور دينهم الصحيح .

جاء ذلك في حوار دار بيني وبين الإمام الأكبر أثناء زيارة فضيلته لمدينة بور سعيد .

قال شيخ الأزهر :

●● إن العالم الإسلامي مرت به فترة استعمار عسكري من دول الغرب ، وقد اجتهدت كل دولة مستعمرة أن تسبغ على كل شعب تقاليدها وعاداتها وتزين له ذلك حتى ولو أدى هذا إلى الخروج على تعاليم الإسلام ، وكان لاقتسام الدول الغالية للعالم الإسلامي فيما بينها أثر بالغ ، فقد أهملت اللغة العربية لدى الشعوب الإسلامية غير الناطقة باللغة العربية ، وبهذا زادت القطيعة والفرقة بين هذه الشعوب والآمال الآن معقودة على ان تعمل منظمة المؤتمر الإسلامي كمنظمة دولية اسلامية ، على وحدة الصف والكلمة وإلى تجاوز الخلافات الشخصية بين بعض الحكام وذلك لمصلحة الأمة الإسلامية بوجه عام ، حيث صار واضحاً الآن أن العالم متجه إلى التكتل في وحدات قوية تحمي نفسها ومصالحها ، والشعوب الإسلامية لها في الإسلام وحدة لا تنفصم عراها ، فهم جميعا يتلون كتاباً واحداً هو القرآن الكريم ، ويؤدون

من خير ما كتب

الصلاة نحو قبلة واحدة خمس مرات يومياً ، ويصومون شهراً واحداً هو رمضان ، ويحجون إلى بيت واحد هو الكعبة المشرفة ، إنها العروة الوثقى التى لا انفصام لها ، وأنها الأمال المرتقبة التى ندعو الله أن يوفق المسلمين شعوباً وحكاماً إلى العمل على تحقيقها صونا لمستقبل الأمة ودفاعاً عن الذات والسمات الاسلامية .

■ وعن أهم قضايا الفكر الإسلامى المعاصر التى ينبغي أن يتصدى لها الأزهر الشريف ويقدم لها حلولاً عاجلة ، من خلال مجمع البحوث الإسلامية قال شيخ الأزهر :

●● إن قضايا الفكر المعاصر فى الأزهر لها عناية فائقة حيث تصدى مجمع البحوث الإسلامية لكثير منها فى المؤتمرات السنوية وهو يشارك بلجانه وإدارته فى تقويم المعوج بالأسلوب العلمى ، وأمام اللجان موضوعات متنوعة تجرى المداولة والحوار فى شأنها فى نطاق أصول الإسلام ، ليس من الملائم استعجال الرأى فى أمر تدور فيه المداولة فى مجمع علمى ، بل لابد من الأناة مع المثابرة وصولا إلى كلمة حق فى كل قضية .

فى هذا العصر سريع التطور والتغيير بفضل العلم وتقدمه المستمر ، لا يكتفى الشباب المسلم بالصورة التقليدية للعالم الديني والتى تقف عند الوعظ فقط ما هى رؤيتكم فى التغيير الذي يجب أن يحدث فى صورة علماء الدين ليسايروا التطور ويكونوا أكثر اقناعاً وتاثيراً ؟؟

●● حقا أن مهمة العلماء يجب الا تتوقف عند كلمة الواعظين منهم ، وانهم يجب أن يسعوا إلى الناس يبصرونهم بأمور الاسلام التى غابت عن الكثيرين ، ولا أقول ، غاضت من قلوبهم .. لكن السؤال هو :

أين يلتقى العلماء بالشباب المسلم ؟

— إن المساجد قد نافستها الأندية واستقطبت روادها وكادت تطغى على مهامها مما أدى إلى تشرذم فئة من الشباب كادت تفقده مقومات الحياة الإسلامية والسمات المميزة للمسلمين وغير هذا من صور الحياة الاجتماعية لكل هذه الأمور التى تمثل عوائق حقيقية أمام العلماء .. فهم يبذلون الجهد فى اللقاء بالشباب ، بل بالناس على مختلف المستويات والأعمار فى أماكن تجمعهم ، فى المصانع والمدارس والمؤسسات الاجتماعية والاسلامية ، ويحملون مسئوليات قد تخلى عنها اربابها ، فأين مسئولية الآباء والأمهات فى تنشئة أولادهم على مبادىء الدين والخلق الإسلامى ؟ وأين مسئولية المدرسة فى مراحلها المختلفة وقد اقفلت فيها المساجد ، وضيق على حصة الدين والقرآن الكريم أو أهملت ، وإذا لم يتعلم الابن والبنت أمور الإسلام وأصوله فى الأسرة وفى المدرسة فأين يتعلمون إذن ؟ ثم هذه الجامعات التى انتشرت فى معظم البلاد ، وقد خلت فيها برامج الدراسة من الثقافة الإسلامية فانتشر فيها التزمت بل والتطرف .

وحبذا لو عنى بذلك المجلس الأعلى للشباب والرياضة فييسر للعلماء فرص اللقاء بالشباب على اختلاف المراحل الدراسية بالاتفاق مع المسئولين عن التعليم فى المدارس والجامعات ،

وإعادة المواسم الثقافية التى كانت تزخر بها المدارس والجامعات .

وحبذا لو اهتمت النقابات العمالية والنوادى الرياضية والاجتماعية بتنظيم لقاءات مع العلماء .

والأزهر على استعداد للمشاركة فى التنظيم إيماناً منه بدوره الهام فى حياة المسلمين ، بل فى حياة بنى الإنسان جميعاً باعتبار علماءه هم الدواء فى هذا المجال يقدرون مسئوليتهم عن نشر الإسلام وفضائل الأخلاق فإننا لا ينبغي أن نستهين بالكلمة وتأثيرها ، وعلينا أن نعنى بها حتى تؤتى ثمارها فعلماء الاسلام يؤمنون بأن صلاح هذه الأمة فى تمسكهابالإسلام قولاً وعملاً ، فهو خير علاج للأمراض الاجتماعية والخلقية والتفكك الأسرى والاجتماعى الذى بدأت بذوره تظهر ، بعد أن تخلينا عن تقاليد الإسلام وأخلاقه ولم تعد لنا سمات نلتقى حولها ، بل صارت عاداتنا وتقاليدنا خليطاً مما نقلناه عن غيرنا وإن كان متنافراً مع بيئتنا وأصولنا .

الدكتور محمد شامه

يـــــوم الحـــــساب

من المبادىء الأساسية التى تقوم عليها الأديان عقيدة الحساب أى أن كل انسان سيحاسب على ما قدم فى حياته إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً غير أنها اختلفت فى كيفية المجازاة والعقاب فبعضها يرى ان ذلك سيكون فى الدنيا فى صورة حياة أخرى للروح بعد فناء الجسد يتحدد على أساسها عقابها أو ثوابها والبعض الآخر جعل الجزاء فى الدنيا فى صورة قحط وهلاك لمن عصى الله ورغد فى العيش وعزة فى ظل دولة قوية لمن أطاعه واتبع تعاليمه .

أما الإسلام فقد بين للناس أن هناك يوماً للحساب سيكون بعد أن يحشر الناس من قبورهم يقول الله تعالى ﴿ **وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ . قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ، هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ . إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ . فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ « يس ٥١ ـ ٥٤ » .

فالايمان باليوم الآخر شرط أساسي فى صحة الاسلام إذ الإيمان : أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وهو يوم القيامة حيث تعود الأرواح إلى الأجساد فيقوم الناس من قبورهم حفاة عراة وتنصب الموازين لتوزن بها أعمال العباد يقول الله تعالى ﴿ **فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَالِدُونَ** ﴾ المؤمنون ١٠٢ ـ ١٠٣ » .

وفى يوم الحساب تنشر الدواوين وهى الصحف التى كتبت فيها أعمال العباد أى الكتب التى كتبتها الملائكة وأحصوا فيها ما فعله الانسان من سائر أعماله الفعلية ، يقول الله تعالى : ﴿ **وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ** ﴾ « التكوير ١٠ » .

أى إذا الصحف التى فيها أعمال العباد نشرت للحساب فيأخذ كل كتابه أو صحيفته يقول الله تعالى : ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ . فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً . وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُوراً . وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ**

من خير ما كتب

كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ . فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا . وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾ « الانشقاق ٧ ـ ١٢ » .

وروى أحمد والترمذى عن أبى موسى الاشعرى أنه قال : قال رسول الله ﷺ « يعرض الناس ثلاث عرضات فعرضتا جدال ومعاذير وعرضة تطاير الصحف فمن أوتى كتابه بيمينه وحوسب حساباً يسيراً دخل الجنة ، ومن أوتى كتابه بشماله دخل النار » ..

وعليه فيجب الايمان بالبعث والنشر من القبور كما يجب الايمان بيوم الحساب وهو اليوم الذى تعرض فيه أعمال العباد على الله ، فيتقرر مصير كلٍ بناء على ما قدم فى الدنيا . فإن كان قد فعل خيراً ، أخذ كتابه بيمينه ودخل الجنة وإن كان قد فعل شراً أخذ كتابه بشماله ودخل النار .

ومن انكر شيئاً من هذا فهو كافر لأنه انكر أمراً ثبت بنص القرآن الكريم ، فقد جاءت آيات كثيرة تثبت وجود اليوم الآخر والحساب فيه فمنها قوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾ « والمراد بطائره : ما طار عنه من عمله من خير وشر فهو يلزم به ويجازى عليه » ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا . ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ « الاسراء ١٣ ـ ١٤ » .

وقد أقسم الله بهذا اليوم فقال تعالى : ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ « القيامة ١ » .

وأخبرنا بما يجرى فيه فقال : ﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ « القيامة ١٣ » .

وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ(١) شَىْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾



(١) « وهى يوم الحساب »



الموضوع — **الصفحة**

الموضوع — **الصفحة**

in patience expecting Allah's mercy exceeds the harms caused by the catastrophe. It is related on the authority of Abu Saied that a man visited the Prophet (may peace and prayers of Allah be upon him) when he was ill and said exclaimingly, "your illness Prophet is very severe". The Prophet said "Our tribulation (the prophets) are stronger than usual and our rewards are doubled, and next to us are the scholars and then the venerables; to the extent that some are happier with calamities than with gifts" (related by Ibn Maga).

The muslim cannot be a true muslim unless he reaches high degree of patience which is the path for Allah's consolidation and care, then patience will be a desirable feeling for him.

"Now await in patience the command of thy Lord, for verily thou art in our eyes, and celebrate the praises of thy lord while thou standest forth".

(Surat Al-Tur, LII,48).

In this verse Allah expresses that those who are patient will be in a special stage higher than any other, in the knowledge that he is not forgotten by God, but is constantly under God's vision and care.

The concept and attribute of patience is derived for one of the magnificent names of Allah, namely, Al-Saboor which means "The longanimous". This implies extraordinary patience, where no urgency is exigent to call for action before its elected time. All things happen as predestinated. Only Allah can ascribe to each affair an alloted order of timely occurence according to His design.

Translated from an Arabic Article by Shiekh Muhammad Saber, Al-Azhar Magazine Vol., 56, Zu Al-Hijja, 1404, Sept. 1984.

actions cannot fail to be devoted and sincere, not for a worldly gain and reward, but for a reward of blessing from Allah. Based on such consideration, these actions practiced devotion and sincerity cannot fail to be successful and blessed. Such concept is applicable to worldly everyday action and conduct in the various walks of life. It must be realized and understood that any action that is not purely devoted and sincerely subjected to the complete judgement of Allah, bears within its practice the subtle evil of ascribing other deities with Allah. This opens the first step on the path to kufre.

The development of a sence of devotion and sincerity breeds patience, which is in itself a prerequisit to devotionn and sincerity. This results into a serial equilibrium of duality of essentials and factorial relationships of devotion, sincerity and patience. Patience and perseverance with persistence is the imprisonment of the self against what Allah has forbidden, and having strength against depression and disappointment. It is the insistence and resolution of self powers against the evils of desires. Patience originates from spiritual elevation and deep perception, and results in the stimulation of the heart and self with immense serenity and piety. Patience retains and maintains self composure and tolerance at time of suffering. Allah loves these who are patient, bless them, and grants them endless reward. The Holy Quran states:

> "Be sure We shall test you with something of fear and hunger, and some loss in property, lives, and harvests. But give glad tidings to those who patiently persevere. who say, when afflicated with calamity
> "To Allah we belong and to Him is our return".
> (Surat Al-Baqara, II,155,156)

> "What is with you must vanish, what is with Allah will endure; and we will certainly bestow on those who patiently persevere, their reward according to the best of their actions.
> (Surat Al-Nahl, XVI, 96).

Believers enjoy patience; when Allah examines their faith by any catastrophe; then the feelings of content

(may Allah be pleased with him) said that the Prophet (may peace and prayers of Allah be upon him) said Blessed are the devoted; they are the lights of guidances which quench the darkness of all temptations, (related by Al-Sayouti).

The Holy Quran relates that the devil (Iblis) affirmed to tempt all people. However, those believers with devotion and sincerety are exempt from this affirmation. The Holy Quran states that Iblis (Satan) said:

"(Iblis) said: " Then by Thy Power, I will put them alb in the wrong; except thy servants amongst them who are sincere and purified by thy grace"
(Surat Sad, XXX VIII, 82,83).

This emphasizes the concept that Iblis (Satan) has no influence over the devoted sincere believers and fails to lead them into temptation.

Devotion is the spirit of all actions which envokes blessing on all conduct and behaviors and creates the flow and continuity of all practices. Accordingly, it was an inherent constant character of the Prophet (prayers and peace from Allah be upon him).

The substantial elements of devotion and sincerity in the Islamic faith are very fundamental. In the origin, the presence of these two ingredients is an essential requirement for true faith, and accordingly for true belief in the Oneness and Omnipotence of Allah. Islam meaning complete submission to Allah in soul, mind and body determines that the ultimate end of any action of man is related to Allah, and subject to His complete total judgement. Consequently, the realization and full comprehension of this concept will compel the true believer to relate all his action to the judgement of Allah, The Judge, The Just, The -All cognizant, The Vigilant, The Witness, The Varity, The All-Dominating. Since all actions are performed with the full understanding that Allah is the Just Witness, these

DEVOTION AND THE STRENGTH OF PERSISTANCE

Translated by
Hadeer Refat Abu Al-Nagah

Devotion is a spiritual characterstic which elevates human nature and purifies the soul. It pushes man into the fields of reverance and charity, and leads him to continue and perfect the good practices. Devotion is an essential ingredient of Islamic thought and teachings that is fundamental to all actions and deeds. In several Hadith of the Prophet (prayers and peace be upon him) devotion and sincerety in any action are the essentials of true success and dignity and the foundation of belief. Devotion is moral excellence and provides the path for esteem and honour.

The Holy Quran states the understanding that steadfastness and devotion to Allah strengthens the faith and protects from the assaults of evil upon the vunerable mind. This devotion and sincerety in religion must be wholehearted and genuine seeking essentially man's relationship with Allah and no other wordly gain. The verses of the Holy Quran rendering this understanding are numerous.

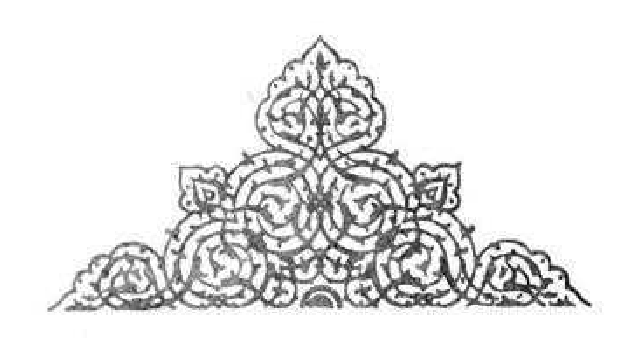
> "Except for those who repent, mend their life, and hold fast to Allah, and purify their religion as in Allah's sight. If so they will be numbered with the believers. And soon will Allah grant the believers a reward of immense value".
>
> (Surat Al-Nisa, IV, 146).

Additionally, devotion is the best way for human salvation, is the perfect way to avoid wordly disaster. Without devotion and sincerety in action, the performance of deeds become devoid of any good, and all efforts become fruitless. On the authority of Thawban

authority of the Attorney General who issues the permission after verifying the identity of those concerned and ensuring the legality and authenticity of the bequeathal. Such sanction complies with the concept that serving a high purpose supercedes preserving the consecration of the dead.

The preceeding considerations are relevant to the first four issues presented at the beginning of this article. The latter four issues will be discussed in a further-coming article " In Shaa Allah ".

Allah is All-Knowledgable, All- Cognizant.



In a Hadith for the Prophet prayers and peace from Allah be upon him "breaking the bones of the dead is like breaking them alive".

The question in other words is the legality of transplanting an argan from a dead person to the body of a live person for the purpose of treatment. Before answering this question, it is necessary to identify the Islamic ruling on the state of sanctity and purity of the human body after death. The consensus of opinion of the Malki, Shaffie, Hanafi, Hanbali, and Zaydi schools of Fiqh is that the human body is not soiled or impure after death. Considering the Hanafi comprehension, the human body becomes incidently soiled after death and could be purified by washing as after intercourse or menstruation during life.

The unanimity of comprehension of the various schools of Fiqh permit opening the body of a dead person to remove an organ or part of, for the purpose of transplanting it to the body of another live man. This legality is subject to the surmise of an expert physician that the recepient will benefit from the transplant. Such sanction invokes the concept that "urgencies allow the prohibited; and that the greater harm can be removed by the lesser harm".

It is also permissible for a living person to donate part of his body for transplantation to another person on condition that no harm results to the body of the donor. It is, however, forbidden for the donor to receive any material compensation in return for the organ donated or part of it as in blood transfusion. Accordingly, it is permissible to remove an organ or part of the body of a dead person if he bequeathed it before death; or on the consent of his heritors if the identity of the deceased and his family are known. In case the identity of the deceased is unknown, or is known and his family unknown; it is permissible to remove part of his body for transplant to a living human for purpose of treatment. The cadaver my also be used for teaching purposes at medical institutions. This should be conducted after the permission and under the

absolute on the grounds that man is not permitted to commit suicide, and therefore donation of part of the body may not be permitted liberally but is certainly subject to certain restrictions.

What I choose is that every person has full authority regarding himself, although this authority is limited by the boundaries implied in the Words of Allah " And make not your own hands contribute to your destruction; but do good; for Allah loveth those who do good" (Surat Al-Baqara, II, 195). Also in the Words of Allah " Nor kill (or destroy) yourselves; for verily Allah hath been to you most Merciful"" (Surat Al-Nisaa, IV, 29). Consideration is given in that respect by the authorities of " Fiqh " concerning fighting a holy war and becoming subject to death. Also, the mandates given by Islam in respect to saving drowning people, people in fire, people in collapsing buildings; and the respective consequences of the possibility of death of the savior.

Therefore, if a Muslim physician expertise (or non-muslim according to Imam Malek) confirms that removing part of a living body with consent to trascplant it to another living body for treatment; and if it is confirmed that it would not harm the donor (since it is futile to replace harm by harm), and that it would benefit the recepient; this transplant would be legally permissible. The donated part should not be sold or rewarded, since selling a free person in whole or in part is prohibited.

The question presented " Is it permissible for a man according to the Islamic Shariah to donate or bequeath part of his body after death as a service for patients in need; such as the kidney, the cornea and other organs. Allah has honoured mankind and preferred him over many of His creations, prohibited any indignity to him or transgression upon his rights, alive or dead. It is also mandatory in Islamic legislation to preserve the self as indicated by the quotations from the Holy Quran previously quoted. Islamic legislation concerning shrouding, burial and prohibition of breaching graves except for necessity, are indications that the human being is highly honoured during life and after death.

5- What is the comprehensive definition of death according to Islamic "Fiqh"; and when is a person considered dead.

6- What is the Islamic ordinance and favourite view on the abdominal incision of a pregnant woman after her death in the case of an alive faetus, and in case of a dead faetus. Also opening up the abdomen of a dead man to retrieve valuables he might have swallowed before his death?

7- What is the ruling on discriminating between a number of patients equally affected by disease, with regards to transplanting an organ or blood transfusion when not enough of that is available or other medication to treat all patients?

8- What is the Islamic premise on the use of intensive resuscitation medical equipment to help respiration and heart beat, when the death of the nervous system has been confirmed?

With a genuuine praise to Allah, and prayers and peace be upon the magnanemous Prophet-Muhammad; considerations of these important issues will follow. May Allah the All-Mighty bestow upon us the Light of knowledge, and the reality of truth and understanding.

The bequeathal "Will" according to the terminology of the authorities of Islamic Shariah is defined as "imparting ownership deferred until after death". According to this meaning the bequeathal would be legally implemented in monitary assets, uses and debts. The civil code defines the "Will" as disposition of the estate deferred till after death. Consequently, the bequeathal of body organs is not included in the limits of the " Will " according to the terminology of the Shariah, because the human body is fundamentally not an estate for inheritance. This understanding, however, is included in the linguistic meaning of the term " Will "; since that word is used to mean " To deputize others to perform a certain action during the life time of the bequeathing person or after his death". The donation of part of the body during life is permitted according to the Shariah considering that man is the sole adminstrator of himself. This right is, however, not

ORGAN TRANSPLANTATION IN HUMAN BEINGS*

BY

His Eminence Al-Emam, Gad Al-Haq Ali Gad Al-Haq
The Grand Sheikh of Al-Azhar.

Organ Transplantation has gained a widespread acceptance in medical and scientific media, and extensive research is being developed to establish more progress and to attain basic fundamentals in this sphere of human knowledge. Islamic Jurisprudence defines certain attitudes in that respect, and the considerations presented in this treatise aims at emphasizing the salient features.

Summary of Issues:

1- Is it sanctioned to bequeath the removal of an organ or part of dead person if he bequeathed it, or upon the consent of his next of kin?

2- What meaning should apply to this bequeathal; the law of Divine Shariah, man's law of legislation, or the linguistic meaning?

3- Is it sanctioned for a living person to donate an organ of his body to another person threatened by death, or donate some of his blood, What criteria should be followed in this case. Is it allowed to receive material reward in return to the organ or blood donated?

4- Is it authorized to transplant an organ of a dead person without his bequeathal or consent from his heritor; and who are those who legally have the right to consent?

➧

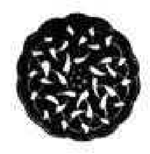
---

* Article originally published in Arabic in the Al-Azhar Magazine Vol. 55, Shawal 1403 H., July 1983 AD.

circumstances; and if the believers feared poverty due to economic recession of trade, Allah will enrich them from His bounties. These Divine legislations releaved complete and comprehensive in Surat Al-Tawbah specified the exact framework of the relationship between the believers and the idolaters.

The unbelievers that still remained spread mainly in the south of the Arab peninsula recognised that the announcements of Ali Ibn Abi Taleb at Mina during the pilgrimage confronted them with an unexpected situation. The muslim state would certainly enforce the mandate authorized by the Revelation and their situation was to become really critical. Certainly there was no more room for idol worship, and a consideration of their situation was imperative and compelling. A frank overt confrontation of war from Allah and His Messenger was to befall them; a matter they could not possibly confront. These tribes sent deputations to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to understand the teachings of Islam, and the great majority of them accepted Islam and found in its teachings the reality and provisions of human rights and human dignity.

During the months of the tenth year of Hijrah the delegations of the various Arab tribes continued to come to Al-Madinah to meet with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to listen to the Words of Allah, and the teachings of Islam. They returned to their tribes to summon for the new creèd of Islam, they were accompanied by companions of the Prophet commissioned by the Prophet to teach and instruct those tribes in the teachings of Islam. The widespread proliferation of Islam throughout the Arab penisnsula came about during the tenth year of Hijrah. Prayers and peace be upon our magnanemous Prophet.



This Divine Referendum was revealed to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to be announced during the great gathering of the pilgrimage during the month of Zu-Al-Hijja of the nineth year of Hijrah. The Revelation came after the departure of Abu-Bakre. It was of great importance that it should be publicly announced to people, Muslims and Infidels alike, so that they should know the new precepts of islamic doctrine regarding Muslim-Infidel relationships. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) particularly deputized Ali Ibn Abi Taleb as a man of the Prophet's house to set out with all speed to overtake Abu Bakre and the pilgrims with him. Ali Ibn Abi Taleb was commissioned to act on behalf of the Prophat (prayers and peace from Allah upon him) in delivering the message of this particular Revelation to be publicly announced as Divine Referendum during the great gathering of all the pilgrims at the valley of Mina.

When Ali Ibn Abi Taleb overtook Abu-Bakre and the pilgrims with him, Abu Bakre asked him if he had been sent to command the expedition, but Ali said that he was sent on a special mission. They went on together, and Abu Bakre led the Salat and preached the sermons. On the first day of the Feast when all the pilgrims assembled in the valley of Mina to sacrifice their animals, Ali stood up with Abu Hurayrah beside him and proclaimed the Divine Message in its exact Quranic text, and further pointed out the injunctions of this divine mandate. The gist of it was that the idolaters were given four months respite to come and go in safety, after that Allah and His Messenger would be free from any obligation towards them. War was declared upon the idolaters, and they were to be slain or taken captive wherever they were found; two exceptions were made. As regards those idolaters who had a special treaty with the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and had faithfully kept it, the treaty was held as valid until its term ran out. Also, if any individual idolater sought protection, he was to be granted protection, told the words of Allah and the teachings of Islam, then conveyed to a place of safety and security.

The Divine Referendum also indicated that Idolaters would be prohibited to go to the Holy mosque under any

departure of Abu Bakre, there came a Revelation of the Holy Quran which was important for all the pilgrims to Maccah both Muslims and polytheists to hear.

"Reprieve is herein granted from Allah and His Messenger to the pagans with whom you have contracted alliances. Go about then in the land for four months as you wish, but know ye that ye cannot escape Allah; and that Allah will inevitably abhore the infidels.

"And a declaration from Allah and His Messenger to mankind on the day of the greater pilgrimage that Allah disowns the idfidels and so does His messenger. If you repent, it would be best for you; but if you turn away, then know that you can never escape from Allah, and warn the infidels of painful retribution.

"Except those of the infidels with whom you have contracted alliance and did not abate any of your rights, nor ally themselves with your enemy; you shall fulfill their treaty to the end of its term. Allah loves the righteous.

"But when the sacred months are past, then fight and kill the infidels wherever ye find them; and seize them and follow them and wait for in every startagem. But if they repent and establish regular Salat prayer, and practice regular Zakat charity; then allow them free. For Allah is oft-forgiving most merciful".

"If one amongest the Pagans ask thee for protection grant it to him, so that he may hear the Words of Allah, and then escort him to safety. That is because they are men without knowledge".

(Surat Al-Tawbah, IX, 1-6).

"O ye who believe, the Infidels are (soiled) unholy, so let them not come close to the sacred mosque after this year. And if you fear poverty, Allah shall enrich you from His bounties if He wills. Allah is All-Knowing, All-Wise.

(Surat Al-Tawbah, IX, 28).

THE DIVINE REFERENDUM

BY

Dr. Anas Moustafa El-Naggar MD,PhD.

In the name of Allah most Gracious most Merciful.

The last quarter of the nineth year of Hijra was coming to an end, and the last month of Zu Al Hijja started to mark the time of pilgrimage. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) had not performed pilgrimage in the proper Islamic way. The decision to perform pilgrimage was greatly considered as supplication and humility to Allah for the glories and triumphs granted. However, the Arab peninsula remained to harbour several non-muslim sects including Jews, Christians, and even non-believers and idol worshippers. These non-believers and idol worshippers retained their custom to perform their visits to the kaabah during the holy months; and consequently the Haj season will not be purely Islamic. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) decided to remain at Al-Madinah and await the commands of Allah in that matter. Abu Bakre was therefore appointed to lead the pilgrimage of the nineth year of Hijrah and to take charge of it.

Abu Bakre Al-Sidig Ibn Abi Quhafa left Al-Madinah to Maccah to perform Hajj with three hundred muslims. The Holy kabaah was visted without restriction by both Muslims and non-believers, and both parties performed their own practices of pilgrimage and their own ritual ceremonies of worship. The presence of two parties in the same place at the same time performing two opposing formalities of worship would certainly result in a condition of decrepancy around the Holy shrine of the Kabaah. It was therefore mandatory to resolve this issue by Divine Ordinance. Not long after the

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Rabie Al-Akhar, 1407

Vol. 59, Part IV

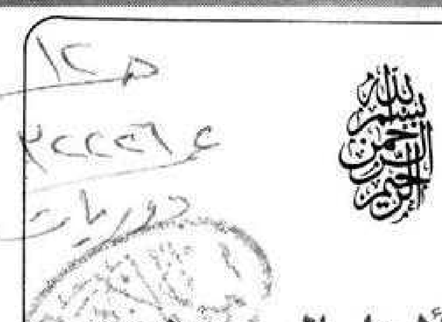
CONTENTS

Preparation of Prints: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION





الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
* صورة الغلاف



بسم الله الرحمن الرحيم

الصحابة الأبناء المحمدون

وأولئك ما كانوا من الجاهلين ، فما كانوا أبناء لآباء وثنيين تَمَنَّوْا - بالتسمية - ان يَحْظَى ابناؤهم بالنبوة . ولا كانوا من « المخضرمين » الذين حملوا الاسم جاهلية وإسلاماً .

إنما كانوا صحابة ابناء صحابة :

صحابة لأنهم وُلدوا في الإسلام ، وشبوا عليه ، ورَأَوْا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعايشوه ، وقد أسلم آباؤهم من قبل حتى إذا ولد لهم هؤلاء الأبناء سَمَّاهم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بهذا الاسم الكريم ، أو سماهم آباؤهم به « تَيَمُّناً » برسول الله - صلى الله عليه وسلم - و « حُبّاً » في الاسم الشريف ، و « تَطَلُّعاً » إلى بركته ، و « شغفاً » بالاستماع إليه .

* الجزء الخامس *
* السنة التاسعة والخمسون *
* جمادى الأولى ١٤٠٧ هـ *
* يناير ١٩٨٧ م *

كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمؤمنين رءوف رحيم ، للمسلمين ـ لديه ـ سعةٌ فى الصدر ، وبِشْرٌ فى اللقاء مع حَدَبٍ خالص ، وحنو بالغ .

وهذا الخلق العظيم منه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حمل الكثير منهم : رجالاً ونساءً ـ على ان ينطلقوا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بصبيانهم المواليد[1] ، فيتلقاهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بيديه الشريفتين ، او يضعهم فى حجره ، ويُحَنِّكُهُمْ ، ويمسح بيده عليهم ، وكم ترك ذلك من اثر مُعجِز كريم بَدَا ـ واضحاً ـ عندما علاهم المشيب فلم يشب منهم موضع يده الشريفة ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وينبغي ان نستثنى ـ ممن سماهم الرسول ، عليه الصلاة والسلام ـ فريقاً لم يكن من المواليد ، وإنما حملوا اسماء لم يَرْضَ عنها ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فسماهم بهذا الاسم الشريف استبدالاً بالاسم الذى حملوه .

ومن صحابته ـ صلى الله عليه وسلم ـ من شغف بالاسم الكريم فأطلقه على اكثر من وَلَد، وما هو إلا جيل او اكثر حتى شاع الاسم وذاع ، وَتَسَمَّتْ به أناس من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ويبدو ـ والله اعلم ـ أن البعض ممن حمل هذا الاسم الشريف قد استغضبَ أَهْلَه فى شيء مما يضيق به الوالدان احياناً ؛ فكاد عُمَرُ أن يُمضِى فى ذلك قرارا لكن الله سَلَّم .

وهانحن نتبع ما قدمنا من أحوال الصحابة الأبناء المواليد بتفصيل .

فهؤلاء هم المواليد الذين شَرُفوا بالتسمية من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

١ ـ محمد بن أنس بن فضالة ـ رضى الله عنه .

ترجم له بن الأثير برقم « ٤٦٩٨ » وابن حجر برقم « ٧٧٥١ » وقد يترجم له باسم : محمد بن فضالة ، وهوهو « محمد بن أنس بن فضالة ـ رضى الله عنه ـ قال :

« قدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . [أى المدينة] وانا ابن اسبوعين ، فَأُتَى بى إليه فمسح راسى ودعالى بالبركة ، وقال : سَمُّوه باسمى ، ولا تَكْنُوه بكنيتى .. وَحُجَّ بى معه فى عام حجة الوداع » وانظر مع ما تقدم ـ للمقارنة رواية ابن الأثير رقم « ٤٧٥٥ » وابن حجر رقم « ٧٧٩٤ » .

٢ ـ محمد بن ثابت بن قيس بن شماس ـ رضى الله عنه :

ترجم له ابن الأثير برقم « ٤٧٠٥ » وابن حجر برقم « ٨٢٨٩ » أُمُّهُ « جميلة بنت عبد الله ابن ابى بن سلول » رضى الله عنها ، اتى به ابوه ثابتُ بن قيس رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى لفافته فسماه محمداً وحَنَّكَه بتمرة عجوة .

اثبته ابن الأثير وامضاه ابن حجر ـ رضى الله عنهما ، فلا عبرة بقول من توقف فيه .

٣ ـ محمد بن طلحة بن عُبَيْد الله ـ رضى الله عنه :

ترجم له ابن الأثير برقم « ٤٧٣٨ » وابن حجر برقم « ٧٧٧٥ » ابوه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة

---

١ ـ انظر ابن حجر ـ الإصابة ١١٨/٩

وامه « حمنة بنت جحش » رضى الله عنها أخت أم المؤمنين « زينب بنت جحش » رضى الله عنها .
حمله أبوه إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمسح رأسه ، وسماه « محمداً » ونحله « كنيته » .
وتذكر رواية أن التى حملته إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والدته حمنة ـ رضى الله عنهم .
٤ ـ محمد بن نُبَيْط بن جابر ـ رضى الله عنه .
ترجم له ابن الأثير برقم « ٤٧٦٣ » وابن حجر برقم « ٨٣٠٧ » .
ولد ـ رضى الله عنه ـ على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحمل إليه وحَنَّكه وسماه محمداً .. عن ابن القدّاح رضى الله عنه .
٥ ـ محمد بن مُخَلَّد بن سحيم الخزرجى ـ رضى الله عنه .
ذكر ابن القداح أنه ولد على عهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ، وأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الذى سماه محمداً .
ترجم له فى أسد الغابة برقم [٤٧٦٠] وفى الإصابة [٧٧٩٩] .
وفى الترجمة الأولى انه "شهد فتح مكة". وليس يعنى ذلك انه جُنِّدَ فيها .
٦ ـ محمد بن عمارة بن حزم الانصارى ـ رضى الله عنه .
ترجم له فى الإصابة برقم [٨٣٠٣] قال ـ رضى الله عنه :
ذَكَرَهُ ابن شاهين عن ابن أبى داود عن ابن القداح ، وأن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ سماه لما وُلِدَ "محمداً".
ويلاحظ اننا اعتمدنا فى هذين الصحابيين الأخيرين رقمى ٥ ، ٦ فى ترجمتنا بهذا المقال ـ على قرينتين رجحتا عندى حملهما إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ اعتنى بهما :
النص على الولادة على عهده ـ صلى الله عليه وسلم .
والنص على أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ هو الذى سماهما . فأقرب الأحوال ـ إذاً ـ أن يحملا إليه لا أن يذهب إليهما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، فأما ابن نبيط صاحب الترجمة رقم [٥] فقد نُصَّ على تحنيك الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ له ، وذلك يلزم حمله إليه عليه الصلاة والسلام .

● ● ● ● ● ● ● ●

وهذه جماعة سماها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالاسم الشريف ولم يصحب الترجمة فيهم دليل يبين أنهم وُلدوا على عهده ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو حملوا إليه ، أو كانوا صبيانا على عهده ـ عليه الصلاة والسلام ـ مما يرجح أن تسميته ـ صلى الله عليه وسلم ـ لهم بهذا الاسم كانت لأمر رآه ـ عليه الصلاة والسلام . وأولئكم :
١ ـ محمد بن خليفة بن عامر ـ رضى الله عنه .
ترجم له ابن حجر ، فهو فى « الإصابة » برقم [٧٧٦٤] .
قال ابن القداح :
« شهد الفتح[٢] وكان اسمه « عبد مناة » فسماه النبى ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ محمداً .
أخرجه ابن شاهين عن ابن أبى داود عنه » أى عن ابن القداح .

---

٢ ـ اى فتح مكة

والأمر – فى سر التسمية هنا – ظاهر ، وتعطى الرواية كذلك الدليل الذى يرجح كونه كبيراً لا صبياً

٢ – محمد بن هلال بن المعلى – رضى الله عنه .

ترجم له فى الإصابة برقم [٧٨٠٢] وفى أسد الغابة برقم [٤٧٦٦] .

ممن شهد الفتح ، وسماه الرسول – صلى الله عليه وسلم – محمداً ، اتفق على ذلك ابن الأثير وابن حجر ، وزاد ابن حجر قوله :

« أخرجه ابن شاهين عن ابن أبى داود عنه » أىْ عن ابن القداح .

وفى الأسد : أخرجه أبو موسى مختصراً .

٣ – محمد بن عباس بن عبادة بن نضلة الأنصارى الخزرجى – رضى الله عنه : ترجم له ابن حجر برقم [٧٧٧٧] ولم يترجم له ابن الأثير ، وأثبته ابن حجر هكذا : محمد بن عباس بن نضلة ، وقال : تقدم نسبه فى ترجمة أبيه ، فأثبتنا الترجمة عن أبيه ، وأبوه – رضى الله عنه – من الأنصار المهاجرين ، سبق أن كتبنا عنه ، قال ابن حجر ، قال ابن القداح :

سماه النبى – صلى الله عليه وسلم – محمداً ، وشهد فتح مكة .

أخرجه ابن شاهين عن ابن داود عنه .

٤ – محمد مولى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رضى الله عنه .

أورده أسد الغابة برقم [٤٧٢٣] وابن حجر برقم [٧٨١٠].

أورداه عن الحاكم – رضى الله عنه – فى تاريخ « نيسابور » وكان اسم أبيه : « ماناهيه » ولم يُنْكر على الحاكم ذلك .

هاجر هذا المولى الكريم إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فوصل المدينة وأسلم فسماه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – محمداً

٥ – محمد بن الجد بن قيس – من بنى سلمة – رضى الله عنه .

ترجم له فى أسد الغابة برقم [٤٧٠٧] وفى الإصابة برقم [٧٧٥٦] . ذكره ابن القداح ، وأخرجه أبو موسى ، وعنه نقل ابن الأثير مُخْتَصَرَهُ . قال ابن القداح : سماه النبى – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – محمداً ، وشهد معه فتح مكة ..... قال :

وذكر محمد بن حبيب – فى كتابه [المُحبَّر] أنه أول من سُمِّىَ محمداً فى الإسلام من الأنصار . قال ابن حجر :

وفى [الأكليل] للحاكم أن معاذ بن جبل – رضى الله عنه – كان من بنى سعد بن على بن أسد بن ساردة ، وإنما صار فى بنى سلمة لأن [فلان] ابن محمد بن الجد بن قيس – وهو من بنى سلمة – كان أخاه من أمه . انتهى .

قال ابن حجر : وهذا يدل على قدم زمان محمد بن الجد بن قيس فيؤيد ما قاله ابن القداح .

٦ – محمد بن ضمرة بن الأسود بن عباد بن غنم بن سواد – رضى الله عنه .

ترجمت له الإصابة برقم [٧٧٧٤] وابن الأثير برقم [٤٧٣٧] واتفقا على ذكر ما حَدَّث به ابن القداح ، ونقله عن ابن أبى داود ، وأخرجه ابن شاهين قال :

إن النبى – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – سماه محمداً ، وشهد فتح مكة .

وهؤلاء [صحابة] ولدوا ـ على عهده ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يذكر عنهم حملهم إليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولم تنسب تسميتهم [محمداً] إليه صلى الله عليه وسلم ـ مما يرجح ـ والحال هذا ـ أن التسمية إنما كانت من قِبَلِ والديهم ـ رضى الله عنهم ـ وأولئك هم :

١ ـ محمد بن عبد الله بن جحش بن رياب بن يَعْمر بن صَبْرَةَ ينتهى نسبه إلى أسد بن خزيمة القرشى ـ رضى الله عنه .

استكملنا ترجمته عن أبيه عبد الله بن جحش رضى الله عنه .

ترجم له فى أسد الغابة برقم [٤٧٤١] وفى الإصابة برقم [٧٧٧٩] هاجر مع أبيه وعَمَّيْه إلى الحبشة ، وقال الواقدى : كان مولده قبل الهجرة بخمس سنين .١هـ .

وإذا كان الأمر كما يقول الواقدى فأرى أن ولادته كانت أول الإسلام تقريباً ، ولم يذكر فى تسميته شيء يخص رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

أمه فاطمة بنت أبى خُنَيْس ـ لها صحبة ، وأبوه ، رضى الله عنه ـ أخو زينب بنت جحش أم المؤمنين ـ رضوان الله عليها .

قُتل أبوه : عبد الله ـ رضوان الله عليه ـ يوم أحد ، فأوصى به النبى ـ صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ محمد بن أبىّ بن كعب[٣] بن قيس بن عبيد ، من بنى مالك بن النجار الأنصارى الخزرجى ـ رضى الله عنه ـ

ترجم له بن الأثير برقم [٤٦٩٢] وابن حجر [٨٢٨٥] .

ولد على عهده ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمه أم الطفيل بنت الطفيل بن عمرو السدوسى ، وأبوه من أقرإ أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للقرآن .

٣ ـ محمد بن جعفر بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ وَالِدُهُ ابن عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

ترجمت له الإصابة برقم [٧٧٥٨] ، وأسد الغابة برقم [٤٧٠٨] .

أبوه ذو الجناحين القرشى الهاشمى أخو على ـ رضى الله عنهما ـ وأمه أسماء بنت عميس الخثعمية ، ولد بالحبشة ، وقدم إلى المدينة طفلاً . فهو ممن حملت به بطون المهاجرات الأوائل ـ رضوان الله عليهن .

قال محمد بن حبيب ـ فى [المُحَبَّر] « هو أول من سمي محمداً فى الإسلام من المهاجرين » : رضوان الله عليهم .

٤ ـ محمد بن حاطب بن الحارث الجمحى القرشى ـ رضى الله عنه .

ترجم له ابن الأثير برقم [٤٧١٠] والإصابة برقم [٧٧٥٩]

ولد على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو كسابقه ولد بأرض الحبشة ـ أمه إحدى بنات المُجَلَّل بن عبد الله بن قيس القرشية العامرية .

وتذكر بعض الروايات ـ بأسد الغابة ـ أنه لم يولد بأرض الحبشة ، وإنما هاجر به والداه إلى الحبشة طفلاً .

قال مصعب : كانت أسماء بنت عميس قد أرضعت محمد بن حاطب الجمحى مع ابنها [عبد الله] فكانا يتواصلان على ذلك حتى ماتا . رضى الله عنهم . وأسماء هى والدة محمد بن جعفر ذى الترجمة السابقة .

---

٣ ـ استكملنا ترجمته عن أبيه أُبَىّ ـ رضى الله عنه .

٥ ـ محمد بن حَطَّاب بن الحارث بن مَعْمر الجمحى القرشى ابن عم السابق ـ رضى الله عنهما ترجم له أسد الغابة برقم [٤٧١٥] والإصابة برقم [٧٧٦٣] .

قال ابو عُمَر : هو أَسَنُّ من ابن عمه محمد بن حاطب اهـ وهو مؤكد الصحبة .
قال ابن عبد البر : « ولد ايضاً بأرض الحبشة »

٦ ـ محمد بن أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشى ـ رضى الله عنه .
ترجم له ابن الأثير برقم [٤٧١٣] وابن حجر برقم [٧٧٦١]
ولد ـ بدوره ـ بأرض الحبشة ، أبوه من المسلمين الأوائل ، وأمه سهلة بنت سهيل بن عمرو العامرية رضى الله عنهما .
استشهد أبوه باليمامة فضمه عثمان بن عفان رضى الله عنه ـ إليه ورباه وكفله .

٧ ـ محمد بن أبى جهم بن حذيفة ـ رضى الله عنه[٤].
صاحب الترجمة رقم [٤٧٠٩] بأسد الغابة ، ورقم [٨٢٩٠] بالإصابة .
ويلاحظ هنا ما ينبغى النظر إليه ، فثمة محمد بن أبى الجهم غير هذا ، نبه على ذلك [ابن مَنْدَه] رضوان الله عليه ، قال ابن منده ـ والرواية لابن حجر :
إن أبا موسى ذكر محمد بن أبى الجهم بن حذيفة فى الصحابة ، وذكر محمد بن ابى الجهم هذا ـ [أى الأخير لا صاحب الترجمة] ـ فى تاريخه ، ولم ينسب اباه لحذيفة .اهـ .
ولد صاحب الترجمة على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

٨ ـ محمد بن عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح الأنصارى ـ رضى الله عنه .
ترجم له ابن الأثير برقم [٤٧٣٩] وابن حجر برقم [٧٧٧٦].
وهو ـ رضى الله عنه ـ ثابت الصحبة ، ولا عبرة بمن استدرك عليه ، أدرك ما لا يقل عن ست سنوات من حياته ـ صلى الله عليه وسلم ، فهو من المواليد على عهده عليه الصلاة والسلام . قال ابن حجر : « فهو صحابى لا محالة » اهـ .
وأبوه عاصم بن ثابت صحابى مشهور ـ رضى الله عنه .

٩ ـ محمد بن عثمان بن بسر بن عبد الله بن دُهمان الثقفى ـ رضى الله عنه .
ترجم له ابن حجر فى الإصابة رقم [٧٧٨٦] . وذكر الزبير بن بكار : أن أمه [ريحانة بنت ابى العاص بن أمية أخت الحكم والد مروان .

---

٤ ـ يتساهلون فى إسقاط [ال] فيقولون : الجهم ، وجهم بدونها .

وهو صحابى ، ولا ذكر لأبيه فى الصحابة ، إذ يبدو أنه مات قبل فتح مكة ، وأسلمت أمه ، فسمى، محمداً ـ رضى الله عنهما ، وقصته أشبه بالذى يليه ، وهما ابنا خالة .

١٠ ـ محمد بن عبد الله بن سعد بن جابر بن عُمَير المزحجى الحكمى ـ رضى الله عنه
ترجمت له الإصابة برقمى [٧٧٨٠ ـ ٨٢٩٧]
امه آمنة بنت عفان أخت عثمان رضى الله عنهم ، وهى وأمها [أَرْوَى] أسلمتا معا ، مات أبوه قبل الفتح على دين آبائه وأمه حَوِلَّ به ، فسمى محمداً رضى الله عنه .

١١ ـ محمد بن عبد الله بن سلام بن الحارث ـ من ولد يوسف بن يعقوب ـ على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام .
ترجم لمحمد ـ رضى الله عنه ـ أسد الغابة برقم [٤٧٤٣] والإصابة برقم [٧٧٨١] ذكره البخارى فى الصحابة ، قال ابن أبى داود ـ بشأنه : روى عن النبى ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وسمع منه ، وقال أبو عمر :« له رؤية » زاد ابن الأثير : « وروايته محفوظة » رضى الله عنه . وأبوه ـ رضوان الله عليه ـ علم فى الصحابة معروف .

١٢ ـ محمد بن أبى سلمة بن عبد الأسد المخزومى ـ رضى الله عنه .
ترجم له ابن الأثير برقم [٤٧٢٩] وابن حجر برقم [٧٧٦٩]
اثبته بن الأثير واحتج له بدليل قاطع ، وقال : ولد على عهده ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وبزواجه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأمه بعد وفاة أبيه يكون من أربائه ـ عليه الصلاة والسلام .

١٣ ـ محمد بن صَيْفى بن أمية بن عابد بن عبد الله بن عمرو بن مخْزوم القرشى ـ رضى الله عنه .
ترجم له ابن الأثير برقم [٤٧٣٥] وابن حجر برقم [٧٧٧٢] .
وهو سبط خديجة أم المؤمنين رضوان الله عليها ، فأمه هند بنت عتيق بن عامر المخزومية ، وأمها خديجة . رضى الله عنها .
اثبته ابن القداح ، وذكر الزبير بن بكار أن أباه [صيفيا] قتل يوم [بدر] قال ابن حجر : ومن يقتل أبوه ببدر ـ وهى فى السنة الثانية من الهجرة ـ يكون أدرك من العهد النبوى ثمانى سنين فأكثر ، فلا يسمى [محمداً] إلا وقد أسلم أبوه أو أمه .. إلخ فلا عبرة بكلام من لم يثبته .

١٤ ـ محمد بن عمرو بن العاص بن وائل القرشى رضى الله عنهما .
ترجم له ابن الأثير برقم [٤٧٥٢] وابن حجر برقم [٧٧٩٠]
اثبته الزبير بن بكار والواقدى ـ رحمهما الله ـ قال العدوى :
صحب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتوفى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو حَدَث وأبوه ـ رضى الله عنهما ـ أشهر من أن يعرف ، أمه بَلْوية واسمها : خَوْلة بنت حمزة بن السليل .

١٥ ـ محمد بن أبى عبس بن جبر الأنصارى ـ رضى الله عنهما .
ترجم له ابن الأثير برقم [٤٧٤٧] وابن حجر برقم [٧٧٨٤].
أبوه من مشاهير الصحابة رضوان الله عليهم ، وذكر محمداً ـ رضى الله عنه ـ ابنُ منيع ، وعن ابن القداح : أن محمدا شهد بيعة الرضوان والمشاهد بعدها .

●●　　●●　　●●

ومن أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ حقق ابن حجر ـ رضوان الله عليه ـ شغف كعب بالاسم الشريف فسمى به وَلَدَيْن من أبنائه ؛ هما :

١ ـ ٢ محمد بن كعب الأكبر ، ومحمد بن كعب الأصغر ، والأخير روى حديث الأول راجع الترجمتين رقمى [٧٧٩٧] و [٧٧٩٨] بالإصابة .
وفى الإصابة : أن محمدا بن كعب الأكبر مات فى حياة النبى ـ صلى الله عليه وسلم .
وكذلك الأمر فى أسرة الصديق ـ رضوان الله عليه ـ فقد سَمَّى وَلَدُه عبدُ الرحمن بن أبى بكر ولداً له بالاسم الشريف فهو :

٣ ـ محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر ـ رضى الله عنه .
وهو صاحب الترجمة رقم [٤٧٤٥] بأسد الغابة ، ورقم [٨٢٩٩] بالإصابة وله رؤية وصحبة .
وسمى أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ ولده من السيدة أسماء بنت عميس رضى الله عنها (محمداً) فهو :

٤ ـ محمد بن أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنهما
له ترجمة رقم [٤٧٤٤] بأسد الغابة ، و [٨٢٨٨] بالإصابة . ولدته ـ رضى الله عنها ـ فى طريق المدينة إلى مكة فى حجة الوداع . كذلك ثبت فى صحيح مسلم ـ رضى الله عنه .

وبذلك يكون لأسماء ـ رضى الله عنها ـ ولدين من الصحابة حمل كل منهما الاسم الشريف : الأول تقدم ، وهو محمد بن جعفر بن أبى طالب ، والثانى محمد بن أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنهم .

ومحمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ابنُ أخى صاحب هذه الترجمة أَسَنُّ من عمه محمد بن أبى بكر الصديق . رضى الله عنهم .

وبعد :
فلم أجد - فيما بين يدى من مراجع - ما يلقى ضوءاً واضحاً على :
محمد بن سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنهما ، وقد ذكره أبو راشد بن حفص الزهرى[5] فى عبارة عامة كالتى ذكرها الزبير بن بكار - رضى الله عنهما .

ولا نص - فى العبارتين - على أنه من مواليد هذه الفترة ، واحتمال أنه ولد بعد النبى - صلى الله عليه وسلم - وارد لأمرين .

أ - عدم النص على ولادته فى هذا العهد .
ب - ثم إن سعدا رضى الله عنه - توفى سنة خمس وخمسين ، قال ابنه عامر : كان سعد آخر المهاجرين موتاً . رضى الله عنهم - فاحتمال ولادته - بعد - قائم ، ومثله كذلك محمد بن على بن أبى طالب - كان - رضى الله عنه - من مواليد ما بعد هذه الفترة .

●●　　●●　　●●

قال أبو راشد بن حفص الزهرى :
أدركت أربعة من أبناء أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - كلهم يسمى محمداً ، ويكنى أبا القاسم : محمد بن على ومحمد بن أبى بكر ، ومحمد بن طلحة ، ومحمد بن سعد بن أبى وقاص .
الترجمة رقم ٤٧٣٨ "أسد الغابة"

وكذلك قال الزبير بن بكار عن محمد بن الحسن : كان المحمدون الذين يُكْنَوْن [أبا القاسم] أربعة : محمد بن على بن أبى طالب ، ومحمد بن طلحة ، ومحمد بن سعد ، ومحمد بن الأشعث : الترجمة رقم ٨٤٩٦ إصابة .

فذكرت الأخيرة محمد بن الأشعث بدل محمد بن سعد بن أبى وقاص ، وكلاهما لا صحبة له ولا رؤية .
لكن : كيف كُنُوا بهذه الكنية الشريفة مع صحة النهى عنها ، وقد رواها البخارى - بسنده إلى أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم :

قال : تَسَمُّوا باسمى ولا تكتنوا بكنيتى » البخارى - باب العلم .
بل كَنَّتْ عائشة - رضى الله عنها - بهذه الكنية الشريفة محمد بن أبى بكر الصديق[6] رضى الله عنه - وما كانت عائشة لتعصى أمراً جزم به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غير أن نظرة إلى مولد محمد بن أبى بكر - رضى الله عنه - تحيطنا علماً أنه من مواليد السنة العاشرة فقد ولد فى الطريق إلى حجة الوداع ،

٥ - انظر أسد الغابة التراجم : ٢٠٢٧ ، ٤٦٩٧ ، ٤٧٣٨ .
٦ - انظر الترجمة رقم ٤٧٤٤ أسد الغابة

وتدل رواية عن محمد بن أنس بن فضالة أنه قال : قدم[7] رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنا ابن أسبوعين فَأُتى بى إليه ، فمسح رأسى ، ودعا لى بالبركة ، وقال : سَمُّوه باسمى ولا تكنوه بكنيتى »[8] .

هذه الرواية التى حفظها محمد ـ رضى الله عنه ـ عن آبائه تبين أن نهيا عن الكنية ورد فى السنة الأولى من الهجرة ، بينما وُلِدَ محمد بن أبى بكر ـ رضى الله عنهما فى السنة العاشرة ، فيبدو أن ذلك النهى إنما كان فى أول الأمر عند وروده صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة . قال ابن الأثير :

وكانت عائشة تكنى محمداً أبا القاسم ، وسَمَّى وَلَدَه القاسم ، فكان يُكْنَى به ، وعائشة تكنيه به فى زمان الصحابة فلا يرون بذلك بأساً[9]» .

● ●　　● ●　　● ●

وكاد حَدَث يمنع من التسمية بهذا اللفظ الشريف :

وذلك فى محمد بن عبد الحميد بن زيد بن الخطاب رضى الله عنهم وزيد هو أخو عُمَر ـ وكان من أقدم المسلمين ـ رضى الله عنهم ، فإذا رجل يسب محمداً يقول له :

« فَعَلَ الله بك وفعل يا محمد .»

فغضب عمر غضباً شديداً ، ونظر إلى محمدٍ وَلَدِ ابن أخيه وقال له :

« لا أرى محمدا يُسَبُّ بك ، والله لا تُدْعى محمداً أبداً ما دمت حياً » وسماه [عبد الرحمن].

ورواية الإصابة : « والله لا يدعي محمداً أبداً ما دمت حياً .»

وأرسل ـ رضى الله تعالى عنه ، وَتَقَبَّلْ مِنَّا جَمِيعاً حبنا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أرسل إلى أبناء طلحة بن عبيد الله ، وهم سبعة ، وسيدهم وكبيرهم محمد بن طلحة ليغير أسماءهم ، فقال محمد :

أُذَكِّرُكَ الله ـ يا أمير المؤمنين ـ فَوَاللهِ لَمُحَمَّدٌ ـ صلى الله عليه وسلم ـ سَمَّانى محمداً .

فقال عمر :

قوموا ، فلا سبيل إلى شيء سَمَّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم[10] اهـ

● ● ●

ولست أدرى كيف يستطيع مسلم تسمى بهذا الاسم الكريم وارتكب الجنايات ـ أن يواجه غَضَب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

نسأل الله التوبة والصفح الجميل ،

تم

د. على الخطيب

٧ ـ أى قدم إلى المدينة

٨ ـ راجع الترجمة رقم ٤٦٩٨ أسد الغابة

٩ ـ راجع الترجمة رقم ٤٧٤٤ أسد الغابة

١٠ ـ انظر الترجمتين [٤٧٣٨] أسد الغابة و[٧٧٧٥] بالإصابة والرواية ذكر أصلها البخارى والبغوى والطبرانى وغيرهم .

الإسلام وصحة الإنسان

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وبعد :

فإن الانسان أكرم خلق الله على الله ، استخلفه فى الأرض ، كما جاء فى قوله تعالى فى سورة البقرة : « وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ » ..

لقد سخر الله لآدم وذريته هذا الكون وما فيه ، قال تعالى فى سورة لقمان : « أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً » ..

والهمه وأرشده إلى استثمار هذا الكون ، ففى سورة البقرة : « وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا .. » وفى سورة الرحمن : « الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ » .. وفى سورة العلق : « اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » ..

واقتضى تكريم الله الإنسان ، وتعليمه مالم يكن يعلم أن يرشده إلى ما يحفظ عليه حياته الإنسانية فى صحة وعافية لذاته ولمجتمعه ففى سورة الأعراف قول الله سبحانه : « يَا بَنِى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ »

وفى سورة الأنبياء : « وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ » . ولقد وجه الإسلام الإنسان إلى المحافظة على صحته بالأخذ بأسباب استمرارها ودوام العافية فيقول الله فى سورة التوبة : « فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ » وحث على طهارة البدن فى الآية السادسة من سورة المائدة كشرط

للعبادة ، فأوجب الوضوء وبين أعضاءه وأوجب الغسل على الجنب ثم قال فى ختام الآية : « مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » ..

وحث على طهارة الثوب ، فقال فى سورة المدثر : « وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ » وعلى طهارة مكان العبادة فقال فى سورة البقرة : « وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ » .. وفى سورة البقرة : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ .. » وفى سورة الواقعة فى شأن المصحف : « لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ » ..

وجرت سنة الرسول ﷺ قولا وفعلا بالدعوة إلى التطهر والنظافة ، ففى الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه عن أبى مالك الأشعرى : « الطهور شطر الإيمان » . وفى رواية : الطهور نصف الإيمان » .

وفيما رواه ابن حبان من حديث عائشة رضى الله عنها : « تنظفوا فإن الإسلام نظيف » .. ولقد بين الإمام الغزالى مراتب الطهارة بأنها : تطهير الظاهر عن الأحداث وعن الأخباث والفضلات ، وتطهير الجوارح عن الجرائم والآثام ، وتطهير القلب عن الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة ، وتطهير السر عما سوى الله تعالى .

وكان من عناية الاسلام بصحة الإنسان : الأمر بطرق وقائية عديدة تتمثل فيما استظهره الفقهاء من حكم لأسس الاسلام العملية من صلاة وصيام ، وما فى باقى الأسس من وقاية للمسلم من أوبئة نفسية واجتماعية .

فهذا هو القرآن فى سورة المائدة يشترط الوضوء والغسل وسيلة لطهارة البدن قبل الدخول فى الصلاة على التفصيل الوارد بالآية الكريمة .

وهذا هو الرسول ﷺ يزيد سننا فى الوضوء والغسل ، فسن المضمضة والاستنشاق أى غسل الفم والأنف عند الوضوء والاغتسال ومسح الأذنين واستعمال السواك لتنظيف الأسنان عند الوضوء والاغتسال والصلاة .

فقال فيما رواه أصحاب السنن عن أبى هريرة : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » .. وما رواه البخارى وغيره أن النبى ﷺ قال : « عليكم بالسواك فإنه مطهرة للفم ومرضاة للرب » .

كما سن تخليل الأصابع وغسل البراجم وما تحت الأظافر .

وفى حسن المظهر والنظافة العامة سن العناية بتنظيف وترجيل شعر الرأس واللحية روى ابن حبان وغيره أن رسول الله ﷺ رأى رجلا ثائر الرأس أشعث اللحية فقال : « أما كان لهذا ما يسكن به شعره ؟ ثم قال : « يدخل أحدكم كأنه شيطان » ..

والمسلمون يعرفون هذا من دينهم قبل غيرهم من الأمم التى يأخذ عنها الناس فى هذا العصر وسائل الوقاية والحماية للإنسان .

لقد سن الرسول ﷺ الغسل للجسد كله وبخاصة عند حضور الاجتماعات العامة كصلاة الجمع والأعياد وماذاك الا حفاظا على مجتمعات المسلمين وصحتهم العامة فضلا عن صحة كل فرد منهم .

ففى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه : « حق على كل مسلم فى كل سبعة أيام يوما يغسل فيه رأسه وجسده » .. متفق عليه .

أما فى الطعام والشراب فقد قال الله فى سورة الأعراف : «وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ» . .

دعوة إلى الاعتدال فى الطعام والشراب ويفسر هذا الحديث الذى رواه أحمد والترمذى عن المقدام بن معد يكرب أن رسول الله ﷺ قال : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لابد فاعلا : فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » ..

ويعلق ابن القيم فى زاد المعاد على هذا الحديث بأن هذا من أنفع ما للبدن والقلب إذ البطن إذا امتلأ من الطعام ضاق عن الشراب ، فإذا ورد عليه الشراب ضاق عن النفس وعرض له التعب والكرب .. ولما كان فى الإنسان جزء أرضى وجزء مائى هوائى قسم النبى ﷺ سعة البطن على الطعام والشراب والنفس .

وعملاً على الوقاية وحفظ الطعام والشراب وجهت السنة الشريفة بالحث على تغطية أوانى الطعام والشراب كما جاء فى حديث جابر الذى رواه مسلم : « غطوا الاناء وأوكوا السقاء » ..

بل إن ما يدعو له أهل العلم اليوم من منع الشرب من اناء باشر الشرب منه آخر ، جاء به حديث البخارى عن ابن عباس أن الرسول ﷺ : « نهى عن الشرب من فى السقاء » ـ أى من فم السقاء ـ وهى الآنية التى يستقى بها الماء أو يحفظ بها .

ويعلق ابن القيم على هذا بقوله : « وفى هذا آداب عديدة ، منها أن تردد أنفاس الشارب فى الإناء يكسبه رائحة قد يعانى لأجلها ، وقد يكون فيه حيوان لا يشعر به فيؤذيه .

ومن باب الوقاية لصحة الإنسان فى الإسلام تحريمه أنواعا من المطعومات والمشروبات على نحو ما جاء مفصلا فى الآية الثالثة من سورة المائدة : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ . . » . .

ولقد كشف العلم الحديث أضرار تلك المحرمات على صحة الإنسان ، وتعرضه للهلاك إذا تناولها .

ومن باب الوقاية من الأمراض التناسلية التى انتشرت فى هذا العصر بأسماء وصور مختلفة حرم الله الزنا واللواط .

وقد كشف العلم للناس حقائق الاسلام . وصونه لصحة الإنسان وحرصه على أن يعيش سليما معافى عما يعوقه عن أداء مهام الخلافة فى الأرض .

ولعل الإسلام حفاظا على وقاية صحة الإنسان لم يترك باب خطر الا نبه إليه ، بل وحرمه حتى فى الصلة الجنسية للزوجين حيث نبه القرآن فى سورة البقرة إلى ضرورة اعتزال المعاشرة الجنسية بين الزوجين فى وقت الدورة الشهرية للمرأة ذلك قول الله : « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ » .. كان هذا حماية من الأذى الذى ينشأ عن هذه المخالطة فى هذه الحال التى تكون عليها الزوجة .

ولم يكن حرص الإسلام على وقاية المجتمع وزينته بأقل مما وجه إليه الافراد فى ذواتهم وخاصة أنفسهم فحث الإسلام على نظافة الطرق وتطهيرها .

ففى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « الإيمان بضع وستون شعبة : أفضلها قول لا إله الا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » ..

وقد روى مسلم فى صحيحه أحاديث أخرى تحث على المحافظة على نظافة الطرق ومراعاة حقوق الناس فيها .

وروى الترمذى عن سعد ابن أبى وقاص أن رسول الله ﷺ قال : « نظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود ، إن الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة » .

وجاءت السنة الشريفة ، كذلك بالبعد عن تلويث مجارى المياه .. ففى صحيح مسلم النهى عن التبول فى الماء الراكد ، وفى رواية للطبرانى : النهى كذلك عن التبول فى الماء الجارى .

وما ذلك الا حفاظا على صحة الإنسان ، واحتفاظا بنعمة الماء نقية طاهرة من الدنس والأوساخ حتى تستعمل فى حاجات الإنسان من شرب وغسل وطبخ .

وعملا على صون حياة الإنسان وتوفيراً لأسبابها أمر الله كل إنسان بالمحافظة على حياته حتى وان خالف أمرا أو نهيا ، ومن هنا كانت قاعدة الضرورة التى قررها الإسلام فى أكثر من آية فآيات تحريم بعض المطعومات والمشروبات كلها اختتمت بإباحة ذات المحرمات عند الضرورة ، كما فى الآية ١٧٣ من سورة البقرة .. « فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » . والآية رقم ٣ من سورة المائدة : « فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » . والآية رقم ١٤٥ من سورة الأنعام : « فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » ..

وفى استعمال الماء فى التطهير كان التيمم بديلا عنه عند الحاجة إليه للشرب أو مع خوف الأذى من استعماله : « ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ » ..

ومن الحفاظ والوقاية لصحة الإنسان

ما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ، وفر من المجذوم فرارك من الأسد » .

وهذا الحديث رواه جماعة من الصحابة : أنس بن مالك ، وجابر بن عبد الله والسائب بن يزيد وابن عمر وغيرهم .

وفى رواية للبخارى ومسلم عن أبى هريرة : « لا يورد ممرض على مصح » ..

وقد اختلف العلماء فى بيان المعنى المراد من حديث « لا عدوى » وأحسن ما قيل فيه قول البيهقى وتبعه ابن الصلاح وابن القيم وابن رجب وابن مفلح وغيرهم أن قوله « لا عدوى » يعنى على الوجه الذى يعتقده أهل الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى ، واعتقاد أن هذه الأمور تعدى بطبعها من غير مشيئة الله .

وروى أصحاب السنن عن أسامة بن زيد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها .. وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها » .. تلك وصايا نبى الاسلام ﷺ ، تدعو إلى الابتعاد عن مصادر الأمراض ، مع اعتقاد أن كل الأمور بتقدير الله سبحانه .

ولكن الانسان مأمور باتقاء أسباب الشر إذا كان فى عافية ، فكما أن العاقل لا يلقى بنفسه إلى الماء المغرق إذا كان لا يجيد السباحة ، ولا يلقى بنفسه فى النار فكذلك يجب على الصحيح اجتناب مخالطة المجذوم وغيره من ذوى الأمراض المعدية ، ومن ذلك أيضاً عدم الدخول إلى مكان ينتشر فيه الطاعون ونحوه ، إذ أن ذلك من أسباب الاصابة بالمرض والتلف ، وهذا لا ينافى أن الله سبحانه خالق الأسباب ومسبباتها ، لا خالق غيره ولا مقدر لكل الأمور سواه .

لقد روى أصحاب السنن عن ابن عباس رضى الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه الأجناد : أبو عبيدة بن الحراج وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام ، فدعا عمر المهاجرين الأولين واستشارهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا ، فقال بعضهم : خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه وقال بعضهم : معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن نقدمهم على هذا الوباء .

ثم دعا الأنصار واستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين ، واختلفوا كاختلافهم ، ثم دعا بعض مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فقالوا : نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء .

ومال عمر إلى هذا الرأى وعزم على العودة ، فقال له أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه أفرارا من قدر الله ؟ فقال له عمر رضى الله عنه : نعم .. نفر من قدر الله إلى قدر الله .

ثم جاء عبد الرحمن بن عوف ـ وكان متغيباً فى بعض حاجته ـ فقال : إن عندى فى هذا علماً : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا سمعتم به ـ أى الطاعون ـ بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » ..

فحمد الله تعالى عمر رضى الله عنه وانصرف راجعا .

وفى شأن الطب العلاجى :

روى أصحاب السنن أن بعض الصحابة قالوا : يارسول الله : افنتداوى ؟ قال : « نعم ، ياعباد الله » .. تداووا ، فإن الله لم يضع داء الا وضع له شفاء غير داء واحد هو الهرم » ..

وروى البخارى ومسلم أن الرسول ﷺ قال : « ما انزل الله عز وجل من داء الا وأنزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله » ..

وفى شأن الطبيب روى البيهقى .

أن وفد نجران إلى النبى ﷺ كان فيه الشمردل ، فقال : يارسول الله : بأبى انت وأمى ، إنى كنت كاهن قومى فى الجاهلية ، وإنى كنت الطبيب ، فما يحل لى قال ﷺ : « فصد العرق ، ومجسة الطعنة إن اطررت إليها ، وعليك بالسنا ، ولا تداو أحدا حتى تعرف داءه » .. فقال الشمردل : والذى بعثك بالحق أنت أعلم بالطب منى .

وروى ابن ماجة أيضاً أن رسول الله ﷺ قال : « من تطبب ولم يعلم منه طب فهو ضامن » ..

وبعـــد :

فتلك لمحات من توجيهات الاسلام للحفاظ على صحة الإنسان وقاية وعلاجا ..

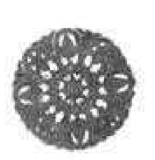
ولعله يتضح من هذا صحة المقولة الشائعة : « صحة الأبدان مقدمة على صحة الاديان » ..

يعنى أن الله قد أباح ما حرمه عند الضرورة إذا توقفت حياة الإنسان على تناول المحرم أو على اجتناب الواجب وصدق الله إذ قال فى سورة البقرة : « يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ » ..

وفى سورة النساء : « وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا » ..

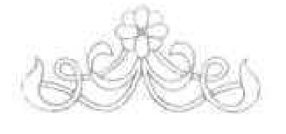
وفى سورة المائدة : « مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » ..

وفى سورة الحج : « هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ..

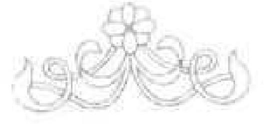


دراسات اسلامية

الجن يستمعون القرآن ويؤمنون



إدارة الخلفاء الراشدين



رد الخطأ عن السيرة النبوية



قال تعالى :

« قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا » .

أول سورة الجن .

البيـــان

الجن اسم جنس جمعي واحده جنى ، وهم اجسام يغلب عليها النارية ، لقوله تعالى : « وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ » وهم قابلون كلهم او صنف منهم للتشكل بأشكال مختلفة ، من شانهم الخفاء إذا كانوا على صورتهم الحقيقية ، لقوله تعالى : « إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ » .

وقد يرون بصور غير صورهم الأصلية ، أما رؤيتهم بصورتهم الحقيقية فمن خواص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

ولهم قدرة على الأعمال الخارقة ، مثل الجنى الذى عرض على سليمان عليه السلام أن يأتيه بعرش بلقيس من سبأ بأرض اليمن إلى بيت المقدس قبل أن يقوم من مقامه ، أى قبل أن ينصرف من مجلسه للحكم بين الناس .

وهم ذوو عقول مدركة واعية ، ولذا كلفوا بالإيمان بالنبى ﷺ ، وآمن به بعضهم ، قال تعالى « وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا » .

سبب إيمان الجن

وسبب إيمان الجن بالرسول ﷺ ، يرويه الترمذى بسنده عن ابن عباس قال « كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون إلى الوحى ، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا ، فأما الكلمة فتكون حقا ، وأما ما زاد فيكون باطلا ، فلما بعث رسول الله ﷺ منعوا مقاعدهم ، فذكروا ذلك لابليس ، ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم إبليس ما هذا إلا من أمر قد حدث فى الأرض ، فبعث جنوده فوجدوا رسول الله ﷺ قائما يصلى بين جبلين ـ أُرَاهُ قال بمكة ـ فأتوه فأخبروه فقال هذا الذى حدث فى الأرض » قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح ويوضح هذا

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

حديث رواه الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عن ابن عباس قال : « ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم ، انطلق رسول الله ﷺ فى طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : ما لكم ؟ قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب ، قالوا : ماذاك إلا من شىء قد حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة وهو بنخل ، عامدين إلى سوق عكاظ ، وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا : هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء ، فرجعوا إلى قومهم فقالوا : ياقومنا « إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا » فأنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ : « قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ . . . » الآيات .

فهذا الحديث يدل على أن النبى ﷺ لم ير الجن ولم يقرأ عليهم فى هذه المرة ، وإنما كان يصلى فسمعوه وآمنوا به وبما أنزل عليه .

وقد رآهم النبى ﷺ بعد هذه المرة ، وكلف بلقائهم كما سنوضحه بعد ويلاحظ من الحديثين المذكورين أن الشياطين كانت تصعد إلى السماء ليلتقطوا أخبار الملأ الأعلى وهم يتحدثون بما كلفوا به فى أرض الله ، وأنهم ما كانوا يرمون بالشهب قبل مبعثه ﷺ .

وينبغى أن يعلم أن المقصود من السماء الطبقات العليا فوق الأرض ، لا السماء المعروفة ، فإنهم كانوا بمعزل عنها ، كما ينبغى أن يعلم أن الشهب ظاهرة كونية كانت موجودة قبل البعثة المحمدية ، ولكنها بعدها كثرت للحيلولة دون معرفة الغيب من أسرار الملائكة ، وفى هذا يقول الله تعالى حاكيا ما قاله الجن « وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا . وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا » ويقول : « عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا » .

رأى الفلاسفة فى الجن

بعض الفلاسفة ينكرون الجن ، ولكن جمعا عظيما من قدمائهم يعترفون بوجودهم ، ويسمونهم الأرواح السفلية ، ويزعمون أنهم جواهر قائمة بنفسها ، وليست أجساما ، وبعضها خير وبعضها شرير ، وهم أنواع مختلفة بالحقيقة ، ولا يعرف عدد أصنافها وأنواعها إلا الله تعالى - إلى آخر ما قالوا .

رأى الإسلام فيهم

والإسلام يعترف بوجودهم ، ويوجب الإيمان بهم ، ويكفر من ينكرهم ، لأن انكارهم تكذيب للقرآن الكريم ، وكما أثبت القرآن وجودهم وأثبتته السنة ، وجمهور أصحاب الملل معترفون بهم ، وكثير من مثقفى هذا العصر معترفون بهم ، قائلون إنهم وراء هذا العالم المادى ، مختفون عن أبصار البشر ، ولهؤلاء مجلات عديدة تنطق برأيهم فى أوربا وغيرها ، عامرة بالبحوث التى تتصل بالعالم الروحى .

أصل الجن

قال القرطبى : واختلف أهل العلم فى أصول الجن ، فروى إسماعيل عن الحسن البصرى أنهم

ولد ابليس ، كما أن الأنس ولد آدم ، ومن هؤلاء وهؤلاء مؤمنون وكافرون وهم شركاء في الثواب والعقاب ، فمن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنا فهو ولىّ الله ، ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافرا فهو شيطان .

وروى الضحاك عن ابن عباس أن الجن هم ولد الجان ، وليسوا بشياطين ومنهم المؤمن ومنهم الكافر ، والشياطين هم ولد ابليس ، لا يموتون إلا مع ابليس .

والله أعلم بالصواب ومن الرايين ، ولكن لا خلاف في أن الجن مكلفون ، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر .

قال القرطبى : واختلفوا في دخول مؤمنيهم الجنة ، على حسب اختلافهم في أصولهم ، فمن قال : إنهم من الجان لا من ذرية ابليس قال : يدخلون الجنة بإيمانهم ، ومن قالوا إنهم من ذرية ابليس فلهم فيهم قولان « أحدهما » وهو قول الحسن : يدخلونها بإيمانهم « وثانيها » وهو مروى عن مجاهد : لا يدخلونها وإن صرفوا عن النار - حكاه الماوردى . انتهى ما قاله القرطبى .

وفادات الجن على النبى ﷺ

للجن عدة وفادات على النبى ﷺ « أولها » لم يرهم فيها النبى ﷺ ، ولم يكن يعلم بمجيئهم حتى أخبره الله تعالى ، وقد مر خبرها برواية مسلم والترمذى عن ابن عباس .

الوفادة الثانية

كلف فيها الرسول بتبليغهم ورآهم ، فقد جاء في سنن البيهقى من طرق شتى عن ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى العشاء ثم انصرف ، فأخذ بيدى حتى أتينا مكان كذا ، وخط على خطا وقال « لا تبرح خطك » فبينما أنا جالس إذ أتانى رجال منهم كأنهم الزط[1] فذكر حديثا طويلا جاء فيه أنه ﷺ ما جاءه إلى السحر ، قال ابن مسعود : وجعلت اسمع الأصوات ، ثم جاء عليه الصلاة والسلام ، فقلت : أين كنت يارسول الله ، فقال : أرسلت إلى الجن ، فقلت ما هذه الأصوات التى سمعت ، قال : « هى أصواتهم حين ودعونى وسلموا على » .

الوفادة الثالثة

الوفادة الثالثة دعوا فيها النبى ﷺ ليلقاهم ، فأتاهم ودعاهم ، ولم يكن معه فيها من أصحابه أحد ، فقد أخرج عبد بن حميد وأحمد ومسلم وغيرهم عن علقمة قال : قلت لابن مسعود : هل صحب النبى ﷺ ليلة الجن منكم أحد ؟ قال : ما صحبه منا أحد ، ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ، ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب ، فقلنا : استطيرا واغتيل ، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم » فلما أصبحنا إذا هو جاء من حراء ، فأخبرناه فقال : أتانى داعى الجن فأتيتهم فقرأت عليهم القرآن ، فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم .

الوفادة الرابعة

كانت الوفادة الرابعة من جن « نصيبين » وذلك أن الله تعالى أمره أن يدعو الجن ويقرأ عليهم ، فصرف إليه نفرا منهم من « نصيبين » وجمعهم له ، فقال لأصحابه « إنى أريد أن أقرأ على الجن الليلة فأيكم يتبعنى ؟ فأطرقوا ، ثم قال الثانية فأطرقوا ، ثم قال الثالثة فأطرقوا ، فقال ابن مسعود : أنا يارسول الله ، قال ابن مسعود : ولم يحضر معه أحد

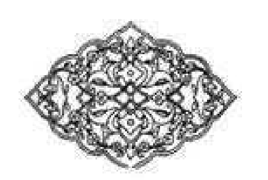
(١) جنس من السودان أو الهند

غيرى ، فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة ، دخل النبى ﷺ شعبا يقال له شعب الحجون ، وخطَّ خطاً وأمرنى أن أجلس فيه ، وقال : لا تخرج حتى أعود إليك ، ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن ، فجعلت أرى أمثال النسور تهوى وتمشى فى رفرفها ، فسمعت لغطا وغمغمة حتى خفت على النبى ﷺ ، وغشية أسودة[٢] كثيرة حالت بينى وبينه حتى ما أسمع صوته ، ثم طفقوا يتقطعون مثل السحاب ذاهبين ، ففرغ النبى ﷺ مع الفجر ، فقال : أنمت ؟ قلت : لا والله ، ولقد هممت أن أستغيث بالناس حين سمعتك تقرعهم بعصاك تقول : اجلسوا ، فقال « لو خرجت لم آمن عليك أن يختطفك بعضهم » ثم قال : « هل رأيت شيئاً ؟ » قلت نعم يارسول الله ، رأيت رجالا سودا مستثغرين[٣] » ثيابا بيضاء ، فقال « أولئك جن نصيبين » .

وجاء فى هذا الحديث أيضاً ، أن الجن تدارات[٤] فى قتيل بينهم ، فتحاكموا إلى فقضيت بينهم بالحق .. إلخ أخرجه البيهقى بسنده عن ابن مسعود كما رواه غيره وجاء فى رواية أخرى لهذا الحديث نقلها القرطبى ، أن عبد الله بن مسعود بعد أن ذكر خروجه مع النبى ﷺ دون غيره قال : « فانطلق حتى جاء الحجون عند شعب أبى دب ، فخط على خطا فقال « لا تتجاوزه » ثم مضى إلى الحجون ، فانحدر عليه أمثال الحجل[٥] يحدرون الحجارة بأقدامهم ، يمشون يقرعون فى دفوفهم ، كما تقرع النسوة فى دفوفها ، حتى غشوه فلا أراه ، فقمت فأوحى[٦] إلى بيده أن أجلس ، فتلا القرآن ، فلم يزل صوته يرتفع ولصقوا بالأرض حتى ما أراهم ، فلما انفتل إلى قال : « أردت أن تأتينى ؟ » قلت نعم يارسول الله ، قال « ما كان ذلك لك ، هؤلاء الجن أتوا يستمون القرآن ، ثم ولوا إلى قومهم منذين » إلى آخر الحديث .

قال عكرمة : وكانوا اثنى عشر ألفا من جزيرة الموصل انتهى ، وبالجملة فقد كان للجن ست وفادات على النبى ﷺ ـ كما ذكره الألوسى .

وبما أن موضوع الجن تقل فيه معلومات الناس ، وهم بحاجة إلى معرفة المزيد من شئونهم ، فسنتتبع هذا المقال مقالا آخر ، نتكلم فيه عن مساكنهم وطعامهم وغير ذلك ومن مختلف شئونهم ، والله ولى التوفيق .



---

(٢) المراد بالأسودة الجماعة ، مفردها سواد ، وقيل الضروب المتفرقة .
(٣) الاستثفار بالفاء بعد الثاء المثلثة ، أن يدخل الإنسان إزاره بين فخذيه ملويا ثم يخرجه .
(٤) أى تدافعت .
(٥) هو طير القبج ، واحده حجلة .
(٦) أى أشار .



سقوط الأقنعة !!

لازمت الفراش بسبب نزلة برد شديدة .. وانقطعت عن العمل مدة عشرة أيام كاملة .

كان « الراديو » هو تسليتى الوحيدة ، وكانت إذاعة البرنامج العام هى رفيقى فى هذه الاجازة .

وذات يوم نهضت من الفراش .. وضغطت على مفتاح الجهاز .. ما هذا ؟ مستحيل أن يكون هذا الصوت قادما من القاهرة .. ؟ من موسكو ؟ أعتقد أنها إذاعة موسكو العربية . فالعبارات تفوح رائحتها بالايديولوجية الكريهة ! وكلمات : امبريالية .. وتقدمية .. ورجعية التى سمعتها لأول مرة منذ اربعين عاما على لسان بعض الشيوعيين فى مقهى « زهرة إيران » الذى كان معروفاً بحى « خان الخليلى » تكررت على لسان المتحدثة اكثر من مرة وعدت لأتأكد من ضبط المؤشر .. ياللكارثة .. ! إنها إذاعة القاهرة .. والصوت الذى أسمعه كان صوتاً لشيوعية معروفة !

وفجأة وجدتنى أنتفض من الدهشة .. وأتجه إلى جهاز « التليفون » لأطلب رئيس الإذاعة وأحدثه عما سمعت من افتراءات على الإسلام وموقفه من قضية المرأة .

لقد أمر الرجل بايقاف البرنامج .. كما أمر باجراء تحقيق مع المسئول عن تقديمه على هذا النحو الشيوعى الصارخ .

هل تصدقون .. أن « الحجاب » اختراع « امبريالى » روج له الاستعمار فى البلاد الإسلامية وهل تصدقون أن دول الغرب الصليبية تقف من وراء « الصحوة الإسلامية » لتكون مخلب قط فى مخططاتها الاستعمارية ؟ !

وهل تصدقون أن حفاظ المرأة المسلمة على شخصيتها وعلى تقاليد دينها مظهر من مظاهر التخلف والرجعية وعقبة فى طريق التطور ورفع مستوى الانتاج فى الدول الفقيرة ..

لقد سمعت هذا كله فى الحوار مع هذه المرأة الشيوعية . وهى شيوعية معروفة فى تحيزها للاتحاد السوفييتى أى الوطن الأم كما أنها عريقة فى الهجوم والتشنيع على أمريكا أو « الوحش الرأسمالى المستغل » .. ! آمنا .. وصدقنا .. !

ولكن تعالوا لتروا عجبا .. ولتروا كيف أصبح هؤلاء الشيوعيون لأمريكا ذيلا .. وذنبا !!



د. عبد الودود شلبي

فى القاهرة .. وفى الفترة ما بين أول سبتمبر ١٩٨٦ إلى الثالث من هذا الشهر عقد مؤتمر نسائى فى فندق « هيلتون » .. ! يعنى فندق أميركى .. !! وكان هذا المؤتمر تحت عنوان « المؤتمر الدولى للتحديات التى تواجه المرأة العربية فى القرن العشرين » وكان شعار هذا المؤتمر « قوة النساء . التضامن . رفع الحجاب عن العقل » ..

= الذى حدث هو العكس .. فقد وضعت كل واحدة منهن حجابا على العقل . والعين والقلب .. !!

سأكتفى بنقل وقائع هذا المؤتمر كما كتبت فى الصحف .

ولنبدأ بمجلة « روز اليوسف »

لقد سجلت هذه المجلة وقائع هذا المؤتمر تحت عنوان « خناقة النساء فى الغرفة رقم « ١١ » فماذا قالت هذه المجلة :

كان كل شىء يسير طبيعيا .. حتى تفوهت د / نوال السعداوى بذكر أسماء الهيئات والمؤسسات التى « تجرأت » وساهمت فى تحمل تكاليف المؤتمر الأول للمرأة العربية الذى عقد أول هذا الشهر بمقر جامعة الدول العربية بالقاهرة ..

قامت الدنيا ولم تقعد لأن من بين المساهمين إحدى الشركات الأمريكية .. وهذا يعنى العمالة وبيع القضية والامبريالية وعدوان الشركات متعددة الجنسية ..

بحت الحناجر بعبارات الاستنكار ، وسالت الدموع من العيون .. لتأبين المرأة العربية وقراءة الفاتحة على روح شهداء القضية الفلسطينية .. !

و ....

تحول الفرح إلى مأتم جاءت الضربة هذه المرة من « النسوة التقدميات » .. رغم أن المؤتمر رفع شعار « رفع الحجاب عن العقل » .. وكان متوقعاً أن تكون الردة من أهل اليمين وليس من سيدات اليسار ..

وخرجت المرأة العربية فى أول امتحان حقيقى لها لتقول للرجال « المتربصين » بقضيتها : كانت خطواتنا الأولى « للخلف در » !

هذا المؤتمر الذى رفع شعار مناهضة الامبريالية قبل دَعْمًا "امبرياليا" ..

فهل الشركة الممولة من السذاجة بحيث تدفع أموالا لإنجاح مؤتمر ينادى بالقضاء عليها ؟ !

ردت السودانية فاطمة باباك : لقد عانينا كثيرا مشقة السفر للحضور إلى القاهرة أملا فى حضور مؤتمر تاريخى هام .. وليس المهم الآن كيف يمول المؤتمر .. ولكن الأهم هو أن ننجز ما جئنا من أجله .. ولو ضاعت الفرصة سيحكم على جيلنا كله بالبلادة ، لأننا تركنا الأصل وتشبثنا بالهوامش ؟ ! عجباً .. !!

علق صوت غاضب : إزاى يعنى تيجى اسرائيل تمولنا وأقول ميهمنيش ؟

وقالت فتاة شابة كست نبرات صوتها بالمرارة : أنا فتاة من جيل الزمن الردىء ..

سقوط الأقنعة !!!

خبرتى علمتنى الا اعتمد على اى شخص مهما كان تاريخه .. فمنطق الزمن الردىء هو الشك فى كل شىء وعدم الثقة بأى شىء وأنا لا أثق فى اى أحد .

معها حق

و ....

سادت لحظات هدوء .. أعقبتها مفاجأة الكاتبة السورية حميدة نعنع .

قالت غاضبة : أنا ضد اى شكل من أشكال التمويل الامبريالى الأمريكى .. جسدى ينتفض حتى لو سمعت اسم « اليزابيث تايلور » لأنه لم يعد فى الجسد العربى ولو جزء صغير فى حجم الدبوس لم تنله المؤامرات الأمريكية .

ولهـذا ....

أقدم استقالتى من الجمعية « وأخرجت استقالة مكتوبة قدمتها للدكتورة « نوال السعداوى » وأضافت : هذه الخطيئة الصغيرة تبدد كل شىء ، لأن قبول الدعم المادى الأمريكى « صعب كثير » .. وروسيا أيضاً ؟

وتقول صحيفة الأهالى :

عندما سألت إحدى المشتركات عن مصادر تمويل هـذا المؤتمر أجابت د . نوال السعداوى ـ رئيس المؤتمر ، ورئيس جمعية تضامن المرأة العربية ، أن هناك بالفعل جهات أجنبية ، قامت بتمويل المؤتمر ، فقد أرسلت رسائل إلى ما يقرب من مائة جهة طلبا لتمويل المؤتمر ، واستجابت لها ثلاث جهات فقط هى : جمعية « نوفيك » الهولندية ، ومكتب مؤسسة « فورد فونديشن » الأمريكية بالقاهرة ، ومكتب « اكسفوان » الأجنبى بالقاهرة .

وأضافت د . نوال : ان مكتب مؤسسة فورد فوندشن بالقاهرة ـ الذى ترأسه بربارا ابراهيم ، هو الذى تحمل نفقات سفر المشاركات فقط وتحملت المكاتب الأخرى باقى النفقات .

وقالت د . نوال ـ فى كلمتها ـ إن مكتب هيئة المعونة الأمريكية بالقاهرة « الأيد » سوف يتحمل نفقات طبع كتاب باللغة العربية والانجليزية لأهم الأبحاث والدراسات التى نوقشت فى لجان المؤتمر«وذكرت أن مساعدات هذه الجهات لم تكن مشروطة بحال ، ولم تتدخل فى أعمال المؤتمر أو اختيار المدعوات ، ولم تفرض اى مطالب أو توصيات على المؤتمر ومن ثم فلا مجال لإثارة الشكوك .

وهنا وقفت الكاتبة فتحية العسال عضو الإتحاد النسائى بحزب التجمع ، وأعلنت اعتراضها على كلمة د . نوال ، وطالبت بحقها فى الرد ، إلا أن د . فاطمة بابكر رئيس الجلسة رفضت ذلك لأن الوقت قد انتهى ، فأصرت فتحية عـلى ضرورة التعقيب « لخطورة » ما جاء على لسان د . نوال حيث أن هذه المكاتب « مشبوهة بحكم صلاتها الوثيقة بأجهزة المخابرات الأمريكية » .

حاولت بعض المشاركات التدخل لدى د . فاطمة للسماح بمد الوقت ـ ولو عشر دقائق لمناقشة ما أثارته د . نوال ـ لكن د . فاطمة رفضت رفضا قاطعا ، وانتهت الجلسة وغادرت القاعة ، وهنا أعلنت فتحية العسال انسحاب الاتحاد النسائى من المؤتمر .

وفى أعقاب انسحاب الاتحاد ، أعلنت لجنة الدفاع عن المرأة والأسرة انسحابها وكذلك مجموعة بنات الأرض المحتلة :«جمعية المرأة الجديدة» و«اتحاد المرأة الفلسطينية» وعدد من أعضاء الحزب الناصرى تحت التأسيس .

كما أعلنت بعض عضوات جمعية تضامن المرأة انسحابهن من المؤتمر والجمعية معا مثل د . هدى لطفى « لعدم معرفتهن المسبقة بتمويل المؤتمر من قبل المكاتب الأجنبية » .

وبمغادرة د . فاطمة بابكر القاعة ، ومعها د . فاطمة الميرنيس ود . نوال السعداوى - رفض الكثير من المشاركات الخروج ، وقمن بعقد اجتماع استمر اكثر من ساعة تحدثت فيه د . ناهد طوبيا من السودان عن موقف د . فاطمة بابكر ووصفته بأنه خطأ - كما تحدثت عن « مسألة التمويل » بوصفها « خطأ كبير » حيث كان من الضرورى إعلان جهة التمويل حتى تستطيع الباحثات والمشاركات العربيات أن يقررن الحضور أو عدم المشاركة .

كما تحدثت د . ليلى عبد الوهاب - الأستاذ بجامعة بنها - عن موقف جمعية تضامن المرأة من المكاتب الأجنبية ، وكيف سبق لها التعاون مع مؤسسات غربية - وهى مؤسسة فورد على وجه التحديد - فى مؤتمر نيروبى عام ١٩٨٥ حيث قامت بدفع نفقات السفر لعدد من أعضاء الجمعية . وأشارت د . ليلى إلى أن عدم الإعلان عن جهة التمويل يعد « خطأ » فى طريقة التحضير للمؤتمر كما يلقى بظلال على أهدافه المعلنة ، مما يسىء للحركة النسائية العربية .. طبعاً .. !!

أما السيدة « نفيسة عابد » فقد كتبت تقول فى مجلة صباح الخير تحت عنوان :

« حجاب العقل أم حجاب الجسد » ؟ !

•• •• •• •• ••

كم تمنيت أن يكون مؤتمر المرأة الذى عقد أخيرا فى إحدى قاعات الجامعة العربية بالقاهرة ذا نفع حقيقى للمرأة وقضايا المرأة ! .. وكم تمنيت أن لا تهدر المرأة بنفسها الفرص الحقيقية التى تسنح لها لابراز قدرتها على التفكير والحوار والعمل لكى تؤكد أحقيتها كما تريد .. أو بما تطالب به !!

ولكن التمنى شىء .. والحقيقة شىء آخر ! .. فكل ما سمعته من بعض السيدات اللاتى حضرن بعض جلسات المؤتمر يجعلنى أحس بالاحباط الشديد .. كأن تتحول محاضرة أحد الأساتذة إلى محاضرة شخصية للرد على ندوة دينية اقيمت منذ فترة ونشرت بعض إضافات جديدة إلى الفكر والثقافة ..

ولست أدرى لماذا يهاجم الاسلام من بعض الذين يدعون أو يدعون الدعوة إلى حرية المرأة ، أو المطالبة بحقوقها ؟ ! فهذا الهجوم يحمل فى طياته ما يقنعنى تماما بعدم صدق دعواهم ؟

لقد أعطى الاسلام المرأة حقوقها لأول مرة فى التاريخ البشرى بعد أن طال ظلمها .. ومن يجرؤ على المعارضة فعليه أن يقرأ أولا كل القوانين السابقة فى العالم الغربى والشرقى على السواء ..

لقد فرض الإسلام الحقوق والواجبات على المرأة والرجل معا .. ومحاولة الادعاء بأن الاسلام يفرض قيودا على المرأة ادعاء مرفوض ، الا إذا اعتبرنا الفوضى حرية ..

لقد كفل الاسلام للمرأة مجموعة من الحقوق لم تكن لتنالها لولا الاسلام والحقيقة ←

سقوط الأقنعة !!!

المؤكدة .. أن عدم تطبيق الإسلام كما شرعه الله هو الذى يجعل موازيننا تختل فنرى الأمور على غير شكلها الحقيقى !

ولست أدرى لماذا يسبب حجاب المرأة أو احتشامها كل هذا الرعب ! .. ولماذا كل تلك المحاولات للايقاع بين المرأة وتعاليم الاسلام ؟ !

هل يعنى شعار رفع الحجاب عن العقل - كما قالت شعارات المؤتمر - رفع الملابس ايضاً ؟ ! كنت أتصور أن رفع حجاب العقل هو دعوة إلى التعليم ومحو الأمية والثقافة والاحساس بالكرامة والآدمية .. كنت أتصورها دعوة إلى صيانة المرأة جسدا ونفسا وروحا .. ولم أتصورها أبدا معركة مفتعلة وتصفية حسابات شخصية .. وأموال مستوردة لحرب الدعوة إلى الله والدخول فى دينه !!

وصدقونى .. أن حجاب الجسد أفضل كثيرا من حجاب العقل !

وفى تقييمه لهذا المؤتمر ، وتسليط الضوء على ما وقع فيه من مساخر يقشعر لها البدن .

كتب الأستاذ « أحمد الملا » فى مجلة آخر ساعة مقالا يكشف القناع عن هذه المأساة أو الملهاة التى أثارت كل هذا الجدل ، وأساءت إلى المرأة إساءة لا تمحى بمرور الزمن .

يقول الأستاذ احمد :

حينما تلقيت دعوة لحضور المؤتمر الدولى عن التحديات التى تواجه المرأة العربية فى نهاية القرن العشرين والذى عقد فى مبنى الجامعة العربية بالقاهرة فوجئت ببرنامج المؤتمر وكأنما هو « منشور ثورى بإعلان الحرب على الرجال فقد جاء فيه :

إن مؤتمر تضامن المرأة العربية هو أحد الأنشطة التى تستهدف الوقوف فى مواجهة موجة التعصب والرجعية التى اجتاحت العالم العربى والتى تقف وراءها وتعضدها الشركات المتعددة الجنسية وقوى الاستعمار الجديد !

● « الحمد لله أنه الاستعمار الجديد فقط وليس الجديد والقديم » ! . وهذه الموجة من التعصب والرجعية تهدد مستقبل الشعوب العربية جميعاً ! وفى الوقت نفسه توجه ضربات بشكل خاص إلى النساء ! « لم ؟ » فالمرأة هى الضحية الأولى فى كل هجوم يشن على حركة تحرير الشعوب وحقوقها الأساسية !

ثم يستطرد البرنامج فيقول : أن من أهداف المؤتمر دراسة مظاهر وأسباب الهجمة الرجعية والسلفية ضد حقوق المرأة وتحديد الأهداف والوسائل التى تساعد على الوقوف فى مواجهة هذا الهجوم الضارى على حقوق المرأة ومحاولات النيل من وضعها وتقوية الروابط بين النساء العربيات ليصبحن قوة فاعلة ومؤثرة حتى ينلن حقوقهن كاملة !

أن من يقرأ هذا الكلام لا بد أن يتصور أن هناك قوى عاتية تهدد المرأة وأن هذه القوى تضم الاستعمار والقوى الرجعية والسلفية والشركات المتعددة الجنسية وقد أخذت جميعها فى حشد الجيوش الجرارة والأسلحة الفتاكة لشن الهجوم الأخير على معاقل المرأة العربية !

ولا شك أنك بعد أن تقرأ هذا الكلام ستجد الدم يغلى فى عروقك وستقف متحفزا

وقد أمسكت بسلاحك استعدادا لصد الهجوم الضارى الذى تعده الشركات المتعددة الجنسية ضد المرأة ولكنك سرعان ما تكتشف من المناقشات التى ثارت فى نهاية المؤتمر بين المشتركات فيه أن هذه الشركات الملعونة المتعددة الجنسية التى ستشن الهجوم ضد المرأة هى نفسها التى قامت بتمويل المؤتمر ودفعت لرئيسته وعضواته كافة المصروفات بما فى ذلك فواتير الاقامة فى أفخم الفنادق مع النثريات و« البقاشيش » !!

لقد انصب معظم أبحاث المشتركات فى المؤتمر على ما تعانيه المرأة العربية من ذل وعبودية وهوان !

ففى كلمة السيدة فاطمة ابراهيم « السودان » قالت ان الفكر المعادى للمرأة ساد بسيادة العصر الأبوى والمجتمع العبودى ثم المجتمع الاقطاعى ولا زالت المرأة فى معظم أنحاء العالم تكتوى بنيرانه !!

وأوردت المتحدثة بعض الأمثلة الطريفة والمسلية عما كانت تعانيه المرأة قديما ولعلها أوردتها لاغاظة الرجل وتحسره على ما كان يتمتع به فى سالف العصر والأوان ! .

قالت ان الكاهن عند الأشوريين والبابليين كان يجمع العذارى مرة كل عام ويبيعهن بالمزاد العلنى ! وبعد الشراء إذا لم تعجب الفتاة الشارى فمن حقه أن يردها ويسترد ثمنها !

وفى الهند كانت المرأة تحرق بعد وفاة زوجها !

وفى اليابان كانت تركع المرأة أمام الرجل وتخلع حذاءه .

وفى انجلترا كانت المرأة تباع فى الأسواق وبلغ ثمنها فى بعض الأحيان شلنين !

وفى الصين انتشر نظام السرارى وبلغ عدد زوجات الامبراطور ـ كُنْ ـ ثلاثين الف زوجة ! « فقط لا غير » .. أما العرب فكانوا أشد حزما إذ كانوا يئدون البنات .

وأضافت المتحدثة أن المرأة بالرغم من تحسن وضعها فى الوقت الحالى إلا أنها فى النظام الرأسمالى لم تنل المساواة الكاملة بعد . بينما تحققت هذه المساواة مع الرجل فى ظل النظام الاشتراكى !

وأوردت المتحدثة بعض الإحصائيات للمقارنة بين وضع المرأة فى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فقالت إن نسبة النساء العاملات فى الولايات المتحدة بلغت ٢٪ من عدد القادرات على العمل بينما بلغت هذه النسبة ٩٤٪ فى الاتحاد السوفييتى . كما أن نسبة النساء فى المجلس التشريعى « الكونجرس » فى الولايات المتحدة بلغت ٤٪ بينما بلغت هذه النسبة فى المجلس التشريعى بالاتحاد السوفييتى ٣٢٪ لقد هللت المتحدثة لهذا البيان وفاتها أن المرأة فى الولايات المتحدة بعد أن نالت حريتها الكاملة ومساواتها مع الرجل منذ أوائل هذا القرن فضلت ـ بارادتها الحرة رعاية منزلها وزوجها وأولادها بينما المرأة فى الدول الاشتراكية مرغمة على العمل مهما بلغت مشقته .

وقد شاهدت فى بعض الدول الأوربية الشيوعية نساء عجائز قد انحنت ظهورهن وهن يقمن بكسح الثلوج المتراكمة فى الشوارع فى درجة من البرودة بلغت ٢٠ تحت الصفر فذكرنى هذا المنظر المؤلم بما كنا نقرأه عن أعمال السخرة ! وهنيئا للمرأة مساواتها بالرجل فى مثل هذه الأعمال الشاقة .

أما الدكتورة نوال السعداوى وهى رئيسة « جمعية تضامن المرأة العربية » فقد قالت فى البحث الذى قدمته للمؤتمر : إن الرجل فى مصر وفى معظم البلاد العربية لم يعد يرفض خروج المرأة للعمل لكنه يرفض خروجها للمشاركة فى الأنشطة السياسية أو الثقافية .

وهذه عبارة مغلوطة لأن المرأة بطبيعتها وبإرادتها الحرة لا تميل إلى الاشتراك فى الاجتماعات السياسية - والمرأة فى مصر لها حق الانتخاب فلنقل للدكتورة كم عدد النساء المتعلمات اللاتى يستعملن هذا الحق . ؟ !

وقد أكدت الدكتورة زينب شاهين الباحثة بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية عدم اهتمام المرأة بالشئون السياسية وذلك فى بحثها الذى قدمته للمؤتمر وجاء فيه : « إن المرأة فى مصر تعتقد أن العمل السياسى هو من اختصاص الرجال وأن انخراط المرأة فى العمل العام يهدد أنوثتها !

وفى نفس الوقت فإن المرأة تفضل المشاركة فى النشاط الاجتماعى والثقافى ولدينا فى مصر عشرات من الجمعيات النسائية التى تؤدى أجل الخدمات فى هذه الميادين التى تحتاج إلى ما تمتاز به طبيعة المرأة من صبر وعطاء وحنان .

ثم تقول الدكتورة نوال ان الدستور المصرى الذى نص على مساواة المواطنين فى الحقوق والواجبات العامة وعدم التمييز بينهم بسبب الجنس أو اللغة أو الدين عاد وسلب المرأة هذه المساواة بالرجل فى ميادين الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية إذا أخلت المساواة بأحكام الشريعة الإسلامية .

ووصفت الدكتورة القوانين القائمة على أحكام الشريعة الغراء بأنها تفتقد الأساس الأول - للعدالة وتقوم على التفرقة بين الناس على أساس الدين والجنس وبذلك تدخل ضمن القوانين العنصرية - هكذا تقول الدكتورة - مثلها فى ذلك مثل جنوب افريقيا أو إسرائيل « !! » - حيث يفرق بين الناس على أساس الدين والجنس !! .. ياللعار .. والجهل !!!

« انتهى كلام الدكتورة ! »

والواقع أننى لم أقرأ فى حياتى كلاما أشد استفزازا للشعور الدينى والوطنى من كلام الدكتورة التى واصلت طعنها فى القيم الروحية الاسلامية فقالت : نرى تحديثا من فوق السطح أو تنمية شكلية تنفق الملايين على استيراد الكماليات أو ترميم قبة حجرية قديمة !

وتعنى بذلك ما تقرر من تمويل عملية ترميم قبة المسجد الأقصى المبارك فى القدس !

فهل غاب عن الدكتورة أن المسجد الأقصى هو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ؟ وأنه فى الحديث الشريف عن النبى ﷺ قال :[1]

---

(١) الحديث فى الحلية لأبى نعيم ج ٩ ص٣٠٨ ترجمة محمد بن المبارك وتتمة الحديث « ولا تسافر امرأة مسيرة يومين إلا مع زوجها أو ذى محرم »

«لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد إلى المسجد الحرام وإلى المسجد الأقصى وإلى مسجدى هذا . وهل نسيت الكاتبة أن إسرائيل منذ احتلالها للقدس عام ٦٧ وهى تعمل على إعادة بناء هيكل سليمان على انقاض المسجد الأقصى ؟

وكيف تشبه الدكتورة معاملة المراة فى المجتمع الإسلامى بمعاملة الملونين فى جنوب أفريقيا والعرب فى إسرائيل ؟ !

لقد كرم الله المراة فى الإسلام فمنحها الحرية والرعاية والاحترام واصبحت لها ذمة مالية مستقلة ولها حرية اختيار الزوج وحق التطليق للضرر ولو كان إشاحة الزوج بوجهه عنها ! كما حمل الزوج مسئولية الانفاق على زوجته - حتى لو كانت غنية .

أن مارددته بعض المشتركات فى المؤتمر عن المخاطر المزعومة التى تهدد المراة العربية وما يتخيلن عن مؤتمرات دولية وأسلحة ذرية تتربص بها للفتك بمكاسبها وإعادتها إلى العصر الحجرى وعهد العبودية والحريم هذه التخيلات «العبيطة» قد أصبحت تثير من السخرية أكثر مما تثير من الاهتمام !

والحمد لله أن النساء لم تنطل عليهن هذه الخزعبلات وانتهى المؤتمر والنهاية المتوقعة لمثل هذه المؤتمرات التى تحارب طواحين الهواء !

لقد احتدم الخلاف بين الزعيمات والمتزعمات حول تمويل المؤتمر ودور الشركات المتعددة الجنسية فيه وعلا الصراخ والصياح والشد والجذب وتطاير الشرر من العيون واهتزت القاعة وكاد الأمر يتطور إلى تلاحم بالأيدى ومعارك تنشب فيها الأظافر وتشد فيها الشعور . ولكن "ربنا ستر".. واكتفت معظم الحاضرات بالانسحاب وانفض المولد وأسدل الستار !!!

وياللعـــار !!!!

وبعـــد :

فاريد ان تعى كل مسلمة وكل مسلم ابعاد هذه المؤامرة التى تستهدف المراة المسلمة وتحاول تجريدها من كل فضيلة .. ومن كل ما له فى هذه الحياة قوة وقيمة .

ولنتساءل جميعاً : كيف تم التنسيق بين موسكو وواشنطن فى هذا المؤتمر ؟ ! وكيف تم التوفيق بين الرأسمالية والشيوعية فى هذا الحوار ؟ ! وكيف تم التصالح بين القوتين العظميين بدون سبب واضح يدعو إلى إيقاف اطلاق النار ؟ !

انه الإسلام .. الإسلام الذى يجاهرونه بالعداء . ولن يصاب هذا الإسلام ابداً ما بقيت المراة المسلمة متمسكة بشريعته السمحاء .

فلتكن المراة المسلمة هى المدخل .. أو «حصان طرواده» الذى يصيبه فى مقتل . ولا باس ان يقود هذا الحصان أميركى يضع على راسه قبعة رعاة البقر ! أو شيوعى يمسك بيديه الشرشرة والمنجل !!

المهم .. ان تنجح المؤامرة .. ويتم القضاء على شخصية المراة المسلمة .

ويمكرون ويمكر الله ..

وستبقى «المراة المسلمة» صخرة تتحطم عليها سيوف الملاحدة والمارقين من اى اتجاه ..

د . عبد الودود شلبى

إدارة الخلفاء الراشدين

عرف ابن خلدون الخلافة بقوله : (الخلافة هى حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعى فى مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها ، إذا أن أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشرع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة ، فهى فى الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة وسياسة الدنيا به)[1] .

ويقول القلقشندى : (هى الزعامة العظمى ، والولاية العامة على كافة الأمة ، والقيام بأمورها ، والنهوض بأعبائها)[2] .

والخلافة فى الإسلام ، وترادفها الإمامة ، وإمارة المؤمنين هى : سياسة عامة فى أمور الدين والدنيا نيابة عن النبى ﷺ وسمى القائم بذلك خليفة ، وإماما ، فأما تسميته « إماما » فتشبيها بإقامة الصلاة فى اتباعه ، والاقتداء به ، وتسميته خليفة ، فلكونه يخلف النبى ﷺ فى أمته فيقال (خليفة رسول الله) ولا يقال (خليفة الله) لأن الاستخلاف لا يكون إلا عن شخص غائب والله موجود على الأبد ، لا يغيب ولا يموت .

وقد رفض الخليفة أبو بكر ، والخليفة عمر بن عبد العزيز هذه التسمية ، ورفضها أبو بكر بشدة حينما دعاه بها بعض الناس ، وقال :

(لست خليفة الله ، ولكنى خليفة رسول الله) .

قال ابن عبد الحكم ، إن رجلا نادى عمر ابن عبد العزيز قائلا :

(ياخليفة الله) فقال له عمر : صَهْ إنى لما ولدت اختار لى أهلى اسما فسمونى « عمر » فلو ناديتنى « ياعمر » أجبتك ، فلما كبرت سنى اخترت لنفسى الكُنَى ، فكنيت « بأبى حفص » فلو ناديتنى (ياأبا حفص) أجبتك ، فلما وليتمونى أموركم سميتمونى : « أمير المؤمنين » ، فلو ناديتنى « ياأمير المؤمنين » أجبتك ، فأما خليفة الله ، فلست كذلك[3] .

الخلافة والإمامة والملك والإمارة

« إن من يخلف رسول الله فى القيام على أمر الدين والدنيا هو « الخليفة » وهذا يعنى أنه صاحب السلطة بالفعل ، وأنه الشخص المتقلد زمام الأمور ، والقائم عليها .

---

[١] المقدمة ص ٢٣٨ ط دار الكتاب اللبنانى .

[٢] معالم الخلافة تحقيق الأستاذ عبد الستار فراج .

[٣] سيرة عمر بن العزيز ص ٥٢ .

للشيخ محمد صابر البرديسى

وسبق أن قلنا إن الخلافة ترادفها الإمامة ، وإمارة المؤمنين .

ولقب الإمامة عند الشيعة ، يعنى صاحب الحق الشرعى ، وأنه الشخص الجدير باسناد زمام الأمور إليه ، ولا يشترط أن يكون مهيمنا على مقاليد السلطة بالفعل .

وقد حدد الماوردى هذا الاتجاه فى الإمامة فقال :

الإمامة موضوعة لخلافة النبوة فى حراسة الدين ، وسياسة الدنيا ، ولكنه أكثر صلة بالوظيفة الدينية منه بالوظيفة الدنيوية .

الخليفة والملك :

روى أن مجلسا ضم عمر بن الخطاب ، وطلحة والزبير ، وكعبا وسلمان الفارسى ، فسأل عمر رضى الله عنه عن الفرق بين الخليفة والملك ؟

فقال طلحة والزبير : لا ندرى .

فقال سلمان : إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهما أو أقل أو أكثر ، ثم وضعته فى غير حقه ، فأنت ملك . وأما الخليفة ، فهو الذى يعدل فى الرعية ويقسم بينهم بالسوية ، ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله ، والوالد على ولده ، ويقضى بينهم بكتاب الله وسنة رسوله » .

فقال كعب ، ما كنت أحسب أن فى هذا المجلس من يفرق بين الخليفة والملك ، ولكن الله الهم سلمان الإجابة[4] .

ويعتبر معاوية بن أبى سفيان أول مؤسس للملك العضود فى الاسلام ، وكان ذلك بايعاز من المغيرة بن شعبة واليه على الكوفة ، الذى لم يأل جهدا فى أن يبث فى نفس معاوية الاستئثار بالحكم ؟ وأن يجعله وراثيا فى خلفه ، قائلا له : لقد رأيت ما كان من سفك الدماء ، والاختلاف بعد عثمان ، وفى يزيد منك خلف ، فاعقد له ، فإن حدث بك حادث كان كنفا للناس ، وخلفا منك ، ولا تسفك دماء ولا تكون فتنة[5] .

الإمـــارة :

لما ولى عمر بن الخطاب بعد أبى بكر ، لقب بخليفة خليفة رسول الله ، ﷺ فقال الصحابة ، من جاء من بعد عمر ، قيل له : خليفة خليفة خليفة رسول الله ، وفى ذلك مدعاة للتطويل ، ولما تبين لهم أن فى اللقب طولا وتكرارا ، قالوا : نجتمع على اسم نلقب به الخليفة ، ونلقب به كل من يتقلد من بعده هذا المنصب فقال بعض الصحابة ، نحن المؤمنون ، وعمر أميرنا ، فدعى بأمير المؤمنين ، فهو أول من تسمى بذلك[6] .

[٤] حسن المحاضرة للسيوطى ٢٠٨/٢ نقلا عن ابن سعد فى الطبقات .

[٥] الكامل لابن الأثير ص ١٩٨ .

[٦] معالم الخلافة للقلقشندى / ١٩٨ .

ولاية الأمر من أعظم واجبات الدين

ولاية الأمر من أعظم واجبات الدين ، وضرورة من ضروريات المجتمع .

وقد عنى الاسلام بالحكومة الاسلامية لأنها رأس الأمر وملاك النجاح ، وصدق الرسول حيث قال :

(إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) .

فنظام الحكم يعتبر جزءا من التفكير الاسلامى ، قال تعالى :

« يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ »[٧] .

وقال تعالى :

« وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ »[٨] .

ويعقب ابن تيمية على هذا فيقول :

ولأن الله سبحانه قد أوجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإن ذلك لا يتم إلا بقوة الإمارة ، ولهذا روى إن السلطان ظل الله فى الأرض[٩] .

ويقول : يجب أن يعرف أن ولاية الأمر من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين إلا بها ، لأن بنى آدم ، لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع ، لحاجة بعضهم إلى بعض ، ولابد لهم عند الاجتماع من رأس ، حتى قال النبى ﷺ :

(إذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا أحدهم)[١٠] وهذه أحاديث أخرى تدل على وجوب الولاية :

قال ﷺ : (لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم)[١١] .

وقال ﷺ : « إن الله يرضى لكم ثلاثة : أن تعبدوه ، ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم[١٢]

ويشترط فيها الصدق والامانة وتحمل المسئولية كاملة إزاء الأمة التى يحكمها بالحق.

ومما يشترط فى الخليفة أو الحاكم ، العلم المؤدى إلى الاجتهاد فى النوازل والأحكام ، وسلامة الحواس ، من السمع والبصر واللسان ، ليصح معها مباشرة ما يدرك بها ، وسلامة الأعضاء من نقص يمنع استيفاء الحركة وسرعة النهوض ، والرأى السديد المفضى إلى سياسة الرعية ، وتدبير المصالح ، والشجاعة المؤدية إلى حماية الأمة ، وجهاد العدو .

ومما يجب عليه حفظ أموال الدولة بصرفها فى وجوهها ، وحماية حقوق الأفراد والجماعات ، ويجب تمكينهم منها ، وايصال الحق إلى مستحقه فى أقرب وقت .

والمناصب العامة أمانة فى عنق الإمام يجب أن يضعها فى أهلها وطالب الولاية والإمارة لأجل الجاه والثروة لا يولى فى الاسلام ، فقد قال النبى ﷺ (إننا لا نولى هذا من سأله ، ولا من حرص عليه)[١٣] .

---

[٧] سورة النساء آية ٥٩ .

[٨] سورة النساء آية ٨٣ .

[٩] السياسة الشرعية ص ١٦٢ .

[١٠] الحديث رواه أبو داود .

[١١] رواه أحمد .

[١٢] رواه مسلم .

[١٣] صحيح البخارى ٨/ ٨٠ الأحكام - الشعب .

دعاء إبراهيم

عليه الصلاة والسلام فى مكة

د. محمد محمد خليفه

ابراهيم يدعو لمكة بالأمن ولأهلها بالرزق :

قال تعالى : « وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ • رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ • رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ • الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ • رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ • رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ » (ابراهيم من ٣٥ ــ ٤١) •

قال تعالى : فى سورة البقرة : « وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا » •

وقال فى سورة ابراهيم : « وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا » •

ففى الآية الأولى : « اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا » لقد سأل ابراهيم لهذا المكان (البلدية) أى يكون هذا المكان موضعا لبلد يسكنه الناس وأن يكون هذا البلد بعد أن يصير بلدا آمنا (ويبدو أن هذا الدعاء كان عندما ترك ابراهيم : هاجر واسماعيل فى هذا المكان قبل أن يكون بلدا وبهذا يكون سأل ربه أن يحقق أمرين : البلدية والأمن •

أما فى الآية الثانية فقد دعا لهذا البلد بالأمن بعد أن تفجرت زمزم واتجه المسافرون

الى هذا المكان ليستريحوا فيه بعض الوقت الى جانب زمزم فأصبح محط رحال المسافرين وتحققت له البلدية ولهذا سأل ابراهيم فى هذه الآية أن يحقق لهذا البلد الأمن ، وكأنما قال : هو بلد مخوف فاجعله يارب آمنا وليس فى الآيتين ولا فى القرآن كله ما ينص على أن ابراهيم عليه السلام دعا ربه مرتين : مرة بالتعبير الأول ، وأخرى بالتعبير الثانى ، ولم أقف على حديث نبوى يبين أن دعاء ابراهيم كان مرة أو مرتين .

ومن هنا يمكن القول بأنه ربما يكون قد دعا مرتين فاختلف التعبير فى المرة الأولى عن الثانية ، ويمكن القول بأنه دعا مرة واحدة ولكن اختلف الأسلوب القرآنى فى سورة البقرة عنه فى سورة ابراهيم والقول بأنه دعا مرتين أولى .

ولعل الأول كان حين ترك هاجر وكان اسماعيل رضيعا وقد تعلقت هاجر بابراهيم وقالت:الى من تكلنا .

والثانية بعد أن رفع قواعد البيت ، وكان اسماعيل غلاما يساعده فى بناء البيت .

والاشارة فى قوله تعالى : (هذا البلد) الى مكة بعد أن صارت بلدا (آمنا) اى ذا أمن ، أو آمنا أهله فلا تنوشهم المخاوف ، أو تقلقهم الاضطرابات ، وكان طلب الأمن لمكة من الله أول دعاء لابراهيم ، وكأنما كان يدرك ابراهيم — عليه السلام — الأخطار التى قد تتعرض لها مكة فى مستقبل تاريخها أو فى المستقبل القريب وفيها زوجته وأول ما رأت عينه من الأبناء فسأل الله لهم الأمن من قبل أن يسأل الطعام .

وقد يراد الأمن من الخراب أو جعل أهلها آمنين .

وقد خص الله مكة دون بلاد الدنيا بالأمن وكان الناس مع شدة عداواتهم وأحقادهم يتلاقون فى مكة فلا يخاف بعضهم بعضا بل لقد آمن الوحش والطير فى مكة .

وقد بدأت مطالب ابراهيم وأدعيته بتحقيق الأمن لهذا البلد لأنه من أعظم النعم الدنيوية وذلك فيما حكاه القرآن : رب اجعل هذا البلد آمنا **وهذا هو الدعاء الأول** .

والدعاء الثانى : واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام .

والمعنى : ثبتنى على اجتناب عبادتها ، أو المراد سؤال الله أن يعصمه من الشرك الخفى وهو تعليق القلب بالوسائط أو الاستشفاع بمن يظن أنهم على صلة كبيرة بالله أما البنون الذين عناهم فى الدعاء فى قوله : واجنبنى وبنى فقد يراد أن يجنب بنيه من صلبه ، أو أولاده وأولاد أولاده ممن عاصروا ابراهيم فى حياته وقد يقال أن الله أجاب دعاءه فى بعض بنيه فحسب فجنب ذلك البعض عبادة الأصنام ، وقد عبدها من ذرية ابراهيم من ظلم نفسه وأشرك (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) .

وقد أخبر ابراهيم — عليه السلام — عما فعلته الأصنام فى معتقدات الناس فيما حكاه القرآن بعد أن طلب من ربه أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام فقال : (رب انهن أضللن كثيرا من الناس) فأسند الاضلال الى الأصنام على سبيل المجاز ، وقد حصل الاضلال عند عبادتها ، فكانت الأصنام سببا فى الضلال

الذي وقع فيه الناس (فمن تبعنى) فيما أنادي به وأدعو اليه من التوحيد ودين الاسلام (فانه منى) أى بعض أو متصل بى لا يبعد عنى (ومن عصانى) فلم يتبعنى (فانك غفور رحيم) قادر على الغفران ان شئت ترحم العاصى قبل أن يتوب أو بعد توبته .

والدعاء الثالث :

(ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) .

لقد مهد للدعاء بالنداء (ربنا) ليستدر به وبكل مافيه رحمة الله لمن سيتركهم فى هذا الوادى القاحل ، ثم ساق الخبر : انى أسكنت من ذريتى) ومن للتبعيض أى بعض ذريتى ويعنى اسماعيل ومن سيولد فى المستقبل من الذرية لاسماعيل ، والله أعلم بمن ترك ، وقد أضاف الذرية الى ضمير المتكلم ليستعطف بتلك الاضافة ربه ، وابراهيم يعلم أن الله لن يتخلى عن هاجر واسماعيل فى هذا البلقع الفسيح ولكن عاطفة الأبوة هى التى تدعو وقد روى ابن عباس — رضى الله عنهما — ان ابراهيم — عليه السلام — لما أسكن اسماعيل وهاجر هناك وعاد متجها الى الشام تبعته هاجر ، وقد جعلت تقول : الى من تكلنا فى هذا البلقع ، وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت : آلله أمرك بهذا فقال نعم ، قالت اذن لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء أقبل على الوادى فقال : ربنا انى أسكنت من ذريتى الخ الآيات .

(بواد غير ذى زرع) أى ليس فيه زرع ولا يصلح للزرع (عند بيتك المحرم) وعند ظرف لأسكنت أى أن ابراهيم أسكن بعض ذريته عند بيت الله المحرم .

أقوال حول تسمية البيت بالبيت المحرم :

١ — سمى بالبيت المحرم ، لأن الله حرم التعرض له وجعل ما حوله حرما .

٢ — أنه محرم لعزته حيث يهابه كل جبار ، وقصة الفيل معروفة .

٣ — أنه محرم لا يحل لأحد انتهاك قدسيته .

٤ — أنه حرم على الطوفان ومنعه الله فلم يستعل عليه وقد سمى كذلك عتيقا لأن الله أعتقه من الطوفان .

٥ — أنه حرم على الناس أن يلطخوه بالأقذار والأدناس بل أمروا أن يطهروه للطائفين والقائمين والركع السجود .

(ربنا ليقيموا الصلاة) وقد خص الصلاة بالذكر دون بقية الطاعات لفضلها وشرفها وكرر النداء (ربنا) لبيان أن الغرض من اسكانهم هو اقامتهم الصلاة واللام فى ليقيموا الصلاة متعلقة بأسكنت ، أى انى أسكنت بعض ذريتى فى هذا القفر ليقيموا الصلاة .

(فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم) هذا هو الدعاء الثالث ، وقد جمع بين الدين والدنيا أما الدين فلان المراد من جعل أفئدة الناس تفد الى مكة أنهم يؤدون النسك وأنواع الطاعات .

وأما الدنيا فلأن تجمع الناس هنالك يجعل من مكة سوقا للتجارة وبهذا يتسع لهم العيش أما كلمة تَهْوِى بكسر الواو فمعناها :

تسقط نحوهم أو تريدهم أو تسرع اليهم أو تنحط وتنحدر فاذا نظرنا الى المعانى : تسقط أو تنحدر فهذا يكشف عن المنخفض الذى فيه مكة وان الداخل الى مكة ينحط وينحدر ويسقط من البلاد المختلفة اليها لأنها فى واد منخفض من الأرض •

واذا نظرنا الى معنى تريدهم أو تسرع اليهم فهذا يكشف أن المطلوب أن الله يجعل فى قلوب الناس حبا للبيت الحرام وتعلقا به يدفع تلك القلوب الى الاسراع الى بيت الله الحرام وما أشد خفقان القلوب وفيضان الدموع اذا دنا الزوار من مكة وذكروا أنها محط ميلاد خير رسل الله •

و (مِنْ) فى قوله : فاجعل أفئدة من الناس للتبعيض ، أى اجعل أفئدة بعض الناس مائلة اليهم ، ولو قال أفئدة الناس لتزاحمت عليه فارس والروم والترك والهند •

وقال سعيد بن جبير : لو قال أفئدة الناس لحجت اليهود والنصارى والمجوس •

الدعاء الرابع :

« وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ » •

(مِنْ) فى قوله من الثمرات للتبعيض أى بعض الثمرات ، وقد دعا ابراهيم — عليه السلام — أن يرزق الله بعض ذريته الذين سيعيشون فى مكة من أبناء اسماعيل بعض الثمرات ، فتصل اليهم عن طريق التجارات ، أو أن تكون هناك بلاد قريبة منها غنية بثمارها بحيثتستطيع أن تمد مكة بحاجاتها من الثمار ، أو ييسر الله مجىء الثمرات اليها من الأقطار البعيدة بحيث يسهل نقلها الى مكة

ولقد استجاب الله لدعاء ابراهيم حيث انه تجتمع فيها الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية فى وقت واحد •

وقد روى عن ابن عباس — رضى الله عنهما أن الطائف كانت من أرض فلسطين فلما دعا ابراهيم — عليه السلام — بهذه الدعوة : « وارزقهم من الثمرات » رفعها الله ووضعها حيث وضعها رزقا للحرم •

وان الطائف وهى على ارتفاع كبير عن سطح الأرض قد جعلها الله محطا للامطار ومن ثم كثرت فيها البساتين المختلفة الثمار على اختلاف مدار السنة ، وليس ببعيد أن تكون الطائف ثمرة لدعوة ابراهيم حيث تكثر ثمارها منذ زمن بعيد ومازالت تسد حاجات مكة من كثير مما يملأ أسواقها •

(لعلهم يشكرون) نعمة جعل أفئدة الناس تهوى اليهم من كل آفاق الدنيا ، ونعمة الثمرات التى يرزق بها ساكنو مكة ، وشكر النعم انما يكون بأداء العبادات وتقديم الطاعات « ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن» •

لقد ترك ابراهيم اسماعيل وأمه فى ذلك الوادى المقفر ولا يعلم كيف يستقبلان الأيام والليالى فى هذه الصحراء الجرداء ، والله وحده المحيط بكل مافى الكون من عوالم ، ومن بين ما يعلم الله أحوال الناس ومصالحهم ، ومن بين ما يعلم الله ما يخفى ابراهيم من الحزن على فراق اسماعيل وأمه ويعلم ما يعلن ابراهيم من تلك العبرات التى يرسلها فى موقف الوداع حين يسمع قول هاجر : الى من تكلنا ، وما يعلن ابراهيم من آهاته المحترقة التى ينفس بها عن صدره •

أو يعلم الله ما يخفى ابراهيم من أنه يتمنى أن يعين الله ذريته التي سيتركها في هذا الوادي تعاني من شظف العيش ما تعاني وما يعلنه في دعائه أن يجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم •

(ومايخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء) •

اما أن يكون هذا القول من كلام الله يصدق به قول ابراهيم ــ عليه السلام ــ : (إنك تعلم ما نخفي وما نعلن) واما أن يكون من كلام ابراهيم يؤكد به قوله : (إنك تعلم ما نخفي وما نعلن) •

ومعنى ذلك أن الله عالم الغيب لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء) و (من) في قوله : من شيء تفيد الاستغراق والشمول فلا تغيب عن علمه الخاطرة التي تخطر ببال الانسان (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) •

(الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق) •

ثم اشتغل ابراهيم ــ عليه السلام ــ بالثناء على الله فحمد ربه على نعمة الولد حين أعطاه مع كبره ويأسه من الانجاب بعد أن تقدمت به السن اسماعيل واسحاق ، و (على) في قوله : على الكبر بمعنى مع •

قال الشاعر :

اني على ما تعرفين من كبرى
أعلم من حيث تؤكل الكتف

أي إني مع ما تعرفين من كبرى •

والمعنى ان الله قد وهب ابراهيم في حالة كبره اسماعيل واسحاق •

وقد روى أن اسماعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين وولد له اسحاق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وفي رواية أخرى أنه ولد له اسماعيل لأربع وستين سنة واسحاق لتسعين سنة •

وعن سعيد بن جبير : لم يولد لابراهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة •

والمنة بنعمة الله حالة وجود اليأس من الانجاب من أعظم النعم •

وكان انجاب ابراهيم لاسماعيل واسحاق في هذه السن الكبيرة آية من آيات الله لابراهيم وقد دعا ابراهيم ربه في غير هذه الآيات : رب هب لي من الصالحين ،واستجاب الله دعاءه ، وكانت النعمة واقترنت الهبة بقبول الدعوة فوهبه اسماعيل واسحاق فحق له أن يشكر ربه على نعمة الانجاب •

(ان ربي) الذي يملك أمري ، وناصيتي بيده ، والخلق والأمر بيده (لسميع الدعاء) أي أنه يسمع دعاء من دعاه ، ويعلم قصده سواء صرح بما يريد أو لم يصرح وسواء أجابه على الفور أو بعد التراخي ، أو لم يجبه وادخره له في الآخرة (وسميع) من أبنية المبالغة التي تعمل عمل الفعل وهو من اضافة الصفة الى مفعولها وأصله لسميع الدعاء •

ويجوز أن يكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعاء الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد سماع الله •

الدعاء الخامس : (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء) •

(من) في قوله : ومن ذريتي ، للتبعيض أي بعض ذريتي ، وقد ذكر البعض لأنه أخبره

من قبل حين أخبره أنه جاعله للناس اماما ، فقال ابراهيم لربه : ومن ذريتى ؟

فقال الله (لا ينال عهدى الظالمين) •

فعلم ابراهيم أن بعض أبنـائه سـيكون مشركا وان الشرك لظلم عظيم ، وذلك المشرك من أبنائه لن يقيم الصلاة ولذلك عبر ابراهيم عليه السلام فى دعائه بقوله : ومن ذريتى أى أنه طلب من ربه أن يجعله مقيما للصـلاة هو وبعض ذريته وراعى البعض فى دعائه فحسب والدعاء فى قوله : وتقبل دعاء) بمعنى عبادتى، وقـد قال تعالى حـكاية عن ابراهيم لقـومه (واعتزلكم وما تـدعون من دون اللـه) أى وما تعبدون من دون الله وكان ابراهيم يسأل ربه أن يتقبل منه عبادته وطاعته •

ودعاؤه الذى دعاه أن يجعله الله مقيمـا للصلاة ، وأن يجعل بعض ذريته كذلك يقيمون الصلاة ويجتنبون عبادة الأصـنام جـاء ذلك الدعاء بضمير الجماعة : ربنا لأنـه يريد هو وذريته •

الدعاء السادس :

(ربنا اغفر لى ولوالـدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) •

وقد تعددت القراءات حول والدى ، فقرىء لأبوى ، وقرىء لوالـدى بالافراد يعنى أباه وقرىء لولدى : اسماعيل واسحاق •

وقرىء لولدى بضم الواو ، والولد بالضم بمعنى الولد •

وعلى قراءة : لأبوى يتجلى سـؤال هو : كيف يسـتغفر لوالديه وكانا كافرين •

وأجيب بأنه يجوز أن يراد بالأبوين : آدم وحـواء (وهذا بعيد) •

وقد يراد الأبوين القريبين بشرط اسلامهما •

وقال البعض : ان أمه كانت مؤمنة ولهـذا خص أباه بالذكر •

وقيل : ان الاستغفار الذى جاء فى هـذه الآية : رب اغفر لى ولوالدى انما كان قبل أن يتبين له أنه عدو لله فلما تبين له أنـه عـدو لله تبرأ منه •

وقد بينا بعض ما قيـل حـول اسـتغفار ابراهيم لأبيه فيما تقدم عند الكلام فى تفسير قوله تعـالى : « وما كان اسـتغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه » •

وقد طلب ابراهيم عليه السـلام فى هـذه الآية الاستغفار له ولوالديه وللمؤمنين عامة من ذريته ومن غير ذريته •

(يوم يقـوم الحسـاب) أى يوم يتحقق محاسبة المكلفين على أعمالهم وقد أسـند الى الحساب قيام أهله على سبيل المجاز •

وقد يكون الكلام عـلى حـذف مضـاف والتقدير : يوم يقوم أهل الحساب •

وقال مجاهد : قد استجاب الله له فيما سأل فلم يعبد أحد من أولاده صـنما بعـد دعوته ويراد بالصنم : التمثال المصور ، وجعل الله البلد آمنا بعد دعائه ورزق أهله من الثمرات وجعله ، وجعل فى ذريته من يقيم الصـلاة ، وأراه مناسكه ، وتاب عليه •

وقد قيل : ان هذه الأدعية التى جـاءت فى هذه الآيات لم تصدر عن ابراهيم عليه السلام فى زمن واحد ، بل صـدرت عنـه فى أزمنـة مختلفة ، ولكنها حكيت فى الآيات مرة واحدة •

د• محمد محمد خليفة

رد الخطأ عن السيرة النبوية

بقلم: أ. د
عبد المهدى بن عبد القادر

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، وإمام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين . وبعد ★ :

فإن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم سيرة المعصوم الذى أكمل الله به الدين وأتم به النعمة ، إنها سيرة من لم يقع منه إلا ما يجعله فى قمة السمو الخلقى ، والكمال الإنسانى . فرسمت للبشرية أفضل صورة يمكن أن يسير عليها بشر . لقد عرف البشرية العقيدة الصحيحة ، والمنهج السليم فى توحيد الله سبحانه وتعالى وطاعته .

وعرّف البشرية أفضل السبل فى علاقاتها ببعضها ، فعرفها علاقة الانسان بنفسه ، وعلاقته بأقاربه ، وعلاقته بزوجته ، وعلاقته ببنى جنسه ، وعرفها علاقة المجتمعات ببعضها .

وعرف الانسانية منهجها فى الحياة ، فى الطعام والشراب ، فى النوم واليقظة ، فى العمل والراحة ، فى كسب المال وإنفاقه ، فى الأسفار والإقامة وهو صلى الله عليه وسلم بذلك أعطى البشرية مفاتيح السعادة التامة ، ورسم لهم بسيرته وسنته طريق الخير والاستقامة .

ولقد أدرك معاصروه صلى الله عليه وسلم ذلك ، ففهم الصحابة هذا المعنى كاملاً ، وأنه رسول من الله يوحى إليه ربه دينا يسعد البشرية فى كل نواحى حياتها ، ويُرْضى عنها ربَّها ، لقد أدركوا أن السعادة كل السعادة فى اتباعه فاقتدوا به صلى الله عليه وسلم ، وحرصوا على معرفة كل ما كان من شأنه ، فكانت سيرته صلى الله عليه وسلم حديثهم ، وأفعالُه وأقوالُه شواغل مجالسهم واجتماعاتهم .

←

★ مقدمة هذا المقال مسئولية كاتبه وحده

واتبع الخلف السلف فى ذلك ، فتتابعت الأجيال أحرص ما تكون على معرفة كل ما كان منه صلى الله عليه وسلم ، يتعلمون ، ويعملون ، ويُعَلِّمون ، فكانت الأمة قوية عزيزة ، لها عقيدتها الخلاقة ، وشريعتها السليمة القويمة ، وهم يحرصون على سلامة دينهم ، وامتثال ما فيه .

وأدرك أعداء الاسلام سبب عزة هذه الأمة ، وأنها ما دامت مقتدية برسولها فإنها ستظل قوية عزيزة ، فراحوا يضعون الخطط لإبعاد هذه الأمة عن مصادر قوتها ، عن منهج نبيها صلى الله عليه وسلم ، وما كان عليه صلى الله عليه وسلم وصحابته . وتنوعت حيلهم فى ذلك وتعددت ، ما بين إرساليات تبشيرية ، وهيئات تعليمية معادية للإسلام مؤيدة للكفر ، وما بين تشكيك المسلمين فى دينهم ، وإشاعة الأخلاق الذميمة فى مجتمعاتهم .

وكان من حيلهم هذه تشويه تاريخ الإسلام ، لاسيما سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ، وتمجيد قادتهم وإظهارهم بمظهر العظماء المصلحين . فكتب بعضهم فى سيرته صلى الله عليه وسلم فزور فى كتابته وضلل ، وملأ كتابه بالأكاذيب والأباطيل . خادعاً القارىء بأنه مؤلف يتبع المنهج العلمى ، وأنه يبحث عن الحقيقة ، وأنه يحترم العقل وينصب منه حكماً ، إلى غير ذلك من العبارات البراقة الخداعة ، وهم يعلمون أنهم أكثر الناس مخالفة لهذا الذى يدعون ، فهل توافرت فيهم شروط من يكتب فى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

وهل قرأوا سيرته وعايشوا منهجه ومسلكه كما كتب ذلك أئمة الإسلام ؟

وهل تجردوا فعلاً للحقيقة ؟

وهل يصلح العقل حكماً فى دائرة حياة المرسلين !!

وأى حقيقة تلك التى يريدونها ؟

أضاعت الحقيقة فتحتاج لبحثهم ؟

إن كل حقائق سيرته صلى الله عليه وسلم قد وعاها أصحابه ودونت فى بطون الكتب ، فلا تحتاج لبحث باحث عنها ، وإنما كل البحث فى استيعابها واستخراج العبر منها ، وتقريبها لفهم الناس . إلا أنه اتضح لهم أن هذا النوع من التأليف لا يشيع فى أوساط المسلمين ، فهو يؤثر على غير المسلم ، أما المسلم فكثرة الباطل فى الكتاب تجعله لا يقبله ولا يسلم به ، فآثروا طريقة دس السم فى العسل ، ومن هنا اتجهوا اتجاهات أخرى منها :ـ

أ ـ أن يكتبوا فى سيرته صلى الله عليه وسلم كتابة تشتمل على الكثير من الحقائق والقليل من التزوير ، فيكتفون بالتزوير فى بعض المواطن فقط ، كى لا ينكشف أمرهم ، ويترك المسلم كتبهم .

ب ـ أن يكتبوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنه عظيم وزعيم ومصلح ، فيصفونه بصفات طيبة لكنهم يجردونه من خاصية الرسالة ، محتالين بهذه الصفات الطيبة على أن يقبل المسلم كلامهم ، ظاناً أنهم يمدحون ، وأنهم منصفون أما غرضهم الأساسى فهو أن ينسوا القارىء أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله ، اصطفاه الله وأرسله للعالمين .

جـ - أن يكتبوا عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم مع آخرين ليسوا من المرسلين ، فيكتب أحدهم عن عدد من العظماء ، ذاكرا رسول الله صلى الله عليه وسلم أولهم ، ثم يذكر معه آخرين من سياسيين واقتصاديين وغير ذلك ، مما يجعل غيره صلى الله عليه وسلم فى مصافه ، ويبعده فى ذهن القارىء عن دائرة الرسالة والعصمة .

وحتى لا يكون تشويه السيرة من جانبهم وحدهم ، بل يشاركهم فيه المسلمون أتاحوا الفرص لأبناء المسلمين للدراسة فى جامعاتهم لنيل درجات علمية ، ومن العجيب أن تعطى جامعاتهم أعلى الدرجات العلمية فى علوم الاسلام ، فيأخذون أبناء الاسلام ممن لم يدرسوا شيئاً عن الاسلام ويقدمون لهم دراسات فى الاسلام يدسون فيها كل ما يريدون من تزوير وتضليل ، ومنه تشويه سيرته صلى الله عليه وسلم . ولعدم دراية هؤلاء بالإسلام ، ولإجلالهم لهذه الدول فى تقدمها الصناعى وقوتها المادية ، ولأنها الدولة المنفقة عليهم ، لكل ذلك يقبلون هذه المعلومات ، وإن كانت تختلف مع فطرهم .

ويعود هؤلاء إلى مجتمعاتهم الإسلامية ، والتى تعترف - ويا للأسف - بهذه المؤهلات فيحتلون مناصب ومراكز فى العملية التعليمية ، فينقلون لنا فكر أعداء الإسلام ، ويصبحون امتداداً لهم ، بل وأقوى تأثيراً منهم ، فإنهم من بنى جلدتنا وأهل ديننا .

وهذه الطائفة من المؤلفين تستولى على عقل القارىء بنفس الأسلوب الذى يستولى به أساتذتهم على العقول ، فيدعون الاعتماد على العقل ، والمنهجية ، والموضوعية ، إلى آخر ما يتشدقون به ، وهم يعلمون أنهم كاذبون .

إن أعداء الإسلام لهم منهج متبع فى نواحى حياتهم ، فهم يعظمون كل ما كان من عندهم ، ويحقرون كل ما كان من عند بنى الإسلام ، تساعدهم فى ذلك وسائل إعلام قوية ، وأساليب دعائية ماكرة ، حتى انطلى على بعض أبناء الإسلام حسن كل ما كان من عندهم ، حتى ولو كانوا غير أهل لنتاجه .. فراح هؤلاء يقرأون مؤلفات أعداء الإسلام هؤلاء فى فروع المعرفة الاسلامية ظانين أن هؤلاء أهل التحقيق والتدقيق فترجم بعضهم كتاباً أو أكثر فى سيرته صلى الله عليه وسلم ، واقتبس بعض آخر كثيراً من كتب هؤلاء ، فأخذوا أفكارهم وأشاعوها فى كتبهم ، ونسى هؤلاء جميعاً أن هؤلاء أعداء للإسلام يعميهم التعصب عن الحقيقة ، ويدعوهم إلى التشويه والتضليل ، وكتاباتهم عن الإسلام كتابة الرجل عن عدوه ، فهل ينصف أو يعدل ؟ بدهى لا ، خاصة أنه ليس بصاحب دين يدعوه إلى الحق مهما كان .

لقد كنت أوثر عدم الرد على هؤلاء ، معتمداً على أن القارىء يرفض كتبهم بفطرته ومعرفته بدينه ورسوله صلى الله عليه وسلم ، إلا أن هؤلاء يكثرون وتعلو أصواتهم وكأنهم يريدون جعل الباطل حقاً والمنكر معروفاً ، لقد وجدتهم يحرصون على الكتابة فى السيرة والسنة وأن كان تخصصهم بعيداً عنهما ، والمثقفون يقرأون فلربما دست هذه الكتب شيئاً من الخطأ فى معلوماتهم ، فآثرت الرد وضعاً للأمور فى نصابها ونصرة للحق وعملاً بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الدين النصيحة . قلنا لمن ؟»

قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم[1]»

ومن النصح لسيرته صلى الله عليه وسلم أن نزيح عنها كل زيف ، وأن نكشف كل كذب وافتراء .

وفى ردى على هذه الكتب سأذكر بمشيئة الله تعالى من الأدلة ما يتضح معه الحق ، وتطمئن به نفس القارىء .

الرد على كتاب « دراسات فى السيرة النبوية »

ظهر كتاب بعنوان « دراسات فى السيرة النبوية للدكتور/ حسين مؤنس ، ومن باب الاهتمام بما يكتب فى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم حرصت على قراءته ، وأثناء قراءتى له استوقفتنى عدة قضايا[2] ، ناقشتها فى ورقات لنفسى ، وقابلنى جماعات من الأخوة الذين قرأوا الكتاب أو بعضه فأبدوا لى بعض ما عندهم على الكتاب ، وطلبوا منى الرد عليه ، فرأيت أن أجمع ما كتبته وأرتبه ليكون رداً على بعض ما جاء فى الكتاب ، إحقاقاً للحق ، ودفاعاً عن سيرته صلى الله عليه وسلم ، فكانت هذه الردود :

أولاً : رؤيا الأنبياء :

فى ص ٨٧ سطر ١٥ وص ٩٤ سطر ١٥ أيضاً أجد فى الكتاب « المنامات يستوى فيها كل لناس ، فهى أضغاث أحلام بلا ضابط ».

وهذا الكلام يتناقض مع القرآن الكريم ومع السنة النبوية :

أما مع القرآن الكريم فأنه يتناقض مع قول الله سبحانه :

« **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْىَ قَالَ يَا بُنَىَّ إِنِّى أَرَى فِى الْمَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِى إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ . فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ. وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ**[3] » ففى هذه الآيات أفادة أن إبراهيم الخليل ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ـ اعتبر الرؤيا مصدراً من مصادر التكليف ، واعتبر إسماعيل عليه السلام أن الأمر يجب أن يطاع ولا يقلل من الزامه أنه جاء عن طريق الرؤيا ، وربنا سبحانه وتعالى أقرهما على هذا الفهم وقال لإبراهيم « **قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا** ».

وبهذه الآيات استدل عبيد[4] بن عمير[5] بن قتادة على أن رؤيا الأنبياء وحى ، وذلك

---

(١) أخرجه مسلم فى الايمان باب بيان أن الدين النصيحة ٢٣٧/١ طبعة الشعب الحديث رقم ٨٧

(٢) لست أريد أن أذكر حكماً هنا على الكتاب ، وإنما أترك ذلك للقارىء بعد قراءته الردود .

(٣) سورة الصافات آيات ١٠٢ ـ ١٠٥

(٤) تابعى كبير .

(٥) صحابى

فيما أخرجه عنه البخارى[٦] قال : إن رؤيا الأنبياء وحى ثم قرأ [إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ]

أما مع السنة النبوية فانه يتناقض مع :-

١ - حديث عائشة - رضى الله عنها - أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح « الحديث »[٧] فواضح من هذا الحديث أن رؤياه صلى الله عليه وسلم كيفية من كيفيات الوحى ، ولا يدخلها ضغث .

والغريب أن حديث عائشة هذا مذكور فى هذا الكتاب[٨] ، لكن لم يراع معناه .

٢ - حديث معاذ بن جبل قال : « ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نومه أو يقظته فهو حق »[٩] .

٣ - حديث ابن عباس قال : « رؤيا الأنبياء وحى »[١٠] .

فبعد ظهور هذا ، وأن القرآن الكريم بين أن رؤيا الأنبياء ليست كرؤى الناس وإنما هى مصدر تكليف ، وبينت السنة أن رؤيا الأنبياء وحى .

بعد ظهور هذا أترك الحكم للقارىء على القول « بأن المنامات يستوى فيها كل الناس فهى أضغاث أحلام بلا ضابط »!!

ثانياً : تفسير الرؤيا الصالحة :

وفى ص ٨١ سطر ١٠ من هذا الكتاب تفسير الرؤيا الصالحة بأنها رؤى جميلة ينشرح لها الصدر وتطرب لها الروح .

أقول :

١ - الرؤيا الصالحة فى الحديث لا تحتاج إلى شرح فقد جاء شرحها فى نفس الحديث بقول عائشة رضى الله عنها « فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح » وجاء فى رواية أخرى « الرؤيا الصادقة » فهل القارىء بعد هذا فى حاجة إلى بيان ؟

٢ - تفسير الرؤيا الصالحة بأنها « رؤى جميلة ينشرح لها الصدر وتطرب لها الروح » تفسير لا أسلم بصحته فما معنى « تطرب لها الروح »؟

الطرب يدور معناه حول الخفة والغناء واللهو ، والمصطفى صلى الله عليه وسلم لا يحل له الطرب ولا هو من أهله . ورحم الله ابن المرابط إذ فسر الرؤيا الصالحة بأنها : التى ليست ضغثاً ولا من تلبيس الشيطان ، ولا فيها ضرب مثل مشكل[١١] .

يتبع د . عبد المهدى بن عبد الغفار

---

(٦) فى الوضوء باب التخفيف فى الوضوء ١/٢٣٨ فتح البارى طبعة السلفية حديث رقم ١٣٨ ، وأيضاً فى الجزء الثانى ص ٣٤٤ حديث رقم ٨٥٩

(٧) أخرجه البخارى فى بدء الوحى ١/٢٢ حديث رقم ٣

(٨) ص ٨١ .

(٩) أخرجه احمد ٥/٢٤٥

(١٠) أخرجه الحاكم والطبرانى وابن أبى حاتم .

(١١) فتح البارى ٨/٧١٧

الآثار الاستراتيجية

للحرب العادلة فى الإسلام

فضيلة إنسانية عليا

دخل ربعى بن عامر مندوب القيادة الإسلامية على رستم قائد جيوش الفرس ، فسأله رستم عن السبب الذى من أجله يجاهد المسلمون ، فقال له : « إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق العيش إلى سعة الحياة ، ومن جور الظلام إلى عدل الإسلام » .

هذه هى الغاية التى من أجلها جاهد المسلمون ، والتى فهمها الصحابة والتابعون .

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ . (البينة ٥) .

والحق أن الجهاد فضيلة إنسانية عليا ، وأن الباعث إليه فضيلة أيضاً ، إذ هو إعلاء كلمة الله ، ورد الاعتداء ، ويستقيم مع هذا المعنى أن تكون الفضيلة الإسلامية واجبة الرعاية فى الجهاد سلماً وحرباً ، ورعايتها فى الحروب تعلى من قدر من يتمسك بها ، لأنه يتمسك بها فى أصعب الظروف وأشد المواقف ، ويراعى الفضيلة فى موقف أبيحت فيه النفوس .

من أجل ذلك فلا غرابة فى أن تكون حروب الإسلام حروباً فاضلة ، فهى حروب مقيدة بقانون السماء ، ولا يمكن أن يبيح قانون الله انتهاك الحرمات وإهدار الكرامة الإنسانية .

وهكذا انطوت حرب الإسلام العادلة على الآداب والفضائل مثل منع قتل غير المحاربين ومنع التخريب ومنع قتل الضعفاء والشيوخ والنساء والأطفال وحسن معاملة الأسرى والقتلى ومنع تعذيب الجرحى أو قتلهم ، والوفاء بالعهد والتأمين للمحارب ومجاملة رسل العدو ، وعدم التعرض بالأذى لهم وحسن معاملة الشعوب المغلوبة .. وكان للإسلام فضل سبق القانون الدولى فى هذا المجال .

وقد اتفق رجال الاستراتيجية على أن الغرض من الحرب يجب أن يكون الحصول على « سلام أفضل » (أى أفضل من حالة ما قبل الحرب) وأنه من الضرورى أن يضع



لــــواء: أ. ح
محمد جمال الدين محفوظ

القادة فى اعتبارهم باستمرار ـ وهم يديرون دفة الحرب ـ السلام الذى يرغبون فيه .. ومن أجل ذلك عليهم أن يراعوا أن تحدث « ضرباتهم » أقل ما يمكن من الأضرار « الدائمة » ، وذلك لأن عدو اليوم هو حليف المستقبل .. وينبه « الاستراتيچيون » إلى أنه كلما زادت وحشية الوسائل ، فإن مقاومة الخصم سوف تزداد ، وأنه عند بلوغ الهدف العسكرى « أى النصر » فإن المنتصر إذا زاد من مطالبه تجاه الجانب الآخر واستخدم أساليب القهر والتسلط الغاشم ، فإنه لن يحصل على « سلام حقيقي ومستقر » بعد انتهاء الحرب ..

ويصف « الاستراتيچيون » تلك الحالة من السلم بأنها « سلم مشوه يحتوى على جراثيم حرب تالية » !!

والتاريخ حافل بأدلة قاطعة على أن الشطط والمبالغة فى إدارة الحروب لا يهيئان مناخاً لقيام سلام مستقر أو دائم :

● فهناك سلسلة الحروب الواسعة ـ وعلى راسها الحرب الثلاثينية ـ التى دفعت رجال السياسة فى القرن الثامن عشر إلى إدراك هذه الحقيقة ، وإلى إدراك ضرورة كبح أطماعهم وأهوائهم الخاصة ، وتجنب الشطط والمبالغة فى كل الأعمال التى قد تطيح بالآمال المعقودة على حالة ما بعد الحرب .

● وهناك حروب نابليون التى امتدت قرابة العشرين عاماً .. وقد كان نابليون يتصور تحقيق سلم دائم عن طريق الحرب تلو الحرب ، فجاءت النتيجة على عكس تصوره ، بل وصل الأمر إلى حد انهيار الامبراطورية النابليونية !

● وهناك الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ التى رفع فيها المنتصرون شعار « ويل للمغلوب » ، فكانت قسوتهم فى معاملة ألمانيا وكان فرضهم للعقوبات الاقتصادية التى أثقلت كاهل الاقتصاد الألمانى سببا فى أن السلام الذي حصلوا عليه جاء « مشوها يحمل جراثيم حرب تالية » .. فإن تلك القسوة بالذات كانت الدافع الرئيسى لهتلر فى العمل بكل الوسائل على إنهاض ألمانيا ، وبالتالى سرعة نشوب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ .

حروب الإســـــلام

أما حروب الإســلام ، فقد كانت « خالية من جراثيم حرب تالية » ، ولم تنطو على ما يقطع الأمل فى سلام حقيقي ومستقر ، بل كانت تجعل جراح المغلوبين « تلتئم بسرعة » ، وكان الحصول على مثل هذا النوع من السلام هدفاً من أهم الأهداف العسكرية الإسلامية .

وغزوة الفتح خير مثل يضرب فى هذا المجال ، فلقد كانت كل الظروف مهيأة أمام المسلمين لتحقيق نصر عسكرى ساحق على قريش ، ولو كان همُّ رسول الله ﷺ أن يحقق النصر على أعدائه دون أدنى اعتبار لما بعد



النصر ، ما نفذ ذلك المخطط العبقرى الذى وضعه وحقق به فتح مكة بلا قتال ..

وإذا كان من شأن المنتصر أن يستبد ويملى شروطه بدافع الغيظ والانتقام والغرور بالقوة فإن الرسول القائد ﷺ ـ رغم كل ما فعلت قريش ضد الإسلام والمسلمين ـ لم يفعل شيئاً من ذلك ، بل كان كل همه أن يؤلف قلوب المشركين ويجعلها تقبل على الاسلام الذي هو دين السـلام .

ومن ثم كان تصرفه فى أهل مكة بعد الفتح وهم ينتظرون ما هو فاعل بهم تطبيقاً لمبادىء الإسلام السمحة وفضيلة الجهاد العليا ، بل كان مثلاً فذا للعبقرية السياسية والعسكرية معاً ، فقد قال لهم : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .. ولقد حققت تلك السماحة آثارها الاستراتيجية فى قريش ، فإن قريشاً تحولت وتحولت اتجاهاتها من أشد الناس عداوة للإسلام ، إلى أحرص الناس عليه وعلى رفع راية الجهاد فى سبيله ، وليس هذا فحسب ، بل كان من عرب شبه الجزيرة قادة عسكريون أفذاذ ، قدر لهم ـ كما يقول مونتجمرى : أن يكونوا من أعظم القادة العسكريين مثل خالد ابن الوليد وعمرو بن العاص .

الفتــوح الإســـــلامية

● وقد سار المسلمون على هذا النهج بعد عصر النبوة ، فها هو ذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه أول خليفة للمسلمين يوصى قائد الجيش وهو يستعد للخروج :

« إذا سرت فلا تعنف أصحابك فى السير ولا تغضبهم وشاور ذوى الآراء منهم ، واستعمل العدل وباعد عنك الجور ، فإنه ما أفلح قوم ظلموا ، ولا نصروا على عدوهم : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ . وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ ..

﴿ **وإذا نصرتم فلا تقتلوا شيخاً ولا إمراة ولا طفلاً** ﴾ ...

﴿ **ولا تحرقوا زرعاً ولا تقطعوا شجراً ، ولا تذبحوا بهيمة ، إلا ما يلزمكم للأكل ، ولا تغدروا إذا هادنتم ، ولا تنقضوا إذا صالحتم ، وستمرون على قوم فى الصوامع رهبان ترهبوا لله ، فدعوهم وما انفردوا إليه ، وارتضوه لأنفسهم ، ولا تهدموا صوامعهم ، ولا تقتلوهم ، والسلام** ﴾ .

● وعلى نفس النهج أوصى عمر سعد بن أبى وقاص قائده ـ رضى الله عنهما ـ الذي وجهه لفتح فارس فقال :

« أما بعد فإنى أوصيك ومن معك من الأجناد بتقوى الله فى كل حال ، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة فى الحرب ، وأن تكون أنت ومن معك أشد احتراساً من المعاصى من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولو لا ذلك لم نكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استوينا فى المعصية ، كان لهم الفضل علينا فى القوة ، وإن لم ننصر عليهم بطاعتنا لم نغلبهم بقوتنا .. واعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله ، يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله ، واسألوا الله

العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم ، وأقم بمن معك فى كل جمعة يوماً وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم ، وأبعد منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة ، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق به » .

● وهكذا كانت الشعوب المختلفة ترحب بالمسلمين الفاتحين ، وتنضم إليهم أحياناً لتنجو من عسف الفرس والروم وتستظل بوارف من العدل والسماحة والحرية ، ولقد تحقق لهذه الشعوب ما أملته ، وسرعان ما دان أكثرها بالاسلام عن رغبة واختيار ، وسرعان ما صارت البلاد المفتوحة موئلاً للإسلام ، وصار أهلها من دعاته وحملة لوائه ومن المجاهدين فى سبيله ، حتى لقد أثار ذلك دهشة (مونتجمرى) فى كتابه « الحرب عبر التاريخ » فقال : « من العجيب أن القوة الرئيسية للجيوش الإسلامية فى فتح اسبانيا بين عامى ٧١٠ ــ ٧١٣ كانت مشكلة من الليبيين والتونسيين » ..

وقد علل مونتجمرى نفسه سر هذه الفتوحات الإسلامية وكيف وصلت مداها الواسع بأن المسلمين « كانوا يستقبلون فى كل مكان يصلون إليه كمحررين للشعوب من العبودية وذلك لما اتسموا به من تسامح وإنسانية وحضارة ، فزاد إيمان الشعوب بهم ... وقد ظلت جميع المناطق التى فتحوها فى القرن السابع حتى يومنا هذا ـ ما عدا أسبانيا ـ تحتفظ بالدين الإسلامى وكذلك بالعادات والتقاليد والتراث الإسلامى .

شـــهادة الأجانـــب

● ويقول جوستاف لوبون « إن القوة لم تكن عاملاً فى نشر القرآن وإن العرب تركوا المغلوبين أحراراً فى أديانهم ، فإذا كان بعض النصارى قد أسلموا واتخذوا العربية لغة لهم ، فذلك لما كان يتصف به العرب الغالبون من ضروب العدل الذى لم يكن للناس بمثله عهد ، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التى لم تعرفها الأديان الأخرى .. وقد عاملوا أهل سورية ومصر وأسبانيا وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم ، تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم غير فارضين سوى جزية زهيدة فى مقابل حمايتهم لهم وحفظ الأمن بهم .. والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب .. »

● **ويقول الكونت هنرى دى كاسترى : « إن المسلمين امتازوا بالمسالمة ، وحرية الأفكار فى المعاملات ، ومحاسبة المخالفين ، وهذا يحملنا على تصديق ما قاله روبنون : إن شيعة محمد ﷺ هم وحدهم الذين جمعوا بين المحاسنة ومحبة انتشار دينهم ، وهذه المحبة هى التى دفعت العرب فى طريق الفتح ، فنشر القرآن جناحيه خلف جيوشه المظفرة .. ولم يتركوا أثراً للعسف فى طريقهم إلا ما كان لابد منه فى كل حرب وقتال .. ولم يقتلوا أمة أبت الإســلام » ..**

« محمد جمال الدين محفوظ »

مع قمة فى القراءة والعربية

الإمام الكسائى

أحد أعلام الأمة وقمة من قممها الشوامخ ، كان علما فى القراءات ، ويجمعه ، وإمام النحو « سيبويه » الأصلُ الفارسى ، دانت له القرون علما وأدبا ، ولا تزال الرواية عنه موضع الدراسة إلى يومنا هذا ، وإلى أن يشاء الله تعالى؛ وله تصانيف مهمة فى تخصصه .

والكسائى ـ رحمه الله ـ هو :

أبو الحسن على بن حمزة بن عبد الله ابن بهمن بن فيروز ، فهو فارسى الأصل ، وهو كذلك أسدى بالولاء .

وتلقيبه ـ رحمه الله ـ بالكسائى تتبعه روايتان :

قال ابن خلكان ـ رحمه الله ـ : « وإنما قيل له الكسائى ؛ لأنه دخل الكوفة وجاء إلى حمزة بن حبيب الزيات ـ وهو ملتف بكساء ، فقال حمزة : من يقرأ ؟ فقيل له : صاحب الكساء فبقى عليه[1] .

وقيل : بل أحرم فى كساء فنسب إليه . رحمه الله . اهـ .

وهذه الرواية الأخيرة أثبت فى اللقب[2] .

تؤكد بعض الروايات أنه مات سنة « ١٨٩ هـ » ـ « ٨٠٥ م » بقرية تسمى « رَنْبُوَيه » من قرى الرى عن سبعين عاما .

وقال السمعانى ـ رحمه الله ـ : قيل : إن الكسائى مات بطوس سنة « ١٨٢ » أو « ١٨٣ » والله أعلم .

ويصحب رواية وفاته بـ « رَنْبُوَيه » خَبَرٌ يقول : إنه خرج إليها صحبة هارون الرشيد ، ومعهما محمد بن الحسن الفقيه المعروف فماتا فى يوم واحد ، فيقال : إن الرشيد كان يقول : دفنت الفقه والعربية بالرى . ولما تقدم فى القول بوفاته لا تثبت رواية العقد الفريد التى تقول عن : هشام بن عبد الملك الخزاعى : « كنا بالرَّقة مع هارون الرشيد ، فكتب إليه صاحب الخبر بموت الكسائى ، وإبراهيم الموصلى ، والعباس بن الأحنف ، فى وقت واحد ، فقال لابنه المأمون :

« اخرج فَصَلِّ عليهم » فخرج المأمون فى وجوه قواده ، وأهل خاصته ، وقد صُفُّوا له

---

(١) أى بقى عليه اللقب .

(٢) عن تاريخ بغداد ٤٠٣/١١ .

لفضيلة الشيخ
حسن سليم حسن صالح

فقالوا : من ترى أن يقدم ؟ قال الذى يقول :

يـابعيدَ الـدار عن وطنـه
هـائمـا يبكى عـلى شجنـه
كلمـا جـد البكـاء بـه
زادت الأسقـام فى بـدنـه

قيل له : هذا ؟ وأشاروا إلى العباس ابن الأحنف ، فقال : قدموه ، فقدم عليهم[3] .

والقصة ينتقدها أمور :

أن الخلاف الذى وقع فى « مكان » وفاة الكسائى ، وقع مثله فى مكان وفاة العباس ابن الأحنف ـ رحمهما الله ـ ، فقيل : إن العباس توفى وهو فى طريقه إلى مكة بالحجاز .

وأن هذه الرواية نفسها مذكورة فى وفاة العباس منفردا فى طريقه إلى مكة يريد كذلك الحج ، وتذكر رواية ثالثة أن المأمون فضل العباس بن الأحنف لقوله :

وسعى بها ناس وقالوا : إنها
لهى التى تشقى بها وتكابد
فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم
إنِّى ليعجبنى المُحِبّ الجاحد

وقد ذكر أبو بكر الصولى قال :

حدثنى عون بن محمد قال : حدثنى أبى قال : رأيت العباس بن الأحنف ببغداد بعد موت الرشيد ، وكان منزله بباب الشام .

قال الصولى : وهذا يدل على أنه مات [أى العباس بن الأحنف] بعد سنة اثنتين وتسعين ، لأن الرشيد مات ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة[4] .

فأولى الروايات بالقول تلك التى ذكرت وفاته ـ أى الكسائى ـ مع محمد بن الحسن فقط بالرى .

وإذا كانت الرواية المؤكدة تدل على وفاة الكسائى عام « ١٨٩ » هجرية عن سبعين عاما ، فإن ذلك يعنى مولده عام تسعة عشر ومائة فقد أدرك إذاً ووعى جانبا من حياة الدولة الأموية التى انتهى نفوذها بإعلان أبى العباس السفاح من فوق منبر المسجد الجامع بالكوفة فى ربيع الأول من عام ١٣١ هـ قيام الدولة العباسية ، فيكون قد عاصر الثلاثة عشر عاما الأخيرة من حياة هذه الدولة . وثلاثة عشر عاما فى حياة الإنسان الأولى ليست هينة ، فإنها كفيلة بأن تجعله يدرك الكثير عن هذه الفترة ، ثم امتد به العمر إلى أن عاصر الرشيد ، أى عاصر بداية أزهى فترة فى تاريخ الإسلام كله فى العصر الوسيط ،

---

(٣) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ٥/٢٧٧ لجنة التأليف والترجمة والنشر .
(٤) راجع فهرس الأعلام بوفيات الأعيان لمراجع هذه الروايات طبع دار الثقافة ـ بيروت .

ومرت عليه شابا وكهلا وشيخا سنون التطور الذى آلت إليه الدولة العباسية وألم بحضارتها واتجاهاتها المختلفة علما وأدبا. وإن لم يرو عنه - رحمه الله - انغماسا فيها، بل كان فقيرا كادحا صبر على قضاء ربه حتى جازاه الله بصبره زادا من العلم جعله جليسا للخليفة هارون الرشيد ومؤدبا لولده الأمين فكتب إلى الرشيد يشكو حاله:

قـل للخليفـة: مـا تقـول لمن
امسى إليـك بحُـرْمَـةٍ يُـدْلى

فى أبيات صادقة تحتفظ بشىء من الوقار.. يقول ابن خلكان: فأمر له الرشيد بعشرة آلاف درهم وجارية حسناء بجميع آلاتها وخادم وبرذون بجميع آلته[٥].

كان - رحمه الله - علما فى القراءات والعربية:

قرأ الكسائى - رحمه الله - «على حمزة ابن حبيب الزيات» وعلى «محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى» وعلى «عيسى بن عمر الهمذانى» وسمع من «سليمان بن أرقم» و«أبى بكر بن عياش» و«محمد بن عبيد الله العرزمى» و«سفيان بن عيينة» و«إسماعيل بن جعفر» و«زائدة بن قدامة».

وقراءته - رضى الله عنه - متصلة اتصالا وثيقا بسيدنا عثمان بن عفان - رضى الله عنه - فسيدنا رسول الله ﷺ، فسيدنا جبريل الروح الأمين، فرب العزة جل وعلا.

وقراءته - رضى الله عنه - إحدى القراءات السبع للقرآن الكريم المتفق عليها وأقرأ - رحمه الله - الكثيرين فاتصلت روايته فى القراءة إلى يومنا هذا وسبحان القائل «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»[٦]

وكان - رحمه الله - إماما فى العربية:

نقل الخطيب فى تاريخ بغداد، وكتب عنه ابن خلكان قال:

روى حرملة بن يحيى عن الشافعى - رضى الله عنه - أنه قال: الناس عيال على هؤلاء الخمسة: من أراد أن يتبحر فى الفقه فهو عيال على أبى حنيفة، وكان ابو حنيفة ممن وفق له الفقه، ومن أراد أن يتبحر فى الشعر فهو عيال على زهير بن أبى سلمى، ومن أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على محمد ابن إسحاق، ومن أراد أن يتبحر فى النحو فهو عيال على الكسائى، ومن أراد أن يتبحر فى التفسير فهو عيال على مقاتل بن سليمان[٧].

ولسنا نشك فى أنه - أى الكسائى قرأ «الكتاب» لإمام النحاة ومُتَقَدِّمِيهم «سيبويه» رحمه الله.

ولسنا نشك أنه استفاد منه الكثير على معاصرته له، وما قيل من مناظرتهما: أحدهما الآخر فى بعض المسائل:

فإنه لما توجه الجاحظ إلى زيارة محمد بن عبد الملك بن الزيات وزير المعتصم أعلمه قبل

(٥) ابن خلكان - وفيات الأعيان ٣/٢٩٥.
(٦) الحجر الآية «٩».
(٧) ابن خلكان ٥/٤٠٩

حضوره إليه أنه يحمل له هدية هى كتاب سيبويه ، فلما كان عنده ، قال له ابن الزيات :«أوظننت أن خزانتنا خالية من هذا الكتاب ؟ فقال الجاحظ :ما ظننت ذلك ولكنها بخط الفراء ومقابلة الكسائى وتهذيب عمرو ابن بحر الجاحظ ـ يعنى نفسه ـ فقال ابن الزيات : هذه أجل نسخة توجد وأعزها». أخذ الكسائى النحو عن أبى مسلم معاذ بن مسلم الهرا النحوى الكوفى من موالى محمد بن كعب القرظى . قرأ عليه الكسائى وروى الحديث عنه [٨] وقال العماد الحنبلى صاحب شذرات الذهب فى أخبار « سنة تسع وثمانين ومائة » عن الكسائى : « وهو من تلامذة الخليل » .

ولابد انه قرأ على كثيرين قبل أن يتأهل للجلوس بين يدى هذين الإمامين .

ولما كان سيبويه ـ رضى الله عنه ـ قدروى عن أبى عبد الرحمن يونس بن حبيب النحوى كثيراً ، وسمع من ابن حبيب ايضاً الكسائىُّ كما حدث ابن خلكان [٩] فقد جمعت التلمذة فى صف واحد بين الكسائى وسيبويه أمام هذين الأستاذين الكبيرين .

ومن تلاميذ الكسائى أئمة فى القراءات والنحو :

فاما فى القراءات فمن أشهرهم :

أبو الحارث الليث بن خالد البغدادى المتوفى ببغداد سنة أربعين ومائتين وكان ثقة قيما بالقراءة ضابطا لها محققا ، قال الحافظ أبو عمرو : كان من جلة أصحاب الكسائى روى عن الكسائى من طريق أبى عبد الله محمد بن يحيى البغدادى المعروف بالكسائى الصغير .

ومن تلاميذه أيضاً ـ أى الكسائى : أبو عمر حفص بن عمر الدورى البغدادى المتوفى سنة ست وأربعين ومائتين عن أربعة وتسعين عاما روى عن الكسائى عن أبى عمر البصرى من طريق أبى الفضل جعفر بن محمد النصيبنى كما أن من تلاميذ الكسائى أيضاً « أبو توبة ميمون بن حفص » « وأبو عبيد الله القاسم بن سلام »

وأما فى العربية فمن تلاميذه :

« أبو بكر زكريا الفراء وحسبك به قال ابن خلكان : « أخذ النحو عن أبى الحسن الكسائى ، وهو والأحمر .. من اشهر أصحابه وأخصهم به » ١٧٦/٦ .

وله ـ رحمه الله ـ تصانيف ، بقى منها فى ذاكرة الناس : « معانى القرآن » و« المتشابه فى القرآن » و« القراءات » و« الآثار فى القراءات » و« النوادر » و« الحروف » و« المصادر » و« مختصر فى النحو » و« ما يلحن فيه العوام » .

ذاك ما وعى التاريخ منها وتتبعه خير الدين الزركلى فى موسوعته : الأعلام الجزء الخامس ص ٩٣ والثانى من المستدرك ، وتاريخ بغداد الجزء الحادى عشر ص ٤٠٣ .

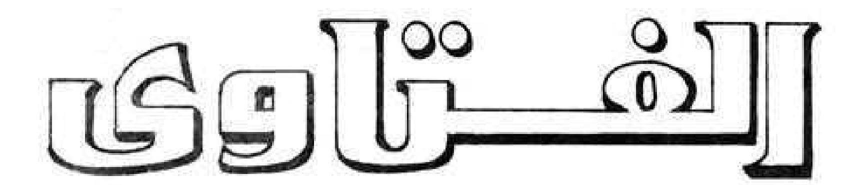
رحم الله الإمام الكسائى رحمة واسعة ونفعنا به .

---

(٨) المرجع السابق ٢١٨/٥ .

(٩) المرجع السابق ٢٤٤/٧ .





جاءنا من بعض مسلمى يوغسلافيا الآتى :

رجاء الى اساتذة اعضاء لجنة الفتوى بالأزهر الشريف .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
افيدونا فى الآتى : ـ

كان أباؤنا وأجدادنا منذ أن أشرق نور الاسلام فى بلادنا قبل أكثر من أربعة قرون يصلون التراويح عشرين ركعة ، وفى أيامنا هذه عاد بعض من أرسلناهم من أبنائنا الى بعض البلاد العربية للتفقه فى الدين وأخذوا يقصدون بعض المساجد يصلون فيها بعد صلاة العشاء فى رمضان ثمان ركعات فقط ويطلبون من المصلين الخروج من المسجد لأن قيام ليل رمضان قد تم بهذه الركعات الثمانية (ولا تراويح) مما أدى الى حدوث بلبلة بيننا ـ نحن المسلمين ـ الذين نشأنا على أداء التراويح عشرين ركعة كما كان يفعل آباؤنا وأجدادنا وكما نشاهد بوسائل الاعلام المرئية أهل مكة يصلون التراويح عشرين ركعة فى المسجد الحرام ، كذلك ينشرون أيضا ان الاحتفال بالمولد النبوى الشريف ليس من الاسلام ، وأهل بلادنا منذ بزوغ الاسلام فى منطقتنا يحتفلون بهذا المولد النبوى الشريف لذلك رأينا أن نلجأ الى الأزهر الشريف أقدم جامعة إسلامية فى العالم نطلب منها بيانا شافيا فى هذا الموضوع يشفى صدور المؤمنين ونرجو أن ينشر بمجلة الأزهر .

أجابت لجنة الفتوى بالتالى :

شرعت التراويح ثمان ركعات ثم زادها الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى عشرين ووافقه الصحابة على ذلك ، فصلاتها عشرين ليست بدعة ـ أما الاحتفال بذكرى المولد النبوى فان كان بأسلوب مشروع كالتوعية الدينية ودراسة سيرة الرسول للانتفاع بما فيها والصدقات فهو جائز شرعا ، ولم يرد نص من الشرع بمنعه .

توقيع
رئيس لجنة الفتوى

إعداد: عبد الحميد السيد شاهين
ويجيب عليها: لجنة الفتوى بالأزهر

س : من السيد/م • ع • المصرى • القاهرة

اوقف الحاج (•••••) جميع أملاكه وقفا اهليا على نفسه مدة حياته ، ثم من بعده لزوجته ، ثم من بعدها يكون لبنتيه : فاطمة وآمنة ، ثم من بعدهما لأولادهما نسلا بعد نسل ، الطبقة العليا تحجب الطبقة السفلى ، ثم توفى الواقف هو وزوجته المذكورة ، وابنته آمنة، وانتقل الوقف الى ابنته الموجودة قبل حل الوقفوهى فاطمة، ثم توفيتفاطمة عام١٩٥٦م عن : ابن ، أولاد بنت متوفاة عام ١٩٤٧ م ثم توفى الابن عام ١٩٧٨ م ولم يتزوج تاركا : اخوة لأب ذكور واناث ، اولاد أخت •• فما الحكم ؟

ج : الوقف الأهلى حل عام ١٩٥٢ م وحيث ان الواقف توفى هو وزوجته وابنته آمنة قبل حل الوقف ، وقد حل على ابنته الثانية وهى (فاطمة) ، وبما أن فاطمة توفيت عام ١٩٥٦ م فان الوقف يعد تركة ويوزع على ورثتها توزيعا شرعيا، وحيث انها تركت : ابن، وأولاد بنت ، فان فى تركة هذه المتوفاة وصية واجبة لأولاد البنت المتوفاة عام ١٩٤٧ م بمقدار ما كانت تستحقه أمهم لو كانت على قيد الحياة وقت وفاة أمهم فى حدود الثلث طبقا لقانون الوصية المعمول به من أول أغسطس لسنة ١٩٤٦ م فتقسم التركة ثلاثة أجزاء : جزء منها وصية واجبة لأولاد البنت يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى •• والباقى وهو جزءان هو الميراث للابن الموجود تعصيبا •

وعن تركة الابن : تكون للاخوة لأب تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى • ولا شىء لأولاد الأخت لأنهم من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات •

س : من السيد/أ • ب • مهدى من المنصورة توفى رجل عن : زوجة ، بنت ، وأخ وأخت أشقاء • فمن يرث وما نصيبه ؟

الفتاوى

ج : للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث وللبنت النصف فرضا لعدم من يعصبها، والباقى للاخ والأخت الأشقاء تعصيبا يقسم بينهما للذكر ضعف الأنثى •

س : من السيد/ج • ح • محمود من الزقازيق :

توفيت امرأة عن : بنتين ، أولاد ابن ذكور واناث ••• فما الحكم ؟

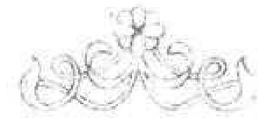
ج : للبنتين الثلثان فرضا لعدم من يعصبهما يقسم بينهما بالتساوى ، والباقى لأولاد الابن تعصيبا للذكر ضعف الأنثى •

س : من السيد/ع • س • على من أسيوط : توفيت طفلة عن : جدة لأم ، أب ، أخوال أشقاء ••• فما الحكم ؟

ج : للجدة السدس فرضا لعدم وجود من يحجبها ، الباقى للأب تعصيبا • ولا شيء للاخوال الأشقاء لأنهم من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات •

من أعلام الأزهر

الشيخ محمود أبو العيون



الحسيني عبد المجيد هاشم

أبى الشيخ محمود أبو العيون

الحمد لله الذى من علـى فوفقنى لأن أكتب موجزا عن سيرة أبى المغفور له الشيخ محمود أبى العيون ، وذلك استجابة لطلب الأخ الكريم الدكتور على أحمد الخطيب رئيس تحرير مجلة « الأزهر » الغراء .

وكانت الكتابة عن أبى أمنية تختلج فى صدرى منذ وفاته عليه رحمـة الله ، ولكن لم تمكننى ظروف عملى فى السلك السـياسى بالخارج من تحقيقهـا ، وان كنت قـد وفقت بجمـع كل ما اسـتطعت جمعه من أوراق أبى ومقـالاته وخطاباته ورسالاته الخطية وغـيرها انتظارا لليوم الذى أستطيع فيه أن أخرج كتابا شاملا عن مختلف جوانب حياته وجهـاده فى سـبيل الدين والوطن .

وأنتهز هذه الفرصة لأرجو من كل من كانت له بأبى صلة أن يتكرم بموافاتى بما قد يكون عنده من وثائق أو ذكريات ليكون كتابى عنـه أقرب الى الكمال .

وأرجو أن أكون قد وفقت اليوم لسداد قطرة من دين مسـتحق على لأبى ، وشـكرا لمجلة « الأزهر » الغراء أن أتاحت لى هذه الفرصة لكى أكتب لمحات عن حيـاة من كان سـببا فى حياتى .

القاهرة فى يوم الخميس ١٨ ربيع أول ١٤٠٧ هـ ٢٠ نوفمبـر ١٩٨٦ م

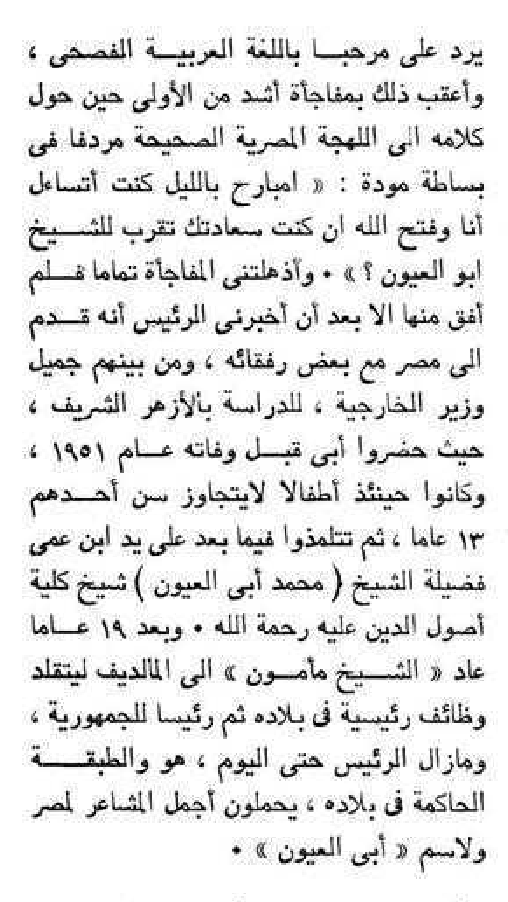
سفير جمال الدين محمود أبو العيون

١ ــ ابو العيون فى جزر المالديف

فى مطلع عام ١٤٠٠ هـ . الموافق ١٩٨٠ م . حملتنى الطائرة الى جـزر المالديف المتناثرة كحبات اللؤلؤ فوق سطح المحيط الهنـدى ، لتقديم أوراق اعتمـادى سـفيرا لمصر فى تلك الجزر النائية التى دخلها الاسلام منذ قرون ، وزارها بعد ذلك وكتب عنهـا الرحالة الشهير ابن بطوطة الذى عرفها باسم « محل ــ ديب » أو جزر السمك .

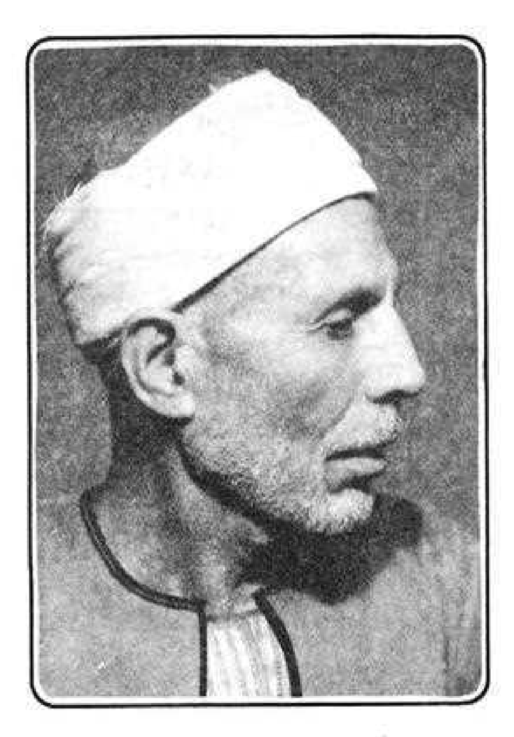
وفى مكتب الرئيس مأمون عبد القيوم رئيس جمهورية المالديف جلست والى جوارى وزيـر الخارجية السيد فتح الله جميل . وبعد التحية الرسمية باللغة الانجليزية ، فوجئت بالرئيس

بقلم السفير
جمال الدين محمود أبو العيون



يرد على مرحبا باللغة العربية الفصحى ، وأعقب ذلك بمفاجأة أشد من الأولى حين حول كلامه الى اللهجة المصرية الصحيحة مردفا فى بساطة مودة : « امبارح بالليل كنت أتساءل أنا وفتح الله ان كنت سعادتك تقرب للشيخ ابو العيون ؟ » • وأذهلتنى المفاجأة تماما فلم أفق منها الا بعد أن أخبرنى الرئيس أنه قدم الى مصر مع بعض رفقائه ، ومن بينهم جميل وزير الخارجية ، للدراسة بالأزهر الشريف ، حيث حضروا أبى قبل وفاته عام ١٩٥١ ، وكانوا حينئذ أطفالا لايتجاوز سن أحدهم ١٣ عاما ، ثم تتلمذوا فيما بعد على يد ابن عمى فضيلة الشيخ (محمد أبى العيون) شيخ كلية أصول الدين عليه رحمة الله • وبعد ١٩ عاما عاد « الشيخ مأمون » الى المالديف ليتقلد وظائف رئيسية فى بلاده ثم رئيسا للجمهورية ، ومازال الرئيس حتى اليوم ، هو والطبقة الحاكمة فى بلاده ، يحملون أجمل المشاعر لمصر ولاسم « أبى العيون » •

أدركت من هذه المقابلة أن على تجاه المالديف أعباء تفوق أعباء أى سفير آخر غيرى ، بوجوب المحافظة على تراث الأزهر العريق فى المالديف وبالفعل توثقت الروابط منذ ذلك الحين بينى وبين رئيس الدولة ، وماأن سمعت عن استعداد الأزهر للاحتفال بعيده الألفى ، حتى بادرت بالسعى لدى المسئولين فى مصر من أجل دعوته



للمشاركة فى الحفل باعتباره من أبناء الأزهر ، وبالفعل حضر الرئيس عبد القيوم وألقى كلمة باسم جميع الوفود المشتركة من كل أنحاء العالم الاسلامى بصفته ضيف الشرف فى الحفل الذى دعيت اليه بالتالى بصفتى الرسمية كمرافق للرئيس ، فكانت فرصة نادرة من فرص العمر ، التقيت فيها بالعشرات من أصدقاء أبى عليه رحمه الله وتلامذته ومحبيه الذين رحبوا بى أجمل ترحيب ، وكان من

أعذب ماقيل لى فى تلك المناسبة : « لكأن روح والدك الشيخ أبى العيون حاضرة بيننا فى هذا الحفل » • وكان ذلك فى عام ١٩٨٣ أى بعد انتقال أبى الى رحمة الله بـ (٣٢) عاما !!

٢ ـ نشأته المبكرة

اقترن طالعه بالثورات الوطنية الكبرى ، فقد ولد محمود ابراهيم أبو العيون عام ١٨٨٢ ابان ثورة عرابى ، وغذى فى شبابه وقود ثورة ١٩١٩ من فوق منبر الأزهر ، ثم كرس حياته للكفاح ضد الفساد فى المجتمع المصرى حتى سقط شهيدا فى عام ١٩٥١ ومصر كلها تتأهب لمعركة التحرير •

وكان مولده فى (عزبة الشيخ أبى العيون)، الواقعة على حافة الصحراء الغربية بمركز ديروط (مديرية اسيوط) من أسرة تنتسب الى الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتشتهر بالصلاح والتقوى ، ورأسها هو السيد ابراهيم أبو العيون الشريف المغربى الحسنى الذى نزح الى مصر من بلاد المغرب فى مطلع القرن (١٩) • وتوفى والد محمود وهو فى الخامسة عشرة من عمره ، فكفله شقيقه ولى الله وقطب زمانه السيد ابراهيم أبو العيون الأكبر •

وحفظ محمود القرآن الكريم فى بلدته ثم حضر الى القاهرة وله من العمر ١٢ عاما لينهل من العلم فى الجامع الأزهر ، ونال درجة العالمية عام ١٩٠٨ فعين بعد تخرجه مدرسا بالأزهر الشريف • ولم يقنع الشيخ محمود بعمله المتواضع ، فقام بالتدريس فى بعض المدارس الأهليه المنتشرة فى مصر وقتئذ كمدرسة الرشاد وغيرها ، فنبغ على يديه عدد كبير من الطلبة النبهاء الذين درس لهم مواد الدين والأدب العربى والتاريخ ، وهى المواد التى عشقها وتخصص فيها ، فكان كتابه الذى ألفه فى « تاريخ العرب والاسلام » الذى زاوج فيه بين الدين والأدب والتاريخ ، ـ مرجعا قيما لطلبته فى الأزهر الشريف طيلة ٤٠ عاما •

وكانت حياة العالم الشاب فى تلك الأيام كفاحا متصلا فى سبيل تثبيت أقدامه والحصول على دخل يهيىء له حياة كريمة ، خاصة بعد أن تزوج وأسس اسرة صغيرة ، ومع ذلك فقد ظل يذكر تلك الأيام بالحنين البالغ ، لأنها أتاحت له فرصة الاختلاط بنماذج مختلفة من المجتمع، والاطلاع على كتب الأدب المعاصر ، واشتهر الشيخ محمود بوداعته ودماثة خلقه ولطف معشره ، بالاضافة الى أناقة ثيابه وجمال هندامه • وكان الى جانب ذلك يتذوق الشعر ويطرب للموسيقى والغناء الجميل (١) ، فكان ذلك كله ايذانا بثورة مكبوتة فى صدره ضد التقاليد الصارمة التى درج عليها العديد من رجال الدين الذين رأوا فيه مجرد قالب مصبوب مقطوع الصلة بالدنيا التى نحياها بوجداننا وعواطفنا وأشجاننا وأفراحنا ومازال الشيخ فى حيرة بين التعاليم الصارمة والأحاسيس

(١) السيد الكاتب السفير يصف حالة وليس يعطى حكما شرعيا ••• مجلة الازهر

المرهفة حتى اندلعت ثـــورة ١٩١٩ ، فكانت متنفسا لكل مايجيش فى صدره من انفعالات ، وسمعت الأمة المصرية لأول مرة صوت الشيخ أبى العيون مدويا كالزئير الهادر من فوق منبر الأزهر صائحا : تحيا الثورة ...

٢ ــ خطيب الثــورة

اذا كان الشــيخ عبد اللــه نديم هو خطيب الثورة العرابية ، فقد عرف الشيخ ابو العيون بأنه خطيب ثورة ١٩١٩ ، فهــو الذى صــاح ــ من فوق منبر الأزهر يوم ٩ مارس ١٩١٩ غداة اعتقال سعد باشــا وصحبه ونفيهم الى مالطة : « الحرية شجرة لاتنبت الا فى الدماء ، فهذه حياتنا هدية لمصر» فصرخ الناس مرددين: « الثــورة ... الثــورة ... الشــهادة .. الشهادة » .

كانت مصر كلها تغلى كالمرجل بعــد أن تنكر الانجليز لاستقلالها فى أعقاب الحرب العظمى ويذكر التاريخ أن أول صيحة وطنية علت كانت فى يوم ١١ فبراير ١٩١٩ ، وهو الموافق لذكرى الزعيم مصطفى كامل باشا ، حين خطب الشيخ ابو العيون فى طلبته بالأزهر الشريف ، وحثهم على التوجه فى المساء لحضور الاحتفال المقام بمقبرته ، وهنــاك تجمع آلاف المواطنين ، وقامت مظاهرة كبرى تهتف باســتقلال مصر والسودان فتعرضت لرصاص الانجليز ، فكانت هــذه المظاهرة هى شرارة الثورة الأولى التى اندلعت لتعم مصر كها فيما بعد .

وظل الأزهر هو الوقود المحــرك للثــورة ، وكان الشرف كل الشرف لمن يسمح له باعتــلاء منبر الأزهر ليخطب الثائرين من فوقه ، ولمعت أسماء فطاحل الخطباء من أمثال أبى العيون والقاياتى والزنكلونى وعبد ربه مفتاح والقمص سرجيوس وغيرهم من المسلمين والأقباط على حد سواء .

واستمرت الثــورة مشــتعلة حتى أصبحت البلد بالشلل التام مما اضطر الانجليز الــى الافراج عن سعد وصحبه والسماح لهم بالسفر الى باريس فى ١٧ ابريل ١٩١٩ ، فكان يــوما مشهودا خرج فيه الأزهر فى مظاهرة كبيرة ، وانضمت اليــه كل طوائف الأمــة ، يتقدمهم جميعا العلم المصرى ، يشترك فى حمله كل من الشيخ محمود أبى العيــون والشيخ مصطفى القاياتى ، فكانت مظاهرة رهيبة تصــدى لهـا الانجليز بكل عنف ، وراحوا يطلقون النيران فى كل اتجاه حتى سقط عشرات الشهداء ومئات الجرحى ، واخترق الرصاص العلم المصرى ، وكاد أن يصيب حاملى العلم لولا بقية من أجل .

ولم تلبث الســلطات أن اعتقت الشــيخ القاياتى فى أول مايو ، فلمــا أحس الشــيخ أبو العيون بأن الدور عليه رشح زميله وصديقه الشيخ محمد عبد اللطيف دراز ليتسلم المنبر من بعده . وكان الشيخ ابو العيون قد قال مرة فى احدى خطبه : « ا ثورة مجنونة ، فلا يــرقى هذا المنبر الا كل مجنون » .

وفى اليوم التالى لاعتقاله صعد الشيخ دراز رحمه الله فوق المنبر ليقول للمتظاهرين فى أول خطبة له : « الحمد لله الذى جعلنى أجن خلفــا لأجن سلف » ، فكانت الثورة فى عهده مجنونة.

٤ ـ فى ثكنات قصر النيل

فى فجر يوم ١٢ مايو ١٩١٩ استيقظ الشيخ وأسرته على دقات عنيفة بباب منزله بالحلمية الجديدة ، ففتح الباب ليجد أمامه جنودا وضباطا مصريين طلبوا منه أن يصحبهم ، فارتدى ملابسه وودع زوجته وأولاده ، وأخذ معه مصحفا كبيرا على هامشه تفسير البيضاوى وفى الطريق شيعه أهل الحى بالبكاء ، وسمع زوجته تصيح من الشباك بصوت مبحوح « فى وديعة الله » •

وكانت السلطات البريطانية قد اكتشفت أن جمعية سرية قد تشكلت باسم « جمعية اليد السوداء » برئاسة عبد الحليم البيلى المحامى ومحمود أبى شادى ومصطفى القاياتى ومحمود أبى العيون ، وقد اتخذت هذه الجمعيه قرارا بأن أى رجل يعود الى عمله ، سواء أكان عاملا بسيطا او مسئولا كبيرا ، سيعتبر خائنا ويكون مصيره القتل •

واقتيد الشيخ الثائر الى قسم عابدين حيث تسلمه ضابط بريطانى وحرس مسلحون ، وحملوه الى ثكنات قصر النيل ، وهناك عومل معاملة مهينة وغير انسانية ، فكان يفترش الأرض ، ويأكل لحم الخيل ، وكان يؤمر بحمل جرة مملوءة بالماء فى يد ، وجرة أخرى يجمع فيها فضلات المعتقلين فى غرفهم ، وبعد ذلك يكلف بكنس ومسح العنبر الذى تقع فيه غرف الاعتقال ، فكان يتحمل هذه المعاملة صابرا محتسبا ، ويقوم بمهمة الكنس والتنظيف وهو يردد قول الشاعر :

يقضى على المرء فى أيام محنته
حتى يرى حسنا ماليس بالحسن

وقد أنهى الى الأزهريين مايلاقيه زميلهم من الضيق والهوان والسب والركل من احراس الانجليز ، فكانت خطبهم فى الأزهر تدور حول ذلك ويرثون لحاله ، وفى ذلك خطب المرحوم الشيخ (الدكتور) زكى مبارك وقال :

فما وفتك جفونى وهى دامية
ولا وفى لك قلبى وهو يحترق

ولما تدهورت حالته الصحية ، ولم يعد قادرا على الاحتمال ، ثار على هذه المعاملة ، وطالب بأن يعامل المعاملة التى تليق بمكانة معتقل سياسى شريف ، ومجاهد من الأزهر ، فأجيب الى طلبه ، ونقل الى الحجرة التى ينزل فيها زميله الشيخ القاياتى حيث لقى معاملة أفضل بكثير من الحالة التى كان عليها •

على أن الحال لم يدم طويلا ، فقد دست السلطات البريطانية جاسوسا على الثائرين فى حجرتهما ،فكان يقوم بابلاغ الانجليز بأخبارهما أولا بأول ، ومن ثم قررت السلطات ترحيلهما مع بعض من رأتهم من الخطرين الى معتقل رفح على الحدود المصرية الفلسطينية ، فحملوهما مع خمسة من زملائهما المعتقلين الى محطة مصر ، ومنها بالقطار الى قناة السويس ، ثم الى خط سكة حديد فلسطين ، وكان ذلك فى اليوم الثالث من شهر رمضان •

٥ ــ فى معتقل رفح

بعد رحلة شاقة مضنية استغرقت يوما وليلة، نزل الرفاق من القطار الذى أقلهم ، وسيقوا يحملون أمتعتهم فوق ظهورهم فى طريق خشن وفى ليلة حالكة ، يقودهم خفر مسلح على ضوء مصباح ضئيل ، ومن خلفهم حرس غلاظ يدفعونهم من ظهورهم بـ (سنكات) البنادق، حتى وصلوا الى معتقل رفح ، وهناك استقبلهم زملاؤهم من الفوج الذى سبقهم بالهتاف باستقلال مصر وبحياة سعد باشا •

وكان المعتقل مقسما الى ثلاث مناطق ، منطقة للاسرى الألمان والنمساويين ، ومنطقة للأسرى الأتراك والسوريين ، والثالثة للمصريين ، وكل منطقة عبارة عن مربع فسيح من الأرض تفصله الأسلاك الشائكة عن المنطقتين الأخريين ، وكان من بين المعتقلين محمد بك أبو شادى والشيخ محمد اللبان والقمص سرجيوس وكثيرون غيرهم •

وبعد أن أقاموا فى الخيام المنصوبة فى العراء برفح قرابة ثلاثة أشهر عانوا فيها ضنك الحياة وشظف العيش وقسوة الطبيعة واهانات الانجليز ، تم الافراج عنهم تحت ضغط الرأى العام ، خاصة وأن الحكومة البريطانية كانت تعمل وقتئذ على تهدئة الحالة فى مصر ، فأوفدت (لجنة ملنر) فى سبتمبر ١٩١٩ للتحقيق فى مطالب المصريين ، ولكن الشعب المصرى قاطعها عن بكرة أبيه ورفض التعاون معها وقرر ألا مفاوضة الا مع سعد زغلول الذى كان لايزال وقتها فى فرنسا •

وما كاد أبو العيون والقاياتى يعودان الى القاهرة حتى قررا قيادة المظاهرات من الأزهر من جديد ، ومالبث الانجليز أن زجا بهما فى ثكنات قصر النيل لمدة ثلاثة أيام نقلا بعدها الى (رفح) للمرة الثانية • ولبث الشيخ أبو العيون فى المعتقل حتى أول فبراير ١٩٢٠ حين تقرر نقله وحده الى معتقل قصر النيل لعلاج عينيه اللتين كاد أن يفقدها بعد أن أصيبتا اصابة شديدة نتيجة الاعتقال والتعذيب والاجهاد ، ثم نقل الى مستشفى قلاوون لاجراء عملية بالعين اليسرى وحقن بالعين اليمنى ، ومازال الشيخ معتقلا حتى اضمحلت صحته ولم يعد يقوى على الاحتمال ، فاستكتبوه فى ١٣ نوفمبر ١٩٢٠ تعهدا بالامتناع عن الاشتراك فى السياسة أو المظاهرات ، وتم بناء عليه الافراج عنه • وكانت الثورة قد شارفت نهايتها فى حين قرر الانجليز منح مصر بعض حقوقها المسلوبة بموجب تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ •

ولم يستطع الشيخ برغم ذلك صبرا عن البعد عن القضية الوطنية فألف كتابا أسماه « الصحيفة السوداء » تناول فيه ما أصاب مصر من المضار والمهالك من وراء الاحتلال •

وهنا لابد من وقفة نشير فيها الى أثر زوجة الشيخ التى وقفت الى جواره أيام جهاده ، والتى جعلته يحب فيها معانى الوفاء والشجاعة، فكتب عنها قبل وبعد وفاتها يشيد بمواقفها وأثرها على كفاحه •

٦ ــ الحرب ضد البغاء

هدأت الثورة ولم يهدأ الشيخ الثائر ••

صار للبلاد ملك ودستور وبرلمان وأحزاب •

ولم يجد الشيخ هويته فى هذا المعترك الحزبى، فترك ذلك كله وراءه والتفت ينشد ميدانا جديدا للاصلاح لم يسبقه اليه غيره فى مصر ، وكان قد قرأ فى الصحف أن قسيسا أوروبيا رفع صوته مستنكرا قيام البغاء فى بلاده ، فتساءل الشيخ كيف فات أهل الرأى والبصيرة فى مصر — وهى الدولة المسلمة التى تحرم الزنا — أن يرجعوا عن تلك الوصمة التى لطخوا بها البلاد ، فأباحوا الزنا بتراخيص حكومية رسمية ، وأمسك القلم منددا بموقف الحكومة ، فكان أول قلم ينادى بالغاء البغاء الرسمى فى بلد دينه الرسمى الاسلام •

وتلفت الناس فى دهشة الى هذا الصوت الجرىء الذى يريد هدم نظام تواضع عليه الناس منذ أدخله الاستعمار عام ١٨٩٦ بحجة التنفيس صحيا عن الغرائز المكبوتة وهو فى حقيقته سهم مصوب لكل القيم والمبادىء والأخلاق الفاضلة ، واهتمت الصحف بالدعوة الجديدة التى أحدثت دويا فى جميع الأوساط ، وانقسم الناس حيالها ، فمنهم من أيدها بقوة، ومنهم من تحفظ ، ومنهم من هاجمها بقسوة متهما الشيخ بأبشع التهم وأدناها • ولم يتراجع الشيخ ، بل لم يزده الهجوم عليه الا اصرارا على مبدئه ، فراح يصب سياط قلمه الملتهب على ظهور المعارضين والمتخاذلين ، ولم يترك بابا دون أن يقرعه بعنف ، والف كتبا عدة عن المشكلة دعمها بالوثائق الثابتة والاحصاءات الدامغة على الاضرار الناجمة عن بقاء هذا اللون من الفجور فى بلادنا الاسلامية ، هذا فضلا عن مقالاته النارية فى صحيفة الأهرام وغيرها ، تلك التى صفق لها الرأى العام فى مصر وسائر البلاد العربية والاسلامية ، وأبرز عناوينها :

مذابح الأعراض — نفثات مصدور — ياضيعة الأخلاق — فى عهد الحرية • وغيرها •

وشاء الله سبحانه وتعالى للشيخ أبى العيون أن يرى بعينيه ثمرة كفاحه قبل وفاته ، واذا بالحكومة تقرر عام ١٩٤٩ الغاء البغاء الرسمى ليقترن ذلك باسم أبى العيون الى أبد الآبدين •••

قابلت منذ عهدقريب أحد مشايخنا الأجلاء ، وما أن عرفته بنفسى حتى مد الى يده مصافحا فى حرارة وهو يقول :

« هذه يدى مبسوطة • أضعها فى يد كل غيور على شرف الأحساب وكرم الانساب • يمينا لا نقبض تلك اليد بعد أن بسطناها ولو صافحتها السيوف البواتر » •

واستطرد فضيلته فى حماس : هذه جملة خالدة حفظتها وحفظها معى كل من سعد بالتتلمذ على يد أستاذنا أبى العيون ، فقد استهل بها كتابه المعروف « صفحة ذهبية » فى الغاء البغاء الرسمى الذى ألفه محاربا للرذيلة وداعيا للفضيلة •

رحم الله والدك رحمة واسعة وأرضاه •••»

٧ ــ على شواطىء الاسكندرية

فى عام ١٩٣٨ ولى الشيخ منصبه فى الاسكندرية شيخا لعلمائها • وما ان وصلها حتى استقبلته أنسامها العليلة ومياهها الرقراقة ، فاهتز لها كيانه ، واستكانت لها مشاعره ، ولكن ما أن حل صيف العام التالى حتى رأى على شواطىء المدينة ما أهاله وأهمه فقد راعه منظر المستحمين والمستحمات من الجنسين يلهون وهم أشباه عرايا على الشواطىء فى صورة يندى لها جبين الفضيلة وتغمض لها عين الحياء • وهنا استيقظت فى نفس الشيخ كوامن الكفاح ، ورأى فى أنسام الثغر عواصف عاتية ، وفى مياهه أمواجا هادرة فثار ثورة عارمة ، وأعلنها حربا لاهوادة فيها على المصطافين والمصطافات ، حربا استمرت سبع سنوات متصلة جاهد فيها الشيخ جهادا مشكورا للقضاء على الداء الذى تفشى والفساد الذى استشرى •

وانتهزت الصحف والمجلات هذه الفرصة ــ وكانت الحرب العالمية الثانية قد استعر أوارها ــ لكى تجعل من حملة الشيخ أبى العيون على الاستحمام فى الشواطىء مادة طريفة للترفيه عن قرائها ، فسارعت بافساح صفحاتها لمناقشة القضية ، وتبارت فى رسم الصور الفكاهية والكاريكاتورية ، واذاعة النوادر المستملحة تارة ، والنكات اللاذعة تارة أخرى ، على لسان الشيخ أبى العيون أو على لسان خصومه ، وصورته فى صورة شيخ متعصب يمسك فى يده بهراوة غليظة يجرى بها وراء المستحمات غير المحتشمات وهن يهرولن أمامه ويستغثن •

ولم يغضب الشيخ لهذه الحملات التى كان من شأنها تشويه رسالته ، بل لعله رأى فيها لونا من الدعاية غير المباشرة لدعوته ، حيث بدأ الناس يتحدثون بها فى مجالسهم العامة والخاصة ، ويتساءلون عن وجه الحق فى هذه الدعوة ، ويستنكرون مايجرى على الشواطىء من تهتك ومباذل ، وتمنى الكثيرون لو أن فى البلاد اكثر من مصلح من صنف هذا الشيخ المجاهد •

وهكذا ذاع صيت أبى العيون وحملته فى كل حى وفى كل بيت فى مصر وخارج مصر ، واضطرت الحكومة وقتئذ للاستجابة لكثير من مطالبه مثل تخصيص ساعات محددة للاستحمام للسيدات وحدهن ، ومنع السير فى شوارع الاسكندرية وطرقاتها بزى الاستحمام ، كما فرضت رقابة صارمة تكفل الحد من التبذل ، وأمر رئيس الوزراء (مصطفى النحاس باشا) بتشكيل لجنة اسمها « لجنة حماية الآداب » يكون للشيخ أبى العيون فيها اليد الطولى بما يشارك به فيها من آراء ويتقدم لها بأفكار ومقترحات •

٨ ــ ابن الأزهر

كان الشيخ ابو العيون فى مقدمة الدعاة والمصلحين فى الأزهر ، يشهد بذلك العديد من المشايخ الأجلاء الذين تتلمذوا على يديه من أمثال أصحاب الفضيلة : محمد متولى الشعراوى ، وأحمد حسن الباقورى ، ومحمد الطيب النجار ، ومحمد نايل ، وأحمد

الشرباصي ، وغيرهم ممن انتقلوا الى رحمة الله أو مازالوا يمدوننا باشراقاتهم الروحية ونفحاتهم الزكية .

عمل الشيخ أبو العيون مدرسا بالأزهر منذ تخرجه عام ١٩٠٨ ، حتى اختير عام ١٩٢٥ مفتشا للعلوم الدينية والعربية ، وظل فى هذا المنصب حتى ندب عام ١٩٣٤ شيخا لمعهد أسيوط الدينى ، ثم نقل فى نفس العام شيخا لمعهد الزقازيق ، فبقى فيه حتى عام ١٩٣٨ حين عين شيخا لعلماء الاسكندرية ، ومنها اختير عام ١٩٤٥ ليكون سكرتيرا عاما للجامع الأزهر حتى توفاه الله عام ١٩٥١ .

وكان لشيخ أسلوبه الخاص فى الاصلاح ، فلم يتبع أسلوب التزمت ، كما أنه لم يجنح الى التطرف ، ولكنه أخذ بالأسلوب الأمثل ، وهو الاصلاح التدريجى فى وقت هبت فيه على الأزهر عواصف عاتية نتيجة الاجراءات السائدة حينذاك من صراع بين القصر والوفد ، ومن خلاف بين أنصار الشيخ المراغى والشيخ الظواهرى رحمهما الله ، ومن انقسام بين دعاة التقليد وأنصار التحديث .

كتب عنه أحد مشاهير تلامذته ، وهو المرحوم الشيخ أحمد الشرباصى مايلى :

« رأيت الشيخ أبا العيون بعد أن انتقلت الى معهد الزقازيق ، وقد أقبل شيخا له ، فرأى المعهد فى أيامه وعلى يديه العصر الذهبى الجميل فى تاريخه ، بما أجراه الشيخ فيه من تهذيب واصلاح .

لقد سبق الشيخ أبو العيون زمانه سبقا ملحوظا حين أنشأ فى معهد الزقازيق التابع للأزهر الشريف أول فرقة للكشافة عرفها الأزهر فى تاريخه ، وكان ذلك فى عام ١٩٣٥ .

وما كاد هذا الخبر يصل الى كبار بعض المشايخ حتى ثارت ثائرتهم ، وضج ضجيجهم ، وأخذت التهم والافتراءات تنهال منهم جزافا على رأس الشيخ ، وكان أخفها أنه يسوق طلابه الى التحلل والعبث ويلهيهم عن العلم ومكارم الأخلاق .

واحتمل الشيخ صابرا ماسيق اليه ، أو ماصب عليه ، ودارت الأيام دورتها ، وماهى الا سنوات قلائل حتى رأينا الأزهر الذى ثار بالأمس على أبى العيون ، لأنه أنشأ فرقة كشفية فى معهد أزهرى ، ولأنه أنشأ فيه فرقا للكرة وحمل الأثقال والرحلات وغيرها ، رأينا هذا الأزهر يصل الى ما سبق اليه أبو العيون فيصبح فى ميزانيته باب خاص واعتماد ضخم للألعاب البدنية والفرق الرياضية و .. وفرقة التمثيل الأزهرية » .

ومن أواخر ماقام به الشيخ ابو العيون تاليف كتابه عن « تاريخ الأزهر » وذلك بمناسبة الذكرى الألفية لانشائه ، فكان خير ما قدمه ابن بار من ابناء الأزهر لجامعته .

يتبع ...

صاحب الفضيلة الدكتور

الحسيني عبد المجيد هاشم

عرض وتعليق
الأستاذ السيد حسن قرون

الحافظ الهاشمي أو محدث القرن العشرين :

الدكتور الحسيني هاشم عرف بعنايته الرائدة بالسنة ، والسنة عند المحدثين كل ما صدر عن النبي – صلى الله عليه وسلم – من قول أو فعل أو تقرير ، وفي معناها الحديث، وهي الأصل الثاني في التشريع الاسلامي . قال تعالى : « وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ » سورة النحل الآية ٤٤

فالرسول يبين للناس ما نزل اليهم من الآيات البينات، يبلغ القرآن ويشرحه، ويوحى الله اليه بالسنة فيبلغها ويأمر أصحابه بالتبليغ عنه قال : « نضر الله امرأ سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع » رواه الترمذي وأحمد ، وهذا القول نعرفه نحن الذين درسنا الحديث ومصطلح الحديث بالأزهر ، ولكن « الحافظ الهاشمي » الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم يمتاز بأنه بجوار عنايته بالعلوم الدينية ووقوفه على أحكام الشريعة الاسلامية كان كالمتخصص في الحديث الشريف وكتبه ، وجاء على يوم كنت أظنه قد وقف نفسه على دراسة صحيح البخاري يشرحه ويستخرج أحاديثه ويبين فقه البخاري وفهمه للتشريع والعقيدة ، ولكني بمسايرة الدكتور الحسيني في كتاباته ومؤلفاته وخطبه تجلى أمامي بعلم غزير ونهج قويم ومع ذلك فلننظر اليه محدثا كما عرفناه متكلما ومفسرا للقرآن ومبينا وحي القرآن من غيره .

فى مقال له بعنوان « تدوين السنة ودائرة معارف السنة الشريفة » نشر المقال فى « الكتاب التذكارى للمؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة النبوية الشريفة ، والمؤتمر العاشر لمجمع البحوث الاسلامية » صدر الكتاب — تحت رعاية الأزهر الشريف — فى صفر ١٤٠٦ هـ الموافق نوفمبر ١٩٨٥ م .

فى هذا المقال الرائد المفيد تعرف معلومات كثيرة عن تدوين السنة المطهرة دبجها يراع عالم متمرس بما يقول ويكتب ونحن نعرف أن النبى — صلى الله عليه وسلم — نهى عن كتابة الحديث حتى لا يختلط بآيات الذكر الحكيم ، ولكن الدكتور الحسينى هاشم يقول هذا ويفسره ويجعله خاصا بموقف معين ، ويعطينا بيانا أن السنة دونت فى عهد النبوة وفى عهد التابعين ، فيذكر ما كتبه عبد الله بن عمرو ابن العاص من أحاديث جمعها فى صحيفة وعرفت « بالصحيفة الصادقة » ومثلها كانت صحيفة لأنس بن مالك ، ولهمام بن منبه صحيفة تسمى الصحيفة الصحيحة رواها عن أبى هريرة، ولم ينقض العصر الأول الهجرى حتى كان فى أيدى الناس صحف ومجاميع تحتوى كثيرا من الأحاديث النبوية الشريفة الى أن جاء على رأس القرن الثانى الخليفة الورع عمر بن عبدالعزيز وخلافته (٩٩هـ — ١٠١هـ) فأمر بجمع السنة من ثقاتها وكتابتها حتى لا تتعرض للاندثار .
يقول الحافظ الهاشمى :

وقد شاع فى الناس حتى المثقفين والمؤلفين أن الحديث لم يكتب ولم يسجل الا فى القرن الثالث الهجرى وأحسنهم حالا من يرى أنه قد كتب ودون فى القرن الثانى، وما نشأ هذا الخطأ الا عن طريقتين :

الطريقة الأولى : أن عامة المؤرخين يقتصرون على ذكر تدوين الحديث فى القرن الثانى ولا يعنون بذكر هذه الصحف والمجاميع التى كتبت فى القرن الأول ، لأن عامتها فقدت وضاعت مع أنها اندمجت وذابت فى المؤلفات التى جاءت بعدها .

الطريقة الثانية : أنهم لا يتصورون سعة هذه الصحف لكثرة الأحاديث الموجودة ، وبفهم الدارس المحقق يرشدك الى ان كثرة المروى من الأحاديث يرجع الى المتابعات والشواهد ، فحديث (انما الأعمال بالنيات) يروى من سبع مائة طريق ، فلو جردنا مجاميع الأحاديث من هذه المتابعات والشواهد لبقى عدد قليل من الأحاديث .

وقد صرح الحاكم الذى يعتبر من المتسامحين المتوسعين أن الأحاديث التى فى الدرجة الأولى لا تبلغ عشرة آلاف ، ومعظم هذه الأحاديث قد دونت بأقلام رواة العصر الأول .

ويشير الدكتور الحسينى الى الوضع وأسبابه ويبين متى بدأ وموقف العلماء منه وانتصارهم فى تنقية الأحاديث الشريفة فشمروا عن سواعدهم ، « ووضعوا قواعد الاسناد والمتن وقضوا على حركة الوضاعين» .

لقد بان لنا أن الصحابة والتابعين كان لهم أثر كبير فى حفظ السنة فى الصحف والمجاميع فكانوا القدوة وجاء عصر التدوين وكأنه استجابة لما أمر به الخليفة العادل عمر بن

عبد العزيز من تدوين السنة فكان التدوين الرسمي كما يقول « الحافظ الهاشمي » وظهر أناس اشتهروا بالتدوين ، وقد لبى الأمر الامام الكبير محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى المتوفى سنة ١٢٤هـ • ثم شاع التدوين فى الجيل الذى يلى جيل الزهرى ، وكان أول من جمعه بمكة (ابن جريج ١٥٠هـ) (وابن اسحاق ١٥١هـ) (ومالك بالمدينة ١٧٩ هـ) و (سعيد بن أبى عروبة ١٥٦هـ) (والربيع بن صبيح ١٦٠هـ) (وحماد ابن سلمت ١٧٦هـ) بالبصرة ، وبالكوفة (سفيان الثورى ١٦١هـ) وبالشام (أبو عمرو الأوزاعى ١٥٦هـ) (وبواسط هشيم بن بشير ١٨٨هـ) وبالرى جرير ١٧٥هـ وبمصر عبد الله بن وهب ١٩٧هـ) • وهؤلاء كانوا فى عصر واحد ، ومنهجهم فى التدوين جمع أحاديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مختلطا بأقوال الصحابة والتابعين مع ضم الأبواب بعضها الى بعض •

وجاء العصر الثالث الهجرى فتسلم الامام البخارى لواء الحديث ، وسلك به مسلكا قويما أوصله درجة بالغة فى الصحة والكمال ، وكان كتابه الخالد « الجامع الصحيح » له سبق وفضل فى هذا العصر الذى ازدهر بأئمة السنة، فالامام مسلم ، والامام أبو عيسى الترمذى ، والامام النسائى والامام أبو داود السجستانى وابن ماجة ، وكتب هؤلاء الأئمة هى المرجع فى الأحاديث النبوية ، وقد ظهرت كلها بعد « الجامع الصحيح » للبخارى وسارت على منهجه وأطلق على هذه الكتب الستة كتب أصول السنة ، واستمرت العناية حول الشرح لتلك الكتب •



وبعد ذلك وفى القرن السابع الهجرى ألف أبو السعادات مبارك بن محمد المعروف بابن الأثير الشافعى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ كتابه « جامع الأصول » لأحاديث الرسول — صلى الله عليه وسلم — جمع فيه الأصول للكتب الستة : صحيح البخارى ، وصحيح مسلم ، وجامع الترمذى ، وسنن النسائى وسنن أبى داود وموطأ الامام مالك ، وكان عصر الحفاظ من أمثال الحافظ الهيثمى صهر الحافظ العراقى ، وألف الحافظ الهيثمى كتابه « مجمع الزوائد ومنبع الفوائد » وهو كتاب جمع الزوائد على الكتب الستة لمسند أحمد والبزار والموصلى ومعجم الطبرانى الكبير والصغير والمتوسط •

يقول الحافظ الهاشمى محدث القرن العشرين مشيرا الى عمل قام به ليفيد عصره

وطلاب العلم : وقد جمع الشيخ العلامة محمد بن سليمان الفاسي المغربي المالكي نزيل الحرمين الشريفين كتابه « مجمع الفوائد » من جامع الأصول « ومجمع الزوائد » جمع فيه بعض الأحاديث التي اختارها من جامع الأصول مجمع الزوائد في جزءين وشجعني ذلك على تاليف « دائرة معارف السنة الشريفة » مستوفيا هذه الكتب ، وفي مطلع القرن الخامس عشر من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، وفي مؤتمر السنة الرابع في رحاب الأزهر الشريف يسرني أن أقدم للعالم الاسلامي .

« دائرة معارف السنة الشريفة »

راجيا من الله تعالى أن تكون فتحا مبينا في عالم التأليف للسنة الشريفة .

ويظهر مما كتبه أنه يعتز بعمله في خدمة السنة الطاهرة ، ولذلك يبين لنا جهده وطريقته في « دائرة معارف السنة الشريفة » وهي تشتمل بحمد الله على ثلاثة عشر كتابا تجمع كتب أصول السنة المعتمدة :

صحيح البخاري ، وصحيح الامام مسلم ، وجامع الترمذي ، وسنن النسائي ، وسنن أبي داود ، وموطأ الامام مالك ، كما جمعها ابن الأثير مخرجة أحاديثها وزاد عليها سنن ابن ماجه ، وأضاف اليها أمهات المعاجم المسانيد منها مسند أحمد ، ومسند البزار ، ومسند أبي يعلى ، ومعجم الطبراني الكبير والأوسط والصغير ، التي جمعها مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي ، وبوب الجميع على منهج الامام البخاري في صحيحه .

يجد المحدث فيها وفي مرآة أبوابها ما يستعين به على تخريج الأحاديث وما يساعده على اكتساب المعرفة لما ورد في الباب من أحاديث مجتمعة يفسر بعضها بعضا كوحدة موضوعية متكاملة .

يجد فيها المفسر والمحدث والفقيه طلبته للفهم وتخريج الأحاديث ومعرفة الأحكام ويجد كتاب السيرة سيرة رسول الله الصحيحة الموثقة .

كما يجد أصحاب العقيدة في أبواب الايمان والاسلام وغيرها ما يرشدهم الى العقيدة الصحيحة .

ألا ترى معي أنه أفاد السنة الشريفة ببحوثه وعكوفه على أمهات الكتب يدرسها ثم يجمعها ويرتبها على أبواب حتى يجد المسلم بغيته دون مجهود يضني ودون دراسة لكل حديث في موطن يبعد عنه ، بل جمع ورتب وشرح الألفاظ وأشار الى المعاني فكان عملا متكاملا ، وفتحا مبينا يشرق نوره على الأمة الاسلامية في مطلع القرن الخامس عشر الهجري ، وأرجو الله أن يجعل ثوابه فيه على قدر جهده وانتفاع الناس به ، وبهذا استحق في نظري أن يكون محدث القرن العشرين ، ولنا أن نلقبه « بالحافظ الهاشمي » رحمه الله وأفادنا بعلمه وحلمه والاقتداء به .

موقفه من التاريخ :

من يطالع قوائم مؤلفات فقيد الأزهر الحسيني هاشم من أول مؤلف يحتوي اهتماماته وهو الامام البخاري محدثا وفقيها الى أئمة الحديث على مدى اثنين وعشرين مؤلفا يجد كل المؤلفات تدور حول السنة

الشريفة يدرس متنها ورجالها وطرقها وعلومها وتطورها من عهد الصحف والمجامع الى عصر التأليف والتبويب على يد البخارى الى القرنين السابع والثامن الهجريين وعمل الحفاظ ، وجمع أصول كتب السنة فى مؤلف واحد مما يدعونا الى ان نسلكه فى زمرة المحدثين وقد عرفناه المحدث البارز فى القرن العشرين ، ولكنه مع ذلك له اهتمامات أخر تنبع من ايمانه بأثر القرآن الكريم فى كل العلوم التى ظهرت فى العصور الزاهرة الاسلامية اذا كان (الحافظ الهاشمى) منجذبا اليه ينظر فيه ويتأمل معانيه ويدرس بلاغته ويحفظ لغته وتربى فى الأزهر وهو القائم على رعاية كتاب الله وسنة رسوله فأقبل على معرفة تاريخ بنائه وقيامه بواجب الهداية والتوجيه ، ولقد سمعته يخطب فى « العيد الألفى للأزهر » فراعنى منه تعمقه فى الأفكار التى أضاء بها الحفل واستولى على عقول سامعيه للتفسيرات التى أتى بها فى معنى « الأزهر » ومعنى « المعمور » وما الى ذلك مما يعزب عن بالى الآن . وفى « الكتاب التذكارى بمناسبة احتفالات العيد الألفى للأزهر » صدر فى جمادى الاخرة ١٤٠٣ هـ ــ الموافق مارس ١٩٨٣ م قرأت له مقالا عنوانه :

« الأزهر والوعى السياسى »

وهو مقال ممتع ذو منهج مبنى على أسس علمية ومفاهيم فلسفية لمعرفة التاريخ ولاسيما تاريخ مصر تحدث فيه عن مشايخ الأزهر والسياسة عن الذين جاءوا جميعا من قراها وأريافها ومدنها فكانوا من بين صفوف الشعب وأبناء الأرض يحسون ما يحسه الناس وينظرون بأعينهم ، ويسمعون بآذانهم ، ولهم بذاتهم بأنهم حفظوا فى صدورهم نصوص الشريعة ، وحفظوا ما تخلف من تراث القرون فكان من الطبيعى أن يقفوا من الشعب موقف الزعامة فى كل حادث جليل وأن ينطقوا باسمه ويعبروا عن آماله وآلامه . ولما كان الأمر يقتضى تفصيلا لمواقف شيوخه وأعلامه وهذا يطول شرحه أكتفى بضرب الأمثلة التى تبين كفاحه وتضحياته فى الدفاع عن الأرض والعرض والعقيدة ، يستوى فى ذلك العهد العثمانى والحملة الفرنسية وتولية محمد على ، والثورة العرابية ، وثورة ١٩١٩ ، الى العهد الحاضر .

وهو رجل يحب الحق ويبغض الباطل ، وقد سجل التاريخ لأزهره مواقف تكتب فى صفحات من نور ، وهى لا تكتب للفخر ولكنها تكتب للقدوة الصالحة وللأسوة الحسنة للاجيال القادمة لذلك لم يعجبه أن يغمط المؤرخون الأزهر فى حقبة من الحقب ، وأعجبنى تيقظه لتلك الحقبة التى أهمل المؤرخ ذكر الأزهر فى أحداثها فكان أن أرخ وسجل وآخذ المهملين . يقول فى هذا الصدد : وتأتى فترة ما قبل ثورة عام ١٩١٩ وهى التى تبتدىء بالاحتلال الانجليزى ، وأكثر من كتبوا عن هذه الفترة قد تحيفوا جهاد الأزهر فى سبيل الحرية تحيفا ظاهرا ، لأن أكثر الكاتبين قد شغلهم ميولهم الحزبية عن انصاف الحقيقة ومن يذكرون الامام محمد عبده فى جهاده لأطماع الخديو ومناداته باستقلال الأزهر وتجديد المناهج الدراسية ، أقول من يتحدثون عن ذلك

يتحدثون عن الامام محمد عبده وكأنه لم يكن علما من أعلام الأزهر ، بل يحاولون أن يجعلوه وحده فى صف ، والأزهريين جميعا فى صف واحد مع أن أكثر تلاميذ الامام من نبغاء الأزهر .

ويتحدث عن ثورة ١٩١٩ وعمل الأزهر وجهاده وفى مقدمة الجهاد سعى العلماء الى التعاون مع اخوانهم الأقباط فى سبيل الاستقلال حين أراد « اللورد كيرزن » وزير الخارجية البريطانية فى ذلك الحين أن يزيف الحقائق فأعلن أن الأقباط لا يريدون الاستقلال ساعيا بالوقيعة بين عنصرى الأمة ، فقام علماء الأزهر وفى طليعتهم الأساتذة محمود أبو العيون ، ومصطفى القاياتى ، ومحمد عبد اللطيف دراز ، وعلى سرور الزنكلونى بالدعوة الى مؤتمر وطنى بالجامع الأزهر حضره المسلمون والأقباط وتعاهدوا على مقاومة المحتل ونادوا باستقلال البلاد ، وصعد الى منبر الأزهر القمص سرجيوس فآزر الدعوة للاتحاد وسقط فى يدى اللورد كيرزن ، فلم يدر ما يقول .

والجديد فى هذا الدعوة الى مؤتمر بالجامع الأزهر وقد لباه عنصرا الأمة من المسلمين والأقباط كما أن الجديد فيما قبل ثورة ١٩١٩ ذكر ما أغفله المؤرخون فى حديثهم عن الامام محمد عبده .

وهو فى كل ما يكتب فيه سليقة الأديب يستخدم الآثار الأدبية ويستشهد بالشعر من ذلك حديثه عن ثورة ١٩١٩ وبطولة الأزهريين فيستشهد بقول أمير الشعراء شوقى وهو :

المعهد القدسى كان نديه
قطبا لدائرة البلاد ومحورا

ولدت قضيتها على محرابه
وحبت به طفلا وشبت معصرا

ونقدمت تزجى الصفوف كأنها
«جان دارك» فى يدها اللواء مظفرا

وهكذا يسير بنا فضيلة الدكتور الحسينى فى ايراده التاريخ وتسجيله المواقف فى لغة طيعة فيها الصدق والجمال والوفاء بالمنشود .

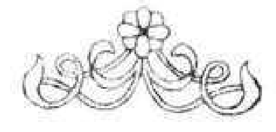
اراني تحدثت عن علمه وأكثرت بالنسبة لما ينبغى أن يذكر له من الأخلاق الكريمة والسجايا الحميدة والشمائل الطيبة من سخاء بالعلم والمال ، وحب للخير واسدائه لعارفيه وغير عارفيه وأحلى ما فيه التواضع ، وتواضعه يجىء طبعيا لا تكلف فيه ، فهو ينبع من ورع صاحبه ، ومعرفته بطبيعة البشر ، وقد وضع فى موضع الهداية وفى الرعيل الأول من الهداة اذا كان عليه أن يكون كما خلقه الله متمتعا بمكارم الأخلاق وكفاه بها فضلا وذكرا ، ورحم الله عالمنا الجليل وربانى هذه الأمة فى القرن العشرين رحمة واسعة .

السيد حسن قرون

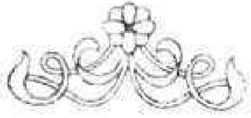
الشعر والشعراء

إشراف: د. حسن جاد

في محراب الفجر



ألحان الخلود



تسبيحة

الأزهر المعمور

«.. والقطعة من ملحمة الحملة الفرنسية على مصر» وتقع فى نحو ثلثمائةبيت وآثر الشاعر بمجلة الأزهر القطعتين رقمى ٤ ، ٩ لصلتهما بالازهر الشريف .

(٤)

فان تكن الأيام ألوت عنانها
بنا فترة فالشمس تخفى وتظهر

وقد علمت «باريس» من بعد أننا
لنا فى الكفاح المر ماليس ينكر

عشية أغراها بنا ان طائفا
ثقيل الخطى فوق الربوع يسيطر (١)

ولم تك تدرى ان فى الحى مرصدا
على برجه من ثاقب الرأى مجهر (٢)

مناراته ، والغرب فى عتمة النهى
مشاعل يغشاها الضباب فتسفر

وساحاته والشرق فى غمرة الدجى
تمهد للفجر العظيم وتنشر

لكل رواق (٣) فيه ، شيخ كأنه
ولى على ارث النبيين يسهر

يبث الهدى والعلم والعدل والحجى
وينهض بالأخلاق يعلى ويعمر

فيالجدار الفاطميين شامخا
تطاوله عين الزمان فتحسر

أعد به الشيخ « الجبرتى » مرقما
كمااستل من تجويفةالصخر جوهر(٤)

له المرقم الجبار والفكرة التى
تنقب فى دهم الليالى فتبصر

يخافت شفاف المدارة تارة
ويرقى به الحق الصريح فيجهر (٥)

---

(١) اشارة الى الاحتلال العثمانى (٢) المقصود الازهر الشريف (٣) اروقة الازهر معروفة (٤) الجبرتى عبدالرحمن بنحسن صاحب عجائب الآثار فى التراجم والاخبار وهو أوفى مصدر عربى (٥) وصف لمنهج الشيخ فى كتابه .

للشاعر: عبد العليم القباني

(٩)

فواعجبا للشعب .. كيف تدفقت ... مواكبة العزلاء تردى وتقهر (١)
سلام عليه والقنابل تلتقى بصبحاته ، والموت يغدو ويصدر
سلام على (شبرا) على كل «شارع» وكل «زقاق» بالبطولات يخفر
على كل «متراس» على كل «شرفة» على كل «باب» دونه العمر ينثر
على «الأزهر المعمور» يزجى صفوفه شيوخ عليهم للجلالات مظهر
تقيون صبارون داعون للهدى طريقهم للسلم ضاح ميسر
ولكنه .. من يزحم الذئب داره فايسر ما يرجوه سيف مشهر
مشوا والوقار السمح فوق وجوههم وأعمامهم من وقدة العزم تزفر
يثيرون فى الأغماد كل مهند (٢) صبور على الهيجاء والنقع أكدر
كذلك كان «الأزهر» النور فى الحمى وكم شاد مجد الحرب والسلم «أزهر»
فان يك «نابليون» (٣) أوفى بخيله يذل بها المحراب (٤) فالله اكبر
اعدله فى «سنت هيلين» (٥) مأتما لعزته والشر بالشر يزجر

*** ***

---

(١) اشارة الى ثورة القاهرة الكبرى (٢) المهند اسم من اسماء السيف وهو هنا كناية عن الشباب (٣) نابليون القائد الفرنسى المعروف
(٤) اشارة الى قصة دخول نابليون الازهر وانتهاكه لحرمة محرابه (٥) سنت هيلين : الجزيرة التى نفى فيها الانجليز نابليون بعد هزيمته .



في محراب الفجر

شعر: رشاد محمد يوسف

الفجر يرسم بالضـــياء على المـــآذن ألف هالة
والليل في وهن الرحيل يشـــد أطراف الغلالـــة
والنجـــم يبـــدو كالسراج تراقصـــت فيه الذبالة
والصبح في ألق تنفس مـــد في زهـــو ظلالـــه
والنـــور من كفيه شـــلال تدفـــق في عجالـــة

*

هي آية الخلق العظيـــم يســـوقها المولى دلالـــة
فيها تجلت قـــدرة الخـــلاق في أجلى مقـــالة

*

واللـــه أكبر تغمـــر الدنيا بأنوار الجـــلالة
والقلب أســـكره الضـــياء فغاب عنى في ابتهالة
ينساب في كنف الأمان كأنما النـــور اســـتماله
يتشرب التقـــوى ليقوى في غيابات الضـــلالة
يستعذب النجـــوى لينجو من غشـــاوات الجهالة

*

طوبى لمن ســـمع النداء فشـــد للنجـــوى رحاله
وجفـــا المضاجع واســـتقام بلا تراخ أو كلالة
ودعـــا الكريم مناجيا مســـتغفرا يبغى مناله
من يســـأل اللـــه الكريم أجابه وأراح بالـــه .

ألحان الخلود

للشاعرة : جليلة رضا

وتصايحوا - والعام قد ولى - لقد مات الهزار
قد غاب واأسفاه لا ندرى لغيبته قرار
ما عاد يسكب ألف فجر فى ماقينا الحزينة
ويرف فوق رؤوسنا جذلان يخترق المدينة
ما عاد يشدو للطبيعة والجمال .. وللنهار ..
فأجابهم صوت بعيد رن فى رفق ولين :
لا ، لم يمت هذا الهزار ، وإنما ضم اليقين
عرف الحقيقة حين ولت عنه أطيار عديدة .
وأمام طيف الموت حامت ثم أسئلة عنيدة
ماذا وراء الغيب ؟ما هذا الوجود ؟ ومن نكون ؟
حتى إذا عرف الجواب ... أراد أن يعلو الأفق
وأبى أراجيح الغصون . ومل رفات الورق
مل القيام أو القعود بعشه الهانئ المريح
عبر النهار المشمس المأمون من مطر وريح
وبحضن ليل دافىء الأحلام فواح ، عبق ..
ياويحه : عاش الحياة بغير معنى أو أثر
كانت له أيامه الجوفاء ملأى بالصور
يصحو ليلتقط الحبوب بلا عياء أو عذاب
يصحو فتستهويه فوق الأرض آلاف الرغاب
متنقلاً بين الخمائل والأزاهر والشجر ..
قد عاش لا يدرى فروقاً بين أرض أو سماء
فإذا علا أقصى حدود علوه سطح البناء
وإذا شدا أحلى اللحون لديه ألحان الهوى
يدلى بها منغومة مشبوبة .. وإذا ارتوى
كان ارتواء بالمياه .. وليس من نبع الضياء
واليوم قد ضاق الهزار بروضه مستنكراً
وأراد أن يعلو ويعلو عن تفاهات الورى
فلقد تنكر للحقول ولانبهارات السنابل
ولقد تنكر للكؤوس المسكرات من الجداول
متصايحاً .. « بئس الجناح إذا تشبث بالثرى »
لا . لم يمت هذا الهزار وإنما عبر الوجود
نحو الفضاء اللانهائي المدى واللاحدود
ترك الهوى والعاطفات على الغصون الوارفة
ليكون يوماً كالشراع أمام وجه العاصفة
ويصوغ تحت القبة الزرقاء ألحان الخلود ..!!

تسبيحة

شعر: نعمت عامر

الله نور فى علاه ... فى كل شىء ذى رواء
انى رأيت الله أكـ ... ـبر كل شىء .. لا مراء

وأراه فى كل الجما ... ل بكل أرض أو سماء
بين الكواكب رصعت ... كقلائد شعت بهاء

والليل يكسوه السكو ... ن وراحة بعد العناء
والصيف يأتى زاخرا ... بالخير يعقبه الشتاء

وأراه بين حدائق ... غناء نضرها النماء
وأراه فى خفق الطيو ... ر وحين تشدو بالغناء

رفرافة طربا بهيـ ... ـج شعورها سحر الصفاء
أدعوه فى صحوى وفى ... نومى فيستمع الدعاء

أدلى اليه بشكوتى ... والقلب يغمره الرجاء
فيجيبنى مهما تنا ... ءت بالمنى سبل العطاء

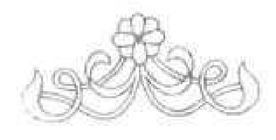
كل الدنى تفنى ويبـ ... ـقى دائما أبد البقاء
ايمان روحى فى الشدا ... ئد قوة تُضفى العزاء

قرآن ربى .. بالهدى ... تسبيحة فيها الشفاء
آياته .. بالبينا ... ت مضيئة فيها الدواء

هو خالقى .. هو ياعشى ... نجواه فى قلبى ثناء
وله تعالى طاعتى ... فى كل صبح أو مساء

العلوم الكونية

مسار البحث العلمي



ترجمة المعدة والاثني عشر

مسائل البحث العلمي

في القرآن الكريم

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم . وأشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .. المبعوث رحمة للعالمين بكتاب عربي مبين .. هدى ورحمة وشفاء للمؤمنين .

اللهم اني أستلهمك الهدى والرشاد والتوفيق والسداد .. سبحانك ... لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم .. وسبحانك .. ما خلقت هذا باطلا .. سبحانك .. سبحانك ..

تلك دراسة متواضعة عن الآيات الكونية في القرآن الكريم .. تلك الآيات التي كانت تشد انتباهي وتجذب اهتمامي منذ الصغر لشعوري واحساسي بأن لها عطاء دائما لا ينقطع وادراكي — كلما نما عقلي واتسعت معارفي وتعمق علمي — أنها تحوى علوما لا نهاية لمعارفها ولا حصر لحقائقها ، كان كل يوم يمر يزيدني ايمانا ويقينا بقول الحق سبحانه وتعالى :

« إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۝ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۝ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ »

(سورة الواقعة : الآيات ٧٧ — ٨٠) .

ولقد أثارني وحفزني للكتابة عن تلك الآيات الكريمات أنه عند عقد المؤتمر الدولي الأول للاعجاز الطبي في القرآن الكريم كان هناك فريقان من العلماء الأجلاء لكل وجهة نظره التي يتمسك بها ويدلل عليها تجاه قضية من القضايا الجليلة الشأن والخطيرة الأثر وهي :

صلة العلم بالايمان ، أو السؤال المطروح .

هل العلم طريق مؤد للايمان ؟

وسؤال آخر هو .. هل الآيات الكريمات التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في القرآن العظيم عن خلق السموات والأرض وما فيهن هي آيات علمية جاءت بحقائق العلم ودقائقه ؟!

وهل يمكن تفسير آيات القرآن بما جاء به العلم من حقائق وقوانين ونظريات وتطبيقات عملية ؟! أم أن من الواجب ألا نقحم القرآن المجيد في علم هو متغير ومتجدد دائما — فما يثبته اليوم قد يناقضه غدا — بينما القرآن العظيم كلام الله تعالى المحفوظ والثابت الذي لا يتبدل ولا يتغير ؟!

.. .. ..

ولقد حاولت في بادىء الأمر تجميع تلك الآيات كلها بحسب ترتيبها في القرآن العظيم ، وأخذت — بعون الله وفضله — أتأملها وأتدبر

د. محمد وسيم نصار

معانيها وأمعن النظر مرات ومرات فى مغزاها ومرماها ، وكانت الفكرة تبدو فى عقلى كالنور الخافت من بعيد فأسير وراءها حتى أستشعر ضوأها الوهاج فى بصيرتى وحرارتها الحانية فى وجدانى ٠

وكانت الفكرة الأولى مبنية على ملاحظة : أن هناك الكثير من تلك الآيات مسبوقا أو مقرونا بالأمر اما بامعان البصر أو بالرؤية أو بالنظر ولم يأت أمر بالمشاهدة ٠٠ فتساءلت أهناك فرق بين هذه الأفعال الأربعة : أبصرت ، رأيت ، نظرت أو شاهدت ؟!

وكانت الفكرة الثانية أساسها ملاحظة أن تلك الأوامر جاءت فى مواضع كثيرة مقرونة بادوات الاستفهام ماذا ، ما ، أو من ، مم ، أو من أى شىء ، كم ، كيف ، وهل أو الهمزة أو أى ؟ فتساءلت ما علاقة تلك الأسئلة ببعضها ؟

ولم لم يأت الاستفهام عن الزمان والمكان والعلة ؟!

وكانت الفكرة الثالثة مصدرها ذلك الختام المتعدد والمتنوع للكثير من تلك الآيات بأن فى هذا الخلق أو ذاك آية أو آيات لقوم يفقهون أو يتقون أو يذكرون أو يوقنون ٠٠ أو يسمعون أو يعلمون ٠٠ أو يؤمنون ٠٠ أو يتفكرون أو يعقلون ، أو للعالمين أو للموقنين ٠٠ أو للمؤمنين ٠٠ أو لأولى الأبصار ٠٠ أو أولى النهى أو أولى الألباب ٠

فتساءلت ما الفرق بين العلم والمعرفة والفقه ؟ وما دور العقل وقدراته ؟

ثم كانت الفكرة الرابعة ومصدرها أن الله **سبحانه قد ذكر السمع دائما مفردا** والبصر **غالبا جمعا (أبصار) وكذلك الفؤاد أو القلب (أفئدة أو قلوب) ٠٠ فتساءلت ما الحكمة وراء ذلك ؟** وجاءت الفكرة الخامسة تساؤلا ظل يتردد صداه فى عقلى وقلبى — حتى هدانى الله عز وجل الى نور حكمته — وكان التساؤل ٠٠ ما علاقة تلك الآيات ببعضها ؟ وما علاقة العلم بالدين ؟!

ثم أخيرا كان السؤال ٠٠ ما الحكمة من وراء كثرة تلك الآيات وتعددها وانتشارها فى معظم سور القرآن الكريم ؟!

٠٠ ٠٠ ٠٠

الآيات الكونية :

الآية الكونية : هى كل موضع فى القرآن فيه حث الانسان على دراسة ما فى الكون من مخلوقات أو ذكر صفة من صفاتها أو خصائصها توضيحا للمنهج الالهى والسنن الحكيمة فى ايجاد الخلق (١) ٠

---

(١) حنفى أحمد : التفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن ٠ — ط ٣ دار المعارف — القاهرة

ذلك ليستفيد الانسان منها ويستخدمها لصالحه فى المعاش الدنيوى والمعاد الأخروى (٢) .

والحقيقة أنه لا تكاد تخلو سورة واحدة من سور القرآن من آية كونية ولكن هناك — فى نظرى — اثنتان وثمانون سورة ملأى بتلك الآيات الكونية منها أربع عشرة سورة مدنية (أى نصف السور المدنية) ، وثمانية وستون سورة مكية (أى ما يقرب من أربعة أخماس السور المكية البالغ عددها ستا وثمانين سورة)،

والسور المكية — وهى السور التى نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة الى المدينة المنورة — تتناول قضايا العقيدة والايمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكان أول ما تلقاه النبى صلى الله عليه وسلم قول الحق سبحانه :

« اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ • خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ • اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ • الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ » (العلق : ١ — ٥)

ليكون أول أمر •• أمرا بالقراءة••قراءة ما خلق الله فى كونه وغيره .

ثم ذكر للخلق •• ومنه خلق الانسان الذى كرمه الله بالعقل والوجدان .

ثم ذكر للتعليم بالقلم •• ومنه تعليم الانسان ما لم يكن يعلم .

ويتلوه قول الحق سبحانه قسما بأداة الكتابة والتعلم :

« ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ » (القلم : ١ ، ٢).

تنبيها لجليل شأن القلم وعظيم قدره وخطورة أمره وما يخط الانسان به ويسطره .

•• •• ••

فما ظنك برسالة أولها أمر متكرر بالقراءة يتلوه قسم بالقلم !

لاشك أنها رسالة علم •• بل هى كمال العلم ومنتهاه ، فالقرآن الكريم هو المعجزة الكبرى والخالدة لخاتم الأنبياء والمرسلين محمد (صلى الله عليه وسلم) النبى العربى الأمى ، فيه بيان كل شىء •• فهو دستور شامل للحياة الكريمة الشامخة •• يضع الأسس القوية الراسخة ويوضح المنهج القويم والعميق ويحدد المسار والدروب بدقة وجلاء لكل سبيل من سبل الحياة .

•• •• ••

والأمر فى معظم الآيات التى ذكرت فى القرآن الكريم بالنظر والتأمل فى خلق السموات والأرض وما فيهن هو أمر موجه للجنس البشرى كله أو للناس جميعا •• أمر بالبحث العلمى العميق والمتجرد من الكبر والهوى فتلك آفات النفس الانسانية والعقل البشرى ، وفى ذلك يقول الحق عز وجل عقب أمره بالقراءة وذكره للخلق والتعليم بالقلم .

« كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى • أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى» (العلق : ٦ ، ٧) .

ويشير الحق سبحانه الى أصحاب الكبر والهوى وسوء حالهم ومآلهم فيقول :

« سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِىَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى

(٢) عبد الله شحاته : تفسير الآيات الكونية — ط ١ — دار الاعتصام — القاهرة — ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م

الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (الاعراف : ١٤٦) •

« إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ » (يونس : ٩٦ ، ٩٧) •

« وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ • وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ • وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ • وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ » (يوسف : ١٠٣ — ١٠٦)

« أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا • أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا » (الفرقان : ٤٣ ، ٤٤) •

•• •• ••

العلم والعقل :

العلم — لغة — هو ادراك الشيء بحقيقته معرفة ويقينا •

والعقل هو تلك القوة المتهيئة لقبول العلم •

والفقه هو العلم بالشيء والفهم له والفطنة به ، وغلب على علم الدين لشرفه ، والفقه أخص من العلم •

والمعرفة هي ادراك الشيء بتفكير وتدبر لأثره وهي أخص من العلم وتستعمل في العلم القاصر المتوصل اليه بتفكر وتدبر •

والعلم على درجات وطرق أحدها ما وقع من عيان وهو البصر أو ما استند الى السمع أو ما استند الى التجربة أو ما أدرك بسائر الحواس أو بالباطن وهي الوجدانيات أو ما حصل بالفكر والاستنباط وان لم يكن تجربة (٣) • وسمي العقل عقلا لأنه يعقل (أي يمسك) صاحبه عما لا يحسن •

والنهى جمع النهية وهي العقل وسمي به لأنه ينهى عن القبيح وكل ما ينافي العقل ، واللب هو خالص كل شيء ويطلق على العقل الخالص من الشوائب أو ما ذكا من العقل ، والجمع ألباب (٤ ، ٥) •

•• •• ••

والعلم في القرآن ليس خاصا بعلم الشرائع والأحكام من الحلال والحرام ، وانما هو كل ما يوسع المدارك ويبصر الانسان بأمور الحياة، ويفيده توفيقا وقدرة على الاستفادة بكل ما خلق الله لاسعاد البشرية :

---

(٣) الفيروزابادي : بصائرذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز — ط المجلس الاعلى للشئون الاسلامية — ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م • (٤) الرازي : « مختار الصحاح » •
(٥) لويس معلوف : « المنجد » — ط ٩ — كانون اول ١٩٣٧ — بيروت •

فادراك طبيعة الأرض وما يحيي مواتها ويجعلها تنبت وتثمر علم مطلوب دراسته وتعلمه .

وما يصلح الحيوان ويسخره لخدمة الانسان واكتمال الانتفاع به علم يدعو القرآن الى تعرفه .

وطرق الكسب المشروعة لتحصيل المال واستثماره على الوجه الذى ينظم موارده ومصادره ويمنع التحكم فيه والاحتكار به ويزيل الحقد والغل من النفوس علم يجب التعرف عليه والتسلح به .

والتعرف على الصناعات بأنواعها التى تيسر للانسان سبل الحياة وتمكنه من الانتفاع بالقوى الكامنة فيما خلق الله علم مطلوب منا الوقوف عليه .

وما تحفظ به الأنفس من التهلكة بمقاومة الأمراض والعلل وطرق علاجها والوقاية منها علم يجب التزود به .

وكل ما يمكن اعداده من قوى ندفع الأذى والعدوان ونرهب به من تحدثه نفسه العبث بالأمن والسلام علم يجب التعرف عليه (٦) .

.. .. ..

وطرق العلم ووسائل ادراكه هى السمع والابصار والأفئدة ، لذلك كان العلم ومدركاته أكثر النعم وجوبا لشكر المنعم سبحانه وتعالى .. وفى ذلك يقول الحق :

« وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » (النحل : ٧٨)

« وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ » (المؤمنون:٧٨)

« ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ . ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ . ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ »

(السجدة : ٦ ــ ٩)

« قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ »

(الملك : ٢٣)

ولعل الحق عز وجل ينهانا عن اتباع ما ليس لنا به علم حاصل من تلك الطرق والوسائل فالمسئولية عظيمة وجسيمة وقد تكون الآية الكريمة مصداق ذلك ، قال سبحانه وتعالى :

« وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا »

(الاسراء : ٣٦)

وقد وضح القرآن والسنة المعالم الأساسية التى تقوم عليها هذه العقلية العلمية فيما يلى :

(٦) محمد سلام مدكور : « التعليم فى الاسلام » ماضيه وحاضره . من سلسلة بحوث المؤتمر العلمى الأول للتعليم الاسلامى ــ ط . المركز العلمى للتعليم الاسلامى ــ مكة المكرمة ، ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣ م .

١ ــ ألا تقبل دعوى بغير دليل جازم مهما يكن قائلها ويأتى الدليل عن طريق صحة الرواية وتوثيقها فى النقليات (.. **ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**) (الأحقاف : ٤) ، ويؤخذ عن المشاهدة أو التجربة فى الحسيات « **وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ** .. » (الزخرف : ١٩) ، وعن البرهان العقلى فى العقليات « .. **قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** » (النمل : ٦٤)

٢ ــ رفض الظن فى كل موضع يطلب فيه اليقين الجازم والعلم الواثق ، ولذا رد القرآن مزاعم المشركين فى آلهتهم بقوله : « .. **وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا** (النجم : ٢٨)

ورد مزاعم اليهود والنصارى فى صلب المسيح فقال : « .. **مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا** » (النساء : ١٥٧) . وجاء فى الحديث الصحيح : (اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث)(١) .

٣ ــ رفض العواطف والأهواء والاعتبارات الشخصية فان المطلوب فى العلم الحياد والموضوعية ، وحيث يكون التعامل مع طبائع الأشياء وقوانين الوجود أيا كانت نتائجها . يقول القرآن منكرا على المشركين : « .. **إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ** .. » (النجم : ٢٣) وقال فى خطاب داود : « **فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ** » (ص : ٢٦)

٤ ــ الثورة على الجمود والتقليد والتبعية الفكرية للآخرين ، سواء كانوا من الآباء والأجداد ، أم من السادة والكبراء ، أم من العامة والجماهير ، وفى القرآن انكار شديد على الذين يقولون (**بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا**) وهو رد عليهم بقوله « **أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ** » (البقرة : ١٧٠)

وفى الحديث أيضا تحذير من اتباع الجماهير وان كانوا على خطأ ، وادانة لعقلية من يرضى لنفسه أن يكون تابعا ، وقد خلقه الله سيدا .

« لا يكن أحدكم امعة » يقول : أنا مع الناس ان أحسنوا أحسنت وان أساؤوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا وان أساؤوا ألا تظلموا » . وهذا الموقف الأخلاقى الذى يتميز باستقلال الشخصية فى السلوك ، يدعو الى مثله فى الفكر أيضا (٧،٨) .

وفى ذلك كله حض على ضرورة التحرر العقلى والفكرى من قيد الاتباع المهين بغير دليل .. ومن أسر التقليد الأعمى بغير برهان .. ومن ذل الجمود الخانع للمعتاد والمألوف بغير حجة. ومن جرم القول أو الفعل ظنا أو زورا أو هوى بغير يقين .

يتبع

---

(٧) يوسف القرضاوى : « الرسول والعلم » ــ دار الصحوة .

(٨) عبد الحليم الجندى : « القرآن والمنهج العلمى المعاصر » ــ ط دار المعارف ــ القاهرة ، ١٤٠٤ هـ

قرحة المعدة وقرحة الاثنى عشر

Gastric And Duodenal Ulcer

تعتبر قرحة المعدة أقل حدوثا من قرحة الاثنى عشر ، إذ أن الأخيرة يكثر حدوثها فى الرجال عن النساء ، كذلك فإن معدل إفراز (حامض الأيدروكلوريك) يكون طبيعيا وقد يكون أقل من معدله الطبيعى عند مرضى قرحة المعدة لكنا نراه غزيراً عند المصابين بقرحة الاثنى عشر .

ولقد لوحظ انتشار قرحة المعدة Gastric ulcer بين الفئات الدنيا ، والطبقات الفقيرة ، والأوساط الشعبية من المجتمعات .

أعراض قرحة المعدة : ـ
Symptoms of Gastric Ulcer

---

١ ـ تبدأ أعراض قرحة المعدة بالألم الشديد يحدث بصفة متقطعة Interrmit- tent pain بين فينة وأخرى ويبلغ هذا الألم أقصى مداه بعد وجبات الغذاء بنصف ساعة إلى ساعة ونصف بعد الوجبة وعموما نلاحظ أنه من المتعذر على المريض أن يفرق بين طبيعة الألم الناجم عن قرحة المعدة والألم الناتج عن قرحة الاثنى عشر .

لكن المنتهى إليه المقطوع به هو زوال هذا الألم عند تناول الطعام أو تعاطى القلويات Alkalies ومضادات الحموضة Antacids كذلك أيضاً سرعان ما يختفى الألم بعد القىء مباشرة .

لكن استمرار الألم رغم تفاقم حدته فى أغلب الأحيان يلفت أنظار الأطباء إلى أمرين غاية فى الخطورة ومن غير المقبول أن يهمل الطبيب هاتين الملاحظتين : ـ

الأولى : ـ غَزْوُ القرحة للأنسجة المجاورة لها .

الثانية : ـ نفاذ القرحة للظهر .

---

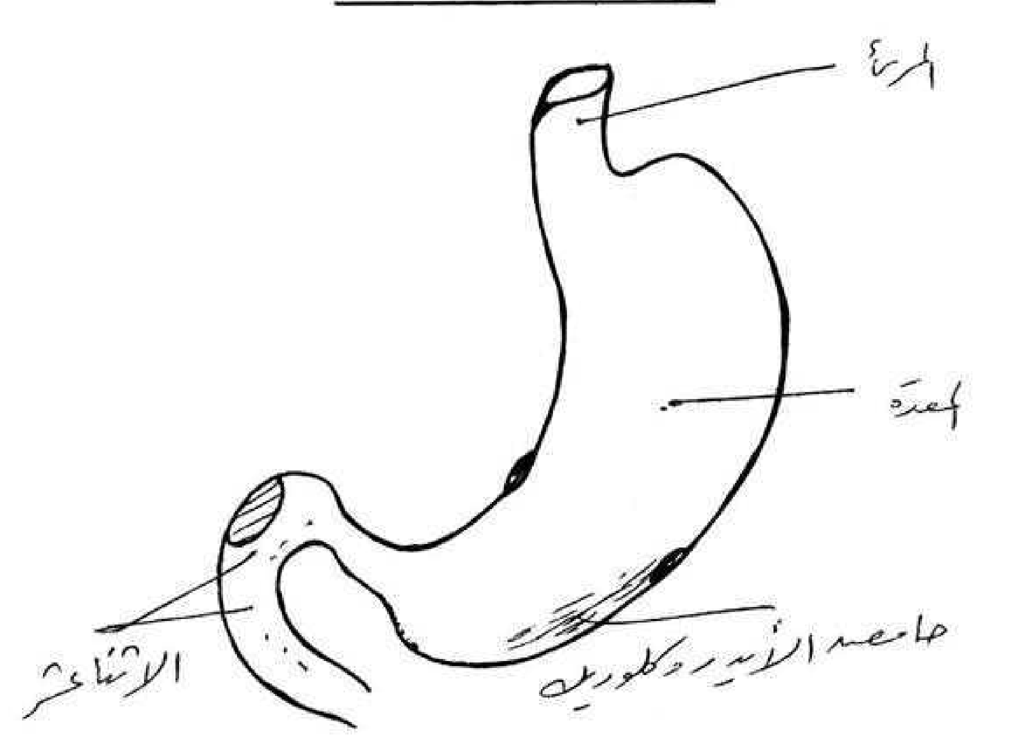
٢ ـ فقدان الشهية Anorexia

من السمات المميزة لمريض قرحة المعدة فقدان الشهية للأكل لأن المريض يشعر بالتوتر والقلق النفسى من ثم نراه عائفاً للطعام مما يؤدى إلى ضعف قوته فانحطاط مقدرته على العمل ويصيبه الْوَهَنُ[١] والخمول نتيجة نقص البروتينات Hypoproteinaemia ثم ينتهى به الأمر إلى التورم الشديد وهو المسمى بالاديما Oedema وهذه الحالة من الوهى والوهن والفتور تكثر فى مرضى قرحة الاثنى عشر عن قرحة المعدة .

القىء Vomitting :

القىء من مخايل وسمات قرحة المعدة ، وهو أكثر حدوثا وتكراراً فى المريض بقرحة المعدة عنه فى مريض قرحة الاثنى عشر والذى يعرفه الأطباء المتخصصون أن المريض

د. السيد الجميلي



الشاكى من كثرة القىء أو فقدان الشهية نادراً ما يلفت الأنظار إلى قرحة المعدة أو الاثنى عشر فى ابتداء المرض، بل لا يحدث كمال التشخيص للحالة إلا بعد أن تتطور القرحة ويصل المصاب بها إلى مرحلة حرجة خطيرة تنذر بالنزيف الشديد

Severe Haemorrhage

أو اختراق جدار المعدة

Stomach Wall Perforation

● ● ●

وحتى الآن لم يقف العلماء الأطباء الباحثون على وجه التحديد والحصر على سبب مباشر لقرحة الاثنى عشر، بيد أن نفراً من الدارسين قد وجدوا كثيراً من المرضى بها يعانون من الإفراط فى افراز البيسين Pepsin ولعل كثرة إفرازه تكون سبباً مانعاً لالتئام القرحة. كما وصلوا إلى أن المصابين ينقص افراز حامض المعدة Hcl Hydrochloric Acid لا يعانون من هذه القرحة ولا يمكن أن يعانوا.

وهذه الملاحظة ليست حدسا وظنونا

وتوهماً ، ولكنها تجارب علمية نيلت عليها درجات علمية .

من المقطوع به ، أن النساء اكثر مناعة من الرجال فى الاصابة بقرحة المعدة أو الاثنى عشر أو كليهما سيما إبان فترة الخصوبة ، وبعد انقطاع الطمث يعود معدل الاصابة إلى الازدياد . وقد عزى ذلك إلى أسباب هرمونية . وقد ثبت أيضاً بالدليل العلمى القوى أن الأشخاص الذين لديهم فصيلة الدم (و) (O) Blood group أكثر عرضة للقرحة عن سواهم .

بيد أن التوتر والقلق ، والانفعالات النفسية ، وتقلب المزاج جميعها لها أدوار مشهودة فى منع وتعطيل التئام هذه القروح بل زيادة خطرها .

كما لا يجب اغفال دور التدخين Smook-ing الذى يعتبر فعالا ومباشراً فى تأثيره .

أما ما يؤخذ فى الاعتبار وأعتقد أنه من الأمور البالغة الأهمية التى لها خطورتها وحيوتها وهى عادة مغفول عنها هى تعاطى المريض بعض العقاقير أو الأدوية من غير استشارة طبية أو نصيحة من معالجيه .

نأخذ مثلاً على ذلك مريض القرحة حينما يأخذ من نفسه بنفسه اقراص الأسبرين أو الكورتيزون أو هرمون الغدة جار الدرقية Para thyroid Hormone فإنه يضع نفسه ويزج بكليته إلى هلاك محقق ، ودمارلا مصرف له عنه .

● ● ●

ومرضى قرحة الاثنى عشر موسومون بالاضطراب العصبى والهزال ونقص الوزن لأنه يشعر بالألم الشديد عند الأكل والراحة التامة الشديدة فى الجوع على النقيض من مريض قرحة المعدة الذى يشعر بألم الجوع Hunger Pain إلى درجة بالغة ، لكنه يعانى من عنف الألم غير المحتمل عند الأكل ، وهذا يجعله يخاف أن يأكل ، بل شديد الخوف من الطعام وهذا هو سر الهزال الشديد والضعف المستمر الذى يكابده ويقاسيه ، ويشترك مريض قرحة المعدة وقرحة الاثنى عشر فى حدوث القىء المصحوب بالألم الشديد الذى سرعان ما يختفى بالقيىء ، وربما يكون هذا القىء نتيجة انسداد فتحة البواب Pyloric Obstruction

التشخيص والعلاج
Diagnosis And Treatment

يجب عرض المريض نفسه على الطبيب المعالج المتخصص الذى يأمره بعمل صور أشعة عادية ومصبوغة ، وقد يطلب منه أيضاً عمل مناظر مثل منظار المعدة Gastroscopy والمناظير الحديثة فى هذه الأيام قد تطورت تطوراً عظيماً جداً عن ذى قبل وأصبح فى امكانها تحديد القرحة ووصفها تماماً لأن الاخصائى يراها بالمعاينة . وغالبا ما يأمر الطبيب بتحليل عينة من العصير المعدى Gastric Juice Sample واستبانة درجة حموضته .

أما العلاج فينقسم إلى شقين : -

العلاج الباطنى Medical Treatment

والعلاج الجراحى Surgical Treatment

ويتم العلاج الباطنى باعطاء المريض مضادات الحموضة ، ومركبات البلادونا Belladonna ومن أحدث العقاقير المعالجة الآن تلك التى تضاد مستقبلات (أيون الأيدروجين) .
Hydrogen ion Receptor Antagonists .

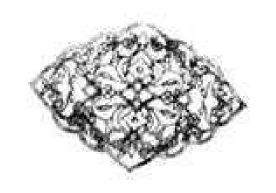
وقد أعطت نتائج طيبة فى كثير من الحالات الصعبة والنوبات الحرجة ، فضلاً عن تنظيم الغذاء بالقلويات والإكثار من اللبن الحليب .
أما العلاج الجراحى Surgical interference فلا يكون إلا بعد وقوع صعوبة الأعراض وشدتها وتفاقم الأزمات واطرادها ، أو ازدياد كميات الدم المسفوحة خلال عملية القىء فضلا عن ارهاق المريض بصورة مفزعة .

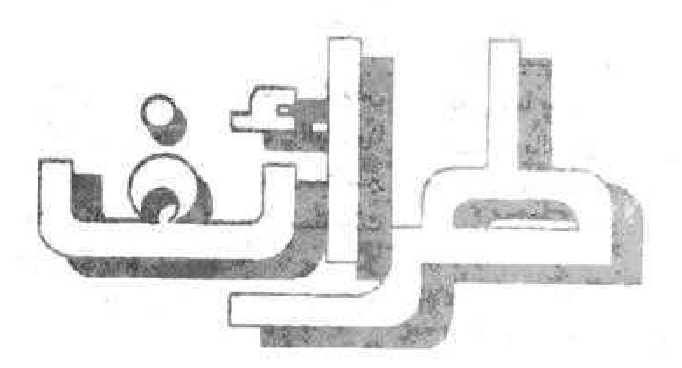
ملاحظـــــة : ـ

لوحظ أن العلاج الطويل المدى بالقلويات ومضادات الحموضة لمرضى القرحة لفترة طويلة يسبب ترسيبا لعنصر الكالسيوم فى الكلى مما يسبب تدميرا شديداً للكلى ينتهى فى النهاية بالفشل الكلوى الحاد أو المزمن .
Renal Failure due to nephro calcinosis.

لذلك نَنْصح أن يكون العلاج تحت الإشراف الطبى المباشر الذى لا يمكن أن يستغنى عنه المريض لحظة واحدة .

أخيراً وليس آخرا فإن مجرد شعور أى إنسان بالقىء الدموى لابد أن يختلف إلى الطبيب مباشرة لاستشارته وعرض الأمر عليه ، لأن كثيراً من الناس يأخذون الأمر بيسر وبساطة متوهمين أنها مجرد عوارض سوف تنجلى ، أو ربما يأخذون بعض الأدوية من غير استشارة فيزداد الطين بلة ، وتتعقد الأمور ، لذلك ننصح بالمسارعة والتعجيل بارجاع الأمر إلى ذويه من المتخصصين حتى نأمن غائلة المرض . والله المستعان .





« هكذا فاصنعوا »

قيل لسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ فلان يتابع الشراب ، فكتب إليه : « انى احمد إليك الله الذى لا إله إلا هو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير » .

فلم يزل الرجل يرددها ويبكى حتى صحت توبته ، وبلغت توبته سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ .

فقال لمن حضروا مجلسه : هكذا فاصنعوا ؛ إذا رايتم اخا لكم قد زل فسددوه ووفقوه ، وادعوا الله ان يتوب عليه ، ولا تكونوا اعوانا للشيطان عليه .

مراتب الخوف

قال أبو علي الدقاق : الخوف على مراتب ؛

الخوف والخشية والهيبة :...................

فالخوف من شرط الإيمان وقضيته ، قال ـ تعالى : ـ « وَخافونِ إن كنتمْ مُؤْمِنِين » .

والخشية من شرط العلم ، قال الله ـ تعالى : ـ « إنما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » .

والهيبة من شرط المعرفة ، قال ـ تعالى ـ : « وَيُحَذِّرُكُمُ الله نَفْسَهُ » .

« تمام التقوى »

قال أبو الدرداء ـ رضى الله عنه :

تمام التقوى : أن يتقى اللهَ العبدُ ، حتى يتقيه من مثقال ذرة وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما ـ حجابا بينه وبين الحرام .

إعداد :

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم



« نصيحة »

دخل أحد الأمراء على أمه وهو يبكى بعد أن سقطت إمارته فى يد الأعداء .

فقالت له أمه :

يابنى إن الملك الذى يبكى عليه أصحابه لا يعود ؛ إنما يعود الملك الذى يقاتل عنه أصحابه .

« قالوا .. »

● من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أعمى الله عين قلبه .

● إذا بلغك من أخيك ما تكره فاطلب له من عذر إلى سبعين عذرا ، فإن لم تجد له عذرا فقل : لعل له عذرا لا أعرفه .

● من طلب العزة بطاعة الله رفعه الله وأعزه، ومن طلبها بمعصيته وضعه الله وأذله .

● لا يكن أفضل ما نلت من دنياك : بلوغ لذة ، أو شفاء غيظ ، ولكن إطفاء باطل وإحياء حق .

● إذا زللت فارجع ، وإذا ندمت فاقلع ، وإذا جهلت فاسأل ، وإذا غضبت فامسك .

« حذار حذار من فتكى وبطشى »

دع الدنيا الدنية مع بنيها
وطلقها الثلاث وكن نبيها
ألا يكفيك ما قد قيل فيها
هى الدنيا تقول بملء فيها
« حذار حذار من فتكى وبطشى »

« دعاء »

اللهم اجعل خير عملى ما قارب أجلى ، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا فنعجز ، ولا إلى الناس فنضيع .



من هو الولي ؟

للأستاذ الشيخ أحمد قطب

من هو الولى ؟ سؤال تحتاج الاجابة عنه الى وعى علمى ، وحس ثقافى وعقلية توازن بين التحديد الاسلامى للولى والخروج بهـذه الصفة الى غير ما أراد الله لها ومنها .

اننا فى حاجة الى رد الامور الى نصابها وتوضيح هذه الخاصية الالهية توضيحا يرد للبسطاء رشدهم ، ويضع أيديهم على حقيقة « الولى » كيلا تختلط الأمور لديهم فيصبحوا فى حيرة وبلبلة .

قال الاستاذ : رحمه الله :

من هو الولى ؟

يتساءل كثير من الناس عن حقيقة الولى ومميزاته ، ويحارون فى معرفة ذلك حين يرون أو يسمعون أن بعض الأشخاص يلزم بيته ، فلا يخرج لصلاة ، ولا يؤدى عبادة ، ومع ذلك يجد من يعتقد فيه الولاية ، ويتبرك به ، ويستشفى بزيارته ، ويستنبئه عن المغيبات ومايجرى به القدر من الوقائع والحوادث ، ثم يتأول عدم صلاته بأن له أحوالا خاصة تسقط عنه الفرائض ، أو يزعم أنه يصلى عند البيت الحرام ثم يعود من غير أن يشعر به أحد .

ولقد يكثر الجدل عندنا فى مثل هذه المسائل، ويشتد النزاع عليها ، ثم لايصل المتنازعون الى نتيجة حاسمة ، أو غاية واضحة ، تقضى على أسباب النزاع ، وتزيل ما شجر من خلاف، ولو أنهم اذ يتنازعون يرجعون الى قول الله ورسوله ، ويرضون به حكما ، لخلصوا أنفسهم من الحيرة ، واهتدوا بعد الضلال ، وظهر لهم الحق واضحا لا لبس فيه ولا إبهام : « **فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** » .

وها نحن الآن نقرر المسألة التى نحن بصددها مستندين فيما نقرر الى مانطق به الكتاب العزيز ، وماورد عن الصادق المعصوم صلوات الله وسلامه عليه ، وما روى عن بعض الصوفية ، ليعلم هؤلاء الأدعياء حظهم من الدين ، والى أى حد جنوا على صلتهم بأسلافهم



إعداد: عبد الفتاح حسين الزيات

وابتعدوا عن هديهم وطريقهم ، فنقول وبالله التوفيق :

قال الله تعالى : « أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ • الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ • لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » • فمن هذه الآيات ، نتبين أن الولى هو الذى جمع الى الايمان الكامل التقوى الدائمة المتصلة ، ومن هنا قالوا : انما سمى الولى وليا ، لأن الله قد تولاه بالمعونة والنصر ، والتأييد والحفظ ، أو لأنه قد والى بين طاعات الله ، وواصل بين أعمال البر والخير ، فلم يفعل من المعاصي والشرور مايقطع تلك الحلقات المتصلة المتوالية •

واذا كانت الولاية الحقة تعتمد أمرين : الايمان الكامل ، والتقوى الدائمة ، فقد تكفل القرآن الكريم ببيانهما وشرحهما فى غير آية ، اقرأ قوله تعالى : « الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ • الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ • أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » • وقوله جل شأنه : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ • الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ • أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ » • واتل ان شئت « إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ • آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ • كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ • وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ • وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ » ذلك من الآيات ، وهى كثيرة ، وكلها ناطقة بأن الايمان لا يتم ، والتقوى لا تتحقق — وهما حقيقة الولاية — الا باقامة الفرائض ، والمحافظة على الشعائر ، والسبق الى الخيرات والتزام الحدود •

ويحدثنا البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى قال : من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب الى عبدى بشىء أحب الى مما افترضته عليه ، ولايزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأعطيته ، ولئن استعاذنى لأعيذنه » • فالحديث يبين أن أولياء الله هم الذين يتقربون اليه بما فرض من فرائض ، وشرع من واجبات ، ثم يرقون من ذلك الى الاستزادة من فعل النوافل والمندوبات لتصفو نفوسهم ، وتستنير قلوبهم ، فمن كان كذلك قربه الله اليه ، وأدناه من حضرته ، ورقاه الى درجة الاحسان ، فعبد الله على الحضور والمراقبة كأنه يراه فيمتلىء قلبه بمعرفة الله ومحبته ، وتعظيمه واجلاله ومهابته ، والأنس به والشوق اليه ، ومتى امتلأ القلب بذلك ،

محا عنه كل ماسواه ، ولم يبق للعبد شيء من نفسه وهواه ، فلا ارادة له الا ما يريده منه مولاه ، وحينئذ لاينطق الا بذكره ، ولايتحرك الا بأمره فان نطق نطق بالله ، وان سمع سمع بالله ، وان نظر نظر به ، وان بطش بطش به ، فلا تنبعث الجوارح الا بالطاعة ، ولا يصدر عنها الا ما يرضى الله • والحديث يبين بعد أن من نتائج تلك المحبة أن العبد اذا سأل الله شيئا أعطاه اياه ، واذا استعاذ به من شيء أعاذه منه ، وان دعا أجابه لمنزلته منه ، وكرامته عليه •

وفى مسند الامام أحمد من حديث عمر رضى الله عنه : « ان من عباد الله ناسا ماهم بأنبياء ولاشهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء بمكانهم من الله تعالى ، قالوا : يارسول الله من هم قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها ، فوالله انوجوههم لنور ، وانهم لعلى منابر من نور ، ولا يخافون اذا خاف الناس ، ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم تلا هذه الآية « أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » • والحديث يصف لنا الأولياء ببعض مميزاتهم وأوصافهم ، وأنهم يتحابون فى الله ، ويجتمعون على طاعة الله ، من غير أن تكون بينهم أرحام أو أنساب تربطهم ، ومن غير أن تكون لهم أغراض دنيوية تجمعهم •

وروى البزار من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رجل : يارسول الله من أولياء الله ؟ قال : « الذين اذا رءوا ذكر الله » أى أن لهم من حسن السمت فى الطاعة وآثار الصلاح ومظاهر التقوى ، وعلامات الخضوع والاخبات والانابة ، مايذكر الناس بربهم ، ويحملهم على التأسى بهم ، والاقتداء بأفعالهم •

فهذا بعض مما نطق به القرآن ، وجاءت به الأحاديث فى بيان الأولياء وشرح مميزاتهم وخصائصهم ، فمن تحقق بها وكمل بها نفسه، فقد صار فى زمرتهم ، وليس بلازم أن يخرق الله له العادات ، أو يظهر على يديه من الكرامات ما هو غير معهود ومألوف (كالمشى فى الهواء ، والمشى على الماء والاخبار بالمغيبات) مما يرى بعض العامة أنه ضرورى للولاية • وحسبه كرامة عناية الله به ، ورعايته له ، ومحبته اياه ووقايته من الفتن والشهوات ، وحفظه من المعاصى والمنكرات ، حسبه أن الله وليه وناصره ومعينه ومسدده ، وأنه سميع لدعائه ، مجيب لندائه ، محارب من يعاديه ويؤذيه ، موال من يحبه ويواليه •

فأين مما ذكرنا أولئك الذين يدعون الولاية ويحترفون بها ؟ هل يعرف الدين أن الولاية حرفة وباب رزق يدر على الولى الأموال الطائلة من الجهلة والبسطاء •

وهل تتفق الولاية مع هذا الجشع والاحتيال على الدهماء •

ولماذا لاتنفح النفحات ولاتمنح البركات الا بالنقود يبذلها السفهاء •

وهل تبقى ولاية لمن يسأل الناس ويتكففهم بعد قول امام الأنبياء وسيد الأولياء وصفوة الأتقياء صلوات الله وسلامه عليه : « لأن يأخذ أحدكم أحبله فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه ، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه » ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « لا تزال المسألة بأحدكم

حتى يلقى الله تعالى وليس فى وجهه مزعة من لحم » ؟

لكن القوم - عافاهم الله - يدعون أن لهم أحوالا تغاير أحوال الشريعة ، وأن الشريعة شيء والحقيقة شيء آخر ، فعملهم خاضع للحقيقة وان أنكرته الشريعة ، لذلك يبيحون لأنفسهم أن يسألوا غير الله ، ويحتالوا على جمع المال بشتى الوسائل والأساليب ، فيجلس أحدهم فى بيته فيأتيه الأغرار للاستشفاء وقضاء الحاجات وتفريج الكربات ، وتزويج الأيامى وتوظيف العاطلين الى آخره ، وليس عليهم بعد ذلك من حرج اذا تركوا الصلاة والصوم وهجروا شعائر الدين ، واختلوا بالنساء ، ما داموا قد تحللوا من قيود الشرع وصارت لهم أحكام خاصة بهم • ومن العجيب أن هذه الدعوى الفاسدة لاتزال تجد عقولا تصدقها وتخدع بها ، ولاتزال تجد من يروج لها من العامة وأشباه المتعلمين ، وهى تتصل الى حد كبير بما أدخل على طرق المتصوفة فى زماننا من الأحداث والبدع المنافية للدين •

فقد كان الغرض الأسمى من التصوف عند السلف الصالح ، هو رياضة النفوس وتهذيبها، ومعالجة أمراض القلوب واصلاحها ، والأخذ بعزائم الأمور ، والزهادة فى متاع الغرور ، كل ذلك على ضوء كتاب الله وسنة رسوله ، كما يعلم ذلك من تتبع أحوالهم ، ودرس تراجمهم، واطلع على مؤلفاتهم ، وقرأ مالهم من الحكم الجليلة والمواعظ المفيدة ، ورأى أنهم كانوا على علم بالدين أضافوا اليه الاخلاص فى العمل به، والسير على منهجه ، فكان لهم بذلك أثر طيب فى تهذيب النفوس وارشادها ، وهدايتها من ضلالها ، وكانت لهم جولات صادقة فى الدعوة الى الله ، ومجتمعات حافلة للتذكير والارشاد أنجبت كبار الوعاظ والزهاد •

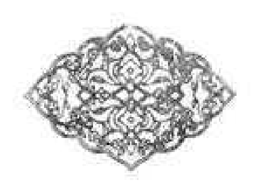
أما اليوم فقد أصبحت الطرق - الا ماعصم ربك - وسائل لكسب العيش، وفرض الضرائب والاتاوات ، وأسندت شئونها لكثير ممن يجهل الضروريات من دينه ، ولا يعرف السنة من البدعة ، ولا يدرى متى تصح العبادة ومتى تبطل ، ولا يستطيع أن يعالج قلبه من مرض العجب والحسد وحب الشهرة والصيت : فلا الشريعة درسها ، ولا الحقيقة عرفها • أصبح التصدى لارشاد الناس بدعوى التصوف ميسورا لكل أمى جاهل ، لا يعرف صفات ربه ، ولاسيرة نبيه ، فيبتدعون فى الأذكار ما تمليه أهواؤهم ، وتحسنه شهواتهم ، ولا تسل عن تحريف فى أسماء الله وتمايل ورقص ، وصفير وضرب بالدف ، وغير ذلك من كل ما يخالف الآداب ، ويبرأ منه سلفهم الأولون • وليس من شك فى أنه كان لهذا أثره السيىء فى قلب الأوضاع وانعكاس الأفهام ، وظهور بعض من رجال الطرق بمظهر الولاية الزائفة ، والصلاح المصطنع الذى لايرتكز على أساس من الدين ، ولا يمت بسبب الى صفات المتقين •

قال سيد الطائفة الجنيد رضى الله عنه : الطرق كلها مسدودة الا على من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام • وقال أيضا : من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ، لا يقتدى به فى هذا العلم ، لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة • وقال أبو الحسين الثورى : من رأيته يدعى مع الله حالا تخرجه عن حد العلم الشرعى فلا تقربه ، ومن رأيته يدعى

مع الله حالة لا يشهد لها حفظ ظاهره فاتهمه على دينه .

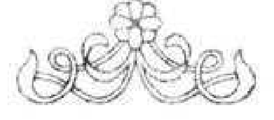
والنتيجة اذن أنه لا يجوز لأحد أن يعتقد الولاية فى شخص لا توافق أعماله ما جاءت به الشريعة ، على نحو ما فصلناه . أما دعوى الصلاة فى مكة ، فهى دعوى لايقام لها وزن ولا يلتفت اليها ، كما أن الدراويش والمجاذيب لاتثبت لهم الولاية من أجل (دروشتهم وانجذابهم) اذا كانوا فى ذهول حقيقى قد أثر على عقولهم ، فأصبحوا لايدركون ماحولهم ، ولكنهم اصطنعوه للتمويه على الناس ثقة منهم بان هذا هو السبيل الذى به تعتقد ولايتهم ، لما وقر فى نفوس العامة من أن هذا المظهر من دلائل الولاية وعلامات البركة ، كأن الولاية وقف على كل أبله (عبيط) يلقى الكلام جزافا، وينطق بالالغاز والعبارات التى لايفهم لها معنى ، ولا يدرك لها مغزى ، ويلبس المرقعات ويمشى فى الأسواق حاف القدمين مكشوف الرأس عارى الجسم . اللهم ان الحق أبلج ، والطريق واضح ، والسبيل نير ، ولكن أكثر الناس يجهلون ، فهل آن لهم أن يسلكوا الطريق المستقيم ، وأن يعتمدوا فى آرائهم وأعمالهم على مانزل به الذكر الحكيم ، وأن يستمدوا معلوماتهم من هدى الرسول الكريم ؟ « **يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ . قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** » .

رزقنا الله محبته ومحبة أوليائه ، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب .

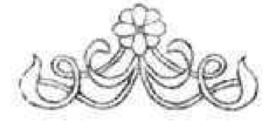


لغة وأدب ونقد

سر الكلمة في القرآن الكريم



وقفات على شاطئ آية



أنباء وآراء



٢

سر الكلمة فى القرآن الكريم :

لله جل شأنه سر فى كل حرف ولفظ فى كتابه ، فتارة يقدم كلمة على كلمة فى آية ، وفى آية أخرى يؤخرها ، نحو قوله تعالى فى سورة البقرة ١٤٣ : « وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » ، وفى سورة الحج ٧٨ يقول عز وجل : « لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ » وكقوله تعالى فى سورة القصص ٢٠ : « وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى » وفى سورة يس ٢٠ يقول جل وعلا : « وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى » .

وتارة يزيد حرفا فى موضع وينقصه فى موضع آخر نحو قوله تعالى فى سورة يوسف ١٠٩ « وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ » وفى سورة الأنبياء ٧ يقول عز وجل : « وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ » وكقوله تعالى فى سورة النحل ٦٥ : « فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا » وفى سورة العنكبوت ٦٣ يقول الله تعالى : « فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا » .

وتارة يُنَكِّرُ كلمة فى آية ، ويعرِّفها فى آية أخرى ، نحو قوله تعالى فى سورة البقرة ١٢٦ « وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا » وفى سورة إبراهيم ٣٥ قال تعالى : « وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا » .

وتارة يغيِّر حرفا عن حرف كقوله تعالى فى آية البقرة ٣٥ : « وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا » وفى الأعراف الآية ١٩ يقول جل وعلا : « وَيَاآدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا » ومنه قوله تعالى فى آية البقرة ١٣٦ : « وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا » وفى آية آل عمران ٨٤ يقول عز وجل : « وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا » وكقوله

د. سهير محمد خليفة

تعالى فى آية الأعراف ١٢٣ « آمَنتُم بِهِ » وفى آية طه ٧١ يقول تعالى « آمَنتُمْ لَهُ »[1] .

ونقل السيوطى عن البارزى قال :

اعلم أن المعنى الواحد قد يخبر عنه بألفاظ بعضها أحسن من بعض ، وكذلك كل واحد من جزاى الجملة قد يعبر عنه بأفطع ما يلائم الجزء الآخر ، ولا بد من استحضار جميع ما يلائمها من الألفاظ ثم استعمال أنسبها وافصحها ، واستحضار هذا متعذر على البشر فى أكثر الأحوال . وذلك عتيد حاصل فى علم الله . فلذلك كان القرآن أحسن الحديث وافصحه ، وإن كان مشتملا على الفصيح والأفصح ، والمليح والأملح ، لذلك أمثلة منها : ... قوله تعالى فى سورة العنكبوت آية ٤٨ : « وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ » أحسن من التعبير بـ : تقرأ ، لثقله بالهمزة ومنها قوله تعالى فى سورة البقرة آية ٢ : « لَا رَيْبَ فِيه » أحسن من « لا شك فيه » لثقل

الادغام ، لهذا كثر ذكر الريب . ومنها « ولا تهنوا » أحسن من « ولا تضعفوا » لخفته ، و« وهن العظم منى » أحسن من « ضعف » لأن الفتحة أخف من الضمة ، ومنها « آثرك الله » أخف من « فضلك » ... و« أنذر » أخف من « خوف » .. و« نكح » أخف من « تزوج » لأن فَعَلَ أخف من تَفَعَّلَ ، لهذا كان ذكر النكاح فيه أكثر ..

فهل يكون سر الاعجاز فى النص القرآنى أنه سبحانه وتعالى استعمل لفظة مكان لفظة لخفتها او عدم إدغامها ، أو أن الفتحة أخف من الضمة ، أو أن فَعَلَ أخف من تَفعَّل ، دون ملحظ من المعنى فى استعمال لفظ دون آخر ؟

لو تدبرنا على سبيل المثال لا الحصر بعض الألفاظ القرآنية التى قال عنها علماء اللغة . إنها استعملت أكثر من غيرها لخفتها أو .. أو .. لهدى الاستقرار والتدبر إلى ملاحظة معنوية لا يقوم لفظ فيها مقام آخر .

الريب والشك

من ذلك قولهم : إن « لا ريب » أحسن من « لا شك » ، ولثقل الادغام فى الثانية كثر استعمال الأولى .

فالجوهرى فى « الصحاح » : مادة : « ريب » قال : الريب : الشك ، والاسم : الريبة بالكسر وهى التهمة والشك ، وارتاب فيه أى : شك . وجاء فى « القاموس » وارتاب : شك وبه تهمة .

وكذلك ذهب ابن منظور فى « لسان العرب » إلى أن قوله تعالى : « لَا رَيْبَ فِيهِ » بمعنى : لا شك فيه . فلا يبدو تفرقة بين الشك والريب والتهمة .

والذى فى « مفردات القرآن » أن الريب :

---

(١) انظر البرهان فى علوم القران ١/١١٢ : ١٣٢

الأمر الذى لا شبهة فيه . أو أن تتوهم بالشىء أمرا فينكشف عما تتوهمه(٢) .

وكذلك فرق أبو هلال العسكرى بين الشك والارتياب ، بأن الارتياب شك مع تهمة ، والشاهد أنك تقول : إنى شاك اليوم فى المطر ، ولا يجوز أن تقول : إنى مرتاب بفلان إذا شككت فى أمره واتهمته(٣) .

والجوهرى فى مادة « شكّ » لم يقل إن الشك هو الريب ، بل الشك عنده : خلاف اليقين .

ومثله فى « القاموس » مادة « شك » : الشك : نقيض اليقين ، واستواء طرق التجويز . وقيل : اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما ، وذلك قد يكون لوجود امارتين متساويتين عند النقيضين ، أو لعدم الامارة فيهما .

والشك ربما كان فى الشىء هل هو موجود أو غير موجود ؟ وربما كان فى جنسه ، من أى جنس هو ؟ وربما كان فى بعض صفاته ، وربما كان فى الغرض الذى لأجله أوجد .

والشك ضرب من الجهل . وهو أخص منه ، لأن الجهل قد يكون عدم العلم بالنقيضين رأسا ، فكل شك جهل ، وليس كل جهل شكا . واشتقاقه إما من شككت الشىء أى خرقته .. فكأن الشك : الخرق فى الشىء ، وكونه بحيث لا يجد الرأى مستقر يثبت فيه ويعتمد عليه .

ويصح أن يكون مستعارا من الشك ، وهو لصوق العضد بالجنب ، وذلك أن يتلاصق النقيضان فلا مدخل للفهم والرأى لتخلل ما بينهما ، ويشهد لهذا قولهم : التبس الأمر واختلط ، وأشكل ، ونحو ذلك من الاستعارات(٤) .

ولو تدبرنا الاستعمال القرآنى لكلمتى « ريب » و« شك » وجدنا أن الكلمة الأولى لا تخرج عن الأمر الذى لا شبهة فيه ، ولم تخرج عن أن المرتاب فيه : القرآن الكريم ، أو يوم القيامة والبعث والساعة وتحديد الأجل(٥).

وأما « لاشك فيه » فالآيات التى وردت فيها موجهة إلى الكفار فيما عدا آية يونس ٩٤ فهى خطاب للنبى صلى الله عليه وسلّم : « فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ . »

قيل : الظاهر أن « إن » شرطية تقتضى تعليق شىء على شىء ، ولا تستلزم تحتم وقوعه ، ولا إمكانه . بل قد يكون فى المستحيل عقلاً ، كقوله تعالى : « قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ . » ويستحيل أن يكون له ولد ، فكذلك يستحيل أن يكون عليه السلام فى شك . فهذه الآية من ذلك .

وقيل : « إن » نافية ، وقيل : الخطاب لغير الرسول عليه السلام ، وقيل : معنى شك : فى ضيق ، ولا يراد به حقيقة الشك ، وهو

(٢) مفردات القرآن للراغب الاصفهانى مادة « ريب » .

(٣) الفروق اللغوية ص ٨٠ .

(٤) المفردات فى غريب القرآن مادة « شك »

(٥) انظر آيات البقرة ٢،٢٣، آل عمران ٩،٢٥، النساء ٨٧، الأنعام ١٢ ويونس ٣٧، والاسراء ٩٩، الكهف ٢١، الحج ٥،٧، السجدة ٢، غافر ٥٩، الشورى ٧، الجاثية ٢٦،٣٢، الطور ٣٠

تساوى الجائزين ، وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لا أشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق »[٦]

وبهذا الفرق يُردّ على من ذهب من اللغويين أو المفسرين الذين يفسرون قوله تعالى : « لا ريب » بـ : « لاشك » على ما رأينا من اختلاف فى الدلالة اللغوية لاستعمال كل من الكلمتين بما يبعد القول بترادفهما ، كما يبعده الاختلاف الظاهر فى الاستعمال القرآنى للكلمتين .

ومما يؤكد عدم ترادف الشك والريب قوله عز وجل :
« وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ . » هود ٦٢ ، وانظر الآية فى « إبراهيم » وقوله عز وجل « وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ » هود ١١٠ وانظر الآية فى فصلت ٤٥ وسبأ ٥٤ ، الشورى ١٤ .

فلا يوصف الشك بمريب إذا كان هو . هو .

تلا وقرأ

عن علماء اللغة والمفسرين أن القرآن الكريم قد يخبر عن المعنى الواحد بألفاظ بعضها أحسن من بعض ، وذلك نحو قوله تعالى : « وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ . » العنكبوت ٤٨ ، أحسن من التعبير بـ : تقرأ لثقله بالهمزة[٧] .

وإذا رجعنا إلى المعنى اللغوى لكلمتى : تتلو وتقرأ ، وجدنا أن التلاوة معناها المتابعة ، وتكون تارة بالجسم وتارة بالاقتداء فى الحكم ، وتارة بالقراءة أو تدبر المعنى ، ومصدره تلاوة .

ومن التلاوة بمعنى الاتباع آية الشمس ، « وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا » .

والفعل : تلا يتلو تلوًّا : تبع ، ومنه جاء تِلْو فلان ، وجاءوا على التوالى . وأما تلا : قرأ فالمصدر تلاوة .

ومن ملاحظ الاستقراء أن « تلا » بمعنى تبع لم تأت إلا فى آية الشمس .

على حين كثر مجيئها من التلاوة : فعلاً ماضياً ، ومضارعاً ، وأمراً . فيما يقرب من خمسين مرة . مما يؤنس إلى أن العربية لا تتصرف فى « تلا : تبع » بمثل السعة والوفرة ، لا : تلا : قرأ . وإن كان المتابعة أصلاً للمادة .

ويغلب أن تختص التلاوة فى القرآن الكريم باتباع كتب الله المنزلة تارة بالقراءة ، وتارة باتباع ما فيها من أمر ونهى وترغيب وترهيب ، أو ما يتوهم فيه ذلك .

قال الراغب : وهو أخص من القراءة ، فكل تلاوة قراءة وليس كل قراءة تلاوة . ولا يقال : تلوت رقعتك ، وإنما يقال فى القرآن فى شىء إذا قرأته وجب عليك اتباعه .

« وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا » الانفال ٣١ ، « تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ » آل عمران ١٠٨ .

وأما قوله تعالى : « يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ » البقرة ١٢١ ، فاتباع له بالعلم والعمل . وقوله تعالى : « وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ »

(٦) البحر المحيط ١٩٠/٥

(٧) الاتقان فى علوم القرآن ١٥٩/٢

البقرة ١٠٢ استعمل فيها لفظ التلاوة لما كان يزعم الشياطين أن ما يتلونه من كتب الله[٨].

وأما القراءة فهى الجمع ، يقال : قرأت الشيء قرآنا : جمعته ، وضممت بعضه إلى بعض .

قيل : وسمى القرآن قرآنا : لأنه جمع القصص والأمر والنهى والوعد والوعيد ، والآيات والسور بعضها إلى بعض .

فالقراءة إذاً كما عرفها الراغب الأصفهانى : ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض فى الترتيل ، وليس يقال ذلك لكل جمع ، لا يقال : قرأت القوم إذا جمعتهم . ويدل على ذلك أنه لا يقال للحرف الواحد إذا تفوّه به : قراءة . قال تعالى فى آية النحل ٩٨ « فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » وقال تعالى فى آيتى القيامة ١٧ ، ١٨ « إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ . فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ » .

ونقل الراغب عن ابن عباس أنه قال : إذا جمعناه وأثبتناه فى صدرك فاعمل به . وقد خص بالكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فصار له كالعلم ..

وعن بعض العلماء : تسمية هذا الكتاب قرآناً من بين كتب الله لكونه جامعاً لثمرة كتبه ، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم كما أشار تعالى إليه بقوله : « وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ . » وقوله عز وجل : « تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ . » وقوله تعالى : « قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ . » « وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ »[٩]

وعند أبى هلال العسكرى أن الفرق بين القراءة والتلاوة ، أن التلاوة : لا تكون إلا لكلمتين فصاعداً ، والقراءة تكون للكلمة الواحدة ، يقال . قرأ فلان اسمه ، ولا يقال : تلا اسمه ، وذلك أن أصل التلاوة : اتباع الشيء الشيء ، يقال : تلاه إذا تبعه ، فتكون التلاوة فى الكلمات يتبع بعضها بعضاً ، ولا تكون فى الكلمة الواحدة ، إذ لا يصح فيه التلو[١٠].

أنذر وخوف

قال بعض العلماء : إن القرآن الكريم استعمل كلمة « أنذر » أكثر من « خوّف » لأن الأولى أخف من الثانية ، ولم يلحظوا الفرق فى الدلالة بين الكلمتين ، وكلتاهما من الألفاظ القرآنية .

ومن اللغويين من فسر أنذر بمعنى خوّف[١١].

ويهدى التدبر إلى فرق فى الدلالة بينهما :

الإنذار : إخبار فيه تخويف ، كما إن التبشير أخبار فيه سرور ، قال تعالى فى آية الليل ١٤ « فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى » .

وقال عز وجل فى آية فصلت ١٣ « أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ »وقال تعالى فى آية الأحقاف « وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ » وفى آية الشورى ٧ ، « لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ »وقال عز

---

(٨) المفردات : تلا

(٩) مفردات الراغب : مادة قرأ

(١١) انظر لسان العرب مادة نذر

(١٠) الفروق اللغوية صـ ٤٨

من قائل فى آية يس ٦ « لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ » .

ونقيضه : البشرى ، على أن القرآن الكريم قد يستعمل البشرى فى سياق النذير ، مبالغة فى الوعيد ، كقوله عز وجل فى آية لقمان ٧ ، والجاثية ٨ « فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ »وقوله عز وجل فى آل عمران ٢١ والتوبة ٣٤ والانشقاق ٢٤ « فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » .

وأما الخوف : فهو توقع مكروه عن إمارة مظنونة أو معلومة ، كما أن الرجاء والطمع : توقع محبوب عن إمارة مظنونة أو معلومة .

ويضاد الخوف : الأمن ، ويستعمل ذلك فى الأمور الدنيوية والأخروية ، قال تعالى فى آية الاسراء ٥٧ « وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ » .

وقوله تعالى فى آية الأنعام ٨١ فى خبر إبراهيم عليه السلام وقومه : « وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ » .

وقال عز وجل فى آية السجدة ١٦ « تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا » وقوله تعالى فى آية النساء ٣ « وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا » وقوله تعالى فى آية النساء ٣٥ « وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا » .

وقد فُسِّر ذلك بـ : عرفتم ، حكاه الراغب قال : وإن وقع لكم خوف من ذلك لمعرفتكم .

والخوف من الله لايراد به ما يخطر بالبال من الرعب كاستشعار الخوف من الأسد ، بل إنما يراد به الكف عن المعاصى ، وتحرى الطاعات ، ولذلك قيل : لايعد خائفا من لم يكن للذنوب تاركا ، والتخويف من الله تعالى هو الحث على التحرز ، وعلى ذلك قوله تعالى فى آية الزمر ١٦ « ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ » .

ونهى الله تعالى عن مخافة الشيطان والمبالاة بتخويفه فقال تعالى فى آية آل عمران ١٧٥ : « إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ » . اى : فلا تأتمروا الشيطان وائتمروا لله »[١٢] .

من تدبر ايات الانذار والخوف نهتدى إلى أن الانذار يكون وعيدا من الله تعالى ، وبلاغا من الرسل عليهم السلام بالوعيد ، ويأتى من الجبابرة غرورا وطغيانا .

وأما الخوف فلا يسند إلى ذى الجلال والإكرام ، ويكون من الصفوة الرسل والمؤمنين ، خشوعا وتقوى ، والتخويف تحذير يرجى أن يجدى .

وهذا الفرق بين أنذر وخوَّف يجعلنا لا نطمئن إلى القول بأن انذر فى القرآن تأتى بمعنى خوَّف ، أو أن انذر تستعمل بدلا من خوَّف لخفة الأولى وثقل الثانية ، أو لترادف معنيهما .

نكح وتزوّج

قيل[١٣] : إن القرآن الكريم استعمل كلمة « نكح » اكثر من « تزوّج » ، لأن فَعَل أخف من تفعَّل ، ولهذا كان ذكر النكاح أكثر . كما أن من علماء اللغة من فسر إحداهما بالأخرى .

فقال ابن منظور : تزوّج فى بنى فلان : نكح فيهم . « اللسان مادة : زوج » .

« ١٢ » مفردات الراغب : خوف

« ١٣ » انظر الاتقان فى علوم القرآن ٢ / ١٥٩

والذى فى مفردات الراغب . ومعنى الزوج : الفرد الذى له قرين . أى كل واحد من القرينين من الذكر والأنثى فى الحيوانات المتزاوجة زوج ، ولكل قرينين فيها وفى غيرها زوج كالخف والنعل ، ولكل ما يقترن بآخر مماثلا له أو مضادا : زوج ، قال تعالى : « فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ » . القيامة ٣٩ .[١٤] .

وفى اللسان لابن منظور قال : « قال ابن سيده : الزوج : الفرد الذى له قرين ، والزوج : الاثنان ، وعنده زوجا نعال ، وزوجا حمام ، يعنى ذكرين أو أنثيين ، وقيل : يعنى ذكرا وأنثى ، ولا يقال زوج حمام ، لأن الزوج هنا هو الفرد ، وقد أولعت به العامة . قال أبو بكر : العامة تخطىء فتظن أن الزوج اثنان ، وليس ذلك . من مذاهب العرب ، إذ كانوا لا يتكلمون بالزوج موحدا فى مثل قولهم : زوج حمام ، ولكنهم يثنونه فيقولون : عندى زوجان من الحمام ، يعنون ذكرا وأنثى ..

قال ابن سيده : ويدل على أن الزوجين فى كلام العرب اثنان قول الله عز وجل : « وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ » . النجم ٤٥ ، فكل واحد منهما كما ترى زوج ، ذكرا كان أو أنثى ، وقال الله تعالى « فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ » المؤمنون ٢٧

وكان الحسن يقول فى قوله عز وجل : « ومن كل شيء خلقنا زوجين » الذاريات ٤٩ ، قال : السماء زوج ، والأرض زوج ، والشتاء زوج ، والصيف زوج والليل زوج والنهار زوج ..[١٥]

والزواج فى اللغة : القران والاقتران

وفى المصطلح يدل على عقد القران .فيقال : عقد فلان قرانه ، كما يقال : عقد زواجه .

والزوجان : قرينان .

وأما النكاح لغة فى « صحاح الجوهرى » فهو الوطء ، قال : وقد يكون : العقد ، تقول : نكحت أى تزوجت ، وأنكحها أى : زوّجها « مادة : ن ك ح »

والكلمتان « زوج ونكح » كلتاهما من معجم الألفاظ القرآنية ، وآيات التزويج فيه لايقرب حملها على الوطء ، بل على الاقتران ، كما فى آية الأحزاب ٣٧ « فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا » .

ولعله الملحظ الاستعمالى فى مجيء التزويج بالحور العين فى الجنة مسندا إلى الله عز وجل « الدخان ٥٤ ، والطور ٢٠ »

ولم يأت النكاح قط فى مثل هذا السياق .

قال القرطبى : « ونكح أصله الجماع ، ويستعمل فى التزويج تجوزا واتساعا[١٦] قال الراغب : وقوله تعالى : « وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ » . . الطور ٢٠ أى قرناهم بهن ، ولم يجيء فى القرآن زوجناهم حوراً ، كما يقال : زوجته امرأة ، تنبيها أن ذلك لا يكون على حسب المتعارف فيما بيننا من المناكحة[١٧] .

« ١٤ » مفردات الراغب مادة : زوج .

« ١٥ » لسان العرب مادة زوج .

« ١٦ » الجامع ٢/٦٧ .

« ١٧ » المفردات مادة زوج .

وأما « نكح » فأصل النكاح للعقد ، ثم استعير للجماع ، ومحال أن يكون فى الأصل للجماع ثم استعير للعقد ، لأن أسماء الجماع كلها كنايات ، لاستقباحهم ذكره كاستقباحهم تعاطيه ، ومحال أن يستعير من لا يقصد فحشا اسم مايستفظعونه لما يستحسنونه(١٨)

وجاء النكاح بمعنى الوطء بالزواج فى آية البقرة ٢٣٠ قال تعالى : « فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ .. »

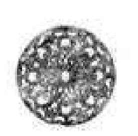
وبمعنى عقد الزواج فى آية الأحزاب ٤٩ . « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ .. »

وآية البقرة ٢٣٥ فى المعتدات لوفاة أزواجهن : « وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ » .

وآية البقرة ٢٣٧ فى المطلقات قبل الدخول بهن : « وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ » .

وبعد أن عرضنا على سبيل المثال لا الحصر بعض الألفاظ القرآنية التى فسرها بعض علماء اللغة بمرادفتها ، أو قالوا إنها استعملت أكثر من غيرها لخفتها ، أو أن الفتحة أخف من الضمة أو .. أو .... يتضح أن الاعتبار فى اختلاف الألفاظ باختلاف الدلالات وليس لمجرد ملحظ شكلى أو تسوية للصنعة الإعرابية ، ومنه يتجلى سر الاعجاز ، بأنه لا تقوم لفظة مقام أخرى وإن قيل بترادفهما ، كما لا يجوز أن يقوم حرف مقام حرف وإن بدأ أنه فى معناه ..

وقديما حاول بعض علماء اللغه والبيان أن يؤولوا فى الألفاظ القرآنية أو الحروف لتتمشى مع الصنعة الإعرابية ، ولكن بقيت هذه الحروف ببيانها وسر اعجازها الذى تتحدى به كل محاولة بتقدير : بحذف أو زيادة



« ١٨ » المفردات مادة : نكح .



وقفات على شاطئ آية

والبحر المسجور (1)

أمام هذا القسم الالهى المقدس كم وقفت مليا شـارد اللب ، حـائر الفكر ، مرتجف الأوصال ، شاخص البصر فى مشـاهد خلف حجب الغيب لم يحن بعد أوان وقوعها ، كمـا وقفت كـذلك أمام الآيتين الكريمتين « وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ » (٢) «وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ» (٣) وقد شعرت ازاء الآيـات الثلاث أنى أمـام صندوق محكم الغلق مفعم بعجـائب الأسرار وبواهر الأحداث والأخبار ، فمن لى بمفتـاح ذلك الصندوق الربانى الذى أستشعر خطـر ما فيه دون أن أدرك على وجـه اليقين كنهـه وحقيقته الا بقدر ما توحى به بوادر الظنون ، وما يصوره الحـدس والتخمين « وَإِنَّ الظَّـنَّ لاَ يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا » (٤) ، فرحت أستلهم أسفار التفسير •

فاذا مدلول مادة سجر ــ كما جاء فى معاجم اللغة ــ هو ملا تقول : سجرت النهر أو الاناء أى ملأته ماء ، وسـجرت التنور ملأته نـارا ونلاحظ أن الظرف (اذا) فى الآيتين الكريمتين « وَإِذَا الْبِحَارُ سُـجِّرَتْ » ، « وَإِذَا الْبِحَـارُ فُجِّـرَتْ » يفيد أن التسـجير والتفجـير غير حاصلين الآن وسيحدثان فى المستقبل المجهول حين يأذن الخالق القدير بانتهاء الحياة الدنيا ، وقيام السـاعة ، لذا فان المتأمل بحس مرهف ينعطف الى ترجيـح أن يكون المراد بالبحـر المسجور هو امتلاؤه بالنار المتسعرة وهو ماذهب اليه بعض المفسرين ، وهو أيضا من مدلولات مادة سجر فى اللغة العربية لغة القرآن الحكيم ، وعندى أنه الأنسب المتسـق مع سياق الآيات السابقة واللاحقة فى السور التى جاءت فيها ، والتى تصور لنا الهول الأكبر والانقلاب المروع الشامل ، ذلك التصوير الذى يخـلع القـلوب ويبهر الأنفـاس فى ذلك اليوم الرهيب يـوم القيـامة حين تبـدل الأرض غـير الأرض والسموات •

---

(١) آية (٦) من سورة الطور •
(٢) آية (٦) من سورة التكوير •
(٣) آية (٣) من سورة الانفطار •
(٤) آية (٢٨) من سورة النجم •



للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

وحينما تطمئن النفس الى ذلك التأويل ، ويرتضى العقل المعنى الذى يذهب الى جواز اشتعال البحر وامتلائه بالنار المتضرمة ، يتردد فى الفكر تساؤل آخر له ما يبرره فى عصرنا الحاضر عصر تفجير الذرة وفلق النواة مما نجم عنه انطلاق ذلك المارد الجبار مارد الطاقة المهولة المرعبة التى تفوق غاية ما يبلغه الوهم والخيال وقد وقع منها أهوال صاعقة وكوارث ماحقة ، وما أمر (هيروشيما) و (ناجازاكى) ببعيد ، ذلك التساؤل الذى يتردد فى الفكر هو لماذا التجهيل بمعنى أن الفاعل غير مصرح به فى الآيات التى نحن بصددها ، وكما هو الشأن فى كثير من الآيات التى تعرض صورا شتى من مشاهد يوم القيامة • والأمر المتيقن المقطوع به أن كل صياغة فى القرآن الحكيم وكل اسناد أو وصف ، أو تقديم أو تأخير لم يكن اتفاقا ، وانما كان وفق تقدير وتدبير لحكمة بالغة ، وأهداف قريبة أو بعيدة فى الزمان والمكان بالنسبة للانسان وكل كائن فى الوجود «كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ» (٥) ، وأحب أن أقرر أنه لا يملك أحد أن يقول على سبيل القطع فى تفسير آيات القرآن الكريم : ان هذا هو المراد أو هو الذى لا يعقل سواه الا اذا كان ذلك القائل مفتونا بعقله وذكائه وما أضيع المحتكم الى عقله الراكن الى فهمه فى ادراك مدى ما يزخر به كلام الله الذى هو صفة من صفاته التى لا تدرك حقيقتها الكاملة ولا مداها بحس أو عقل مهما بلغ من الفطنة وبعد الرؤية ، وأين الذباله الضئيلة المرتعشة من نور السموات والأرض •

أعود فأقول :

لماذا كان بناء الأفعال فى الآيات التى نقف فى ظلالها للمجهول ؟ وأنا لا أستطيع أن أجزم بشىء ، فربما كان العلم به لله سبحانه ، ولكنه فى كثير من الآيات يسند الفعل الى ذاته مع أنه معلوم بداهة ، ومعلوم أيضا أن كل شىء فى الوجود لايقع ولايكون الا باذنه وقدرته هو وحده ، وان بدا أنه صادر من مخلوق ، فالفعل وفاعله يتحركان بارادة الله وقدرته ، حينما يوقد الانسان النار فى الهشيم تسند الاشعال اليه ، ويضع البارود فى الجبل فينفجر فنسند التفجير اليه مع أننا نعلم ونؤمن بأن المشعل الحقيقى للنار والمفجر لصخور الجبل هو الله تعالى ، وكذلك اسناد الارواء الى الماء والاحراق الى النار ، ألا نرى أن النار المحرقة عادة صارت بردا وسلاما بأمر الله حينما ألقى فيها ابراهيم عليه السلام ، والبحر المغرق صار منجاة لموسى عليه السلام ، ومعدة الحوت عجزت عن هضم يونس عليه السلام • وما دور

(٥) أول سورة هود •

الانســــان فى الاشـعال والتفجير الا كدور الهشيم والبارود والحجر كل ميسر لما خلق لــه من انفاذ ارادة الله ومقدوره بما يمنحــه من طاقة على قدر ما انتدب له .

« أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ . أَأَنتُمْ تَزْرَعُــونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ » (٦) ، بعد هذا أستطيع أن أقول : ان بناء الفعل للمجهول فى الآيات سالفة الذكر وما تمخض عنه العلم فى عصرنا هذا من مبتكرات وهيبة لعقول جاحدة فى أيد جـائزة وقلوب متحجرة يجعـلان الفكر يطــرح هذا السؤال :

« ما » أو « من » يا ترى المفجر والمســجر للبحار — على سبيل الاسناد فقط — وبتحرى الدقة والحقيقة يكون السؤال .

« ما » أو «من» السبب والأداة المسخرة لتفجير وتسجير البحار اذا أزفت الأزفة ؟ أهــو الانسان ؟ وهنا يكون العجب ، اذ كيف يتسنى لذلك المخلوق العاجز الضعيف أن يفجر ويشعل البحار ولو اجتمع كل أفراده فى صعيد واحد ، وجمعوا كل وقود الأرض كى يشعلوا خليجــا واحدا من خلجان البحار لما استطاعوا .

أهو شىء آخر غير الانسان ؟ واذا كان هو شىء آخر فما هو يا ترى ذلك الشىء ؟ وهــل هو كائن أم سيكون فى الوقت المقدور فى علم الله ؟ « وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ » (٧) .

كان ذلك ما يعتمل فى خاطرى ويهز مشاعرى كلما تلوت أو سمعت احدى الآيات التى نحن بصددها منذ بضعة وثلاثين عاما وأنا فى ريعة العمــر ، ولم تكن القنبلة الذريــة قد شــبت واستفحلت وأصبحت روعا ورهبة للبشرية بــل الحياة على وجه الأرض ، وصارت لعبة مسلية فى أيدى الكبار الصغار يلوحون بها فى مواجهة الدنيــــا .

وبينما أنا أسبح فى لجج التخمين والرفض والترجيح اذ طلعت علينــا صحيفة الأهــرام القاهرية على ما أذكره وقتئذ تحمل فى احــدى صفحاتها فى عمود جانبى تحذيرا صــادرا من علماء الذرة الفرنسيين من اجراء تجارب نووية فى مياه البحار والمحيطات خشية أن تتفجر ذرات الماء فتشتعل البحــار كلها فى سرعة مذهلة . ولا تســل كيف تكون الأرض اذ ذاك فى ذلك الأتون المتسعر .

وما أن انتهيت من قراءة ذلك التحذير حتى انبثق فى رأسى خاطر أشرقت له جوانب نفسى واهتزت مشاعرى ، فألقيت بالصــحيفة وقمت هاتفا : آمنت بالله العظيم ، آمنت بأن محمدا رسوله الصادق الأمين ، انه لا يرتاب فى نبوته ورسالته الا غبى جاهل قد عميت بصيرته وسقم وجدانه فى عصر الكشف عن مكنون الطبيعــة وعجائب طاقات المادة الكامنة فيها ، والخافيــة عن مداركنا النائية عن حواسنا . فها هم أساطين

(٦) آيتا (٦٣) ، (٦٤) من سورة الواقعة .

(٧) من آية (٨) فى سورة النحل .

العلم المادى وسدنته أو كهنته المتخصصون يقرون بأن الماء يتفجر ، ويصير نارا تتسعر ، وهم لا يقرون بالاسلام ولا يتدبرون القرآن ، ولا يعرفون أن هذه الحقيقة قد جاءت فى أكثر من آية من آيات القرآن العظيم منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان ، يوم أن كان العلم والعلماء فى طور الطفولة الساذجة ، وتأتى فى مضاء وهيبة وجلال من ذلك النبى الأمى ، القرشى محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه أكمل صلاة وأتم سلام الذى ولد وشب واكتهل فى أحضان الجبال وفوق سفوحها النائية عن العمران والحضر ، حيث لاعلم هناك ولا علماء يسمع منهم ويروى عنهم • فمن ذا الذى علمه وأجرى على لسانه ما لم يتكشف امكان حدوثه ووقوعه الا فى منتصف القرن العشرين الميلادى ؟ انه بلا ريب وحى السماء ولولا أنه وحى العليم الخبير بصنعه لما جسر محمد — صلى الله عليه وسلم — أن ينطق بما لا يعقل ، ويتحدث بما يثير الدهشة ، ويدعو الى النفور والسخرية من أرباب العقول المغلقة، وهو الذكى الألمعى الفطين الحريص على نشر دعوته الملتزم بمخاطبة الناس على قدر عقولهم ومدى مداركهم •

ولكنه القرآن وحى الله الزاخر بحقائق كونية وأسرار علمية لا تصل اليها العقول الجبارة ، ولا المدارك النفاذة فى عصر واحد أو عصور متعددة بل هو الدهر كله ، فكل حقيقة فيه منوط ظهورها وانكشافها بزمن من الأزمان وجيل من الأجيال تتجلى فيه عندما تتهيأ الظروف ، وتتوافر الأسباب ، حيث ان الحكمة الالهية جعلت لكل شىء سببا وزمنا ، كظهور البترول مثلا واستخدام ما تم اكتشافه من خواص المادة •• فالزمن هو المفسر المظهر لأسرار هذا الكتاب الكونى الدهرى العظيم الذى حوى كل شىء فى الوجود «مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ» (٨) وهذا هو الاعجاز الأكبر •

ان الكشوف العلمية — كما ننسبها — المتابعة لهى الدليل القاطع والبرهان الذى لامماراة فيه فى وجه أولئك الذين لا يؤمنون الا بالمادة ولا يصدقون الا بالمحسوس على أن القرآن الكريم وحى الله القدير فاطر السموات ومبدع الكائنات ، العليم بسرها ومكنون أمرها أليس هو الذى أودع فيها الطاقات وجعلها مذخورة لوقت معلوم لديه ؟ « وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ » (٩) • صدق الله العظيم •

أزجى هذه اللمحة الخاطفة من مدلولات بعض آيات الله فى القرآن العظيم الى الحائرين المرتابين حجة وبرهانا ، والى المهتدين المؤمنين مزيدا من الاطمئنان واليقين والله يهدى الى سواء السبيل •

محمد عبد الرحمن صان الدين

---

(٨) من آية (٣٨) فى سورة الأنعام •

(٩) آية (٢١) من سورة الحجر •



بين التوحيدي
وأبي الفضل بن العميد

أبو الفضل محمد بن العميد أبي عبد اللـه الحسين الكاتب

علم في العربية قد ملأ الأسماع ، متفنن في فنه ، متقدم في شعره ونثره ، كان وزيرا لركن الدولة الديلمي .

توفي سنة ٣٤٩ هـ أو سنة ٣٦٠ هـ ، وكان التوحيدي من معاصريه ، وله عنده أحاديث طوال .

يوصف ابن العميد بأنه « عين المشرق ، ولسان الجبل ، وعماد ملك آل بويه ، وأوحد العصر في الكتابة .. ، سبق من قبله ، وأتعب من بعده (1) » ويوصم بأنه « يدعى العقل ، ويفتخر بالمال ، ويتعاطى الحكمة ، ليس عنده الا الحسد والندامة ، والا الجهالة والضلالة »(٢) ويرمى بأن « أباه كان قوادا (٣) ، وأن جده كان نخالا » (٤) . وسواء أصدق هذا أم لم يصدق فان أي باحث سوف يقف طويلا أمام التوحيدي وابن العميد ، وسوف يتردد كثيرا ازاء الموازنة أو المفاضلة بينهما ، فكلا الرجلين من عظماء الفكر العربي وكبار أعلامه ، وكل منهما من أعمدته الشامخة التي قامت عليها نهضة ماتزال تشي بتفوق عصرهما وتقدمه ، وتنبيء عن تفرده في كثير من السمات .

فابن العميد تكاد تجمع الآراء على صدارته في فن الكتابة ، وأبو حيان لاتكاد بل لاتعثر على من يجد منفذا ينفذ منه الى التهوين من شأن فنه ، ومن ثم تكون صعوبة المفاضلة أو الموازنة بيد أن ابن العميد ــ رغم أنه معدود بين المترسلين ــ وجدت مداخل جمة الى أعماله وفنه ، فعيب وهوجم ، وكان أبو حيان أعنف من فنده ونقده .

لقد عرف ابن العميد بأنه « كان ممن يستعمل السجع مرة ويرفضه أخرى ، بحسب ما يوجد من السهولة والتيسير ، والاكراه والتكلف » (٥) .

---

١ ــ ١ / ١٣٧ يتيمة الدهر .

(٢) ٨٠ أخلاق الوزيرين لأبي حيان .

(٣) رجل قواد في الدياثة .. أي يقود الى مباءات الزنا .

(٤) ٣٢٥ أخلاق الوزيرين ــ ترجمة التوحيدي في عدد جمادى الاولى سنة ١٤٠٥ ــ لان التوحيدي لم يكن شاعرا ، تركنا التعرض لشعر ابن العميد .

(٥) ١ / ٤٢٨ الحضارة الاسلامية لادم متز .



د. حامد الخطيب

وعرف التوحيدى بأنه الرجل الذى وقف مفردا — أو كاد — فى مواجهة تيار الصناعة الجارف ، فوصل ما انقطع بين عهد الترسل المطبوع الذى امتلكت نواصيه الأقلام الصناع من قبل ، ثم اوشك أن يقلى ويهجر ، لولا أن قيض الله له التوحيدى ، فحمل لواء الترسل ، وأشاع قيم الجمال والفن المطبوع (٦) .

وابن العميد « حين يكتب لايطالعك بفنه كما يفعل معاصروه ، وانما يطالعك بقلبه ، وروحه وعقله ، بحيث تبدو كل كلمة من كلماته وكأنها قلب يخفق ، أو روح يثور ، فليست الكتابة عنده زخرفا براقا يلهو به ، ولاثروة لغوية يكاثر بها الكتاب ، ولكن الكتابة ثورة عقلية أو وجدانية ، يرمى بها كما يرمى البركان بأقباس الهلاك (٧) وسوف نريك أن ذلك لاينهض أو يصدق فى كل أعماله ، وسوف نريك من حسناته وماله من سقطات .

وفن أبى حيان يريك « أنه كان عالما بدقائق الأسلوب الرائع ، وقادرا عليه ، غير أننا نكاد لانلاحظ فى أسلوبه ذلك التكلف الذى نجده عند غيره من الأدباء » وانه « لم يكتب فى النثر العربى بعد أبى حيان ماهو أبسط وأقوى وأشد تعبيرا عن مزاج صاحبه مما كتب أبو حيان (٨)

وستعلم أن ذلك قدر شائع فى كل نتاجه على مختلف اتجاهاته ، « فهو — بلا محاباة — الكاتب القصصى الماهر الذى أهدته الينا الأعصار الأول وله طبع دافق ، وفكر سابق ، وعقل فياض بالحكمة وفصل الخطاب .

ومن أخص مزاياه أنه يمزج الأدب بالحكمة والتصوف بالفلسفة ، ويولد من بين هذا المزيج مذهبا خالصا لم يسبق اليه (٩) فلننظر فى نماذج لكليهما .

كتب أبو الفضل بن العميد الى « ابن بلكاوندا خورشيد » عند استعصائه على ركن الدولة البويهى ، رسالة مسهبة « عدت — بحق — عند أهل البصيرة فى الترسل ، غرة كلامه ، وواسطة عقده » (١٠) ونظامه ، وهى — بحق — كذلك معدودة بين أبلغ الرسائل ، وأشهرها وأكثرها انتشارا وذيوعا ، نجتزىء منها بقوله :

« كتابى وأنا مترجح بين طمع فيك ويأس منك ، واقبال عليك واعراض عنك ، فانك تدل بسابق حرمة ، وتمت بسالف خدمة ، أيسرهما يوجب رعاية ، ويقتضى محافظة وعناية ، ثم تشفعهما بحادث غلول وخيانة ، وتتبعهما بآنف خلاف ومعصية ، وأدنى ذلك يحبط أعمالك ،

(٦) ١٨٧ تطور الأساليب النثرية لانيس المقدسى .
(٧) ٢ / ٢٠٢ النثر الفنى د. زكى مبارك .
(٨) ١ / ٤٤٧ الحضارة الاسلامية — متز .
(٩) ١٩٦ تطور الاساليب النثرية لانيس المقدسى
(١٠) ٣/١٦٢ يتيمة الدهر للثعالبى .



ويمحق كل ما يرعى لك ، لا جرم أنى وقفت بين ميل اليك وميل عليك ، أقدم رجـلا لصدمك ، وأؤخر أخـرى عن قصـدك ، وأبسـط يـدا لاصطلامك واجتياحك ، وأثنى ثانية لاستبقائك واستصلاحك ، وأتوقف عن بعض المأمور فيك ، ضنا بالنعمة عندك ومنافسة فى الصنيعة لديك ، وتأميلا لفيئتك وانصرافك ، ورجـاء لمراجعتك وانعطافك ، فقد يعزب العقل ثم يئوب ، ويعزب اللب ثم يثوب ، ويذهب الحـزم ثم يعـود ، ويفسد العزم ثم يصلح ، ويضـاع الرأى ثم يستدرك ، ويسكر المرء ثم يصحو ، ويكدر الماء ثم يصفو ، وكل ضيقة فالى رخاء ، وكل غمـرة فالى انجلاء » (١٤) .

ثم يمضى فى ذلك النهج السلس ، والسـيل العذب ، والعبارة الجزلة ، والجملة المنتقـاة ، الى أن يختتمها بما يشبه الصواعق المدمرات ، فيقـول :

« تأمل حالك ـ وقد بلغت هذا الفصـل من كتابى ـ فستنكرها ، وألمس جسـدك وانظـر هل يحس ؟ وأجسس عرقك هل ينبض ؟ وفتش ماحنا عليك هل تجد فى عرضـها قبلك ؟ وهـل حلى بصـدرك أن تظفر بفوت سريح ، أو موت مريح ؟ ثم قس غائب أمرك بشاهده ، وآخـر شأنك بأوله » (١٤) .

ولفرط ماق هذه القطعة من روعة البيـان ، ومتانة البنيان ، واختيار الجمل ، وتناسبها مع الموقف ، وتوافقها مع تدفق العاطفة ، وامتزاجها بصدق الوجدان ، ترغيبا أو ترهيبا ، ورحمة أو قسوة ، ثم ما حليت به من حلى بلاغية مختلفة الألوان ، قد كانت بحق قمينة بقول الثعالبى :

« وقد أجمع أهل البصيرة فى الترسل على أن رسالته التى كتبهـا الى ابن بلكـا ونداد خورشيد عند استعصائه على ركن الـدولة ، غرة كلامه ، وواسطة عقده .. وسلك نظامه ، .. وما ظنك بأجود كلام لأبلغ امام ؟ .

انها رسالة قد جمعت خصائص ابن العميد أو أهمها فى أحسن حـالاته ، واعتدال طبعـه ومزاجه ، فهو يترسل ، وقد ينغم بالسـجع ، لكنه ـ فى الغالب ـ لايسـتكره ذلك ، ولايأتى به قسرا ، انما يأتى به مرتبطا بالمعنى ، متمما أنغام ما قبله ، فيثير طربا ، وينشر جمـالا ، فيبدو كأنه قواف شعرية ، لاتظهر بدونها كاملة روعة اللحن ، وحلاوة الايقاع .

أما الاسهاب والاطنـاب ، فقد جاء عـلى مقتضى الحاجة ، وكطلب المقام ، وليس فيـه اخلال ولا املال ، اذ الطمع فيه ، واليأس منه ، والاقبال عليه ، والاعراض عنه ، والميل اليـه والميل عليه ، ثم ما يتلو ذلك من ترتيل ، انمـا يشعرنا بمدى تنازع الكاتب ونفسه ، وكيف هو يتصارع مع ثورة ثائرة فى داخله ، وكيف هـو

---

(١١) ابو منصور الثعالبى ٣/١٤٥ ـ ١٤٧ . يتيمة الدهر ، أنيس المقدسى ٢٥٧ ـ ٢٥٩ تطور الاساليب النثرية .

حيران متردد بين ماض كان مشرقا ، وحاضر صار معتما ، ومستقبل يغلفه جهل العصيان وتستره ستائر الغفلة ، ونكران الجميل •

وهذا الأسلوب ــ برغم ما يظهر فيه من بعض سمات التلطف والتودد ــ يخفى خلف سطوره صواعق الايعاد ، وأوار الوعيد ، وذاك بذاته ماحدا بابن بلكا أن يقول : « والله ماكانت لى حال عند قراءة هذا الفصل الا كما أشار اليه الأستاذ الرئيس ، ولقد ناب كتابه عن الكتائب فى عرك أديمى واستصلاحى ، وردى الى طاعة صاحبه (١٢) » • وفوق ماق الرسالة من صنوف البديع ، يطالعنا الجم الكثير من الصور التى يرسمها رشيق البيان ، وهى فى جملتها وجمالها لاتحتاج الى عميق تفكير كى تجلى للناظرين والمتذوقين ، ولمثل تلك الأعمال فى الرقة ، والاجادة والتحكم فى طرائق البيان يكون النعت والاطراء بكل كلم حميد •

ولست أخال ابن بلكا عقيب أن قرأ الا كان تماما على وفق ما رسمه الأستاذ فى عجز رسالته • فلقد صور منه رجلا فزعا هلعا ، أحيط بسياج الخوف ، وسد عليه الجزع كل طريق ، فبات طائر اللب ، مرتعش الأوصال ، يحسب كل صيحة عليه ، وكلما أبصر فوق كفيه أثارات من عصيانه وخلافه ، ود لو تسوى به الأرض ، فهو لايفيء الى ركن يحسبه آمنا الا ووجه فيه بأشباح خروجه ، وأبصرها ترميه بسهام ذنوبه ، وحراب من سيئات تمرده ، وحتى لو أنكر ذلك بلسانه ، فسوف لاتستطيع جوارحه الاخفاء أو التمويه ، وخصوصا هذا البصر الموزع الزائغ الشريد •

لقد أشفى على الهلك أو كاد ، ألا تراه كيف توقف نبضه ، وتجمدت حركته ، وان كان فيه بقية من دماء ، وهذه البقية من نفسه وروحه قد يكتسب بها جديد الحياة ، ولكن متى أحسن الموازنة بين الأمور ، وعرف كيف يختار ناجع الدواء • هى رسالة تنقض على أى مقياس قول أبى تمام :

السيف أصدق انباء من الكتب
فى حده الحد بين الجد واللعب (١٣)

ذلك هو ابن العميد فى أوجه ومجده ، وما نحسبه يظل على قمته تلك طوال الأشواط ، بل سوف يتدحدر عنها ، أو لايطاوعه الحفاظ على تسنمها ، ويجيئه ذلك مما يتعاطاه من التكلف أحيانا ، ومن الغموض الذى يعمد اليه ، كأن يغرب فى اشاراته التاريخية ، وتلميحاته اللغوية والعلمية ، على حين أن أكثر ذلك ليس له من داع يستدعيه ، ولعل ذلك فى كلامه الذى يقول :

« وصل كتابك فصادفنى قريب عهد بانطلاق ، من عنت الفراق ، وأوقفنى مستريح الأعضاء والجوانح من حر الاشتياق ، فان الدهر جرى على حكمه المألوف فى تحويل الأحوال ، ومضى على رسمه المعروف فى تبديل الأبدال ، وأعتقنى من مخالتك عتقا لاتستحق به ولاء ،

---

(١٢) الثعالبى ١ / ١٤٧ يتيمة الدهر ــ الصاوى
(١٣) أبو تمام ــ ديوانه •

وأبرأنى من عهدتك براءة لاتستوجب معها دركا ولا استثناء ، ونزع من عنقى ربقة الذل فى اخائك بيدى جفائك (١٤) » فمن هذا المقطع والذى يليه الى نهاية الرسالة ، لاأرانا نشعر بذات الشعور الذى صحبنا فى رسالته الى ابن بلكا ، ففى هذه تبدو حرارة الوجد خافتة ، ويظهر صدق العاطفة باهتا ، ومن ثم جاءت الايقاعات والتقسيمات بين الازدواج والسجع والجناس وغير ذلك ثقيلا مشوبا بتكلف ، ولاشك فى أن التصنع والتكلف كل منهما يلطخ بالمقت كل طبع لماح .

ولقد كان فى مكنته أن يتجنب تلك الكلمات التى تفوح منها رائحة لغة الفقهاء ، وتبعد قليلا أو كثيرا عن لغة الأدب والأدباء ، وذلك كالعتق والبراءة والولاء ...

على أن ذلك الذى رئى لدينا متكلفا ثقيلا ، وأن الطبع فيه قد تقهقر أمام الصناعة ، حتى قلت المعانى ولم تتساوق مع الألفاظ ، قد قيل فيه : انه قصيدة رثاء ، يسكب فيها الكاتب دمعا على جدث الود المفقود . وقيل : ان رسائله الشخصية تعد من الشعر الوجدانى البليغ ، وان هذه ونظائرها قصائد منثورة فى موضوعات شعرية ، ماكان يصلح لها غير القصيد (١٥) .

ولكنى أكثر ميلا الى أن هذه كلمات تميل الى المبالغة ، ولاتخلو من تعميم ، ولعلها لاتصمد طويلا أمام التعمق فى التحليل .

ولندع ذلك الى اغرابه وايغاله المعمى فى الاشارات التاريخية التى تحتاج كدا وجدا وطول بحث ، واعمال فكر ، وسوف يحصل على نتائج لاتتساوى مع ذلك الكد العنيف ، وذلك فى مثل قوله عن شهر رمضان :

« كتابى ــ جعلنى الله فداك ــ وأنا فى كد وتعب منذ فارقت شعبان ، وفى جهد ونصب من شهر رمضان ، وفى العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر من ألم الجوع ووقع الصوم ، ومرتهن يتضاعف حرور لو أن اللحم يصلى ببعضها غريضا (١٦) أتى أصحابه وهو منضج ، وممتحن بهواجر يكاد أوارها يذيب دماغ الضب ، ويصرف وجه الحرباء عن التحنق ، ويزويه عن التبصر ، وممنو بأيام تحاكى ظل الرمح طولا .. أسأل الله أن يقرب على القمر دوره ، ويقصر سيره ، ويخفف حركته ، ويعجل نهضته ، وينقص مسافة فلكه ودائرته ، ويزيل بركة الطول عن ساعاته ، ويرد على غرة شوال ، فهى أسنى الغرور عندى ، وأقرها لعينى ، ويطلع بدره ، ويرينى الأبدى فتطلبه هلاله ببشر ، ويسمعنى النعى ، لشهر رمضان ، ويعرض على هلاله أخفى من السحر ، وأظلم من الكفر ، وأنحف من مجنون بنى عامر ، وأبلى من أسير الهجر ، ويسلط عليه الحور بعد الكور (١٧) ويرينيه مغمور النور ، مقمور الظهور

---

(١٤) الحصرى ٢ / ٨٣٩ ، ٨٤٠ زهر الآداب ــ تحقيق محيى الدين ــ طبع السعادة ١٩٥٣ .
(١٥) د زكى مبارك ٢ / ٢٠٤ ، ٢٠٦ النثر الفنى بتصرف .
(١٦) الفريض ، هو الطرى من اللحم .
(١٧) الحور هو الرجوع (انه ظن ان لن يحور وهو النقصان ايضا ، والكور ــ الزيادة .

قـد جمعه شمس برج واحـد ، ودرجة مشتركة وينقص من أطرافه كما تنقص النيران من أطراف الزند ، ويبعث عليه الأرضة ، ويهدى اليه السوس ، ويغرى به الدود ، ويبليه بالفار ، ويخترق بالجراد ، ويبيده بالنمـل ، ويجتحفه بالذر ، ويجعله من نجوم الرجم ، ويرمى بـه مسترق السمع ، ويخلصـنا من معـاودته ، ويريحنا من دورته ، ويعذبه كما عذب عبـاده وخلقه ، ويقابله بما تقتضيه دعوة السارق اذا افتضح بضوئه ، وتهتك بطلوعه ، ويرحم الله عبدا قال آمينا (١٨) » •

والسؤال الذى يعرض نفسه ، أهـو حقا هنا يطالعنا بقلبه وروحه وعقله كما يقال (١٩) ، أم أن كل كلمة تبادر معلنة عن هزالها نتيجـة تصنعها ، وتكشف عن خفوت معناها من جراء تكلفها ؟ انها بلا ريب لاتبين عن صدق ، ومـن أين ذلك اذا انعدم صـدق العاطفة وتبهـرج الخيال ، وزيف الواقع !! • وأنا من ثم لاأجانب الحق ، ولا يجانبنى اذا ماشهدت بأن ابن العميد هنا قد صمد صمدا الى الزخرفة البراقة ، يتلهى بخدعها ، ويحاول جادا ــ فيما أرى ــ أن يخدع بذلك غيره ، ويلهيه أو يصرفه عن حد التـذوق السليم ، وشاء ذلك أو لم يشـأ ، فان الصنعة والتكلف لن تكون لها نتائج سوى هذا • انـه يستعرض هنا بضاعته ، يكاثر بها ويباهى ، ولا يهمه ، تنافر أوضاعها ، أو زيف سـياقها ، وما أظنه أراد أن يخرج عملا فنيا كما صنع فى رسالته السابقة ، عملا يبنيه على انتخـاب العبارة ، وصدق العاطفة ، وصفاء الوجدان ، والا ، فماذا وراء ذلك العرض الهائل من المعارف الفلكية ، ثم الهوام والحشرات ؟ ، مبلغ عـلمى أنه لاشىء سوى التباهى بالمحصول الذى لديه ــ كما قلنا ــ وليس مهما أن يجىء مفكك العرى منفصم الأوصال ، ولاأدل على ذلك من قوله : وأنحف من مجنـــون بنى عامر ، وأبلى مـن أسير الهجر ، بعد أن قال : ويعرض على هلاله أخفى من السحر ، وأظلم من الكفـر ، تأمل ، فان البون شاسع ، والشقة بعيدة بين المعنـى والمعنى ، وليس يأخذنا قول الثعالبى عن هـذه الرسالة : انه « مما لم يسبق اليه (٢٠) ، على حين يأخـذنا قوله عن الرسـالة السـالفة : «وماظنك بأجود كلام ، لأبلغ امام (٢٠) ، أمـا رسالة رمضان هذه ونظائرها فمن أدبه الـذى بسببه قيل فيه : «انه يتميز بالصنعة والتزويق وان الأدب فى نظره ضرب من ضروب التسـلية والتلهى ، والترفيه واظهار البراعة ، والغـلو والاغراق ، والبعد عن الحقيقة فى التصـوير ، والامعـــان فى التزويق (٢١) » • واذا كانت رســالة الأدب ليسـت ترفـا عقليـا ، وليست بمعزل عن الحياة والواقع ، واذا كـان الأدب فى أجـل معانيـه ، أن يرقى بالحس والوجدان ، ويهذب ، ويرسم الطريق الأسمى ، فان شيئا من هذا لايمكن بحال أن يصدق على رسالة ابن العميد بصدد رمضان ، ولعل هـذا ومثله جعل التوحيدى يقول :

---

(١٨) الحصرى ٢/٥٦٢ زهر الآداب للثعالبى ٣/١٤٣ ، ١٤٥ يتيمة الدهر .

(١٩) هو للدكتور / زكى مبارك .

(٢٠) ٣ / ١٦١ ، ١٦٢ يتيمة الدهر .

(٢١) ٢٥١ تطور الأساليب النثرية .

بين التوحيدى وأبى الفضل

« أول من أفسد الكلام أبو الفضل ، لأنه تخيل مذهب الجاحظ ، وظن أنه ان تبعه لحقه ، وان تلاه أدركه ، فوقع بعيدا من الجاحظ ، قريبا من نفسه ، ألا يعلم أبو الفضل أن مذهب الجاحظ مدبر بأشياء لاتلتقى عند كل انسان ، ولاتجتمع فى صدر كل أحد : بالطبع ، والمنشأ ، والعلم ، والأصول ، والعادة ، والعمر ، والفراغ والعشق ، والمنافسة ، والبلوغ وهذه مفاتح قلما يملكها واحد ، وسواها مغالق قلما ينفعك منها أحد (٢٢) » وهذا كلام هو أقرب الى قوانين العلم فى مفهومه ، وأدخل فى سطور الأدب فى صياغته وتنظيمه ، فقد حدد الطرائق التى تكون الأديب وتدفع به الى السبق والامامة ، وفى المقدمة الطبع والاستعداد الفطرى ، ثم مايتلو ذلك من العناصر التى ذكرها ، ولا يقل عنصر فيها عن غيره ، ولا حظ دقة التوحيدى ومقدار علمه ، فان بعض هذه العناصر اذا كانت توافرت لابن العميد ، فما توافر له جميعها ، اذ لم يتفرغ لفنه كما تفرغ الجاحظ ، ولم يقف عمره على فنه كما وقفه الجاحظ ، وبالتالى لم يكن ليعشق أعمالا كأعمال الجاحظ . ولعل منشأ كل من الرجلين لا يختلف أحدهما كثيرا عن الآخر ، فاذا كان ابن العميد ، كما يقول أبو حيان : « ان أباه كان قوادا ، وان جده كان نخالا » (٢٣) ، فان الجاحظ « كان جده أسود اللون جمالا لعمرو بن قلع الكنانى » (٢٤) ولئن كان عصر الجاحظ يعج بالعلم والعلماء ، لقد كان عصر ابن العميد غرة كل الأعصر بلا جدال ، وهو هو العصر الذى صنع التوحيدى ، فأسدى بقلمه الى عصره الذى صنعه مالا يكاد يوجد عند واحد من معاصريه ، ولمنعم النظر فى آثاره الباقية سوف يجد فيها — بصدق — نفسه وذاته ، ويجده فيها بعقله وروحه ، ويلقاه بكل خلجاته وتصاريف حياته ، فصورته الحقة فى أدبه ، فى حالى رضاه وغضبه ، وفى فرحه وترحه ، وفى سكونه وثورته ، وفى جميع ذلك يقنعك بأنه الأديب المصور ، والفيلسوف المفكر ، واللغوى الممسك بزمام العربية ، وليس يقول الكلمة الا من وجدان صادق ، والا من عاطفة فياضة حرى ، فأعماله صورته الكاملة ، وصورة لأغلب ما كان فى عصره — ان يكن جميع ما كان — والى منشدى الأدب العالى ، نسوق نماذج تشهد بما قلنا ، وتكشف عما لم نستطع أن نقول .

قال أبو حيان عن الفقر ، وهو حديث ضمن مبررات كثيرة تكشف دوافعه الى الكتابة عن أخلاق الوزيرين :

« ولحا الله الفقر ، فانه جالب الطمع والطبع (٢٥) ، وكاسب الجشع والضرع (٢٦) ، وهو الحائل بين المرء ودينه ، وسد دون مروته وعزة نفسه . ولقد صدق الأول حيث قال :

وقد يقصر القل الفتى دون همه
وقد كان لولا القل طلاع أنجد

---

(٢٢) ١ / ٦٦ الامتاع والمؤانسة .
(٢٣) انظر صدر المقال .
(٢٤) ١٦٩/٢ تاريخ آداب اللغة العربية جرجى زيدان .
(٢٥) الدنس والعيب .
(٢٦) الذل والهوان .

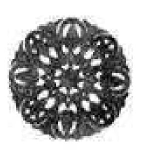
وما أملح قول الأعرابى فى قافيته :

مابال أم حبيش لا تكلمنـــــا
اذا افتقرنا ، وقد نثرى فنتفق

وصدق ، لأنها اذا لحقته على الفقر رغبت عنه ولم تواصله ، وفركته (٢٧) واختارت عليه. وصاحب الفقر ان مدح فرط ، وان ذم أسقط ، وان عمل صالحا أحبط ، وان ركب شيئا خلط وخبط ، ولم أر شيئا أكشف لغطاء الأديب ، ولا أنشف لماء وجهه ، ولا أذعر لسرب حياته منه ، وان الحر الأنف ، والكريم المتعيف (٢٨) من مقاساته ، والتجلد عليه ، لفى شغل شاغل، وموت مائت (٢٩) .

وبعد أن بين أنه كتب استجابة لأمر حبيب يؤثره بالمودة ، ويتمنى رضاه ، قال : « وسأجعل قصدى نحو السلامة اذا غلبنى اليأس من الغنيمة ، وأضيف الى متن الحديث فوائد كبيرة، وأجتهد معـــذرا ، وأتقصى معـــذورا ، وأحكم متكرما ، وأقول ما أقول رائيا وراويا ، على أنى لا أثق بالخاطر اذا طاش ، ولا باللسان اذا همز (٣٠) ، ولا بالقلم اذا استرسل ، ولا بالهوى اذا اشتمل وسول ، فان الهوى يعمى ويصم ، ولعل الغيظ يجرح ويجهز » ولعل جمال هذا الأدب يجعلنا نسترسل ، فنطيل ولا نوجز . تأمل تر أدبا له أهدافه ، ولـــه مقاصده ، فليس وراء الفقر غير ما ذكر ، ومع هذا تقف على طبع سيال ، وكلام سهل سلس، يوشيه البديع والخيال ، ولا رائحة للتكلف فيه ، وأقرأ : وصاحب الفقران مدح فرط ، وان ذم أسقط .. الخ ، فهل تجد الا شعرا منثورا نثر الدرر ؟

لقد أخلص التوحيدى لفنه فأبـــــدع ، واخلاصه وابداعه قد تعدى الى غير أعماله الأدبية ، فجاءت على هذا القدر من السلاسة والسهولة ، والحلاوة والجمال .



---

(٢٨) أبغضته ، وامرأة فارك ، تبغض زوجها .
(٢٧) المتشائم .
(٢٩) ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ مثالب الوزيرين لأبى حيان .
(٣٠) همز . اغتاب .



أنباء وآراء

خطاب للرئيس مبارك فى القمة الإسلامية بالكويت

● أعلن الكتور / عصمت عبد المجيد نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية أن الرئيس حسنى مبارك سيلقى خطاباً هاماً فى مؤتمر القمة الإسلامية الذى سيعقد بالكويت يوم ٢٦ يناير ، هذا وقد التقى الرئيس بطاهر المصرى وزير الخارجية الأردنى لبحث ترتيبات عقد المؤتمر . وأكد نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية أن هذا اللقاء يدخل ضمن إطار التنسيق المستمر بين مصر والأردن لتبادل وجهات النظر فى الموضوعات التى ستطرح للمناقشة .

تنسيق جهود الدول الإسلامية

دعا الرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق إلى تنسيق جهود الدول الإسلامية فى المجالات العلمية والتكنولوجية لمواجهة التحديات المعاصرة المتمثلة فى الفقر والتخلف .

وقال ضياء الحق فى كلمته أمام اللجنة الدائمة لمنظمة المؤتمر الإسلامى حول العلوم والتكنولوجيا الذى عقد فى اسلام أباد مؤخراً : إنه تم تنفيذ جزء كبير من خطة العمل العلمى ، وأنه لابد من تطوير هذا التعاون والإسراع بخطواته .

وفى الوقت نفسه صرح الدكتور محمد قاضى مستشار رئيس الوزراء الباكستانى لشئون العلوم والتكنولوجيا عقب اجتماعات اللجنة بأنها قررت إجراء مسح لمتطلبات بعض الدول الأعضاء فى المنظمة فى مجال العلوم والتكنولوجيا بالإضافة إلى بذل الجهود فى مجال نقلها بين الدول الأعضاء .

مركز للدراسات الاقتصادية الإسلامية

قرر مجلس جامعة الإسكندرية إنشاء مركز جديد للدراسات الإقتصادية الإسلامية . يلحق المركز بكلية التجارة ويشرف عليه عميدها وعدد من اساتذة الإقتصاد بها .

أكد الدكتور عبد الفتاح سعيد عميد كلية التجارة بجامعة الإسكندرية ان الهدف من إنشاء المركز هو الإسهام بالبحوث الجديدة والمفيدة فى مجالات الإقتصاد الإسلامى والتنمية الإقتصادية فى البلاد النامية والإجتهاد فى وضع الحلول الإسلامية للمشكلات الإقتصادية التى تواجه دول العالم التى تعتمد على نظريات حديثة عقيمة لا تنظر بعين الاعتبار لأية عوامل إنسانية .

واضاف عميد كلية التجارة يقول : إن المركز سيقدم للعالم ما يثبت أن الاعتماد على اسس



د . أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ صفوت عبد الجواد

ونظريات الإقتصاد الإسلامي هو الخلاص الوحيد من اية مشكلات اقتصادية .

أول جامعة اسلامية فى أوربا

من المتوقع ان تبدأ الدراسة في أول جامعة إسلامية في القارة الأوربية مع بداية عام ١٩٨٨ م ومن المنتظر أن توافق الحكومة السويسرية على إقامة هذه الجامعة في العاصمة جنيف .

والجامعة ستفتح ابوابها أمام الطلبة المسلمين وغير المسلمين وسيكون التدريس باللغتين العربية والإنجليزية والدراسة سوف تكون مزيجاً من العلوم الإسلامية والعلوم الأخرى .

ويشير المسئولون عن الجامعة الجديدة إلى أن اختيار سويسرا دون غيرها من الدول الأوربية يرجع إلى ما تتميز به سويسرا من حياد على مستوى المجتمع الدولى .

جامعة الأزهر ترفض هدية الليونز

قرر مجلس جامعة الأزهر في جلسته الأخيرة بالأغلبية رفض قبول السيارة الطبية المقدمة كهدية من نوادى الليونز في مصر وذلك لإيمان اغلبية اعضاء المجلس بالعمل التخريبى الذى تقوم به هذه النوادى ضد الإسلام . وكانت نوادى الليونز في مصر قد قدمت إلى جامعة الأزهر سيارة طبية مجهزة بسريرين وباحدث الوسائل العلمية . واشترطت نوادى الليونز الإبقاء على شعار الليونز الماسونى فوق السيارة ولكن أغلبية اعضاء مجلس الجامعة رفضوا الهدية نظراً لان المبادىء السرية لهذه النوادى تقوم على احتواء الشباب وتجنيدهم لخدمة الصهيونية العالمية بطرق مختلفة . [النور ٢٤ ربيع أول]

الاهتمام بالمعاهد الأزهرية

أوصى المجلس القومى للتعليم بضرورة الاهتمام بمكاتب تُحفيظ القرآن الكريم واعتبارها معاهد ابتدائية تقوم برسالتها التعليمية والتربوية لأبناء المسلمين وطالب المجلس في اجتماع له برئاسة الدكتور عبد القادر حاتم المشرف العام على المجالس القومية بتلبية احتياجات المحافظات من المعاهد الأزهرية مع مراعاة التوازن بكل محافظة بالتنسيق مع الجهود الذاتية في المساجد والتجمعات الدينية كما ناقش المجلس تقريراً حول المنشئات الأزهرية وسبل تطوير رسالتها الإسلامية وحصر المعاهد الأزهرية لتحديد ما تحتاج إليه من ترميم وإصلاح .

المؤتمر الدولى للدعاة

بدات جامعة الأزهر في الإعداد لعقد المؤتمر

←

سبق لمجلة الأزهر أن نشرت فتوى إدانة هذه الجمعية والروتارى وما على شاكلتها ونشرت ذلك ثلاث مرات .. مجلة الأزهر .

أنبـــاء وآراء

الدولي حول دور الجامعات الإسلامية في تخريج الداعية المقرر عقده بالقاهرة في شهر شعبان المقبل وكذلك الإعداد لعقد الندوة المشتركة لبحث مناهج كليات الشريعة والدعوة والدراسات الإسلامية التي من مهامها تخريج الداعية القادر على نشر كلمة الله . ومن المقرر أن يشارك في المؤتمر وفود الدول العربية والإسلامية وممثلو الجامعات الإسلامية وسوف يناقش المؤتمرون واقع الدعوة الإسلامية في الخارج وطبيعة اداء المراكز الإسلامية .

ندوات دينية للشباب يشترك فيها : علماء الاجتماع والنفس والاقتصاد

تبدأ وزارة الأوقاف اقامة لقاءات وندوات دورية للشباب بالمحافظات بهدف توعيتهم دينيا ويشترك فيها علماء الأزهر والأوقاف والاجتماع وعلم النفس والاقتصاد .

وأضاف وزير الأوقاف أنه تقرر صرف مكافأة لمحفظي القرآن تتراوح بين ٨ و١٥ جنيها وإعانة لمقيمي الشعائر الدينية تتراوح بين ١٠ و١٥ جنيها بأثر رجعي من يوليو الماضي .

جامعة اسلامية

أكد الدكتور محمد عبد الرءوف مدير الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا : أن الجامعة هي إحدى قلاع الدراسات الأكاديمية في العالم . حيث تدرس العلوم الإنسانية والتكنولوجيا بالإضافة إلى القيم الإسلامية المستمدة من الدستور الإسلامي .

واضاف مدير الجامعة يقول : إن الهدف من الجامعة الإسلامية العالمية هو تخريج خبراء مسلمين في جميع نواحي المعرفة لغرس المبادىء الإسلامية في حياة المجتمع ، واسترداد كرامة المسلمين من جميع نواحي المعرفة ، والنهوض بالمعارف والعلوم المختلفة والمواد الإجتماعية التي ترتكز على الأفكار الإسلامية .

أول مشروع لدراسة العمارة الإسلامية

تقوم الأمانة العامة لمنظمة العواصم والمدن الإسلامية حالياً بالإشراف على مشروع لدراسة العمارة الإسلامية في عواصم ومدن العالم الإسلامي ، ودراسة علمية للاستفادة بها في تخطيط المدن الجديدة . يتم تمويل هذه الدراسة ـ التي تعد الأولى من نوعها ـ من صندوق الحفاظ على التراث التابع للمنظمة وذلك بهدف تأصيل أسس العمارة الإسلامية وتدريسها بجامعات الدول العربية والإسلامية . وأكد المهندس عبد القادر حمزة كوشك الأمين العام للمنظمة : إن هذه الدراسة ستطبق على معظم المدن الإسلامية التي شهدت حضارات حديثة بغية الوصول إلى النظريات والأصول والأسس التي تقوم عليها العمارة الإسلامية وقد وقع الاختيار على مدينة القاهرة كأول مدينة تجرى عليها هذه الدراسة .

دراسة جديدة عن الاقتصاد الاسلامي

صدرت أخيرا دراسة جديدة عن الاقتصاد الإسلامي بعنوان [مبادىء النظام الاقتصادي الإسلامي وبعض

تطبيقاته] للدكتورة سعاد ابراهيم الأستاذ المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بجامعة الأزهر .

وتوضح الدراسة تفرد النظام الاقتصادى الإسلامى وتميزه عن النظم الاقتصادية الوضعية وقدرته على معالجة الأوضاع والمشكلات الاقتصادية التى عجزت هذه النظم عن حلها .

وقد ناقشت الدراسة العديد من الموضوعات التفصيلية والفرعية مثل معالجة الإسلام لمشكلة الفقر وحماية الملكية العامة والملكية الخاصة ومواردها ومصروفات الدولة الإسلامية بالبنوك والتامين والعقود وغيرها .

بعد ٨٠٠ عام على موقعة حطين مؤتمر دولى فى القاهرة لإعادة تقييمها !!!

بمناسبة مرور ٨٠٠ سنة على معركة حطين عام ١١٨٧ والتى أنهت الوجود الصليبى فى المنطقة العربية على يد صلاح الدين الأيوبى تنظم جامعة المنصورة بالاشتراك مع المجلس الأعلى للثقافة مؤتمرا دوليا فى مارس القادم لإعادة تقييم موقعة حطين باعتبارها حدثا عالميا ويشترك فى المؤتمر أساتذة التاريخ المتخصصون بالدول العربية والأوربية . وسوف يتبادل المؤتمر . كما صرح د . عبد العزيز فؤاد عميد آداب عين شمس دور الدول العربية فى مواجهة القوة الصليبية الكبيرة وأثرها فى التكوين الفكرى للمجتمع العربى فى العصر الإسلامى وأيضاً دراسة مدى وجود العنصر العربى فى الجيش فى تلك الفترة بالإضافة إلى تحليل الرؤيا الأوربية ومدى موضوعيتها .

٢٧ عالما أزهريا لمواجهة التبشير فى أندونيسيا

قرر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ايفاد ٢٧ عالما من الأزهر إلى أندونيسيا لمواجهة حركة التبشير ونشر الوعى الدينى لدى مسلمى اندونيسيا .

خطة لاستثمار أموال الأوقاف

طالبت ندوة [موارد الدولة المالية فى المجتمع الحديث من وجهة النظر الإسلامية] بسرعة العمل على إيجاد سوق مالية إسلامية . وأوصت الندوة التى نظمها المعهد الإسلامى للبحوث والتدريب التابع للبنك الإسلامى للتنمية بجدة بضرورة استثمار أموال الأوقاف فى الدول الإسلامية فى إطار الحدود الشرعية ، وتشجيع انسياب رءوس الأموال بين دول العالم الإسلامى .

وأكدت الندوة : أن الاقتصاد الإسلامى نظام متكامل وقائم على شريعة الله . وهو قادر على معالجة المشكلات الاقتصادية والمالية

أنبـاء وآراء

التى تواجه البشرية ، ويتضمن الحلول الناجعة لما تعانيه المجتمعات الإسلامية اليوم . وأهابت الندوة بجميع الدول الإسلامية أن تعيد تنظيم اقتصادياتها على أساس هذا النظام الإلهى للتوفيق بين عقيدة الأمة ونظمها وواقعها التطبيقى لتحقيق الانطلاق بالطاقات البناءة بشكل متناسق وهادف لما فيه خير الشعوب .

مؤتمر دولى فى القاهرة لبحث تأثير مخلفات الصناعة على الإنسان والحيوان

● ينظم الاتحاد العالمى للمنظمات الهندسية وجمعيات المهندسين المصريين ووزارة الصناعة المصرية مؤتمراً حول تأثير مخلفات الصناعة على بيئة الإنسان والحيوان .

ويبحث المؤتمر أحدث وسائل حماية البيئة من مخلفات الصناعة من سوء نقل وتخزين واستعمال المواد الكيماوية والمبيدات والأدوية والأسمدة وأحسن طرق التخلص من مخلفاتها حماية للأرض والماء والهواء .

ويشترك فى المؤتمر علماء وخبراء ٢٥ دولة وأربع منظمات علمية وهندسية دولية .

محافظة المنيا تقرر عدم اعطاء تصريحات لمحلات الخمور

قرر المجلس المحلى لمحافظة المنيا عدم التصريح بإنشاء محلات لبيع الخمور أو الاتجار فيها .

جاء هذا فى الاجتماع الأخير للمجلس المحلى بعد مناقشة مطولة ويأتى هذا القرار فى إطار اتجاه المحافظة إلى القضاء على مظاهر الإسراف والمخالفات الشرعية . وخاصة بعد أن انتشرت فى الأونة الأخيرة مظاهر تعاطى الخمور والمخدرات .

حظر الخمور بموريتانيا

أصدرت الحكومة الموريتانية قراراً بفرض حظر تام على إدخال وبيع وتناول الخمور والمشروبات الكحولية بجميع أنواعها فى كافة أرجاء الأراضى الموريتانية . كما تضمن القرار فرض حظر على أعضاء البعثات الدبلوماسية بمنعهم من شرب الخمر فى الأماكن العامة أو التجول فى حالة سكر ، وإلا تعرضوا لإجراءات الطرد أو العقوبة التى نصت عليها الشريعة الإسلامية .

ومنح القرار مهلة للتجار الأجانب الذين كانوا يبيعون الخمور مدتها عشرة أيام من حين صدور القرار . للإبلاغ عن مخزونهم وسوف يتم مصادرة وتدمير هذا المخزون بعد انقضاء هذه المهلة .

وجدير بالذكر أن استهلاك وبيع الخمور كان مصرحاً به للأجانب فى موريتانيا حتى وقت قريب .

شرب الكحول فقتله الفيل

نيودلهى - واخ ..

سحق فيل مراقب أحراش فى إحدى القرى بالقرب من جبل بور فى الهند .

وذكرت وكالة يونايتد نيوز أوف أنديا أن الفيل البالغ من العمر ١٦ عاما ويدعى بيجون لا يحب رائحة الكحول ويكره رائحة الشراب . وحينما قام مراقب الأحراش ويدعى بثنويراسات بجولة فى منطقة عمله بعد أن تعاطى كمية من الشراب الأمر الذى لم يستطع الفيل تحمل رائحته فدفعه عاليا بواسطة خرطومه وألقاه أرضا وسحقه بقدمه حتى الموت

نجاح المواد الكيماوية فى علاج السرطان

اكدت الندوة العلمية التى عقدتها كلية الطب بجامعة الاسكندرية نجاح استئصال المواد الكيماوية فى علاج السرطان بعد أن نجح استخدام هذا النوع من العلاج نجاحا كبيرا .

وقد ناقشت الندوة على مدى ثلاثة أيام الجديد فى علاج السرطان وطالبت الندوة بضرورة الكشف المبكر عن السرطان كما أكدت دور الجراح فى العلاج .

العلاج بالإيحاء بدلا من الأدوية

بدأ مؤخرا بالقاهرة اجتماعات أول مؤتمر من نوعه عن العلاج بالإيحاء والطب الطبيعى والذى تنظمه نقابة الأطباء المصرية بالاشتراك مع الجمعية المصرية للعلاج بالإيحاء .

يناقش المؤتمر الذى يشارك فى أعماله اساتذة من جامعات واشنطن وبوسطن وهارفارد وأساتذة الطب الطبيعى بالجامعات المصرية عدداً من الابحاث العلمية حول كيفية التعايش مع الألم والعلاج بالإيحاء .

والنتائج التى توصلت إليها الجامعات الأمريكية فى هذا النوع من العلاج بالنسبة لعدد من الأمراض المختلفة وخاصة الأمراض المتقدمة باعتبار أن هذا النوع من العلاج ليس له آثار جانبية كما هو الحال بالعلاج الكيميائى .

منحة سعودية سنوية للوقف التعليمى بلندن

أصدر الملك فهد قراراً برعاية شئون المسلمين وتقديم المساعدات للجمعيات الإسلامية فى مختلف أنحاء المملكة .. وقد صدرت موافقة ملك السعودية على تقديم منحة سنوية للوقف التعليمى فى لندن كما قدمت المملكة السعودية دعما ماليا للمسلمين فى بنجلاديش لمساعدتها فى القيام بنشاطها فى خدمة الإسلام والمسلمين .

دراسة حول شكل الأسرة بالقرية المصرية

« ملامح التغيير فى شكل الأسرة بإحدى القرى المصرية » هو موضوع رسالة الماجستير التى تقدمت بها عالية حلمى عبد العزيز المعيدة بقسم الاجتماع بكلية البنات بجامعة عين شمس والتى حصلت بها على تقدير « امتياز » .

تكونت لجنة المناقشة من د . علياء شكرى أستاذ ورئيس قسم الاجتماع ود . سامية الساعاتى ود . نبيل صبحى الأستاذين بالكلية .

أنباء وآراء

المؤتمر العالمى للصحة النفسية يعقد بالقاهرة

زارت القاهرة مؤخرا الدكتورة « اديث مورجان » رئيسة الاتحاد العالمى للصحة النفسية لبحث الترتيبات النهائية للمؤتمر العالمى للصحة النفسية الذى يعقد فى القاهرة فى أكتوبر القادم لأول مرة .

وأكدت الدكتور « أديث مورجان » على دور العقيدة فى حفظ التوازن النفسى للإنسان وأبدت تقديرها لما يقوم به الأطباء المصريون والجمعيات التطوعية فى علاج مدمنى المخدرات والخمور والتأثير الايجابى للمساجد فى حماية المجتمع من الاضطرابات العصبية والنفسية التى تنتشر فى العالم الآن وتتزايد بسرعة كبيرة . وتقديرا لهذا الجهد فقد تقرر عقد المؤتمر العالمى للصحة النفسية لأول مرة فى القاهرة وهى أول مرة يعقد خارج أوربا وأمريكا هذا وقد اشادت الدكتورة « أديث مورجان » بدور الأطباء المصريين فى مجال الصحة النفسية أمثال د . جمال ماضى أبو العزايم نائب رئيس الاتحاد . والدكتور عمر شاهين . والعديد من الأساتذة المتخصصين فى الصحة النفسية من وزارة الصحة والجامعات والقوات المسلحة .

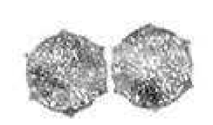
عدم اختيار أسماء أجنبية للمدارس

قرر وزير التربية والتعليم عدم السماح باختيار أسماء أجنبية للمدارس واختيار أسماء عربية لها .

وصرح وكيل وزارة التربية أن القرار يأتى تأكيداً للطابع العربى للمؤسسات التعليمية والتربوية والحفاظ على التراث العربى والإسلامى لها خاصة بعد أن كثرت ظاهرة استخدام الألفاظ الأجنبية على بعض المدارس الخاصة .

مؤتمر حول دور الجامعات الإسلامية فى تخريج الداعية

● تقيم جامعة الأزهر فى شهر شعبان القادم مؤتمراً حول دور الجامعات الإسلامية فى تخريج الداعية تقيمه الجامعة بالإشتراك مع وزارة الأوقاف المصرية وجامعة الامام محمد بن سعود ويصاحب هذا المؤتمر ندوة تعقدها جامعة الأزهر لعمداء كليات الشريعة فى الجامعات الإسلامية وهى نحو أربعين كلية منتشرة فى أنحاء العالم الإسلامى والندوة مخصصة للنظر فى توحيد المناهج الدراسية بين هذه الكليات والارتفاع بمستوى الخريج وتتصل هذه المناهج شئون الدعوة وتخريج الدعاة والممارسين للعمل الإسلامى فى ميادين مختلفة كما أنه سيصاحب هذا المؤتمر وهذه الندوة انعقاد المجلس التنفيذى لاتحاد الجامعات الإسلامية فى رحاب جامعة الأزهر .



من خير ما أكتب

للأستاذ
عبد الفتاح السيد عبد السلام

الدكتور / عبد الجليل شلبى

قرآن وسنة

يحزننى كثيرا أن أرى الهجوم على الإسلام هنا وهناك ، ويحزننى أكثر أن أرى هذا الهجوم على كثرته وعنفه يقابل بصمت وهدوء بالغين من الحكومات الإسلامية ومن الهيئات الدينية كأن الأمر لا يعنى أيا منهم .

فى جنوب أفريقية سيم المسلمون ويسامون سوء الهوان ، حوربوا فى دينهم وأبعدوا عن مساجدهم وحيل بينهم وبين شعائرهم الإسلامية ، وفى الفيلبين شنت عليهم حروب متطاولة حتى طولبوا ان يقتل بعضهم بعضا ، وأن يشن جنودهم المدربون حربا مسلحة على ذويهم العزل ، لا لشيء إلا لأنهم مسلمون !

والآن تعلن روسيا حربا جديدة على المسلمين فى اقاليم التركستان ، لأنها لا تقبل شيئا اسمه الاسلام أو الدين أيا كان فى بلادها .

كل هذا ولم نسمع احتجاجا او إستنكارا من أى هيئة إسلامية ، ولروسيا فى الشرق دول أصدقاء وأحلاف أمموا ممتلكات وصادروا أخرى ، وحاربوا الجماعات الدينية ، نشروا عناصر شيوعية بأسماء مستعارة كل هذا مجاراة ومجاملة للحليفة أو الصديقة . الا يستحقون هم أدنى مجاملة ؟ الا يستحق دينهم أن يغضب من أجله ؟

إن حملة كهذه خليقة أن تقطع من أجلها كل الروابط والاتصالات وأى شيء أثمن من الدين وبأى شيء يمتاز الإنسان عن الحيوانات الأخرى إلا بدينه ؟ وكيف ندعو الناس إلى الإسلام ونحن لانأبه به ولا يعنينا الدفاع عنه ؟!

فى بداية الدعوة قرر نبى الإسلام الا مجاملة فى الدين ، وقال « إنما أهلك من قبلكم انهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد » وقرر الفقه الاسلامى أنه لو اعتدى على امرأة فى أقصى المغرب لوجب على المسلمين فى أقصى المشرق أن يهبوا لنصرتها .

ورأينا عاقبة التفرق وإهمال هذا المبدأ فى غير موضع من جوانب الدولة الاسلامية الكبرى ، رأيناه فى أسبانيا وفى البلقان وفى تركيا ونحن نراه يتكرر وليس لدينا شيء من عظات التاريخ .

وفى الجانب القريب منا نرى ما تفعله إسرائيل بالفلسطينيين وما يجرى بينهم وبين أخوتهم الألداء اللهم لا أقول كلمة اليأس فإن لنا فيك رجاء .

من خير ما كتب

الدكتور / محمد رجب البيومي

ادباء العروبة ووحدة الصف

نقرأ فى الصحف العربية أحيانا هجوما ظالما على مصر لكتاب ليسوا من ذوى الصيغة الحزبية، والانتماء السياسي، فنعجب غاية العجب لمن يدابون على تفريق الشمل، وإثارة الحفائظ، وكأنهم بذلك يخدمون القضايا العربية، وإذا جاز لنا أن نغمض عن أقلام عرفت بخدمة اتجاهات خاصة، فلماذا نجد من ذوى الأقلام المحايدة من يغيرون الحقائق، ويلفقون الأكاذيب، وهم باطلاعهم التاريخى، ونظرهم المنطقى أجدر بالحرص على تصحيح الوقائع من ناحية، والبعد عن السفاسف من ناحية أخرى.

لقد كان الجيل الماضى وشعراؤه دعاة وحدة، وذوى رسالة هادفة، وما التأم الصف العربى إلا بجهودهم المخلصة، بل إن زعماء النهضة الأدبية فى العالم العربى من أمثال المنفلوطى وشوقى حافظ وشكيب أرسلان والزهاوى والرصافى قد سبقوا رجال السياسة فى توجيه القلوب إلى الوحدة المخلصة، والتعبير عن الآمال والآلام المشتركة، فحفظ لهم التاريخ مكانهم الصادق فى ميدان النضال البطولى، فما بالنا نجد اليوم أناسا يفترون على الله كذبا إذ يلبسون الحق بالباطل، فيختلقون من الوقائع مايناقض الحقائق، وصحف التاريخ ناطقة بما يعصف بأراجيفهم.

إنهم يجترئون على التاريخ حين يزعم أحدهم أن مصر كانت عالة على سوريا فى عصر المماليك!

وحين يزعم كاتب آخر أن الشعر يحيا فى سوريا والعراق ويموت فى مصر.

وحين يزعم ثالث أن الأزهر لم يعلم العرب إلا أن الأرض تدور على قرن ثور!

بين مصر وسوريا

من يقرأ قصائد شوقى وحافظ فى سوريا يعرف كيف ترجم الشاعران الكبيران مشاعر مصر نحو شقيقتها العزيزة، فإذا جاء اليوم من يذكر أن سوريا وحدها هى التى دافعت عن العروبة فى عصر المماليك، وأنها وحدها هى التى كانت منارة للعلم والثقافة فى البلاد العربية، فإننا نؤكد له أننا نود أن تكون سوريا مشعل العلم والثقافة فى كل عصر، ونود أن تكون قوة حربية لا تقف أمامها قوة.

وأقرب مرجع نذكره فى هذا المجال هو كتاب خطط الشام لمؤلفه الاستاذ محمد كرد على وزير المعارف الأسبق فى سوريا هذه الحقائق تنطق بأن مصر قد حملت رسالة الثقافة العلمية حين سقطت بغداد فى أيدى التتار، وحين فر علماء الأندلس بعد ضياعها إلى ربوع النيل، فكانت مصر ملاذ الوافدين من العلماء شرقا وغربا إذ ضمتهم جميعا إلى علمائها المبرزين.

أما التى دافعت عن العروبة حقا فى هذا العصر فهى مصر التى تقدمت جيوشها إلى لقاء التتار فى موقعة عين جالوت بعد أن سقطت حلب ودمشق فى أيديهم، ولا تستشعر مصر فخراً حين تسجل ذلك، فقد قامت بواجبها الحتمى نحو عروبتها وإسلامها، فكيف تكون بذلك عالة على سوريا، كما زعم الكاتب.

زعم شاعر الغزل المكشوف فى سوريا أن الشعر يولد فى سوريا ويحيا فى العراق ويموت فى مصر، والذى يتعرض لحياة الشعر ميلادا وحياة ومماتا لابد أن يكون ناقدا أديبا ودارسا لمراحل التطور الشعرى المعاصر.

وقد أثبت صاحب هذا الزعم أنه لا يعرف ما يحفظه طلاب المدارس، حين يقررون أن النهضة الشعرية فى العالم العربى بدأت على يد محمود سامى البارودى فى مصر إذ أنقذ القريض من حضيض التفاهة اللفظية والمحسنات الملفقة إلى مجال الرصانة القوية والديباجة المشرقة بحيث رجع بالقصيدة إلى العهود الزاهرة محاكيا فحول العباسيين ثم خلفه صبرى وشوقى وحافظ ومحرم

ممن عرفوا بشعراء البعث ليجددوا فى الأغراض والمعانى وليجعلوا الشعر لسان الحياة اجتماعيا وسياسيا وعاطفيا .

فإذا كانت مصر قد بعثت الشعر المعاصر فكيف تكون هى التى أماتته ؟ وإذا كانت مدرسة البارودى قد حاكت القديم ، فإن الشعراء النقاد من المصريين قد طوروا القصيدة المعاصرة حتى اكتملت لها الوحدة الفنية ذات التجربة الصادقة فكان العقاد وشكرى والمازنى خطوة تالية فى الإبداع المعاصر . وعلى هديهم المنير نشأت الاتجاهات المعاصرة ما بين سريعة ومتئدة .

وثالث يكتب فى ادعاء فيقول إن البلاد العربية لم تتعلم من الأزهر إلا أن الأرض تدور فوق قرن ثور ، وصاحب هذا القول يجهل أن هذه الأسطورة قد سجلت فى كتب تاريخية قبل أن ينشأ الأزهر بقرنين ، كما يجهل أن كتب الأزهر قالت بكروية الأرض قبل أن يكتشف كولمبس أمريكا بمائة عام .

المواقف للامام عضد الدين الإيجى وهو مما يدرس فى الأزهر أشار إلى هذه الحقيقة .

كذلك أشار إليها الفخر الرازى والبيضاوى فى تفسيرهما .

وكلاهما من كتب الأزهر التى تدرس فى القديم وتعد من أمهات المراجع .

ولو كان لدى هذا الكاتب دراية يسيرة بأمثال هذه الكتب لسكت ، ولكنه اشتط حين تهكم بما قال ، ثم زعم أن الأزهر لم يفد العالم العربى شيئا ، مع أنه كان موئل الطلاب على مستوى العالم الإسلامى وكانت به إلى عهد قريب أروقه « جمع رواق » للأتراك والهنود والمغاربة والشوام والجاوميين واليمنيين والسودانيين مما تطور بعد إلى ما يسمى بمدينة البعوث الإسلامية وكان الوافد من هذه الممالك والدول يجد العلم والمعرفة كما يجد الزاد والمأوى دون من ، فالجميع أخوة فى دين الله يطلبون العلم ولا أكثر دلالة على هذا الإخاء الوثيق من أن الأزهر فى بعض عهوده القريبة جدا كان شيخه تونسيا وهو الامام الأكبر محمد الخضر حسين ووكيله سودانيا وهو الشيخ محمد نور الحسن وشيخ كلية الشريعة فلسطينيا وهو الاستاذ عيسى منون .

فإذا كانت مناصب الأزهر الكبرى وكلت فى زمن واحد إلى ثلاثة من شيوخ البلاد العربية مع وجود من يماثلهم من شيوخ المصريين ، أفلا يدل ذلك على تغلغل فكرة العروبة وروح الإسلام فى نفوس القائمين على أمره !

اننا نذكر ذلك لتدعو الذين يحبون أن تشيع الفرقة بين مصر وأخواتها أن يفيقوا إلى رشدهم . وأن يعلموا أن إيجاد التنازع والشقاق بين ابناء الأمة الواحدة ، لن ينفع فريقا ويضر فريقا بل سيدحر الجميع .

الأستاذ / عبد اللطيف فايد

عندما تكذب الفنون !

تظهر بين الحين والحين وسط نتاج أهل الموسيقى والغناء ميول إلى الأعمال التى يسمونها أعمالا دينية ، فتظهر فيها كلمات يلحنونها ويغنونها تحمل طابعا اخلاقيا ينزع إلى استلهام سيرة النبى ﷺ والاتجاه إلى الله سبحان وتعالى بالدعاء وطلب الهداية والمثوبة ، ومن هنا يشاع عنهم بين الناس أنهم يخدمون الطريق إلى الدين ويعبدونه لكل راغب فى الذهاب إليه ، بعد معايشة طويلة أو قصيرة للآثام والذنوب .. ويجد هؤلاء من الكتاب من يكتب مشيدا بأعمالهم وانتاجهم الذى كان فى زعمهم ـ الواحة الكبرى للذين اغرقتهم الخطايا فى لجتها ، فاستنشقوا رائحة الإيمان مع آهات هذه الألحان والأغانى ، بل إنهم يبالغون فى ذلك ويصورون أن الإنسان فى حاجة إلى هذه الكلمات فى صورها الفنية ، لتخرجه مما هو فيه من زحام الشهوات والميول العدوانية على الناس والأخلاق .

بهذا المقياس ينظر أهل الفن وأهل الكتابة الفنية إلى الأغانى التى تسمى بالأغانى الدينية تلقيها المغنيات على المسارح وفى الحفلات وقد لبسن لها

←

من خير ما كتب

ثيابا كاسية لأجسادهن ، وهى ثياب غالية الثمن ، بل هى باهظة الثمن والتكاليف بعيدة عن المعانى الروحية التى تنطق بها السنتهم فى نغم يصلح لكلمات العشق غير البرىء والهوى الذى ينطلق مع الشهوات الدنيا ، على أن الثياب الكاسية تركت الرءوس عارية تكشف عن آخر صيحة فى تسريحات الشعر ، وتركت الأعناق مكشوفة تتدلى منها عقود تزينها اللآلىء الكريمة فضلاً عن الأقراط تتدلى من الآذان والأحزمة المزركشة تطوق الخصور ، وهى كلها تصنع زينة واضحة تتنافى مع روح الكلمات التى تنطق بها الألحان .

فهذه تغنى كلمات فى مدح النبى ﷺ والنبى برىء تماما مما تفعل وتبدى للناس من زينة ، وهذه تتغنى بكلمات تلجأ بها إلى الله ، وهى خارجة عن طاعته بما تظهر به أمام الناس من ثياب وحلى وتمايل إلى اليمين وإلى اليسار مع اهتزازات من الرأس هى جزء من الإغراء المقصود سواء بالميل هكذا وهكذا وبخصلات الشعر تهتز موحية بما توحى به أغانى الهوى والهيام . ثم يقال إن هذه وتلك تخدم بأغانيها إشباع رغبات صوفية عند المستمعين ، وتؤكد أن للفن دوراً فى تعميق مشاعر الدين والأخلاق لا غناء عنه للناس ، ويصاحب ذلك كله موجات كلامية باللسان وبالكتابة عن خدمة الفنون للأهداف السامية التى ترقى بالمجتمع وتهذب مشاعر أفراده ، وتساهم بقدر كبير فى تعبئته للتنمية والإنتاج ، وتصف بالتأخر والرجعية كل مجتمع لا ترقى فيه الفنون ، ولا تأخذ حظها من رعاية المسئولين القوامين عليه .

ولقد شهدنا من مختلف الفنون كثيراً وهى تسيطر على أفكار الناس بالغناء والموسيقى والسينما والمسرح وبنواديها الذائعة وبما تنقله من صخبها الاذاعة والتليفزيون إلى الناس فى بيوتهم ، وشهدنا كذلك معارض الرسم والتصوير والنحت يمجدها كتاب بعينهم ، ويدقون لها الطبول ، ويغالون فيما تحدثه فى النفوس ومشاعرها من رقى بأحاسيسها ، ثم بالتعبير عن نوازع ومنازع ، وخلق تيار جديد للثقافة لا يعتمد على الكلمة ـ وهى الوسيلة « الأم » فى التعبير التى تغنى عن سواها ولا يغنى عنها سواها ، وهى أقرب كل وسائل الثقافة إلى الأفهام والعقول .. ولو كانت هذه الفنون بكل ما يبسط لها الباسطون ذات أثر حقيقى فى تهذيب المشاعر وبناء الحياة لأصبح مجتمعنا الذى نعيش فيه مجتمعا خاليا من الجرائم ، بل خاليا من المشكلات والأزمات ، لأنه حينئذ مجتمع من اناس لهم صفات الملائكة من كثرة ما تعاطوا من الوان الفنون وتعلموا فى مدارسها ، وهكذا تسقط قضية الفن من أساسها .

وحتى تؤدى الفنون دوراً بناء فى الحياة لابد أن يكون سلوك أهلها على مثل ما يدعون إليه من قيم وأخلاق ، فلا يكتب للوطنية ويلحن ويغنى لها من البسوها قوالب لهوهم فى الحفلات الخاصة وأقربها حفل عيد الميلاد لابنة أحد الأثرياء ، لأن الوطنية ترفض هذا العبث الذى يضع المال هدفا رئيسيا له ولا أقول وحيداً . فالوطنية تقتضى البذل والعطاء ، لا الشح والتقتير ، ونحن رأينا فى عالم السياسة زعماء باعوا كل ما يملكون فى سبيل أوطانهم ، وماتوا وليس فى بيوتهم أثمان أكفانهم ، وكذلك رأينا علماء فى الدين استشهدوا من أجل عقيدتهم ، وما أسفوا على حياة ولا مال ، فبنى هؤلاء وهؤلاء حياة أمسك فيها المهتدون على القيم ، فبقيت وتلك أمثلة لا تجدها بين أهل الفنون الذائعة ، بل إن الإثراء عندهم يسبق الإجادة ، ودعوى الإمساك بفرصة المال قبل أن تضيع هى التى يحاربون لكسبها ، ومن أجل ذلك تذهب دعوتهم إلى البناء والقيم الأخلاقية والدينية هباء ، ولا تؤتى ثمارها ، فالأساس فى أصحاب هذه الدعوة أن يلتزموا بمبادئها وآدابها وبالسلوك الذى تؤدى إليه ، وتلك أساسية من أساسيات المؤمنين الداعين إلى الفضيلة ، ولهذا فإن الله سبحانه ينكر على مَنْ يقولون مالا يفعلون سلوكهم هذا ويمقته أشد

المقت ، فيقول سبحانه : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ » ...

الدكتور / عبد الله عبد الشكور :

نقطة البداية .. في مسيرة الدعوة

تاريخ الدعوة يبدأ بالعبادة ، فقد كان غار حراء مسجد أو خلوة رسول الله ﷺ ، يتحنث فيه الليالى ذوات العدد ، ويأوى بين جنباته إلى ربه يناجيه ويناديه ، وفيه نزل عليه الوحى ، ومنه انطلق ليقص على زوجه - السيدة خديجة - رضى الله عنها أحسن القصص عمن رأى وعما سمع ومنذ ذلك الوقت ، بل ومنذ بعث الله أنبياءه كانت الصلاة هى معراج العابد يصعد بها إلى ربه ، ويقترب بها إليه فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد .

من هناء جاء ارتباط الصلاة بالمسجد باعتبار أنه المقر المختار لجماعة المسلمين وجماهيرهم ، يؤدون بساحته صلاتهم ، وينزلون به فى استضافة ربهم ، ويشهدون منافع لهم ، حين تقوى معنوية المسلم بالمصلين من أخوته ، وبالعابدين من جيرته ، فيتواصون بالخير ، والمرحمة ، فتزداد الألفة ، وتشتد أواصر القربى ، ويصبح المسجد بيئة الأخوة الجامعة ، والقلوب الراشدة ، والعائلة المتآلفة ، ومصنع الأمة الواحدة .

ومن المسجد كانت أضواء ، على هداها كتب التاريخ أزهى صفحاته ، فى قصة أمة ، وفى أروع حضارة كان بناتها من بين هؤلاء الذين وقفوا فى صفوف المصلين بالمساجد ، والساجدين على أرضها وثراها ، ذلك أن المسجد كان فى فهم هؤلاء القادة من السلف مجمع الدنيا والآخرة ، لم يكن كما هو الآن لدى الكثيرين « ممراً للآخرة فقط » وبهذا صنع المسجد « إنسان الإسلام » صدق باطن ، وصلاح نية ، واخلاص معتقد ، وعزة بالله ، ورحمة بخلق الله ، وبهذا الزاد المحمدي انطلق ذلك الإنسان يبشر بالكلمة الجديدة التى يملك بها الإنسان دنياه وآخرته ، والتى كان يقولها رسوله صلوات الله عليه وآله لقومه قولوها تملكون بها العرب والعجم وتملكون عز الدنيا والآخرة : أشهد أن لا اله إلا الله .. وأن محمداً رسول الله .

وبتلك الكلمة الجديدة تغير التاريخ لأن الإنسان الذى يصنع ذلك التاريخ قد تغير ، والتاريخ دائما يأتى بعد بناته .

نهض المسجد فى حياة المسلمين بدور بناء .. ومازال المسجد مؤهلا لذلك الدور ، وذلك بالملايين من الجماهير التى تؤمه ، وبالاتجاه النفسي الذى يرى فى كلمة المسجد « رغبته ومنطلقه » ومن هنا تأتى الأهمية والخطورة لمكانة المسجد وتأثير عطائه فى حياة الإنسان والمجتمع ، ذلك أن أخطر الكلمات أثرا ، وأعمقها تأثيراً ، ما كان ارتكازه على أساس دينى ، ومنطلق روحى ذلك ما تقول به دراسات علم الاجتماع الدينى .

وعلى امتداد التاريخ الإسلامى وبخاصة فى مصر ، كان المسجد مقياسا لنبض الجماهير وحماسهم فهو فى حقيقته « إيذان وأذان » .. إيذان بأن فى الطريق شيئا .. فليحذر من يحذر من العاقلين ، ولينم من ينم من الغافلين ، وأما أنه أذان فإن ذلك اعلام بواقع قد يدمر أو يعمر ، واسمعوا معى إلى رواة تاريخنا فى الأندلس يقولون : إن الفرنجة كانوا إذا ما رأوا المساجد عامرة ، تقام فيها الصلوات ويتلى فيها القرآن ، وتؤدى فيها العبادات والأذكار وصلاة التهجد ودروس العلم ، كانوا ينصحون أمراءهم بالتريث والانتظار فلا جدوى من حرب عدو هؤلاء جنوده ، وتلك دور عبادته .. وحين كانوا يرون المساجد قل عمارها ، وضمر زوارها ، وغاب روادها ، كانوا يقولون : أزف الوقت ، وحانت المعركة .

من خير ما كتب

وبهذا كان المسجد مقياسا لواقع المجتمع وحاله .

ومن هنا فإن أى مسئول كائنا ما كان موقعه لا يجعل المسجد همه واهتمامه ، سيفقد « البوصلة » التى تشير إلى اتجاهات ذات دلالة ، وقد تغنى الدلالة عن العبارة ، بل إن مقياس توفيق المسئولين عن الدعوة فى أداء رسالتهم ، إنما يحدده نجاحهم فى تمكين المسجد كمؤسسة دينية من النهوض بوظيفته الدينية والاجتماعية وإلا فهو قد أضل الطريق أو أصابته دنيا .

ذلك أن كلمة المسجد أو صوته هو الذى يبنى جانبا كبيراً من الرأى العام ، فتتحرك به الجماهير ، أو تتحدث بما نبه إليه أو يعالجه من قضايا ، ومن هنا فإن رعايتنا لذلك الصوت زاد فكرى وعنايتنا به مدد ثقافى وتقديرنا لصاحبه ورجله مكانا وانسانا يصبح فى قضية المسجد حجر الأساس وركيزته ، وذلك حين نطمئن إلى صدق العبارة فهل نترجم ذلك كلـه خطة وتنفيذا ومتابعة « ؟ » إن ذلك سيكون نداء لجيل جديد من شبابنا يتجه إلى الدعوة حياة وعملاً .

الدكتور / عبد الحليم عويس

لـم تخلـف المسلمون .. لماذا ؟

الجمع بين العلوم الانسانية والعلوم التطبيقية هو السبيل لتقدم المسلمين

إن الحديث عن توقف ـ أو تعطل ـ دولاب أية حضارة يحتاج إلى نظر ثاقب من زاويتين :

● زاوية بناء الحضارة نفسه . وهل أصيب هذا البناء من داخله فاختلطت فى بنائه الفكرى .. التصورات وامتزجت المقولات الكبرى بالأهواء الصغرى ، أو أن البناء سليم وإنما أتى الخلل من عوامل خارجية .. ؟

● وزاوية « الناس » الذين ينتمون إلى هذه الحضارة .. ومدى قدرتهم العقلية على الاحتفاظ بنقاء البناء الفكرى للحضارة .. أو العكس ـ استسلامهم لتصورات دخيلة .. وفى الوقت نفسه .. معرفة مدى قدرة سواعدهم ـ بعد عقولهم ـ على أداء حق هذه الحضارة ورسالتها ..

وعندما ننظر إلى التاريخ الحضارى نجد معظم الحضارات قد سقطت للسبب الأول ..

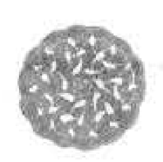
أى أنها إنما أصيبت ـ فى البداية ـ من داخلها ثم عجز أهلها ـ عقلاً وسواعد ـ عن حمل رسالتها .. لكن الحضارة الإسلامية ـ وهذا ما تتفرد به ـ بقيت على امتداد تاريخها صامدة من داخلها تقاوم بقوة الدفع القرآنى والنبوي ـ كل اختراق إلى الداخل .. فبقى القرآن ، محفوظا أدق حفظ وأروعه فى التاريخ حتى بالحرف الواحد ، والكلمة الواحدة ، وبقيت السنة النبوية تحظى بأدق منهج للجرح والتعديل في العالم .. ثم أنها تقاس على القرآن وكل ما يتعارض مع القرآن لا يقبل منها .

وعلى هذا الأساس فإن بحثنا فى قضية تخلف المسلمين يجب أن يستقر عند الزاوية الثانية .. أى البحث فى الناس الذين ينتمون إلى هذه الحضارة .. إنهم هم الذين كلت

عقولهم وسواعدهم وأصابهم الوهن ... وهم ـ كذلك ـ الذين عجزوا ـ لأسباب كثيرة ـ عن التعامل مع الحقائق القرآنية الحضارية بالمستوى الذي تتطلبه ..

إن هذه الأمة التى قيل لها: "اقرأ" قد مشت فى أحقاب من تاريخها مشياً معوجاً .. حتى وهى تقرأ وتكتب وتتصدر البشرية .. ففى بعض العصور حصرت هذه الأمة قراءتها واهتماماتها الثقافية فى العلوم النظرية .. وحتى كثير من العلوم الإنسانية لم تحظ بالاهتمام الكافى ـ فصارت القراءة ـ أو صار العلم ـ كأنه فقط ما يعرف بعلوم الدين ... اما العلوم الطبيعية والرياضية والتطبيقية بعامة فقد انزوت ـ بعد عصور التألق .

ــ وفى يقيني أن تخلفنا ليس « معضلة » أو شيئاً أصيلاً وإنما هو « مرض عارض » يجب أن تلتحم كل ابنية الحضارة الإسلامية المخلصة لعلاجه ـ وليس علاجه إلا العودة إلى « سنن الله » و« فقه الحضارة » .



فهرس العدد

الموضوع | الصفحة

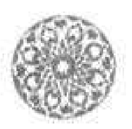
دراسات اسلامية

من اعلام الأزهر

الشعر والشعراء
اشراف د . حسن جاد

resuscitation methods or medication when the physician observes the onset of the death process. Such condition requires that all instrumental equipment helping respiration or heart beats should be removed when death is inevitable.

The issue concerning the discretion between patients similar in their morbid condition regarding their need for transplantation, transfusion and medication; while the availability of such is not enough. Priority is left to the experienced discretion of the medical authority judging on the bases of probable benefit. If, however, this is not possible, Islamic teaching allow drawing lots (lottery) as means to determine whoever deserves the service. After all, Allah be praised is Highest and Knows best.



opened if the valuables are substantial. The valuables are returned to owner, the name of the deceased becomes cleared and the heritors keep the estate intact.

The comprehension of the Zaydi school of Fiqh, mandates that the abdomen of a dead woman with a living faetus in her womb should be opened to extract the faetus; on condition that the faetus is of age and growth to remain alive after extraction. Also, the process must be conducted by an experienced knowledged person, and that there should be someone to support and care for the new born after his/her extraction.

In summary, the trend of Abu Hanifa and Al-Shaffi permits opening the abdomen of the dead whether to deliver living faetuses or to extract valuables. The trend of Malik and Hanbal permits opening the abdomen of the dead to extract valuables but not to deliver faetuses. The author personally chooses the trend of Abu Hanifa and Shaffi, which allows the opening of the abdomen of the deceased for a good logic cause. This understanding conforms with the principles and teachings of Islam based on the priority of the prepondrant good; and allowing the lesser harm bring about some good, the absence of which would be greater harm.

An organ from a cadaver should not be removed except after the death is verified. The verification of death depends on certain definite signs which are fixation of gaze, loss of muscle tone, relaxation of feet, twisting of the ala nasi, sinking of the cheeks, and loss of wrinkles of facial skin. Medically, there is loss of cardiac beats, arrest of respiration, and loss of all reflexes. Based on such considerations, a person is considered dead when signs of life leave him and the above mentioned signs of death are observed. It is permissible to use medical equipment to verify the death of the nervous system. The death of the nervous system alone does not establish death as defined to mean the cessation of life; the continued respiration and cardiac beats are evidence of life even if medical equipments show the nervous system to have lost its function. Death is the complete and total absence of life from all body organs, and the human body cannot be pronounced as dead except when life has left all the whole body.

In Islamic teachings, it is forbidden to prolong the agony of a dying patient by using forcible instrumental

part of the dead; in similarity to eating part of the dead under compulsion of necessity. This on condition that the faetus would live after its extraction. If the viability of the faetus is not expected; in one opinion the abdomen of the dead mother is not opened and she is not burried until the death of the faetus, and in another opinion, the abdomen is opened and the faetus with doubtful viability is extracted.

Regarding the issue of opening the abdomen of a dead person to extract valuables he had swallowed, opinions are not conclusive. If the deceased swallowed a jewel claimed by someone else, the abdomen is opened, the jewel extracted and returned to rightful owner.

If the jewel belongs to the deceased man, one opinion states that the abdomen should be opened to extract the jewel since it now belongs to the heirs, no longer belongs to the deceased. The other opinion states that the abdomen should not be opened since the jewel has been disposed of by the owner during his lifetime, and is not therefore the property of the heirs.

According to the Maliki school of Fiqh, the abdomen of the deceased should be opened to extract valuables swallowed during life, whether these valuable belong to the deceased or to someone else. On the other hand, the Maliki school mandates that the abdomen of a pregnant dead women should not be opened even if the faetus was viable.

According to the Hambal school of Fiqh, the abdomen of the dead pregnant woman should not be opened to deliver a live faetus; . however, that faetus should be delivered through the normal route for delivery. In the case of the deceased person who had swallowed valuables before death, his abdomen should not be opened if the valuables were little on the logic that he had consumed it. If, however, the valuables were expensive, his abdomen should be opened and the valuables extracted, to avoid the loss and benefit the heritors.

If the valuables belong to someone else, and the valuables were swallowed with the consent of the owner, the valuables should be treated as the possession of the deceased. If the valuables were swallowed injustly, two opinions are given. In one opinion, the abdomen is not opened and the valuables are rewarded from the estate of the deceased. In the second opinion, the abdomen should be

permitted under certain circumstances. The authorities of Islamic Fiqh discussed this matter in the section dealing with Funerals. The issues being the opening of the abdomen of pregnant woman who died carring a live faetus; and if the faetus is dead and the woman alive. Also, about opening the abdomen of a dead person to retrieve the valuables that he might have swallowed before his death.

In that respect, the authorities of the Hanafi school did state that if a pregnant woman dies while the faetus is alive and moving, the abdomen should be opened on the lert side and the child extracted. Conversely, if the faetus dies in the womb of the living mother, the faetus must be excoriated. The logic being that preserving the consecration of life overrules preserving the consecration of the dead. If the dead faetus in the womb of a living mother threatens her life and the delivery of the faetus was impossible without excoriation; it is permissible to introduce an instrument and perform instrumental excoriation to preserve the life of the mother.

The issue of opening the abdomen of a dead person to extract valuables he had swallowed is conclusive. If the person swallowed valuables of his own possessions and died, his abdomen is not opened because the consecration of the human being and his dignity alive or dead have precedence over the consecration of the valuables; and a higher consecration cannot be suspended to enact a lower one. If the valuables swallowed were the property of another person, the abdomen of the deceased person is not opened on condition two requirements are fulfilled; that the property of the deceased can equate the valuables swallowed, and that the act of swallowing was not intentional in order to exclude the action of transgression.

If however, the act of swallowing was intentional, then it becomes permissible to open up the abdomen of the deceased to extract the valuables, on the grounds that the right of the owner has precedence over the right of Allah. Emphysis on the fact that the deceased had transgressed injustly by intentionally swallowing someone else's valuables, thereby cancelling his own consecration by that transgression.

The authorities of the Shafie school of Fiqh state that if a woman dies with a living faetus in her womb, her abdomen is to be opened to preserve life by destroying

ORGAN TANSPLANTATION

IN HUMAN BEINGS*

By :

His Eminence Al-Emam, Gad El-Haq Ali Gad Al- Haq

The Grand Sheikh of Al-Azhar

In a previous article **, four issues were discussed in the light of Islamic jurisprudence (Fiqh) which defined the various schools of thought regarding the different aspects of organ transplantation. The remaining four issues are in essence only indirectly related to the subject of organ transplantation. However, the inclusion of these issues provides more understanding and completion of the subject as a whole.

The issues to be discussed in this present article are; the comprehensive definition of death according to Islamic Fiqh; the Islamic Ordinance on the abdominal incision of a pregnant woman after her death, and of a dead man to retrieve valuables; the ruling on discriminating between a number of patients with regards to organ transplants; and finally the Islamic premise on the use of intensive resuscitation medical equipment to help respiration and heart beat, when death of the nervous system is confirmed.

With a genuine praise to Allah, and prayers and peace be upon the magnanemous Prophet Muhammad, considerations of these issues will follow. May Allah the All-Mighty bestow upon us the light of knowledge, and the reality of truth and understanding.

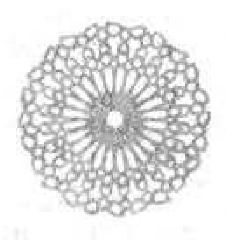
Islamic teachings have respected and honoured the human body both alive and dead; and therefore mutilation of the body after death by opening the abdomen is only

* Article originally published in Arabic in the Al-Azhar Magazine Vol. 55, Shawal 1403, H.; July, 1983 AD.

** Article published in English in the Al-Azhar Magazine Vol. 59, Rabie Al-Akhar, 1407; December, 1986 AD.

almost all the Arab peninsula. The Divine Referendum was declared in the Holy Revelation to legislate the Muslim relationship with unbelievers; and other doctrines in the Holy Revelation also specified Muslim relationship with the "People of the Book". The expansion of Islam required a structure of knowledge necessary to carry on the "Call unto the path of Allah" for the "Muslim Ummah" and the generations of mankind to follow. This structure of knowledge was precisely formulated, practiced and instructed by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

Prayers and peace by upon our magnanemous Prophet.



overtly, and any hostile act against this call is considered a rejection of a peaceful call to logic, reason and fruitful argument. Men differ is their use of logic and reason, however, from the Islamic standpoint, the critical rational truth must be known which eventually will overspan differences, and the act of calling unto the path of Allah becomes not merely an act of faith, but one of conviction and sincere devotion to what is critically and rationally right.

In his teachings, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) stressed the fact that the call unto the path of Allah must be continuous, being essentially an act of an anamnesis and remembrance, a mental and spiritual exercise to retain the Kinetic needs of the self conviction. Islamic doctrines are innate natural constituents of human nature. The natural sence of understanding (fitrah) in humans is to recognize Allah, Creator, Transcendent, Ultimate, Master, and One. The impact of history either confirms and activates this human faculty or stagnates and wraps it into forgetfulness and even imposes diversions and rejection. For such reason, the teachings of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) emphasized the need that man must be rememebered to return to himself, to what is innate in him, to the objective thinking away from the precipitate of indoctrinations and inculcations of history. The foremost function of Islam is to remind mankind with what is already in them, to enrich it, to cultivate it, so that the life of mankind is fulfilled.

The call unto the path of Allah was primarily the main concern of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) from the time of his commission as Prophet by receiving the Holy Revelation, and for twenty three years till the begining of the tenth year of Hijrah. With constant patience, confident hope, perpetual conflict, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) continued to call unto the path of Allah. The implementation of this process differed from one stage to another, from one circumstance to another, and from one situation to another. However, throughout the years. The proliferation of Islam was performed essentially in peace and pivoting on reason, logic, and the awakening of the innate "fitrah" of mankind.

During the months of the tenth year after Hijrah, it became clear that the proliferation of Islam had covered

dignity. Islam puts its trust in man's rational power to discriminate between what is true and what is false, and is therefore an invitation to think, reason and conceptualize which is innate and natural to human beings. The essential bearings of Dawah as taught by the Quran and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) that man is the Khalifah (vicegerent) of Allah on earth and therefore carrier of responsibility entrusted to him for the fulfillment of the Divine will in the moral law in the life of man. Any coercion in that function is a violation of man's relation to the Divine will.

In his teachings, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) stressed the fact that the call to Allah must preserve the freedom and full consciousness of choice. This protects the cause to be for anything but the sake of Allah. It is directed to Muslims and non-Muslims as well, being of a universal nature. This universalism of the call to the path of Allah "Dawah" is addressed to the non-Muslim to join the ranks of those who make the pursuit of the word of Allah supreme; and to the Muslim to press forward towards actualization to achieve felicity through a continuous unceasing effort. The call unto the path of Allah had been recognized and processed by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) as a rational necessity and a critical process of intellection, never to be dogmatic by its own authority and renewal of form in cognizance to scientific knowledge in accordance to the human situation. Moreover, conversion to Islam is not the extreme realization of accomplishment, it is rather a growing dynamic process. If the faith of a Muslim stagnates and becomes lethargic, it degenerates into impoverishment. The certitude of a Muslim (Yaqin) is continuously vitalized and enriched by new knowledge, by rational thinking and conviction.

The policy of understanding which the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) adopted indicated that Islam is "Din Al-Fitrah" conforming with the primal elements of human nature. It is the basic axiom of all religions a fact that was strictly reaffirmed in different verses of the Holy Quran. With this understanding, the call unto the path of Allah through the implementation of Islamic doctrines is a highly developed means of ecumenical practice; since Islam regards that social relationship between Muslim and non-Muslim is domestic to human needs, being both kins in the human race. Based on such realization, Muslims call for the path of Allah is

path of Allah. The fulfilment of this commandment "the call unto the path of Allah" had been the care and nucleus of the life and activity of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) from the start of the Revelation till his death. This vital commandment has also become the prime concern of all Muslims from the time of the Prophet till now, and will continue to be.

The start of the tenth year of Hijrah marked an era in Islamic history whose nature was different. The tenth year of Hijrah marked the cresendo of Islamic propagation and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) recognized with inherent wisdom the great need for the proper education of the multitudes of new converts into Islam. Here was established the extensive knowledge of the Sunnah (traditions) and the compelling need for it to be the source of reference of all Quranic legislations. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) deputized from his companions to instruct distant new convert tribes in Islam, and to come up with questions in matters to be understood. Throughout all the years of turmoil and hardship before the Hijrah in Maccah, and after the Hijrah at Al-Madinah, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) had been highly concerned and occupied to "Call men unto the path of Allah". The latter years at Al-Madinah particularly the tenth year witnessed the most active era of Islamic instruction and schooling on a large scale. The Quranic Revelation was coming to completeness, Islamic jurisprudence (Shariah) was well formulated, and the greater population of the Arab peninsula had converted into Islam. The dominating issue was that those masses should understand and practice Islam correctly. This need was forcing itself into the life of the Muslim community at all stages of individual, family, social and tribal levels.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) formulated the basic foundations of the "Call unto the path of Allah". The nature of Islamic "Dawah" must spring from the religious truth underlying it and must be axiological and practical to conform with the premise of belief. No coercion in religion is a basic fundamental and a Quranic axiom. This indicated that Dawah is an invitation whose objective can be fulfilled only by the free response of the invited. The Prophet "prayers and peace from Allah upon him) gave the example by allowing the Christians from Nejran who were not convinced by his Dawah to Islam, to keep their faith and return home in

Islam means submission, surrender and obedience with all vital functions to Allah. In contrast, Kufr or disbelief means concealing a reality and truth. Disbelief (Kufr) is not a form of ignorance, rather, it is ignorance itself. What ignorance could be greater than to be ignorant of Allah. Knowledge of God and belief in Allah constitute the very root and foundation of Islam. Allah, the Maker and Sustainer of the cosmos, the Provider of man, the Active force and effective power in nature, the most Supreme. The Holy Quran states:

> "Allah who has made the night for you That ye may rest therein, and the Day as that which helps you to see. Verily, Allah is full of Grace and Bounty to men; Yet most men give no thanks. Such is Allah; your Lord, the Creator of all things, there is no God but He; then how are you deluded away from the truth. Thus are deluded those who are wont to reject the signs of Allah.
>
> He is Allah Who has made for you the earth as a resting place and the sky as a canopy and has given you shape, and made your shapes beautiful and has provided for you sustenance of things pure and good; such is Allah your Lord. So Glory to Allah, the Lord of the Worlds.
>
> (Surat Ghafer, XL, 61 - 64)

Allah is High and Supreme, very near the pious, answers their prayers; loves and forgives the sins of those who repent; grants peace and happiness, knowledge and success, life and protection; teaches and instructs man to be good, do the right and avoid the wrong. The door of Allah's forgiveness and domain is always open to those who seek Divine support and protection. This is the theme of the new creed that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him summonded for; the creed prescribed precisely by the Holy Revelation and taught to the generations of mankind by the tradition and Hadith of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

Allah had commanded the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and all Muslims throughtout the ages to call with patience, wisdom and good counsel for the

THE CALL UNTO THE PATH OF ALLAH

By :
Dr. Anas Moustafa El-Naggar
MD.Ph.D.

In the Name of Allah most Gracious, most Merciful

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) continued for twenty three years in constant patience, confident hope, perpetual conflict, and final triumph. He received the Holy Revelation from Allah, the Greater and the Ruler of the whole universe, the Divine law that constituted the complete framework of human life. The prophet (prayers and peace from Allah upon him) conveyed the precise words of the Message and educated, enlightened, instructed and schooled his companions in every aspect of the profound spiritual truth. The messages of the Holy Quran came as an inspiration to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) as the need arose on different occasions and in different places. He recited them to his loving disciples from amongest his companions; and the verses were recorded precisely by the pen, and were engraved and imprinted on the hearts and in the minds and memory of men.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) lived to portray the example in action, and formulate the code in words. He answered questions, appealed to men in their doubts and fears. He helped and supported at times of trial. He ordained laws and legislation by which all humanity could live in purity, chastity, harmony, goodness and peace. The body of the sacred scripture grew to completeness to declare the One Universal God "Allah", the Gracious, the Merciful, the Sublime, the All-Cognizant.....; and to lay down the foundations of the distinction between sacred and profane, and to optimize every human action to excellency and virtuousness.

THE AZHAR MAGAZINE

Vol. 59, Part V

Jummada Al-Ula

1407 Hijriah

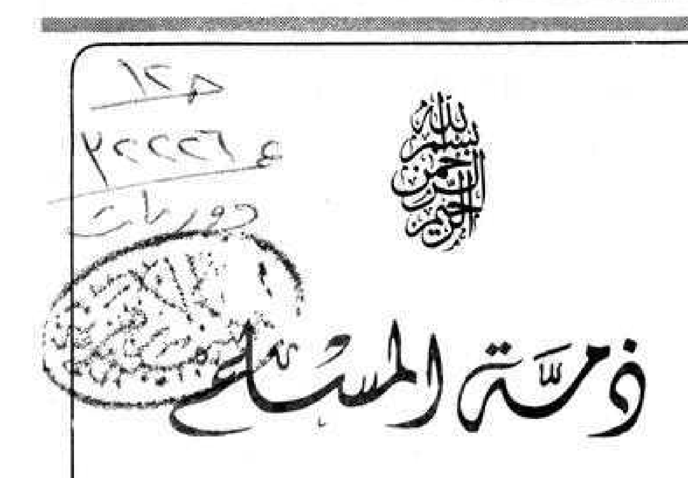
CONTENTS

Preparation of prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION



ذمة المسلم

قال عبد الرحمن بن أبى ليلى ـ رضى الله عنه :

« حدثنا أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنهم كانوا يسيرون مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مسير ؛ فنام رجل منهم ؛ فانطلق بعضهم إلى نَبْلٍ معه فأخذها ، فلما استيقظ الرجلُ فَزِع ؛ فضحك القوم ، فقال : ما يُضحِكُكُم ؟

فقالوا : لا ، إلاَّ أنَّا أخذنا نَبْلَ هذا ففزع !

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : لا يحل لمسلم أن يُرَوِّعَ مسلماً »[1].

صدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم



الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان :

إدارة الأزهر بالقاهرة

٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

* صورة الغلاف



* فبراير ١٩٨٧ م *

* جمادى الآخرة ١٤٠٧هـ *

* الجزء السادس *

* السنة التاسعة والخمسون *

والحديث الشريف لا يسجل اكثر من « مداعبة » ارادها القوم مع أحدهم ، لا يرومون بها شراً ، ولا يبيتون بها لسوء ؛ بل لقد كان في ضحكهم مانبّه الرجل إلى وجود حاجته ، والاطمئنان إلى عدم ضياعها ، لكنها ـ لأول صَحْوِهِ ـ تركت في نفسه « رَوْعَةً » لم تستغرق وقتاً يذكر ، لكنها روعة على اى حال ! وشان المسلم أن يكون ـ بين المسلمين ـ آمناً مطمئناً لا يتوقع من أحدهم اذى ، او يستشعر مكروها ... فكان تحريم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وإنه لتحريم ناطق بفظاعة ماسواه مهما احتيل له بمبررات او اسباب .

وأين يأمن المسلم إذا لم يأمن بين المسلمين ؟!

أليس كل المسلم على المسلم حرام : ماله وعرضه ودمه ؟! .

وصدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ يقول : « المؤمن مرآة المؤمن ، والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضَيْعَتَهُ ، ويحوطه من ورائه »(٢)

كذا شأن المسلم ، خير كله للناس ، لا يطوى أذى ولا يسارع بحقد ، وهذا هو خُلُق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

وإذا كانت الدعابة المؤذية حرام ، وهى شىء نلمسه ، فهناك حرام آخر قد يطويه الضمير ، وهو ان يحقر المسلم أخاه ، وإنه لمن الفسوق الذى نزلت به الآية الكريمة حيث يقول ـ تعالى : « **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ** »(٣)... **الآية .**

ويقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

« حسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم »(٤)

فما بالك بعد ـ بالاستطالة عليه بالأذى ، أو تعريضه لمكروه ، أو إقحامه في بلاء طَهُرَتْ يدُه منه ؟! إن ذلك لهو الإثم العظيم ، يقول تعالى :

« **وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً** »(٥) .

سَمِعَ إسماعيلُ بن بشير جابرَ بن عبد الله وابا طلحة الانصارى ـ رضى الله عنهما ـ يقولان : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « ما من امرىء يخذل امرءاً مسلماً في موضع تُنْتَهَكُ فيه حرمته ، ويُنْتَقَصُ فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته .

وما من امرىء ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب نصرته .»(٦)

إن المسلم كنز ينبغى رعايته وحفظه ، ثم هو في ذمة الله ما استقام على دينه ، فلا يَخْفِرَنَّ أحد ذمَّةَ الله ، روى الترمذى بسنده قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

« لَزَوالُ الدنيا أهونُ على الله من قتل رجل مسلم » .

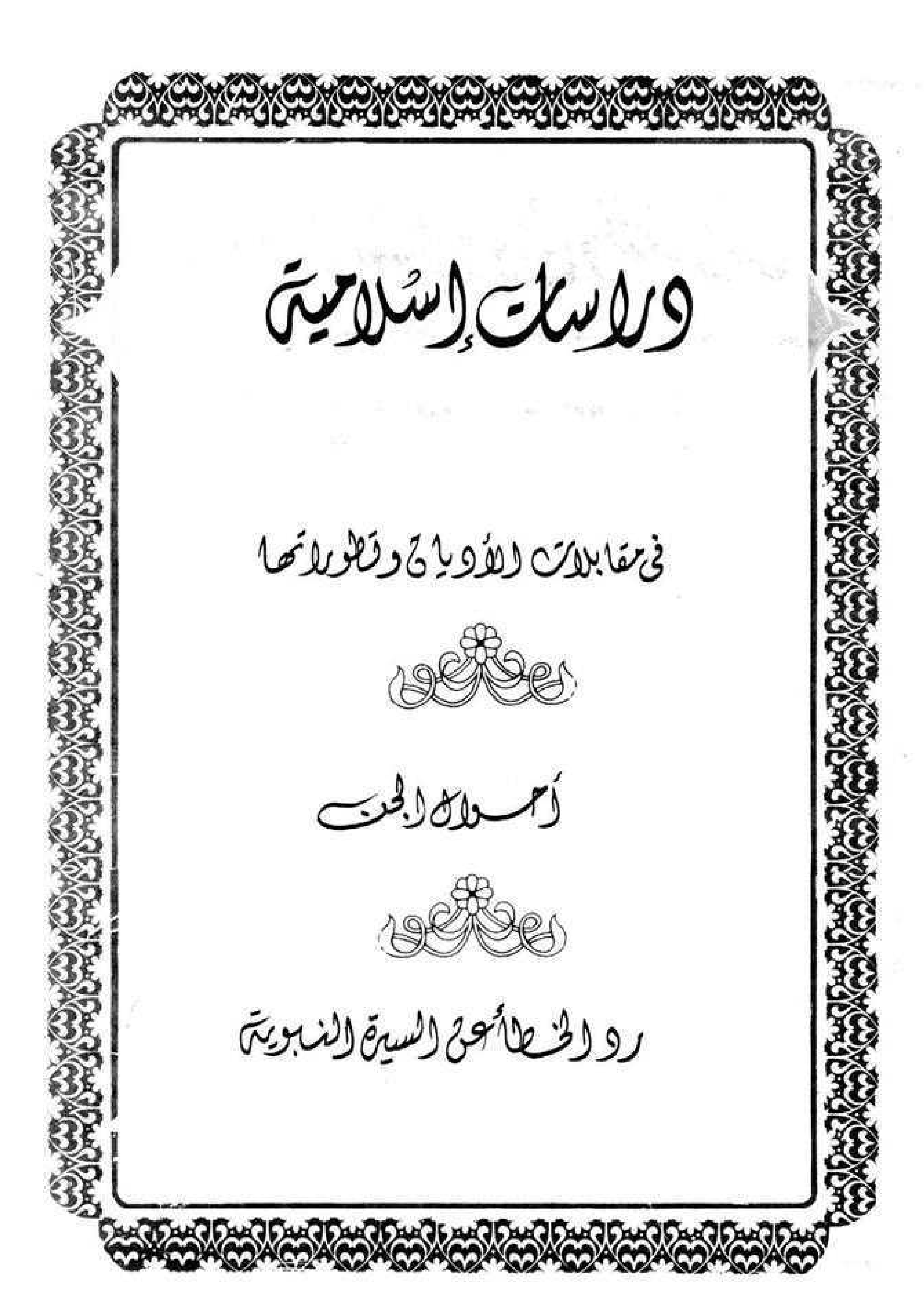
وبعد : فهل يجوز لِمُسْلِمَيْنِ ان يتقاتلا ، أو لِمُسْلِمِينَ ان يتقاتلوا؟ اللهم لا . وإليك ـ ربنا ـ نبرأ .

د. علي أحمد الخطيب

---

(١) الحديث ـ بهذا اللفظ ـ رواه أحمد ـ رضى الله عنه ـ بمسنده ٣٦٢/٥ ـ الميمنية ورواه ابو داود بسننه ٥٩٧/٢ طبع مصطفى البابى الحلبى .

(٢) ابو داود ٥٧٨/٢ (٣) الحجرات ١١ (٤) ابو داود ٥٦٨/٢ (٥) النساء ـ ١١٢ (٦) ابو داود ٥٦٩/٢



دراسات إسلامية

في مقابلات الأديان وتطوراتها

أحوال الجن

رد الخطأ عن السيرة النبوية

فى مقابلات الأديان وتطوراتها

عنى الباحثون فى جوانب الفكر الدينى ، والفلاسفة المعنيون بنشأة العقائد وتطورها ببحث العقائد والطقوس الدينية بين البدائيين ، ويدخل فى هذا درس الخرافات والأساطير التى تشيع بينهم ، ووجدوا فى جوف القارة الافريقية وبين الهنود الحمر فى امريكا مواد واسعة للدرس والاستنتاج ، لأن حياة الانسان البدائى فى هذه البقاع ليست صورة مطابقة لما كان عليه الانسان الأول أو انسان ما قبل التاريخ • فلم يكن بد من اللجوء الى الاستنتاج •

واذا نحن استثنينا مظاهر الطوطميات والفيتشية Eitishism وجدنا بين هذه القبائل مظاهر دينية تقرب من طقوس وعقائد الديانات السماوية ، وقد كان كشف القارة الامريكية والتجول فيها تدريجيا خلال القرن السادس عشر ينبوعا لمعلومات كثيرة عن عقائد البدائيين ، ثم كانت الدعوة الى تنصير هذه القبائل عاملا مستجدا الى مزج هذه المعتقدات بطرق ومقادير مختلفة ، وهذا موضوع يهم الباحثين فى تطورات الفكر الدينى •

من المعروف أن رحلة كولومب الأولى لم تكن رحلة الى امريكا فيما قصد هو وقصدت الهيئة التى جهزت سفنه لها . فلم تكن امريكا معروفة لهم . ولكن كان الغرض من الرحلة هو محاصرة المسلمين فى الهند من الشرق ، حتى يكونوا بين مسيحى الحبشة وبين هؤلاء الوافدين فيقضى عليهم قضاء نهائيا • ولهذا زودت الرحلة بالقسس المبشرين . وظلت الرحلات التى تلتها تصطحب القسس الفاقهين ليعلموا المسيحية وينشروا الأناجيل • ولم يكن البدائيون الأمريكان على غير دين ، ولكن دياناتهم وطقوسهم لم تكن معروفة للقسس ، فمن ناحية لم يكونوا يعرفون لغتهم ومن ناحية أخرى لم يعنهم أن يعرفوا أو يدرسوا ديانة أو ديانات لا أساس لها • وبتقدم الزمن والدراسة عنى رجال « الانثروبولوجى » ودارسو الديانات أن يتعرفوا على هذه الطقوس والعقائد ، وكشفت هذه الدراسة عن وجود عناصر دينية تتحد أحيانا وتحوى أحيانا أخرى تشابه من الديانات التى فى نصف الكرة الأرضية الشرقى •

ومن أهم هذه العناصر أنهم يعرفون حادث

لفضيلة الدكتور عبد الجليل شلبى

الطوفان ونجاة المؤمنين منه فى سفينة ، وتفاصيل هذا الحادث تختلف عما فى التوراة وعما فى القرآن ولكن الحادث موجود على أية حال ، كما وجدوا بينهم أفكار الخلاص والتكفير والايمان بالمعزى أو المخلص المرتقب وهى أفكار ليست بعيدة عن تعاليم المسيحية .
وذهب القسس والمفكرن يبحثون هذا التشابه وأسبابه ، فقال بعض منهم انها رسالة قديمة لنبى مجهول بشر بها منذ زمن قديم ثم شوهت والتوت أو دخلها الزيف بمرور السنين واختلاف الوعاظ ما يلائم هذه البيئات ، وقال آخرون انها من أضاليل الشيطان الذى يقذف فى عقول الناس بأشياء من الحق ومن الباطل ، ولم ينل أى من الرأيين قبولا ولا وجد أصحابه أدلة كافية .

ورأى فريق ثالث أن قدماء المصريين كانوا قد عرفوا امريكا ونقلوا اليها الايمان بالبعث والحساب والدار الآخرة ، فبقيت العقيدة بينهم ، ثم نالها التغيير بمرور الزمن وحجة هؤلاء أنه وجد فى المكسيك أهرامات صغيرة تشبه الاهرامات المصرية ، وأهرام مصر بنيت لأغراض دينية فلابد أن المصريين نقلوا مع أهرامهم عقيدتهم .
ولا يزال لهذا الرأى صدى ولكنه لا يجد الدليل الكافى لبدايته ولا لنهايته .

واطمأن من اطمأن الى أى من هذه التفاسير وظل على حيرته من بقى ، حتى كانت بداية القرن التاسع عشر أو أواخر القرن الثامن عشر حين بدأت موجة الاستعمار وكثرت رحلات المستكشفين . ووجدت قبائل متناثرة فى جوف القارتين لا تربط بين واحدة منها وبين الأخرى أية صلة ، ولا لغة أى منها هى لغة الأخرى ، ووجد التشابه فى الطقوس الدينية والعقائد بينها جميعا ، فأثبت ذلك بطلان التفسيرات السابقة كلها . وقد كان التجول فى أعماق القارة الامريكية والهجوم عليها بآلات الزراعة الحديثة والصناعات داعيا الى التجول فى أعماق القارة الافريقية أيضا ، اذ دعت الحاجة الى الايدى العاملة فى القارة الجديدة الى نقل الافريقيين اليها ، وكان النهب والأسر الجماعى عملا مألوفا ، وكانت وسائله وحشية رهيبة . ولكن هذا الموقف هيأ للدارسين أن يعرفوا أكثر من حياة البدائيين هنا وهناك .

وازدادت الحيرة أمام هذا التشابه . وكانت موجة الشك التى نمت منذ عهد فولتير وبنيامين فرانكين ، وأستاذهما كولنس ، قد اتسعت فى القرن الثامن عشر ، وشجع عليها الباس دعوتهم ثوب التفكير الحر ، فنمت دعوة الالحاد ، وقال دعاتها ان الدين خرافة ينبتها الخوف من الطبيعة ، وان الانسان فى كل بيئة يضع قواعد الدين التى تناسبه . وقال رجال الدين ان الله — سبحانه — يلهم الدين ويوحيه لبنى الانسان

حتى من غير ان يرسل اليهم رسلا يعلمونهم ، فميزه الانسان هي العقل والتفكير ، وحقا ان العقل وحده كفيل بالهداية ومعرفة الخالق ، ولكنه مع استنارة العقل وادامة التفكير وعمقه يأتي الالهام الالهي .

وقال جماعات آخرون : ان المسيحية أقدم من المسيح ، وأنه ــ عليه السلام ــ كان مذكرا بها ولم يكن منشئا ، ولم يعدموا أن يجدوا في كلامه ما يسندون به آراءهم ومهما يكن من أمر هذه الطوائف وآرائها فقد ثبت المتدينون على ايمانهم ووجدوا في هذه الظواهر حجة على أن الدين شيء ضروري للانسان ، وأنه لم يوجد انسان بغير دين ولم توجد أمة بغير رسول من الله ، ولكن الرسالات يشوبها السحر والخرافات فما وجد بين هذه القبائل العديدة من تشابه فهو من وحي السماء ، وما يوجد بها من خلافات فهو من عمل السحرة والمخرفين .

واذا كان المنكرون والشكاكون قد عجزوا عن ايجاد تفسير لشيوع فكرة الطوفان بين الافريقيين على اختلاف قبائلهم وبين القبائل الامريكية العديدة المنقطع بعضها عن بعض فقد وجد المتدينون لها حلا يرونه ملائما وهو ضرورة الدين لكل مجتمع .

وهناك مسألة قريبة التناول ، وهي هبوط المسيح على بعض الناس وتلقينه اياهم تعاليم المسيحية ، وهذه ظاهرة لم تنقطع ، ومنذ مقابلة تلاميذه بعد قيامه من قبره ظل يتراءى للكثيرين بين حين وآخر . وبسبب هذه اللقاءات أو هذا الانكشاف قامت المسيحية الشائعة الآن فهو قد ظهر . بعد لقائه تلاميذه لعدوهم بولس ، الذي لم ير المسيح من قبل وكان من أعداء دعوته ، وقد أدخل بولس على المسيحية تعاليمها وأفكارها التي هي قائمة عليها الآن ، وهو الذي بث بين المسيحيين فكرة أن المسيح ابن الله ، وكان المسيح يكرر في خطبه أنه ابن الانسان ، ويقول أبي وأبوكم الذي في السماء وقد لاحظ أستاذ الأديان الفرنسي شارل جنينز أن بولس وقع في خطأ الترجمة عندما قال المسيح ابن الله ، ومنشأ الخطأ أن ترجمة التوراة السبعينية استعملت كلمة خادم الله ، وهي تعبير شائع في الديانه اليهودية ، فلما نقلت الى اللغة اليونانية في هذه الترجمة الشهيرة استعملت كلمة مشتركة في اليونانية تصلح أن تكون خادم الله أو طفل الله ، فاختار بولس هذا المعنى الأخير واستعمله بمعنى ابن وأراد به البنوة الحقيقية ، ثم أشاع بالتدريج افكارا هيلينية تقبلها اتباع المسيح بسبب أن بولس قابله شخصيا وتحمل وصاياه . وبذا حورت المسيحية أو على الاصح خرجت عن منهجها نهائيا .

ولم ينقطع ظهور المسيح بعد ذلك ، بل ظل يتراءى بنفسه أحيانا وتتراءى ملائكة مبشرة أحيانا أخرى وعلى هذه الرؤى قامت مذاهب مسيحية معاصرة وكنائس خاصة لها مناهجها وطرق عبادتها .

ومن الكنائس الكبيرة ذات النشاط التبشيري الآن كنيسة « الميثوديزم » « النظام » وكان مؤسسها وداعيها جون ويزلى يتبع الكنيسة

الانجليكانية ، ثم (تجلى) له المسيح (١) وهو يمشى فى حى اليهود فى لندن • ومنذ ذلك الوقت أنشأ مذهبه ، وانتقل به الى امريكا واستباح أن يعين الأساقفة المبشرين بدون الرجوع الى البابا • ويقول أتباع هذا المذهب انه من الخطأ أن نحسبه مذهبا حديثا أنشأه ويزلى ، فهو فى واقعه تيار مسيحى قديم ، ويقول بعض أيضا ان المسيحية موجودة من قبل المسيح نفسه •

وفى القرن الثامن عشر ظهرت جماعة متواضعة فى انجلترا يمكن ان تسمى الجماعة المجددة وبعض مؤرخى الأديان يسمى اتباعها « الشيكرز » — وهى تسمية حرفية ، لكلمة Shakers الانجليزية ، من الفعل To Sahake بمعنى يهز بعنف أو يغير وناسب ان يسموا بالمجددين • ويرجع ازدهارها الى رؤى رأتها فتاة تدعى آن لى • وكانت ذات آثام وخطايا كثيرة ، وعوقبت بالسجن والتعذيب فى سجنها ، وتراءت لها أنواع من الانكشافات والنبوءات ، وتلقت وحيا يأمرها بالهجرة الى أرض عما نويل فى امريكا فى مقاطعة نيويورك فأزمعت الرحلة اليها • ومع أنها كانت ذات أثر فعال فى كنيستها لم يهاجر معها غير تسعة من أتباعها ، وهناك اشتروا أرضا وكونوا كنيسة ولهم الآن نشاط تبشيرى ونشير مجرد اشارة الى جماعة المورمون ، فهى الآن جماعة مستقلة لها بجانب الاناجيل كتابها المقدس • وترجع نشأتها الى رؤى رآها جوزيف سميث • اذ تمثل له (٢) ملاك أرشده الى مكان فى سفح الجبل به كتاب مخطوط على الواح من الذهب ومعه كتيب آخر يساعد على تفسيره وشرحه • وترجم هذا الكتاب وتقوم على مبادئه جماعة كبيرة وقد لقى يوسف اسميث وأخ له مصرعه اغتيالا حينما كانا يعدان للمحاكمة ، وقد ترك فى مذكراته تصويرا لمشاعره يوم أن قبض عليه ، وقال انه يشعر أنه مسوق الى ذبحه ، وكانت هذه النبوءة مما شجع على اتباع مذهبه •

وهناك آخرون لهم رؤى قامت عليها مذاهب مستقلة أو غير مستقلة •

ونقف من هذا كله على صور من تطورات الفكر الدينى ، وقيامه على رؤى ونبوءات واذا وازناها بالاسلام وجدنا أنها كلها ينقصها البرهان والدليل الكافى • فهى فكر بشرى بحت•ومن هذا ساغ لبعض الباحثين ان يقول أنه ليس من المستبعد أن يكون بعض الزنوج قد رأى مثل هذه الرؤى ، وبها نشأت الطقوس التى شوهدوا عليها • وهو مجرد رأى لا يخرج عن الخرافة • أو هو أَيّدَ الخرافة بخرافة •

ولقاءات المسيح لم تكن من السعة والتكرار بحيث تذكر أخبار الأولين أو تفاصيل طقوس وعبادات ، وبذا تظل المسألة على غموضها •

وأقرب الآراء ما قاله بعض الفاقهين — واشرنا اليه فيما سبق — ان الانسان يهتدى لمعرفة الله بغير وحى أحيانا والهداية بالوحى أقنع وأقطع •

وبعد فهل نحن بحاجة الى أن ندرس الاسلام فى هذه الموازنات ؟ انه دين له سنده وحجته ، لم يقم على خرافة أو رؤى ولكنه قام على كتاب معجز •

د • عبد الجليل شلبى

---

(١) كذا يعتقدون

(٢) كذا يقول

أحوال الجن

٢

« قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا » الآيات ».

البيــان

ذكرنا فى العدد السابق ان الجن حقيقة واقعة يسلم بها الإسلام ومعظم الأديان . وانهم مكلفون ، وان بعضهم آمن بالنبى ﷺ لما سمع القرآن ، وان لهم وفادات ستا على رسول الله ﷺ .

واليوم نتكلم عن امور اخرى يسأل عنها الناس ويريدون أن يعرفوها ، وفيما يلى بيان ذلك .

مساكن الجن

مساكن الجن فى الأرض التى نحن عليها ، فهم من أهل الأرض ، وقد ارسل إليهم النبى ﷺ كما تقدم .

وفى ذلك يقول الله حكاية عنهم : « وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا . وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا . وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا » .

وقد مر فى المقال السابق أن بعض من وفد على النبى ﷺ من أهل « الموصل » وبعضهم من « نصيبين » ، وما من مكان فى الأرض الا الجن تشاركنا فيه ، ومن رحمة الله تعالى أن جعلهم محجوبين عن أعين الناس ، حتى لا ينزعجوا برؤيتهم ، ويضاروا بلقائهم فقد خلقوا من نار وخلقنا من طين ، وقد جعل صورهم غير صورنا ، وأعطاهم قوى خارقة يخشى منها على حياة الناس .

وقد حال الله بينهم وبين الإضرار بالناس بنواميس يعلمها الله تعالى ، ومن النادر أن تحدث منهم أضرار بالبشر ، ولعل ذلك ليشعر الناس بوجودهم ، ويدركون عظمة الله وقدرته إلى جانب رحمته وفضله ، فبضدها تتميز الأشياء ، فكما تعرف نعمة الصحة بحلول المرض بالجسم ، فكذلك يعرف الحفظ من أضرارهم بحدوث بعضها وهذه من قوانين الله العجيبة ، إذ يخلق كائنات من شأنها الاضرار بالناس ، ولكنه يلزمها حدودها ، فلا تعتدى على أحد إلا نادرا .

فالحيوانات المفترسة الزمها الغابات والأحراش والأماكن البعيدة عن السكان فلا تؤذيهم إلا نادراً ، حتى النمل الزمه الله حدوده فى جوف الارض ، فلم يسلطه على جسد الإنسان بل يخشاه ، ولو سلط على جسده لاجتمع عليه وقتله ، لهذا تراه يعيش على

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

فضلات البيوت ، وعلى ما تصرفه الإنسان من طعام ، فلم يحفظه فى مكان أمين منه .

ويقول الزمخشرى فى « ربيع الابرار » عن وجود الجن : تقول الاعراب : ربما نزلنا بجمع كثير ، ورأينا خياما وناسا ، ثم فقدناهم من ساعتنا ، يعتقدون انهم الجن ، وأن تلك خيامهم وقبابهم .أ هـ

وروى مالك فى الموطأ أنه بلغه أن عمر بن الخطاب أراد الخروج إلى العراق ، فقال له كعب الأحبار : لا تخرج ياأمير المؤمنين ، فإن بها تسعة أعشار السحر أو الشر ، وفيها فسقة الجن ، وبها الداء العضال .

وروى القاسم بن عبيد فى مكايد الشيطان ـ روى ـ عن جابر : ما من أهل بيتٍ من المسلمين إلا وفى سقف بيتهم من الجنّ المسلمين ، إذا وضع غداؤهم ، نزلوا فتغدوا معهم ، وإذا وضع عشاؤهم نزلوا فتعشوا معهم يدفع الله بهم عنهم » .

وقال القاضى والمحدث بدر الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشبلى فى كتابه « آكام المرجان » : غالبا ما يوجد الجن فى مواضع النجاسات ، كالحمامات والحشوش ومعاطن الأبل ونحوها ، وقد جاءت الآثار بالنهى عن الصلاة فيها ، لأنها مأوى الشياطين ، ولكونها مظنة النجاسة .

ولهذا يسن قبيل دخول المرحاض أن يقول الداخل : اللهم إنى أعوذ بك من الخُبُث والخبائث .

ثم قال الشيخ بدر الدين : إن أهل الضلال والبدع الذين يتظاهرون بالزهد والعبادة على غير الوجه الشرعى ، ولهم أحيانا مكاشفات وتأثيرات ، يأوون كثيرا إلى مواضع الشياطين التى نهى عن الصلاة فيها ، وتخاطبهم ببعض الأمور كما تخاطب الكهان وكما كانت تدخل فى الأصنام وتكلم عابدى الأصنام ، وتفتنهم فى بعض المطالب كما تفتن السحرة ، وكما تفتن عباد الأصنام وعباد الشمس والقمر والكواكب ، إذ عبدوها بالعبادات التى يظنون إنها تناسبها ، من تسبيح لها ولباس وبخور وغير ذلك ، فإنه قد تنزل عليهم شياطين يسمونها روحانية الكواكب ، وقد تقضى بعض حوائجهم إلى آخر ما قال محذراً من الانخداع بأهل الضلال الذين يسخرون الجن بعزائم وعبادات تناسبهم وهى مخالفة للإسلام .

ما يمنع الشياطين من المبيت بالمنازل

روى الإمام مسلم وأبو داود عن جابر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « إذا دخل الرجل منزله فذكر اسم الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء . وإذا ذكر اسم الله عند دخوله ولم يذكره عند الطعام يقول : أدركتم العشاء ولا مبيت لكم ، وإذا لم يذكر الله عند دخوله قال : ادركتم المبيت والعشاء » .

قرين الإنسان

روى الإمام أحمد بن حنبل بسنده قال : قال رسول الله ﷺ « ما منكم أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن ، وقرينه من الملائكة ، قالوا : وإياك يارسول الله ؟ قال : وإياى ، ولكن الله اعاننى عليه فلا يأمرنى إلا بحق » .

وفى رواية أخرى لمسلم « ما من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة ، قالوا : وأنت يارسول الله ؟ قال : وأنا إلا أن الله تعالى أعاننى عليه فأسلم ، فليس يأمرنى إلا بخير » .

طعام الجن

أما طعامهم فمن نوع الطعام الذى نأكله ، فهم يأكلون الحب والخضروات واللحم والفاكهة ، والعظم الذى نلقيه خارج أطباق الطعام ، يكسوه الله لهم لحماً فيأكلونه ، فقد جاء فى الصحيحين أن الجن سألوا رسول الله ﷺ الزاد فقال : كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى يد أحدهم أوفر ما يكون لحماً ، وكل بعر علف لدوابهم » وزاد ابن سلام فى تفسيره أن البعر يعود خضرا لدوابهم .

وقد نهى رسول الله ﷺ أن يستنجى بالعظم والروث وقال : إنه زاد إخوانكم من الجن ، وقد ثبت نهيه ﷺ عن الاستنجاء بالعظم والروث فى أحاديثه ففى صحيح مسلم وغيره عن سلمان الفارسى قال: « نهانا رسول الله ﷺ أن نستقبل القبلة بغائط أو بول ، أو أن نستنجى باليمين أو أن يستنجى أحدنا بأقل من ثلاثة أحجار وأن نستنجى برجيع[1] أو عظم » .

وفى صحيح مسلم وغيره عن جابر قال : « نهى رسول الله ﷺ أن نتمسح بعظم أو بعرة » ، وقد بين علة ذلك فى حديث ابن مسعود أن النبى ﷺ قال : « أتانى داعى الجن فذهبت معه ، فقرأت عليهم القرآن ، قال : فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم ، وسألوه الزاد ، فقال : كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى أيديكم أوفر ما يكون لحماً ، وكل بعرة علف لدوابكم ، فقال-صلى الله عليه وسلم:فلا تستنجوا بهما لأنهما طعام إخوانكم » .

وفى صحيح البخارى وغيره عن أبى هريرة أنه كان يحمل مع النبى ﷺ إداوة لوضوئه وحاجته ، فبينما هو يتبعه بها قال : من هذا ؟ قال:أنا أبو هريرة ، فقال ابغنى[2] أحجارا أستنفض بها ، ولا تأتنى بعظم ولا بروثة ، فأتيته بأحجار أحملها فى طرف ثوبى ، حتى وضعت إلى جنبه ثم انصرفت ، حتى إذا فرغ مشيت : فقلت : ما بال الروث والعظم ؟ قال هما طعام الجن ، وإنه حين أتانى جن نصيبين ـ ونعم الجن فسألونى الزاد ، دعوت الله تعالى لهم أن لا يمروا بعظم ولا روث إلا وجدوا عليه طعاما .

وقد يقال : إذا كانوا يأكلون كما نأكل فإنهم يكونون أجساما كثيفة ـ وقد مر أنهم أجسام لطيفة فالجواب إنهم ينتفعون من تلك الأغذية بالعناصر التى تناسب لطافتهم ، والله أقدرهم على ذلك أو يقال : إن كونهم أجساماً لطيفة هو رأى ناشىء عن أننا لا نراهم ، فأى مانع من أن يكونوا أجساما كثيفة ، ولكن الله حجبهم عنا ، فكف أبصارنا عن رؤيتهم ، أو خلق بيننا وبينهم حجابا من غيب الله حال دون رؤيتهم على صورتهم الحقيقية ، والله تعالى أعلم .

البسملة تمنع الشيطان من الطعام

يستحب أن يبدأ الإنسان طعامه باسم الله ، فإذا نسى وذكر آخر الطعام فليقل : بسم الله أوله وآخره ، حتى لا ينتفع الشيطان بطعامه .

فقد روى أبو داود بسنده عن أمية بن مخشى ـ رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال « كان رسول

« ١ » الرجيع الروث أى البعر

« ٢ » أى أحضر لى .

الله ﷺ جالساً ورجل يأكل ، حتى إذا لم يبق من طعامه إلا لقمة ، فلما رفعها إلى فيه قال : بسم الله أوله وآخره ، فضحك رسول الله ﷺ ثم قال : مازال الشيطان يأكل معه ، فلما ذكر اسم الله استقاء ما فى بطنه .

وبالجملة فإن الجن يأكلون ويشربون ويتناكحون ويتناسلون .

رأى ابن تيمية فى سؤال الجن

قال أبو العباس أحمد بن تيمية : أما سؤال الجن وسؤال من يسألهم ، فهذا إن كان على وجه التصديق لهم فى كل ما يخبرون به ، والتعظيم للسؤال فهذا حرام ، كما ثبت فى الصحيح عن معاوية بن الحكم : « أن النبى ﷺ قيل له : إن قوماً منا يأتون الكهان ؟ قال : فلا تأتوهم » .

وفى صحيح مسلم عنه ﷺ أنه قال : « من اتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل صلاته أربعين يوما » .

وأما إن كان يسأل المسئول فيمتحن حاله ، ويختبر باطن أمره ، وعنده ما يميز صدقه من كذبه فهذا جائز ، كما ثبت فى الصحيحين « أن النبى ﷺ سأل ابن صياد فقال : ما يأتيك ؟ قال : يأتينى صادق وكاذب ، قال : ما ترى ؟ قال أرى عرشا على الماء ، قال فإنى قد خبأت لك خبيئا ، قال هو الدخ ، قال اخسأ فلن تعدو قدرك ، فإنما أنت من إخوان الكهان » .

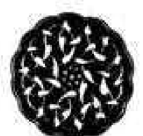
وكذلك إذا كان يسمع ما يقولونه ويخبرون به عن الجن ، كما يسمع المسلمون ما يقوله الكفار والفجار ليعرفوا ما عندهم ، فكما يسمع خبر الفاسق ويتبين ويتثبت فلا يجزم بصدقه ولا يكذبه الا ببينة .

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن اهل الكتاب كانوا يقرءون التوراة ويفسرونها بالعربية ، فقال النبى ﷺ إذا حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، فإما ان يحدثوكم بحق فتكذبوه ، وإما ان يحدثوكم بباطل فتصدقوه ، « وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِى أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » ، فقد أجاز للمسلمين سماع ما يقولونه ـ وإن لم يصدقوه ولم يكذبوه ، ثم ساق حديث بريد الجن الذى قدمناه ، وحديث أبى مسلم الأشعرى الذى ذكرناه .

رأى القاضى بدر الدين فى سؤالهم

قال القاضى بدر الدين الشبلى صاحب كتاب « آكام المرجان » : لا شك أن الله تعالى أقدر الجن على قطع المسافات الطويلة فى الزمن القصير ، بدليل قوله تعالى : « قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ » ، فإذا سأل سائل عن حادثة وقعت او شخص فى بلد بعيد ، فمن الجائز ان يكون الجنى عنده علم من تلك الحادثة وحال ذلك الشخص فيخبر به .

ومن الجائز ان لا يكون عنده علم فيذهب ويكشف ، ثم يعود فيخبر ، ومع هذا فهو خبر واحد لا يفيد غير الظن ، ولا يترتب عليه حكم غير الاستئناس ، ثم قال : واما سؤالهم عما لم يقع وتصديقهم فيه بناء على انهم يعلمون الغيب فكفر ، وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تاتوهم » وقوله : « من اتى عرافا .. » الحديث ـ والله تعالى أعلم وفى الموضوع كلام كثير واحكام عديدة ، وحسب القراء ما تقدم .



أمتنا خير الأمم

عاش الناس قبل الإسلام الحنيف ، أجيالاً طوالاً ، متنازعين مختلفين ، يعتدي قويهم على ضعيفهم ، وتشتعل نيران الحروب لأوهى الأسباب بينهم ، ولم يجد المؤرخون اسماً لهذه الحقبة من الزمان ، يتمشى مع حالة البشر حينذاك ، إلا لفظ الجاهلية ، نسبة إلى أن كل واحد من أهل هذا العصر ، كان جاهلاً بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وبما تسعد به الإنسانية ، وتبلغ من ورائه الرقي والكمال . ثم تجلى الله تبارك وتعالى برحمته ورضوانه على العالم ، ولكل بداية نهاية ، فاطلع نور المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ في البلد الأمين مكة ، وأعده للنبوة والرسالة أعظم إعداد ، ثم أرسله صلوات الله وسلامه عليه ، بالهدى ودين الحق ، بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وجعله خاتم النبيين ، وإمام المرسلين ، ورحمته للعالمين ، وسيد الأولين والآخرين ، وقائد الغر المحجلين ، والشفيع يوم الزحام في المذنبين ، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس إلى يوم الدين ، وخصه عليه الصلاة والسلام بأمور لم يخص بها أحداً من الأنبياء السابقين ، وأرسله صلى الله عليه وسلم للإنس والجن أجمعين إرسال تكليف ، وللملائكة المكرمين ، إرسال تشريف ، وقضى عز وجل بأن شرع المصطفى لا ينسخ بغيره أبداً لا كلاً ولا بعضاً ، وأنه مستمر إلى أن تقوم الساعة ، وحكم ربنا وهو السميع العليم ، بأن شرع نبينا ، ناسخ لشرع كل نبى قبلنا ، لأن الإسلام الشريف ، خاتمة الأديان السماوية ، ودين العدالة والإخاء والحرية ، وأعظم الرسالات الإلهية ، وأكثرها ملاءمة للطبائع البشرية ، وعملاً على إسعاد الإنسانية ، ولهذا أمر المكلفين جميعاً باتباعه وترك ما عداه ، وقال في ذلك وقوله الحق ، بالآية الخامسة والثمانين ، من سورة آل عمران الكريمة : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ والأحاديث النبوية الشريفة في ذلك كثيرة بلغت في جملتها مبلغ التواتر .

ولقد صرح التنزيل الحكيم ، بأن أمتنا خير الأمم ، في مواضع عدة ، منها قول الله عز علاه ، في سورة آل عمران الشريفة ، من الآية العاشرة بعد المائة ، إلى الآية الثانية عشرة بعد المائة ونصه :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ . لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ . ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ

لفضيلة الشيخ
أحمد علي منصور

﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ .

فقد أوجدنا الله تعالى خير أمة إلى يوم الحساب ، أوكنا في علمه ، أو في اللوح المحفوظ خير أمة ، أو كنا في الأمم السابقة علينا ، مذكورين بأننا خير أمة ، أظهرت للناس ، تأمر بالإيمان وطاعة الرسول ، وتحذر من الكفر والمعاصي وكل محظور . ونداوم على الإيمان بالله وطاعته ، ولو صدق أهل الكتاب بنبينا ، واتبعوا ما جاء به ، لكان ذلك خيراً لهم ، مما هم عليه ، من ايثارهم دينهم ، بالرغم مما اعتراه من تغيير وتبديل ، على دين الإسلام المجيد ، حباً للرياسة وجرياً وراء اتباع العوام لهم ، وطلباً لحظوظ الدنيا الفانية ، ولو آمنوا بالمصطفى الكريم لكان خيراً لهم من كل ذلك ، مع الفوز بما وعدوا على التصديق به ، والسير في طريقه السوي من إيتاء الأجر مرتين ، ومنهم المؤمنون ، كعبد الله بن سلام وأصحابه ، وأكثرهم المتمردون في الكفر ، وانهم لن يضروكم يا معشر المؤمنين ، إلا ضرراً مقتصراً على أذى بقول ، من طعن في الدين ، أو تهديد ، أو نحو ذلك ، وإن ينازلوكم في الحرب يولوكم الأدبار منهزمين ، ولا يضروكم بقتل أو اسر ، ثم لا يكن لهم نصر من أحد ، ولا يمنعون منكم ، وفي هذا السياق الكريم تثبيت لمن آمن بهم ، لأنهم كانوا يؤذونهم بتوبيخهم وتهديدهم ، وثم لا ينصرون ابتداء أخبار ، معطوف على جملة الشرط والجزاء ، وليس بمعطوف على يولوكم ، ولو كان معطوفاً عليه لقيل ثم لا ينصروا ، وإنما استؤنف ليؤذن أن الله عز وجل لا ينصرهم أبداً قاتلوا أو لم يقاتلوا ، وتقدير الأسلوب الحكيم : أخبركم بأنهم إن يقاتلوكم ينهزموا ، ثم أخبركم بأنهم لا ينصرون بحال ، فثم هنا للتراخي في المرتبة ، لأن الأخبار بتسليط الخذلان عليهم ، أعظم من الأخبار بتوليتهم الأدبار .

وفي الآية الأخيرة من هذا النص الكريم ، يخبرنا الله جل جلاله ، بأن اليهود ألزمت عليهم الذلة والهوان ، في أي مكان كانوا ، وعلى أية حال وجدوا ، إلا معتصمين أو متمسكين ، بحبل الله وحبل الناس ، يعني ذمة الله تعالى ، وذمة المسلمين ، فلا عز لهم إلا من هذه الناحية ، دون سواها ، وهي التجاؤهم إلى الذمة كما قبلوه من الجزية ، ولقد استوجبوا غضب الله سبحانه ، وما يبدو على محياهم ، من الفقر والمسكنة ، عقوبة لهم على قولهم : « إن الله فقير ونحن أغنياء » أو خوف الفقر مع وجود السعة واليسار ، ولقد حل بهم هذا بسبب كفرهم بآيات الله تعالى وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وذلك الكفر ، وذلك القتل كائنان بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده .

وفي التنويه بإكرام الله تعالى لنا ، وان أمتنا خير أمة إلى يوم القيامة ، يقول مولانا عز علاه ، في ختام الآية الأخيرة ، من سورة البقرة الشريفة :

﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ، رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ .

والأصر : العبء الذي يأصر حامله ، ويحبسه مكانه لثقله ، واستعير في النص الكريم للتكاليف

امتنا خير الأمم

الشاقة ، التي كانت عند السابقين ، لكفرهم وعنادهم ، كتعليق قبول التوبة على قتل المذنب ، والطهارة بالماء فقط ، والصلاة في مواضع العبادة لا غير ، كالبيع ، والصوامع والكنائس ، وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب ، ونحو هذا مما يصعب على المكلف النهوض به ، فتضرعنا إلى مولانا فأكرمنا ، وكلفنا بما نستطيع القيام به ، ولم يحملنا ما لا طاقة لنا بحمله ، من العقوبات النازلة بمن قبلنا ، وندعوه جلت حكمته ، ان يمحو كبائر سيئاتنا ، وأن يغفر صغائر ذنوبنا ، وأن يثقل بالحسنات موازيننا ، فنحن عبيده ، وهو سيدنا ، وناصرنا ومتولي أمورنا ، ومن حق المولى القوى المتين ، أن ينصر عبيده كل وقت وحين ، على القوم الكافرين ، وهو عز شأنه ، اكرم الأكرمين ، وأرحم الراحمين .

رفع شأن رسولنا والإشارة

إلى فضل امته

وفي مضمار إعلاء الله عز وجل لشأن رسولنا ، صلى الله عليه وسلم . والإشارة إلى تفضيله لأمته على سواها من الأمم ، يقول تبارك اسمه في سورة القصص ، من الآية الرابعة والأربعين إلى الآية السادسة والأربعين .

﴿وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ، ولكنا أنشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر وماكنت ثاوياً في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين . وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ﴾

يخبر الله تبارك وتعالى ، رسولنا الكريم ، بأنه لم يكن موجوداً بجانب الجبل الغربي ، وهو المكان الواقع في شق الغرب ، بالمكان الذي وقع فيه ميقات موسى ، حين قضى العلى القدير إليه الأمر ، فكلمه وقربه نجياً ، وبأن الصادق الأمين ، لم يكن من جملة الشاهدين ، للوحى الذي نزل على الكليم ، حتى يقف من جهة المشاهدة ، على ما جرى من أمر أخيه موسى في ميقاته ، ولكن مولانا بقدرته وعظمته ، وتدبيره وحكمته ، انشأ من بعد موسى قروناً ، طالت أعمارهم ، وفترت النبوة ، واندرست العلوم ، ووقع التحريف في كثير منها ، وكادت الاخبار تخفي ، فأرسل الله سبحانه ، خاتم النبيين ، وإمام المرسلين ، بالهدى ودين الحق ، لخير أمة أخرجت للناس ، علماؤها كأنبياء بنى إسرائيل ، حتى يجدد المصطفى وحي الله ، ويعيد لكلمات الله التامات بهاءها وروعتها ، ويوضح الأخبار على وجهها الصحيح ، ويبين ما وقع فيه التحريف ، وينبىء الله تعالى إمام الهدى ، صلوات الله وسلامه عليه ، بأنه لم يكن ثاوياً ومقيماً في أهل مدين ، وهم شعيب عليه السلام ، والمؤمنون به ، يقرأ عليهم ، الآيات التي انزلت إليهم ، تعلماً منهم ، ولكن الله عز علاه ، أرسل نبينا واخبره بهذه الآيات ، وعلمه ما لم يكن يعلم ، وكان فضله عليه عظيماً . ويذكر الله تعالى سير الأولين والآخرين ، بأنه لم يكن بجانب جبل الطور حين نادى العلى العظيم موسى ، ان خذ الكتاب بقوة ، ولكن السميع العليم ، بعث رسولنا الكريم واعلمه بما كان ، وأرسله رحمة للعالمين ، لأمة افضل الأمم على الإطلاق ، لم يأت لأفرادها نذير من قبله ، في زمان الفترة بينه وبين عيسى ، وهو خمسمائة وخمســون سنة . لعلهم يتـذكرون ويعتبـرون ويتعظون ، وفي ذلك سعادة لهم في العاجل والآجل .

من فضل الله على حبيبه ومصطفاه

وفي رياض السنة النبوية الشريفة ، نصوص كثيرة رائعة ، تنطق بفضل الله ، على حبيبه

ومصطفاه ، وتنادى بأن امته عليه الصلاة والسلام خير الأمم ، حتى تبدل الأرض غير الأرض والسموات ، ويقف الخلائق بين يدي الله الواحد القهار .

ومن هذه النصوص ما رواه الإمام البخاري وغيره ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، رضى الله تعالى عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي ، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة » .

وعند الإمام مسلم ، من حديث أبى هريرة : « فضلت على الأنبياء بست » فذكر الخمس المذكورة فى حديث جابر إلا الشفاعة ، وزاد اثنتين وهما : « وأعطيت جوامع الكلم ، وختم بى النبيون » فتحصل منه ومن حديث جابر سبع ، وعند الإمام مسلم أيضاً : « جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وأعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش » يشير إلى عدم مؤاخذة الله عز وجل لأمتنا على الخطأ والنسيان ، وحطه عنها الأصر والتكاليف الشاقة ، التى ألزم بها السابقين فصارت الخصال تسعا ، وعند أحمد : « أعطيت مفاتيح الأرض ، وسميت احمد ، وجعلت أمتى خير الأمم » .

وعند البزار : « وغفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر ، وأعطيت الكوثر ، وإن صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ، وكان قرينى كافرا ، فأعاننى الله تعالى عليه فأسلم » فصارت الخصال إلى هذا ست عشرة خصلة . قال فى فتح البارى : ويمكن أن يوجد أكثر من ذلك لمن أحسن التتبع .

ولقد ذكر ابو أسعد النيسابورى رحمه الله تعالى ، فى كتاب شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل اختص نبينا من بين الأنبياء بستين خصلة ، ويمكن الجمع بين هذه الأحاديث ، بأن التنصيص على عدد لا يدل على نفى ما عداه ، لأن مفهوم العدد ليس بحجة ، ولعل رسولنا صلوات الله وسلامه عليه ، قد أطلع أولا على بعض ما اختص به ، ثم اطلع صلى الله عليه وسلم على الباقى .

وفى حديث ابن عباس ، رضى الله عنهما : « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى ، لا أقولهن فخرا » وظاهر الحديث أن كل واحدة من هذه الخمس لم تكن لأحد قبله عليه الصلاة والسلام ، وجعل الغاية فى النصر بالرعب شهرا ، لأنه لم يكن بين بلده ، وبين أحد من أعدائه أكثر منه ، ولم تُبَح الصلوات للأمم السابقة إلا فى أماكن عبادتها ، وأحلت لنا الغنائم ، ولم تحل لمن قبلنا ، لأن منهم من لم يؤذن له فى الجهاد أصلا ، فلم يكن هناك غنائم ، ومن أذن لهم فى الجهاد لم تحل لهم الغنائم ، بل كانت تنزل من السماء ألسنة نيران تحرقها ، وأعطى نبينا صلى الله عليه وسلم الشفاعة العظمى فى القيامة ، لإخراج من فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان من النار ، أو لمن ليس له عمل صالح إلا التوحيد ، أو لرفع الدرجات فى الجنة ، أو لإدخال قوم دار النعيم بغير حساب ، فكل هذا خاص به عليه الصلاة والسلام .

وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة ، وبعث الصادق الأمين إلى الناس عامة : قومه وغيرهم ، من العرب والعجم .. الأسود والأحمر . وفى رواية أبى هريرة عند الإمام مسلم : « وأرسلت إلى الخلق كافة » وهى أصرح الروايات وأعمها وأشملها ، ولا يرد على هذا أن نوحا عليه السلام ، بعث إلى أهل الأرض بعد الطوفان لأنه لم يبق إلا من كان مؤمنا معه ، وقد كان مرسلا إليهم ، فهذا العموم لم يكن فى أصل بعثته ، ولكنه جاء اتفاقا بالحادث الذى وقع ، وهو انحصار الخلق فى الموجودين بعد هلاك سائر

الناس ، وأما نبينا صلى الله عليه وسلم ، فعموم رسالته من أصل البعثة ، وقول أهل الموقف لنوح كما فى حديث الشفاعة « انت أول رسول إلى اهل الارض ، فليس المراد به عموم بعثته ، بل اثبات اولية ارساله لمن هو موجود حينذاك » .

مقام محمود لرسولنا بالسموات

العلا وتفضيل الله لامته

ولقد روى النسائى وابن حبان وغيرهما ، من طرق يقوى بعضها بعضا ، أن نبينا صلى الله عليه وسلم ، حينما عرج به إلى السموات العلا ، كان معه جبريل عليه السلام ، وفى السماء السابعة بلغ مكانا تأخر عنه فيه امين الوحى ، فقال له هل هنا يفارق الحبيب حبيبه ياجبريل ؟ فقال يارسول الله ، وما منا إلا له مقام معلوم ، لقد انتهت منزلتى عند هذا الموضع ، ولو تقدمت لاحترقت ، وأما منزلتك انت فإلى الأمام .

قال صلى الله عليه وسلم : « وهنا أحسست بنفسى اتخطى مناطق شاسعة من الجلال والبهاء ، ثم غمرت فى بحار من النور والضياء » ثم دنا فتدلى ، فكان من أحكم الحاكمين قاب قوسين أو أدنى ، وانعكس بصره فى بصيرته ، فرأى بعينى رأسه من ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ، وكلم حبيبه وناجاه ، وقربه واصطفاه ، وقال له يامحمد : سل تعط ، فقال عليه الصلاة والسلام : « إلهى لقد اتخذت إبراهيم خليلا ، وكلمت موسى تكليما ، والنت لداود الحديد ، يعمل منه دروعا سابغات ، وسخرت له الجبال والطير ، وشددت ملكه ، وآتيته الحكمة وفصل الخطاب ، وآتيت ابنه سليمان ملكا لا ينبغى لأحد من بعده ، وسخرت له الريح ، والجن يعملون له ما يشاء ، من محاريب وتماثيل ، وجفان كالجواب ، وقدور راسيات وأعذت عيسى وأمه من الشيطان الرجيم ، فلم يكن له عليهما سبيل » .

فقال الله عز وجل : « وأنت يارسول الله ، قد اتخذتك حبيبا ، وشرحت لك صدرك ، ووضعت عنك وزرك ، ورفعت لك ذكرك ، فلا اذكر إلا وذكرت معى يارسول الله ، وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس ، ورفعت عنهم الخطأ والنسيان وما يستكرهون عليه ، وجعلتك خاتم النبيين ، وإمام المرسلين ، وأولهم يقضى له يوم الدين ، وأعطيتك الشفاعة فى المذنبين ، وآتيتك سبعا من المثانى والقرآن العظيم ، وأرسلتك رحمة للعالمين ، بالهدى ودين الحق ، بشيراً ونذيرا ، وداعيا إلىّ باذنى وسراجا منيرا ، وفرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فى اليوم والليلة » وشاء مولانا جلت حكمته ، أن تصير بعد خمسا ، ولها ثواب الخمسين ، لأن من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها .

وجوه المؤمنين الناضرة ، إلى ربها

يوم الدين ناظرة

ومما يدل أوضح الدلالة ، على أن أمتنا بفضل الله تعالى وكرمه خير الأمم ، ما رواه الإمام البخارى وغيره ، عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى ، رضى الله تعالى عنهما ، أن الصحابة رضوان الله عليهم ، قالوا ذات يوم للرسول صلى الله عليه وسلم : هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال صلوات الله وسلامه عليه : « هل تمارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ » فقالوا « لا يارسول الله . فقال عليه الصلاة والسلام : « فهل تمارون فى الشمس ليس دونها حجاب ؟» فقالوا لا يارسول الله . فقال صلى الله عليه وسلم : « فأنكم سترون ربكم بعيون رءوسكم ، كما ترون القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ، وكما ترون الشمس ليس دونها حجاب » ثم قال صلوات الله وسلامه عليه :

« وإن الناس إذا حشروا يوم القيامة ، يقول الله عز وجل : من كان يعبد شيئاً فليتبع ، فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ، ومنهم من يتبع الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة وفيها منافقوها ، فيأتيهم الله عز وجل ويقول لهم أنا ربكم ، ويضرب الصراط بين ظهرانى جهنم ، فأكون أنا أول من يجوز من الرسل بأمته ، ولا يتكلم أحد يومئذ إلا الرسل ، وكلامهم فى هذا الموقف : اللهم سلم سلم . وإن فى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان . فهل رأيتم شوك السعدان ؟ فقالوا نعم . فقال صلى الله عليه وسلم : فانها مثل شوك السعدان ، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى ، تخطف الناس بأعمالهم ، فمنهم من يوبق بعمله ، ومنهم من يخردل ثم ينجو ، حتى إذا أراد الله تعالى رحمة من أراد من أهل النار ، أمر الملائكة أن يخرجوا منها من كان يعبد الله فيخرجونهم منها ، ويعرفونهم بآثار السجود التى حرم الله على النار أن تأكلها ، فيخرجون منها وقد امتحشوا ـ أثرت فيهم النار حتى اسودت أجسامهم فيصب عليهم ماء الحياة ، فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل ، ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ، ويبقى رجل بين الجنة والنار ، فيتمنى على الله ، أن يصرف وجهه عن النار ، وأن يقربه من الجنة ، وأن يدخله دار النعيم ، فيحقق أمنيته ، ثم يقول الله تعالى له زد من كذا وكذا ، فيزيد حتى إذا انتهت به الأمانى ، يقول الله تعالى له : لك ذلك ومثله معه » .

وقال أبو سعيد الخدرى لأبى هريرة : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال الله عز وجل لك ذلك وعشرة أمثاله . فقال أبو هريرة : لم أحفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا قوله لك ذلك ومثله معه . فقال أبو سعيد بل إنى سمعته يقول : ذلك لك وعشرة أمثاله .

بقاؤنا فيما سلف قبلنا من الأمم

ولقد روى الإمام البخارى وغيره ، عن عبد الله بن أمير المؤمنين ، عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم ، كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس ، أوتى أهل التوراة التوراة فعملوا بها ، حتى إذا انتصف النهار عجزوا ، فأعطوا من الأجر قيراطا قيراطا ، ثم أوتى أهل الانجيل الانجيل فعملوا به حتى إذا كان حين صلاة العصر عجزوا ، فأعطوا من الأجر قيراطا ـ قيراطا ثم أوتينا القرآن فعملنا به إلى غروب الشمس ، فأعطينا من الأجر قيراطين قيراطين . فقال أهل الكتابين :

أى ربنا أعطيت هؤلاء المسلمين من الأجر قيراطين قيراطين وأعطيتنا منه قيراطا قيراطا ونحن كنا أطول أعمارا ، وأكثر أعمالا ، فيقول الله عز وجل ردا عليهم : هل ظلمتكم من أجركم من شىء ؟ فيقولون لا ، فيقول تعالى لهم : فذلك فضلى أوتيه من أشاء » .

وفى هذا ما فيه من كرم الله عز علاه لنا ، ورحمته بنا ، ورضاه عنا ، واحسانه إلينا ، وتفضيلنا إلى يوم الدين على غيرنا ، يختص برحمته من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

مثلنا مع نبينا ومثل اليهود
والنصارى مع أنبيائهم

ولقد روى الإمام البخارى وغيره ، عن أبى موسى عبد الله بن قيس الأشعرى ، رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « مثل

المسلمين واليهود والنصارى ، كمثل رجل استأجر قوما ، يعملون له عملا ، يوما إلى الليل على أجر معلوم ، فعملوا له إلى نصف النهار ، وقالوا لا حاجة بنا إلى اجرك الذى شرطت لنا وما عَمِلْنَا باطلٌ ، فقال لهم : لا تفعلوا ، اكملوا بقية عملكم ، وخذوا أجركم كاملا ، فأبوا وتركوا ، ثم استأجر أخرين بعدهم ، وقال لهم : أكملوا بقية يومكم هذا ، ولكم الذى شرطت لهم من الأجر ، فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا : ما عملنا باطل ، ولك الأجر الذى جعلت لنا فيه ، فقال لهم اكملوا بقية عملكم ، فإنما بقى من النهار شيء يسير فأبوا ، ثم استأجر قوما فعملوا له بقية يومهم ، حتى غابت الشمس ، واستكملوا أجر الفريقين كليهما ، فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور » .

والقوم الاولون هم اليهود ، وعملهم إلى نصف النهار ، وعدم اكماله ، اشارة إلى انهم كفروا وتولوا واستغنى الله تعالى عنهم ، وفى قولهم وما عملنا باطل ، اشارة إلى احباط ما فعلوا ، لأنهم كفروا بعيسى ، فلا ينفعهم الإيمان بموسى وحده بعد إرسال عيسى عليهما السلام . والقوم الذين بعد اليهود هم النصارى ، ولما لم يؤمنوا برسولنا صاروا من الكافرين ، وحبط عملهم كاليهود ، لأنه لا ينفعهم ايمانهم بعيسى وحده ، بعد بعثة سيد الأولين والآخرين ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله واصحابه اجمعين ، فى كل وقت وحين .

والقوم الأخيرون هم المسلمون ، الذين عملوا بقية اليوم ، حتى غابت الشمس ، وأخذوا أجر اليهود والنصارى كاملا ، لإيمانهم بخير الورى ، وموسى وعيسى ، عليهم الصلاة والسلام . فهذا مثلنا ، ومثل ما قبلنا من هذا النور المحمدى الشريف ، الذى اهتدينا به إلى يوم القيامة .

وللإسماعيلى رحمه الله : « فذلك مثل المسلمين الذين قبلوا هدى الله ، وما جاء به رسوله ، ومثل اليهود والنصارى ، فى تركهم ما أمرهم الله تعالى به » .

اللهم اجعلنا فى حياتنا من الفائزين ، وعلى أعدائنا من المنصورين ، وفى آخرتنا من الناجين ، واحشرنا يوم الحساب مع الذين انعمت عليهم ، من النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

احمد على منصور





الصلاح والإصلاح

في القرآن الكريم

للأستاذ أحمد عزت البرادعي

الصلاح في اللغة ضد الفساد ، أو ضد السيء ، والصلح أيضا هو ازالة النفار بين الناس .

ويقال : اصطلح القوم وتصالحوا . واصلاح الله تعالى الانسان يكون :

تارة بخلقه اياه صالحا .

وتارة بازالة ما فيه من فساد بعد وجوده .

وتارة يكون بالحكم له بالصلاح .

والعمل الصالح هو ما يصلح للقبول ، او الذى ليس فيه عيب أو آفة .

والصلاح يراد به هنا أن يكون الانسان صالحا في ذاته ، قد بدأ بنفسه ، فطهرها وهذبها ، وأقامها على الصراط ، فأصبحت طيبة صالحة ، ثم انتقل الانسان بعد ذلك الى اصلاح غيره وتهذيب سواه ، ولذلك قال حكيم : « الصالحون يبنون أنفسهم ، والمصلحون يبنون الامم » .

وقد أشار أبو حامد الغزالي أن الجدير بالمسلم هو أن يبدأ بنفسه حتى يتحقق لها الصلاح ، ثم يتدرج في اصلاح من حوله ، مرحلة بعد مرحلة . قال على طريقته في « الاحياء » :

« فحق على كل مسلم أن يبدأ بنفسه ، فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات ، ثم يعلم ذلك أهل بيته ، ثم يتعدى بعد الفراغ منهم الى جيرانه ، ثم الى أهل محلته ، ثم الى أهل بلده ، ثم الى أهل السواد المكتنف ببلده ، ثم الى أهل البوادي من الاكراد والعرب وغيرهم ، وهكذا الى أقصى العالم فان قام به الأدنى سقط عن الأبعد ، ولا حرج به على كل قادر عليه ، قريبا كان أو بعيدا .

ولا يسقط الحرج مادام يبقى على وجه الارض جاهل بفرض من فروض دينه ، وهو قادر على أن يسعى اليه بنفسه أو غيره ، فيعلمه فرضه . وهذا شغل شاغل لمن يهمه أمر

←

دينه . يشغله عن تجزئة الأوقات فى التفريعات النادرة . والتعمق فى دقائق العلوم التى هى من فروض الكفايات . ولا يتقدم على هذا الا فرض عين ، أو فرض كفاية هو أهم منه .

وبتوافر عنصر الصلاح فى النفس ، وعنصر الاصلاح للنفس ، يتحقق للانسان اكتمال فضيلة اخلاقية قرآنية . ذات شعبتين تكمل احداهما الاخرى ، تلك الفضيلة هى ما عبرت عنه بكلمتى « الصلاح » و « الاصلاح » .

ولقد تكررت مادة « الصلاح » فى القرآن المجيد أكثر من مائة وسبعين مرة ، ونستطيع أن نرى من مراجعة هذه المواضع أن الترتيب الطبيعى أو الغالب فيها أن الايمان مدخل الى الاصلاح وأن الاصلاح يكون ثمرة أو نتيجة للصلاح . ومن هنا ينبغى أن نلاحظ هذا الاقتران المتكرر الغالب بين ذكر « الايمان » وذكر « العمل الصالح » وقد تكرر قول القرآن الحكيم : **« الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ »** أكثر من خمسين مرة .

وليس هناك من ضرورة تلجىء الى ايراد كل هذه المواطن . وحسبنا هنا نماذج منها ، ففى سورة البقرة يقول الحق تبارك وتعالى :

« وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » .

وفى سورة المائدة ، **« وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ »** .

وفى سورة يونس :

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ » .

وفى سورة الرعد :

« الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ » .

وفى سورة الكهف :

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ... الخ .

والله تبارك وتعالى يمن على الاخيار من عباده . فيصلح لهم أعمالهم ، وفى هذا تشريف للصلاح والاصلاح يقول الله تبارك وتعالى : فى سورة الاحزاب :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا » .

والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وهم النماذج العليا من البشر — قد أمرهم الله — جل جلاله — بأن يؤدوا أعمالهم صالحة ، وأن يكونوا أئمة فى هذا المجال ، وبعد أن صنعهم الله على عينه . فجعلهم أئمة فى الصلاح ، يقول التنزيل فى سورة المؤمنون :

« يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ » .

يقول بعض أهل التفسير ، يأمر الله عباده المرسلين ، عليهم الصلاة والسلام أجمعين ، بالاكل من الحلال ، والقيام بالصالح من الأعمال ، فدل هذا على أن الحلال عون على العمل الصالح ، فقام الانبياء بهذا أتم القيام ، وجمعوا بين كل خير ، قولا وعملا ، ودلالة ونصحا ، فجزاهم الله عن العباد خيرا .

ومن سنة الرسل : أن لا تأكل الا طيبا ، ولاتعمل الا صالحا .

وقد ذكر القرآن المجيد طائفة من الأنبياء والمرسلين ، وعقب كل منهم وصفه بالصلاح ، ففى سورة البقرة يقول عن ابراهيم :

« وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ » .

وفى سورة آل عمران يقول عن يحيى :

« فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ » .

وفى السورة نفسها يقول عن عيسى :

« وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ » .

وفى سورة الأنعام يقول :

« وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ » .

وفى سورة الأنبياء :

« وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ » .

وفى السورة ذاتها :

« وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ . وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ » .

وهذا شعيب ينادى ــ كما فى سورة هود ــ بأنه لايريد الا الاصلاح الناشىء عن الصلاح العام لقومه . ولايتحقق مايرجوه الا بفضل الله وقوته .

وللاصلاح مواطن ، وكلما كان الموطن عاما واسعا شاملا لكثير من عباد الله كان أنفع وأمتع وأروع . ولذلك يقول التنزيل فى سورة الأنفال:

« وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ » أى الأحوال الواقعة بينكم معشر المسلمين ، فاتقوا الله فى أموركم، وأصلحوا فيما بينكم، ولاتخاصموا ولا تستبوا .

ويقول القشيرى : أصلحوا ذات بينكم بالانسلاخ عن شح النفس ، وايثار حق الغير على مالكم من النصيب والحظ ، وتنقية القلوب من خفايا الحسد والحقد .

والاصلاح كذلك واجب بين الجماعتين الاسلاميتين اللتين قد تقتتلان ، ففى سورة الحجرات .

« وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا

التِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » .

ويقول الحق جل جلاله فى سورة النساء :

« لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا » .

فالاصلاح بين الناس مجال فسيح يسع جهود الصالحين المصلحين من عباد الله سبحانه ، ولقد عنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى روى أنس عن النبى صلوات الله وسلامه عليه قال لأبى أيوب : الا أدلك على تجارة ؟ قال : بلى يارسول الله .

قال : « اصلاح ذات البين » وفساد ذات البين هى الحالقة (١) (متفق عليه) .

* كذلك فان المسلم مرآة أخيه ، فاذا رأى فيه شيئا فليمطه عنه ونجد للصوفية فى فهم الآية السابقة طريقة أخرى الى جانب ذلك حيث يرى بعضهم أن يظهر الداعية بعمله ومعاملته وتصرفاته قدوة عليا لهم ، فهو بهذا ينشر الصلاح بينهم ، فيكون ذلك اصلاحا لهم (٢) .

يقول القشيرى فى التعليق على الآية الكريمة:

« ومن تصدق بنفسه على طاعة ربه ، وتصدق بقلبه على الرضا بحكمه ، ولم يخرج بالانتقام لنفسه ، وحث الناس على ما فيه نجاتهم بالهداية الى ربه ، وأصلح بين الناس بصدقه فى حاله ، فان لسان فعله أبلغ فى الوعظ من لسان نطقه ، فهو الصديق فى وقت » .

ومن لم يؤدب نفسه لم يتأدب به غيره ، وكذلك من لم يهذب حالة لم يتهذب به غيره ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله : غير سائل به مالا ، أو حائزا لنفسه به حالا ، فعن قريب يبلغ رتبة الامامة فى طريق الله ، وهذا هو الأجر الموعود فى هذه الآية .

ولا عجب فى ذلك، فان الانسان بعمله وتصرفه حينئذ يكون صالحا مصلحا ، وهذا هو طريق الكمال .

ومن مواطن الصلاح والاصلاح المهمة مايشير اليه قوله تعالى فى سورة البقرة :

« وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ » ؟ واصلاح احوالهم بتأديبهم قد يكون أهم من الاصلاح المتعلق بأموالهم .

وثمة ملاحظة نشاهدها فى الاسلوب القرآنى فنحن نجده فى كثير من المواطن يجمع بين ذكر التوبة وذكر الاصلاح ويأتى ذكر التوبة أولا وكأن هذه اشارة والله أعلم بمراده الى أن

(١) كنا نود ـ بناء على خطة المجلة ـ ان يذكر الكاتب مرجع الحديث الشريف اينما أورده .
(٢) وليس ينفى ذلك ما تقدم فى المعنى .... مجلة الأزهر .

الانسان الصالح يبدأ أولا بالتوبة للتطهر والتنظيف •

وهذه مرحلة نستطيع أن نسميها مرحلة (التخلية) أى التخلص من الرواسب والآثام وتأتى مرحلة نستطيع أن نسميها مرحلة التحلية التى يحلى الانسان الفاضل فيها نفسه بالمكارم والمحامد وفى طليعتها الاسهام فى اصلاح الناس فلنستعرض بعض الشواهد على ذلك :

١ ـ فى سورة الأنعام :

(كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) •

٢ ـ فى سورة المائدة :

(فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) •

٣ ـ فى سورة النساء :

(إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) •

٤ ـ فى سورة النحل :

(ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) •

٥ ـ فى سورة النور :

(إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) •

٦ ـ فى سورة البقرة :

(إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) الخ •

وفى هذه الآية الأخيرة يقول القرطبى (استثنى الله تعالى التائبين الصالحين المصلحين لأعمالهم وأقوالهم المنيبين لتوبتهم ولا يكفى فى التوبة عند علمائنا قول القائل (قد تبت حتى يظهر منه فى الثانى خلاف الأول فان كان مرتدا رجع الى الاسلام مظهرا شرائعه وان كان من أهل الأوثان جانبهم وخالط أهل الاسلام وهكذا يظهر عكس ما كان عليه) •

وقد ذكر الكتاب العزيز كثيرا من أنواع الجزاء والثواب على العمل الصالح مع مايقترن به من توبة وتقوى واستقامة فهناك تكفير السيئات ففى سورة الاسراء

(إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا) •

وفى سورة التغابن :

(وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) •

وهناك مضاعفة الثواب ، ففى سورة سبأ :

« وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ

عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ »

وهناك وراثة الأرض والسيادة فيها ، ففى سورة الأنبياء :

« وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ » ٠

وهناك ولاية الله تعالى : وأنعم بها من ولاية ، ففى سورة الأعراف :

« إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ »

وهناك الحياة الطيبة والأجر الحسن ، ففى سورة النحل :

« مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »

ويفهم من حديث القرآن الكريم عن (العمل الصالح والمغفرة) أن المعاصى لا تحبط الطاعات، فالله تعالى يقول فى سورة المائدة : « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ » ٠ والمغفرة ــ كما فى لطائف الاشارات ــ لا تكون الا للذنب ، فوصفهم بالأعمال الصالحات ، ثم وعدهم المغفرة ، لنعلم أن العبد تكون له أعمال صالحة ، وان كانت له ذنوب تحتاج الى الغفران ، بخلاف ما قيل أن المعاصى تحبط الطاعات ٠ وقيل ان المعنى أن العبد ــ وان كانت له اعمال صالحة ــ فانه يحتاج الى عفو الله ورضوانه وغفرانه ، ولولا ذلك لهلك(١) ٠

ونفهم كذلك من حديث القرآن الكريم عن « الاصلاح » أنه يبعد أهله عن الهلاك ، يقول الحق جل جلاله فى سورة هود :

« وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ » ٠ ولتفسير المنار كلام مهم فى التعليق على هذه الآية الكريمة جاء فيه : **« أى وما كان من شأن ربك وسنته فى الاجتماع البشرى أن يهلك الأمم بظلم منه لها ، فى حال كون أهلها مصلحين فى الأرض ، مجتنبين للفساد والظلم ، وانما أهلكهم ويهلكهم بظلمهم وافسادهم فيها »** . كما ترى فى الآيات العديدة من هذه السورة « هود » وغيرها ٠

وفى الآية وجه آخر . وهو أنه ليس من سنته تعالى أن يهلك القرى بظلم يقع فيها ، مع تفسير الظلم بالشرك وأهلها مصلحون فى أعمالهم الاجتماعية والعمرانية ، وأحكامهم المدنية والتأديبية ، فلا يبخسون الحقوق كقوم

(١) هذه ــ أيضا ــ لا تخالف الأولى فى التفسير بل تتمم احداهما الاخرى ٠٠٠ مجلة الأزهر ٠

شعيب ، ولا يرتكبون الفواحش ، كقوم لوط ، ولا يبطشون بالناس بطش الجبارين كقوم هود، ولا يذلون لمتكبر جبار يستعبد الضعفاء كقوم فرعون .

بل لابد أن يضموا الى الشرك والافساد الظلم فى الأعمال والأحكام . وهو الظلم المدمر للعمران .

ويحتمل أن يراد أنه لا يهلكها بظلم قليل من أهلها لأنفسهم ، اذا كان الجمهور الأكبر منهم مصلحين فى جل أعمالهم ومعاملاتهم للناس .

أخرج الطبرانى وأبو الشيخ وابن مردويه والديلمى ، عن جرير بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عن تفسير هذه الآية ، فقال : « وأهلها ينصف بعضهم بعضا » .

وروى موقوفا على جرير رضى الله عنه . فتنكير الظلم فى هذا للتقليل والتحقير ، وفيما قبله للتعظيم ، وهو مأخوذ من قوله تعالى : « **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** » و الآية تدل على أن اهلاك المصلحين ظلم ، فلذلك يتنزه الله عنه .

وذكر المفسرون فى الوجه الثانى القول المشهور المعبر عن تجارب الناس ، وهو : ان **الأمم تبقى مع الكفر ، ولا تبقى مع الظلم .**

ثم يأتى حديث الصوفية عن الصلاح والاصلاح :

فهذا معروف الكرخي يقول على طريقتهم : « ما أكثر الصالحين وأقل الصادقين فى الصالحين » .

ويقول ابراهيم بن أدهم :

« اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين ، حتى تجوز ست عقاب :

أولاها : أن تغلق باب النعمة ، وتفتح باب الشدة .

والثانية : أن تغلق باب العز وتفتح باب الذل .

والثالثة أن تغلق باب الراحة ، وتفتح باب الجهد .

والرابعة : أن تغلق باب النوم وتفتح باب السهر .

والخامسة : أن تغلق باب الغنى ، وتفتح باب الفقر .

والسادسة : أن تغلق باب الامل ، وتفتح باب الاستعداد للموت .

ويقول أبو العباس بن عطاء : « خلق الله الصالحين للملازمة » . قال الله تعالى : « وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى » .

وبعد ، فلنتوجه الى الله بالرجاء فى تحقيق الصلاح والاصلاح لأنفسنا ، فضلا من الله ونعمة ، ولندع مع معاوية بن قرة قائلين : « اللهم ان الصالحين أنت أصلحتهم : ورزقتهم ان عملوا بطاعتك ، فرضيت عنهم . اللهم كما أصلحتهم فاصلحنا ، وكما رزقتهم ان عملوا بطاعتك فرضيت عنهم ، فارزقنا العمل بطاعتك وارض عنا .

وعلى الله قصد السبيل .

مقارئ الحديث النبوى فى مصر

اما مقارىء كتاب الله العزيز ، فلا زالت بحمد الله آهلة عامرة فى مصر ، ففى المساجد الكبرى يجتمع القارئون فى ساعات محددة ليتناوبوا القراءة فى أجزاء المصحف ، كما أن جماعات شتى فى المدن والقرى يحدد ليلات الجمعة ميعادا للتلاوة المباركة فى منازل مشتهرة يؤمها القارئون وفق نظام متبع ، حيث تكون لكل قارىء ليلته الآهلة فى منزله يستقبل بها اخوانه ومعهم أجزاء المصحف الكريم ليقوموا بالقراءة أسبوعيا دون عائق ، هذا غير الاجتماعات التعليمية لأعلام القراء ممن يتلون بقراءات غير قراءة حفص المشتهرة فى هذه البلاد ، تدارسا وتثقيفا والماما بأحد علوم القرآن .

هذا عن قراءة كتاب الله .

فماذا عن قراءة الحديث النبوى الشريف ؟

الحق أن الجيل الماضى كان خاتمة لعهد زاهر حظيت فيه الكتب المشتهرة الجامعة لأحاديث رسول الله بالتلاوة المباركة اذ كانت تلقى من الاحتفاء والاقبال ما يجعل انتشارها سنة متبعة ، والمسنون من رجالنا اليوم يذكرون مجالس الشيخ يوسف الدجوى والشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى ، والشيخ محمد ابراهيم السمالوطى والشيخ منصور ناصف ، وكلهم من علماء الحديث ، يشرحونه فى الدروس الدينية تارة ، ويجلسون للاستماع المتصل تارة أخرى ، مما سنلم ببعضه بعد حين .

وقد يظن ظان أن تلاوة الحديث فى مجالس العلم لا تؤدى فائدتها الجزيلة اذا لم تقترن بالشرح بحيث يكون مجلس الحديث درسا لا قراءة ، والحقيقة أن نور الحديث يشع على القلوب المؤمنة فتأخذ بنصيبها فيه ، كل على حسب استعداده .

والحديث كلام عربى يفيض على سامعه وتاليه معا بأطيب النفحات ، وفيه ذكرى وفقه لمن كان له قلب ، فمحاولة الصد عن قراءته المتتابعة استجابة لمعانى العجز والكسل ، وحرمان من مجالس الخشوع والسمو ، واصغاء لهواجس الريب الخادع ، فلينتبه الغافلون .

للأستاذ الدكتور
محمد رجب البيومى

ومن فضل الله أن مصر ـ كنانة الله فى أرضه ـ قد سعدت بالحديث النبوى منذ أشرق الاسلام فى ربوعها الآهلة ، اذ عرف تاريخها العلمى من رجالها محدثين أفذاذا عكفوا على آثار رسول الله حفظا واستظهارا وفهما واستنباطا واسنادا ، وصحائف التاريخ العلمى لمصر تنطق باحتفائها البالغ بهذا العلم الشريف ، كقد اشتهر من رجال الحديث بها الامام الشافعى صاحب المذهب الفقهى والليث بن سعد وعبد الله بن وهب المصرى صاحب كتاب (الجامع فى الحديث) وشهرة الامام الطحاوى المصرى بالحديث ذائعة لدى الدارسين ، وله اجتهادات كانت موضع النظر حيث أجاز الرواية عن مستورى الحال ، وعارضه بعض من لم يجيزوا اتجاهه بأدلة لا مجال لاستقصائها الآن ، ثم توالى ركب المحدثين فى مصر ليضم أبا بكر بن الحداد ، والحافظ ابن خزابة ، وأبا اسحق الماليني وأبا نصر البكرى ، وأبا اسحق النعمانى والحافظ السلفى وابن دحية والحافظ المنذرى وابن دقيق العيد وتقى الدين السبكى والبلقينى وابن حجر والعينى والقسطلانى والسيوطى ، ولكل منهم مقامه الجهير فى دنيا الحديث ، وكيلا نطيل بذكر أمثال هؤلاء الأفذاذ فاننا نذكر ما يغنى عن السرد الطويل حين ننقل عن تاريخ الحركة العلمية فى العصر المملوكى أن صحيح البخارى وحده قد شرحه أكثر من أربعين محدثا من أئمة هذا العصر ، نذكر منهم : سراج الدين البلقينى وأبا على بن المنير ، والحافظ مغلطاى ، وشهاب الدين بن حجر ، وبدر الدين الزركشى ، وسراج الدين بن الملقن ، وبدر الدين العينى وأبا العباس القسطلانى وبدر الدين الدمامينى ، هذا عن البخارى وحده .

أما شروح مسلم والترمذى وسنن أبى داود والموطأ وسنن البيهقى وسنن ابن ماجه فقد ذاعت كما ذاع شرح البخارى فى تصانيفه العديدة ذات الأجزاء الطوال ، وقد يفيد فى هذا المجال أن يرجع القارىء الى ما كتبه الأستاذ محمود رزق سليم فى الجزء الثالث من موسوعته ، ففيه غناء واشباع (١) ، وكل ذلك يشير الى احتفاء مصر بحديث رسول الله فى زمنها السالف !

←

---

(١) عصر سلاطين المماليك ج ٣ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ .

وقد يكون ما ذكرناه تمهيدا منطقيا لبعض ما نريد .

كان الأزهريون في قديمهم الغابر لا يدرسون السنة في موجزات أو مختارات تتبع ببعض الشروح والتعليقات ، وتوصف بالمذكرات كما نشاهد اليوم ولكنهم كانوا يدرسون السنة في مصادرها الأصيلة ، حيث يقرأ الكتاب من ألفه الى يائه بعناية واحكام ، والمتتبع لتراجم العلماء في تاريخ الجبرتي ، يعجبه أن يجد الكتب الأصيلة في السنة المطهرة مما درس طالب الأزهر ، فالشيخ شمس الدين الحنفي مثلا يدرس في مجال السنة سنن أبي داود وسنن النسائي وسنن ابن ماجه والموطأ للامام مالك ، ومسند الامام الشافعي ومعاجم الطبراني وصحيح أبي حيان والمستدرك للنيسابوري .

وليس الحفني بدعا في هذا الامام البارع بأمهات كتب الحديث ، بل ان زملاءه وأساتذته وتلاميذه كانوا ينتحون ما انتحاه ! وأكثرهم كان حريصا على أن يتصل اسمه برجال السند ليكون حلقة في السلسلة المنتهية بصاحب الأثر كالبخاري ومسلم ومالك !

هذا الشغف البالغ باتصال السند الى أرقى مصادره في الكتاب المشروح دفع العلماء الى الحرص على سماع المتن من الأساتذة في مجالس التلاوة ! وقد تخصص كل دارس بكتاب يختاره من كتب السنة ليذكر في حلقة اسناده ! ولكن العلامة الأمير رحمه الله قد دفعته همته الى أن يكون حلقة في سلسلة السند لا في كتاب واحد بل في ثلاثة كتب من أمهات كتب الحديث هي الموطأ للامام مالك وصحيح البخاري وصحيح مسلم ، وعنه روى الكثيرون في مجالس القراءة الواعية متون مالك والبخاري ومسلم ، وتوالى تلاميذه ومن تبعهم باحسان ، حتى ما قبل جيلنا المعاصر ، فاجتهدوا في الرواية ليصلوا بالسلسلة الى مدها المتصل ، وياله من مجد حافل يحس الدارس شرفه في نفسه حين يعلم أنه سعد بعده بين الرواة ! لهذا كثرت مجالس القراءة للحديث النبوي يتصدرها محدث حافظ يتصل نسبه العلمي بآباء من كرام المحدثين ، وهو في مجلسه يستمع المتن مصححا ، وشارحا ومجيزا ، ولمجلس الحديث رسمه الطاهر مأخوذا عن الامام مالك بن انس اذ كان يتزين لمجلس الحديث ، متوضئا فمصليا ركعتين ، فمستمعا الى النص النبوي يتلى عليه من الموطأ في مهابة تعم الحلقة بمن فيها حتى قال فيه القائل :

يدع السؤال فلا يراجع هيبة
والحاضرون نواكس الأذقان

وأي هيبة أروع من هيبة عالم امام بين يدي حديث رسول الله ، وفي حرمه الشريف ، على قيد خطوة من مقامه الكريم ، أجل ، كثرت مجالس التلاوة للحديث منذ ثابر عليها العلامة الأمير الكبير في مساجد عدة ، حتى اذا لحق بربه كان نجله العلامة محمد الأمير

الصغير خليفته فى أستاذية هذه المجـالس ، وكأنه أحس أن مؤلفاتوالده وحواشـيه فى النحو والفقه والبيان والتفسير والتوحيد لم تكون وحدها شخصيته العلمية ، بل لابد مـن محاكاته فى مجلس القراءة للحديث النبـوى بمصر ليكون حلقة بعده فى سلسلة الاسناد ، ثم جاء من بعده تلميذه العلامة ابراهيم السقا خطيب الجامع الأزهر ، فتسلم الراية هـو ونفر من زملائه ، لكل شيخ مسجد خاص يتلى فيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم عم الفضل وازدهر ، حين أخرجت حلقـة الشيخ السـقا تلميذها المحدث الامام سليم البشرى ، شيخ الجامع الأزهر الأسبق ، اذ كان مع تنوع معرفته العلمية متخصصـا فى الحديث رواية ودراية ، وقد قضى أكثر مـن تسعين عاما فى حياته ، انصرف أكثرهـا الى دراسة الحديث النبوى وتلاوته فى مسـاجد السيدة زينب والسلطان الحنفى ومحمد أبى الذهب ! هذه المساجد التى أذاعت شـهرة الشيخ سليم الحقيقة فى علم الحـديث حتى عرف بالشيخ المحدث وقال شاعر النيل حافظ ابراهيم فى رثائه :

هـوى ركـن الحديث فاى ركن
لطـلاب الحقيقة والصـواب

موطـا مـالك عـز البخـارى
ودع لله تعـزية الكتـاب

قضى الشـيخ المحدث وهو يملى
على طـلابه فصـل الخطـاب

ولم تنقص لـه التسـعون عزما
ولا صـدته عن درك الطـلاب

وكأنى بحـافظ ابراهيم يشـير فى البيت الأخير الى جودة حفظه مع ارتفاع سنه ، لأن الشباب من تلاميذه قد هالهم أن يحفظ الأستاذ الأكبر موطأ مالك وصحيحى البخارى ومسلم حفظا لم تنقص منه التسعون ، اذ بقيت له فى شيخوخته ذاكرة الشباب بالنسبة لحـديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومانحقق ذلك الا بمجالس القراءة المتواصلة للحـديث الشريف ، وقد خرجت هذه المجـالس ثلاثة من أفذاذ العلماء فى هذا المضمار هم الأساتذة الكبار : محمد ابراهيم السمالوطى ، ويوسف الدجوى ، ومنصور ناصف ، وكلهم صـاحب حلقة فى تلاوة الحديث .

أما الأستاذ محمد ابراهيم السمالوطى فقد كان صاحب حلقة حديثية للشرح بالمسـجد الحسينى ، وحلقة أخرى للقراءة بمســجد السيدة زينب ، وقد ذكرت مجلة الأزهـر فى نعيه ، بعدد صفر ١٣٥٥ هـ وكانت تسـمى حينئذ مجلة (نور الاسـلام) ذكرت أن لـه عناية خاصة بعلم الحديث دراية وروايـة ، فكان نبراسا منيرا طالما سطع ضـوؤه فى أفق هذا العلم فانتفع به الطـلاب وجمـاهير المسلمين ، وحاز بذلك عظيم التقـدير » ، وسلسلة نسبه الحديثى تتصل هكذا :

يروى السمالوطى عن سليم البشرى عن ابراهيم السقا عن الأمير الصغير عن الأمير الكبير عن على الصعيدى عن محمد عقيلة المكى عن حسن العجمى عن أحمد بن محمد اليمنى عن يحيى بن مكرم الطبرى عن ابن صدقة الدمشقى عن ابن عبد الأول الفوغانى عن أبى لقمان يحيى بن عماد عن محمد بن يوسف الفربرى عن الامام البخارى رضى الله عنه : وقد يكون راو أو اثنان قد سقطا دون قصد ، ولكن السلسلة ذات واقع متداول لا لبس فيه :

أما الشيخ منصور ناصف ، فقد ألف كتاب التاج الجامع للأصول فى خمسة أجزاء كبار ، وقد كان تلميذا فى حلقة الشيخ سليم البشرى ، وعهدى به فى أوائل الأربعينيات من هذا القرن اذ كان يعقد مجلس القراءة بعد العصر من أيام الاثنين فى المسجد الزينبى حيث كان أحد أئمته ، وكان هو الذى يتولى قراءة الحديث بنفسه ، اذ لم يكن له من تلاميذه من يقرأ وهو يستمع ! وأذكر أن أحد زملائنا من طلبة كلية اللغة العربية حينئذ لم يدرك مغزى الحلقة ، فبادر بعد انتهاء الشيخ من مجلسه ليسأله : ما فائدة القراءة دون شرح ؟ فابتسم الشيخ وقال : الشرح موجود ، وله أوقات كثيرة ، ، والكتب المشروحة أكثر ، والشيخ منصور تلميذ البشرى ، يقرأ البخارى عن سماعه مسلسلة الاسناد الخاصة به هى سلسلة الشيخ السمالوطى حيث تماثل التلميذان فى هذا المجال .

أما النادرة العجيبة حقا فهو الأستاذ العلامة الشيخ يوسف الدجوى رحمه الله ، وكان له مجلسان ، مجلس للتفسير بالرواق العباسى ، ومجلس للحديث بالجامع الأزهر أولا ، وبمنزله أخيرا حين تقدمت به السن ، يقول الأستاذ الامام عبد الحليم محمود عن مجلس الدجوى فى التفسير (١) .

« لقد كنا نحضر درس المرحوم العالم الكبير العارف بالله فضيلة الشيخ يوسف الدجوى ، فى الرواق العباسى ، بعد صلاة الفجر ، وكان درسا فى التفسير ، كان درسا رائعا حقا ، يجمع بين الدراسة الكسبية ، والالهامات الربانية ومما يؤسف له أن أحدا لم يدون هذه الدروس ولو دونت لأفادت علما ، وأفادت دررا من الالهامات » .

أما مجلس الحديث فما أكثر من انتفعوا بمشاهدته ، وكان من طلابه الأستاذ الكبير محمد زاهد الكوثرى وكيل المشيخة العثمانية وهو من غزارة علم ، وعمق بحث وسعة اطلاع ، يقول الشيخ الكوثرى (٢) .

« وقد تلقيت موطأ مالك من الأستاذ الدجوى رحمه الله فى مجالس آخرها فى اليوم

---

(١) شمس الدين الحفنى ص ٣٥ للدكتور عبد الحليم محمود .

(٢) الغيث المروى فى ترجمة الدجوى ص ٤٣

الثانى والعشرين من صفر ١٣٦١ هـ بقراءتى عليه لجميعه الا بعض مواضع يسيرة منه ، فقد ناوبنى فيها الشيخ على الخصوصى فى بعض المجالس فأجازنى به ، وبجميع ماله من الروايات اجازة عامة ، وساق سنده فى الموطأ عن الشيخ أحمد منة الله عن الأمير الكبير بسنده بطريق السقاط ، ورجال هذا السند كلهم من المالكية من الأستاذ الدجوى الى الامام مالك رضى الله عنه .

واذن فالكوثرى من رواة الموطأ عن الدجوى حتى ينتهى الى مالك ابن أنس ، وقد ذكر الشيخ محمد حبيب الشنقيطى مؤلف (زاد المسلم) سلسلة له تتصل أيضا بصاحب الموطأ . وكان الشيخ حبيب الله أستاذا للحديث النبوى بكلية أصول الدين ، وكان يقرأ البخارى فى ليال معروفة بمنزله القاهرى بالقلعة ، كان ذلك أثناء الحرب العالمية الثانية ، والكهرباء منطفئة ، ولكن أنوار الشموع تضىء فى منزل الشيخ الشنقيطى بالقلعة ليواصل القارىء تلاوة الحديث باطمئنان ! .

هذه نماذج من مجالس الحديث النبوى فى مصر ، نؤرخ لها لنحث على استعادتها ، ولن أقول ان احياء الحديث النبوى قد اندثر بعد هذه المجالس فلدينا كتب أفردت للحديث النبوى مابين جديد وقديم ، فحركة النشر والتأليف والتحقيق والتخريج والنقد والجرح والتعديل لا تزال تجد من المتخصصين فى جامعات العلم من يقوم بها ، ودروس الحديث فى المعاهد والكليات ، لا ينقطع لها مد ، ومعاجم الحديث المفهرس تنشر وتذاع ، والدفاع عن السنة المطهرة له أبطاله المعلمون فى ساحات الصيال ، يردون الهجوم المغرض من يلوون الحق بألسنتهم ليظهر فى صورة الباطل ، ولكننا بعد ذلك كله فى حاجة الى مجالس الحديث تلاوة وعبادة ، لأن نور الحديث المتلو يضىء قلب المؤمن كما يضىء القمر صفحة السماء .

أذكر أن الأستاذ الدكتور منصور فهمى قد تقدم للدكتوراه فى باريس برسالة عن المرأة جانبت الحق فى اتجاهها المعوج ، اذ ألصقت بالاسلام ماليس فيه ، وقامت القيامة فى مصر ، تفنيدا واستنكارا ، ولم يستطع الدكتور منصور أن يواجه العاصفة ، ولكنه اهتدى الى الشيخ الأكبر حسونة النووى شيخ الأزهر اذ ذاك يسترشده ويستهديه ، فما كان من الشيخ الا أن قدم له صحيح البخارى ليقرأ أحاديثه بامعان ، وخلا الدكتور الى كلام الرسول شهورا متصلة ، فأشرق نور الحق فى قلبه ، ولمس من أسرار الشريعة ما كان غائبا عن وعيه ، وأعلن فى مذكراته أن صحيح البخارى قد هداه الى الصراط المستقيم ، والدكتور منصور أديب مفكر ذو منطق وبيان، ومثله لا يصدر حكمه دون اقتناع ، فاذا صحح له حديث الرسول ما شط من آرائه ، فعن يقين يرفده العقل وتضيئه الحجة حتى يسلس القياد ، وهذا ما كان .

ان مجالس الحديث النبوى تنتظر من يعيدها ، وحبذا لو عرفت مساجد خاصة بتلاوتها فى أيام تحدد ، وساعات ترصد ، انها تكون حينئذ واحة الظل فى هجير الصحراء ، ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله .

د. محمد رجب البيومى .



ثالثا : سلام الحجر عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

وفى ص ٨٨ سطر ١٤ ، ص ٩٩ سطر ٩ يرد حديث سلام الشجر والحجر على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ٠

وهذا الرد للحديث مردود ، فان كان يدفع حديث ابن اسحاق بأن اسناده ضعيف فماذا يفعل فى حديث جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم « انى لا أعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن ابعث انى لأعرفه الآن « وهو حديث صحيح (١) ؟ ! وماذا يفعل فى حديث على بن أبى طالب قال: كنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمكة فخرج فى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولاجبل الا قال السلام عليك يارسول الله (٢) ٠

والعجب أن المؤلف يلمز الحديث بضعف اسناده فى حين هو لم يراع هذا الأمر ـ الاسناد ـ فى كتابه ، ولو أنه راعى الاسناد لبحث له عن طريق آخر ، شأن أهل الدراية بالاسناد ، ولو راعى ذلك لطبقه فى كل الأسانيد التى اعتمد عليها ، والكثير منها ملىء بالبلايا !!

واذا كان يعلم عن الاسناد فكيف يرد الحديث بهذه الطريقة من أنه مادام كان هناك حجر يسلم عليه اذن لا يمكن أن يخاف من جبريل ؟ من يعرف الاسناد لا يرد الحديث بهذه الطريقة ٠ وانما يرد لمغمز فيه يجعله فى دائرة الواهى أو الموضوع على أن لايثبت من طريق آخر ٠

ثم من أين جاء التلازم بأن من سلم عليه الحجر لا يخاف جبريل ؟ هذا التلازم باطل وانما يصح لو أن الذى سلم عليه جبريل ، وجاء فى نفس الصورة التى كان يسلم عليه

---

(١) اخرجه مسلم فى الفضائل الحديث الثانى ١٣٤/٥ طبعة الشعب واخرجه الترمذى فى المناقب الباب الثالث ، واخرجه الدارمى فى المقدمة الباب الرابع واخرجه احمد ٨٩/٥ ، ٩٥ ، ١٠٥ ٠

(٢) اخرجه الحاكم فى المستدرك ٦٢٠/٢ وصححه ووافقه الذهبى واخرجه الدارمى فى المقدمة باب ما اكرم الله به نبيه من ايمان الشجر والبهائم والجن ١٩/١ وقال محققه : اخرجه الترمذى واخرجه الطبرانى فى الاوسط كذا فى المجمع ٢٦٠/٨ واخرجه ابو نعيم فى الدلائل ٣٣١/٢ ، ٣٣٢ ٠

للأستاذ الدكتور
عبد المهدى بن عبد القادر بن عبد الهادى

فيها ، أما أن يسلم عليه حجر ويخبره أنه رسول الله فهذا لا يمنع أن ينزعج من جبريل وبخاصة أنه جاءه هذه المرة فى صورته التى خلق عليها كما تفيده بقية النصوص .

فعن عبد الله بن مسعود قال : رأى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — جبريل فى حلة من رفرف قد ملأ مابين السماء والأرض (٣) .

رابعا : القدوة بالمصطفى — صلى الله عليه وسلم : —

وفى ص ٦٣ سطر ٩ ينتقد علماء السيرة ثم يقول فى سطر ١٥ : ان اسلوب الرسول سهل ممتنع . وهذا يتنافى مع ما أمرنا به من الاقتداء ، فاذا كان أسلوبه — صلى الله عليه وسلم — ممتنعا فكيف نقتدى به ؟ الذى ندين الله به أن أسلوب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — سهل ميسور ، وصدق الله العظيم «وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ » (٤) .

خامسا : بين الأنبياء : —

فى ص ٨٥ سطر ١١ يقول ان موسى ولد نبيا .

وهذا شىء يخالف القرآن الكريم ، فموسى لم يولد نبيا ، والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد انه — أى موسى عليه السلام — عاش فى مصر قبل النبوة ، وخرج من مصر ، وعمل عند الرجل الصالح عشر سنين ، فلما سار بأهله بدأت نبوته ، وبدأ الوحى على جبل الطور . اقرأ فى ذلك قول الله سبحانه .

«وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّى آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّى آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى . فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِىَ يَامُوسَى إِنِّى أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى. وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (٥) » .

الى هذا الوقت ماكان موسى يعلم شيئا عن هذه الأنوار بل انه ظنها نارا ، فجاءه الوحى فى هذا الوقت ، فهل يقال اننا لا نعرف رحلة

(٣) اخرجه الترمذى فى التفسير ، سورة النجم ١٧١/٩ تحفة الاحوذى حديث رقم ٣٣٣٧ وقال : حسن صحيح .

(٤) سورة الحج : آخر آية ورقمها ٧٨ ، والمذكور هنا جزء من الآية .

(٥) سورة طه الآيات ٩ — ١٣ .

انتقال نبى من البشرية الى النبوة . وهل يقال بعد ذلك ان موسى ولد نبيا ؟

رحم الله ابن كثير : اذ يقول فى تفسير هذه الآيات : من هنا شرع تبارك وتعالى فى ذكر قصة موسى . وكيف كان ابتداء الوحى اليه وتكليمه اياه وذلك بعد ماقضى موسى الأجل الذى كان بينه وبين صهره فى رعاية الغنم .. الخ (٦)

وقضية بدء الوحى الى موسى تقرؤها فى سورة طه - ومنها الآيات المتقدمة - وفى سورة الشعراء ، وفى سورة النمل ، وفى سورة القصص ، وفى غير هذه السور (٧) .

سادسا : رهن درعه صلى الله عليه وسلم

وفى ص ٢١١ سطر ١٩ ينكر أن يكون صلى الله عليه وسلم - رهن درعه عند يهودى ، ينكر هذا بناء على خط عنده يفصل بين مانقبل ومالا نقبل ، ولم يعرفنا هذا الخط ، ولم يسبق اليه !!

وانكاره رهن الدرع انكار لحديث صحيح أخرجه البخارى عن عائشة رضى الله عنها « أن النبى - صلى الله عليه وسلم - اشترى طعاما من يهودى الى أجل ، ورهنه درعا من حديد (٨) ثم بأى شىء يرد الحديث؟! يرد لأن المقاتل لا يستغنى عن درعه ؟! هذا اذا لم يكن له غيره ، والرواية فيها (٩) « درعا من حديد » وليس « درعه » فتفيد الرواية أنه - صلى الله عليه وسلم - كان عنده أكثر من درع . وهى وان كانت تفيد ذلك من خلال ألفاظها ؛ فانه ثبت صراحة أنه - صلى الله عليه وسلم كانت له درع يقال لها : السعدية ودرع يقال لها : فضة ودرع يقال لها : ذات الفضول (١٠) .

أو يرد لأن الرسول صلى الله عليه وسلم وسلم - عاش ميسورا ؟ أقول : رحم الله الحافظ بن حجر اذ قال فى شرح هذا الحديث : وفيه - أى حديث رهن الدرع - ما كان عليه النبى - صلى الله عليه وسلم - من التواضع والزهد فى الدنيا والتقلل منها مع قدرته عليها، والكرم الذى أفضى به الى عدم الادخار حتى احتاج الى رهن درعه . والصبر على ضيق العيش والقناعة باليسير (١١) . اهـ

ومجمل القول أنه - صلى الله عليه وسلم - كان ميسورا لكن هو الذى قال : « أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم . فمن توفى من المؤمنين

---

(٦) تفسير ابن كثير ١٤٢/٣ .
(٧) وراجع تفصيل آيات القرآن الحكيم لجول لا بوم ص ٨٣ - ١٠١ .
(٨) أخرجه البخارى فى البيوع باب شراء النبى صلى الله عليه وسلم بالنسيئة ٣٠٢/٤ رقم ٢٠٦٨ ، وفى الرهن باب الرهن فى الحضر ١٤٠/٥ وفى غير هذين الموضعين واخرجه الترمذى والنسائى والدارمى واحمد .
(٩) أى رواية البخارى السابقة .
(١٠) راجع طبقات ابن سعد ٤٨٧/١ .
(١١) فتح البارى ١٤١/٥ .

فترك دينا فعلى قضاؤه ومن ترك مـــالا فلورثته » (١٢) وهو الذى قال : مالى وللدنيا، انما أنا كراكب قال تحت شجرة ثم تركهـــا وانصرف (١٣) •

فاعراضه ــ صلى الله عليه وسلم ــ عـن الدنيا ، مع كرمه ، مع تحمله أعباء الدعوة كل ذلك كان سببا فى أن رهن درعه •

وفى الحديث تساؤلات أكثر من ذلك تراجع من كتب الشروح (١٤) •

سابعا : تجريح الصحابة :

وفى ص ٢٧٧ سطر ٥ يتشكك فى صدق عمر حينما قال : ان الرسول ــ صلى اللـه عليـه وسلم ــ لم يمت !! والسؤال : متى كان عمر غير صادق ؟ ولم يفعل ذلك عمر ، وهو الذى، لم يعط الخلافة لابنه من بعده ؟

لقد قال عمر أن الرسول لم يمت بناء عـلى اجتهاد عنده ، فلقد أداه اجتهاده أن رســول الله ــ صلى الله عليه وسلم لن يموت الا بعد القضاء على المنافقين كما صرح بذلك فى قوله « ان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لا يموت حتى يفض الله المنـافقين (١٥) وفى رواية أخرى « وليبعثنه الله فليقطعن أيـدى رجال وأرجلهم (١٦) •

وفى ص ٢٨٠ سطر ٢ كلام مفاده أن السياسة تفسد الدين والايمان وقد كان أبو بكر وعمر سـياسيين ، لكن كان الايمـان غالبـا على السياسة •

وأقول : الذى فى الاسلام خلافة وامارةوهى من الاســلام •

وفى ص ٢٨٦ سطر ١٤ يركز على أن عويم ابن ساعدة ، ومعن بن عـدى ناديا أبا بكـر وعمر لأخذ الخلافة ، حتى لا يأخذها خزرجى ــ هو سعد ابن عبادة ــ لأنهما من الأوس • وان اختلاف الأنصار هو الذى أتاح لأبى بكر أخذ الخلافة • وأن عمر رد هذا الجميل لعويم اذ وقف على قبره لما مات وقال : لا يستطيع أحد من أهل الأرض أن يقول انه خـير مـن صاحب هذا القبر ، ما نصب رسول الله صلى الله عليه وسلم راية الا وعويم تحت ظلها •

وهذا الكـلام معترض عليـه فى ثـلاث نقاط :

---

(١٢) اخرجه البخـــارى فى الكفالة باب الدين ٤٧٧/٤ رقم ٢٢٩٨ وفى غير هذا الموضع واخرجه مسلم وغيرهما .

(١٣) اخرجه احمد والترمذى وابن ماجـــه والحاكم والضياء عن مسعود . وقد كتبته مــن حفظى .

(١٤) راجع من ذلك فتح البارى جـ ٥ ص ١٤٠ ــ ١٤٢ وراجع عمدة القارى .

(١٥) اخرجه احمد ٢١٩/٦ ، ٢٢٠ •

(١٦) اخرجه البخارى فى فضـائل الصحابة باب قول النبى لو كنت متخذا خليلا ١٩/٧ •

الأولى : أن عويما ومعنا لم ينا ديا أبا بكر وعمر ، ففى رواية مالك عن الزهرى أن هذين الرجلين لم يطلبا البكور الى السقيفة ، وانما نصحا بالبقاء الى الانتهاء من تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٧) ، وما عند أبى يعلى أصح مما عند الواقدى (١٨) .

الثانية : ليس اختلاف الأنصار هو الذى أعطى الخلافة للصديق وانما سلم بها له الانصار عند سماعهم حديث « الأئمة من قريش (١٩) وسماعهم حديث » « قريش ولاة هذا الأمر » حتى قال أبو بكر : ولقد علمت ياسعد ــ يعنى ابن عبادة ــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنت قاعد « قريش ولاة هذا الامر ، فبر الناس تبع لبرهم ، وفاجرهم تبع لفاجرهم ، فقال له سعد : صدقت ، نحن الوزراء وأنتم الأمراء (٢٠) .

الثالثة : ان مقولة عمر فى شأن عويم ليس أساسها موقفه من الخلافة ، وانما أساسها أنه شهد جميع المشاهد ــ كما قال عمر نفسه ــ أى الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومدحه عمر بحرصه على الجهاد ، ولم يمدحه بأنه كان ذا موقف فى الخلافة .

وعويم هذا أثنى عليه ربنا ومدحه نبينا ، فلقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : من الذين قال الله فيهم ، « **رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا** » ؟ (٢١) فقال نعم المرء منهم عويم ابن ساعدة (٢٢) « ولو كانت المسألة مسألة مكافأة لأعطاه أبو بكر وعمر الكثير من المال والمناصب ، ولم يقع من ذلك شىء .

وفى ص ٢٧٨ سطر ١٩ يقول : والعباس كان يفكر تفكيرا جاهليا .

وفى ص ٢٧٩ سطر ٣ يقول : والعباس الى ذلك الحين كان جاهلى الفكر والاحساس .

وفى ص ٢٨١ سطر ٧ يتشكك فى سرعة أبى بكر للحضور بعد علمه بموت رسول الله ﷺ وأنه حضر يوم الاربعاء .. فى حين هو حضر بعد الوفاة بقليل ، وتمت البيعة فى نفس اليوم « الاثنين » (٢٣) .

وفى ص ٢٨٥ سطر ٢ يطلق على الصحابة لفظ « قطيع » .

وفى ص ٢٨٤ السطر الاخير ، وص ٢٨٥ السطر الأول ينتقد أهل السنة بأنهم تكلفوا

(١٧) اخرجه ابو يعلى ، كذا فى الفتح ٧/ ٣٠ .
(١٨) سياتى كلام فى هذا .
(١٩) اخرجه الحاكم والبيهقى عن على ، واخرجه احمد والنسائى .
(٢٠) اخرجه احمد ١/ ٥ .
(٢١) سورة التوبة آية ١٠٨ .
(٢٢) راجع الاصابة ٤/ ٧٤٦ .
(٢٣) راجع البداية ٥/ ٢٧٩ « ذكر اعتراف سعد بن عبادة بصحة ما قاله الصديق يوم السقيفة » وسيأتى مزيد لذلك ان يسر الله سبحانه وتعالى الاستمرار فى الرد .

فى الدفاع عن خلافة أبى بكر وهذا لقلة علمهم بالتاريخ .. ص ٢٨٥ .

وفى ص ٦١ ينتقد السلف فيقول « لأن السلف عاطفيون ... وليس هذا صحيحا أصلا » ولست أدرى ماذا يريد بعد تجريح الصحابة وأهل السنة والسلف ؟ .

ثامنا ــ تغير رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وفى ص ٢٧٦ سطر ١٢ ، وص ٢٨٢ سطر ١٠ ، وص ٢٨٥ سطر ١٢ اصرار على أن الرسول صلى الله عليه وسلم تغير قبل دفنه ، ويبنى هذا على أساس أنه صلى الله عليه وسلم ظل بلا دفن أكثر من ٤٨ ساعة اذ مات يوم الاثنين ودفن فى نهاية الأربعاء ، ويرجع السبب فى تأخير الدفن الى السياسة ، وأن الانشغال بالبيعة هو الذى أخر الدفن .

وكل هذا ليس مسلما له ، بل هو خطأ محض . وذلك لما يلى : ــ

القول بأنه صلى الله عليه وسلم دفن بعد أكثر من ٤٨ ساعة وأن الدفن تم ليلة الخميس يعارضه حديث عائشة رضى الله عنها قالت : توفى النبى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ودفن ليلة الاربعاء (٢٤) .

وأيضا حديث عائشة : ماعلمنا بدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا صوت المساحى من جوف الليل ليلة الأربعاء (٢٥) .

ومن عجيب أمر المؤلف أنه لما وجد أثرا فى الطبقات الكبرى يفيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم دفن بعد الوفاة بيوم وليلة (٢٦) ، راح يعترض وقال « الأصح يومين وليلتين ونيف (٢٧) فجعل هذا الأثر أيضا يتعارض مع الحديثين الماضيين وأتساءل معه : أتصحح النص أو ترده ؟ ان كنت تصححه فلم تسلك المنهج العلمى فى تصويب نص ، وان كنت ترده فلم استدللت به ؟ وشىء آخر ماذا تقول فى الأحاديث التى قبله ، والتى تفيد أنه صلى الله عليه وسلم دفن يوم الثلاثاء ؟ أليس من الأمانة العلمية دراسة كل مافى الموضوع ؟ .

ان الآثار التى فى الموضوع منها ما يثبت أنه صلى الله عليه وسلم دفن يوم الثلاثاء ، ومنها ما يفيد أنه صلى الله عليه وسلم دفن ليلة الأربعاء ، ولا تعارض فمن نظر لبداية اجراءات الدفن ، قال يوم الثلاثاء ، ومن نظر الى نفس الدفن قال ليلة الأربعاء .

وعلى هذا ــ أنه صلى الله عليه وسلم دفن ليلة الاربعاء ــ يبطل كل ما تقدم من أنه صلى الله عليه وسلم دفن بعد أكثر من ٤٨ ساعة ، وأنه تغير ، وأن السياسة عطلت الدفن .

ويبطل كذلك قوله : ان أبا بكر عاد من السنح فى ضحى الأربعاء (٢٨) فان أبا بكر رضى الله

(٢٤) اخرجه احمد فى المسند ١/١١٠ .
(٢٥) احمد ٦/٦٢ ، ٢٤٢ ، ٢٧٤ .
(٢٦) هو فى طبقات ابن سعد ٢/٢٧٤ .
(٢٧) ص ٣٠٣ .
(٢٨) قال هذا فى ص ٢٨١ .

عنه عاد في نفس يوم الوفاة ، والسنح على بعد ميل واحد من المدينة فكيف يتأخر كل هذا الوقت ، ان القول بتأخره الى ضحى الاربعاء لا يصح أن يقال ؟ بل انه في يوم الاثنين يوم الوفاة كان أبو بكر قد أصبح خليفة ، فان البيعة بدأت يوم الاثنين واكتملت يوم الثلاثاء .

ورحم الله ابن كثير اذ يقول (٢٩) كان هذا — مبايعة أبي بكر — في بقية يوم الاثنين ، فلما كان الغد صبيحة يوم الثلاثاء اجتمع الناس في المسجد فتمت البيعة من المهاجرين والأنصار قاطبة ، وكان ذلك قبل تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما .

وأخرج البخاري — رحمه الله تعالى — عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سمع خطبة عمر الأخيرة حين جلس على المنبر وذلك الغد من يوم توفي النبي صلى الله عليه وسلم فتشهد وأبو بكر صامت لا يتكلم قال : كنت أرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدبرنا — يريد بذلك أن يكون آخرهم — فان يك محمد صلى الله عليه وسلم قد مات ، فان الله تعالى قد جعل بين أظهركم نورا تهتدون به بما هدى الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، وان أبا بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثاني اثنين ، فانه أولى الناس بأموركم فقدموا فبايعوه . وكانت طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة ، كانت بيعة العامة على المنبر (٣٠) .

وواضح من حديث أنس هذا أن البيعة تمت في اليوم الثاني للوفاة وهو يوم الثلاثاء وكان بعض الناس قد بايع قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة فهل يقال ان أبا بكر جاء ضحى الأربعاء ؟ .

وفي ص ٢٨٧ السطر الأخير يقول : وعطلت السياسة دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الليل . وهذا خطأ ، فالسياسة — والتي هي بالتعبير الاسلامي الخلافة — لم تأخذ من وقت الأمة سوى جزء قليل من يوم (٣١) ، وانما كان الدفن في نهاية اليوم الثاني لأن اجراءات التجهيز استغرقت وقتا طويلا ، فتصور أن الجميع يحرص على أن يصلي عليه صلى الله عليه وسلم والبيت صغير لا يسع أناسا كثيرين ثم ان الدفن سيكون في الموضع الذي قبض فيه ، ولو كان في غيره لأعد أثناء الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، فلم تعطل السياسة شيئا ، ولا أثرت أي تأثير في توقيت دفنه صلى الله عليه وسلم .

وبعد أن أبطلت القول بتأخر دفنه صلى الله عليه وسلم أكثر من ٤٨ ساعة وأبطلت

---

(٢٩) البداية ٥/٢٧٩ . باب ذكر اعتراف سعد بن عبادة بصحة ما قاله الصديق يوم السقيفة .

(٣٠) اخرجه البخاري في الاحكام باب الاستخلاف ١٣/٢٠٦ رقم ٧٢١٩ .

(٣١) كذا قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٧/٣٢ .

القول بأنه دفن ليلة الخميس ، وهما يترتب عليهما القول بالتغير فيكون القول بالتغير باطلا ، وأبطلت القول بتأخر أبي بكر الى ضحى الأربعاء ، وأبطلت القول بأن السياسة أخرت الدفن ، بعد أن أبطلت كل ذلك ، اتساءل : لم الحرص على القول بالتغير ؟ ثم ان الكاتب يذهب الى التحلل بدليل قوله ص ٣٠٣ وهذه تفاصيل نذكرها للكثيرين ممن يقولون ان الولى الفلانى ظل على حاله بعد موته لا أدرى كم شهرا .... ولهؤلاء نقول :

لابد أن أولياءكم هؤلاء خير من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اختصهم الله بهذه الخوارق وفضلهم على نبيه المصطفى ورسوله الى العالمين أ هـ كلامه .

وظاهر من كلامه أنه يريد أن الرسول صلى الله عليه وسلم بدأ يتغير فهو لا يبقى على حاله ؟ وهذا خطأ صريح ـ يقع فيه من أخضع المرسلين ومعجزاتهم وكرامتهم لرأيه الشخصى ـ لأنه يتعارض مع حديث أنس بن مالك رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون » وهو حديث صحيح بل متواتر ، ذكره فى نظم المتناثر (٣٢) ثم نقل عن السيوطى قوله : حياة النبى صلى الله عليه وسلم فى قبره هو وسائر الأنبياء معلومة عندنا علما قطعيا ، لما قام عندنا من الأدلة فى ذلك ، وتواترت به الأخبار الدالة على ذلك . ونقل عن ابن قيم الجوزية أنه نقل عن ابى عبد الله القرطبى قوله : صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ، وأنه صلى الله عليه وسلم اجتمع بالأنبياء ليلة الاسراء فى بيت المقدس ، وفى السماء خصوصا بموسى ، وقد أخبر بأنه ما من مسلم يسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام ، الى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء انما هو راجع الى أن غيبوا عنا بحيث لا ندركهم ، وان كانوا موجودين أحياء ، وذلك كالحال فى الملائكةفانهم أحياء موجودون ولا نراهم (٣٣) وبعد :

فهذه أمور (٣٤) أخذتها على الكتاب المذكور ، مع أمور أخرى ، لو كتبتها لطال المكتوب ، فاكتفى بهذا القدر .

وأسال الله الكريم دوام وتمام التوفيق .

« وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ .. »

عبد المهدى بن عبد القادر بن عبد الهادى

---

(٣٢) هو نظم المتناثر من الحديث المتواتر للشيخ الكتانى . والحديث فيه رقم ١١٥ ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٣٣) وراجع كتاب حياة الأنبياء للبيهقى .

(٣٤) تزيد على العشرين .

موقع الاقتصاد فى بناء القدرات

الدفاعية فى توجيهات الاسلام

من المبادىء الأساسية للعسكرية الاسلامية أن الاقتصاد يشكل ركنا رئيسيا من أركان القدرة الدفاعية للأمة الاسلامية ، وأن سياسة الدولة لبناء قوتها الحربية يجب أن تشمل بناء قاعدة اقتصادية قوية قادرة على تلبية احتياجات جيشها وقت الحرب مهما طال أمدها .

أولا : الربط بين العسكرية والاقتصاد :

فالاسلام يربط بين الاستراتيجية العسكرية والاقتصاد برباط وثيق كما يفهم من قول الله تعالى : « **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ** » (الأنفال ٦٠) ، فهذا الارتباط يتضح فيما يلى :

١ ــ ورود لفظ « قوة » فى الآية الكريمة مطلقا دون قيد أو تحديد ، يوحى بأن القوة التى يأمر الله تعالى باعدادها تشمل « كل مصادر القوة » كالقوة الاقتصادية والقوة الاجتماعية والقوة السياسية وليست القوة الحربية وحدها .

٢ ــ ورود ذكر « الانفاق » (**وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ..) فى نفس الآية الكريمة يؤكد هذا الارتباط ، ويقرر أن القوة الحربية تحتاج الى مال وانفاق وأن قدرتها على أداء مهمتها فى دفع العدوان تعتمد اعتمادا كبيرا على القوة الاقتصادية .

٣ ــ ثم يتأكد هذا الارتباط أكثر وأكثر فيما ترشد اليه تلك الآية الكريمة من أن الاقتصاد ركن من أركان « استراتيجية الردع الاسلامية » . فالقصد من اعداد القوة هو ارهاب الأعداء واخافتهم من عاقبة عدوانهم (**تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ..) فاذا عرف الأعداء وهم يفكرون فى العدوان أنهم سوف يواجهون قوة عسكرية متفوقة تساندها

للـواء . أ.ح
محمد جمال الدين محفوظ

وتدعمها قوة اقتصادية لاتنفد، فسوف يتخلون عن فكرة العدوان ، أما اذا ركبوا رأسهم واعتدوا ، فان المسلمين سوف يقاتلونهم مدفوعين بفكرة « الارهاب والردع » ويلقنونهم درسا يوقع الرهبة فى قلوبهم فلا يعودون مرة أخرى الى العدوان .

٤ ــ وأخيرا فان ربط العسكرية بالاقتصاد يجعل كلا منهما فى حاجة الى الآخر ولاغنى له عنه : فالقوة الحربية فى حاجة الى قاعدة اقتصادية تسندها وتدعمها ، والقاعدة الاقتصادية هى الأخرى فى حاجة الى « قوة تحميها » .

ثانيا : الجهاد بالأموال :

وقد فرض الله الجهاد بالمال كما فرض الجهاد بالنفس ، بل ان الجهاد بالمال ورد مقدما على الجهاد بالنفس فى أكثر الآيات التى تحث على الجهاد :

ــ **« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ »** (الحجرات ١٥) .

« انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ » (التوبة ٤١) .

ــ **« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ »** (الانفال ٧٢) .

وقال الرسول القائد صلى الله عليه وسلم : جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم والسنتكم » (أخرجه النسائى) .

وينطوى التوجيه الاسلامى حول الجهاد بالأموال على معان هامة نذكر منها :

١ ــ أن الجهاد بالمال قد يكون أشد ضرورة وحاجة من الجهاد بالنفس ، لأن الجهاد بالمال فضلا عن كونه أمرا لابد منه لتزويد الجيش بمطالبه ، فهو أمر لا حدود له اذا ما قورن بالجهاد بالنفس ، اذ أنه يمكن الاكتفاء من الرجال بالعدد الكفيل بالتغلب على العدو ، كأن يكون جيش المسلمين ضعف جيش العدو

أو ثلاثة أضعافه ، أما المال فلا حدود لطلبه ، لأن الحرب تحتاج الى مال غير محدود ، ولذلك قيل « المال عصب الحرب » •

٢ — أن غير القادرين على الجهـاد بالنفس لعذر من الأعذار كالضعف أو المرض أو بسبب البعد عن مكان المواجهة مع العـدو ، عليهم أن يساهموا فى المعركة بالمال (أو ما يقوم مقـامه من المؤن والوقود والسلاح وغيرها) بقـــدر استطاعتهم ، وبذلك يستفيدون من هذا الاسهام المستطاع مثوبة عنـد الله تعالى ، ويكونـــون راضين عن أنفسهم •

٣ — والجهاد بالمال كالجهـاد بالنفس يكون وقت الحاجة والضيق أفضل منـه فى الأوقات الأخرى كما بين اللـه تعـالى ذلك فيمن أنفق وقاتل قبل فتح مكة ، حين كان الاسلام فى أول أمره فى حاجة الى المساعدة والمعونة ، وكيف أن الله تعالى أعلى مرتبتهم ، ورفع درجتهم عـن الذين أنفقوا بعد الفتح وقـاتلوا ، مع ان الله وعد الجميع الحسنى على أصل البذل والجهاد ، لما فيه من النفع والفائدة ، وما لفاعلها من الأجر والثواب ، قال عز وجل : « وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى » (الحـديد ١٠) •

وفى فضل الانفاق فى سبيل الله يقول اللـه تبارك وتعالى :

« مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » (البقرة ٢٦١) •

ومن الأحاديث الواردة فى فضل الجهاد بالمال وعظيم أجره وثوابه :

— عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنـه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« من جهز غازيا فقد غزا ، ومن خلف غـازيا فى سبيل الله فقد غزا » •
(رواه الترمذى والبخارى ومسلم) •

— وعن خريم بن فاتك قال : قال رسول الله صلى اللـه عليه وسـلم : « من أنفق نفقة فى سبيل اللـه تعالى كتبت له بسبعمائة ضعف » (رواه الترمذى وحسنه والنسائى) •

— وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده ، فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة » (رواه البخـارى) ،

ومثل الفرس كل عـدة من عـدد الحرب التى تختلف باختلاف العصور والأزمان •

ــ وجاء رجل بناقة مخطومة (أى فى أنفهـا خطام وهو الزمام) فقال : هذه فى سبيل الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : « لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلهـا مخطومة » (رواه مسلم والنسائى) •

ــ وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبـى صلى الله عليه وسلم قال : « من أنفق زوجين من شىء من الأشياء فى سبيل الله ، نودى مـن أبواب الجنة كلها : ياعبد الله ، هلم » (أى أن كل أبواب الجنة تنادى عليه ليدخل ، وهـذا زيادة فى التكريم) رواه البخارى •

ولقد أنفق المسلمون أموالهم فى سبيل الله :
أنفق أبو بكر جميع ماله فى سبيل الله وكـان يوم أسلم من أغنياء قريش المعدودين ، وأنفق عمر بن الخطاب نصف ماله ، كما جهز عثمـان ابن عفان جيش العسرة فى غزوة تبوك بالاضافة الى الأموال الطائلة التى أنفقها على غيرها مـن الغزوات •• أما آل محمد صـلى اللـه عليه وسـلم فقـد روى الحسن عنهم قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

* « والله ما أمسى فى آل محمد صاع مـن طعـام وانها لتسعة أبيـات » والله ماقالهـا استقلالا ، ولكن أراد أن تتأسى به أمته ••

ثالثا : الضن بالمال يوقع الأمة فى الهـلاك :

قال الله تعالى : « **وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** » (البقرة ١٩٥)

انظر الى تحذير الله لنا من التهاون فى امتثـال أمره بأن ننفق أموالنا فى سـبيل الله وهـو تعريضنا لأن نلقى بأنفسنا فى التهلكة ، فبعـد أن أمرنـا بالانفـاق نهانا بقوله « **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** » لنفهم الحكمة فى الأمـر بالانفـاق •

والمعنى أنكم اذا لم تبذلوا فى سبيل الله وفى سبيل تأييد الحق وحماية أنفسكم وبلادكم ، كل ما تستطيعون من المال ، ومن استعداد للدفاع ، فقد أهلكتم أنفسكم • فانفاق المال والاستعداد للقتال قبل وقوعه هو الذى يقى البـلاد من الهلاك ، والضن بالمال والحرص عليه وامساكه عن البذل فى سبيل الخير والبر والدفاع عـن النفس والوطن والحق ، يوقع الأمة فى الهلاك ، ويعرضها لأن ينتهك العـدو حرماتها ويغـزو بلادها ويستعبد أبناءها ويعتدى على مقدساتها ويسلبها حقها فى اقامة شعائر دينها وفى حريتها فى عقيدتها •

رابعا : مقتضيات الربط فى سياسة الدولة :

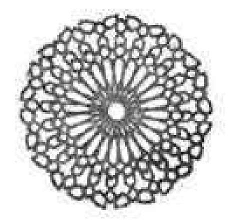
وفى ضوء توجيهات الاسلام حول الموقـع الذى يحتله الاقتصاد فىبناء القدرات الدفاعية، ينبغى أن تراعى سياسة الدولة على أعـلى مستوى الاعتبارات التالية :

(١) أن البناء الاقتصادى فى الأمة الاسلامية — وان كان يخضع لقوانين خاصة به — يجب أن يراعى فى أهدافه وخططه الاعتبارات الاستراتيجية المتعلقة بشئون الدفاع •

(٢) أن اقتصاد الأمة الاسلامية فى حالة الحرب ، يتقرر كلية وفقا للمتطلبات العسكرية، أى يتحول الى « اقتصاد حرب » ولذلك يجب أن يكون البنيان الاقتصادى قادرا على التكيف مع متطلبات الحرب واحتياجاتها •

(٣) أن تنظيم الدولة ، ينبغى أن يشمل الأجهزة والمجالس المشتركة التى تتولى التنسيق بين خطط التنمية الاقتصادية ومتطلبات الاستراتيجية العسكرية عموما ، ووضع الخطط الاقتصادية الكفيلة بتزويد القوات المسلحة بكافة احتياجاتها وقت الحرب •

ويدخل هذا العمل فى اطار ما يسمى اليوم « بالاستراتيجية العليا للدولة » (١) التى تختص بها أعلى قيادة سياسية وعسكرية فى الدولة ، والتى تباشر تنسيق وتوجيه جميع امكانيات الدولة السياسية والاقتصادية والعسكرية نحو تحقيق الغاية السياسية من الحرب •



(١) الاستراتيجية العليا (أو الكبرى أو الشاملة) Grand Strategy مصطلح من مصطلحات الفن الحربى يعبر عن تنسيق وتوجيه جميل امكانات الدولة السياسيه والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية ... الخ نحو تحقيق الغاية السياسية للحرب ، ومعنى ذلك أن القوات المسلحة ليست الا اداة واحدة من ادوات الاستراتيجية العليا لتحقيق الأهداف العليا ، وبمعنى آخر فالاستراتيجية العليا هى « سياسة الحرب » .. اما الجانب العسكرى البحت الذى تختص به القيادة العسكريه فينطوى على مستويين من مستويات العمل : «الاستراتيجية» و «التكتيك» وتعنى الاستراتيجية بالقضايا العسكرية العليا كتوزيع القوات على الجبهات وتدبير امدادها باحتياجاتها وقيادة الحرب عامة ، ويعنى « التكتيك » بأعمال القتال الفعلى فى الميدان (فن القتال) •





الحريات الاقتصادية

- ١ -

للدكتور / فوزي محمد طايل

لما كانت الشريعة الاسلامية هى خاتمة الشرائع الى أن تقوم الساعة ، وهى تحكم كل جوانب الحياة فى المجتمع فقد تناولت بالتنظيم جوانب الحريات الاقتصادية ، فوازنت بين اشباع الغرائز الفطرية ، وبين ضرورة تحقيق التكافل الاجتماعي والعدالة الاجتماعية .

الدولة الاسلامية تتدخل فى النشاط الاقتصادى الفردى :

أقر الاسلام الحريات الاقتصادية جميعا وحماها وحض على ممارستها بيد أنه فرض عليها من القيود ما يضمن عدم انحرافها أو اضرارها بالمجتمع ، فحدد ما هو محرم من أوجه النشاط الاقتصادى ، وحد من بعض صوره التى تضر بالمجتمع .

ويحكم النشاط الاقتصادى المشروع مجموعة من المبادىء الأخلاقية التى تجعل منه نموذجا فريدا يفوق سائر الأنظمة الاقتصادية الأخرى فلابد أن تسود معاملات الأفراد الصدق ، والأمانة ، والوفاء ، وحسن المعاملة ، كما أن على الأفراد أن يتجنبوا فى معاملاتهم ما يثير النزاع أو يفسد الثقة من غش أو منافسة غير مشروعة ، وما اليها من وسائل المعايرة والقياس .

اذا كان « الأصل فى الأشياء الاباحة » فان كل نشاط اقتصادى يعتبر مشروعا مالم يرد نص قرآنى أو سنى بتحريمه ، وما لم تكن هناك مصلحة معتبرة شرعا تمنع منه ، وذلك لعموم قول الله تعالى : « **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ**

←

اللَّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » . (الأعراف/ ٣٢)

ان الغاية من تحريم بعض صور النشاط الاقتصادى هى ضمان تكافؤ الفرص بين الأفراد والحفاظ على التوازن بين صوالحهم ، فيسود التكافل والاحترام والتراحم والتعاطف والعدل بدلا من التباغض والصراع الطبقى واضطراب حياة المجتمع .

مما يؤدى الى تكاسل بعض الأفراد الذين يمتلكون القدرة المادية ، أو الالتجاء الى الاستغلال والتحايل لجمع المال وتكديس الثروة فى أيدى قلة تسيطر على مقدرات المجتمع .

وانما تتدخل السلطة العامة فى هذا النشاط الاقتصادى ، الفردى تنفيذا لشرع الله وسدا للذرائع .

صور ومظاهر النشاط الاقتصادى المحرم :

اولا — الربا :

ان الصورة المشروعة لاكتساب المال واستثماره انما تكون بالتجارة ، التى تعتبر الحلقة الأخيرة فى سلسلة النشاط الاقتصادى سواء أكان صناعيا أم زراعيا وفى هذا يقول الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ » (النساء / ٢٩) .

وفى مقابل هذا حرم الله الربا ، اخذا أو عطاء ، كما يشمل كتابة الدين المتضمن للربا ، والشهادة عليه . يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لعن الله آكل الربا ومؤكله وشاهديه » وكاتبه (رواه النسائى) .

والربا فى اللغة العربية يعنى الزيادة وفى الاصطلاح الشرعى هو « زيادة مال بلا مقابل فى معاوضة مال بمال » .

وقد جاء تحريم الربا بنص القرآن الكريم ، وبنص السنة النبوية الصحيحة . فيقول الله تعالى فى سورة البقرة : « الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ . إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ

فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ » •

وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ.وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ »

(البقرة / ٢٧٥ — ٢٨١) •

والربا كما عرفته انسانية نوعان : ربا الفضل ، ويكون فى مقايضة شيئين من جنس واحد ، وهذا النوع لانكاد نجده فى عصرنا الحاضر ، — وان كان حكم تحريمه باق الى يوم القيامة وربا النسيئة ، أى الاقتراض لأجل مسمى مع زيادة رأس المال بمقدار محدد • ولا فرق بين أن يكون هذا الاقراض قد تم لأغراض استهلاكية أو لأغراض اقتصادية انتاجية ، فالربا محرم اذا توافر ركناه (الزيادة فى رأس المال المقرض بمقدار محدد — الأجل الذى تؤدى بعده هذه الزيادة) • وعلى هذا فاقراض البنوك ، والايداع بها بفائدة ، والسندات التى تستحق بعد مدة معينة مضافا اليها (فائدة) محددة ، وشهادات الاستثمار ذات الفوائد ، والودائع ذات الدخل الثابت ، — اذا تحقق فيها الركنان السابقان — تدخل كلها فى عداد الربا المحرم شرعا •

ويرجع تحريم الربا الى ما يسببه من مضار اقتصادية واجتماعية : فهو يؤدى الى تقليل السعى والجهد البشرى الانتاجى ، لأنه كسب مادى لا يقابله انتاج يعود على المجتمع بالفائدة ، فلا يضيف الى الناتج القومى شيئا ، •هو يدعو الى الكسل والبطالة • وهذا مناف لقيم الاسلام التى تحض على العمل ، وتجعل منه عبادة لكونه امتثالا لأمر الله تعالى •

كما أن الربا يؤدى الى اضطراب المعاملات بسبب التلاعب فى سعر الفائدة زيادة أو نقصا ، فيؤدى هذا الى حدوث حالات التضخم ، أو حالات الركود الاقتصادى ، وكلاهما ضار بصوالح الأفراد ، والمجتمع ، فضلا عن أنه يخل بالتوازن الاقتصادى •

ومن الناحية الاجتماعية ، فان الربا لا يعدو استغلال حاجة المعوزين ، وانتهاك المثل العليا التى تحض على الاخاء ، والتعاون ، والتكافل فى المجتمع الاسلامى • والربا يشيع الشره والطمع والأثرة ، كما أنه محاباة للمال وايثاره على العمل ، فيمس البناء الاجتماعى مسا عنيفا يوسع المسافة ويعمق الهوة بين طبقات المجتمع ولا يساعد على التجانس بينهما • وللقرآن الكريم تعبير جامع اذ يقول الله تعالى : « **كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ** » (الحشر / ٧) •

فتحريم الربا أصل من أصول النظام الاقتصادى الاسلامى ، كما أنه أصل من أصوله الاجتماعية • ولذا يحرم قيام النظام الاقتصادى الاسلامى على أساس رأسمالى ، اذ أن الربا جوهره •

ثانيا — بيوع الغرر :

هى ما يؤدى الى الخصومة والتنازع بين الطرفين أو يؤدى الى وقوع غبن على أحد

الطرفين : نتيجة جهالة المبيع أو عدم تحقق نتائج الشىء المبيع لتوقفها على أمر مستقبل مجهول قد يقع وقد لا يقع . فهو يعد اخفاء للحقيقة ، وأكلا لأموال الناس بالباطل . وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها الا أن يشترط القطع فى الحال وقال : « أرأيت اذا منع الله الثمرة بم يستحل أحدكم مال أخيه ... » (رواه البخارى) . كما روى أبو هريرة رضى الله عنه قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الحصاة وبيع الغرر » (رواه مسلم) . وعلة تحريم هذا النوع من البيوع هو سد باب النزاع ، وكل ما من شأنه أن يفسد الجو العام للمعاملات .

ثالثا — استغلال النفوذ للحصول على المال : (الرشوة)

هى استيلاء على أموال الناس بالباطل فى مقابل اشاعة الظلم ، وهدم العدالة وتكافؤ الفرص . يقول الله تعالى : « وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ » (البقرة ١٨٨) .

وقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على يد من يستغل نفوذه للحصول على المال ، أو يحصل عليه بسبب توليه أمرا من أمور المسلمين ، فقد روى الامام أحمد فى مسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لعن الله الراشى والمرتشى والرائش بينهما » .

وقد كان التربح من الولاية سببا قويا ومبررا لعزل الوالى عن ولايته على عهد عمر ابن الخطاب رضى الله عنه

رابعا — البذخ والمغالاة فى الانفاق :

يؤدى الاسراف والترف الى اختلال التوازن فى المعاملات ، والى تعميق الهوة الاقتصادية بين الأغنياء والفقراء . لذا فقد حرم الاسلام كل صور الاسراف والتبذير والترف التى تؤدى الى اهدار ثروات الأفراد ، فالقوة الاقتصادية للدولة ، فضلا عما تؤدى اليه من نعومة تدفع بالناس الى الرذائل فتفشو الامراض الاجتماعية ويسود التحاسد والتباغض بدلا من التعاون .

ويؤدى هذا — عند تفاقم الأمر — الى حدوث الصراع الطبقى بين المجتمع .

يقول الله تعالى : « ... وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا . إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا » (الاسراء / ٢٦ — ٢٧) .

وعن حذيفة قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشرب فى آنية الذهب والفضة ، وأن نأكل فيها ، وعن لبس الحرير والديباج ، وأن نجلس عليه » (رواه البخارى) .

ولما كان الترف والاسراف ، مرضا اجتماعيا واقتصاديا ، فقد اعتبر الاسلام الأمة كلها مسئولة عنه .

يقول سبحانه : « **وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا** » . (الاسراء / ١٦) .

خامسا ــ الاحتكار :

هو من صور الانحراف لما فيه من اخلال بالتوازن لصالح البعض دون نظر لصوالح باقى أفراد المجتمع فيلجئون الى الاستغلال والكسب الحرام عن طريقه ، بحبس السلع التى يحتاج اليها المجتمع فيقل عرضها ويزيد الطلب عليها فترتفع أسعارها .

والاحتكار محرم فى الاسلام لما يؤدى اليه من مضار تنزل بالناس .

فضلا عن شبهه بالربا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الجالب مرزوق والمحتكر ملعون » (رواه ابن ماجة) ويقول عليه الصلاة والسلام : « **من احتكر** على المسلمين طعامهم ضربه الله **بالافلاس والجذام** » (رواه احمد) : فضلا عن أن تحريم الاحتكار يستند الى القاعدة الشرعية المشهورة « لا ضرر ولا ضرار » .

سادسا : التدخل فى الصفقات التجارية :

نهى الاسلام عن كل ما يعوق حركة التبادل التجارى المباشر بين من يقوم بتسويق السلعة **وبين مستهلكها النهائى طالما أن هذا المتدخل لا** يقوم بجهد ، أو بعمل ، أو بوظيفة انتاجية تضيف شيئا الى المنتج (بفتح التاء) . قال رسول ــ الله صلى الله عليه وسلم ــ « من دخل فى شىء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقا على الله أن يقعده بعظيم من النار يوم القيامة (رواه مسلم) » .

من أجل هذا نهى الاسلام عن تلقى الركبان وعن بيع الحاضر للباد ، لما يؤدى اليه ذلك من فى اضطراب الاسعار ، فقد يؤدى الى احتكار السلعة **ومنعها** من التداول فيزيد الطلب ويقل العرض .

يقول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « لا تلقوا الركبان ولا يبيع حاضر لباد » (رواه البخارى) . « لا يبيع حاضر لباد ، دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض » (رواه مسلم) .

وهنا قد يتساءل البعض هل السمسرة حلال ام حرام ... ؟

لقد ذهب بعض الفقهاء الى أن السمسرة **حلال بأمرين :**

١ ــ ألا يخدع أحد المتعاقدين لحساب الآخر أو لحساب نفسه .

٢ ــ **أن يأخذ من الأجر ما يكافىء جهده دون غبن أو** استغلال لحاجة الناس أو طيبتهم **ولنا فى هذا المجال** رأى آخر :

فالسمسار فى القانون التجارى ــ « وسيط يعمل باسمه الشخصى (أى لمصلحته

الشخصية) وبكل استقلال عن طرفى التعاقد الأصلى الذى يسعى هو الى ابرامـه دون أن يكون طرفا فيه • ومن الأمور الغريزيـة المعتادة « أن يبالغ السمسار قبل من سطه فى اعتبار الصفقة فرصة فريدة لمصلحة هذ. الأخير وأن يبالغ فى الآمال المعقودة عليها والأربـاح الطائلة التى ينتظر تحقيقها منها « وهـذا فى اعتقادنا — لا يعدو التناجش المنهى عنه شرعا فى قول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « الناجش آكل ربا خائن وهو خداع باطل » (رواه البخارى) • وعن مالك عن نافع عـن ابن عمر « أن رسول الله — صلى الله عليـه وسلم — نهى عن النجش » (متفق عليه) •

وقد سئل ابن عبـاس عـن معنى « لايبيع حاضر لباد » • فقال « لا يكون له سمسارا » (رواه البخارى) •

والسمسار دون شـك لن يرعى سـوى مصلحته ليحصل على عمولته •

أما القول بأن الحـاجة أصبحت ماسة فى أيامنا هذه لتدخل « السماسرة » فى الصفقات التجارية فهو أمر مردود ، خاصة مع التقـدم الكبير لوسائل الاعلان التى يمكنها الوصـول الى الكافة فى اى وقت وفى أى مكان فى العالم، فضلا عن أن نظـام الممثلين التجـاريين ييسر عمليات البيع بالأسـعار التى يحـددها منتج السلعة ، وبذا لا يحدث تدخل فى الصـفقـة التجارية بين المنتج والمستهلك ، يـؤدى الى رفع السلع •

يتبع

الضمير النصراني

وقضية فلسطين

للأستاذ محمد عبد العزيز عبد اللطيف

● يوافق هذا الشهر صدور « تصريح بلفور » الذى تعهدت بريطانيا فيه بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين وبذل كل مساعيها للوصول إلى هذا الهدف وكان ذلك فى ١٩١٧/١١/٢ .

وقد تناولت صحيفة الصنداى « تلجراف » البريطانية مبررات هذا التصريح فى مقال لها بعنوان « العودة إلى الأراضى المقدسة » نشر فى ١٩٦٣/١٢/٣٠ فكان مما ذكرته أن المسيحيين قدموا لليهود دولة إسرائيل عوضا عن اضطهادهم لهم الفى سنة وأن ذلك قد تم على حساب العرب ودفع الفلسطينيون وحدهم الثمن المباشر وزعمت أن عقدة الشعور بالذنب قد سيطرت على المسيحيين بعد ـ هتلر ـ لدرجة استحال معها مقاومة هذا الشعور ومن هنا تحملت بريطانيا مسئولية تطهير الضمير العالمى[1] .

واهمية المقال ـ بصرف النظر عن المبررات التى يقدمها ـ فى أنه يكشف لنا عن عوامل التأثير فى ضمير المسيحى الغربى ازاء قضية من قضايانا ستظل تفرض نفسها على الرأى العام العالمى إلى أن يتحقق للفلسطينيين استرداد حقهم ويستوقفنا فى هذا المجال التذكير باضطهاد اليهود إذ يشير إلى اتجاه صهيونى من ورائه يستهدف الضغط على الضمير المسيحى المثقل بعقدة الذنب لكى يتقبل هذه المعادلة الصعبة ـ أن يتحمل العرب تبعة وزره ـ بينما يقتضى المنطق أن يكونوا ابعد الشعوب عن المحاسبة إذ نادرا ما كان ينال اليهود عطفا يضارع عطف العرب عليهم لدى الأمم الأخرى فى رأى « ايل ليفى »[2] .

والذى يسهل عليه عملية التقبل أن « الضمير العالمى » ارتضى أن تكون عملية تطهيره من ذنبه على هذا النحو عندما قدم دولة إسرائيل لليهود وأن ذلك قد تم على حساب العرب كما تذكر الصحيفة وتعنى بتطهير الضمير العالمى اعتراف الأمم المتحدة بإسرائيل عام ١٩٤٩ .

كما ورد فى المقال أن الذى دفع الثمن المباشر فى عملية تعويض اليهود عن اضطهاد المسيحيين لهم هم الفلسطينيون وحدهم وهذا أمر له مغزاه بالنسبة للضمير المسيحى إذ الفلسطينيون والأدوميون

←

١ ـ الصهيونية فى الستينيات ـ محمود مقناعة ص ٢٦٧ .

٢ ـ ايل ليفى مؤلف كتاب يقظة العالم اليهودى طبع فى القاهرة سنة ١٩٤٣ لم ينكر فيه فضل العرب وإن لم يخف اطماع اليهود فى السيطرة على الأرض من النيل للفرات .

والمؤابيون والفينقيون السكان الأصليون لفلسطين هم أعداء الشعب اليهودي التقليديين فى العهد القديم وينسب إليهم الكثير من المطاعن .

ولما كانت جميع المذاهب المسيحية على اختلافها تعتبر (العهد القديم) مقدسا إذ هو كلمة الرب ، من يخرج عليه يبوء بغضبه تعالى ؛ فإنه يصعب على الضمير المسيحى مهما كان نصيبه من الاستنارة الفكرية أن يتخلص من التراث اليهودى فى المسيحية ؛ لأنه كامن فى شعوره الباطنى وبالتالى فهو ـ أى العهد القديم ـ يوجه مسار تفكيره ومصداقا لذلك موقف الرئيس الأمريكى السابق « جيمى كارتر » فقد كان فى حملاته الانتخابية عام ١٩٧٦ يردد فى لقاءاته مع اليهود أنه يؤيد إسرائيل لأن هذا ما تمليه عقيدته المسيحية . وهو يؤمن بأن قيام إسرائيل الحديثة كان تحقيقا لنبوءة الكتاب المقدس ، وايمانه بالكتاب المقدس يحتم عليه أن ينظر إلى إسرائيل نظرة دينية توجب عليه أن يؤيد إسرائيل أو يتعهد بامدادها بكل أسباب الحماية والقوة[٣] وما يقوله « كارتر » ليس من قبيل التملق لليهود بسبب انتخابات الرئاسة لأنه معروف عنه الاستقامة والتمسك بعقيدته الدينية .

واليهود من جانبهم يدركون هذه الحقيقة ويعملون على تقويتها بتأسيس جمعيات للصداقة المسيحية اليهودية فى معظم البلدان التى تعترف بإسرائيل وتقيم علاقات معها كما انشأت ما يسمى بالمجلس المسيحى اليهودى لمكافحة الاضطهاد الدينى والعنصرى ومن خلال هذه الجمعيات والمجالس كان سعيها للحصول من الفاتيكان على وثيقة تبرئهم من دم المسيح عليه السلام .

غير أنه لا ينبغى أن يفهم من ذلك تخلى اليهود عن موقفهم العدائى من المسيحية فهم إلى اليوم كما يقول المؤرخ « أرنولد توينبى » (يعتبرون المسيح عليه السلام حاخاما يهوديا اجتمع حوله خونة العقيدة اليهودية ويرون المسيحية نحلة يهودية مارقة ويصفون انجيلها بأنه إضافة أقحمت على التوراة »[٤] .

وقد شهد العام الأول لقيام دولتهم (١٩٤٨) وحده احتلال وتدمير أكثر من ثلاثين ديرا وكنيسة تحت ستار الضرورات الحربية كما قتلوا قاضى المجلس الكنائسى الأب « مائير فيونيه » وهم يسعون للقضاء على معالم كل ما هو غير يهودى فى إسرائيل »[٥] .

وسبب كراهيتهم للمسيحية أن السيد المسيح رفع عنهم « الْخَيْرية » وفجعهم فى آمالهم القومية حين قال :

« إن كثيرين يأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم واسحاق ويعقوب فى ملكوت السموات ، وأمابنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة »[٦] .

فقد درجوا على اعتقاد أنهم المصطفون من الله وأنه تعالى خصهم بالملكوت ؛ أى بدولة عاصمتها أورشليم تتحكم فى انحاء العالم بأسره ويكون اليهود فيها السادة وغيرهم العبيد .

وكانت كراهيتهم للمسيحية السبب المباشر فى اضطهادهم طوال العصور الوسطى .

اما اضطهادهم ايام هتلر الذى أشارت إليه الصحيفة فكان يرجع إلى عدم مشاركتهم فى تحمل الأعباء الوطنية بعد أن حصلوا على كل الحقوق

٣ ـ إسرائيل والكنيسة الأمريكية ـ عبد الحميد الكاتب ص ١٨٢ (الهلال يونيو ٨٦) .
٤ ـ دراسة تحليلية لآراء توينبى ـ محمد شبل ص ٧٩ (المكتبة الثقافية) .
٥ ـ كذا نقلا عن الصهيونية فى الستينيات ـ ص ٢٦٩ .
٦ ـ متى ٨ : ١١ ـ ١٢ .

المدنية والسياسية نتيجة لانتشار وسيادة روح المساواة والاخاء والحرية بعد قيام الثورة الفرنسية ١٧٩٨ فأثار ذلك مواطنيهم عليهم فكانت حركة معاداة السامية (اليهودية) .

والذى يترتب على ذلك أن الاضطهاد الذى وقع لهم لم يكن سوى رد فعل لسلوكهم المعادى للغير وهذا من شأنه الا يُحدِث اى عُقَد للضمير المسيحى وإن كانت الصهيونية دائماً ما تُذكِّر به ولا تشير للأسباب ليبقى أمره غامضا غموضا مربكا للضمير المسيحى المعاصر فيتعاطف معها ويستجيب لمطالبها .

وإذا كان قد تبين لنا زيف واقع عقدة الذنب لدى الضمير المسيحى الغربى عندما قدم دولة إسرائيل لليهود فعلينا أن نبحث عن الدوافع الأخرى باستعراض المحاولات الأوروبية لايجاد وطن لليهود فى فلسطين لنرى إلى أى مدى لا تتفق دوافع هذه المحاولات مع ما تدعيه الصحيفة .

ففى ١٧٩٩/٤/٢٠ نشرت صحيفة ـ چازيت ناشيونال ـ مقالا لنابليون بونابرت أثناء حملته على مصر يعرض فيه على يهود آسيا وافريقيا مساعدته فى الاستيلاء على الشرق مقابل ان يحقق لهم الأمل الذى يراودهم وهو اعادتهم إلى فلسطين حين تصبح فى حوزة الامبراطورية الفرنسية وقد جاءه رد اليهود فى خطاب أرسل إليه فى مصر ونشر صورته اليهودى « ايل ليفى » قالوا فيه :

« إن عددنا ستة ملايين ونحن منتشرون فى جميع أنحاء العالم وفى حوزتنا ثروات طائلة فيجب أن نتذرع بكل الوسائل لاستعادة فلسطين .

وأما البلاد التى ننوى قبولها بالاتفاق مع فرنسا فهى اقليم الوجه البحرى من مصر مع حفظ منطقة يمتد خطها من مدينة عكا إلى البحر الميت ومن جنوب هذا البحر إلى البحر الأحمر فهذا المركز الملائم اكثر من اى مركز آخر يجعلنا بواسطة سير الملاحة الآتية من البحر الأحمر قابضين على ناصية تجارة الهند وبلاد العرب وأفريقيا .

وموقع بلادنا على البحر الأبيض المتوسط سيمكننا من اقامة مواصلات سهلة مع فرنسا وبقية دول أوروبا اما الاتفاقات والترتيبات الأخرى الخاصة باقتراحاتنا على الباب العالى فلا يسوغ نشرها علنا وسنكون مضطرين لابقاء هذه المسألة منوطة بحسن إدارة الأمة الفرنسية ويجب الا ندخر وسيلة او تضحية فى سبيل الوصول إلى هذه الغاية »[٧] .

فالذى يكشف عنه المقال والخطاب هو تآمر « مسيحى كاثوليكى يهودى » يتحرك من منطلق تبادل المنافع وتحقيق أطماع نابليون فى امبراطورية فرنسية فى الشرق ، وأطماع الصهيونية فى اقامة وطن فى فلسطين ، وهو يقوم على معاملة الند للند ؛ فكل يعرض طلباته على الآخر ويحددها ولا نشعر فيه بأى أثر للتعاطف المدفوع بالرغبة فى التخلص من عقدة الذنب كما لا نجد من اليهود أى أثر يدل على ضَعْف « المُضطهد » وإنما مدار اختياره اعتبارات اقتصادية تمكن اليهود من السيطرة على تجارة الهند وبلاد العرب وافريقيا ؛ فضلا عما لليهود من اطماع ذات أسس دينية خالصة .

فإذا كان هذا هو حال فرنسا فى أمر الوطن اليهودى فما هو موقف بريطانيا منه ؟ إذا كان تصريح « بلفور » يقول :

« إن حكومة جلالة ملك بريطانيا تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن لليهود فى فلسطين .. إلخ » فإن الوقائع المادية تكذبُ هذا الادعاء البريطانى .

٧ ـ القدس عبر التاريخ ـ ميخائيل مكس ص ٧٧ .

فإن الحملة الفرنسية وإن كانت فشلت فى تحقيق أهدافها فى الشرق إلا أنها أظهرت أهمية موقع مصر على طريق اتصال بريطانيا بمستعمراتها فى الهند وظهرت الحاجة إلى تأمينه بصورة أقوى بعد فتح قناة السويس وعليه قامت باحتلال مصر عام ١٨٨٢ لتأمين القناة من الغرب .

ولما كانت فلسطين تقع على الجانب الشرقى من القناة وهذا يعطيها قيمة عسكرية يمكن استخدامها فى تهديد هذه الناحية من الممر الذى صار حيويا لبريطانيا وللتجارة العالمية مما يجعله مطمعا للجميع ، فإن بريطانيا البروتستانتية قد اتجهت هى أيضاً إلى اليهود الذين كانوا بدورهم يدركون حاجة بريطانيا إليهم فبدأت العروض بينها على تبادل المنافع على النحو التالى :ـ

ـ فى عام ١٨٨٥ عرض اللورد « شافتسبرى » على وزير خارجية بريطانيا عودة اليهود إلى فلسطين وكانت حجته أنهم بما لديهم من امكانات مالية قادرون على تعميرها والنهوض بها لتصبح قوة مساندة لسياسة بريطانيا ومصالحها فى منطقة الشرق الأدنى .

ـ وفى عام ١٩٠٣ عرض « هرتسل » على « اللورد كرومر » المعتمد البريطانى فى مصر توطين اليهود فى سيناء لقربها من فلسطين على أن تقوم مصر بامدادها بالمياه إلا أن المشروع توقف بسبب رفض مصر ذلك الأمر .

ثم تأجل الموضوع بسبب الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ حيث دخلت تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا ضد كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا وأثناء سير الحرب تبين لانجلترا بأنها لن تكسبها بدون معاونة العرب ودعم إيجابى من امريكا يستلزم دخولها الحرب إلى جانبها ، واليهود لهم فيها قوة مؤثرة على سلطة اتخاذ القرار (الكونجرس الأمريكى) فأصدرت وعدا للعرب بمنحهم الاستقلال عن طريق خطابات تم تبادلها عام ١٩١٦ بين السير مكماهون والحسين أمير الحجاز وبمقتضاها مكنها العرب من دخول فلسطين بقيادة « اللينبى » (١٩١٦) .

وفى عام ١٩١٧ أصدرت وعدا لليهود بتمكينهم من فلسطين على اثره دخلت أمريكا الحرب التى انتهت بهزيمة ألمانيا وتركيا (١٩١٨) .

وعندما قامت عصبة الأمم عام ١٩٢٠ لتصفية ما خلفته الحرب من آثار وضعت نظام « الانتداب » ويقضى بوضع البلاد التى كانت محتلة من ألمانيا وتركيا تحت وصاية دولة كبرى بهدف الوصول بها إلى الرقى الحضارى والسياسى مع عدم جواز تصرف الدولة المنتدبة فى أملاك البلد الواقع تحت وصايتها بأى شكل من الأشكال .

وعليه وضعت كل من فلسطين والعراق والأردن تحت الانتداب البريطانى وسوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى .

وقد تقدمت بريطانيا بطلب أخذ موافقة العصبة على اضافة نص فى صك انتدابها على فلسطين يقضى بأن تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن تنفيذ التصريح الذى صرحت به حكومة ملك بريطانيا فى ١٩١٧/١١/٢ للشعب اليهودى ورفض المندوب البلجيكى الموافقة على هذا النص إلا أن باقى العصبة صدقوا عليه بتاريخ ١٩٢٢/٧/٢٤ .

وكان هدف بريطانيا من ذلك اخفاء الشرعية الدولية على تصريح بلفور بالموافقة عليه من منظمة عالمية « بالاسم فقط » لأن كثيرا من الدول لم تكن عضوا فيها .

ثم استغلت هذه الموافقة فى خلق واقع يهودى مادى فى فلسطين يتعادل ووضع العرب وعندما اطمأنت إلى القدرة العسكرية لليهود انسحبت من فلسطين عام ١٩٤٨ ونفضت يدها منها وحالت الأمر بعد إعلان اليهود دولتهم فى نفس العام إلى الأمم

المتحدة التى حلت محل عصبة الأمم فأصدرت قرارا فى نوفمبر ١٩٤٩ يقضى بتقسيم فلسطين على النحو التالى : ـ

أ ـ ٥٦٪ من الأراضى تقوم عليه الدولة اليهودية .
ب ـ ٤٣٪ من الأرض تقوم فيه دولة عربية .
جـ ـ ١٪ منطقة دولية وهى الجزء الذى يضم مدينة القدس .

إلا أن إسرائيل خرقت هذا القرار واستولت على ٧٧٪ من مساحة أرض فلسطين وأكثر من ذلك تقدمت تطلب عضوية الأمم المتحدة غير أن الدول اللاتينية الكاثوليكية ـ وكانت تشكل أكثر من نصف الأعضاء ـ والدول العربية والاسلامية اشترطوا موافقة إسرائيل على قرار التقسيم لكى تقبل عضوا فى المنظمة ، لكن الذى حدث بعد ذلك أن « الفاتيكان » حض الدول المسيحية الكاثوليكية على التصويت بالموافقة على طلب إسرائيل وفى جلسة ١٩٤٩/٥/١١ كان أن فازت إسرائيل بموافقة أغلبية ساحقة من الأعضاء لتصبح العضو رقم ٥٢ ولتكتمل لها مقومات الشرعية الدولية .

ومن كل ما سردناه يتبين أن موقف بريطانيا من الوطن اليهودى لا يتحرك من منطلق « العطف » كما جاء فى نص تصريح بلفور وإنما كان الدافع إليه أن يكونوا قوة مساندة لسياسة ومصالح بريطانيا فى المنطقة العربية وكسب الحرب ضد ألمانيا وتركيا بأى ثمن أما الضمير العالمى الذى تحملت مسئولية تطهيره على حد زعم الصحيفة فهى فى الحقيقة عملت على تزييفه بأن خرقت المبادىء التى نص عليها الانتداب فى عدم جواز التصرف فى أملاك الدولة الواقعة تحت الانتداب والوصاية أو تغيير معالمها أو المساس بحقوق السكان ولا يعتد فى هذا المجال بموافقة الوصية على « تصريح بلفور لروتشيلد اليهودى » لأنه باطل من أساسه فهو صادر من غير ذى صفة (ليس المالك) وغير ذى الصفة هو فرد عادى ليس له أى كيان دولى ومن ثم فما يجرى بينه وبين الحكومة البريطانية لاتحكمه قواعد القانون الدولى .

كما أخطأ الضمير العالمى ممثلاً فى الأمم المتحدة عندما قبل إسرائيل عضوا فى المنظمة وهى لا تعترف أصلا بقراراها ولا تلتزم به .

واستكمالا للموضوع تبقى نقطة : ولماذا بريطانيا بالذات هى التى تحملت مسئولية الوطن اليهودى ؟

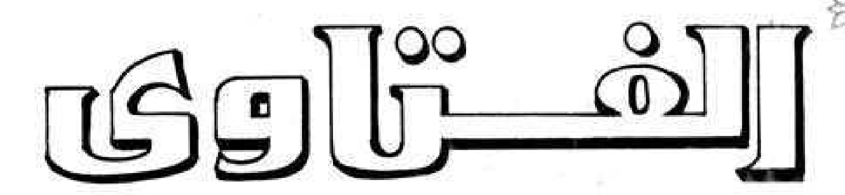
ويمكننا الإجابة على هذا السؤال إذا ما عرفنا أن ديانة بريطانية هى البروتستانتية وهذه تعتبر العهد القديم مصدر شريعتها وقيمها ومثلها وأنها كاليهودية قد تعرضت لاضطهاد الكاثوليكية فالمحنة المشتركة أوجدت عطفا على اليهود تمثل فى تولى الكثير منهم مناصب على مستوى الدولة فتجد « موسى مونتفيور » شريفا للندن ، وهربرت صمويل عضوا فى الوزارة ورأسها دزرائيلى إلا أنه تبدى متنصرا وحاييم وايزمان أستاذا للكيمياء فى جامعة مانشستر ، وكان يدير حملة « بلفور » فى انتخابات مجلس اللوردات يهودى يدعى « دريفوس » .

وبفضل اليهود تمكن بلفور من الوصول إلى رئاسة الوزارة البريطانية عام ١٩٠٣ وتقديرا منه لجميلهم .

عرض عليهم توطينهم فى شرق أفريقيا إلا أنهم رفضوا وكان أول مندوب سامى بريطانى على فلسطين يهودى هو « هربرت صمويل » فكان بداية عمله نزع السلاح من العرب الفلسطينيين فى أول عهدهم بالانتداب .

والذى لا شك فيه هو أن وضعهم فى الدول المسيحية التى تدين بالبروتستانتية قد مكنهم من النفوذ إلى مراكز التأثير فى هذه الدول وبالتالى حقق لهم الكثير من أمانيهم .

محمد عبد العزيز عبد اللطيف



س : من السيد / ع . أ . فرغلي ... الزمالك

توفي والد زوجتي وترك : زوجتين - ثلاثة ابناء - اربع بنات متزوجات .... وقد اودع باسم زوجتي مبلغ خمسة عشر الف جنيه في شهادات استثمار ذات العائد الجاري ، وقد أوصى أن هذا المبلغ لا يورث ويصرف عائده نصف السنوي على الأسر المحتاجة صدقة جارية يرجو بها رضا الله .

وعند تصفية المبلغ الذي يورث فعلاً ووجد انه أزيد من ضعف هذا المبلغ اقر الورثة هذه الوصية وارتضوهاإلا انه بمرور الأيام وبعد وفاة زوجتي اخشى ان ينزغ الشيطان في نفوس أولادي ولا يتحملون الأمانة .

لذلك أرجو إفتائي في هذا الأمر ..

ج : الوصية تنفذ في حدود الثلث - أي ثلث التركة - سواء رضي ووافق الورثة أم لا ، وننصح بنقل هذا المبلغ « قيمة شهادات الاستثمار » المذكورة إلى بنك إسلامي .

ومن عهد إليها بالوصية ، إن كان الموصي قد أخبر بأنها ستكون في عقبها من بعدها كان الأمر كما وصى الموصي ، وإلا تكون هذه الوصية لوزارة الأوقاف تتصرف فيها كما وصى الموصي .

س : من السيد / أ . ح . أبو موسى من الإسماعيلية

توفيت امراة هي واولادها الثلاثة في حادث طائرة ، ولم يعرف اى منهم مات قبل الآخر .

وقد تركت المتوفاه : زوجاً ، اما - ابا - إخوة ، وأولادها الثلاثة تركوا : ابا - جدة لأم - جد لأم ... فمن يرث ؟ وما نصيبه ؟ علما أن المتوفاه تركت منقولاتها ومصاغها كما تركت مصاغا قد اشتراه الزوج لها واعطاه لها حال حياتها ..

ج : ما دام قد توفوا جميعاً في حادث - ولم يعرف أيهم مات قبل الآخرين - فلا توارث بينهم ، وكل واحد منهم توزع تركته على ورثته .

فبالنسبة لتركة الزوج : فكل ما تركته الزوجة من منقولات ومصاغ وتعويض وكذلك المصاغ الذي اشتراه زوجها لها يعد ميراثا : للزوج النصف فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ، وللأم السدس فرضا لوجود عدد من الإخوة ، والباقي للأب تعصيباً .

اما بالنسبة لتركة الأولاد الثلاثة فهي : للجدة لأم السدس في كل واحد منهم والباقي للأب تعصيباً ، ولا شيء للجد لأم لأنه من ذوي الأرحام المؤخرين في الميراث من أصحاب الفروض والعصبات .

إعداد: عبد الحميد السيد شاهين
ويجيب عليها: لجنة الفتوى بالأزهر

س: من السيد / ع . ف . مطاوع من أسيوط

توفيت امرأة عن ثلاث بنات . أبناء عم ذكور فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للبنات الثلاث الثلثان فرضاً لعدم من يعصبهن يقسم بينهن بالتساوى ، والباقى لأبناء العم الذكور تعصيباً يقسم بينهم بالتساوى .

س : من السيد / م . أ . عيسى . الإسكندرية

توفى رجل سنة ١٩٨٦ عن زوجة ـ ثلاثة أولاد ذكور ـ ثلاث بنات ـ بنتى بنت . فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : فى تركة هذا المتوفى وصية واجبة لبنتى البنت المتوفاه قبل والدها بمقدار ما كانت تستحقه البنت لو كانت على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقاً لقانون الوصية المعمول به من أول اغسطس لسنة ١٩٤٦ ، وبشرط الا يكون الجد قد أعطاهم شيئاً حال حياته يساوى نصيب أمهما.....

فتقسم التركة ثمانون جزءاً : منها سبعة أجزاء وصية واجبة لبنتى البنت يقسم بينهما بالتساوى دون أن يشاركهما احد ... والباقى وهو ثلاثة وسبعون جزءاً هو الميراث : للزوجة منه الثمن فرضاً لوجود الفرع الوارث ، والباقى للذكور الثلاثة وللبنات الثلاث الأحياء تعصيباً يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .

س : من السيد/ وجمال الدين .. من طنطا

حلفت على زوجتى قائلاً : انت طالق وراجعتها أثناء العدة ، ومرة ثانية قلت لها : إذا لم تردى على فانت طالق ولم ترد .. وأريد به التهديد ... ، ومرة ثالثة : ذهبت إلى المأذون وطلقتها على الإبراء واثبته المأذون انه الطلاق الأول على الإبراء .. فما الحكم ؟

ج : يقع بالأول طلقة واحدة رجعية ، وحيث إنك راجعتها أثناء العدة فإن الرجعة صحيحة ..

أما الثانى : فإنه يمين معلق ، وحيث الحالف قصد به التهديد فلا يقع به طلاق .

أما الثالث : فيقع به طلقة واحدة بائنة بينونة صغرى لا تحل لك إلا بعقد ومهر جديدين وبرضاها وتبقى معك على طلقة واحدة .

س : من السيد / م . ع . عساكر الشرقية

١ ـ حلفت والله العظيم إن خرجت انت حرة ـ وخرجت ولم اقصد الطلاق واقصد التهديد
٢ ـ قلت لها : على الطلاق ما انت خارجة . وخرجت !!!!
٣ ـ قلت لها : انت طالق ... فما الحكم ؟

ج : عن الأول : يلزمك كفارة يمين وهى إطعام عشرة مساكين .

وعن الثانى : بأنه يمين لا يقع به طلاق وذلك حسب القانون الجارى به التقاضى فى مصر والمأخوذ من الشريعة الإسلامية .

وعن الثالث : يقع به طلقة واحدة رجعية .....

والله أعلم ....

أبى الشيخ محمود أبو العيون



٩ ـ وا عمراه !!

لم يترك الشيخ أبو العيون مجالا من مجالات الاصلاح الاجتماعى الا طرقه : فكتب ضد الحفلات الماجنة ـ الخمر ـ القمار ـ الرقص والاختلاط ـ التمثيل والغناء ـ وساهم فى التشريعات الزواج والطلاق ـ المحاكم الحسبية ـ التعليم .. الخ ولم تكن تخلو صحيفة أو مجلة من مقال له أو حديث معه فى الدين والأدب أو فى السياسة والتاريخ ، فقد كان له فى كل مشكلة رأى ، ومع ذلك فقد تناسوا هذا كله وألصقوا به لقب « عدو المرأة » فمن أين جاء هذا الوصف ؟

الواقع أنه لم يكن عدوا للمرأة وانما كان نصيرا لها مدافعا عنها فى المرحلة الحرجة التى أعقبت الحرب وثورة ١٩١٩ ، فقد شهدت هذه الفترة مرحلة تحول حاسمة ، ليس فى مصر وحدها بل فى العالم أجمع نحو التحرر ، وشبت ثورات عديدة ، وظهرت نظريات سياسية واقتصادية جديدة ، وهذا شأن كل الحروب والثورات . ولقد تمخضت هذه المرحلة عن انطلاقة كبيرة فى الآداب والفنون بل وفى اسلوب الحياة نفسها ، وبدءا من خلع المرأة المصرية النقاب عن وجهها الى اشتراكها فى المظاهرات فدخولها الجامعة والتحاقها بالوظائف العامة ، ولكن صاحب هذا للاسف الشديد لون من الانحلال الاجتماعى الذى لم يفهم الحرية حق فهمها ، فكان لابد من داعية يتصدى لهذا الانحلال ويقف فى وجهه ، فكان الشيخ ابو العيون هو هذا الداعية،تشهد بذلك مقالاته الجريئة التى كان ينشرها فى الصحف تحت عناوين نارية يتناقلها القراء بشغف واعجاب مثل : « واعمراه » ـ « يا للشرف المضاع » حتى النساء يلعبن القمار ـ الحفلات الماجنة : « أعذر من أنذر » ـ « بائعات الاثم والهوى » .

ولقد قامت مساجلات عنيفة بين الشيخ أبى العيون وبين أبرز كتاب ذلك العهد ومن بينهم العقاد وطه حسين ومحمود تيمور وفكرى أباظة وهدى شعراوى ونبوية موسى ودرية شفيق ، لكنها كانت مساجلات أدبية لا مهاترات، وكان الجميع فى النهاية يجلونه ويحترمونه ويقدرونه حق قدره .

ومن الغريب بعد ذلك أن الشيخ أبا العيون لم يسلم من هجوم جماعات دينية عديدة ، متطرفة ، كانت على الجانب الآخر تنهال عليه باللوم والتأنيب لما وصفته بالمواقف المتخاذلة والمتهادنة منه حيال الفساد فى المجتمع، وكأنما

بقلم السفير :
جمال الدين محمود أبو العيون

كان عليه أن يلغى وحده الفساد بجرة قلم وهو الذى قاد حملته دون أن ينضم الى حزب أو فرقة أو جماعة دينية ، ولو قام هؤلاء بنصف ما قام به هو وحده لكان جهدا مشكورا ينسب اليهم .

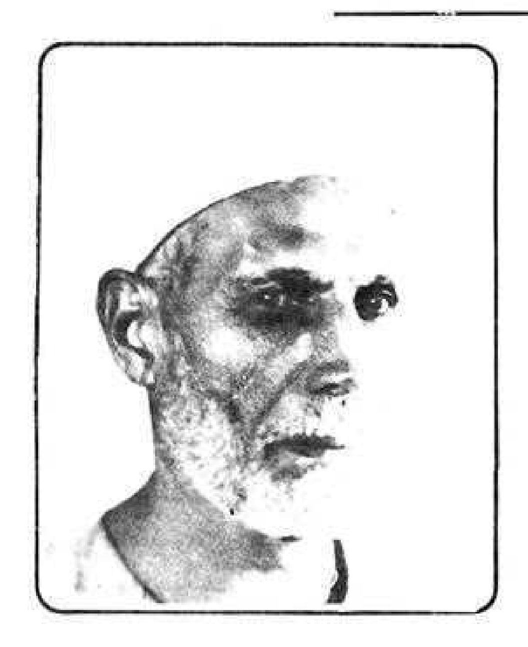
ويطيب لنا هنا أن نسوق رأى « عدو المرأة » فى المرأة من واقع مقال نشر له فى احدى المجلات بعنوان « نساء فى حياتى » قال فيه :

جاء يوم كانت كل جرائد البلد فى تهاجمنى بقسوة وتطاردنى بصفات بينها النصاب والدجال والمشعوذ ، بل طالب بعضها بالقبض على .. وعدت ذات يوم الى منزلى أحمل أربع جرائد يومية اشتطت فى الحملة على وانتحيت من البيت ناحية أبكى فيها فما أشعر الا وزوجتى تواسينى قائلة : (امض لشانك لاتبال كلام الناس) . هذه هى زوجتى صاحبة الفضل الأول فى نجاح ثقتى فهى التى جعلتنى أجد وأكافح .

١٠ ـ مواقف مشهودة ..

كان للشيخ أبى العيون شخصية متعددة الجوانب ، ومن أبرز تلك الجوانب الحلم والشجاعة فى الحق وعزة النفس ، تدل على ذلك الأمثلة الثلاثة التالية :

كنت أتجول وأنا طفل فى حدائق معهد الزقازيق الدينى ، ووجدتنى أدلف الى القسم الداخلى لطلبة المعهد الذين استقبلونى بالحفاوة والترحاب ، وتقدم منى أحدهم وكان اسمه



« الشيخ رشاد » ، وذكر أنه ارتكب مخالفة اغضبت منه فضيلة الشيخ فقرر أن يعاقبه ، وطلب منى الشيخ رشاد أن أتشفع له عند أبى ، فذهبت اليه فى مكتبه وقلت له فى سذاجة : « أرجو أن تقبل شفاعتى فى الشيخ رشاد » فتعجب أبى ، ولما علم بالقصة أرسل يستدعى رشادا وقال له : « أنت استشفعت بابنى وأنا قبلت شفاعته وعفوت عنك هذه المرة بشرط الا تعود لما فعلت .

وأشهد أن هذه الحادثة أثرت فى نفسى تأثيرا عميقا لسنين طويلة .

والموقف الثانى وقع وهو شيخ لعلماء الاسكندرية حيث يروى أنه ذهب ذات صيف لرئاسة مجلس الوزراء فى بولكلى لمقابلة أحد الوزراء فى رمضان ، وكان المجلس يومها منعقدا، وشاهد الشيخ الحاجب متجها لقاعة الجلسة حاملا صينية عليها العديد من فناجين القهوة والماء والثلج ، وهال الشيخ ما رأى ، فالتفت الى الحاجب ثائرا ، فأجاب بأن « الصينية وما حملت » هى للوزير القبطى صليب سامى باشا ، وهنا ثار الشيخ ثورة مضرية ورفع هراوته فأطاح بالصينية وما عليها .. وسمع الوزراء الضجة وهرول أحدهم الى خارج القاعة فلما رأى ما حدث أنب الحاجب واعتذر للشيخ ووعد بعدم تكرار ما حدث مرة أخرى . والرواية حقيقية ولكن زادت عليها حكاية هراوة الشيخ المزعومة والتى صارت مضرب الأمثال .

أما الموقف الثالث ، والذى يدل على عزة النفس ، فقد وقع عام ١٩٤٧ حين حدث تصادم بين طلبة معهد القاهرة الدينى ورجال الشرطة ، فأراد الشيخ ، وكان وقتها سكرتيرا عاما للجامع الأزهر ، أن يتدخل لتهدئة الموقف ، ونزل بشخصه لتفريق الطلبة وتهدئتهم ، ولكن بعض رجال الشرطة الذين لم يراعوا سنه ولا مركزه اعتدوا عليه بالضرب حتى أصيب وسقطت عمامته من فوق رأسه وغشى عليه ، وكان للحادث وقعه الأليم فى جميع الأوساط ، واشتعلت المظاهرات فى الأزهر ، وحاول المسئولون فى الحكومة الاعتذار للشيخ وترضيته ولكنه أبى الا أن يعتذر له رئيس الحكومة ووزير الداخلية بنفسه وهو يومئذ المرحوم محمود فهمى النقراشى باشا ، وقال قولته المشهورة التى تناقلتها الصحف والأندية : « عمامتى بطربوش النقراشى» ومازال الشيخ معتكفا فى بيته حتى توسط أصدقاء الطرفين للصلح بينه وبين النقراشى باشا الذى قدم له الترضية الكافية .

١١ ــ حياته العائلية :

واذا ما انتقلنا من ساحة المعارك والكفاح الى راحة البيت الظليلة ، لألفينا « السيد محمود » رجلا عطوفا بارا بأهله . وقد ظل حتى مماته يذكر بالفضل الكبير شقيقه الأكبر السيد ابراهيم أبا العيون الذى تعهده بالرعاية والتوجيه منذ الصغر ، فكان له الأب والمرشد الأمين ، كما كان وفيا لأمه التى لم تدخر قرشا كى يتعلم ابنها ويصبح عالما فى الأزهر ، فلما أن تخرج أرسل يستدعيها من البلد لتقيم معه فى مصر حتى توفيت الى رحمة الله تعالى وهى راضية عنه .

وكانت أجمل أمانيه فى الحياة أن يتزوج فتاة صالحة من أسرة طيبة كريمة ، فنال ما تمنى ، ولكن زوجته الشابة لم تلبث أن توفيت بعد قليل تاركة له ولدا فحزن عليها الى ماشاءالله، ثم مالبث أن تزوج مرة ثانية من والدتى،وكانت من حلوان من بيت عز تركى قديم ، فرزق منها بسائر أبنائه ، فكنت أوسطهم سنا وأكبر الذكور فيهم .

ورغم ضيق موارده كمدرس بالأزهر ، فقد حمل على عاتقه تربية عدد من أبناء اخوته الذين

قدموا اليه من البلد ، فنبغ منهم فضيلة الشيخ محمد أبو العيون ، وابن اخته الاستاذ (على بك بدوى) وزير العدل والمحامى الكبير • كذلك كان شديد البر بأهله وأهل زوجته،فلم يقصده قاصد منهم الا أكرمه وقدم له كل ما وسعه من عون ومساعدة •

ولقد عاشت أمى معه ٢٥ عاما مليئة بالكفاح، فما شكت ، وكانت له نعم المعينة الصابرة • وان أنسى فلا أنسى المأساة التى عاشها أبى حين حلت به المصائب كلها خلال عام واحد بعد نقله الى الاسكندرية ، فقد نشبت الحرب العالمية الثانية ، وبعدها بأشهر قليلة توفيت أمى ، ثم لحق بها عمى الأكبر ، فأحس أبى بالحزن يعتصر قلبه والأسى يزلزل كيانه بعد أن فقد الزوجة الحبيبة والأخ المعين ، فكان كالريشة فى مهب الريح ، لولا أنه كان يتأسى بما وقع للرسول عليه الصلاة والسلام حين فقد زوجته وعمه فى عام واحد • وكان عمله بالاسكندرية يتطلب بقاءه هناك بعيدا عن أولاده بالقاهرة فلا يزورهم الا فى عطلة نهاية الاسبوع ، ولا يستطيع احضارهم معه بالاسكندرية بسبب الغارات الجوية عليها ، فكانت حياته فى تلك الآونة مأساة لا يعلمها الا من عاشها ولا يصمد لها الا من أوتى الحظ العظيم من الايمان والتسليم المطلق •

وحين توفى أبى لم يترك لنا شيئا من متاع الدنيا الا القليل من المال • وأحسب أنه كان يدخره لنفقات أداء فريضة الحج ، فقد انتقل أبى الى رحمة الله قبل عام من بلوغه سن المعاش ، وكنت أسمعه يردد فى أخريات أيامه أنه يود قبيل اعتزال الخدمة أن يحج الى بيت الله الحرام ليعود من هناك رأسا الى بيته فى الحلمية الجديدة ، رضى الله عنه وأرضاه •

١٢ ــ طرائف ودعابات

كان أبى فى قرارة نفسه فنانا رقيق الحاشية جياش المشاعر ، يخفق فؤاده لكل ماهو جميل فى الحياة ، وكان يحلو له فى أوقات صفائه أن ينشد الشعر القديم بصوت شجى ، أو أن يترنم بأغانى الحب العفيف ، فتدمع عيناه وهو ينشد ويغنى :

أراك عصى الدمع شيمتك الصبر
أما للهوى نهى عليك ولا أمر

وكان فى الوقت نفسه يطرب للنكتة المستملحة فيحفظها ويرددها لأصدقائه وخاصته ومن بين هذه النكت ما حفلت به رسوم (الكاريكاتير) المنشورة فى مجلة آخر ساعة وغيرها عن كفاحه ضد العرى فى البلاجات ، وخاصة الكاريكاتير الذى يصور الشيخ أبا العيون وهو يقترب من البلاج المخصص للسيدات للتفتيش عليه ، والعسكرى المكلف بالحراسة يظنه يريد « الفرجة » فيهمس فى أذنه قائلا : « ان كنت عاوز تدخل انتظر شوية لغاية ما يفوت الشيخ أبو العيون » •

ونكتة ثانية تقول على لسان آنسة لزميلتها : « أنا عمرى ماسمعت عن الشيخ محمد عبده •• يظهر انه ماكانش بيمشى على البلاج زى الشيخ أبو العيون » •

وفى البيت كانت له مع أبنائه وبناته قفشات لطيفة ••• ففى ذات يوم تلقى من لبنان هدية

←

من صديق عزيز هي عبارة عن صندوق من الحلوى الشامية ، وراح أبي يسألنا : « أود أن أبعث الى عمكم حسين بك فهمي برقية شكر ، ترى ماذا تقترحون أن أقول فيها ؟ » وتصايحنا جميعا ، كل منا يقترح ردا طريفا ، حتى اذا جاء الدور على شقيقتي الصغرى ، وكانت دون العاشرة ، ردت على البديهة قائلة : « تستطيع أن تقول في البرقية : « وصلت العينة فأين البضاعة » .

وطرب أبي طربا شديدا لهذا الاقتراح وأرسله في الحال .

وفي مناسبة أخرى ، وكان لأبي صديق حميم يقيم بالاسكندرية واسمه « الشيخ جمعة » ، وكان له قط جميل اسمه « الغازي رضا » . وكان الشيخ جمعة يزعم أن قطه هذا من « الأسياد » وأنه يحمل له رسائله لأصحابه في مصر فيسير بها حتى يأتيهم فيدق أبوابهم ويسلمهم رسائلهم . وذات ليلة دق جرس الباب في بيتنا بالحلمية الجديدة ، وفتحت شقيقتي لتجد أمامها رجلا وسيما ذا شوارب مهذبة وهو يقول « اسمي غازي وأريد أن أقابل سيدنا الشيخ » وطارت الطفلة فرحا فقد ظنته « الغازي رضا » ، وأدخلته حجرة الضيوف ، وصارت تداعبه وهو يلاعبها .. وسألها أبي عن الزائر فأجابت بسذاجة محببة بأنه القط

فاندهش أبي غاية الاندهاش لأن القط لا يستطيع دق الجرس ، فأجابته مؤكدة بأنه لا شيء مستحيل على « الغازي رضا » ..

ودخل أبي الحجرة وسرعان ما انطلق ضاحكا بعد أن اكتشف أن الضيف مجرد زائر عادي لا صلة له بالقطط ولا بالشيخ جمعة ، ولكنه كان يساير شقيقتي « على قد عقلها » ويقول لها « ناو .. ناو .. » كلما قالت له « بس .. بس » وصارت مثلا يرويه أبي في كل مجلس ...

١٣ ــ كيف ربى أولاده

كان النهج الذي ارتضاه أبي لتربيتنا هو ضرب القدوة الحسنة لنا .. فكان يحرص على أن نجتمع كلنا يوميا على مائدة الغذاء لنشكل ما يطلق عليه « برلمان الأسرة » فيتبسط معنا ، ويتحدث ونحن في شتى المواضيع ، الجادة منها والخفيفة ، وكان يستمع الينا وكأنه واحد منا ، ثم يوجه كلا منا توجيها غير مباشر وكأنه أستاذ متفنن في علم النفس .

علمني الصلاة بالقدوة .. كانت حجرة نومي تجاور شرفة « بحرية » واسعة في بيتنا بالحلمية الجديدة ، فكان لا يحلو له اقامة الصلاة ، وخاصة (صلاة الفجر) ، الا في تلك الشرفة قريبا من مرقدي ، فكنت أستيقظ من نومي على صوته وهو يؤذن للصلاة قائلا « الصلاة خير من النوم » ثم وهو يختم الصلاة بالدعاء لي بالخير والبركات .. وكان الشيطان يغريني بالتشبث بالأغطية وخاصة اذا كان الجو باردا ، وتدريجيا بدأت أحس بالخجل وبأنني مقصر في حق ربي ان لم أؤد فريضة الصلاة التي يؤديها أبي الشيخ في عزم ونشاط برغم كبر سنه ، وأنا في ريعان شبابي أتدثر بالأغطية الدافئة .. وذات يوم حزمت أمري ونفذت عزمي الى يومنا هذا بأن أقيم الصلاة في مواقيتها والحمد لله ...

وكنت فى مطلع شبابى أهوى السهر خارج البيت فى كل ليلة مع رفاقى .. كانت سهرات بريئة ولكن أبى كان ضد التأخير فماذا يصنع ؟ كان يجلس فى الشرفة « البحرية » قلقا لحين عودتى ، فاذا ماعدت متأخرا سرت على أطراف أصابعى حتى لا يحس بى فاذا بى أفاجأ به أمامى وهو يقول معاتبا : « قلقت عليك يابنى ، وانتظرتك حتى هذه الساعة لنتعشى سويا وأنا الآن جائع » فكنت أحس بعقدة الذنب وأتصبب عرقا .. وتدريجيا صرت أحرص على العودة مبكرا الى البيت حرصا منى على مشاعر أبى الكريم .

أيضا أغرانى الشيطان بالتدخين ، وكنت حينئذ فى السنة النهائية بكلية الحقوق ، ثم صار التدخين عادة لى .. وكنت أحسب ان أبى لا يعلم بسرى ، ولكن الواقع أنه كان يعلم وكان يتجاهل ، حتى اذا جلسنا للغذاء أو اجتمعنا ساعة العصر توجه الى وهو يحتسى القهوة قائلا : « ما أشد فخرى واعجابى بابنى الطاهر الذى لا يقترف ما يقترفه زملاؤه من شرور .. انه لا يحتسى حتى القهوة ولا يعرف السيجارة أو التدخين ... اللهم زده كمالا فوق كماله .. اللهم اشهد أننى راض عنه فارض عنه » .

وكنت أسمع هذا كله فأذوب خجلا وأتضاءل فى نفسى وأود لو أن الأرض انشقت فابتلعتنى ولازمنى تأنيب الضمير والشعور بالذنب حتى توفى أبى الى رحمة الله ولم يعد له سلطان على ، ولكن بقى سلطانه الروحى قائما ، فاذا بى أقرر عقب وفاته بقليل أن أنقطع عن التدخين من تلقاء نفسى وحتى الآن ، وذلك لأحقق أمله فى ، وأرجو أن يكون قد تحقق .

١٤ ــ الصيحة الأخيرة

فى اكتوبر ١٩٥١ دخلت مصر مرحلة حاسمة من مراحل تاريخها القومى باعلان النحاس باشا رئيس الحكومة الغاء معاهدة ١٩٣٦ ، فكان ذلك ايذانا ببدء الكفاح الايجابى لاستخلاص حقوق البلاد واجلاء الانجليز عن ترابها .

وعاد الأزهر يشهد الاجتماعات الوطنية من جديد ، تلك الاجتماعات التى شهدها سنة ١٩١٩ وما تلاها من المناسبات الوطنية الكبرى ، ومرة أخرى وقف الشيخ أبو العيون يخطب الآلاف كما كان يفعل أيام الثورة .

ففى يوم الجمعة ١٩ اكتوبر عقد مؤتمر وطنى كبير فى الجامع الأزهر عقب صلاة الجمعة ، وافتتحه الشيخ بكلمة قال فيها :

ان هذا المكان هو الذى انبثقت منه الشرارة الأولى لثورة ١٩١٩ ثم طلب من الجماهير أن تنظم صفوفها فى كتائب المقاومة ، وأن تعطى الحكومة الفرصة لتنظيم هذه الكتائب .

وارتجت مصر من أدناها الى أقصاها ، وارتفعت الأصوات مطالبة بتنظيم مظاهرة كبرى يوم ١٤ نوفمبر باعتباره «يوم الشهداء» الذين سقطوا صرعى برصاص الانجليز فى مثل ذلك اليوم من عام ١٩٣٥ . وتشكلت لتنظيم المظاهرة « لجنة الميثاق الوطنى » المؤلفة من ممثلى جميع الأحزاب والهيئات ، واشترك فيها الشيخ أبو العيون ممثلا للأزهر الشريف .

وفى اليوم المحدد سارت المظاهرة الكبرى التى اشترك فيها الألوف من أبناء مصر ، ودخل الشيخ أبو العيون ثكنات قصر النيل ليجلس

مع زملائه رجال الدين فى السرادق المعد لاستقبالهم • ومر أمام عينى الشيخ شريط الذكريات عندما وطئت قدماه أرض ذلك المكان **لأول مرة قبل ٣٢ عاما ، حين اعتقله الانجليز فى** أعقاب المظاهرات الوطنية التى كان يتصدرها عام ١٩١٩ •

وفى يوم ٢٠ نوفمبر ، وهو اليوم الذى استشهد فيه ، ظهر آخر حديث له فى احدى المجلات الأسبوعية — ولعله لم يقرأه — عن رأيه فى الموقف الراهن فى البلاد ، وسأله المحرر عن نصيحته للشباب فى هذا الوقت العصيب ، فأجابه الشيخ :

« نصيحتى للشباب أن يذكروا أن المستقبل لهم ، وأن الخير فيه سيعود عليهم ، فعليهم أن يقيموا دعائمه بسواعدهم القوية وأرواحهم الفتية ودمائهم المتدفقة ، وأن يذكروا دائما أن الكفاح فى سبيل الحرية شاق ومرير ، فليروضوا أنفسهم على خشونة العيش وطول السهر وادمان الفكر حتى ينعموا بطيب الحرية ونعيم الاستقلال » •

تلك كانت آخر وصية يوجهها الشيخ لشباب هذه الأمة فى حديثه الذى نشر فى المجلة تحت عنوان « دم الانجليز غير معصوم » ، فكانت هذه العبارة هى الصيحة الأخيرة فى سجل تاريخ « الشيخ محمود أبى العيون » الحافل بالكفاح •

١٥ — الشيخ أبو العيون فى ذمة الله

كان موعده مع القدر مساء الثلاثاء ٢٠ صفر ١٣٧١ هـ • الموافق ٢٠ نوفمبر ١٩٥١ م • يومها قرر أبى أن يزور بعض الأصدقاء فى مصر الجديدة • وفى رحلة العودة استقل (المترو) المتجه لميدان (باب الحديد) •• فى الميدان كانت اشارة المرور حمراء فتوقف المترو وانفتحت أبوابه آليا••ظن الشيخ أنها محطة المترو فنزل •• فى نفس اللحظة اختفت اشارة المرور الحمراء وأضاءت الاشارة الخضراء •• **انقفلت أبواب المترو آليا وواصل المترو سيره •** أمسكت الأبواب بجبة أبى فلم يستطع أن يتخلص منه وانكفأ على وجهه •• جره (المترو) مسافة طويلة قبل أن يتنبه المارة ويتمكنون من ايقافه •• نقلوا أبى الى قسم الأزبكية القريب• كانت روحه الكريمة قد فاضت •• اتصل بنا القسم فنزل علينا النبأ كالصاعقة •• ذهل الناس وهم يستمعون الى نشرة الأخبار فى الاذاعة وهى تنعى الشيخ الى الأمة العربية والاسلامية •

فى اليوم التالى سار الألوف فى جنازته التى سدت جميع الطرقات من ميدان الحلمية الجديدة حتى الجامع الأزهر حيث صلوا عليه وهم يبكون وينتحبون •

كتبت عنه جميع الصحف والمجلات •

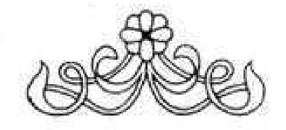
رثته جميع الهيئات ••• ورثاه خصومه قبل أصدقائه •• وقالت صحيفة الأهرام تنعيه :

« فى موجة طاغية من الألم تنعى (الأهرام) الى العالم الاسلامى أجمع فقيد الشرق والاسلام صاحب الفضيلة العالم الجليل الشيخ محمود أبا العيون السكرتير العام للجامع الأزهر ، فقد فدحت الفجيعة بوفاته ليلة أمس على اثر حادث أليم ، ففقدت مصر والشرق بفقده عالما من خيرة العلماء العاملين ، ومجاهدا

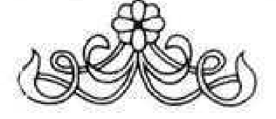
البقية ص ٨٣٣

العلوم الكونية

مسار البحث العلمي في القرآن الكريم



عنصر السيليكون وتكنولوجيا الالكترونيات



انتاركتيكا" القارة القطبية الجنوبية

مسار البحث العلمي
في القرآن الكريم

٢

السمع مفتاح العلم :

جاء السمع - في كل الآيات القرآنية - مفرداً ، بينما جاء البصر غالباً جمعاً « ابصار » وذلك لانه بالسمع تعرف صفة واحدة من صفات الأشياء والأحياء حين حركتها او احتكاكها او نطقها وهي الصوت المصاحب أو المميز لها ، وأما البصر فتعرف به العديد من الصفات كاللون والشكل والحجم والنوع ، وهذه الصفات كلها - عدا اللون - يمكن إدراكها بالحواس الأخرى وهي اللمس والشم والذوق فكل منها له صورة بصرية ، فمثلاً يستطيع الإنسان أن يدرك أن شيئاً ما أملس ناعم أو معرج خشن إما بلمسه أو برؤية تضاريسه ، أو أن شيئاً مستديراً أو مثلثاً إما بلمسه أو برؤية شكله ، أو أن هذا الشيء برتقالة أو ليمونة إما بتذوقها أو رؤية منظرها ولونها ، أو أن هناك ناراً إما بالإحساس بحرارتها أو شم دخانها .. وبذلك فالسمع لا بديل له من الحواس الأخرى بينما البصر له بديل من تلك الحواس .

والسمع - في جل الآيات القرآنية - مقدم على البصر .. وفي ذلك إشارة إلى انه أهم وأعظم من البصر ، فعلم الأجنة يثبت أن الجنين تكتمل عنده حاسة السمع قبل ولادته .. بل إنه يستطيع أن يسمع الأصوات منذ الشهر الرابع أي ببداية نبض الحياة فيه ، بينما لا تكتمل حاسة البصر قبل ستة شهور من الولادة [١] . وعلم التشريح يؤكد أن الأذن تقع بداخل العظمة الصخرية وهي أقوى عظام جسم الإنسان لذا فالسمع من العسير أن يصاب مهما كانت شدة الحادثة ما لم تؤد إلى كسر بقاع الجمجمة قد يودى بحياة الإنسان [٢] . فالسمع بذلك يبدأ ببداية الحياة وينتهي بنهايتها .

وعلم وظائف الاعضاء يعطينا الأدلة الدامغة على أهمية السمع ، فالبصر - وإن كان يبدو أن مداه أبعد - له خداع فقد ترى العين مالا وجود له ، ومجاله نقطة واقعة أمام العين بغير ساتر ، أما السمع فدليل وجوده مصدر للصوت ومجاله دائرة واضحة حول الأذن ومهما تعددت الحواجز ، والسمع لا يتأثر بالزمان والمكان وإرادة الإنسان فالأذن تسمع الأصوات ليلاً ونهاراً ومن أي اتجاه وهي مفتوحة دائماً ، بينما البصر يتأثر بالزمان والمكان وإرادة الإنسان . والأذن أكثر حساسية من العين في التقاط موجات

1- Hamilton, Bayd & Mossman : «Human Emberyology» . 4th Edition
2- Dawis,D.v.: «Gray·s Anatamy» . 34th Ed :iTian,1987 .

للدكتور محمد وسيم نصار

ذات طاقة منخفضة ولهذا كان السمع آخر ما يفقد من الحواس عند غياب الوعي والإدراك [3] .

للعيون لغة عالمية .. « فالعين توضح وتنبيء عن الشخص ، كذلك حالته الصحية يمكن الاستدلال عليها من فحص قاع العين مثل داء السكر والضغط المرتفع والأورام بالمخ والاضطرابات في الدورة الدموية والحميات وغير ذلك ... والتعبير عن إحساسات الشخص الداخلية . بما فيها من مشاعر سواء أكانت إيجابية أو سلبية : لمعان العيون عند الحب والفرح والأمل وانطفاؤها عند الكره والحزن والألم ، كل هذه المعاني لا يمكن التعبير عنها إلا من خلال العينين . كذلك حركاتها ونظراتها وتغيراتها اللونية كل ذلك له معنى يمكن الاستفادة منه . والتأثير في الغير بافتعال شعور خارجي وإحساس معين يقصد به الإيحاء بفكرة ما أو عمل ما . فالحسد والجلاء البصري والتنويم المغناطيسي أمثلة لمثل هذا التأثير تؤكد علاقة العين بالروح [4] . ورغم ذلك فهي لغة قليلة الكلمات بسيطة المدركات ، وأما اللغة الحقيقية للإنسان في كل زمان ومكان فهي لغة اللسان والشفتين .. لغة غزيرة الكلمات عظيمة المعاني والمدركات سهلة البيان خطيرة التأثير .

« .. ويتعلم المولود بواسطة السمع أضعاف أضعاف ما يتعلمه بواسطة البصر ، والأصم منذ الولادة لا يستطيع أن يتعلم اللغة أبداً فهو أبكم أيضاً .. بينما المولود بدون نعمة البصر يستطيع أن يتعلم اللغة .. بل اللغات بكل يسر ، وتستطيع أن تعد مئات بل آلاف العباقرة من فاقدي نعمة البصر ولكنه من العسير أن تعد الآحاد من العباقرة الذين فقدوا نعمة السمع وخاصة إذا كان فقد السمع منذ الولادة أو في الطفولة المبكرة » [5] .

« لقد توصل الإنسان في هذه الأيام إلى تعليم الأصم بطرق ابتدعها ونجح في مساعدته على فهم ونطق بعض الكلام والقراءة والكتابة ، كما نجح في تعليم الأعمى القراءة عن طريق أطراف أصابعه وهذه الوسائل لم تكن موجودة في الأيام الخالية ، ومع ذلك نبغ الأعمى في الفهم والشعر والأدب بدون هذه الوسائل الجديدة ، ولكن الأصم لم ينبغ قط في شيء ما من علوم الكلام والأدب والشعر ...

والأعمى يحسن الجدال والحوار مع غيره ويحسن التعبير عما يشعر به في بلاغة ، أما الأصم فإنه يرى الأشكال والألوان والأحجام والحركات والدمامة والوسامة وبديع صنع الله ، ولكن بلا معرفة لمن صنعه حق المعرفة ولمن أنعم عليه بالبصر وبما يبصره مهما كان ذكياً ، والأصم لم ينطق قط قبل هذه الطرق التعليمية بالرغم من سلامة لسانه وذلك لأنه لم يسمع كلاماً حتى يتعلم الكلام ، فالسمع هو الطريق الأول والأقرب للعقل والفهم ، وبالسمع يتعلم المرء الكلام [6] .

وارتباط النطق والوعي بالسمع ارتباط أكيد ووثيق .. فمن لا يسمع دائماً هو أبكم أبدا ولا يفهم إلا القليل فيتخلف عقلياً واجتماعياً ، فالسمع أقرب وسيلة للوعي والإدراك ، وبفقده أو إهماله يصير الإنسان أقرب إلى الحيوان لفقده أهم خصائصه وهي النطق

---

(3) Mountcostld, V.B. : « Medical Physiolgy », 13th Edition, V.1, 1974 .

٤ ـ محمد عبد العزيز محمد : « التصرف الزين في مناجزة سقم العين » ـ ط ١ ـ مطابع الأهرام التجارية ـ القاهرة ، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .

٥ ـ محمد علي البار : « خلق الإنسان بين الطب والقرآن » ـ ط ٥ ـ الدار السعودية للنشر والتوزيع ـ جدة ، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

٦ ـ نعمت صدقي : « معجزة القرآن » ـ ط ٣ ـ دار الاعتصام ـ القاهرة ، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .

والعقل .. بل يكون الإنسان هو والأموات سواء حيث لا أثر له ولا تأثير في الحياة .. وصدق الحق حيث يقول :

﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ « الحاقة : ١٢ » .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ « ق : ٣٧ » .

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴾ « فاطر : ٢٢ » .

﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ « النمل : ٨٠ ، ٨١ » .

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ « الأنفال : ٢٢ » .

●● ●● ●●

وللابصار لغة بسيطة تعبر عن خواطر النفس وانفعالها حين يضطرب القلب وينعقد اللسان .. وفي ذلك يقول الحق سبحانه :

﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ « المعارج : ٤٤ » .

﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴾ « القيامة : ٧ » .

وللبصر زيغ وطغيان ، والزيغ ميل وانحراف وكلل والطغيان تجاوز الحد إما مدى أو خداعاً ، فإذا لم يزغ البصر ولم يطغ وكان الشيء قريباً وتكرر النظر إليه يكن للرؤية بالعين يقينا لا شك فيه .. ولذلك يؤكد الله عز وجل صدق ما رآه النبي ﷺ ليلة الإسراء يقينا بلا أدنى ريب فيقول :

﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ۝ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ۝ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ۝ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ۝ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ۝ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ۝ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ « النجم : ١١ ـ ١٧ » .

ويصف العالم والطبيب المسلم الفذ عبد الواحد بن محمد المغربي المدني « ت ٩٤٤ هـ » العين وماهيتها .. في رسالة له تسمى رسالة الضوء ـ ما تزال مخطوطة ـ فيقول : « إن أشرف الحواس الظاهرة حاسة البصر عند الحكماء لأنه لا يقع فيما تدل عليه شك » .. (٧) .

ويقين العين دليل ثقة بوعي العقل وإدراكه ، ولكن يقين السمع يتجاوز الثقة بالعقل إلى الثقة بطهارة النفس الإنسانية واستقامتها .. وتأتي الآيات الكريمة توضيحاً وتبياناً

فيقول الله عز وجل :

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ .

« يونس : ٦٧ » .

﴿ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾

« النحل : ٦٥ »

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾

« الروم : ٢٣ »

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ! ﴾

« السجدة : ٢٦ »

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ! »

« القصص : ٧١ »

٧ ـ حسني عبد الحافظ : « المسلمون وطب العيون » ـ مجلة منار الاسلام ـ العدد ٧ ـ السنة العاشرة رجب ١٤٠٥ ـ ابريل ١٩٨٥ .

ويقول الحق سبحانه :

﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

« النمل : ٨٦ »

﴿ هُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ . يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

« النحل : ١٠ ، ١١ »

﴿ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

« الجاثية : ٥ »

﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ ﴾

« طه : ١٢٨ »

فلو أن قوما فقدوا أبصارهم وكانوا سليمى السمع والأفئدة فإنهم سيشعرون أنه فى وقت ما يهدأ كل شىء من حولهم ويلفه السكون ثم يعقبه وقت يشعرون فيه بحركة الحياة من حولهم مصحوبة بالصخب والضجيج فإن سألوا فسيأتى الجواب من كل البشرة أن الليل زمن السكون والهدوء وأن النهار زمن الحركة والضجيج ، وسيشعرون أن أجسادهم فى حاجة إلى الراحة فيخلدون إلى النوم فإن سألوا فستأتى الإجابة من الناس جميعاً أنهم ينامون بالليل عادة وبالنهار أحياناً لأنهم يعملـون ويكدون فى طلب الرزق بالنهار عادة .. وبالليل أحياناً ، وسيشعرون أنهم فى حاجة ضرورية للماء والغذاء فيطلبون الشراب والطعام .. وقد يسمعون صوت الرعد والرياح وصوت هطول المطر .. أو يسمعون أن بلداً امتنع ماؤه فأصابه القحط وييبس الزرع وجف الضرع وهلك الحيوان والإنسان عطشاً وجوعاً ؛ فإن سألوا أتى الجواب عل كل لسان : أن الماء ـ ذلك الجماد الذى لا لون له ولا طعم ولا رائحة ـ به حياة النبات النامى من الأرض وكذلك حياة الحيوان والإنسان ... فإن علموا ذلك كله .. وتفكروا لأدركوا أن الكون من حولهم يجرى بنظام محكم بديع ولهداهم فكرهم إلى الإيمان بالخالق سبحانه ولأمرهم عقلهم أن يتبعوا منهج الحق والخير ويبتعـدوا عن الشرك والظلم والفساد .

●● ●● ●●

وإنه لمن دواعى التأمل والتفكر ذكر الله سبحانه لذاته بأنه سميع بصير عشر مرات ووصفه للإنسان بهذه الصفة مرة واحدة ، ووصفه تعالى لذاته بأنه سميع قريب مرة واحدة وأنه سميع الدعاء مرتين .. فسبحانه قريب بغير تحديد بل هو أقرب إلينا من حبل الوريد .. يسمع دعاء الإنسان بالخير أو بالشر ، وبالسمع والبصر يسمو الإنسان ويرقى فوق سائر الخلق بما يتحصل بواسطتهما من علم وإدراك . ثم يصف الله تعالى ذاته بأنه سميع عليم إحدى وثلاثين مرة وبأنه بصير ثنتين وعشرين مرة وبأنه خبير بصير ثلاث مرات .. وقد يكون فى ذلك إشارة وتنبيها بأن حاسة السمع فينا أوسع أبواب العلم والإدراك والبصر باب اليقين والإتقان .

وعلى ذلك فـالفهم والإدراك والنطق والبيان أمور مكتسبة بالسمع ممن سبق أى من الآباء ، ومن ثم يتسلسل الأمر إلى أول إنسان ـ آدم عليه السلام ـ ... فممن سمع المفاهيم والمدركات التى بها يزن العقل أمور الكون ؟ ! ... إنه سمع من الله السميع العليم .. خالق كل شىء وبديع السموات والأرض .

وصدق الحق حيث يقول : ـ

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ● قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

« البقرة : ٣٠ ، ٣١ »

﴿ الرَّحْمَٰنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

« الرحمن : ١ ـ ٤ »

والإنسان فيما يعلم من علم ـ حتى فيما تخصص فيه ـ لم يتيقن إلا من القليل من حقائقه عن طريق إبصاره بينما لم يتيقن من معظمه بل سمعه .. فمن أين أتى يقينه

←

ببقية علمه رغم انه لم يختبره ليتيقن منه ؟ .. ذلك لأنه يعلم أن هناك المئات او الألوف من العلماء الذين يتقنوا مِّن تلك الحقائق التى نسمعها ووصلت إلينا بأمانة ... فلم لا نصدق الأنبياء والرسل وهم كثير .. وهم جميعاً أكثر البشر صدقاً وأمانة بل إن الصدق والأمانة ثنتان من الصفات الملازمة لهم عليهم الصلاة والسلام ـــ فيما يقولونه : إن الله سبحانه خالق الكون ولم يدع أحد ذلك .. وإنه إليه المرجع بعد الممات ولم يدع أحد أن لإنسان خلود .. فالموت حق .. والبعث حق .. والآخرة حق ، والجنة حق ، والنار حق .. والقيم الأخلاقية أساس تقدم الأمم ودوام رقيها .. ولقد تيقنا من بعض تلك الحقائق فلم نصدق بقيتها ونتبع نفس المنهج الذى نتبعه فى علمنا المحدود عن الكون والكائنات !! فنعلم أن ماقاله الأنبياء والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ حق .. فنؤمن بالله وحده .. ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله .. وأن نتخذ منهج الحق وميزانه الصدق وسيلتنا للحياة الكريمة فى الدنيا والآخرة .

ولقد أيد الله سبحانه رسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بالمعجزات دليل يقين على صدقهم وكلها معجزات بصرية .. إشارة إلى أن الرسالات جميعاً محدودة الزمان والمكان ، اما الرسالة الخاتمة التى بعث بها النبى محمد ﷺ فكانت معجزتها الكبرى القرآن الكريم .. وهو معجزة سمعية .. إشارة بأن هذه الرسالة غير محدودة الزمان او المكان .. بل ويزداد اليقين بها كلما أمعن الإنسان النظر فيما حوله بصراً وبصيرة .. ويقول الحق سبحانه :

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ! ● وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ● وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ● وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ● وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ● كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ● وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَافِرُونَ ● خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ .

« الأنبياء : ٣٠ ـ ٣٧ »

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

« الأعراف : ١٨٥ »

يقول تعالى : « أولم ينظر هؤلاء المكذبون بآياتنا فى ملك الله وسلطانه فى السموات والأرض وفيما خلق من شىء فيهما فيتدبروا ذلك ويعتبروا به ويعلموا أن ذلك لمن لا نظير له ولا شبيه ، ومن فعل من لا ينبغى أن تكون العبادة والدين الخالص إلا له فيؤمنوا به ويصدقوا رسوله وينيبوا إلى طاعته ويخلعوا الأنداد والأوثان ويحذروا أن تكون آجالهم قد اقتربت فيهلكوا على كفرهم ويصيروا إلى عذاب الله واليم عقابه .. فبأى تخويف وتحذير وترهيب بعد تحذير محمد ﷺ وترهيبه الذى آتاهم به من عند الله فى أى كتابه يصدقون إن لم يصدقوا بهذا الحديث الذى جاءهم به محمد من عند الله عز وجل ؟ [٨] » ..

فبأى حديث بعد حديث العلم .. وهذا القرآن كماله ومنتهاه .. يمكن إقناعهم بالإيمان بالله سبحانه والتصديق بنبيه الكريم وكتابه العظيم ..

٨ ـ إسماعيل بن كثير : « تفسير القرآن العظيم » .

عنصر السيلكون
وتكنولوجيا الألكترونيات

دكتور مصطفى السيد محمد

● جيوكيمياء عنصر السيلكون

يعتبر عنصر السيلكون بحق أحد المواد الأساسية التي يقام عليها صرح الصناعات الالكترونية في العصر الحديث . وإلى وقت قريب ارتبط اسم « السيلكون » ببحار الرمال والكثبان الرملية ورمال الشواطىء أي بكل ما هو ليس بذى قيمة تذكر على اساس ان الرمال في مجملها تتكون من (ثاني أكسيد السيلكون) . ($Si O_2$) .

وفي أوائل النصف الثاني من القرن الحالي ، ظهرت الحاجة إلى تصنيع المواد من أشباه الموصلات وذلك لأهميتها في الصناعات الإلكترونية وبتطور الأبحاث في هذا المجال امكن تحويل عنصر (السيلكون) من مادة عازلة إلى مادة شبه موصلة (Semi Canductor) وذلك بحقنه (Dopping) بإحدى الشوائب من عناصر (الجاليوم) أو (البورون) أو الزرنيخ) وذلك أثناء النمو البللوري للعنصر . ويجدر الإشارة هنا إلى أن أشباه العناصر تتواجد أيضا في الطبيعة على هيئة معادن ذات تركيب كيميائي ثابت تعرف بأشباه الموصلات الذاتية (Intrinsic Semiconductor) منها على سبيل المثال معدن (الجالينا) (Pds) أو (كبريتيد الرصاص) ، وهي مواد لها نفس خواص أشباه الموصلات الصناعية ولكن النوعية الأخيرة تصنع لتفي باحتياجات ومواصفات كهربية خاصة .

وباكتشاف المواد من أشباه الموصلات الصناعية حل عصر (الترانزستور) في الستينيات من هذا القرن محل عصر الصمامات الزجاجية (Valves) وكذلك اكتشاف الدوائر المتجمعة أو المتكاملة وتصنيعها ، تلك التي أسهمت بحق في دخول الانسان عصر الإلكترونيات الدقيقة (Micro Electronics)

وسنتناول فيما يلي عرضاً سريعاً مجملاً عن الخواص الكيميائية (والجيوكيميائية) لعنصر (السيلكون) والتي هي بمثابة خلفية علمية لتفهم سلوكياته في الطبيعة .

يمثل عنصر (السيلكون) المكون الأساسي لصخور القشرة الأرضية وذلك في صورة معادن (السيلكات) وسيلكات العناصر من حديد ومنجنيز وماجنزيوم وكالسيوم) وكذلك سيلكات الألومنيوم مع بعض

عنصر السيلكون وتكنولوجيا الألكترونيات

العناصر القاعدية أو القلوية من (كالسيوم وصوديوم وبوتاسيوم) . ويعتبر عنصر السيلكون أحد ثماني عناصر اساسية تكون في مجموعها حوالي ٩٩ في المائة بالوزن من تركيب القشرة الأرضية بعمق يصل إلى حوالي من ٣٠ إلى ٦٠ كم . ويعتبر (السيلكون) ثانى العناصر من حيث الوفرة بعد الأكسجين كما هو مبين في الجدول التالي :

متوسط التركيب الكيميائي للقشرة الارضية

اسم العنصر	الرمز	النسبة المئوية
الاكسجين	ا	٤٦,٧١
السيلكون	س	٢٧,٦٩
الالومنيوم	لو	٨,٠٧
الحديد	ح	٥,٠٥
الكالسيوم	كا	٣,٦٥
الصوديوم	ص	٢,٧٥
البوتاسيوم	بو	٢,٥٨
المغنسيوم	ما	٢,٠٨
المجموع الكلي		٩٨,٥٨

كيمياء السيلكون :

والوزن الذري للسيلكون ٢٨,٨٦ (عند الأخذ في الاعتبار الوفرة النسبية لنظائر السيلكون) (عدد البروتونات + النيوترونات) والعدد الذري ١٤ (عدد البروتونات = عدد الالكترونيات حول النواة) . ويحتوى المدار الخارجي لذرات السيلكون على أربعة (الكترونات) ومن ثم فهو عنصر رباعي التكافؤ سلباً أو إيجاباً حسبما يفقد أو يكتسب اربعة الكترونيات أخرى عن طريق ترابط الذرات مع نفسها أو مع عناصر أخرى في التفاعلات الكيميائية .

ولعنصر السيلكون ثلاثة نظائر مستقرة (Stable Isotopes) تختلف في وفرتها النسبية كما يلي :

س[٢٨] (٩٢,٢٧٪)

س[٢٩] (٤,٤٨٪)

س[٣٠] (٣,٠٥٪)

ويلاحظ ان عنصر السيلكون لا يتواجد في الطبيعة في صورته العنصرية (Native Form) ولكنه عنصر شَرِهُ الاتحاد بالاكسجين (Oxyphile) حيث تتكون معادن (الاوكسيسيلكاتية) ويعتبر الزجاج والبللور وحجر الجلخ (خبث الحديد في الأفران العالية) إحدى صور معادن السيلكا الصناعية (Synthetic Minerals)

وعنصر السيلكون في الظروف العادية غير نشط ولكنه يتفاعل مع المواد البسيطة (ما عدا الفلورين) فقط مع زيادة درجات الحرارة مكتسباً خاصية الاختزال بوجه عام وعلى سبيل المثال يتفاعل مع الكربون عند درجة حرارة (٢٠٠٠ م°) مكوناً معدن (الكاربورندوم) (Sic) شديد الصلابة (وهو مكافىء لصلابة الماس) كما تظهر خصية السيلكون الأخرى كعامل مؤكسد وذلك في تفاعله مع عناصر محددة مكوناً سيلسيد الماغنسيوم (Mg_2 Si) .

ويحضر عنصر السيلكون في الصناعة (٩٥ ـ ٩٨٪ نقاوة) وذلك باختزال السيلكا (SiO_2) بواسطة فحم الكوك في أفران كهربية ، أما في المعامل فيستخدم (الماجنزيوم) كعامل اختزال والذي ينتج عنه مسحوق (السيلكا) ذو اللون البنى الثقيل .

ويحضر عنصر السيلكون ذو النقاوة الفائقة باختزال مادة (رابع كلوريد السيلكون) (Si CL) بواسطة الزنك عند درجات حرارة عالية .

وقد نشأ علم وهندسة الإلكترونيات ليحل بعض المسائل الأساسية التي واجهت المشتغلين في هذا المجال نذكر منها على سبيل المثال ما يلي :

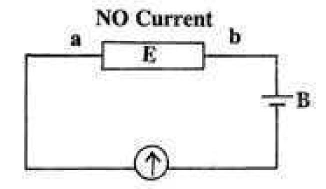
١ ـ تحويل التيارات المترددة

الناتجة على سبيل المثال من المولدات إلى تيارات مستمرة لتشغيل الصمامات والدوائر الإلكترونية المختلفة . وتعرف هذه بدوائر تقويم التيار (Rectifiers)

٢ - تحويل التيار المستمر إلى تيار متردد وتقوم به دوائر التذبذب (Oscillators)

٣ - تكبير الاشارات الكهربية الدقيقة مع المحافظة على شكلها قدر الاستطاعة وهذه دوائر التكبير (Amplifiers)

وتتكون الدوائر الإلكترونية من عناصر المقاومة والمكثف والملف بالإضافة إلى العناصر الإيجابية



وهذا معناه بلغة الالكترونيات أن المقاومة الأمامية للعنصر (E) والتي تقترب من قيمة الصفر أصغر بكثير جداً من المقاومة العكسية التي تقترب من قيمة المالانهاية أي أن : (Reverse Resistance » Foruard Resistance) .

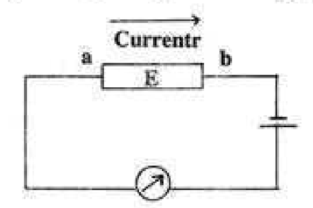
لو تصورنا توصيل مصدر تيار متردد محل مصدر التيار المستمر (B) في الدائرة السابقة فإن العنصر (E) في هذه الحالة يقوم بعملية تقويم التيار المتردد أي يسمح له بالمرور في نصف دورته الموجبة وقطعه تماماً في نصف دورته السالبة .

وما يعنينا في هذا المقال ليست

وهي الصمام والترانزستور والدائرة المجمعة حسب تطورها التاريخي .

وتقوم المكونات الإيجابية بتحديد وظيفة الدائرة وذلك بالتفاعل مع المكونات السلبية والمصدر او المصادر الكهربية اللازمة .

وتنحصر أهمية العنصر الإيجابي في الدوائر الإلكترونية في ابسط اشكاله في ضرورة إيجاد عنصر ذى خاصية على قدر بالغ من الأهمية وهي مقدرته على توصيل التيار الكهربي من a إلى b كما في الشكل المرفق وقطعه تماماً عند مروره من b إلى a عند عكس اقطاب المصدر .



الدوائر الإلكترونية بقدر ما يعنينا طبيعة العنصر (E) ذو خاصية التوصيل الكهربي في اتجاه وقطعه تماماً في الاتجاه العكسي والعنصر (E) هو في الواقع ليس إلا الصمام الثنائي أو الوصلة الثنائية (وصلة ترانزستور) والتي حلت محل الصمام الثنائي بعد اكتشاف أشباه الموصلات واستخدامها في هذا المجال .

وكما سبق ذكره فإن عنصر السيلكون يتواجد في الطبيعة في صورة معدن ثاني أوكسيد السيلكون (عروق المرو والرمال) والمعادن السيلكاتية . وعنصر السيلكون رباعي التكافؤ أي أن

المدار الخارجي لذراته يحتوى على أربعة إلكترونات ولذا فذرات السيلكون تتحد بأربعة ذرات مجاورة بواسطة الرابطة المشتركة أو التساهمية وذلك بتشبع المدار الخارجي للذرة بعدد ثمان إلكترونات لتنتج ذرات مستقرة ذات أشكال وابعاد ثابتة وتتميز المعادن أو العناصر ذات الرابطة المشتركة بأنها غير قابلة للتأمين ورديئة التوصيل للكهرباء وذلك لعدم تواجد إلكترونات حرة كما هو الحال في الرابطة الفلزية في العناصر والتي تجعلها موصل جيد للكهرباء .

وتحضر أشباه الموصلات الصناعية من العناصر غير الموصلة مثل السيلكون أو الجرمانيوم وذلك بإضافة شوائب من بعض العناصر التي تقل أو تزيد في التكافؤ عن العنصر المضاف إليه مثل الفوسفور أو البورون إلى بللورة المواد غير الموصلة في حالة النمو لتصير شبه موصلة . وتسمى هذه العملية بحقن الشوائب .

ويتلخص الأساس النظري لهذه العملية بإحلال ونشر بعض من ذرات الفوسفور خماسي التكافؤ (المدار الخارجي يحتوى على ٥ إلكترونات) في مادة السيلكون وعلى هذا فإن أربعة من الخمس إلكترونات الفوسفورية تستخدم لتشبع الرابطة التساهمية لذرات السيلكون المجاورة وعلى هذا فهناك الكترون زائد لكل ذرة من ذرات

عنصر السيلكون وتكنولوجيا الألكترونيات

شائب الفوسفور وينتج عن ذلك إلكترونات حرة أو سحابة إلكترونية تتجول داخل بللورة شبه الموصل السيلكون .

N - type

— — —
— — —

(a)

P - type

+ + +
+ + +

(b)

Silicon Junctions

(a) $Si^{+4} + As^{+5} \rightarrow$ N - Type + free electrons (−)

(b) $Si^{+4} + B^{+3} \rightarrow$ P - Type + free holes (+)

ويمكن بهذه الوسيلة تحضير مواد شبه موصلة تسمى وصلة Junction حيث يتم التوصيل الكهربي من خلال الالكترونات الحرة شكل (a)

وعلى عكس ذلك فلو حقنت مادة السيلكون بشائب مثل (الجاليوم أو البورون « المدار الخارجي يحتوي على ثلاثة إلكترونات ») أي ثلاثي التكافؤ فإن مدارات ذرات السيلكون المجاورة تنتقص إلى إلكترون آخر لتصبح في حالة تشبع وفي هذه الحالة يستوجب الأمر أن يقفز إلكترون من المدار المشبع الداخلي للعنصر الشائب ليجعل ذرات السيلكون المجاورة في حالة تشبع لتكون ذرات العنصر الشائب سحابة حرة من الفيض موجب التكهرب (الفجوات الموجبة) لتقوم بعملية التوصيل الكهربي ويمكن بهذه الوسيلة تحضير مواد شبه موصلة من النوع (p-type) حيث يتم التوصيل الكهربي من خلال فيض الكهرباء الموجبة والجدير بالذكر إنه في عملية التوصيل الكهربي فإن حركة سريان الإلكترونات يقابلها حركة سريان الفجوات الموجبة في الاتجاه الآخر اي تيار الشحنات السالبة يقابله في الإتجاه العكسي تيار الشحنات الموجة .

وفيما يلي سنرى خاصية التقويم الكهربي واضحة عند عمل وصلة ثنائية من N and p - types

Current
←

N | P

هذه الوصلة الثنائية هي المكافىء للعنصر (E) في الدائرة السابقة حيث تتميز بمقاومة أمامية صغيرة تسمح بمرور التيار من الوصلة P إلى الوصلة N ولا تسمح له وتقطعه تماماً عند المرور من الوصلة N إلى الوصلة P بحيث المقاومة العكسية كبيرة جداً ـ وعلى هذا فإن الوصلة الثنائية تستعمل كمقوم للتيار وتعرف بالموحد السيلكوني ويرمز له بالرمز (⊁) .

وتصنع موحدات السيلكون حسب شدة التيار المار به ، وتحدد جودته حسب المقاومة العكسية التي يجب أن تصل إلى ما لا نهاية في حالة المثالية .

وعلى هذا الأساس فإن الوصلة الثنائية (N - P) تكافىء الصمام الثنائي والوصلة الثلاثية (N - P - N) أو (P-N-P) تكافىء الصمام الثلاثي وقد أمكن عمل العديد من الموصلات وفقاً لمقاييس هندسية تفي بأغراض الدوائر الالكترونية المختلفة .

د . مصطفى السيد

انتاركتيكا

القارة القطبية الجنوبية*

للأستاذ زكريا ماهر الشيمى

في أسفل الكرة الأرضية ، قارة كبيرة ، تقبع في عزلة تحت غياهب الجليد ، وكأنها البقية الباقية من العصر الجليدى ، التى قنع بها مع منطقة القطب الشمالى ، بعد أن تقلص وانحسر عن سطح الأرض ، منهزما أمام التحولات العظيمة في الأحوال المناخية التى سادت العالم . تلك هى القارة القطبية الجنوبية أو « انتاركتيكا » .

وفي هذه السطور سألقى بعض الضوء على هذه القارة . ولست بصدد دراسة جغرافية متكاملة العناصر .. وإنما بقدر ما توفر لنا من معلومات سنتعرف على بعض هذه الجوانب من الدراسة . إن علينا أن ندرك أن الكشف عن القارة الجنوبية بأكملها عمل طويل شاق لم يكتمل بعد ، وأن الذى تم حتى الآن جزء يسير . وهناك أعوام طويلة ، وجهود جبارة لابد أن تبذل ، حتى يتم لنا الإلمام بالأحوال الجغرافية المختلفة للقارة . ويزاح الستار عن جبالها وأنهارها التى لم تقع عليها عين بشر . ونعرف تأثير هوائها في التيارات الهوائية المجاورة وفي الدورة المناخية العامة . كما أن هذا الجليد الهائل قد يخفى تحته كنوزا من الثروة العلمية ، بالإضافة إلى ما قد يكشف عنه من موارد متنوعة للثروات الطبيعية .

مساحتها وأسرارها

تبلغ القارة القطبية الجنوبية في حجمها ، أو تكاد ، مبلغ أوربا واستراليا مجتمعين ، وعلى الرغم من هذا فإن أديمها الذى حظى بارتياد الإنسان لا يتعدى واحدا في المائة من مساحتها ، فقد ظلت أسرار هذه القارة المغمورة بالجليد تجتذب قلوب المغامرين سنوات عدة ، حتى كشف عنها النقاب في السابع من ديسمبر عام ١٩١١ عندما نجح « أموندسن Amundsen » النرويجى مع أربعة من زملائه في الوصول إلى القطب الجنوبى ورفعوا رايتهم فوقه .

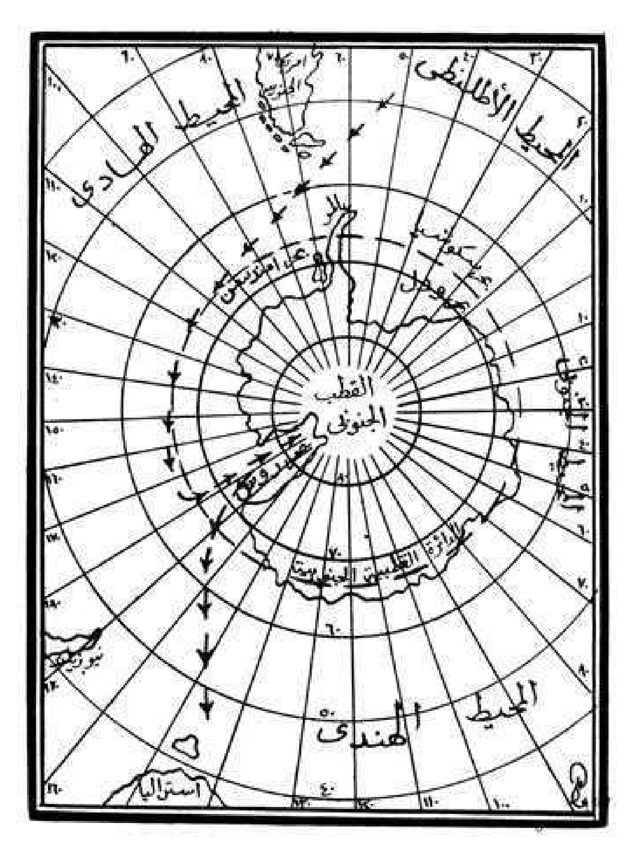
←

* « White land of adventure » By Walter Sullivan . Published by the Me-Graw Hill Book Comp. New york.

أنتاركتيكا

وإذا كان القطب الشمالى لم يكشف على يد ذلك المهندس البحرى الأمريكى « روبرت بيرى R. Peary » إلا فى اليوم السادس من شهر ابريل ١٩٠٩ ، فإنه ليس من قبيل الصدفة أن يكون التوقيت متقاربا ، ذلك أن اهتمام الجغرافيين والمستكشفين بل والناس عامة ، كان منصرفا أول الأمر إلى الكشف عن الجهات المأهولة من آسيا وأمريكا وجزر المحيط الهادى ، حتى إن أفريقيا وهى قلب العالم القديم ، لم يتم ارتيادها إلا فى غضون النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، فليس بمستغرب إذن أن يتأخر الكشف عن القطب الشمالى والقطب الجنوبى إلى أوائل القرن العشرين .

كان معروفا بالطبع أن الكرة الأرضية تدور حول محور يمتد من أقصى الشمال حيث القطب الشمالى إلى أقصى الجنوب حيث القطب الجنوبى . ولكن الوصول إلى القطبين ، وهما أبعد نقطتين موغلتين فى المناطق المتجمدة ، كان عملاً بطولياً يتطلب جهداً جباراً ، وإعداداً طويلاً ، وتمرسا على تحمل الصعاب والشدائد ، كما تكتنفه الأخطار والأهوال . وأكبر الظن أن الإنسان ما كان ليبلغ مأربه فى الوصول إلى تلك الجهات ، لولا تقدم المخترعات الحديثة ، وبصفة خاصة صناعة السفن ومحطمات الجليد .



القارة القطبية الجنوبية

محاولات كشفية

وقد سجل التاريخ تلك الأعمال المجيدة ، التى قام بها أولئك المغامرون ، أمثال « ناثانيل بالمر N. Palmer » الأمريكى ، « سكوت » البريطانى ، « جيمس ويدل J. Weddell » الاسكتلندى ، « دومون دورفيل » الفرنسى وغيرهم ، وهم يقومون بالعديد من المحاولات ، لإماطة اللثام عن طبيعة تلك الجهات وحقيقة كنهها ، وهل تشكل هذه المساحة الهائلة من الجليد غطاءات يختفى تحتها اليابس القارى ، أم أنها هى بذاتها فحسب التى تكون هذا السمك الهائل من الجليد . وأضافوا لعلم الجغرافيا ، ما جعله يثرى بما كشف عنه النقاب من حقائق عن هذه المناطق . عانوا فى سبيل ذلك أشد المعاناة ، وتحملوا أصعب وأقسى الظروف المناخية ، حتى أن منهم من ذهب عقله ، ومنهم من سقط صريع المرض ، أو الجوع

وسوء التغذية . ولست هنا بصدد سرد هذه البطولات ، وإنما أردت الإشارة إليها فحسب .

دراســة ومقارنــة

والقارة القطبية الجنوبية ، تختلف اختلافا جوهريا وأساسيا عن مناطق القطب الشمالى ، التى تقابلها فى أعلى الكرة الأرضية .

فمنطقة القطب الشمالى عبارة عن محيط متجمد المياه ، تحيط به دائريا كتل اليابس التى تتكون منها قارات أوربا وآسيا وأمريكا الشمالية . وطبقا لنظام توزيع اليابس والماء وأن كل يابس يقابله فى الجهة المضادة ماء .. نجد أن منطقة القطب الجنوبى عبارة عن قارة ضخمة ، تتمركز بصفة عامة حول القطب الجنوبى ، وتبلغ مساحتها نحو ستة ملايين من الأميال المربعة ، وعرة المسالك ، تكتنفها الهضاب العالية ، والقمم الجبلية البركانية ، ويكسوها غطاء سميك من الجليد يبلغ متوسط سمكه نحو ثلاثة كيلومترات ، وقد دفنت تحته سلاسل جبال بكاملها .

ولو قدر لهذا الجليد أن ينصهر ، لارتفع منسوب مياه المحيطات حوالى ستين مترا ، غامرا تمثال الحرية فى نيويورك إلى منتصفه وهذا الجليد المتراكم تكتنفه الشقوق والهوات السحيقة ، بعضها ظاهر وبعضها خفى . وتعتبر القارة أبعد مناطق الأرض منالا ، يحف بها الزمهرير القارس ، وتتراكم حولها الثلوج .

أما القطب الجنوبى نفسه فهو أشد بعدا ، وأقسى مناخا ، والوصول إلى رحابه يتطلب رحلة شاقة خطرة .

والسفينة التى تخترق الآفاق حتى تصل إلى هذه المناطق ، تكون بعيدة بعدا عظيما عن وطنها ، ومراكز تموينها وإسعافها ، وتحيط بهذه القارة أهم محيطات العالم ، وهى الأطلنطى والهادى ، والهندى ، بالإضافة إلى المحيط الجنوبى الذى يحيط بها أولاً ، وقد بدأت تظهر حديثا أهمية القارة القطبية فى الحفاظ على توازن المناخ العام للأرض حيث يقوم الجليد فيها بوظيفة مكيف هواء عملاق فى نصف الكرة الجنوبى .

وهذه القارة تختلف فى شكلها ، وموقعها بالنسبة لخطوط الطول والعرض من وجوه كثيرة ، عن نظام القارات الأخرى المألوف على الخرائط . فخطوط العرض هنا عبارة عن دوائر كاملة مركزها القطب . أما أطراف القارة ، فتصل إلى الدائرة القطبية الجنوبية . وتمتد خطوط الطول كلها فى خطوط مستقيمة ، كأنها عصى عجلة من العجلات ، تمتد من الوسط إلى الأطراف .

وترسم القارة عادة بحيث يكون المحيط الهندى إلى أسفل ، والهادى إلى اليسار وإلى أعلى ، والأطلنطى إلى اليمين . والجزء الذى يفصل الأطلنطى عن الهادى ، عبارة عن شبه جزيرة « بالمر » ، التى توغل فى المحيط الجنوبى نحو ٨٠٠ ميل تجاه أمريكا الجنوبية .

وتجرى الفصول الأربعة فى القارة ، على غرار ما تجرى عليه فى نصف الكرة الجنوبى . فيبدأ الصيف فى ديسمبر ، ويحل الشتاء فى يونية . وتطول أيام الصيف وليالى الشتاء كلما اقترب الإنسان من القارة ، حتى إذا ما اجتاز دائرة العرض ٧٠° جنوبا ، وجد فى منتصف الصيف ، فترة يسودها نهار دائم متصل ، وفى منتصف الشتاء فترة من الظلام المدلهم لا يغشاه أى ضوء . وتطول هذه الفترة كلما استمر الإنسان فى السير صوب القطب الجنوبى ، حتى إذا ما بلغه ، وجد أن السنة هناك كأنها يوم واحد ، حيث تتكون من ستة أشهر ، يسودها النهار المستمر ، ترتفع الحرارة فيه إلى ٣٥° مئوية تحت الصفر ، وهو نهار صيفى ممتاز بالنسبة إلى القطب الجنوبى .

وستة أشهر أخرى ، يغشاها الليل الدائم ، تهبط الحرارة فيه إلى ٧٣° مئوية تحت الصفر .

وفى معظم جهات الاسكا ، وسيبيريا ، واسكندناوة ، وهى مناطق تابعة لمنطقة القطب الشمالى ، نجد مدنا وعمرانا ، وغابات وصناعات تعدين ولكن الحال فى منطقة القطب الجنوبى ، على النقيض من هذا ، فنحن لا نجد شجرة واحدة ، أو صناعة واحدة ، أو قرية واحدة ، اللهم إلا عددا من محطات الأرصاد العلمية ، لمراقبة

◆ انتاركتيكا

الأحوال المناخية ، ولدراسة القوى المغنطيسية ، والاشعة الكونية ، وغير ذلك .

القارة والدول

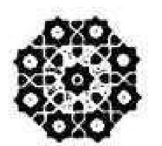
وهناك أعداد كثيرة من العلماء والعاملين ، ينتمون إلى ثلاث عشرة دولة ينتشرون فى ست وثلاثين محطة للابحاث فى القطب الجنوبى . ويرجع اهتمام بعض دول العالم بهذه الأبحاث إلى عام ١٩٥٧ حيث تعاونت الولايات المتحدة الأمريكية مع اثنتى عشرة دولة ، فى الأبحاث (الجيوفيزيائية) عن الجليد . وقد أدى نجاح هذه الأبحاث ، إلى عقد معاهدة بينها عام ١٩٥٩ ، تؤكد فيها تكريس القارة مع بحارها للسلام والعلم . وبحلول عام ١٩٨٥ ، اصبح عدد الدول الأعضاء فى هذه المعاهدة (معاهدة انتاركتيكا) ، ست عشرة دولة . وبعض هذه الدول كالولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى لا يطالب بملكية اراض فى القارة ، ولا يعترف بشرعية أية مطالبة من هذا النوع . ولكن هناك سبع دول تطالب بحقوق ملكية مستندة إلى ما تسميه حقوق الاكتشاف *

وتنتشر مراكز الأبحاث فى هذه الأصقاع ، على شكل مخيمات ميدانية ، ترفرف عليها أعلام هذه الدول . ويسود بينها التعاون الكامل ، بعيداً عن السياسة . ففى عام ١٩٨١ مثلا ، قام ثلاثة عشر أمريكيا ، مع عدد مماثل من الروس ، فى رحلة ابحاث فى بحر (ديدل) استمرت ٤٧ يوما . وتقوم « اللجنة العلمية للأبحاث الانتاركتيكية » وهى منظمة دولية غير حكومية بتحديد مشروعات البحث ، والتنسيق بينها . ومن اكبر هذه المشروعات ، مشروع « بيوماس » الذى يبحث فى (بيولوجيا) مياه القارة القطبية الجنوبية ، وتشارك فيه احدى عشرة دولة . ويهدف المشروع إلى دراسة « الكريل » التى تعتبر اكبر مصدر بروتينى بحرى غير مستغل .

الانكمـــاش

وإذا كانت طبقات الجليد فى منطقة القطب الشمالى قد انكمشت ، مخلفة بعض الآثار المعروفة ، كالبحيرات والركامات الجليدية وغيرها ، فكذلك كشفت الأبحاث فى منطقة القطب الجنوبى ، عن أن الجليد قد انكمش نطاقه ، ونقصت ثخانته الف قدم على الاقل ، مما أدى إلى تعرية بعض الأودية المنعزلة ، وبعض مناطق من ارض الساحل . وأدى كذلك إلى ظهور بعض قمم الجبال عظيمة الارتفاع ، والمخروطات البركانية ، حيث اندفعت تطل برءوسها النارية من خلال الجليد ، مثل جبل « أريبوس » الذى يرتفع نحو (٣٨٠٠ متر) وينفث الأبخرة من فوهته البركانية .

يتبع



* الدول المطالبة هى المملكة المتحدة ، فرنسا ، النرويج ، الأرجنتين ، شيلى ، استراليا ، نيوزيلنده . والدول غير المطالبة هى الولايات المتحدة الأمريكية ، الاتحاد السوفيتى ، اليابان ، المانيا الغربية ، البرازيل ، بولنده ، الهند ، بلجيكا ، جنوب افريقيا .

الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم (١٥)

العمق الرابع عشر من أعماق الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم

أ.د. محمد جمال الدين الفندى

تقديم :

المعروف علميا والثابت ان الفضاء الكونى لا يعرف الخط المستقيم كما عرفته لنا (هندسة اقليدس) ، وكما نرسمه فى كافة مجالات نشاطنا على الأرض .

ولقد ثبت لنا عمليا ان اسفار الفضاء مثلاً لا تتم فى خطوط مستقيمة ، ولكن فى مسارات منحنية او منعرجة .

وان الكون كله ينحنى على نفسه ويقفل .

وبصرف النظر عن اشكال تلك المسارات ، لم يتوسع العلماء فى دراساتها إلا بعد ان عرف الإنسان المحرك الصاروخى او المحرك النفاث ، واستطاع ان يفلت من قبضته جذب الارض ، وراح ينطلق فى الفضاء الكونى صاعدا فى السماء إلى حيث القمر مثلاً .

ومـا من شك أن (هندسة إقليدس) التى لا تزال تدرس فى الثانوى والمراحل الأولى فى كليات العلوم لا تصلح فى حسابات أسفار الفضاء . وقد ظهرت هندسة أخرى اكثر قبولا وأقرب تطابقا لطبيعة الفضاء وأسفاره الممتدة إلى ما شاء الله . فأما هندسة إقليدس المبنية على أساس الخط المستقيم فإنما تصلح لاستخداماتنا الأرضية على مقياس صغير جداً نسبيا .

واعجب العجب ، بل من أعماق الاعجاز العلمى فى كتاب الله العزيز ، ان يطلق هذا الكتاب مسبقا على أسفار الفضاء الكونى والصعود قدما فى السماء اسم العروج أو المعراج مغبرا بذلك عن حقيقة أن مسارات تلك الأسفار كلها منعرجة أو منحنية ، فأى اعجاز علمى أظهر من ذلك يتحدى الناس فى عصر الفضاء ؟

الآيات الكريمة :

١ - « تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ » . .

- المعارج (٤) -

٢ - « ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ »

- السجدة (٥) -

٣ - « يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ »

- سبأ (٢) -

٤ - « يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ »

- الحديد (٤) -

٥ - « وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ » .

- الحجر « ١٤ » -

العمق الرابع عشر من اعماق الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم

٦ - «مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ»
- المعارج (٣) -

وواضح أن معنى العروج هو الصعود فى السماء، وهو تعبير قرآنى يطابق الواقع.

ويمضى القرآن الكريم فيصف فى اعجاز أخاذ حال وما يصادف رواد الفضاء من الوان المناظر التى لم يألفوها على الأرض اثر العروج فيقول:

«وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ. لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ»

الحجر (١٤ - ١٥) -

والمعنى أن المجرمين لا يؤمنون حتى لو مكنهم الله تعالى من الرقى إلى السماء والصعود فيها ليروا عجائب الخلق المذهلة مما لم يألفوه على الأرض، وكأنما سكرت ابصارهم او وقعوا تحت تأثير السحر.

وفى هذا العصر فتح الله تعالى على الناس بابا للرقى فى السماء والسبح فى الفضاء باستخدام المحرك الصاروخى أو المحرك النفاث، فرأوا أهوال الفضاء وعجائبه ما كان سببا فى انهيار اعصاب كثير من رواد الفضاء حتى كادوا لا يصدقون ما يرون، ولا يحتملون هول ما حل بهم!

ولقد علمتنا اسفار الفضاء عمليا أن طبيعة الفضاء الكونى تختلف تماما عن كل ما الفناه على الأرض، ولا تقتصر على مجرد أن اسفار الفضاء انما تتم فى مسارات منعرجة وهذا عين ما تشير إليه الآية الكريمة:

«لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ»

- الحجر (١٥) -

فى اعجاز علمى منقطع النظير تجلى فى عصر الفضاء.

إن أول ما يعانى منه رائد الفضاء هو انعدام الوزن، إلا ان آثار هذه الظاهرة يتم معالجتها بالتعرض لما يماثلها مبدئيا على الأرض فى معاهد اعدت صناعيا لذلك حتى يعتاد رواد الفضاء عليها.

وعندما يصعد رواد الفضاء فوق القبة الزرقاء، وهى القشرة من الغلاف الجوى المضيئة بضوء النهار، والتى لا يتعدى سمكها نحو ٢٠٠ كيلو متر فوق سطح الأرض، والتى هى بمثابة طبقة رقيقة من غلاف الأرض الجوى تواجه الشمس دائما بأن تنسلخ من جسم الغلاف الجوى المظلم بطبيعته والذى يدور مع الأرض اثناء دورانها حول محورها أمام الشمس مصداقا لقوله تعالى:

«وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ»

- يس (٣٧) -

عندما يصعد رواد الفضاء فوق هذه القبة تظلم الدنيا من جديد رغم ظهور الشمس، وتظهر نجوم السماء جنبا إلى جنب مع الشمس، لأن الفضاء الكونى مظلم جداً، وكما قلنا يقتصر ضوء النهار على قشرة رقيقة من غلاف الأرض الجوى تواجه الشمس دائما اثناء دوران الأرض حول محورها امام الشمس..

ويزداد عدد النجوم فى السماء، لأن هواء الأرض يحجب ضوء عدد وفير منها فلا يصل إلى سطح الأرض ومن ثم نراها. وهكذا يخيل لرواد الفضاء أن قد سكرت أبصارهم. وتخز اشعة الشمس الأجسام وخز الابر، كما تدفعها بالضغط عليها.

وكثيرا ما يصاب بعض رواد الفضاء من جراء ذلك بانهيار عصبى، خصوصا جراء الاهتزازات الدائمة المتلاحقة التى تولدها آلات وأجهزة سفن الفضاء.

ويزود الرواد بعقاقير لعلاج مثل هذه الحالات ، كما جرت العادة على أن يتم تدريبهم على ذلك تدريجيا على الأرض ، ثم بالصعود إلى الفضاء الكونى على فترات .

ويعتبر السفر إلى القمر مثلاً ، وهو أقصى ما وصل إليه الرواد وحطوا رحالهم عليه ، يعتبر مهمة بسيطة بالنسبة إلى الوصول إلى الكواكب السيارة داخل مجموعتنا الشمسية وقطر هذه المجموعة طوله خمس ساعات ضوئية ، أى يقطعه الضوء فى خمس ساعات بسرعته البالغة ٣٠٠,٠٠٠ الف كيلو متر فى الثانية الواحدة .

ويتطلب الخروج من مجموعتنا الشمسية من أجل الوصول إلى اقرب مجموعات الشموس الينا فى مجرتنا ، المعروفة باسم طريق التبانة أو الطريق اللبنى ، ضرورة السفر عبر الفضاء مسافة تزيد على أربع سنوات ضوئية . وتعرف هذه المجموعة باسم (مجموعة قنطورس) ويفيض الفضاء الكونى الخارجى بالوان من الأشعة الكونية التى تقتل الخلايا الحية وهى بمثابة النار التى لا دخان لها .

والتى يعبر عنها القرآن بكلمة (نحاس) فى قوله تعالى :

« يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ »

ـ الرحمن (٣٣ ـ ٣٥) ـ

وإن اختيار لفظ (أقطار) فى الآية (٣٣) فيه اعجاز علمى عظيم ويدل على حقيقة أن مسالك الفضاء الكونى منعرجة ، وإن سائر ما يسبح فيه انما ينطلق فى مسارات منحنية ، (اغلبها بيضاوى الشكل يعرف علميا باسم القطْاع الناقص) .

وفى الآيات الكريمة قطع باستحالة النفاذ من اقطار السماوات والأرض من غير تقدير الخالق ـ عز وجل ـ وعنايته ورعايته . والقطر على اية حال هو على حد مفهومنا العلمى الخط الواصل نقطتين متقابلتين على السطح المنحنى أو المسار المغلق ويمر بالمركز أو بالبؤرة .

وجلى أن النفاذ من اقطار الأرض مثلاً إنما يعنى اختراق قشرتها اليابسة التى لا يزيد سمكها على نحو ٦٠ كيلو مترا والانطلاق عبر باطنها الملتهب الذى تربو درجة حرارته على ٥,٠٠٠ درجة سنتجراد . وعلى اية حال فإن مجرد اختراق القشرة اليابسة انما يعنى انبثاق مواد الباطن المنصهرة على هيئة بركان ثائر يرسل شواظ النار والنحاس . أما النفاذ من اقطار السماوات فهو أشد هولا وأعظم استحالة من غير سلطان من الله تعالى ، إذ يستلزم غالبا عبور نجم كالشمس أو أكبر منها يرسل إلى الفضاء أكداسا من شواظ النار والنحاس .

وليس المراد بالسلطان هو سلطان العلم كما قد يتبادر إلى الأذهان ؛ لأن قوانين العلم التى نعرفها إنما تقودنا إلى ضرورة أن يمضى رائد الفضاء على الأقل ملايين السنين قبل أن ينفذ من قطر من اقطار مجرتنا !!

والكون الذى يضم الطاقة والمادة تقع حدوده على أبعاد تفوق حدود الوصف والخيال ، وينحنى على

العمق الرابع عشر من اعماق الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم

نفسه ويقفل فى الفضاء الذى لا يعلم مداه إلا الله تعالى ويبقى ما وراء ذلك فراغاً تاماً ، والله تعالى أعلم بما فيه .

ومن ناحية اخرى يستخدم القرآن الكريم لفظ (السماء) للدلالة على غلاف الأرض الجوى الذى يمتد إلى ارتفاع الف كيلو متر فوق سطحها .. ذلك لأن (السماء) فى اللغة تعنى كل ما علانا وارتفع فوق رءوسنا . فيقول القرآن مثلا :

« اللَّهُ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِى السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ » - الروم (٤٨) -

وكما هو معروف ومألوف تتم اثارة السحاب ويتم نموه وانتشاره فى الهواء الذى يكون غلاف الأرض الجوى ، وفيه غاز الاكسجين الذى نستنشقه ليجدد نشاط الخلايا الحية ويكسبنا القدرة على العمل .

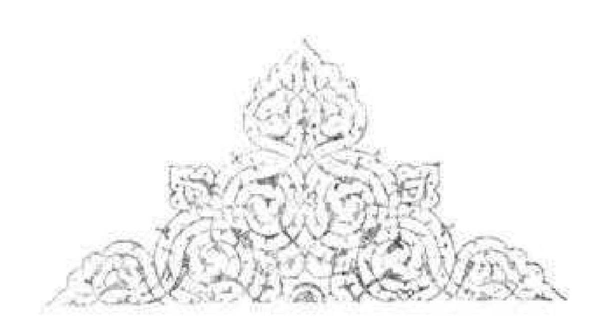
وتقل مقادير الهواء عامة ومنها الاكسجين بالارتفاع فوق سطح الأرض ولهذا يشعر الإنسان بضيق الصدر عندما يصعد فى الجو من غير حماية أو تكييف خارجى يوفر له نفس مقادير الهواء التى الفها على سطح الأرض كما فى الطائرات ويعبر القرآن الكريم عن هذه الحقيقة فى اعجاز علمى رائع إذ يقول :

«وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى السَّمَاءِ » - الأنعام (١٢٥) -

والله تعالى اعلم

للحديث بقية

د . جمال الفندى

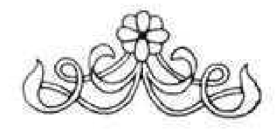


* ما ورد بهذا المقال من تفسير هو اجتهاد كاتبه ومسئوليته وحده ، ومن حق أي متخصص نقده نقداً علمياً نزيهاً .. مجلة الأزهر ..

الشعر والشعراء

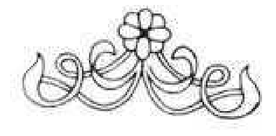
إشراف / د. حسن جاد

يا إلهي



أيها الإنسان

صولة الروح



أمومة هرة

يا إلهي

للأستاذ عبد الحليم القباني

إذا الليل يارب ضم الوجود ولف المروج ضياء القمر
وعادت إلى صمتها الكائنات فما عدت أسمع همس الشجر
دعوتك يارب هذا السكون ويا من تعاليت فى قدرتك
ذنوبى تهبط بى للقرار وروحى تسمو إلى رحمتك

الهى ، وإن لاح صبح جديد وأشرقت الشمس فوق الربا
وغنت على الأغصن الباسمات صوادح فيهن سحر الصبا
دعوتك ياربُّ هذى الحياة ويامن على عرشه قد سما
على الأرض القيتُ ما فى يدىَّ وجئت لأطرق باب السما

إلهى دعوتك فى وحدتى وفى الجمع والناس حولى زُمَرْ
مع الليل أدعو وحين الضحى وعند الأصيل ووقت السحر
إلهى ، ضياك دليل القلوب لشط النجاة ونعم الدليل
فجد ياإلهى بنور الطريق لمن ضل يوما سواء السبيل

أيها الإنسان

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

انت الغريب فما وقوفك هاهنا ... بين العواصف والمزالق والعنا ؟
متطلعا متحفزا بل حالما ... تبنى قصورا من افانين الهنى !!
ومعاقلا تزهو بها لا تنبغى ... إلا لمن ضمن الخلود محصنا !!
ضحكت لك الدنيا فهمت بحبها ... وحسبتها متعا تدوم وموطنا
فمضيت تلهو فى حماها ذاهلا ... فإذا بوضاح الحقيقة قد دنا !!
كم مَرَّ مثلك فى الطريق مؤملا ... وانكب فى نهم على عرض الدُنا
ذا طارفٌ ، ذا تَالِدٌ ، فَتَجَمَّعَتْ ... فى كفه الكزاء اسباب الغنى
ومضت به فُلْكُ المنون مُخَلِّيًا ... ما حاز من نشب الحياة وما اقتنى
طيف من الأطياف لاح هنيهة ... ثم اختفى .. قد كان يوما هاهنا
اتحس من رِكْزٍ له او نامة ؟ ... اترى له ظلا يخايل اعينا ؟ !

* * *

انت الغريب وإن ابيت وان بدت ... دنياك فى حلل الخديعة مسكنا
هلا سالت على الطريق معمرا ... عما راى فى عمره .. عما اجتنى
إذ ذاك تنطق حاله بفصاحة ... تغنى ، وتسبق فى البيان الألسنا
سيجيب ـ والأنات تلهث ـ : إنه ... لا شىء إلا حسرة وتحزنا
وهَنا وسقما فى العظام ورجفة ... فى مهجتى وكآبة وتغضنا !
الموت اخشى والحياة كليهما ... لكننى احيا على جُرف الفنا
اصبحت انتظر الحمام مروعا ... صفر اليدين .. ، ولست ادرى من انا !
وتمر ساعات الزمان كئيبة ... تغتال اعصابا وجسما موهنا
وعلمت ـ بعد الفَوْت ـ انى كنت اعدو خلف آل ، غرنى منه السَّنا !
ياسائلى ـ والدَّوْر يُومِىء نحوه ـ ... دعنى على شوك الملالة والضنى !!

صولة الروح

للاستاذ أحمد محمود مبارك

كان سعيى على الدروب هباء حينما الخطو عن ضياك تناءى
قصة الأمس فى دروب الليالى قد تبدت حروفها شوهاء
هاهو الصرح فى المفازات رمل كم اضعت السنين فيه بناء
والغراس الذى بحقل الأمانى سنبلات لم تعط إلا الشقاء
نازعتنى نوازع النفس حتى البستنى من الظلام غشاء
قادنى الاثم غافيا فى طريق رافق الغيم والهوى والبلاء
رحت امشى وكل درب امامى لا يزيل الصباح عنه المساء
ابتغى الرى من زلالٍ تراءى أشرب الوهم لا احس ارتواء

•••

غير انى وفى عروقى نبض لم يزل يعزف الهدى والنقاء
وبعينى رغم الخطايا حنين لشعاع يبدد الظلماء
اشرق الصبح فى عيونى وراحت صولة الروح تقهر الأهواء
إننى بعد ما غسلت إهابى بوميض التقى اطلت الدعاء
قصة الأمس لم تزل فى كتابى تثقل العمر شقوة وعناء

•••

وفؤادى امام فيضك يهفو ظامئا هَبْهُ من رضاك رواء
ليس غير الرضاء منك ضياء يجعل الأمس صفحة بيضاء
ويحيل العناء يارب فى النفـ ـس حبوراً وهداة وهناء

أمومة هرة

للشاعر: رمضان أبو غالية

لى هرة سكنت رحيم كيانى	بزت امومتها بنى الإنسان
فى غيبة منها رفعت صغيرها	يوما على شرف من الجدران
واخذت ادفعه .. ذهابا .. جيئة	ويدى عليه .. كحارس ، متفان
واخو الصغار مواؤه متوزع	بين البكاء ، ودهشة الجذلان
وانا تجلجل فى الفضاء سعادتى	والمرء يضحكه اقل هوان
وإذا بها ينشق عنها فجاة	سطح خلا منها لبعض ثوان
لتكون بين يدى .. تغرس مخلبا	وتعض بالأنياب كل بنانى
وكاننا لسنا صديقى فترة	طالت ، ووثقها الاخا بامان
ولروعتى الفيت كفى تنثنى	ودماؤها فى فورة البركان
ورايت صاحبتى بفكيها وقد	حملت مضيعها بغير توان
ما قدرت أن النيوب تضره	فالوقت ليس لأضعف الحسبان
ومشت به فوق الجدار حريصة	ما أشفقت من كثرة الدوران
وهناك عند حلول اقرب نقطة	للسطح القت حملها بحنان
وهوت عليه .. تطبه بلعابها	من ذيله لذوائب الآذان ..
ودعته فى حدب لياخذ حظه	ويزيل رهبته .. بخير لبان ..
.. بتناوم .. فوق الثرى .. فى رحمة	لتقول : يارمضان ، ذا احسانى !!

* * *

وإذا استجم صغيرها ، وتيقنت	أن الصغير ـ بما تحقق ـ هان
دلفت إلى ، فمسحت أعطافها	ورنت إلى كطالب غفرانى !!
ياموقف العجماء ، انت اخذتنى	اخذا إلى موهوبك الربانى
قدرت ياربى ، هديت ، فياله	من موقف يدعو إلى الإيمان !!

* * *

اتظننى خاصمتها لمصيبتى ؟	ابدا ، وربى ، ما جرى بجنانى
بل إننى بالغت فى إكرامها	ورايت فيها رحمة الرحمن !!

* * *



الحرية العلمية فى الاسلام

كيف طبقها ملوكه فى المشرق والأندلس ؟

للاستاذ محمد ناصف

التاريخ الأمين خير شاهد على الأحداث بما يسجله المؤرخون من وقائع يصورونها فى أمانة ودون تعصب ، تلك الوقائع التى يمثل بعضها فاصلا واضحا بين الاسلام وغيره من العقائد ، فيبدو من بينها — كما هو دائما — عملاقا شامخا بما يذود عن حرية البحث حتى لا تتزعزع ، وحرية الرأى حتى لا تزول وفى المقال التالى مصداق ذلك .

قال الأستاذ — رحمه الله :

يرى المفكرون أن الحرية العلمية اعترض طريقها فى كل جيل أمران خطيران : الجهل ، والحكومة الظالمة .

فالجهل يثور على العلم ويتخذه عدوا له ، وقد يطلب من الحكومة أن تعينه عليه وتثأر له منه ، لائذا بالدين مرة ، ومخوفا من الالحاد أخرى،وقد تكون الحكومة ضعيفة فى حاجة الى معونة الجهل فتنصره ، وقد تكون جاهلة فتبالغ فى التنكيل بالعلم ، وقد تكون حكيمة فتعالج الأمر فى رفق وحكمة ، فتسترضى الجهل ولا تظلم العلم ، وكثيرا ما رأينا العوام يسوقون الحكومات فتبطش بالعلم بطشة كبرى كما سنبينه فى موضعه .

قد يضيف بعض الناس الى هذين الأمرين المعترضين طريق العلم وحريته ، أمرا آخر له شأن وخطر ، وهو الدين ، يشجعهم على ذلك استبداد الكنيسة فى القرون الوسطى بكل شىء ، ولكن الاسلام لم يقرر سلطة روحية . فدين هذا شأنه لا يعقل أن يشاق العلم ولا يضيق حريته ، ولكن يجرى معه جنبا الى جنب ، ويرى فيه ما يعزز قواعده ، ويثبت أركانه ، مما سنرى أثره بعد .

فلما مضى عهد الخلفاء الراشدين وجاء بنو أمية ، اشتغلوا بلغتهم ودينهم ، وقرأ بعضهم شيئا من الطب ، واستقدم خالد ابن يزيد بن معاوية نفرا من مصر ترجموا له كتبا فى الكيمياء ، وانقضت دولتهم ولم يزيدوا على هذا شيئا .

قال صاعد بن أحمد الأندلسى : « ان العرب فى صدر الاسلام لم تعن بشىء من العلوم الا بلغتها ومعرفة أحكام شريعتها،حاشى صناعة الطب ، فانها كانت موجودة عند أفراد منهم غير منكورة عند جماهيرهم لحاجة الناس اليها .



إعداد : عبد الفتاح حسين الزيات

فهذه كانت حالة العرب فى الدولة الأموية .

مضت هذه الدولة ولم تحدث فيها خلافات دينية ، غير أن الجعد بن درهم بذر بذور المحنة الشديدة التى كان لها أثرها وضحاياها فى الدولة العباسية ، وهى القول بخلق القرآن ، وأظهر فى ذلك مقالته ، فهاج الناس وغضب الخليفة ، وأرسله الى أمير العراق وأمره بقتله ، فحبسه ولم يقتله ، فبلغ هشاما فشدد فى قتله ، فقتل . وكان ابن درهم يقول : ما كلم الله موسى ، ولا اتخذ ابراهيم خليلا .

وأخذ مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية اخذ ابن درهم فى القول بخلق القرآن ، ولكن تتابع الحوادث ، واستعار الحروب بين الأمويين والعباسيين ، وخوف العامة ، دفن هذه الفكرة مؤقتا حتى رفعت رأسها فى القرن الثالث كما سيجىء بعد .

نستعرض الآن حالة العلم فى عهد الدولة العباسية التى قامت على سواعد الفرس ، فنشط رجالهم لامداد الأدب العربى بحاجاته ، فترجموا له عيون الكتب المؤلفة بلسانهم ، واستخدم الخلفاء المترجمين عن اليونانية والعبرية والسريانية ، فترجم يحيى بن البطريق المجسطى فى الفلك ، وجورجيس بن جبريل كتبا فى الطب ، وكان المنصور مع تضلعه فى الفقه كلفا بالنظر فى علوم الأوائل . فلما جاء الرشيد كان للحرية العلمية فى عهده شأن عظيم ، فأطلق البرامكة للناس عقولهم وأقلامهم ، غير أن حرية العلم ونقل الكتب الى اللغة العربية لم يصلا الى غايتهما الا فى عهد المأمون .

كان المأمون قد نظر فيما ترجم من علوم المتقدمين ، وصادف ذلك هوى فى نفسه ، وملكت الفلسفة عليه كل حواسه ، فكان يذكرها قائما وقاعدا .

قال ابن أبى أصيبعة : حكى ابن عدي أن المأمون قال : « رأيت فيما يرى النائم كأن رجلا على كرسى جالسا فى المجلس الذى أجلس فيه ، فتعاظمته وتهاييته وسألت عنه ، فقيل : هو أرسطوطا ليس ، فقلت : أسأله عن شىء ، فسألته : ما الحسن ؟ فقال : ما استحسنته العقول . فقلت : ثم ماذا ؟ فقال : ما استحسنته الشريعة . فقلت : ثم ماذا ؟ فقال : ما استحسنه الجمهور . فقلت : ثم ماذا ؟ فقال : ثم لا ثم » .

وهذا يرينا الى أى حد تمكنت الفلسفة والعلوم من نفس المأمون . وكان يقدم أرسطو وفلسفته على من عداه ، وأعد دارا للحكمة حشد فيها من التراجمة والعلماء جمعا كبيرا . وأرسل الى حاكم صقلية فى أن يرسل اليه مكتبة صقلية الشهيرة ، ففعل كما أرسل الى ملك الروم يستأذنه فى أن يوفد اليه من يختار له من كتب اليونان وعلومهم ، فأجابه الى ذلك ، فأنفذ اليه جماعة من بينهم سالم وابن البطريق والحجاج ابن مطر ويوحنا بن ماسويه ، فاختاروا من كتب اليونان جمهرة عظيمة حملوها الى بيت الحكمة، ونقلوها الى العربية .

لم يكن أمر الترغيب فى النقل والترجمة قاصرا على دار الخلافة ، وانما جرى الناس فى هذا على مذهب مليكهم ، فكان كثير منهم ينفق

الآلاف من الدنانير فى الشهر على النقل الى العربية •

نشط الناس الى النظر والتفكير على الأسلوب المقتبس من تلك الكتب ، فنشأت لهم آراء ومذاهب خالفت ما عليه العامة ، وشجع على ظهورها اطلاق المأمون حرية العلم ، وفتح باب الجدال على مصراعيه ، فلم يتهيب الناس مما كانوا يتهيبون منه من قبل ، وأدلوا بما عندهم ولو كان ضد الخليفة نفسه ، وكان المأمون يقبل ذلك ولا ينكره ، ويرحب بالآراء وتضاربها حتى تظهر الحقيقة ناصعة •

وكان المأمون يشترك مع الباحثين (١) ، وقد يخالفونه فيرحب بهذا الخلاف ، لا يهمه شىء الا الوصول الى الحق • وكثيرا ما كانت مخالفة العلماء له مصحوبة بشىء لايليق، وكان يترامى اليه أشياء ، وكانت تحز فى نفسه كثيرا ، كما حصل من تفضيله عليا ، واتهامه بتنقص الخلفاء الراشدين ، فكان يألم من ذلك ويقول : « والله ما استحل أن أتنقص الحجاج فكيف السلف الطيب ؟ » •

قال يحيى بن أكثم : « لما دخل المأمون بغداد أمرنى أن أجمع له وجوه الفقهاء وأهل العلم من أهل بغداد ، فاخترت له من أعلامهم أربعين رجلا وأحضرتهم ، وجلس لهم المأمون فسأل عن مسائل وأفاض فى فنون الحديث والعلم فلما انقضى ذلك المجلس الذى جعلناه للنظر فى أمر الدين قال المأمون : يا أبا محمد قد شغل الناس أهواءهم •• » ولم يسترح لما جرى ولكن ذلك لم يفت فى عضده ، بل صبر على ذلك ، ورأى أن مداومة البحث والنظر قد تقوم المعوج وتصلح ما فسد من الأمور •

الى هذا الحد بلغ هوى المأمون فى حماية الحرية الفكرية والعلمية مما لم يكن له مثيل الا فى هذه العصور ، ولكنه لم يلبث أن أتى على جل ما بناه من صرح فخم لهذه الحرية ، فأصدر أمره ، وهو يحارب الروم ، الى نائبه ببغداد أن يستدعى علماء الدين بدون استثناء ويلقى عليهم هذا السؤال ، وهو من مباحث المعتزلة : القرآن مخلوق أم غير مخلوق ؟ وأمره أن يبطش بكل من يقول انه غير مخلوق • فصدع نائبه اسحق ابن ابراهيم بالأمر ، وضرب عددا لا يحصى من كبار العلماء •

فعجب المفكرون من هذا التناقض ، وزاد عجبهم أن يأمر بالتعذيب على القول بأمر ليس له أدنى علاقة باصلاح دين ولا دنيا ، فشاب بهذا العمل ما كان سيخلد له من الذكر فى اقامة صرح الحرية الفكرية والعقلية •

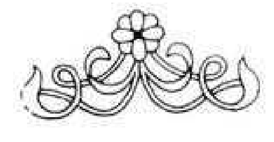
على أن هذه الحادثة لا يجوز أن تنسينا ما كان عليه المأمون من الخلال الكريمة ، وما خدم به العلم الكونى والفلسفة ، من ترجمة كتبها الى العربية ، الأمر الذى أثمر ثمراته فى الأجيال التالية لجيله ، وتولدت منه المدنية الاسلامية التى أصبحت مفخرة الانسانية الى اليوم •

---

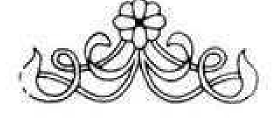
(١) هذه الجملة « وكان المأمون يشترك مع الباحثين » أوردناها لتوضيح المقام مجلة الازهر



القيمة البيانية للاستعارة



من أخلاق العظماء



شوقي: والجامعة الإسلامية

القيمة البيانية للاستعارة

ومعايير حسنها عند البلاغيين والنقاد؟

٢ ـ عدم إشمام رائحة التشبيه لفظاً :

أما المعيار الآخر الذي يرتكز عليه حسن الاستعارة ـ وهو متصل بالأول ومتشابك معه ـ فهو عدم إشمام رائحة التشبيه لفظاً ، وهذا المعيار مستنبط من كلام الإمام عبد القاهر كما ذكرت ، وذلك في أثناء حديثه عن زيادة حسن الاستعارة كلما ازداد التشبيه الذي بنيت عليه خفاء ، بمعنى انك لا تستطيع رد التركيب الاستعاري الذي وردت عليه إلى التشبيه بسهولة ، وقارن في هذا المجال بين استعارة العناب في قول ابن المعتز :

أثمرت أغصان راحته ... لجناة الحسن عنابا

وبين استعارته في قول الواواء :

فاسبلت لؤلؤا من نرجس وسقت ... ورداً وعضت على العناب بالبرد

وقد سبق كل ذلك .

وإنما قيد الإشمام هنا باللفظ ، لأن المعنى في الاستعارة على التشبيه قطعاً بواسطة القرينة ، ولفظ « رائحة » دقيق جداً في موضعه مع الإشمام ، لأنه يفيد أن الإشمام المقصود هنا هو ما لا يخرج به الكلام عن الاستعارة ، وأما إذا زاد الأمر في التشبيه عن حد إشمام رائحته انتقل الكلام من مرحلة الاستعارة إلى مرحلة التشبيه ، وبذلك يكون التشبيه المنافي للاستعارة هنا نوعين :

١ ـ نوعا ينافي حسنها ، وهو ما تشم رائحته كما في قول الشاعر :

لاتعجبوا من بلى غلالته
قد زر ازراره على القمر

فرائحة التشبيه هنا تشم من الضمير في « غلالته » و « أزراره » لكن لا يتحول بها التشبيه إلى استعارة ، لأنه لم يذكر المشبه على وجه ينبىء عن التشبيه .

ومن إشمام رائحة التشبيه قولك : أسد يرمي بالنشاب ، فإن قدر « أسد » خبر المبتدأ محذوف تقديره هو كان تشبيهاً ، وإن قدر مبتدأ وخبره طرف محذوف تقديره عندي مثلا كان استعارة يشم منها رائحة التشبيه لاحتمال تقدير التشبيه فيها .

٢ ـ نوعا ينافي الاستعارة نفسها ، والاحتراز عنه شرط لصحتها ، وهذا يشمل :

أ) ما إذا ذكر المشبه صراحة كما في قوله تعالى : « وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ

«مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ »[1] فقد بين المراد بالخيط الأبيض صراحة بلفظ « الفجر » .

ب) ما إذا ذكر المشبه ضمناً كما في هذه الآية نفسها ، لأن ذكر الفجر يوحي أن المراد بالخيط الأسود هو الليل ، وبذا يكون المشبه مذكوراً ضمناً .

جـ) ما إذا ذكر وجه الشبه كقولك : رأيت أسداً في الشجاعة ، أو ذكرت الأداة كقولك : زيد كالأسد .

وإنما اشترط هذا الشرط لحسن الاستعارة ، لأن إشمام رائحة التشبيه ينافي الغرض من الاستعارة ، إذ هي قائمة على دعوى دخول المشبه جنس المشبه به لتساويهما في وجه الشبه ادعاء ، او قل انها قائمة على تناسي التشبيه أصلا ، فينبغي الا يكون فيها ما يجعل رائحته مشمومة ، بل يأتي التركيب فيها وكأنه وارد على حقيقته ، ومن اجل هذا استحسنوا الاستعارة المرشحة ، لإشتمالها على ما يبعدها عن شبح التشبيه ، وجعلوا المطلقة تالية لها لعدم ورود ما يضعف التشبيه فيها ، وجعلوا الاستعارة المجردة أقل في الحسن من سابقتيها لورود مايجعل رائحة التشبيه فيها مشمومة بذكر ملائم المشبه ، وإن كان تقليل التجريد من حسن الاستعارة المجردة ليس مسلماً عند الجميع ، ولذلك يرى البعض أن الإشمام الذي يقلل الحسن هنا ليس على اطلاقه ، بل كأنه خص بذكر الوجه أو المشبه لا على وجه ينبىء عن التشبيه كما سبق[2] .

ومن أجل اعتبار هذا المعيار كأساس لحسن الاستعارة راى البلاغيون ان يكون الوجه جليا بنفسه او بواسطة عرف عام أو خاص .

اما جلاؤه بنفسه فلكونه مما يرى مثلا كما في تشبيه الثريا بعنقود الملاحية حين نورا ، ثم استعارة المشبه به للمشبه ، وأما جلاؤه بواسطة عرف عام فكما في تشبيه الرجل الشجاع بالأسد في الجراءة ، واما جلاؤه بواسطة اصطلاح خاص فكما في تشبيه نائب الفاعل بالفاعل في رفعه وعدم الاستغناء عنه ..

وتقييد هذا المعيار لحسن الاستعارة ـ وهو عدم إشمام رائحة التشبيه لفظاً ـ بجلاء الوجه حتى لا تصير الاستعارة الغازاً وتعمية قد وضع أساسه عبد القاهر أيضا كما وضع أساس هذا المعيار كما هو مفهوم مما سبق .

وتقييد هذا المعيار للحسن بهذا القيد راجع إلى أن عدم إشمام رائحة التشبيه لفظاً يجعل التشبيه خفياً ، فإذا ما انضم إليه خفاء آخر في وجه الشبه صارت الاستعارة الغازاً وتعمية .

ولا بأس هنا من ايراد بعض عبارات عبد القاهر التى أوردها في هذا المجال لتتضح الصورة بشكل أظهر ، يقول : ينبغى أن تعلم انه ليس كل شيء يجيء مشبهاً به بكاف أو باضافة مثل إليه يجوز أن تسلط عليه الاستعارة وينفذ حكمها فيه حتى تنقله عن صاحبه وتدعيه للمشبه على حد قولك ابديت نورا تريد علماً ، وسللت سيفاً صارماً ، تريد رايا نافذاً ، وإنما يجوز ذلك إذا كان الشبه بين الشيئين مما يقرب مأخذه ويسهل متناوله ، ويكون في الحال دليل عليه ، وفي العرف شاهد له حتى يمكن المخاطب إذا أطلقت الاسم أن يعرف الغرض ، ويعلم ما أردت » ، ثم أورد شواهد عدة لهذه التشبيهات التي لا يجوز أن تنتقل إلى مرحلة الاستعارة لعدم تقرر الشبه بين الشيئين ، من ذلك قول الرسول عليه

« ١ » البقرة ١٨٧

« ٢ » ينظر الأطول للعصام ١٦٥/٢ ومواهب الفتاح لابن يعقوب ٢٢٤/٤ « شروح التلخيص » .

الصلاة والسلام : الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة »[٣] وقوله أيضا : مثل المؤمن كمثل النخلة أو مثل الخامة ، فلا تستطيع أن تتعاطى الاستعارة في شيء منه فتقول : رأيت نخلة أو خامة على معنى رأيت مؤمناً ، إن رام مثل هذا كان كما قال صاحب الكتاب ، ملغزاً تاركاً لكلام الناس الذي يسبق إلى افئدتهم[٥] وكما في تشبيه زيد بالأسد في البحر لا في الشجاعة ، وقول النابغة :

فإنك كالليل الذي هو مدركي
وإن خلت أن المنتأي عنك واسع

ثم يؤكد هذه الحقيقة مرة أخرى وهو يفرق بين التشبيه المحذوف الوجه والأداة والاستعارة بقوله : « ومما يجب أن تجعله على ذكر منك أبداً وفيه البيان الشافي أن بين القسمين تبايناً شديداً ، أعني بين قولك : زيد أسد ، وقولك : رأيت أسداً ، وهو ما قدمته لك من أنك قد تجد الشيء يصلح في نحو « زيد أسد » حيث يذكر المشبه باسمه أولا ، ثم يجري اسم المشبه به عليه ، ولا يصلح في القسم الآخر الذي لا يذكر فيه المشبه أصلا وتطرحه ، ومن الأمثلة البينة في ذلك قول أبي تمام :

وكان المطل في بدء وعود
دخاناً للصنيعة وهي نـــار

قد شبه المطل بالدخان ، والصنيعة بالنار ، ولكنه صرح بذكر المشبه وأوقع المشبه به خبرا عنه ، وهو كلام مستقيم ، ولو سلكت به طريقة ما يسقط فيه ذكر المشبه فقلت مثلا : « اقبستني ناراً لها دخان » كان ساقطاً ، ولو قلت : « اقبستني نوراً أضاء أفقي به » تريد علما كان حسناً حسنه ، إذا قلت : « علمك نور أفقي » ، والسبب في ذلك أن اطراح ذكر المشبه والاقتصار على اسم المشبه به ، وتنزيله منزلته ، وإعطائه الخلافة على المقصود إنما يصح إذا تقرر الشبه بين المقصود وبين ما تستعير اسمه له وتستبينه في الدلالة ، وقد تقرر في العرف الشبه بين النور والعلم وظهر واشتهر كما تقرر الشبه بين المرأة والظبية ، وبينها وبين الشمس ، ولم يتقرر في العرف شبه بين الصنيعة والنار ، وإنما هو شيء يضعه الآن أبو تمام ويتمحله ويعمل في تصويره ، فلابد له من ذكر المشبه والمشبه به جميعاً ، حتى يعقل عندما يريده ، ويبين الغرض الذي يقصده ، وإلا كان بمنزلة من يريد إعلام السامع أن عنده رجلا هو مثل زيد في العلم مثلا فيقول له : عندي زيد ، ويوم أن يعقل من كلامه أنه أراد أن يقول : عندي رجل مثل زيد أو غيره من المعاني ، وذلك تكليف علم الغيب ، فاعرف هذا الأصل وتبينه »[٤]«[٥]

هذا وقد يقال : إن الالغاز كما يكون بالاستعارة لخفاء الوجه يكون بالتشبيه أيضا عند عدم ذكر الوجه ، فلو قيل مثلا : الناس كالإبل ، كان الغازاً بالتشبيه ، فلا يختص الألغاز بالاستعارة ، والمفهوم مما سبق أنه إن عدل في مثل هذا التشبيه عن الاستعارة إليه كان حسناً ولم يكن الغازاً حتى ولو لم يذكر الوجه ، لأنه مازال تشبيها وقوله أيضا لا استعارة على المشهور وبذلك لا يكون التشبيه الغازاً وضح الوجه أم خفي ما دام تشبيها مع أن الواقع بخلاف ذلك .

وهذا الاعتراض غير مسلم لأن هناك فرقاً بين التشبيه والاستعارة هنا : لأن المقصود في الاستعارة التوصل بالوجه إلى المراد ، ومتى خفي لم يتحقق

« ٣ » هذا الحديث ورد في صحيح مسلم بشرح النووي في باب « فضل أهل فارس » ولفظة : عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تجدون الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة ينظر ص ١٠١ / ١٦

« ٤ » الأسرار ٢١١/٢١٣ وينظر عروس الافراح للبهاء السبكي ٤/٢٢٦ ـ ٢٢٧ « شروح التلخيص » والبرهان في علوم القرآن للزركشي ٣/٤٣٥ .

« ٥ » الأسرار ٢٨٩ / ٢٩٠

المقصود ، وأما التشبيه فإن كان الغرض مجرد الإلحاق لم يضر الخفاء ، وإن كان الغرض الإلحاق بوجه خاص فلابد من البيان إن خفى كما فى الحديث الشريف الذى أخذت منه هذه الاستعارة الممثل بها ، فلذلك أشير إلى الوجه فى التشبيه بقوله صلى الله عليه وسلم « لا تجد فيها راحلة » فكون التشبيه إلغازاً عند عدم ذكر الوجه مع خفائه أمر عارض بخلاف المجاز[٦].

ومن الملاحظ أن هذا الحديث الذى ساقه الخطيب[٧] دليلاً على عدم إمكان الصيرورة إلى الاستعارة التمثيلية فيه بدلاً من التشبيه لخفاء الوجه ، فلا يقال : رأيت إبلامائة لا تجد فيها راحلة ، وقد تابع فيه عبد القاهر كما سبق ، قد يقال فيه : إن الخفاء راجع إلى عدم وجود القرينة المانعة لا لخفاء الوجه « إذ لوقيل » رأيت يوم الجمعة فى المسجد إبلامائة لا تجد فيها راحلة . تبين المراد ، لأن قوله مائة لا تجد فيها راحلة ، تبين الوجه ، فالأولى فى التمثيل أن يقال رأيت يوم الجمعة فى المسجد والإمام يخطب إبلامائة لا تجد فيها راحلة ، فإن هذه صورة التجوز مع خفاء الوجه ؛ إذ المفهوم أن الناس المرئيين فى المسجد كالإبل ، والمتبادر أنهم كالإبل فى البهيمية وقلة الفهم وكبر الأعضاء وطولها مثلاً ؛ إذ هو المتبادر ، وقد ينتقل إلى أنهم فى غاية الصبر ، لأن الإبل مشهورة بالصبر على ما تستعمل ، وأما عزة الكمال مع الكثرة فلا تفهم ، وإنما قلنا هكذا لأن كلامنا فيما تحقق فيه التجوز مع الخفاء »[٨] هكذا يرى ابن يعقوب المغربى .

والواقع أن ما رآه ابن يعقوب هنا ونقله عنه الدسوقى غير مسلم تماماً ، ذلك أن المجاز كما يتحقق بالقرينة اللفظية يتحقق أيضاً بالقرينة الحالية ، فلو قيل فى معرض مجموعة كبيرة من الناس ليس فيهم من يتصف بصفات طيبة ، رأيت إبلامائة لا تجد فيها راحلة تحقق المجاز ، وإن بقى الخفاء فيه ؛ لأن القرينة الحالية أضعف فى الدلالة القطعية على المراد من اللفظية ؛ إذ الأولى ليست مطلقة ، بل مقيدة بزمان ومكان معينين ، وبظروف ملابسات خاصة ، ولذلك لا يفهم المراد منها إلا من خلال ذلك كله . هذا أولاً .

وثانياً : أنه لو ذكر فى هذه الصورة التى أوردها ابن يعقوب القرينة اللفظية على النحو الذى أورده مع الإشارة إلى الوجه « لا تجد فيها راحلة » لم يبق هناك خفاء فى المراد بالمشبه ، ولا فى المراد بالوجه ، بدليل قوله فى العبارة السابقة « تبين المراد »؛ لأن قوله : مائة لا تجد فيها راحلة . تبين الوجه ، وهذا يتناقض مع ما أورده من احتمالات عديدة للوجه ؛ إذ أنه أصبح بهذه الصورة واضحاً ، لا يحتمل إلا الوجه الأخير الذى ذكره وهو عزة الكمال مع الكثرة ، وبذلك يبدو - من وجهة نظرى - التناقض فى عبارة ابن يعقوب السابقة ، ولعل الدسوقى قد أدرك ذلك حينما أسقط من عبارة ابن يعقوب السابقة جملة « لأن قوله : مائة لا تجد فيها راحلة . تبين الوجه » .

ومن الملاحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم أورد الحديث على صورة التشبيه المذكور فيه الطرفان مع الإيماء إلى الوجه ، وأى تعديل فى هذه الصورة لا يؤدى إلى المراد ، كما لو ذكر الطرفان فقط دون الإيماء إلى الوجه ، أو ذكر المشبه به فقط مع الإيماء إلى الوجه على سبيل الاستعارة كما استشهد عبد القاهر والخطيب ، فقيل : رأيت إبلامائة لا تجد فيها راحلة ، لضعف القرينة الحالية كما ذكرت ، ولذلك كان الفساد فى نقل الحديث إلى صورة

---

(٦) ينظر مواهب الفتاح لابن يعقوب ٢٢٦/٤

(٧) ينظر الإيضاح ٢٢٦/٤ ، شروح التلخيص ،

(٨) مواهب الفتاح لابن يعقوب ٢٢٦/٤ من الشروح وينظر حاشية الدسوقى على المختصر فى الموضوع نفسه .

الاستعارة مع بقاء القرينة حالية لا لفظية حتى يتأتى الخفاء .

والملاحظ أن حسن التشبيه دون الاستعارة فيما كان الوجه فيه خفياً كما سبق من أمثلة ، أساسه أن الاستعارة يمتنع فيها ذكر الوجه فلا يتضح المراد بخلاف التشبيه ، وتستوى الاستعارة مع التشبيه فى القبح إن كان الوجه خفياً ولم يذكر فى التشبيه المراد به الإلحاق فى صفة خاصة كما ذكر المغربى فيما سبق .

رأى لابن السبكى فى الإلغاز فى الاستعارة

نازع ابن السبكى فيما تواصى به البلاغيون هنا من جلاء الوجه فى الاستعارة حتى لا تكون إلغازاً ، فرأى أنه لا مانع من صيرورة الاستعارة إلغازاً لخفاء الوجه ، لأن الإلغاز من أنواع البديع المستحسنة ، وله مواقع لا يصلح فيها غيره ، وإن كان لا يصلح فى كل المواقع ، والمجاز بصفة عامة ربما يصير إلغازاً إذا ضعفت القرينة ، أما دون القرينة فلا استعارة ولا مجاز ، وما ذهب إليه البعض من أن الإلغاز وإن كان من مقاصد الأدباء إلا ان المقصود من الاستعارة خلافه ـ مردود : لأن الإلغاز تارة يكون بالحقيقة ، وتارة يكون بالاستعارة ، فالأولى أن يحمل ما رأوه من جلاء الوجه فى الاستعارة على إذا لم يقصد التعمية[9].

واعتبار الإلغاز من أنواع البديع المستحسنة ليس على إطلاقه ، بل هو محمول على إذا لم يؤد إلى التعقيد أو التعمية فى الكلام فيخل بفصاحته ، ولذلك رأينا الخطيب القزوينى ـ تبعاً للسكاكى ـ لم يذكره من أنواع البديع المستحسنة[10] هذا فضلاً عن ان الإلغاز لا يحسن إلا إذا استدعاه المقام فى الاستعارة ، وله اعتباراته الخاصة ، وليس هو الشائع فى الكلام ، أو الأساس العام فى الاستعارة حتى لا يشترط جلاء الوجه فيها مطلقاً كما يرى ابن السبكى .

ومما تجدر ملاحظته هنا أن اعتبار جلاء الوجه بنفسه فى الاستعارة هنا خاص بالتصريحية فقط ، لأن خفاء الوجه فى المكنية لا يؤثر للتصريح بالمشبه فيها ، وكذلك بعض لوازم المشبه به ، وبذلك لا يجعلها خفاء الوجه من الإلغاز المعيب .

خلاصة للعلاقة بين الاستعارة والتشبيه فى الحسن

يمكن القول فى النهاية إنه ليست هناك حدود فاصلة دقيقة وضعها القدماء أو المتأخرون للتشبيهات التى ينبغى أن تقف عند مرحلة التشبيه ، ولا تتجاوزها إلى الاستعارة ، والأخرى التى يسوغ فيها أن تصعد إلى مرحلة الاستعارة ، وغاية ما يمكن قوله فى هذا المقام : « إن الشبه إذا كان وصفاً معروفاً فى الشىء قد جرى العرف بأنه يشبه من أجله به ، وتعورف كونه أصلاً فيه يقاس عليه كالنور والحسن فى الشمس ، أو الاتشهاد والظهور وأنها لا تخفى فيها أيضاً ، وكالطيب فى المسك ، والحلاوة فى العسل ، والمرارة فى الصاب ، والشجاعة فى الأسد ، والفيضان فى البحر والغيث ، والمضاء والقطع والحدة فى السيف ، والنفاذ فى السنان ، وسرعة المرور فى السهم ، وسرعة الحركة فى شعلة النار ، وما شاكل ذلك من الأوصاف التى لكل وصف منها جنس هو أصل فيه ، ومقدم فى معانيه ، فاستعارة الاسم للشىء على معنى ذلك الشبه تجىء

(٩) ينظر عروس الافراح ٢٢٤/٤ ـ ٢٢٥ شروح التلخيص .

(١٠) ينظر دور العبارات للحموى ١٧٥ ـ ١٧٦

سهلة منقادة ، وتقع مألوفة معتادة ، وذلك أن هذه الأوصاف من هذه الأسماء قد تعورف كونها أصولاً فيها ، وأنها أخص ما توجد فيه بها ، فكل أحد يعلم أن أخص المنيرات بالنور الشمس ، فإذا أطلقت ودل الحال على التشبيه لم يخف المراد ، ولو أنك أردت من الشمس الاستدارة لم يجز أن تدل عليه بالاستعارة ، ولكن إن أردتها من الفلك جاز ، فإن قصدتها من الكرة كان أبين ، لأن الاستدارة من الكرة أشهر وصف فيها ، ومتى صلحت الاستعارة في شيء فالمبالغة فيه أصلح ، وطريقها أوضح ، ولسان الحال بها أفصح »(11).

أرسى الإمام عبد القاهر في عبارته السابقة ثلاثة أصول مهمة في هذا الموطن :

أولها : إمكان تحويل التشبيه إلى استعارة إن كان الوجه مشتهراً في المشبه به ، وكان الغرض إلحاق المشبه بالمشبه به في صفته المشهور بها ، والتي هي أخص خصائصه ويضرب به المثل فيها .

ثانيها : إذا كان الغرض الإلحاق في صفة خاصة ليست مما اشتهر به المشبه به لم يجز أن يتنقل التشبيه إلى مرحلة الاستعارة لخفاء الوجه .

ثالثها : إذا أمكن صيرورة التشبيه إلى استعارة للمبالغة في الإلحاق فالاستعارة أولى من التشبيه ، لأن المبالغة تتحقق فيها بصورة أكثر .

وإذا كان هناك بعض التشبيهات يمكن أن تصعد إلى مرحلة الاستعارة لظهور الوجه في المشبه به ، وبعضها الآخر لا يسوغ فيه ذلك لخفاء الوجه كما سبق ، فإن هناك نوعا من الاستعارة لا يستحسن أن نهبط به إلى مرحلة التشبيهه الذى بنيت عليه ، وذلك إذا كان هذا التشبيه مبتذلا بأن ارتبط أحد الطرفين بالآخر ارتباطا قويا جعلهما كالشيء الواحد كما إذا أستعير النور للعلم والإيمان ، والظلمة للكفر كما ذكرت أنفا ، فهذا النحو لتمكنه وقوة شبهه ومتانة سببه قد صار كأنه حقيقة ، ولا يحسن لذلك أن تقول في العلم كأنه نور ، وفي الجهل كأنه ظلمة ، ولا تكاد تقول للرجل من هذا الجنس كأنك أوقعتني في ظلمة ، بل تقول : أوقعتني في ظلمة .

وهذه ميزة أخرى تضاف إلى مزايا الاستعارة ، وهي الاحتراز عن تشبيه الشيء بنفسه كما يقول العصام[12] .

وقد ظهر مما تقدم أن بين حسن التشبيه وحسن الاستعارة من هذه الجهة عموما وخصوصا وجهيا ، يجتمعان فيما لاخفاء في وجهه ولا اتحاد ، ثم ينفرد حسن التشبيه فيما في وجهه خفاء ، وينفرد حسن الاستعارة عند شيوع التشبيه الذى بنيت عليه وذيوعه للتقارب الشديد بين الطرفين في الشبه .

أما لو نظرنا إلى مطلق التشبيه والاستعارة الحسنة فالتشبيه أعم محلا من الاستعارة ؛ لأنه يتأتى في كل ما تتأتى فيه الاستعارة الحسنة ، وهذا معنى قول الخطيب : « وبهذا ظهر أنهما أى التحقيقية والتمثيلية لا يجيئان في كل ما يجيء فيه التشبيه »(14) وأما مطلق تشبيه ومطلق استعارة فهما متصادقان .

هذا ومما يزيد في حسن الاستعارة الترشيح الواقع فيها بالنسبة للإطلاق والتجريد ، أو الاطلاق بالنسبة للتجريد إذا كان كل من الترشيح والاطلاق والتجريد واقعا موقعه المناسب في الكلام ، وهذا الاعتبار في الحسن قائم على معيار عدم اتمام رائحة التشبيه لفظا في الاستعارة كشرط من شروط الحسن كما سبق .

(11) الأسرار ٢١٧

• ١٢ • المرجع السابق ص ٢٨٩ .

(١٣) • ينظر الأطول ٢/١٦٦ .

(١٤)• الايضاح (شروح التلخيص) ٤/٢٢٧ .

القيمة البيانية للاستعارة

خلاصة لمعايير حسن الاستعارة

يمكن - استنباطا مما سبق عرضه - أن نوجز أهم معايير حسن الاستعارة فيما يأتى :

١ - رعاية جهات حسن التشبيه .

٢ - دقة النظم الواقعة فيه .

٣ - التقاء عدة استعارات فى تصوير الغرض المقصود .

٤ - عدم اشمام رائحة التشبيه فيها لفظا مع تقرر الشبه بين الطرفين .

امور اخرى تؤثر فى حسن الاستعارة

بالإضافة إلى المعايير السابقة فى حسن الاستعارة نورد بعض الأمور الأخرى التى تؤثر تأثيرا مباشراً فى حسنها أيضاً .. من ذلك :

١ - أن تفيد فائدة زائدة على ما تفيده الحقيقة من بيان أو ايجاز ، وبعبارة اخرى الا يغنى غيرها غناءها ، أو يسد مسدها ، ومن هذا المنطلق عاب الأمدى الاستعارة الواقعة فى بيت أبى تمام :

ساشكر فرجة اللبب الرخى
ولين اخادع الدهر الأبى[١٥]

بقوله : « اى حاجة دعته إلى الاخادع حتى يستعيرها للدهر .. إلى أن قال : « وإنما قبح الأخدع لما جاء به مستعارا للدهر ، ولو جاء فى غير هذا الموضع ، أو أتى به حقيقة ، ووضعه فى موضعه لما قبح »[١٦]

وقد ذكر الرمانى هذا الأصل أيضاً فى حسن الاستعارة عندما تحدث عن الغرض منها ، والذى يجعلها تفضل الحقيقة ، وهو الإبانة .

وكذلك أشار إليه أبو هلال العسكرى بقوله : « ولولا أن الاستعارة المصيبة تتضمن مالا تتضمنه الحقيقة من زيادة فائدة لكانت الحقيقة اولى منها استعمالا »[١٧] .

٢ - أن يقوم التصوير فيها على أساس سليم ، ولذلك قبحت الاستعارة فى قول بعض المولدين : أسفرى للعيون ياضرة الشمس . كأنه ظن أن الضرة لا تكون إلا قبيحة . هكذا أورد الحموى هذه العبارة وهذا التعليق ، ولما رجعت إليها فى العمدة لابن رشيق وجدتها هكذا « واسترذل (الرمانى) قول بعض المولدين : اسفرى لى النقاب ياضرة الشمس . بأن قال : أتراه ظن أن الضرة لا تكون إلا حسنة ، وإلا فأى حاجة لاختيار هذه الاستعارة »[١٨] .

فقبح الاستعارة إذاً يرجع إلى خطأ فى التصوير ، وهو أن الضرة للشمس لا تكون إلا حسنة ، بينما ذكر الحموى أن خطأ التصوير مبعثه ظنه أن الضرة لا تكون إلا قبيحة .

وسواء كان هذا أم ذاك فالاستعارة معيبة لخطأ فى التصور : حيث لا يلزم أن تكون ضرة الشمس حسنة أو قبيحة ، بل الأمر على الاحتمال ، وتصور أحدهما فقط دون الآخر غير متعين ، فإذا فهمت الضرة بمعنى المنافسة كانت حسنة ، وإن فهمت بمعنى المضادة للشمس كانت قبيحة .

٣ - الا يحيط بها لبس يوهم الحقيقة ، ومن هذا المنطلق « قال قوم منهم أبو محمد الحسن بن على بن وكيع : خير الاستعارة ما بعد وعلم من أول وهلة انه

---

(١٥)« شرح التبريزى للديوان ٣/ ٣٥٤ وقد سبق توضيح مفردات البيت .

(١٦) « ينظر النكت فى اعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل) ٨٥/ ٨٦ .

«(١٧)» كتاب الصناعتين ٢٧٤ .

«(١٨)» العمدة ١/ ٢٧٢ ودور العبارات للحموى ١٧٣ وما بعدها .

مستعار ، فلم يدخله لبس ، وعاب على أبى الطيب قوله :

وقد مدت الخيل العتاق عيونها
إلى وقت تبديل الركاب من النعل

إذا كانت الخيل لها عيون فى الحقيقة ، ورجح عليه قول أبى تمام :

ساس الأمور سياسة ابن تجارب
رقصة عين الملك وهو جنين

إذ كان الملك لا عين له فى الحقيقة[19] .

فالاستعارة فى البيت الأول فى العيون بقرينة الفعل « مدت » وهى موهمة للحقيقة : لأن للخيل عيونا حقيقية ، ولعل المراد تشبيه العيون فى لهفتها وتطلعها إلى هذا الوقت بالأعناق فى امتدادها نحو ما تحبه وتهواه ، ولما كان الملك ليس له عين فى البيت الثانى علم لأول وهلة أن العين مستعارة للرعاية والعناية منذ نشأته فى بطن أمه .

٤ ـ الاهتمام باختيار اللفظ فى الاستعارة ، وتحسين المعرض الذى تبرز فيه ، فهناك بعض الألفاظ تثير الهزء والسخرية فى الاستعارة أكثر مما تثير الإعجاب والاستحسان ، من ذلك قول امرىء القيس :

وهر تصيد قلوب الرجال
وافلت منها ابن عمر حجر[20]

ومن ذلك ايضا ما انشده الاخفش عن ثعلب يذم رجلا :

مازال مذموما على است الدهر
ذا حسد ينمى وعقل يجرى[21]

وقد كان عدم الدقة فى مراعاة هذا المعيار فى حسن الاستعارة سببا فى كثير مما عيب على أبى تمام من تشبيهات واستعارات ، ذلك أنه لم يبال فى كثير من مخاطبات الممدوح بتحسين ظاهر اللفظ ، واقتصر على صميم التشبيه ، واطلق اسم الجنس الخسيس كإطلاق الشريف النبيه كقوله :

وإذا ما أردت كنت رشاء
وإذا ما أردت كنت قليبا[22]

فصك ووجه الممدوح كما ترى بانه رشاء وقليب ، ولم يحتشم أن قال :

مازال يهذى بالمكارم والعلى
حتى ظننا انه محموم[23]

فجعله يهذى ، وجعل عليه الحمى ، وظن أنه إذا حصل له المبالغة فى اثبات المكارم له ، وجعلها مستبدة بأفكاره وخواطره حتى لا يصدر عنها غيرها فلا ضير ان يتلقاه بمثل هذا الخطاب الجاف والمدح المتناق[24] والمعنى جيد حسن ، والتعبير عنه بالاستعارة قبيح مستكره .

٥ ـ ملاءمتها لذوق العصر وأهله ، ولهذا تعاب الاستعارة إذا بنيت على التشبيه فى قول امرىء القيس :

وتعطو برخص غير شثن كأنه
أساريع ظبى أو مساريك اسحل[25]

فلا يسوغ أن تستعير الدود الصغير للبنان ؛ لأن طريق العرب القدماء فى كثير من الشعر قد خولفت إلى ما هو أليق بالوقت ، وأشكل بأهله

فالتشبيه هنا معيب لعدم ملاءمته لذوق العصر ، وكذلك الاستعارة التى تبنى عليه أو على مثله .

(١٩) ، المرجع السابق ١/ ٢٧٠ لابن رشيق .
(٢٠) ، ديوان امرىء القيس ١٠٩ دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٩٢/ ١٩٧٢ والهر هى ابنة سلامة بن علندا العامرية ، كان يشبب بها الشاعر أيام أن نفاه ابوه .
(٢١) ، تنظر الموازنة للآمدى ١/ ٢٧٤ .
(٢٢) ، الرشاء : حبل الدلو والقليب : البئر ، ينظر ديوان أبى تمام ١/ ١٧١ ط ٤ .
(٢٣) ، الديوان ٣/ ٢٩١ ط ٣ دار المعارف .
(٢٤) ، الأسرار ٢٢٠ .
(٢٥) ، ديوان امرىء القيس ٤٦ تعطو : تتناول ، برخص : اراد به بنانا رخصا لينا ، غير شثن : ليس بخشن ، أساريع : دود صغير ، ظبى : اسم رملة بعينها ، اسحل : شجر تتخذ من عروقه مساويك كالاراك .

٦ ـ بعدها عن الافراط فى المبالغة التى تجعلها ممقوتة « لأن للاستعارة حدا تصلح فيه ، فإذا تجاوزته فسدت وقبحت »[٢٦] .

ومن هذا المنطلق عاب الآمدى على أبى تمام قوله :

لم تسق بعد الهوى ماء على ظمأ
من ماء قافية يسقيكها فهم[٢٧]

حيث جعل للقافية ماء على الاستعارة ، وهذا ليس قبيحا فى حد ذاته ؛ لأنه قد يستعار الماء للرونق والبهاء والجمال ، كما نقول : هذا الثوب له ماء ، وهذا الشعر له ماء .. إلخ لكنه بالغ فجعل الماء مشروبا ، وهذه مبالغة ممقوتة ؛ إذ لا يجوز أن تقول : ما شربت ماء أعذب من ماء ثوب شربته عند فلان ، ورأيته على فلان ، وكذلك لا تقول : ما شربت ماء أعذب من ماء « قفانبك » أو أعذب من قصيدة كذا ؛ لأن للاستعارة حدا تصلح به فإذا تجاوزته فسدت وقبحت »

ومن هذا القبيل ايضاً قول المتنبى :

تجمعت فى فؤاده همم
ملء فؤاد الزمان احداها[٢٨]

« وربما كان هذا سببا للقبح وراء كل سبب ؛ لأن العبارة التى تصف الحسن وصفا دقيقا وصادقا تراها خالية من مثل هذه الأكدار ، وإذا نظرت فى مثل هذه الاستعارات الرديئة احسست أن العبارة فيها تنفصل عن الحس ، وأن الخيال ينهض وحده من غير أن يكون محمولا على قوة من الفكر وطاقة من الشعور »[٢٩] .

وبعد

فإذا ما اضفنا هذه الاعتبارات إلى معايير الحسن السابقة التى تحدثت عنها تفصيلاً وتلخيصاً اكتملت لدينا صورة أعتقد أنها أقرب إلى الاكتمال ـ لمعايير حسن الاستعارة ، ولا أدعى أننى أتيت على كل معايير حسن الاستعارة أو حددتها تحديداً دقيقاً ، لا يقبل زيادة أو نقصاً ، لأن هذه القضية قضية شعور ووجدان ، وذوق وإحساس بالدرجة الأولى ، وهى أمور تختلف من شخص لآخر ، كما أنها تقوم على اعتبارات عديدة من الصعب حصرها ، وليست مسائل البلاغة وقضاياها بصفة عامة ، ومعايير الحسن أو القبح فيها بصفة خاصة كمسائل الرياضيات أو الطبيعة التى لها حد مرسوم.

وما ذكرته من معايير واعتبارات فى هذا الحسن إنما كان محاولة لوضع هذه القضية فى إطار عام له معالم رئيسية تقبل المناقشة والمزيد من البحث ، وتتسع للكثير من الاعتبارات والتفاصيل تبعا لتطور العقول واختلاف الأذواق ، وتقدم الحضارات وتبدلها ، والرؤى الجديدة المرتكزة على شتى المعارف الإنسانية .

ويبقى ماقاله القاضى الجرجانى فى هذا المضار . وأكثر هذا الصنف من الباب الذى قدمت لك القول فيه ، وأقمت لك الشواهد عليه ، وأعلمتك أنه يميز بقبول النفس ونفورها ، وينتقد بسكون القلب ونبوه ، وربما تمكنت الحجج من إظهار بعضه ، واهتدت إلى الكشف عن صوابه وغلطه .. [٣٠]

وقول أبى هلال العسكرى : « ليس لحسن الاستعارة وسوئها مثال يعتمد ، وإنما يعتبر ذلك بما تقبله النفس أو ترده ، وتعلق به أو تنبو عنه » [٣١]

وقول العلوى بعد أن تعرض لبعض معايير حسن

(٢٦) « الموازنة ١ / ٢٧٦

(٢٧) « ديوان ابى تمام ٤٩٠ شرح التبريزى وتنظر الموازنة ١ / ٢٥٩

(٢٨) « شرح ديوان المتنبى لليازجى ٢ / ٤٩٩ دار صادر بيروت ١٣٨٤ / ١٩٦٤

(٢٩) التصوير اللبيانى ٣٣٧

(٣٠) « الوساطة ٤٢٩

(٣١) « كتاب الصناعتين ٣٠٩

الاستعارة : « فهذه الأمور إذاً تعرف بالذهن الصافي ويحكم فيها الذوق المعتدل »[٣٢]

اقول : تبقى اقوالهم هذه اصولاً مهمة في هذا الباب ، ومعالم على طريق البحث .

مراجـــع البحـــث

١ ـ الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ـ دار الفكر ـ بيروت

٢ ـ أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني تعليق محمد رشيد رضا ط ٣ دار المنار

٣ ـ الأطول للعصام . المطبعة العامرة ١٢٨٤

٤ ـ الاكسير في علم التفسير للطوفي . مكتبة الآداب بالقاهرة

٥ ـ الايضاح للخطيب القزويني ـ دار الجيل بيروت

٦ ـ البرهان في علوم القرآن للزركشي تحقيق الاستاذ أبي الفضل ابراهيم . مطبعة الحلبي .

٧ ـ التبيان في علمي المعاني والبيان للطيبي ـ مخطوط رقم ٢٦٨ بدار الكتب المصرية .

٨ ـ التصوير البياني . د . محمد أبو موسى . مكتبة وهبة ط ٢ ١٤٠٠ / ١٩٨٠

٩ ـ تقرير الانبابي على شرح سعد الدين التفتازاني وتجريد البناني ـ مطبعة السعادة بمصر ـ

١٠ ـ حاشية الدسوقي على المختصر .. « شروح التلخيص » مطبعة الحلبي بمصر

١١ ـ حاشية عبد الحكيم على المطول . طبع استانبول ـ تركيا ١٣٠٦

١٢ ـ الخصائص لابن جني . تحقيق الشيخ النجار . دار الهيئة للطباعة بيروت

١٣ ـ درر العبارات وغرر الاشارات في تحقيق معاني الاستعارات للحموي تحقيق عبد الحليم شادي

١٤ ـ دلائل الاعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني . تحقيق . محمد رشيد رضا . مطبعة المنار ١٣٩٨ / ١٩٧٨

١٥ ـ ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي .

١٦ ـ ديوان البحتري تحقيق حسن كامل الصيرفي ط ٢ دار المعارف .

١٧ ـ ديوان ابن المعتز شرح وتقديم ميشيل نعمان طبع الشركة اللبنانية للكتاب ١٩٦٩

١٨ ـ ديوان الفرزدق . دار صادر بيروت ١٣٨٥ ـ ١٩٦٦

١٩ ـ ديوان امرىء القيس . دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٩٢ / ١٩٧٢

٢٠ ـ سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي . مطبعة صبيح . تعليق عبد المتعال الصعيدي

٢١ ـ شرح ديوان المتنبي لليازجي

٢٢ ـ الطراز للعلوي . دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٠ / ١٩٨٠

٢٣ ـ عروس الأفراح للبهاء السبكي « شروح التلخيص »

٢٤ ـ العمدة لابن رشيق القيرواني . دار الجيل ـ بيروت

٢٥ ـ كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ـ مطبعة عيسى الحلبي

٢٦ ـ المثل السائر لابن الأثير . تعليق د . الحوفي ٤ . دار نهضة مصر

٢٧ ـ مختصر سعد الدين التفتازاني « شروح التلخيص »

٢٨ ـ المزهر للسيوطي . مطبعة صبيح

٢٩ ـ مفتاح العلوم للسكاكي . طبعة أولى . مصطفى الحلبي

٣٠ ـ الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي ـ دار المعارف ـ بمصر

٣١ ـ مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي « شروح التلخيص »

٣٢ ـ نظرية المعنى في النقد الأدبي . د . مصطفى ناصف

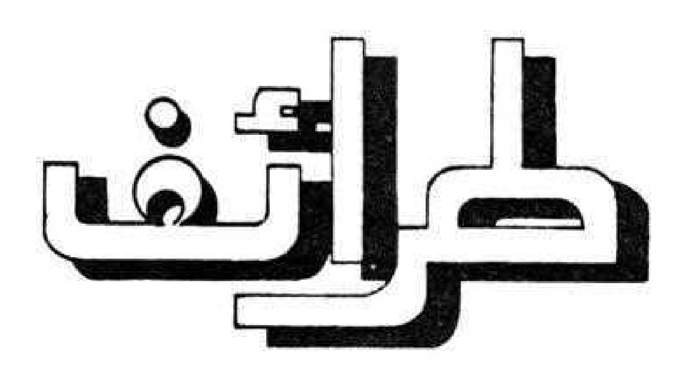
٣٣ ـ نقد الشعر لقدامة بن جعفر .

٣٤ ـ النكت في إعجاز القرآن للرماني « ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن ـ دار المعارف

٣٥ ـ الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي على بن عبد العزيز الجرجاني . مطبعة الحلبي تحقيق أبي الفضل ابراهيم وعلى البجاوي .

---

(٣٢) « الطراز ١ / ٢٤٣



علماء ثم زهاد ثم غزاة ثم ولاة امور ثم تجار

فالعلماء ورثة الانبياء.

والزهاد ملوك الارض

والغزاة انصار الله .

والأمراء رعاة الله على خلقه

والتجار امناء الله .

فإذا طمع العلماء في جمع المال فبمن يهتدى ؟

وإذا راءى الزهاد فبمن يقتدى ؟

وإذا غل الغزاة فبمن يكون الظفر ؟

وإذا خان التجار فبمن يؤتمن ؟

وإذا كان الرعاة كالذئاب فبمن تحاط الرعية ؟

« فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » .

الظلمات أربع وسراجها كذلك

الذنوب ظلمة وسراجها التوبة .

والقبر ظلمة وسراجه التوحيد .

والقيامة ظلمة وسراجها العمل الصالح

والصراط ظلمة وسراجه اليقين .

أعجبتني نفسي

جلس مقاتل بن سليمان يوما فاعجبته نفسه .

فقال : سلوني عما دون العرش .

فقال له رجل : أدم لما حج من حلق راسه ؟ .

وقال آخر : امعاء النملة في مقدمها او مؤخرها ؟ فلم يدر ما يقول .

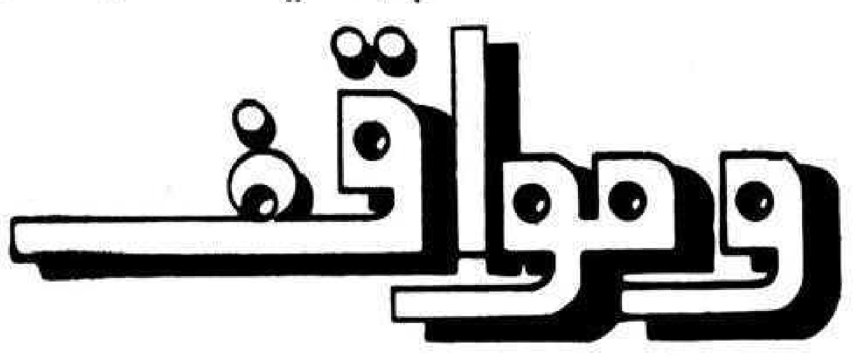
ثم قال : هذا ليس من علمكم ولكن اعجبتني نفسي فابتليت .

أسوأ الناس

قيل لبعض العلماء من اسوأ الناس حالا ؟

قال : من لم يثق باحد لسوء ظنه ، ومن لم يثق فيه أحد لسوء فعله .

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم



حلم وجود

جاءت امرأة إلى قيس بن سعد بن عبادة فقالت له : مشت جرذان بيتى على العفاء[1] فقال : سادعهم يثبون وثب الأسد ثم ارسل لها ما ملا بيتها من سائر الحبوب والأطعمة وكان حليما جواداً .

فى الصمت سبعة آلاف خير وقد جمعت فى سبع كلمات

اولها : انه عبادة من غير تعب .

ثانيها : زينة من غير حلى .

ثالثها : انه هيبة من غير سلطان .

رابعها : حصن من غير حائط .

خامسها : فيه غنى عن الاعتذار من فضول الكلام .

سادسها : إنه راحة للكرام الكاتبين .

سابعها : انَّ فيه سترا للعيوب الحاصلة من فضول الكلام التى يعرف بها الجاهل .

أسنان بنى آدم

يقال للمرء (صبى) إلى اثنتى عشرة سنة .

ثم (غلام) إلى اربع وعشرين سنة .

ثم (حدث) إلى ست وثلاثين سنة .

ثم (شاب) إلى ثمان واربعين سنة .

ثم (كهل) إلى ستين سنة .

ثم (شيخ) إلى ثمانين سنة .

ثم بعد ذلك هرم وخرف .

دعاء

اللهم الهمنى علما افقه به اوامرك ونواهيك .

وارزقنى فهما اعلم به كيف اناجيك ياارحم **الراحمين** .

---

(1) والعفاء : التراب ، ومرادها انه لم يبق فى بيتها شىء ياكله الفار فاستخدمت الجملة كناية .

من أخلاق العظماء

ليس ما نقدمه فى هذه الصفحات حديثا عن العظماء كالذى سطره (بلوطرخوس) عن أبطاله الوثنيين ، ولا هو — أيضا — حديث خيال محض عن رؤى أحلام . انما هو شىء من مجد هذا الاسلام ورجاله .. ثمرات الحكمة الخالصة التى أثمرت عن نبع الكتاب العزيز والسنة المطهرة .

ولقد عنى كتابنا القدماء من أمثال : أبى على القالى ، والجاحظ ، وابن عبد ربه وأمثالهم — بحصد آثار السلف الكريم حتى أمكن — بهذا الحصاد الطاهر — أن تجد الصراط المستقيم ميسورا لكل هدف فى أى شىء يطلبه العظيم من الناس — ان أراد حقا أن يكون — باذنه تعالى — مرموقا فى غير كبر عظيما فى غير أنف ، فارسا لا يتخلى عن واجب ، شهما لا ينوء بالمروءة .

وسمة العظمة ان أرادها حقا ليست الا فى حبه للانسان عن اخلاص ، وتجاوزه عن زلاته ، وحفظ سره وتقدير حرمته واستعلائه بأخيه حتى يكون أخلص من الود ، وأنقى من العفاف ، وليحرص — الى ذلك — على علم نافع وقدوة خلاقة ، أعنى قدوة تريك من أعمالها جلالا ، ومن فكرها سؤددا ، ومن اخلاصها طهارة .

وفى القمة من ذلك كله رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قيل لأبى عمرو بن العلاء : هل يحسن بالشيخ ان يتعلم ؟

قال : ان كان يحسن به أن يعيش فانه يحسن بالشيخ أن يتعلم ؟

قال : ان كان يحسن به أن يعيش فإنه يحسن به أن يتعلم » .

ولايزال الرجل عالما ما طلب العلم ، فان ظن أنه عالم فقد جهل .

ومن عجب أن العالم الحق أداه علمه الى « الحكمة » فهى فى قلبه ولسانه ، قد أوت به الى تواضع فى غير ضعة ، ونظافة فى غير عجب ، وسعة تغفر زلات الناس .

شتم رجل الشعبى فقال له :

ان كنت صادقا فغفر الله لى ، وان كنت كاذبا فغفر الله لك .

وحدث نفس الشىء لأبى ذر ، فقال لصاحبه :

يا هذا ، لا تغرق فى شتمنا ، ودع للصلح موضعا ، فانا لا نكافىء من عصى الله فينا بأكثر مما نطيع الله فيه .

والعظيم بحق ليس وراءه نسبه ولا أهله انه مشرق بنفسه لا بأبيه ولا جده ، فـ « من أسرع به عمله لم يبطىء به حسبه ، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » .

قالت عائشة — رضى الله عنها :

« كل كرم دونه لؤم فاللؤم أولى به ، وكل لؤم دونه كرم فالكرم أولى به » تريد :

للأستاذ السيد عبد الفتاح خضير

ان أولى الأمور بالانسان (خصال نفسه) ، فان كان كريما وآباؤه لئام لم يضره ذلك ، وان كان لئيما وآباؤه كرام لم ينفعه ذلك .

والمروءة من « العظمة » وهى عند عمر — رضى الله عنه — مروءتان :

ظاهرة ، وهى فى الرياش ، وباطنة ، وهى فى العفاف .

قيل لأبى هريرة :

ما المروءة ...؟ قال :

تقوى الله ، وتفقد الصنيعة .

فأما الأحنف بن قيس فيقول :

« لا مروة لكذوب ، ولا سؤدد لبخيل ، ولا ورع لسىء الخلق » .

وما قال أحد : إن الكذب والبخل وسوء الخلق يسلك فى عقد العظيم .

عندما سئل عبد الملك بن مروان : أكان مصعب ابن الزبير يشرب الطلاء (١) ؟ قال : لو علم مصعب أن الماء يفسد مروءته ما شربه .

والعظمة فى الاسلام تقتضى الحرص على الناس ابتغاء الخير لهم واستبقاء لمودتهم فلابد من زلات ينبغى أن تقابل بالتجاوز مع شىء من العقاب دون الاستكثار منه ، فان كثرة العتاب مدرجة الى القطيعة .

وينسب لعلى بن أبى طالب — رضى الله عنه — أنه قال :

« لا تقطع أخاك على ارتياب ، ولا تهجره دون استعتاب » .

وللهجر — فى الاسلام — حدود ، وانما يكون اذا بلغ السيل الزبى ، وأى الرجال المهذب ؟ ومعاتبة الأخ خير من فقده .

اذا ذهب العتاب فليس ود
ويبقى الود ما بقى العتاب

وفى ذلك بر كبير — فى الاسلام درجة أرفع منه هى فى برك أصدقاء والديك بعد وفاتهما ، وقد روى فى ذلك :

لا تقطع من كان يواصل أباك تطفىء بذلك نوره ، فان ودك ود أبيك والعفة من لوازم العظمة ، وفى الحديث الشريف عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم : « سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر » (٢) .

وكما تكون فى اللسان تكون بالكف عما فى أيدى الناس ، وللعرب فى هذا البال مجال فقد قالوا : اطلب تظفر .

من عجز عن زاده اتكل على زاد غيره .

من العجز نتجت الفاقة .

وأكمل ذلك كله الطهارة مع الرب — جل جلاله . قال عبد الله بن مسعود فى كتاب الله آيتان ما أصاب عبد ذنبا فقرأهما ثم استغفر الله الا غفر له ، « **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ** — الآية » ، « **وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا** » .

---

(١) يكنى به عن الخمر .

(٢) رواه الشيخان واحمد رضى الله عنهم .



ذو الرمة بين :

صيدح ومى

« في العقد الفريد » لابن عبد ربه الأندلسي جاءت النادرة الآتية :

طلب الى ذى الرمة أن ينشد « مروان بن محمد » مدحا وقد انحلت عمامته فقال : انى أجل أمير المؤمنين أن أخطب بشرفه مادحا بلوثة عمامتى .

فقال مروان : ما أملت أن أبقت انا منك مى ولا صيدح في كلامك امتاعا ، قال : بلى والله يا أمير المؤمنين ، ثم انشده :

فقلت لها : سيرى أمامك سيد
تفرع من مروان أو من محمد

فقال له : ما فعلت مى ؟ فقال :

طويت غدائرها ببرد بلى
ومحا التراب محاسن الخد

فالتفت الى العباس بن الوليد وقال له : أما ترى القوافي تنثال انثيالا ؟ يعطى بكل من سمى من آبائى الف دينار .

قال ذو الرمة : لو علمت ... لبلغت به عبد شمس .

وأنا أقول : أن هذه النادرة بعد تقويم ما جاء بها من أخبار تعطينا فكرة واضحة عن شعرة الشاعر بنوعين من المخلوقات :

الأولى : ناقته واسمها صيدح .

والأخرى حبيبته واسمها مية وفى الشعر « مى » أما أخبار تلك النادرة ففيها تجاوزات صارخة .

أولها أن ذا الرمة لم يمتد به أجله حتى يحضر خلافة مروان بن محمد بن مروان آخر خلفاء بنى أمية ، لأن ذا الرمة توفى سنة ١١٧هـ زمن هشام بن عبد الملك ومروان تولى الخلافة سنة ١٢٧ هـ .

وثانيها البيت الثانى الذى يفيد وفاة مى التى محا التراب محاسن خدها ، وليس من المستساغ أن يطلب من الشاعر أن ينشد ، لأنه ما جاء الى مجلس الأمير الا ليمدحه . وما أدرى ماذا جرى لذى الرمة حتى تنحل عمامته فى ذلك المجلس ؟ .

ولو نظرت الى قول ذى الرمة أن لو علمت لبلغت به عبد شمس » لوجدته تلفه القناعة من جميع نواحيه ، فكم عدد آباء مروان الى عبد شمس ؟ لو حذفت مروان وعبد شمس لكانوا خمسة ينال بذكرهم خمسة آلاف دينار فالأمير هو « ابن محمد بن مروان بن الحكم ابن أبى العاص بن أمية » بن عبد شمس ، ولو كان الشاعر غيرهابلغ به عدنان على الأقل .

ومما يدل على قناعته وتجافيه عن الطمع والنظر الى مافى أيدى الناس ما رواه الأصمعى عن عيسى بن عمر النحوى قال : قدمت من

للأستاذ السيد حسن فترون

سفر ، فدخل على ذو الرمة الشاعر فعرضت عليه لأعطيه شيئا ، فقال : أنا وأنت نأخذ ولا نعطى • ومع عفة نفسه وترفعه عن الدنايا واجماله فى الطلب نجده يفخر بأخذ جوائز الملوك ، والنقاد يجعلون ذلك من تقاليد العرب • قال ذو الرمة :

وما كان مالى من تراث ورثته
ولا دية كانت ولا كسب مأثم
ولكن عطاء الله من كل رحلة
الى كل محجوب السرادق خضرم

« وخضرم » كثير المال • وقد كانت أغلب رحلاته الى الأمراء حكام الولايات ولاسيما والى « البصرة » بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى » فقد أكثر من مدحه والرحلة اليه والتنويه بشأنه ، ولم يدخل ذو الرمة فى الحزبية التى كانت فى عصره،فلم تره متشعيا لا لبنى أمية ولا لبنى هاشم ولم يذهب مذهب الخوارج ولا أهل المقالات ولولا حاجته الى المال لم يمدح أحدا ولاكتفى بالتغنى بالحب وحرقة النوى وتباريح الهوى ، فهو صادق الحب لا يقول الغزل تكلفا أو ليسترعى أسماع رواة الشعر ونقده ، يشبه جميل بثينة الا أن جميلا لم يمدح ولم يذهب بشعره لغير بثينة ، وقد يشبه كثير عزة فى أنه يمدح ويعشق وان كان كثيرا عند النقاد لم يتيمه الحب ولم يحس بلوعة النوى ، ولكنه شاعر قادر على نظم الروائع من شعر الحب والهوى وتصوير الأحاسيس ، والحقبة التى حوت ذا الرمةامتازت بشعراء العشق والغرام وأفردوا للشعر الغزلى القصائد والدواوين ، ولن تجد عصرا جمع من شعراء الحب العفيف ما جمع العصر الأموى ، فلك أن تعد « مجنون ليلى » « وقيس بن ذريح » « وتوبة بن الحمير » وظهر الشعر العذرى بعفافه وشفافيته وصدقه وحسن أدائه ، وذو الرمة يعد من هؤلاء الذين أحبوا وعفوا وليس المجال هنا يتسع لأتناوله وأتناول الغزل الصريح الذى عاصره ورفع لواءه عمر بن أبى ربيعة القرشى والأحوص بن محمد الأنصارى ، وانما هى اشارة الى عصر ذى الرمة •

ومن عجيب أخبار ذى الرمة أنه اذا رحل الى ممدوح اتخذ ناقته صيدح وسيلة انتقال ورفيق رحلة أما اذا رحل الى مى ليراها ويجالسها استعان بغيرها فكأنه يضن على نفسه بجمع الحبيبين فى مكان واحد ولنذكر لذلك أمثلة أو شواهد وقبل ذلك نذكر نسبه وموطنه لتسهل علينا معرفة رحلاته •

ذو الرمة :

هو أبو الحارث غيلان بن عقبة ينتهى نسبه الى عدى بن عبد مناة بن أدبن طانجة بن الياس ابن مضر فيقال • غيلان بن عقبة العدوى ، « وعدى وثور وعكل وتميم » قبائل من مضر سمو « الرباب » لأنهم تحالفوا فوضعوا

أيديهم فى جفنة فيها رب ، والشعر فى العصر الأموى برز فيه بنو تميم بالفرزدق وجرير والبعيث وغيرهم فقد استقر الشعر فى تميم بعد أن تنقل من ربيعة الى قيس وأقرب القبائل لتميم عدى قبيلة ذى الرمة فهو من بيئة شعر موروث وتقطن قبيلته (بادية اليمامة المتاخمة للدهناء » (١) نشأ فى تلك البادية فشرب طابعها وشب انسانا عاطفيا مفطورا على الطهر والنقاء ، وجد الناس فى عصره لاينكرون على الشعراء تكسبهم بالشعر فسار على نهجهم ولقب بذى الرمة لأنه استسقى امرأة ماء — وكانت على كتفه رمة (قطعة من حبل) فقالت : اشرب يا ذا الرمة فلقب به وكاد الناس ينسون اسمه ، وقيل غير ذلك .

واليمامة وباديتها والدهناء أقرب الأماكن الى البصرة ، ومن ثم كان انتجاعه الدائم نحوها ، وأغلب الظن أنه كان يذهب اليها ويطيل المقام بها ، ثم يرجع بما يقيم أوده ويقضي مطالبه ، ولذلك تجدنى معه ومع بلال والى البصرة ، أحضر المجلس وأسمع الانشاد .

يقول المبرد فى الكامل : ومن أحسن ما امتدح به ذو الرمة بلالا قوله :

تقول عجوز مدرجى متروحا
على بيتها من عند أهلى وغاديا
أذو زوجة بالمصر أم ذو خصومة
أراك لها بالبصرة العام ثاويا ؟
فقلت لها : « لا » ان أهلى لجيرة
لأكثبة الدهنا جميعا وماليا
وما كنت مذ أبصرتنى فى خصومة
أراجع فيها يا ابنة الخير قاضيا
ولكنى أقبلت من جانبى قسا
أزور فتى نجدا كريما يمانيا
من آل أبى موسى ترى القوم حوله
كأنهم الكروان أبصرن بازيا
مرمين من ليث عليه مهابة
تفادى أسود الغاب منه تفاديا
وما الخرق منه يرهبون ولا الخنى
عليهم ولكن هيبة هى ماهيا

وأنا لا أحب شعر المدح ، ولكنى اخترت هذه الأبيات لأرد على الأصمعى ونقاد عصره الذين حطوا من قدره ، لأنه لا يحسن المدح والهجاء والفخر ، فهذه الأبيات التى اختارها المبرد وسايرته فى اختيارها تدل على ضعفه فى المدح ، كلا ، ففى هذا الشعر فن جميل ، فيه قصص وحوار يبين منه مقام الشاعر فى المصر « البصرة » وأسباب مقامه ، ورده الى تلك العجوز بأنه ليس فى خصومة وليس له زوج انما جاء لزيارة فتى كريم منسوب الى اليمن ، وله صفات تميزه عن غيره فهو حفيد الصحابى أبى موسى الأشعرى وهو صاحب مروءة وذو هيبة ، وله أخلاق كريمة .

والشاعر يعطيك موطن الشاعر ، ومقر الحكم ، فأهل البادية يذهبون الى الحضر

---

١ — نراها فى الكتب ممدودة الا ان المبرد يصر على انها مقصورة تكتب دون همزة « الدهنا » .

لأمرين اما لاتخاذ زوجة واما للذهاب الى الحكمة ، والبصرة مدينة عظيمة منذ أنشئت على عهد عمر رضى الله عنه فصارت مقر حكم وموطن علم ونور ومثابة لكل شاعر يريد الشهرة أو الدفاع عن قبيلته ، وفى الشعر قضايا أدبية يطول شرحها ، ولم تذكر صيدح فى ذلك المجال لأن الأمر والحوار كانا فى البصرة ولا حاجة اليها ، ولكنه حين رجع اليه بعد مشقة وسفر قال له :

سمعت « الناس ينتجعون غيثا »
فقلت لصيدح انتجعى بلالا
تناخى عند خير فتى يمان
اذا النكباء ناوحت الشمالا

فلما سمع قوله : « فقلت لصيدح انتجعى بلالا » قال : ياغلام مر لها بقت ونوى • أراد أن ذا الرمة لا يحسن المدح ، ويخيل الى أن ذلك الموقف هو السبب فى وصم الشاعر بالضعف فى المدح •

وقد دافع عن ذى الرمة أديبان كبيران لهما بصر بالأدب والشعر وأحدهما يجيد نظم الشعر وهما ابن عبد ربه فى كتابه « العقد الفريد » والمبرد فى كتابه « الكامل » •

يقول ابن عبد ربه : هذا من التعنت الذى لا انصاف معه ، لأن قوله انتجعى بلالا انما أراد نفسه ومثله فى كتاب الله تعالى :

« وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ••• » (٨٢ سورة يوسف) وانما أراد أهل القرية وأهل العير ، وكان عمر بن الخطاب يرتجز :

اليك يغدو قلقا وضينها
مخالفا دين النصارى دينها

فجعل الدين للناقة ، وانما أراد صاحب الناقة • ورد ابن عبد ربه ينبع من نظرة بلاغية تتصل بالايجاز ومنه الحذف ، وهو يعطى الكلام قوة وجمالا •

ونظر المبرد الى الصياغة وتأليف العبارة حسب المعانى فقال : قوله « سمعت الناس ينتجعون غيثا » حكاية والمعنى اذا حقق انما هو سمعت هذه اللفظة أى قائلا يقول : « الناس ينتجعون غيثا » ومثل هذا قوله :

وجدنا فى كتاب بنى تميم
أحق الخيل بالركض المعار « (٢)

فمعناه وجدنا هذه اللفظة مكتوبة ، فقوله أحق الخيل ابتداء والمعار خبره ، وكذلك الناس ابتداء وينتجعون خبره (جملة فعلية) ومثل هذا فى الكلام (النثر) قرأت « الحمد لله رب العالمين » انما حكيت قرأت ، وكذلك قرأت على خاتمه الله أكبر — يافتى — (٣) فهذا لا يجوز سواء •

وابن عبد ربه والمبرد أنصفا الشاعر ووضعا شعره فى معرض البلاغة الجميل ، نظر الأول الى الايجاز وجماله فى العربية ونظر المبرد الى الاستعمال الفنى وأثره فى النفوس والعقول • ونحن لانشك فى أن الممدوح ما خفى عليه جمال الشعر ، ولكنه آثر دعابة عنت له يداعب بها شاعره •

---

٢ — المعار : النشيط والكثير الحركه .

٣ — تعبير من لوازم المبرد حين يرتاح لما يقول .

مع مى •

ومى من أسرة عريقة فى تميم ، وجدها قيس ابن عاصم قدم على النبى ﷺ فى وفد بنى تميم فقال له : أنت سيد أهل الوبر » •

فهى : « مية بنت مقاتل بن طلبة بن قيس ابن عاصم المنقرى » ذات حسب ونسب وجمال اشتهر بحبها ذو الرمة وبها عد من عشاق العرب ، ولا أستطيع أن أصل الى دخيلة نفسها والوصول الى ما يكنه قلبها نحو ذى الرمة ، فلقد هجاها مرة حين صدت عنه فقال :

على جه مى مسحة من ملاحة
وتحت الثياب العار او كان باديا

ولولا أن النقاد وكتاب السير عنوا بتسجيل هذا الشعر لنفيته عن ذى الرمة ، لأنه يحبها ويخلص لها ولا يقدر على السلو عنها • وقد دار حول هذا البيت قصص نعف عن ذكره •

ولنذهب معه فى رحلاته اليها ، والرواية لصديق له يسمى عصمة الفزارى ، وحين قصها كان فى سن متقدمة ولكنه يعى ما يقول ولا ينسى ما حدث ونوجز حديثه على النحو التالى :

طلب ذو الرمة الى صديقه أن يحضر له ناقة للرحلة ، لأنه لا يستطيع أن يستخدم صيدح ، لأن ميه منقرية وبنو منقر أخبث حى أقفى للأثر ، فقال له : عندى الجؤذر ، قال : على بها يريد ناقة تشبه الجؤذر (ابن البقرة الوحشية) ركبا وذهبا الى ديار بنى منقر ، فاذا القوم خلوف (غائبون) والنساء فى الرحال فعرفن ذا الرمة ، فأسرعن الى مى ، ولكن القادمين بلغا مى معهن ، وجلس الجميع يتحدثون ، وقالت الفتيات أنشدنا ياذا الرمة فقال أنشدهن ياعصمة ، فأنشدهن ، وكانت احداهن تعلق على كل بيت من الشعر الى أن أنشد :

اذا راجعتك القول مية أو بدا
لك الوجه منها أو نضا الثوب سالبه
فيالك من خد أسيل ومنطق
رخيم ومن خلق تعلل جاد به

فقال المعاقة الظريفة : أما هذه فقد راجعتك وقد بدا لك الوجه منها فمن لك بأن ينضو الدرع سالبه ؟ فقالت لها مية : قاتلك الله ما أنكر ما تجيبين به •

يقول عصمة : لقد تركناهما معا ، فجلست فى بيت أراهما منه فما رأيته برح من مقعده ولا تعدته ، فسمعتها قالت له : كذبت والله ، ولا أدرى ما قال لها •

رجع من عندها ذو الرمة بهدايا • قال عصمة فكنا نختلف اليها حتى انقضى الربيع ودعا الناس المصيف ، فأتانى فقال : هيا عصمة ، رحلت ولم يبق الا الآثار والرسوم من الديار وأنشدنى :

ألا يا اسلمى يا دار مى على البلى
ولا زال منهلا بجرعائك (٤) القطر

---

٤ ـ الجرعاء : الارض السهلة .

وهذه القصيدة من عيون الشعر العربي ، ومما يحفظه الأدباء منها قوله :

لها بشر مثل الحرير ومنطق
رخيم الحواشى لاهراء ولانزر
وعينان قال الله كونا فكانتا
فعولان بالألباب ما تفعل الخمر

ومما يصور حال العرب فى التفاؤل والتشاؤم قوله منها :

رأيت غرابا ساقطا فوق قضبة
من القضب لم ينبت لها ورق نضر
فقلت غراب لاغتراب وقضبة
لقضب النوى هذى العيافة والزجر

العيافة ضرب من الفراسة والتكهن بها يستدلون على معرفة الأحياء والأشياء ، والزجر اثارة الطير . فان طار الى جهة اليمين تيمن صاحبه وان طار الى اليسار تشاءم . وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الطيرة وعن عادات الجاهلية . عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاعدوى ولاطيرة ويعجبنى الفأل » . قالوا : وما الفال قال « كلمة طيبة » متفق عليه . ولكن ذا الرمة ولهته مى فنسى أن يكون على طريق الاسلام . ولنا أن نقول ان للشعراء تقاليد يتبعونها فى الأداء الفنى ، يعبرون به عن لواعج الشوق وجوى النوى بذم الزمان أو التطير بالحيوان

وقد يتشاءمون من انسان . والغراب الذى يذمونه ويخافونه ويتطيرون منه له جميله على بنى آدم . هداهم الى دفن الموتى كما ذكر القرآن الكريم . وأداء الشعراء لا يضعهم تحت الفسوق أو الكفر . وان كنا لا نستسيغه فى بعض الأحيان ، وقد أنصفه شعراء العصر الحديث فمحمود حسن اسماعيل نظم فيه قصيدة عصماء عنوانها « راهب النخيل » .

وتمضى الحياة بمى وذى الرمة ، ويطول فراقهما . فأحدهما فوق الأرض وثانيهما تحتها ويجد الناس متاعا فى الذكرى ، وينطلق أناس الى مواطن الهوى واللقاء . ويحلو السمر بانشاء ما قيل من شعر وما قص فيه من قصص وقد يرحل مشوق الى تلك الأقاصيص فيذهب الى صاحب الأمر أو صاحبته .

حدث هذا مع مى . فقد ارتحل اليها أبو المؤمل الخزاعى ثم رجع يقص علينا هذا القصص :

ارتحلت الى الدهناء فسألت عن « مى » صاحبة ذى الرمة . فدفعت الى خيمة فيها عجوز هيفاء فسلمت عليها وقلت : أين منزل مى ؟ فقالت ها أنا مى . فقلت : عجبا من ذى الرمة وكثرة قوله فيك . قالت : لا تعجب . فانى سأقوم بعذره . ثم قالت : فلانة . فخرجت من الخيمة جارية ناهدة عليها برقع . فقالت لها : أسفرى . فلما أسفرت تحيرت لما رأيت من حسنها وجمالها . فقالت : عاقنى ذو الرمة وأنا فى سن هذه ، وكل جديد الى بلى . قلت عذرته والله . واستنشدتها من شعره فأنشدتنى .

كانت حياته قصيرة فقد ولد سنة ٦٩٦ م وتوفى سنة ٧٣٥ م . ولما حضرته الوفاة قال : أنا ابن نصف الهرم ، أنا ابن أربعين سنة ، وأنشد :

يا قابض الروح عن نفسى اذا حضرت
وغافر الذنب أخرجنى من النار

ومعنى هذا أن عمر الهرم عنده ثمانون سنة، فلو عاش حتى يكون هرما لترك لنا شعرا جميلا وعملا نبيلا ، ولكن ما تركه وجد متلقين يحفظونه ويدرسونه ، ويوازنون بينه وبين غيره من شعر الشعراء .

جاء فى أخبار أبى نواس أنه كان منصرفا من بعض المواخير فاجتاز بمقبرة ، وجرى بخاطره بيت شعر لذى الرمة وهو ماش فرفع صوته به كأنه يغنى :

بطيرنا بأذكرم ما مررت به
الا تعجبت ممن يشرب الماء

يقول أبو نواس فأجابنى مجيب من المقبرة أسمع صوته ولا أرى شخصه .

وفى جهنم ماء ماتجرعه
خلق فأبقى له فى الجوف أمعاء

فارتاع أبو نواس وعاد الى منزل صديق له **الحمام ولبس ملابس جديدة وقضى** ليلته فى الصلاة ثم أصبح صائما .

وأنا لا يهمنى من تلك الرواية الا عناية أبىنواس بشعر ذى الرمة ونذكره فى وحدته وأبو نواس خير من يتذوق الحرف ويجس الكلمة .

لكنى أنا لم يعجبنى موقف ذى الرمة من صيدح ، وكنت أرجو منه أن يبادلها حبا بحب وبرا ببر ، فماذا كان منه ؟ فى رحلة منه الى ممدوحه المفضل بلال والى البصرة وقد تحدثنا عنه فى صدر المقال قال يخاطبها :

اذا ابن أبى موسى بلالا بلغته
فقام بفأس بين وصليك جازر

وما من شك فى أنه أخطأ المجازاة فكان من حقها عليه أن يكرمها لأنها بلغته الممدوح ، وقد اتبع فى هذا الشماخ فقد مدح عرابة الأوسى فقال لناقته :

اذا بلغتنى وحملت رحلى
عرابة فاشرقى بدم الوتين

ولو أنه عرف قصة الانصارية المأسورة بمكة ، وكانت نجت على ناقة رسل الله فلما وصلتا اليه قالت يارسول الله : انى نذرت ان نجوت عليها أن أنحرها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لبئس ما جزيتها . لو عرف القصة لتغير مقاله ، ولكن أبا نواس اهتدى الى المعنى المقبول فقال فى الخليفة محمد الأمين :

واذا المطى بنا بلغن محمدا
فظهورهن على الرجال حرام

وبذلك حظى بثناء النقاد عليه . قال بعضهم هذا المعنى والله الذى كانت العرب تحوم حوله فتخطئه ولا تصيبه حتى كشفه أبو نواس . ومعناه ليس فى حاجة الى أن يرحل الى غيره بعد أن يبلغه .

عروبة ذى الرمة :

حين عقل ذو الرمة كانت الأمة الاسلامية فى أروع أيامها انتصارا وسلوكا واتساعا فى البلاد والعباد ولكن الحزبية فى سبيل السلطة كانت قوية تكاد تعوق الانتصار والانتشار ، وأول عصبية ظهرت بعد خمود العصبية على يد الرسول وخلفائه كانت القيسية واليمنية فى موقعة مرج راهط » حيث كان القيسيون من مضر يناصرون عبد الله بن الزبير وهم جيش كبير ، وكان اليمانيون فى جيش مروان ابن الحكم الأموى وبالحزبية انتصر مروان

وانهزم القيسيون فعاش من عاش منهم فى حزن كبير .. واستغل الأميون هذه العصبية لتمكين خلافتهم ، ولكن الأمر زاد عن حده ، فانقسم العرب قسمين : عدنانية وقحطانية ، والعدنانية الى ربعية ومضرية ، ثم المضرية الى قيسية وتميمية .. وفى أيام ذى الرمة تعصب الأمويون لمضر بعد عصيان بنى المهلب عليهم بخراسان ، وقسوة خالد بن عبد الله القسرى على المضريين فى ولايته .

وكان ذو الرمة يجتمع مع شعراء عصره ومع الكميت المتشيع لبنى هاشم والمتعصب لمضر ضد اليمانيين ومع ذلك نجد ذا الرمة على مستوى العروبة بوجه عام لا يتشيع كما قلنا سابقا ولا يتعصب لمضر بل يمدح بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى ، وبلال رأس فى اليمانية ، ولكنه يحب العرب ويراهم هداة ذى الرمة مما ذكره الرواة . قال ذو الرمة : رأيت عبدا أسود لبنى أسد قدم علينا من شق اليمامة . وكان وحشيا لطول تغربه فى الابل.. فلما رآنى سكن الى . ثم قال لى : ياغيلان (اسم ذى الرمة) لعن الله بلادا ليس فيها عربى ، وقاتل الله الشاعر حيث يقول :

« وحر الثرى مستغرب التراب » وما رأيت هذه العرب فى جميع الناس الا مقدار القرحة فى جلد الفرس ، ولولا أن الله رق عليهم فجعلهم فى حشاه لطمست هذه العجمان آثارهم . والله ما أمر الله نبيه بقتلهم الا لضنه بهم ، ولا ترك قبول الجزية الا تنزيها لهم .

فذو الرمة يضن بالعرب عن أعدائهم بأخذه برأى العبد الأسود ، والحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها .

أبى الشيخ محمد أبو العيون "بقية"

من صفوف المجاهدين المخلصين ، ومصلحا سلكته جهوده الاصلاحية التامة فى الخالدين » .

ولقد سافرت بعد وفاته بحكم عملى بالسلك الدبلوماسى، وطوفت الآفاق شرقا وغربا ، وما من بلد حللت فيه الا وكان للشيخ أبى العيون فيه ذكر عاطر ... عملت سفيرا فى النيجر واذا بالشيخ أبى العيون يفتح أمامى قلوب أهل النيجر الذين أقبلوا على مهللين مرحبين ... أغلقوا سفارة اسرائيل فى بلادهم قبل حرب رمضان بسنة وافتتحوا سفارة لبلادهم فى القاهرة .

فى « سرى لانكا » حدث نفس الشىء مع الجالية الاسلامية التى ساعدنى أفرادها بكل قواهم فى شراء بيت الزعيم المصرى « عرابى باشا » الذى عاش هناك فى المنفى ، وبفضلهم أمكننى تحويله الى متحف قومى لمصر ولأحمد عرابى الذى ولد أبى ابان ثورته .

وفى المالديف اكتشفت ان رئيس الجمهورية « مامون عبد القيوم » كان من تلامذة الشيخ أبى العيون ، وحضرت معه احتفال الأزهر بالذكرى الألفية لانشائه ، وهناك قابلت أصدقاء أبى وتلامذته ومحبيه ، وأحسست أن أبى لم يمت وأنه مازال يعيش الى جانبى ويشد من أزرى فى خضم الحياة .





٢

وكانت لشاعرنا - أحمد شوقى - بالسلطان (عبد الحميد) صلة تقدير ، وإجلال ، إذ كان يراه - على حد تعبير نجله - (ضحية تشهير الأجانب ؛ لأنه كان حجر عثرة لمطامعهم فى تركيا) ويقول : إنه وَجَدَهُ (عكس ما كان يشاع عنه .. رأى عاهلا حييًا متواضعا مثقفا للغاية ...)(١) :

غير انه لم يؤثره بكثير من مدائحه نشدانا لجاه او مال ، بل ابتغاء مرضاة الله ، وأملا فى لم شمل المسلمين :

فلولاك مُلْكُ المسلمين مُضَيَّعٌ
ولولاك شَمْلُ المسلمين شتاتُ
زهدتُ الذى فى راحتيك وشاقنى
جوائزُ عند (الله) مبتغياتُ(٢)

فهو إذن يمدحه حبا فى (الله) ، ورغبة فى الإصلاح .

فالخليفة يدعو إلى الجامعة الإسلامية ، ووحدة الأمة من ابرز اهدافها .

١ - وها هو ذا (شوقى) فى اشادته به يشير - متأثرا بدعوة الجامعة الإسلامية إلى وحدة المسلمين فبالخليفة ينتظم جمعهم ، ويلتئم شملهم ، وهو السلم بينهم والوئام ، وغداً يخيب الظن فى استسلامهم لغفلة السكر عن النهوض بالواجب ، فلهم يقظة الحق ، وصدو المهلهل والخليفة من حماة شرق تكاتل معه بما يليق به من ولاء ، ومن ضل عن الحق ، أو كان غادرا ، أو به غل ، أو حقد فمالنا ولهؤلاء ، لقد الفت عيونهم الظلام ، فبهرهم نور اليقين فأعماهم . ثم يلتفت إليهم : أما لكم فى أن تعودوا ، فتلك ساحة الإسلام ، وأنتم ملتقى سهام الغرب ؟ فإلام التفرق والنوم ؟ وما لكم بُدٌّ من قوة التكتل ، ووثبة الحق ؟ أتطلبون المعالى ، وأنتم نيام ؟ يقول فى قصيدته (ضيف أمير المؤمنين) :

رضى المسلمون والإسلام
فرع عثمان دم فداك الدوام
امة (الترك) و (العراق) وأهلو
هُ و (لبنان) والربى والخيام
عالم لم يكن لينظم لولا
انك السلم وسطه والوئام

---

(١) ابى (شوقى) : ٢٤ .

(٢) الشوقيات : ١/ ٩١ - ٩٢ .

للدكتور محمد سلامه صالح

أيقولون سكرة لن تجلى
وقعود مع الهوى وقيام
ليذوقن (للمهلل) صحوا
تشرف الكأس عنده والمدام
وضع الشرق فى يديك يديه
وأتت من حماته الأقسام
بالولاء الذى تريد الأيادى
والولاء الذى يريد المقام
غير عاد أو خائن أو حسود
برئت من أولئك الأحلام
كيف تُهتذى لما تشيد عيون
فى الثرى ملؤها حصى ورغام
مقل عانت الظلام طويلا
فعماها فى أن يزول الظلام
قد تعيش النفوس فى الضيم حتى
لترى الضيم أنها لا تضام
أيها النافرون عودوا إلينا
ولجوا الباب إنه الإسلام
غرض أنتم وفى الدهر سهم
يوم لا تدفع السهام السهام
نِمْتُمْ ثم تطلبون المعالى
والمعالى على النيام حرام(٣)

٢ ـ فإذا كان عام ١٩٠٥ ، وقد سلم الخليفة من قذيفة كادت تودى به خف الشاعر مهنئا ، أليس الخليفة أمير المؤمنين ، وفى حياته حياة للدين والأمة ؟! إذن ففى نجاته لهما نجاة ! (فالكعبة) ، و (عرفات) والمساجد تكاد تسعى شاكرة ربها ، هاتفة ، خاشعة ، مستغفرة ! وكيف لا ؟! فللمسلمين ملك لولاك ؟ وهل من يجمع شملهم عداك ؟!

فتلك أمة نجت بنجاتك ، وذاك دين امتد بحياتك ، فصين جلاله ، وحُفِظَتْ قوته ، وعم الأمان ربوعه ، يقول تحت عنوان (نجاة) :

هنيئا أمير المؤمنين فإنما
نجاتك للدين الحنيف نجاةُ
هنيئا (لطه) والكتاب وأمة
بقاؤك ابقاء لها وحياة

يكاد يسير (البيت) شكرا لربه
إليك ويسعى هاتفا (عرفات)
وتستوهب الصفح المساجد خشعا
وتبسط راح التوبة الجمعات

فلولاك مُلْكُ المسلمين مضيَّع
ولولاك شملُ المسلمين شتاتُ

نجت امه لما نجوت ودُوركت
بلاد وطالت للسرير حياة
وصين جلالُ الملك وامتدَّ عزّه
ودام عليه الحسنُ والحسنات
وأمَّنَ فى شرق البلاد وغربها
يتامى على أقواتهم وعفاة

←

---

(٣) نشرتها الأهرام فى ١١ أغسطس ١٩٨٣ ، ونشرت بالشوقيات القديمة ، وبالطبعة الثانية وبالديوان ١/٥٣٦ ، ٥٤٠ .

سلامي عن هذا المقام مقصر
عليك سلام (الله) والبركات[٤]

٣ ـ ومن أبرز أهداف الجامعة الإسلامية ضرورة تدعيم قواعد الحكم على أسس الشورى تطبيقا لمبادىء الإسلام ، لكن السلطان (عبد الحميد) كمَّم أنفاس الدستور ، وأخذ يعبث في الحكم وفق هواه ، منذ عام ١٨٧٧ ، وإذا رجال الفكر ، والإصلاح ما بين مقيم أخذ بمحكم الرقابة ، أو مشرد لاذ بالهجرة إلى أن استبدت بالأحرار نوازع الحرية ، فخفت جيوشهم بقيادة (أنور) و (نيازى) زاحفة إلى السلطان المستبد مزمجرة بغضبة الحق لانتزاع الدستور ، وما أن علم السلطان بذلك حتى استجاب ـ مأخوذا بالثورة العسكرية ـ فأعلن الدستور : (الذى كان من أعز رغباته) في الرابع والعشرين من يوليو سنة ١٩٠٨[٥] :

فعمت البشرى مختلف بلدان الأمة الإسلامية ، وانطلقت الأقلام معربة عن مظاهر البهجة في نفوس أبنائها نقرأ في وصف ذلك للأستاذ (أنيس الخورى المقدسى) قوله : (وباعلان الدستور سرت في نفوس العثمانيين عموما وأبناء العربية خصوصا نشوة حبور لم يعهد لها مثيل ، فعقدوا الحفلات الباهرة في (الوطن) ، وفي (المهجر) وانبرى خطباؤهم ، وشعراؤهم يشيدون بحسنات الانقلاب ، وأعمال القائمين به ولا نبالغ إذا قلنا : إنه ما من حدث حرك الأقلام العربية كهذا الحدث العظيم . فقولنا قول من شهد بعينه تلك الحال ، وعرف باختياره شعور الناس ، وشاركهم في غبطتهم العامة ، وآمالهم الواسعة)[٦] : و (مصر) المستقلة سياسيا عن (تركيا) عدا صلتها الروحية بالخلافة الإسلامية لم تكن أدنى من غيرها اعرابا عن مشاعرها ، فقد نهضت تقاسم الأمة بهجتها ، إذ كانت تنشد حكما نيابيا ، فأنست بالدستور العثمانى ، واطمأنت إليه ، ومضت تفصح عن رغبتها تلك يقول الأستاذ (أحمد لطفى السيد) مخاطبا الجماهير في عام ١٩٠٨ م

(أيها السادة : نحن على ذلك نستقبل هذا الدستور بالفرح الذى يستقبله به جميع اخواننا العثمانيين ، لأنه بشرى للدستور في (مصر) فإن من شأنه أن يشحذ عزائمنا ، ويقوى أصواتنا في طلب الدستور ، من شأنه أن يجعل الذين ينكرون علينا القول بسلطة الأمة ، لا يجدون عن الاتفاق معنا في الرأى محيصا . ذلك كل ما يسبب فرحتنا بالدستور العثمانى ، وما هو بالشىء القليل)[٧]

(٤) الشوقيات ١/٨٨ ـ ٩٣ ـ والديوان ١/٤٣٢ ـ ٤٣٧ .
(٥) راجع (كمال اتاتورك : ٥٨ ـ ٦٠ ، وانظر يقظة العرب : ١٠٧ .
(٦) الاتجاهات الادبية في العالم العربى الحديث ٤٤ ـ ٤٥ ، والعوامل الفعالة في الأدب العربى الحديث .
(٧) صفحات مطوية من تاريخ الحركة الاستقلالية في (مصر) : ٣٦

وهاهو ذا (شوقى) يستجيب لأهداف الجامعة الإسلامية بتدعيم الحكم الشورى ، فيعبر فى قصيدته المسماة بـ « الدستور العثمانى » مهللا يزف البشرى للجميع ، شاكرا للخليفة جليل نعماه بتثبيت شورى (الله) مكبرا فيه استجابته لمطالب الجيش ، دون اراقة دم ، وفى التفاتته إلى الأمة مهنئا فى نهاية قصيدته ما تفوته الاشادة ببطلى الدستور (أنور) و (نيازى) ملمعا بحاجة (مصر) إلى حكم دستورى :

بشرى البرية قاصيها ودانيها
حاط الخلافة بالدستور حاميها

أسدى إليا (أمير المؤمنين) يداً
جلّت كما جلّ فى الاملاك مُسديها

بيضاء ما شابها للأبرياء دم
ولا تكدر بالآثام صافيها

وإنما هى شورى (الله) جاء بها
كتابه الحقُّ يُعليها ويُغليها

حقنت عند مناداة الجيوش بها
دم البرية ارضاءً لباريها

ولو منعت أريقت للعباد دماً
وطاح من مهج الأجناد غاليها

اما ترى المُلك فى عرس وفى فرح
بدولة الرأى والشورى وأهليها

ياشعب (عثمان) تركٍ ومن عربٍ
حياك من يبعث الموتى ويحييها

صبرت للحقِّ حين النفسُ جازعة
و (الله) بالصبر عند الحقِّ موصيها

نلت الذى لم ينله بالقنا أحد
فاهتف (لأنورها) وأحمد (نيازيها)

ما بين آمالها اللاتى ظفرت بها
وبين (مصر) معان أنت تدريها[8]

٤ - وما تساور السلطان هواتف الحكم الفردى ، فيتآمر من جديد على الدستور حتى تنحسر عنه ايدى الثوار ، وقد اسلموه إلى غياهب النفى فى (سالونيك) ومن هناك سمع اطلاق المدافع معلنة خلعه فى السابع والعشرين من شهر أبريل سنة ١٩٠٩ م ، وتنصيب أخيه الأمير (رشاد) الذى سُمِّى بالسلطان (محمد الخامس) »[9] .

فما موقف (شوقى) حينئذ ، وقد بات السلطان مخلوعا ؟

لقد تعاطف معه فى أول الأمر ، ورثى لنهايته ، وأسىَ لقصره ، ونسائه ولم ينس منزلته كعاهل كبير ، فاستغفر (الله) له ، وصانه عن الشماتة ، والنيل منه ، ففى قصيدته (الانقلاب العثمانى ، وسقوط « السلطان عبد الحميد ») .

نصغى إلى قوله :

خطب الإمام على النظيم يعز شرحا والنثير
شيخ الملوك وإن تضعضع فى الفؤاد وفى الضمير
نستغفر المولى له
و « الله » يعفو عن كثير
ونراه عند مُصابه
اولى ببباك أو عذير
ونصونه ونجله
بين الشماتة والنكير[10]

(٨) الشوقيات : ٣٥٨/١ - ٣٦٢ ، وديوان (شوقى) ٤١٢/١ - ٤١٦ .
(٩) - راجع (كمال اتاتورك) : ٦٢ - ٦٣ ، وانظر يقظة العرب : ١١١ - ١١٢ .
(١٠) الشوقيات ١٢٨/١ ، وديوان (شوقى) : ٣٤٣/١ .

مما حدا (يولى الدين يكن) إلى معارضته لقصيدة على نفس البحر والروى منها قوله : لما اديل عن السرير بكاه عباد السرير(١١).

فما سر هذا التعاطف من (شوقى) ، وما سبب هذا اللين ؟

إنه لم ينس فضل (عبد الحميد) ، وولاءه له ، ولم ينس أن المصريين كانوا يتعاطفون مع السلطان المخلوع ، لأنهم لم يذوقوا من حكمه ما ذاقه اعوانهم فى الأقطار الأخرى ، ولأنهم كانوا محتلين ، وطالما أشادوا بالخليفة ، فليس من السهل أن يتحولوا فجأة فيحطوا من شأنه أمام المحتلين ، ومهما يكن من شأن (عبد الحميد) ، فهو أقرب إلى قلوبهم ودينهم من هؤلاء الأجانب .

هذه اعتبارات ثانوية على كل حال بالنسبة (لشوقى) ، أما الاعتبار الأساسى ، فهو إيمانه بأهمية الخلافة للمسلمين ، وإعلاء شأن الدستور ، واقامة نظام الشورى ، ويتضح هذا من موقفه مع السلطان (عبد الحميد) حين ينتهى إلى الحديث عن الدستور ، فإن نبرته تتغير معه إلى نبرة أخرى ، هى إلى التقريع له أقرب منها إلى الاشفاق عليه .

ويجب أن نذكر أولا ما قاله فى السلطان (عبد الحميد) فى قصيدته التى هَنَّأهُ فيها بالدستور ، إنه يقول له :

ومن يسس دُولةً قد سستها زمناً
تهنْ عليه من الدنيا عواديها

اتى ثلاثون حولا لم تذقْ سنةً
ولا استخفك للذات داعيها(١٢)

مُسَهَّد الجفن مكدود الفؤاد بما
يُضْنِى القلوب شجىُّ النفس عانيها

فالسلطان (عبد الحميد) يحكم ثلاثين عاما لا يستبد به هوى شخصى ، وإنما يضحى براحته فى سبيل شعبه ، ولا يذوق النوم سهرا على راحته لكن (شوقى) يلتفت هنا إلى السلطان بعد خلعه بلوم لا يخلو من مرارة ، فيقول ، سُدْت فترة حكمك ، وليست بالقصيرة ، مستبدا برأيك ، متحكما فى الكبير والصغير من رعيتك ، وفى مهام شئون خلافتك ، فما أصغيت لمشير ، وفى وزرائك ، وبين رجال حكمك من جاوز العد ، ممن وترت ظهورهم خضوعا لك .

لقد صبروا على استبداد حكمك ثلاثين عاما ، فما بالك حين نزلت على ارادتهم باعلان الشورى ضقت بها ذرعا ، ولم تمض بعد شهور ؟ آآذتك شوراهم ، فعطفتك شهوة استبداد (المنصور) أو حفيده (هارون) وذا زمن مضى أمره فقد اشتد منهم الحرص على انتزاع حق سليب ، واستبدلت بك نوازع الحق المطلق ومالك من حَق ، والحق معهم !! فليتك استجبت لهم خفيا بالدستور ، مبتهجا به ، فهو للعاقل الرشيد من الملوك حلية ، ولن يعوزه منهم حسن تدبير الأمور عصمة ، وهو ما أقيم مصدر خير وبركة للممالك والملوك .

---

(١١) المعلوم والمجهول (لولى الدين يكن) : ٥/٢ (م المعارف سنة ١٩٦١ م) ، وانظر موازنة وتحليل بين (شوقى) و (ولى الدين يكن) ـ سقوط (عبد الحميد) للدكتور (محمد رجب البيومى) ـ الرسالة ١٠ ديسمبر سنة ١٩٥١ ، وانظر أيضاً ـ فى الأدب الحديث : ٢ : ١٤٩ ، وانظر كذلك (شوقى) شعره الإسلامى ١٧٢

(١٢) الشوقيات ٣٥٩/١ ، وديوان (شوقى) : ٤١٣/١ ـ ٤١٤ .

لتلك المعانى نصغى من قصيدته (الانقلاب العثمانى) إلى قوله :

(عبد الحميد) حساب مثلك فى يد الملك الغفور
سُدتَ الثلاثين الطوا
لَ وَلَسْن بالحكم القصير
تنهى وتأمر مابدا
لك فى الكبير وفى الصغير
لا تستشير وفى الحمى
عدد الكواكب من مُشير
كم سبحوا لك فى الروا
ح والُهوك لدى البكور
ورايتهم لك سجدا
كسجود (موسى) فى الحضور
خفضوا الرءوس ووتروا
بالذل أقواس الظهور

صبروا لدولتك السنيـ
ـنَ وما صبرت سوى شهور
أوذيت من دستورهم
وحننت للحكم العسير
وغضبت (كالمنصور) أو
(هارون) فى خالى العصور
ضنوا بضائع حقهم
وضننت بالدنيا الغرور
هلا احتفظت به احتفا
ظ مرحب فرح قرير
هو حلية الملك الرشيد وعصمة الملك الغرير
وبه يبارك فى المما
لك والملوك على الدهور

الا يبدو لنا الآن أن (شوقى) يعود فيشفى من السلطان ، ويذكر أن لثلاثين عاما التى حكمها كانت استبدادا بالأمة ، واستئثارا بالحكم . واهدارا للشورى وظلما صبر عليه الشعب بينما هو لم يصبر على الدستور بضعة شهور ؟!!

فبماذا نفسر هذا التناقض ؟ كيف يصبح (عبد الحميد) المضحى براحته وهواه فى سبيل راحة شعبه وسعادته أنانيا مستبدا مهدرا لعقول الأفذاذ من المستشارين ، ولكرامة هذا الشعب وحريته ؟!!

إن هذا الموقف الذى يبدو متناقضا يؤكد ما قلناه من قبل : من أن (شوقى) إنما كان يدين بالمبادىء قبل كل شىء لا بالأشخاص ، فحين كان يمدح (عبد الحميد) ، ويشيد بحكمه ، إنما كان يتغاضى عن أخطائه فى سبيل ابقائه على نظام الخلافة ، والدستور ، فلما تنكر (عبد الحميد) للدستور وخلع ، وجه إليه (شوقى) هذا العتاب المتشفى المرير .

ولعل موقف الشاعر فى نفس القصيدة يوضح ما ذهبت إليه ، فهو ينتهى من اطراء حركة الجيش لينسل فى ذكاء إلى (الخليفة الجديد) فيستقبله محييا عاقدا عليه آمال المسلمين فى بعث الدستور فيقول :
المؤمنون (بمصر) يهدون السلام إلى الأمير
ويبايعونك يا(محمدُ) فى الضمائر والصدور

قد أملوا لهلالهم
حظ الأهلة فى المسير

فابلغ به أوج الكما
ل بقوة (الله) النصير

بشرى الإمام (محمد)
بخلافة (الله) القدير

بشرى الخلافة بالإما
م العادل النُزه الجدير

الباعث الدستور في الا
اسلام من حفر القبول[14]

يقول (شكيب ارسلان) :

(إن (شوقي) وإن كان أودع خطابه للسلطان (عبد الحميد) ما أودعه من اللوم في القالب الجميل لم ينس ولاءه للخليفة السابق الذي طالما تغنى بمدائحه ، فأشار بوجوب توقيره ، وحفظ كرامته ، وتذكر امامته ، والاغضاء عن سيئاته ، متروكا حسابه إلى (الله) الذي سيفصل فيه ومازال (شوقي) - يوصي بالسلطان (عبد الحميد) في شخصه إلى الآخر ، ولكن (شوقي) لم يكن يهمه السلطان (عبد الحميد) لأجل شخصية ، بل لأجل منصب الخلافة الذي كان يتقلده ، وهو منصب تهوى إليه افئدة جميع المسلمين . وهذا المنصب لا يزول بزوال (عبد الحميد) بل قد شغله الآن أخوه السلطان (محمد رشاد) الذي بويع سلطانا وخليفة باسم (محمد الخامس) .

فالشاعر الإسلامي الأمين عملا بمبدئه الذي لا يحيد عنه يودع السلف ويحيّي الخلف ، لأن الخلافة يجب أن تبقى ...)[15] .

والخلافة رمز للأمة ، وملتقى يجمعها ، ومن عاش للأمة ، وأخلص لها ، فهو مناط اعجاب الشاعر وتقديره ، خليفة أو غير خليفة ، ومن الترك أو العرب فقد عرف (شوقي) بميله للأتراك ، وتعصبه لهم ، وما كان ذلك منه إلا حبا في الدين ، وحرصا على تماسك الأمة ، فإن بدا منهم جنوح إلى نعرة التعصب التركي ، ولمس الشاعر فيهم ذلك تغيرت أوتار قيثارته ووقفنا منه على لحن جديد .

٥ - كان (شوقي) عربيا مسلما قبل كل شيء ، مهما يكن من ولائه للأتراك وخلفائهم ، فإذا وضع موضع الاختبار والاختيار وقف إلى جانب العرب والإسلام .

حين تبين للعرب بعد بهجتهم بالدستور العثماني ، واندماجهم مع الاتحاديين انهم يَدْعون إلى قوميتهم التركية - شرعوا بدورهم في إنشاء جمعيات عربية دفاعا عنهم ، وتعزيزا لشأنهم[16] .

وكان لبعض شعراء العرب ، وأدبائهم مواقف خالدة في مواجهة هذه النزعة التركية ، كموقف الشاعر السوري (عبد الحميد الرافعي) الذي بدا له من الاتحاديين نزوع إلى التعصب التركي ، حتى تنكروا لأسماء كبار العرب والصحابة ، وهموا بتنقيح اللغة التركية من الكلمات العربية وعندئذ - انبرى (عبد الحميد الرافعي) بالثورة على الاتحاديين ، بنظم عدة قصائد منها قوله :

ما تصلح الدنيا ولا ناسُها
ما لم يل الأقوام أجناسها
هبوا بني العُرب إلامَ الكرى
وقد وهي الآمال دُهاسُها
طلبتم الاصلاح من عصبةٍ
توتر بالإفساد أقواسها[17]

وحين أقيم للأستاذ (الرافعي) حفل تكريم في (طرابلس الشام) تحت رياسة (رئيس الجمهورية

---

١٤ - الشوقيات : ١/١٣٦ - ١٤١ ، وديوان (شوقي) : ١/٣٤١ - ٣٤٧ .
١٥ - (شوقي) أو صداقة اربعين سنة : ٢٩٠ - ٢٩١ .
١٦ - راجع الثورة العربية الكبرى : ١/٦ - ١٢ و ١٤ - ٥٠ ، وانظر الاتجاهات الأدبية : ١٣٣ وما بعدها ، والعوامل الفعالة في الأدب العربي الحديث : ٥٩ .
١٧ - راجع ما نشر في (المقتبس) عن الحركات العربية المنظمة ، وأثرها الأدبي في نوفمبر سنة ١٩٣٨ م ، وانظر الاتجاهات الأدبية : ١١٧ - ١٢٧ .

اللبنانية) شارك (شوقى) فيه بقصيدة أيد فيها موقفه العربى المخلص ، وأشاد بمجد الأمة العربية ، وأعلامها الأبطال .

وفى هذا ما يدل على أن حب (شوقى) للعرب ، والمسلمين كان فى المقام الأول قبل حبه للأتراك يقول (شوقى) فى « تكريم عبد الحميد الرافعى » :

أعرنى النجم أوهب لى يراعا
يزيد الرافعيين ارتفاعا
بنو الشرق الكرام الوارثوه
خلال البر والشرف البقاعا
فلم تر (مصر) أصدق من (أمين)
ولا أوفى إذا رِيعَتْ دفاعا
فتى لم يعط مِقوده زمانا
شرى الأحرار بالدنيا وباعا
كأنك بالقبائل فى عكاظ
تجاذبت المنابر والتلاعا(١٨)
بنت ملكا من الفصحى وشادت
بوحدتها الحياة والاجتماعا
فعادت أمة عجبا وكانت
رعاة الشاء والبدو الشعاعا
كسا جنباتك الماضى جلالا
وراق عليه ميسمه وراعا
وما من « أمس » للأقوام بد
وإن ظنوا عن الماضى انقطاعا
ألم تسقى الجهاد وتطعميه
وتحمى ظهره حقبا تباعا
شراعك فى الفنيقيين جلَّى
وذكرك فى الصليبيين شاعا
كأنى بالسفن غدت وراحت
حيالك تحمل العلم المطاعا
(صلاح الدين) يرسلها رياحا
وآونة يصفقها قلاعا
أليس البحر كان لنا غديرا
وكانت فلكنا البجع الرتاعا
غمرنا بالحضارة ساحليه
فما عيّا بحائطها اضطلاعا(١٩)
توارثناه أبلج عبقريا
ذلول المتن منبسطا وساعا
ترى حافاته انفجرت عيونا
ورقّت من جوانبه ضياعا(٢٠)

وقد وضح مما سلفت دراسته أن نزعة (شوقى) فى مؤازرة حركة الجامعة الإسلامية كانت استجابة لأهداف دينية ترمى إلى وحدة الأمة واستقلالها ، وتؤكد لها حياة نيابية على أساس شورى قويم ، مستمد من تعاليم ديننا الإسلامى .

وما كانت اشادته بسلاطين الأتراك استجابة لِدَم تركى ، بل تأكيداً لنزعته الدينية ، حبا فى (الله) ، وأملا فى الإصلاح قبل كل شىء ، فهو تركى الهوى واخلص الاتراك لمبادىء الدين ، وأهداف الأمة ، وإن حادوا عن اخلاصهم ، فأعرضوا عن الشورى ، أو تنكروا للأمة بدافع من حمق التعصب التركى ، فالعرب لا الأتراك ، هم أعلام الإسلام ، وأبطال الجهاد ، وبناة الحضارة .

وهو فى كل مواقفه تلك معبر عن مشاعر الأمة الإسلامية والمصرية بصفة خاصة ، وترجمان مبادئها ونزعاتها .

---

١٨ ـ التلاع : جمع : (تَلْعَة) وهى : ما ارتفع من الأرض .
١٩ ـ الوساع من الخيل : الجواد ، أو الواسع الخطو والزرع .
٢٠ ـ نشرت (بالأهرام) فى ١١ ابريل سنة ١٩٤٩ ، ثم الشوقيات المجهولة : ٢١٩/٢ ـ ٢٢٢ .

أنباء وآراء

ألف شخص يعتنقون الإسلام

اعتنق الف شخص من قبيلة « اقير » باعالى النيل الاسلام بينهم عمدة وخمسة عشر وكيلاً له نتيجة الجهود المكثفة واسلوب الدعوة الذى انتهجه العاملون ببعثة « منظمة الدعوة الإسلامية » . وكانت القبيلة قد نزحت من منطقة « ملوط » نتيجة الهجمات المتكررة التى شنها المتمردون على قراهم . وقد أعلنوا انهم اعتنقوا الاسلام بعد أن اوضح لهم اعضاء البعثة عظمة الاسلام ومبادئه .

وقبيلة الدينكا أيضا :

شهر ٢٠٠ شخص من أفراد قبيلة الدينكا أكبر القبائل بجنوب السودان إسلامهم فى مدينة « كوستى » جنوب العاصمة السودانية .

أكبر هجرة اليهود من إيران إلى إسرائيل

ذكرت مجلة « بروفيل » النمساوية ان اكبر موجة لهجرة اليهود من إيران إلى إسرائيل منذ عام ١٩٧٩ تمت منذ بضعة أسابيع واشارت الصحيفة إلى أن مئات اليهود موجودن حاليا فى اسطنبول واثينا وروما وفرانكفورت تمهيدا لنقلهم إلى تل ابيب .

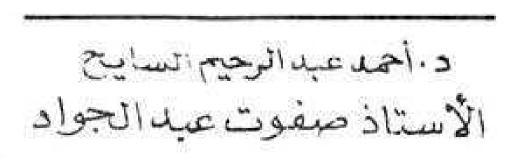
وأوضحت المجلة أن النظام الإيرانى يسهل حاليا عملية هجرة اليهود مقابل حصوله على معدات عسكرية إسرائيلية .

تعزيز التعاون بين الدول الإسلامية
فى المجال التكنولوجى

وافقت اللجنة الدائمة لمنظمة المؤتمر الاسلامى للتعاون الفنى والعلمى على اقتراح يقضى بتعزيز وتكثيف التعاون بين الدول الاسلامية فى مجال التكنولوجيا المتقدمة ويتضمن الاقتراح ـ الذى تقدمت به تركيا فى اجتماعات اللجنة بإسلام اباد ـ إقامة وكالة للانشطة البحثية للدول الاسلامية ووافقت اللجنة من حيث المبدأ على الاقتراح الأردنى الخاص بإقامة بنك للتنمية الاسلامية يقدم الخدمات الاسلامية ويكون مقره « جده » لجمع ومقارنة ونشر المعلومات والبيانات المتعلقة بالتجارة والاقتصاد والعلوم والتكنولوجيا وتداولها فى الدول الاسلامية كما رحبت اللجنة بإنشاء الأكاديمية الاسلامية للعلوم والرابطة الاسلامية للمعاهد للدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الاسلامى .

الإسلام والأطفال فى مؤتمر آسيوى

أكدت الوفود الاسلامية التى اشتركت فى مؤتمر جنوب آسيا حول الأطفال أن



الإسلام يعتبر الأطفال أفضل رأس مال إنسانى ، وأن انفاق أية أموال لتحسين صحتهم وتنمية قدراتهم هو واجب أولى ، وقالت الوفود الاسلامية التى تحدثت فى المؤتمر إن تعاليم الرسول عليه الصلاة والسلام تؤكد أن أحسن مايفعله الأب هو تربية أبنائه تربية صالحة وعقد المؤتمر الذى استمر عدة أيام فى العاصمة الهندية « نيودلهى » .

كتاب جديد عن المسلمين فى الاتحاد السوفيتى

يبلغ عدد المسلمين فى الاتحاد السوفيتى فى الوقت الحالى حوالى ٥٠ مليون مسلم وقد صدرت عن أوضاع مسلمى الاتحاد السوفيتى فى السنوات الأخيرة مجموعة كبيرة من الكتب آخرها صدر فى لندن بعنوان « المسلمون فى الامبراطورية السوفيتية » وهو من تأليف الكسندر بيتحسين وسندز ويمبوش . ويناقش الجزء الأول من الكتاب خلفية تاريخية عن دخول الاسلام المناطق الجنوبية من الاتحاد السوفيتى وأوضاع المسلمين حاليا وقياداتهم الدينية والإصدارات التى تنشر فى هذه المناطق وعدد المساجد ويتضمن الجزء الثانى سجلا للمجموعات الاسلامية وحجم كل منها ومنطقة تركزها وغير ذلك من المعلومات .

شركة إسلامية بين الصين ومصر

تم رسميا إنشاء شركة « فينفشيا فيصل » الاسلامية للاستثمار الدولى التى تنظمها شركة الاستثمار والائتمان الدولية بمنطقة فينفشيا فى الصين وبنك فيصل الاسلامى المصرى تقدم كل من الشركتين المصرية والصينية ٥٠٪ من راسمال الشركة المشتركة ، ويبلغ رأسمالها المسجل ١٢٠ مليون دولار أمريكى وسيقدم الجانبان ٤٠ مليون دولارا فى المرحلة الأولى ومدة التعاون بينهما ٥٠ سنة وتشمل مهمات هذه الشركة الاستثمار فى مجالات الصناعة والزراعة والعقارات والتجارة وقبول الودائع المالية الكبيرة وتوقيع عقود الضمان وإصدار السندات والتأمين وتطبق الشركة فى أعمالها مبادىء الاسلام الاقتصادية .

المسلمون فى أمريكا الشمالية

دعا الدكتور خالد بن سعيد أستاذ العلوم السياسية فى جامعة كوينز الكندية الجمعية الاسلامية لأمريكا الشمالية إلى تشكيل لجنة لدراسة العملية السياسية فى الولايات المتحدة وكندا حتى يمكن معرفة كيف يمكن للمسلمين فيهما التعاون لحماية مصالحهم وكيف يمكن تجميع الخبراء المسلمين المتناثرين فى البلدين للعمل من أجل رفاهية المسلمين وقال : إن المسلمين فى أمريكا الشمالية يجب أن ينظموا

أنبـاء وآراء

انفسهم على المستوى المحلى ومستوى المقاطعات والمستوى الوطنى وكذلك الدولى وقال : إن عليهم ان يحققوا لأنفسهم قوة اقتصادية ووضعا سياسيا وان ينشئوا مؤسسات خاصة بهم ابتداء من المدارس والمكتبات وحتى دور الصحف والمجلات وقال : إن الطريق إلى ذلك هو إنشاء تنظيمات محلية اسلامية واضاف : ان المسلمين فى امريكا الشمالية لا تنقصهم الموارد البشرية او المادية او الخبرة والمهارة وما ينقصهم فقط هو التصميم على العمل معاً .

مؤتمر دولى يطالب بإنشاء مؤسسة السيرة والسنة فى باكستان

أوصى المؤتمر الدولى الخاص بالمرأة الذى اختتم أعماله مؤخراً فى « إسلام اباد » عاصمة باكستان بإنشاء مؤسسة للسيرة والسنة فى باكستان تكون لها فروع فى مختلف الأقاليم والمدن . ويناط بهذه المؤسسة عقد الدورات الدراسية والمؤتمرات والندوات والمسابقات فى مجال السيرة النبوية الشريفة مما يمكن النساء فى باكستان من دراسة حياة الرسول ﷺ والقيام بدورهن فى إقامة مجتمع اسلامى حقيقى .

وقد حضر هذا المؤتمر وفود نسائية من مصر وتركيا والمغرب والسودان وسرى لانكا والمانيا الغربية .

مؤتمر الشريعة والقضايا الطبية المعاصرة

تشير الانباء إلى ان هناك عشرين دولة وستا وخمسين جامعة ومركزا اسلاميا سوف يحضرون المؤتمر الدولى الذى يعقد بالقاهرة عن الشريعة الاسلامية وقضايا الطب المعاصر ويشارك فيه الازهر الشريف .

التحذير من حملات التشكيك

حذر الدكتور فؤاد فخر الدين مدير الأكاديمية العربية بأندونسيا من حملات التشكيك التى تمارس ضد المسلمين فى أندونسيا بشكل خاص ودول جنوب شرق آسيا بشكل عام .

وقال : إن القضايا الاسلامية تواجه من خصوم الاسلام بإثارة الشبهات والتعتيم المقصود ودفع المسلمين إلى الإنشغال بالقضايا السطحية التافهة . وقال : إن أندونسيا بلد المائة والعشرين مليون مسلم تفتقر إلى مؤسسات تعليمية ضخمة تقوم على تعريف المسلمين بكلمة الاسلام وتعليم المسلمين أصول اللغة العربية السليمة فى الوقت الذى ينشر فيه الخصوم لغتهم وثقافتهم .

الرئيس مبارك يفتتح المؤتمر العالمى الخامس للتربية الإسلامية

● يعقد فى القاهرة ـ بإذن الله ـ المؤتمر العالمى الخامس للتربية الإسلامية وذلك فى الفترة ٨ ـ ١٣ مارس المقبل ومن المقرر أن يفتتح الرئيس مبارك اعمال المؤتمر فى الجلسة الافتتاحية ، وسوف تعقد جلسات المؤتمر بمبنى جامعة الدول العربية بالقاهرة ويتولى أعمال المؤتمر والإشراف عليه المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين العالمية وتعقد حالياً اللجان التحضيرية للمؤتمر وذلك بالمركز العام للشبان المسلمين برئاسة الأستاذ الدكتور أبو الوفا التفتازانى نائب رئيس جامعة القاهرة وامانة سر الأستاذ جمال خشبة الأمين العام للمركز وسوف يكون المؤتمر تحت رعاية الرئيس محمد حسنى مبارك .

افتتاح أول معهد

لأمراض الكبد فى مصر

● تم افتتاح أول معهد متخصص لأمراض الكبد فى الشرق الأوسط بكلية طب المنوفية فى مدينة شبين الكوم تكلف المعهد ٣ ملايين جنيه وهو مزود بثلاث وحدات موجات فوق الصوتية ووحدة مناظير .

صرح الدكتور ياسين عبد الغفار المشرف على المعهد انه تم اختيار المنوفية لإنشاء المعهد بها لتوسطها دلتا مصر حيث تنتشر الإصابة بأمراض الكبد فى الريف المصرى كما أن خدمات المعهد ستمتد إلى الدول العربية وتدريب الأطباء على أمراض الكبد ودراسة هذه الأمراض علمياً وإحصائياً والتنسيق مع الوحدات التى سيتم إنشاؤها قريباً بكل محافظات مصر .

ومن ناحية أخرى تبدأ بالقاهرة يوم ١٤ مارس القادم دورة تدريبية دولية حول أمراض الكبد تشترك فيها وفود من فرنسا وألمانيا وامريكا وانجلترا واليونان والسودان وقطر والبحرين والكويت ، العراق واليمن والسعودية والمغرب وتونس ومصر .

« اكتشاف مسجد بكينيا »

● فى احدث دليل على سرعة انتشار الإسلام فى افريقيا أعلنت السلطات الكينية أن علماء الحفريات انتشلوا بقايا مسجد اقيم منذ الف عام على ساحل كينيا فى شرق افريقيا والكشف الجديد عبارة عن مبنى مربع الشكل ذى اساسات من الحجر فى جزيرة [بات] التى تسكنها جالية صغيرة من التجار بالقرب من الحدود مع الصومال .

حركة ترقيات بالأزهر تشمل ٣٠٠ مدرس

● بحثت إدارة المعاهد الأزهرية اعتماد حركة ترقيات ونقل وتثبيت بعض العاملين فى حقل التعليم الابتدائى الأزهرى وتشمل هذه الحركة ثلاثمائة ما بين مدير مرحلة وشيخ معهد ومدرسين أوائل ومدرسين .

الاحتفال بتخريج الدورة الرابعة

من دعاة العالم الاسلامى

● تم الاحتفال بتخريج ثمانين عالماً وداعية من ٧ دول هى : السودان والصومال ونيجيريا وبنجلاديش والمغرب وزائير وغانا وقد تلقى هؤلاء الدعاة محاضرات استمرت شهرين بمدينة البعوث الإسلامية فى الاستشراق والتبشير والخطابة والحديث والتفسير وقد شارك فى هذه المحاضرات أساتذة متخصصون من جامعة الأزهر وكبار المفكرين الإسلاميين .

وصرح الدكتور عبد الودود شلبى الأمين

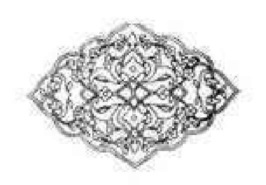


العام للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر التى تنظم هذه الدورات بأن الغرض منها تبصير علماء وقيادات الدعوة فى الدول الإسلامية ومحاربة القيادات المنحرفة كالقاديانية والبهائية والتنصير . واضاف الأمين العام قائلاً ان الدورات تتم بالتناوب بين الدول الإسلامية فى آسيا وافريقيا وبعض الدول الاوروبية وانها شملت حتى الآن اكثر من مائتى داعية .

هذا وقد شمل برنامج الدورة رحلات ترفيهية للمعالم الاثرية الإسلامية بالقاهرة والمحافظات .

نجاح أول عملية جراحية لسد ثقبين فى قلب طفلة عمرها ثلاث سنوات !

● نجح فريق من الأطباء المصريين فى إجراء اول عملية جراحية من نوعها فى مصر فى قلب طفلة عمرها ثلاثة أعوام حيث قام فريق الأطباء المصرى بإغلاق ثقب بين البطينين وثقب آخر فى الأذين وأهمية هذه الجراحة ترجع لصغر عمر المريضة وتدهور صحتها لدرجة جعلت من التدخل الجراحى ضرورة لإنقاذ حياة الطفلة وقد استغرقت العملية ٦ ساعات كاملة وقد نجحت العملية وتعيش الطفلة مروة حياة سعيدة .



من خير ما كتب

للأستاذ
عبد الفتاح السيد عبد السلام

بيان من شيخ الأزهر :

حول الاعتداء على افغانستان !
على المسلمين فى جميع أنحاء العالم مساندة جهاد شعب افغانستان

ما زال اعداء الإسلام يبيتون لأبنائه بليل ، وما زالت الأقليات المسلمة فى اماكن عديدة من العالم يعانون من تسلط غير المسلمين عليهم ، وما زال المسلمون يعتدى عليهم فى داخل ديارهم واوطانهم وتخترق حدودهم ، وما زالت وسائل الاعلام تطالعنا كل يوم بالمزيد من هذه الاعتداءات ، ومازالت الأمة الإسلامية لاهية عما يحاك لها .. تصطلى بنار فرقتها ، وتمكن لأعدائها منها بتشرذمها ، وتذوق وبال امرها .

وهذا الشعب الأفغانى المسلم ، وقد ديست ارضه فى مثل هذا اليوم ، ولم تحترم سيادته ، فقد تسلط عليه أعداؤه ، يسفكون دماء شبابه ، ويسلبونه اغلى حرماته ، لا لذنب ارتكبه ، ولا لاثم اقترفه سوى انه يعتز بدينه ، ويغار على كرامته ، وينادى بحريته ، فكان مصير الضعفاء منه ان شردوا وصاروا يعيشون عيش الغرباء .

وكان قدر الأقوياء منه ان ياووا إلى الكهوف ، ويتسلقوا الجبال ، ويفترشوا الأرض ، ويلتحفوا بالسماء ، غير آبهين بحرارة الصيف ، ولا صقيع الشتاء ، يحملون اسلحتهم – وما اقلها – ويواجهون بها جيشاً من أعتى الجيوش ، يحاولون رده وصده ، يحفزهم إلى ذلك إيمانهم بربهم ، وحبهم لوطنهم ويسترخصون الموت طلباً للاستشهاد فى سبيل الله .

إن الأزهر كثيراً ما دعا المنظمات الدولية كهيئة الأمم المتحدة ، ومنظمة المؤتمر الإسلامى إلى تحمل التبعة ، والقيام بالمسئولية ، والاضطلاع بما يجب عليها نحو هذا الشعب وغيره من الشعوب المقهورة ، فتوقف المعتدى عن عدوانه ، وتعيد للمعتدى عليه حقوقه ، وتساعده على أن يكون حراً على ارضه ، آمناً فى وطنه ، يستثمر خيراته لأهله .

وما زال الأزهر يجدد ويكرر دعوته من أجل الحق والعدل والسلام .. « فهل من مجيب » .

إنه إلى ان تتحرك الضمائر لدى المنظمات الدولية تجاه المسلمين فى افغانستان ، هناك واجب يفرضه الاسلام على ابنائه فى شتى بقاع الارض شعوباً وحكومات ، ان يقدموا كل ما يستطيعون من عون لاخوانهم المسلمين فى افغانستان ، ليدعموا موقفهم ، ويساندوهم فى محنتهم سواء المحاربون منهم الذين حملوا ارواحهم على أكفهم ، وصار حرصهم على الموت

من خير ما كتب

لا يقل عن حرصهم على الحياة ، وقدموا للتاريخ صوراً فذة فى البطولة والفداء . ونماذج رائعة فى الإيمان والتضحية .. فقد استمعوا لقول ربهم « أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ » أو أولئك الضعفاء الذين شردوا وهاجروا وتركوا ديارهم وأموالهم ولجاوا إلى ديار غير ديارهم . فراراً بحياتهم ، وطلباً لأمنهم .

هؤلاء وهؤلاء أعضاء فى الجسد الاسلامى والصرح الإيمانى ، الذى جاء الإسلام يؤسسه ويبنيه ، ويشيده ويعليه ، المؤمن للمؤمن فيه .. كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، وامداد المحاربين بما يلزمهم ويشد من ازرهم ، والمهاجرين بما يعينهم على استئناف حياتهم فى مهجرهم من مؤن وتعليم وتثقيف ورعاية طبية ونفسية حتى يعودوا إلى بلادهم وارضهم اصلب عوداً ، واقوى عزيمة على النضال والكفاح ضد عدو الله وعدوهم .

إنه وقد مضت هذه السنوات الطوال والشعب الأفغانى يكافح ويواجه حرباً من عدو أهدر كل حقوق الجوار وكل الصفات الانسانية .

فإن الأزهر يدعو المجاهدين الأفغان كى يحرصوا على جمع الكلمة ، ووحدة الصف ، ونبل الغاية ، وسمو الهدف . ونظافة القصد . معتصمين بحبل الله .. وملتزمين بأمره .. ومخلصين العمل لوجهه .. فالنتائج مرتبطة بالمقدمات .. و « إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ » .

الدكتور/ عبد الجليل شلبى :

قرآن وسنة

مما يجب أن نعمل ونتواصى به أن يكون المرء على صلة دائمة بخالقه ، إننا لا نرى الله تعالى بأعيننا ولا نمسه بأيدينا ، ولكننا نجد آثار قدرته فى كل شىء ، حولنا وفى أنفسنا وكل شئون حياتنا ، الهواء الذى نتنفسه والطعام الذى نأكله والماء الذى نشربه ... لا نحن أنشأناه ولا ندرى شيئاً عن العمليات الكيماوية العديدة المعقدة التى تحدث له فى أجسامنا ، وإذا اختلت جزئية صغيرة فى أى من هذه العمليات شعرنا بالآلام والعجز واضطربت حياتنا ، وبجانب هذه الجوانب المادية نحن نعيش فى قبضة المقادير ، لا ندرى ماذا تكسب فى غدنا ، ولا ماذا يولد لنا من زوجاتنا ، ولا إلى أى مدى تمتد حياتنا ، ولا ، ولا . وإنما الله وحده خالقنا ومربينا على نعمه وعطائه يدبر لنا كل ذلك ، ونحن لا نملك شيئاً ولا ندرى ما يفعل بنا .

والقرآن يخاطبنا بذلك خطاباً صريحاً : « أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ » . « أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ » . « أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ۝ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ » . « أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ۝ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ » . « نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ۝ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ » .

سبحان الله الخالق له الجلال وله العظمة ، سبحانك يارب هذا الكون ماعبدناك حق عبادتك ولا قدرناك حق قدرك .

نحن نذكر الله وندعوه حين تمسنا الشدائد ونشعر الحاجة إلى العون ، ثم ننساه حين يعمنا الرخاء وتملأ أجسامنا العافية ، وما هكذا ينبغى أن تكون معاملاتنا لله ولا صلتنا به . « وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ » .

« وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا » الاساء ما يفعل الانسان حين يسرع بنسيان النعمة وكفران الصنيع .

وليست صلة المسلم بربه هى مجرد أداء العبادة ، فلابد أن يشمل شكر الله حسن المعاملة مع عباده ، معاونة الضعيف ومساعدة المحتاج واخلاص النصيحة للمستنصح ، وتحاشى الحقد والحسد لما يصيب الناس من نعم ، وحب الخير للآخرين كما يحبه الشخص لنفسه .

كل هذه معالم تحدد صلة المسلم بربه وتبين إلى أى مدى هو يرعى حقوق الله وتعاليم الإسلام ، ليس إنساناً من لم يقدم الخير للإنسان ، وليس شاكراً لله من لم يرع عيال الله .

الدكتور/ أحمد عمر هاشم .

سنة الرسول .. منهاج وتشريع

إن من يتدبر سنة الرسول صلوات الله وسلامه عليه يجدها منهاجاً واضح الملامح للحياة الراشدة .. وتشريعاً مفصلاً للعبادات والعقائد والمعاملات والأخلاق ..

ولهذا لم تتوافر همم المسلمين على نقل تراث نبى من الانبياء او عظيم من العظماء كما توافرت لنقل سنة الرسول صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً وتقريراً وصفة فى السلم وفى الحرب ، فى السفر وفى الإقامة . فى اليقظة وفى النوم ، فى خارج بيته وفى داخله حتى كيفية غسله وحتى خصائص حياته ودقائقها ... كل ذلك نقل جميعه .. وبادق طرق النقل والتوثيق التى لا تعرف الدنيا لها مثيلاً .

وفى تتبع سنة الرسول صلوات الله وسلامه عليه كمنهاج وتشريع تشرق عظمة الرسالة والرسول من جوانب الحياة : فى عباداته ومعاملاته ، فى وجوده وسعة صدره . وفى صدقه وامانته ، وفى رافته ووفائه وحسن معاشرته ، يقول الامام على كرم الله وجهه :

كان أجود الناس كفا ، وأوسع الناس صدرا ، واصدق الناس لهجة ، واوفاهم ذمة ، والينهم عريكة ، واكرمهم عشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة احبه ، يقول ناوعته :

« لم ار قبله ولا بعده مثله وما سئل عن شىء قط إلا اعطاه » .

ويقول انس رضى الله عنه : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس واجود الناس واشجع الناس » .

ويجمل القرآن عظمته فى قول الله تعالى « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » .

ومنهاج سنته يتسم بالحق والخير ، والسمو والاعتدال . ففى جانب السرور او الحزن وفى المشاعر الظاهرة او الوجدانية كان صلوات الله وسلامه عليه يتسم بضبط النفس فيما يسر أو يحزن ، فإذا فرح بما يسر ابتسم وإذا ضحك لم يقهقه . عن جابر بن سمرة قال : كان لا يضحك إلا تبسماً وإذا تعرض لما يحزنه طوى الحزن فى داخله وكظم الغيظ .

فى جانب الحياة المنزلية وشئون المعيشة مع الاهل كان المتعاون البار بحيث لا تشغله شئونه تلك عن عبادة ربه ، سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها : ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يصنع فى اهله ؟ قالت : كان فى مهنة اهله فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة .

إن منهاج حياته وسنته يمد الحياة بضوء كاشف لتمضى على رشد وهدى ، فلا تحيد يمنة أو يسرة ، ولا تتعثر خطاها فى الدروب المعتمة ، وإنما تتجمع خطوطها العريضة من جميع زوايا الحياة عبادة وعملاً لتلتقى عند هدف واحد وملتقى ثابت حيث تتمخض فى الأعمال كلها وتخلص فى اتجاهها لله رب العالمين . « قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ » .

سنته أساس حياة المسلم

وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ـ كتفسير لآى القرآن وتفصيل لاحكامه ـ جاءت مشتملة على منهاج الحياة الإسلامية العملية وإضاءة طريقها فى الحياة الدنيا ، إلى جانب كونها تشريعاً فصل ما اجمل فى القرآن . وقيد ما اطلق فيه ، بل واستقلت السنة بالتشريع فى بعض الاحكام على راى بعض العلماء والمحققين .. اى انها جاءت تفسر وتفصل اصول الحياة الدينية والدنيوية .. فكانت دعوة إلى العقيدة الصحيحة التى هى مناط حياة المسلم واساسها .. وبها تشرق شخصيته محوطة بعزة البسها الإسلام إياها فهى لا تستكين لاحد من اجل ضر نزل بها فلا كاشف له إلا الله ، ولا تخشى رد الخير من احد فلا راد لفضل الله ، ومن كلام بعض السلف :

[يارب عجبت لمن يعرفك كيف يرجو غيرك ، وعجبت لمن يعرفك كيف يستعين بغيرك] وكان الإمام احمد بن حنبل رحمه الله يدعو ويقول : اللهم كما صنت وجهى عن السجود لغيرك فصنه عن المسالة لغيرك .

كما جاءت السنة دعوة إلى الرقى الاخلاقى ، وإلى الصدق في القول ، والأخلاص في العمل دعوة للعامل ان يتقن عمله وإلى الصانع أن يراقب الله في صناعته ، وإلى الأب ان يكون راعياً لأسرته وإلى الابن ان يكون باراً وهكذا في كل قطاعات الحياة وشئونها ولما كان للسنة النبوية هذه المكانة ، وتلك الاهمية العظمى ، فقد وقف رجال السنة انفسهم على حمايتها ، وصيانتها كاعظم تراث في الوجود ، وكان جهادهم كجهاد الرابضين على الخطوط الامامية ، يصونون الثغور وينافحون عن الوطن الإسلامي هذا .. والأمة الاسلامية اليوم بحاجة إلى إبراز ما في السنة النبوية من جوانب اسلامية جديرة بالبحث والتحليل لتتلاقى مع التوسع الحضارى والتقدم في شتى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والتربوية وغيرها ..

الدكتور/ على عبد الواحد وافى

التكافل الاجتماعى في الاسلام

من مظاهر حرص الإسلام على تحقيق التكافل والضمان الاجتماعيين انه أوجب على بيت المال [أى على الدولة نفسها] الانفاق على الزمن [وهو العاجز عن الكسب] وعلى الشيخ الفانى وعلى المراة [لأن المراة لا يكلفها الإسلام بالإنفاق على نفسها] إذا لم يكن لواحد من هؤلاء من تجب عليه نفقته ولا يفرق الإسلام في ذلك بين المسلم وغير المسلم فقد روى الإمام أبو يوسف في كتابه الخراج أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مرب باب قوم وعليه سائل يسأل وكان شيخاً ضريراً ويبدو عليه أنه ذمى فضرب عمر بعضده وقال من أى أهل الكتاب أنت ؟

فقال يهودى ، قال ما ألجاك إلى ما أرى ؟

فقال أسأل الجزية والحاجة والسن [اى أسأل حتى استطيع ان ادفع الجزية الواجبة على ولكى أسد حاجتى وقد بلغت من السن مبلغاً لا اقوى فيه على العمل] فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله واعطاه شيئاً مما وجده فيه ولم يكن في منزله شيء كثير ثم أرسل إلى خازن بيت المال وقال له « انظر هذا فوالله ما انصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند هرمه » إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ [يشير بذلك إلى الآية ٦٠ من سورة التوبة التى تبين مصارف الزكاة] وهذا من المساكين من اهل الكتاب فأعطه مايسد حاجته ورد عنه الجزية وعن أمثاله ».

ولحرص الإسلام على تحقيق التكافل والضمان الاجتماعيين بين الناس أوجب في حالات الشدة والضرورة أن يعود القادر على المحتاج بما يسد حاجته . فقد روى الإمام البخارى عن أبى سعيد الخدرى قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم في سفر وشدة فقال « من كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ومن كان عنده فضل ظهر [أى مطية] فليعد به على من لا ظهر له] .

قال أبو سعيد : ثم اخذ النبى صلى الله عليه وسلم بعدد من أنواع الأموال حتى ظننا أن ليس لنا من مال إلا ما يكفينا].

واخرج البخارى كذلك عن ابى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الأشعريين [وهم رهط أبى موسى الأشعرى] إذا ارملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم منى وانا منهم ».

وذكر ابن حزم في كتابه المحلى بالآثار أنه صح عن أبى عبيدة بن الجراح وثلثمائة من الصحابة ان زادهم كاد ينفد فأمرهم أبو عبيدة فجمعوا أزوادهم في مزودين وجعل يقوتهم اياها على السواء].

كما أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد رأى عدم توقيع حد السرقة على غلمان حاطب ابن أبى بلتعة الذين سرقوا ناقة المزنى وأكلوا لحمها لجوعهم وبخل سيدهم عليهم .. وفرض على سيدهم لتقصيره في واجبه التكافل نحوهم ان يغرم لصاحب الناقة ثمنها ضعفين وقرر كذلك عدم توقيع حد السرقة في عام الرمادة وهو عام مجاعة وشدة وحدث في عهده واعتبر عدم قيام حاطب بن أبى بلتعة بواجبه التكافلى نحو غلمانه كما اعتبر المجاعة العامة في عام الرمادة واضطرار بعض المعوزين إلى السرقة لعدم قيام الأغنياء بواجبهم نحوهم اعتبر هذا وذاك من الشبهات التى تدرأ هذا الحد عملاً بقوله عليه الصلاة والسلام « ادرءوا الحدود بالشبهات » .

وقد حدثت في مصر مجاعة شديدة في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمى ورأى أن الأغنياء يختزنون الغلال ويقصرون في واجبهم نحو فقرائهم فركب حماره وتوجه إلى الجامع

معلناً قسمه الشهير الذى قال فيه « اننى ماض إلى الجامع واقسم بالله لئن عدت فوجدت فى الطريق موضعاً يطؤه حمارى مكشوفاً من الغلة لاضربن رقبة كل من يقال لى أنه يختزن شيئاً منها ولأحرقن داره ولأنهبن أمواله » فبادر جميع من كانوا يختزنون الغلال بإخراجها ووضعها فى طريق عودته حتى أنه لم يبق موضع مكشوف منها .

وقد ضرب الرسول عليه الصلاة والسلام بأعماله ، حتى قبل أن يبعث أروع مثال للتكافل الاجتماعى يدل على ذلك ما وصفته خديجة رضى الله عنها عند نزول الوحى عليه لأول مرة فذهب إليها يرتجف خوفاً وفزعاً مما أصابه من مفاجأة جبريل له وغطه أياه وقال لها زملونى زملونى [أى غطونى وادفئونى] وبعد أن زملته حتى ذهب عنه الروع قص عليها ما حدث وقال « والله لقد خشيت على نفسى » فقالت له « كلا والله ما يخزيك الله أبداً انك لتصل الرحم . وتقرى الضيف وتحمل الكل وتعين على نوائب الدهر] وصلة الرحم هى الإحسان إلى القريب ورعايته وقرى الضيف إكرامه والحفاوة به والكل [بفتح الكاف] هو اليتيم والعاجز عن العمل ، وتحمل الكل اى تكفيه مؤنته وتسد حاجته .

الأستاذ/ عبد اللطيف فايد :

● خواطر اسلامية ●
الكلمة .. والمسئولية

لم يعد الحديث عن الإسلام فى الزمان الحالى مقصوراً على العالمين به ، المخلصين له ، الداعين إليه ، فقد دخل فى هذا الحديث من ليس له ثقافة فيه تؤهله للتحدث به والتحدث عنه ، ودخل فيه ايضاً اعداؤه الذين يكيدون له ، ومن العجيب أن بعضاً منهم يحمل اسماء اسلامية وينتمى إلى اسر وأباء اشتهروا بالإسلام ولم يشتهروا بشىء سواه .

ومن هؤلاء الذين يتحدثون عن الاسلام بغير علم او يهدفون إلى الكيد له وصرف المؤمنين عنه من يتطلب الشهرة هنا وهناك . فقد تطلعت نفوسهم إلى شهرة ما فلم يجدوا غير العداء للاسلام يلفت انظار الناس إليهم من شدة حبهم لهذا الدين الذى جعله الله خاتم رسالاته إلى البشرية . يخرجهم من الظلمات إلى النور بالعقيدة والشريعة ، فالعقيدة بالله الواحد الأحد ، والشريعة بما تضمنت من نظم للعبادات والمعاملات والعلاقات الشخصية والاجتماعية والدولية ، وهى تغنى عن سواها ولا يغنى عنها سواها مهما يبتكر المبتكرون .

هواة الشهرة هؤلاء يسعدون كل السعادة إذا ناقشهم احد فيما يكتبون على صفحات الصحف والمجلات والكتب ، لانهم حينئذ يكونون قد اشتهروا بالشىء الواحد مما كتبوه مرتين ، مرة عندما قرأ الناس كلامهم ، ومرة اخرى عندما قراوا ما كتبه من يناقشونهم ، ولذلك يطلقون نغمة قد تحلو فى بعض الاسماع وهى أن لكل انسان الحرية فى أن يقول ما يشاء ولكل من سواه الحرية فى مناقشته فيما يقول ورفض ما يدعى .

يحلو هذا القول فى بعض الأسماع ، وما هو بالصواب ولا شبه الصواب : لأن الاسلام هو الكلمة الخاتمة لرسالات الله . وفيه القول الفصل فى كل قضايا البشرية ، من شاء أمن به ، ومن شاء بقى على دين سابق له ، ومن شاء الضلال الكامل ورغب أن يظل فى الشرك والالحاد فهو وما شاء لنفسه ، لا يرغم الله احداً على الدخول فى دينه الحق ، وحساب الجميع إلى رب العالمين يوم القيامة لكن بعد أن تبين الرشد من الغى برسالة الاسلام ، فلا يجوز فى مجتمع المسلمين ان يبيت منحرفا او متعصبا ضد هذا الرشد الذى ارتضاه الناس فاعتنقوه ، وتمنوا لو وجدوا شريعته هى الحاكمة لحركة حياتهم .

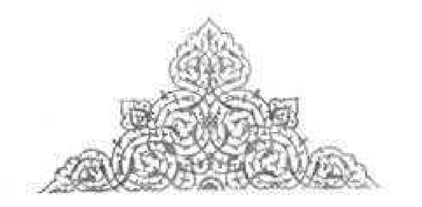
والحكومات بما لها من سلطات تضرب على ايدى العابثين بمصالح الناس ، فهى تعاقب من يبيع للناس اقواتهم باكثر من اسعارها ، ومن يحترف الطب أو حتى يعطى حقنة لمريض دون ان يكون مؤهلاً لذلك بالعلم والتدريب ، كذلك فهى تشترط رسوماً هندسية للابنية التى تقام لسكنى الناس ومصالحهم حتى لا تتعرض أرواحهم للخطر إن تلاعب صاحب البناء بشروط اقامته وارتفاعاته ، والحكومات إذا كانت تحرص على ذلك الحرص كله ، فواجبها أن تحرص ايضاً على سلامة عقيدة الناس وشريعتهم فتعاقب الكاتب الذى يفتن الناس فى دينهم بما يكتب ، وتعاقب ايضاً الناشر الذى ينشر له هذا الذى يكتبه ، ذلك لأنهما شريكان فى الجريمة ، فالأول مثل صاحب النميمة ، والثانى مثل من يمشى بها بين الناس .

فهرس العدد

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

Islam has provided fourteen centuries ago a complete manifesto of human life in all and every aspect. Islamic doctrines deal with the spiritual, matrimonial, family, social, moral, economical, health, aspects of man; and goes into so much detail. Justice, freedom, and human rights are the main elements upon which Islamic jurisprudence is constituted. There is no conflict between state authority, and religious life and authority. Both are integrated in one system, which is absolutely divine in origin, cannot perish, and is exact fitting to the needs of mankind in life. Secularism has proved a failure together with all the other man-made patterns of life and state rule. All the systems adopted mowadays suffer defects and gaps to suit human nature and its real true wellfare. Secularism capitalism, communism, and all man-made systems will remain to prove unsuitable for human life and the welfare of man.



> secrets of heaven And earth, and I know what ye reveal And what ye conceal ?
> (Surat Al Baqara: II : 31 - 33)

Islam always encourages education and learning to respect the minds of man, and holds in reverence people of knowledge. The Quran reveals:

> "Travel through the earth (to learn and see the wonderful things in His Creation) And see how God did originate creation.."
> (Surat Ankabut XXIX:20)

> "Do they not travel through the land, so that their hearts (and minds) May thus Learn wisdom And their ears may thus Learn to hear ? ....."
> (Surat Hajj XXII : 46)

> "All this because only those who know fear God, and they know that the fear of God is the beginning of wisdom... Those truely fear God, among His Servants who have knowledge : For God is Exalted in Might, Oft-Forgiving ".
> (Surat Fatir XXXV : 28)

The conclusion is that secularism was approved to be a logical and inevitable pattern of solution for solving the political and social problems of the Christian countries. It aimed to stop the conflict between the temporal and the religious powers, to interfere in matters of civil policy, and to guarantee the freedom of thought; and the right of difference of opinion, and also to consider material agencies in man's life.

Secularism has eventually proved an utter failure in solving the problems of mankind, and in achieving man's inspiration. The term as currently used means anything not religious. Such a wrong use of the word has defined non-theologic sciences as secular which gives the very wrong and opposite understanding to that in Islam. Islam conceives that all sciences in creation are the signs of Allah the Creator; consequently, any study or progress or knowledge of these sciences is certainly beneficial to mankind, and therefore considered an act of worship. Islam also conceives that theologic and non-theologic sciences are closely inter-related.

Diligence (Ijtihad) is a very important Islamic concept which always guarantees the development of legislations so as to make the Shariah, within the limits of the texts of Quran and Sunnah, meet the changes and the developments which always take place in the life of mankind.

Islam as a non theoretical religion constitutes aspects of spiritual moral and material teachings, codes, principles and guidelines. Islam fully organized all the material relations between the people. For example, the Shariah organized the right of ownership, and other economical affairs. Shariah organized all family affairs in details, and organized the economical, social, and political affairs leaving the details to be determined according to the circumstances of the various generations within the general principles of Shariah.

The relation between the Islamic System and knowledge is very coherent. From the very beginning, Quran ordered Muslems to read, write, and to learn both religious and other knowledge. Education advancing in knowledge, and consequently scientific research are considered elements of worship. The Quran reads:

> "... but say, O may Lord ! advance me In Knowledge. "
>
> (Surate Ta-Ha XX: 114)

Islamic teachings seriously advocate and encourage the pursuit of beneficial scientific knowledge that will advance the welfare, the benefits, and the happiness of mankind. There is no discrimination between religious knowledge and other beneficial knowledge; all these originate as the creation of Allah. The Quran reveals:

> "And He taught Adam the nature of all things, then He placed them before the Angles, and said: Tell Me the naturé of these if ye are right. They said: Glory to Thee: Of knowledge, We have none save what Thou Hast taught us: In trust, it is Thou Who art perfect in knowledge and wisdom. He said: O Adam ! tell them their natures. When he had told them, God said: Did I not tell you that I know the

the ordinary laws, the reglementations, or even individual decisions, in all the walks of life.

All the individuals in the Islamic State; the head of state, members of the government, or any individual citizen, are equally submitted to the same law of Islamic Shariah and live subject to its jurisprudence.

There is no dulaity of power in the Islamic system. There is no religious body, nor religious power in the Islamic state. The head of State (khalifa), and the members of the Islamic government have no religious immunity; they are not infallible persons, and have no divine right or preference. The head of state (khalifa) has no power gained directly or indirectly from God, nor does he rule "by the grace of God". In the Islamic State, the Khalifa must be critically elected by the people, and they can dispose of him if he does not rule according to the Shariah. The first Islamic Khalifa Abu Bakre, said to the Muslim people after he had been elected: "Obey me as long as I obey Allah and follow the traditions of the Prophet in my decisions and behaviour".

Based upon such understanding the head of State and members of the Islamic government are totally responsible, and equal to any ordinary citizen in face of any civil or criminal responsibility.

Islam, as an immortal and final religion admits all individual rights and freedoms especially the rights of belief, thinking, and declaring one's opinion. Islam promoted these rights and freedoms by considering them duties having an active and positive role in the society. The Islamic government the communities, and individuals must act positively to guarantee and safeguard practicing every one of these rights and freedoms. The Quran has stated this fact in several verses.

> "Let there be no compulsion in religion:
> truth stands out clear from Error..... "
> (Surat Al Baqarah II: 256)
>
> - "Say: The Truth is From your Lord:
> Let him who will Believe, and let him who will reject ....."
> (Surat Al Kahf : XVIII: 29)

authority of the church. The "divine right" theory was severely criticised, and substituted by the "social contract" theory. This aimed to enable the citizen to enjoy his natural rights and freeaoms especially the right of thinking and the freedom of belief, which are the essence of democracy. The theory of the "social contract" implies, infact, the essence of secularism and inherently bears its philosophy. This "social contact" theory and the proliferation of its understaning were essentially formulated to separate and end the conflict between the temporal and religious authorities.

On applying secularism we found that some European countries, especially those countries nominally classified as almost entirely catholic, the church established its own political parties and trade unions. Other liberalist countries encourage missionaries and their educational establishments by all moral, financial and material means. Loose moral civil legislations were compromised and became aplicable apart from religious values and teachings. In communist countries, secularism actually lead to the complete rejection and cancelling of all religious doctrines and elements of faith.

Christianity is basically constituted of spiritual and moral teachings, with no legislation in civil or material matters in the everyday life of mankind. This inevitably resulted in the undevelopment of this important matter of legislation in medeavals. The needs of development of the Christian world, taking into consideration the above mentioned circumstances, found that secularism affords what appeared to be a logical and inevitable solution to their own financial, political and social problems.

The Islamic system based on the Quran and the Sunnah of the Prophet makes the Shariah its system of governance in all walks of life. Such system has another view to legislation, power of the state, rights and freedoms, knowledge, and material aspects in the society.

All the legislations in the Islamic system must be derived from the texts of Quran and Sunnah, or from Islamic general principles derived from these texts. This remark is valid either for the constitutional law,

THE ISLAMIC SYSTEM AND SECULARISM

By :
Dr. Fawzy Muhammad Tayel

Secularism is a materialistic apparently rationalistic movement which started in England by George Holyoake in 1846. It was primarily defined as a system of ethical principles but soon developed into an agnostic anti-Christian and speedily became an atheistic movement. In 1870, Charles Bradlaugh assumed the leadership of the movement, and he changed the activities of the movement into vigorous anti-religious efforts based on a business like utilitarian philosophy. Secularism now assumes a scientific front as a non-religious drive characteristic of most western societies.

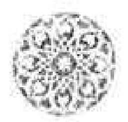
Secularism carries the view that consideration of the present well being of mankind should predominate over religious considerations in Civil affairs or public education. It is a system of philosphies, which rejects all forms of religious belief, or worship; and that public education and civil policy should be conducted without the introduction of the religious element. Morality is based only on regard to the well-being of mankind in the present life excluding all doctrines drawn from belief in God or in future state. Secularism advocates freedom of thought, and the right to debate all issues dealing with moral obligations, the existance of God, the immortality of the soul, the authority of conscience, and similar subjects.

The idea of secularism was put mainly to solve the conflict between the civil authority of the state and the religious authority of the church. There were other previous attempts to solve this problem using the theory of the "divine" right of kings". This considered that the kings had recieved their authority directly from God, and that they themselves as persons, ruled "by the grace of God". That theory was adopted to reinforce the temporal authority of kings infront of the religious

where they remained there for the day and the whole night till dawn of the nineth day. At sunrise, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) mounted his camel and rode towards the mount of Arafat followed by all the pilgrims.

The precise minutes of the farewell pilgrimage of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was very meticulously documented in action and words by the companions on this unique journey. It has become a reference for knowledge in the jurisprudence of the various affairs in the life of a Muslim, particularly so in matters dealing with Pilgrimage. Prayers and peace be upon our magnanemous prophet.

(to be continued)



educated by the Messenger of Allah in every detail with love, mercy and profound kindness. On the way, they were all eager in anticipation to reach the Holy places of Pilgrimage and to gain the excellence of the spiritual experience.

They reached Macca on the fourth day of Zu Al-Hijja, after having spent the night at the pass of Zi Tuwa. When the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) came within sight of the Kaabah, (the Holy Shrine) he raised his hand in reverence and supplication to Allah saying "O Allah, increase this House in honour, magnification, bounty, reverence and piety that it receives from mankind". The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) entered towards the Holy Shrine of the Kaabah, started at the Black Stone after kissing it, he made the seven circumbulations then made prayer at the station of Ibrahim, went back and kissed the Black Stone. After that he went out to the Safa, and recited from the Holy Quran "Verily, Safa and Marwa are among the symbols of Allah". Then going out from Safa he went seven times between Safa and Marwah, and all those with him did their best to record in their memories the exact words of praise and prayer that he ultered at every station and on every occasion. They also followed all his actions with careful precision. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) announced to the people that those without cattle to sacrifice should end their Ihram. People were very reluctant to end their Ihram. This angered the Prophet, expecting that whatever he instructed should be obeyed without hesitation or reluctance. When the people knew that their reluctance angered the Prophet, they obeyed by ending their Ihram, who did not have the cattle for sacrifice. Only those with their cattle for sacrifice retained their Ihram.

Ali Ibn Abi Taleb returned from Yemen with his companions to meet the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) in Macca with the intention to perform Pilgrimage. He had been comissioned to go to Yemen with Khaled Ibn Al-Walid to instruct tribes in Islam, and where they were forced to subdue some insurrections. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and his companions remained in Macca for four days, and on the eighth day of the month of Zu Al-Hijja, they went out of Macca to Mena; and those who had terminated their Ihram, put it on again with the intendion to perform Hajj. They arrived at Mena,

most exemplary and integrating manner and with superb magnanimity.

The latter months of the tenth year of Hijrah were nearing, and the nineth month of Ramadan had passed during which the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) made a spiritual retreat in the mosque for a longer time than was his custom. The tenth month of Shawal passed, and in the eleventh month of the tenth year, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) announced his intention to perform pilgrimage in that year. The news spread out to desert tribes, nomads, the multitudes residing all over the Arab peninsula. To perform pilgrimage in the company of the Messenger of Allah was a very special and unequalled privilage. The chance to experience the superb example, the schooling, the kindness, the companionship, the blessing, the living continuous education in conduct, behavior, patience, endurance, and the built up of the real Islamic way of life as taken from the Master himself, the Messenger of Allah, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). This pilgrimage would be unlike any that had taken place for hundreds of years; the pilgrims of that year would for the first time all be worshippers of the One God, and no idolator would desecrate the Holy Shrine with the performance of any heathen rites. From all corners of the Arab Peninsula, people came to Al-Medinah all brothers in Islam thrilled to become part of that consortium community of brotherhood, eager to accompany the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) on that very highly special journey of worship and spiritual experience.

On the Twenty Fifth day of Zu Al-Qidda of the tenth year of Hijrah, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) left Al-Madinah to perform Pilgrimage accompanied by all his wives, and the multitudes of pilgrims of more than hundred thousand men and women. At Za-Al-Hulayfa, a place ten miles south of Al-Madinah, they spent the first night, and in the following morning, they dressed their Ihram the attire of equality of man before Allah. All together they announced the answer to the call of Allah, repeating it continuously. The resonance of their voice echoed in the distant valleys declaring the submission of mankind to Allah the Creator. The human masses continued to march the long distance from Al-Medinah to Macca. On the way, they were instructed, and

THE FAREWELL PILGRIMAGE

(PART I)

By :
Dr. Anas Moustafa El-Naggar M.D.,Ph.D.

In the name of Allah most Gracious most Merciful.

Pilgrimage (Hajj) was ordained in the Holy Revelation upon Muslims as a formal ritual sacrament in the ninth year of Hijrah according to most chroniclers. During the pre-Islamic times, pilgrimage was performed according to the disciplines of the various individual creeds, without any harmony or homogenity of performance. When Islam came, the exact disciplines of pilgrimage according to Islamic Teachings were specified in great detail in time and particulars of practice. In Islam, the time for Hajj is the period of five days from the eighth to twelveth day of the last month of Zu Al-Hijja of that year. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) had not previously performed Hajj before or during the prophethood. In the Hajj season of the nineth year of Hijrah, conditions were not yet completely suitable, and for that reason, Abu Bakre was commissioned to lead the Hajj party of Muslim pilgrims. The Divine Referundum was revealed in the Holy Quran which legislated and specified the intricate inter-relatons between believers and non-believers, and also between Muslims and people of the book. Matters became vey precise and distinct, and the various creeds inhabiting the Arab peninsula recognised their exact situation in relation to the widespread dominating power of the Islamic nation. The whole social and creedal structure of the Arab peninsula was autonomously distinct and legislated by Quranic Revelation. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) continued to call unto the path of Allah and to expedite the progress and proliferation of Islam in the

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 59, Part VI

JUMMADA AL-AKHIR, 1407 HIJRAH

CONTENTS:

Preparation of Prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE

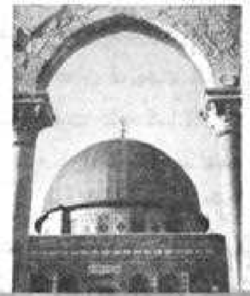


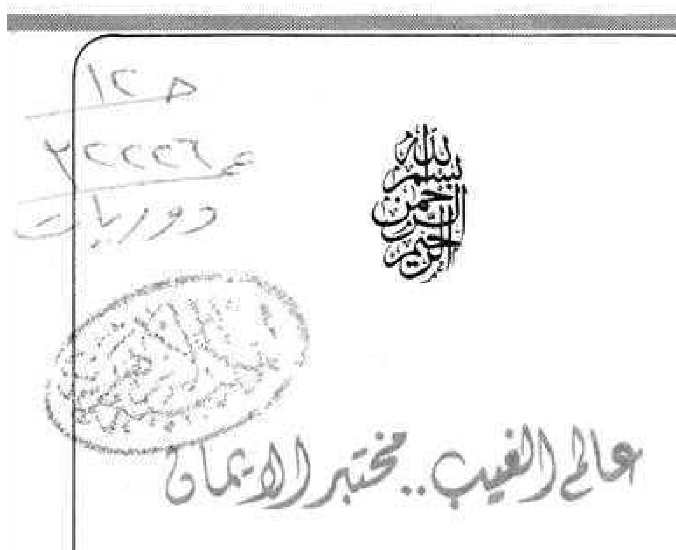
ENGLISH SECTION



الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع
كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦







بسم الله الرحمن الرحيم

عالم الغيب .. مختبر الإيمان

وذاك :

ماكان من « موجود » لاتدركه ابصارنا ، ولا تناله حواسنا ، ولا تحيط به آلات وفقنا الله ـ عز وجل ـ إلى اختراعها ... فهو من « عالم الغيب » قال تعالى :

« فلا اقسم بما تبصرون ومالا تبصرون »

وما كان من « نبا » لم نشهد أحداثه ـ فيما مضى ، أو فيما هو آت ، أو فيما بين ذلك ، فهو من « الغيب » وفى الكتاب العزيز قوله ـ جل جلاله :

« تلك من انباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين »

* الجزء السابع *
* السنة التاسعة والخمسون *
* رجب ١٤٠٧ هـ *
* مارس ١٩٨٧ م *

ومن الغيب « خَلْقٌ » وهو قِسْمَةُ الأخير ـ أراد الله بنا الا نعرفه ، أو نحيط به ، ولا رادَّ لقضائه ، فقال ـ سبحانه وتعالى :

« ويخلق مالا تعلمون » .

فسبحانه ، « كل يوم هو فى شان »

ذاك عالم الغيب الذى لا يعلمه إلا الله ... « عَالِمُ الغيب والشهادة الكبير المتعال »

فالملائكه ، واللوح ، والجن ، والعرش ، والكرسى ....

والوحى ، والاسراء والمعراج ، والبعث والحشر والحساب ...

كُلُّ غَيْب ، له عالمه الذى توارى عَمَّا لنا من حسٍّ وبصر ، ـ ليكون ـ فيما يكون ـ « مختبر الايمان » .

ولن يزال « عالم الغيب » ـ كما كان ـ بكائناته وأنبائه وأحداثه « مُخْتَبَرَ الإيمان » إلى يوم الدين . مختبرا يستبقى المؤمنين ويطهر صفوفهم من كل اثيم .

والذين يؤمنونَ بالغيب يؤمنون بما قرره الله فى كتابه المبين ، ويؤمنون مصدقين بما أتانا « صحيحا » عن خير القرون ، فأما ما عداهما من نَبأٍ وَحَدَثٍ « فمعظمه ظنٌّ وباقيه من إملاء الهوى » نعوذ بالله أن نؤمن به ، أو أن نسمح لعقولنا بأن تَهْوى لتصديقه .

ولقد كان الإسراء ـ ومثله المعراج ـ حدثاً فى الغيب ، تم كما أراد الله له أن يتم ، « فأسرع الصِّدِّيقُ إلى التصديق » وانفض عن الإيمان من كان اذى فى صفوف المسلمين .

ولم يكن الإسراء أو المعراج الحدث الأول والأخير فى سنوات رسالته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكم من وحى بنبأ أو حدث أوحى الله به من عالم الغيب كان بلاء للمؤمنين ثم نعمة عليهم .

ولقد جمع الإسراء بين عالمى الغيب والشهادة :

فالأمين جبريل ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ والبراق والرحلة والمعراج ، والصلاة بالأنبياء ـ على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام ـ كُلٌّ تم فى غيب لا تدركه الأبصار ولا تحيط به الحواس .

ثم كان منه فى عالم الشهادة :

روى ابن كثير ـ رضى الله عنه ـ حُجَّةَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأولئك المكذبين ؛ فقال ـ أى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

وآية ذلك انى مررت بعير بنى فلان بوادى كذا وكذا فأنفرهم حسُّ الدابة فَنَدَّ لهم بعير فدللتهم عليه ، وأنا متوجه إلى الشام ، ثم أقبلت حتى إذا كنت ب « ضجنان » مررت بعير بنى فلان فوجدت القوم نياما ، ولهم إناءفيه ماء قد غطوا عليه بشىء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ، ثم غطيت عليه كما كان . وآية ذلك أن عيرهم تصوب الآن من ثنية التنعيم البيضاء يقدمها جَمَلٌ أورق عليه غرارتان : إحداهما سوداء ، والأخرى برقاء .

فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أوَّلَ من الجمل الذى وَصَفَ لهم ، وسألوهم عن الإناء وعن البعير فأخبروهم كما ذكر ـ صلوات الله وسلامه عليه .

الإسلام والطب

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وبعد

فلقد عنى الإسلام بالإنسان أعظم العناية ، فهو الدين الذى اهتم فى شريعته بسلامته ، جسداً ونفساً وروحاً ..

لقد كرم الله الإنسان كما جاء فى قوله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ ﴾ وعمل على ترقية النفس البشرية إلى المستوى السامى الذى ابتغاه لها ، ومهد كل الأسباب التى تصل بها الروح إلى مثلها العليا .

وما كان الإسلام ليترك الإنسان بغير تشريع يقى جسده من العلل ويحفظه من الأوجاع والأمراض ، باعتبار أن الجسد مقر الحياة الإنسانية وأداة نمائها وإثرائها .. ومن ثم جاء القرآن موجهاً إلى ما يصلح ذات الإنسان .

فالله يقول فى كتابه : ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ . يَهْدِى بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .

وإذا كان[1] مؤتمرنا هذا يجرى حواره تحت عنوان : (الشريعة الإسلامية والقضايا الطبية المعاصرة) فإنه ينبغى ألا يغيب عن البال أن الإسلام فيه من التكاليف الشرعية التى تقتضى سلامة البدن والمحافظة على كيانه وقدرته على أداء ما كلف به وتعمير هذه الدنيا . وفوق ذلك فقد نوه القرآن الكريم فى آياته بمن اتصفوا بالقوة وامتن على من أوتوا بسطة فى العلم والجسم .

فهذه ابنة شعيب تقول عن موسى عليه السلام ـ كما حكى القرآن : ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِىُّ الْأَمِينُ ﴾ ..

وهذا هو القرآن يصف طالوت مزكيا بعثه ملكاً على الملأ من بنى اسرائيل ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِى الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِى مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ ..

والبسطة فى العلم والجسم تعنى ـ والله أعلم ـ كمال الروح والجسم معاً .

ومن هنا نرى الطب مجسماً فى تعاليم الإسلام وتكاليفه فى كثير من نصوصه قرآناً وسنة ، تصريحاً وتلميحاً ، مشيراً إلى ما يهم الناس وينفعهم من علم الطب وتوابعه ، ويدفعهم إلى

←

١ ـ المؤتمر الطبى الإسلامى الأخير بالقاهرة

الإسلام والطب

متابعة دراسته والانتفاع بما خلق الله وصولاً إلى حماية الإنسان .

ففى أصول طب جسد الإنسان النظافة . وقد قررها الإسلام شرطاً من شروط الصلاة وغيرها من العبادات .

هذه النظافة تقتضى نظافة البدن والثياب وطهارة الماء وحفظه من التلوث ، بل والحث على العناية بالمياه ومصادرها .

ويضع مبدأ الوقاية الشاملة فيقول فى القرآن الكريم : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ . ويقول سبحانه : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾ . وحرم مصادر السموم والأمراض كالميتة والدم ولحم الخنزير وشرب الخمور مهما اختلفت أسماؤها ومسمياتها .

وحرم الزنا واللواط ـ ليس للمبررات الاجتماعية فحسب ـ بل وللأمراض الجسدية والخلقية والنفسية التى تسببها هاتان الفاحشتان .

وهذا هو العلم المعاصر يكشف مدى خطورتهما على صحة الإنسان وعلى نسله . وصدق الله : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ .

ولم يكتف الإسلام بتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، بل حرم ما يكون ذريعة ووسيلة إليها ، فنراه يأمر كلا من الرجال والنساء بغض البصر عن المحرمات حتى لا تحدث الاضرار الجسدية المرتقبة من استدامة النظر والاستغراق فيه فضلاً عن المتاعب النفسية المترتبة على ذلك .

حضـــرات الســـادة :

إن من مقاصد الإسلام حماية ذات الإنسان وعقله ومن ثم جاءت الاحكام التشريعية فى القرآن والسنة ، أمراً ونهياً ، تاكيداً لهذه الحماية وحثاً على تكريمه وكرامته .

يقول الله تعالى فى القرآن : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ .. كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّباً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ . ﴾

ولقد شرع الصلاةوالصوم والحج وكلها عبادات بدنية وروحية تصلح الإنسان وتؤهله لحياة طيبة .

ويقـول الله : ﴿ وَكُلُـوا وَاشْرَبُـوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ . وهذه الآية تعتبر ـ فى منطق الطب ـ معجزة فقد أمرت بالطعام والشراب دون إسراف . اى بالاعتدال فى تناول الطعام والشراب ، حتى يستفيد الجسم من الغذاء من غير ان يصاب بأضرار التخمة المهلكة .

ولعل علم الطب وقضاياه وجه إليه قول الله سبحانه : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ .

ومن هنا كان للطب وجوده وتوجيهاته فى أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد أمر بالتداوى ، ونصح بالتوجه إلى الطبيب .

وجرى السلف من العلماء على دراسة الطب وعلم الأدوية وحثوا على دراسة علوم الدنيا وجعلوها من فروض الكفاية حتى تناقلوا اثراً يقول :

العلم علمان : علم الأبدان وعلم الأديان ، وسوى الامام الغزالى بين علم الفقه وعلم الطب ،

باعتبار أن الطب يبحث فى صحة الجسد وصلاحه ، والفقه يتعلق بصلاح الدين والدنيا .

ويقول العز بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء فى كتابه : (قواعد الأحكام فى مصالح الأنام) .

إن الطب كالشرع ، وضع لجلب مصالح السلامة والعافية ولدرء مفاسد المعاطب والأسقام ..

ثم قال : إن الذى وضع الشرع هو الذى وضع الطب فإن كل واحد منهما موضوع لجلب مصالح العباد ودرء مفاسدها .

حضـــرات الســـــادة :

منذ فجر الإسلام ارتبط الفقه والعقيدة بالطب والفلسفة والكيمياء والرياضيات وغيرها من نوعيات العلوم .

ومن ثم كان الكثيرون من علماء الشريعة ، فقهاء أطباء فلاسفة ، وكان المؤلفون النابغون فى الفقه نوابغ مؤلفين أيضاً فى الطب والحكمة .

ومن قدماء العلماء الأطباء : أبو الفرج يعقوب ابن يوسف بن كلس ، والحسن بن الهيثم ، وعلى ابن رضوان الذى آلت إليه رياسة الأطباء فى عصره بالقاهرة .

ومن الأطباء العلماء ، عبد اللطيف البغدادى الذى نبغ فى الطب والتشريح ودراسة الخواص النباتية .

ومنهم علاء الدين بن أبى الحزم القرشى الملقب بابن النفيس وله التأليف فى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وفى علوم الحديث ، ومع ذلك تعلم الطب على يد مشاهير هذا العلم فى عصره ، ويقول عنه أصحاب التراجم إن له جهداً كبيراً فى تطور علم الطب وطرق العلاج وأنه كان لا يصف لمرضاه دواء إذا استطاع أن يصف غذاء .

ومن الأطباء من علماء الأزهر الشيخ أحمد بن عبد المنعم الدمنهورى وقد درس مع العلوم العربية والشرعية الطب والهندسة والمساحة وله مؤلفات فى كل ذلك ما تزال مخطوطة .

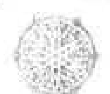
ومنهم الشيخ حسن بن محمد العطار ـ أحد الذين تولوا مشيخة الأزهر قديماً ـ فقد درس الطب والفلك والرياضة وله رسالة فى الطب والتشريح ، وله كتاب فى الصيدلة كل ذلك بجانب نبوغه فى العلوم الدينية .

أيها الســــــادة :

هكذا يتضح أن الإسلام واكب الطب وقضاياه فى كل عصوره ينميه ويزكيه ويقومه ويهديه إلى أقوم السبل لحماية الإنسان .

فاقبلوا أيها العلماء والأطباء على دراسة القضايا المطروحة للحوار واسترشدوا بالإسلام عقيدته وشريعته ولا تتعجلوا الحكم قبل أن تتفهموا القضية أو القضايا وتسبروا غورها وتتبينوا دليلها . وابشروا فانتم بذلك فى جهاد فى سبيلِ الله .

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .



الإسراء والمعراج

قال الله تعالى : « وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا » وقال عز وجل : « قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ » .

هذا هو القرآن الكريم ، كما وصفه الله رب العالمين ، هدى ونور ، وشفاء لما فى الصدور ، آيات محكمة ، ودلائل مفصلة ، وهدايات عظيمة ، ينتفع بها أهل الفطر السليمة ، والمستعدون لقبول الحق ، الذين لا يمارون فيه ولا يجادلون .

أما المعوجون أهل العناد والمكابرة ، فلا يزدادون بعنادهم ومكابرتهم القرآن إلا زيغاً إلى زيغهم ، وضلالاً فوق ضلالهم .

هذا القرآن الكريم ، قد أنزل الله من آياته البينات ، آية تحدث فى وضوح وجلاء ، أن النبى ـ ﷺ ـ قد أسرى به فى ليلة واحدة ، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ليريه الله من بديع آياته ، وليظهره على عجائب ملكه وملكوته .

فليس من الإيمان إنكار ذلك ، أو المماراة فيه . قال تعالى : « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » .

وقد ثبت أن النبى ﷺ ـ وهو الصادق الأمين ـ قد حدث صبيحة الليلة التى كان فيها الإسراء ، أنه أسرى به فى تلك الليلة من مكة إلى بيت المقدس حيث المسجد الأقصى ، وأنه قد عاد من ليلته إلى مكة ، وأن أول من حدثهم بذلك « أم هانىء » بنت عمه أبى طالب ، فعجبت لهذا الأمر العظيم ، ونصحت له ألا يحدث به الأقوام من كفار قريش حتى لا يكذبوه ، لكنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يستمع لها ، وخرج إلى المسجد ، وجلس إلى جوار الكعبة ، فمر به أبو جهل ، وهو ممعن فى تفكيره ، فقال له : هل من خبر ؟

قال : نعم . فقال : وما هو ؟ قال : إنى أسرى بى الليلة إلى بيت المقدس ؛ قال : إلى بيت المقدس ؟ قال : نعم ، قال أبو جهل : أرأيت إن دعوت قومك لك لتخبرهم أتخبرهم بما أخبرتنى به ؟ قال : نعم ؛ فنادى أبو جهل : هيا معشر قريش ! فاجتمعوا من أنديتهم ، فقال للرسول ـ ﷺ ـ اخبر قومك بما أخبرتنى به ، فقص عليهم رسول الله ﷺ انه قد ذهب إلى بيت المقدس تلك الليلة وصلى فيه ، فأخذوا يصفرون ويصفقون ، تكذيباً له واستبعادا لخبره .

* * *

لصاحب الفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
عبد الرحمن تاج
شيخ الأزهر الأسبق "رحمه الله"

وانتشر خبر ذلك فى مكة ، وذهب الناس إلى ابى بكر يخبرونه أن محمداً يقول : إنه ذهب إلى بيت المقدس وعاد فى ليلة ، فقال لهم : إنكم تكذبون عليه ، فقالوا : والله إنه ليقوله ، فقال : إن كان قد قاله لقد صدق ، قالوا : تصدقه على ذلك ؟

قال : إنى أصدقه على أبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء غدوة أو روحة . ثم جاء إلى رسول الله - ﷺ - وحوله مشركو قريش يسألونه ويستنعتونه صفات بيت المقدس وأحواله - وكان فيهم من رأى بيت المقدس من قبل ، وعرف شيئاً من معالمه وصفاته - قال ﷺ : فجعلت أخبرهم عن آياته ، فالتبس على بعض الشىء ، **فجلى الله لى بيت المقدس ، حتى جعلت انظر إليه دون دار عقيل وأنعته لهم** ، فقالوا : أما النعت فقد أصاب . ثم قالوا : اخبرنا عن عيرنا فهى أهم إلينا ، هل لقيت منها شيئاً ؟ قال : نعم ، مررت بعير بنى فلان وهى بالروحاء ، وقد أضلوا بعيرا لهم وهم فى طلبه ، وفى رحالهم قدح من ماء ، فعطشت فأخذته وشربته ووضعته كما كان ، فاسألوا : هل وجدوا الماء فى القدح حين رجعوا ، قالوا : هذه آية . قال : ومررت بعير بنى فلان ، وفلان وفلان راكبان قعودا ، فنفر بعيرهما منى فانكسر ، فاسألوهما عن ذلك ، قالوا : هذه آية أخرى . **ثم سألوه عن العدة والأحمال والهيئات ، فمثلت له العير** ، فأخبرهم عن كل ذلك ، وقال : تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس ، وفيها فلان وفلان ، يقدمها جمل أورق ، عليه غرارتان مخيطتان ، قالوا : وهذه آية أخرى .

فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية : **فجعلوا ينظرون متى تطلع الشمس ليكذبوه** ، إذ قال قائل : هذه الشمس قد طلعت ، وقال آخر : هذه العير قد اقبلت ، يقدمها بعير أورق ، فيها فلان وفلان كما قال . لكنهم لم يؤمنوا وقالوا هذا سحر مبين .

* * *

هذه بعض تفاصيل لواقعة الإسراء التى حدث عنها القرآن ، وأخبر بها الرسول ﷺ ، قد حفظها الثقات الأثبات من المؤرخين ورواة الحديث والمفسرين ، وهى - من حيث ما يجب توافره لإثبات الوقائع التاريخية - قد توافر لها ما يثبت - إثباتاً لامرية فيه - أن النبى ﷺ قد اسرى به من مكة إلى بيت المقدس ، ثم عاد إلى مكة فى ليلة واحدة .

ولكن كيف كان هذا الإسراء ؟

هل كان فى اليقظة سيراً حقيقياً ، وحركة مادية ، وانتقالاً جسمانياً ، رأى فيه الرسول - ﷺ - ما أراه الله من الآيات الكونية ، بالمشاهدة العينية ، والرؤية البصرية ؟

او كان رؤيا منامية ، كشف الله له فيها عن معالم ومشاهد فى بيت المقدس والمسجد الأقصى وفى الطريق إليهما ، على نحو ما يرى النائم - فى كثير من الأحيان - أنه سافر إلى جهة من الجهات البعيدة النائية عن موطنه ، يكشف له فيها عن معالم ومشاهد هى من الحقائق الثابتة فيها ؟ هذا هو الذى نعرض له الآن .

اسراء الرسول فى اليقظة

بالروح والجسم معا

يدل على أن الإسراء كان فى اليقظة بالجسم والروح معاً جملة أمور ، نقتصر هنا على أهمها :

أولاً ـ قول الله تعالى « سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى » فإنه يدل دلالة واضحة على أن الإسراء بالرسول ـ ﷺ ـ كان بجسمه وروحه جميعاً ، وأنه كان سيراً حقيقياً ، وانتقالاً بحركة مادية .

وذلك : أن الإسراء كالسُّرى ، معناه فى اللغة السير ليلاً ، والسير حقيقة فى الحركة المادية التى ينتقل بها الإنسان من مكان إلى مكان ، فلو كان الحديث عن الإسراء حديثاً عن رؤيا منامية ، لكان يسيراً على القرآن أن يقول : سبحان الذى أرى عبده فى المنام كيت وكيت .

هذا إلى أن الآية الكريمة ـ كما هو واضح منها ـ فيها تنويه بشأن الرسول ـ ﷺ ـ وإشعار برفعته وسمو مكانته ، وتنويه بشأن ما أجراه الله على يديه من الأمر العظيم ؛ وعظم هذا الأمر ليس إلا لأنه كان شيئاً مما لا يجرى على أيدى الناس ولا يعهدونه ؛ لابد أن يكون شيئاً يستحق أن يبدأ القول فيه والحديث عنه بالتسبيح الذى لا يكون إلا فى المقامات الجليلة ، والآيات العظيمة ، والأمور الهائلة العجيبة ؛ وذلك كله يدل دلالة واضحة على أن الإسراء لم يكن رؤيا منامية ، ومجرد انكشاف روحى ، وإنما كان سيراً حقيقياً ، بالروح والجسم معا .

ثانياً ـ أنه لو كان أمر الإسراء مجرد رؤيا منامية لم يكن حينئذ شيئاً غريباً ، ولم يكن فيه ما يثير العجب والدهشة ، ولا ما يستوجب الإنكار والتهكم والسخرية ، كالذى كان من أبى جهل ومشركى مكة ، حينما سمعوا من الرسول ـ ﷺ ـ حديث هذا الإسراء .

إن كثيرا من الناس يرى فى منامه عظائم وأعاجيب ، ويرى حقائق وكائنات لم يسبق له علم بها ، ولم يرها قط فى حياته رأى العين ، ولكن حين يُقص قصصُها ويحدث عنها ، وحين يعلم أنها إنما كانت رؤيا فى المنام ، لا يرى فى ذلك ما يوجب الدهشة ، ويدعو إلى الاستنكار والاستهزاء .

* * *

ومن هنا استفاض النقل عن الصحابة والتابعين وسائر علماء المسلمين ، أن الإسراء بالرسول ـ ﷺ ـ من مكة إلى بيت المقدس ، كان سيراً حقيقياً مادياً فى اليقظة ، بروحه وجسمه جميعا . ولم يرد عن الصحابة نقل يخالف ذلك ، **إلا ما روى برواية ضعيفة عن السيدة عائشة** ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت فى شأن هذا الإسراء : « ما فَقَدْتُ جسد رسول الله ﷺ » . وفى رواية أخرى ليست أقل ضعفاً من هذه أنها قالت : « ما فُقِدَ جسد رسول الله ﷺ » بالبناء للمجهول .

وقد أخذ من هاتين الروايتين ـ على ضعفهما ـ أن السيدة عائشة كانت تنكر أن الإسراء بالرسول كان فى حالة اليقظة ، وأنها كانت تذهب إلى أنه رؤيا منامية ، وهو ما كان يذهب إليه معاوية بن أبى سفيان ، على ما روى عنه .

لكن الصحيح المحفوظ فى النقل عن السيدة عائشة أنها كانت تقول فى مسألة الإسراء بما كان يقول به جمهور الصحابة ، من أن هذا الإسراء كان يقظة بالروح والجسم معا .

وفى الحق أن العبارة التى رويت عن السيدة عائشة فى الرواية الأولى تحمل بنفسها الدليل على ضعف الرواية وعدم صحتها [١] :

وذلك أن هذه العبارة : « ما فقدت جسد رسول الله ﷺ » تفيد أن السيدة عائشة كانت زوجاً للرسول ﷺ حينئذ ، وأنها كانت معه فى الليلة التى كان فيه الإسراء ، وأنه عليه الصلاة والسلام لم يبرح المكان الذى كانا فيه فى تلك الليلة .

وهذا شىء لا يستقيم بحال ، ولا يصح قبوله : فإنها ـ رضى الله عنها ـ لم تكن زوجاً للرسول حينئذ ، ولم تكن حيث كان عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء ، فكيف تحدث عن نفسها أنها لم تفقد جسده الشريف فى تلك الليلة ؟!

إن فى هذه العبارة خطأ واضحاً ، ولابد أن تكون محرفة عما ورد فى الرواية الأخرى الضعيفة أيضاً من أنها قالت : « ما فقد جسد رسول الله ﷺ » بالبناء للمجهول ، وإذا تكون مقالتها هذه تحديثاً ترويه عن شخص آخر يقول : إنه لم يفقد جسد رسول الله ﷺ ؛ ورواية كهذه يتحدث فيها عن مجهول لا يعرف شخصه ولا حاله ، ولم تثبت ملازمته للرسول ﷺ فى ليلة الإسراء ، لا يمكن أن تعارض أو تقاوم ما رواه الثقات الأثبات ، من الصحابة المعروفين بأشخاصهم ، المسمين بأسمائهم ، من أن الرسول ﷺ قد انتقل بشخصه ، وسار كما أراد الله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، على دابة تسمى البراق ، وأنه صحبته ملائكة الله فى سيره ، كما حدث بذلك عليه الصلاة والسلام ، حتى بلغوا المسجد فى بيت المقدس .

هذا فضلاً عما أشرنا إليه من أن العلماء أهل الشأن فى روايات الأحاديث ونقدها ، والتمييز بين صحيحها وضعيفها ، قد أثبتوا ضعف ما روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها من العبارتين السابقتين ، كما أثبتوا أن الصحيح المحفوظ عنها أنها لم تخالف سائر الصحابة فيما ذهبوا إليه فى موضوع الإسراء ، من أنه كان بالروح والجسد جميعاً .

أفهام ومزاعم لا تخلو من شغب وتخليط

إن بعض الكاتبين المحدثين ـ ولا سيما أولئك الذين لا يميلون إلى التسليم بما استفاض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات وخوارق العادات ، التى لم يكن فيها بدعاً من الرسل قبله ـ قد اغتروا بالرواية التى وردت فيها عبارة « ما فقدت جسد رسول الله » أو « ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم » وقالوا : إن الإسراء لم يكن سيراً حقيقياً فى اليقظة ، وإنما كان رؤيا منامية ، سبحت فيها روحه عليه الصلاة والسلام ، وكشف الله لها ما تحدث عنه من آيات الله وزعموا أن هذا هو ما يدل عليه أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ ، فإن الأصل فى الرؤيا ـ بغير تاء ـ أنها هى التى تكون فى النوم ، أما التى تكون بالعين فى اليقظة فهى الرؤية ، بثبوت التاء .

ولكن هذا الزعم ضعيف غاية الضعف ، بل هو فاسد ساقط ، لا يعبأ به ولا يعول عليه . والاستدلال بهذه الآية فى موضوع الإسراء ، هو

(١) الأمر فى تضعيف هاتين الروايتين هو من ناحيتى السند والمتن ، شأن ما صنعه العلماء بكثير من الأحاديث الضعيفة التى نظروا فيها وأثبتوا عدم صحتها فى الناحيتين جميعا فهم لم يقتصروا فى نقد الأحاديث على ناحية السند وحدها كما يدعيه بعض المستشرقين المفترين مما جاراهم فيه بغير وعى ولا علم بعض المؤلفين المعاصرين من المسلمين .

من الشغب الباطل ، والجدال بغير الحق ، وهو أيضاً ضرب من فساد المحاولات ، والتخليط في الآيات :

أما أن ذلك شغب وجدال بغير حق ، فلأن **الآية نفسها تنادى ببطلان التعلق بها على الوجه الذى يريده هؤلاء : فإنها تقرر أن تلك الرؤيا المنامية كانت فتنة للناس ، فأية فتنة في رؤيا منامية يحدث صاحبها أنه رأى فيها أنه ذهب إلى بلدة قريبة أو بعيدة ، وأنه رأى بعض هياكلها ومشاهدها ومعالمها ، وأشياء عرضت له أو كشفها في طريقه إليها ؟ هل في ذلك ما يفتن أحداً من المؤمنين أو المشركين ؟**

إن كثيراً من الناس قد يرى في منامه أنه ذهب إلى جهات بعيدة ، وبلاد نائية ، أشد بعداً مما بين مكة وبيت المقدس ، ثم لا يكون في ذلك عجب ولا غرابة ، ولا شيء يوجب الاضطراب أو يوقع في الفتنة .

وأما أن ذلك ضرب من فساد المحاولات والتخليط في الآيات ، فلأن هذه الآية : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس ﴾ ـ على ما اعتمده أئمة التفسير ـ ليست واردة في شأن حادثة الإسراء ، وإنما هى تحديث عن الرؤيا المنامية التى رآها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبيل واقعة الحديبية ، وهى التى أشار إليها القرآن في قول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾ : فهى رؤيا منامية حقا ، رأى فيها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه وجماعة المؤمنين قد دخلوا مكة على الحال التى بينها الله في هذه الآية .

فلما قص الرسول عليه الصلاة والسلام هذه الرؤيا على أصحابه ، علموا أن الله سيفتح عليهم مكة ، يدخلونها آمنين مطمئنين محلقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون ، وظنوا أن ذلك سيكون قريباً جداً ، وفي السنة نفسها التى رأى فيها هذه الرؤيا ، ثم قوى هذا الظن عندهم لما نهض رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يريد السير إلى مكة معتمراً ، ومعه نحو ألف وخمسمائة من المهاجرين والأنصار حتى إذا كانوا عند قرية الحديبية ، وصدهم المشركون عن دخول مكة ، وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على أن يعدل بأصحابه إلى المدينة ذلك العام ، أصاب الناس من ذلك بلاء وغم شديد ، وحزنوا لذلك واضطربوا ، واشتد الأمر على عمر حتى قال مقالته المشهورة : ألست رسول الله ؟ أو لسنا على الحق ؟ أو ليسوا على الباطل ؟ فلماذا إذاً نعطى الدنية في ديننا ونرجع ؟ .

وهذا كان من كمال غيرته الدينية ، وشدة حنقه على إبرام صلح يحول بينهم وبين دخول مكة في ذلك العام .

أما عبد الله بن أبى ومن كان معه من المنافقين فقد انتهزوها فرصة للسخرية والتهكم ، لعدم تحقق الرؤيا ، وقالوا : والله ما حلقنا ، ولا قصرنا ، ولا رأينا المسجد الحرام .

هذه هى الرؤيا المنامية التى جعلها الله فتنة للناس ، وامتحانا لهم ، جعلها تمحيصاً للمؤمنين ، وتمييزاً بينهم وبين المنافقين .

وإذا كانت هذه الرؤيا لم تتحقق ـ على ما كان يظن الناس ويؤملون أن تتحقق ـ في سنة الحديبية التى قصد فيها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه إلى مكة ، فذلك ليس تخلفا ولا إخلافاً لوعد الله ، الذى وعده رسوله في رؤياه ، وهو أيضاً لا يوجب اليأس من تحقق تلك الرؤيا في الميعاد الذى أراده الله ، وقد تحقق وعد

الله ، ففتح عليهم مكة ودخلوها آمنين مطمئنين ، وهذا هو الفتح المبين . أتمه الله عليهم بعد ما حقق لهم بين يديه فتحا قريباً ، هو صلح الحديبية نفسه أو فتح خيبر : جعل الله هذا أو ذاك أو كليهما فتحاً ونصراً ، ومقدمة للفتح الأكبر ، كما قال تعالى : ﴿ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ .

هكذا يقول فريق من أعلام المفسرين فى تفسير الرؤيا التى جعلت فتنة للناس .

ويقول فريق آخر : إن المراد بها ما رآه النبى - صلى الله عليه وسلم - فى منامه قبل التحام الجيوش فى موقعة بدر ، التى انهزم فيها المشركون شر هزيمة ، فقد أراه الله فى منامه أن صناديد قريش وزعماءها سيهلكون فى هذه الموقعة ، وكشف له عن مَصارِعهم ، فلما كان قبل بدء المعركة وقبل أن يلتقى الجمعان ، نزل الرسول - صلى الله عليه وسلم - بين أصحابه إلى ساحة القتال ، ليرتب جيشه وينظم وحداته ، وينصح لهم ويعضدهم ويقوى أمرهم ، وجعل يخط برمحه فى عدة مواضع من الساحة ويقول : هـذا مصرع فلان ، وهـذا مصرع فلان - لأشخاص بأعيانهم من زعماء قريش - قد أريت مصارعهم ، فسرى حديث هذه الرؤيا إلى مقر المشركين ، وتسامع به أفراد منهم ، فسخروا منها ، واستهزءوا بها ، معتزين بقوتهم ، وعدتهم ، وكثرة عددهم ، فكانت تلك الرؤيا فتنة لهم ، وكان استهزاؤهم بها وبالا عليهم ، ثم كانت نكبتهم فى هذه الموقعة مضرب الأمثال فى الخزى وعار الهزيمة .

ومجمل القول أن رؤيا الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهى التى قال الله فيها : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ ليست فى الإسراء ، ولا علاقة لها به ، حتى يقال : إن الإسراء كان رؤيا منامية ، اعتماداً على تلك الآية .

أمر الروح فى هذا الشان : [1]

وقد يقال : إنه إذا لم يستقم حمل الإسراء على ما يكون فى الرؤيا المنامية ، للأسباب التى أشير إليها ، فذلك لا يقتضى حتما أن يحكم بأنه كان فى اليقظة بالجسم والروح معا ، فانه يمكن أن يقال : إنه كان فى اليقظة بالروح وحدها ، وإن الله قد مكن لها أن تسبح فى الفضاء ، وتقطع المسافات الشاسعة بين مكة وبيت المقدس ، فى ساعات أو لحظات قليلة من الليل ، فترى من آيات الله العظيمة ما أراد الله اطلاعها عليه ، وما حدث الرسول - صلى الله عليه وسلم - القوم ببعضه ، فأثار عجبهم ودهشتهم وإنكارهم .

قد يقال هذا ، بل قد مال إليه بعض الكاتبين وخصوصاً أولئك الذين لا يودون التسليم بوقوع خوارق العادات من الأنبياء والمرسلين . ولعلهم اختاروه رغبة فى التوسط بين الأمرين : الإسراء الحقيقي في اليقظة بالجسم والروح جميعاً ، والإسراء المجازى بطريق الرؤيا فى النوم ، لعلهم اختاروه رغبة فى ذلك ، وتمشياً مع تلك الرواية التى جاء فيها أن جسم الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يفتقد فى تلك الليلة .

ولكن هذا القول مردود بأن حمل الإسراء على ذلك المعنى لا يخرج عن كونه تأويلاً وحملاً للفظ على غير معناه ، من غير موجب ولا بينة .

ثم إن الذهاب بالروح والكشف لها عن المشاهد والمعالم التى تكون بعيدة عن مقر جسمها هو نظير الإلهام والإلقاء فى الروع ، ومن قبيل ما يجده كثير من أصفياء النفوس مما تنكشف

(١) هذا العنوان من وضع التحرير بالمجلة .

لهم به كائنات واقعة او حوادث مستقبلة ، ومثل هذا لا يكون من الغرابة فى المنزلة التى تدعو القوم إلى الإنكار والتهكم والسخرية ، حتى يقول بعضهم لبعض : اسمعوا .. اسمعوا .. إن محمدا يزعم أنه ذهب إلى بيت المقدس ثم عاد من ليلته ، مسافة لا يقطعها الراكب فى اقل من ثلاثين او اربعين ليلة .

هل هذا مما يصلح ان يكون رداً على من يدعى انه قد كشفت لروحه معالم فى بيت المقدس ، وأن روحه قد أطلعها الله فى حال يقظته على ما يمكن أن يطلع عليه النائم فى رؤيا نومه ؟ .

إنه ليس بين هذين الحالين كبير فرق ، وليس فى شىء منهما ما يدعو إلى الاستنكار والاستهزاء ، وإذا لا مناص من التسليم بأن الإسراء كان فى حال اليقظة بالروح والجسم جميعاً .

وهذا هو ما تفيده الآية الأولى من سورة الإسراء ، ويدل عليه حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى حدث به الأقوام مؤمنين ومشركين ، وهو ما حفظه التاريخ ، وأثبته رواة الحديث وحفاظه جيلاً عن جيل ، سجلته كتب السيرة وجوامع الأحاديث الصحيحة .

قد اتفق عليه المسلمون منذ اليوم الذى حدث فيه عن هذا الإسراء ، ولم يروا فيه خلاف يعول عليه .

الخلاف الحق فى موضوع الاسراء (١)

حقيقة قد وقع خلاف بين العلماء فى موضوع الإسراء ، ولكن من وجوه أخرى :

اختلف فى زمانه : هل كان قبل الهجرة بسنة واحدة ، أو بسنة وبضعة أشهر ، أو قبلها بأكثر من ذلك ؟

وفى أى شهر كان ؟ هل كان فى شهر ربيع الأول ؟ فى شهر رجب ؟ فى ذى القعدة ؟ فى ذى الحجة ؟

واختلف فى مكانه : أى فى الموضع الذى بدىء منه الإسراء :

هل كان من شعب أبى طالب ؟ أو من بيت ابنته أم هانىء ؟

أو من المسجد الحرام نفسه من حجر اسماعيل فى جوار الكعبة ؟ !

ونحن نرى أن الاختلاف فى المكان ليس اختلافاً حقيقياً ، وليس بين الروايات الثلاث فيه تناقض أو تعارض ، فانه يمكن أن يكون الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ليلة الإسراء قد كان فى شعب أبى طالب ، وفى بيت أم هانىء ، ثم ابتدأ السير من المسجد حيث كان فى حجر إسماعيل .

إنما الخلاف الحقيقي هو الذى وقع فى زمان الإسراء ، وقد رجح العلماء فيه بعض تلك الروايات ، وأنه كان فى شهر رجب قبل الهجرة بسنة وبضعة أشهر ، تاريخ فرضية الصلوات الخمس .

وهذا الاختلاف فى زمن الإسراء : « يومه ، وشهره ، وسنته » لا ينبغى أن يكون له أى تأثير يمكن أن يشكك فى ثبوته ، وفى أنه حقيقة وقعت فعلاً ، فإنه اختلاف عادى يقع مثله كثيراً فى تواريخ الأحداث الكونية ، وفى تحديد الوقائع وأعمال الناس اليومية ، ولا سيما إذا لم تكن هناك سجلات كتابية ، يعنى فيها بتدوين تلك الحوادث والوقائع والأعمال .

(١) العنوان من وضع التحرير بالمجلة .

ونظن أن كثيراً من الناس اليوم لا يستطيع أن يحدد من ذاكرته الايام أو الأشهر التى قامت فيها ثورات الشعب على الاحتلال فى سنة ١٩١٩ أو فى سنة ١٩٢١ م .

ونظن أن كثيراً من الناس كذلك لا يطمئن إلى ذاكرته ، إذا أراد أن يعين اليوم الذى قامت فيه الثورة الحاضرة : ثورة سنة ١٩٥٢ : هل كان يوم جمعة ، أو يوم خميس ، أو يوم ثلاثاء أو أربعاء ؟ .

وكم من الناس يذكر اليوم أو الشهر أو السنة التى تقلد فيها الشيخ محمد عبده منصب الإفتاء ؟ أو السنة التى مات فيها الشيخ عبد الله الشرقاوى ، أو الشيخ الخرشى ، أو الشيخ جمال الدين الافغانى ؟

بل هل يستطيع كثير من المثقفين الذين حصلوا على شهادات دراسية ، أن يعينوا الشهر أو اليوم الذى أعلنت فيه نتيجة امتحاناتهم أنفسهم ، فى الشهادات الابتدائية ، أو الثانوية ، أو العالية أو ما بعدها ؟ .

هل من اليسير أن يعتمد الناس على ذاكرتهم فى تعيين هذه الأحداث وأشباهها ، فيتفقوا جميعاً على تواريخ معينة لها ؟

هذا ما لا يمكن أن يكون .

إنه لا بد أن يقع الاختلاف فيها وفى تحديد أزمنتها : أيامها ، وأشهرها ، وسنيها ، على نحو الاختلاف الذى وقع فى تحديد زمن الإسراء وأشد مما وقع فيه .

هذه اختلافات طبيعية وعادية من غير شك . فهل الاختلاف فى تعيين التاريخ الذى حدث فيه شأن من هذه الشئون ينبغى أو يصح أن يجر إلى إنكار حدوثه من أصله ؟

وهل إذا اختلفنا الآن فى تعيين اليوم الذى افتتح فيه حديثاً الطريق الجديد على شاطىء النيل فى مدينة القاهرة ، كان ذلك مسوغاً لأحد منا أو ممن يجىء بعدنا أن ينكر أصل إنشاء هذا الطريق ، مهما تغيرت المعالم ، وتتابعت الأحداث ؟

إذا اختلاف المسلمين فى تعيين زمن الإسراء ليس معناه الاختلاف فى أصل حدوثه ، ولا ينبغى أن يؤدى بالعاقل المنصف إلى إنكار وقوعه .

إن اختلافات كثيرة نشأت حول السيد المسيح عيسى عليه السلام ، وما كان من عجائب حمله ، وميلاده ، ونشأته ، ومدة بقائه على وجه الأرض ، وما وقع منه من الكلام فى المهد ، وإحياء الموتى ، وإبراء الأكمة والأبرص ، وما إلى ذلك من الخوارق التى لا يعترف بها العلماء الماديون ، ولا تخضع لمقرراتهم فى المادة وخصائصها ، بل هى من شأن الله وحده ، خاضعة لمحض قدرته ، واقعة فى قبضة سلطانه على المادة وعلى كل شىء .

هذه الاختلافات التى وقعت حول السيد المسيح لا ينبغى أن تجر إلى الشك فى وجوده ، أو ادعاء أنه شخصية خرافية ، كما فعل بعض المخرفين المتهوسين ، ممن يزعمون أنهم من العلماء الأحرار فى البحث والتفكير .

إن الذين أنكروا وقوع الإسراء ممن كان فى زمن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنما هم المشركون المعاندون الذين لا يؤمنون بحق ، ولا يخضعون لحجة ولا بينة ، والذين كانوا محسوبين فى عداد المؤمنين ، ممن لم تتشبع قلوبهم بخالص الإيمان وصدق اليقين .

فإنكار هؤلاء وهؤلاء لحادث الإسراء ـ بعدما أراهم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الآيات البينات ـ ليس إلا من قبيل كفرهم وجحودهم بكل ما أتاهم به من الحق ، والجاحد المكابر لا سبيل إلى إقناعه ، ولا حاجة لأحد فى إقناعه ، مادام لا يريد أن يسمع أو يفكر ، أو يسلم بنتائج تقضى بها المقدمات .

يتبع

وجوب أداء الصلاة في الجماعة

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز الى من يراه من المسلمين وفقهم الله لما فيه رضاه ونظمني واياهم فى سلك من خافه واتقاه آمين:

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد :

فقد بلغني أن كثيرا من الناس قد يتهاونون بأداء الصلاة فى الجماعة ويحتجون بتسهيل بعض العلماء فى ذلك فوجب على أن أبين عظم الأمر وخطورته ، وأنه لا ينبغى للمسلم أن يتهاون بأمر عظم الله شأنه فى كتابه العظيم ، وعظم شأنه رسوله الكريم ، عليه من ربه افضل الصلاة والتسليم .

ولقد أكثر الله سبحانه من ذكر الصلاة فى كتابه الكريم ، وعظم شأنها ، وأمر بالمحافظة عليها وأدائها فى الجماعة ، وأخبر أن التهاون بها والتكاسل عنها ، من صفات المنافقين .

فقال تعالى فى كتابه المبين :
« حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ » .

وكيف يعرف الناس محافظة العبد عليها ، وتعظيمه لها ، وقد تخلف عن أدائها مع اخوانه وتهاون بشأنها وقال تعالى :

« وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ »

وهذه الآية الكريمة نص فى وجوب الصلاة فى الجماعة ، والمشاركة للمصلين فى صلاتهم، ولو كان المقصود اقامتها فقط لم تظهر مناسبة واضحة فى ختم الآية بقوله سبحانه : « وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ » لكونه قد أمر باقامتها فى أول الآية ، وقال تعالى :

«وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ » الآية .

فأوجب سبحانه أداء الصلاة فى الجماعة فى حال الحرب فكيف بحال السلم ؟

ولو كان أحد يسامح فى ترك الصلاة فى جماعة ، لكان المصافون للعدو ، المهددون بهجومه عليهم أولى بأن يسمح لهم فى ترك الجماعة . فلما لم يقع ذلك ، علم أن أداء الصلاة فى جماعة من أهم الواجبات ، وأنه لا يجوز لأحد التخلف عن ذلك .

لسماحة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

مفتى المملكة العربية السعودية

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه : عن النبى ﷺ أنه قال : « لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ، ثم آمر رجلا أن يصلى بالناس ، ثم أنطلق برجال معهم حزم من حطب ، الى قوم لا يشهدون الصلاة ، فأحرق عليهم بيوتهم » الحديث .

وفى صحيح مسلم : عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، قال : « لقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة الا منافق عُلِمَ نِفاقُهُ ، أو مريض ، وان كان المريض ليمشى بين الرجلين حتى يأتى الصلاة » .

وقال : « ان رسول الله ﷺ علمنا سنن الهدى ، وأن من سنن الهدى الصلاة فى المسجد الذى يؤذن فيه » .

وفيه أيضا عنه قال : « من سره أن يلقى الله غدا مسلما فليحافظ على هذه الصلوات حيث ينادى بهن فان الله شرع لنبيكم سنن الهدى ، وأنهن من سنن الهدى ولو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، ومامن رجل يتطهر فيحسن الطهور ، ثم يعمد الى مسجد من هذه المساجد ، الا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ، ويرفعه بها درجة ، ويحط عنه بها سيئة ، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها الا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام فى الصف » .

وفى صحيح مسلم أيضا عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ أن رجلا أعمى قال : يا رسول الله انه ليس لى قائد يلائمنى الى المسجد ، فهل لى رخصة أن أصلى فى بيتى ؟

فقال له النبى ﷺ : « هل تسمع النداء بالصلاة ؟ » .

قال : نعم .

قال : « فأجب » .

والأحاديث الدالة على وجوب الصلاة فى الجماعة ، وعلى وجوب إقامتها فى بيوت الله التى أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، كثيرة جدا ، فالواجب على كل مسلم العناية بهذا الأمر ، والمبادرة إليه ، والتواصى به ، مع أبنائه وأهل بيته وجيرانه وسائر إخوانه المسلمين ، امتثالا لأمر الله ورسوله ، وحذرا مما نهى الله عنه ورسوله ، وابتعادا عن مشابهة أهل النفاق الذين وصفهم الله بصفات ذميمة من أخبثها تكاسلهم عن الصلاة ، فقال تعالى :

« إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ

←

النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا • مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا » •

ولأن التخلف عن أدائها فى الجماعة من أعظم أسباب تركها بالكلية • ومعلوم أن ترك الصلاة كفر وضلال وخروج عن دائرة الاسلام ، لقول النبى ﷺ (بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة) اخرجه مسلم فى صحيحه عن جابر رضى الله عنه • وقال ﷺ (العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » • رواه الامام أحمد وأصحاب السنن الأربع باسناد صحيح • والآيات والأحاديث فى تعظيم شأن الصلاة ، ووجوب المحافظة عليها واقامتها كما شرع الله والتحذير من تركها كثيرة ومعلومة • فالواجب على كل مسلم أن يحافظ عليها فى أوقاتها ، وأن يقيمها كما شرع الله وأن يؤديها مع اخوانه فى الجماعة فى بيوت الله ، طاعة لله سبحانه ولرسوله ﷺ ، وحذرا من غضب الله وأليم عقابه • ومتى ظهر الحق واتضحت أدلته ، لم يجز لأحد أن يحيد عنه ، لقول فلان أو فلان ، لأن الله سبحانه يقول :

« فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا »

ويقول سبحانه :

« فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ »

ولا يخفى ما فى الصلاة فى الجماعة من الفوائد الكثيرة ، والمصالح الجمة ، ومن أوضح ذلك التعرف والتعاون على البر والتقوى والتواصى بالحق والصبر عليه وتشجيع المتخلف و تعليم الجاهل ، واغاظة أهل النفاق ، والبعد عن سبيلهم ، واظهار شعائر الله بين عباده ، والدعوة اليه سبحانه بالقول والعمل ، الى غير ذلك من الفوائد الكثيرة •

وكثير من الناس قد يسهر بالليل ويتأخر عن صلاة الفجر وبعضهم يتخلف عن صلاة العشاء ، ولا شك أن ذلك منكر عظيم وتشبه بأعداء الدين المنافقين الذين قال الله فيهم سبحانه :

« إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا »

وقال فيهم عز وجل :

« الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ • وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ »

وقال سبحانه فى حقهم :

« وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ . فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ » .

فيجب على كل مسلم ومسلمة الحذر من مشابهة هؤلاء المنافقين فى أعمالهم وأقوالهم وفى تثاقلهم عن الصلاة وتخلفهم عن صلاة الفجر والعشاء حتى لا يحشرمعهم ، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا » . متفق على صحته .

وقال ﷺ : « من تشبه بقوم فهو منهم » . رواه الامام أحمد من حديث عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – باسناد حسن .

وفقنى الله واياكم لما فيه رضاه وصلاح أمر الدنيا والآخرة ، وأعاننا جميعا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ومن مشابهة الكفار والمنافقين ، انه جواد كريم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

يا ليلة الإسراء

سلاما على القدس

أن نبوة سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ هى خاتمة النبوات وتاج الموكب النبوي الكريم الذى بعثه الله لهداية البشرية على مر السنين ، ومن مستلزمات ختم النبوة أن تسلم المواريث التى بقيت بعد نهاية المطاف مما بقى من آثار الأنبياء السابقين .

وأن يعلن هؤلاء الانبياء لخاتم الرسالة سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنهم بشروا به أقوامهم وأنهم يصدقونه فى كل ما بعث به لأنه هو عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام مصدق كذلك لما جاءوا به .

وأن تمحص الأمة التى اتبعته تمحيصا منهجياً يختبر فى النفوس وضوح العقيدة واستقرارها أو خفوتها وزعزعتها .

وكان مولانا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد أُمِرَ وهو فى مكة المكرمة أن يتوجه الى بيت المقدس كقبلة فى الصلاة ، وذلك حين كانت الأصنام تمنع أن يكون البيت العتيق خالصا لقبلة المسلمين فان الاشتراك يجعل مهمة تنقية التوحيد شاقة فوق مشقتها الطبيعية وكأنما عقد الله بهذا التوجه الى بيت المقدس والمسلمون فى البيت العتيق قنطرة ايمانية بين مقام سيدنا ابراهيم الذى رفع القواعد من البيت اخلاصا لوجه الله وبين عمل أبنائه الأنبياء الذين شيدوا بيت المقدس مكانا مقدسا لعبادة الله الواحد الأحد الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، وكأنما هذه القنطرة الايمانية التى صنعها التوجه النبوى الخاتم تجعل بين البيت نحوا من التشوق ليوم الخلاص من تحكم الوثنية فى حقائق التوحيد ، وأن فجر ذلك اليوم قد أشرق ببعثة سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومازال بيت المقدس يتشوق الى ذلك اليوم الذى تتم فيه الأسرة الايمانية بينه وبين البيت العتيق حتى كانت ليلة الاسراء وانطلق البراق وهو أشد من البرق سرعة فان زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ليحمل مولانا سيدنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى القدس ليلقى سلاما على بقايا تركة اخوانه السابقين من الأنبياء ويتسلم المواريث التى تركوها فليس بعده من نبى أبدا ، واتجه البراق من مكة الى سيناء



للأستاذ الدكتور رءوف شلبي

حيث الوادى المقدس طوى وهو أحد الأماكن المقدسة التى خلفها نبى من أبناء بسيدنا ابراهيم وهو ميراث يئول فى قدسيته الى تبعية النبوة الخاتمة وفى لحيظات من الثوانى مر البراق على الوادى المقدس طوى وضمه الى كتف الرسالة الخاتمة وانطلق فى سرعته التى هى فوق العقل ونزل بالقدس الشريف تلك المدينة التى كانت الملائكة قد اكتنفتها بالسلام والأمن ، وجماعة الأنبياء جميعا منذ وجد الجد الأول ـ آدم ـ الى أبيهم فى سفينة النجاة ـ نوح ـ الى مركز الابوة ـ ابراهيم ـ وقد حضروا بِكَيْفٍ اللهُ أعلمُ به ففعل الله كعظمة جلاله وجليل قدرته وواسع علمه وانتظموا فى صفوف للصلاة .. وأخذه جبريل حامل الوحى اليهم جميعا فهو يعرفهم ويعرف أقدارهم أنهم جميعا أنبياء الله ورسله أخذ بيد مولانا سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ وقال : أنت امامهم وصلى الأنبياء من آدم ـ عليه السلام ـ الى عيسى عليه السلام ـ صلاة العرفان والشكر والاقرار تنفيذا للميثاق الأزلى الذى أعْطَوْهُ على أنفسهم مع الله ـ جل جلاله.

فقد جاء فى القرآن الكريم : « وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ » (٨١) آل عمران .

وكان ذلك الاقرار سلاما على القدس أن يدخلها الايمان فى موكب جليل من الخشوع والبركة والسماحة والرضوان وحافظ نبى الاسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ على هذا السلام فعندما عاد من غزوة « تبوك » عاهد صاحب أيلة ومنحهم الأمان « سيارتهم فى البر والبحر لهم ذمة الله وذمة محمد النبى ـ ﷺ ـ ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحرين » .

وأيلة هى القدس سماها بذلك القائد الرومانى الذى أخمد ثورة اليهود الثانية فى الفترة من ١٣١ ـ ١٣٥ ـ ق م لأنه أراد أن يغير اسم أورشليم ولم تنته معارك اليهود مع الدولة الرومانية الا عام ٧٠ ميلادية عندما دكت المدينة دكا كما ذكر ذلك المؤلف فليب حِتّى .

فتبعت القدس بهذا الأمان الادارة الاسلامية وهى فى حلة من السلام والأمن ثم كان الفتح الاسلامى عسكريا .

وكانت عسكرية سلام وطمأنينة لم تُرَقْ فيها قطرة دم واحدة ، ولا أَعْمَلَ أحد سيفه

داخل أسوار المدينة ولا أكره قسيس فيها على شيء لم يرغب فيه بل عندما طلبوا أن يتم الصلح مع رئيس الدولة جاء سيدنا عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — ومن بركاته انه وهو فى طريقه الى القدس مر بالجولان ووقع صلحا مع رئيس الكنيسة الذى طلب من المسلمين أن ينص على منع اليهود من أن يسكنوا ايلياء وهى القدس •

« وقد نصت المعاهدة على : من أحب من أهل ايلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فانهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبيهم حتى يبلغوا مأمنهم » •

فانظر كيف كان السلام يرفرف بأجنحته الاسلامية على جنبات القدس منذ توجه المسلمون •• اليها كقبلة بدء الرسالة الى أن حاصرها الجيش الاسلامى لينقيها من الاستعمار الأوربى • والأمن والسلام هو الاستيراتيجية الثابتة للقدس وكل من كان فيها •

وظل السلام يجوب أرجاء المدينة ويتخلل سماءها وأجواءها وتاريخها فى ظل الادارة الاسلامية حتى كانت الكذبة التاريخية التى أشاعها بطرس الطرطور ذلك القسيس الأوربى المعقد الذى تصفه الأميرة آن ابنة الامبراطور « كومونين » بقولها :

« ذلك اللاتينى الخبيث المتغطرس الذى لم يعترف أنه السبب فيما حدث » •

والذى حدث أنه أوغر صدر قساوسة أوروبا على المسلمين فى الشرق العربى بحجة تخليص بيت المقدس من المسلمين فادَّعى أنهم يمنعون حجاج كنيسة القيامة لكنه فضح نفسه لأنه خرب (نيقية) فحول الجيش الذى كان يقوده الى جيش قاطع طريق تقول لأميرة آن : « وكان مسلكهم ينم عن وحشية فاقت كل وصف اذ قطعوا أطراف الأطفال ؛ وثبتوا البعض الآخر على ألواح خشبية وقاموا بشيهم على النار ، وأنزلوا شتى العذاب بالمتقدمين فى السن » •

وهذه الشهادة يرويها استاذ من اساتذة تاريخ جامعة الاسكندرية فى كتابه : « العرب والروم واللاتين » دكتور / نسيم جوزيف •

وبدأ السلام الذى حل على القدس زمنا طويلا فى ظل الاسلام تتسرب إليه رائحة شواء الأطفال من آسيا الصغرى حتى وصلت الحملة الصليبية الأولى فى ١٥ من يونيو ١٠٩٩ م فشهد التاريخ أكبر مجزرة فى عمر البشرية •

يقول الكاتب الأوروبى استيفين رنسيمان ، لم ينج من المسلمين الا فئة قليلة اذ أن الصليبين انطلقوا فى الشوارع والدور والمساجد يقتلون كل من يصادفهم من النساء والأطفال والرجال دون تمييز وقد استمرت المذبحة طوال مساء ذلك اليوم وطوال الليل وفى الصباح الباكر من اليوم التالى اقتحم

باب المسجد قلة من الصليبين فأجهزت على جميع اللاجئين ، وحينما توجه القائد (ريموند) فى الضحى لزيارة ساحة المعبد أخذ يتلمس طريقا بين الجثث والدماء التى بلغت ركبتيه .

ولم يدفع ذلك الفجور العسكرى الأوروبى عقلية المسلمين العسكرية الى المعاملة بالمثل انتقاما وثأرا يوم أعادوها بل استمسكوا بالسلام الذى رفرف على القدس منذ أن هبط البراق واجتمع فيها الأنبياء ، وتسلم سيدنا ومولانا محمد — صلى الله عليه وسلم — مهمة ختم الرسالة التى أساسها :
« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ » .

وجاء القائد الاسلامى صلاح الدين الأيوبى ووحد المتفرق ، ونظف المتهوك وقوى الضعيف وأقام الصفوف وشد الرحال وجابه ملوك أوربا فى معركة السلام « حطين » فى أكتوبر ١١٨٧ م وكان بفضل الله يوما موافقا ليوم الاسراء ٢٧ من رجب عام ٥٨٣ هـ على نحو ما ذكره ابن كثير فى كتابه البداية والنهاية ، « والنجوم الزاهرة » لابن تغرى بردى .

ولقن صلاح الدين أوروبا درسا : فى العسكرية النظيفة حيث أبادهم ، والأخلاق الفاضلة حيث أشرف بنفسه على علاج قادتهم، ودرسا آخر هو أن أوربا لا دين لها لأنها تجعل من الدين هدفا اقتصاديا بالدرجة الأولى حتى ولو ضاع السلام وخسرت البشرية كل شىء من الطمأنينة والأمن والاستقرار .

ويبقى للمسلمين أن ليلة الاسراء هى ليلة السلام على القدس وأن المسلمين قد حافظوا على هذا السلام حتى وهم يتعاملون بالسلاح .

ولسوف تعود القدس ويعود اليها السلام لكن بجيش اسلامى يرفع فوق رباها كلمة الله العليا ان شاء الله .

هذا وبالله التوفيق .

أ. د. رءوف شلبى

فضيلة الأستاذ الدكتور
رءوف شلبى وكيلا للأزهر

صدر قرار السيد رئيس الجمهورية بتاريخ ٤ من جمادى الأولى ١٤٠٧ هـ الموافق ١٩٨٧/١/٤ بتعيين فضيلة الأستاذ الدكتور متولى يوسف حسن شلبى « د . رءوف شلبى » وكيلا للأزهر وقد باشر فضيلته مهام منصبه . والمجلة تهنىء فضيلته راجية له تمام التوفيق .

عناية الإسلام بالطفولة

لقد توالت أوامر الشارع بتكريم الطفولة وتكريم بنى آدم فى سائر مجالات الحياة وعلى أى أرض خلقه الله رب العالمين .

ففى أول وجوده صدر أمر الشارع بتكريم المولود ، وذلك باختيار اسم له حتى اليوم السابع ، حسب وصية سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم لأهل المولود بأن يختاروا له اسما قبل اليوم السابع .

وهذه التسمية وان كانت لا تؤثر فى ذاته بشىء ولا تزيده ولا تنقصه الا أنها تكسبه زينة وتحبب النطق بها .

وقد حددت الأحاديث الواردة فى العقيقة التى سماها نبى الله عليه الصلاة والسلام « النسيكة » عن المولود حتى اليوم السابع من ولادته وصرحت بتحديد هذا اليوم للتسمية الحسنة كعبد الله ، محمد . صرح بذلك سمرة ابن جندب ، وابن المنذر .

وروى أنس تحديد اليوم الثالث (١) .

ولكن الوارد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن الرسول ﷺ أمر بالتسمية والعقيقة واماطة الأذى عن الطفل فى اليوم السابع (٢) .

وعن البيهقى : طلب التسمية فى اليوم الأول .

التحنيك : ومما يلزم للطفل : التحنيك بالتمر مع التسمية .

فقد جاء فى الصحيحين عن سهل بن سعد الساهلى أنه أتى بالمنذر أبى أسيد الى النبى صلى الله عليه وسلم حين ولد فوضعه على فخذه ـ وأبو أسيد جالس وقد شغل النبى صلى الله عليه وسلم بشىء بين يديه وأمر بتسميته المنذر .

ابراهيم بن محمد صلى الله عليه وسلم :

وفى قصة مولد ابراهيم الذى ولدته مارية القبطية المصرية التى أهداها المقوقس عظيم مصر حين بعث الرسول ﷺ اليه كما بعث لغيره من الحكام والملوك يدعوهم للدخول فى الاسلام .

---

(١) نيل الأوطار للشوكانى ـ جـ ٥ ـ ص ١٤٩ .
(٢) المرجع والمكان السابقين .



للأستاذ الدكتور أنيس عبادة

وقد حلق له سيدنا رسول الله ﷺ وتصدق عنه بوزن شعر رأسه فضة على المساكين ، ودفن الشعر فى الأرض وسماه فى اليوم السابع (٣) .

حكمة التشريع

وقد عنيت الشريعة بالمولود هذه العناية لأن الولد نعمة موهوبة للوالدين ، وهو أحد أمرين . أخبر الرسول ﷺ بهما ، وجاء القرآن الكريم بها مع المال بقوله سبحانه :

« الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » (٤) .

والأطفال رجال المستقبل . وفى أى وطن هم ذخيرة وعدة لمستقبله .

ولهذا أضيف الى ذلك جملة أحكام شرعت وكلف الله بها الوالدين :

١ ــ فالشارع أمر باستقبال المولود بذبح شاة أو شاتين ، وهذا ما سمى بالعقيقة والنسيكة تذبح احتفالا بقدومه . واختيار اسم له .

٢ ــ وألا يسرع أهله بامشائه قبل قدرته على المشى خشية تعرضه لعوج قدميه .

٣ ــ ولا يمنع الطفل مما يحتاج اليه من الطعام والنوم والبول والقىء ليسلم من الآثار السيئة الضارة .

تجنيب الأطفال مظاهر الفساد

ولا يأذن ولى الطفل له بلبس الحرير والتحلى بالذهب أو غيره مما حرمه الله ، فلو ترك الطفل لأهل الفساد ضاع وضاعت أمانته ، وهو فى حاجة الى التربية الدينية ، التى تجب على والديه لتخليص ولدهم من الأهواء والفتن وعوامل الخلاعة فيقاطعوه البدع وسوء السيرة ليطهر الولد من الآثار الخطيرة فى الكبر والرجولة .

وليحذر الولى من تمكين ولده من المال الوفير خشية أن ينفقه فى الوجوه الممنوعة .

وعلى الوالدين : تجنيب ولدهما البطالة والكسل ، بل يسوقونه للنشاط ، ولينشأ الطفل على الجد والعمل مما يدفعه الى الاعتماد على النفس ، فالمجد لا ينال الا على جسر من التعب .

التعليم فى الصغر

وليبادر أهله بتربيته التربية الدينية ويسارعوا به الى مكارم الأخلاق ومحاسن العادات .

---

(٣) نيل الأوطار للشوكانى ــ جـ ٥ـ ص ١٥٠ .
(٤) سورة الكهف ــ آية ٤٦ .

وقد قيل : « التعليم فى الصغر كالنقش على الحجر » و « التعليم فى الكبر كالنقش على الماء » • فليجنبوه لغو الكلام ، والطعام الحرام والإختلاط بأهل الفساد والاندماج مع أهل الفساد ، وليعودوه زيارة المساجد ومجالس الذكر والقراءة والحذر من المشاركة مع أهل الكفر ومتابعة النساء فى مجالسهن والتعرض للافتتان بهن فذلك يؤدى بالطفل الى مكان سحيق ويشب على الفساد فيصير صورة سيئة لاتنال الاحترام مع الصالحين فليجنبوه محارم الله ويعودوه مكان رضا الله تعالى ليكون سعيدا فى الدنيا والآخرة ويحشر مع الصديقين والشهداء والصالحين •

الصناعات

ومهما كان أهله على ثراء وميسرة فانه لا يستغنى بذلك عن العمل وكسب يده فذلك هو الخير فلا يعيش كلا على من سبقه • فكما طعم فى طفولته وصباه من عمل غيره من تمر مجموع وكرم مقطوف وخير موروث ، فان عليه أن يغرس بيده نخلا ويتعهد كرما ويسقى شجرا وينثر حبا ويجنى زرعا ليضع فى يد الذرية المقبلة الخير الذى نشأ عليه • والأصل أن الأجيال تتعاون وتتقارض البر فيظل العمران باقيا ومستمرا فيعطى كما أعطاه من سبقه فيضع فى مجتمعه حجرا ليعظم البناء •

ويغرس شجرا ليبقى ذكر الله ويدوم التسبيح لله تعالى فى كل ما يخلق على يدى عباده •

« وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ » •

ويترك لأولاده ما يغنيهم عن الناس •

وليتأمل العباد قول النبى ﷺ لسعد ابن أبى وقاص فى الوصية بالثلث • حيث قال « الثلث والثلث كثير انك ان تذر أولادك أغنياء خير من أن تدعهم فقراء يتكففون الناس » رواه الجماعة (٦) •

تعليم الأولاد الصناعة والكتابة

ويجب تعليم الأولاد الصنعة فى هوادة وعلى أناة وتدرج كما علمنا ربنا فى تشريع أحكامه ونزول كتابه ويلتزم الحكمة والقدرة فلا يثقل عليهم بزيادات تضرهم • وييسر الأمور من غير تعب ولا عناء •

ثم يعلم ولده القراءة والكتابة والسباحة والرمى فذلك يجعل منه شابا قويا يهزم الأعداء ان اعترضوه ويخيف الظالمين أن ينالوه فيجمع بين الرحمة لأهله وأهل الصلاح والقوة على أعداء دينه ووطنه فيشب وتشب معه مكارمه وليتخذ من السابقين القدوة •

العدل بين الأولاد

وقد ألزم النبى ﷺ الوالدين بالعدل بين أولادهما وطلب ذلك مؤكدا ومتوعدا لمن

(٥) الاسراء ٤٤ •
(٦) نيل الاوطار للشوكانى ـ جـ ٦ ص ٤٣ •

لا يعدل فقال : « اعدلوا بين أولادكم وكررها ثلاثا • وذلك فى قصة بشير أبى النعمان • فقد طلبت زوجته بأن يميز ولدها منه ويخصه بزيادة عن اخوته • وطلبت منه أن يشهد على ذلك سيدنا رسول ﷺ فلما طلب ذلك قال له : « أكل ولدك أعطيته ؟ » •

فقال الرجل : لا

فقال ﷺ : « لا يصلح ذلك وانى لا أشهد على جور ان لولدك عليك حقا من الحق أن تعدل بينهم » •

وفى رواية قال : « اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم » فرجع الأب عن المنحة التى كان منحه اياها (٧) •

وقد ورد أن الأب يسأل عن أولاده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والديه ، ووصية الأب لأولاده سابقة على وصية الابن لأبيه فقال تعالى (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ) (٨) فهنا وعد من الله تعالى الذى بيده كل شىء بأن يرزق الآباء تبعا لأولادهم — فمن أهمل تعليم أولاده فرائض الدين والسنن كبارا أو صغارا بما يعلمهم به ما ينفعهم وتركهم سدى فقد أضاعهم صغارا فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم •

ومن نصائحه وارشاداته ما جاء فى تفسير الآية الكريمة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) (٩) •

فقال على : « علموهم وأدبوهم » •

وقال الحسن : « مروهم بطاعة الله وعلموهم الخير » •

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال « مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم فى المضاجع » (١٠) •

ونجمل فيما يأتى بعض الاستدراكات والأحكام•

أولا : اللماظة هى أنه صلى الله عليه وسلم لما وضعت أم سليم وهى أم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ قالت لابنها أنس • **لا يرضع المولود أحدا** حتى تفد به على رسول ﷺ وأنه دعا بعجوة من المدينة فلاكها فى — فيه ثم قذفها فى فيه أى فم المولود فتتبع أثر التمر وما يبقى فى الفم من أثر الطعام • فذلك يدعى اللماظة (١١) •

وفى العقيقة أن النبى ﷺ ذبح عن نفسه بعد النبوة • وان لم تفعل فى اليوم السابع من الولادة تداركها فى اليوم الرابع عشر فان لم يفعل فى هذا اليوم تداركها فى واحد وعشرين (١٢) •

ويطبخ اللحم بماء وملح ويهدى للجيران منها وللصديق •

---

(٧) نيل الأوطار للشوكانى ج ٦ ص ٨ وما بعدها •
(٨) سورة الاسراء آية ٣١ •
(٩) التحريم — آية ٦ •
(١٠) رياض الصالحين للنووى — ص ١٤٩ •
(١١) نيل الأوطار — ج ٥ ص ١٥٥ •
(١٢) نيل الأوطار — ج ٥ ص ١٥٠ •

الختـــان

من الكلمات التى ابتلى الله ابراهيم بهـــا فأتمهن ، وأكملهن وأشد الناس بلاء الأنبيـــاء ثم الأمثل فالأمثل •

وفى حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « من كرامتى أنى ولدت مختونا ولم يرن أحد وفى رواية » بسوأتى يعنى لم ير أحد سوأتيه وشرعية الختان فى الدنيا لتكميل الطهارة والتنزه من البول •

وأهل الجنـــة لا يتبولـــون ولا يتغـــوطون فلا نجاسة تصيب الغرلة ـ والقلفة لا تمنـــع لذة الجماع ولا تعوقه وفى الخبر انهم يبعثون يوم القيامة حفاة عراة غرلا ـ بهمـــا ثم يكسون (١٣) •

وفى البعث من القبور يبعثون على صورتهم وأحوالهم فيبعث كل عبد على مامات عليه •

واستحسن العلماء لبهجة الوالدين بالذريـــة ثقب أذن الأنثى للحلية التى أباحها الله •

بول الصبى والصبية

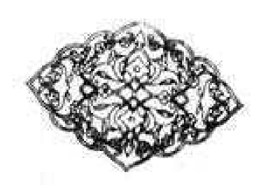
وللعادة فى ميل الناس الى الذكور وعد الله على تربية البنت وتأديبها بالثواب الجزيـــل وخفف الطهارة من بول الصبى للميل فى حمله كما فى الحديث الآتى :

ثبت فى الصحيحين والسنن والمسانيد عن أم قيس بنت الحصين أنها جاءت بولد لها صغير لم يأكل الطعام الى رسول الله ﷺ فبال على ثوبه فدعا بماء فنضحه عليه ولم يغسله (١٥) •

وقد ثبت عنه أن بول الصبى ينضح وبـــول الأنثى يغسل ما لم يطعما وكان يحنك الصبى فبال عليه فأتبعه الماء ولم يغسله(١٦)

وكذلك كان عند الصحابة والتابعين •

تلك هى اداب الاسلام وشعائره الجميلة فى استقبال الطفل •



(١٣) رياض الصالحين للنووى ـ ص ٦٩٠ •
(١٤) سبل السلام للصنعانى ـ حـ ٤ ـ ٩٩ •
(١٥) سبل السلام للصنعانى ـ حـ ١ ص ٣٨ •
(١٦) المرجع والمكان السابقين •

إشعاعات مضيئة

من وحى الإسراء والمعراج

لفضيلة الشيخ
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

لقد اكرم الله عز وجل : نبيه محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمعجزة الاسراء : التى ضمت معجزات ، وبآية المعراج : التى جمعت آيات ، لتكون هذه الرحلة الميمونة : ترفيها عن نفسه ، وإشادة بفضله ، وبرهانا على سمو منزلته ، وتسلية له عن أسفه على المعاندين والجاحدين : للحق الذى بعث به .. وذلك بعد أن فقد : أعظم نصيرين له ، وخير مدافعين عنه !! فقد عمه أبا طالب : الذى كان بمثابة صمام أمن لجبهته الخارجية ، وفقد زوجه خديجة : المخلصة الأمينة : التى كانت بمثابة صمام أمن لجبهته الداخلية !! مما جعل قريشا : تزيد فى ايذائه ، وتمعن فى الكيد له ، بالاضافة الى غيرهم من أعداء الدعوة : الذين كرسوا كل جهودهم للحيلولة دون ذيوعها وانتشارها !!.

ولقد اجتمعت كل الوسائل لنجاح هذه الرحلة العظيمة : فهيىء لها قلبه الشريف بالأنوار والامدادات الربانية .

والاسراء : رحلة أرضية قدسية بدايتها المسجد الحرام بمكة ، ونهايتها المسجد الأقصى بفلسطين .. فى مسافة تبلغ ٢٥٠٠ ألفين وخمسمائة كيلو متر تقريبا : على البراق الذى يطير ، ويضع حافره عند منتهى بصره :

قال تعالى « **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** » (١) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « أتيت بالبراق وهو دابة أبيض ، فوق الحمار، ودون البغل : يضع حافره عند منتهى طرفه ، فركبته ، فسار بى ، حتى أتيت بيت المقدس ، فربطت الدابة بالحلقة التى تربط فيها الأنبياء ، ثم دخلت المسجد : فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت ، فجاءنى جبريل : باناء من خمر ، واناء من لبن، فاخترت اللبن ، قال جبريل أصبت الفطرة(٢)!! »

.. وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: « لما أتى النبى ﷺ المسجد الأقصى : قام يصلى فاذا النبيون أجمعون يصلون معه » (٣) .

(١) الاسراء : ١ .
(٢) اخرجه مسلم فى صحيحه .
(٣) اخرجه الامام احمد فى سنده .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « وبعث له آدم فمن دونه من الأنبياء فأمهم » وفى رواية أخرى : « أخذ جبريل بيده ﷺ ، فقدمه : فصلى بهم ركعتين ، ثم قال جبريل : يامحمد أتدرى من صلى خلفك؟قال لا قال : كل نبى بعثه الله تعالى ، فشرع يقول الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيرا ونذيرا ، وأنزل على القرآن فيه تبيان لكل شىء ، وجعل أمتى خير أمة أخرجت للناس، وجعل أمتى وسطا ، وجعل أمتى : هم الأولون والآخرون ، وشرح لى صدرى ، ووضع عنى وزرى ، ورفع لى ذكرى ، وجعلنى فاتحا خاتما » .

والمسجد الأقصى : يعتبر من أعظم المقدسات الدينية : التى عنى الاسلام بتعظيمها ، وحث على تكريمها .. فهو أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، وأحد المساجد الثلاثة : التى تشد اليها الرحال ، والأربعة التى يمنع من دخولها : المسيخ الدخال .

عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن النبى ﷺ قال : « لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدى هذا والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى » (٤) .

وقال رسول الله ﷺ : « ان الدجال يطوف الأرض : الا أربعة مساجد : مسجد المدينة ، ومسجد مكة ، والأقصى ، والطور » (٥).

وتعميقا لقيمة المسجد الأقصى فى قلوب المسلمين : جعل الله الصلاة فى رحابه بخمسمائة أو ألف أو خمسين ألف صلاة ، كما جاء فى الروايات الصحيحة .. عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الصلاة فى المسجد الحرام : بمائة ألف صلاة ، والصلاة فى مسجدى : بألف صلاة ، والصلاة فى بيت المقدس : بخمسمائة صلاة » (٦) .

وعن ميمونة بنت سعد رضى الله عنها قالت: « يانبى الله أفتنا فى بيت المقدس ، فقال لها: أرض المنشر والمحشر ائتوه فصلوا فيه ، فان صلاتكم فيه : كألف صلاة ، قالت : أرأيت من لم يطق أن يتحمل اليه ، أو يأتيه ؟ قال : فليهد اليه زيتا : يسرج فيه ، فانه من أهدى : كان كمن صلى » (٧) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه مرفوعا عن النبى ﷺ قال : « صلاة الرجل فى المسجد الأقصى : بخمسين ألف صلاة ، وصلاته فى مسجدى : خمسين ألف صلاة ، وصلاته فى المسجد الحرام : بمائة ألف صلاة » (٨) .

وهذه اللفتة الكريمة : من رسول الله ﷺ عن قيمة المسجد الأقصى : كانت دعوة للمسلمين لأن يذهبوا الى فلسطين ، ويتعرفوا عليها ، ويبذلوا قصارى جهدهم فى سبيل تحريرها : من الاحتلال الرومانى حينذاك ، مما حفز المسلمين لفتح فلسطين ، انقاذا لهذا المسجد العظيم ، فوجهوا جيوشهم اليها ، وهزموا الروم فى موقعة « اليرموك » الفاصلة ، تحت

(٤) اخرجه البخارى ومسلم .
(٥) اخرجه الامام احمد فى مسنده .
(٦) اخرجه الطبرانى بسند صحيح .
(٧) الامام احمد .
(٨) اخرجه ابن ماجة .

قيادة البطل المغوار : خالــد بن الوليــد ، ثم كانت موقعة « اجنادين » : التى هزموا فيها البيزانطين ، تحت قيــادة عمرو بن العــاص والتى استسلمت بعــدها : مــدينة القــدس الشريف : فى العام الخامس عشر من الهجرة ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه : قد أمر قائده : أبا عبيدة عامر بن الجراح : أن يتجه بجيشه : من الشام الى بيت المقدس •

والمعراج : رحلة قدسية ، مباركة سماوية • بدايتها المسجد الأقصى : الى السموات السبع العلى ، الى سدرة المنتهى ، الى المستوى الأعلى حيث سمع صريف الأقــلام ، ومناجــاة الملك العلام ، وفرض الله عليه وعلى أمته : الصلوات وأمده بالأنوار والنفحات ، قال اللــه تعالى :

« وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى • عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى • عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى • إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى • مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى • لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى » (٩) •

وعن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه : عــن النبى ﷺ أنه قال : « ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى : أسمع فيه صريف الأقلام » (١٠) •

والحق يقال : ان المسلمين : قد جنوا مــن هذه الرحلة المباركة : أعظم الفوائــد ، وأطيب الثمرات تلك التى يمكن إيجازها فيما يلى :

١ ــ ان الله تعالى : لا يتخلى عن عبــاده المؤمنين المخلصين ، مهما ألمت بهم الشــدائد ، وأحاطت بهم المحن ، وادلهمت أمامهم الخطوب •

٢ ــ الترغيب فى الجهاد ، وبيان فضــل الاستشهاد : يتجلى ذلك فى بعض المشــاهد : التى مثلت للنبى ﷺ : فى طريق مسراه ، والتى تضمنت الكثير من العظات والعبر بطريقــة تربوية ، ترغب فى الخير ، وتنفر من الشر •

٣ ــ امامة النبى ﷺ: للأنبياء والمرسلين جميعا فى المسجد الأقصى ، فضلا عما فيها من التكريم والتعظيم لرسول الله ﷺ : ففيهــا اشارة الى نقل الريادة والقيادة ، والزعامــة الدينية : من أنبياء بنى اسرائيل : الى خــاتم النبيين والمرسلين ، لعموم رسالته ، وخلودها.

٤ ــ الصــلاة عمــاد الــدين ، ومعــراج الواصلين : ولمكانتها فى الــدين فرضت ليلة الاسراء والمعراج ، من فوق سبع سموات •

٥ ــ أثبت المؤمنون : أنهم أقدر من غيرهم فى التصديق والتسليم ، والايمان والاذعان •

٦ ــ الربط بين المســجد الحرام بمكــة ، والمســجد الأقصى بفلســطين ، بل الربط بين الجزيرة العربية والشام برباط الاسلام :جامع الرسالات السماوية ، وفى هذا اشارة : الى اتساع رقعة الاسلام ، وانتشار تعاليمــه السامية ، ومبادئه الحقة وقوانينه العادلــة ، وتشريعاته الحكيمة : فى ربوع هذه البــلاد وغيرها •

٧ ــ بالاسراء : أصبحت مدينة القــدس : مهبط الرسالات : جزءا من المقدسات الاسلامية وأصبح مسجدها المبارك : أحد المساجد الثلاثة التى تشد اليها الرحال ، وفى هذا اشــارة الى حمايتها وتطهيرها : من كل رجس أو دنس أو احتلال أجنبى : الى أن يرث الله الأرض ومــن عليها وهو خير الوارثين •

---

(٩) النجم :

(١٠) اخرجه البخارى فى صحيحه •

النبى الكريم

صلى الله عليه وسلم

● فى ذكرى الاسراء والمعراج ، تتناقل السير ، وتتداول الأخبار ، وتلقى الخطب والأشعار ، وتتوالى وتتسابق الأقـلام على تناول مزايا الرسول الكريم العديدة، وخصاله الشريفة الفريدة التى تدور كلها حول كمال عناية الله تعالى به ، وتمـام رعايته له ، واختصاصه بما لم يختص به نبى قبله .

وقد عن لى فى هذا المقام رؤية جديدة لمعنى يتمه ــ صلى اللهعليه وسلم ــ بعد أن تجولت بينكتبالسيرة الشريفة ووقفت على بعض من جوانب العظمة التى بدت فى هذا الذى تشرفت به الأرض والسموات منذ طلع كوكبه وبدا فى الأفق .

ومازالت تـرن فى أذنای منذ طفولتى كلمات الخطباء والشعراء والكتاب الذين يتحدثون عن الطفولة اليتيمة بما يشي الاشفاق عليه ويذكرون أخبارا تفيد أن السيدة حليمة السعدية قد قبلته ورضيت به بعد أن لفظته المراضع ولم تجـد فى رحاب مكة رضيعا سـواه ، وقد كانت تتمنى أن تعثر على طفل تنـال به الغنى والجاه وتساءلتُ : أيليق بهذا . أن تأباه المراضـع وهو من هو فى حسـبه ونسبه قبل بعثته ورسالته ؟

وهل يعقـل أن يفرط السيد عبد المطلب فى فى حفيده وفلذةِ كبدِ وَلدِهِ عبدِ الله الذى افتدى بمائة ناقة كما افتدى الله جده الأكبر اسماعيل بذبح عظيم ؟

وهل يلقى بثمرة فؤاده الى أى مرضعة جزافا وهو يومئذ سيد العـرب ، وأشرف بيوتاتها ، أم أن هذا الأمر قد تم عن اختيار واختبـار ، وأن هذا اليتيم يحوى معنى أسمى وأجل من ذلك ؟ .

قـال تعالى فى سـورة « الضـحى »

(أَلَمْ يَجِـدْكَ يَتِيمًـا فَآوَى) .

قال القرطبى : حفظه الله تعالى من صغره ، وتولى تأديبه بنفسه ، ولم يكله فى شىء من ذلك لغيره ، ولم يزل الله تعـالى يفعـل ذلك بـه ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى كَرَّهَ إليه أحوال الجاهلية وحماه منها فلم يجر عليه شىء منها .

كل ذلك لطف به ، وعطف عليه ، وجمع للمحاسن لـديه أ هـ .

وأخرج ابن عسـاكر : أن أبا بكر ــ رضى الله عنه ــ قال : يا رسول الله طفت فى العرب وسمعت كلام فصحائهم فما سمعت أفصح منك

للأستاذ عبد الفتاح أبو سنة

فمن أدبك ؟ قال : « أدبني ربي ونشأت في بني سعد » (١) .

لحق أبوه عبد الله بالرفيق الأعلى وهو في بطن أمه - صلى الله عليه وسلم - وتوفيت أمه السيدة آمنة بنت وهب وهو ابن أربع سنوات - صلوات الله وسلامه عليه - فتولاه مولاه ، وأدبه بآداب العبودية، وهذبه بمكارم الأخلاق حتى صار كما قالت السيدة عائشة - رضي الله عنها - : « كان خلقه القرآن » (٢) فليس لأحد من البشر فضل عليه في تربيته .

وفي سيرة ابن هشام يقول ابن اسحاق : فلما وضعته أمه - صلى الله عليه وسلم - أرسلت الى جده عبد المطلب أنه قد ولد لك غلام ، فأخذه فدخل به الكعبة فقام يدعو الله ويشكر له ما أعطاه ، ثم خرج به الى أمه فدفعه اليها ، والتمس لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرضعاء ، فاسترضع امرأة من سعد بن بكر يقال لها حليمة ابنة أبي ذؤيب .

وأبو ذؤيب : عبد الله بن الحارث ابن سجنة (بسين مهملة مكسورة وجيم ساكنة ونون مفتوحة) ابن جابر بن رزام بن ناصرة بن فصية ابن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن .

ولعل القارىء الكريم معي في أن عبد المطلب قد استدعى هذه المرضعة الى بيته طالبا اياها لاختبار مدى صلاحيتها لارضاع حفيده . كما تقول السيرة انه التمس له الرضعاء واسترضع له امرأة من سعد بن بكر .. أليست الألف والسين والتاء للطلب كما يقول النحويون ؟

أليس عبد المطلب سيد العرب ، ورأس قريش وصاحب أخلد موقف مع أبرهة عام الفيل .

وفي السيرة الحلبية : ١/٩٤ وما بعدها تروى حليمة السعدية قصة لقائها بعبد المطلب فتقول :

استقبلني عبد المطلب فقال:من أنت ؟

فقلت : أنا امرأة من بني سعد .

قال : ما اسمك ؟

قلت : حليمة .

فتبسم عبد المطلب .

وقال : بخ بخ ، سعد وحلم خصلتان فيهما خير الدهر وعز الأبد .

ويطمئن الرجل لحسن اختياره المرضعة التي تليق بولده فيأذن لها في حمله والتوجه به الى قبيلتها .

ولا يفوتني في هذا المقام التنويه بمن تشرفن بارضاعه - صلى الله عليه وسلم - بعد أمه أفضل امرأة يومئذ في قريش فقد أرضعته سبعة أيام .

ثم كانت ثويبة جارية أبي لهب ، كما أرضعته ثلاث نسوة أي أبكار من سليم أخرجن ثديهن فوضعنها في فمه فدرت فيه فرضع منهن . وكذلك أرضعته أم فروة أ هـ .

←

(١) رواه الطبراني .
(٢) رواه الامام احمد .

ثم أرضعته حليمة بنت أبى ذؤيب ، واختلف فى رضاعه — صلى الله عليه وسلم — من أم أيمن وأصح الأقوال أنها حاضنته لا مرضعته فتكون المرضعات له حينئذ ثمانية •

روى الطبرانى بسنده عن أبى سعيد الخدرى — رضى الله عنه — : أنا النبى لاكذب، أنا ابن عبد المطلب • أنا أعرب العرب ، ولدتنى قريش ونشأت فى بنى سعد بن بكر فَأَنَّى يأتينى اللحن •

قال صاحب « الروض » : انما رفع أشراف العرب أولادهم الى المراضع فى القبائل ولم يتركوهم عند أمهاتهم لينشأ الطفل فى الأعراب فيكون أفصح للسانه وأجلد لجسمه •

ويروى ابن سعد فى طبقاته :

« أنا أعربكم • أنا من قريش ولسانى لسان بنى سعد بن بكر » •

فقوله — صلى الله عليه وسلم — « ولسانى لسان بنى سعد بن بكر » لكونه قد استرضع فيهم ، وكانت العرب تعتنى باسترضاع أولادها عند نساء البوادى •

قال الزمخشرى : هذا اللسان العربى كأن الله عزت قدرته محضه ، وألقى زبدته على لسان النبى — صلى الله عليه وسلم — أ هـ •

ولعل تعدد طرق الحديث تعطيك فائدة أن استرضاعه فى هذه القبيلة التى تعد من أفصح القبائل الناطقة بالعربية كانت محل فخر منه — صلى الله عليه وسلم — وأن ذهابه اليها لم يكن عفوا وصدفة وانما تم عن اختيار وتمحيص •

ولم يكن حاشاه — قد سيق الى حليمة بعد أن أَبَتْهُ المرضعات كما جاء على لسان بعض الشعراء حين صاغوا هذا المعنى السقيم فى أشعارهم رغم ماقدموا من أحلى المعانى فى نفس الموضوعفهاهو الامام البوصيرى يقول :

وبدت فى رضاعه معجزات
ليس فيها عن العيون خفاء
اذ أبته ليتمه مرضعات
قلن ما فى اليتيم عنا غناء

وكما يقول فى نفس همزيته :

حبذا عقد سؤدد وفخار
أنت فيه اليتيمة العصماء

قلت ، واليتيمة الدرة الفريدة ، والعصماء البيضاء وتأمل معى أيها القارىء الكريم هذه الأبيات ترى الفرق واضحا فى المعنيين •

ويقول الشاعر المحب اسماعيل النبهانى :

يا نبيا لدى الاله عظيما
سيد الخلق أنت لله عبد

بعد مولاك أنت فى الكون فرد
بكر هذا الوجود كنت وبعد

صار عن مثلك الزمان عقيما
يا رؤوفا بالمؤمنين رحيما

وقد سئل الحافظ ابن حجر عما يقع من بعض الوعاظ فى الموالد فى مجالسهم الحافلة المشتملة على الخاص والعام من الرجال والنساء من ذكر النبى — صلى الله عليه وسلم — بما يخل بكمال التعظيم حتى يظهر للسامعين لها حزن ورقة فيبقى — صلى الله عليه وسلم — فى حيز من يرحم لا من يعظم كقولهم :

لم تأخذه المراضع لعدم ماله الا حليمة رغبت فى رضاعه شفقة عليه فأجاب بما نصه :

ينبغى لمن يكون فطنا أن يحذف من الخبر ما يوهم فى المخبر عنه نقصا ولا يضره ذلك بل يجب • هذا جوابه بحروفه نقله السيوطى أ هـ

قلت : فاذا ذكر يتمه — صلى الله عليه وسلم — يجب أن يشار الى اليتم المعنوى الذى يفيد التفرد بكل الكمالات والمزايا التى اختصه الله بها دون غيره من المخلوقات •

يقول الشاعر المحب اسماعيل النبهانى :

أنت شمس الهدى وبحر العطايا
قد حباك الاله خير المزايا
لمحة من سناك تهدى البرايا

يا رؤوفا بالمؤمنين رحيما

ولا يليق أن يوسم — صلى الله عليه وسلم — بالفقر •

فقد ورد أن الجبال راودته أن تصير ذهبا فأباها والى ذلك أشار صاحب البردة فقال :

وراودته الجبال الشم من ذهب
عن نفسه فاراها أيما شمم

ولا بأس فى هذا المقام أن يذكر بمعنى الافتقار الى مولاه غنى عن كل ما سواه •

ألم يقل — صلى الله عليه وسلم •

« ••• وانما أنا قاسم والله يعطى ••• » (١) •

كما لا ينبغى أن يقال انه غريب الا اذا قصد المعنى السامى للغربة لأن الشىء الغريب معناه المنقطع النظير فيكون ذلك من باب تعظيمه لامن باب اثارة الشفقة عليه •

ولا يجوز أن يوصف بالمسكنة التى تفيد المذلة الا اذا قصد بها التواضع فقد كان — صلى الله عليه وسلم — يخصف نعله ، ويخيط ثوبه ويحلب شاته ويساعد خادمه بيده الشريفة تواضعا منه وهو الرفيع الشأن المرفوع الدرجات •

وختاما لهذه الرؤية الجديدة حول يتمه وارضاعه أقول : ان مرضعة حصل لها من الخير والبركة وسعة العيش بسبب هذا الرضيع الفرد لحرى بها أن تتمسك به ، وتتعلق بأهدابه ، وتبذل النفس والنفيس للفوز بحضرة جنابه وتفاخر به بين مثيلاتها وأترابها ، وأبناء قبيلتها ، وأهلها وعشيرتها •

ألم يرتفع به قدرها ؟
ألم يعل به شأنها ؟
ألم تتحقق لها به كل ألوان السعادة ؟
ألم تفز ببركته بالخاتمة الحسنى وزيادة ؟

لقد بلغت بالهاشمى حليمة
مقاما علا فى ذروة العز والمجد
وزادت مواشيها وأخصب ربعها
وقد عم هذا السعد كل بنى سعد

---

(١) رواه البخارى ، وهذه العبارة جملة من حديث طويل •



تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة فريد دهره ووحيد عصره
أبى محمد برهان الدين إبراهيم الجعبرى
تغمده الله تعالى برحمته وأسكنه فسيح جناته بمنه وكرمه

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد النبى الأمى الأمين المنزل عليه ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِى وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فهذا الكتاب الذى لم يسبق نشره هو للإمام العلامة أبى محمد برهان الدين إبراهيم الجعبرى ـ تغمده الله برحمته ، ولقد سبق لى أن قدمت عن هذا الإمام الجليل تعريفا شافيا بمجلة الأزهر ـ العدد الرابع (ربيع الآخر) من عام ١٤٠٥ حين نشرت المجلة له كتاب الإجزاء فى معرفة الأجزاء والمؤلف عاش الفترة (٦٤٠-٧٣٢ هـ)

ونحمد الله ـ سبحانه ـ أن هيأ لنا إخراج هذا الكتاب الذى تناول عديدا من المباحث الواجب معرفتها لعالم القراءات وللفقيه ، وهى تحيط القارىء علما دقيقا بإيضاح لعدد من المسائل تتعلق بِعَدّ آى القرآن العظيم وكلماته وحروفه متلقاة عن الصدر الأول الذى لم يبعد اتصاله بسيدنا رسول الله ﷺ والكتاب مكون من تسعة أبواب مفصلة فى الجزء الأول الذى تنشره المجلة فى هذا العدد (رجب ١٤٠٧) .

ويهمنا فى هذه المقدمة بيان منهج المؤلف ـ رحمه الله ـ فى الباب التاسع الذى عنون له بقوله : « الباب التاسع : فى ذكر فواصل آى السور . سورة سورة على ترتيب المصحف العثمانى » فإن منهجه فى هذا الباب ، وهو ما انعقد عليه موضوع الكتاب ، محدد فى النقاط التالية إن وجد متطلبها .

١ ـ ذكر ما إذا كانت السورة مكية أو مدنية .

ب - حروفها .
جـ - كَلِمُهَا أى كلماتها
د - آيُهَا أى آياتها .
هـ - متفق الاجمال فى عَدِّها .
و - الخلاف : أى ما اختلف فى عده منها ، فعده البعض آية ، وجعله البعض جزءا من آية ، وليس معنى الخلاف اسقاط شىء من آى الكتاب العزيز ، فإنما يفهم ذلك من كان فى قلبه مرض كما قال المؤلف - رحمه الله .
ز - الحرف الأخير من كل آية ، فإذا كان حرفا واحدا ذكره ، أو عدة أحرف جعلها فى جملة على طريقتهم فى ربط الحروف .
ح - الفاصلة : ويقصد بها الكلمة الأخيرة من الآية .

ولقد بذلت فيه جهدا راجيا أن يكون أقرب ما يكون إلى نسخة المؤلف رحمه الله ، فإن رأى أحد المتخصصين شيئاً فاتنا ضبطه فليتكرم بموافاتنا به لنلحقه بالكتاب تنبيها وضبطا . والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون اخيه[1] .

نسأل الله - سبحانه - أن ينفع به وان يجعله خالصا لوجهه العظيم خدمة لكتابه العزيز .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد النبى الأمى الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين .

المحقق : ابراهيم عطوة عوض

(١) إنما عنيت المجلة بنشر هذا الكتاب تنبيها للغيورين من أهل هذا الدين إلى سر من أسرار قوله تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ ... ليعلم من شاء كيف جند الله لكتابه جندا من حفظته يذودون عنه ويحوطونه .

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسّر واعن ياكريم

● الحمد لله الذى انزل القرآن مفصلا سورا ، وآياتٍ مركبة من كلمات متنوعات ، مؤلفة من حروف متتابعات ، وجعل لكل منها بدايات ونهايات . تفضيلا له على بقية الكتب المنزلات ، واعجازاً ببراعة الاستهلال والغايات ، وتسهيلا على حفاظه حيث كانت كالمنازل والدرجات ، فسبحان من بيده ملكوت الأرض والسموات .

وصلواته على سيدنا محمد المؤيد بالمعجزات البيّنات ، والدلالات الزاهرات ، وعلى آله وصحبه أولى الفضل والكرامات . ما تحركت بالحروف الأدوات[1] .

وبعد :

فلما توقفت معرفة بعض وجوه القراءات ، وجملة من المسائل الفقهيات على من[2] الأربعة المقدمات :

فمن ما توقف من وجوه القراءات على السور : البسملة وخُلْفها فى أوائلها للقراء ، وبينهما لبعضهم ، والتكبير للقارىء به ، وعلى الآى: إمالة الفواصل ، وصلة ميم الجمع المجاورة لها .

وعلى الكلمات : جواز اشارة الوقف ، وإلحاق هاء السكت .

وعلى الحروف : السكت على حروف الهجاء ، وصلة الميم فيما لم يجاوز خمسة أحرف .

ومما توقف من مسائل الأحكام على السُّوَر : تعين سورة الفاتحة لغرض القراءة . وغيرها لسنتها .

وعلى الآى : بدل الفاتحة بعدَّةِ آيها ، ومطلق ثلاث آيات،أو آية طويلة مقامها .

وعلى الكلمات : تعليق اليمين على التلفظ بكلمة .

وعلى الحروف : فساد الصلاة بالتلفظ بمطلق حرفين أو حرف مفهم .

تعين[3] على علمائها تعيينها ، ولزمهم تبيينها. فألَّفت ذلك فى كتاب مشتمل على تسعة أبواب ، واجتهدت فيه على تحرير الفاظه وتقرير معانيه إسعافاً منى لمعانيه[4] تذكرة أرجع إليها ، وتبصرة يُعَوَّلُ عليها قبل أن ينقطع[5] العمل بانقضاء الأجل .

فالباب الأول : فى الأخبار والآثار الدالة على الاعتناء بالعدد ، والحث على تَعلّمه ، والرخصة فى العدّ بالعقد فى الصلاة .

والباب الثانى : فى تعيين الأئمة الذين انتهت إليهم طبقةُ العدد فى الأمصار ووقفْتُ عليهم فى الأقطار .

والباب الثالث : فى اتصال سندى بهم واتصال سندهم بمن فوقهم .

---

(١) الأدوات : مخارج الحروف ، وهى سبعة عشر مخرجا على المشهور ، انظر الجزرية .
(٢) كذا بالمصورة ولعلها : عَلَى أىّ من ..
(٣) هنا تعليق نصه : لئلا ينقطع العمل . نسخة كما فى الأصل . كذا .
(٤) اسم فاعل من (عانى) أى لمعانيه بضم الميم .
(٥) جواب فلما توقفت .... إلخ

والباب الرابع : فى جملة عدد السّور والآى والْكَلِم والحروف وائتلاف الأئمة والاختلاف فيه .

والباب الخامس : فى ذكر النظائر من كل من الثلاثة على مذاهبهم .

والباب السادس : ما انفرد بعده من الآى إمام فأكثر عن غيره وأسقطه .

والباب السابع : فى ضابط يعلم به الفواصل فيتنبه به على مواضع الخلاف .

والباب الثامن : فى المكى والمدنى من السور المتفق والمختلف والمتداخل من الآى .

والباب التاسع : فى ذكر السّور : سورة سورة على ترتيب المصحف العثمانى المنقول من الصحف البكرية - رضى الله تعالى عنهما - المنقولة مما كُتِبَتْ بين يدى النبى - ﷺ .

وصدَّرت الأبواب بمقدمة وقفيتها بخاتمة وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

المقدمة وتشتمل على فصلين

الفصل الأول : فى كيفية

نزول القرآن العظيم

روى واثلة عن رسول الله - ﷺ - قال : انزل الله تعالى صحف إبراهيم عليه السلام أول ليلة من شهر رمضان ، والتوراة لست منه بعدها بسبع مائة عام ، والزبور لثمانى عشرة منه . والإنجيل لثلاث عشرة منه بعد الزبور بألف ومائتى عام ، والقرآن لأربع وعشرين منه جملة فى اللوح المحفوظ بعد الإنجيل بستمائة وعشرين عاما[6] .

وقال عكرمة عن ابن عباس : أنزل القرآن من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة - قيل فى السماء الرابعة - جملة ليلة القدر ثم نزل على النبى ﷺ نجوما ، وإليه الاشارة بقوله ﴿ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً ﴾[7] قال أبىّ : أول ما نزل يوم الاثنين فى عشرين سنة .

وقال الحسن : فى ثمانى عشرة : ثمان بمكة ، وعشر بالمدينة .

وعن البخارى ومسلم عن عائشة - رضى الله عنهم قالت :

« أول ما بدىء به رسول الله - ﷺ - من الوحى : الرؤيا الصادقة،فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح ، ثم حُبّبَ إليه الخلاء فكان يتحنث بحراء الليالى ذوات العدد ، ثم يرجع فتزوده خديجة لمثلها ، فبينـا هو فيه جاءه جبريل فقال : اقرأ ، فقال : لست بقارىء ، فأخذنى فغطّنى حتى بلغ منى الجهد ثم قال : اقرأ ، فقلت : لست بقارىء - ثلاثا - ثم قال : اقرأ باسم ربك الذى خلق إلى « يعلم » ، فرجع إلى خديجة ترجف بوارده ، فقال : زملونى» .

وعن البخارى عن جابر قال-عليه الصلاة والسلام : جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت بطن الوادى فنوديت فنظرت أمامى وخلفى وعن يمينى وعن شمالى ثم نظرت إلى السماء فإذا الملك الذى جاءنى بحراء

←

(٦) جاء فى الاتقان للسيوطى - قال ابن حجر فى فتح البارى : قد أخرج هذا الحديث أحمد ، والبيهقى فى الشعب - ١/١٥١ الهيئة العامة للكتاب .

(٧) سورة الأسراء آية (١٠٦) .

جالساً على كرسى بين السماء والأرض فجئت منه رعبا .

ويروى : فإذا هو على العرش فأخذتنى رجفة فأتيت خديجة ، فأمرتهم فدثرونى ، ثم صبوا علىّ الماء فأنزل الله علىّ ﴿ يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ .

قال عمر ـ رضى الله عنه : كان إذا أنزل الوحى على رسول الله ـ ﷺ ـ يسمع كدوى النحل .

وقال الحسن : أول ما نزل : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾.

وقال زين العابدين : أول سورة نزلت بالمدينة (المطففين)،وعكرمة:(البقرة) وقال أيضاً : آخر سورة نزلت بمكة (المؤمنون) ، وقيل (العنكبوت) ، وأول سورة أعلنها بها (والنجم) .

وقال ابن عباس : آخر آية نزلت : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾[8] وعاش بعدها تسعا ، وعنه : آية : الربا ، وعنه : النصر .

وأبىّ:(لقد جاءكم) والبراء:(يستفتونك) .

الفصل الثانى فى حَدِّ الحرف والكلمة والآية والسورة والقرآن، واشتقاق كل منها

فَحَدُّ حرف الهجاء : صوت معتمد على حيِّز ، وحرف كل شىء : طرفه ، وهو بدء طرف الكلمة .

وحد الكلمة : لفظ وضع لمعنى مفرد .

وهى جنس تحتها ثلاثة أنواع : لأنها إن دلت على معنى فى نفسها مجرد عن زمان معين قَاسِمٌ ، او مقترن بماض او حال أو مستقبل فَفِعْلٌ ، أو على معنى فى غيرها فحرف معنى يصدق بالاشتراك عليه ، وعلى حرف الهجاء ، ويتجوز بها على حروف اتصلت كتابة ، وعلى الجملة ، والجمل ، والكلم جنسا ، والكلمات جمعها ، والكلام مركب منها .

وحد الاية : قران مركب من جمل ولو تقديراً ذو مبدأ ومقطع مندرج فى سورة .

واصلها العلامة ومنه : (إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ) لأنها علامة الفعل ، والصّدق ، والجماعة ، ومنه : « خرجوا بآيتهم » لأنها جماعة كلم ، او لعجبة : كقولهم: فلان آية ؛ لأنها عجب فى نظمها .

قال الخليل : وزنها فعَلَة أصلها (أَيَيَةٌ) تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا فمنعت إعلال الثانية .

وقال سيبويه : أَيَّة . فعلة استثقل التضعيف فأبدل الساكن [9] حرف مدّ بما قبله كدينار [10] .

وقال الكسائى : فاعلة آيِيَة فأدغم أول المثلين فى الثانى ، ثم خفّف على لغة فصار « فالة » .

وحد الفاصلة : كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع ،

وقال الدانى : كلمة آخر الجملة ، وهو خلاف المصطلح ، ولا دليل له فى تمثيل سيبويه بـ (يَوْمَ يَأْتِ) و(مَا كُنَّا نَبْغِ) وليسا براس آية ؛ لأن مراده الفواصل اللغوية لا الصناعية ، ويلزم ابا عَمْرو إمالة (مَن أعطى) لأبى عمرو .

(٨) سورة البقرة آية (٢٨١) .

(٩) وهو الياء الأولى .

(١٠) أصلها دِنَّار ـ بتشديد النون ـ ابدلت النون الأولى ياء لكسر ما قبلها .

وحَد السورة : قرآن مشتمل على آيٍ ذو فاتحة وخاتمة . فُعْلة [١٢] من السؤر : البقية ، والقطعة ، أو الشرف من قول النابغة :
(ألم ترأن الله أعطاك سورة) [١٣] .

أى شرفاً ومجداً،أو من الكلمات : لقولهم للناقة التامة : سورة . أو من سورة البناء وسور البلد ـ بوضع بعضها فوق بعض وارتفاعه : فعلى الأول أصلها « الهمز » وغلب تخفيفها وعلى البواقى عينها واو .

وحد القرآن : كلام الله تعالى العربى الموحى إلى نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ معجزة له على لسان الأمين جبريل بأحرفه السبعة ، مائة وأربع عشرة سورة : أولها « الفاتحة » وآخرها « الناس » وفائدة تفصيله بالآيات والسور الفصاحة ، كما علم فى فن البيان ، وتسهيلاً على حافظيه وتيسيراً على تاليه ، ومن ثَمّ قال ابن مسعودٍ : العدد مسامير القرآن .

الباب الأول

(فى الأخبار والآثار الدالة على الاعتداد بالعدد والحث على تعلمه ، والرخصة فى العدّ بالعقد فى الصلاة)

جميع ما ذكر فى هذا الباب إسنادى فيه متصل بالإمام الدانى إلى قائله ، حذفته اختصاراً .

عن واثلة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعطيت مكان التوراة السبع الطول ، ومكان الزبور المئين ، ومكان الإنجيل المثانى وفضلت بالمفصل » [١٥] .

وعن ابن عمر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« بلغوا عنى ولو آية،وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج » [١٦] .

وعن ابن رباح قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأبى : يا أبا المنذر ، أى آية فى القرآن أعظم ؟ قال : الله ورسوله أعلم ـ ثلاثا ـ فقال :

﴿ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ فضرب صدره وقال : ليهنك العلم يا أبا المنذر [١٧] وسأله عليه الصلاة والسلام أبو ذرّ عنها،فقال:(آية الكرسى) .

وقالت عائشة رضى الله عنها : « كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حَرَسٌ حتى نزلت هذه الآية ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ فأخرج عليه الصلاة والسلام رأسه من القبة ، وقال :

أيها الناس انصرفوا فقد عصمنى الله عز وجل [١٨] .

---

(١٢) أى والسورة وزنها .. الخ
(١٣) وتتمة البيت : ترى كل مَلِكٍ دونها يتذبذب .
(١٤) أى العقد بالأصابع ، أى العَدّ عليها .
(١٥) انظر فيض القدير ـ شرح الجامع الصغير للمناوى ٥٦٥/١ ط : مصطفى محمد .
(١٦) نفس المرجع ١٠٦/٣ .
(١٧) ذخائر المواريث للإمام عبد الغنى النابلسى ٨/١ .
(١٨) أخرجه الترمذى والحاكم والطبرانى ـ انظر لباب النقول للسيوطى ١٣٩/١ ط الحلبى .

قال ابن عباس : لما نزلت آية ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾ شق على الصحابة،فقال-عليه الصلاة والسلام : ألا ترون إلى قول لقمان لابنه : (إنّ الشرك لظلم عظيم) [١٩] .

وعن عثمان-رضى الله عنه : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا نزلت عليه الآية فيقول : [٢٠] ضعوا هذه الآية فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا ، [٢١] وعن أبى هريرة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : من استمع إلى آية فى كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ، ومن تلا آية من كتاب الله كانت له نوراً يوم القيامة [٢٢] .

وعن ابن معدان : كان النبى - صلى الله عليه وسلم - لا ينام حتى يقرأ المسبّحات ، ويقول : (إن فيها آية كألف آية) [٢٣] .

وعن أنس عن النبى - صلى الله عليه وسلم - (من عَلَّمَ آية من كتاب الله كان له أجرها ما تليت) [٢٤] .

وعن الخدرى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (نزلت هذه الآية فى خمس : فىّ وفى علىّ ، والحسن والحسين ، وفاطمة رضى الله عنهم : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا » [٢٥] .

وعن أسماء بنت يزيد عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (اسم الله الأعظم فى هاتين الآيتين ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ و﴿ الٓمٓ . اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[٢٦] .

وعن حذيفة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألفى عام فأنزل فيه الثلاث آيات التى ختم بهن سورة البقرة ، من قرأهن فى بيته لم يقرب الشيطان بيته ثلاث ليال » [٢٧] .

وعن أنس عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « من قرأ مائة آية كتب من القانتين ، ومن قرأ خمسين آية لم يكتب من الغافلين ، ومن قرأ بمائة آية أعطى قيام ليلة كاملة ، ومن قرأ بمائتى آية ومعه القرآن فقد أدى حقه » [٢٨] .

---

(١٩) نفس المرجع ١٤١/١ .

(٢٠) كذا بالأصل المصور عنه .

(٢١) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى انظر الاتقان للسيوطى ٢١٢/١ ط الهيئة العامة المصرية للكتاب تحقيق أبو الفضل إبراهيم .

(٢٢) رواه أحمد - انظر فيض القدير ٥٩/٦ .

(٢٣) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى عن عرباض بن سارية انظر الاتقان ١٣٠/٤ .

(٢٤) أخرجه ابن عساكر - راجع فيض القدير ١٨٢/٦ .

(٢٥) أخرجه الترمذى فى المناقب ٥٨٣/٥ .

(٢٦) انظر فيض القدير ٥١٠/١ عن معجم الطبرانى الكبير .

(٢٧) فيض القدير ٢٤٧/٢ وأخرجه الترمذى والنسائى .

(٢٨) أخرجه الحاكم .

وعن أبى بُرْدَةَ :(كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقرأ فى الفجر ما بين الستين إلى المائة) [٢٩] .

وعن زيد بن ثابت (تَسَحَّرْنَا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم قام إلى الصلاة فقيل له : كم كان بين الأذان والسحور قال : قدر خمسين آية) [٣٠] .

وقد صرّح القرآن العظيم بذلك قال تعالى :

« هُوَ الَّذِى أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ » .

﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ و(المبين) و(مبين) . (بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم) .

وكان السلمى يُعَلِّمُ أصحابه موضع الخمس والعشر ، وكان بعض أصحابه يعلم من يقرأ عليه العدد كما يعلّمه القرآن .

وكان يعقوب الحضرمى يعلم أصحابه العدّ فمن أخطأ فيه أقامه [٣١] .

وكان على ـ رضى الله عنه ـ يَعُدُّ (يكذبون) عشر [٣٢] ، و(على كل شىء قدير) عشرون ، و(ما لا تعلمون) ثلاثون ، و(إياى فارهبون) أربعون ، و(أنتم تنظرون) خمسون .

وأما الكلم فقوله تعالى : (فتلقى آدم من ربه كلمات) (وتمت كلمة ربك) و(مثلاً كلمة طيبة)

أما الحروف : فقوله تعالى : (الم) . (الر) . (كهيعص) . (قاف) (نون) .

ابن عباس : للقارىء بكل حرف عشر حسنات لا اقول:(ألم) حرف بل (إلف) حرف و(لام) حرف و(ميم) حرف ، وكلٌ واحد فمعناه بكل حرف لا كلمة .

فصل فى « الرخصة فى عقد اليد بعد الآى »

عن سليمى : (عدّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيده خمساً ، قال : التسبيح نصف الميزان ، والحمدلله يملؤه ، والتكبير مِلْءُما بين السماء والأرض ، والصوم نصف الصبر ، والطهور نصف الإيمان) [٣٣] .

وعن أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ : (قرأ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الصلاة . ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ فعقد بيده اليسرى آية ، ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ آيتين ﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ثلاثاً ، ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ أربعة ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

فجمع خمس أصابعه ، ثم رفع الخنصر فى السادسة،والبنصر فى السابعة)[٣٤] .

←

(٢٩) أورده الرملى فى نهاية المحتاج شرح المنهاج للنووى .
(٣٠) انظر المجموع للنووى ٣٣٠/٢ ط منير الدمشقى .
(٣١) أى أقامه من المجلس أو من أمامه .
(٣٢) العد فى هذه الآيات خاص بسورة البقرة .
(٣٣) الحديث فى البخارى والترمذى وأبى داود والنسائى وابن ماجة انظر الشوكانى فى شرحه عدة الحصن الحصين ص٢٦٣ .
(٣٤) الحديث فى سنن أبى داود والحاكم ـ أورده فيض القدير للمناوى ٢٦٧/٦ .

قولها بالعربية على النسق ، [٣٥] لا بالقبطية وفعل .

زينب بنت جحش قالت : (استيقظ النبى - صلى الله عليه وسلم - من نومه ، وهو محمرٌ وجهه ، وهو يقول : ويل للعرب من شرّ قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج وعقد بيده تسعين) أى بالقبطية [٣٦] ، وفعل ذلك من الصحابة فى الصلاة ابن عباس [٣٧] ، وابن عمر ، وأنس ، وعائشة - رضى الله عنهم -

ومن تابعى مكة:عطاء وطاووس والمغيرة ، وابن أبى مليكة - رضى الله عنهم .

والمدينة:عروة بن الزبير ، وابن عبد العزيز ونافع بن جبير ، ويزيد بن رومان.وقال مالك : لا بأس به .

والكوفة : السُلمى ، وابن معقل ، وزرّ ، وابن جبير ، والشعبى ، والنخعى ، وبشير ، وابن وثاب ، وعاصم ، وخيثمة .

والبصرة : الحسن ، وابن سيرين ، وابن دينار ، وثابت ، وحبيب ، وأبو مخلد .

والشام : كعب الأحبار ، وذلك فى القل [٣٨] ، وقال الحسن والشعبى وابن سيرين :

وفى الفرض .

الباب الثانى

فى أئمة العدد الذين انتهت لهم طبقةً، ووقفت عليهم روايته بالأمصار، وهم عشرة : [٣٩] .

فمن مكة اثنان :

أبو مَعْبَد : عبد الله بن كثير الدارى مولى والكنانى ، وجعله أبو العلاء راوى مجاهد ، وأقام حميد الأعرج مقامه .

ومجاهد بن خبر المخزومى مولى عبد الله بن السائب .

ومن المدينة أربعة :

أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، وأبو نصاح : شيبة بن نصاح ، وأبو عبد الرحمن : نافع بن عبد الرحمن ، وإسماعيل بن جعفر .

ومن الكوفة : أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السّلَمى .

ومن البصرة : أبو المحشر عاصم بن العجّاج الجحدرى .

ومن الشام ثلاثة : أبو عمران : عبد الله بن عامر اليحصبى الدمشقى ، وأبو حيوة : سريح ابن يزيد الحضرمى الحمصى ، وعمرو : محيى بن الحارث الذمارى .

---

(٣٥) أى ليس بطريقة العد القبطية .
(٣٦) أى بتصوير ذلك بأصابعه - صلى الله عليه وسلم - والله أعلم .
(٣٧) عقد التابعين بالقبطية هو أن يضع رأس السبابة على أصول الإبهام فتبقى شبه الحلقة الصغيرة والله أعلم [كذا وجد بهامش المخطوط] .
(٣٨) كذا ، ولعلها : النفل وهو الأقرب للصواب
(٣٩) يبدو أن المؤلف أطلق العشرة على الأئمة المشهورين ، وإن زاد واستطرد إلى غيرهم

فهؤلاء هم الذين تصدّوا لتعليمه فاشتهر عنهم ودار عليهم مع ما انضم إليهم من الحفظ والضبط والدِّين وسلامة العقائد وحسن السيرة دون من فوقهم وتحتهم في سلسلة السند، ولو عزى إلى غيرهم منهم لكان صواباً كما كان امر الأئمة السبعة الناقلين لوجوه القرآن[٤٠] .

مطلب في بيان مدنى الأول والأخير

فإذا اتفق ابو جعفر وشيبة ونافع وإسماعيل قلت : مدنى ، فإن خالفهم قلت : مدنيّ أول ، وإن انفرد عنهم قلت : مدنى أخير .

وإذا اتفق ابن كثير ومجاهد قلت : مكيّ ، فإن وافق المدنى قلت : حجازى ، وإذا اتفق كوفي وبصرى قلت : عراقى ، وإذا اتفق ابن عامر ويحيى قلت : دمشقى ، وإذا وافقهما ابو حيوة قلت : شامى .

الباب الثالث في الاسناد

فأما عدد المدنيّ الأول فانبأنى به ابو إسحق يوسف البغدادى ، عن ابى محمد القاسم اللّوْرَقى ، عن أبى عبد الله محمد المرادى ، عن ابى الحسن على بن هذيل ، عن أُبيّ وعثمان الدانى ، عن أبى الفتح ، عن أحمد بن محمد عن احمد بن عثمان عن الفضل بن شاذان ، عن محمد بن عيسى ، عن خَلَف بن هشام ، عن أهل الكوفة ، عن أهل المدينة . والأخير بالإسناد إلى الدانى عن فارس ، عن أحمد ، عن أبى بكر ، عن الفضل ، عن ابن عيسى . وهن عبد ، عن عمر ، عن محمّد ، عن أحمد ، عن خلف ، عن إسماعيل ، عن سليمان .

وامّا عدد المكي فبإسنادى إلى الدانى ، عن فارس ، عن أحمد ، عن ابن عثمان ، عن الفضل ، عن ابن أبى بَزَّة ، عن عكرمة ، عن شبل ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن أبيّ بن كعب .

وأما عدد الكوفي فبإسنادى إلى الدّانى ، عن فارس ، عن أحمد ، عن أبى بكر ، عن أبى العباس ، عن خلف ، عن سليم ، عن حمزة ، عن نصير ، عن الكسائى عنه ، عن السلمى ، عن على رضى الله عنه .

وامّا عدد البصرى فبإسنادى إلى الدّانى ، عن أبى الفتح ، عن أحمد ، عن ابن عثمان ، عن الفضل ، عن أبى الحسن ، عن عقبة ، عن هضيم ، عن عاصم الجحدرى .

وأما عدد الشامى فبإسنادى إلى الدانى ، عن أبى الفتح ، عن أحمد بن عثمان ، عن الفضل ، عن أحمد ، عن ابن ذكوان ، عن أيوب ، عن يحيى الذمارى ، عن عبد الله بن عامر إلى عثمان رضى الله عنه .

وبإسنادى إلى الدانى قال بلغنى عن أبى الحسن بن شَنَبُوذ ، عن احمد الأيادى ، عن موسى عن ابى حيوة بن شريح إلى خالد بن معدان قال الدانى : وهذه الأسانيد ـ وإن كانت موقوفة ـ فيما بلغنا فهى مرفوعة إلى النبى عليه الصلاة والسلام .

←

(٤٠) بالهامش هنا : مطلب في بيان مدنى الاول والمدنى الاخير .. وهو الذى جعلناه عنواناً فرعياً ..

(٤١) ليست بالاصل ويلزم وضعها ..

الباب الرابع

فى جملة عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه اتفاقا عن أئمة العدد

عدد سور القرآن العظيم باتفاق أهل الحلّ والعقد مائة وأربع عشرة سورة كما هى فى المصحف العثمانى : أولها الفاتحة وآخرها الناس .

وقال مجاهد : وثلاث عشرة بجعل الانفال والتوبة سورة واحدة لاشتباه الطرفين وعدم البسملة ، ويردّه تسمية النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كلا منهما . وكان فى مصحف ابن مسعود ، و(اثنتا عشرة) لم يكن فيه المعوذتان لشبهة الرقيّة . وجوابه رجوعه إليهم [٤٢] ، وما كتب الكل ، وفى مصحف أبىّ ، و(ست عشرة) وكان دعاء الاستفتاح والقنوت فى آخره كالسورتين ولا دليل فيه لموافقتهم وهو دعاء كتب بعد الخاتمة ، ويأتى ترتيبها وعَدَد آياته فى قول الصحابة والتابعين .

قال على رضى الله عنه :.عدد أى القرآن ستة آلاف ومائتان وستة وثلاثون ،
وأبى : ستة آلاف ومائتان وعشر .

وابن عباس : رضى الله عنهما ، وابن جبير وابن سيرين : ستة آلاف ومائتان وست عشرة وابن مسعود : ستة آلاف ومائتان وثمانى عشرة وعطاء ستة آلاف ومائة وسبع وسبعون ، وحميد ستة آلاف ومائتان واثنتا عشرة ، وراشد:ستة آلاف ومائتان وأربع[٤٣] .

وفى قول أئمة العدد ـ فى المدنى الأول ـ قال نافع : ستة آلاف ومائتان وسبع عشرة ، وفى المدنى الأخير ، قال إسماعيل : ستة آلاف ومائتان وأربع عشرة .

وفى المكى ، قال الفضل:ستة آلاف ومائتان وتسع عشرة .

وفى الكوفى قال السلمى : ستة آلاف ومائتان وست وثلاثون .

وفى البصرى ، قال عاصم الجحدرى : ستة آلاف ومائتان وخمس ، وأيوب بن المتوكل : وأربع .

وفى الشامى ، قال سويد عن يحيى الذمّارى : ستة آلاف ومائتان وعشرون ، وصدقة عنه وخمس . قال ابن ذكوان : أظنه دون البسملة .

---

(٤٢) أى رجع عن قوله « اثنتا عشرة » إلى المتفق عليه .

(٤٣) يرجع هذا الخلاف فى العد إلى عدّ بعض الائمة آية اعتبرها سواه جزءا من الآية التى تليها مثلا : ألم . ذلك الكتاب : الآية من البقرة . عدّ الكوفى (ألم) آية . واعتبرها بقية الائمة صدر الآية التالية فكانت عندهم ﴿ ألم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين ﴾ كلها آية وبذلك يكون مقررا أن الخلاف فى العدد لا يمس متن الكتاب العزيز .. مجلة الأزهر .
وقد عقد المؤلف لذلك فصلا ، فليتنبه .

وعدد كلماته عند العادّين

قال عطاء : عدد كلمات القرآن سبع وسبعون الف كلمة وأربع مائة وتسع وثلاثون ، وعاصم الجحدرى ، وحمزة عن أهل المدينة : سبعة وسبعون الف كلمة وأربعمائة وستون ، ومحمد بن عمر الربعي : ستة وسبعون ألف كلمة وستمائة وإحدى وأربعون ، وأحمد بن صالح خمسة وسبعون الف كلمة .

وعدد حروفه

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وحميد بن قيس ، وابن جبير : عدد حروف القرآن ثلاث مائة الف حرف وثلاثة وعشرون الف حرف وستمائة وإحدى وسبعون حرفاً .

وابن مسعود : ثلاثمائة الف حرف وثلاثة وعشرون ألف حرف وستمائة وتسعون حرفا .

وعطاء:ثلاثمائة الف حرف وثلاثة وعشرون الفا وخمسة عشر .

وابن كثير ، ومجاهد أيضا : ثلاثمائة الف وأحد وعشرون الفا ومائة وثمانية وثمانون حرفا وأهل المدينة: ثلاثمائة وخمسة وأربعون حرفا . ويحيى الذمارى:ثلاثمائة الف ومائتان وخمسون حرفا ، وأبو حيوة شريح:ثلاثمائة الف وثلاثة وعشرون ألف وستمائة وخمس وتسعون ، وحمزة ثلاثمائة الف وأحد وعشرون الفا ومائتان وخمسون . والكسائى : ثلاثمائة الف وخمسة وعشرون ألفا ومائتان وخمسون حرفا . وابن دينار والجماني:ثلاثمائة ألف وستون الفا وثلاثة وعشرون حرفا.والجحدرى:ثلاثمائة الف وثلاثة وستون الفا وثلاثمائة حرف ونيف .

وقال مجاهد وابن كثير :
كُلّ من نصيفه بالحروف: مائة الف حرف وستون الفا حرف وخمسمائة وأربعة وتسعون حرفا .

وكل من ثلاثة : مائة الف حرف وسبعة آلاف وثلاثة وتسعون حرفا .

وكل من أرباعه : ثمانون الفا ومائتان وسبعة وسبعون حرفا .

وكل من أخماسه : أربعة وستون الفا ومائتان وسبعة وثلاثون حرفا .

وكل من أسداسه : ثلاثة وخمسون الفا وخمسمائة وأحد وثلاثون حرفا .

وكل من أسباعه : خمسة وأربعون الفا وثمانمائة وأربعة وثمانون حرفا .

وكل من أثمانه : أربعون الفا ومائة وتسعة وأربعون حرفا .

وكل من أتساعه : خمسة وثلاثون الفا وستمائة وثمانية وثمانون حرفا .

وكل من أعشاره : اثنان وثلاثون الفا ومائة وتسعة عشر حرفا .

● يبدو أن لفظ الف سقط

وقال حميد الأعرج : نصفه (معى صبرا)(٤٤) أول الكهف ، وقيل : عين (تستطيع) وقيل : ثانى لأمَّ (وليتلطف)

فصلٌ جملة السور المختلف فى عدِّ آيِهَا خمس وسبعون سورة والمتفق على عده تسع وأربعون

فمتفق الإجمال والتفصيل منها أربعون .

ومتفق الإجمال دون التفصيل تسع .

وجملة الآى المختلف فيها مائة وسبع وأربعون آية،وجملة مايلبس بها وليس بها مائتان وثمان وعشرون .

وأطول سورة فى القرآن (البقرة) وأقصرها (الكوثر) .

واطول آية فيه آية (الدَّين) مائة وثمان وعشرون كلمة،وخمسمائة وأربعون حرفا ، واقصر آية فيه (والضحى) ثم (والفجر) كلٌّ كلمة ، وخمسة أحرف تقديرا ثم لفظا وستة رسما،لا (مدهامتان) لأنها تسعة أحرف لفظا ورسما وثمانية تقديرا ، ولا (ثُمَّ نَظَر) لأنها كلمتاز وستة احرف تقديرا .

واطول كلمة فيه لفظا بلا زيادة خمسة احرف(٤٥) ، وبها وكتابة (فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ) أحد عشر لفظا وعشرة كتابة ، ثم (اقْتَرَفْتُمُوهَا) عشرة ، ثم (ليستخلفنكم) تسعة لفظا وعشرة تقديرا .

واقصرها نحو باء الجر حرف واحد لا (لا) لأنها حرفان خلافا للدانى فيهما .

قاعدة فى بيان سبب اختلاف العلماء فى عدد الآى والكَلِم والحروف؛ لئلا يتوهم أن ذلك لأجل زيادة فى القرآن أو نقص منه فيجنح إليه الذى فى قلبه مرض

فسبب الاختلاف فى الآى أن ، النبى - ﷺ - كان يقف على رؤوس الآى للتوقيف ، فإذا عُلم محلها وصل للإصالة والتمام ، فيحسب السامع أنها ليست فاصلة .

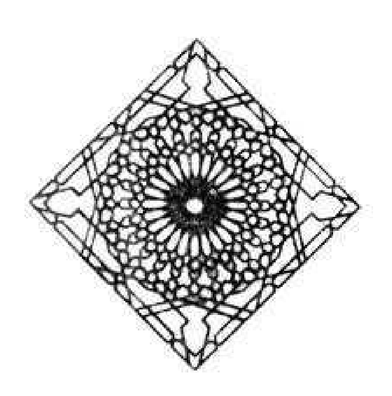
(٤٤) اى اول موضع جاءت فيه هذه الجملة من سورة الكهف .
(٤٥) اى بالزيادة .

وأيضا البسملة نزلت مع السور فى بعض الأحرف السبعة ؛ فمن قرأ بحرف نزلت فيه عدّها ، ومن قرأ بغير ذلك لم يعدّها .

وسبب الاختلاف[٤٦] فى الكلم : أن الكلمة لها حقيقة ومجاز ولفظ ورسم . واعتبار كل منها جائز ، فكل من العلماء اعتبر أحد الجوائز ، فـ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ كل من الكلم الأربع كلمتان : حقيقة وكلمة مجاز ، ونحو (**نجيناكم**) ثلاث كلمات لفظا ، وكلمة رسما .

وسبب الاختلاف فى الحروف : أن كل حرف مشدد حرفان فى الأصل وحرف واحد فى اللفظ والرسم ، وبعض الحروف يثبت فى بعض الأحرف السبعة دون البعض ، وبعض الحروف ثابت لفظا لا رسما ، وبعضها رسما لا لفظا نحو (**مَٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ**) (**سَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ**) (**وَإِبْرَاهِيمَ**) (**وَأُولُوا الْقُوَّةِ**) فاعتبر كل منهم جهة من الجهات الجائزة فزاد بذلك أو نقص فافهم ذلك ..

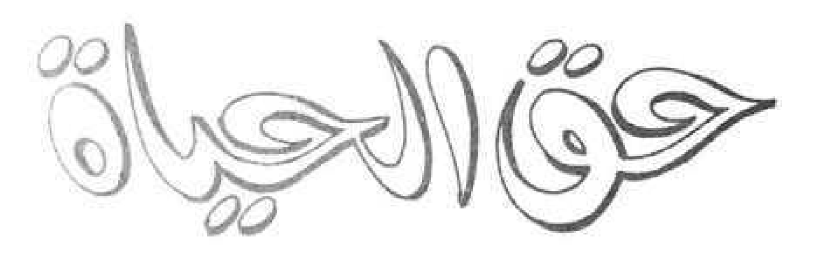
يتبع



(٤٦) أى فى عدّ الكلم .



من الحقوق العامة للانسان فى الاسلام



بليت الأديان من قديم بمن أساء فهمها وخاصم الحياة باسمها وأوهى صلات الناس بها وأراد أن يجعل منها سجنا كبيرا ومحنة ثقيلة حتى شاع الى زمن قريب أن الأديان خصم للحياة ، وأن الحياة لم تبلغ مستواها العلمى والعمرانى العالى الا بعد ما تخلصت من ايحاءات الدين واهتمامه الملح بما بعد الحياة لا بالحياة نفسها ·

واذا كان هذا الكلام صحيحا بالنسبة لتلك الأديان لكنه غلط شنيع بالنسبة الى الاسلام فقدر الانسان فى ظل الاسلام ، قدر رفيع والمكانة المنشودة له تجعله سيدا على سائر المخلوقات ذلك أنه يحمل بين جنبيه نفحة من روح الله وقبسا من نوره وهذا التكريم الالهى هو الذى رشحه ليكون خليفة فى الأرض يقول الله تعالى : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (١)

وقال جل وعلا (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (٢)

كيف احترم الاسلام حق الحياة ؟

ان الحياة الانسانية فى نظر الاسلام لها مكانتها العظمى ولهذا يجب صيانتها عن الاتلاف أو أى نوع من أنواع الأذى ، فشددت الشريعة الاسلامية فى هذا تشديدا شديدا يهدف الى صيانة هذه الحياة التى كرمها الله عز وجل فالقرآن الكريم يعد ازهاق الروح دون حق جريمة ضد الانسانية كلها كما يعد تنجيتها من الهلاك نعمة على الانسانية كلها أيضا ، قال تعالى : (أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) (٣) وتوكيدا لحق الحياة حتى لا يضار فيه أحد قال رسول

(١) سورة البقرة ٣٠
(٢) سورة الاسراء ٧٠
(٣) سورة المائدة ٣٢ ·





للمستشار محمد عزت الطهطاوى

الله ﷺ : (لزوال الدنيا أهــون على اللـــه من قتل رجل مسلم) (٤) ٠

ولقد بلغ من تقديس الاسلام لحق الحيــاة وكرامة الانسان ما يشير اليه قول رســـول الله ﷺ عندما وقف أمام الكعبة المشرفة وهو : (ما أطيبك وأطيب ريحك وما أعظمك وأعظم حرمتك ، والذى نفس محمد بيده لحرمـــة المؤمن عندالله أعظم من حرمتك ماله ودمه)(٥)٠

تحريم الاسلام وأد البنات

وكان مما قرره الاسلام فى صيانة حق الحياة تحريمه وأد البنات وهى الخصلة القبيحة التى كانت فاشية عند بعض العرب قبل ظهـــور الاسلام قال الله تعالى : (وَإِذَا الْمَــوْءُودَةُ سُئِلَتْ.بِأَىِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ) (٦) ٠

حرمة الانتحار أو تعريض النفس للهلاك

كما أن قتل الانسان لغيره محرم فان قتلــه لنفسه محرم كذلك ويرتكب بفعله هذا وزرا عظيما (٧) يقول رسول الله ﷺ : (من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا) (٨) « يتوجأ بها أى يضرب نفسه بها » ٠

وكما ينهى الاسلام عن قتل الانسان لنفسه ينهاه أيضا عن تعريضها للهلاك قال الله تعالى : (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) (٩) ٠

الحماية لجميع جسم الانسان

فكما أن الحياة الكاملة مصونة فى نظـــر الاسلام كذلك فان الاعتداء على جزء منها فى جسم الانسان وتعريضه للجرح أو التلف أو التشويه يعتبر عدوانا أساس العقوبة فيــه القصاص فالقصاص انما شرع تأمينا للسلامة

←

(٤) والحـديث ورد فى الجـــامع الكبير للسيوطى طبعة مجمع البحوث الاسلامية سـنة ١٤٠٧ هـ ٠ ١٩٨٦م وذكر انـــه فى الترغيب والترهيب للمنذرى وقال رواه مسلم والنسائى والترمذى مرفوعا وموقوفا ٠

(٥) رواه ابن ماجة فى سننه الجزء الثـانى دار الفكر للطباعة والنشر ٠

(٦) سورة التكوير ٨ ، ٩

(٧) كتاب الحقوق والواجبات والخـــلافات الدولية فى الاسلام ــ تاليف الدكتور محمد رافت عثمان مطبعة السعادة سنة ١٣٩٥هـ ــ سـنة ١٩٧٥م ٠

(٨) أخرجه الخمسة هكذا ورد فى كتـــاب تيسير الوصول الى جامع الاصول للامام المحدث عبد الرحمن بن على الشيبانى ج ٤ كتـــاب القتل ــ المطبعة السلفية ١٣٤٦ هـ ٠

(٩) سورة البقرة ١٩٥ ٠

المطلقة بين الناس وأنواع هذا القصاص كلها ضوابط وحصانات لاشاعة حق الحياة فى أسمى صورة بين الناس جميعا قال الله تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۰ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (١٠) ۰**

والعدوان على الانسان قد يكون قتلا أو قطعا لطرف من أطرافه وقد يكون جرحا ، وفى كل هذا قد يكون هذا الاعتداء عمدا أو شبه عمد أو خطأ ولكل حكمه الخاص وموضح كل ذلك تفصيلا فى كتب فقهاء الاسلام ومن السهل الرجوع اليها لمن يريد التوسع فى ذلك (١١) ۰

وجوب انقاذ حياة الشخص المشرف على الهلاك

فلقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : (أيما رجل ضاف قوما فأصبح الضيف محروما فان نصره حق على كل مسلم حتى يأخذ بقرى ليلته من زرعه وماله) (١٢) ۰

قال الخطابى يشبه أن يكون هذا فى الذى يخاف التلف على نفسه ولا يجد ما يأكل فله أن يتناول من مال أخيه ما يقيم نفسه ، وقد اختلف فقهاء الاسلام فى مثل هذا الشخص هل عليه أن يدفع ثمن ما أكل أم ليس عليه ذلك (١٣) ۰

أباح الاسلام للمضطر أن يأكل لحم الميتة التى حرمها الله عز وجل

فاذا أشرف شخص على الهلاك جوعا ولو لم يأكل لهلك فقد وجب عليه أن يأكل الميتة انقاذا **لنفسه من التلف تطبيقا لقوله تعالى : (فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (١٤) ۰**

---

(١٠) سورة البقرة ١٧٨ – ١٧٩ ۰

(١١) كتاب القصاص والحدود فى الفقه الاسلامى تأليف الدكتور فكرى أحمد عكاظ والدكتور على أحمد مرعى الاستاذين بكلية الشريعة والقانون للفقه المقارن – مطبعة السعادة ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م ۰

(١٢) جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير للامام جلال الدين السيوطى العدد الثامن والعشرون من الجزء الاول مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م طبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية. وورد به ان الحديث رواه أبو داوود والامام أحمد والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى السنن ۰

(١٣) كتاب الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية فى الاسلام د۰ محمد رأفت عثمان ۰

(١٤) سورة المائدة ٣ ۰

(١٥) كتاب احكام الاحوال الشخصية فى الشريعة الاسلامية للمرحوم الشيخ عبد الوهاب خلاف موضوع الرضاعة مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٥٧هـ – ١٩٣٨م ۰

أوجب الاسلام حماية الطفل بارضاعه حتى لا تتعرض حياته للخطر (١٥)

فيجب على الأم أن ترضعه بنفسها ان لم يقبل الطفل غيرها ، أولا توجد من ترضعه سواها ، أو لم يكن الولد ولا لأبيه مال تستأجر به مرضعة لقوله تعالى : (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ) (١٦) •

أثبت الاسلام حماية الجنين وهو فى بطن أمه ويتمثل ذلك فى الآتى

أولا : معاقبة من يعتدى على امرأة حامل فيتسبب فى اسقاط حملها فقد نص الفقه الاسلامى على أنه يجب على من تسبب فى اسقاط جنين دية وهى غرة عبد أو آمة كما ثبت ذلك من قضاء الرسول ﷺ (١٧) •

ثانيا : تأخير اقامة العقوبة المقدرة للزانية المتزوجة وهى القتل رميا بالحجارة وهو ما يسمى بالرجم اذا كانت حاملا حتى تضع حملها فقد روى أن امرأة من جهينة جاءت الى رسول الله ﷺ فأخبرته أنها زنت ثم هى حامل فقالت يا نبى الله أصبت حدا فأقمه على فدعا نبى الله ﷺ وليها فقال له أحسن اليها فاذا وضعت فأتنى بها ففعل فأمر بها رسول الله ﷺ فشكت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها) رواه مسلم بسنده عمران بن حصين (١٨) •

ثالثا : اباحة افطار الحامل والمرضع فى شهر رمضان اذا خافتا الضرر على نفسيهما أو على الجنين أو الرضيع بل يجب عليها الافطار اذا تيقنتا من حدوث الضرر لو لم تفطرا ففى الحديث : (ان الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة ، وعن الحبلى والمرضع الصوم) (١٩) •

حرم الاسلام كل عمل ينتقص من حق الحياة

وذلك سواء أكان هذا العمل تخويفا أو اهانة أو ضربا أو اعتقالا أو تطاولا أو طعنا فى العرض لأن حياة الانسان المادية والأدبية موضع الرعاية والاحترام (٢٠) قال رسول الله ﷺ (ظهر المؤمن حمى الا بحقه) (٢١) •

---

(١٦) سورة البقرة الآية ٢٣٣ •

(١٧) كتاب الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية فى الاسلام ص ١١٦ مطبعة السعادة ١٢٩٥هـ/١٩٧٥م ، كما ورد ذلك بكتاب التاج الجامع للاصول فى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم المجلد الثالث طبعة ١٢٨١ هـ / ١٩٦٢م التراث العربى •

(١٨) المرجعان السابقان وكذا كتاب الحدود فى الاسلام للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية بالازهر الشريف صفر ١٣٩٤هـ / مارس ١٩٧٤م •

(١٩) كتاب فقه السنة تأليف الشيخ سيد سابق الجزء الثالث مكتبة الآداب ومطبعتها - الطبعة الرابعة •

(٢٠) كتاب حقوق الانسان بين تعاليم الاسلام واعلان الامم المتحدة للشيخ محمد الغزالى الطبعة الثالثة ١٩٨٣ دار التوفيق النموذجية •

(٢١) كتاب جمع الجوامع - الجامع الكبير للسيوطى عدد ٢٤ من الجزء الثانى وقد ورد به ان الحديث فى المعجم الكبير للطبرانى •

تأمين الإسلام المطلق للفرد

ان الاسلام يوصد الأبواب أمام من يستهين بأقدار الناس وحقوقهم وهذا أمر يغفل عنه كثيرون خصوصا أولئك الحكام الذين يدهمون بيوت الامنين لتفتيشها أو يعتقلون خصومهم ويقيدون حركاتهم دون اعتداد بقانون أو رعاية لقضاء فما علموا أن النظرة المجردة داخل بيت الانسان هى اعتداء على حرمته نهى عنها رسول الله ﷺ بل حظر من دخول البيوت الا باذن أصحابها •

فعن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ : (أيما رجل كشف سترا فأدخل بصره قبل أن يؤذن له فقد أتى حدا لا يحل أن يأتيه ، ولو أن رجلا فقأ عينه لهددت) (٢٢) •

وقال عليه الصلاة والسلام : لا تأتوا البيوت من أبوابها ــ (يعنى مواجهة تجعل القادم يكشف ما هنالك) ولكن ائتوها من جوانبها فاستأذنوا فان أذن لكم فادخلوا والا فارجعوا (٢٣) •

تحريم ما يثير الفزع

فالاسلام يعتبر تعريض المسلم لأى فزع جريمة لأنه يقرر فى نطاق مجتمع الاسلام ضرورة حق الحياة الآمنة من المخاوف والمظالم وفى ذلك يقول رسول الله ــ ﷺ ــ : (لا يحل لمسلم أن يروع مسلما) (٢٤) •

وفى رواية (لا تروعوا المسلم فان روعه المسلم ظلم عظيم) (٢٥) •

فاذا ما كان التخويف مقرونا بسلاح ما فان الاثم يتضاعف وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ (لا يشر أحدكم الى أخيه بالسلاح فانه لا يدرى لعل الشيطان ينزع فى يده فيقع فى حفرة من النار) (٢٦) •

حماية الحياة فى الاسلام تمتد الى حياة الحيوان أيضا

فالاسلام يعد اشقاء الحيوان وازهاق روحه ظلما ، ذنبا يؤهل فاعله لدخول النار وبابا الى سخط الله الذى خلق الانسان والحيوان كما أن اراحة الحيوان وحفظ حياته باب الى رضوان الله ودخول جنته قال رسول الله ﷺ : (دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها

---

(٢٢) كتاب جمع الجوامع ــ الجامع الكبير للسيوطى عدد ٢٨ من الجزء الاول وورد به انه فى مسند احمد وفى صحيح الترمذى •

(٢٣) رواه الطبرانى فى كتاب حقوق الانسان بين تعاليم الاسلام واعلان الامم المتحدة للشيخ الغزالى •

(٢٤) أخرجه أبو داوود ورد ذلك فى كتاب تيسير الوصول الى جامع الأصول سابق الاشارة اليه ــ الجزء الرابع كتاب المزاح والمداعبة •

(٢٥) رواه البزار ــ كتاب حقوق الانسان بين تعاليم الاسلام واعلان الامم المتحدة للشيخ محمد الغزالى الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م •

(٢٦) رواه البخارى ومسلم هكذا ورد فى كتاب رياض الصالحين للامام محيى الدين ابى زكريا النووى طبعة دار الشعب ١٩٧٠ •

ولم تدعها تأكل من خشـــــاش الأرض حتى ماتت) (٢٧) ٠

كما روى عنه ـ ﷺ أنه قال بينما رجـــل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج فـاذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلـغ بى فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له قالوا يا رسول الله وان لنا فى البهائم أجرا ؟ فقال نعم فى كل ذات كبد رطبة أجر) (٢٨) ٠

كما امتدت عناية الاسلام بالحياة الى الأرض الموات

ففى حفر الآبار عليهـــا والزرع والغرس واشاعة الخضرة فيها والبناء عليها امتداد للحياة الطيبة وفى هذا نفع كبير للناس ومن أجـــل ذلك قررت الشريعة الاسلامية أن تلك الأرض تصبح ملكا لمن أصلحها وأشاع الحياة فيها ولو لم يأذن له الحاكم اكتفاء باذن الشـــارع وليس لأى انسان ولو ظالما حق فيها قال رسول الله ـ ﷺ ـ : (من أحيا أرضا ميتة فهى له وليس لعرق ظالم فيه حق) وفى رواية أنـــه قال : (من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق) قال عروة قضى به عمر ـ رضى الله عنه ـ فى خلافته (٢٩) ٠

الاسلام يحمى حق الحياة لغير المسلمين بـل ويمنع أى عمل ينتقص من حقهم فى الحيـاة الآمنـــة

فغير المسلمين مثلهم كالمسلمين فى حق الحياة فهم سواء فى حرمة الدم واستحقاق الحيـــاة والاعتداء على المسالمين من أهل الكتاب هو فى نكره وفحشه كالاعتداء على المسلمين وله سوء الجزاء فى الدنيا والآخرة فعن عمرو بن العاص أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد مـن مسيرة أربعين عاما) ٠

وفى رواية أنه قال : (من قتل معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله لم يرح رائحة الجنة وريحها ليوجد من مسيرة سبعين عاما) (٣٠) ٠

فضلا عن ذلك فان الاسلام يمنع أى عمل ينتقص من حق الحياة الآمنة المستقرة لهم لأنه يشيع الطمأنينة التامة فى أكناف المجتمع بحيث ينال الانسان مسلما كان أم غير مسلم نصيبا

---

(٢٧) الحديث أخرجه البخارى وأخرجه ابن ماجة فى سننه ورواه الامام السيوطى فى الصغير ورد ذلك فى كتاب جمـع الجـــوامع للسيوطى ـ العدد ١٥ من الجزء الثانى ٠

(٢٨) رواه الشيخان كما ورد ذلك فى كتاب التاج الجامع للأصول تاليف الشيخ منصـــور على ناصف السابق الاشارة اليه ـ المجـــلد الخامس ٠

(٢٩) رواه البخارى وأبو داوود والترمذى ـ هكذا ورد بكتاب التاج الجامع للأصـــول من احاديث الرسول ـ المجلد الثانى ٠

(٣٠) سنن ابن ماجة ـ الجـزء الثانى طبعـة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ٠

من طمأنينة الحياة فقد روى عن الصحابى حكيم ابن حزام أنه مر ببلاد الشام على أناس من الأنباط وقد أقيموا فى الشمس وصب على رءوسهم الزيت فقال ما هذا ؟ قيل يعذبون فى الخراج فقال أشهد لسمعت رسول الله - ﷺ - يقول : (ان الله يعذب يوم القيامة الذين يعذبون الناس فى الدنيا) (٣١) ودخل على الأمير فحدثه فأمر بهم فخلوا (٣٢) .

وحتى ما يثير الفزع لأهل الكتاب محرم فى نظر الاسلام

فلقد حدث زيد بن سعنة وكان من أحبار اليهود أنه أقرض النبى ﷺ قرضا كان قد احتاج اليه ليسد به خللا فى شئون نفر من المؤلفة قلوبهم ثم رأى ذلك الدائن أن يذهب قبل ميعاد الوفاء المحدد ليطالب بدينه قال : أتيته يعنى رسول الله - ﷺ - فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ - أى عابس - فقلت : يا محمد ألا تقضين حقى فوالله ما علمتكم بنى عبد المطلب الا مطلا - أى مسوفين فى أداء الحقوق - ولقد كان لى بمخالطتكم علم ، ونظر الى عمر وعيناه تدوران فى وجهه كالفلك المستدير ثم رمانى ببصره فقال يا عدو الله أتقول لرسول الله - ﷺ - ما أسمع وتصنع ما أرى ؟ فو الذى نفسى بيده لولا ما أحاذر فوته أى ما يفوتنى من رضا النبى - ﷺ - لضربت بسيفى رأسك، ورسول الله - ﷺ - ينظر الى فى سكون وتؤدة .

فقال (يا عمر أنا وهو كنا أحوج الى غير هذا ، أن تأمرنى بحسن الأداء وتأمره بحسن اتباعه اذهب به ياعمر فأعطه وزده عشرين صاعا من تمر مكان ما رعته) قال زيد فذهب بى عمر فأعطانى حقى وزادنى عشرين صاعا من تمر فقلت ما هذه الزيادة ؟ قال عمر أمرنى رسول الله ﷺ أن أزيدك مكان مارعتك (٣٣) .

الاسلام يحمى حق الحياة لأعداء المسلمين اذا كانوا غير محاربين ولم يحملوا عليهم السلاح

فقد أوصى أبو بكر الصديق وقت خلافته القائد أسامة بن زيد لما وجهه على رأس جيش الى الشام بالرحمة فى الحرب وبالمحافظة على أموال الناس وبترك الرهبان أحرارا فى أديارهم وصوامعهم وكان مما قاله له : (لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا

(٣١) جامع الجوامع المعروف بالجامع الكبير للسيوطى العدد الرابع عشر من الجزء الأول فيه ذكر أن الحديث فى مسند أحمد ومسلم وأبى داوود وللطبرانى فى الكبير .

(٣٢) كتاب غير المسلمين فى المجتمع الاسلامى للدكتور يوسف القرضاوى تنشره مكتبة وهبه

(٣٣) رواه الطبرانى كتاب حقوق الانسان بين تعاليم الاسلام واعلان الامم المتحدة للشيخ محمد الغزالى .
للدكتور يوسف القرضاوى تنشره مكتبة وهبه مطبعة غريب - رمضان ١٣٩٧هـ / اغسطس ١٩٧٧م .

ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بعيرا الا للأكل واذا مررتم بقوم فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له) (٣٤) •

كيف قام المسلمون بتطبيق أحكام الاسلام فى صيانة حق الحياة

لقد قام المسلمون بتطبيق أحكام الاسلام ووصايا الرسول ﷺ بكل دقة فهم عندما تحركت جيوشهم لتحرير البلاد الواقعة تحت سيطرة الفرس والرومان لابلاغ شعوبها برسالة الاسلام تركوا أهل الذمة من اليهود والنصارى والمجوس وما يدينون ، ولم يتعرضوا لهم بأدنى أذى يمس حياتهم وأعراضهم وأموالهم ولا أدل على ذلك من وجود ذراريهم حتى يومنا هذا فلقد استقرت تلك الأقليات الذمية فى الشرق الاسلامى دهورا فى ظل المبدأ الاسلامى (لهم مالنا وعليهم ما علينا) بينما بادت كثير من الأقليات الاسلامية فى القرون الماضية فى بلاد الغرب لأنها لم تجد مثل هذا الحق ومثل هذه الحماية النبيلة لأرواحها فى تلك البلاد •

بل اننا فى زماننا المعاصر هذا نقرأ أو نسمع عن مظاهر الأضطهاد والمذابح وجرائم القتل الجماعى الواقع على الأقليات الاسلامية فى بلاد « الفلبين » و « بورما » و « كمبوديا » و « تايلند » وفى بلاد « الهند » خصوصا ولاية آسام وما المذابح على المسلمين فى « لبنان » و « قبرص » و « أرض البلغار » وفى مدن وقرى « فلسطين » المحتلة منا ببعيد ، فهيئات الحكم فى تلك البلاد يستكثرون على المسلمين كل شىء حتى حق الحياة ويدبرون الخطط لاستئصالهم وابادتهم منها دون ذنب أو جريرة اللهم الا كراهيتهم للاسلام الذى تدين به تلك الأقليات المسلمة وكل هذا يحدث رغم اقرار تلك الحكومات وتعهدها بالتعاون مع الأمم المتحدة على ضمان اطراد مراعاة حقوق الانسان واحترامها والتى أعلنت وثيقتها فى ١٠ من ديسمبر سنة ١٩٤٨ ومنها حق الحياة دون تمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأى السياسى أو أى رأى آخر أو أى وضع آخر •

فأين هذا من سماحة الاسلام وحمايته لحق الحياة لكل من يعيش فى مجتمعه ؟

يقول الدكتور « أ • س ترتون » مؤلف كتاب «أهل الذمة فى الاسلام» (ان فى الأخبار النصرانية الشهادة على سماحة الاسلام وهى شهادة البطريرك عيشويا به الذى تولى منصبه من سنة ٦٤٧ هـ الى سنة ٦٥٧ هـ اذ كتب يقول : « ان العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة ←

---

(٣٤) كتاب سماحة الاسلام للدكتور احمد محمد الحوفى الطبعة الثانية مطبعة نهضة مصر – رمضان ١٣٩٩هـ – اغسطس ١٩٧٩م

على العالم يعاملوننا كما تعرفون انهم ليسوا بأعداء للنصرانية بل يمتدحون ملتنا ويوقرون قديسينا ويمدون يد المعونة الى كنائسنا وأديرتنا ») (٣٥) .

ولكن ماذا تجدى شهادة ذلك البطريرك وغيره من المنصفين اذا كان أعداء الاسلام فيما يضعون من خطط لا يستهدفون الا القضاء على الاسلام وهم لا يستطيعون ذلك الا بالقضاء على المسلمين .

يقول « جوستاف لوبون » : معللا السبب الذى يدفع الغرب (دول أوروبا والولايات المتحدة الامريكية التى تسير على خطاها) فى موقف عدائى ضد الاسلام (اننا لسنا أحرارا قط فى تفكيرنا حول بعض المعلومات فقد استمر التعصب الذى ورثناه ضد الاسلام وزعمائه خلال قرون عديدة حتى أصبح جزءا من تركيبنا العضوى) ، انتهى كلامه .

وعندما دخلت قوات اسرائيل مدينة القدس فى يونيه سنة ١٩٦٧ أعلن بن جوريون الزعيم اليهودى الصهيونى أحقاد اليهودية والصليبية علانية على الاسلام بقوله :

(إن علينا واجبا مقدسا فى الحيلولة بين الاسلام والحياة ، انه واجب مقدس فى الغرب المسيحى كما هو واجب مقدس فى اسرائيل ، وعلينا أن نبذل معا أقصى الجهود فى منع ظهور أى محمد من جديد) (٣٦) .

ولكن مهما خططوا وتآمروا على الاسلام والمسلمين فالله غالب على أمره ولن يصلوا أبدا الى أهدافهم فهو سبحانه وتعالى الذى يقول فى محكم كتابه وقوله الحق :

(وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ)(٣٧)
وقوله جل شأنه :

« وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ » (٣٨) .

المستشار
محمد عزت الطهطاوى

---

(٣٥) كتاب التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام تأليف الشيخ محمد الغزالى تنشره دار الكتب الحديثة بعابدين .
(٣٦) كتاب افيقوا ايها المسلمون د. عبد الودود شلبى الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م .
(٣٧) سورة سبأ ٥٤ .
(٣٨) سورة الانبياء ١٠٥ .

مكارم الأخلاق
غاية الرسالة المحمدية

لفضيلة الشيخ
محمد حافظ سليمان

لقد جعل رسول الله صلوات الله وسلامه عليه الغاية من رسالته أن يتمم مكارم الأخلاق بقوله : (انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) :
وذلك لأن مكارم الأخلاق تجعل من المؤمنين رجالا ومن المتقين أبطالا يعلمهم القرآن سبل السلام بتوجيهاته النافعة وعظاته البالغة وارشاداته القيمة • فهو يشرق عليهم بنوره الساطع الذى يضىء جوانب النفس فيملؤها سموا ونبلا وفضلا •

ذلك لأن القرآن منهاج المصلحين وسبيل المخلصين وطريق المحسنين الصادقين الأبرار، واما رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فهو الاسوة الحسنه الذى بدل الله به ظلام الحياة نورا وذل الامين عزا ، لان الله قد رباه وتولاه واصطفاه واجتباه منذ وجده يتيما فاواه ووجده ضالا فهداه ووجده عائلا فأغناه، وقد شرح الله صدره ، ورفع ذكره ، وأعلى قدره ، وأدبه فاحسن تاديبه ، فكان خلقه القرآن ، وأدب هو أصحابه به فأحسن تأديبهم لأن حياته كلها كانت صورة للقرآن تمشى على الأرض هونا ، وحسبه أن الله قال له :

(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)لأنه كان رسولا نبيا مثاليا لا نظير له من قبله ولا من بعده ، وقد اصطنعه ربنا لنفسه ليكون مستعدا لتحمل أضخم مهمة وأعظم رسالة : فهو أمنية أبيه ابراهيم ودعوته المستجابة حيث قال :
(رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) • فتقبل الله دعاء ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام ، وجعل الرسول من ذريته والله يقول :

(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا من قبل لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) .

ومن رحمة الله بالبشرية أن جعل النبى العربى الأمى رسولا للعالمين أجمعين الى يوم الدين ، فهو القدوة ، وجعل القرآن شرعة للناس ومنهاجا ، والله يقول : (قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) .

ولاريب أن الاسلام قد انتشر بالقدوة كما انتشر بالدعوة ، وقدوة المسلمين هو خاتم المرسلين ، ولا يزال الاسلام اليوم فى حاجة الى أن نقدم للناس عنه القدوة قبل الدعوة لكيلا يكون أصحاب الدعوة كمصابيح معتمة انقطع عنها التيار الكهربائى فانطفأ نورها . (وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ) :

والدعوة مع القدوة تمحو الجهالات وتبدد الضلالات لتحق الحق وتبطل الباطل ، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم سراجا منيرا كما يقول له ربنا عز وجل : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا . وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا . وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً) .

ولئن كان لكل أمة فى شتى العصور والدهور أخلاق تنميها وتربيها وترقيها وقد تتطور وتتغير لكن أخلاق الأمة المحمدية ليست من صنع البشر ولكنها جاءت من عند الله على يد سيد البشرية ومعلم الانسانية وقائد الخلق الى الهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، جاءت على يد محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم المبعوث رحمة للعالمين ، فلا تبديل فى أخلاق الاسلام ولا تعديل ولا تعطيل : (لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ)وقد جربت أخلاق الاسلام فى أيامه الأولى فملأت الأرض عدلا وأمنا وسلاما .. فلقد صنعت من بين رعاة الابل والغنم قادة الشعوب والأمم ، لأن معدنهم أصيل ، فكان خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والأعراق الطاهرة اذا أصابها غيث الهدى جاءت بخير الثمرات وأطيب الجنى .

والحق أن الأخلاق الاسلامية (الأخلاق القرآنية) : قادرة دائما على بناء الرجال واستقامة الأعمال ، وعلى تقدم الشعوب ، لأنها راسخة الحضارة : وهى ثابتة البنيان : لا تفنى ولا تبلى مصدرها كتاب الله وسنة رسول الله قولا وفعلا وتقريرا وصفة ، : وسلوكا وسيرة ، فقد كان الرسول حقا سراجا منيرا يضىء الدنيا بنور القرآن يهدى للتى هى أقوم ، وقد يقال كثيرا : ان أخلاق كثير من المسلمين ليست كأخلاق القرآن ونقول لهؤلاء

ان الاسلام شيء وهؤلاء هم شيء آخر ، فمن الناس مسلمون بغير اسلام !!! •

ذلك لأن أخلاق الاسلام مثلا تجعل الوالد رب البيت هو الآمر الناهى وهو الحاكم العادل وهو الواعظ المرشد وهو الموجه المعلم ، وهو المؤدب المهذب وهو الناصح الأمين وهو المربى الفاضل وهو المهيمن القوى يقول فيسمع لقوله الذى يحترم ويطاع ، لأن طاعته غنم وعبادة فلا تعنت معه ولا استكبار ولا التواء ولا اصرار ، لكن الابن يحدث أباه فى استحياء واجلال واكبار وأدب واحترام ، أما البنت فتمشى على استحياء وتتكلم فى خجل ، فاذا جاء حديث زواجها فالى أمها تبدى رغبتها تلميحا لا تصريحا أو الى أبيها بما لا يخدش لها حياء ، وأبوها هو وليها يقدر ويفكر ويدبر وهو الذى يود لها الخير ويؤمل لها حسن المستقبل ببعد نظره وثاقب فكره ، فان أبى فلمصلحتها وان قبل فلصالحها ، والله هو الموفق دائما •

هذا ولابد أن تكون الأسرة متماسكة متعاونة لا تفعل الا ما يرضى الله عز وجل » فاذا أطمأن أبوها الى رضاها والى طهارة أخلاق من جاء يخطبها وكان ذا خلق ودين فعلى أبيها أن يتقبل والا كان مخطئا ومتعنتا وظلوما جهولا !!! •

ولقد ودعنا زمانا بخيره وشره وجاء زمن صار فيه الأبناء آباء •• يقول الابن لأبيه أنا انسان وأنت انسان ، عليك الكسب وعلى الانفاق ، وتقول الخطيبة لخطيبها أنا صاحبة الرأى وأمر أبى استشارى فقط ، فقد خلقنا لزمن غير زمن الآباء الأولين ، فهى لا تجل رأيا يخالف رأيها : لأنها ذات مؤهل عال ، وقد خلفت وراءها تقاليد الأسرة التى تحترم الواجبات الدينية المقدسة التى توقر الكبير وتحترم الصغير وترحمه بحنو ورعاية : وأما الاسلام فقد نزع من القلوب المؤمنة أحقادها •• فلا ترى حسنا الا كل ما يرضى الله فى كل مكان وزمان ، فلا تجد مثلا عالما حربا على عالم ، ولا مرءوسا حاقدا على رئيس ، لأن الرضا يحل المشاكل كلها •

وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس •• ولا ريب أن غنى النفس من مظاهر العفة والعزة وكما جاء فى كتاب « سبل الخيرات » : أن عثمان بن عفان رضى الله عنه أرسل الى أبى ذر الغفارى رضى الله عنه مع رقيق له بصرة فيها نفقة : وقال له : ان قبلها فأنت حر ، فأتاه بها فلم يقبلها ، فقال : اقبلها يرحمك الله — فان فيها عتقى ، فقال أبو ذر : ان كان فيها عتقك ففيها رقى ، وأبى أن يقبلها •• !!! هذا هو الاباء الاسلامى قد صنع نفوسا عالية تترفع عن حب المادة وتتصون عن الاغراء الخداع • بحب الدنيا ، لعلمها بأن اليد العليا خير من اليد السفلى ، وبريق المال لا يذل أعناق الرجال ، والله يرزق من يشاء بغير حساب ، ومن اعتز بالله فلن يذل لأحد سواه ، !

يقول أبو سعيد الخدرى : دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فوجدته يقول :

من يتصبر يصبره الله ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله (١) •

« القــرآن المعلم »

وبالقــرآن مكن الله للمســلمين فى الأرض وجعلهم أئمة وجعلهم الوارثين : لأن الله يقول للمسلمين :

(فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُــوا مِن رِّزْقِهِ ••)

ويقول لهم (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّــلَاةُ فَانتَشِرُوا فِى الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ) ••

فلا تكاسل ولا تخاذل ولا جمــود ولا عبث ولا اهمال فى كســب العيش الحـلال وأداء الواجبات واتقان الأعمـــال ولا تقــاعس فى الاســلام ! •

ويقول رسول الله صلوات الله وســـلامه عليه (أشد الناس عذابا يوم القيــامة المكفى الفارغ) (٢) •

ولقد علمهم الاسلام أن العمر هو الفرصـــة الوحيدة للعمل فلا عمل يحقق الأمل بعد انتهاء الأجل !!! •

والله يقول : (وَمَــا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) :

وكل عمل يرضى الله أو قول يعتبر عبــادة لله وعملا صالحا (وَالْعَصْرِ • إِنَّ الْإِنســـانَ لَفِى خُسْرٍ • إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُــوا الصَّالِحَــاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّــبْرِ) •

ومن الأخلاق الاســلامية أن يأخــذ المرء العفو ويأمر بالعرف ، لأن الاســلام يســالم من يســالمه ، ويحارب من يحاربه دفاعا عن الملة ورعاية لمصالح الأمة « فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ » •

ان الاسلام قــد انتشر بقــوته الذاتيــة وبأخلاقه المرضــية التى أخــذت طريقها الى قلوب الملايين وعقولهم ، فقد كانت الأخــوة الاسلامية هى التأمين الشامل الــذى يبعث الود والسلام والاطمئنان بين قلوب المؤمنين « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَــوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » :

ويأمر الاسلام بالصلح لكيلا يلعب الشيطان ويغرى بالعداء والشــحناء ويثــير الحقــد والضغينة بين الناس ، والاســلام يحــارب الأحقاد وينأى بالمسلمين عن مثيرات الوقيعــة

---

(١) راجع صحيح البخارى — الزكاة،ومسلم — الزكاة كذلك ، والترمذى البر وكنا نود لو تكــرم فضيلة الكاتب فوضع مع كل حديث مرجعه ، وقد نبهت المجلة مرارا على ذلك • مجلة الازهر

(٢) راجع مادة « أشد الناس عذابا يوم القيامة بالترمذى — مواقيت ، وبالبخـــارى — لباس • مجلة الأزهر

والغل بين أبناء المسلمين : والله يحذر من ايذاء المسلمين فيقول :

« وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا » :

والاسلام يكره للمسلم أن ترتبط آماله بالتافه من الأمور « لا حسد الا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها » (١) .

والحسد هنا معناه الغبطة : أى تمنى مثل النعمة لا تمنى زوالها ، لأن تمنى زوال نعمة الآخرين دناءة وجحود بالله الرازق « لأنه يكيد لمن أنعم الله عليهم من فضله » .

صفات المتقين

ومن صفات المتقين أنهم اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذ تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا .

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ . أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ .

لأن طهارة القلب وسلامة الصدر من الغل وطهارة السريرة وحسن السيرة وتلاوة القرآن بخشية وخشوع وتدبر والتوكل على الله واقام الصلاة والانفاق فى سبيل الله كل أولئك من شمائل المتقين حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ، أفيجهل عاقل مسلم أن التقوى تنفع صاحبها فى الدنيا والآخرة وتنفع الذرية أيضا وكلمة التقوى شاملة لجميع الطاعات والشمائل والفضائل كلها وفيها مكارم الأخلاق والرجل التقى هو صاحب السلوك الكريم ، أما من أعرض عن ذكر الله فان له معيشة ضنكا وقد شغلته عن ربه مسائل شتى فعاش فى الظلمات والمتاهات يكيد للناس ويدبر ويحقد ويحسد لأنه واهن الارادة ، ضعيف العزيمة ، فاتر الثقة بنفسه ، يبغض كل ناجح متطلع الى فضل الله سبحانه وتعالى ، انه يكيد كما قال الشاعر فى أمثاله من الذين يكرهون نعم الله على خلق الله .

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه
فالكل أعداء له وخصوم

ان دين الله القيم يجعل للمسلم سلطانا مبينا على نفسه يحاسبها ويعاتبها ويحصى أخطاءها ليحاكم نفسه بنفسه على ما اقترفت من الاثم وما اكتسبت من سوء حتى لا يبقى فى صدره الا الصفاء والنقاء وفى سلوكه الا الطهر والوفاء ، ولذلك شرع الله الصلاة لتنهى عن الفحشاء والمنكر اذا سلم

---

(١) راجع صحيح البخارى ــ علم ــ زكاة ــ أحكام ، ومسند احمد ٢ / ٩ ، ٣٦ الميمنية .

صاحبها من الكذب والغش والغل وحب الشر والضر ، والعدوان على حدود الله بالغصب والنهب والسلب والرشوة والاستهتار والاهمال والبغض والشحناء وغير ذلك من المعاصي والرذائل !! •

وفى الحديث « ان الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب ولكنه لم ييأس من التحريش بينهم رواه مسلم :

ذلك لأنه — عدو للانسان فهو يقذف بالشر فى أفئدة أتباعه فيتنافر ودها كما يقول ربنا :

« إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ » ••

ان الاحسان من مكارم الأخلاق ، ويبدأ الاحسان بالاحسان الى النفس أولا ، وهذا يكون بالزامها بطاعة الله الذى خلقها فسواها وقال :

« قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا • وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا » •

ثم الاحسان الى الوالدين والأقربين والجار كما جاء فى قول الله جل جلاله :

« وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا » •

هذا هو القرآن يهذب المشاعر وينمى عواطف المودة بين الأهل والأحبة بحب الخير للغير ، وما كانت الزكاة — فى الاسلام — ضريبة ولكنها تطهير للنفس وتنمية للمال وتقوية للأخلاق بالبذل والسخاء والجود والعطاء وتوطيد للعلاقات والصلات وغرس للمشاعر الانسانية بين أبناء الأمة المحمدية : والله يقول :

« خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا » •

وقد بين الرسول — صلى الله عليه وسلم المعانى النبيلة للأخلاق الكريمة فى تفسيره للصدقة التى تطهر النفس من أدران المطامع والذلة فى الحصول على المنافع •• ليتسامى المرء بنفسه عن الخضوع المذل للشهوات والنزوات ، فقال — صلى الله عليه وسلم ، « تبسمك فى وجه أخيك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وارشادك الرجل فى أرض الضلال لك صدقة : ، واماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة ، وافراغك من دلوك فى دلو أخيك صدقة ، ونصرك للرجل الردىء البصر لك صدقة » (البخارى)•

وهذه التوجيهات النبوية انتقلت بالبيئة الصحراوية فأخرجت العرب من الظلمات الى النور ، ومن الضلالة الى الهداية ، ومن ظلام الجهل الى نور العلم •

« وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ » •

ان الاسلام يغرس الفضائل فى نفوس أتباعه ويتعهدها بالرى والسقيا بالايمان السليم وبالخلق القويم ، فان لم يستجب من غلبت عليه شقوته فان الله يقول :

« إنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا • وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى • جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى » •

قوة الخلق من قوة الايمان

لقد جعل صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام البعد عن اللغو والثرثرة من الايمان كما جعل الحياء من الايمان وجعل قول الخير من الايمان بالله واليوم الآخر فقال عليه الصلاة والسلام :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » (١) •

والله يقول : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ » فالصدق من الايمان لأن الخطاب موجه للذين آمنوا ، ولأن الايمان الصادق القوى ينتج الخلق الكريم الأبى وفى الأثر : الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد ، والخلق السىء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل •

الا ان الايمان ليس تقليدا ، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل ، لأن الايمان عقيدة راسخة وعمل صالح وسلوك مستقيم وخلق قويم واخلاص لله رب العالمين •

(واغاثة الملهوف شجاعة وعمل صالح)

عن أبى بردة عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال على كل مسلم صدقة فقالوا يانبى الله فمن لم يجد ؟ فقال يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق ، قالوا فان لم يجد ؟ قال يعين ذا الحاجة الملهوف ، قالوا فان لم يجد ؟ : قال : فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فانها له صدقة (البخارى) •

وهذا قبس من نور النبوة يوضح المنهاج وما أكثر الفضائل التى جاءت بها الآداب الاسلامية ولن تستقيم الحياة الا باتخاذ رسول الله أسوة حسنة فقد كان دائم البشر سهل الطبع ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عتاب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهى ولا يقنط منه •

وكان يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ، يؤلف أصحابه ولا ينفرهم ، وكان يحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد منهم بشره ولا خلقه يتفقد أصحابه ويعطى كل جلسائه نصيبه ولا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها أو بميسور من القول ، قد وسع الناس بسطه وبشره وخلقه ، فصار لهم أبا وصاروا عنده فى الحق سواء •

لقد كان أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس ، والله يقول :

« لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا » •

←

(١) صحيح البخارى ـ اكرام الضيف ••• مجلة الازهر •

« كرمه ربه »

ان الله فضل بعض الرسل على بعض :

« تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ » .

« وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ » .

وان محمدا عبد الله ورسوله أفضل خلق الله عند الله وعند الناس فقد جعل الله طاعته من طاعته .

« مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ » : ورتب محبته على اتباعه : « قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ » .

وجعل مبايعته من مبايعته :

« إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ »

وجعل حكمه ممن حكمه :

« فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » .

وأقسم الله بحياته ولم يقسم بحياة نبى غيره فقال :

« لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ » .

وخاطبه ربه بيا أيها النبى ، يأيها الرسول ، « يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ » « يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ » ، وخاطب النبيين بأسمائهم ، وجعل معجزته خالدة وهى القرآن .

وقد كان كل نبى يرسل الى قومه خاصة وأما خاتمهم محمد ﷺ فقد أرسل الى الانس والجن جميعا والله يقول :

« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ »

ويقول : « اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ » .

ويقول الله فى وصف رسوله : (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ » .

وهو يقول مخاطبا ربه فى شجاعة الاقوياء واصرار الانبياء فى مواجهة الأعداء :

« أن لم يكن بك غضب على فلا آبالى » .

ويقول فى مواجهة المفاوضات والمغريات .

والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

فضرب بهذا المثل الأعلى فى حماية عقيدته والدفاع عن ملته والاعتصام برجولته وحسبه أن الله قال له : « وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ » فلم تزعزعه الشدائد ولم تزحزحه عن رسالته المؤتمرات الغادرة والمؤامرات الحاقدة من أصحاب النفوس الجاحدة والقلوب الجامدة !! فصبر كما صبر أو العزم من الرسل لكنه قد نصره الله ببدر ويوم حنين وفى « هجرته » وفى مواطن كثيرة .

وما النصر الا من عندالله الذى يقول « إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ » .

ومن ذا الذى يجحد فضل أصحابه الكرام البررة أمثال أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وبقية أصحاب الرسول وتابعيهم باحسان ؟ أولئك الذين كانت حياتهم سلسلة من مظاهر الرجولة الحقة والبطولة النادرة .

الفتاوى

إعداد: عبد الحميد السيد شاهين
ويجيب عليها: لجنة الفتوى بالأزهر

س : من السيد / ع . م . لاشين ... من المنوفية

ما حكم السمسرة شرعا ، وهل ما يأخذه السمسار عنها حلال أم لا ؟

ج : السمسار اذا بين للمشترى ما فى البيع من عيوب ان كان به ما يعيبه ، وصدق القول فيه ، ولم يغش المشترى ، كانت السمسرة حلالا شرعا والمبلغ الذى تقاضاه منها حلال شرعا ... أما اذا كتم ما فى السلعة من عيب وأخفاه عن المشترى كان آثما والمبلغ الذى أخذه منها حرام .

س : من السيد ع . المطيعى .. بورسعيد

تاجر اتفق مع شركة نقل بحرى على شحن بضاعة من ميناء استنبول الى ميناء بورسعيد، وقد غرقت السفينة فى أثناء رحلتها .. فما حكم استرداد أجر النقل وقيمة البضاعة من الشركة المذكورة خاصة اذا ثبت أن غرق الباخرة كان بسبب اهمال (الصيانة قبل بدء الرحلة) وذلك من الناحية الدينية ؟

ج : اذا ثبت أن غرق السفينة التى عليها البضائع كان نتيجة اهمال أو تقصير أو اتلاف أو علم بعيوب السفينة وعلى الرغم من ذلك قاموا بشحن بضائعهم وبضائع الغير فيها — فعليهم الضمان ، وعلى ذلك فيجوز أخذ التعويض وأجر الشحن للبضاعة .

س : من السيدة / خديجة فنجالى — مسلمة من الفيليبين .

ما هى الأشياء التى تكون عورة فى المرأة ، وهل الشعر من العورة ؟

ج : جسم المرأة كله عورة ماعدا الوجه والكفين ، وبذلك فلا يجوز للمرأة أن تكشف أى جزء من بدنها ولا شعرها ويجب عليها ستر ماعدا الوجه والكفين .

س : من السيد / ف . ك . كرم ادفينا — رشيد — بحيرة .

تبرعت هيئة السكك الحديدية بقطعة أرض لتكون مسجدا ، وبنى المسجد من دورين ،

ولما تم بناء الدور الأول أقيمت فيه الصلاة وصلاة الجمعة كذلك ، ولما أقيم الدور الثانى أقيمت فيه الصلاة وعند الازدحام يصلى المسلمون فى الدور الأول •

واليوم يريد بعض الناس أن يؤجر الدور الأول « البدروم » ليكون مخزنا ومستودعا الدقيق لشركة مطاحن ، مع العلم بأنه سيصاحب ذلك ضجيج عربات النقل وأصوات العمال والسائقين علما بأنه سيبنى بجانب المسجد معهد أزهرى للفتيات •

فما رأيكم ؟

ج : ترى لجنة الفتوى أن المسجدية ثبتت للأرض بمجرد البناء عليها ، وتأكدت بالصلاة فيه ، وصارت وقفا لا يجوز استغلاله لغرض آخر غير العبادة •

وبهذا لا يجوز تأجير أى جزء من المسجد لهذه الشركة ولا لغيرها ، هذا ويمكن الرجوع الى مديرية الأوقاف بالبحيرة لضم المسجد أو اعانته دون حاجة الى التصرف فيه بما يتنافى مع ما يجب توفيره للمسجد ولمعهد الفتيات من من توقير واحترام •

س : من السيد / أ • ع • **محمود من الواحات •**

هل يجوز للرجل الزواج من زوجة خاله الشقيق بعد وفاته ؟

ج : لا مانع من زواج الرجل من زوجة خاله الشقيق المتوفى لأنها ليست من المحرمات •

س : من السيد / م • س — ابراهيم •

تزوجت بنتى وبعد الدخول بها بأربع سنوات قالت أم الزوج : البنت رضعت منى ولا أعرف عدد الرضعات ، وقالت أم الزوجة : انها رضعة واحدة أو رضعتان فقط • فما الحكم ؟

ج : مادامت المرضعة لم تعرف عدد الرضعات ولم يكن هناك شهود ، فان الرضاع لا يثبت ، والزواج يعد صحيحا شرعا •

س : من السيد / ع • ا • بركة من القليوبية

توفى رجل عن أولاد أخ لأم ، أولاد أخت لأم ، ذكور واناث • فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : فى هذه المسألة لا يوجد صاحب فرض ، ولا أحد من العصبة ، والمذكورون جميعا من ذوى الأرحام وعلى هذا فالتركة كلها لأولاد الأخ لأم ولأولاد الأخت لأم • يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى كأنهم أولاد رجل واحد•

س : من السيد / أ • ب • فرج الله من مصر الجديدة •

توفى رجل سنة ١٩٨٧ م عن ابنين ، خمس بنات ، أولاد ابن • فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : فى تركة هذا المتوفى وصية واجبة لأولاد الابن المتوفى قبل والده بمقدار ما كان يستحقه الابن لو كان على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقا لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس لسنة ١٩٤٦ م فتقسم التركة أحد عشر جزءا ، منها جزءان وصية واجبة لأولاد الابن يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى •والباقى وهو تسعة أجزاء هو الميراث للابنين والبنات الخمس الأحياء تعصيبا • يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى •

من أعلام الأزهر

الشيخ عبد الباقى سرور

مناضل سياسى.. ومفكر إسلامى أهمله التاريخ والمؤرخون!!

دكتور خالد محمد نعيم

فضيلة « الشيخ عبد الباقى سرور » ، اسم لا يعرفه فى العالم العربى الا قلة ٠

ومع ذلك فهو الفقيه والمناضل السياسى الكبير ، وأحد علماء الأزهر البارزين ، فى مصر المعاصرة ٠

قال عنه « الدكتور زكى مبارك » ، فى رسالته التى تقدم بها ، لنيل درجة الدكتوراه فى الآداب والفلسفة ، الى الجامعة المصرية فى عام ١٩٢٤ :

« ٠٠٠ الأستاذ الشيخ عبد الباقى سرور ، من العلماء الأفذاذ الذين جمعوا بين المعقول والمنقول ، ويندر أن يظهر كتاب ، ولا يطلع عليه ، فهو لذلك أعرف العلماء بالحركة الفكرية ، وأعلمهم بما يجرى فى عالم السياسة والفلسفة والاجتماع ٠ وهو فوق ذلك أغير الناس على وطنه ودينه (١) » ٠

وتاريخ الشيخ عبد الباقى ، حلقة متصلة ، بالنضال الوطنى ضد الاستعمار البريطانى ، وبالحركة العلمية والفكرية المصرية خلال الفترة منذ عام ١٩١١ وحتى عام ١٩٢٩ ٠

فالشيخ عبد الباقى ، له العديد من المؤلفات والدراسات ، والمقالات الدينية والسياسية ، ومن أشهر مؤلفاته الاسلامية : «ماضى الاسلام وحاضره » ، الذى بدأ بنشر فصوله تباعا فى

(١) زكى مبارك (دكتور) ــ الاخلاق عند الغزالى ٠ ص ٣٢٤ ، دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٨

جريدة « الأفكار » ، خلال عامى ١٩٢٣ ، ١٩٢٤ (٢) ، وكتابه الآخر « تنزيه القرآن الشريف عن التغيير والتحريف » ، الذى رد فيه افتراءات ودعاوى المبشرين •

ويقول الشيخ عبد الباقى ، فى مقدمته : « قد وقفت فى آواخر صفر سنة ١٣٣١ هـ ــ ١٩١٣ م ، على كتاب عنوانه « مباحث قرآنية » ــ الجزء الأول ، هل من تحريف فى الكتاب الشريف؟ •• لطائفة من المبشرين بالديار المصرية فوجدته قد ضم بين دفتيه أساطير الزنادقة ، ومراء الملاحدة ، وحكايات الرافضة •• الخ(٣)

ويقول : « وقد عرفت أن أرد على هؤلاء الملاحدة ، أذكر عبارة ذلك الكتاب بلفظها ، ثم أتبعها بالرد والتفنيد مع ملازمة الانصاف ومجانبة الاعتساف ، ومراعاة الآداب، وسميت ذلك الرد ــ تنزيه القرآن الشريف عن التغيير والتحريف » (٤) •

مولده ونشأته :

ولد « الشيخ » ، كما كان يطلق عليه أبناء اقليم البحيرة ، فى « قراقص » (٥) ــ احدى قرى مركز مديرية البحيرة ، فى ليلة الثالث من فبراير عام ١٨٨٧ م ، ونشأ فى أسرة متدينة ، ومن كبار الملاك الزراعيين فى البحيرة •

فوالده هو الشيخ سرور بن سيدى نعيم ، أحد علماء الأزهر الفقهاء ، فنشأ «عبدالباقى» كما ينشأ كثير من أبناء جيله ، التحق بكتاب القرية ، حيث تعلم مبادىء الكتابة والقراءة والحساب ، تمهيدا لمرحلة حفظ القرآن الكريم، فحفظه وهو فى الحادية عشرة من عمره ، ثم انتقل مع شقيقه الشيخ عبد المجيد سرور ، والتحقا بالأزهر الشريف ، وكان من زملائه الشيخ عبد الوهاب النجار ، والشيخ حسين والى ، والشيخ أحمد أمين ، والشيخ يوسف الدجوى ، وعبد العزيز جاويش ، وعبد العزيز الخولى ، والشيخ الخضر حسين ، ومن أساتذته : الشيخ الامام محمد عبده(٦) ، والشيخ سيد بن على المرصفى • واجتهد لنفسه فى

(٢) نفس المصدر السابق • ص ٣٢٤

(٣) عبد الباقى سرور نعيم (تنزيه القرآن الشريف عن التغير والتحريف • ص ٢ • مطبعة الجمالية بمصر ط) ، القاهرة ، ١٣٣١ هـ

(٤) نفس المصدر السابق • ص ٤

(٥) قرية قراقص ، تبعد عن (دمنهور) عاصمة البحيرة ، بحوالى ثلاثة كيلو مترات ، وكان تعدادها فى عام ١٨٨٧ لا يزيد عن الفين نسمة ، وامام تعدادها السكانى عام (١٩٨٤) ، فبعة وعشرون الفا

(٦) كان الشيخ محمد عبده من قرية (محلة نصر) ، من أعمال مركز شبراخيت بإقليم البحيرة ، وكان الشيخ عبد الباقى سرور من قرية (قراقص) ، من أعمال مركز دمنهور باقليم البحيرة ، والمسافة بين القريتين لا تزيد عن خمسة كيلو مترات ، فكان الشيخ محمد عبده على صلة وثيقة بالشيخ سرور والد عبد الباقى ، وكثيرا ما كان الشيخ محمد عبده ، يلقى دروسه على جمهرة الطلاب فى قراقص •• نقلا عن (الاستاذ فاروق محمد سرور) ، رئيس قلم التحقيقات بديوان عام محافظة البحيرة ، وهو ابن عم الشيخ عبد الباقى سرور •

البحث عن أساتذته ودروسه وقد نفعه وجود الشيخ محمد عبده ــ الذى كان يعرفه جيد المعرفة

وكان يبحث عن الكتاب المفيد حيث يصيبه ، فيقرؤه لنفسه ويجنى منه خير ما يجنى من الفائدة فى زمن وجيز ، وكثيرا ما يكون الكتاب من غير الكتب المقررة لدراسة الحلقات ، فقرأ كتب المعتزلة والمتكلمين ، وقد كان بذلك تلميذا متميزا عن أقرانه .

فى عام ١٩١٠ ، تقدم الى امتحان « شهادة العالمية » ، وهو فى الثالثة والعشرين من العمر ونالها بمرتبة الدرجة الأولى ، وبعدها اشتغل بالتدريس فى الأزهر نحو عامين . وفى عام ١٩١٩ ، أخذ ينشر مقالاته فى جريد «الأفكار» ضد الوجود البريطانى فى مصر ، تحت عنوان « وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ» (٧).

سمات العصر الذى عاشه :

منذ عام ١٩١٠ وفكرة اقتحام المجال الاسلامى ، تنمو لدى المبشرين الأجانب ، وخاصة أنهم رأوا أن حركات المطالبة بالدستور .. سواء فى مصر أو فى تركيا أو فى غيرهما من بلاد الشرق ، فيها إفساح المجال لاعلان حرية الفكر والعقيدة ، ورغبوا فى استغلال هذا الأمر . فأمطروا القطر المصرى بوابل من رسائل تفسير الاسلام تفسيرات مشوهة . وكان موقف الشيخ عبد الباقى من هذه التفسيرات فى الرد عليها واضحا فى كتابه السابق ذكره « تنزيه القرآن الشريف عن التغيير والتحريف » .

وفى ديسمبر عام ١٩١٤ ، ومع نشوب الحرب العالمية الأولى ، تولى السلطان حسين كامل ، عرش مصر ، فى ظل الحماية البريطانية ، واستسلمت مصر ، وأسلمت جميع مواردها الى خدمة السلطة العسكرية ، وصارت الحكومة تعمل بلا انقطاع لتقديم كل المساعدات اللازمة للجيوش البريطانية . وكأن الأمل الذى خرج من أحشاء الأمة ومن دمها وأعصابها ، قد بدأ يبتسم فى تلك الوجوه البائسة التى ذاقت ويلات الحرب والحرمان بلا ذنب اقترفته ، وهذه السنوات التى أعقبت موت « مصطفى كامل » فى عام ١٩٠٨ ، كانت هى الروح التى غذت هذا الأمل ، وهيأت السبيل لنموه ، فلقد رأيناه قويا جبارا فى عام ١٩١٩ ، يتمثل فى هذه الثورة العنيفة التى تصدت للاستعمار .

دوره فى أثناء ثورة ١٩١٩ :

بدأ نشاط الشيخ السياسى يتبلور منذ عام ١٩١٨ ، عندما أراد « الوفد المصرى » أن يثبت لهيئته صفة التحدث عن الأمة لدى حكومة انجلترا ، التى كانت تحتل البلاد . ورأى الوفد أن الوسيلة العملية فى ذلك ، هى وضع صيغة توكيل يوقع عليها أعضاء الهيئات النيابية ، والعلماء ، وذو الرأى والأعيان وسائر أفراد الشعب .

←

(٧) مقابلة مع الاستاذ فاروق محمد سرور ، رئيس قلم التحقيقات بديوان عام محافظة البحيرة فى ١٩٨٥/٣/٨

وتولى « الشيخ عبد الباقى » ، مهمة جمع توقيعات التوكيلات ، لأبناء اقليم البحيرة ، فغادر القاهرة فى ١٣ من نوفمبر عام ١٩١٨ ، متوجها الى دمنهور العاصمة ، يحمل عشرات الألوف من هذه التوكيلات ، التى تطالب بالاستقلال ، للوفد المصرى عند سفره الى حضور مؤتمر الصلح فى « لوزان » — على أن السلطة العسكرية البريطانية حين رأت أن حركة التوكيلات آخذة فى الاتساع فى المدن والأقاليم ، وأنها توشك أن تكون أساسا لحركة عامة للمطالبة بالاستقلال التام ، أوجست منها خيفة ، وعملت على إحباطها ، فأصدر المستر هينز ، المستشار البريطانى لوزارة الداخلية أوامره مباشرة الى المديرين ، بمنع تداول التوكيلات أو التوقيع عليها ، بكل ما لديهم من قوة .

وأخذ مدير البحيرة « حليم باشا » ، يطارد الشيخ عبد الباقى وأعوانه ، فى كل مركز وفى كل قرية . غير أن الشيخ نجح فى مهمته ، بأسلوبه الجذاب فى الحديث والحوار ، وحماسته الدافقة ، وبلاغته الخطابية ، وحصل على توقيعات عشرات الآلاف من أهالى البحيرة وأعيانها وتجارها . وكانوا جميعا يهرعون الى الشيخ للتوقيع ، بعد التخفى والتمويه على عساكر الداخلية ، وضباطها الذين كانوا يترصدون للشيخ للايقاع به . فقد كان للشيخ مكانة رفيعة فى وجدان شعب البحيرة ، لما عرف عنه من علم غزير ، ووطنية صادقة ، وشهامة متميزة .

ونجح فى العودة الى القاهرة متخفيا عن أعين البوليس ، وبرفقته لفيف من شباب دمنهور الوطنيين .

وعندما ألقت السلطات البريطانية القبض على « سعد زغلول » وثلاثة من رفاقه ، فى عصر يوم السبت ٨ من مارس ١٩١٩ ، أخذت سمات الغضب ترتسم فى محيط القاهرة ، وتسرى منها الى كافة أقاليم القطر المصرى ، فبعثت فيها روح الحماسة ، وقلدتها فى النضال والثورة ، وفاقتها فى بعض المواطن فى العنف والشدة ، كما حدث فى دمنهور .

الشيخ يعلن الثورة فى دمنهور :

فى ١٥ مارس ، غادر الشيخ عبد الباقى القاهرة عائدا الى دمنهور ، حاملا معه أفكار الثورة ومبادئها وأساليبها ، وفى دمنهور وجد النفوس مستعدة لتلبية أى نداء الثورة . وراح لعدة أيام يعد العدة لاعلان الثورة فى اقليم البحيرة ، فأخذ يدرب شباب دمنهور على المظاهرات والهتافات ، وألف من بعض العناصر الشبابية الأخرى ، مجموعات «حرس وطنى» ، فى شكل جماعات ، كل جماعة تتألف من عشرة شبان ، ليتولوا حفظ النظام ، فى أثناء سير المظاهرات ولتنظيم الصفوف . والبعض الآخر من هؤلاء ، كانت مهمتهم حراسة المنشآت الحيوية ، من عبث العناصر المتطرفة.

وأطلق الشيخ على هذه الجماعات اسم « الشرطة الوطنية » ، وجعل الشيخ أعضاء

هذه الفرق يحملون على ساعدهم الأيمن(شارة) خاصة لتميزهم عن سواهم ، وكانت هـذه الشارة عبارة عن شريط من القماش أخضر اللون ، وقد كتب عليه « البوليس الوطنى » ، وكان بعض هؤلاء الشبان يحملون العصى والهراوات ، والبعض الآخر يحمل « القرب » وقلل الماء لسقيا من يصيبه العطش من المتظاهرين •

وكان يساعد الشيخ فى هذه المهمة ، شقيقه الشيخ عبد المجيد سرور ، الذى كان متحمسا لفكرة « البوليس الوطنى » ، والذى جعله الشيخ مشرفا عليه • وان كانت فرقة تتلقى توجيهاتها من الشيخ عبد الباقى نفسه ، وأخذ الشيخ يحرك المظاهرات لتطوف شوارع مدينة دمنهور ، وهى تهتف « يسقط الانجليز ويحيا سعد زغلول » و « اذهبوا الى دياركم ياخواجات » • ولقد استجابت جماهير المتظاهرين فى دمنهور لنداءات فرق البوليس الوطنى ، حيث كان الشيخ عبد الباقى على رأس المظاهرات •

وفى نفس الوقت اتصل الشيخ عبد الباقى ، بكبير مشايخ بدو «كوم حمادة» وكان الرجلان على سابق معرفة ، وطلب منه أن يعلن الثورة فى « كوم حمادة » ، كما أرسل أخاه الثانى « الشيخ محمد سرور » الى كبير عائلة زيدان، فى مدينة رشيد ، وهو «الشيخ أحمد ابراهيم زيدان » ، ليعلن الثورة فى رشيد (٨) • ثم عاد الشيخ محمد سرور الى « قراقص » ، موطنه ، لرعاية أمور الأسرة •

اعتقال عبد الباقى سرور :

وكان ابراهيم حليم باشا ، فى هذه الفترة ، مديرا لاقليم البحيرة ، وكان يتسم بالغلظة والعمالة للانجليز ، فلما علم بأن المدبر والمنظم لهذه الثورة فى دمنهور ، هو الشيخ عبد الباقى سرور ، أمر على الفور بالقبض عليه • وفى مساء يوم ١٦ مارس ، تحركت مجموعة من البوليس السياسى ، الى دار الشيخ بقريته التى تبعد عن دمنهور بحوالى ٢ كيلومتر ، وألقت القبض عليه ، وعلى أخيه عبد المجيد ووضعا معا فى سجن دمنهور العمومى •

واعتقد ابراهيم حليم أنه باعتقال الشيخ عبد الباقى ، زعيم الحركة الوطنية فى دمنهور، ستنفض المظاهرات ، وستخمد الثورة ، وتهدأ الحالة فى الاقليم • ولكن جماهير الشعب فى دمنهور ورشيد ، التى تشربت روح الثورة من زعيمها الشيخ عبد الباقى ، عندما عرفت بنبأ اعتقاله وأخيه ، قامت فى اليوم التالى — ١٧ من مارس — بأضخم مظاهرة عرفتها البحيرة ، وطافت شوارع دمنهور وهى تهتف « يسقط الانجليز ، والى الجحيم ياحليم » ، ←

(٨) عادل محمود حسنين — علم من البحيرة، بحث غير منشور ، اغسطس ١٩٦٧ ، وأجرى مقابلة مع فضيلة الشيخ محمد سرور ، شقيق الشيخ عبد الباقى وذكر له ، مهمته اثناء ثورة دمنهور عام ١٩١٩ •

« يعيش الشيخ مع زغلول » . وأخذت جماعات البوليس الوطنى تنظم صفوف المظاهرة الكبرى ، ووجهوها الى سجن دمنهور العمومى حيث كان الشيخ معتقلا به ، وهجموا هجمة رجل واحد على السجن ، وحطموا أبوابه ، والتحموا مع حراسه ، ونجحوا فى اخراج الشيخ عبد الباقى وأخيه من السجن ، وحملوا الشيخ عبد الباقى على الأعناق ، وراحوا يطوفون به شوارع دمنهور ، وهم يهتفون بسقوط الاستعمار ، وحياة الشعب و « حياة زغلول والشيخ » (٩) .

وتصادف أن مرت المظاهرة الكبرى ، بعد أن أصبح على رأسها الشيخ عبد الباقى ، من أمام مبنى مديرية البحيرة ، وكان ابراهيم حليم باشا راكبا مركبته ، فتعرض لهم ، وعندما رآه المتظاهرون يلوح بيده لجنوده ، انقضوا عليه بالضرب المبرح ، فأصابوه اصابات بالغة (١٠) .

وتذكر الوثائق البريطانية : « ان الحالة فى المديريات ازدادت سوءا بسرعة فى يومى ١٧ و١٨ من مارس ، وقد ضرب ابراهيم حليم باشا مدير مديرية البحيرة يوم ١٧ ضربا مبرحا ، وأصيب بجروح بالغة أثناء محاولته تفريق الثائرين فى دمنهور » (١١) . ولولا تدخل ضباطه وجنوده ما استطاع ابراهيم حليم الفرار الى داخل مكاتب المديرية .

وعندما أصبح بعيدا عن متناول أيدى الثوار ، أصدر أوامره لجنوده بتسليط خراطيم المياه القوية على المتظاهرين الثائرين ، فكانت تجرف الشيوخ والشباب على السواء ، جرفا بقوة دفعها (١٢) ، ثم قام جنوده بتطويق المتظاهرين وأطلقوا الرصاص عليهم ، وفرقت الطلقات الجماهير الثائرة ، وسقط العديد من الجرحى ، واستشهد «اثنا عشر» من الرجال ، كان من بينهم كل من : « أمين جوهر (التاجر)، محمد سلمان ، أحمد محمد حسين ، لبراهيم محمد عرر » (١٣) . كما ألقى القبض على الكثير منهم .

وفى نفس اليوم ١٧ من مارس ، طارت أخبار اعتقال الشيخ الى رشيد ، فبدأت فيها مظاهرة سلمية ، ثم تحولت الى ثورة بعد أن تصدى لها مأمور المركز « محمد مصطفى حجاب » ، الذى أمر جنوده باطلاق النار على

(٩) عبد المجيد سرور – أربعة أعوام بين السجون . ص ١٠ – ١١ ، مطبعة قضيب ، دمنهور ، ١٩٢٤
(١٠) جريدة المقطم – ١٧ مارس ١٩١٩
(١١) Sir M.cheetham to Earl Curzon.; April 8. F.O; 407/184. No. 125
(١٢) محمد محمود زيتون – اقليم البحيرة . صفحات مجيدة من الحضارة والثقافة والكفاح . ص ٦١٥ دار المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٦٢
(١٣) عبد الرحمن الرافعى – ثورة ١٩١٩ . تاريخ مصر القومى ١٩١٤ – ١٩٢١ ، الجزء الاول . ص ٢١٤ ، ط ٢ النهضة ، ١٩٥٥

المتظاهرين ، فسقط « ابراهيم ريدان » شهيدا وهو أحد أبناء عائلة زيدان • فثارت الجماهير وقذفوا ديوان المركز بالطوب والحجارة ، وأشعلوا فيه النيران ، وأتلف بعضهم محطة السكة الحديد وخطوط التلغراف والتليفون ، وأمام هذا الطوفان الثورى ، هرب مأمور المركز الى احدى القرى المجاورة لمدينة رشيد (١٤) • بعد أن أصيب عدد غير قليل من الأهالى والجنود إصابات بالغة (١٥) •

وفى اليوم التالى ١٨ من مارس ، هجم عدد كبير من بدو كوم حمادة ، يقدر بحوالى ألفى رجل ، ولفيف ضخم من الأهالى المتظاهرين ، على مركز الشرطة (١٦) • ووقعت مصادمات دامية بينهم وبين جنود السلطة ، وقد أنذرهم القائد العام بالعقاب الرادع والفورى عند تكرار هذه الحوادث (١٧) •

وتذكر الوثائق البريطانية ، أنه للسيطرة على الموقف فى إقليم البحيرة « أرسلت من الاسكندرية فصيلة من الجنود البريطانيين الى رشيد • كما أرسلت قوة كبيرة الى دمنهور لمواجهة الموقف الخطير الذى نجم عن ثورة البدو فى البحيرة » (١٨) •

ومالبث أن أعلنت الأحكام العرفية ، وتم محاصرة قرية الشيخ عبد الباقى « قراقص » بلفيف من الجنود ، وألقى القبض عليه مرة أخرى ، وعلى شقيقه الشيخ عبد المجيد سرور وعشرات غيرهم من الأهالى ، بتهمة الاعتداء على مدير المديرية حليم باشا •

وعلى الرغم من حملة الاعتقالات هذه ، وأوامر السلطة العسكرية ، فقد حدثت فى دمنهور يوم ١٨ من مارس ، حوادث يؤسف لها ، وترتب على ذلك أن قررت السلطة إقامة حرس من العساكر الانجليز على جميع المنشآت والمصانع بالمدينة » (١٩) •

محاكمة الشيخ :

وعلى الفور تشكلت محكمة عسكرية ، عقدت فى دمنهور ، وأصدرت على الثوار المتهمين أحكاما مختلفة بالسجن والجلد والغرامة والترحيل من الاقليم • فحكم على الشيخ عبد المجيد سرور بالأشغال الشاقة لمدة خمس عشرة سنة ، ثم خففت الى أربع سنوات

---

(١٤) نفس المصدر السابق • ص ٢١٥

(١٥) جريدة وادى النيل ، ١٩ مارس ١٩١٩

(١٦) جريدة الاخبار ١٨ مارس ١٩١٩

(١٧) جريدة الاخبار ١٩ مارس ١٩١٩ وكذلك جريدة الاهرام ٢١ مارس ١٩١٩

(١٨) F. O., 407 184. No. 125 برقية من سير • م • تشيتام الى ايرل كيرزون ، فى ٨ ابريل ١٩١٩

(١٩) جريدة وادى النيل ، ١٩ مارس ١٩١٩

وعشرين جلدة ، وقد نفذ الحكم فيه ، وقضى أربع سنوات بين جدران السجن ، سطر خلالها كتابه الشهير ، الذى يبث فيه حزنه وأسفه على مصر الوطن العزيز ، ذلك الكتاب الذى عنونه بـ « أربعة أعوام بين السجون » ، ونشره عام ١٩٢٤ (٢٠) •

وحكم على الشيخ عبد الباقى سرور بالبراءة مع غرامة مالية قدرها خمسة وعشرون جنيها • حيث قام الشيخ أثناء محاكمته بالدفاع عن نفسه باللغة الانجليزية ، رافضا أن يتولى الدفاع عنه محام انجليزى • فقد كان ترجمان المحكمة ، الذى جىء به هو « أمين هندى » ، سكرتير مدير المديرية • فقال له الشيخ – باللغة الانجليزية – : « بالله عليك ياأمين تكون أمين الله فى تبليغ كلامى للمحكمة » ، ففهمت المحكمة ما دار بين الشيخ والترجمان • وسمح له بالدفاع عن نفسه • ووقف الشيخ يدافع بشجاعة عن نفسه وعن الوطن السليب حتى استطاع أن يجعل المحكمة هى المتهمة وهى المدانة له ولمصر • وطلبت المحكمة شهودا للتزكية ، فتقدم عدد كبير ، وكان على رأسهم « الشيخ غنيم سالم » الذى زكاه تزكية الحق، ثم زكاه بعد ذلك عدد من الأطباء والمحامين والأعيان تزكية الحق والواجب (٢١) • وقد اكتفت المحكمة بذلك •

وسألته : مذنب أم غير مذنب ؟

فقال الشيخ : غير مذنب •

أما المذنب فهو مستر « ويلسون » – رئيس الولايات المتحدة – الذى نادى بحرية الشعوب •• وأما ذنبى الذى اقترفته ، هو أننى أنادى بحرية بلادى واستقلالها » (٢٢) •

وخرج الشيخ من المحكمة فى موكب عظيم الى داره فى قرية قراقص ، وهو بين العزة والسرور •

وصدر بعد ذلك أمر عسكرى يحظر على الأهالى الخروج من منازلهم بين الساعة السابعة مساء الى الساعة الرابعة صباحا ، كما منع السفر من دمنهور واليها بغير تصريح رسمى من السلطات (٢٣) ، وبذلك منع الشيخ عبد الباقى من مغادرة قريته قراقص ، حيث فرضت السلطات رقابة صارمة على قطارات السكك الحديدية الخارجة من دمنهور والقادمة اليها من الاسكندرية والقاهرة • ومع ذلك فشلت جميع هذه الاجراءات فى منع الحوادث من اقليم البحيرة ، وبتدبير الشيخ نفسه ،

---

٢٠) عبد المجيد سرور • المصدر السابق • ص ١٠ – ٢٢

(٢١) عادل محمود حسنين – المصدر السابق ، – حيث نقل عن (الشيخ محمد سرور) هذه الرواية • ص ١٧

(٢٢) محمد محمود زيتون – المصدر السابق • ص ٦١٥

(٢٣) عبد الرحمن الرافعى – المصدر السابق ص ٢١٤ •

فخربت بعض محطات السكة الحديدية وخلعت قضبانها ، عند « صفط الملوك » و « دسوق » ، وانتشرت حوادث السلب والنهب والسرقة ، ولكن بشكل مخفف (٢٤) ٠

وتذكر الوثائق البريطانية فى هذا الصدد : « أن عددا من كبار ضباط البوليس قتل فى دمنهور يوم ١٩ من مارس ، كذلك سلبت محطات السكك الحديدية وأحرقت ، كما دمرت أعمدة التليفون » (٢٥) ٠

الشيخ يواصل النضال من الأزهر الشريف :

ورفض الشيخ عبد الباقى أن ينتهى دوره النضالى عند حبسه فى داره بقراقص ، وخاصة أن ساعده الأيمن ، شقيقه الشيخ عبد المجيد، قد بدأ ينفذ حكم السجن الذى صدر ضده ٠ فقرر الشيخ أن يذهب الى القاهرة ،برغم الحصار الذى ضرب حوله من السلطات ، حيث الأزهر الشريف ، منارة الثورة ضد الظلم والطغيان على مر العصور ، ليواصل كفاحه ضد الاستعمار من هناك ٠ ونجح الشيخ بالفعل ، فى التخفى فى ملابس « تاجر طيور » ، وتحت جنح الظلام غادر دمنهور ، وواصل السير حتى وصل الى القاهرة ، سيرا على الأقدام ، وبلغ الأزهر الشريف ٠

وكان الأزهر فى أثناء ثورة ١٩١٩ ، يموج بنشاطات العلماء السياسية والفكرية ، وكان هو المكان الفسيح الذى لم تستطع السلطة العسكرية اقتحامه ومنع الاجتماعات العامة فيه ، لمكانته ومنزلته الدينية ، وكان الشيخ عبدالباقى سرور ، قد لجأ الى «رواق المغاربة» وغدا الأزهر ميدانا يتبارى فيه الخطباء من كل الطبقات ، ومن ثم أصبح معقلا لزعماء الأقاليم ٠٠ لذلك أرصدت الدوريات العسكرية ، من جانب السلطات البريطانية ، أمام أبوابه لكى تمنع خروج المظاهرات من داخله ، فرابطت أمام الأبواب مدججة بالبنادق والمدافع الرشاشة ٠

لكن كل هذه الوسائل لم ترهب من كان بداخل الجامع ، من علماء ثوار ٠ وحدث أن هجم أحد الطلبة الثوار على يد أحد الجنود الانجليز ، واختطف منه مدفعه وسار به نحو زملائه عند أبواب الجامع الأزهر ، فألهب هذا التصرف الحماسة فى النفوس الثائرة ، غير أن الجنود تكالبوا على الطالب واستردوا منه المدفع ٠ وهنا أخذ الشيخ عبد الباقى مع الشيخ محمد عبد اللطيف دراز ، يلقون الخطب الحماسية الوطنية فى جموع الطلاب ، فكان الشيخ عبد الباقى من فحول الخطباء الأفذاذ (٢٦) ، وزادت الثورة عنفا ، وزاد الانجليز هوسا ٠

←

---

(٢٤) مكى شبيكة (دكتور) ـ بريطانيا وثورة ١٩١٩ ٠ ص ٦٦

(٢٥) F. O., 407 184, No. 410 تلغراف من سير ٠ م تشتيام الى ايرل كيرزون ، فى ١١ مارس ١٩١٩ (القاهرة) ٠

(٢٦) محمد كامل الفقى ـ الازهر واثره فى النهضة الادبية ٠ ص ١٥٩ ، ط ٢ ٠ نهضة مصر القاهرة ، ١٩٦٥ وانظر كذلك : عبد الرحمن الرافعى ـ المصدر السابق ٠ حـ ١ ٠ ص ٢٠٤

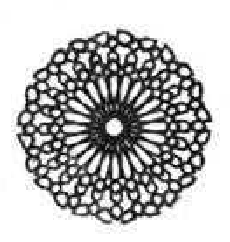
وظلت الأمور على ما هى عليه من الغليان داخل الجامع الأزهر وخارجه ، حتى كان يوم ١١ من ديسمبر ، عندما اقتحم الجنود الانجليز الجامع الأزهر بجحافلهم واعتدوا على كل من صادفوه بالضرب والركل ، وثارت ثائرة المشايخ وكبار العلماء ، وعلى رأسهم الشيخ عبد الباقى سرور ، وقصدوا الى شيخ الجامع « أبو الفضل الجيزاوى » ، الذى اجتمع بهم ، ووضعوا جميعا صيغة احتجاج شديد اللهجة ، كتبه الشيخ عبد الباقى بخط يده ، ووقعوا عليه جميعا ، بعنوان « احتجاج العلماء » ، وبعثوا به الى السلطان فؤاد ، والى رئيس الوزراء ، يوسف وهبة باشا ، ثم الى المندوب السامى البريطانى « اللورد اللنبى» (٢٧) •

وقد حركت هذه الحوادث فى نفوس علماء الأزهر الجهر برأيهم فى الموقف السياسى ، بمطالبة الدولة الانجليزية أن تفى بوعدها ، وتعترف باستقلال مصر التام •

وظهرت فى ذلك الوقت «الجمعيات السرية» كمظهر من مظاهر الكفاح للانتقام من الانجليز ومن يعاونهم من المصريين • فكانت حوادث الاغتيال السياسى الشهيرة ، وأخذت تتزايد بصورة أقلقت بريطانيا العظمى ، التى لم تر بدا من الاذعان والرضوخ لمطالب الأمة المصرية • فعاد سعد زغلول من أوروبا ، وألغى الانجليز الحماية واعترفوا بمصر دولة مستقلة ذات سيادة ، وذلك عندما أصدروا تصريحهم الشهير فى ٢٨ من فبراير عام ١٩٢٢ ، ثم أعلن الدستور فى عام ١٩٢٣ •

« يتبع »

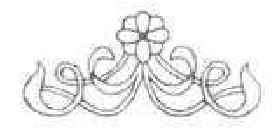
د• خالد محمد نعيم



(٢٧) عبد الرحمن الرافعى — المصدر السابق • حـ ٢ • ص ١١٧ — ١١٨ ، ١٢٠

العلوم الكونية

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم



إنتاج الكتيكا

العمق الرابع عشر من أعماق الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم

وَقَرَ الْخَالِقُ ـ جل شأنه ـ وأعدّ على كوكب الارض ما احتاجه الناس من أول وهلة وما يلزمهم من رزق (قوت وطاقة) عن سعة وتقدير محكم الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وذلك اما بصفة مباشرة كالنبات وثماره والماشية والأسماك والطيور ٠٠ ، أو بصفة غير مباشرة عن طريق استخدام العلم وفنونه من أجل استغلالها مثل استغلال الطاقة النووية ووسائل النقل والسفر المختلفة ٠

والمتدبر فى هذا الشأن بوعى واخلاص يرى أن كل ذلك انما يتم بتدبير من الخالق العليم وبتقديره ورعايته ورحمته ، وليس لمجرد الصدفة وهذا هو عين ما أبرزه القرآن الكريم بوضوح فى آيات عديدة تكون فى جماتها العمق الخامس عشر من أعماق الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم ٠

الانفجار السكانى

يضع هذا العمق من أعماق الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم حدا للمخاوف التى يشكو منها فريق من الناس وللتنبؤات السيئة التى يتكهن بها هذا الفريق بسبب مايسمونه (الانفجار السكانى) ٠ وما من شك أن الخالق القدير قدر أرزاق أهل الأرض جميعا ومنهم الناس اذا سلكوا الطريق القويم ولم يركنوا الى الجهل واليأس ، مصداقا لقوله تعالى :

١ ـ (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ٠٠) ٠ ـ الأعراف (٩٦) ـ

٢ ـ (قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٠ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ) فصلت (٩ ـ ١٠) ـ ٠

٣ ـ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ

● ماورد بهذا المقال من تفسير هو اجتهاد كاتبه ومسئوليته وحده ، ومن حق أى متخصص نقده نقدا علميا نزيها ٠ .... مجلة الأزهر

عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ..) – فاطر (٣) – .

٤ – (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) – البقرة (١٦٨) – .

ومجمل ما تنبهنا اليه الآية الأولى هو أن الناس اذا آمنوا بالله تعالى ، وعملوا صالحا ، واجتهدوا (ولم يرتكبوا المعاصى والمحرمات يرزقهم الله من بركات السماء ، كالماء العذب وطاقة الشمس المناسبة ، ومن بركات الأرض مثل النبات والأنعام وخامات الأرض ويقيهم شر الأمراض والآفات ، ويجعل البركة فى مارزقهم به .

والعجيب ، بل من صور الاعجاز العلمى فى كتاب الله العزيز ، أن ما يمليه علينا علم الفلك وعلم طبقات الأرض انما يتمشى تماما ويطابق ماتقرره الآيتان (٩ ، ١٠) من سورة فصلت . فان خلق الأرض وظهورها مكتملة ومنفصلة عن سائر أجرام المجموعة الشمسية بعد أن كانت جزءا من السديم القديم الذى تكونت منه تلك المجموعة لم يستغرق سوى زمنا يعادل ثلث عمر الأرض الآن ، بينما استغرق تكوين قشرتها اليابسة وماحوت من قارات وجبال ومحيطات وبحار ... وكذلك تكوين غلافها الجوى بصورته الحالية تقريبا ، ثم ماتبع ذلك من نشوء مملكة النبات وترسب الخامات والفحم والبترول فى القشرة اليابسة ، كل ذلك استغرق مالا يقل عن ثلثى عمر الأرض . وواضح من سياق الآيتين الكريمتين أن معنى اليوم هو سدس عمر الأرض المقدر لها علميا .

وتقرر الآية الكريمة الثالثة حقيقة أنه لا خالق غير الله تعالى يرزقنا من السماء بما ينزل منها ، ومن الأرض بما تخرجه لنا مما تستقيم به الحياة .

أما الآية الكريمة الرابعة فهى تأمرنا بأن لاناكل أو نشرب ما حرمه الله تعالى علينا ، وأن لا نسير وراء الشيطان الذى يزين لنا ماحرم الله ويعدنا بالفقر :

١ – (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) – البقرة (٢٦٨) –

٢ – (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ..) – لقمان (٢٠) –

وما من شك أن الله تعالى سخر لمنفعتنا ولصالحنا الشمس تمدنا بالطاقات اللازمة

لقيام الحياة على الأرض وازدهارها ، والقمر ينظم سرعة دوران الأرض حول محورها أمام الشمس ، وبرصد أوجه القمر ننظم مواقيتنا ونحسب الشهور والسنين ، والنجوم نهتدى بها فى الأسفار وخاصة أسفار الفضاء فى هذا العصر ، كما سخر لنا ما فى الأرض من بحار وأنهار وثمار وأنعام •

ويقول فى نفس المعنى : ٣ ــ (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) ــ الجاثية (١٣) •

ومن دلائل رحمة الله تعالى وعظيم قدرته وكامل تدبيره أن خلق كل شىء بمقدار معلوم لكى يؤدى وظيفته على الوجه الأكمل ، فلم يكن هناك محل للصدفة ولعدم التقدير والحساب :

١ ــ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ) ــ الحجر (٢١) ــ ،

٢ ــ (إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) ــ القمر (٤٩) ــ •

ولقد شاءت ارادة الرحمن أن لا تكون كل طاقات الأرض مما يمكن استغلاله بصفة مباشرة فهناك طاقات كبرى استغلها الانسان بعلمه الخلاق الذى ميزه الله تعالى به ليكون خليفته على الأرض :

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً ••) ــ البقرة (٣٠) ــ ،

وتطبيقات العلم التى يصنع بها الانسان الأشياء تسمى (التكنولوجيا) ، وقد جاءت بما يشبه المعجزات •

ومن تقدير الخالق القدير أن جعل الانسان يتعلم العلم وتطبيقاته على مراحل صاعدة مكنته من سد حاجياته المتجددة والمتزايدة فى نفس الوقت • فقد تعلم أولا استخدام الخشب وشحوم الحيوان والنبات فى الانارة والتسخين والطهى •• ثم استغل الفحم بأنواعه ، واكتشف الكهرباء وهى طاقة عظمى استخدمها فى شتى المجالات ، ثم صنع الآلات المتحركة ومنها مايسير على الأرض ، وسيرها بالبخار وبالبترول والكهرباء ، فربط بها الأقاليم المختلفة ذات الثروات المتباينة •

وللأسف الشديد بدد الانسان فى هذا العصر فى الحروب وفى الاعداد لها قدرا كبيرا من الرزق (المادة والطاقة) • وهكذا أنفقها فى الشر بدلا من أنفاقها فى الخير • ومن هنا ارتفعت الأصوات بالشكوى وظهرت قضية (الانفجار السكانى)! ولقد أمر الله تعالى البشر بالعلم ليكون عونا لهم لا ليكون شرا عليهم • وبالعلم فضل الله تعالى الانسان وكرمه ، وكشف له كثيرا من الآيات لنفعه ، فصنع الآلات ، واستغل الطاقات ، وقطع المسافات :

هُوَ الَّذِى يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ •

ــ غافر (١٣) ــ

أى أن اللـه تعـالى يرينا دلائل حكمتـه ورحمته بنا فينزل لنا من السـماء ماء يحيى به الأرض بعـد موتها ، ويدر لنا الضرع ، وتفيض به الأنهار ، وتمتلىء الينا بيع والأعين والآبار • كما ترسل الشمس المسخرة لصالحنا وتمدنا بمختلف الطاقات التى نحاول اليـوم ادخارها بالعلم ، والتى توفر لنـا الدفء ، وتضىء لنا بضوء النهار ، وتحمينا من زمهرير الفضاء الكونى •

وكما نعلم تدخر النباتات طاقة ضوء الشمس وتختزنها لنا على هيئة خشب وسكر وزيوت مختلفة وحب متراكب بواسـطة الخضر أو اليخضور أو الكلوروفيل : (وَهُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا •) ـ الأنعام (٩٩) ـ •

يخلق الله تعالى لنا بالعلم

سخر الخالق العليم لنا العلم وأمدنا به ليكون عونا لنا ومعينا على الحياة على الأرض• ومن أمثلة ذلك ما مكننا من صنعه من وسـائل السفر والانتقال وحمل الأثقال فى كل الأرجاء • على اليابسة والماء ، وعبر الهواء والفضاء • ومن أروع الآيات المعجزة التى قررت هذه الحقيقة قبل بزوغ فجر عصر العلم ، وكانت بمثـابة التنبؤ بتكريم الانسان وتخفيف العبء عـن كاهله قوله تعالى :
(وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) ـ النحـل (٨) ـ

والمراد يخلق ما لا تعلمون عندمـا يستخدم الانسان عقله ويستغل العلم فى اسـتخدام القوى والطاقات وقد تحققت نبوءة هـذه الآية الكريمة فى عصر العلم ، عندما صـنع الانسان السيارات المختلفـة ، والقاطرات البخارية وذات الاحتراق الداخلى (الديزل) ، والطائرات ذات المحـركات ثم الطائرات النفاثة ، والصواريخ التى تعمل بمبدأ رد الفعل الذى صاغه « نيوتن » واستخدم فى صناعـة البنادق التى كان للانجليز السبق فى استخدامها ومن ثم استعمار البلاد مما أسموه ممتلكاتهم بأن هزموا الشعوب بواسطتها •

وحديثا استخدم الانسان الصواريخ التى تحمل معها وقودها وتعمل بنفس مبدأ رد الفعل، وبذلك دخل عصر الفضاء الذى راح يجـوب أرجاءه ويدرس خصائصه حتى وصل الى القمر وحط أقدامه عليه • ثم راحت سـفن الفضاء من صنع البشر تجوب أرجاء المجموعة الشمسية الى حيث يسبح « المـريخ » و « المشترى » و « زحل » •• وما من شك أن هذا كله تـم بتقدير من الخالق وبفضل ما منحه للبشر من عـلم :

(•• وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ••) ـ البقـرة (٢٥٥) ـ ، وهى انجازات رائعة ساحرة ، خصوصا اذا أضفنا اليها ما سبق ابتكاره من وسائل الاتصال بالبرق (التلغراف) والمسرة (التليفون) ، ثم اللاسلكى والراديو ، وكلها تتم بسرعة الضـوء ، أى ٣٠٠ر٠٠٠ كيلو متر فى الثانية الواحدة ! ثم

نقل حاستى السمع والبصر بواسطة التليفزيون بنفس سرعة الضوء .

وتجرى الآن الأبحاث لنقل حاسة اللمس مع حاستى السمع والبصر . وتلك خطوة يتم بها نقل أهم حواس البشر فى لمح البصر :

(قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ..) ـ النمل (٣٩) ـ .

(قَالَ الَّذِى عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ..)

ـ النمل (٤٠) .

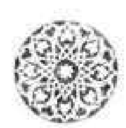
الخلاصة :

والخلاصة أن الله تعالى يفتح أمامنا أبواب الخلق والانتاج فى مختلف الميادين من أجل راحتنا وزيادة أرزاقنا بطرق العلم المختلفة التى يمكن بها أن نستغل ما أودع الله تعالى فى أرضنا المباركة من طاقات مباشرة وغير مباشرة ، ويمكن القول بأن الخوف من الفقر وقتل الأولاد مثلما كان متبعا فى الجاهلية ، أو عمليات الاجهاض الحديثة ، كلها انما تتشابه فى النتيجة وان اختلفت فى الوسيلة ،وأن القتل أو الاجهاض خوفا من الفقر اثم عظيم :

(وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا) ـ الاسراء (٣١) ـ ، ان الرزق بيد الخالق تكفل به لأهل الأرض وأعدها لذلك ، على أن لا يبددوا الأرزاق عبثا ، أو فى سبيل الحروب أو لا يستغلوها جهلا منهم أو تقاعدا فى طلب الرزق ، والله تعالى أعلم .

« للحديث بقية »

جمال الفندى






أنتاركتيكا

القارة القطبية الجنوبية



للأستاذ: ماهر زكريا الشيمى

يابس القارة وجليدها :

ويابس القارة مدفون تحت طبقة متحركة من الجليد ، اذ تتساقط ندف الثلج الضئيلة على بساط الجليد ، وتتحول بفعل الرياح الى حبيبات كحبيبات الرمل ، فاذا استقرت ورسخت فى الأرض من ثقل ما يتراكم فوقها من الثلج الهابط الجديد ، اندمجت فى حبيبات تنضم بعضها الى بعض ، حتى تغدو جليدا حقيقيا ، وهكذا يزداد حجم بساط الجليد باطراد • ثم ينساب الجليد زاحفا ببطء ، فى حركة دائمة ، ويقطع فى بعض الأحيان ، مسافة تزيد على الالف ميل ، حتى ينتهى الى البحر • وتولد هذه الحركة صدوعا يصل عمقها الى مئات الأمتار ، وهى صدوع غادرة ، مخيفة ، اذ أنها غالبا ما تكون مختفية تحت جسور ثلجية ضعيفة ، تنهار بمجرد وطئها •

وهناك العواصف الثلجية ، التى تهب فجأة ، من مخابئها المجهولة المصدر ، فتتعذر الرؤية لأكثر من ستة أمتار ، وقد تستمر العاصفة اثنى عشر يوما متتالية • وهناك أيضا الأنهار الجليدية التى تخط طريقها فى سهول الجليد الأقل منها سرعة ، حتى تنتهى الى المحيط • ويعرف بساط الجليد « بالطنف الجليدى » ، وعندما يصل الى البحر قد يظل متصلا بالقارة ، وبعضه عظيم الاتساع ، حتى يكاد يبلغ مساحة فرنسا ، ويصل سمكه الى نحو ٧٠٠ قدم •

وعلاوة على الغطاء الجليدى الذى يكسو القارة ، هناك « الجمد الطافى » ، وهو اطار من

←

الجليد ، يحف بالشواطىء فيطوق القارة ، وكأنه درع يذود الناس عنها • وسمك هذا الجمد ليس عظيما ، اذ يبلغ ثمانين قدما أو نحو ذلك • ويبلغ عرضه فى كثير من الأحيان (٦٠٠) ميل ، ولكنه يقل عن ذلك فى بعض أجـــزائه ، وفى بعض الفصول ، فيصبح نحو عشرين أو ثلاثين ميلا • وكثيرا ما يتشقق وتنفرج فى وسطه مسالك ، تمرق منها السفينة لتصل الى الشاطىء • وعندما يحل الشتاء فان هذه الفرجات تلتئم ، فتحيط بالسفينة وتأسرها ويشل الجليد حركتها ، وقد يضغط عليها فيحطمها ، ويضطر أصحابها الى قضاء أشهر الشتاء السوداء فى ذلك الجـــو الرهيب ، حتى يأتى الله بالفرج •

وهذا الجمد هو عماد الحياة فى القـــارة الجنوبية ، اذ أنه يهيىء الزاد من النبات الذى لا وجود له فى داخل القارة • والمياه فى الجمد شديدة البرودة ، حتى أن الانسان الذى يتعرض لها دون أن يحتمى بالملابس التى لا تنفذ الماء ، يفقـــد وعيه فى عشر دقائق ، ثم لا يلبث أن يموت • ومع ذلك فان هذه المياه تزخر بالكائنات الدنيا الحية التى يعيش عليها «السمك الهلامى» العظيم الحجم ، والتى تزن الواحدة منه نحو تسعين رطـــلا

حيوانات القارة :

« والحوت الأزرق » يعيش فى هذه المياه ، وهو من أكبر الحيوانات فى المخلوقات عامة ، اذ يبلغ وزنه نحو مائة وخمســين طنا • وألد أعدائه « ذئاب البحر » التى تعـد أكثر حيوانات القارة شراسة ووحشية • وتسمى الحيتان الزرقاء بالحيتان السفاكة ، ويبلغ طول الواحدة منها ثلاثين قدماً ، ويعلو ظهره زعنفة ترتفع نحو خمسة أقدام عندما يطفو الحـوت على سطح الماء • وتسبح هذه الحيتان فى الجمد تحت الجليد جماعات ، واذا رأت شبحا فـوق الجليد وجدت فيه فريسة سهلة ، فتسبح الى الأعماق ، لتتزود بقوة كبيرة ، تندفع بها نحو الجليد فتهشمه بظهورها ، وتلقى بفريستها الى الماء لتمزقها اربا •

وهناك « فهد البحر » الذى ينافس الحوت السفاك فى الشراسة والوحشية • وهـــو من فصيلة عجل البحر ، غير أنه مفترس وله رأس أشبه برأس الأفعى ، وعنق مستطيل • وطول هذا الحيوان حوالى عشرة أقدام وهـــو بطىء ثقيل الخطى فى سيره على الجليد • الا أنه — فى الماء — سباح سريع الحركـــة ، وقد شوهد يقفز من الماء ليختطف طيور البطريق الواقفة فوق الجليد •

وطيور القارة الجنوبية ، عاونت الانســان أثناء رحلاته الخطيرة عبرها ، فكانت له طعاما اذا ما نفدت مؤونته ، وكانت له دليلا يساعده على التعرف على بعد الجليد أو اليابس عنه • فرؤية « النورس » ، وهو طائر أبيض جميل ، تعد نذيرا بأن الجليد قريب • والرحالة الذى يرى « غراب الماء » ، يعلم أن الخطر محدق به ، ذلك أن هذا الطائر قلما يطير بعيدا عـن الصخور التى يعيش فيها •

وتعتبر « البطارق » العلاقة المميزة للمناطق القطبية • وهى فى القارة الجنوبية على نوعين

« بطريق أديلى » ويبلغ طوله نحو قدمين ، وهو أشبه بمهرج بصدره الأبيض وظهره وجناحيه السود • «والبطريق الامبراطور» ، وهو أبيض تماما ويبلغ طوله نحو ثلاثة أقدام ، وهو مهيب الطلعة ، وقور ، رزين كما يدل عليه اسمه • وكلا النوعين سباح ماهر ، حيث تستخدم الأجنحة كزعانف • وكلاهما (يطير) تحت الماء بسرعة تكفى لصيد السمك • ويستطيع (بطريق أديلى) أن يقفز خارج الماء الى ارتفاع خمسة أقدام • والبطارق مسرفة فى البداوة حتى لتبدو أليفة، ذلك أن ليس لها أعداء على الجليد • وهى تتحرق فضولا وتطلعا اذا رأت غريبا فتتهادى اليه متلهفة لتراه عن كثب • وهى لا تستطيع الركض مسرعة اذا طاردها مطارد يسير على قدميه • ولكنها تستطيع أن تسبق مطارديها فى يسر ، اذ تنبطح على بطونها وتنزلق على الجليد مبتعدة عنهم ، تدفعها أقدامها ذات الغشاء وأجنحتها الشبيهة بالزعانف •

والبطريق الامبراطور تضع أنثاه بيضة واحدة كل عام • ويحتضن الذكر البيضة فى ركن مستكن بين طرفى قدميه وثنيات الدهن التى فى أسفل بطنه • وتفقس البيضة على الجليد فى ليل الشتاء • وفقسه فى ليل الشتاء ينطوى على حكمة الهية عظيمة ، لأن ذلك هو السبيل الوحيد الذى يفسح له المجال لتربية صغيره طوال أشهر الشتاء الستة ، حتى يشتد عوده ، ويصبح قادرا على الاعتماد على نفسه •

أما الحيوانات البرية الوحيدة التى تسكن القارة الجنوبية ، فهى بضعة أنواع من الحشرات ، تلتمس رزقها بين الصخور والجبال، أو فى الماء المنصهر ، وتبلغ الريح من العنف ما يمنع العناكب من نسج خيوطها ، ويجعل الذباب خلوا من الأجنحة • وتقضى هذه الأنواع حياتها جامدة كالحجر • وينصهر الجليد عنها بضعة أيام كل عام ، فتمضى فى أطوار حياتها متعجلة حتى تحافظ على بقاء نوعها •

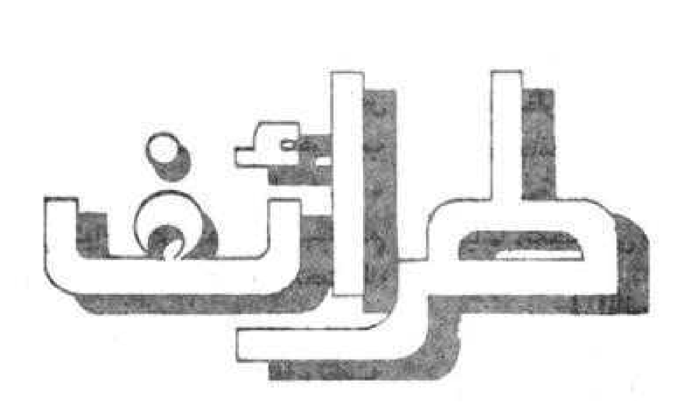
فى الماضى السحيق :

وقد كانت القارة القطبية الجنوبية فى يوم من الأيام ، أرضا خضراء ، تموج بأدغال السرخس وغابات الصنوبر • أما اليوم فليس فى القارة كلها شجرة واحدة • « والأشنات » هى أكثر النباتات انتشارا ، وهى نباتات حرشفية شبيهة بالورق، تتعلق بالصخور فوق قمم الجبال التى يحيط بها بساط الجليد ، فتبدو من هذا الارتفاع فى ألوان بديعة من الأحمر ، الى الأصفر ، الى البرتقالى • وقد أمكن تمييز أكثر من ٣٠٠ نوع من الأشنة ، و ٦٠ نوعا من الطحلب ونوع واحد أو اثنين من العشب الغليظ •

أما عن التربة ، فيمكن القول بصفة عامة ، أنه لا توجد تربة فى القارة الجنوبية ، وربما يرجع السبب فى ذلك الى أن الأنهار الجليدية قد جرفتها الى البحر ، أو أن الريح العاتية قد طوحت بها وبددتها •

وكان أول دليل على أن القارة الجنوبية لم تكن مدفونة دائما تحت بساط من الجليد ، هو ما حدث فى صيف عام ١٨٩٢ — ١٨٩٣ حيث عثر فى « جزيرة سيمور » بالقرب من طرف

البقية ص ٩٨٨



من فضائل بيت المقدس

بشر فيه زكريا بيحيى ، ومريم باصطفائها على نساء العالمين ، وبحملها بسيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ وولادته ، وانبات نخلتها وحملها بالرطب ، وإسراء رسول الله ـ ﷺ ـ إليه وصعوده إلى السماء ورجوعه إليه وصلاته فيه إماما بالأنبياء ، والشفاعة من الملائكة لمن يسكنه ، وغفران ذنوب من يصلى فيه أو من تصدق فيه ، ومضاعفة الصلاة فيه بخمسمائة فى غيره ، ووجود الصخرة فيه وهى قبلة الأنبياء من لدن آدم .

من حكم سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ

- اقتصاد فى سُنَّة خير من اجتهاد فى بدعة .
- احذر النعمة كحذرك من المعصية .
- إن هذا الأمر لا يصلحه إلا لين فى غير ضعف ، وشدة فى غير عنف .
- لكل شىء شرف ، وشرف المعروف تعجيله .

- ما وجد أحد فى نفسه كبرا إلا من مهانة يجدها فى نفسه .
- أعقل الناس أعذرهم للناس .

جواب مسكت

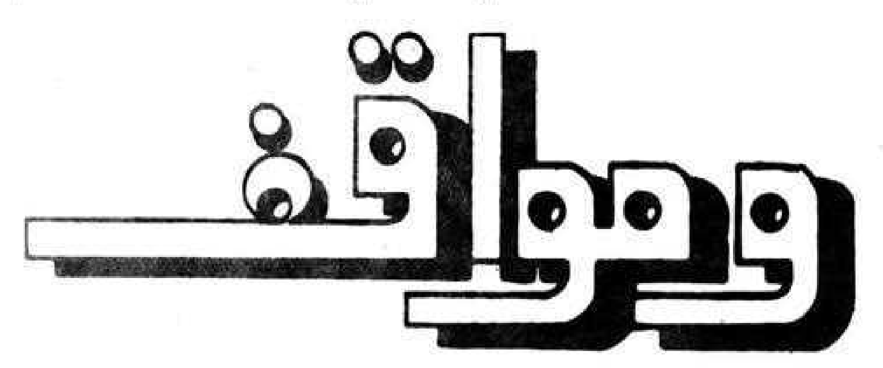
صعد هشام بن عبد الملك المنبر بدمشق وقال : ياأهل الشام إن الله قد رفع عنكم الطاعون بخلافتى فيكم .

فقام رجل ، وقال : إن الله أرحم بنا أن يجمعك والطاعون علينا .

كتاب الله قبل كتاب الخليفة

دخل أبو النصر سالم مولى عمر بن عبد الله على عامل للخليفة ، فقال له : ياأبا النصر إنه تأتينا كتب من عند الخليفة فيها وفيها ولا نجد بدا من انفاذها ؛ فماذا ترى ؟ قال أبو النصر : قد أتاك كتاب الله قبل كتاب الخليفة ؛ فأيهما اتبعت كنت من أهله .

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم



شرائط العلم

قالوا : لا يكون العالم عالما حتى تكون فيه ثلاث خصال :

لا يحتقر من دونه ، ولا يحسد مَنْ فوقه ، ولا يأخذ على العلم ثمنا .

وقالوا : من تمام آلة العالم أن يكون : شديد الهيبة ، رزين المجلس ، وقورا ، صموتا ، بطىء الالتفات قليل الإشارة ، ساكن الحركة ، لا يصخب ، ولا يغضب ، ولا يهيم[1] فى كلامه .

ودخل رجل على عبد الملك بن مروان ، وكان لا يسأل عن شىء إلا وجد عنده منه علما !!

فقال له : أنى لك هذا ؟

قال : لم أمنع قط ياأمير المؤمنين علما أفيده ، ولم أحتقر علما أستفيده ، وكنت إذا لقيت الرجل أخذت منه وأعطيته .

حقا

وفى قبض كف الطفل عند ولاده
دليل على الحرص المركب فى الحىّ
وفى بسطها عند الممات إشارة
ألا فانظروا : إنى خرجت بلا شىٌ

أعمش وأعور

كان إبراهيم النخعى فى طريق فلقيه الأعمش فانصرف معه .

فقال له : ياإبراهيم إن الناس إذا رأونا قالوا : أعمش وأعور .

قال : وما عليك : أن يأثموا ونؤجر .

قال : وما عليك أن يَسْلَموا ونَسْلَمْ .

نصيحة

قال أحد الحكماء : لا تكن كالصبى إذا جاع ضغا ، ولا كالعبد إذا شبع طغا ، ولا كالجاهل إذا ملك بغى .

دعاء

اللهم ارزقنا حسن التوكل عليك ، ودوام الإقبال عليك ، واكفنا شر وسواس الشيطان ، وقنا شر الإنس والجان ، واخلع علينا خلع الرضوان ، وهب لنا حقيقة الإيمان يارحمن .

(١) أى لا يخلط

من المروءات ستر العورات

لفضيلة الشيخ طه الساكت

المروءة من شواهد الفضل ، ودلائل النبل ،، ولن يتصف بها الا من عف نفسه عن الحرام ، ونأى بها من مواطن الزلل والعصيان ومن زلت قدمه فاستتر فى خطيئته بستر الله — عز وجل — فقد بشر من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بستر الله له ، وبعفو الله عنه ، ومغفرته له ، فالله ستار يحب الستر ، ويجزى عليه بمثله فى الدنيا والآخرة .

قال فضيلة الشيخ — رحمه الله —

عن أبى هريرة — رضى الله عنه — يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل أمتى معافى الا المجاهرين ، وان من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عملا ، ثم يصبح وقد ستره الله فيقول : يافلان ، عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ، ويصبح يكشف ستر الله عنه » . رواه الشيخان .

وعنه — رضى الله عنه — عن النبى ﷺ قال : « لا يستر الله على عبد فى الدنيا الا ستره الله يوم القيامة » .

وعنه أيضا عن النبى ﷺ قال : « لا يستر عبد عبدا فى الدنيا الا ستره الله يوم القيامة » رواهما مسلم .

المجانة : ترك المبالاة بالقول والفعل ، وأصلها من المجون وهو : الغلظ والصلابة ، كأن الماجن ، وهو الهازل المستهتر ، صلب الوجه غليظه . وأكثر ما تكون المجانة بالليل ، فلذا قيدت به .

والبارحة : أقرب ليلة مضت من وقت القول، من برح مكانه : اذا زال عنه .

وكذا وكذا : كناية عن المعصية التى جاهر بها الماجن ،فاستوجب سخط الله ، وحرم معافاته ومغفرته .

داعيان قويان يتجاذبان المرء حينما يهم بمعصية : داعى العقل والحكمة ، وداعى الهوى والشهوة ،وليغلبن المرء ويظفرن به أيهما أشد عليه وأقوى « وخلق الانسان ضعيفا » .

إعداد : عبد الفتاح حسين الزيات

وليس بضائر العبد ، ولا بقادح فى ايمانه ويقينه ، أن تزل قدمه ، أو تغلبه خطيئته ،فانه ليس فى الناس معصوم كائنا من كان ، حاشا النبيين .

وانما يضير العبد ، ويضعف ايمانه أن يجمع الى جرمه جرما آخر أفظع منه وأنكى ، وهو مجاهرته بجريمته ، وانتهاكه لحرمات الله عز وجل ، على مرأى من الناس ومسمع ،وفى غير استحياء من الله وعباده !

وقد يستر الله هذا الآثم فلا يطلع على جريرته أحدا من خلقه ، فضلا منه ونعمة ، أو بلاء ومحنة ، ثم يأبى عليه جحوده وقحته الا أن يتحدث الى اخوان الشياطين ، وجلساء السوء ، بما سولت له نفسه ، وزين له شيطانه، غير آسف ولا مستغفر ! وكيف ، وهو فخور بما أسلف ، ومعجب بما اقترف ، وكأنه يقول : ان فاتكم أن تشهدوا المخزاة عيانا ، فلن يفوتكم نعتها كأنكم رأيتموها !

ضرب من ضروب الاجهار بالمعصية ، والاستهتار بالخطيئة ، بل أثر من آثار لؤم الطبع ، ودنس النفس ، وفساد الفطرة !

وحقيق بهذا المجاهر الأثيم ألا ينظر الله اليه وألا يرحمه ، على سعة رحمته ومغفرته ، وأن يخزيه فى الدنيا والآخرة ، جزاء ما عاند وأفسد ومزق من ستر الله ، وحرض عباده على انتهاك حماه ، « ... ألا وان لكل ملك حمى ، ألا وان حمى الله فى أرضه محارمه » .

وأما من زلت به قدمه ، فاستتر فى خطيئته بستر الله — عز وجل — ، فقد بشره الصادق المصدوق — صلوات الله وسلامه عليه — بأن يستره الله فى الآخرة كما ستره فى الأولى ، وأن يشمله بعفوه ومغفرته .

روى الشيخان فى حديث النجوى (١) عن ابن عمر — رضى الله عنهما — قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان الله يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه ، ويستره ، فيقول : أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول نعم أى رب ، حتى اذا قرره بذنوبه ورأى فى نفسه أنه هلك ، قال : سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم » .

ويؤثر عن على كرم الله وجهه قال : من أذنب ذنبا فستره الله فى الدنيا فالله أكرم من أن يكشف ستره فى الآخرة ، ومن أذنب ذنبا فعوقب عليه فى الدنيا فالله تعالى أعدل من أن يثنى عقوبته فى الآخرة .

(١) أى مناجاة الله تعالى لعبده فى السر حيث تشمله رحمته ، وتحيط به عنايته ، فالقرب هنا قرب رحمة وكرامة .

وانما كان المتستر بالمعصية خليقا بمعافاة الله وستره ، لأن فيه بقية من الحياء ، ان لم يكن من الله فمن خلقه ، ومن استحيا من الناس أو شك أن يستحيى من الله ، والحياء لا يأتى الا بخير ، وحسبك أنه شعبة من الايمان واستحياء العبد من الاجهار بالمعاصى دليل على أنه يبغضها ويمقتها ، ويستقذر أن يراه الناس عليها ، ومن استقذر المعصية فهو حرى بأى يقل من غشيانها ان لم يقلع عنها ، ثم هو منكسر النفس عند المعصية منقبض الصدر منها قريب الندم والتوبة ، لأنه لم يمرن عليها مرانة المستهترين ، ولم يمرد عليها مرادة الماجنين الآثمين •

والمتستر بعد هذا كله لم يحرض على العاصى أحدا ، وشؤم معصيته على نفسه خاصة ، فكان أخف من المتهتك ضررا ، وأقل وزرا ، وأضعف أثرا •

ولا يحسبن أحد أن رسول الله ﷺ — وحاشاه — يقنط مجاهرا من رحمة ربه أو يعفى متسترا من تبعة ذنبه ، ولكنه يبين ما للمجاهرة بالمعاصى من سوء العاقبة ، وما للتستر والحياء من كريم الأثر ، وعسى أن يستحى مجاهر ، أو ينيب الى ربه مستتر •

ومن الحق المحتوم للمتستر على أخيه المسلم ألا يهتك ستره ، وألا يفشى سره ، سواء أوقف على زلته أثناء اقترافها ، أم علم بها بعد انقضائها ، والله ستير يحب الستر ، ويجزى عليه بمثله فى الدنيا والآخرة والجزاء من جنس العمل •

غير ان ستر المسلم على أخيه لا يمنعه من النصح له ، وتغيير المنكر الذى ارتكبه ، والحيلولة بينه وبين صاحبه ما استطاع الى ذلك سبيلا ، فان هذا من الحقوق المحتومة عليه كذلك •

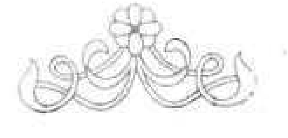
ومثل هذا الستر الذى اقترن بالنصيحة ، هو الذى رغب فيه النبى ﷺ حفظا لحرمة المؤمن ، وقال فيه كما روى أبو داود وغيره عن عقبة بن عامر — رضى الله عنه — « من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موءودة » • وانما كان الساتر كذلك لأنه أحيا صاحب العورة حياة أدبية كريمة ، وأنقذه من بلاء يكاد يمحقه ، كمن أنقذ البنية التى كان العرب يدفنونها حية ، خشية املاق أو فضيحة ، وربما كانت الحياة الأدبية أغلى من الحياة النفسية ، فكثيرا ما تهون النفس فى سبيل الشرف والكرامة !

واذا كان كشف عورة المؤمن قحة وجرما ، فأشد منها وقاحة وجريمة تلمسها وتتبعها والبحث عنها ، اجابة لداعى الهوى ، واشباعا لنهم الشهوة ، واشاعة للسوء والقالة فى المؤمنين الغافلين ، وفى هؤلاء ينادى النبى ﷺ من فوق منبره بصوت رفيع فيقول : « يامعشر من أسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لاتؤذوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فانه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله » أخرجه الترمذى وغيره عن ابن عمر — رضى الله عنهما •

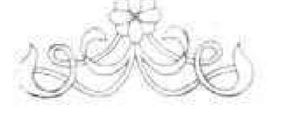
البقية ص ٩٩٦

الشعر والشعراء

في ذكرى الإسراء



ترنيمة الختام



الحب الخالد

في ذكرى الإسراء

يا قدس

أصلى وجرحك فى المهجة
أنين يفلف تكبيرتى

وأغفو وانت الجراح الثقال
تشد الخواطر فى الغفوة

وأغمض جفنى على الظلام
يَهوّن من قسوة الصورة

وأصحو وملء الجفون الدموع
تحجّر كالصخر فى المقلة

فيا قدس يا روضة الانبياء
وأولى المعابد والقبلة

تغشاك ليل ثقيل رهيب
يضج من الظلم والظلمة

ذئاب على الدرب سدوا الطريق
وعاثوا بأبهائك الحرة

* * *

مع النور يا قدس صلى المسيح
وطوّف بالعدل والحكمة

ونادى على الأرض يحيا السلام
وبشر بالحب والرحمة

تصدى له عصبة من يهود
تَفَشَّتْ كما الداء بالفتنة

وباعته بالبَخْسِ بِئسَ النفوسُ
تبيع النبوة بالرشوة

* * *

ويا قدس هذا النبى الامين
ييمم شطرك فى الرحلة

للأستاذ رشاد محمد يوسف

سرى النور عدوه من ربه
أمان اليك من الكعبة

ليرقى على سلم من ضياء
ويحظى لدى الله بالخطوة

دنا فارتوى فاستبان اليقين
وفاض الجلال على السدرة

رأى ما رأى ما يفوق الخيال
ويعتصر العقل بالدهشة

هو الحق يا أيها المنكرون
كمن ينطح الرأس بالصخرة

كثير على الله وهو القدير ؟
تعالى عن الوصف والصورة

كثير على الله اسرى به ؟
وبارك فى الروح فى والغدوة

تبارك رب الهدى والجلال
يغير ما شاء فى لحظة

ومن يغمض الجفن عن نوره
يعش مدى الدهر فى الظلامة

* * *

ولابد يا قدس من وثبة
تعيد الحياة ومن ثورة

ولابد من رجعة للديار
نطوّف بالبيت والصخرة

ونجعل من عصبة الغادرين
طريقا الى القدس فى العودة

ويطلع نور الصباح الجديد
على الكرم والدار والضيعة

* * *

مسرى النبى

"صلى الله عليه وسلم"

مسراه .. فى قبضـــة الأوغـاد مسراه
هل يا تـرى توقظ الوجـدان ذكـراه ؟

ان الشـــآم غـــدا فى كف مضـطغن
فالشر يأمـره ، والهـــول ينهـــاه !!

والقـدس ما القدس ؟ ان البدر محتجب
واحـــزن روحى لـــه واحرّ قلبـــاه !!

فى غمـــرة عربـدت أحداثهـــا وطغت
قد حدقت فى فلول العـــرب عينـاه !

يسراه فى لهـف تدعـــو لنجـــدته
ويتقى طعـن غـــازيه بيمنـــــاه !

قتـل ، وتدمير أقداس لهـــا حـــرم
والأم ثاكلــــــة ، والشـــيخ أواه !

شـعب يذوب فلا تنجـــاب محنتـــه
هـــل مـــن يدحـــرة تنجى بقـــاياه !

من غير ما وجـل عـــاثت بمقدســـه
نفـــاية مالهـــا فى الغـــدر أشـباه !

ألقت بهـم أمم ضـــاقت بمكـرهم
فى موطن ، زال عنـــه المجـد والجـاه !

قد هان فى نظـــر الافرنـــج اذ نبـذوا
فيـــه الأراقم من (عزرا) و (اليـاهو)

كى يسـلبوا وطنـــا ، فى ظـل حاضنة
شمطـــــاء قد لبثت فى الزور ترعـــاه

أرسى قواعـــده (جونبـول) ثم وهى
(فالعم ســـام) لأطمـــاع تبنـــاه

الكـــل قد رامـه كلبـــا يصيد بـــه
فى ساحة العـرب ــ صـيدا قد تمنـاه

لكنهم غفـــلوا عـــن أنـــه ضبـــع
يـــوما سيسـطو عليهم فاغـرا فـــاه

ان الخسـيس اذا ما اشـتد ســـاعده
أهـــوى على رأس مـــن بالأمس قـــواه

للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين

فليذهبـــوا فى جحيم البغى كلهم — بغى الفتى مصرع ، حتمــا سيلقــاه
كــم أمــة قد طغت فى أوج عزتهــا — ثــم ارتمت فى سعير الذل تصــلاه
.. مــاذا ؟ فلسطين فى أسر معذبة — قلب العروبة سهم الغدر أصماه !
يا ويحــه من حمى ، أمسى بــلا سـند — قد قيدت بقيــود الضيم كفــاه !
يطـوى جوانحــه الحـرى على حـزن — أما الحمــاة ، فعنه اليــوم قد تاهــوا !
كالعقـــد قــد ذهبت حبــاته بـددا — لمــا وهى خيطــه ، فالجـذب أوهــاه
فى كــل فج سعوا يستنهضـــون له — عزائمــا قيامــا ناعيــه ينعـاه
لا الغرب ـ من حنق ـ أصغى لصيحتــه — كــلا ولا ســامع فى الشرق لبــاه !
ان العــدالة فى الدنيـــا اذا اندثـرت — فالختـــل فى شرعة المظـــلوم محيــاه
والعرب .. فى لهوهم ، سكرى مشاعرهم — كــل لــه شــاغل فى العيش يهـواه !
قــد فرقت بينهم أحــلام ذى سـفه — فالحقـد مشـــتعل ، والحمق أذكــاه
والرأى منقســم ، مـن غير ما سبب — الحــال تفرضــه والعقـــل يرضاه
لكنــه خطــل ، ســـاءت عواقبــه — والدين يرفضـــه ، والعـرف يأبــاه
ياليت أعينهـم تصـــحو ، فقـــاربهم — قد كــاد يغـرق ، فالأنواء تغشـــاه

***

لا تحسـبوا أننى ألهـــو بتسـلية — بل ذا كـــلام لمـن يـدرى خفـاياه
قد خطــه قـلم فى كف ذى شـجن — أوحتـــه فى ليـــلة الإسراء ذكـراه

ترنيمة الختام

أكاد أحس الموت ينساب فى دمى ... ويسرى رويدا فى دمائى وأعظمى
وأرقبه فى كل حين كأنه ... قضاء بحكم فى البرية مبرم
ولا عجب فالطفل عند قدومه ... يجوز عليه الموت ساعة مقدم
ففى كل يوم راحل إثر راحل ... يشيع للمثوى الأخير المحتم
وفى كل بيت كل حين مناحة ... وفى كل مأتم قرب مأتم
وما خلع ضرس شاخ إلا بداية ... لموت خفى كالصيص الملثم
وما غيبة الخل الوفى عن الألى ... أحبوه ألا طيف موت محوم

* * *

وكم ذا نرى هذا فلا نحن نرعوى ... ولسنا نعى درسا ولم نتعلم
نشيع موتانا ونرجع للذى ... حذقناه فى دنيا العدا وانتهجم
وننسى اذا عدنا الحمام وعصفه ... وننسى عزيز الأهل دون الترحم
وقد يحزن المرء المشيع لحظة ... ويرجع توا للمنى والتبسم
وان يتعظ منا امرؤ بضع ساعة ... يعد بعدها ينسى مصير الترمم
وننكر فضل الله وهو على الورى ... عميم ونمضى فى خنى وتأثم

* * *

فذاك هزار أنقق العمر طائرا ... ولابد من يوم على الأرض يرتمى
وهذا صبى فى ربيع حياته ... فإن يبق يدلف للخريف ويهرم
وذلك طفل عاش فى حضن أمه ... فإذ هو فى يوم حليف التيتم

للشاعر الدكتور: عزت شندى موسى

وتلك الثريا بعد أن شع ضوؤها ستمسى كجسم فاقد الضوء معتم
وذلك بدر التم لابد ينطفى ويمضى الى الأفق القتام المغيم
وسوسنة فى الروض مهما تضوعت وفاح لها عطر تصب بالتفحم
ومهما يطل عمر الفتى فهو ميت ويمضى الى جب من الأرض مظلم
فمهلا فما الترب الذى نحن نفتدى عليه سوى ذوب للحم وأعظم
وهونا فما الزرع الذى يملأ الدنى سوى نبت أجسام الى الناس تنتمى

* * *

وما العيش الا ساعة ثم تنقضى فإما لنار أو لخلد منعم
فيا أيها الغافى عن الموت إنما سيد هوك فى يوم ولو بين أنجم
وسارع الى نيل الثواب مؤملا بوجه كريم سوف تلقى وأقدم
وأقلع عن الآثام حتى اذا أتى حسابك فى يوم الموازين تزحم

* * *

تقسمت الأسباب فى الموت انما مضاء الردى فى الناس لم يتقسم
فمن مات محروقا كمن مات غارقا وموتة جو مثل موتة منجم
ومن مات من وخز الظبى متألما كمن مات فوق الفرش لم يتألم
ومن قد قضى بالسم فور مذاقه كمن قد قضى فى النوم لم يتسمم
ويا موت لا تنفك من عهد آدم كلغز يحار العقل فيه وطلسم
هزيرا هصورا سوف نلقاه عزلا ولن نجد الحصن الذى فيه نحتمى
ولن ينجو الإنسان منك على المدى وإن يرق أسباب السماء بسلم

* * *




الحب الخالد

للشاعرة جليلة رضا

أيها الباحث فى مصر عن الحب الوديع
لا تقل ضاع ، فإن الحب فيها لايضيع
كل شىء فى ربى مصر عطاء وسماح
موجةٌ تهفو لشط وجبال لرياح
وغصون تنسج الخضرة كى تكسو الجناح
كل شىء فى بلادى يتغنى للصباح ..

* * *

كيف نطوى الحب والحب لنا زادٌ وأدْرع
نحن ذقنا الحب فى ظل الفناء المتوقع
وشربناه فلم نسأل أنبقى أم سنرجع
وبذلناه دماءً تتحدى هول مِدفع

* * *

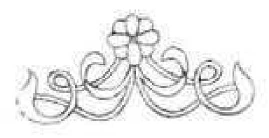
كان حبّا حين ودّعنا بلا حزن ذوينا
حين مرغنا الوجوه السمر فى أحضان سينا
حين سال الدمع فوق الرمل وجدا وحنينا
كان إيمانا .. وحبا .. وسموا .. ويقينا

* * *

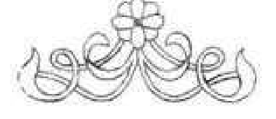
أيها الباحث فى مصر عن الحب الوديع
لا تقل ضاع فإن الحب فيها لايضيع

اللغة والأدب والنقد

الأمر عن طريق الاستفهام



الرسالة الخالدة



اللغة والصحافة

الأمر عن طريق الاستفهام

مواقعه وأسراره في القرآن الكريم

تقديــــم :

الاستفهام من الأساليب الإنشائية ذات الأغراض المتعددة ، والدلالات المتنوعة ، وهو أسلوب كثير الدوران في القرآن الكريم ..

وللاستفهام في القرآن الكريم دلالات كثيرة تحدث عنها العلماء ، وذكر « السيوطى » منها اثنتين وثلاثين دلالة ، ومثل لها بالشواهد القرآنية المعبرة عنها (١) .

والأمر : غرض من أغراض الاستفهام في القرآن الكريم ، ودلالة من دلالاته ، حيث ورد أسلوب الاستفهام في بعض الآيات مفيداً للأمر ، وحاثاً على الفعل ، وباعثاً على المطلوب . وهذا الأمر الوارد في صورة الاستفهام يختلف عن الأمر الصريح . والطلب المباشر ، بما يحمله من معان بلاغية ، وما يوحى به من أسرار تعبيرية .

وحول هذا الأسلوب وأسراره البلاغية يدور بحثنا .

علاقة الاستفهام بالأمر

هناك قاسم مشترك بين الاستفهام والأمر ، فكل واحد منهما أسلوب إنشائى طلبى ، يستدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب .

وهذا القدر المشترك بينهما يقرب من دلالتهما ويوحدها في بعض الأحيان ، ومن ثم نرى البلاغيين يذكرون من أغراض الاستفهام : التعجب ، والتهديد والوعيد ، والتحقير ، والتمنى ، ويذكرون نفس هذه الأغراض عند حديثهم عن دلالة الأمر .

ولما كان الاستفهام أكثر الأساليب الإنشائية أغراضاً ، وأوسعها دلالة ، وكان يحمل في طياته دلالة طلبية ، كان من أساليبه ما يدل على الأمر ، وما يفيد الطلب ، وما يوحى بالحث على فعل المقصود .

وقد جاءت أساليب الاستفهام الدالة على الأمر في القرآن الكريم مشتملة على أسرار البلاغة

---

(١) ينظر الإتقان : ٢/٧٩ ـ السيوطى .

للدكتور الشحات محمد عبد الرحمن أبو ستيت

العالية التى يتسم بها النظم القرآنى ، كما سنرى فى النماذج التالية :

١ـ فى مقام الدعوة

الى التوحيد والانقياد لله

يقول الله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (٢) . فالاستفهام الذى ختمت به الآية الكريمة دال على الأمر ، ومفيد لطلب الانقياد لله رب العالمين ، ومعناه : فأسلموا .

قال أبو حيان : « هذا استفهام يتضمن الأمر بإخلاص التوحيد والانقياد إلى الله تعالى » (٣) .

وهذا الأمر الوارد عن طريق الاستفهام قد تقدمه فى الآية بيان قوى مؤكد بأن الوحى المنزل على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتمثل فى إثبات الوحدانية لله عز جل .

وقد ورد هذا البيان فى صورة مكونة من قصرين مركبين .

الأول : قصر فيه الوحى على وحدانية الله عز وجل ، قصر صفة على موصوف .

والثانى : قصر فيه الله تعالى على الوحدانية قصر موصوف على صفة .

وهذا البيان المؤكد بالقصرين أثبت قضية الوحدانية وأكدها ، وجعلها واضحة لكل متدبر ، وأعقبه الاستفهام أمرا بالانقياد لهذا الإله الذى ثبتت وحدانيته ، حيث لم يبق للمخاطبين عذر فى عدم الانقياد لله الواحد جل شأنه ، بعد أن اتضحت وحدانيته وتأكدت ، وليس أمامهم إلا الاستجابة ، والانقياد لله الواحد القهار .

ومثال ذلك : أن تقول لصاحبك تحثه على صحبتك فى السفر إلى القاهرة : سأذهب إلى مدينة « المعز » لأمتع النفس برؤية آثارها الإسلامية العظيمة .

فهل أنت ذاهب معى ؟ .

وكأنك تقول له : قد اتضح لك أمر سفرى ، وظهرت لك فائدته ، فلا عذر لك فى عدم صحبتى ، وما عليك إلا الذهاب معى .

وأمر المخاطبين بالانقياد لله تعالى عن طريق الاستفهام فى الآية الكريمة ، أحرى بالقبول ، وأدعى إلى الاستجابة ، لما فيه من تلطف فى الأمر ، وسلوك جانب السياسة واللين فى الحث على الفعل ، مما يجعله ينفذ إلى القلوب ، ويحولها إلى ما دعيت إليه .

كما أن فيه مبالغة وقوة فى الحث على الانقياد لله تعالى ، من حيث إن الاستفهام يدل على أن المستفهم عنه مستحق للوقوع بدون أمر ، فسئل عنه ، هل وقع ذلك الأمر اللازم الوقوع أولا ؟ (٤) .

---

(٢) سورة الأنبياء . آية : ١٠٨ .
(٣) البحر المحيط : ٦/٣٤٤ .
(٤) ينظر حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى : ٦/٢٦٧ .

وهذا الأمر فى ذات الوقت يحمل فى طياته توبيخا شديداً للمأمورين ، لما فيه من إشارة إلى تقصيرهم فى الانقياد لله عز وجل ، وتباطئهم فى الاخلاص له ، والإقبال على الإيمان به ، بعد أن ظهرت لهم الأدلة ، ووضحت لديهم البراهين .

ويدرك المتأمل هذه اللطائف البلاغية فى قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٥) .

فقوله تعالى : « أأسلمتم » استفهام يفيد الأمر ، ومعناه : أسلموا . (٦) .

والآية تبين انقياد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن اتبعه لله رب العالمين ، وتوضح إسلام وجوههم وإخلاصهم لله عز جل .

وقد سبقتها آية تبين أن الإسلام هو الدين الصحيح والملة المقبولة عند الله تعالى ، وما عداه من الملل والنحل كفر وخيم العاقبة ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُو الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٧) ، ومن ثم فلم يبق للمخاطبين عذر بعد إيضاح هذه الحقائق وإرشادهم إلى الدين الصحيح ، وما عليهم إلا المسارعة بإعلان الإسلام ، والانقياد لله جل شأنه .

وقد جاء الأمر فى الآية عن طريق الاستفهام حثا لهم على قبول الإسلام بتلطف وترفق ، وتوبيخاً لهم على مسلكهم الشائن فى عدم المسارعة إلى قبول الحق بعد ما تبينت دلالته .

قال شيخ الإسلام « أبو السعود » مبيناً ما فى هذا الاستفهام من الأسرار : « أأسلمتم » متبعين لى كما فعل المؤمنون ، فإنه قد أتاكم من البينات ما يوجبه ويقتضيه لا محالة ، فهل أسلمتم وعملتم بقضيتها ؟ أو انتم على كفركم بعد ؟ ، كما يقول من لخص لصاحبه المسألة ولم يدع من طرق التوضيح والبيان مسلكاً إلا سلكه . فهل فهمتها ؟ ....

وفى هذا التعبير من استقصارهم ، وتعييرهم بالمعاندة وقلة الإنصاف ، وتوبيخهم بالبلادة وكلة القريحة مالا يخفى (٨) .

٢- فى مقام الحث على الشكر

يقول الله تعالى : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ . وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ (٩) .

قال البيضاوى : وقوله تعالى : (فهل انتم شاكرون) أمر أخرج فى صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع (١٠) .

(٥) سورة آل عمران . آية : ٢٠
(٦) البرهان : ٣٣٩/٢ ـ الزركشى .
(٧) سورة آل عمران . آية : ١٩ .
(٨) تفسير ابى السعود : ١٩/٢ .
(٩) سورة الأنبياء : ٧٩ ، ٨٠ .
(١٠) تفسير البيضاوى : بهامش حاشية الشهاب : ٢٦٧/٦ .

وقال أبو حيان : إنه استفهام يتضمن الأمر ، أى : « اشكروا الله على ما أنعم به عليكم » (١١) .

وأقول : إن هذا الأمر الوارد فى صورة الاستفهام جاء بعد بيان بعض النعم التى أنعم الله بها على المخاطبين ، وهذه النعم الظاهرة والآلاء الواضحة تقتضى منهم شكر المنعم جل علاه ، ومن ثم أمروا بالشكر عقيب ذكرها ليسارعوا بالاستجابة حيث لم يبق لهم عذر فى عدمها .

وهذا التعبير فيه تلطف فى الأمر ، ولين فى الطلب ، ودعوة إلى إعمال العقل والفكر ليختار الطريق الملائم ، ألا وهو شكر المنعم على جزيل نعمائه وجليل آلائه .

وفيه توبيخ وتقريع للمخاطبين على تقصيرهم فى شكر واهب النعم ، كما أن فيه دلالة على أن هذا الشكر مستحق للوقوع من غير أمر به ، أو حث عليه .

قال الشهاب الخفاجى فى تعليقه على كلام البيضاوى السابق : وكون الاستفهام للتوبيخ والتقريع ظاهراً لما فيه من الإيماء إلى التقصير فى الشكر ، وأما المبالغة : فلدلالة الاستفهام بأن الشكر مستحق للوقوع بدون أمر ، فسئل عنه : هل وقع ذلك الأمر اللازم ؟ أولا ؟ (١٢) .

٣ . فى مقام الحث على الانتهاء عن الخمر والميسر

يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (١٣) .

وقوله تعالى : « فهل أنتم منتهون » أمر وارد على صورة الاستفهام ، للحث على المسارعة بالانتهاء عن شرب الخمر ولعب الميسر بعد ما تبين ما فيهما من شرور وآثام .

وقد تقدم هذا الأمر بيان تفصيلى لوجوه الفساد فى هذه المحرمات ، وللدواعى التى توجب صرفهم عنها وهى : (١٤) .

١ ـ الحكم عليها بأنها رجس ، وهو كلمة تدل على غاية القبح والخبث .

٢ ـ مجىء هذا الحكم فى أسلوب القصر بإنما ، قصر موصوف على صفة ، لإبراز صفة الرجس وتقويتها ، والدلالة على أنها هى الصفة الوحيدة لها ، فهى رجس لا غيره ولا نفع فيها البتة ، وذلك ظاهر لا يشك فيه .

٣ ـ قرن الخمر والميسر بالأنصاب والأزلام ، وهما من أعمال الشرك وأفعال المشركين .

٤ ـ وصف الرجس بأنه من عمل الشيطان للدلالة على تمام قبحه ، وكمال خبثه .

٥ ـ الأمر بتركها بجملة « فاجتنبوه » وهى أبلغ من فاتركوه ، لأن الاجتناب يفيد الأمر بالترك مع البعد عن المتروك ، بأن يكون التارك فى جانب بعيد عن جانب المتروك .

---

(١١) البحر المحيط : ٣٢٢/٦ .

(١٢) حاشية الشهاب : ٢٦٧/٦ .

(١٣) سورة المائدة : ٩٠ ، ٩١ .

(١٤) تنظر فى : الكشاف : ٦٤٢/١ ، والتفسير الكبير : ٤٤٥/٣ ، وتفسير المنار : ٥٣/٧ .

٦ ـ جعل اجتنابها مرجاة للفلاح ، ومدعاة للفوز ، وبالتالى فإن فعلها مدعاة للخيبة والخسران .

٧ ـ أنها مثار للعداوة والبغضاء ، وكفى بهما شراً مستطيراً .

٨ ـ أنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وكفى بذلك إثما مبيناً . وبعد ذكر هذه الوجوه من المفاسد جاء الأمر بالانتهاء عنها فى صورة الاستفهام بهل المقرونة بالفاء ، ليتصل السبب والمسبب ، ويقترن الانتهاء عنها بتفصيل شرورها ومفاسدها .

وقد تحقق هذا الانتهاء الفورى من جماعة المؤمنين لما نزلت الآية الكريمة ، وعبروا عن ذلك فقالوا : انتهينا ربنا .

وقال عمر ـ رضى الله عنه ـ : « انتهينا » « انتهينا » (١٥) .

وهذا الأمر المدلول عليه بالاستفهام يفيد من المعانى البلاغية ما سبقت الإشارة إليها فى كلامنا عن نظرائه ، ويشير إلى أن الزجر والتحذير وكشف ما فى الخمر والميسر من المفاسد والشرور قد بلغ الغاية ، وأن الأعذار قد انقطعت بالكلية ، حتى إن العاقل إذا خلى ونفسه بعد ذلك لا ينبغى أن يتوقف فى الانتهاء أو يتمهل فيه . (١٦) .

قال الزمخشرى : وهذا من أبلغ ما ينهى به ، كأنه قيل : « قد تلى عليكم ما فيها من أنواع الصوارف والموانع ، فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون ؟ أو أنتم على ما كنتم عليه ؟ كأن لم توعظوا ولم تزجروا » (١٧) .

وبناء على هذا نقول : إن الأمر عن طريق الاستفهام فى هذه الآية ، وما يماثله فى الآيات الأخرى يوحى بمعنى دقيق يضاف إلى ما سبق من معان ولطائف ، الا وهو إعطاء الحرية للإنسان فى اختيار الطريق ، وبعث عقله على التفكير فى المسلك الذى ينبغى أن يسير فيه ، حيث سبق له الأمر على سبيل العرض الرقيق الذى لا تعسف فيه ، وكأن الأمر متروك له فى اختيار ما يراه نافعاً بمحض عقله وتفكيره ، بعد ما كشفت أمامه السبل ، وجليت له الحقائق ، وأحيط علما بما ينفعه وما يضره ، والعاقل لن يختار إلا الاستجابة لأمر الله العزيز الحكيم .

٤. فى مقام الحث على الاجتماع للتأييد

يقول الله تعالى : ﴿ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ. وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُم مُجْتَمِعُونَ. لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴾ (١٨) .

وقوله تعالى : « هل أنتم مجتمعون » استفهام يفيد أمر الناس بالمسارعة إلى الاجتماع ، تأييداً لفرعون وسحرته ، ومعناه : اجتمعوا .

قال الزمخشرى : هذا استبطاء لهم فى الاجتماع ، والمراد منه استعجالهم ، واستحثاثهم ، كما يقول الرجل لغلامه : هل أنت منطلق ؟ إذا أراد أن يحرك منه ، ويحثه على

---

(١٥) ينظر تفسير ابن كثير : ٩٢/٢ .
(١٦) ينظر تفسير أبى السعود : ٨٦/٣ ، وحاشية الشهاب : ٢٨٠/٣ .
(١٧) الكشاف : ٦٤٢/١ .
(١٨) سورة الشعراء : ٣٨ ــ ٤٠ .

الانطلاق ، كأنما يخيل له أن الناس قد انطلقوا وهو واقف . ومنه قول تأبط شراً :

هـل أنت باعث دينـار لحاجتنـا
أو عبد رب أخا عوْن بن مخراق

يريد : ابعثه إلينا سريعاً ولا تبطيء به [١٩] .

وهذا الأمر المصور بصورة الاستفهام ، وارد ضمن حكاية القرآن الكريم ما دار بين فرعون وَمَلَئِهِ ، لما جاءهم موسى عليه السلام بمعجزتيه : عصاه التى يلقيها فإذا هى تلقف مايأفكون ، ويده التى ينزعها فإذا هى بيضاء للناظرين . فاتهموه بأنه ساحر عليم ، يريد أن يخرجهم من أرضهم بسحره ، وتجهزوا لإبطال ما جاء به ، فدعوا كبار السحرة للمباراة معه فى ضحى يوم الزينة ليفضحوا أمر سحره ، ويهدموا دعوته .

ومباراة هامة مثيرة كهذه لابد أن يدعى لحضورها جمهور غفير من مؤيدى فرعون ، يحمس فريقه ، ويشجع سحرته فى هذا اللقاء الحاسم ، الذى سيعلى شأن فرعون ، ويجعل الناس يدينون له بالولاء ، ويبطل كل دعوة لموسى عليه السلام .

ومجيء هذا الأمر فى ثوب الاستفهام ، فيه استعجال للجماهير فى الحضور ، واستنهاض لهممهم فى المجيء ، وحث لهم على السعى لمشاهدة هذه المباراة التاريخية عند حلول موعدها المضروب لها .

وفيه إشارة إلى أن اجتماعهم متحقق من غير أمر به ، وحاصل دون طلب ، وما الاستفهام إلا عن وقوعه على سبيل الاستعجال .

وفيه إشعار بعدم التعسف فى طلبهم للحضور ، حيث تركوا وشأنهم يختارون ما تقرره عقولهم ، ولا شك فى أنها ستقرر الذهاب إلى موطن المباراة للتأييد والتحميس ، بعد الاستماع إلى ما أشاعه الملأ عن مراد موسى وأخيه ، ومجيئهما لإخراج الناس من أرضهم وديارهم .

٥. فى مقام الحث على الصبر

يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً ﴾ [٢٠] . والاستفهام فى قوله عز وجل : « أتصبرون » يفيد الأمر ، ومعناه : اصبروا [٢١] .

قال أبو حيان : قيل أنه استفهام بمعنى الأمر أى اصبروا [٢٢] .

وقال الشهاب الخفاجى : المراد منه الإيجاب ، والأمر بالصبر أى : اصبروا ، فإنى ابتليت بعضكم ببعض ، الغنى بالفقير ، والشريف بالوضيع [٢٣] .

وهذا الأمر المرتدى رداء الاستفهام ، وارد فى أعقاب ذكر افتراءات الكافرين على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحكاية استهزائهم به ، وكذبهم عليه ، واعتراضهم على بشريته وأكله الطعام ومشيه فى الأسواق . فبين الله له ـ على سبيل التسلية والتصبير ـ أنه ليس بدعا من

(١٩) الكشاف : ١١٢/٣ .
(٢٠) سورة الفرقان ، آية : ٢٠ .
(٢١) الاتقان : ٨٠/٢ .
(٢٢) البحر المحيط : ٤٩١/٦ .
(٢٣) حاشية الشهاب : ٤١٥/٦ .

الرسل ، فكلهم كانوا بشراً ، وكلهم كانوا يأتون الأعمال البشرية التى لا تتنافى مع الرسالة .

فإذا كان هناك اعتراض ، فليس هو اعتراضاً على شخصه ، إنما هو اعتراض على سنة من سنن الله ، سنة مقدرة مقصودة ، لها غايتها المرسومة : « وجعلنا بعضكم لبعض فتنة » ، « ليعترض من لا يدركون حكمة الله وتدبيره وتقديره ، وليصبر من يثق بالله وحكمته ونصره ، ولتمضى الدعوة تغالب وتغلب بوسائل البشر وطرائق البشر ، وليثبت من يثبت على هذا الابتلاء » (٢٤) .

ومجىء الأمر على هذه الصورة الاستفهامية يحقق الحث على الصبر مع التلطف والرفق ، ويوحى بأن الصبر المطلوب حاصل من غير طلب ، ويشعر بالحرية الفكرية الممنوحة للإنسان ليختار ما يقتنع به من سبل ، ولا جدال فى أن سبيل الصبر على الابتلاء هو مسلك العقلاء .

خصائص هذه التراكيب

عرضنا فيما سبق لأربعة تراكيب قرآنية متشابهة الصياغة ، هى : (فهل أنتم مسلمون) — (فهل أنتم شاكرون) — (فهل أنتم منتهون) — (هل أنتم مجتمعون) .

وقد بينا دلالة الاستفهام فيها على الأمر ، وأوضحنا ما يحتوى عليه هذا الأمر من معان دقيقة ، وما ينطوى عليه من أسرار بلاغية ، لا تتأتى فى أسلوب الأمر المباشر .

وسنقف أمام هذه التراكيب القرآنية الأربعة متأملين ما فى صياغتها من سمات وخصائص .

لقد تصدرت الفاء التراكيب الثلاثة الأولى ، وخلا التركيب الرابع عنها ، وهذه الفاء دالة على أن ما قبلها موجب لما بعدها . (٢٥) وأن ما بعدها مترتب على ما قبلها ، ومطلوب حصوله بعده على الفور ، ودون تراخ أو تأجيل .

فثبوت الوحدانية لله القدير ، وجعل الوحى مقصوراً على تقريرها ، يقتضى سرعة الانقياد لله رب العالمين . وتواصل إنعام الله ، على المخاطبين ، يقتضى منهم المبادرة بحمده وشكره ، وتفصيل مفاسد الخمر والميسر ، وبيان مضارهما يقتضى سرعة الانتهاء عنها .

ولما كانت هذه الأمور الثلاثة مطلوبة على وجه السرعة تصدرتها الفاء .

أما قوله تعالى : (هل انتم مجتمعون) فقد خلا عن الفاء لسر لطيف ، هو أن الناس المطلوبين للاجتماع ، لم يكونوا مطلوبين على ألفور عقيب إظهار موسى معجزتيه ، وجداله مع فرعون وملئه ، إذ قد حدد الطرفان فى هذا الموقف موعداً للاجتماع والتبارى ، وهو ضحى يوم الزينة ، وقام جنود فرعون بطلب الناس للاجتماع فى هذا الموعد المضروب ، وقد جاء ذلك فى قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى • فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾ (٢٦)

وقد جاءت هذه التراكيب الأربعة بأداة الاستفهام « هل » وهذه الأداة لها من

---

(٢٤) فى ظلال القرآن : ٢٥٥٦/٥ ـ سيد قطب .
(٢٥) روح المعانى : ١٠٧/١٧ — الالوسى .
(٢٦) سورة طه : ٥٧ — ٥٩ .

الخصائص ما يميزها عن سواها من أدوات الاستفهام ، من ذلك : أنها مختصة بطلب التصديق ، وتخصص المضارع بالاستقبال ، ولها مزيد اختصاص بالدخول على الفعل تحقيقاً أو تقديراً [٢٧] .

ولهذا فإذا دخلت « هل » في تركيب من التراكيب على جملة اسمية ، كان ذلك منطوياً على سر بلاغي دقيق ، هو : جعل ما سيوجد مستقبلاً كأنه موجود وحاصل فعلاً ، وإبرازه في معرض الثابت المستقر اهتماماً بأمره ، ورغبة في وقوعه وتحققه .

وفي الأمثلة القرآنية التي نحن بصدد الحديث عنها ، دخلت « هل » على جمل اسمية فأفادت هذا السر الدقيق ، حيث ظهرت المطلوبات الأربعة : الإسلام ، والشكر ، والانتهاء ، والاجتماع ، في معرض الأمور الثابتة المستقرة ، مما يشعر بكمال الإعتناء بحصولها ، وتمام الاهتمام بتحققها .

ولقد تأمل البلاغيون مثالاً من هذه الأمثلة السابقة ، وبينوا تفوقه في الدلالة على المطلوب .

قال السكاكي ـ بعد أن بين خصائص « هل » التي منها زيادة اختصاصها بالدخول على الأفعال ـ : ولذلك كان قوله عز وجل : (فهل أنتم شاكرون) أدخل في الإنباء عن طلب الشكر من قولنا : فهل تشكرون ؟ أو فهل انتم تشكرون ؟ أو أفانتم تشكرون ؟ لما أن هل تشكرون ، مفيد للتجدد ، وهل انتم تشكرون كذلك ، وأفانتم تشكرون وإن كان ينبيء عن عدم التجدد لكنه دون (فهل أنتم شاكرون) لما ثبت أن هل أدعى للفعل من الهمزة ، فترك الفعل معها يكون أدخل في الإنباء عن استدعاء المقام عدم التجدد [٢٨]

ولزيادة إيضاح ما قاله السكاكي نقول : إن قوله تعالى : (فهل أنتم شاكرون) أدل على طلب الشكر وأقوى من قولنا : فهل تشكرون ؟ وقولنا : فهل أنتم تشكرون ؟ . لأن « هل » في القول الكريم ، داخلة على جملة اسمية وهي تفيد الثبوت والاستمرار ، فأبرز الشكر المطلوب في معرض الأمر الثابت المستقر ، اهتماما بحصوله ووقوعه .

أما المثالان المذكوران فقد دخلت « هل » فيهما على الفعل ، تحقيقاً في المثال الأول ، وتقديراً في المثال الثاني ، لأن « أنتم » فيه فاعل الفعل محذوف يفسره المذكور ، والفعل يدل على التجدد والحدوث ، وفي هذا إشارة إلى أن الشكر لم يقع ، وبذلك خلا المثالان عن النكتة الموجودة في القول الكريم .

كما أن القول الكريم أدل على طلب الشكر أيضاً من قولنا : أفأنتم شاكرون ؟ لأنه وإن أفاد الثبوت من حيث إنه جملة اسمية ، إلا أن « هل » لما كانت لها زيادة اختصاص بالفعل أكثر من الهمزة ، كان ترك الفعل معها أدل على كمال العناية بحصول ما سيتجدد [٢٩] . وكان في ترك الفعل معها عدول عن الأصل ، وهو لا يحسن إلا لنكتة تقتضيه ، والنكتة هنا : الإشارة إلى قوة طلب الشكر بإظهاره في معرض الثابت الواقع [٣٠] .

---

(٢٧) ينظر مغني اللبيب : ٢/٤٤ ، لابن هشام ، والمطول : ٢٣٠ ، للتفتازاني .
(٢٨) مفتاح العلوم : ١٤٨ .
(٢٩) ينظر المطول : ٢٣١ .
(٣٠) ينظر تقرير الإنبابي ، وتجريد البناني : ٢/١٣٠ .

وتثير الحواشى البلاغية بعض التساؤلات فى موطن الحديث عن هذه الآية أهمها : أن قولنا : هل أنتم تشكرون ؟ يفيد الاستمرار التجددى ، وما فى الآية الكريمة يفيد الاستمرار الثبوتى ، والاستمرار التجددى أمس بالمقام من الاستمرار الثبوتى ، وذلك لدلالته على طلب استمرار الشكر على سبيل التجدد ، وهو أشق على النفس ، ويستدعى زيادة الثواب .

فما وجه العدول عن الاستمرار التجددى إلى الاستمرار الثبوتى فى الآية ؟

وقد أجاب « الفنرى » عن ذلك فقال : إن ما ذكر فى الآية الكريمة أدل على كمال عناية الله تعالى بعباده ، حيث رضى منهم بما هو أهون عليهم من الأعمال (٣١) .

ودفع « عبد الحكيم » التساؤل من أصله ، ورده باعتبار أنه لا محل لإيراده ، فقال : والكلام فى الآية لطلب أصل الشكر ، لا لطلب استمرار الشكر ، ومن هنا فلا وجه للتساؤل المذكور (٣٢) .

وإضافة على ذلك أقول : إن قوله تعالى : (فهل أنتم شاكرون) يتضمن سراً دقيقاً ـ كما تقدم ـ وهو : إبراز الشكر الذى يطلب حصوله على سبيل التجدد فى معرض الأمر الثابت المستقر رغبة فى تحققه ، واهتماما بوقوعه وهو معنى بديع ينفرد به القول الكريم دون سواه .

كما أن الاستمرار الثبوتى لا يعنى الانقطاع ، فكثيراً ما يقصد به الاستمرار والدوام فى الزمان المتجدد ، كما فى قولنا : المؤمنون منتهون عن المعاصى ، فهذا يعنى الانتهاء المستمر الدائم الذى لا رجوع فيه . والأمر بالشكر فى الآية مطلوب على الدوام ولا يختص بزمان دون زمان .

وما ذكره البلاغيون فى حديثهم عن قوله تعالى : (فهل أنتم شاكرون) ينسحب على الأمثلة الثلاثة الأخرى المشابهة له فى النظم .

صور أخرى لهذا الأسلوب

وفى القرآن الكريم مواضع أخرى كثيرة غير التى قدمناها ، أشار العلماء إلى أن الاستفهام فيها يفيد الأمر ، من ذلك .

١ ـ بعض أساليب الاستفهام الإنكارى التوبيخى ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣٣) . فقد قالوا : إن قوله تعالى : (افلا تذكرون) يفيد الأمر بالتذكر ، ومعناه : اذكروا (٣٤) . وهو استفهام وأرد عقيب التعريف

---

(٣١) تجريد البنانى : ٣/١٣٠ .
(٣٢) حاشية عبد الحكيم على المطول : ٢٢٣ .
(٣٣) سورة يونس ، آية : ٣ .
(٣٤) ينظر البرهان : ٢/٣٣٩ .

بقدرة الله عز وجل ، مما يوجب على المخاطبين دوام التذكر ، ويقتضى توبيخهم على تركه .

وكقوله تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . . ﴾ (٣٥) . فقد قالوا : إن الاستفهام فيه يفيد الأمر بالجهاد ، والحث عليه ، والتوبيخ على تركه ، والمعنى : قاتلوا فى سبيل الله (٣٦) .

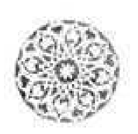
٢ ـ أساليب الاستفهام التى تفيد التنبيه ، حيث جعلوا التنبيه من أقسام الأمر (٣٧) . ومنها قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾ (٣٨) . وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ (٣٩) . وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ (٤٠) . فقد قالوا : إن المعنى فى كل ذلك : انظر بفكرك فى هذه الأمور وتنبه (٤١) . ففيها حث على النظر ، والاعتبار (٤٢) .

وأشار صاحب « البرهان » إلى صور أخرى فيها دلالة على الأمر (٤٣) . ولامرية فى أن هذه الصور التى ذكرها العلماء فيها دلالة على الطلب ، وإشعار بالأمر ، وحث على فعل الشىء ، بجانب ما تنضوى عليه من أغراض بلاغية أخرى ، كالإنكار والتوبيخ والتعجيب ، وغير ذلك ، و النكات البلاغية لا تتزاحم ، والأسرار التعبيرية لا تتعارض ، والأساليب القرآنية على اختلاف ألوانها تحوى الكثير من الأسرار البلاغية . واللطائف التعبيرية ومن ثم يتسع مجال البحث فيها أمام كل متأمل .

وما قدمناه فى هذا الموضوع يمثل نظرة تأملية فى بعض الأساليب القرآنية . حاولنا فيها الكشف عن بعض أسرار النظم القرآنى المعجز ، الذى لا تفنى عجائبه ، ولا تنقضى غرائبه .

والله أسأل الصواب والسداد ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

دكتور الشحات محمد عبد الرحمن



---

(٣٥) سورة النساء ، آية ٧٥ .
(٣٦) ينظر حاشية الشهاب : ٣/١٥٥ ، والبرهان : ٢/٣٣٩ .
(٣٧) البرهان : ٢/٣٤٠ ، والاتقان : ٢/٨٠ .
(٣٨) سورة البقرة ، آية : ٢٥٨ .
(٣٩) سورة الفرقان ، آية : ٤٥ .
(٤٠) سورة الفيل ، آية : ١ .
(٤١) البرهان : ٢/٣٤٠ ، والاتقان : ٢/٨٠ .
(٤٢) ينظر حاشية الشهاب : ٢/٣٢٦ .
(٤٣) ينظر البرهان : ٢/٣٣٩ وما بعدها .



اللغة والصحافة

حين كنا طلبة بالأزهر كان يؤخذ علينا أننا نهتم بالنحو اهتماما يضيع علينا المعلومات التى يتحدث بها المتحدث أو الأهداف التى يريدها الخطيب ، وأخذت على نفسى ألا اهتم بنحو المتحدث أو الخطيب ، وقد تعدى ذلك الاخذ الى التساهل فى النظر الى ما يكتب فى الصحف والمجلات ، ولكنى أغار كل الغيرة حين أقرأ خطأ لكاتب كبير أو صحفى خطير ، هنا أثور وأعتقد أن اللغة العربية معرضة للضعف ولا أقول للضياع ٠

وفى ١٥/١٠/٨٦ و ١٧ من الشهر نفسه ــ وقع كاتبان كبيران بجريدة « الأهرام » فى خطأين لا يحسن السكوت عليهما ٠

الأول جاء خطؤه فى اللغة ٠

والثانى كان خطؤه فى النحو ٠

أما الأول فهو الصحفى الكبير الأستاذ أحمد بهاء الدين ففى عموده « يوميات » ١٧/١٠/٨٦

كان حديثه عن المرحوم الفنان الأستاذ شادى عبد السلام ، جاء فيه تلك العبارة ونصها :

« وأهل الفن يحوط بهم عادة الضجيج والعجيج والأضواء والصور الملونة والأحاديث الصحفية والاعلانات » ٠

والخطأ فى تلك العبارة استخدامه كلمة « يحوط » وبها فسد المعنى الذى يريده ، فهو يريد أن أهل الفن يحيط بهم عادة الضجيج الخ أى يلتف حولهم ويدور فى فلكهم ما ذكره ٠

أما يحوط : فهى كما تقول كتب اللغة تفيد ما تفيده « يحفظ ويصون ويرعى ، فمعنى حاطه ــ وهى تنصب المفعول على عكس أحاط يحيط اللازمة ــ كلاه ورعاه وبابه « قال » و « كتب » ومن استعمالاتها قولهم « الحمار يحوط عانته » أى يجمعها وأقول جمعها رعايتها وحفظها ، وقد نصوا على أن أحاط يحيط بمعنى أحدق يحدق ونخرج من كل ما ذكرنا آنفا أن عبارة الأستاذ أحمد بهاء الدين تكون صحيحة اذا وضعنا يحيط بدل يحوط ولو بعث عربى من القرن الرابع وقرأ العبارة لما فهم ما يريده الكاتب لذلك لزم التصحيح والتنويه ٠

وفى عدد الجمعة من جريدة الأهرام يوم ١٧/١٠/٨٦ جاء فى الصفحة الدينية بقلم « المحرر » فى كلامه عن الدكتور عبد الحليم محمود ــ رحمه الله ــ بمناسبة ذكرى وفاته العبارات الآتية :



للأستاذ السيد حسن قرون

وان أنس لا أنسى جولاته داخل مصر وخارجها ...

وأن أنس لا أنسى حربه المستعرة على الشيوعية ...

وان أنس لا أنسى حرصه على تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية ....

وان أنس لا أنسى قراره بانشاء ادارة خاصة بشئون القرآن الكريم لأول مرة فى الأزهر .

وأنا أشكره على هذا الثناء الطيب الذى يستحقه الدكتور عبد الحليم محمود ، وكنت أود ألا يقع فى خطأ نحوى كرره أربع مرات فى أربع عبارات تحمل روحا طيبة وثناء عظيما ، ولولا التكرار لعددت الخطأ خطأ مطبعيا ولرضيت بجمال العبارة وصدقها وأنت تعلم أن « ان » الشرطية تجزم فعلين :

الأول فعل الشرط .

والثانى جوابه وجزاؤه والفعل الصحيح يجزم بالسكون والفعل المعتل يجزم بحذف حرف العلة .

« والمحرر » جزم فعل الشرط ولم يجزم جواب الشرط ، وقد يكون الخطأ أتى من تقدم « لا » النافية على فعل الجزاء ، ولا النافية لا تمنع الفعل من الجزم ، وعلى هذا فيجب أن تكون العبارة المكررة « وان أنس لا أنس » يجزم الفعلين بحذف حرف العلة فيهما وهو الألف وبذلك تسلم اللغة من التشويه .

وقد استعمل ابن الرومى الشاعر العباسى الفعل « أنسى » فى جملة شرطية فحذف الألف فى فعل الشرط وفى فعل جواب الشرط .

قال ابن الرومى يصف صانع دقاق .

ما أنس لا أنس خبازاً مررت به
يدحو الرقاقة مثل اللمح بالبصر

ما بين رؤيتها فى كفه كرة
وبين رؤيتها نوراء كالقمر

الا بمقدار ما تنداح دائرة
فى لجة الماء يلقى فيه بالحجر

ويطيب لى فى مثل هذا التعبير أن يتوقف الكاتب ريثما يراجع القواعد حتى لا ينقص من قدر كلامه ويعرض نفسه للنقد ، ويعرض القراء غير الدارسين الى محاكاته فى الكلام والكتابة .

وحين نقول هذا القول لا نقصد به التهوين من شأن الكاتب ، لكنا نشاركه فى الأداء وحسن الانشاء والمحافظة على لغتنا الجميلة والله المعين .

السيد حسن قرون

الرسالة الخالدة

تأليف الأستاذ المرحوم
الدكتور عبد الرحمن عزام باشا

عبد الرحمن عــزام « باشا » أول أمين عام لجامعة الــدول العربية قد لا يعرفه كثير من الجيل المعاصر .

والقليلون الذين يعرفونه . يعرفونه رجلا سياسيا تولى أمانة الجامعة العــربية عقب تكونها فى أعقاب الحرب العالمية الأخيرة ، كما يعرفونه رجلا اشترك فى صنع الأحداث التى رافقت هذا الصراع الذى لاتزال رحاه دائرة فى العالم العربى ، وفى المحافل الدولية حــول « فلسطين » والنزاع الإسرائيلى العربى ولكن قلة من الناس من يعرفون الأستاذ عبد الرحمن عزام : كاتبا ومفكرا إسلاميا .

وأقل من هذا القليل من يعرف أن الرجــل كان من أصحاب السيف ، وأنه من المجاهدين الذين اشتركوا فى معارك الاسلام دفاعا عن حرية شعوبه وأوطانه ، وبخاصة فى « ليبيا » أثناء الغزو الايطالى وأنه وشقيقه المرحــوم الدكتور عبد الوهاب عزام من دعاة الفكــر الاسلامى والوحدة الاسلامية العالمية .

فى الأربعينيات من هذا القرن ظهــر كتاب « الرسالة » الخالدة فى طبعته الأولى عن احدى دور النشر بالقاهرة .

والنسخة التى بين أيدينا هى الطبعــة الرابعة من هذا الكتاب باللغة العربية ، اذ أن هذه الرسالة ترجمت الى لغات عدة وظهــرت منها طبعات : باللغة الأندونسية والأردية ، والفارسية ، والتركية ، وأخيرا ترجم الى اللغة الانجليزية حيث لاقى رواجا كبيرا فى جميع البلدان التى تتحدث بهذه اللغة .

يقول الأستاذ « عبد الرحمن عــزام » فى تعريفه بهذا الكتاب :

هذه الرسالة الخالدة ان كانت من عند الله ـــ كما نعتقد نحن المسلمين ـــ فيكفى أنها من الله لتمتاز على كل دعوة من غير الله ... وان

عـرض وتلخيص
الدكتور عبد الودود شلبي

كانت من (محمد) ﷺ كما يزعم ذلك المنكرون .. فنحن على بينة من أمرنا ندعو الى سبيلها بالحكمة والموعظة الحسنة ندعو المنكرين لينظروا فيها لا كدين ــ بل ــ كنظرية تاريخية أتت بأفكار وشرائع فى السياسة والاجتماع والاقتصاد .

فسيجدونها بصرف النظر عن التدين أسسا صالحة لنظام عالمى وسط بين المذاهب السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى يتطاحن عليها الناس الآن .

وسيجدونها حتى على أنها من البشر أصلح الدعوات وأرشدها وأقربها الى مبادىء العدل والحرية والاخاء والمساواة .

وسيجدون طرائقها كمبادئها وسطا سهلا يلتقى الناس على قبولها بفطرتهم فيصلح بها الحال ، ويستقيم المجتمع ، ويعم السلام بين الأمم وبين الطبقات فى الأمم .

والطبعة الرابعة من هذا الكتاب صدرت عن « دار الشروق فى بيروت » وتقع فى حوالى ٣٤٠ صفحة من القطع الكبير .

ويشتمل الكتاب على مقدمتين :

احداهما : مترجمة عن الطبعة الانجليزية كما يشتمل على سبعة أبواب رئيسية فى أصول الدعوة والاصلاح الاجتماعى والعلاقات الدولية وأسباب الاضطراب العالمى ، وفى البحث عن سند روحى للحضارة ، وفى النظام الاساسى للدولة الاسلامية وأخيرا فى انتشار الدعوة بين الأمم الوثنية والمسيحية والأوربية .

فما هى دعائم هذه الرسالة ؟
وما هو هداها فى الاصلاح الاجتماعى ؟
وما هى سياستها فى العلاقات الدولية ؟
وما هى نظرتها لأسباب الاضطراب العالمى؟
وما هو النظام العالمى الجديد الذى يوافق روحها ؟
وما هو تاريخ انتشارها شرقا وغربا قديما وحديثا ؟

يقول الأستاذ « عبد الرحمن عزام » فى الباب الأول من الكتاب :

ان الايمان بالله بارىء الكون : وحده لاشريك له هو أصل الرسالة المحمدية وحجر الزاوية فى بنائها .

انه الينبوع الذى أفاضه الله فى قلب محمد ــ ﷺ ــ بالهدى والحق والسلام والخير أنه الصدى العميق لذلك الهاتف الذى ناداه من السماء والأرض **(اقرأ باسم ربك الذى خلق)** والدعوة المحمدية بانتصارها على الشرك أزالت العقبة الأولى فى سبيل السمو بالنفس البشرية

ورفعت الحجر عن عقول تحجرت فانطلقت للنظر والتبصر وبدأت آثار ذلك بسرعة حتى كادت الدعوة المحمدية أن تكون فى حد ذاتها معجزة •

فالأعراب الذين وادوا بناتهم ، واعتزوا بسفك الدماء والنهب صاروا الخشع الركع الذين يبتغون فضلا من الله ورضوانا •

والأسرة التى كان يرث فيها الرجل زوجات أبيه صارت الأسرة المطهرة •

والقبيلة التى لاتعرف حقا الا لعصبيتها ولاترى ذمة الا لمن هو منها صار فيها من يرد الجزية والأموال الى نصارى (حمص) لأنه عجز عن حمايتهم •

والسادة والاشراف الذين استعبدوا الناس صاروا يخشون الله ولا يخشون فى الحق لومة لائم •

ومن الجفاة القساة جاء الخليفة الذى ترده امرأة فى مجمع من الناس فيقول : « أصابت امرأة وأخطأ عمر » •

فالمؤمن لا يكون ظالما لأنه يعارض بالظلم صفة من صفات الله وهى العدل ، ولا يكون غليظا قاسيا ، وسيده هو الرحمن الرحيم ، ولا يكون مخادعا ولا منافقا لأن حسابه مع العليم الخبير الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور •

وفى الفصل الذى عقده المؤلف عن « الاسلام والتكافل الاجتماعى » يقرر الفرق بين الاسلام وأكثر الملل الأخرى •

فالاسلام ليس دينا فحسب يكتفى فيه المرء بأداء الشعائر والعبادات ثم يدع بعد ذلك ما لقيصر لقيصر أو لغيره من الناس •

ان الاسلام نظم المعاملات والعلاقات والحقوق والواجبات بين أفراد الأسر وبين أفراد الأمة ، وبين الأمم المختلفة •

فالأمة الاسلامية وحدة موثقة العرى ، متساندة متكافئة متعاونة تدفع ما يتطرق اليها من الفساد •

ان الفرد فى المجتمع الاسلامى جزء من كل يكمله وتكتمل به ، ويعطيه ويأخذ منه ويحميه ويحتمى فيه •

لقد رأيت بعض « قبائل الطوارق » فى شمال أفريقية يحيون حياة هذا التكافل السعيد فليس فيهم من يعيش لنفسه وانما لجماعته ، فأول مالفت نظرى لحالتهم هذه أن رجلا من الفرنسيين نزل بينهم فى « فزان » فجاورهم وعاش يفضلهم ثم خرج يطلب الرزق ويريد أن يرد الجميل ، وترك أسرته فى جوار هذه الجماعة الاسلامية غير أن النحس لازمه فلم يكتسب شيئا ، فجاءنا فى مصرانه يطلب العون منا فأعناه ليعود الى أهله ولكنه رجع الى بعد سنة مرة أخرى فظننت أنه عائد من عند أهله ، فقال لى : لا ، ولكننى الآن استطيع العودة الى أهلى • فقلت له : وكيف ؟ قال : بعد لقائنا الأخير اتجرت بما حصلت عليه

وأصبح الآن فى يدى ما أعود به الى جماعة الطوارق فقلت : الى أولادك أم الى جماعة الطوارق ؟ قال : الى الطوارق أولا فهم أووا أولادى فى غيبتى وأنا سأكفل أولاد من أجده غائبا منهم • وأقسم ما أعطى الله بين أولادى وأولاد جيرانى • فقلت : هل تعيش جماعتكم كلها كما تعيش أنت مع جيرانك ؟ قال : كلنا فى الخير والشر سواء •

وفى الفصل الذى عقده المؤلف عن أسباب الاضطراب العالمى يحصر أسباب هذا الاضطراب فى أربعة أسباب رئيسية •

هى الاستعمار ، وصراع الطبقات ، والتمييز العنصرى ، وهزيمة القوى المعنوية والروحية عند الناس •

واذا كان النزاع بين الطبقات هو حجر الزواية فى هذا القلق والاضطراب فقد أخذت الحكومات والشعوب فى تلمس أسباب العلاج لهذا الصراع فذهبت مذاهب شتى •

فبعضها ذهب الى استئصال طبقة كما حدث فى روسيا •

وبعضها الى استئصال دعاة العالمية والشيوعية كما حدث فى أسبانيا •

وبعضها عول على القهر والاستبداد كما حصل فى ألمانيا وايطاليا — قبل الحرب العالمية الأخيرة •

ومن الصعب جدا فى مثل هذا العرض أن ندخل فى بحث النظام الرأسمالى ماله وما عليه، كما يصعب كذلك متابعة المشكلة الاجتماعية ومتابعة ما فعل الأمريكان والأوروبيون فى هذا الشأن أو ذاك ، وأكثر من كل ذلك صعوبة تقرير ما انتهى عليه الحال بالنسبة للشيوعية التى فقدت بريقها الزائف فى بوتقة التجربة والاختبار •

ولكن الذى لاشك فيه أن النظام فقد مبررات وجوده القائمة على النهب والاستغلال ، والنظام الشيوعى فقد أسباب بقائه على ضوء التجربة والاختبار ، ولقد كان الانسان وقيمه وروحه هو الضحية الوحيدة فى النظام القائم على رأس المال أو الحكم المزور باسم الفلاحين والعمال ••

لقد روى أن رسول الله — ﷺ — دخل على فاطمة وفى يدها سلسلة من ذهب وهى تقول لامرأة عندها هذه أهداها أبو الحسن — تقصد — عليا — فقال — ﷺ — يا فاطمة أيسرك أن يقول الناس : ابنة رسول الله فى يدها سلسلة من نار •

ثم خرج ولم يقعد • فأرسلت فاطمة بالسلسلة فباعتها ، واشترت بثمنها عبدا فأعتقته وحين علم الرسول — ﷺ — بذلك قال : « الحمد لله الذى نجى فاطمة من النار »•

ان لبس السلسلة ليس حراما فى حد ذاته •• والذهب ليس حراما على المرأة كما هو معروف فى الاسلام •• ولكن التحريم هنا يأخذ وجها آخر ، ان الترف والزينة والاغراق فى الكماليات ليس لهذا كله مبرر فى المجتمع الاسلامى حين يوجد فى هذا المجتمع بائس أو مسكين لايجد لقمة العيش •

ترى كم يكون عدد المحرومين فى المجتمع الاسلامى لو طبقت هذه القاعدة البسيطة بساطة الاسلام فى علاج أمور الدين والدنيا ؟.

وفى الفصل الذى عقده المؤلف عن « هزيمة القوى الروحية والمعنوية » فى العالم يتنبأ بأن الحضارة التى تميل احدى كفتيها الى جانب واحد لابد أن تندثر (وتهوى) لقد صارت الأمم صنوفا من الناس متقاطعة وصار البشر مشتتين فى عالم متنكر تبلبلت فيه الأفكار ، واختل فيه العرق البشرى ، وتقاطعت فيه الطبقات والطوائف .

ففى جيل واحد هزمت حياة الروح هزيمة نكراء أمام حياة المادة وأخذت الآلة الصماء تفتك على غير هدى وبغير ضابط من دين أو خلق ، أو شرف ، وأخذنا نزيف آراء ونظريات نعتقد بها يوما ، ثم ندمرها غدا فباسم حرية المرأة ندمر هدوء المنزل وحياة الأسرة وباسم حرية الوطن تمزق الأوطان .

وباسم حرية العمل وحرية رأس المال : سنمحو رأس المال ونستعبد العمال ، وباسم مقاومة الحريات : سنفقد حرية الفرد ، وحرية الجماعة وحرية الرأى ونحن الذين شاهدنا ويلات الحروب العالمية مرتين فى ربع قرن أحق الناس بالتساؤل عن القيمة الحقيقية للمدنية والحضارة التى هذه بعض آثارها .

ان انهزام القوى المعنوية بسيطرة المادة هو انهزام العقل والمروءة والوفاء والفروسية والتقوى والقناعة والرحمة ، واذا انهزم أولئك جميعا حل الجهل والغدر والخيانة والأثرة والرياء والفتك محلها .

والدعوة المحمدية حين وازنت بين مطالب الدنيا ومطالب الآخرة ، وأقامت الشريعة على ميزان من العدل يزن بين حاجات الروح وحاجات البدن انما تفعل ذلك لصالح المجتمع البشرى الذى لن يجد سواها نجاة ولا ملجأ ولا حلا .

وفى الفصل الذى عقده المؤلف عن انتشار الاسلام بهذه السرعة التى انتشر بها فى العالم كله يعزو المؤلف ذلك الى التسامح الذى اشتهر به المسلمون وميزهم عن غيرهم من الأمم فحين فتح المسلمون أسبانيا كان مجمع « طليطلة » الاكليركى السادس قد قرر أن يقسم الملوك عند توليهم الحكم على نفى أو قتل أو سجن كل من يفكر فى مناقشة أوامر الكنيسة وتعاليم الكثلكة .

ويقول « هلفزيخ » ان أوامر وحشية صدرت لتنصير اليهود الموجودين فى أسبانيا أو قتلهم فلما فتح المسلمون أسبانيا تلقاهم اليهود بالترحاب الذى يستحقه المنقذون والمحررون ولم يسمع فى أيام الفتح الاسلامى بأية محاولة للاكراه أو الاضطهاد ، وقد بلغ من أثر هذا التسامح أن الاسبان لم ينقطعوا عن الدخول فى الاسلام حتى بعد سقوط دولته فى الأندلس فقد ذكر « ستزليخ ماكوسويل » بعد سقوط غرناطة ان كثيرا من الناس دخلوا فى الاسلام ثم هاجروا بعد ذلك هربا من النار التى تعرض لها المسلمون فى حملة الابادة الهمجية .

يقول «توماس أرنولد» ان الكنيسة المسيحية قويت وتقدمت فى رعاية المسلمين وحكمهم فلم يحل الحكم الاسلامى بينها وبين الانتعاش والرقى ، بل أن النساطرة لم تدب فيهم الحمية والحماسة الا فى حماية الاسلام •

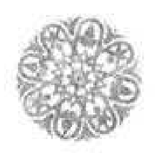
ولقد كانت جميع المذاهب المسيحية تتمتع بالرعاية والتسامح من الحكام المسلمين على حد سواء •

وقد ذكر السير « توماس أرنولد » كيف بلغت الخلافات بين الطوائف المسيحية الى درجة من العداوة والحرب ، ولم يكن يفصل بين هذه الطوائف المتعادية بالعدل الا الحكام المسلمون •

ولقد اعترف كثير من المنصفين بهذه الحقيقة• يقول أحد المؤرخين عند ذكر واقعة « بواتيه» التى قتل فيها عبد الرحمن الغافقى وفازت جيوش « شارل مارتل » على المسلمين قال : لقد تأخرت المدنية والحضارة والتسامح عن أوروبا بسبب هذه الهزيمة عدة قرون •

وبعد :

فهذا الكتاب وثيقة فكرية لعبد الرحمن عزام المجاهد والسياسى ودليل على أن الرجال العظام الذين أنجبتهم هذه الأمة إنما هم الرجال الذين أشربت نفوسهم روح الإيمان والعقيدة وعاشوا حياتهم للحق والخير والفضيلة ، ومضوا ــ كما جاءوا ــ شهبا فى سماء الاسلام والعروبة •



أنباء وآراء

رســـالة من الأزهر الشريف

الـــى

مؤتمر القمـــة الاســـلامى بالكويت

أصحاب الجلالة والفخامة والسمو والمعالى • الملوك والرؤســـاء • والأمـــراء والـــوزراء :

أعضاء مؤتمر القمـــة الاســـلامى ••

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ••

وبعـــد

فإن الأزهر الشريف الذى تعـــاقبت عليه القرون ، وعايش أجيالا من المسلمين فى فترات القوة والضعف ، وشارك الأمة الاســـلامية فى جهادها ضد أعداء الاسلام والمسلمين ، وواجه مع جيوشها الباسلة هجمات التتار والصليبيين فى الأزمات الغابرة ، والمســـتعمرين فى العصر الحديث •• حتى انجلت الغمـــة ، واســـتقلت الأمة ، وملكت أمرها ، وطهرت أرضها ، وصانت شرفها ، متعـــاونة بكافـــة شـــعوبها على البر والتقوى •• يسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم •• يرتفعون فوق الحقـــد ، والعـــداوة ، والبغضاء ، ويتنادون الى نجـــدة المعتدى عليه •• ولا يتناجون بالاثم والعدوان ، ومعصية الله ورسوله ، وتفريق الكلمة ، وتمزيق صفوف المسلمين •

نعم •• لقد عايش الأزهر الشريف الأمـــة الاسلامية •• مستقبلا أبناءها على اختـــلاف ألوانهم وألسنتهم وأعرافهم وعاداتهم فاتحـــا بابـــه ورحـــابه لتعليمهم وتثقيفهم وتزويدهم بعلوم الدين ، ليعـــودوا الى قـــومهم مبشرين وداعين الى الله بالحكمة والموعظة الحســـنة ، ومنذرين بعاقبة الشقاق والاختلاف والنفـــاق والخروج على حكم الله •

وما يزال الأزهـــر الشريف يؤدى الأمانة ، ويرعى العهد مع شعوب المسلمين •• داعيا الى الامتثال لقول المولى جل علاه : « **وَاعْتَصِـمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ**

د. أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ صفوت عبد الجواد

اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا » ..

وقوله سبحانه : « وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ».

وقوله عز من قائل : « وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ » ..

وقوله جل شأنه : « فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » ..

أصحاب الجلالة والفخامة .. والسمو والمعالى : الملوك والرؤساء ، والأمراء .. والوزراء :

ان الأزهر الشريف بما فيه من طلاب العلم الوافدين اليه .. مما يقرب من مائة شعب من شعوب العالم الاسلامى ليضع أمامكم آمال الأمة الاسلامية ، والتى تتمثل فى النزول على حكم الله سبحانه فى وحدة الصف ، وجمع الكلمة ، ونشر المودة والرحمة فيما بينكم امتدادا لغرسها بين شعوبكم ، وارتفاعا فوق الاختلاف ، فقد أحاطت المحن بالأمة حين تقطعت أوصالها ، وتنازع قادتها ، ومكنوا للحروب تندلع بين شعوبهم .

كانت للمسلمين قضية واحدة : هى قضية فلسطين وقدسها الشريف .. فأغرقها أعداؤها فى قضايا ومؤامرات :

فهذه حرب ايران والعراق تدخل عامها السابع .

وهذه لبنان : يتقاتل على أرضها العرب ، وتوقد فيها ومن حولها الفتن .. التى أغفلتهم عن عدوهم ، وصار بأسهم شديدا بينهم ، وقلوبهم شتى .

وهذه افغانستان : مازال العدو جاثما على أرضها .. وبالرغم من عدم تكافؤ القوة بينه وبين المجاهدين المدافعين عن أرضها وكرامتها .. فان هؤلاء المجاهدين مازالوا صامدين ينشدون العون من اخوانهم المسلمين .

قضايا عديدة ، ومحن جسيمة .. ساقها أعداء الاسلام والمسلمين الى أرض الاسلام .. وفتن متلاحقة أوقعوا فيها المسلمين ، ونيران وحروب أوقدوها ، ليسلبوا بها الأموال ، ويقتلوا الأنفس ، ويهلكوا الزرع والثمرات .. والمسلمون يدورون فى فلك هؤلاء أو هؤلاء .. ففقدت الأمة ذاتها وسماتها ، بعد أن أثار الأعداء النزعات العرقية والاقليمية بين حكامها ، فوقعت الحروب ، وتفرقت الصفوف ، وبدت من الأفواه البغضاء ، بعد أن انطوت القلوب على الأحقاد ، وانطفأت منها أو غاضت تلك الاخوة التى قال عنها القرآن : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » .. وقال عنها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ مبينا حقوق هذه الأخوة : « كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه » .

أيها المؤتمر الكريم :

أنتم قادة هذه الأمة وقدوتها .. فتصافحوا ،

وتسامحوا ، واجلسوا للحوار والمداولة واحقنوا الدماء الاسلامية ، واحفظوا الأموال والموارد لخير شعوب هذه الأمة •• أوقفوا هذه الحروب التى تدور بين المسلمين هنا وهناك ، واحذروا دسائس أعداء الأمة ، وخذوا على أيدى الذين لا تعنيهم مصلحة المسلمين ، ولا حماية الاسلام وأرضه ، واعلموا أنكم مسئولون أمام الله وأمام التاريخ عن الأمانة التى حملتموها : أمانة سلامة هذه الأمة وسلامها واسلامها ، ونشر روح المودة والتعاون والأخوة بين شعوبها •

أيها المؤتمر الكريم :

ان تاريخ الأمة الاسلامية يطل على جمعكم ، يذكركم بأخلاق الاسلام ، وشهامة ونجدة المسلمين ، ووقوفهم مع الحق والعدل : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » •• ان أرواح شهداء هذه الأمة فى حروبها المجيدة دفاعا عن الأرض والعرض والدين ، تطل عليكم •• فاسترجعوا ذلك أمامكم لتروا أمجاد الأمة التى انطوت ، وقوتها التى اندحرت ، وعزتها التى انثلمت •• نتيجة هذه الفرقة القاتلة وهذه الحروب المدمرة ، والأعداء بكم متربصون ، ومن حولكم مرابطون ، يوحون الى أوليائهم بما يفسد أخوتكم ومودتكم !!

ان شعوب الأمة الاسلامية ترقب جمعكم ، وتنصت الى مداولاتكم وحواركم ، وهى شاخصة الأبصار والبصائر — وقد وجلت منها القلوب على مصيرها وسط هذا العالم الذى وقف متفرجا على ما أنتم عليه من فرقة وقتال — تنتظر منكم أن تتجاوزوا البيانات الرنانة •• والتوصيات المنمقة الى قرارات حاسمة وعملية ، تواجهون بها هذه القضايا المصيرية •

واجهوا حرب الخليج بتسوية توقف نزيف الدم والمال ، حتى لا يتمادى الأعداء فى اللعب بأقدار الأمة ومقدراتها ونهب خيراتها •• ردوا كيد الأعداء ، واتخذوا من امكاناتكم ما توقفون به هذه الحروب التى ان امتدت أشتدت وأتت على القريب والبعيد •

واجهوا مشكلة القدس والمسجد الأقصى ، ومشكلة فلسطين بحزم وعزم •• حماية لهؤلاء المعذبين فى الأرض ، وعملا من أجل استرداد قدسكم الشريف ، وايقاف عدوكم عن الولوغ فى دمكم وعرضكم فى فلسطين ولبنان •

واجهوا قضية افغانستان ، وقولوها صريحة واضحة : أنكم مع المجاهدين تؤيدونهم ، وتمدونهم بالعون ، لأنهم أصحاب الحق فى الدفاع عن أرضهم وعرضهم وتقرير مصير بلادهم •

حاصروا المعوقين لوحدة الكلمة •• المفرقين للصفوف •• المثيرين للخلاف والاختلاف ، واحصروهم •• بل واذا اقتضى الأمر — فانبذوهم ، وأجمعوا أمركم ، لتكونوا صفا متماسكا كالبنيان المرصوص •• يدافع عن أمته ، وعن الاسلام •• بل ويعمل على نشره •• فان فيه عزتكم ، وبه قوتكم : « **إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** » •

ان الأزهر الشريف ليدعو شعوب الأمة الاسلامية قاطبة أن تتوجه الى الله العلى القدير ، ليشرح صدور رجال هذا المؤتمر ، ويشد من أزرهم ، ويوفقهم لما فيه خير أمتهم ، ويجلو أبصارهم وبصائرهم حتى يضعوا نصب أعينهم ما آلت اليه الحال ويستشعروا المسئولية وخشية الله ، وحساب التاريخ •

ان الأزهر الشريف ليدعوا المؤتمــر الكريم الى افتتاح أعماله بصلاة جامعة ٠٠ يقف فيها الحاضرون صفا واحدا ٠٠ يفتتحون صــلاتهم بنداء : الله أكبر ٠٠ اذ هى مفتاح نصر المسلمين على أنفسهم وعلى أعدائهم ، وعندئذ : سيكون الله معكم بالنصر والتأييد ولن يتركم أعمالكم ٠٠ واعلموا ان النصر مع الصبر ٠٠ وأن الفرج مع الشدة ٠٠ وان مع العسر يسرا ٠٠ فاصبروا وصــابروا ، ورابطــوا ، واتقــوا الله لعكم تفلحــون ٠

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

شيخ الأزهر
(جاد الحق على جاد الحق)

٢٤ من جمادى الأولى ١٤٠٧ هـ ٠
٢١ من يناير ١٩٨٧ م ٠

مصر الأزهر حصن الاسلام ومنارته ٠٠

قال الرئيس محمد حسنى مبارك فى مؤتمــر القمة الاسلامى بالكويت : « ان دعوة الاسلام كانت وســتظل ترفض الحــدود والحواجــز وتتجاوز اللون والعرق ٠٠ وأمة الاســـلام التى جمعتها كلمة التوحيد لا تتحزب الا للــه ورسوله ٠ كما أن حقوق المسلمين وقضاياهم فى كل مكان يجب أن تكون فى مقدمة اهتماماتنا ومشاغلنا ٠ وهذا هو جوهر مفهوم التضامن الاسلامى وتعبيره المجسد على أرض الواقع ٠

وأن الأزهــر الشريف الذى هو حصــــن الاسلام ومنارة حضارته ليفتح قلبــه وعقله للمسلمين من كل صوب حتى تعود للاســلام الصحوة وتتبدد عن أبنائه الغفوة وترجــع الى العالم الاسلامى عزته وقوته ٠

ومصر المسلمة بلد الأزهر تتطلع الى قضايا المسلمين وحقوقهم ومشــاكلهم بنفس الروح وبنفس القوة التى تتمسك بها العروة الوثقى التى تربط بين أبنــاء الأمة الاســـلامية فى كل مكان ٠

المهدي يبحث مع شيخ الأزهر سبل نشر الإسلام والعمل على جمع الكلمة وتوحيد الصف

قام السيد الصادق المهدي رئيس وزراء السودان مؤخراً بزيارة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتبه عقب أداء صلاة الجمعة بالجامع الأزهر الشريف وقد دار الحديث بينهما حول واقع العالم الإسلامي الآن والمهام التي قام ويقوم بها الأزهر الشريف في سبيل نشر الإسلام وتصحيح مفاهيمه لدى الناس جميعاً والعمل على جمع الكلمة وتوحيد الصف بين الدول العربية والإسلامية .

وتناول الحديث تدعيم أوجه التعاون بين الأزهر والسودان في المجال التعليمي والثقافي حيث أوضح رئيس وزراء السودان أن السودان في سبيله إلى إعادة صياغة مناهج التعليم في جميع مراحله لتشمل آداب الإسلام وأخلاقياته فضلاً عن العناية بالقرآن الكريم والسنة النبوية باعتبارهما أصل الإسلام .

كما دار الحديث حول ضرورة التنسيق بين المناهج التعليمية في جميع الدول الإسلامية حتى تعود للأمة وحدتها الثقافية وسماتها الاسلامية .

وأمام فضيلة رئيس المحاكم الشرعية بجدة قام خمسة أشخاص من الفلبين باشهار اسلامهم ٠

وفى باريس قام أربعة عشر رجلا وامرأة باشهار اسلامهم على يد البرفيسور محمد حميد الله ٠

ترميم المخطوطات الاسلامية

قررت اللجنة الدولية للحفاظ على التراث الحضارى الاسلامى فى ختام اجتماعها الثالث الذى عقد مؤخرا بالرياض ٠ انشاء مركز اسلامى لترميم المخطوطات الاسلامية فى مدينة صنعاء حيث توجد مخطوطات قديمة ترجع الى القرنين الهجريين الأول والثانى ٠ وذلك فى اطار اهتمام اللجنة بالمحافظة على التراث الاسلامى ٠

لماذا القمع فى « جمهورية طاجستان » المسلمة وحدها

ذكرت وكالة تاس السوفيتية : أن السلطات السوفيتية ستتخذ اجراءات قمعية للحد من معدل زيادة المواليد فى جمهورية طاجستان المسلمة ٠

الغريب أن نفس السلطات تقوم بتشجيع زيادة النسل فى شبه حملة فى غير ذلك من الجمهوريات ٠

فماذا يعنى هذا القمع الذى يلتقى فى هدفه بما تقوم به السلطات ذات اللون نفسه بكل من ألبانيا وبلغاريا وان اختلفت الضروب ٠

مجلس محلى القاهرة يدرس مخاطر انتشار الخمور

صرح رئيس اللجنة الدينية بالمجلس الشعبى المحلى لمحافظة القاهرة بأن اللجنة تقوم حاليا باعداد دراسة عن انتشار تداول الخمور وأضرارها على المجتمع تمهيدا لعرضها على أعضاء المجلس لاصدار توصية جماعية بوقف اعطاء تراخيص جديدة لمحلات بيع الخمور بالقاهرة وعدم تجديد تراخيص المحلات الحالية عند انتهاء مدة العمل بها ٠

نشاط مجمع البحوث الاسلامية ٠٠

أكد الدكتور عبد الفتاح بركة الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية : أن المجمع لا يترك قضية اسلامية معروضة دون بحث وابداء وجهة النظر الشرعية فيها ٠٠ وقال : ان لجان المجمع تتصدى لشتى التساؤلات التى تطرح على ساحة العمل العام سواء فى مسائل الفقه والتفسير والحديث والقضايا الفكرية والتراثية والمصنفات الفنية ٠

وقد سبق أن أوضح المجلس وجهة النظر الشرعية فى المذاهب المنحرفة مثل الماسونية والبهائية ٠

اقبال متزايد على الاسلام ٠٠

يشهد العالم الآن اقبالا شديدا على اعتناق الاسلام من كافة الأوساط ففى الخرطوم قام حوالى ثلاثمائة من جنوب السودان باشهار اسلامهم ٠

وفى أبو ظبى أن حوالى مائتى شخص قد اعتنقوا الاسلام منذ بداية هذا العام

وفى بيروت أعلنت الاذاعة الناطقة باسم

حركة أمل أن صحفيا ومصورا فى بعثة تليفزيونية يوغسلافيه قد أشهر اسلامهما

اتحاد الهيئات الدينية يطلب :
تيسير اجراءات الحج للجمعيات
حل مشاكل الإقامة والنقل
في وقت مبكر .

طالب الاتحاد النوعي لهيئات الخدمات الدينية بتيسير إجراءات الحج للجمعيات الدينية التي يبلغ عددها الف جمعية على مستوى الجمهورية وسفر بعثة وزارة الشئون الاجتماعية إلى الأراضي المقدسة في وقت مبكر لحل مشاكل الإقامة والنقل في مكة والمدينة .

وكان الاتحاد قد عقد اجتماعه ـ مؤخراً ـ لمناقشة الصعوبات التي واجهت جمعيات الحج خلال الموسم الماضي . واكد على ضرورة أن يكون الإشراف الكامل لوزارة الشئون الاجتماعية .

« الصحابيات ودورهن في الاسلام »
موضوع دراسة جامعية جديدة

من خلال دراسة جامعية في التاريخ الإسلامي موضوعها الصحابيات ودورهن في بناء الأمة الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد أثبتت الباحثة سامية عبد العزيز منيسى . أن عددهن يبلغ نحو ١٣٨٦ صحابية .

هذه الدراسة أشرف عليها الدكتور حسين مؤنس أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة القاهرة وعضوية كل من الدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر السابق والدكتور عصام الدين عبد الرءوف أستاذ التاريخ الإسلامي بأداب القاهرة والتي حصلت بها الباحثة على درجة الماجستير بامتياز .

تناولت هذه الدراسة « أمهات المؤمنين والصحابيات القرشيات والأنصاريات وغيرهن » .

وفي تقسيمها للأدوار البارزة التي قمن بها اكدت على أن مجموع هذه الأدوار نحو ثمانمائة دور ما بين هجرة إلى الحبشة والمدينة المنورة إلى جهاد في سبيل الله في الغزوات وفي سبيل العلم ورواية الحديث الشريف إلى غير ذلك من مختلف انواع الجهاد .

ومن هذه الأدوار كان تركيز الدراسة على ما قامت به أمهات المؤمنين من زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم سواء من القرشيات أو غير القرشيات وفي مقدمتهن السيدة خديجة والسيدة عائشة رضى الله عنهن جميعاً وكذلك ذكرت الباحثة الأدوار البارزة للمهاجرات من أمثال السيدة ام كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وهي من أوائل المهاجرات إلى المدينة المنورة ، وليلى بنت ابي خثمة التي هاجرت إلى الحبشة مرتين ثم هاجرت إلى المدينة المنورة بعد ذلك .

١٢ مليون نسخة من مصحف المدينة المنورة سنوياً

٣٠٠ من علماء الأزهر يتم اختيارهم للسفر إلى السعودية للعمل في مراجعة المصحف الشريف بمطابع المصحف بالمدينة المنورة سيشارك هؤلاء العلماء بالعين المجردة مع أجهزة العقل الالكتروني والكمبيوتر في عمليات التصحيح والمراجعة قبل الطبع .

ستقوم هذه المطابع بطبع ١٢ مليون نسخة سنوياً من المصحف الشريف حسب الرسم

أنباء وآراء

العثماني وتوزيعها بالمجان في مختلف دول العالم .

المؤتمر العالمي للتربية الاسلامية ينعقد بالقاهرة

المؤتمر العالمي الخامس للتربية الإسلامية ينعقد بالقاهرة يوم ٨ مارس ولمدة ستة ايام ـ بإذن الله ـ

تنظم المؤتمر جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة مع رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة يحضر المؤتمر حوالي مائتين من علماء العالم الإسلامي

صرح بهذا جمال خشبة الأمين العام لجمعيات الشبان المسلمين .

القارة القطبية الجنوبية "بقية"

شبه جزيرة بالمر ، على جزء من شجرة صنوبر متحجرة . وبعد ذلك بسنوات ، كشف عن مجموعة أخرى من الأدلة ، تمثلت فى كتلة متحجرة أخرى من شجرة صنوبر ، وعروق من الفحم تمتد على نطاق واسع ، مما أثبت أن قلب القارة الذى تغطيه الآن طبقات كثيفة من الجليد ، كان فى فترة من فترات العصرين « الفحمى » و « البرمى » تغطيه الغابات . كما كشف فى « جبل فلورا » ، عند طرف شبه جزيرة بالمر عن مالا يقل عن ٦١ نوعا من نباتات « العصر الجوراسى » .

وجبل فلورا اليوم عبارة عن صخور جرداء . وقد وجد فى صخوره آثار مطبوعة ، لأوراق وغصون أشجار الصنوبر ، مما يدل بوضوح على أنه كانت هناك غابات مزدهرة تعج بالأشجار . كما درست حلقات كتل الخشب المتحجرة، فدلت على وجود مناخ كانت له فصول متميزة من الحر والبرد . غير أنه لم توجد أى آثار لحيوانات برية حقيقية ، باستثناء آثار تدل على خمسة أنواع من طائر البطريق الذى ينتمى الى عصر ما قبل التاريخ . ولعل هذه القارة لم تسكنها قط حيوانات من ذوات الأربع .

ويعتقد بعض العلماء ، أنه لولا عصور الجليد التى سادت العصرين الفحمى والبرمى ، لسيطرت على العالم حشرات هائلة . وأن البرودة التى سادت العالم فى العصرين الطباشيرى والأيوسينى ، كانت أيضا سببا فى هلاك حشود الزواحف الضخمة ، التى كانت تهيم على وجه الأرض ، وذلك تمهيدا لظهور الثدييات .

على أن أى تغيير يطرأ على مناخ القارة نحو الدفء ، حتى ولو كان طفيفا ، كفيل بأن يجعل سواحلها أكثر ترحيبا بالرواد والمغامرين، وثرواتها الخفية أقرب منالا لخير العالم أجمع .

ماهر الشيمى



للأستاذ عبد الفتاح السيد عبد السلام

القرآن وشريط الكاسيت

كانت الاذاعات العربية ذات رقابة جيدة تلحظ ما يجب أن يذيعه قارئو الكتاب العزيز فهى تختار الصفوة الفاضلة من كرام القراء ذوى الأداء الجيد ، والتقوى الخاشعة ، ولا تسمح لغير الاصلاء أن تنتشر أصواتهم عن طريقها ، وكانت آمال القارئين من المتطلعين تنحصر فى اقتحام الاذاعة لتكون شهادة حسنة لهم أمام الناس ، فهم يبذلون الجهد الجاهد فى التجويد والتحسين واتقان التلاوة وأحكام الوقوف ، لينالوا قبول لجان الاستماع ! وهكذا وجد العاصم المانع من تسلل ذوى القيم الهابطة ، والتهريج الوصولى ممن لا يرجون لله وقارا .

أما بعدانتشار «شرائط الكاسيت»فقدوجدت مشكلة حقيقية تتطلب العلاج السريع ، لأن نفرا من ذوى المراهقة الطائشة مهما ارتفعت أسنانهم الى مرتبة الكهول قد دفعوا شركات الكاسيت الى تسجيل قراءاتهم البغيضة التى تخرج خروجا حادا على القواعد المتبوعة ، والتى تشعر السامع برعونة القارىء واستخفافه بما يزاول ، وتلك حال لا يجوز السكوت عليها .

قراءات شاذة

كنت أسير فى ميدان عام فسمعت شريطا أثيما يتلو قارئه قول الله « وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ » وجعل القارىء يعيد كلمة « هيت » بشتى قراءات شاذة لايعرفها العلماء حتى بلغت ألفاظها عشر كلمات . على نحو « هينت » ، و « هاأت » ، و « هيهت » ، وكل ذلك باستخفاف لايعقل أن يصدر من قارىء لكتاب الله ، ويزيد الأسف اشتعالا فى النفس حين تسمع صيحات الاعجاب من السامعين.

ترتفع الى مستوى بعيد ، وهم فى الأكثر الأغلب طبقة من الأميين لا يدركون حرمة القرآن • ولا يعرفون أداب الاستماع ، ولكن الأصوات ترتفع ، والقارىء يبدىء ويعيد ، وكأنه فى سامر تهريجى تدوى به الطبول والرقصات ، وقد أخذنى الضيق الكارب فاتجهت الى مصدر الصوت ، فعامت أن شريطا خبيثا يدور فى دكان لبائع السجائر ! وقلت له فى غضب ان هذا منكر ، فأجاب : ان القارىء مشهور لدى بائعى الكاسيت وأن أصواته قد سجلت فى شرائط كثيرة يحتفظ بها ، وتناول اعجاب السامعين ، ولم أر بدا من أن اتصل بالمسئولين فى الازهر ! بعد أن وزعت الشرائط فى البلاد العربية جميعها !•

الجمهور يستنكر

ومما أشكر الله عليه أن أصدرت محكمة أمن الدولة بالاسكندرية كما جاء بالجرائد المصرية يوم ١٩٨٦/٣/١ م قرارا بضبط اثنين من القراء ، ذكرت الجريدة اسميهما ، كما أمرت باحضار ثلاثة من أصحاب الشرائط وقد ضبطت الأشرطة وصودرت وقرر الأزهر منع المستهترين من التلاوة وتحريمها عليهم وتقديمهم للمحاكمة ، ولكن المسألة ليست خاصة بمصر ، لأن أصحاب الشركات قد بعثوا بانتاجهم الى البلاد الاسلامية ، وقد يوجد من يظن التلاوة الماجنة مباحة ، وخاصة فى الدول التى لاتنطق بالعربية واذن فمتابعة هذا الاسفاف ومصادرته واجب اسلامى فى كل مكان ! واذا جاز لنفر من المطربين والمطربات أن يستخفوا بالقيم فيذيعوا الأغنيات الخليعة ، فكيف يجوز لقارىء مراهق أن يتخذ من آيات الكتاب مجالا لعبث البغيض •

مصدر خطر كبير

وأنت تتابع بعض هؤلاء فتجد الالتزام المانع قد غاب عن مشاعرهم • فهم يحاولون استهواء العامة بما يقترفون • مهما انحدروا الى أسوا المستويات ، تجد الواحد منهم لايتلو الآيات مرتبة على نسقها المعهود ، كما دونت فى كتاب الله ، ولكنه ينتقل فى القراءة الواحدة من سورة الى سورة وفق مايستحسن صوته من الآيات ، لا وفق ما يطرد به السياق الحكيم من اتساق ، فقد يقرأ أحدهم ـ كما سمعت كثيرا ـ جزءا من سورة « البقرة » • ثم ينتقل فجأة الى الآيتين الأخيرتين من سورة « القمر » (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ • فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ) ويعلو صوته حين يصل السورة بالآيات الأولى من سورة « الرحمن » • وما يكاد يقرأ بعض السطور حتى ينتقل الى سورة « الزلزلة » فى الجزء الأخير من كتاب الله وكل ذلك فى مجلس واحد • والسامعون مبتهجون ، وأصوات الاستعادة تعلو ! وقد علمت أن القارىء يختار له بطانة خاصة تتبعه فى كل مكان ، لتعلو أصواتها بصيحات الاستحسان واذا كان البلاء محصورا من قبل فى أضيق نطاق ، فان التسجيل الصوتى لهذا العبث • وانتشاره عن طريق الكاسيت فى كل مكان أصبح مصدر خطر كبير :

للتعليم فقط

ان الذين يجمعون عدة قراءات فى مجلس واحد ، مثل هذا الذى أخذ يردد آية يوسف . يجهلون أن العلماء من قدامى ومحدثين قد حرموا الجمع بين القراءات فى مجلس واحد ، الا اذا أريد بذلك الجمع تعليم القراءات نفسها فى مجلس علمى لا التلاوة بمجموعها فى وقت واحد ، كما اشترطوا حين يجمع قارىء بين قراءتين أن يوجد من العلماء من يعرف القراءات المختلفة ليصحح له مايقع فيه من خطأ ، على أن يكون ذلك فى مجلس التلقى والتدريس وحده ، أما القارىء العام فيلتزم باختيار قراءة واحدة يتبعها ، وكان على القارىء ان يعرف ذلك ، ولكن الذين ينحدرون الى المستوى التهريجى جهلة رزقوا الصوت الحسن ، ولم يرزقوا حرارة الايمان . ولا هيبة الخشوع .

أحاسيس القارىء المؤمن

أما الذين ينتقلون من سورة الى سورة دون موجب ارشادى ، فقد نسوا أن الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله . ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ومن يضلل الله فما له من هاد فالخشوع ، والهيبة والرهبة أحاسيس يستشعرها القارىء المؤمن والسامع المعتبر ، وقد كان من السلف الصالح من يصفر وجهه هيبة عند تلاوة القرآن ! فكيف ينسى هؤلاء رهبة الموقف وجلاله . ويندفعون فى تصاريح منكر ، يسقط ايمانهم ، وينخفض بمنازلهم الى مستوى الرعاع والقرآن هو القرآن والأمة هى الأمة .

أفيليق بشركة تجارية تبتغى الكسب العاجل أن تاثم باذاعة العبث بالتلاوة ! ثم أيليق بمن يحفظ كتاب الله أن ينمى جلال الذكر وهيبة الموقف فيندفع الى سخف عابث لايعرف منتهاه !

الشيخ/اسماعيل صادق العدوى

** وكان خلقه القرآن

جاء فى الصحيح أن السيدة عائشة رضى الله عنها سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : كان خلقه القرآن وبهذا نعلم أن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق يسع الحياة كلها والناس أجمعين ، فهو خلق لايوصف الا بوصف الله له ، « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » .

ففى آيات الله نجد رسول الله وفى رسول الله نجد آيات الله فقد أقسم الحق تبارك وتعالى بالقرآن من أجله ، فهو جواب لقسم الله الأعظم « يس.وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ.عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ » .

فما نزل عليه كان نزله ومنزلته ، وكان قدره وشرفه ومكانته فى الحياة ، يتجلى فيه

من خير ما كتب

نور الله عقيدة طاهرة وسلوكا سويا وقولا صادقا ، وفعلا أمينا . ورحمة عادلة وهدى ونورا يسعى بين أيديهم وبايمانهم ، فهو قرآن يمشى على الأرض ، واسلام يمضى قدما « دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا » .

وكم نتدبر كيف حمد الله نفسه على اختيار عبد لا عوج فيه وكتاب لا عوج فيه « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا.قَيِّمًا » .

محمد المثل الأعلى

فهو صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى بالقرآن وهو القدوة الحسنة بالقرآن فهو صلى الله عليه وسلم والقرآن — الاسلام الذى أكمله الله وأتمه ورضيه دينا للعالمين ، « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » فهو صلوات الله وسلامه عليه الجامع للكمال البشرى كله خلقا وخلقا والنبى الأمى الذى فتح الله به القلوب وأنار به العقول وقوم به السلوك وأرسى بأخلاقه القرآنية قواعد الاسلام عميقة راسخة فى نفوس الأمة فكانوا مرآة صافية ودعوة صادقة وأثرا باقيا فى تكوين المجتمع الاسلامى .

ومن هنا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قرآنا وأخلاقا ، الحركة الدائبة والطاقة القوية فى بث الاسلام فى مشارق الأرض ومغاربها مبدأ قويما ، ورسالة طاهرة ، ودينا كاملا ، فانطلق الاسلام الى الحياة بميزان الرسالة والرسول فرسخ فى قلوب المؤمنين فأصبحوا حقيقة اسلامية تظهر للعالم ماهى عليه من حب وكره حيث امتزجت القلوب والأرواح برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينوا — مايحبون ومايكرهون فهم يحبون ما يحب الله ورسوله ويكرهون مايكره الله ورسوله وجاء ذلك فى سورة الحجرات علما للناس « وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ . فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » .

فخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن أى يحب ما أحبه الله ويكره مايكره الله وخلق المؤمنين ، يحبون مايحب الله ورسوله ، ويكرهون مايكره الله ورسوله — ولا ثالث للحب والكره .

الدكتور/حامى محمد القاعود

مؤتمر الرافعى .. وهذا الهجوم الظالم الشرس ..

كان انعقاد مؤتمر الرافعى الأول للدراسات الأدبية بمدينة طنطا فى المدة من ٨٦/١٢/٣١ الى ١٩٨٧/١/١ ، نقطة مضيئة فى حياتنا الثقافية التى يعمرها الخواء والاغراب والضحالة وقد قدمت فى المؤتمر بحوث أكاديمية وأدبية غطت جوانب عديدة فى حياة الرافعى وأدبه فضلا عن بعض النشاطات والجوانب الأدبية المختلفة .

والأسف فأن هذا المؤتمر تعرض لحملة ظالمة وشرسة من بعض التيارات الأدبية وهذه الحملة لا مبرر لها على الاطلاق اللهم الا التشهير بالرافعى وما يمثله من اتجاه نحو الاعتماد على العقيدة الاسلامية ، والهجوم على الأساتذة الذين شاركوا بأبحاثهم فى المؤتمر « سلفيون » « ورجعيون » ومتخلفون فكريا كما يرى المهاجمون !

ولا أدرى سببا يدفع هؤلاء المهاجمين الى تلك الشراسة الظالمة أو ذلك الظلم الشرس الذى امتد على الصفحات القومية والحزبية معا يغذيه الغل والحقد وضعف النفس ٠

وقد كان المأمول أن يتحدث هؤلاء المهاجمون ــ الذين يصبغون أنفسهم بصبغات التقدمية والعقلانية والعلمانية والاستنارة ــ عن المؤتمر كفكرة وموضوع وظاهرة تحدث لأول مرة فى عاصمة اقليمية وعن الذين كرمهم المؤتمر ودورهم الفكرى والأدبى كالأستاذ « العلامة : محمود شاكر » والمرحوم الدكتور « سعد شلبى » رئيس المؤتمر الذى توفى قبل انعقاد المؤتمر بثلاثة أيام بعد أن بذل جهدا مشكورا يثيبه الله عليه ، لاقامة المؤتمر والاعداد له ، والشاعر الشاب « عبد الله السيد شرف » الذى يواجه المحنة بشجاعة وثبات يحسد عليهما ، ومع ذلك يقدم شعرا وأدبا أفضل كثيرا مما يقدمه أصحاب الأصوات العالية والأقلام المهاجمة ٠

وكان من المأمول أن يبحث المهاجمون قبل هجومهم فى الأبحاث التى قدمت للمؤتمر ويناقشوها مناقشة تتكافأ مع الجهد المبذول فيها على الأقل بدلا من ذلك الاصرار الببغاوى على ترديد حكاية المرأة التى تقعد فى البيت « السفود أو الخازوق » أو « الفكر السلفى » أو « تكفير طه حسين ولطفى السيد » أو وصف أساتذة الجامعة بالجمود الفكرى والوقوف ضد الاستنارة والعقلانية والعلمانية ٠٠

ان أبحاث المؤتمر قام بها أساتذة تشهد لهم الأمة ممثلة فى صفوة علمائها بقدرتهم على البحث والفهم والاستنتاج الصحيح ٠ ولا يعيبهم اطلاقا أن يكونوا مسلمين وليسوا يساريين تقدميين علمانيين عقلانيين مستنيرين ، ولا يضيرهم أن يتطاول عليهم بعض محترفى الاثارة فقد سمح هؤلاء الأساتذة لأولئك المتطاولين أن يجلسوا على منصة المؤتمر (بالرغم من «الجليطة» التى مارسوها وصدرت عنهم) وليس هذا فحسب ، بل سمحوا لهم أيضا أن يدلوا بآرائهم الغريبة والتى يقول بعضها أن الكتب المقدسة ومن بينها القرآن الكريم مستمدة من الأساطير (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا) !٠

لقد كان الرافعى ــ مهما اختلفت الآراء حوله ــ قمة من قمم الفكر الاسلامى فى العصر الحديث ، وكان الأجدر بنا ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين ، أن نترفع عن المبارزة التى أثبتت عقمها ، وعن الارهاب الذى أثبت فشله ، واعتقد أن التطاول لن يصنع من صاحبه أديبا كبيرا أو مفكرا عظيما يصل الى ساق « الرافعى » فضلا عن قامته، وأعتقد كذلك أن أسلوب التشهير والابتزاز لن

من خير ما كتب

يخيف أحدا من أساتذة الجامعة الذين يعرفون كيف يفكرون ويبحثون ويكتبون • والمسألة تختلف بالطبع عن تلك التى تصدر عن البعض فى الصحف أو دور النشر ، وتؤتى ثمارهـا ، ففى محراب العلم ـ مهما كانت الظروف ـ يصبح الدليل أو البرهان هو سيد الموقف ••

وآمل أن يثق المهاجمون فى أن مؤتمر الرافعى الأول ، والمؤتمرات القادمة ان شاء الله ، ان تكون يسارية ولا تقدمية حتى لو سودوا صفحات العالم لمهاجمته وارهاب القائمين عليه ••

وعلى كل ، فهذه الحملة الضارية على مؤتمر الرافعى قدمت لنا فائدة كبيرة ، وهى أننا عرفنا أن معظم محررى الصفحات الأدبية تقدميون حتى النخاع ، سواء فى الصحف القومية أو الصحف الحزبية ، وللأسف فاننا نرفض هذه التقدمية لأننا نؤمن بتقدمية أخرى تقوم على الدين والأخلاق والعفة فى القول والسلوك ••

لأستاذ / عبد اللطيف فايد ••

خواطر اسلامية ••

الاقتصاد البسيط ••

عندما تتجمع المشكلات وتكثر ويتعسر حلها يبحث الناس عن المخارج منها فى شريعة الاسلام ، وهذا أمر طبيعى ، لأن البحث يأتى ايمان بأن الشريعة هى الأم الحنون للمجتمع تداوى أمراضه ، وترأب أصداعه ، وترسم له الطريق الى العصمة من الخطأ والذلل ، ذلك لأنها من عند الله،والله خالق الكون وهو الخبير بما يصلحه ، وقد جعل فيه من الظواهر الكونية ، مالا يختلف فيه كافر ومؤمن ، لكن هناك ما يختلف فيه مؤمن ومؤمن وهو ما يتعلق بسلوك الناس ومعاملاتهم ، ولذلك جاءت الشريعة من عند الله تصنع حدودا للسلوك والمعاملات يتحرك البشر داخلها ولا يخرجون عنها حتى تستمر حياتهم فى امن من أى شرود بها هنا أو هناك •

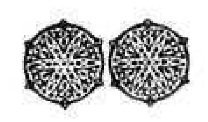
لكن فترات الضعف التى طرأت مجتمعات المسلمين نتيجة التفريط فى تعاليم الشريعة أدخلت الى حياتهم أنماطا من السلوك غريبة عليهم ، واشتد بهم الضعف فقبلوها ، واعتراهم الوهن فحسبوها قوام حياتهم ، اذا تركوها ماتوا وتصوروا من شدة ما بهم أن الشريعة لن تحل مشكلات طرأت فى حياتهم من هذا السلوك الغريب ، لأنهم يشاهدون أن الدنيا كلها تسير بمقتضاه ، وتحرز فى ظله تقدما ماديا فى الزراعة والصناعة والتجارة ووسائل المواصلات والاتصالات ، ولم يعبأوا بما أفرزه ذلك من تدمير للعلاقات الانسانية تجاوزت الغرباء الى الأقرباء ودخلت الى نطاق الأسرة الواحدة فباعدت بين الابن وأبيه وأمه ، وبين الأخ وأخيه ، حتى بات كل انسان يقول : نفسى نفسى • وهذا الشعور بالأنانية المفرطة سيؤدى حتما الى انهيار التقدم المادى ، لنا أن نشهد

أكثر المجتمعات تقدما فى الوسائل المادية عاجزة تماما عن حل مشكلاتها النفسية •

أما التقدم المادى فى ظل الحب والاخاء فهو الذى يستمر ويرتفع بالحياة الى مدارج الرقى لأنه يقوم على رعاية علاقات انسانية بين الأقرباء بعضهم مع بعض وبينهم وبين الغرباء• ولقد حرصت الشريعة وهى ترسم خطوط هذه العلاقات وقوانينها أن يسود ذلك علاقة المؤمن بأخيه الانسان من أى دين وأية ملة ، ولم نجد حكما لأكثرية على أقلية يقول «لهم مالنا وعليهم ما علينا » الا فى الاسلام حين يقرر حقوق الآخرين فى مجتمعه ، على العكس من حكم الأغلبية فى مجتمعات غير اسلامية ، فالأقلية فيها مضطهدة معذبة ، أو منبوذة عن مشاركة الأكثرية فى مدارسها ومستشفياتها وألوان طعامها وملابسها وتجمعات مساكنها وغير ذلك من ألوان الزراية والاحتقار •

بعض المجتمعات الاسلامية تعانى من مشكلاتها الاقتصادية ، والحديث عنها يبرز واضحا هذه الأيام ، ويحتل أماكن فى الصحف والمجلات ، وما ارتفعت الأصوات بهذا الحديث الا بعد أن دعا الداعون الى العودة للأخذ بنظام الشريعة فى الاقتصاد فنشأت شركات ومصارف اسلامية تحاول فى بدايتها طريقها أن تستعيد شريعتها فى التنمية واستثمار أموال المسلمين ، سعيا الى سيادة هذه الشريعة على مناحى حياة مجتمعاتها ، وفى البداية ومن طول البعد عن السلوك الشرعى لابد أن تحدث أخطاء ، والتصويب لها مطلوب ومرغوب ، والواجب عند التصويب الا نبعد عن معطيات النصوص فى الكتاب والسنة ، وألا نطلق العنان لتقليد وسائل غير مشروعة باسم الضرورة التى تبيح المحظور ، أو باسم المصلحة التى عندها يكون شرع الله •

بعض الناس يطلبون الفتوى من أولى العلم فى المعاملات المصرفية التى قوامها الربا ، فاذا أفتوهم بحرمة الربا ، قالوا : وماذا نفعل فى استثمار أموالنا يحدث هذا فى غياب الاستثمار الاسلامى الصحيح وهو المضاربة ، وهى المجال الذى يجب أن تدخل اليه الشركات والمصارف الاسلامية ، وتمارسه فى أموال الناس بأمانة وسلوك صحيح ، وتعلن عن قواعدها فيه،ولا شك أن الناس سيرغبون هذا اللون من الاستثمار لأنه اسلامى ، كثير الربح، قليل الغرم ، عميم الفائدة ، يجعل العلاقة الاقتصادية بين الناس علاقة حقوق تعتمد على الحب والاخاء وبهذا نقتل الربا قتلا ، ونبتعد عن العلاقات الاقتصادية المعقدة الى الاقتصاد البسيط فى الاسلام الذى يرتفع عليه هرم التنمية فى الزراعة والصناعة والتجارة ثم تكون الزكاة منه مالا وفيرا يسد حاجة المجتمع من صنوف البر والخدمات ، وان شاء ولى الأمر زيادة للنمو والرقى فله ما يريده •



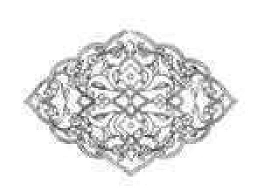
على أن العورة التى أمرنا بسترها هى التى يكون فى دفنها مصلحته أرجح من مصلحة كشفها، أما اذا كان فى كتمانها مفسدة مظنونة أو محققة كمن رأى آخر يسفك دما أو ينتهك عرضا ، أو ينتهب مالا ، ولم يكف الا بكشف أمره ، واظهار جرمه ، فان على من اطلع عليه حينئذ أن يذيع سره ويطلع الحاكم عليه ، حقنا للدماء ، وصونا للأغراض ، وحفظا للأموال ، وتأدبا للمفسدين فى الأرض . وكذلك من بلغه أن فلانا سيرتكب جريمة مفسدة كان حقاً عليه أن يتجسس ويعمل ما فى وسعه للحيلولة بين المجرم وجريمتـه ، فليس المحافظة على هذا المجرم المتستر بأولى من العناية بذلك الوادع الآمن . وليس هـذا مقام الافاضة فى أحكام الشريعة ، وحكمهـا البليغة . وأسرارها الدقيقة .

وأحق الناس بأن نستر عوراتهم أولئك الذين ترحلوا عنا الى ربهم وهو أعلم بهم ، وقد روى عن عائشة ــ رضى الله عنها ــ قالت : قال النبى ﷺ « لاتسبوا الأموات فانهم قد أفضوا الى ماقدموا » .

وروى أبو داود والترمذى عن ابن عمـر ــ رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « اذكـروا محاسـن موتـاكم ، وكفوا عـن مساويهم » .

وبعد ، فهذه حسنة من حسنات الاسلام ، وآثارة من هديه عليه الصلاة والسلام ،فى ستر عورات المؤمنين والمؤمنات « بعضهم أوليـاء بعض » فطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وكف لسانه الا عن خير ، وعلم أن وقته ، وهو رأس ماله ، لايتسع الواجبات ، فضـلا عـن الهنات والمهاترات ، ثم وقف قليلا عند ما قال بعض السلف : أدركنا أقواما لم تكن لهم عيوب فذكروا عيوب الناس ، فذكر الناس لهم عيوبا، وأدركنا أقواما كانت لهم عيوب ، فكفوا عـن عيوب الناس ، فنسيت عيوبهم !

والله المستعان



فهـــرس العـــــدد

بـــاب ، الشعـــــر والشعـــــراء ،

اشراف د . حسن جاد

بـــاب ، اللغة والادب والنقد ،

القســـم الانجليـــزى

or "Ijma" among the jurists.This serves as the "collective opinion" or more subtly as the "informed conscience" of th "Umma" or Islamic community. Since these jurists belong to distinct schools of thought, each emphasizing a different technique or combination of techniques to avoid human misunderstanding of the Word of Allah, consensus requires that the development of Islamic concepts of justice must pass the tests of all of these techniques.

The four great schools of Islamic law, the Hanafi, Maliki, Shafi'i, and Hanbali, succeeded for several centuries in protecting the integrity of the Shariah, so that the Revelation of Allah could serve simultaneously as the expansive motivation and the constraining guide for Islamic civilization during its greatest flowering.

Since law in Islam is designed to educate more than to enforce, actions are not categorized simply as legal and illegal. Rather they are categorized as "fard", meaning expressly commanded as a minimum requirement on on the road to perfection in one's own personal and social life; "masnun", meaning desirable or recommended; "mubah", meaning permissable or morally indifferent; "makruh", meaning reprobated or venial or simply morally doubtful and therefore to be avoided as an obstacle to spiritual advancement and social justice; and "haram", meaning absolutely forbidden and abominable regardless of subjective intent. The standard is perfect submission to the will of Allah in every thought and action.

The operation of this system is designed to prioritize actions and objectives so that the lower or weaker levels of benefits will best perfect the higher or stronger ones but will be sacrificed to the extent that they conflict with them. It is designed to assure that the effects of every action, both immediately at its own level and ultimately at all higher levels, must be considered in deciding right from wrong and in designing the just society. The aim is the holistic harmony of all creation, which it is the task of every person to bring about through his own free-will.

Since most actions will result in a combination of benefits or utilities and harm or disutilities, an analytical system similar to that of modern economics, including probability theory, levels of purpose correspondong to the the higher or spiritual nature of man. Thus, was provided a rigorous analytical base for traditional scholars in the modern world to develop further in order to apply the Islamic perspective of Tawhid in the pursuit of social and economic justice for mankind.

person Allah intends you to be. It gives you therefore the freedom of seeking to be your true self, and to escape the artificial prison of a false self created by an uneducated or misguided mind.

Parallel with this worldly path of the Shariah to Allah is the spiritual path. Both of these mutually reinforcing paths in balance, one learns that no-one can be minimally moral, everyone can be moral who has learned to know and love Allah, because such a person will try to be perfect, and this makes virtue easy.

This second characteristic of Tawhid as an integral guidance explains why in Islamic law without love of Allah is a fraudulent utopia. This is why religion, in the basic sense of an awareness of the transcendent, is a necessary corner stone of the just society.

The Third and most striking characteristic of the Islamic perspective on justice is its systematic nature or its conduciveness to rigorous analysis. The perspective of Tawhid, spelled out in the vast body of the Shariah and accompanying interpretation, known as Fiqh, is not only purposive and educational; it is also supremely systematic. Modern systems analysis is just beginning to catch up to the level of sophistication developed by the early giants of Islamic jurisprudence.

As enormous drive for analytical rigor has always marked Islamic jurisprudence or "Fiqh", which means intelligence used in determining the will of Allah. All Islamic jurists have always recognized that independent effort or "Ijtihad" by qualified jurists is needed to apply Revelation to human practice and action. Those trained in "Fiqh", have been conscious that their highest responsibility is always first to guard the purity of Allah's Word revealed directly in the Qur'an and, secondly, to preserve the integrity of interpretation based on the evidentiary authority of the Prophet Muhammad's own personal interpretations and actions, known as Sunna, recorded in the Hadith.

The history of Islamic law is the development of various techniques to carry out this sacred trust. All of them are needed to apply the traditional Islamic perspective in the modern world. The first and most universal guard against the intrusion of subjective and biased human opinion has been the requirement of consensus

us, as well as in our own human history, if we will only use our intellect in humility to understand.

This persepctive of Tawhid is built in the normative body of thought known as the "Shariah". The Shariah or Islamic law is the manifestation of the absolute truth (Haqiqa) in the form of hierarchy of value-oriented purpose, with Tawhid at the top and specific injunctions on right and wrong at the bottom. Each level can be considered as a logical deduction or emanation from the one above it.

This is what makes the Islamic law system the most complete, optimized and unique in human history. This normative or value oriented nature of Islamic law is what distinguishes the Islamic perspective from the Western perspective of pragmatism. The tradition of common law found in English-speaking countries is a collection of precedents accumulated pragmatically to reflect what measures have worked best in human affairs to secure reliability, continuity, and stability. Furthermore, law in this secular paradigm exists only to the extent that it can be enforced, since maintenance of stability is its primary purpose.

Since the world of man is imperfect, but the purpose of man is perfect, law and economics in Islam are fundamentally revolutionary in both intent and practice. The ma; r purpose of Islamic law is to promote justice by helping men redesign both their own lives and the life of their society so that it may more closely reflect the universal norms of justice revealed by Allah.

The Second characteristic of the Islamic perspective of Tawhid is its exhortative nature. The Islamic law is not meant to be enforced as much as to educate and guide the individual in order to make enforcement unnecessary. No person or nation can be law-abiding without the help of Allah; this is a form of submission to Him. You will ask Allah for help only if you know and therefore love Him. All Islamic prayer is designed to promote this purpose.

If you love Allah, you will love the truth that comes from Him. Muslims believe that in practice you can obey the constraints of the law only if you are educated to know the truth behind it and have learned to love Allah as the source of this truth. When you are so motivated, the law does not constrain but only guides you to be the

PERSPECTIVES OF ISLAMIC SHARIAH

By :
Dr. Robert D.Crane

The traditional perspective of Islam is known as Tawhid. Tawhid, which means "Oneness", may be defined ontologically as the unitary harmony of everything that comes from Allah. It may be defined epistemologically as the principle that all knowledge is merely a derivative and an affirmation of this unitary harmony.

This perspective is based on a distinction between cause and effect. The ultimate cause of everything and therefore the only absolute reality is Allah. In Islamic thought, the phenomena and forces we observe, including ourselves, are indeed real, but their reality is derivative from Allah. They have no meaning except with reference to the purpose of their creation.

In Islam, everything is a sign (an Ayah) of Allah, created to manifest the purpose and perfection of His will for the instruction of mankind. The freedom for diversity inherent in Allah's design for the universe reflects the uniqueness ordained for each individual person. Equality of man, not in the sense of a God-given dignity but in the sense of uniformity and a desired conformity to sameness, is a man made illusion. This destroys personal dignity and developed into a false god for many Marxist and neo-Marxist intellectuals.

The Islamic perspective of Tawhid has three characteristics. First, it is a purposive and value-centered approach to the universe, based on the thorough teachings throughout the Qur'an, that all purpose comes from Allah and that man's intellectual nature is a marvelous work of art designed to discover this. These purposes and derivative values are all explained in a hundred ways in the Qu'ran, and also in the world around

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) stood mounted on his camel in the valley making the kaabah (in Macca) on his left, and Mina on his right, and faced the Aqabah while mounted. He stoned the Aqabah with seven stones, one after the other, at each time saying "Allahu Akbar";this was after sunrise. As he left the place, he said "Take after me the formalities of your practice; for I know not if ever I shall meet with you in this place after this year".

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) returned to Mina and there he delivered a sermon to the multitudes of pilgrims of that day of sacrifice. He indicated the sacredness of the precinct of Macca, asked them obedience to whoever commanded by the Book of Allah. He ordered them to worship Allah, to pray the five ritual prayers, to fast the month of Ramadan, not to transgress, and to seek justice with each other. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) then pointed to the right of the Qibla to be the seat of the Muhagereen, and to the left of the Qibla to be the seat of the Ansar, and the rest of the people around them. He then went to the place of sacrifice where he slaughtered sixty three cattle out of the hundred driven with him when he first left Al-Medinah. The rest of the hundred were left to Ali Ibn Abi Taleb to slaughter. He instructed that all should be given away to the poor except little for food; and taught that all Mina and the roads to Macca were all a place for sacrifice.

When the sacrifice was over, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) called the barbar Maamar Ibn Abd Allah Ibn Nadhalah Ibn Awf, and instructed him to shave the right side of his head, took the hair and distributed it to the nearest beside him; then instructed the barber to shave the left side, took the hair and gave it to Abu Talha Al- Ansari. He then blessed three times those who shaved their hair and once for those who only shortened their hair. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) finally took off his Ihram and changed into ordinary clothes and prepared himself to go to Macca to continue the rest of the formalities of the Hajj.

Prayers and Peace be upon our magnanemous prophet.

(to be continued).

the ultimate power over all things". "May Allah grant me light in my vision, and light in my heart, and light around me, and light in my mind". The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) also made supplication for mercy and forgiveness to the Muslim nation (The Ummah). When the sun was down, and the disc was no more in sight, it was time to leave Arafat. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) mounted his camel taking Ussamah Ibn Zaid Ibn Harithah behind him and rode slowly and gently in the direction of Macca. All the pilgrims followed instructed to ride gently without haste and in quiteness of the soul; the strong must care and look after the weak.

At Muzdalifah, which is within the sacred precinct, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and the pilgrims performed the ritual prayers of Maghreb and Isha together following each other. They remained the night at Muzdalifah, and there they collected the small pebbles with which to stone Satan represented by three brick pillars at Aqabah in the valley of Mina. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) gave sanction to the weak and elderly individuals to proceed to Mina to perform the rite of stoning before the multitudes of pilgrims arrived; this group was escorted by Abd Allah Ibn Abbas.

At dawn of the tenth day of Zu Al-Hijja, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) performed the ritual prayer of morning; and mounted his camel to reach the sacred site (Al-Mashaar Al-Haram). There he faced the Qibla (the direction of the Holy Kabaah in Macaa) and proceeded into very intense supplication and urging invocation in homage and reverence to Allah asking for atonement, forgivness, penance and mercy for himself and his people. Before sunrise, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) left Muzdalifah to Mina with Al-Fadle Ibn Al-Abbas mounted behind him. The instructions given to the consortium of pilgrims was not to stone Satan at the Aqabah before sunrise. At the pass of "Muhassir" on the way from Muzdalifah to Mina, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) hurried the pace of his camel, because that was the place where the followers of Abraha and their elephant were vanquished. He selected a middle way which directly leads to the main Aqabah in the valley of Mina, all the time repeating the Answer to the Call of Allah (Labayk Allahuma Labayk).

and possessions are sacrosanct. Women among you have their rights that Allah has given them, and that you should observe"."Hear me O people for I know not if ever I shall meet with you in this place after this year". "Adhere to the commands of Allah, and avoid what is forbidden and rejected". "Islam is fraternity and brotherhood". I have left amongst you that which, if you hold fast to it and adhere to shall preserve you from wrong and evil,a clear indication to you, the Book of Allah (Holy Quran), and the Tradition of the Prophet". "O people, hear my words and understand". The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) recited to them a Revelation which he had just received and which completed the Holy Quran, for it was the last passage to be revealed. "This day the disbelievers despair of prevaling against your religion, so fear them not, but fear Me ! This day have I perfected for you your religion and fulfilled My favour unto you, and have chosen Islam for you as your religion (Surat Al-Maida, V, 3). The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) ended his sermon with a serious question "O people, have I faithfully delivered to you my message ? " A strong murmur of affirmation arose from the multitudes of pilgrims with the vibrant words "By Allah, you have". The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) raised his forefinger and said "O Allah, bear witness". After the sermon was completed, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) dismounted from his mount and called for the noon (Zuhre) and Afternoon (Asre) ritual prayers to be performed at the same time following each other.

There was an issue of uncertainty among the crowds of pilgrims, whether the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was fasting on the Day of Arafat or not. To ascertain the matter, Umm Al-Fadle bent Al-Harith sent him some fresh milk, which he drank mounted on his camel. The tradition remains that no pilgrim should fast on the Day of Arafat. Those not on pilgrimage are encouraged to fast.

The Day of Arafat was spent in meditation, calmness and supplication to Allah. Several texts of supplication have been recorded and reported after the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). However, according to an authentic Hadith, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) said "The best and most hightened supplication on the Day of Arafat, and the best I have related and the Prophets before me is "There is no God but Allah, alone with no partner, He has the Dominion, the Sovereignty, the Sanctuary, the Transcendent, who has

THE FAREWELL PILGRIMAGE

(PART II)

By :
Dr. Anas Moustafa El-Naggar M.D.PHD

In the Name of Allah most Gracious most Merciful

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) left the valley of Mina after dawn prayers on the nineth day of Zu Al-Hijjah, and was followed by the rest of the pilgrims. The direction was the valley of Arafat, a broad valley thirteen miles east of Macca. In the middle of the valley is a hill which is named "Jabal Arafat" or "Jabal Al-Rahma" (The Mount of Mercy). This is the central part of the pilgrimage station, which extends none the less over most but not all of the lower ground of the valley. It was on this "Mount of Mercy" that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) took up his station that day; and stressed that the stand on Arafat on the day of pilgrimage must be outside the precinct of Macca and within the valley and mount of Arafat proper.

When all the pilgrims gathered at Arafat, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) delivered a sermon while mounted on his camel. The words were spoken in exact statements and repeated as such by Rabeeah Ibn Ummayah Ibn Khalaf in a loud voice. Rabeeah proclaimed after the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) "See ye what month this is ?" and upon the silence the answer came "The Holy Month". "See ye what Land this is " ? and again upon the silence came the answer "The Holy Land". See ye what day this is ?", and upon the silence came the answer "The Day of the Greater Pilgrimage". Then he proclaimed "Verily Allah has made inviolable for you each other's blood and each other's property, until you meet God; as this your day, in this your land, in this your month. Who of you is entrusted must fulfill the trust. Usary is confuted, and blood feuds are prohibited. Each man's life

Al- Azhar Magazine

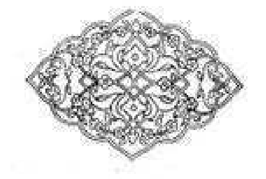
English Section

Vol. 59, Part VII

Rajab, 1407 Hijrah

Contents

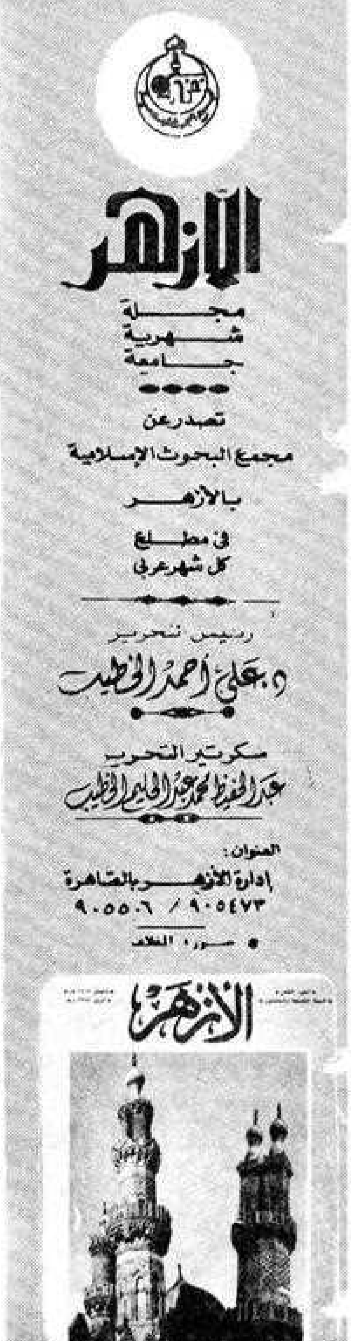
Preparation of Prints by: Mrs. Fatimah Muhammed Sirry.

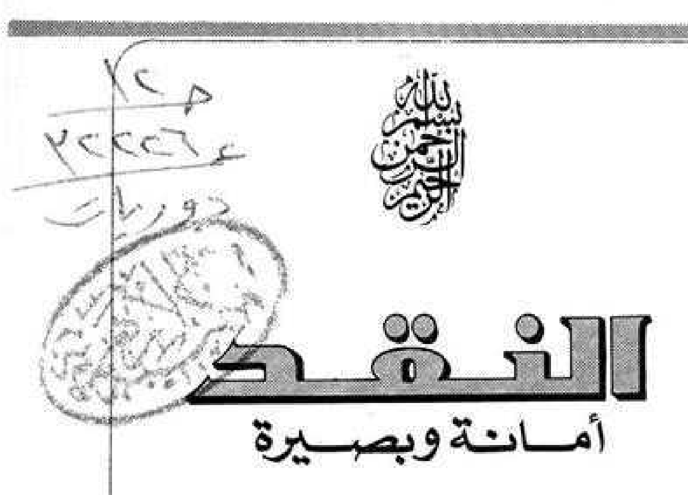


AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION





بسم الله الرحمن الرحيم

النقد

أمانة وبصيرة

من بَدَاءةِ ما نفرضه على « الطالب » ليكون ناقداً مبدعاً العلمُ بأمور ، في مقدمتها بديهتان :

الإلمام بالقضية التي يتعرض لنقدها إلماماً يحيط بها في إدراك سليم متتبعاً أمرها ، حتى فيما جَدَّ عن صاحبها بَعدَها ؛ فليس للناقد أن يتعرض لقضية ذكرها مؤلف في أحد كُتُبِهِ أو مقالاته حتى يتأكد ـ من مراجعة بقية مؤلفاته التالية ، فلعله تراجع عن رأيه ، فأصاب ؛ فليس الناقد النزيه أميل إلى التشهير ، بل هو أميل إلى « الإنصاف » .

ثم ينبغي أن يكون ـ متخصصاً ـ فيما ينقد ، صحيح أننا بلينا بالفِرَقِ والتشيع لكل أركان الريح حتى بدت ملامح « التهييج » و« التهريج » تغص بها الأعمدة كل صباح ، لكن « النقد قضاء » والناقدُ النظيف قاض عفيف .

• الجزء الثامن •
• السنة التاسعة والخمسون •
• شعبان ١٤٠٧ هـ •
• أبريل ١٩٨٧ م •

◆ النقد أمانة وبصيرة

ولسنا نطلب ممن ينقد الأزهر ـ وليس الأزهر فوق مستوى النقد ، ولا هو مبرأ عن الخطأ ـ إلا أن يكون قومياً ـ بعروبته وإسلامه ـ حتى يلتقى مع رسالة الأزهر ، مُوَجِّهاً معيناً على الحق مشيراً بالصواب ، فالحق هو الأمانة ، ومن لم ينقد عن بصيرة وأمانة فليس من قوميتنا فى شىء .

وهذان رجلان :

فأما أحدهما فادَّعى أننا لازلنا نعلم الأولاد أن الأرض غير كروية ! كذا .

ونذكر ـ للحق والحقيقة ـ أننى من أبناء جيل تلقى العلم فى الأزهر الشريف ابتداء من السنة الدراسية ٤٣ / ١٩٤٤م فى المرحلة الابتدائية ، وكتاب الجغرافيا الذى درسناه حينئذ ، وتلقاه من قبلنا أجيال، يقرر :

ان الأرض كروية متحركة وفى الآية الكريمة من « سورة النمل » دليل ذلك ، حيث يقول ـ عز وجل :

﴿ وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾

وانها منبعجة عند القطبين : وفى الآية الكريمة من « سورة الرعد » دليل ذلك ، يقول ـ تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِى الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾ وفى « سورة الأنبياء » :

﴿ أَفَلاَ يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا .. أَفَهُمُ الغَالِبُونَ ﴾ ؟ !

ثم ليت الرجل تعب قليلاً لينظر فى الكتاب المقرر ، إذاً لوجد مفاجأة فى انتظاره ؛ فإنه نفس كتاب وزارة التربية والتعليم .

وهكذا « أَبْدَأَ الرجلُ » ولم ينقد .

** ** **

وثانى الرجلين من حملة « الدكتوراه » ولعلها فى « التاريخ » وهى لابد تشير إلى الرجل باعتباره واحداً ممن عالج « النصوص » وقارنها ، وعلم المقدم والمؤخر منها ، وعلم ـ فوق ذلك ـ أن التاريخ له « منهج » يعنى بما كتبه الخصم عنايته بما كتبت أمته ليستقيم له هُدَى الحق ؛ فهو ـ إذاً ـ دارس للنقد فى إطار خاص .

فما باله يحمل على الأزهر مراجعته للروايات والتمثيليات وما إليها من نصوص فنية ، إننى ينبغى أن أتصور أنه يحترم الشخصية التاريخية فى إطار الحق بلا مزايدة ، ولا نقصان .

وأقول ـ للسيد الدكتور :

إننى واحد ممن يراجع هذه النصوص ـ باعتبارى متخصصاً فى الأدب والنقد ـ فليس أمر المراجعة

مرتبطا ـ في الأزهر ـ بعشوائية أو غرض .

وهذا مثال اضطررنا إلى تقديمه :

جاءتني ثلاث كراسات لمسلسل عن « الإمام أحمد بن حنبل » وليس يخفى على الدكتور شخصية هذا الإمام ، وإذا بالثلاث كراسات لا تمثل إلا جزءاً بسيطاً من بداية حياة الإمام ـ رضى الله عنه ، فقلت ـ للسيد المؤلف : إنها لم تكتمل .

قال : إنه سيأتي بالباقي لكن ينبغي أن آخُذَ تصريحاً بهذه حتى تتقبلها الإدارة المختصة بالتليفزيون .

ومن حسن الحظ حَضَرَنا السيد المخرج ، وكان رجلاً منصفاً وفوجئت بشخصية « الإمام إسحاق بن راهويه » المعاصر للإمام أحمد – في المسلسل :

أ ـ يشـرب القهـوة .

ب ـ ويعيش متقلباً على الدمقس والحرير .

جـ ـ ويجلد جاريته « كذا » لأنها لم تسارع إلى الصلاة كل ذلك يحدث على يدى إمام .

هو عالم المشرق الحافظ صاحب التصانيف الذى قال فيه الإمام أحمد :

لا أعلم بالعراق له نظيراً ، وقال ـ عنه ـ محمد بن أسلم : ما أعلم أحداً كان أخشى لله من إسحاق ، وجاء ـ من غير وجه : أن إسحاق كان يحفظ سبعين ألف حديث » [1] ..

هذا هو الإمام الذى أبرزه المؤلف غير عالم بأدنى ما يعرفه طالب بالقسم الابتدائى فى الأزهر .

وسألت السيد المؤلف ، قلت :

لا شك أن سيادتك تعلم متى اكتشفت (حبوب البُنّ) .. إن العالم لم يعرفها قبل منتصف القرن الخامس عشر بحال ، أى بعد وفاة الإمام إسحاق بن راهويه بقرون ، فمتى شرب القهوة ، إن أردت بها « البُنّ » ؟ فأما إذا كانت القهوة هنا هى المعروفة ـ فى زمن إسحاق ـ فتلك مصيبة ، لأنها ـ ببساطة ـ كانت « الخمر » .

وأريته من ديوان أبى نواس من مثل قوله :

وقـهـوة مثـل عـين الـديـك صـافـيـة
مـن خمـر «عـانـة» أو مـن خمـرة «السيـب»
كـأنّ أحـداقـهـا والمـاء يقـرعـهـا
فى سـاحـة الكـأس أحـداق اليـعـاسيـب [2]

(١) انظر لابن العماد الحنبلي ـ شذرات الذهب ٢ / ٨٩ ط دار الآفاق ـ بيروت

(٢) انظر الديوان حرف الباء ، والتاء ، والجيم ، والحاء .... الخ

... فكيف شرب الإمام القهوة ؟

ثم كيف يجلد المرأة لعدم مبادرتها إلى الصلاة ... الا يعرف الحكم الشرعي ؟ وانصرف المؤلف يحمل كراساته .. ولم أره بعدها ... ! !

وبعـــــد :

ماذا يريد الدكتور .. ؟

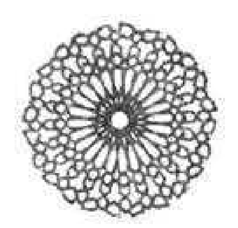
إننا لا نشوه التاريخ عاماً .. كان أو خاصاً .. فذاك مما يتنافى مع الأمانة التي تعلمناها ومارسناها .

فإن كان النقد باسم « العلم والفن » فإن العلم من الفن ، والفن من العلم لا يرضيان بالتشويه ، ثم بالبعد عن الحقيقة ، ثم السخرية بالأئمة لغرض رخيص يعتدي على القيم ، وينوء بالحقيقة .. ؟

وإن كان النقد يريد ترك الحبل على الغارب لكل صاهل وناعق ليكون بوقا يستقطب شبابنا وبناتنا الأبرياء إلى كل غث عن طريق تشويه القيم لينتهي بهم إلى ظلمات حُفَر .

فليس ذلك ـ يا دكتور ـ واجبنا ، ولا هو من حق التاريخ عليك .
نسأل الله العصمة والسلامة .

د . علي أحمد الخطيب



الإسلام والمشكلات السكانية

كلمة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق "شيخ الأزهر"

في مؤتمر السكان في العالم الإسلامي

نحمد الله أن جعل أمة الإسلام وسطا تهدى إلى الخير وتامر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

ونصلى ونسلم على رسول الله محمد بن عبد الله الذى بعثه الله رحمة لسائر المخلوقات (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) .

وبعد[1] :

فإن الله سبحانه قد بين فى القرآن الكريم أن الإسلام هو الطريق المستقيم فقال فى سورة الأنعام[2] .

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

هذا الإنسان كائن حى له إدراك رفيع هو سر تميزه عن سائر الكائنات التى تملأ هذا الوجود .

ومن آثار خاصته الإنسانية المدركة ما عرف به من أنه متطلع إلى التدين والإيمان بفطرته يدين لله صاحب الحول والطول والقهر والسلطان ، يستمد منه العون ويجد عنده الملاذ والسند ، وهذا الإدراك هو الذى يدفعه دائما إلى طريق معرفة الله والعمل لما يقربه إليه باتباع أوامره سبحانه واجتناب المحظورات التى نهى الله عنها حماية له وصوناً .

ولأن الإسلام ختام الرسالات الإلهية إلى الناس ، جاء كافيا حاجاته ، شافيا علله وأدواءه ، يصون إنسانية الإنسان عن الابتذال والهوان ، حيث وجهه إلى طرق الاكتساب والارتزاق المشروعة ..

←

(١) القيت بالمؤتمر فى ١ من رجب ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧/٣/١ .

(٢) آية ١٥٣ .

فهذا قول الله فى سورة الملك[٣] .

﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾ أمر للإنسان بالحركة فى جنبات الأرض تعميرا لها وطلبا للرزق ..

وقوله سبحانه فى سورة العنكبوت[٤] .

﴿ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ فإذا ضيق الإنسان ما كان واسعا ، وانتقل الحرص من الفرد إلى الجماعة ، ومن هذه إلى الدولة كان على الدولة أن تسعى إلى تنظيم وتيسير أمور الارتزاق سواء فى داخل حدودها أو مع غيرها من الدول .

وإذا كان مؤتمرنا هذا يواجه المشكلات السكانية لبنى الإنسان فأحرى به أن يتعرف ـ مصدر هذه المشكلات تعرف الطبيب على نوعية الداء وموضعه ليكون الدواء الذى يصفه مفيدا شافيا بإذن الله الذى استخلف الإنسان فى الأرض وسخر له ما عليها وما فيها بل وما يحيط بها .

وهذا هو القرآن فى آياته العديدة يوجه نظر الإنسان إلى القوى التى أودعها الله فيه وإلى الثمرات التى انعم عليه بها فى الكائنات من تحته ومن حوله ومن فوقه .

ففى سورة ابراهيم قول الله[٥] :

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ .

وفى سورة النحل[٦] .

﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا . وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

وفى سورة الجاثية [٧] :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

طاقات وثروات خلقها الله واستودعها هذه الكائنات التى تعايشنا ونعايشها ، وعلمنا ـ على تتابع أجيال الإنسان ـ أن نطوعها لعلومنا التى منَّ الله بها علينا .

« عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » ، « وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا » .

ولكننا ـ نحن المسلمين ـ قد انصرفنا ، بل ووقفنا عند الموروث من الوسائل والسبل إلى عمارة الأرض وسائر الكائنات واستخراج ما عليها وما فيها مما خلقه الله .

وما وصلنا إليه ـ فضلا من الله ونعمة ـ بددناه فى غير خير جنيناه ، أو رضوان من الله سعينا به إليه ، وإنما فى بغى وعدوان على نعم الله فأهلكنا الحرث والنسل جحوداً للنعم بدلا من شكر المنعم .

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ .

---

(٣) من الآية ١٥ .
(٤) من الآية ٥٦ .
(٥) من الآية ٣٢ ـ ٣٤ .
(٦) الآية ١٤ .
(٧) الآية ١٣ .

هل واجهنا ـ نحن المسلمين ـ المجاعة التى وقعت بالناس فى أفريقيا بما وجهنا الإسلام إليه وحثنا عليه فى آيات القرآن الكريم التى منها قوله تعالى :

فى سورة المائدة[8] :

﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ .

وفى الحديث الصحيح المتفق عليه قول الرسول ﷺ فيما رواه أبو موسى رضى الله عنه :

(على كل مسلم صدقة . قال : أرأيت إن لم يجد ؟ قال : يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق . قال : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف . قال : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال : يأمر بالمعروف ، أو الخير . قال : أرأيت إن لم يفعل ؟ قال : يمسك عن الشر فإنها صدقة) .

هل واجهنا الفقر الجاثم على صدور بعض الشعوب الإسلامية فزودناهم بالعلم والمعرفة والآلات والأدوات ليلبس العمل والإنتاج ثوب العلم فيجود بالخير ، ويستغنى أولئك بالإنتاج والكسب عن أن يكونوا عالة على غيرهم ، ثم ليحفظوا عليهم دينهم الذى ارتضاه لهم ربهم بدلا من أن يبيعوه باللقمة التى لا تقيم أودهم أو تثرى مجتمعهم ؟

نعم : هل وجهنا همنا وهمتنا إلى مساعدة هؤلاء وأولئك الجوعى على استثمار أرضهم لصالحهم فانتفعوا ونفعوا غيرهم وأجيالهم .

أم أننا قد حبسنا أنفسنا فى علاج نظرى وكيمائى للمشكلات السكانية فى مجتمعنا المسلم ، وأعرضنا عن توجيهات الإسلام التى هى تنزيل من حكيم حميد ؟

إن المسلمين ينتظرون من هذا المؤتمر مواجهة عملية من واقع تعاليم الإسلام للمشكلات السكانية فى العالم الإسلامى والا نكتفى ببحوث تتلى ثم تطوى ، لأن الإسلام دين ودنيا عقيدة وشريعة ، والشريعة تحكم الأقوال والأعمال أرأيت إلى قول الله سبحانه فى سورة الجمعة[9] :

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

ليأخذ هذا المؤتمر الكريم المبادءة إلى العمل فإن الجوعى والمحرومين والمرضى يصارعون آلامهم ، وتمتد بهم آمالهم إليكم أنتم الذين اجتمعتم لتحكموا بكلمة الإسلام فى قضاياهم ثم تنفذوا ما قضيتم به ، فإن من العدل ايصال الحق إلى أهله ..

ولنستمع إلى قول الله سبحانه فى سورة البلد[10] التى تتحدث عن الإنسان وأحواله ومآله :

﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ . يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا . أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ . أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ . وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ . وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ . فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ . فَكُّ رَقَبَةٍ . أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ . يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ . أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ . ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ . أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ .

---

(٨) الآية : ٤٨ .
(٩) الآية : ١٠ .
(١٠) الآية : ٥ ـ ١٨ .

الإسراء والمعراج

« أمران مهمان »

● نود هنا أن نقف قليلاً من حادثة الإسراء عند أمرين جديرين بالنظر والاعتبار :

« الأول » ما كان من المشركين من اللجاجة فى الجدال ، والإلحاف فى السؤال : عن العير وعدتها وأحمالها ، وعن صفات بيت المقدس ، دقيقها وجليلها ، خفيها وجليها ، وما تحمله تلك الأسئلة من روح التعنت ، والنية الخبيثة ، والقصد السىء الملح الذى استولى على أصحابه ، فدفعهم إلى الحملة والإسراف فى الأسئلة بطلب المعقول وغير المعقول ، وليس من بينهم رجل معتدل منصف ، يفرق بين سؤال طبيعى يقع موقعه ، وتحسن الإجابة عنه ، وسؤال آخر يجب أن يهمل ، ويرد فى وجه صاحبه .

إن تلك الأسئلة التى أجهد بها أصحابها أنفسهم لم تكن أسئلة إنصاف ومنطق عاقل ، يقصد بها تعرف الحقيقة ، والوقوف على مبلغ صدق الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما أخبرهم به من أمر الإسراء . وإنما كانت أسئلة عناد ومشاغبة ، يراد بها إظهار الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمظهر العاجز عن إجابتهم إلى بعض ما سألوا ، ليكذبوه فيما أخبر به .

فهل فى منطق العقل والعدل يتوقف صدق الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما أخبر به من الذهاب إلى بيت المقدس فى تلك الليلة ، على أن يعلم تفاصيل بيت المقدس ، وجميع صفاته وأحواله ، ويحيط بما أحتواه المسجد الأقصى من مشاهد ومعالم ، ويعلم أيضاً على وجه التفصيل حال عيرهم ، وأحمالها وأقتابها ، وعددها وعدتها ؟

إن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ذهابه إلى بيت المقدس لم يكن همه أن يدرس مبنى المسجد الأقصى دراسة هندسية تفصيلية ، ويحصى عدة ما فيه من أبواب وعمد ونوافذ ، ويعرف مواقعها واتجاهاتها ، ومسافات ما بينها ، ولم يكن ـ وهو فى طريقه إلى بيت المقدس أو فى عودته منه ـ بسبيل أن يرصد عير قريش ، فيعرف عددها وعدد أصحابها ، ويقف على أحمالها وألوانها ، ويتبين منها الأورق والأصفر والأسود ، حتى يصح أن يسرفوا فى سؤاله عن ذلك كله ، فيكذبوه إذا لم يجب عنه أو عن بعضه .

إن كثيراً من الناس قد رأى الجامع الأزهر ودخله عشرات المرات ، بل إن كثيراً من الناس قد قضى فى الأزهر دهراً طويلاً من عمره ، ومنهم من عاش حياته فى مقاصيره وأروقته ، فهل من اليسير على أحد من هؤلاء أن يجيب إجابة صادقة واعية عما يسأل عنه من تفاصيل ما احتواه هذا المسجد ، وعدد أعمدته ، وأبوابه ونوافذه ، وارتفاعاتها وألوانها ، والمسافات التى بينها ؟ وهل إذا عصبت عينا أحد الجالسين فى هذا المسجد عند المنبر ، أو طلب إليه أن يغمض

لصاحب الفضيلة الإمام الأكبر الشيخ

عبد الرحمن تاج

شيخ الأزهر الأسبق "رحمه الله"

عينيه ، فيسأل عن لون هذا المنبر ، وهل هو لون ما طليت به الأعمدة والأسقف ، أو هو لون يغاير ذلك ، يستطيع أن يجيب عن ذلك إجابة صحيحة مطمئنة ؟ وهل يستطيع أحد وهو خارج هذا المسجد أن يعين شكل أعمدته ؟ وهل هى جميعها مستديرة ، أو منها مربعة الأضلاع أو ما هو على شكل مثمن ؟

وإذا عجز أحد من هؤلاء عن الإجابة عن هذه الأسئلة أو عن بعضها ، فهل يمكن أن يقال : إنه لم ير الأزهر قط ، وإنه كاذب إذا ادعى أنه من الملازمين له أو العاكفين فيه ؟ .

إن كل الأسئلة التى أشرنا إلى نماذج منها هى من قبيل ما كان يوجه إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - عندما أخبر قومه بخبر الإسراء ، فماذا كان ينتظر من هؤلاء القوم المسرفين فى عنادهم ، لو أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عجز عن إجابتهم عن بعض ما سألوا ؟ .

إن هؤلاء المشركين - في تظاهرهم عليه ، وحملتهم بأسئلة التعنت التى كانوا يرجهونها إليه - لم يكن ليردهم شىء عن تكذيبه والتشنيع عليه والتشهير بموقفه ، إذا هو عجز أو توقف عن إجابتهم عن شىء مما سألوا ، وإن كان العجز فى مثل تلك الأسئلة حتما وطبيعياً كما ضربنا له الأمثال .

لكن الله العلى القدير أراد ألا يمكنهم أن يصلوا إلى غايتهم من تلك الحملة ، وذلك التظاهر الفاجر ، فأدرك نبيه الصادق الأمين بما كبت به القوم ، ورد به تعنتهم وتهكمهم إبلاساً فى نفوسهم ، واندحارا فى قلوبهم ، وخزياً فى جباههم ، يطالع به بعضهم بعضاً ، كما كان يميل بعضهم إلى بعض أول الأمر بالسخرية والاستهزاء .

كشف الله لرسوله عن المواقع والمعالم ، لما التبس عليه بعض الشىء مما سألوا عنه ، وجلى له بيت المقدس ، حتى كان ينظر إليه أقرب من دار عقيل ، فجعل ينعته لهم ، ويستملى إجاباته من مشاهداته ، يسددها طعنات فى صدورهم ، وغما وكمدا فى أفئدتهم ، وأظهره الله عليهم ، والله غالب على أمره ، وهو القوى العزيز .

« الأمر الثانى » أن بعض الناس قد حاول - بحسن نية - أن يقرب إلى الأذهان مسألة الإسراء من مكة إلى بيت المقدس بتلك السرعة الخاطفة التى لم يعهدها أحد ، فقال : إن الإسراء بتلك السرعة بين هاتين البلدتين المتباعدتين ، وقطع المسافة بينهما فى فترة قصيرة جداً ، إذا كان عجيباً غريباً قبل أن تستخدم قوة البخار وقبل أن تستحدث الطائرات العادية والطائرات النفاثة ، فإنه يجب أن يعتقد وأن يسلم به من غير تردد بعد ظهور تلك المخترعات وتلك المستحدثات ، فإن المسافات البعيدة التى يحتاج فى قطعها راكب البعير أو الفرس إلى ثلاثين وأربعين يوماً يمكن أن تقطعها الطائرات فى بضع ساعات .

يريد أصحاب هذه المحاولات حسنو النية بهذا التقريب ، أن يضعوا واقعة الإسراء فى المحل الذى لا غرابة فيه ، والذى يثبت التقدم

العلمى وقوع نظائر له ومشابهات، ليقنعوا ـ بصحة ذلك الإسراء وإمكان حصوله ـ أصحاب العلوم المادية، الذين لا يسلمون إلا بما تلمسه أيديهم، ويقع تحت أبصارهم، ويخضع لتجاربهم وقوانين علومهم، فى الحوادث والكائنات.

نية حسنة، ومقاصد طيبة، ولكنها تنطوى على شىء غير قليل من الغرارة وعدم التبصر، فى مجاراة الماديين الذين لا يؤمنون بمعجزات، فإنه لا سبيل إلى التقريب أو الربط بين أمور هى من فعل الإنسان، يقدر عليها بتفكيره واستنباطه، ويتوصل إليها بأسباب مادية تخضع لقوانين علمية، ومعارف إنسانية، وأمور أخرى لا دخل لقدرة الإنسان فيها، وإنما هو مظهر كونها، ومحل جريانها، يخلقها الله فيه، ويجريها على يديه، كما قال تعالى: «وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ» فإن رمية واحدة بقبضة من الرمل أو الحصباء يصيب بها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عيون فريق كبير من الأعداء فى غزوة بدر، حتى يكون ذلك من أسباب هزيمتهم واندحار جموعهم، ليس أمراً عادياً مما يكون فى طاقة الإنسان، وإنما هو فعل الله الخالق لكل شىء، القادر على كل شىء، القاهر فوق عباده، وهو الحكيم الخبير.

إنه مهما تقدمت العلوم، وارتقت الصناعات، وجدّ من المخترعات ما يبلغ فى غرابته وطرافته أضعاف أضعاف ما كشف عنه العلم الحديث الآن، فإنه على كل حال يكون نوعاً آخر غير نوع المعجزات التى يجريها الله على أيدى المختارين من رسله، فإن هذه المعجزات ليست لها وسائل ومقدمات، ولا أسباب وأدوات، مما يدخل فى مقدور العباد.

أما المخترعات الإنسانية فإنها لابد أن تنبنى على قواعد وقوانين علمية، ولا بد فيها من استخدام أجهزة وأدوات، يتوصل فيها بالتحليل والتركيب وإحكام الصنع إلى ما يراد تكوينه من مخترعات.

فالطيران فى السماء باستخدام الأجهزة والآلات البخارية وغيرها أمر بديع، وعمل إنسانى عجيب، ولكن له أسبابه ومقدماته العلمية التى يستطيع الطيران بها فى الجو كل من يعرفها ويعرف طريقة استخدامها فى ذلك.

أما الطيران من غير تلك الأسباب والمقدمات، فليس فى مقدور أحد من الناس.

وعلى هذا الأساس يكون الفصل بين المعجزات وبين كل غريب عجيب من المبتكرات والمخترعات التى تنبنى على قوانين علمية، وأفكار واستنباطات إنسانية.

«المعراج»

ذلك أمر الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، قد اقتصر عليه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حينما تحدث به إلى قريش عند الكعبة كما علمنا.

ولم يعرض عليه الصلاة والسلام فى ذلك الحديث لأمر المعراج وهو صعوده إلى السماء فى تلك الليلة التى كان فيها الإسراء.

والسر فى ذلك الاقتصار هو أن المعراج ما كان يمكن ـ فى أغلب الأمر ـ أن يصدق به رجل مشرك أو كافر لا يؤمن برسالة الرسول، ولا يذعن لما يذعن له المؤمنون من أن الرسل معصومون من الكذب والافتراء.

فالتحدث إلى أولئك المشركين عن المعراج لا تكون له حينئذ جدوى، ولا يفيد أية فائدة. بل قد يكون من نتائجه أن يزيدهم كفراً إلى كفرهم؛ وإمعاناً فى شركهم.

فإنه ليس لأمر المعراج شواهد ودلائل مادية ، يمكن أن يدلى بها إليهم ، ليثبت لهم حقية ما يقول ، سواء آمنوا بعد ذلك أم لجوا فى العناد والإباء ، كما كان فى أمر الإسراء .

لكن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ تحدث فى غير ذلك الموطن عن المعراج : حدث به أصحابه المؤمنين وأخبرهم بما شاهده فى السموات من بديع الآيات ، وما تلقاه من الأمر الإلهى بفرض الصلوات الخمس اليومية .

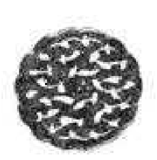
* * *

هذا ـ والقرآن الكريم قد اشتملت آيات منه فى سورة النجم على ما يثبت المعراج : ذلك قوله تعالى ـ فى الإخبار عن رؤية النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لسيد الملائكة جبريل عليه السلام ـ : « **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ، عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ، مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ، لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى** » .

ومعنى هذا ـ كما يقول أئمة التفسير ـ أن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ رأى جبريل مرة أخرى فى صورته الحقيقية الملكية فى السماء عند سدرة المنتهى ، بعد مرة أولى رآه فيها على تلك الصورة ، وكانت رؤية عينية بصرية كما ينبىء بذلك قوله تعالى : « ما زاغ البصر وما طغى » ـ صدق الله العظيم .

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، إنك أنت الوهاب ؛ والحمد لله رب العالمين .

عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر



الروحانيون .. والإسلام

الروحانيون جماعة فلسفية تحولت بعد نشاتها ونضجها إلى جماعة مسيحية تبشيرية ، وكان مؤسسها الاول واعوانه مسيحيين ، وبذا اعتبرت جماعة مسيحية ، وهى فى واقعها ادنى أن تكون فلسفية ، وقد ظلت جماعة فلسفية نفسانية مدة طويلة ، ثم تحولت إلى فرقة تبشيرية لها كنائس وإرساليات .

ويرجع ظهور هذا المذهب إلى وقت قريب لا يتعدى فى قدمه أوائل القرن العشرين ، ولكن يرجع أساس هذه الجماعة إلى جمعية البحوث النفسية التى انشأها سنة ١٨٨٢ عالمان انجليزيان بارزان فى البحوث الروحية والنفسية هما فريدريك مايرز **F.Mayers** وادموند جيرنى **Edmund Gurmey** وليس من المقطوع به أنهما كانا من ذوى الإيمان ، فضلا عن أن يكونا دعاة مبشرين بالإنجيل ، وكان تأسيس جمعيتهما لغرض فلسفى خاص هو إجراء بحوث موضوعية غير متحيزة فى عالم الأرواح ، وفى ظواهر اتحاد الروح والمادة ، وتأثير كل منهما على الآخر ، فانضم إليهما كثير لشهرتهما العلمية ، ولأن البحث فى جانب الروح الخفى لا يخلو من جاذبية ، ولأن حياة المسيح عليه السلام وتاريخ دعوته يقوم على نوازع روحية كثيرة اعتبرت هذه الجماعة الناشئة جماعة دينية ، فنشأ لها كنائس ، ثم تكونت إرساليات تبشيرية ، وتعددت كنائسها وامتدت فى جوانب العالم بسرعة جداً ، ففى أوائل الثلاثينيات الماضية كان لها نحو ستمائة كنيسة فى أمريكا كلها ، ثم تخطت المحيط فانشأت نحو أربعمائة كنيسة أخرى فى العالم القديم ، ثم ظلت تزداد وتمتد ، ولعلها أن تكون الآن الفين أو نحوهما ولكن كما يقول عالم الديانات « كيليت » إن قوتها لا تقاس بعدد كنائسها ولكن بقوة الأشخاص الذين ينتمون إليها والقائمين بالدعوة لها ، وهم من المثقفين ودارسى الروحانيات ، والواقع أن قادتها هم المثقفون فقط ، ومعظم أتباعها من السذاج الذين تبهرهم الظواهر وتأخذ بألبابهم الخوارق ، وأكثر الكبار المثقفين فيها يميلون إلى اعتبار جماعتهم جماعة علمية نفسية ، وأن الجانب الدينى فيها جزء من فكرها الفلسفى .

وهناك رافد أو أساس لعله أن يكون ذا أثر ، أوْ له الأثر الأكبر ، فى تكوين الجانب الدينى فى هذه الجماعة ، وهو أعمال الباحث الروحى أندرو جاكسون ديفز **Andrew Jackson Davis** وكان قد أخرج فى فجر شبابه كتابا له سماه الرؤى الإلهية للطبيعة **Naturs Dine Revilations** ، أخرجه سنة ١٨٤٧ ، قبل أن تنشأ هذه الجماعة بنحو

لفضيلة الدكتور
عبد الجليل شلبى

نصف قرن ، وقبل أن تنشأ جمعية البحوث النفسية بنحو خمسة وثلاثين عاما ، ونال هذا الكتاب رواجا واسعا حتى أنه طبع أربعين طبعة قبل أن تقوم هذه الجمعية ، وليس هذا الكتاب دينيا بحتا ولكنه ليس منفصلا عن الفكر الدينى ، فهو يقرر أن الإنسان روح ومادة ، والحيوانات الأخرى كذلك ، والروح التى يحيا بها كل حى متصلة بالله ، والمادة وهى الجسد من الأرض ، وهناك وسيط بين الروح والجسد هو الذى يربطهما . وهو النفس ، لأن الجسد المادى لا يحتمل الربط المباشر بالروح التى هى قبس من الله ومتصلة به ، والنفس فى الأصل شىء « حى » أما الجسم فهو فى أصله تراب ميت ، والنفس بجانب ربطها بين روح سامية وجسم دنىء مادى هى عامل تصعيد وتسام للجسم وهذا التسامى هو رفعه إلى ما يقرب من الروح .

والجسم حين يقوم بأعماله يبذل مجهودا يختلف قوة وضعفا بحسب العمل الذى يزاوله والزمن الذى يستغرقه ، فيفقد قدرا من نشاطه وطاقته فى هذه الأعمال ، وتضعف بضعف جسمه نفسُه التى تربطه بروحه ، وهو يشعر بالحاجة إلى الغذاء ، والراحة ، وبتمثيل طعامه تنشأ له طاقة جديدة يتقوى بها الجسم والنفس جميعا ويستمر ارتباطهما .

والنفس التى يتحدث عنها مادة أثيرية تطابق الجسم الإنسانى فى ملامحه وشكله ولونه وأطرافه وطوله وعرضه ، ولكنها مادة أثيرية تتخذ من الجسم كساء لها ، فهى تلبسه كى تتصل عن طريقه بالعالم المادى ، كما تصله بالروح ، وبهذا التصور فسر نظريته فى الحياة والموت ، فالجسم الحيوانى المادى يحيا بوجود هذه النفس التى تربطه بالروح ، وإذا فارقته انقطعت صلته بالروح فيموت ، والكائن الحى يضعف بمرور السنين وبالأمراض فتنسل نفسه تدريجيا حتى إذا ضعف نهائيا انسلت منه فى سلام وتركته مادة هامدة تتحول إلى التراب الذى نشأت منه ، وهذا هو الموت الطبيعى . أما موت الشخص بالمرض أو القتل أو بأى شىء ، يفسد جسده فإن النفس تفارقه لأنها لا تستطيع أن تبقى بعد تمزيق الإطار الذى كانت تلتف به ، أو البيت الذى كانت تسكنه .

وهى تجد مشقة فى أول الأمر حين تواجه الجو الجديد الذى تنفصل إليه ، مع أنه فى الأصل جوها .

وقبل أن نمضى مع « ديفز » فى نظريته نذكر أن هذا الكلام قريب جدا من رأى أفلاطون فى النفس ولعله مستوحى منه ، وقد جرىَ فى هذا المنطلق الفيلسوف الإسلامى ابن سينا فى عينيته التى نظمها فى النفس ، وكذلك أمير الشعر الحديث شوقى ، ويتفق الجميع فى أن النفس هبطت من عالم علوى فسكنت هذا الجسم المادى ، ولم ير « ديفز » أنها أكرهت على هذا الهبوط كما قال الرئيس ابن سينا ، لكن كلا منهما يذكر أنها حزنت لفراقه ، واستوحشت لاستقبال العالم العلوى الذى جاءت منه .

أما شوقى فهو معارض لابن سينا ، وشبه النفس بالشمس تغشى الأماكن المختلفة . وقد نفخها الله فى آدم والنبيين ثم ذكر بكاء الأجسام لفراقها وبكاءها لفراق الأجسام[1] .

وقد وقف بنا تاريخ هذه الجماعة عند من ذكرنا من العلماء ، ولم تمدنا المصادر بالينابيع الأولى التى أوحت إليهم بهذه الأفكار ، ونرجح أن تكون فلسفة أفلاطون ، لأنها أقرب الأفكار إليهم ، وهناك آخرون شاركوا فى بناء هذه الآراء .

ونقل المؤرخ العربى ـ صاحب مروج الذهب ـ أقوالا فى هذا رآها على بعض معابد الفرس والهنود منها قول أفلاطون : الإنسان نبات سماوى كالشجرة المنكوسة أصلها فى السماء وفرعها فى الأرض ، ثم قال : ولأفلاطون وغيره كلام كثير فى كون النفس فى البدن أو البدن فى النفس ، وزعم هو ومن لف لفه أن النفس جوهر وليست بجسم ، وأنها حية عالمة مميزة وأنها هى المدبرة للأجسام المركبة من طبائع الأرض ، وزعموا أنها تلذ وتألم وتموت ، وموتها عندهم هو انتقالها من جسد إلى جسد بتدبير ، وبسبب بطلان ذلك الشخص الذى فسد ووصف بالموت .

ثم قال : « ولأفلاطون وغيره فى هذه المعانى كلام يطول ذكره .. وكذلك صاحب المنطق (أرسطو) و(فيثاغورس) وغيرهما من الفلاسفة ممن تقدم وتأخر . إن طالب علم هذه الأشياء والإحاطة بفهمها وبلوغ غايتها لا يدرك ذلك لما نصبوا من الكتب ، ورتبوا من التصنيف للعلوم المؤدية إلى معرفة علومهم وأغراضهم[2] .

وإذاً فالوقوف بهذه الجماعة عند القرن التاسع إنما هو تاريخ لنشأتها ، ولكنها فى حقيقة الأمر جسَّمت أفكارا قديمة وفلسفتها وطبعا زادت عليها وولدت منها ، ثم كان لها من وسائل العلم الحديث أدلة مادية . ثم كان من أقرب الأشياء وأنسبها أن تكسى ثوبا دينيا .

---

(١) قال ابن سينا :

هبطت إليك من المحل الأرفع ... ورقاء ذات تعزز وتمنع
وصلت على كره إليك وربما ... كرهت فراقك وهى ذات تفجع
ألفت وما سكنت فلما واصلت ... ألفت مجاورة الخراب البلقع
وأظنها نسيت عهودا بالحمى ... ومنازلا بفراقها لم تقنع

وهكذا جرى فى هذا الخيال . فسمى الأجسام خرابا وطلولا ، وقال شوقى بعد أوصاف كثيرة :

يانفس مثل الشمس أنت ، أشعة ... فى عامر وأشعة فى بلقع
فإذا طوى الله النهار تجمعت ... شتى الأشعة فالتقت فى المرجع
لما نعيت إلى المنازل غودرت ... دكا ومثلك فى المنازل ما نعى
أنت الوفية لا الذمام لديك ... مذموم ، ولا عهد الهوى بمضيع
أزمعت فانهلت دموعك رقة ... ولو استطعت إقامة لم تزمعى

ونسياء عهود الحمى عند ابن سينا وانهلال الدموع عند شوقى هى المشقة التى جاءت فى كلام ديفز .

(٢) انظر ص ٢٤٨ ـ ٩ ـ جـ ٢ .

واستعان المرحوم فهمى أبو الخير بعلم هؤلاء، وتراثهم، ولكنه كان يحاول أن يكسو حديثه ثوبا إسلاميا. وكان يعرض حالات من أعمال الروح وكشفها أحداثا فى أماكن بعيدة واعتبر منها نداء عمر «سارية» وأمره أن يلزم الجبل. كما أورد صورا من الطب لحالات مرضية بينما كان بين الطبيب والمريض مسافات عديدة.

ويذكر ديفز حالة عجيبة له، هى أنه فى حالة من حالات الشفافية التى كان هو موضوعا لها، شاهد بوضوح عملية موت صورت بواسطة مصور روحى - وهو «آلة فوتوغرافية» تصور الأرواح غير المرئية - شاهد النفس تنسل بسهولة وهدوء من إطار الجسم، ثم تقف معلقة فوقه جسما غازيا مطابقا كل المطابقة للجسم المادى بينما كان هناك خيط كهربى يربطها به، وهو خيط يشبه الحبل السرى الذى يربط الجنين بأمه. وقد ظل هذا الخيط مدة ثم اضمحل وفنى.

وينتقل من الأفراد إلى الكون كله إذ يقرر وجود صلة أثيرية تربط العالم الأدنى بالعالم الأوسط، ثم تربط الأوسط بالأعلى، وهذه الصلة كما سبق تقوى وتضعف بالشيخوخة أو الأحداث، وأكثر من هذا أنه استطاع أن يحدث حوارا مع بعض الأرواح.

وفى هذا الوقت كان علم الأرواح ودراسة الاتصال بها علما ناشئا. لكنه أخذ فى النمو، وكان هناك فتيات قد شغلن بهذه الدراسة، وأجرين تجارب روحية عديدة لم يصل «ديفز» إلى مثلها، وكن يعرفن باسم أخوات فوكس **Fox Sisters** وكان لديهن فيما ذكرن وشاع ما لايحصى من الرسائل التى تلقينها من العالم الآخر. وامتاز هؤلاء الأخوات بالشهرة، وكان هناك آخرون تلقوا أيضاً مثل هذه الرسائل، وأكثر من ذلك أن وجدت كتب تحوى ما جاء من العالم الآخر.

فى هذا الجو نشأت فرقة الروحانيين المسيحية، ولابد أنها تشربت منه كثيرا من آرائها، ومزجت ما تغذت به بالفكر المسيحى، وكان من المعنيين بهذه البحوث جماعة منهم «ديفز» وخلفاؤه - صوروا تدرج الروح وانسحابها من محيط إلى آخر أعلى منه فى هدوء ودون معاناة بعد أن تخلصت من إطارها المادى. وظهرت فى صورهم هالات متتالية كالتى يصورها الفلكيون حول زحل وبعض الكواكب، تنتقل فيها الروح تدريجيا حتى تصل إلى البؤرة ومع بعد المسافة بين دائرة وأخرى أمكن قياسها بالأميال بل حتى بالأمتار، وكان المشتغلون بعلم الأرواح ذوى ثقافات منوعة مكنتهم من ذلك.

ومهما يكن من شأن تقدم البحوث والدراسات الروحية فإنها لم تصل إلى حد يقطع بصحة كل ما نتج منها وفى الثلاثينيات الماضية من هذا القرن وما بعدها، كان المرحوم فهمى أبو الخير يخرج مجلة الأرواح وكتبا روحية بها كثير من الصور والأحداث، وكان مما صورته أوضاع الجسم الأثيرى واتصاله بالجسم المادى بواسطة خيط كالحبل السرى. وصور الهالات التى تنتقل فيها الروح حين الموت أو النوم. وكان - رحمه الله - يذكر المدارس والعلماء المتخصصين فى هذه الدراسة، ويذكر أنه على عتبة البحث، ولكن أعماله كلها لم تنل الثقة الكافية. وامتازت بحوثه بما أدخل عليها من محاولات تربطها بالدين الإسلامى فذكر - على سبيل المثال قصة ثابت بن

قيس[3] ، وفسّر الآية : « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى »[4] .

بأن إمساك المقضى عليها هو قطع الخيط الذى يربط الجسم الأثيرى بالآخر المادى وإمساك النفس الأثيرية فى العالم العلوى ، أما التى يرسلها فهى التى يظل خيطها متصلا وكان كثيرا ما يذكر الآية : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا »[5] .

ويذكر أن بينه وبين الأوروبيين الذين يدرسون هذا العلم مسافات بعيدة ، وأنهم هم أنفسهم مع كثرة ما درسوا وبحثوا لم يعرفوا إلا القليل جداً من عالم الأرواح .

ومما أثبتته هذه الدراسات بطريقة علمية ـ بقطع النظر عن التسليم بآرائها أو نفيه ـ وجود الجنة والملائكة ، وبيان ثقل المادة وخفة الروح ، ووجد فى دراستهم ما يعرف بطرح الروح ورؤية الغائب . والاتصال بأرواح الموتى . وعلاج المرضى من أماكن بعيدة . وفى مجلة الأرواح وكتب الأرواح أقاصيص من هذا النوع كثيرة .

وعمل « كنيسة الأرواح » الآن قريب الشبه من ادعاءات ارباب الطرق و « الفقراء » فى القارة الأفريقية ، وبعض ذوى الديانات الآسيويين . ولكنها بما تذكره من أسماء المثقفين المنتمين إليها تجتذب إليها كثيرا من المثقفين كما تستهوى بخَوارقها غير المثقفين . وكنائسها آخذة فى الامتداد ، ويأوى إليها كثير من ذوى الديانات غير المسيحية والمسيحيين من الفرق الأخرى .

وتكوين « الكنيسة الروحانية » يقوم على رئيس أعلى يرجع إليه فى كل شئون المذهب ، وتلى رتبته رتبة أدنى منها ـ تشبه رتبة النائب ، ولكن صاحبها ليس نائبا ، ولا تؤول إليه الرياسة تلقائيا إذا مات الرئيس ، وصاحبا هاتين الرتبتين يقيمان بالكنيسة ، وتوجد طبقة متوسطة من القسس تنتقل من كنيسة إلى أخرى ، ومهمتها هى الوعظ والتدريس .

وصلوات الروحانيين تختلف عن الصلوات المتبعة فى الكنائس الأخرى ، وهى تعتمد على أدعية وابتهالات أو صلوات مرتجلة ، وخطبهم وأناشيدهم ليست بذات روح عالية ولا جدارة أدبية ، والمثقفون الذين ينتمون إليها يشغلهم الجانب الروحى العلمى أكثر مما يشغلهم الجانب العبادى ، وهم فى ثقافتهم أرفع مستوى من القسس وأكثر دراية بالبحوث الروحية ، واشتهر

---

(٣) هو ثابت بن قيس بن شماس ، خطيب رسول الله ﷺ ـ قتل يوم اليمامة ، وكان عليه درع نفيسة ، فمر به رجل فأخذها فجاء ثابت أحد المسلمين فى منامه ، فقال له : أخذ فلان درعى وقد كفأ عليها برمة ، ووصف له منزل الرجل ، ثم قال أبلغ ابا بكر أن على كذا وكذا دينا ، وعبدى فلان عتيق ، لا تظن هذا حلما فتضيعه . واستيقظ الرجل وأبلغ الخليفة فوجد كل شىء على ما وصف ، ونفذ الخليفة وصيته ، قال البخارى لا نعلم وصية بعد موت صاحبها غير هذه ـ انظر الاصابة ت ٩٠٤ .

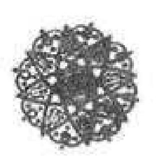
(٤) الزمر ـ ٤٢ .

(٥) الإسراء ـ ٨٥ .

عن هذه الكنيسة أن قسسها ليسوا ذوى اطلاع ، ويبدو أنهم شغلوا بدرس النواحي الدينية أكثر مما شغلوا بالنواحى الروحية ، ولا يدرس كتاب « ديفز » بينهم ، وقليلون منهم قراوه ، أما الأكثرون فلا يقرأونه ، وإذا يسرت لهم قراءته فقد لا يفهمونه ، وهو لا يخلو من غموض .

وعناية الجميع ـ قسسا وأتباعا ـ تتركز على معرفة الحياة الآخرة ، وما يلاقيه الناس بعد موتهم ، وعلى صلة الموتى بذويهم وبالأحياء عامة بعد موتهم ، وهم يتوصلون لهذه الغاية بطريق الوسطاء أثناء الصلاة وأثناء الجلسات الروحية ، وهم يستهوون الناس حتى إن جلساتهم تكتظ بالمشاهدين . وليس لهم خطر تبشيرى على الإسلام إلا من ناحية منافسته فى دعوة الآخرين ، وقد يحضر جلساتهم الكثير ولكنهم لا يتنصرون . ونحن نعرض مذهبهم لونا من الوان الفكر المسيحى وتيارا من تيارات التبشير ، والفرق المسيحية الناشئة أكثر من أن تحصى .

د . عبد الجليل شلبى



التطوير الممكن في القيم السائدة

في المجتمع المصري
من أجل تنمية طبيعية ناجحة

● **كل مجتمع في الحياة القديمة أو المعاصرة يعيش على مجموعة من القيم التى تحكم سلوك الناس وتصرفاتهم اليومية .**

وليس هناك مجتمع في القديم أو في الحديث بقادر على التخلى عن قيمه التى تنظم سلوكيات أمته وهو في (طريق) التنمية التى يريد أن يحققها .

وشعب مصر فضلا عن أنه مجتمع ممتد من التاريخ البعيد محكم القيم وعريق الأخلاقيات ، وقديم النظم الحضارية الرائدة ، وبخاصة في مجال القيم الأخلاقية والسلوكية ، والعمل الحضارى الهندسى والطبى والعسكرى فإنه مجتمع يقوم ـ أساساً ـ على القيمة العليا وهى العقيدة ولا أدل على ذلك من الأهرامات التى تصور المستوى الرفيع للفكرة الدينية عند المجتمع المصرى القديم وهو يأمل في الخلود الأبدى ، ولهذا بنى الأهرامات حتى تعود الأرواح إلى الأجساد يوم يبعث الله الخلائق وهى أسمى فكرة دينية لم يصل إليها فكر بشرى إلا بعد أن جاء وحى الله إلى البشرية ليعرفها بأن البعث بعد الموت حقيقة من حقائق الإيمان بالله ورسله واليوم الآخر .

ولقد أثرت هذه العقيدة في القيم التى تحلى بها المجتمع المصرى وجعلته مثلا يضرب في مجال العلاقات الإنسانية والذوق الرفيع والأمانة والشرف والتراحم والتعاون وحسن الجوار وحسن الصحبة ومحبة الأنس الرقيق مع الغرباء .

وليس من شك أن مجتمعنا المصرى المعاصر قد ألمت به نوازل بُدِّلَتْ واهتزت فيه القيم ، وانقلبت فيه المعايير مما أثر في الأوضاع الاقتصادية والأخلاقية والسياسية والدينية ، ولا غرو بأن محاولة إعادة صياغة المجتمع وعودته إلى النسق الأصيل الموروث عن الآباء والأجداد الأفاضل ذوى المحامد في الأخلاق والسجايا لأمر مقدر وواجب حتى تبقى مصر هى القلب النابض والموئل المقدر لحماية الأخلاق والفضيلة والعدل والرخاء .

وجملة القيم التى كانت أصيلة في المجتمع المصرى ، ثم أصابها الاهتزاز وتحتاج إلى تصحيح أو إعادة صياغة للأساليب والممارسات المنبثقة عنها هى :

- **الأخوة .**
- **الاحترام المتبادل .**
- **العفة .**

إعداد: أ.د. رءوف شلبى
وكيل الأزهر

- الشهامة .
- حب العلم والعلماء .
- الحرية .
- الأمن .
- الكيان الأسرى .
- حسن المعاشرة .
- حسن معرفة الدين .

وتوضيح ذلك .

أولا : الأخـــوة !

عاش المجتمع المصرى حياة فاضلة فى التعبير عن صلة الأخوة فى السراء والضراء . فهم فى السراء متعاونون يعير أحدُهم لصاحبه ما يحتاج إليه فى سقى الأرض أو حرثها أو حصادها ، وإذا ألم بأحدهم مصيبة سارع الكل فى الإسهام للتخفيف من وقعها ، ولقد شاهدت الأجيال المتقدمة كيف يشترك الناس فى القرية فى إطفاء الحريق ، وإيواء صاحب الدار وأهله ثم كيف يجمعون له التبرعات ويعيدون له بناء داره .

والأفراح والمآتم على السواء محل سلوك تعاونى بين الأهل والجيران بل وفرصة لإزالة أسباب الخصومة والفرقة ، وكان من آثار تلك الأخوة إشاعة الرخاء ، والمودة ، والتآلف بين الناس وكانت هذه هى طبيعة المجتمع المصرى - ثم تطورت العلاقة فأفسدتها قيم الإصلاح الزراعى بأسلوبه فى منح بعض الأولاد - غير المبحوثين - من الميراث ، وإفهام الفلاحين أن هذه الأرض كانت حقهم وأنهم ظلموا ردحا طويلا وانقلبت المعايير ، وأصبح الفلاح والجار فى القرية حريصا على مصلحة نفسه وحب ذاته فقطعت الأثرة حبال المودة بين الناس ، وزاد الطين بلة أن فتحت المصانع أبوابها لأبناء الفلاحين فتركوا الأرض والفلاحة ، وجرت فى أيديهم حفنة من المال ساعدت فى اتساع الهوة بين الآباء والأبناء وغيرت العلاقة بين المالك والمستأجر واصبح طلب المادة خلة غالبة على جميع الناس حتى اتسع الخرق على الراقع عندما انفتحت أبواب العمل فى البلدان العربية ورجع الناس بمال جعلهم يطلقون القيم الفاضلة ، وانقلبت الحياة من الأخوة إلى مظاهرة شعارها إبراز مظاهر الحياة الجديدة من التنعيم ، والترفه ولذلك كانت الإنحرافات الشتى فى مجال الزراعة ، وطلب العلم ، وسوء الأخلاق فلم يعد هناك صغير يحترم كبيراً ، ولا كبير يعطف على صغير ، فليس لأحدهما محل من استحقاقاته الأدبية فى ظل الأثرة وحب النفس ، والتعالى بما كسبت أيدى الناس .

وإن العودة إلى الإخاء هى الأسلوب الوحيد لإعادة القيم الفاضلة إلى المجتمع المصرى ليسير سيرته الأولى ، وأن توضع الضوابط على المستوى الأخلاقى لحماية السلوك والمؤسسات فى القرية وبخاصة الجمعيات الزراعية والمجالس المحلية ، والوحدات الصحية ، والشرطة لتكون الأخوة هى المعيار الذى يجب أن يتعامل به الناس ولا شك أن المسجد له دوره الأساسى فى إعادة هذه الصياغة وكذلك المدرسة ، والجامعة وسلوك المسئولين فى الدولة .

ثانيا : الاحترام المتبادل !

رغم الفوارق التى كانت موجودة داخل المجتمع المصرى قبل ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ وبرغم وجود انحرافات من بعض أصحاب الجاه والمال إلا أن الاحترام كان متبادلا بين جميع طبقات الأمة المصرية .

لقد كان الأغنياء محترمين وكان الفقراء أيضا محترمين فلقد بنيت المستشفيات ، ووزعت الصدقات والتبرعات من أجلهم كما كان ذلك الاحترام موجوداً بين الحاكم والمحكوم ، والتلميذ والأستاذ وبين الكبير والصغير .

كان هناك عُنْصُرا الحياء والأدب يتعامل الناس عليهما برغم الفوارق فى المال وفى التحصيل العلمى فكان الجو صافيا هادئا وكانت مصالح الناس تقضى عن طريق هذا الاحترام المتبادل .

ولاشك أن هذه الخاصية للشعب المصرى كانت قائمة فى ظل ضنك اقتصادى عالمى فى ذلك الحين ، ثم ضاعت هذه القيمة لأسباب من أولها إعطاء الشباب فى جميع المجالات حق الرقابة على الرؤساء والكبار ووضعهم تقارير وأخذ آرائهم فى تنصيب المناصب العليا حتى كان الطالب فى الجامعة يسيء إلى أستاذه بل وعميده بل ومدير جامعته ومازالت حفنة من هؤلاء تزين لنفسها مثل هذا الأسلوب البالى الوضيع .

ومن أجل إعادة هذه القيمة إلى حياة المجتمع المصرى لابد من أن يوضع كل قدر فى مكانته فلا يصلح الناس فوضى لاسراة لهم . ولاسراة لهم إذا جهالهم سادوا .

ثالثا : العفـــة !

من أفضل القيم للمجتمع المصرى أنه عفيف النفس واليد والعرض ، ولا يحفظ التاريخ لشعب من خلة العفاف مثلما يحمل الشعب المصرى .

لقد كان الآباء يعلمون أبناءهم أن يرفضوا أية نقود يقدمها الضيوف - لأنه « عيب » وكانت المرأة تباهى بعفافها ، بل كانت هذه القيمة هى أغلى ما تتحلى به الأسرة المصرية ثم انقلبت الأمور فأصبح طلب المال خُلُقاً ، وجر ذلك إلى الرشوة والاختلاس والنصب والتحايل .

وإن صورة الجمعيات الوهمية التى استغلت حاجة الناس إلى المساكن لهى صورة إجرام فى خلق المصريين قديما وحديثا ولكن عدم العفة هو الذى أبقى عليها .

والدعوة إلى أن تتحلى المرأة المصرية بأخلاق المرأة الأوروبية ، والضغط الإعلامى الرهيب بالبرامج الكثيفة التى تسعى حثيثا لنقل عادات المرأة الأوروبية إلى المرأة المصرية . والعبث بقيم الأخلاق ، والتباهى بالممتلكات والرحلات .، والتغالى فى مظاهر الحياة والمعيشة ونزول العرب النفطيين بأموالهم مع مالبعضهم من سوء الأخلاق وجموح الشهوات جمد خصلة العفة وأسال لعاب المصالح الشخصية والإثراء غير النظيف .

ولابد من إعادة قيمة العفاف للمجتمع المصرى حماية للمال العام ، وصيانة للمال الخاص ، وإراحة للمجتمع من الرذيلة ، وإبرازا لخصائص الشعب المصرى العفيف .

رابعا : الشهامـــة !

الشهامة هى من خصال الشعب المصرى المشهود له بها فى الدين والتاريخ والعلاقات الإنسانية .

لقد قال فيهم سيدنا محمد ﷺ « إنهم خير

أجناد الأرض » وقال فيهم التاريخ « إنهم أصحاب مجد عسكرى » .

وقالت العلاقات الإنسانية : « إنهم أفضل الشعوب حياً للإنسانية ونجدة وإباء » .

لقد كانت الشهامة فى مجالاتها الحيوية هى صفات شعب مصر فالحقوق مصونة للشهامة وفى المثل العامى « الرَّجُلُ يربط من لسانه » .

فلم تكن تحتاج المواثيق لأكثر من الارتباط الشفهى ؛ لأن الشهامة كانت المعيار الذى يعيش عليه الناس وتقاس به الأخلاق الحميدة .

ثم انقلبت المعايير نتيجة عدة ظروف منها :

- إهدار آدمية الشعب المصرى فى السجون والمعتقلات .
- وإذلاله فى الحصول على قوته .
- وخيبة العمل العسكرى عدة مرات قبل عام ١٩٧٣ م
- وغياب قِيَمِهِ الأصيلة السابقة : العفة ، والأخوة ، والاحترام فانقلبت الحياة على وجهها وصارت النذالة هى القيمة الجديدة وجر ذلك إلى سلوك منحرف مثل خطف البنات وشرب الحشيش وتعاطى المخدرات السامة والسرقة ، والغصب والكذب ، والتحايل .

ولقد كانت حرب رمضان المعظم سنة ١٣٩٣ هـ / ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ م بابا لإعادة صياغة الحياة من جديد وفرصة لتعميق الشعور بالشهامة ، ومازالت الفرصة قائمة بعد السياسة الحكيمة الرتيبة التى تسلكها الحكومة مع اليهود ، ولا ينبغى أن تحيد عنها حتى لا يفقد الشعب شهامته كلية .

وكذلك الأسلوب الراقى فى ممارسة رجال الأمن ومواجهتهم بأسلوب محترم للفقاقيع التى تظهر فى أحيان من الزمن لأنها بقية اضطرابات متعددة غير متوازنة بين الشعب والحكومة آنفا ولابد من إعادة الشهامة إلى الأمة المصرية عن طريق إعطاء الثقة فى النفس ، ورفع القيود التى تحد من التعبير المحترم عن الرأى المخلص وقمع المزايدين بالباطل ، وإعلان كرامة الإنسان المصرى مسئولية تاريخية يفرضها الحاكم على نفسه فإن ذلك يحل كثيراً من المشكلات النفسية لدى كثير من الشباب فإن مجموعة الكتب التى عرضت أساليب التعذيب الوحشى اللا إنسانى فى الزمن الأسبق قد أثرت كثيرا فى نفوس الشباب والشابات فى المجتمع المصرى الحالى .

ولن تعود الشهامة إلى الأمة إلا بإزالة معوقاتها .

خامسا : حب العلم والعلماء !

شعب مصر سبق العالم كله فى العلم ومحبته وتقدير العلماء ، ولقد كانت حلقات العلم تنتشر فى شتى أنحاء شعب مصر داخل المساجد ، وفى « المضيفة » أو فى صالونات كبار رجال الدولة أو فى دور العلم . دار الحكمة ، قاعة يورت ، الشبان المسلمين ، قاعة الإمام محمد عبده .

وكان هناك حرص على الاستماع إلى العلم حتى من الفلاحين فى مساجد القرية فكانت طبقات الشعب محبة للعلم ، ومحبة للعلماء لقد كان المدرس الإلزامى محترما فى القرية بل كان يعد من كبار القوم ، وكان طلب العلم أمنية كل رجل وكل غلام حدَثٍ .

وكان التعليم له ثماره من حيث جودة صياغة العقل الإنسانى والسلوك الفاضل .

ومع أن المتعلمين كانوا حفنة قليلة لكن آثارهم كانت مجيدة ، وكانت الأمة فى ارتياح فاضل للسلوكيات السامية النبيلة .

ثم انقلبت الموازين وصار « الزبال » أكثر قدرة على الاحترام المادى من أستاذ الجامعة بل صار الطالب فى الجامعة أكثر انشداداً إلى عمل

←

المحارة وتبليط الحمامات من انشداده إلى مدرجات العلم وسبب ذلك هو ضياع القيم الأصيلة للمجتمع المصرى وانفتاح أبواب الشهوات والفن والغلاء الفاحش والتبذير والإسراف فى شتى المجالات .

ولابد من أجل أن تعود قيمة حب العلم والعلماء من إعادة النظر فى قوانين التعليم والمسألة محلولة على النحو التالى .

أ ـ التعليم بالمجان لكل من يحصل على تقديرات علمية .

ب ـ كل الراسبين لا يقيدون إلا بمصاريف .

جـ ـ إعادة امتحان الدور الثانى لربط الطالب بالمدرسة والجامعة .

د ـ وأن يترك الأزهر فى جميع مراحله للعاجزين عن دفع المصروفات فى الوزارة .

ويكون الأزهر من التعليم الابتدائى إلى الجامعى هو التعليم المجانى لأن الأصل منذ القدم هو هكذا فتكون الحكومة قد وفت بالتزامها بالنسبة لمجانية التعليم ، وحافظت فى نفس الوقت على مستواه .

هـ ـ أما التعليم فى الأزهر فيجب أن يركز على حفظ القرآن الكريم على الأقل فى المرحلتين : الابتدائى والإعدادى .

وأن توضع خطة لذلك عن طريق مؤتمر يعقده الإمام الأكبر مع المختصين فى المعاهد والجامعة .

و ـ وأن يعاد النظر فى مستوى الدخول بين أصحاب الحرف والعلماء ..فعدم اتزان الدخول هو العلة فى فساد قيمة محبة العلم والعلماء التى نعيشها فى الوقت الحالى .

سادسا : الحرية !

الحرية حق فطرى لا تقدر حكومة استعمارية أو وطنية أن تلغيه من المشاعر والقوى النفسية والعقول الإنسانية .

والحرية هى غذاء الروح ، وهى العنصر الحيوى فى نشاط كل قيم الحياة وقد وضعتها فى الوسط فى هذه الورقة لأنها فى المركز تنشر عبيرها وكهرباءها إلى جميع القيم قبلها وبعدها ، إنها كالقلب فى الجسم يستقبل الدم ويبثه مرة أخرى فى الشرايين والأوردة .

ولقد كانت مطالبة شعب مصر بالجلاء مجالا للممارسة الطبيعية للحرية وقد أشعلت هذه الممارسة حماسا دافئا فى نفوس المصريين للتمسك بالحرية فبات وأصبح وهو يعشق الحرية حتى صارت له ثم كبت مرة واحدة باسم الحرية ، فحدث له احباط عطل فيه جوانب الشهامة والعفة وكره كل القيم ..

إنه لابد من إعادة الحرية بكسر القيود التى فرضت عليها وكسر الباب الذى اعتقلت فيه دون إفراط فى السماح للمزايدات والأهواء والمزاج الخاص .

إن الحرية معروفة ، ومجالها معروف وطبيعتها معروفة وأن الخروج عليها كذلك معروف، إنه معروف الفرق بين الحرية والفوضى .

ومن أوليات الحرية عند الحاكم العادل الوطنى الصادق أن يعفو عن ذلة المسيء عن غير قصد ، وإلا لا تكن حرية ولا يكن عدل .

سابعا : الأمـــن !

الأمن أمنية عزيزة على نفس كل كائن فضلا عن كونه إنسانا والعقيدة الإسلامية قررت الأمن صفة المؤمن لا يروع ولا يروع ولا يعتدى ، ولا يثار لأنه محل الأمن يعطيه ويشيعه والأمن

هو صمام الحضارة الراقية وعصب العمل الاقتصادى وميزان السلوك الفاضل فى المجتمع المتحضر ، وهو معيار الثقة المتبادلة بين الحاكم والشعب .

ولقد وقعت أحداث جعلت لفظ الأمن يساوى الرعب والخوف والهلع .

والأحداث التى وقعت ما كانت الدولة فى حاجة إليها ولا كان شعب مصر يستحقها لكنها قضاء الله ، ومع أن الشعور الآن أن الناس فى أمن لكن المطلوب هو أن يفهم رجال الأمن أنهم للأمن لا للتصيد والترقب للأخطاء .

إن الذى لا يحب الأمن شرذمة قليلة من المنحرفين ومن الخطأ أن يعم سلوكهم على الشعب كله وأن تسقط الأحكام الجزافية المرعبة .

نعم هى حقبة قد مضت ولكن الذى يعيد الأمن كقيمة محترمة هو سلوك رجال الأمن بالمفهوم الوطنى الفطرى الصادق أنهم أصدقاء الفاضل وأعداء الرذيلة .

ومن أجل هذا لابد :

أ - أن يلغى النظر قانونيا للشكوى المجهولة الكيدية .

ب - أن كل شكوى أو تقرير موقع يكون هو محل الاحترام حتى يثبت صدقه .

جـ - أن يختار الموكل بالأمن من الصادقين فى الخلق ، والأمناء على الحقيقة وأن يحاسب إذا ثبت أنه مخطىء .

إن الأمن مهمة صعبة يجب على الحكومة الحاضرة أن تسعى لإقرارها لأن الجرح من كلمة الأمن عميق فى نفوس كثير من الشعب المصرى .

ثامنا : الكيان الأسرى :

الكيان الأسرى محترم بذاته فطريا ويمتاز القدماء المصريون بأنهم الشعب الذى أعطى الكيان الأسرى احتراما وتقديرا ، والكيان الأسرى هو صيانة وحدة الأسرة : الأجداد والجدات والآباء والأبناء والأحفاد ، والخدم ، فقد كانت الأسرة تتحرك فى إطار من الاحترام والمودة والعطف والبر والحنان والرفق ، يعطى الكبير فيها أكثر مما يأخذ وينعم فيها الصغير بما يشب عليه من الإيثار ، وحب الخير ، والمعروف .

ثم انقلبت الأمور فرأينا الولد يقتل أمه وأباه ، ورأينا البنت تقتل أباها مع زوج أمها أو عشيقها .

إن هذا الشطط فى الانحراف نتيجة عوامل كثيرة منها :

خلخلة الأسرة التى تعرضت لها فى القوانين المستحدثة التى راعت نجاح حفنة من النساء فى مطالب أوروبية تريدها سجلا لها فى النشاط والحركة النسائية لا أكثر ولا أقل ، لكن ترتب على تعدد قوانين الأسرة وإشاعة فقه المحكمة والقضاء بين النساء ضيع كيان الأسرة وزلزلها ، لا سيما عندما قرر القانون القطيعة بين أفراد الأسرة بما تدخل فيه باسم العدالة فيما يتعلق بالسكن - والمتعة من الأمور التى فتحت الشهوة على مصراعيها فانفلت العيار وصارت الأسرة نهبا لكل وسوسة شيطانية وضاع كيانها فحرمت الحنان والمعروف . ومن أجل إعادة كيان الأسرة لابد أن يرجع إليها مقومها الأساسى وهو قول الله تعالى :

- هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ .
- فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ .
- وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ .
- لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ .

وبوضوح إن الكيان الأسرى لا يستقر طالما

تدخل فيه القضاء وابتعد عن الحكمين من الأهل الصالحين .

تأسعا : حُسن العِشرة !

إن فلسفة الهندسة المعمارية القائمة الآن فى أحياء القاهرة وقرى مصر الكنانة تعطى الناظر فكرة قيام هذه الهندسة على قيمة رفيعة فى العلاقات الإنسانية هى حسُن العشرة ، لقد كانت الحياة المصرية شريفة ونقية وفاضلة ، وكانت السلوكيات تعبق بالشذا العطر من الحياء والكرم والعفاف ، وكان احترام الجار فى مشاعره أمراً مقرراً بالقيم والعادات والتقاليد فأثرت هذه القيمة الحضارية فى المعمار الهندسى فى الزمن الماضي .

ولقد عرف المصريون قديما وحديثا وفى الحل والترحال أنهم أهل عشرة ومودة وأهل الذوق الرفيع ، والكرم الواسع .

لكن الأمر انقلب فأصبح الجوار قسوة يئن منها كاهل الذى دفع خلو الرجل أو المقدم الباهظ أو الإيجار اللامعقول واستفحل الأمر فلم يعد هناك مقدم ولا خلو بل بيع فاحش وأصبح التحايل على القوانين لعبة فلاسفة القوانين وأحزابهم وقيست العلاقات المعاصرة بالنفع المادى وأصبح الذكىُّ هو الذى يقيم له فى كل ركن خلية يحركها بأصابعه كأنها خيوط فى مسرح العرائس ..

وانقلب العمل الإدارى ، والسلوك الاجتماعى إلى صفقات « اعطنى أعطيك واستر على أستر عليك » وتسبب نظام الاتحاد الاشتراكى فى خلق « شلل » يوثق بها لتعبث بالقيم ويلتف حولها جمعيات المنتفعين ففسدت الحياة الاجتماعية فى مصر لاسيما وبعض المشتغلين بالعمل السياسى أعطوا أذونات علف وأسمنت وحديد وتاجروا بها فى السوق السوداء فلم يعد للناس قدوة فى قيمة حسن المعاشرة فإن الكل ينهب ولا يبحث إلا عن مصلحته وضاعت القيمة المصرية العليا : حسن المعاشرة التى يتوج بها التاريخ شعب مصر فى القديم .

وإذا أريد لنا أن نصوغ المجتمع المصرى من جديد ، فلابد من العمل على إزالة كل آثار الفرقة ، والجشع ، والكسب غير الحلال وانتهاز المراكز السياسية ، والإدارية وقطع أيدى أصحاب الشلل وجمعيات المنتفعين حتى يكون الولاء فقط لله ثم للوطن وللقيم العليا فى حسن الجوار والعشرة بالمعروف .

عاشراً : حسن معرفة الدين !

إن فكرة الألوهية لحاكم مصر القديمة تعطينا خلفية عن طبيعة شعب مصر الدينية إن فرعون مصر لم يجد لنفسه مكانة يفرضها على شعب مصر إلا الفكرة الدينية وهى أنه إله .

وسواء كانت هذه الفكرة صواب ساعتها أو خطأ فالمهم أنها فكرة تصور أن شعب مصر شعب الإيمان وليس شعبا علمانيا ولا شعباً ملحداً رغم أن العلم فى مصر القديمة قد بلغ أوجه فى المجال الطبى والهندسى والعسكرى .. الخ .

وقد جاء الإسلام فصقل عقيدة التوحيد عند هذا الشعب واحتفت مشاعر شعب مصر مبادىء الإسلام فى رفقة طويلة الحب والوجدان الصادق ولا أدل على ذلك من المظاهرة الفياضة التى يحاط بها الاتقياء المخلصون من العلماء وهم فى ساحات المساجد وإنك لتجد فيما مضى عمال مصر وأثر السجود باد فى سيماهم وكنت تجد مصاحبا لأثر السجود كرم الأخلاق وحسن الأداء للعمل بل كبار الباشوات مثل هيكل باشا لم يحرم نفسه من

هذا الشرف فانخرط فى العمل الدينى مع أنه سياسى أرستقراطى فألف مجموعة من الكتب الراقية فى الدراسات الإسلامية وفى مقدمتها :

- حياة محمد ﷺ .
- فى منزل الوحى .
- الصديق أبو بكر .. الخ .

وكان الأمير محمد على رحمه الله قد اتخذ له إماما خاصا هو الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت .

بل أن الملك فاروق على رغم ما كان فيه قد اتخذ له إماما خاصا هو المرحوم الدكتور عبد العزيز المراغى .

وكان الملك يحضر كل عام احتفال الأزهر بعيد الهجرة النبوية فى الرواق العباسى وكان الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر يلقى درس الهجرة والحكومة مع الملك تستمع وتنصت وكانت هيئة كبار العلماء لها قدم عال عند الدولة من الاحترام والتقدير والتوقير . بل كانت مشيخة الأزهر محل ثقة من الشعب يفزع إليها لتوصل للحاكم مطالبه .

ثم عصفت العواصف بكل القيم الدينية وأضعف الأزهر دون أن يضعف بذاته وكدست كتائب انحرافية ملأت العين والسمع والفؤاد بالأباطيل والخلاعة فانقلبت الموازين ، ولم يعد مجال الترفيه ترفيها بل صار هو الأستاذ المعلم للقيم والسلوكيات ، فحدثت الهوة السحيقة بين طبقة الشعب ومعلميه الجدد من الراقصات والمغنيات والعاريات .. وهو أمر مرفوض من شعور الشعب المصرى لأنه شعب التدين الحسن .

لقد كانت المساجد ملأى بين صلاة المغرب والعشاء بحلقات العلم .

وكان الأزهر يعطى إجازة فى شهر رمضان لينشر على الناس العلم .

وكان الناس صباح مساء يذهبون إلى العلماء يسألونهم ويفتونهم .

وكانت معايير الحياة يومها منضبطة فالكل يريد أن يعرف الحلال والحرام ليلتزم ويسلك السبيل السواء ..

ثم حدثت أمور زَهَّدَتِ الناس فى العلم والتدين والعلماء والتقوىٰ ، وأقبلوا على الحياة حرامها قبل حلالها وفاسدها قبل صحيحها ..

وكان من أسباب ذلك أن الدولة لم توائم بين :

أ ـ مجال العبادة وهى طبيعة الشعب المصرى .
ب ـ ومجال الترفيه النقى وهو من خصال الشعب المصرى .

فتكدست مسلسلات وأفلام وبرامج تهدم هدما فى مجال التدين والأخلاق .

ودست وسط التكديس برامج تافهة عن بعض المسائل الدينية لا يسعف الوقت الذى رصد لها ولا المتحدث الذى انتخب ليتحدث فيها بقدر شروى نقير .

فخربت المساجد من حلقات العلم .

وفشلت برامج الإعلام فى توصيل التدين .

فوقع الانفصام الشخصى لدى كثير من أبناء الشعب المصرى مما جعل بعضهم يقسم العلماء إلى قسمين :

- علماء سلطة .
- علماء دين .

حسب النهج والتعقيد أو القلقلة والتردد من البعض والبعض الآخر فذبلت عواطف التدين وضعفت الرغبة فى معرفة الدين .

وكانت فرصة لتزج دول عربية تـريد الانقضاض على مصر وأزهرها الشريف فاختارت شبابا وأعطتهم مالا وحملتهم بالأوزار ويسرت لهم سبل الدعوة إلى ذلك ونشرتهم فى آفاق العالم

الإسلامى وفتحت لهم مراكز لتهين مصر والأزهر وتستولى على قيادة العالم الإسلامى .. فكانت عوامل التخريب فى مصر وفى الأزهر على النحو الذى نعانيه اليوم .

ولئن كنا جادين حقا فى صياغة مجتمعنا المصرى من جديد فلابد من :

أ ـ أن ترتفع مأذن الأزهر على نحو ما أقسم عليه فخامة رئيس الجمهورية يوم الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر .

ب ـ لابد من المواءمة بين المجال الترفيهى والدينى :

فى حجم الإنفاق .

ودعم الأخلاق .

وصيانة القيم الأصيلة فى شعب مصر .

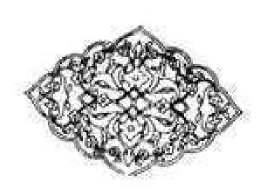
بحيث يحظى التوجيه الدينى بحقه الطبيعى وأن تعود إلى المساجد حلقاتها وعلماؤها المخلصون .

جـ ـ القضاء على مصادر الفساد والانحراف الخلقى حفاظا على المال وصحة المواطنين وسمعة مصر الدينية والأخلاقية .

ذلكم بإخلاص اكيد وحب عظيم لمصر وأمانة علمية يفرضها على دينى .. ذلكم هو ما أراه ممكنا لتطوير القيم السائدة فى مجتمعنا المصرى الحبيب من أجل تنمية طبيعية ناجحة .

والله ولى التوفيق

أ . د . رءوف شلبى



مؤتمر السكان

في العالم الإسلامي

رجب ١٤٠٧ هـ ـ مارس ١٩٨٧ م .

كلمة الأستاذ الدكتور

محمد السعدى فرهود

رئيس الجامعة ورئيس المؤتمر

● **بسم الله الرحمن الرحيم**

السيدات والسادة :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على نبى الهدى والرحمة .

ينعقد هذا المؤتمر ـ وهو المؤتمر السابع من مؤتمرات المركز الدولى الإسلامى للدراسات والبحوث السكانية ـ لمدارسة « السكان فى العالم الإسلامى » ، فى رحاب جامعة الأزهر الشريف . والرباط الوثيق بين العالم الإسلامى والأزهر وجامعته :غنى عن إبدائه فى هذا الجمع الكريم .

والملحوظة التى تفرض نفسها على الكلمة : اننا نقتحم ـ بالمدارسة ـ مشكلات السكان فى اقطارنا الإسلامية ، وهى ـ فيما وصفت به تجملاً ـ بلاد نامية ، أو متنامية ، أو على طريق التنمية ، والنماء والتنامى والتنمية زيادة وإضافة وليس العكس .

وحبذا هذا النماء والتنامى والتنمية لتحقيق الرخاء الفردى والاجتماعى فى مجتمعاتنا الإسلامية ، فى شتى الأقطار والأصقاع ، إذا ما وعينا هدف الرخاء ، فكراً وتطبيقاً .

لقد شاء الله ـ ولاراد لمشيئته ـ أن تكون الأمة المسلمة آخر الأمم ، وأن يكون دينها ـ الإسلام ، ذلك الدين القيم ـ خاتمة الأديان . ومن هنا : وجب على الجماعة المسلمة أن تسعى إلى ان يسود الإسلام حركة الحياة والسلوك ، وأن يكون الدين رائدهم فى الفكر والعلم والعمل .

وعندما يكون مؤتمركم عن السكان : يكون الحديث عن الإنسان ، وحاجات الإنسان ، ومطالب الإنسان ، وما يتصل بها فى الزمان والمكان .

ومنها حاجات أساس : كالغذاء والكساء والمسكن ، ومطالب ضرورة كالعلم والطب والدواء . وكلها شواغل إنسانية ، فهى ـ بالتالى ـ قضايا إسلامية ، لأنها ترتبط

←

بالمصلحة ، وحيثما كانت المصلحة فثم شرع الله .
وهو - أى شرع الله - أولى أن يكون هو الناظم لمنظومة الحياة ، وادعى إلى أن يوجب المؤمن على نفسه ما يوجبه عليه دينه من أصول التعاملات .

ولا تزال ترن فى وجداننا مقالة « نوح » - عليه السلام - :

﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُم إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً . يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً . وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوالٍ وبَنِينَ ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ ويَجْعل لَكُم أنهاراً . مَالَكُم لاَ تَرجُونَ للهِ وَقاراً . وَقَدْ خَلَقَكُم أطْواراً . ألَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبعَ سَمواتٍ طِباقاً . وَجَعلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وجَعَلَ الشمسَ سِراجاً . واللهُ أنبَتَكمْ مِنَ الأرْضِ نَباتاً . ثُم يُعيدُكم فِيها وَيُخْرِجُكم إخراجاً . واللهُ جَعلَ لكمْ الأرضَ بِسَاطاً . لِتَسْلُكُوا منها سُبُلاً فِجاجاً ﴾ (١) .

دعوة لا تحتاج إلى تفسير ، وإن كانت تحتاج إلى تفصيل .

مطالبون نحن - إذن - بإعمار الأرض ، أرض الله .

﴿ هو أنشَأكُم مِن الأرْضِ واسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾(٢) .

ومطالبون بأن نوالى إعمارها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، « إن قامت على احدكم القيامة وفى يده فسيلة فليغرسها » ، وصاة من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وعاها المسلمون على امتداد الزمان .. وهذا واحد من السلف الصالح شوهد يغرس جوزة ، فقالوا له : أتغرسها وأنت شيخ كبير لا تدرك ثمرتها ، فإنها لن تثمر إلا بعد كذا من السنين ، فيجيب : وماذا علىَّ أن يكون لى ثواب غرسها ولغيرى ثمرتها .

ومطالبون نحن بإحياء موات الأرض - وهو ما يطلق عليه الآن استصلاح الأرض البور - ، فإن « من أحيا أرضاً ميتة فهى له » كما قضى بذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

ونحن مطالبون بألا نفسد فى الأرض ، ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِى الأَرْضِ بعدَ إِصْلَاحِها ﴾ (٣) .

وهذا يقضى أن نمتنع عن اى تصرف يضر بعناصر البيئة الأساسية ، فمن الجرم البين تلويث الماء بالسموم ونفايات المصارف ، ومن الجرم البين تلويث الهواء بالأدخنة المتصاعدة من المصانع والآليات ، ومن الجرم البين تلويث الأطعمة والأشربة بالإشعاعات الضارة .

ونحن مطالبون بالسعى والتنقل بين مصادر الرزق . والرازق هو الله - تعالى - وعلينا اتخاذ الأسباب :

﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فامْشُوا فِى مَنَاكِبِها وَكُلُوا مِن رِزْقِهِ ﴾ (٤) .

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فانتَشِرُوا فى الأَرْضِ ، وابتغُوا مِن فَضْلِ اللهِ ﴾ (٥) .

وكما نلتمسه فى مناكب الأرض : نلتمسه فى البحر ، ﴿ وَتَرَى الفُلْكَ فيه مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ﴾ (٦) . وفى خبايا الأرض : « التمسوا الرزق من خبايا الأرض » كما حدثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . وفى مسارح البسيطة وأرباضها :

---

(١) سورة نوح - الآيات ١٠ / ٢٠
(٢) هود : ٦١
(٣) الأعراف : ٥٦
(٤) الملك : ١٥
(٥) الجمعة : ١٠
(٦) فاطر : ١٢

﴿ والأنعام خلقها ، لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون .. ﴾ [٧] . الآيات .

ونحن مطالبون بالعمل وتجويده :
﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾[٨] ، ﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾[٩]

ومطالبون بأن يكون كسبنا من عرقنا ومن عمل Brsant, أيدينا ، لا من أيدى غيرنا - منحا كانت أو قروضاً - ، إذ « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله « داود » كان يأكل من عمل يده » وقد أمره الله - تعالى - : ﴿ أن اعمل سابغات وقدر فى السرد ﴾ [١٠] .....

اختار الله لنبيه أشق الأعمال .. وهل هناك ما هو أشق من العمل فى صناعة الحديد ؟

والحديد رمز لكل عناصر المادة ومكوناتها . وهذا يقتضينا أن نسخر العلم فى استغلالها ، وفى تطويعها لأفضل إنتاج ... وإنا لقادرون - بإذن الله - على إعادة صياغة العلم فى الإطار الإسلامى الرشيد ، ومؤهلون - إذا ما كانت لنا إرادتنا - لضبط إيقاع التقنيات المستحدثة ، بعد أن باتت محور الحياة المادية اليوم .. وعلينا أن نرشدها ، فإنه يخشى إن لم نرشدها أن تجرفنا جرفاً إلى الوقوع فى براثن الأنماط الاستهلاكية ، بينما ينعم الآخرون بالأنماط الإنتاجية ، ويفرض علينا استيراد منتجاتهم ، والإسراف فى حيازتها ، وفى ذلك الخطر كل الخطر على بنيتنا الاجتماعية وشخصيتنا الإسلامية .

ونحن مطالبون بأن نقدس الحياة الزوجية ، وأن نعتز بقدسيتها ، وبما تثمره ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ، ورزقكم من الطيبات ، أفبالباطل يؤمنون ، وبنعمة الله هم يكفرون ﴾[١١] .

وإنها لمأساة أن نهدر حق الحياة ، ﴿ كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ﴾[١٢] ...

ولئن ضاقت الأرض بما رحبت على قوم ، إن فى الأرض مراغماً كثيراً وسعة ، وسنسأل عن ذلك ، ﴿ ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ﴾[١٣] .

والمطلوب أن تكون هجرة للإعمار ، لا للهرب والفرار .. فإن نماء السكان نعمة ، إذا عرفنا السبيل إلى إعظام مواردنا لا إلى إهدارها ، كما هو حادث فى بعض الأقطار من هجرة الأرياف وتصدير أهلها طاقات معطلة ومعطلة إلى سوق العمل فى المدن .. وتلك ظاهرة إنحلالية مرفوضة ، نرفضها للقرية ونرفضها للمدينة على سواء .

أيها السيدات والسادة :

هذه كلمة عابرة ، ولكنها - علم الله - كلمة مخلصة .. والله يوفقنا وإياكم إلى ما هو الخير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

د / محمد السعدى فرهود

---

(٧) النحل : ٥ و ٦
(٨) التوبة : ١٠٥
(٩) هود : ٧
(١٠) سبأ : ١١
(١١) النحل : ٧٢
(١٢) المائدة : ٣٢
(١٣) النساء : ٩٧

التربية الإسلامية والتنمية البشرية

في العالم الإسلامي

لا يستطيع أحد أن ينكر أن ظهور الحضارة الإسلامية وازدهارها كان مرتبطا إرتباطا وثيقا بالتعليم الديني والتربية الدينية، وأن انكماش هذه الحضارة واضمحلالها ارتبط بإهمال التعليم الديني والتربية الدينية، وأن العالم الإسلامي الآن يعانى محنة رهيبة تتمثل في عملية الانفصام بين مناهج التعليم ومناهج التربية الإسلامية، وأن النتيجة اللازمة لاستمرار هذا الوضع هي استمرار التدهور والاضمحلال حتى نصل إلى مرحلة الذوبان الكامل في حضارات أخرى ليست من نبات أرضنا، ولا من صنع أيدينا، ويستوى عندئذ أن نناقش إن كان التعليم الديني والتربية الإسلامية هما الباعثان لهذه الحضارة، أو كانا من مظاهر هذه الحضارة وثمارها، فمجرد الارتباط وجودا وعدما كاف في إثبات أهمية التعليم الديني والتربية الدينية لسكان العالم الإسلامي.

ومما لا شك فيه أنه يوجد في بعض بلدان العالم الإسلامي اهتمام بتدريس بعض العلوم الدينية، دون أن يكون لذلك الأثر المرجو من بروز حضارتنا وازدهارها، ولكن فرق بين أن يدرس الدين كمادة بين المواد العلمية المختلفة الأخرى وبين أن يكون هو الأساس والمنطلق في دراسة هذه المواد والعلوم المختلفة الأخرى.

ولعل تدريس مادة الدين في بعض هذه المدارس لا يتجاوز أن يكون استكمالا للشكل العام للعملية التعليمية، حتى لا يرمى المنهج بالنقص والإهمال، وهى في جملتها وتفصيلها عملية شكلية، لا تترك أثرا حقيقيا في نفوس الطلاب والدارسين، بل ولا في نفوس الأساتذة والمدرسين، بل لعل تأثيرها يظهر في الناحية السلبية بصورة غير واعية، حيث يعطى انطباعه في نفس الطالب، ويستمر هذا الانطباع مسيطرا

(*) قدم في المؤتمر العالمي الخامس للتربية الإسلامية الذى عقد بالقاهرة في الفترة من ٧/١١ من رجب ١٤٠٧هـ الموافق للفترة من ٧/١١ من مارس ١٩٨٧م.

للأستاذ الدكتور عبد الفتاح عبد الله بركة

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلاميه

على شعوره حين يخرج إلى الحياة العامة فيتعامل من منطلق مادى خالص لا أثر للشعور الدينى فيه لأنه قد وقر فى نفسه أن الدين لم يكن إلا مادة علمية يستكمل بها منهجه الدراسى ليس إلا .

ومن هنا نستطيع أن نقول إن العملية التعليمية فى معظم بلدان العالم الإسلامى تتجه فى أساسها ووسائلها وأهدافها إتجاها ماديا خالصا لا تؤثر فيه تلك المناهج الدينية التى تأخذ مكانها على استحياء شديد ، خاصة فى الكليات الجامعية ، النظرية منها والعملية ، وهو موقف خطير يحتاج إلى مراجعة وتدارك سريع من اصحاب الشأن فى وضع المناهج والتخطيط للعملية التعليمية فى العالم الإسلامى .

إن من بديهيات الأمور أن العقلاء لا يقومون بعمل إرادى إلا إذا كان لهم هدف يريدون تحقيقه من وراء القيام بهذا العمل ، والعملية التعليمية ليست لغوا من القول ، ولا عبثا من العمل ، ولكنها عملية فى غاية الجلال والخطر فهى التى تصوغ الأجيال ، وتربيها لمواجهة جلائل الأعمال وتعدها لما يحمله المستقبل من احتمالات يدركها القادة والمخططون بتجارب التاريخ وممارسة المشاكل القائمة وتوقعات الحوادث وتطوراتها ، فيهيئون لها أبناءهم ويعدونهم لتحمل مسئولياتهم .

لكن على أى أساس يضعون هذا التخطيط ، ولتحقيق أى أهداف يعدون أبناءهم ويهيئونهم !!

إن كل دراسة أو عمل أو سلوك جاد ، لابد أن يكون فى إطار فكر محدد يعتبر بالنسبة له كالقاعدة الأساسية أو الإطار العام ، من هذه القاعدة وهذا الإطار تظهر المفاهيم التى يتكامل بعضها مع بعض ، وتظهر الأعمال والسلوكيات على أساسها متكاملة متجانسة ، مفهومة المصدر ، معقولة الغاية ، تجد تفسيرها وتحليلها فى هذه القاعدة وهذا الإطار وإلا فقدت الأعمال تجانسها ووحدتها وأصبحت عشوائية لا رابط لها ولا تماسك بينها .

وإن الأمم الحية الناهضة ، لا تستطيع أن تهىء أبناءها لمواجهة أمور وتحقيق أعمال بغير أن يبينوا لهم البواعث والأسباب ، وبدون أن يبينوا لهم الغايات والأهداف ، حتى تلك الأمم التى حاولت أن تستبعد الدين عن التأثير فى حياتها وسلوكها لم تستطع أن تجعل العملية التعليمية جافة جفاف المادة الصماء فالتمست لها مايسمى عندها بالأيدولوجيات ، وجعلت من هذه الأيدولوجية محوراً تدور حوله جميع خططها ومناهجها ، حتى فى تلك العلوم المادية البحتة وبهذا أكسبوا العملية التعليمية روحاً ومذاقاً يسوغها لأبنائهم ويغريهم بها ، وأعدوهم بذلك إعداداً ماديا مبنيا على تلك الأيدولوجية المحورية ويجعل تحقيقها فى الحياة هدفاً وغاية . ويدور الصراع العالمى المادى الآن على أساس من هذه الأيدولوجيات ، ولا تتم أى هزيمة مادية إلا إذا تمكنت من إذابة الايدولوجية الكامنة وراءها وزعزعتها فى نفوس أصحابها .

وأنه بناء على هذه الايدولوچية توضع الاستراتيچية التعليمية والتربوية لصياغة الأجيال بحيث يستمر تدفق التيار التاريخى للأمة فى اتجاه موحد يحفظ للأمة وحدتها التاريخية والمستقبلية .

أما فى العالم الإسلامى ، فالأمر جد مختلف ، ذلك لأنه لا يرغب أحد صحيح الإسلام فى استبعاد الدين عن التأثير فى الحياة والسلوك ، حيث لا يوجد فى الإسلام مبرر لذلك مثل ما وجده الآخرون فى أديانهم ، ولذلك فالعالم الإسلامى لا يحتاج إلى اختراع ايدولوچية تحل محل الدين ، بل يرون أن دينهم يطمس جميع الايدولوچيات البشرية بحقائقه الثابتة الناصعة . ومع ذلك فهو لا ينال فى العملية التعليمية ماتناله تلك الأيدولوچيات من اهتمام أصحابها ومحاولتهم نشرها وتصديرها بكل الوسائل والسبل .

وبهذا أصبحت العملية التعليمية فى العالم الإسلامى أشد جفافا منها عند الآخرين ، لأننا لا نقبل هذه الايدولوچيات الغربية ، ولا نحب أن نصطنع لنا أيدولوچية أخرى ندور حولها ، ولم نأخذ ديننا الإسلام مأخذ الجد فنجعله المحور الرئيسى فى العملية التعليمية ، حوله ندور ، ومن أجله نتعلم ، ولتحقيقه نجتهد ، وبقيمه نقيس علومنا وأعمالنا وسلوكنا ، فأصبح التعليم عندنا ماديا أكثر مما هو عند أصحاب هذه الحضارة المادية دون أن نجنى ثمار التعليم المادى كما يجنونه ، ويتمتعون به .

وأصبح الإنسان عندنا على أفضل التقديرات يعلم شيئا من الدين ولكنه لا يعيشه ، ولا يحيا فيه ، يعرف بعض قيمه ومعاييره ، ولكنه لا يستعملها ، ولايلتفت إليها ، يعرف شيئا من أصول السلوك والمعاملات ولكنه لا يمارسها ولا يجد من يطالبه عمليا بممارستها .

وأخشى إذا استمر الحال أن يأتى يوم تسود المسلمين أمراض العصر النفسية من قلق وحيرة واضطراب لا عصمة منها إلا بتشرب الدين الإسلامى فى عملية تربوية شاملة ومستوعبة .

إن الإنسان بغير دين إنسان لا تاريخ له ولا مستقبل ، إنه يعيش حيرة لا قرار فيها ، وضلة لا هداية فيها ، وحياة لا قيمة لها ، إنه يفقد معنى وجوده ، ولا يدرك حقيقة نفسه ، أشبه بحيوان يلبس صورة راقية دون أن يخرج من طور الحيوانية الساذج ، إلا أنه بقوة إدراكه يعيش حياة الحيرة والقلق والاضطراب .

والمجتمع الذى يبنيه أفراد من هذا النوع مجتمع منحل ، وإن جمعته المصالح ، متصارع ، وإن ربطته المنافع ، تعس شقى ، وإن تمتع برفاهية الآلات ومظاهر الحضارة ، عدو نفسه وعدو الآخرين ، وإن كان يتمنى السلم ويتغنى بالسلام .

والعلم المادى وحده يكسب البدن لباسا ناعما مزخرفا ، ورياشا وأثاثا فاخرا ، وطعاما وشرابا وافرا ، ولكنه لا يستطيع أن يحفظ على النفس هدوءها وعلى الروح طمأنينتها ، وعلى القلب سعادته وراحته .

وإذا كان الحديث هنا قد بدأ بالإنسان ، فليس هناك مايمنع من أن نقلب الصفحة ونبدأ بالمادة ، وسوف نرى أنه لابد لنا من العودة إلى الإنسان .

فلقد كثر الكلام فى العالم النامى عن التنمية ، وأصبحت التنمية مدار كل بحث ومحور كل حديث ، وهدف كل هيئة ومؤسسة ، ومهما اختلفت الأسماء والصفات ، وزخرفت الأحاديث والبحوث ، فإن المعنى المقصود ، والكامن وراء كل هذه الأحاديث هو التنمية المادية ، والعالم الإسلامى كله تقريبا من هذا العالم النامى ،

ولذلك فحديثه عن التنمية ينصرف عادة إلى التنمية المادية رغبة فى الخروج من نطاق التخلف ، واللحاق بركب الحضارة .

وعندما نناقش معنى التنمية من هذا المنطلق ، فسوف نجد أنه لابد لنا من أن نسأل ، لماذا نسعى وراء هذه التنمية المادية ؟ ولمن تعود فائدتها ؟ ومن الذى يمكن أن يقوم بها ويسعى إليها ؟ إنه لا يمكن أن نقوم بالتنمية المادية من أجل التنمية المادية فى حد ذاتها ، وإلا فقدنا الدافع الذى يدفعنا إليها ، بل لابد أن تكون التنمية المادية من أجلنا نحن .. من أجل الإنسان ، كما أنها لا يمكن أن تتم إلا على يد هذا الإنسان . ومهما تفاوت مفهوم التنمية وتشكل فى صور مختلفة فمما لا يثير خلافا أن الإنسان هو محوره غاية ووسيلة ، ومالم يؤخذ ذلك فى الحسبان ، فإنه لا يمكن لأى برنامج من برامج التنمية أن يأخذ مجراه فى عالم التحقيق والواقع ، ولابد أن تفشل جميع الخطط التى تتجه إلى التنمية إذا أغفلت عامل الإنسان فى تخطيطها أو تنفيذها أو فى توجيه نتائجها وآثارها .

وكيف يتأتى لهذا الإنسان أن يقوم بهذه التنمية المادية إذا نحن لم نعامله كإنسان وإذا لم يكن له هو فى نفسه حظ من التنمية الإنسانية ، وإذا لم يشعر فى أعماقه بمشاعر الرضى والاستقرار والراحة والاطمئنان .

كيف يتأتى لهذا الإنسان أن يقوم بهذه التنمية المادية ، إذا افتقد فى نفسه عوامل الثقة وتكامل الشخصية ، وإذا قصرت طاقاته ومعنوياته عن التحليق فى آفاق الأمل وطموح السعادة .

إن التنمية المادية لا يمكن أن تتم إلا فى إطار من التنمية بمفهومها الواسع بما فى ذلك تنمية الإنسان ، و التنمية الإنسانية .

والتنمية الإنسانية تتعلق بالشخصية ، والفكر ، والثقافة ، وموضع الإنسان فى المجتمع ، وعلاقة المجتمع به ، وروح القيادة والمبادرة ، وإطاعة القيم والمبادىء ، وهذه كلها عناصر ضرورية فى التنمية الإنسانية التى لابد منها إذا أردنا النظر إلى التنمية بمفهومها المادى الخالص ، وهكذا نجد أننا لابد مهما بعد بنا المطاف أن نعود إلى الإنسان ، فهو وسيلة التنمية ، وهو غاية التنمية ، بل لعلنا لا نخسر كثيراً إن قصرنا مفهومنا فى التنمية على التنمية البشرية لأنها تستتبع ولابد التنمية المادية ، لكننا نخسر كل شىء إذا قصرنا مفهومنا فى التنمية على التنمية المادية ، وأغفلنا التنمية البشرية ، وهذا ما أشرنا إليه فى مفتتح الحديث من ارتباط الحضارة الإسلامية بالتعليم والتربية الدينية .

والمقصود فى بلادنا الإسلامية بالتعليم الدينى والتربية الدينية هو أن يكون الإسلام هو جوهر العملية التعليمية ، وأن يكون أساسها ومنطلقها ، وغايتها وهدفها ، وأن ينتهى إلى صياغة الفرد ، ومن ثم صياغة المجتمع صياغة إسلامية شاملة لا ينفصل فيها سلوك ولا عمل عن نطاق الوحدة العامة التى تهيمن عليها تعليمات الإسلام ومبادؤه .

والتربية الدينية بهذا المفهوم قادرة على تنمية الإنسان المسلم تنمية متكاملة تترتب عليها آثارها العميقة ، لا فى تنفيذ خطط التنمية الطموحة فحسب ، بل فى ظهور حضارة إسلامية متميزة بكافة خصائصها ومقوماتها ، وهى قادرة على ذلك بحكم أنها عقيدة الأكثرية فى بلدان العالم الإسلامى ، وأن وجدان المسلم لا يرتضى بها بديلاً ، وبحكم أن تاريخنا يظهر عامل الارتباط بين ازدهار حضارتنا وازدهار الشخصية الإسلامية فحيثما ازدهرت التربية الإسلامية وظهرت الشخصية الإسلامية تمت حضارة

الإسلام وانتشرت وسادت بغير منافس . وقد نقلتنا هذه التربية الإسلامية من حياة البداوة والتمزق والجهل إلى حياة الحضارة والمدنية والوحدة ، وتمت صياغة هذه الوحدة والمدنية فى ظل عقيدته وشريعته وقيمه فى أخلاقياته صياغة واضحة انبعث منها نور الحقيقة الإسلامية فى كل مكان .

يضاف إلى ذلك أن الإسلام كدين يضع لنا الأهداف ، ويرسم لنا إطار الحركة ، ويحدد لنا القيم ، ويدفعنا بعد ذلك إلى تحقيق وجودنا والنهوض بإنسانيتنا وإلى آفاق واسعة رحبة لا قيد فيها ولا حجر ، ثم هو يطلب طلبا جازما ويدفع المسلم دفعا إلى السعى والحركة وتحصيل العلم ، وعمارة الكون ، بعد أن أعطاه الشخصية الحرة ، وبصره بمكانته ومنزلته فى الوجود ، ومكانته ومنزلته التى أكرمه بها رب الوجود وجعله صاحب السيادة على هذا الوجود الواسع الرحب .

بل لقد جعل الإسلام ذلك كله داخلا فى مفهوم العبادة بمعناها الواسع الشامل فتوحدت فى الإنسان المسلم شخصيته ، ولم ينفصم فيها دينه عن دنياه ، ولا دنياه عن آخرته ، ولا فرديته عن جمعيته ، ولا جمعيته عن أمته .

إنه بهذه التربية الإسلامية تتكون الشخصية المسلمة التى تمتلىء بمعانى العزة والكرامة ومشاعر الحرية والسيادة ، ودوافع النشاط والحركة ، وعوامل البذل والايثار ، وروح التضحية والفداء ، واستقلالية الفكر والإرادة ، وجماعية السعى والعمل ، وكل ذلك كفيل بتنمية راقية ، تنمية شاملة ذات مفهوم أعلى وأسمى من المفهوم المادى وإن تكفلت بتحقيق التنمية المادية بطريقة تبعية وتلقائية .

وأرجو أن تسمحوا لى من أجل ذلك أن أتقدم إلى مؤتمركم الموقر باقتراح أن تصدر توصية مؤكدة لكل من يتولى عملية التخطيط للمناهج العلمية فى بلدان العالم الإسلامى سواء فى المدارس أو الجامعات أن تكون التربية الإسلامية - بالإضافة إلى دراستها كمواد علمية - محورا تدور عليه سائر الدراسات ومنطلقا تنطلق منه وغاية تهدف إليها لبناء الشخصية الإنسانية الإسلامية التى ترعى دينها فى جميع شئونها ، وتجعله مقياس سلوكها وعملها فرديا وجماعيا .

ونسأل الله أن يقيل أمتنا من عثارها ، ويعينها على النهوض من كبوتها ، ويعيد لها عزتها ومجدها ويوفق ولاتها إلى تحقيق آمالها ، وأساله لمؤتمركم التوفيق والسداد لما يتفق ورسالتنا الدينية ومسئوليتنا الإسلامية ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .






كتاب حسن المدد في معرفة فن العدد

تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة فريد دهره ووحيد عصره
أبي محمد برهان الدين إبراهيم الجعبري

تغمده الله تعالى برحمته وأسكنه فسيح جناته بمنه وكرمه



الباب الخامس

في ذوات النظير في الآي والكلم والحروف من السور على مذاهب أئمة العدد

فصــل : في اتفاق السور في الآي

نظائر المدني الأول والأخير ثمانية وأربعون(47) .

سورة الأنفال والحج(48) ، يوسف والأنبياء ، الرعد والمعارج ، إبراهيم وسبأ ، الحجر والواقعة ، الفرقان والرحمن ، السجدة ونوح ، الشورى والمرسلات ، الجاثية والمطففين ، القتال والقيامة ، الفتح وكورت ، الحجرات والتغابن ، الحديد والجن ، الجمعة والمنافقون ، الضحى والعاديات ، الطلاق والتحريم ، ن والحاقة ، الانفطار والأعلى ، الشرح والتين ، لم يكن والهاكم ، القدر والفيل وقريش وتبت والفلق ، العصر والكوثر والنصر ، أرأيت والكافرون والناس .

ونظائر الأول ثمانية عشر

المائدة وهود ، الروم والذاريات ، السجدة والملك ، فاطر والنازعات ، الدخان والمدثر ، المجادلة والبروج ، المزمّل والبلد ، الطارق والشمس ، الشرح والزلزلة .

ونظائر الأخير خمسة عشر

الحجرات والمزمل ، ق والنازعات ، اقتربت والمدثر ، المجادلة والليل ، الجمعة والضحى

(47) يجمع المؤلف في هذا الفصل بين كل سورتين او اكثر تقاربت عددا .

(48) أسقطنا (واوا) عاطفة هنا لأنها لا تحقق المعنى .

والعاديات ، تبارك وهل أتى ، البلد والعلق ، الزلزلة والهمزة .

ونظائر المكي سبع وستون سورة

الفاتحة والناس ، يوسف والأنبياء ، الرعد والمعارج ، إبراهيم وسبأ ، الحجر ومريم والواقعة ، الحج والفرقان والرحمن ، السجدة ونوح ، فاطر وق والنازعات ، الشورى والمرسلات ، الجاثية والمطففون ، القتال والقيامة ، الفتح وكوّرت ، الحجرات والتغابن ، القمر والمدثر ، الحديد والجن ، المجادلة والليل ، الجمعة والمنافقون، الضحى والعاديات ، الطلاق والتحريم ، تبارك والإنسان ، ن والحاقة ، المزمل والبلد والعلق ، الانفطار والأعلى ، الشرح والهمزة ، العصر والكوثر والنصر ، الفيل وقريش وتبت والإخلاص والفلق .

ونظائر الكوفي إحدى وسبعون سورة

الفاتحة وأرأيت ، الأنفال والزمر ، يوسف وسبحان ، إبراهيم ون والحاقة ، الحج والرحمن ، القصص وص ، الروم والذاريات ، السجدة والملك والفجر ، سبأ وفصلت ، فاطر وق ، الفتح والحديد وكوّرت ، الحجرات والتغابن ، المجادلة والبروج ، الجمعة والمنافقون والضحى والعاديات والقارعة ، والطلاق والتحريم ، نوح والجن ، المزمل والبلد ، القيامة وعمّ ، الانفطار والأعلى والعلق ، الشرح والتين ولم يكن وإذا زلزلت والهاكم ، القدر والفيل وتبت والفلق ، العصر والكوثر والنصر ، قريش والإخلاص ، الكافرون والناس .

ونظائر البصرى ثمان وخمسون سورة

الفاتحة والماعون ، يوسف والكهف والأنبياء ، الرعد وفاطر وق والنازعات ، إبراهيم والحاقة ، الروم والذاريات ، لقمان والأحقاف ، السجدة والفتح والحديد ونوح والتكوير والفجر ، الشورى والمرسلات ، الجاثية والمطففون ، الحجرات والتغابن ، المجادلة والبروج ، الجمعة والمنافقون والطلاق والضحى والعاديات ، المزمل والانفطار والأعلى والعلق ، عمّ وعبس ، الشرح والتين والقارعة والهاكم ، القدر والفيل وتبت والفلق ، لم يكن وإذا زلزلت والهمزة ، العصر والكوثر والنصر ، قريش والإخلاص ، الكافرون والناس .

ونظائر الشامي ست وسبعون سورة

الحمد والناس ، المائدة وهود ، الأنفال والفرقان ، يونس وسبحان ، يوسف والأنبياء ، إبراهيم وسبأ والقمر والمدثر ، الحجرات[٤٩] والواقعة ، القصص والزخرف ، الروم والذاريات ، لقمان والأحقاف ، السجدة والملك والفجر ، الأحزاب والزّمر ، ص وغافر ، الشورى والمرسلات ، الجاثية والمطففون ، القتال والقيامة ، الفتح ونوح وكوّرت ، الحجرات والتغابن والعلق ، ق والنازعات ، الحديد والجن ، المجادلة والبروج ، الجمعة والمنافقون والضحى والعاديات ، الطلاق والتحريم ، المزمّل والبلد ، عمّ وعبس ، الانفطار والأعلى ، الشرح والتين

(٤٩) كذا في الأصل وهو خطأ لعله من توالي النسخ ، ولكن النظير للواقعة سورة الحجر إذ هي ٩٩ آية ، والواقعة ٩٦ آية .

والقارعة وألهاكم ، القدر وأرأيت والكافرون ، لم يكن وإذا زلزلت والهمزة ، العصر والكوثر والنصر ، الفيل وتبت والإخلاص والفلق .

فصل : فى اتفاق السور فى الكلمات فقط

قال عطاء بن يسار : هى سبع عشرة سورة . الحمد والماعون ، الذاريات والنجم ، الجمعة والمنافقون ،الجن[٥٠] والمزمل ، الإنشقاق والبروج ، الأعلى والعلق ، الضحى والعاديات ، الفيل والمسد والفلق .

فصل فى اتفاق السّور فى الحروف فقط قال عطاء : هى عشر يونس وهود[٥١] ، وعبس والتكوير ، الانشقاق والبروج ، والنصر والمسد ، والفلق والناس ، وأما اتفاقها فيهما . فالانشقاق والبروج والبواقى مختلف فيهما .

الباب السادس

فيما انفرد بعدّه من الآى امام فأكثر عن غيره أو أسقطه

إفراد المدنى الأول عدًّا وإسقاطا : عدّ اربع آيات :

بالبقرة (**من الظلمات إلى النور**) ، وبالروم (**يقسم المجرمون**) ، وبالطلاق (**ياأولى الألباب**) ، وبالشمس (**فعقروها**) ، وقيل وافقه فيهما المكى .

ولم يعد آيتين :

بإبراهيم (**وَفَرْعُهَا فى السماء**) ، وبالطارق (**ويكيدون كيدا**) .

إفراد الأخير عدّ أربعا :

بالكهف (**مايعلمهم إلا قليل**) ، وطه (**وَعْداً حسنا**) و(**إليهم قولا**) ، والعصر (**وتواصوا بالحق**) . ولم يعدّ ستا : بالبقرة[٥٢] ثانى (**وماله فى الآخرة من خلاق**) ، والكهف (**ذلك غداً**) ، وطه (**ألقى السّامرى**) ، والمزمل (**الولدان شيبا**) ، والمدثر (**فى جنات يتساءلون**) ، والعصر (**والعصر**) .

إفرادهما عدّا :

بالأنعام : (**هو الذى خلقكم من طين**) ، والأعراف (**كانوا يُسْتَضْعَفُون**) ، قال ابن شنبوذ : بخلاف فرسه ابو العلاء[٥٣] . العدّ للأول . ولم يعدّ (**الرحمن خلق الإنسان**)بها .

أفراد المكى فيهما . عدّ اربعاً : بالحج (**هو سماكم المسلمين**) والواقعة (**وكانوا يتقون**)[٥٤] والجن (**من الله أحداً**) والمزمل (**أرسلنا إليكم رسولاً**) .

ولم يعدّ أربعا : بالرحمن (**وضعها للأنام**) والواقعة (**فى سموم وحميم**) والجن (**من دونه ملتحدا**) والمزمل (**إلى فرعون رسولاً**) بخلاف فيه .

وقال ابن شنبوذ : لم يعَد بالبقرة : (**وقنا عذاب النار**) والروم (**سيغلبون**) والواقعة (**وحميم**) .

أفراد الكوفى فيهما عدّ ثلاثاً وأربعين :

بالبقرة وآل عمران (**الم**) وفيها[٥٥] ثانى

←

٥٠) بمراجعة عدد كلمات السورتين فى عد الإمام النيسابورى وجدنا كلمات الجن (٢٨٥) وكلمات المزمل (٢٥٨) .

(٥١) فى عد النيسابورى فرق .

(٥٢) اى الموضع الثانى لكلمة (خلاق) لانها ذكرت بالسورة مرتين .

(٥٣) كذا بالأصل .

(٥٤) كذا بالأصل ولا وجود لها بالواقعة وإنما الموجود (وكانوا يقولون)

(٥٥) اى فى آل عمران .

التوراة والإنجيل . والأنعام (**قل لست عليكم بوكيل**) والأعراف (**المص**) (**كما بدأكم تعودون**) وهود (**برىء مما تشركون**) وسبحان[٥٦] (**للأذقان سجّدا**) ومريم (**كهيعص**) وطه (**طه**) (**من اليم ما غشيهم**) (**إذا رايتهم ضلوا**) والأنبياء (**شيئاً ولا يضركم**) والحج (**من فوق رءوسهم الحميم**) (**فى بطونهم والجلود**) والشعراء والقصص (**طسم**) والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة (**الم**) ويس (**يس**) وص (**ذى الذكر**[٥٧]) (**والحق اقول**) وفاقا لأيوب لا الجحدرى وقيل عكسه ، والزمر (**له دينى**) وثانى (**من هاد**) (**فسوف تعلمون**) و (**حم**) من الحواميم السّبع والشورى (**عسق**) (**فى البحر كالأعلام**) والدخان (**إن هؤلاء ليقولون**) والنجم (**من الحق شيئا**) والحديد (**من قبله العذاب**) و (**الحاقة**) أولى[٥٨] (**الحاقة**) والقيامة (**لتعجل به**) والفجر (**فى عبادى**) والقارعة أولى (**القارعة**) .

ولم يعدّ ثلاثاً وعشرين : بآل عمران : (**وانزل الفرقان**) ، والمائدة (**أوفوا بالعقود**) (**ويعفو عن كثير**) . والأنعام (**كن فيكون**) (**إلى صراط مستقيم**) والأنفال أوّل (**كان مفعولاً**) . والرعد (**إنا لفى خلق جديد**) (**الظلمات والنور**) ومريم (**فليمدده الرحمن مدّا**) وطه (**منى هدى**) . (**زهرة الحيوة الدنيا**) والمؤمنون (**أخاه هرون**) والشعراء (**فلسوف تعلمون**) والنمل (**من قوارير**) والقصص (**من الناس يسقون**) والزمر (**فيه يختلفون**) وغافر (**كاظمين**) والقتال[٥٩] (**الحرب أوزارها**) والواقعة (**فاصحاب الميمنة**) (**وأصحاب المشئمة**) (**وأصحاب الشمال**) . ونوح (**ولاسواعا**) (**فادخلوا ناراً**) .

إفراد البصرى فيهما عَدَّ عشرا : بالبقرة (**إلا خائفين**) (**قولا معروفاً**) وآل عمران (**ورسولاً إلى بنى إسرائيل**) والمائدة (**فإنكم غالبون**) وبراءة (**برىء من المشركين**) وفاطر (**ان تزولا**) والقتال (**لذة للشاربين**) والحديد (**وآتيناه الإنجيل**) وعم (**عذابا قريبا**) ولم يكن (**مخلصين له الدين**) .

ولم يعدّ ثلاث عشرة :

بالأنفال (**بنصره وبالمؤمنين**) وهود (**فى قوم لوط**) وإبراهيم (**الليل والنهار**) وطه (**نسبحك كثيراً . ونذكرك كثيراً**) والشعراء (**اين ما كنتم تعبدون**) وفاطر (**بخلق جديد**) (**والأعمى والبصير**) (**ولا النور**) والصافات (**وما كانوا يعبدون**) وص (**وغواص**) والرحمن (**يكذّب بها المجرمون**) والواقعة (**انشأناهن إنشاء**) .

إفراد الدمشقى فيهما .

عدّ ثمانى عشرة :

بالبقرة (**عذاب اليم**) وآل عمران (**مقام إبراهيم**) وفاقا ليزيد ، وفى النساء (**عذاباً**

---

(٥٦) أى سورة الإسراء .
(٥٧) كذا بالأصل
(٥٨) أى الحاقة أولى سورة الحاقة .
(٥٩) وتسمى سورة (محمد)

أليماً) والتوبة (**يعذبكم عذاباً أليماً**) ويونس (**مخلصين له الدين**) (**وشفاء لما في الصدور**) والرعد (**الأعمى والبصير**) (**أولئك لهم سوء الحساب**) وإبراهيم (**عما يعمل الظالمون**) وطه (**ولاتحزن**) (**في أهل مدين**) (**معنا بني إسرائيل**) (**أوحينا إلى موسى**) وسبأ (**عن يمين وشمال**) وغافر (**يوم هم بارزون**). والنجم (**تولى عن ذكرنا**) والواقعة (**فروح وريحان**) والطلاق (**بالله واليوم الآخر**) .

ولم يعدّ إحدى عشرة :

بالبقرة (**إنما نحن مصلحون**) وآل عمرآن أوّل (**أنزل التوراة والإنجيل**) . ويونس (**لنكونن من الشاكرين**) والكهف (**وزدناهم هدى**) والحج (**وعاد وثمود**) وفاطر (**من في القبور**) وغافر (**يوم التلاق**) والنجم (**إلا الحياة الدنيا**) والمعارج (**ألف سنة**) وعبس (**فإذا جاءت الصاخّة**) واقرأ[60] (**أرأيت الذى ينهى**)

إفرادُ الحمصى فيهما : عد ست عشرة :

بالتوبة (**الدّين القيم**) والرعد (**يضرب الله الحق والباطل**) وطه (**فاقذفيه في اليم**) (**معيشة ضنكا**) والقصص (**على الطين**) والعنكبوت (**أفبالباطل يؤمنون**) والصافات (**دحورا**) والقتال (**فضرب الرقاب**) (**فشدوا الوثاق**) (**لا نتصر منهم**) والطلاق (**على كل شيء قدير**) والتحريم (**من تحتها الأنهار**) والحاقة (**أيام حسوما**) ونوح (**فيهن نورا**) والانشقاق (**انك كادح إلى ربك كدحاً**)

ولم يعدّ أربع عشرة :

بالنور (**لعبرة لأولى الأبصار**) . والقصص (**فأخاف أن يقتلون**) . وفاطر (**ولعلكم تشكرون**) (**إن أنت إلا نذير**) والصافات (**من كل جانب**) وص (**نبأ عظيم**) والقتال (**ويصلح بالهم**) (**ويثبت اقدامكم**) والواقعة (**انشاناهن إنشاء**) (**او أباؤنا الأولون**) والمزمل (**أنكالا وجحيما**) والانشقاق (**فملاقيه**) والفجر (**ربى أكرمن**) والشمس (**فسواها**) .

إفراد الحجازى فيهما عد ثلاث عشرة آية :

بالأنعام (**وجعل الظلمات والنور**) والأعراف (**ضعفا من النار**) (**على بنى إسرائيل**) والتوبة (**وعاد وثمود**) وهود (**إن كنتم مؤمنين**) والنمل (**وأولو باس شديد**) والعنكبوت (**وتقطعون السبيل**) والرحمن (**شواظ من نار**) والحاقة (**كتابه بشماله**) والفجر (**فأكرمه ونعمه** (**فقدر عليه رزْقَهُ**) . وفى اقرأ (**لئن لم ينته**) وقريش (**من جوع**) .

ولم يعدّوا ثمانيا :

بهود (**ولا يزالون مختلفين**) والرعد (**من كل باب**) والكهف (**بالأخسرين أعمالا**) وطه (**قاعاً صفصفاً**) والنور (**بالغُدوّ والآصال**) (**يذهب بالأبصار**) والطور (**والطور**) والنازعات (**فاما من طغى**) .

إفراد الحجازى لا الأخير[61] عدوا ستا :

بالبقرة ثانى (**ماذا ينفقون**) وطه (**غضبان أسفا**) (**وإله موسى**) والزمر (**من تحتها الأنهار**) وغافر (**فى الجحيم**) ونوح (**وقد اضلوا كثيرا**) وقال ابن شنبوذ : والطلاق (**يا أولى الألباب**) ..

قال أبو العلاء والدانى للأول[62] فقط ولم **يعدوا بالبقرة** (**يا أولى الألباب**) والكهف

(٦٠) أى سورة العلق

(٦١) أى لا المدنى الأخير

(٦٢) أى للمدنى الأول .

(بينهما زرعا) **(ومن كل شىء سببا)** وطه **(موسى فنسى)** والزمر **(فبشر عباد)** والواقعة **(ولا تاثيما)**

إفراد الحجازى لا الأول عدوا أربعا .

بهود **(من سجيل)** ومريم **(واذكر فى الكتاب إبراهيم)** والواقعة **(وأباريق)** والملك **(قد جاءنا نذير)** .

وقال ابن شنبوذ : بالكهف **(إلا قليل)** .

وقال أبو العلاء والدانى الأخير فقط ، ولم يعدّوا ستا :

بهود **(من طين[٦٣] منضود)** **(إنا عاملون)** والشعراء **(وما تنزلت به الشياطين)** والروم **(غلبت الروم)** والدخان **(إن شجرة الزقوم)** والمجادلة **(فى الأذلين)** .

افراد المدنّى الأوّل والكوفى فيهما عدوا : فى الواقعة **(وحورعين)** لم يَعُدُّوا بالرّوم **(فى بضع سنين)** وبالزلزلة **(اشتاتا)** ..

إفراد الأخير معه عدوا :

بنوح **(ونسرا)** ولم يعدّوا بالكهف **(عندها قوما)** ، والواقعة **(اصحاب اليمين)** ..

إفراد الأخير والشامى عدّوا :

بغافر **(الأعمى والبصير)** ولم يعدوا بالكهف **(هذه ابدا)** والواقعة **(الاولين والآخرين)** ولم يعد مع الأول بالدخان . **(يغلى فى البطون)** ولم يعد الأخير مع البصرى بغافر **(واورثنا بنى إسرائيل الكتاب)**

إفراد المكى والكوفى :

عدّوا بالفاتحة « بسم الله الرحمن الرحيم » .

ولم يعدّوا « انعمت عليهم » .

إفراد المكى والشامى فيهما ، عدّوا ثلاثا : بالقدر ثالثة « ليلة القدر » والإخلاص « لم يلد » والناس « من شر الوسواس » ولم يعدّوا بالمدثر « عن المجرمين » .

إفراد العراقى فيهما ، عدّوا خمسا :

بالكهف « فاتبع سببا » « ثم اتبع سببا » وص « والحق أقول » عند أبى العلاء . وإلا الجحدرى عند الدانى ، وعنه إلا أيّوب ، والماعون « هم يراءون » .

ولم يعدّوا ستا : بآل عمران .

« ممّا تحبون » وفاقا ليزيد ، وإبراهيم « من الظلمات إلى النور » . وطه « محبة منى » والسجدة « لفى خلق جديد » والفجر « يومئذ بجهنّمَ » .

إفراد الكوفى والشّامى فيهما : عدّوا ستاً .

بالنساء « أن تضلوا السبيل » وطه « واصطنعتك لنفسى » والزمر ثانى « مخلصاً له الدين » . وغافر « أين ماكنتم تشركون » والطور « إلى نار جهنم دعّا » والرحمن « الرحمن » .

ولم يعدّوا اثنين :

بإبراهيم « وعاد وثمود » . والزخرف « هو مهين » .

إفراد البصرى والشامى ، عدّوا ستا :

بالأعراف والعنكبوت ولقمان « مخلصين له الدين » والانفال « ثم يغلبون » وطه « وفتناك فتونا » . وفاطر أول « لهم عذاب شديد » .

ولم يعدّوا تسعا :

بالحج « وقوم لوط » وفصلت « وعاد وثمود » . والواقعة « على سُرُر موضونة » والنازعات وعبس « لكم ولأنعامكم » والانشقاق « كتابه بيمينه » « وكتابه وراء ظهره » والقارعة « ثقلت موازينه » «وخفت موازينه » .

---

(٦٣) كذا بالأصل وهو خطأ صوابه (من سجيل منضود)

إفراد المدنى الأول والكوفى والشامى .
عدّوا آيتين :
بإبراهيم « بخلق جديد » والمزمل « ياأيّها المزمّل » .
إفراد الأخير والكوفى والشامى . عدّوا آيتين : بالبقرة أول « لعلكم تتفكرون » وغافر « والسلاسل يسحبون » .
إفراد الأخير والمكى والكوفى :
بالطلاق « يجعل له مخرجاً » والأخير والبصرى والشامى : بغافر « لسنة الله تبديلا » . والأخير والمكى والبصرى : بالبقرة « الحى القيوم » .
اختلاف المدنيين[1] سبع وخمسون آية : عدّ الأول دون الأخير ثلاثين :
بالبقرة ثانى « من خلاق » وثانى « ماذا ينفقون » . « ومن الظلمات إلى النور » وهود « من سجّيل منضود » « وإنا عاملون » وإبراهيم « بخلق جديد » . والكهف « هذه أبداً » « وذلك غداً » « وعندها قوما » . وطه « ألقى السامرى » « وغضبان أسفا » « وإله موسى » والشعراء « به الشياطين » والروم « غلبت الروم » « ويقسم المجرمون » والزمر « من تحتها الأنهار » وغافر « بنى إسرائيل الكتاب » . « ويسحبون فى الحميم » والدخان « شجرة الزقوم » والواقعة « وحور عين » « وأصحاب اليمين » « وإن الأولين والآخرين » والمجادلة « فى الأذلين » والطلاق « ياأولى الألباب » ونوح « وقد أضلوا كثيراً » والمزمل « ياأيها المزمل » . « الولدان شيبا » والمدثر « فى جنات يتساءلون » والشمس « فعقروها » والعصر « والعصر » .
وعدّ الأخيرون الأول سبعا وعشرين :
بالبقرة « ياأولى الألباب » وأوّل « لعلكم تتفكرون » « والحى القيوم » وهود « حجارة من سجيل » وإبراهيم « وفرعها فى السماء » والكهف « بينهما زرْعا » « ومن كل شىء سببا » « وما يعلمهم إلا قليل » . ومريم « فى الكتاب إبراهيم » وطه « وإله موسى فنسى » و« وعدا حسنا » « والا يرجع إليهم قولا » والروم « بضع سنين » وفاطر « فلن تجد لسنّت الله تبديلاً » والزمر « فبشر عبادى » وغافر « والسلاسل يسحبون » « والأعمى والبصير » والدخان « يغلى فى البطون » والواقعة « بأكواب وأباريق » . « ولا تأثيما » « والآخرين لمجموعون » والطلاق « له مخرجا » والملك « جاءنا نذير » ونوح « ونسرا » والطارق « يكيدون كيدا » والزلزلة « أشتاتا » والعصر « وتواصوا بالحق »
اختلاف أصلى المدنيين : أبو جعفر وشيبة .
قال إسماعيل بن جعفر ، وأبو عبيد الله القارى : اختلفا فى ستّ ، عدّ شيبة دون أبى جعفر :
بآل عمران « مما تحبون » والصافات « وإن كانوا ليقولون » وعبس « إلى طعامه » والملك « قد جاءنا نذير » والتكوير « فأين تذهبون » .
وعدّ أبو جعفر دون شيبة بآل عمران « مقام إبراهيم » منفرد على الكل بالصافات وعبس وكوّرت .

الباب السابع
في ضابط يعرف الفواصل

إنما لم نكتف بحدها السابق معرفا لمزاحمة « الترصيع » ووجود السماع ولمعرفتها طريقان : توقيفي وقياسي .

(١) بالتثنية .

فالتوقيفي : ما رويته عن أحمد وأبي داود عن أم سلمة لما سئلت عن قراءة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالت :

كان يقطع قراءته آية آية ، وقرأت : بسم الله الرحمن الرحيم . إلى الدين . يقف على كل آية .

وروى البويطي عنها أنها قالت :

كان - عليه السلام - يقرأ في الصلاة : بسم الله الرحمن الرحيم . آية ، الحمد لله رب العالمين . آيتين ، « الرحمن الرحيم » ثلاث . « ملك يوم الدين » أربع ، وعدّ في المصباح[٢] إلى « الضالين » . فمعنى (يقطع قراءته آية آية) : يقف على كل آية .

ومعنى آية وآيتان وثلاث الوقف على كل آية ، لأن الصلاة لا كلام أجنبي فيها . وكذا كانت قراءته عليه السلام : لِيُعْلِمَ رءوس الآي ، ووهم فيه من سمّاه وَقْفَ السُّنَّد ، لأن فعله عليه السلام - إن كان تعبداً فهو مشروع لنا ، وإن كان لغيره فلا . فما وقف - عليه الصلاة والسلام - عليه دائماً تحققنا أنها فاصلة ، وما وصله دائماً تحققنا أنه ليس بفاصلة ، وما وقف عليه مرة ووصله أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريفها أو لتعريف الوقف التام للاستراحة .

والوصل أن يكون غير فاصلة ، أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها ، أم على الأصل ، أو لتعريف التام فَتَرُدِدَ فيه[٣] .

فالقياسى : ما الحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص بمناسب ولا محذور في ذلك ، لأنه لا زيادة ولا نقصان فيه ، بل غايته أنه محل « فصل » أو « وصل » .

والوقف على كل كلمة جائز ، ووصل القرآن كله جائز فاحتاج القياسي إلى طريق يعْرفه فأقول :

فاصلة الآية كقرينة الجعة في النثر ، وقافية البيت في النظم ، وحدُّها : قال الخليل :

من الآخر إلى أول ساكن مع المتحرّك قبله .

والأخفش : الكلمة الأخيرة .

وقطرب : حرف الروى .

وينقسم كل منها باعتبار حركة حرف الروى وسكونه قسمين :

مطلقة : إن تحرك[٤] وهى ثالثة .

ومقيدة : إن سكن وهى ستة أنواع ، وباعتبارهما في جميعها : متكاوسة إن كانت أربعة . متحركة بين ساكنين ومتراكبة ثلاثة بينهما ، ومتداركة اثنان بينهما ، ومتواترة متحرك بينهما ، ومترادفة إن التقيا .

ويحافظ فيها على أحد ستة أحرف :

حرف الرّوىّ : وهو الذي تبنى عليه وتنسب إليه وهو الأخير قبل الوصل وهو أحد حروف المدّ أو الهاء .

والخروج وهو مدّ بعدها .

والردف : وهو مدّ قبل الروى ويجتمع الياء المَدِّيَّة واللِّينِيَّة وكذلك الواو ، وكل مع الآخر ، والألف وحدها .

والتأسيس : ألف قبل الروى .

والدخيل بينهما .

وعلى أحد ست حركات :

المجرى : حركة الروىّ .

والتوجيه : حركة ما قبله مقيداً .

والنفاذ : حركة هاء الوصل .

والإشباع : حركة الدخيل .

والحذو : حركة ما قبل الردف ،

---

(٢) كتاب في القراءات .

(٣) اي تردد اهل الأداء فيه .

(٤) اي الحرف

والرش : حركة ما قبل التأسيس .

وما ذكر من عيوب القافية والقرينة وهو :

الإكفاء : اختلاف الروى بمباين ، والاجازة : اختلافه بمناسب .

والإقواء : اختلاف حركته بضمة وكسرة .

والإصراف : اختلاف كل بالفتحة .

والإيطاء : إعادتها لفظاً ومعنى قبل سبعة .

والتضمين : تعليقها بتاليها .

والسناد : الجمع بين مردفة أو مؤسسة ومعرّاة[٥] منها .

واختلاف الْحَذْو والإشباع والتوجيه ليس بعيب في الفاصلة لئلا يتوهم أن فصاحة القرآن بالتوامها[٦] مع التركيب لا بمجرده .

وجاز الانتقال في الفاصلة والقرينة وقافية الأرجوزة من نوع إلى آخر بخلاف قافية القصيدة .

ومن ثمة نزل ترجعون مع عليهم ، والميعاد مع الثواب ، والطارق مع الطارق .

والأصل في الفاصلة والقرينة التجرد ، وفي الآية والسجعة المساواة كالبيت فدار أمر الفصل على المناسبة والاستقلال والموازاة والوصل على المباينة والتعلق والتفاوت .

الاستنتاج : قال حمزة للأعمش : هلا عددتم « إلا خائفين » قال : لا إنا قرأناها حيًفا ، ومن ثَمَّ أجمع العادّون على ترك عدّ « ويأت بآخرين » ، « ولا الملائكة المقربون » بالنساء « وكذب بها الأولون » بـ« سبحان » و« لتبشر به المتقين » بمريم و« لعلهم يتقون » « وعنت الوجوه للحى القيوم » بطه ، و« من الظلمات إلى النور » و« إن الله على كل شيء قدير » بالطلاق حيث لم يشاكل طرفيه . وعلى ترك عدّ « أفغير دين الله يبغون » بآل عمران « أفحكم الجاهلية يبغون » بالمائدة « إنما يستجيب الذين يسمعون » بالأنعام « فدلاهما بغرور » بالأعراف و« إلا المتقون »[٧] و« قوم آخرون » . « وهم يخلقون » بالفرقان حيث لم يشاو طرفيه[٨] .

وعلى ترك عدّ « من خلاق » أول[٩] البقرة و« يخلق ما يشاء » بآل عمران و« قوما جبارين » بالمائدة و« فسوف تعلمون » بالأنعام وهود . و« آل فرعون بالسنين » بالأعراف « ودخل معه السجن فتيان » بيوسف و« فى السماء بروجا » بالفرقان . حيث لم يتجرد عن تعلق ما بعده .

وعلى ترك عدّ « كان مفعولا » ثانى الأنفال و« منهن سكينا » و« لأولى الألباب » بيوسف . و« دائبين » بإبراهيم و« مراء ظاهراً » بالكهف و« الرأس شيبا » حيث خالفه فى المجموع .

وعدّوا نظائرها للمناسبة نحو « لأولى الألباب » بآل عمران . و« على الله كذبا » بالكهف و« السلوى » « أبى » بطه و« اتبعوا أهواءهم » بالقتال و« الأنثى » بالنجم .

وقد يتوجه الأمران فى كلمة فيختلف فيها ؛ فمنها البسملة ، وقد نزلت بعض آية فى « النمل »

---

(٥) الاصطلاحات المتقدمة في علم القافية .

(٦) كذا بالأصل ولعله بالتئامها .

(٧) وجدنا بالأصل قوله : « إلا المتقون » مضمومة مع مابعدها وهو قوله : « قوم آخرون » على أنهما من الفرقان . والصحيح أن « إلا المتقون » بالانفال الآية رقم ٣٤ كذلك وجدنا فى الأصل عقب « قوم آخرون » بالفرقان . « وهم يخلقون بالفرقان فضمناهما .

(٨) كذا بالأصل ولعله : « لم يساو » والله أعلم .

(٩) يريد أول موضع لها بالبقرة لأن « من خلاق » ذكرت بالبقرة مرتين .

وبعضها آية فى أثناء الفاتحة ، ونزلت أولها فى بعض الأحرف السبعة ، فمن قرأ بحرف نزلت فيه عدّها آية ، ولم يحتج إلى إثباتها بالقياس للنص المتقدم خلافا للدانى .

ومن قرأ بحرف لم ينزل معه لم يعدّها ، ولزمه من الاجماع - على أنها سبع آيات أن يعد عوضها - وهو بعد « اهدنا »[10] لقوله - عليه الصلاة والسلام - فى الإخبار عن الله تعالى : « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى »[11] أىْ أى قراءة الصلاة بعده فَهَؤُلاء للعبد لا هاتان و « المستقيم » محقق فقُسمتا بعدها نصفين فكانت « عليهم » الأولى[12] . وهى مماثلة فى الروى[13] وإن تجردت[14] « ما غشيهم » « ولا يضركم » و « ذى الذكر » « واليوم الآخر » بالطلاق وهى أنسب « من خمسين ألف سنة » بـ « سأل »[15] بغير الشامى . نزلت[16] أيضاً فى أول كل سورة غيرها فى بعض الأحرف السبعة .

وممن قال : إنها من أولها من السبعة[17] وإنما لم يعدّوها لأنهم عدّوا غير المكررة ، أو جعلوها مع ما بعدها آية على أحد قولى الشافعى .

وقول الدانى : « انعقد الاجماع على أنها ليست من أوائلها » غير مسلم لخروج الشافعى منه ، وكذا إلحاقُهُ المختلف فيه بالمجمع عليه المنصّ ، وقد حققت القول فيها فى رسالة « وضع الإنصاف فى رفع الخلاف » ومنها حروف الفواتح : فوجه عدّها استقلالها على الرفع والنصب ومناسبة الروى والردف ، وَوَجْهُ عدمه الاختلاف والكمية والتعلق على الحدّ ، ولم يلحق بها « الر » للمخالفة . ولا « طس » لموازنة ما قبل . وكذا نحو « ص » ولا يرد « يس » لزيادة الياء أوله ، ولا « حم » للاطراد . ومنها بالبقرة « عذاب أليم » و « إنما نحن مصلحون » .

ووجه عده مناسبته الروى . وجه عدمه تعلقه بتاليه ، وكذا « ياأولى الألباب » و « من خلاق » الثانى ، ولحمله على الأول . وكذا « يُنْفقون » الثانى إلحاقا بالأول والثالث ، وكذا « لعلكم تتفكرون » .

(١٠) أى يكون المعدود عوضا عن « البسملة » بعد « اهدنا » لا قبله لاتفاق الجميع على رءوس آى ما قبل « اهدنا » .
(١١) الحديث رواه مسلم عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« يقول الله تعالى : قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فنصفها لى ، ونصفها لعبدى ، ولعبدى ما سأل : إذا قال العبد : « الحمد لله رب العالمين » قال الله : حمدنى عبدى ، وإذا قال : « الرحمن الرحيم » قال الله : أثنى علىّ عبدى ، فإذا قال : « مالك يوم الدين » قال الله : مجدنى عبدى ، وإذا قال « إياك نعبد وإياك نستعين » قال هذا بينى وبين عبدى ، ولعبدى ما سأل : فإذا قال : « اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » قال : هذا لعبدى ولعبدى ما سأل » .
(١٢) أى فكانت « عليهم » الأولى رأس آية لتكون السادسة عند من لم يَعُدَّ البسملة آية .
(١٣) وهى مماثلة فى الروى لما قبلها وهو « المستقيم » .
(١٤) أتى بأمثلة فى التجرد فـ « ما غشيهم » من طه ، « ولا يضركم » من الأنبياء ، و « ذى الذكر » من ص .
(١٥) أى المعارج .
(١٦) أعاد الكلام على « البسملة » .
(١٧) بياض بالأصل نحو سنتيمتر .

وأما « الحى القيوم » فيرد جملة على آل عمران تسمية النبى ـ عليه السلام ـ آية الكرسى : من « الله لا إله إلا هو الحى القيوم » .

ومنها إلى « بنى إسرائيل » بآل عمران حملا على ما فى الأعراف والشعراء والسجدة والزخرف . ولتعلقه بتاليه وحملا على « حلا لبنى إسرائيل » .

ومنها « كما بدأكم تعودون » بالأعراف للاستقلال بتقدير : « هدى فريقا أو تعودون فريقين » .

ومنها « ولا يزالون مختلفين » . لتقدير اتصال الاستثناء وانفصاله ومنها « واذكر فى الكتاب إبراهيم » بمريم لمناسبة السابق ومباينة اللاحق . ومنها « فبشر عباد » بالزّمر لتقدير تاليه مفعولا ومبتدأ .

ومنها « كالأعلام » بالشورى . لأعلام الرحمن[18] ومخالفة الطرفين .

ومنها « والطور » و « الرحمن » . و « الحاقة » . و « القارعة » . « والعصر » حملا على « الفجر » « والضحى » والمناسبة لكن تفاوتت فى الكمية . وقس ما تركت على ما ذكرت .

الباب الثامن فى السور المكية والمدنية والآيات السفرية

وجل فائدته تظهر فى علم « الناسخ والمنسوخ » بسبب معرفة التقدم والتأخر ، وله طريق سماعى وقياسى .

فالسماعى ما وصل إلينا نزوله بأحدهما .

والقياسى : قال علقمة عن عبد الله كل سورة . فيها « أيها الناس » [19] فقط بخلاف الحج أو « كلّا » [20] أو أولها حرف تهج سوى الزهراوين[21] والرعد فى وجه ، أو فيها قصة آدم . وإبليس . سوى الطولى فهى مكّية .

وكل سورة فيها « يا أيّها الذين آمنوا » أو ذكر المنافقين فهى مدنية .

وقال هشام بن عروة عن أبيه : كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية ، وكل سورة فيها فريضة أو حدّ مدنية .

وللسور ترتيبان : ترتيب فى المصحف العثمانى ، وترتيب فى النزول : فترتيب المصحف العثمانى هو المنقول من الصحف التى استنسخها أبو بكر ـ رضى الله عنهما ـ المنقولة من الرقاع المكتوبة بين يدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأمره ورتبها عليه الصلاة والسلام بعد الأمّ باعتبار الطول والتوسط والقصر . بعد ما أذن له فيه فمنها السبع الطوال . لطولها : البقرة وآل عمران . والنساء . والمائدة . والأنعام والأعراف . والأنفال . مع التوبة . قال ابن عباس لعثمان رضى الله عنهما . مالكم جعلتم الأنفال وهى من المثانى . وبرآءة وهى من المئين فى الطُّوَل؟ . فقال لم نُؤمر بينهما بالبسملة واشتبه طرفاهما فجعلناهما سورة ، وجعل طلحة بن مصرف مكانهما « يونس » .

والمئون أحد عشر لمقاربتها المائة :

يونس ، وهود ، ويوسف ، والنحل ، وسبحان ، والكهف ، وطه ، والأنبياء ، والمؤمنون ، والشعراء ، والصافات ، وقيل : من « سبحان » إلى « المؤمنون » .

والمثانى عشرون لقصورها عنها :

(١٨) لعله خطأ من الناسخ صوابه : لا (كالأعلام) بسورة الرحمن .
(١٩) اى يا ايها الناس .
(٢٠) يريد لفظ « كلا » المذكور فى الكتاب العزيز فى ثلاثة وثلاثين موضعا كلها فى النصف الثانى من القرآن الكريم .
(٢١) هما البقرة وآل عمران .

الرعد ، وإبـراهيم ، والحجر ، ومـريم ، والحـج ، والنـور ، والفـرقـان ، والنمـل ، والقصص ، والعنكبوت ، والروم ، ولقمان ، والسجدة ، والأحزاب ، وسبأ ، وفاطر ، ويس ، وصاد ، والزمر ، [٢٢] .

ومحمد « عليه السلام » وآل حم سبع ، والمفصل سبع وستون . من الفتح إلى الناس .

وترتيب النزول كان باعتبار الحاجة والوقائع وهو منسوخ بترتيب المصحف . أنبأنى الشيخ يوسف البغدادى ، عن القاسم اللورقى ، عن محمد المرادى عن على بن هذيل ، عن سليمان بن نجاح . عن أبى عمرو الدانى عن فارس بن أحمد ، عن أحمد ، عن الفضل عن أحمد ، عن فُضَيل ، عن حسان ، عن أميَّة ، عن جابر بن زيد قال :

السّور المكيّات ست وثمانون :

«اقرأ» و«ن» ، والمزمل ، والمدثر ، والفاتحة ، وتبت ، وكورت ، وسبح ، والليل ، والفجر ، والضحى ، والشرح ، والعصر ، والعاديات ، والكوثر ، وألهـاكم ، وأرأيت ، والكافـرون ، والفيـل ، والفلق ، والناس ، والإخـلاص ، والنجم ، وعبس ، والقدر ، والشمس ، والبروج ، والتين ،ولإيلَف ، والقارعة ، والقيامة ، والهمزة ، والمرسلات ، و « ق » ، والبلـد ، والطارق ، واقتـربت ، و «ص» ، والأعراف ، والجن ، ويس ، والفرقان ، وفاطر ، ومريم ، وطه ، والواقعة ، والشعراء ، والنمل ، والقصص ، وسبحان ، ويونس ، وهود ، ويوسف ، والحجر ، والأنعام ، والصافات ، ولقمان ، وسبأ ، والزمر ، وغافر ، والمصابيح[٢٣] ، والزخرف ، والدخان ، والجاثية ، والأحقاف ، والذاريات ، والغاشية ، والكهف ، والشورى ، وإبراهيم ، والأنبياء ، والنحل ، والمضاجع[٢٤] ، ونوح ، والطّور ، والمؤمنون ، وتبارك[٢٥] ، والحاقة ، وسأل ، وعَم ، والنـازعات ، وانفطـرت ، وانشقت ، والروم ، والعنكبوت ، والمطففين .

والمدنيات ثمان وعشرون :

البقرة ، وآل عمران ، والأنفال ، والأحزاب ، والمائدة ، والممتحنة ، والنساء ، والـزلزال ، والحديد ، ومحمد ، والرعد ، والرحمن ، وهل أتى ، والطلاق ، ولم يكن ، والحشر ، والنصر ، والنور ، والحج ، والمنـافقون ، والمجـادلة ، والحجرات ، والتحريم ، والجمعة ، والتغابن ، والصف ، والفتح ، والتوبة .

والسفريات أربع آيات :

« **إن الذى فرض عليك القرآن** » جحفى « **وَسْئَلْ من أرسلنا من قبلك** » شامى . ثم « **اليوم أكملت لكم دينكم** » عراقى « **يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلوة** » حبشى[٢٦] . ونسبت الأوليان إلى المكى . لإقامته عليه السلام زَمَنًا بها والآخريان إلى المدنى لإقامته وقتهما بها .

ومتفق المكى أربع وسبعون سورة .

ومتفق المدنى إحدى وعشرون .

ومختلفهما تسع عشرة .

ودخل من آى المدنى فى المكى أربعون آية .

ودخل مِن آى المكى فى المدنى خمس آيات .

سأنص على كل منها فى سورها إن شاء الله تعالى . « يتبع »

---

(٢٢) هى الفاتحة .

(٢٣) كذا الأصل . والمعدود تسع عشرة سورة فقط بينما أشار المؤلف إلى عشرين فقد سقط من الناسخ واحدة هى سورة : والصافات .. والله أعلم .

(٢٤) سورة الملك . (٢٥) سورة السجدة . (٢٦) سورة الفرقان .

ضيف إبراهيم

للدكتور محمد محمد خليفة

● **بعد أن أمر الله نبيه ﷺ أن ينبىء عباده أنه هو الغفور الرحيم ، وأن عذابه هو العذاب الأليم ذكر قصة ضيف إبراهيم فقال تعالى :**

« وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ، قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ، إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ » الحجر من ٥١ - ٦٠ .

أمر الله نبيه ﷺ أن ينبىء العباد أنه غفار لمن تاب شديد العقاب لمن لم يتب ممن يصر على الكفر والإعراض عن الإسلام وما جاء به .

وأراد بالعباد الذين مضى ذكرهم في قوله لإبليس « إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ » .

ثم أمر نبيه كذلك أن ينبىء أولئك العباد عن ضيف إبراهيم الذين أرسلوا إلى قوم لوط لعل في ذكر تلك القصة العبرة والعظة التي يتعظون بها ليتجنبوا سخط الله ونقمته وليدركوا أن عذاب الله ينزل بالمجرمين الذين سيدركون يوم الحساب أن عذابه هو العذاب الأليم على أن المجرمين من قوم لوط سينزل بهم في الدنيا عذابا نكرا حيث يقلب عليهم ديارهم ويذيقهم نكاله .

وقد وصف الله سبحانه ذاته في الآية بوصفين على جهة القصر : « أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » فقصر الغفران والرحمة عليه وحده (وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ) (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) كما وصف عذابه بأنه (هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ) وذلك في قوله تعالى : « نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ » .

ثم قال تعالى :

« وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ » .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : إنهم جبريل وملكان معه .

وقال محمد بن كعب : جبريل وسبعة معه .

وقيل : جبريل وميكائيل وإسرافيل .

وقال الضحاك : كانوا تسعة .

وقال السدى : كانوا أحد عشر على صورة الغلمان الوضاء وجوههم .

وقال مقاتل : كانوا اثنى عشر ملكا .

ولم يرسلوا إلى إبراهيم أو إلى قومه وإنما أرسلوا إلى قوم مجرمين إلى قوم لوط ، أما المجيء إلى إبراهيم فكان للبشرى التي يحملونها إليه بإنجاب الولد بعد الكبر وللبشرى بإنجاء لوط ومن

←

أمن بدعوته من قومه من العذاب الذى سينزل بهم .

وقد أخبروا إبراهيم عليه السلام بأن الله سيعذب المجرمين من قوم لوط عذاب استئصال وسيتحقق وعد الله للمؤمنين من قوم لوط بأنه الغفور الرحيم عن صغائر ذنوبهم ويتحقق وعيده للمجرمين من عصاة قوم لوط بأن عذابه هو العذاب الأليم .

وأصل الضيف : ما يأتى لطلب القرى بكسر القاف وهو الطعام .

وقد سمى الملائكة ضيفا لما ظنه إبراهيم فيهم حين قدموا عليه من أنهم جاءوا يطلبون الطعام ويسمى ضيفا كذلك من يدخل دار إنسان ويلتجيء إليه .

(إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَاماً) .

لقد بدأوا بالسلام حين دخلوا على إبراهيم (فَقَالُواْ سَلَاماً) وسلاما مفعول لفعل مقدر تقديره : نسلم سلاما . فقال إبراهيم : (إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ) والوجل : الخوف واضطراب النفس لتوقع مكروه . وقيل : إن سبب حدوث الوجل : امتناعهم عن الأكل ، وإذا كان هذا هو السبب تبين أن قوله : « إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ » لم يكن إلا بعد فترة ، قدم إبراهيم خلالها الطعام فلم يأكلوا فلما امتنعوا عن الأكل أدرك إبراهيم عليه السلام أنهم يريدون به شرا ، ولم يفهم أنهم ملائكة ، والعادة التى عرفت فى ذلك الزمن أنه إذا نزل بهم ضيف فلم يأكل طعامهم ظنوا أنه لم يأت بخير ، وقد عبر فى سورة هود بما يعبر عن الموقف : « فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً » .

وقلنا إن قوله : (إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ) إنما حدث بعد فترة إذ لا يعقل أن يحيوه بقولهم : سلاما فلا يرد التحية وهو النبى وهو الكريم وهو الحليم بل يقول إنا منكم وجلون ، والقصة فى سورة هود فيها بعض تفصيل حيث رد هنالك تحيتهم بأحسن منها حين : « قال سلام » .وقلنا إن « سلام » مبتدأ خبره محذوف والتقدير عليكم أما هنا فقد أوجز فى التعبير ولم يذكر التحية بل قال : « إنا منكم وجلون » .

وقيل : إن سبب الوجل : أنهم اقتحموا عليه الدار ، ودخلوها بغير إذن ، وكيف يحدث الدخول بغير إذن ، ويستحلون لأنفسهم وهم الملائكة اقتحام بيت نبى والدخول عليه دون أن يأذن لهم .

وقد ذكرت القصة فى سورة هود ، وتكلمنا عنها هناك والجديد هنا فى الأسلوب قول إبراهيم : (إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ) والتعبير بصيغة الجمع : إنا وجلون ، يشير إلى أنه يعبر عن أهل بيته جميعا ، فلم يكن وحده الخائف ، بل كل من فى البيت خافوا حين امتنعوا عن الأكل من العجل الحنيذ الذى مر ذكره فى سورة هود (قالوا لا توجل) استئناف وقع جوابا لسؤال مقدر تقديره : فماذا قالوا ؟ وكان الجواب قالوا لا توجل أى لا تخف ليطردوا عنه تيارات الخوف التى تنوشه ، وبعد أن أزالوا الخوف عنه بينوا سبب مجيئهم فى قولهم : « إنا نبشرك بغلام عليم » وهذا القول استئناف لتعليل النهى عن الوجل ، وزفوا إليه البشارة بنجاة أهله وبقائهم ، وبشروه كذلك بغلام أى بأن يكون المبشر به غلاما ذكرا هو إسحاق ، وقد صرح باسمه فى سورة هود حين حكى الله قولهم فى الخطاب إلى سارة امرأة إبراهيم : « فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ » .

أما هنا فلم يذكر الاسم ولم يعرض لذكر يعقوب اكتفاء بذكره فى سورة هود ، وكانت

البشارة الأخرى هى وصف الغلام بأنه (عليم) أى أنه ملم بعلوم الدين .

« قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ » (على) بمعنى : الحالة : أبشرتمونى حالة الكبر ؟ « فَبِمَ تُبَشِّرُونَ » و« ما » فى قوله « فبم » للاستفهام وتحمل معنى التعجب كأنه قال : فبأى أعجوبة تبشرونى ، أو أنكم تبشرون بما لا يتصور فى العادة ، وهذا موضع العجب حيث يكون الإنجاب فى مثل هذه السن فى دور الشيخوخة .

« قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ » أى باليقين الذى لا شك فيه مع أنك فى الشيخوخة ، وكأنما يريد أن يسمع البشارة بالولد أكثر من مرة ليشتد فرحه ويطمئن إلى وعد الله بالبشرى وقوله : « قالوا بشرناك » : استئناف وقع جوابا لسؤال مقدر .

ولعله : سأل : فبم تبشرون ، ليتأكد أن هذه البشارة من عند الله لا من اجتهاد الملائكة ثم نهى إبراهيم عن القنوط فى قوله : « فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ » ، وهذا التعبير لا يدل على أن إبراهيم عليه السلام كان قانطا من الإنجاب ، وإنما كان مستبعدا حدوث ذلك فى العادة ، وإلا فإن إبراهيم يعلم علما يقينيا أن الله قادر على أن يخلق وليدا بغير أبوين فكيف لا يخلق الغلام من شيخ فانٍ وامرأة عجوز .

والنهى عن القنوط تأكيد لقوله : « بشرناك بالحق » .

(قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ)

« قال » : استئناف وقع جوابا لسؤال تقديره ماذا قال إبراهيم فى الرد على النهى عن القنوط ؟ وجاء الجواب : قال ومن يقنط من رحمة ربه وكشف التعبير عن أن الإنجاب فى مثل هذه السن من رحمة الله ومن يقنط من تلك الرحمة إلا الضال وإبراهيم ليس بضال لأنه ليس بقانط ، والقنوط إنما يكون حين يجهل الإنسان قدرة الله وإبراهيم مؤمن كل الإيمان بقدرة الله ـ والضالون هم الذين لا يعرفون سعة رحمة الله وعظم علمه وقدرته .

والاستفهام الإنكارى فى قوله : (وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ . .) يدل على نفي القنوط والضال هو الذى يقنط .

(قال) إبراهيم : (فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ) .

الخطب : الشأن والأمر ، ولفظ الخطب يدل على عظم الحال .

وهكذا ينادى إبراهيم عليه السلام الملائكة المرسلين ليسألهم عن خطبهم وشأنهم وأمرهم الذى جاءوا لأجله ، وقدم الاستفهام على النداء لإظهار الاهتمام بما جاءوا له وقد بشروه من قبل بالولد الذكر العليم ، فلماذا سألهم : « ما خطبكم » ، وكأنه بهذا السؤال يستفهم عن سبب آخر غير البشرى التى بشروه بها .

ولعل إبراهيم أدرك أن البشرى يمكن أن يحملها ملك واحد ، فلما رأى جمعا من الملائكة استكثر أن يكون هؤلاء كلهم جاءوا للبشرى فقط ولهذا سألهم : « ما خطبكم » وقد حكى الله عن الملائكة حين سألهم إبراهيم ما خطبكم قولهم :

« إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مجرمين إلا آل لوط » .

وقد اقتصروا على ذلك لأن إبراهيم يعلم أن الملائكة إذا أخبروا أنهم أرسلوا إلى قوم مجرمين كان الهلاك والاستئصال هو الواقع بعد ذلك الإخبار ، وكذلك قولهم : « إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ » تعبير يدل على أن الذى قضى به على قوم لوط إنما هو الإهلاك ، وقد استثنوا من الإهلاك : آل لوط ، ويراد أتباعه الذين كانوا على دينه ، فإذا كان الاستثناء من قوم فهو منقطع لأن القوم وصفوا بالإجرام ، وآل لوط ما كانوا مجرمين .

وإن كان الاستثناء من الضمير فى مجرمين

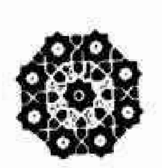
كان متصلا أى إلى قوم قد أجرموا كلهم إلا آل لوط وحدهم ، وقد قيل عنهم فى موضع آخر من سورة الذاريات : فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين .
والتقدير على أن الاستثناء منقطع أن الملائكة أُرسلوا إلى القوم المجرمين وما أرسلوا إلى آل لوط .

وعلى أن الاستثناء متصل فالتقدير : إن الملائكة وكل إليهم إهلاك المجرمين ، وسينجو من الهلاك اتباع لوط الأطهار المؤمنـون بكل ما يدعوهم إليه .
« إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا امْرَأَتَهُ » .
وقد قضوا بالنجاة لآل لوط أجمعين إلا امرأة لوط واستثناء امرأة لوط من الضمير المجرور فى قوله: « لَمُنَجُّوهُم » .
« قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ » التقدير : جعل الشىء على مقدار غيره ، وهو متضمن معنى العلم ومعنى القول ومعنى القضاء : أى قضينا أو قلنا : أو أعلمنا-وغبر بمعنى مكث أى أن الله قدر أنها ستمكث فى القرية مع الماكثين وقد أسند التقدير فى قوله : « قدرنا إنها لمن الغابرين » للملائكة والذى قدر وقضى فى الحقيقة هو الله ،

ولكنهم أسندوا التقدير إلى أنفسهم لقربهم من الله واختصاصهم بالمنزلة الكبيرة لأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وذلك كما تقول حاشية الرئيس : دبرنا كذا وأمرنا بكذا والمدبر والآمر هو الملك .

ومعنى قدرنا إنها لمن الغابرين : قضينا وقلنا : إن امرأة لوط تتخلف عن آل لوط وتبقى مع من بقى منهم حتى يصيبها ما أصابهم أو ما يصيبهم وتهلك كما يهلكون ، ولا تكون مع لوط فتنجو معه ، وقد قضى الله عليها أن تبقى مع الغابرين الباقين فى القرية من الكفرة حتى تحل بها وبهم نقمة الله وينزل عليها وعليهم سخطه لأن الله قدر أنها ستمكث مع الماكثين المقيمين فى القرية حتى يحل بهم عذاب الله .

د . محمد محمد خليفة



تدريب الجيوش

فى توجيهات الإسلام

للواء أ.ح
محمد جمال الدين محفوظ

كفاءة الفرد وكفاءة الجيش :

● ليس من شك فى أن من أهم عناصر كفاءة الجيش فى القتال ، كفاءة المقاتلين ، فهم الذين يستخدمون السلاح ويقاتلون ويتصرفون فى مواقف المعركة .. وتتحقق كفاءة المقاتلين أساسا بالتدريب على القتال ، وقد عبر كلاوزفتز عن ذلك بقوله :

« يمكن للقوات العسكرية الماهرة المدربة جيداً أن تقوم بجميع الأعمال العسكرية »(١)

● من أجل ذلك فإن التدريب على القتال يشكل النشاط الرئيسى وبرنامج العمل اليومى لكل الجيوش وقت السلم ، ويضم تنظيم كل جيش أجهزة متخصصة مهمتها تخطيط وتنظيم تدريب رجاله على القتال والإشراف عليه وتوفير كل الوسائل والأدوات والإمكانات اللازمة له .

● وللتدريب على القتال آثار ونتائج مادية ومعنوية بالغة الأهمية نذكر منها مايلى :-

١ - فهو يحقق لأفراد الجيش قادة وجندا الكفاءة والقدرة على القتال فى كل أشكال العمليات العسكرية التى ينتظر أن تمارسها فى حالة الحرب .

٢ - ويجعل الجيش على درجة عالية من التأهب والاستعداد « للقتال الفورى » وبمستوى عال من الكفاءة فى أية لحظة وتحت مختلف الظروف ، وهو ماأصبح فى عصرنا من المطالب الأساسية لأمن الأمم ورد العدوان عنها .

٣ - ويقلل من خسائر الجيش فى الأرواح والمعدات فى الحرب ، ذلك لأن الجندى المدرب جيداً أقل تعرضا للإصابة من زميله ناقص

(١) ليدل هارت : الاستراتيجية - الاقتراب غير المباشر ص ١٣٥ .

التدريب ، وذلك ما أثبتته تجارب الحروب ، حتى نشأ ذلك المبدأ الذى يعرفه العسكريون فى كل مكان والذى يقول : « إن العرق فى التدريب ، يوفر الدم فى المعركة » .

٤ ـ وأخيراً فإن التدريب الجيد ينمى فى المقاتل ثقته بنفسه وبسلاحه وبقائده مما يرفع من روحه المعنوية ، ويدعم إرادته القتالية ، ويلهب فيه روح الشجاعة والإقدام ، ويعينه على تحمل مشاق المعركة ومواجهة أقسى تحدياتها .

التدريب فى نظر الإسلام :

● والتدريب على القتال له وزن كبير وشأن خطير فى تقدير الإسلام :

١ ـ فهو ضرورة حيوية لبناء القوة التى أمر الله تعالى بإعدادها لردع الأعداء ودفع عدوانهم : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مااسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (الأنفال ٦٠) .

٢ ـ وهو أمانة ومسئولية ، من قصر فيها فقد خان الأمانة ووقع فيما نهى الإسلام عنه فى قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ ﴾ (الأنفال ٢٧) .

٣ ـ وإهمال التدريب أو التهاون فيه يمكن العدو من النيل من الأمة وهو بعض مايفهم من قوله تعالى : ﴿ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ (النساء ١٠٢) .

٤ ـ وكرم الإسلام المدرب الذى يقوم بتعليم الجنود وتدريبهم وجعل له مكانة رفيعة ومنزلة سامية ، كما يشير قوله تعالى : ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (المجادلة ١١) وقوله : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر ٩) وقول الرسول القائد ـ ﷺ ـ : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » (رواه أحمد والبخارى وأبو داود والترمذى) .

توزيع المسئولية عن التدريب :

● ويوزع الإسلام المسئولية عن التدريب بكل الإحكام والتحديد على النحو التالى :ـ

١ ـ مسئولية القائد :

فكل قائد مسئول عن تدريب رجاله الذين هم تحت قيادته ، فتلك مسئولية مباشرة يشير إليها قول الرسول ـ ﷺ ـ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ... » (الحديث رواه الخمسة) .

وعن معقل بن يسار رضى الله عنه أن النبى ـ ﷺ ـ قال : « ما من أمير يلى أمور المسلمين ، ثم لا يجتهد لهم ولا ينصح لهم إلا لم يدخل الجنة » (رواه مسلم)

ولقد قدم عليه الصلاة والسلام خير مثل على مسئولية القائد عن تدريب رجاله على مختلف فنون القتال كالرماية والفروسية وتقوية الأجسام فكان يحثهم على التدريب ويشاركهم فيه ويسابق بينهم .

٢ ـ مسئولية الجندى :

وكل جندى مسئول عن إعداد نفسه ، وعن التزود بالمعارف والمهارات التى تمكنه من الوفاء بالأمانة التى فى عنقه وبالتكليف القرآنى بإعداد القوة والجهاد فى سبيل الله وإعلاء كلمته .

٣ ـ مسئولية مشتركة بين أفراد الجماعة :

فالذى لديه العلم عليه أن يعلم غيره ممن ليس لديهم هذا العلم ، والذى ليس لديه علم عليه أن يسعى إلى من لديهم هذا العلم ليتعلم منهم ، وقد جعل الإسلام لكل من الطرفين أجرا على مسعاه ، فقد قال الرسول ـ ﷺ ـ : « العالم والمتعلم شريكان فى الأجر ، ولا خير فى سائر الناس بعد » (رواه الطبرانى عن أبى الدرداء) .

● وقد خطب عليه الصلاة والسلام أصحابه فأثنى على طوائف من المسلمين خيرا ثم قال : « مابال أقوام لا يُفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ، ولا يأمرونهم ولا ينهونهم ؟ ... ومابال أقوام لايتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ؟ ... والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ، وليعلمن قوم من جيرانهم يتفقهون ويتعظون أو لأعاجلنهم العقوبة ، ثم نزل رسول الله ـ ﷺ ـ . فقال قوم : من ترونه عنى بهؤلاء ؟ قالوا : الأشعريين ، هم قوم فقهاء ولهم جيران جفاة من أهل المياه والأعراب ... فبلغ ذلك الأشعريين ، فأتوا رسول الله ـ ﷺ ـ فقالوا : يارسول الله ، ذكرت أقواما بخير ، وذكرتنا بشر ، فما بالنا ؟ فأعاد عليهم ماذكره فى خطبته « ليعلمن قوم جيرانهم .. أو لأعاجلنهم العقوبة فى الدنيا » ، فقالوا : يارسول الله أمهلنا سنة ، فأمهلهم وقرأ عليهم قوله تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (المائدة ٧٨ ، ٧٩) .

وهكذا يحذر عليه الصلاة والسلام من يقصرون فى تعليم غيرهم ، ومن يقصرون فى طلب العلم فى الوقت نفسه ، ويهدد الفريقين بالعقاب الشديد .

موضوعات التدريب

وفى عصر النبوة كانت موضوعات التدريب التى عنى بها الرسول القائد ـ ﷺ ـ كمايلى :ـ

١ ـ تقوية الأجسام :

حث الإسلام على تعلم السباحة وركوب الخيل (مسرجة ومعراة) والسباق فى الجرى ، والسباق بين الفرسان على الخيل أو الإبل ، والمصارعة ورفع الأثقال إلى غير ذلك من ألوان التربية البدنية والرياضية التى تبنى الجسم القوى السليم ، ويمدح الإسلام المؤمن القوى فيقول الرسول ـ ﷺ ـ : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » (رواه مسلم) ويقول أيضا : « إن لبدنك عليك حقا » (رواه البخارى) .

وكان النبى ـ ﷺ ـ يتمتع بلياقة بدنية قوية ، فكان يصرع الرجل القوى ويركب الفرس عارية فيروضها على السير ، وكان يداعب من يحب بالمسابقة فى العدو . فعن عائشة رضى الله عنها قالت : « سابقنى رسول الله ـ ﷺ ـ فسبقته ، فلبثنا حتى إذا أرهقنى اللحم سابقنى فسبقنى ، فقال : هذه بتلك » (رواه أحمد وأبو داود) ، وعن محمد بن على بن رُكانة : « أن ركانة صارع النبى ـ ﷺ ـ فصرعه النبى ـ ﷺ ـ » (رواه أبو داود) .

٢ ـ التدريب على السلاح والرماية :

وحث الإسلام على التدريب على الرماية بالقوس والنضال بالسهام والطعن بالرمح والحربة والضرب بالسيف وهى أسلحة القتال المعروفة فى عهد النبوة :

● أما عن الرمى فقد عنى الرسول - ﷺ - عناية فائقة بتدريب المسلمين عليه إذ جعله جماع القوة ، فعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : صعد رسول الله - ﷺ - المنبر يوما فقرأ قوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ .. ثم قال : « ألا إن القوة الرمى ، إن القوة الرمى ، إن القوة الرمى » (رواه مسلم) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة . صانعه المحتسب فى عمله الخير ، والرامى به ، والممد به ، فارموا واركبوا ، وإن ترموا أحب إلى من أن تركبوا » (رواه الخمسة) .

وخرج - ﷺ - مع نفر من بنى أسلم ينتضلون بالسوق (أى يتسابقون فى الرمى) فقال : « ارموا بنى إسماعيل ، فإن أباكم كان راميا ، ارموا وأنا مع بنى فلان » ، فأمسك أحد الفريقين ، فقال : « مالكم لاترمون ؟ » فقالوا : كيف نرمى وأنت معهم ؟ فقال : « ارموا وأنا معكم جميعا » (رواه البخارى وغيره عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه والمراد بالمعية معية القصد إلى الخير) .

● وأما عن الطعن بالرماح والحراب فقد كان يشجع المسلمين على التدرب عليه حتى لقد سمح باتخاذ المسجد ميدانا للتدريب ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : بينما الحبشة يلعبون عند النبى - ﷺ - بحرابهم ، دخل عمر فأهوى إلى الحصباء فحصبهم ، فقال : دعهم ياعمر » (رواه الشيخان) .

وقد بلغ من تقدير المسلمين للتدريب أن بعضهم كان يتدرب حتى فى يوم العيد .

٣ - تدريب الفرسان :

● وحث النبى - ﷺ - المسلمين على التدريب على ركوب الخيل وعلى فنون الحرب بها فقال : « الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة ، الأجر والغنيمة » (متفق عليه عن ابن عمر رضى الله عنهما) .

وقال : « عاتبوا الخيل فإنها تُعتب » [٢] (أى أدبوها وروضوها للحرب والركوب فإنها تتأدب وتقبل العتاب) .

● كما رغب عليه الصلاة والسلام فى اقتناء الخيل والعناية بها ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله - ﷺ - : « من احتبس فرسا فى سبيل الله إيمانا بالله وتصديقا بوعده ، فإن شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة » (رواه البخارى) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله ، ودينار ينفقه على دابته فى سبيل الله ، ودينار ينفقه على أصحابه فى سبيل الله » (رواه مسلم) .

● وجعل عليه الصلاة والسلام للفارس - عند توزيع الغنائم - سهمين وجعل للراجل سهما واحدا ، وذلك لكى يستعين الفارس بالسهم الزائد على إعاشة فرسه وإعدادها للحرب ، وكان

(٢) النهاية فى غريب الحديث والأثر .

من أثر ذلك أن كان بعض الفرسان الأشداء يخرج للقتال بفرسين يحارب عليهما ويأخذ أسهمهما كما فعل الزبير بن العوام فى غزوة خيبر وفى حروب الشام المختلفة ، روى الشافعى من حديث مكحول : « أن النبى - ﷺ - أعطى الزبير خمسة أسهم لما حضر خيبر بفرسين » .

٤ - المسابقات :

● وجرت سنته - ﷺ - على إجراء المسابقات بين المسلمين تشجيعاً لهم على التدريب والتجويد فيه ، فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : « أن رسول الله - ﷺ - سابق بين الخيل التى أُضمرت من الحَفْياء وأَمَدُها ثنيةُ الوداع ، وسابق بين الخيل التى لم تُضَمَّر من الثنية إلى مسجد بنى زُرَيْق ، وأن عبد الله بن عمر كان فيمن سابق بها » (متفق عليه ، والحَفْياء موضع بقرب المدينة بينه وبين ثنية الوداع ستة أميال تقريباً هى مسافة السباق للخيل المضمرة (٣) أما مسافة السباق لغير المضمرة من الثنية إلى مسجد بنى زريق فهى ميل واحد) .

● وأوقع - ﷺ - السباق بين الإبل ، فسابق بلال - رضى الله عنه - على ناقته - ﷺ - القصواء فسبقت غيرها من الإبل ، وسابق أبو سعيد الساعدى رضى الله عنه على فرسه - ﷺ - الذى يقال له الظراب فسبق غيره من الخيل (٤) .

٥ - محو الأمية :

وكان الرسول - ﷺ - حريصا على تعليم المسلمين القراءة والكتابة ومحو أميتهم ، فقد أمر كل أسير كاتب من المشركين من أسرى بدر أن يعلم عشرة من الصحابة الكتابة والقراءة وجعل هذا سبيل تحرره وإطلاق سراحه ، فعن ابن عباس رضى الله عنه قال : كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء ، فجعل رسول الله - ﷺ - فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة » (رواه أحمد) .

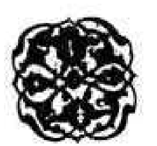
٦ - تعلم لغة العدو واللغات الأجنبية :

وكثيرا ماكان الرسول - ﷺ - يحض أصحابه على تعلم اللغات الأجنبية ليضموا إلى معرفتهم معارف سواهم من الأمم ، كما كان حريصاً على تعليم بعض المسلمين لغة العدو .

قال زيد بن ثابت : « أمرنى رسول الله - ﷺ - فتعلمت له كتاب يهود بالسريانية وقال : « إنى والله ما آمن يهود على كتابى » ،

قال زيد : فو الله مامر بى نصف شهر حتى تعلمته وجُدت فيه فكنت أكتب له إليهم وأقرأ له كتبهم إليه »(٥) (رواه البخارى) .

محمد جمال الدين محفوظ



---

(٣) ضمر الفرس للسباق ونحوه : ربطه وعلفه وسقاه كثيراً مدةً ، وركضه فى الميدان حتى يخف ويدق ، ومدة التضمير عند العرب اربعون يوماً (المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية) .

(٤) على بن برهان الدين الحلبى : السيرة الحلبية جـ٢ ص ٦٠١ .

(٥) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص ٤٢ .



المسلمون والمعاهد الإسلامية

في الولايات المتحدة الأمريكية

يتراوح عدد المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية بين مليون وثلاثة ملايين مسلم أو أكثر، ويعني هذا بطبيعة الحال أن عددهم غير معروف على وجه التحديد، إلا أنه وفقاً لتقديرات الحكومة الأمريكية وللمجلس القومي للكنائس، فإن عدد المسلمين هناك هو مليونان. وإن كان هناك اختلاف حول تقدير عدد المسلمين، فإن هناك إجماعاً على أن عددهم قد ازداد بدرجة هائلة في السنوات الأخيرة نتيجة لاعتناق الكثير من الأمريكيين للإسلام، ولازدياد معدل المواليد بين المسلمين، ونتيجة للهجرة إلى الولايات المتحدة من دول الشرق الأدنى.

كما أن العدد الذي تتكون منه كل طائفة غير معروف أيضا على وجه الدقة. ولكن من المعتقد أن أكبر جالية هي الجالية العربية التي يقدر عددها بنحو مائتي ألف.

يليها الأتراك ويتراوح عددهم بين خمسة وسبعين ألفاً وتسعين ألفاً.

كما أن هناك نحو خمسين ألف طالب إيراني يدرسون بالولايات المتحدة.

ويضم المسلمون جاليات صغيرة العدد من يوغوسلافيا وألبانيا والهند وباكستان وتركستان وأزربيجان، ممن فروا بدينهم من الاتحاد السوفييتي في الأربعينيات والخمسينيات من هذا القرن.

ويضم المسلمون في أمريكا مهاجرين أو ذرياتهم من البلقان والفلبين والشرق الأوسط وآسيا الوسطى والهند وشرقي أفريقيا، هذا بالإضافة إلى الأمريكيين السود الذين يزداد تقاربهم مع العالم الإسلامي ومع غيرهم من المسلمين في أمريكا.

ومعظم المسلمين في الولايات المتحدة من



د. أحمد شفيق الخطيب

السنيين ، غير أن هناك بعض الشيعة (من شرقي أفريقيا وإيران وباكستان والهند وماليزيا) ، وبعض الصوفيين (من إيران) ، إلا أن أعدادهم صغيرة بالنسبة للغالبية من السنيين .

هجرات ثلاث

ولكن متى بدأ المسلمون يتوافدون على الولايات المتحدة ؟

للإجابة عن هذا السؤال نقول :

قبيل الحرب العالمية الأولى هاجر بضع مئات من المسلمين إلى أمريكا قادمين من سوريا ولبنان والأردن وفلسطين . إلا أن أول هجرة للمسلمين إلى أمريكا بأعداد كبيرة كانت بعد تفكك الدولة العثمانية في أعقاب الحرب والانهيار الاقتصادي الذى ساد المنطقة . فقد وفدت أعداد كبيرة من المسلمين الأتراك ومن الرقيق ، واستقروا بصورة أساسية في المدن الساحلية ، ثم وفد عدد كبير من المسلمين العرب واستقروا في « شيكاغو » و« توليدو » و « ديترويت » ، بينما استقر آخرون في « سيدار رابيد » وفي « أيوا» حيث انشأوا أول مسجد بالولايات المتحدة في سنة ١٩٣٤ . وفي نفس الوقت تقريباً وصلت مجموعة صغيرة من الطائفة « الأحمدية » إلى كاليفورنيا واستقرت بها .

أما غالبية المسلمين الأمريكيين فقد وصلت إلى الولايات المتحدة خلال موجة ثانية من الهجرة في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، وضمت هذه المجموعة أناساً على قسط من العلم أتوا من جميع أنحاء العالم الإسلامي . وفي منتصف الستينيات بلغ عدد الوافدين من الدول العربية ما يزيد على مائة الف مسلم ، واستقروا بمدينة « ديربورن بولاية ميتشجان » التي يعتقد أنها تضم أكبر جالية عربية مسلمة في الولايات المتحدة .

أما موجة الهجرة الثالثة للمسلمين إلى الولايات المتحدة ، والتى استمرت إلى يومنا هذا ، فقد بدأت في منتصف الستينيات . فقد وصل نحو مائة وأربعين ألف شخص من سبع دول إسلامية هي مصر والعراق والأردن وسوريا وإيران وتركيا ولبنان . كما وصلت أعداد أخرى من دول شمال أفريقيا وجنوب شرقي أوروبا وبعض دول آسيا ومن أجزاء أخرى من الشرق الأدنى . وهؤلاء المسلمون من العرب ومن غيرهم على قدر كبير من العلم والمهارة الفنية ، كما يضمون أعداداً من الطلاب .

وأكثر الفئات تأثيراً في شئون المسلمين في أمريكا هم المسلمون العرب الذين قاموا بتأسيس الكثير من المراكز الإسلامية في المدن والجامعات الأمريكية ، كما قاموا بتمويلها وإدارتها . كما أنهم يحتلون مواقع القيادة في كثير من المنظمات الإسلامية هناك . وازداد نشاطهم الرامي إلى التأثير على السياسة الأمريكية في الشرق الأدنى .

وإلى محاولة كسب التأييد الأمريكي للقضايا العربية ، وبخاصة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية .

وبالإضافة إلى الجالية المسلمة المهاجرة إلى أمريكا ، فإن هناك حركة المسلمين السود أو (الحركة البلالية) التي تعرف رسمياً باسم « الجالية العالمية للإسلام في الغرب » وهي الحركة التي تأسست في « ديترويت » في الثلاثينيات والتي تؤكد على « الأصول الحقيقية » للسود . ويقترب دينهم من الإسلام في بعض الأمور ويبتعد عنه في البعض الآخر .

وبالرغم من الاختلافات بين البلاليين والمسلمين ، إلا أنهم خلال السنوات الأخيرة قد ازداد تقاربهم مع المسلمين السنيين . كما ازداد إحساسهم بالصلات بينهم وبين المسلمين في جميع أنحاء العالم . فمنذ عام ١٩٧٦ أخذ المسلمون السود يشاركون في أنشطة المركز الإسلامي في واشنطون . وتقوم صحيفة « الأخبار البلالية » بنشر موضوعات عن القرآن الكريم ، واللغة العربية بانتظام . كما أن نشاطهم المكثف في الدعوة إلى الإسلام بين الزنوج قد لقى نجاحاً كبيراً .

أول مدرسة إسلامية

كانت أول مدرسة إسلامية تنشأ في الولايات المتحدة هي « جامعة الإسلام » التي تأسست في « ديترويت » عام ١٩٣٢ ، بينما تأسست ثاني مدرسة في شيكاغو عام ١٩٣٤ . أما بقية المدارس فإنها حديثة النشأة نسبياً إذ يرجع تاريخها إلى العشرين أو الخمس والعشرين سنة الماضية . ويتهافت المسلمون على إلحاق أبنائهم وبناتهم بهذه المدارس .

وحتى عام ١٩٦٥ كانت هناك ثماني مدارس إسلامية فقط في الولايات المتحدة ، ومقار هذه المدارس (لوس انجلوس) ، و (ديترويت) ، و (فيلادلفيا) و (نيويورك) و (بوسطون) ، (واشنطن ـ العاصمة) ، و (شيكاغو) .

وتعتبر مدرسة شيكاغو المعهد الرئيسي ، ربما لأنها كانت المدرسة الوحيدة حتى ذلك التاريخ (عام ١٩٦٥) التي تضم فصولاً للمرحلة الثانوية . ويبلغ عدد الطلاب بهذه المدرسة أكثر من ستمائة طالب . وفي مدرسة (ديترويت) أكثر من مائتين وخمسين طالباً ، وفي (أتلانتا) أكثر من مائة طالب ، وفي (واشنطن) أكثر من مائتين . ويقدر عدد الطلاب في جميع المدارس بأكثر من الفي طالب من السود ، ازداد عددهم بدرجة ملحوظة في السنوات الأخيرة .

نظـــام الدراســـة

يتولى تدريس اللغة العربية مدرســون متخصصون ، ويبدأ الطلاب دراستهم للقرآن الكريم في السنة الرابعة الابتدائية . وبينما يدرس الطلاب الكثير من الكتب الدراسية التي تقررها الولاية التي تقع بها المدرسة إلا أن كثيراً من المناهج العلمية قد تم تعديلها أو تمت كتابتها خصيصاً للطلاب المسلمين .. ويقوم التلاميذ في السنة الأولى الابتدائية بدراسة كتاب عنوانه : « أبناء محمد » من تأليف الدكتورة المسلمة كريستين جونستون ، نُشر لأول مرة عام ١٩٦٣ ،

ويتناول معظم جوانب حياة المسلمين في أمريكا ، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والأمة الإسلامية ، وغيرها من الموضوعات التي تهم الطالب المسلم .

وترتدي الفتيات من طالبات المدارس الإسلامية الزي الإسلامي ويحرصن على الحجاب ، بينما يرتدي الأولاد الملابس الأفرنجية ويبدون حسنى الهندام في حللهم وأربطة عنقهم .

ويحرص المسئولون عن إدارة المدرسة على هندام ونظافة التلاميذ ، ويتفقدون التلاميذ صباح كل يوم وبخاصة شعورهم وأظافرهم وفي الحالات القليلة التى لا يرقى فيها الطالب إلى المستوى المطلوب فإنه يُحرم من الدراسة في هذا اليوم .

كما يحرص الطلاب على أن يحيى كل منهم الآخر بتحية الإسلام ، ولا يقوم الطلاب بتحية العلم الأمريكي . ولقد نشأ عن رفض الطلاب تحية العلم بعض المشاكل التي انتهت إلى القضاء . ففي عام ١٩٦٧ أصدر المجلس المحلي للتعليم في مدينة إليزابيث بولاية نيو جرسي قراراً بفصل العديد من الطلاب المسلمين السود من المدارس العامة بالمدينة ، وذلك على أثر رفض هؤلاء الطلاب أن يؤدوا قسم الولاء للعَلَم . وقد رفع أولياء أمور هؤلاء الطلاب قضية طالبوا فيها بإعادة أبنائهم إلى مدارسهم ، واستندوا في دفاعهم إلى أن ولاءهم الوحيد كمسلمين إنما هو لله سبحانه وتعالى ، وأنه مما يخالف تعاليم الإسلام أن يكون ولاؤهم للعَلَم . ولم تملك المحكمة العليا إزاء هذا إلا أن تصدر حكمها بإلغاء قرار الفصل .

كما يمارس الطلاب ـ حتى سن السادسة عشرة ـ الألعاب الرياضية وخاصة « الجمباز » وذلك يوم الثلاثاء من كل أسبوع . وفي هذا اليوم لا يتلقى الطلاب والطالبات أية دراسة ، بل يمارسون الرياضة فحسب ، وذلك حرصاً على سلامة الجسم إلى جانب سلامة العقل والتفكير .. وبعد بلوغ السادسة عشرة يمارس الفتيان « الكراتيه » ، بينما تنصرف الفتيات إلى تعلم التدبير المنزلي .

ويصحب المعلمون طلابهم في جولات إلى الأماكن الهامة في المدينة التي تقع فيها مدرستهم ، ويزورون مواقع العمل في العديد من المجالات ، كما يقوم الطلاب في الصفين الخامس والسادس بتعلم بعض الحرف .

وبالرغم من أن الطلاب يدفعون رسوماً دراسية ، إلا أن التمويل اللازم للمدارس يأتي بصفة أساسية من أموال « حركة المسلمين السود » ومن تبرعات أولياء أمور التلاميذ خلال اجتماعات مجلس الآباء والمعلمين المطولة التي تعقد يوم الأحد من كل أسبوع .

ونظراً للإقبال الشديد على المدارس الإسلامية ، ولحرص إدارات المدارس على أن تكون للأولاد فصول مستقلة عن فصول الفتيات منذ سن السابعة ، ونظراً لضيق المكان ، فقد اضطر بعض المدارس (مثل مدرسة شيكاغو) إلى العمل فترتين فترة صباحية لطلاب المرحلة الثانوية ، وفترة تبدأ عند الظهيرة لطلاب المرحلة الابتدائية وتنتهى حوالي الثانية والنصف بعد الظهر . وتستمر الدراسة أحد عشر شهراً ونصف الشهر في العام ، حيث يحصل الطلاب على اجازة مدتها أسبوعان في شهر أغسطس .

وعقب تخرج الطلاب من المدارس الإسلامية فإنهم يلتحقون بمختلف الكليات ، والجامعات حيث يدرسون العديد من التخصصات ، ومن بينها الصحافة والتمريض والتربية والتجارة والاقتصاد والعلوم السياسية والهندسة والزراعة .

هذا عن الطلاب ، اما بالنسبة لمديري هذه المدارس الإسلامية ولأعضاء هيئة التدريس بها فإن كثيراً منهم يحمل درجة الدكتوراه أو الماجستير وغيرهما من أرقى الشهادات العلمية : فهذا الدكتور كلو ميتشيل ـ على سبيل المثال ـ وهو من رجال التعليم المخضرمين والحاصل على درجة الدكتوراه من جامعة أوكلاهوما تولى إدارة المدرسة الإسلامية في اتلانتا . أما د . كريستين كروس رئيسة قسم الرياضيات بجامعة اتلانتا سابقاً فقد تولت إدارة مدرسة شيكاغو .

وَلْنَنْتَقِلْ إلى الحديث عن بعض أنشطة الطلاب المسلمين في غير المدارس الإسلامية . وهنا يتبادر إلى الذهن على الفور اتحاد الطلاب المسلمين بالولايات المتحدة وكندا الذي يقوم بنشاط إسلامي مرموق . فعلى سبيل المثال قام هذا الاتحاد بعقد ندوة عن الحديث الشريف من ٢ ـ ٤ رجب عام ١٣٩٥ هجرياً (١١ ـ ١٣ يوليو ١٩٧٥ م) في معهد (إلينوى) للتكنولوجيا بشيكاغو ، احتفالاً بالذكرى رقم ١٢٠٠ للإمام البخاري .

وقد حضر هذه الندوة اكثر من الف مسلم ، رجالاً ونساءً وأطفالاً من مختلف الجنسيات ، حرصوا على أداء الصلوات الخمس في أوقاتها ، وقد تم إلقاء العديد من المحاضرات عن حياة وأعمال الإمام البخاري ، وخاصة عن « صحيحه » وعن « ضرورة الحديث في الإسلام » وعن دور الحديث في الشريعة الإسلامية وفي فهم القرآن الكريم . كما تناول المحاضرون وسائل نشر الحديث الشريف ، والمشاكل التي يواجهها المسلمون من غير الناطقين بالعربية في دراسة الحديث الشريف .

وقد اجمع الحاضرون على الحاجة الماسة إلى دراسة الحديث الشريف وإلى اتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

كما كان للطلاب المسلمين دور كبير في اعتراف بعض الجامعات والمعاهد الأمريكية بالأعياد الإسلامية ومنح الطلاب اجازات خلال تلك الأعياد ، باعتبارها أعياداً رسمية . ومن هذه الجامعات والمعاهد كلية المعلمين بجامعة (كولومبيا) بمدينة (نيويورك) التى تخرج فيها كاتب هذا المقال . كما أن هذه الأعياد معترف بها في جامعة ولاية « لويزيانا » بمدينة « باتون روج » . كما أن هناك مصلى يؤدي به الطلاب صلاة الجمعة والعيدين في العديد من الجامعات ، ومن بينها جامعة « كولومبيا » . وفي جامعتي « وسكونسن » و « إنديانا » تم إنشاء مركزين إسلاميين .. وفي جميع أنحاء الولايات المتحدة تقوم جمعيات إسلامية محلية ، ويتم افتتاح مساجد ، ومدارس صباحية ، ويزداد إقبال الأمريكيين على تعلم اللغة العربية بشكل مضطرد .

شـــهادة منصفة

ونختتم هذا المقال بشهادة شاهد من غير المسلمين ، إذ يقول : « كلمونت فونترس » : إنه

مما يدعو إلى الدهشة أن الطلاب المسلمين « أصبحوا ينتمون إلى الطبقة المتوسطة أكثر من البرجوازيين السود في كثير من سلوكهم (فهم ممنوعون من التدخين والشراب والمخدرات) ، وفي لباسهم ، وفي حديثهم وأخلاقهم » ، ويمضي ڤونترس قائلاً : « إن العاطفة الإسلامية المتصاعدة في الولايات المتحدة ، والتعاون المتزايد بين المسلمين الأمريكيين وإخوانهم المسلمين في الخارج يعكسان تغيراً كبيراً على المسرح العالمي ، ألا وهو الأهمية المتزايدة للشرق الأدنى وإحياء الإسلام . ويتبع هذا بقوله : « إن هناك إحساساً جديداً بالذات وتأكيداً لها ينمو بين المسلمين الأمريكيين ، ويبدو أنهم مصممون الآن على أن يؤثروا على المسرح الديني والثقافي والسياسي ، وعلى زيادة تعريف الأمريكيين بالإسلام .. وعلى إرساء تفاهم أفضل بينهم وبين جيرانهم » .

ويختتم ڤونترس شهادته قائلا : « في السنوات المقبلة من المتوقع أن يمارس المسلمون الأمريكيون ضغطاً في تقديم آرائهم السياسية والأيدلوجية أمام الحكومة الأمريكية وعامة الشعب ، تماماً كما فعل الأمريكيون الذين ينتمون إلى جماعات عرقية من قبل . أما ما يصعب التنبؤ به فهو الكيفية التي يمكن للمسلمين أن يؤثروا بها في النهاية على ثقافة الأمة ككل » .

كلمة أخيرة

لا شك أن مصر لم تنقطع صلاتها بالمسلمين الأمريكيين فى أي وقت من الأوقات فقد ساهمت فى تأسيس المراكز الإسلامية في « ديترويت » و « واشنطن » و « لوس انجلوس » . كما يقوم الأزهر بتقديم المنح الدراسية ، وإرسال الأئمة والمدرسين مساهمة منه في توفير الأساتذة للمدارس الإسلامية . كما أن للمصريين دوراً مرموقاً في إدارة المراكز الإسلامية في مختلف أنحاء الولايات المتحدة . ولكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو : هل يأتي اليوم الذي نرى فيه معاهد أزهرية في أمريكا وفي أوروبا ؟

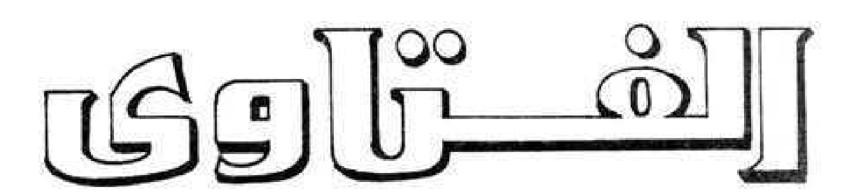
نرجو ذلك .

والله الموفق والمستعان

دكتور أحمد شفيق الخطيب

« غلاف الهدية »

يحمل صورة فضيلة الإمام الأكبر مع مجاهدى الأفغان فى لقائه بهم فى بيشاور بباكستان .



س : من السيد / ع . م - بهى الدين - البحيرة :

هل للزوجة ان تتصرف فى مالها دون الرجوع إلى زوجها ؟ وهل لها أن تعطى والدها من مالها ؟

جـ : للزوجة الحق أن تتصرف فى مالها دون الرجوع إلى زوجها ويندب استشارته[1] ، كما أن لها أن تعطى والدها من مالها ما تشاء ..

◇◇◇

س : من السيد / ر . س . عثمان - قنا :

ما حكم قراءة القرآن الكريم قبل صلاة الجمعة فى المسجد ؟
وهل يصل ثواب قراءة القرآن إلى الموتى ؟
وما حكم تلقين الميت ؟

جـ : يقول الرسول ﷺ : « ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده » رواه مسلم وغيره ، وبذلك فقراءة القرآن فى المسجد فى أى وقت من الأوقات مشروعة . ومن بين هذه الأوقات « قبل صلاة الجمعة » حتى يستفيد القارىء والسامع ، بشرط الا يكون فيه تشويش على المصلين ..

وثواب قراءة القرآن يصل إلى الميت كغيره من الطاعات ، وقد وردت الأحاديث بصحة الحج عن الميت والزكاة والصيام وغيره ، كما ورد أن رسول الله ﷺ قال : « إقرءوا على موتاكم سورة يس » .. كذلك ورد أن الأنصار يستحبون أن تقرأ عند الميت سورة الأنعام وسورة الرعد . ومثلهم لا يفعل ذلك إلا بدليل .

وتلقين الميت مشروع . وقد وردت فى ذلك أحاديث عدة .. يضاف إلى ذلك أن الرسول ﷺ قال : « اسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل » قال العلماء : هذا شاهد التلقين .

◇◇◇

س : من السيد / س . ع . نور الزقازيق شرقية .

---

(١) لكن - فى رجوعها إليه لاستشارته - حصانة لنفسها من الشبهات والشكوك وقد يكون فى ذلك مايوجب استشارته - لاسيما إذا كان فقيرا وفى حاجة إلى معونة وقد ساق ابن الاثير فى أسد الغابة - اكثر من مثل يفيد ذلك ، مجلة الأزهر .

إعداد: عبد الحميد السيد شاهين

طلقت زوجتى طلقة أولى على الإبراء بموجب وثيقة رسمية . وأريد أن أعيدها إلى عصمتى مرة أخرى . فما الحكم ؟

جـ : طلاقك لزوجتك على الابراء يقع به طلقة أولى بائنة بينونة صغرى . لا تحل لك إلا بعقد ومهر جديدين وبرضاها ، على أن تكون معك على طلقتين .

◇◇◇

س : من السيد / م . ر . بكر . من الاسكندرية

رجل طلق زوجته قبل الدخول بها بقوله : انت طالق . ثم تم الدخول بها دون عقد عليها - وبعد الدخول طلقها مرتين متفرقتين بقوله لها : انت طالق فما الحكم ؟

جـ : بقوله لزوجته : أنت طالق قبل الدخول بها يقع به طلقة واحدة بائنة بينونة صغرى لا تحل له إلا بعقد ومهر جديدين وبرضاها . وحيث إن الحالف دخل بها وعاشرها معاشرة الأزواج قبل أن يعقد عليها فإن دخوله بها يعد باطلا ، ويجب عليهما عمل عقد جديد حتى تكون الحياة الزوجية صحيحة شرعا . وذلك على طلقتين .

أما الطلقتان اللتان أوقعهما الزوج بعد الدخول لا تعدان طلاقا ، لأنها كانت أجنبية عنه .

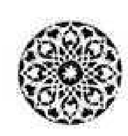
◇◇◇

س : من السيد / ع . م . الصباغ المنصورة دقهلية :

توفى رجل عن : أولاد أخ لأم ، وأولاد أخت لأم . ذكورا وإناثا فمن يرث وما نصيبه ؟

جـ : لا يوجد بين هؤلاء الورثة صاحب فرض ولا عصبة ، وجميعهم من ذوى الأرحام .. ولذلك فالتركة كلها لأولاد الأخ لأم . ولأولاد الأخت لأم يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى . كأنهم أبناء رجل واحد ..

والله أعلم ..



الشيخ عبد الباقي سرور

مناضل سياسي - ومفكر إسلامي أهمله التاريخ



● عبد الباقي سرور مفكراً وعالماً :

في هذه الأثناء اشتغل الشيخ عبد الباقي بالتدريس ، وكان « محمد محمود باشا » يعرف قدر الشيخ وفضله[1] ، فقام بتعيينه مدرساً بجامع « برقوق » بالقسم التخصصي ، وفي هذه الفترة (١٩٢٣ - ١٩٢٤) اشتهر الشيخ بالكفاح المتواصل في سبيل القضاء على شراء الأصوات في الانتخابات ، كما برزت موهبته ككاتب ومفكر إسلامي كبير ، وشاعر وزجال[2] فقد نشر في هذه الفترة ، فصولاً من كتابه الشهير « ماضي الإسلام وحاضره » ، في « جريدة الأفكار » لصاحبها عبد اللطيف الصوفاني ، وكان رئيس تحريرها « الأستاذ على الكلزة » .

كما كان للشيخ عبد الباقي رأي خاص ، في « التصوف عند الغزالي » فكان يرى « أن التصوف في كتب الغزالي ، إنما كُتب للصوفية ، لا لجميع الناس .

وعندما كان « عبد اللطيف الصوفاني » صاحب « جريدة الأفكار » ممثلاً لإقليم البحيرة في مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، كانت صلته طيبة بالشيخ عبد الباقي ، الذي كانت له صفحة خاصة في الأفكار ، كتب فيها

---

(١) كان محمد محمود باشا مديراً لإقليم البحيرة خلال الفترة (١٩١٤ - ١٩١٧) وكان على صلة وثيقة بالشيخ عبد الباقي وعائلته بدمنهور ، التي كانت من كبار ملاك الأراضي الزراعية ، فقد كانت حلقات درس الشيخ ملتقى طلاب العلم ، ووجهاء القوم في دمنهور .

(٢) محمد محمود زيتون - المصدر السابق ص / ٦١٥

للدكتور خالد محمد نعيم

تحت عنوان « عالم السياسة » مقالات نارية ضد الاستعمار ، ثم ترك « الصوفاني » رياسة تحرير « الأفكار » للشيخ عبد الباقي ، بعد اعتقال السلطات البريطانية له ، لعلمها بنشاطه الخاص ، بإمداد الثوار في « ليبيا » بالأموال وبمواد التموين ، فكانت مقالات الشيخ عبد الباقي في (الأفكار) تحت عنوان « وإنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض » ، « قرآن كريم » . وقد ذاع صيتها وكانت الأفكار التي طرحها في الجريدة ، كلها مناهضة للوجود البريطاني ، وتدعو للحرية والاستقلال .

لقد كان قلم الشيخ شواظاً من نار على الوجود الأجنبي في مصر ، وعملائه ، فقد ظل الشيخ رئيساً لتحرير (الأفكار) ، نحو أربع سنوات ، تعرض خلالها للاغتيال برصاص الإنجليز أكثر من مرة .

● **موقفه من مسالة الخلافة الإسلامية :**

في عام ١٩٢٤ انطلقت في مصر ، حركة تهدف إلى إعادة الخلافة في العالم الإسلامي ، في أعقاب القرار في تركيا بإلغائها . وقد تسبب إلغاء الخلافة في توهج الوجدان العاطفي الديني . واضطربت المواقف فلم تتبلور سريعاً . وتباينت الآراء بين من يؤكد أن إلغاء الخلافة باطل ، وبين من يقول إن خلع السلطان عبد المجيد باطل كذلك . وبيعته ملزمة باقية !!!

على كل حال ، بعد فترة وجيزة من عزل آخر خليفة عثماني في القسطنطينية يوم ٢٥ من مارس ١٩٢٤ عقد اجتماع في مصر ضم عدداً من العلماء برياسة شيخ الأزهر : الشيخ أبو الفضل الجيزاوي ، وعضوية كل من : محمد مصطفى المراغي ، رئيس المحكمة العليا الشرعية ، والشيخ عبد الباقي سرور ، وعبد الرحمن قراعة ، ومحمد على الببلاوي ، وعبد الرحمن البكري ، شيخ مشايخ الطرق الصوفية ، ووكيلي الأزهر السابقين محمد حسنين ومحمد شاكر ، وكثيرين غيرهم . ومديري المعاهد الدينية ومشايخ الأقسام بالأزهر وغيرهم . وفيها من المدنيين ؛ أمين سامي وأحمدتيمور من أعضاء مجلس الشيوخ ، وأحمد خشبة وكيل مجلس النواب ، والسيد رشيد رضا ، وتولى السكرتارية الشيخ حسين والى ، مفتش المعاهد الدينية[٣] .

وطلعت هذه الهيئة في اليوم ذاته ، على الرأى العام ، ببيان غاية في الاهمية ، وهو ان الخلافة (رياسة عامة في الدين والدنيا .. والإمام نائب عن صاحب الشريعة (ﷺ) ، في حماية الدين وتنفيذ احكامه ، وفي تدبير شئون الخلق الدنيوية على مقتضى النظر الشرعى) ، وان الإمام يتولى الحكم بالبيعة من (أهل الحل والعقد) او باستخلاف إمام قبله .

(٣) مجلة المؤتمر الإسلامي العام للخلافة في مصر ، العدد الأول ، اكتوبر عام ١٩٢٤ .

كماذكرت الهيئة فى بيانها ، (البند الرابع عشر) ، ضرورة الدعوة لعقد مؤتمر إسلامى بالقاهرة ، تحت رياسة شيخ الأزهر يحضره ممثلون لجميع الأمم الإسلامية (ليبحث فيمن يجب أن تسند إليه الخلافة الإسلامية)[٤]. وشكلت الهيئة مجلسا إداريا للمؤتمر وسكرتارية عامة له أشرف عليها الشيخ حسين والى .

ثم بدأ تكوين لجان فرعية للخلافة فى المدن والأقاليم . ورُئى أن يكون الذين يدعون لتأليف هذه اللجان هم رجال الدين أنفسهم ، شيخ الأزهر وشيوخ المعاهد وكبار العلماء ، وبالفعل أصبحوا هم رؤساء اللجان التى تقع فى مناطقهم .

وألقيت إلى الشيخ عبد الباقى سرور ، مهمة تأليف لجان مديرية البحيرة ، وطاف الرجل ، وكان له وكلاء فى كل مركز ومدينة يعاونُونه في تأليف اللجان ، وامتد نشاط دعوة الشيخ حتى قامت لجان فرعية في قرى إقليم البحيرة .

ثم أصدرت الهيئة مجلة شهرية باسم « مجلة المؤتمر الإسلامي العام للخلافة في مصر » ، يرأس تحريرها الشيخ محمد فراج المنياوي ، وكان من محرريها البارزين ، « رشيد رضا وعبد الباقي سرور نعيم ، والمنياوي ، وحسين والي ، وعبد العزيز الإشراقي »[٥] وظهر العدد الأول منها فى أكتوبر عام ١٩٢٤ . وكتب فيها الشيخ يقول : « إن غاية المؤتمر وضع قواعد حكومة إسلامية مدنية واختيار خليفة وإمام للمسلمين » ، وساهم الشيخ بقلمه في استنكار إلغاء الخلافة ، وأيد وجوب بقاء الخلافة بعد الدعوة للمؤتمر ، وأكد مفهوم الخلافة بمعناه السلفي ، فكانت دعوته تقوم على منهج عصري .

واطّرَدَ صدور المجلة شهرياً حتى العدد الرابع ، ثم صدر منها خمسة أعداد أخرى خلال عامي (١٩٢٥ ـ ١٩٢٦) . وانحصر كتابها تقريباً في رشيد رضا وعبد الباقي سرور نعيم ، وحسين والي ، والمنياوي ، وعبد العزيز الإشراقي .

وقد جمع الشيخ في منهجه أساليب البقاء التي أسس بها المسلمون الأولون دعوتهم إلى جانب الأساليب التي يحارب بها المستعمر وأعوانه ، فخاض معارك الإضراب والتظاهر ، والوعظ والإرشاد ، والخطابة ، والصحافة والسياسة ، وكتابة الشعر والزجل الحماسي ، لبعث مصر ومواجهة تحديات ظروفها المختلفة .

وكانت بعض العناصر السياسية ، كقيادات بعض الأحزاب العلمانية ، ترى ضرورة ضرب الزعامات الدينية ، التي قامت بأدوار بارزة ، في أثناء مسألة الخلافة الإسلامية .

● موقف الشيخ من بعثات التنصير المسيحية الأجنبية :

كان المُنَصِّرون الأمريكيون الذين بدأوا يفدون ، في منتصف القرن التاسع عشر ، يشكلون أكبر مجموعة من « المبشرين » ، التي تعمل في مصر . فقد كان هناك حوالي « ٣٠٠ مُبشر » ، يعملون في الوجه البحري والصعيد ، خلال عام ١٩١٧ ، وقد أنفقت هذه البعثات

(٤) المصدر السابق . العدد الأول أكتوبر عام ١٩٢٤ .

(٥) طارق البشري ـ المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية ص /٩٨ .

مايربو على « ثمانمائة الف جنيه استرليني »[٦] . وكان نشاط الارساليات التنصيرية ، يشكل تهديداً خطيراً للمجتمع الإسلامي في مصر ، فقد وقعت عدة حوادث خطيرة ، لتنصير الصِبْية والفتيات في عدد من مدن القطر المصري خلال العشرينيات من هذا القرن ، وأخذت الصحف المصرية تتحدث عن وسائل الاغراء التي كان يلجأ إليها هؤلاء المُنَصرّون ، لحمل السُذج على اعتناق النصرانية ولتحويل الأطفال الأبرياء من أبناء المسلمين الفقراء إلى النصرانية .

وظن « المبشرون » ـ فيما طرأ من أحداث على المجتمع المصري ـ أن فيها عنصراً مواتياً لهم في نشاطهم ضد الإسلام ، ما دام قد حَلتْ الجامعة الوطنية محل الجامعة السياسية الدينية ، وأُلغيت الخلافة الإسلامية ـ وما دامت النظم السياسية اعترفت ، بحرية العقيدة وتغيرت مناهج الأزهر الشريف ، وأساليب الدراسة فيه .

وبدأت ردود الفعل العنيفة من جانب العلماء ، تتبلور ، وكانت تصاحب أيا من الأحداث المتعددة لنجاح المُنَصرين في تنصير واحد من المسلمين ، طفلاً كان أو صبيّة ، وقد تجمع عدد من هذه الأحداث في عام ١٩٢٨ ، فولدت موجة عظيمة من الغضب ، وأثارت هياج العلماء وفكر المفكرين ، حتى أنه يمكن اعتبار عام ١٩٢٨ ، نقطة تحول خطيرة في التاريخ الاجتماعي والسياسي لمصر الحديثة ، فيكفي أن هذا العام شهد مولد جمعيتين من أخطر الجماعات الإسلامية أثراً في مصر ، وهما « جمعية الشبان المسلمين » ، و « جماعة الإخوان المسلمين » .

وفي نفس الوقت تقريباً ، وقع في مصر حادث « القس زويمر » أحد أقطاب كافة المؤتمرات « التبشيرية » التي انعقدت منذ عام ١٩١٠ ، وعرفت كتاباته بالتعصب والتعسف ضد الإسلام ، وكان « زويمر » قد حصل على تصريح من وزارة الأوقاف المصرية ، بدخول المساجد واصطحاب العلماء ، بوصفه « مستشرقاً » واستغل هذا التصريح في دخول الجامع الأزهر ، وقام بتوزيع بعض رسائل « التبشير » في عام ١٩٢٦ ، الأمر الذي دعا مدير المساجد وقتها ، فضيلة الشيخ عبد الوهاب خلاف إلى استدعائه وإنذاره بسحب التصريح . وإذا كان زويمر قد استجاب للإنذار ، فإنه ـ في نفس الوقت ـ راح يلقي محاضراته بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ، ضد الإسلام ونبيه الكريم « صلى الله عليه وسلم » ، ولما كان الشيخ عبد الباقي سرور يجيد الإنجليزية ، فإنه كان الوحيد من رجال الأزهر الذين ردوا على « زويمر » في محاضراته ، وأفحمه أكثر من مرة عند زيارته للأزهر عام ١٩٢٥ .[٧]

ولقد استل « الشيخ عبد الباقي سرور » خنجر المستعمرين ورماهم به ، بعد أن تحصنوا في قلاع التنصير في الوجه البحري والصعيد ، تحت ستار التعليم . واستعان بالكلمة فكانت « صحيفة الفتح » التي كان يصدرها (محب الدين الخطيب) ، ويرأس تحريرها الشيخ عبد الباقي ، لا تكف عن الحديث عن موجة الإلحاد في المدارس والجامعات ، ورسائل « المبشرين » في معارضة الإسلام ، مع حث

---

(٦) F.O./144/742; 4902/1/117/
وثائق محفوظات إرسالية الكنيسة ، لندن ١٩٢٢ ـ ١٩٢٧ ، بوزارة الخارجية البريطانية .
(٧) محمد محمود زيتون ـ المصدر السابق ص /٦١٥
(٨) صحيفة الفتح ، ٢٧ سبتمبر ١٩٢٨ .

الأزهر على مطاردتهم والمطالبة بتعليم الدين بالمدارس لمقاومة هذه الموجة التنصيرية[٨].

وانطلاقاً من روح العصر راح « الشيخ عبد الباقي سرور » يخاطب أمّته بالقرآن والسنة مفسراً وشارحاً ، موجهاً وواعظاً بمنهج عصري ، فكان يربط في شرحه بين الدين والدنيا ، ويتخذ من الدين أساساً لبناء المجتمع والنهوض به .

وأخذ الشيخ عبد الباقي سرور يقاوم « المبشرين » بالتحذير من خطر الاتصال بالإرساليات الأجنبية ، وبوسائل من نوع وسائل « المبشرين » ، كإنشاء المدارس وغيرها . حتى ينصرف الناس عن مؤسسات « التبشير » ، وأخذ الشيخ يستثير حميّة المسلمين بالأخبار والمقالات ، والشعر ضد عدوان المنصرين على البلد الأمين ، من خلال « الفتح » ، وفي آخريات أيامه كان لا يزال يمارس نشاطه بإلقاء الدروس في « جامع التوبة » بدمنهور ، صباحاً مع الصغار ، ومساء مع الكبار ، وخص الشابات بوقت يفقههن في أثنائه في الدين ، ويعدهن لشئون خطيرة في تربية النشء . وقيل أنه مكث طوال شهر رمضان عام ١٩٢٩ ، يفسر سورة واحدة من القرآن الكريم ، فكان يلتف حوله « وجهاء » البحيرة وخيرة شبابها [٩] .

لقد قامت دعوة عبد الباقي سرور ، على أساس من فهمه الدقيق لعقيدته الإسلامية ، وتجارب إخوانه المجاهدين السلفيين .

● **وفاته :**

ولم يطل العمر بالشيخ ، فترك الدنيا مُلتحقاً بالرفيق الأعلى ، في مساء السابع من يوليو عام ١٩٢٩ ، وهو لم يتجاوز الخامسة والأربعين من عمره .. ودفن في قريته « قراقص » مسقط رأسه ، فسلام عليه في الخالدين ، ورحمة الله عليه ، وعوناً وتوفيقاً لكل السائرين على دربه من علماء المسلمين وولاة أمورهم .

ومن أبنائه النجباء الأستاذ طه عبد الباقي سرور ، الرئيس السابق لتحرير مجلة « الإسلام والتصوف » والأديب والكاتب والمفكر الإسلامي المشهور ، رحمه الله ، فقد سار على نهج والده قبل أن يتوفاه الله في الثالث من سبتمبر عام ١٩٦٢ .

وفي عام ١٩٣٢ كرمت الحكومة المصرية الشيخ عبد الباقي سرور ، في ذكراه بإطلاق اسمه على أكبر شوارع مدينة دمنهور . ثم عندما قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، كرمته حكومتها كذلك ، بإطلاق اسمه على مدرستين من كبرى مدارس دمنهور ، إحداهما إعدادية والأخرى إبتدائية ، وعلى شارع ضخم يبدأ من مقام « سيدي عطية أبو الريش » بدمنهور حتى مقام « سيدي إبراهيم » بدسوق .

هذه سيرة عالم جليل ومفكر إسلامي كبير ، وداعية وزعيم وطني ، من الأقاليم ، أهمله التاريخ والمؤرخون ، ولكن مع كل هذا الإهمال من جانب المؤرخين ، فإن الرجل وتاريخه لا يزال ملحمة عطرة تتناقلها الأجيال في مدن وقرى محافظة البحيرة ، وسيظل رمزاً للداعية والفكر والبطولة والوطنية الصادقة .

دكتور خالد محمد نعيم

(٩) مقابلة مع الأستاذ فاروق محمد سرور ـ رئيس قلم التحقيقات ـ بديوان محافظة البحيرة ٨ / ٣ / ١٩٨٥

العلوم الكونية

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

جولة أرناط

الإعجاز العلمي

في القرآن الكريم

العمق السادس عشر (١٧)

- **الكائنات الحية على الأرض أنواع شتى . تختلف وتتباين إلى حد كبير ، ليس فقط في الشكل وسبل الحياة والتعايش ، ولكن أيضاً هي تختلف وتتفاوت في الذكاء والرقي ، إلا أنها تشترك في أمرين أساسيين هما : الحياة والقدرة على التفاهم كل فئة فيما بينها ومن وجهة نظر العلم نجد أن كلمة حياة غير قابلة للتعريف الدقيق الشامل ، فالفيروسات مثلا تقف على الحد الفاصل بين المادة الحية والمادة غير الحية أو الميتة .. فهي يمكن تحضيرها أو تحضير بعضها على الأقل كيميائيا ـ مثل فيروس الطباق ، لكي تنشط وتتكاثر في وسط مادي من الطباق !**

وبقدر ما أخفق العلم في الوصول إلى سر الحياة ، ذلك السر الذي نطلق عليه اسم « الروح » .

« وَيَسأَلُونَكَ عَنِ الروحِ قُلِ الرُّوحُ مِن أَمرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلمِ إِلَّا قَلِيلًا » ـ الإسراء (٨٥) ـ بقدر ما نجحت علوم الحياة في تشريح أجسام الكائنات الحية وفي دراسة طبائعها وخصائصها وصفاتها الظاهرة ، وتبين أنها تتكون من فصائل وعشائر يمكن أن توصف بكلمة « أمم » ، تماما كما يقول الخالق جل شأنه :

« وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمثَالُكُم » ـ الأنعام (٣٨) ، ويتم تفاهم هذه الأمم فيما بينها إما بالصياح (الصوت) ، أو بالإشارات ، أو بالرقص ، أو بتحريك أجزاء من الجسم .

وتصدر الطيور أصواتا مميزة كأنما هي تنطق . ومما يؤكد ذلك قول الله عز وجل :

١ ـ « وَوَرِثَ سُلَيمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمنَا مَنطِقَ الطَّيرِ » ـ النمل (١٦) ، والمراد أن الملك والحكم آل إلى سليمان من بعد والده داود فقال للناس عُلمنا منطق وما ينطق به الطير .

---

(١) ماورد بهذا المقال من تفسير هو اجتهاد كاتبه ومسئوليته وحده ، ومن حق أى متخصص نقده نقداً علمياً نزيهاً ، مجلة الأزهر .



أ.د. محمد جمال الدين الفندى

ويثبت العلم أن لكل نوع من الطير طرقه الخاصة للتخاطب والتفاهم بين الأفراد ، أعمها الصوت ، واللمس ، وهز بعض أجزاء الجسم ، والرقص .. ويقول الخالق العليم كذلك :

٢ - « فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ . إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ . وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ » - النمل (٢٢ - ٢٤) ، وتتحدث هذه الآيات الكريمة عن الهدهد ، وكان قد مكث غير بعيد زمنا وجيزاً ثم جاء إلى سليمان عليه السلام فقال له : لقد علمت ما لم تعلم ، وجئتك من بلاد سبأ بخبر هام له شأنه ، فقد وجدت هناك امرأة تحكم قوم سبأ ، لديها الوفير من نعيم الدنيا وسرير ملك كبير يدل على اتساع سلطانها ، وهم يعبدون الشمس من دون الله تعالى ، وقد زين لهم الشيطان سوء أعمالهم فظنوها حسنة ، وصرفهم عن سبيل الحق وهم لا يهتدون .

ومن آيات الذكر الحكيم قوله تعالى كذلك :

٣ - « حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ » - النمل (١٨) - والمراد أن واحدة من النمل عندما أقبل سليمان بجنوده حثت جماعتها ونصحتها بأن تدخل بيوتها حتى لا تميتها جنود سليمان وهم لا يحسون بالنمل .

والمعروف علميا أن النمل يعيش فى جماعات مميزة ، من أهم خصائصها اليقظة والحذر من أى خطر مع شمول النظام والالتزام به فى العمل . فهى مثلا تجمع مواد الغذاء وتحملها لتختزنها فى بيوتها ، وتحافظ عليها بطرق تثير العجب ، فنجدها تفلق الحبوب التى تجمعها قبل تخزينها ، وذلك حتى لا تعود إلى الإنبات والتلف ، وإذا أصابها الماء من مصدر خارجى كالمطر تخرجها إلى الهواء والتعرض لأشعة الشمس حتى تجف !

والنمل على قدر كبير من الذكاء والدهاء وقوة الذاكرة !! يحب العمل المتواصل ، ويثابر عليه ولا يعرف اليأس . كما أن للنمل من سعة الحيلة ما يعينه على أداء أعماله خير أداء وهو يدفن موتاه ، شأنه فى ذلك شأن الإنسان دون سائر الكائنات الأخرى ! وأعجب العجب أن جماعات النمل تلتقى فى مكان واحد من حين إلى آخر من أجل التعارف وتبادل السلع ، كما أنها تتجاذب أطراف الحديث باهتمام بالغ ، ويسأل بعضها بعضا أسئلة تتصل بشئونها الخاصة !!

ويقوم النمل بعمل مشروعات جماعية مثل إنشاء طرق معبدة طويلة بدقة ومثابرة تثير الدهشة ، وهو يواصل العمل فى الليالى القمرية ، ويبنى بيوتا رائعة فيها غرف ومخازن وممرات .. تماما كما نبني نحن بيوتا ، مصداقا لقوله تعالى :

« يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُواْ مَسَاكِنَكُمْ » ـ النمل (١٨) ـ وعادة يستغل النمل طبيعة المكان الذى يبنى فيه مسكنه ، فيجعل مثلا فتحة بيته عند قمة المكان فى الاتجاه المضاد للاتجاه الذى يقبل منه المطر بصفة عامة ـ هو فى مصر على سبيل المثال الشمال الغربى ـ ويمضى القرآن الكريم فيقول :

٤ ـ « فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا » ـ النمل (١٩) ـ أى فتبسم سليمان عليه السلام ضاحكا من قول تلك النملة الحريصة على سلامة جماعتها .

وعلى هذا النحو يسبق القرآن الكريم ركب العلم ، ويكشف لنا جانبا عجيبا من صفات وسلوك الأحياء فى الأرض لم يكن يخطر على بال أحد ، ويقرر أنها أمم أمثالنا لم يحرمها الخالق القدير من وسائل التخاطب والتفاهم فيما بينها ، وأوحى لها بما يمكنها من العيش والجرى وراء الرزق ، وذلك فى آيات عديدة تكون فى مجموعها **العمق السادس عشر من أعماق الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم** .

« وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم » ـ الأنعام ٣٨ بل نجد فى القرآن الكريم سورة تسمى سورة « النمل »

وأخرى هى سورة « النحل » ، وثالثة هى سورة « العنكبوت » :

١ ـ « وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ . ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » ـ النحل (٦٨ ـ ٦٩) ـ والمراد أن الله تعالى ألهم النحل (أى جعل من سلوكها وغرائزها) أن تتعرف على أسباب عيشها ورزقها بأن تتخذ من كهوف الجبال وثغراتها بيوتا لها ، ومن فجوات الشجر ومن عرائش المنازل والكروم بيوتا كذلك .

٢ ـ « . . . كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ . . . . » ـ العنكبوت (٤١) ـ والمشاهد أن العناكب تبنى بيوتها لكى تسكنها ، وهى تنسجها لكى تقع فيها فريستها فتمسكها . وبيوت العنكبوت دقيقة الصنع ، تتكون من خيوط عظيمة الرقة تفوق رقة الحرير ، ويكون نسيجها ضعيف البنيان إلى حد كبير ولا يصلح لسكنى اى كائن آخر من احياء الأرض .

والنحل مثل النمل من الحشرات المرموقة . وبلغت الحشرات بصفة عامة أوجها منذ عشرات ملايين السنين . وعاقها فى سلم الترقى جهاز تنفسها العقيم . وتعتمد لغتها على الحركات ، أو الرقص ، وقد تعمد إلى إفراز بعض المواد كعلامات على الطريق .

والنحل عموما من ارقى أحياء الأرض اجتماعيا ، وهو عظيم النفع للإنسان ، ويعيش فى جماعات تكون خلايا النحل المعروفة والمألوفة . وتضم كل خلية آلاف الأفراد المكونة من الملكة ، ثم ذكران النحل ، ثم الشغالة وهى أشبه شىء بالعبيد . ويموت الذكر بعد تلقيح الملكة لكى تضع البيض المخصب .

ويختلف لون ورائحة عسل النحل باختلاف الأزهار التى يتغذى على رحيقها النحل . وهو

دواء لكثير من الأمراض والعلل ..

« .... يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ .... » ـ النحل (٦٩) .

النظرية الحيوية :

ظهرت حديثا نظرية علمية تسمى (النظرية الحيوية) تقوم على أساس أن سلوك الكائنات الحية من حركة ، وتغذية ، وأنشطة مختلفة ، وذكاء ودهاء ، وصبر وجلد .. كلها لا تتحكم فيها مجرد قوانين الفيزياء الطبيعية التى على غرار قوانين الديناميكا الحرارية مثلا ـ ولكن تتحكم فيها قوى خفية مجهولة لا تخضع للقانون الطبيعى ، ولا يمكن الوصول إلى كنهها بنفس الطريقة التى توصلنا إلى التعرف على القوانين الطبيعية ، وقد تدخل الغرائز تحت طائلها .

هذا كما أن جانبا كبيراً من قصور العلوم الطبيعية يرجع إلى قصور حواسّنا التى بواسطتها نحصل على المعلومات ونتفهم الآيات المنبثة فى هذا الكون . فالعين مثلا ـ وهى عضو الإبصار ـ لا تعطينا كل المعلومات التى يمكن استخلاصها من أى شىء مادى مرئى ، وذلك لأنها تعمل بالضوء الذى يرسله الجسم ليكون صورة على الشبكية . وليس الضوء هو كل ما ترسله الأجسام المادية من إشعاعات ، وهناك إشعاعات لا تدركها العين مثل الأشعة الحرارية أو تحت الحمراء ، والأشعة فوق البنفسجية :

« فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ . وَمَا لَا تُبْصِرُونَ » ـ الحاقة (٣٨ ـ ٣٩) ـ أى فلا أقسم بما ترون فى عالم المادة وما لاترون فى عالمى المادة وغير المادة . ومن العجيب أن الصور التى تكونها العين على الشبكية تكون مقلوبة ولها بعدان فقط ، ورغم ذلك فنحن نراها معتدلة وذات ثلاثة أبعاد .

ولقد حاول العلماء حل هذه المشكلة فافترضوا وجود شىء أشبه بالجهاز الالكترونى الحاسب فى الجهاز العصبى المشترك بين العين والمخ يمكنه إعطاء صور معتدلة لها ثلاثة أبعاد مستخلصة من الصور المقلوبة ذات البعدين التى تتكون على الشبكية !

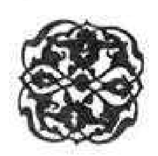
ونحن عندما نعرض هذه الدقائق العلمية ونعيها . هل يكون من العسير علينا أن نسلم بأن لدواب الأرض وطيورها وسائلها الخاصة بها للتفاهم والتخاطب ، وقد مكن الله تعالى سليمان عليه السلام من ذلك فكلم الهدهد وتحدث إليه قائلاً :

« اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ » ـ النمل (٢٨) ـ وحمل الهدهد الرسالة والقاها على ملكة سبأ ومن معها ثم توارى فى مكان قريب ليسمع ما يرددونه من قول .

والحق أن هذا العمق إنما يكشف لنا جانبا من خفايا صفات أحياء الأرض ومزايا ، يظن الإنسان أنهامقصورة عليه لعجز وقصر حواسه والله أعلم .

للحديث بقية

جمال الفندى



جولة أرناط

● **فى أعقاب فشل الحملة الصليبية الثانية سنة ١١٤٧م بقيادة الإمبراطور الألمانى « كونراد » و« لويس السابع » ملك فرنسا ، ورحيل الجيوش الصليبية عن أرض الشرق ـ تخلف فارس شاب يدعى .. رينودى شاتيون .. الذى عرف ـ فى صفوف المسلمين ـ باسم « أرناط » وكان مغامراً متهوراً احمق ، وصفه المؤرخ الصليبى .. كينج King .. بانه نموذج للفارس اللص فى عصره ، اتصف بالجشع وعدم الوفاء والغدر والوحشية والتعصب الأعمى ، ولم تفلح السنوات الخمس عشرة التى قضاها أسيراً بأيدى المسلمين ـ فىمدينة حلب ـ فى تعديل سلوكه او تهذيبه .**

اعلن ارناط هذا عزمه على طعن الإسلام بهدم الكعبة المشرفة ، ونقل ضريح النبى محمد ـ ﷺ ـ إلى باريس عام ١١٨٢م .

وشرع بداية ـ وقد اغراه تمكنه من « حصن الكرك ووادى عربة » حيث المنطقة التى تقع بين مصر والشام وهو بتلك القلعة الحصينة ـ شرع بداية ـ فى مهاجمة قوافل الحجاج وقتل الرجال والاعتداء على النساء ، وغنْم ما تحمل القوافل ثم اتجه بأسطول كبير وقوات ضخمة صوب الأراضى الحجازية فأغار على « ميناء عيذاب » فى مواجهة مدينة « جدة » ونهب بضع سفن تجارية وافدة من اليمن وعدن والهند ، ثم انتقل إلى شاطىء الحجاز ، فعظم البلاء ، وأشرف أهل المدينة المنورة على خطر عظيم ، وقد دهش المسلمون لتلك الجراة ، فلم يسبق لرومى صليبي أن وضع قدمه بذلك الموضع ، ويؤكد « المقريزى »[١] أن الصليبيين صاروا على مسيرة يوم واحد من « المدينة المنورة » ، ويقول ابو شامة مؤكدا كلام المقريزى : « **إن الصليبيين نزلوا على ساحل « حوراء » قرب ينبع حيث اغاروا على قوافل الحجيج الآمنة ، وقتلوا الرجال ، واعتدوا على أعراض النساء ، وقام بعض الخونة والرعاع من البدو بإرشاد « أرناط » والجيش الصليبى إلى داخلية البلاد** »[٢] .

وفى رسالة للقاضى الفاضل أوردها ابو شامة عن ابن واصل « أن الصليبيين استهدفوا من وراء تلك العملية الحربية هدفين خطيرين :

أولهما : قطع طريق الحاج عن حجه ، وضرب العالم الإسلامى فى قلبه ، وطعن المسلمين فى

---

(١) المقريزى ـ كتاب السلوك ١/ ٨١

(٢) ابو شامة كتاب الروضتين ٢/ ٥٠ ، وراجع للمؤرخ الصليبى جروسيت Grousset ١١/ ٧٣٢ .



للأستاذ محمد مدحت

قبلتهم حيث يرى أرناط أن الكعبة والحرم النبوى هما الأماكن المقدسة التى يجتمع حولها المسلمون .. فيجتمع عندها شملهم ، وتتوحد كلمتهم عند المحن والبلاء .

ثانيهما : أن الصليبيين كانوا يزمعون الاستيلاء على « عدن » ... وبذلك يتمكنون ـ بفضل استيلائهم على « أيلة » فى الشمال على خليج العقبة ـ و« عدن » فى الجنوب ـ من إغلاق البحر الأحمر فى وجه أعدائهم واحتكار تجارة الشرق والمحيط الهندى .

ورب ضارة نافعة :

فمن المعروف أن بعض حكام الإمارات الإسلامية من أمثال : أمير « دمشق » وأمير « حلب » و« الأتابكة » أى أمراء « الموصل » ـ كانوا يحرصون على محالفة ملوك بيت المقدس الصليبيين كلما هددهم خطر من جانب الفارس المسلم عماد الدين زنكى ، أو الأمير نور الدين مما أتاح للصليبيين الفرصة للنفاذ بين صفوف المسلمين وتفتيت الوحدة الإسلامية .

وبمحاولة الصليبيين الاعتداء على الحرمين الشريفين أثاروا حمية المسلمين ، وَبَدَوْا على حقيقتهم لصوصاً سفاحين مجردين من العفة والشرف ، فكانت مغامرة « أرناط » ومن كان على شاكلته ناجحة تماماً فى استفزاز مشاعر المسلمين وترابطهم وقطع تقارب من كان يتقارب إليهم من الأمراء ، فأجمع المسلمون على مقاومتهم واشتد غضب « الناصر صلاح الدين الأيوبى » على ذلك السفاح ، وأسرع العادل أخو صلاح الدين بأسطول نوى فى البحر الأحمر أسند قيادته إلى الحاجب « حسام الدين لؤلؤ » ليقطع الطريق على نشاط هذا السفاح ، فبدأ « حسام الدين » بحصار أيلة ، وظفر بمراكب الصليبيين بها فأحرقها وأسر من فيها ثم تعقب بقية سفنهم عند « عيذاب » وشواطىء « الحجاز »[٣] وكان معظمها بساحل « الحوراء » عندما دهمها حسام الدين فدمر بعضها واستولى على البعض الآخر ، وأطلق من فيها من التجار والحجاج المأسورين ثم تعقب من لاذ من الصليبيين بالجبال فأسرهم فى فبراير ١١٨٣م[٤] .

وكان موسم الحج قد اقترب فأرسل « حسام الدين لؤلؤ » بأسيرين إلى مِنَى فنحروا بها كما تُنْحر البُدْن ، وعاد ببقية الأسرى إلى مصر فأمر صلاح الدين بقتلهم جميعاً لما فعلوه بنساء المسلمين فضلاً عن السلب والنهب والقتل وحتى يكونوا عبرة لمن تسول له نفسه العدوان على الحرمين الشريفين أو أحدهما . وكان الرحالة ابن جبير فى الأسكندرية ، فذكر وصفاً لموكب الأسرى بها ، أولئك الذين تم عرضهم فى شوارع القاهرة والأسكندرية وبعض المدن الكبرى[٥] .

فأما « أرناط » فقد أقسم صلاح الدين ألا يغفر فعلته هذه ونذر دمه[٦] وباءت محاولة الصليبيين بالفشل مسجلة وراءها :

(٣) ابن واصل ـ مفرج الكروب ٢/١٣٩ .
(٤) المقريزى ـ كتاب السلوك ١/٣٩ .
(٥) انظر المقريزى ١/٧٩ ، ورحلة ابن جبير ص ٣٤ ، ٣٥ ط بيروت .
(٦) أبو شامة ـ الروضتين ٢/٧٥ .

(أ) تاريخاً لمحاولة لا أخلاقية وصمت رءوسهم بالنذالة والإجرام.

(ب) إثارة لمشاعر المسلمين وتوحيد كلمتهم وصفوفهم، وإلقاء الرعب فى قلوب بعض الأمراء الذين هادنوهم وتقربوا إليهم.

(جـ) لفتت نظر صلاح الدين إلى منطقة الخطر التى يتعرض فيها الحجاج إلى مداهمة الصليبيين وهى منطقة « حصن الكرك ووادى عربة » أى المنطقة التى تقع بين مصر والشام حيث كان « أرناط » يسيطر على الحصن ويوجه منه غاراته. فعزم صلاح الدين على دَك شرها.

وقام صلاح الدين بمحاولتين متعاقبتين ١١٨٣، ١١٨٤م للاستيلاء على الحصن، لكن تجمعات الصليبيين وتدخل « عمورى الرابع » ملك مملكة بيت المقدس الصليبية حال دون نجاح صلاح الدين، فانتقم - رحمه الله - من « عمورى » بشنه غارة على كل من « نابلس » و« جينين » و« سبسطية » فدمرت جيوشه نابلس وأحرقت قلعة جينين ولكنه - رضى الله عنه - منح أهل سبسطية الأمان إكراماً لمشهد النبى الكريم (زكريا) على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام هذا المشهد الذى يوجد - كما يقولون - فى سبسطية[٧].

ولم يملك عمورى إزاء نقمة صلاح الدين إلا أن يطلب إليه عقد هدنة، وكان عمورى يطمع أن تنجح وساطته لدى صلاح الدين فيظفر بالأمان لـ« أرناط » وقبل صلاح الدين توقيع الهدنة التى أشعرت الصليبيين بشىء من الأمان، فلم يلبثوا إلا يسيرا حتى تنازعوا، على السلطة واستخف « أرناط » بأمر الهدنة - فأسرع بما له من رعونة وغدر إلى خرق الهدنة مع صلاح الدين، وكان ذلك أمنية المسلمين الذين أمروا بالوفاء بالعهد، وكانت الهدنة صريحة - فى وقف القتال بين المسلمين والصليبيين، الأمر الذى طرح أمانا فى نفوس الحجيج فاستأنفت رحلاتهم ورحلات التجار سيرها، وكان « أرناط » نفسه يستفيد من هذه الهدنة إذ كان يحصل من تلك القوافل على ضرائب ومكوس، ولكنه - وهو الفارس اللص كما سماه قومه - أبى إلا النهب والسرقة كما يقول المؤرخ الفرنسى جروسيه Groussit فانقض فجأة على قافلة ثقيلة تحمل نعماً جليلة كانت فى طريقها إلى دمشق من القاهرة فأغار عليها أواخر عام ١١٨٦ وأوائل ١١٨٧م، ونظراً لوجود هدنة لم يصحب القافلة إلا جند محدود لحراستها فنصب لها أرناط كمينا وساعده فى ذلك بعض من استأجرهم من البدو الخونة واستولى على القافلة وعلى مابأيدى رجالها ونسائها وأودعهم أسرى فى حصن الكرك وسامهم سوء العذاب كما يقول المؤرخ « إراكلس Eracles-II.P.34 »[٨].

وأرسل صلاح الدين إلى أرناط يبين له سوء مافعل ويتهدده إن لم يطلق سراح الأسرى ويعيد المنهوبات جميعاً فأصم أذنيه، وقال - فى قحة - « قولوا لمحمد يخلصكم - يريد رسول الله ﷺ - »، وصبر صلاح الدين: ثم أرسل - رحمه الله - إلى ملك بيت المقدس الذى خلف عمورى وهو « لوزجنان » ففشلت وساطته أيضاً، وبذلك وضع صلاح الدين الصليبيين جميعاً على حافة حرب لا يستطيعون إزاءها لوما للمسلمين.

---

(٧) راجع لـ« ريتسمان » - الحروب الصليبية ٢/٤٤٠، ٤٤١، وأبى شامة ٢/٥٥ والمقريزى ١/٨٤.
(٨) وانظر المقريزى - السلوك ١/٩٢، وابن واصل - مفرج الكروب ٢/١٩٤.

فقام صلاح الدين بتعبئة لم يسبق لها مثيل بين جنوده والمسلمين استعداداً لخوض معركة فاصلة ، واختار أن يظل بدمشق ، ومنها أخذ ينظم تعبئته بمصر وحلب والجزيرة وديار بكر ، وأعلن الجهاد وكتب به حتى إذا اكتملت عدته واجتمع له جيش كبير غادر « دمشق » فى منتصف مارس ١١٨٧م متجها إلى الجنوب حتى وصل « راس الماء » إلى الشمال الغربى من « حوران » وفيها ترك ابنه « الأفضل » لتجتمع عنده الإمدادات باختلاف أنواعها وأحجامها : بشرية كانت أم حربية ، واتجه إلى « بصرى » لحماية قافلة الحجيج الآتية من الحرمين ، وفى هذه القافلة كانت أخته « أخت صلاح الدين وولدها محمد بن عمر لاجين » لا القافلة السابقة التى أسرها « أرناط » كما زعم « إراكلس Eracles » ليضفى على عمل صلاح الدين نزعة غير دينية مخلصة كعادة القوم فى تشويه أعمال الأبطال المسلمين ، فأما هذه القافلة الأخيرة فقدمت من مكة ووصلت سالمة إلى دمشق فى صيف ١١٨٧م[٩] .

وشرع ـ رحمه الله ـ فى مهاجمة « أرناط » ، واستطاع فى مهارة أن يلتقى بالقوات المصرية التى شرع « أرناط » فى قطع الطريق عليها حتى لا تلتقى بصلاح الدين ، فالتقى بها فى مكان بالقرب من « الكرك » ووجد « أرناط » نفسه محصورا فى قلعة « الكرك » ، وليتم لصلاح الدين قطع السبيل لأية معونة تصل إلى « أرناط » أوعز إلى رجاله بـ« حلب » أن يصالحوا الأمير الصليبى « بوهيموند الثالث » « أمير أنطاكية » واستجاب ذلك الأمير للصلح ؛ فتفرغ صلاح الدين لعدوه « أرناط » ولم يحاول « بوهيموند » نجدته لاسيما وقد اشتد صراع الأمراء الصليبيين على السلطة ودارت المعارك بين صلاح الدين والقوات الصليبية شرسة عنيفة حتى استدرج صلاح الدين القوات الصليبية إلى « قرون حطين » حيث كانت المعركة الفاصلة ، ووقع الصليبيون داخل دائرة أحاطتها القوات الإسلامية من كل جانب فلم ينج من الصليبيين إلا من كان فى عمره بقية ، وكان المسلمون يدركون أن وراءهم « نهر الأردن » وأمامهم عدوهم ، ولا نجاة لهم إلا بالتخلص من العدو ، فأعملوا فيهم سهامهم وآلاتهم فخر أكثرهم صرعى[١٠] .

وأشرقت شمس ٤ يوليو بالنصر ، ثم سقط أسيرا « ملك بيت المقدس » و« أرناط » إلى جانب جمع كبير من كبار قوادهم .

وفى مخيمه ـ رضى الله عنه ـ استقبل صلاح الدين أولئك استقبالاً حسنا ، وأجلس ملك بيت المقدس إلى جواره وقد أنهكه العطش فبادر صلاح الدين بتقديم إناء به ماء مثلوج إليه فشرب منه ، ثم أعطى الإناء ـ دون إذن من صلاح الدين ـ إلى « أرناط » . عندئذ غضب صلاح الدين وقال :

هذا الملعون لم يشرب الماء بإذنى فيناله « أمانى » . ثم التفت إلى « أرناط » وذكره بجرائمه وقرعه عليها فقال ـ فى قحة وفظاظة : « قد جرت بذلك عادة الملوك » ! فاستل صلاح الدين سيفه وأطاح برأسه .

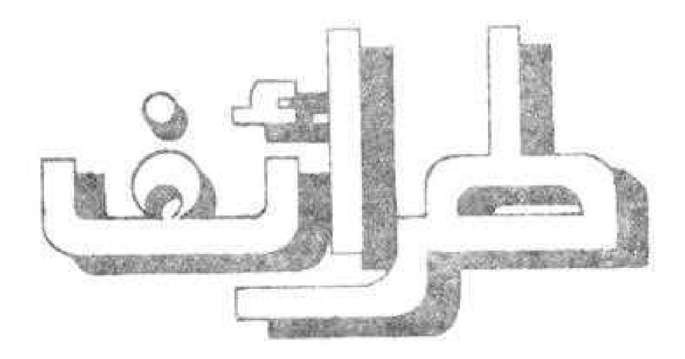
وكان فى ذلك وفاء بنذره ، ونهاية للص الفاجر عدو الله .

---

(٩) كذا باتفاق مؤرخى الإسلام ومنهم أبو شامة وابن شداد وابن الأثير عكس إراكلس Eracles: II.P.34 .

(١٠) ابن شداد ـ النوادر السلطانية ص ١٢١ ـ ١٢٥ ، عماد الدين الأصفهانى ـ الفتح القسى ص ٢٣ ، ابن واصل ـ مفرج الكروب ١٩٥/٢ ، أبو شامة ـ الروضتين ٨٢/٢ Eracles.P.65 Brsamt, Palmer.P. 391 .





« أى زمان أفضل وأى الملوك أكمل »

دخل مُسْلِم بن يزيد بن وهب على عبد الملك ابن هارون فقال عبد الملك : اى زمان ادركت افضل ؟ وأى الملوك اكمل ؟

قال : أما الملوك فلم أر إلا حامدا أو ذاما !!

واما الزمان : فيرفع اقواما ، ويضع اقواما ، وكلهم يذم زمانه لانه يبلى جديدهم ، ويُفرق عديدهم ويهرم صغيرهم ، ويهلك كبيرهم .

« لو قلتها »

صعد « ثابت قطنة » منبر سجستان ، فقال : الحمد لله ثم ارتج عليه فنزل وهو يقول :

فإن لا اكن فيهم خطيبا فإننى

بسيفي إذا جد الوغى لخطيب

فقيل له : لوقلتها فوق المنبر لكنت اخطب الناس .

« هيّنٌ وعزيز »

مد الإمام الشعبى يده ، وكان على مائدة قُتَيْبَة بن مسلم الباهلى يلتمس الشراب . فلم يدر الساقى ما يطلبه ؟ العسل أم اللبن !!

فقال له : اى الأشربة احب إليك ؟

قال : اعزها مفقودا واهونها موجودا .

فقال قتيبة : اسقه ماء .

« قالوا .. »

● الموت موتان : موت الأجساد وموت الأنفس ، فأما الأجساد فعند مفارقة الروح ، وأما موت الأنفس فعند مفارقة العقل لها .

● الناس رجلان : عالم فلا أماريه ، وجاهل فلا اجاريه .

مواقف

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

● احذر المقام فى بلد ليس فيه سلطان قاهر وقاض عادل وسوق قائم ، ونهر جار ، وطبيب عالم .

● قد يغرس الحكيم جزءا واحدا من الحكمة يعيش بها ملوك كثيرة .

● أشقى الناس رجل كفى أمر دنياه ولم يهتم بدينه .

● المؤمن لايشمت بالمصاب ولا ينابز بالألقاب .

● أبلغ العظات النظر إلى محلة الأموات .

« نصيحة »

****

يابن آدم : لا تحمل هَمَّ يومك الذى لم يأتك على يومك الذى قد أتاك ؛ فإنه إن يك من عمرك يأت الله فيه برزقك .

« التسبيح والاستغفار »

****

قال رجل لابن الجوزى :

أيهما أفضل أن أسبح الله أو أستغفر ؟

فقال له : « الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون من البخور » !!

« دعاء »

****

اللهم قد نامت العيون ، وغارت النجوم ، وأنت حى قيوم .

اللهم طلبى للجنة بطىء ، وهربى من النار ضعيف .

اللهم اجعل لى عندك هدى ترده إلىّ يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد .

السياسة الدستورية الشرعية

أو شكل الحكومة وعلاقتها بالأمة في الإسلام

للأستاذ الشيخ رزق الزلباني

● **ليس فى الإسلام ما يناقض الفطرة البشرية السليمة . ولا ما يجحف بالمصالح الفردية المشروعة . ولا ما يصعب فهمه حتى على أصحاب العقول المحدودة لانه لا يمكن تصور الخير إلا مقرونا به ولا السعادة إلا سائرة فى ركابه . لأنه شريعة الله المبرأة من العيوب الجامعة لمنافع الروح والعقل والجسد . إنه شريعة جاءت للدين والدنيا معا فكفلت مصالح الأفراد والجماعات على مر العصور . وقد شرع الإسلام أحكاما ليس أعدل ولا أرفق منها ووضع ضمانات سامية حتى تؤدى هذه الأحكام رسالتها ، لعل أولها واهمها مسئولية الحاكم نفسه عن الرعية .**

قال الأستاذ الشيخ - رحمه الله :

لابد لكل أمة من حكومة على رأسها فرد أو هيئة مكونة من عدة أفراد ترتبط بالأمة بعلاقة التصرف فى شئونها وحملها على طاعتها ، وهذه الحكومة يختلف شكلها باختلاف هذه العلاقة إطلاقاً وتقييداً ، لأنه إن كان تصرفها فى تلك الشئون مطلقا مفوضا إلى إرادتها إن شاءت أقامت الشرع المستوفى أو القانون المرسوم ، وإن شاءت حكمت بمحض رأيها ، فهى حينئذ حكومة مطلقة أو استبدادية ، وإن كان تصرفها مقيداً بالشرع أو القانون بحيث لا يجوز لها أن تتصرف بغير ما قيدت به ، فهى حكومة مقيدة أو دستورية . وإذن فتقييد تصرف القوة الحاكمة فى شئون الأمة المحكومة شرط لابد منه لدستورية الحكم ، كما أنه ضرورى للتوفيق بين سلطان الحاكم وحرية المحكوم ، إذ به يتبين واجب كل منهما فلا يطغى أحدهما على الآخر .

والقواعد التى تبين وسائل هذا التقييد وطرقه هى السياسة الدستورية وقد تسمى القانون النظامى أو القانون الأساسى . وهى وضعية إن كان الواضع لها عقلاء الأمة وبصراءها وذوى الرأى فيها ، وشرعية إن كانت من عند الله تعالى بواسطة رسول يقررها للناس .

إعداد وتقديم

عبدالفتاح حسين الزيات

وعلى هذا فالسياسة الدستورية الشرعية هى القواعد التى شرعها الله تعالى لعباده على لسان رسوله لتحديد علاقة الحاكم بالمحكوم .

اما الاستبداد ، وهو ـ على ما بينا ـ تصرف الفرد فى الكل على وجه الاطلاق فى الإرادة من غير تقيد بشرع أو قانون ـ فهو مما يحرمه الإسلام ويمقت أهله أشد المقت كليا كان او جزئيا . ذلك بأنه عمل بالهوى ونبذ للدين وخروج على أمر الله تعالى باتباع رسوله فى كل ما جاء به ، قال تعالى :

﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ ، وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ، فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ؛ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ وقال : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ، وقال : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ، وقال : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ وذلك يوجب على كل فرد من أفراد الأمة الوقوف عند حد ما شرعه الله تعالى من العقائد والأعمال والأحكام بلا فرق بين حاكم ومحكوم . وعلى هذا جرى عمل السلف الصالح من هذه الأمة وانعقد عليه إجماعهم ، فلم يبيحوا فى جميع أطوارهم أن يلى أمورهم من يخالف الكتاب أو السنة فى حكمه إلى ما تنبعث إليه شهوته وهواه وصيغ بيعتهم ناطقة بذلك ، فقد كانوا يقولون لمن يبايعونه : بايعناك على أن تكون خليفة رسول الله ﷺ تتبع فينا سنته وتسلك بنا طريقته ، أو على أن تحكم فينا بكتاب الله وسنة رسوله ، إلى غير ذلك من العبارات التى يتفق معناها وإن اختلف مبناها . هذا والاستبداد منابذ لحكمة الله تعالى فى إرسال الرسل وإنزال الكتب وتشريع الشرائع . وفيما ذكرنا ما يكفى للدلالة على أن الحكومة الإسلامية دستورية مقيدة .

أما السياسة الدستورية التى قررتها الشريعة المطهرة فهى :

١ ـ الأمة مصدر السلطتين التنفيذية مطلقا والتشريعية فيما لا نص فيه .
٢ ـ الحاكم مسئول .
٣ ـ حقوق الأفراد والجماعات مكفولة .

وتفصيلاً لذلك نقول :

السلطة التنفيذية او الحكومة :

نصْبُ الحاكم ـ وهو الرئيس الأعلى ـ حق من حقوق الأمة ، بل هو واجب عليها . والأدلة على ذلك كثيرة ؛ منها إجماع الصحابة ؛ فقد عدوه من أهم الواجبات إذ قدموه على دفن الرسول ﷺ ، وهو إجماع ثابت بالتواتر فيفيد القطع .

وبنصبها إياه يستفيد حق التصرف فى شئونها على مقتضى الشريعة وتولية من يراه أهلا للولاية على الأعمال المختلفة من إمارة وقضاء وغيرهما ، فهو يستمد سلطانه من الأمة مباشرة ، وهى صاحبة الحق فى هذا السلطان ، إذ لو لم يكن لها لما استفاد منها ، فإن فاقد الشىء لا يعطيه وغيره

من عماله وقضاته يستفيد سلطانه من الأمة بواسطته . وإذن فسلطة الحكم للأمة ممثلة فى أولى الأمر .

السلطة التشريعية :

المراد بها هنا سلطة بيان حكم الله تعالى فيما ليس فيه نص صريح فى حدود الكتاب والسنة . وهى أيضاً حق للأمة ليس للرئيس الأعلى منها شىء إلا باعتباره فردا له حق الاجتهاد إذا كان من أهله ، شأنه فى ذلك شأن سائر المجتهدين .

ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ «وَ» شَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ فهو يقتضى إيجاب الشورى على الرسول ﷺ فى كل أمر هو محل لها ، وهو ما لانص فيه بالضرورة . وما كان إيجاب الشورى عليه صلى الله عليه وسلم لمجرد تطييب خواطر أصحابه الذين ألفوا قبل الإسلام أن يكون لهم رأى فى الحكم لا لتعظيم أقدارهم ، ولا لسن الشورى للأمة فحسب ، كما ذهب إلى ذلك بعض العلماء ، بل للاستعانة برأيهم فى تعرف حكم ما لانص فيه . يدل على ذلك قوله فى نسق ذكر المشاورة : « فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ » إذ معناه : فإذا صممت على أمر بعد المشاورة فأمضه . ولو كان فيما شاور فيه نص قد ورد به التوقيف من الله تعالى لكانت العزيمة فيه سابقة على المشاورة ، إذ كان ورود النص موجبا لصحة العزيمة قبل الشورى : ففى ذكر العزيمة بعد الشورى دلالة على أنها صدرت عنها ، وأنه لم يكن فى موضع الشورى نص قبلها . وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستشير أصحابه فيما لا توقيف فيه ويجتهد معهم ثم يعمل بما يظهر له أنه الصواب . وفى ذلك ضروب من الفوائد أهمها إعلام الناس أن ما لاتوقيف فيه من الحوادث فسبيل استدراك حكمه الاجتهاد وغالب الظن .

فالشورى قاعدة من قواعد الشريعة وعزيمة من عزائم الأحكام . وإذا كانت واجبة على رسول الله ﷺ ، وهو من هو فى كماله العقلى والروحى واتصاله بالوحى الإلهى ، فهى على غيره أوجب .

أوجب الله تعالى الشورى ولم يبين لها كيفية ولم ينه عن كيفية ، فحكم جميع الكيفيات الإباحة عملا بقاعدة : كل ما لم يرد فيه إيجاب ولا حظر فهو مباح . وإذن فلنا أن نختار منها ما يسير عليه غير المسلمين إذا كان محققا لمصالحنا غير مخالف لشىء من قواعد ديننا .

وإذا كان غرض الشورى ومقصودها هو بيان الحكم اللائق فيما لا توقيف فيه فأهلها هم أهل الكفاية فيما يستشارون فيه . وقد عبر عنهم القرآن الكريم بأولى الأمر ، وأمر بطاعتهم ، فقال: « أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ » ، وتسميتهم بأولى الحل والعقد فى عبارات المتكلمين والفقهاء هى فى الواقع تفسير لعبارة الكتاب ، وهم على الحقيقة قادة الأمة وأولو الرأى فيها الذين ترتضيهم وتثق بهم وترضى بما يقررونه ؛ فاتفاقهم إجماع ، وهو حجة يجب العمل بها وتحرم مخالفتها بنص هذه الآية .

فمتى اتفقوا على أمر وجب على الأمة الطاعة وعلى الحاكم التنفيذ ، فإن أبى أسقطوه لمخالفته الإجماع المعصوم ، وإن اختلفوا فى أمر وجب رده إلى الكتاب والسنة بعرضه على أصولهما وقواعدهما بواسطة من يختار لذلك من أهل العلم بهما والبصر بالمصالح العامة فيعمل بما يتفق معهما ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ فان استمر الخلاف بين أولئك

المختارين أيضاً كان المرجع هو الرئيس الأعلى ، نصت على ذلك السنة ، فقد استشار النبى ﷺ أصحابه فى أسرى بدر وعمل برأى أبى بكر فأخذ الفدية منهم وأطلقهم ، وقد كان رأى أكثر من استشير قتلهم .

مسئولية الحاكم :

عرفت مما قدمنا أن الشريعة قضت بمسئولية الحاكم ، فأوجبت عليه التقيد بالكتاب والسنة وما اتفق عليه أولو الأمر ، كما أوجبت على المسلمين نبذ طاعته إذا حاد عن ذلك : لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . غير أنه مما لا ريب فيه أن مجرد وجوب هذا التقيد عليه وعلمه به لا يكفى فى تحققه ، فإن كثيراً من الناس يتركون واجبات لا يشكون فى وجوبها ، ويقترفون مآثم يؤمنون بحظرها ، فكان لابد لتحقيق هذا الواجب من طائفة تتحقق بمعانى الشريعة وتظهر بمظاهرها ، تقوّم الحاكم عند انحرافه عنها ، وتحضه على ملازمتها والسير على صراطها . لذلك أوجب الله تعالى على الأمة قيام طائفة منها بهذا الأمر وجوبا كفائيا يسقط بفعل البعض ويستحق الكل باغفاله عقاب الله تعالى ، فقال سبحانه : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ، وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ فقد اوجب على الكل قيام أمة أى طائفة منهم بذلك ، فهو واجب على الكفاية .

ودليل الوجوب أولاً : لفظ الأمر ، وثانياً : أن التقيد بالشريعة واجب مطلق ، إذ لا يسقط وجوبه بحال ، ولا سبيل إلى إقامته إلا قيام تلك الطائفة بالدعوة إليه والحمل عليه ، وقيامها مقدور ، فيكون واجبا بمقتضى قاعدة : المقدور الذى لا يتم الواجب المطلق إلا به فهو واجب .

وهذا القدر متفق عليه . والخلاف فى أنه واجب بما وجب به الواجب المطلق أو بأمر آخر لا يعنينا فى هذا المقام .

هذا ، والآية الكريمة لم يصرح فيها بالمدعو والمأمور والمنهى ، وحذفه مؤذن بالعموم ، فهى عامة فى الملوك وغيرهم ، فيكون من وظيفة هذه الطائفة وواجبها دعوة الملوك إلى الخير ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، حفظا للشريعة أن يتجاوز حدودها المعتدون .

ومراتب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مبينة فى الحديث الصحيح : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه » . ولا يخفى ما يقتضيه التغيير باليد من استئصال أسباب الفساد وإيقاف كل عابث عند حدود الفضيلة ، أما التغيير باللسان فإرشاد وتعليم ، ونصيحة وتقويم ، يدل على وجوبه فوق ما سبق قوله ﷺ : « الدين النصيحة ثلاث مرات ، قيل : لمن يارسول الله ؟ قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » . ونصيحة الأئمة على ما قال العلماء هى : معونتهم على القيام بما تكلف القيام به ، بتعليمهم إذا جهلوا ، وإرشادهم إذا هفوا ، وتنبيههم إذا غفلوا .

ولقد كان أمر هذه المسئولية موضع عناية السلف واهتمامهم وتقديرهم ، كان يعاب على أصغرهم قدرا أن يحاسب أعظم الخلفاء شأنا على الهفوة النادرة والخطأ اليسير ، وكان الخلفاء الراشدون يقررون ذلك فى المجالس الجامعة : قال أبو بكر رضى الله عنه : « إنما أنا متبع لا مبتدع ، فإن أحسنت فأعينونى ، وإن زغت فقومونى » ،

←

وقال : « أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإن خالفت فلا طاعة لى عليكم » . وثبت مثل ذلك عن عمر رضى الله عنه .

كفالة حقوق الأفراد والجماعات

إن الإسلام كفل مصالح الأمم فى كل زمان ومكان ، وشرع للأفراد والجماعات أحكاما ليس أعدل ولا أرفق منها ؛ يعرف ذلك كل ناظر فيما جاءت به الشريعة من الأحكام بعدل وإنصاف واطراح للعصبية . ولسنا بصدد بيان ذلك ، وإنما الذى يعنينا فى هذا المقام أن نبين أن الإسلام وضع ضمانات أساسية لتكون حفاظا لتلك الأحكام ؛ منها مسئولية الحاكم ، وقد شرحناها فيما سبق ؛ ومنها ما أوجبه الله تعالى من أداء الأمانة إلى أهلها ، والعدل فى الحكم بقوله تعالى : « **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** » . والأمانة كل ما يجب حفظه وتأديته إلى مستحقه ؛ فالمناصب العامة أمانة فى عنق الإمام ،يجب أن يضعها فى أهلها ، وأموال الدولة أمانة يجب صرفها فى وجوهها ، وما للأفراد والجماعات من حقوق مشروعة كالحرية فى التصرف المالى من البيع والشراء ونحوها وفى إبداء الرأى والسكنى والتعلم والتعليم فى دائرة المشروع أمانة يجب تمكينهم منها . والعدل هو الحكم بما أنزل الله وإيصال الحق إلى مستحقه فى أقرب وقت من غير هوى ولا مداجاة .

وفى إيجاب العدل وأداء الأمانة وإشراف الأمة ومراقبتها لتصرفات الحاكم أقوى ضمان لحفظ حقوق الأفراد والجماعات .

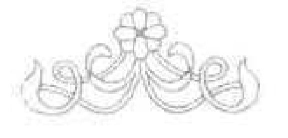
المجلد الثامن عشر



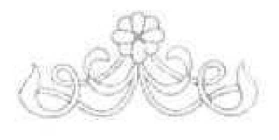
الشعر والشعراء

إشراف: د. حسن جاد

قد قامت الصلاة



خديجة بنت خويلد — صرخة مسلم



الابتهال

قد قامت الصلاة

عن القمة الإسلامية الخامسة

للأستاذ محيى الدين عطية

وَحَّدَ الألحانَ عزفٌ ** وَاحتَوى الألوانَ طَيفُ
والتقى أبناءُ أُمٍّ ** لَيسَ بَينَ الأهلِ ضَيفُ
لَيسَ بَينَ المُؤمنيـ ** ـنَ اليَوْمَ مِيثَاقٌ وَحِلفُ
بَلْ صَلاةٌ قَد أُقيمتْ ** وَاستَوى صفٌّ وصفُّ
وَاستَجابَ اللهُ حَتَّى ** حَانَ لِلأزهارِ قَطفُ
غَيرَ أنَّ الشوكَ أَدمَا ** نَا بِجُرحٍ لا يَجِفُّ
كَيفَ وَالسِّكينُ والمَذ ** بُوحُ جِيرانٌ وَإلفُ

كَيْفَ وَالسِّمسارُ خَلفَ السِّتْرِ فى كَفَّيهِ دُفُّ

باعَنا الأكفانَ بِاليُمنى وَفى يُسراهُ سَيفُ

أَيُّها المُبحِرُ فى صَخـ ** ـرائنا وَالريحُ عَصفُ
إنَّ نِصفَ الأرضِ فى زَوْ ** رَقِنا والقَلبُ وَجْفُ
نَرفَعُ الكَفَّ ابتِهالاً ** وَعَلى المِجدافِ كَفُّ



للشاعر نعمت عامر

هاتي عيونك ياسماء وأمطري	دُرَرا .. أُقدِّمها بذوْب مشاعري
وتخيَّرِي ما تُمْطرين .. وأكثري	فاليوم شعري كالخضم الثائر
إذ قد تبدت في سماء خواطري	فُضْلَى نساء الأرض .. دون نظائر

* * *

كانت بجاه العز ناعمة .. وما	علمت بتدبير الإلَه القادر
يرعى تجارتها (الأمين) بسَفْرةٍ	من بعد أخرى .. باقتدار باهر
وحديث (ميسرة) يرن بسمعها	عما تجلَّى من نقاء نادر

* * *

هشت لما سمعت .. وتاقت للذى	تبدو مآثره كصبح سافر
وتلطفت للأمر .. بعد رويَّةٍ	تبغيه زوجا .. بانعطاف قاهر
والله قدَّرَ أن يتمَّ تمامها	بالمصطفى .. خير البرايا الطاهر

* * *

ربحت تجارتها بفضل (محمد)	في الدين والدنيا .. بسعد غامر
والكون ماج بأسره .. مترنما :	خير الحرائر .. لليتيم الصابر
.. كم زمَّلته ودثَّرته .. بحبها	وحنانها .. في يوم روْعٍ زاخر

* * *

لله قولتها ـ وقد بُعث الرسو	ل ـ « الله لايخزيك في الأمصار »
« فلأنت للأرحام خير مواصل	.. للضيف ترجي الخير ، أو للجار
« وَالكَلَّ تحمله بغير غضاضة	وتُعين عند نوائب الأقدار »

* * *

والمجد ، كل المجد ، حين تضافرت	معه تردُّ عوادِىَ الكفار
بالمال تُرفده ، ليرفد دعوة	الله كللها بتاج الغار
وتود لو تفديه بالروح التي	هَزَأَتْ بهوج الشرك والأخطار

* * *

ياشعر حسبك أنَّ دمعي قد سرى	هذا مجال الوجد .. لا الأشعار
هذى (خديجة) قُدوتي وذخيرتي	(أستاذة) الأحرار والأبرار
ما دمت أقبس من ضياء جلالها	فالقلب في حرز من الأكدار

صرخة مسلم

الشعر اكتبه بكل عناءِ ... وتكاد تنكرنى حروف هجائى
انظل نمضغ امسنا بتلذذ ... ونلوك فى الأمجاد باستعلاء
نحكى ونحكى فى انتشاء بالغ ... ونهيم فى زهو وفى استرخاء
والأمس كان بداية لمسيرة ... علوية الخطوات والاضواء
وضعتْ موازين الحياة بدقة ... وعدالة وتعاون ونقاء
عمل وإيمان يجسد للورى ... ابعاد خير عقيدة سمحاء

●

انقول : اخلصنا القلوب ومارى ... إلا صراع تناحر وعداء ؟
انقول : جمّعنا الصفوف وهذه ... اشتات الوية بغير لواء ؟
انقول : وحدنا الجهود ومارى ... إلا دعاوى الشعر والخطباء ؟
انقول : أعددنا السلاح ومارى ... إلا فتات تفضل وعطاء ؟
انقول : ابناء العروبة أصبحوا ... كثرا ولكن كثرة كغثاء ؟
انقول : أتباع الكتاب تفرقوا ... شيعا مع الأطماع والأهواء ؟
انقول : قدس الله أضحت مسرحاً ... للعابثين وضيعة الأعداء ؟
انقول : هامات المآذن اصبحت ... فى القدس تُدميها يد الغوغاء ؟
انقول : أصوات المآذن أخرست ... وغدت ضراعات بلا اصداء ؟

●

للأستاذ رشاد محمد يوسف

يا أمة الإسلام جرحك نازف ... لو جف يوماً عاد للإدماء
بين المحيطين انطلاقات المدى ... للأمة الممتدة الأرجاء
من كل لون أو لسان راكع ... لله نحو الكعبة الشماء
قد خصنا الرحمن من خيراته ... نعما بلا عدٍ ولا إحصاء
فمتى يحس المترفون بغيرهم ... بالراكعين على لظى الرمضاء ؟
عام الرمادة عند قوم ادهر ... ولدى سراة الغُرب نهرُ رخاء
ايليق ان نحيا فريقا فى الذرا ... متقلبا فى وفرة النعماء
وعلى مشارفه بنو اوطانه ... يحيون فى الباساء والضراء ؟

●

يا أمة الإسلام ، صيحة منذر ... قد أرّقته جناية الدخلاء
من كل صوب طامعون تكالبوا ... فى الساحة الكبرى بلا استحياء
كل يود الدار يسرق امْنَها ... يغتال حرمتها بكل دهاء
عاد التتار بزحفهم ودمارهم ... يستهدفون مرابع الآباء
والنار فى الأفغان تحصد إخوة ... فى الله قد صمدوا بكل إباء
وعلى الخليج مذابح ومعارك ... والحرب بين الإخوة الاعداء
أبناؤك الغرقى إلى اذقانهم ... فى الخلف والتبعية السوداء
متنازعون فلايضم شتاتهم ... رأى ولا اتحدوا على الأعداء

●

طال السُرَى فى عالم متفرق ... متمزق الأوصال والاعضاء
والله وحدنا بدين واحد ... مترابط اللبنات والاجزاء
والعروة الوثقى رباط أخوة ... تنأى بنا عن نزعة لعداء
يارب يارحمن جمع شملنا ... وارفع لوانا فوق كل لواء



للشاعرة علية الجعار

من لى سواك إله الكون يهدينى

وفى طريق الهدى والنور يبقينى

ياواسع العفو هب لى منك مغفرة

إلى حنانك ياالله تدنينى

الذنب عندى ياالله يقتلنى

والعفو عندك ياالله يحيينى

يامن يجود ولا تفنى خزائنه

إنى سألتك هل تعفو وتعطينى

خطاءة أنا ياالله يدفعنى

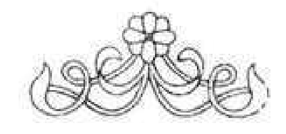
إلى ذنوبى ماحُمِّلتُ من طينى

لكنها هفوات لست أنكرها

وأنت تعلم ياربى بتكوينى

اللغة والأدب والنقد

ثقافتنا العربية الإسلامية



العلاقة بين الضاد والظاء

العلاقة بين الضاد والظاء

صوتيا وتاريخيا ولهجيا

مقدمة البحث

إن الضاد والظاء من الأحرف التى يكثر استعمالها فى لغة العرب بل اشار بعض علماء اللغة والأداء إلى ان الظاء المعجمة للعرب خاصة . وتغنى ابو الطيب المتنبى فى بيت له بانفراد العرب بنطق الضاد . وكان العرب الأوائل يفرقون بينهما دون القياس لأنهم فى عهد السليقة أو على قرب منها .

وحينما انتقل العرب من جزيرتهم وامتزجوا بغيرهم حدث خلط بين الضاد والظاء .

وقد كان من العرب من يؤثر الظاء فى نطقه ، ولا يزال هذا إلى اليوم فى جهات من العالم العربى .. ونلاحظ انتقال الظاء إلى الضاد فى النطق فى بعض الكلمات فى بعض الجهات فى مصر .

وقد اشار بعض العلماء إلى وجوده قديما عند العرب .

ومن ثم وجدنا الغيارى من العلماء يضعون رسائل للتفرقة[1] بين الضاد والظاء فيما وردا فيه من كلمات سواء اكانت فى القرآن الكريم ام فى غيره ، وقد احصى احد الباحثين ثلاثين رسالة الفت جميعها فى التفريق بين الضاد والظاء .

واود فى هذا البحث ان اعرض للحرفين من الوجهة الصوتية والتاريخية واللهجية سائلا الله العون لبلوغ القصد .

يذهب الخليل إلى أن « الضاد شجْرية من مخرج الجيم والشين »[2] والشجر عنده « مفرج الفم أى مفتتحه »[3]

ويذكر سيبويه أن مخرجها « من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس »[4] ويصفها بالجهر والرخاوة والإطباق[5] وكلام سيبويه يفيد انها « تكون من الجانبين »[6]

ويذكر ابن الجزرى أنها « من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس من الجانب الأيسر عند الأكثر ومن الأيمن عند الأقل[7] ويزيد على

---

(١) أ . د رمضان عبد التواب زينة الفضلاء فى الفرق بين الضاد والظاء لابن الأنبارى ص ٢٢ ـ ٢٥ .

(٢) العين للخليل جـ ١ ص ٦٤ تحقيق أ . د/ عبد الله درويش مطبعة العانى بغداد ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٧ م

(٣) النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى جـ ١ ص ٢٠٠ مراجعة على محمد الضباع دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

(٤) الكتاب تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون جـ ٤ ص ٤٣٣ .. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م .

(٥) السابق جـ ١ ص ٤٣٤ ـ ٤٣٦ .

(٦) النشر فى القراءات العشر جـ ١ ص ٢٠٠ .

(٧) السابق نفس الجزء والصفحة .

سيبويه فى أوصافها الاستطالة[٨] ويستفاد من اختلافهم فى مكان نطقها أن نقطة انتاجها لم تكن واحدة عند الناطقين بها .

١ ـ ففريق ينطق بها من شجْر الفم .
٢ ـ وفريق ثان ينطق بها من الجانب الأيسر ويمثل هذا الفريق أكثر الناطقين .
٣ ـ وفريق ثالث ينتجها من الجانب الأيمن .
٤ ـ وفريق رابع يخرجها من الجانبين .

والفريق الثالث قليل والرابع عزيز وهو معنى قول الشاطبى رحمه الله : إلى ما يلى الأضراس وهو لديهما يعز وباليمنى يكون مقللا[٩] . ومما يدل على أن اختلاف وصف القدامى يعود إلى اختلاف اللهجات ما ورد أن النبى ﷺ وهو قرشى كان يخرجها من الجانبين[١٠] . وورد أنه من مختصات سيدنا عمر رضى الله عنه . والخليل حين ذكر أنها شجرية[١١] من وسط اللسان لم يبعد عن وصف معظم علماء اللغة لها لأنها إذا كانت تخرج من إحدى حافتى اللسان وما يحاذيها من الأضراس العليا فإن أول تلك الحافة مما يلى الحلق ـ ما يحاذى وسط اللسان بعد مخرج الياء[١٢] . والقدامى من علماء اللغة كانوا يعتمدون فى تحديد مكان النطق للصوت ووصفه على الملاحظة الذاتية ، وهى لا تختلف كثيرا عما يراه المحدثون من علماء الأصوات ، على الرغم من أنه لم تكن لديهم معامل وأجهزة ، كما هو الحال . وعلى هذا فإن الاختلاف فى تحديد مكان إنتاج صوت الضاد لدى القدامى مرده إلى اختلاف الناطقين بها .

ويذكر سيبويه أن مخرج الظاء ممابين طرف اللسان وأطراف الثنايا[١٣] ويصفها بالجهر والرخاوة والإطباق[١٤] والضاد مثلها فى تلك الصفات كما سبق وتزيد عليها بوصف الاستطالة ، كما ذكر ابن الجزرى . وقد أشار سيبويه إلى الاستطالة فى الضاد عند الحديث عن الضاد الضعيفة[١٥] . وكل من الصوتين يتكون مع التفرقة بينهما باختلاف نقطة الإنتاج ونحب هنا أن نمس هذه المصطلحات التى تتعلق بالصفات مستخفيفاً لنصل من خلال ذلك إلى كيفية تكوين كل منهما .

أولا : الجهر

والمجهور عند سيبويه : «حرف أشبع الاعتماد فى موضعه ومنع النفس أن يجرى معه حتى ينقضى الاعتماد عليه ويجرى الصوت[١٦]

(٨) التمهيد فى علم التجويد ص ١٣٠ تحقيق الدكتور على حسين البواب مكتبة المعارف بالرياض والنشر جـ ١ ص ٢٠٥ .
(٩) إبراز المعانى من حرز الأمانى فى القراءات السبع لأبى شامة الدمشقى ـــ ص ٧٤٥ تحقيق إبراهيم عطوه عوض .
(١٠) نهاية القول المفيد فى علم التجويد لمحمد مكى نصر ص ٣٥ مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٣٤٩ هـ .
(١١) المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية ـــ للاعلى بن سلطان القارى ص ١٢ طبعة ١٣٦٧ ـ ١٩٤٨ م .
(١٢) نهاية القول المفيد ص ٣٥ .
(١٣) ، (١٤) ، (١٥) الكتاب جـ ١ ص ٤٣٢ ـ ٤٣٦ .
(١٦) السابق جـ ٤ ص ٤٣٤ .

والمجهور عند المحدثين : ماالحتك معه الهواء الخارج من الرئتين بالوترين الصوتيين في الحنجرة(١٧) .

ويكاد يتفق المحدثون والقدامى في عد الأصوات المجهورة وهذا يدل عندي على أن القدامى كانوا يحسون بمكان الاعتماد وهو الحنجرة وهو لا يكون إلا عند اقتراب الوترين الصوتيين . فإذا انقضى زمن الاحتكاك بهما جرى الصوت . وعلى هذا فالضاد والظاء يعتمد لهما في الحنجرة حين يقترب الوتران الصوتيان حيث يحتك الهواء بهما محدثا الصوت .

ثانيا ـ الرخاوة

الرخو : « هو الذي يجري فيه الصوت »(١٨) ذلك لأنه « ضعف الاعتماد عليه عند النطق به فجرى معه الصوت ، فهو أضعف من الشديد ، الا ترى انك تقول : « اس » « اش » فجرى النفس والصوت معا وكذلك اخواتهما(١٩) وتفسر الرخاوة في العرف الصوتي الحديث بالاحتكاك وهذا ما أتاه القدامى إذ أن مجرى الهواء عند المخرج يكون ضعيفاً جداً . ويترتب على ضيق المجرى أن الهواء يحتك بعضوي النطق محدثا صفيرا أو حفيفا تبعا لنسبة ضيق المجرى(٢٠) .

وعلى هذا فالضاد والظاء حسب وصف القدامى لهما بالرخاوة يضيق مع كل منهما المجرى عند المخرج فيحتك الهواء بعضوي النطق محدثا حفيفا . والضاد كما نسمعها الآن في مصر يتصل معها عضوا النطق اتصالا ما يحول دون مرور الهواء ، وعلى هذا فهي شديدة . فإذا انفرج العضوان اندفع الهواء بقوة محدثا نوعا من الانفجار وهذا معنى وصف المحدثين لها بالانفجار(٢١) وعلى هذا فهي لا تختلف عن الدال في شيء سوى أن الضاد أحد أصوات الإطباق .

والواقع أن الضاد القديمة قد أصابها بعض التغير حتى صارت دالا مفخمة كما تعهده الآن في مصر لدى العامة وكثير من الخاصة وإن كان التطور أمراً طبيعياً إلا أن الخاصة يجب أن ينأوا بها عن هذا النطق ، لأنها حينئذ تعطى « إطباقاً أقوى كإطباق الطاء فتزول حينئذ حافة اللسان عن الأضراس ويصل رأس اللسان إلى الثنيتين العلويتين ، كما في الطاء مع أن إطباق الضاد أقل من الطاء ، وفيها استطالة ورخاوة بحيث يخرج معها نفس قليل »(٢٢)

ثالثا ـ الإطباق

والأحرف المطبقة هي : الصاد ، والضاد والطاء ، والظاء .

ومعنى إطباقها أنك إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى

---

(١٧) الأصوات اللغوية أ . د/ إبراهيم انيس ص ٢٠ طبعة خامسة ١٩٧٩ نشر مكتبة الانجلو المصرية .
(١٨) سر صناعة الإعراب لابن جني جـ١ ص ٧٠ تحقيق مصطفى السقا وآخرين .
(١٩) التمهيد ص ٨٨ . الأصوات اللغوية ص ٢٤
(٢٠) علم اللغة العام (الأصوات) أ . د/ كمال بشر ص ١٠٤ .
(٢١) الأصوات اللغوية ص ٤٨ .
(٢٢) تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية للأستاذ حفني ناصف ص ٢٤ الطبعة الثانية ١٩٥٨ .

الحنك فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحرف »[٢٣] .

ويعلل ابن الجزرى لكونها مطبقة بأن « طائفة من اللسان تنطبق مع الريح إلى الحنك « الأعلى » عند النطق بها مع استعلائها فى الفم »[٢٤] ولا يختلف ما قاله المحدثون عما قال به علماء العربية وأهل الأداء . وعلى هذا فإن مؤخر اللسان يرتفع مع الضاد والظاء نحو أقصى الحنك الأعلى آخذاً شكلا مقعرا على حين يكون طرفه مشتركا مع عضو آخر فى إخراج كل منهما[٢٥] .

ويوازن ابن الجزرى بين أحرف الإطباق معللاً :

فالطاء اقواها فى الإطباق وأمكنها لجهرها وشدتها .

والظاء أضعفها فى الإطباق لرخاوتها وانحرافها إلى طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا .

والصاد والضاد متوسطان فى الإطباق[٢٦] .

رابعاً : الاستطالة

وتنفرد بها الضاد ووصفت بذلك ، لأنها استطالت على الفم عند النطق بها حتى اتصلت بمخرج اللام ، وذلك لما فيها من القوة بالجهر والإطباق والاستعلاء قويت واستطالت فى الخروج من مخرجها[٢٧] .

تصور المحدثين لنقطة إنتاج الضاد القديمة .

ويتصور الدكتور أنيس الضاد القديمة « بأن يبدأ المرء بالضاد الحديثة ، ثم ينتهى نطقه بالظاء فهى إذن مرحلة وسطى فيها شيء من شدة الضاد الحديثة وشيء من رخاوة الظاء العربية »[٢٨] .

والذى دعاه إلى ذلك عد القدامى لها من الأصوات الرخوة ، وهذا التصور أخذه من كانتينو الذى افترض لنطق الضاد القديمة ثلاثة افتراضات:

أ ـ نطق قريب من الدال المفخمة ذو زائدة لامية .

ب ـ نطق قريب من الظاء ذو زائدة انحرافية .

جـ ـ نطق قريب من الزاى المفخمة ذو زائدة انحرافية .

ويرجح كانتينو الافتراض الثانى [٢٩] .

ويذهب إليه أيضاً الأستاذ الأنطاكى الذى تصور أن الضاد القديمة كانت مثل الظاء تماماً ما عدا صفة الانحراف التى تشبه فيها اللام[٣٠] .

وهذا التخيل عند الثلاثة ينطبق على الضاد الضعيفة التى لا تستحسن فى قراءة القرآن

←

(٢٣) الكتاب جـ ٤ ص ٤٣٦ وانظر سر صناعة الإعراب جـ ١ ص ٧٠ .
(٢٤) التمهيد ص ٩٠ .
(٢٥) الأصوات اللغوية ص ٤٨ .
(٢٦) التمهيد ص ٩٠ .
(٢٧) السابق ص ٩٦ والنشر جـ ١ ص ٢٠٥
(٢٨) الأصوات اللغوية ص ٤٩ .
(٢٩) دروس فى علم أصوات العربية ترجمة صالح القرمادى ص ٨٥ ، ٨٦ تونس ١٩٦٦ .
(٣٠) الوجيز فى فقه اللغة ص ١٧٢ المطبعة الحديثة بحلب .

ولا فى الأشعار ، يقول ابن يعيش : « والضاد الضعيفة من لغة قوم اعتاصت عليهم فربما أخرجوها طاء ، وذلك أنهم يخرجونها من طرف اللسان وأطراف الثنايا وربما راموا إخراجها من مخرجها فلم يتأت لهم فخرجت بين الضاد والظاء »[٣١] .

ويرجح الدكتور أحمد مختار عمر أن نطق الضاد القديمة كان قريباً من نطق اللام فهى جانبية مثلها وهى من مخرجها أو أقرب ما تكون إلى مخرجها [٣٢] .

ويذكر أهل الأداء أن « اللام مما بين حافتى اللسان معاً بعد مخرج الضاد وما يحاذيهما من اللثة » وحكى أبو حيان عن شيخه أنه « يتأتى إخراجها من كلتا حافتى اللسان اليمنى واليسرى دفعة واحدة إلا أن إخراجها من حافته اليمنى أمكن بخلاف الضاد فإنها من اليسرى أمكن »[٣٣] .

ولهذا القرب الشديد أبدلت الضاد لاما فى بعض اللهجات :

مالى إلى أرطاة حتف فالطجع

والواقع أنها وإن كانت من منطقتها أو من منطقة قريبة جداً منها فلم تكن تنطق لاماً أو قريبة منها ؛ ذلك أن الضاد من ناحية رخوة ليس فيها انسداد فى حين أن نطق اللام يقتضى إحكام الغلق فى منطقة اتصال طرف اللسان باللثة ، ومن ناحية أخرى فإن الضاد مطبقة ويقتضى الإطباق تفخيماً . فى حين أن اللام فى أكثر حالاتها مرققة .

تفسير المحدثين لاختلاف القدامى فى تحديد نقطة إنتاج الضاد :

يقدم الدكتور كمال محمد بشر أحد احتمالين لاختلاف القدامى فى تحديد نقطة الإنتاج .

الأول ـ أنهم أخفقوا فى تحديد الموضع الدقيق لنطق الضاد ويستبعد هذا الاحتمال ؛ لأن الشواهد الكثيرة الواردة عنهم تناقضه[٣٤] ، ونؤيده فى ذلك ؛ لبراعتهم فى ملاحظتهم الذاتية والتى بسببها حددوا لنا مواطن إنتاج الأصوات تحديداً لا يختلف كثيراً عما ارتآه المحدثون من علماء الأصوات .

الثانى ـ أن سيبويه وغيره من علماء العربية والقراء كانوا يتكلمون عن ضاد غير الضاد التى نعرفها ونمارسها نطقاً اليوم فى جمهورية مصر العربية ويعزز وجهته التى ارتضاها بالنص المشهور الذى ساقه سيبويه متضمنا الإشارة إلى موضع نطق هذا الصوت وهو : « لولا الإطباق لصارت الطاء دالا .. ولخرجت الضاد من الكلام ؛ لأنه ليس شىء من موضعها غيرها »[٣٥] إذ أنه نسب الضاد إلى موضع لا يشترك معها فيه غيرها على حين أن الضاد الحالية تخرج من النقطة التى تخرج منها التاء والدال والطاء [٣٦]

---

(٣١) شرح المفصل جـ ١ ص ١٢٧ ، ١٢٨ .
(٣٢) دراسة الصوت اللغوى ص ٢٩٩
(٣٣) نهاية القول المفيد ص ٣٥ .
(٣٤) علم اللغة العام « الأصوات » ص ١٠٥ .
(٣٥) الكتاب جـ ٤ ص ٤٣٦ .
(٣٦) علم اللغة العام « الأصوات » ص ١٠٥

ونقول إن هذه الضاد يعود اختلافهم فى تحديد نقطة انتاجها إلى اختلاف الناطقين بها وقد سبق أن أوضحنا ذلك .

والضاد القديمة والتى يجب النطق بها فى القرآن الكريم وهى الفصيحة تلزم الناطق أن يخفض سطح اللسان حتى لا يلتصق بسقف الحنك ملصقاً كلتا الحافتين مع كلا الجانبين من الأضراس العليا مع امتداد الصوت من أول الحافة إلى منتهاها ، بحيث لا يتقطع الصوت عند التصاق الحافة بالأضراس مع شدة الضغط وقوة الجهر . وقد حاول بعض القراء تطبيق ذلك ، مثل الشيخ عبد الفتاح القاضى وتلاميذه[٣٧] .

الضـاد والظاء فى النطق السامى

يقول ابن جنى : « واعلم أن الضاد للعرب خاصة ولا يوجد من كـلام العجم إلا فى القليل »[٣٨] ويتفق معه فى ذلك ابن الجزرى[٣٩] ويجعلهـا الفيروزابـادى للعرب خـاصة[٤٠] وبالنسبة للظاء يخصها ابن الجزرى بلغة العرب فيقول : الحروف التسعة والعشرون المشهورة اشتركت لغات العرب ولغات العجم فى استعمالها إلا الظاء فإنها للعرب خاصة »[٤١] ويوافقه فى ذلك الفيروزاباى[٤٢] . وقد أجمع الباحثون فى مقارنة اللغات على أن القاف والطاء والصاد شائعة فى كل اللغات السامية وبالتالى فهى بلا شك كانت موجودة فى السامية الأم وأما الضاد فهذه بلا شك من خصوصيات العربية الفصحى[٤٣] .

ومن ثم كان الحق مع الفيروز ابادي حين جعل الضاد للعرب خاصة . وسميت العربية لهذا لغة الضاد ، وأشار إلى هذا المتنبى فى شعره فقال :

لا بقومى شرُفت بل شرُفو بى
وبنفس فخـرتُ لا بجـدودى
وبهم فخْرُ كلِّ من نطق الضا
د وعوذُ الجانى وغَوْث الطريد[٤٤]

ويذهب الدكتور حسن ظاظا إلى أن الظاء من مستحدثات العربية الفصحى فى بعض ما كان فى الأصل صادا : فكلمة الظل بالعربية كانت بالصاد فى البابلية الآشورية ، والبربرية ، والحبشية . ولكنها صارت طاء فى الآرامية والسريانية ووردت بالصاد أحياناً وبالظاء أحياناً فى النقوش اليمنية القديمة وهذا القول مردود للآتى :

(٣٧) قصيدتان فى تجويد القرآن تحقيق وشرح د / عبد العزيز بن عبد الفتاح القارىء ص ٦٣ ، ٦٤ طبعة أولى ١٤٠٢ هـ
(٣٨) سر صناعة الإعراب جـ ١ ص ٢٢٢
(٣٩) التمهيد ص ١٠٢
(٤٠) القاموس جـ ١ ص ٣٢١ .
(٤١) التمهيد ١٠٢ .
(٤٢) القاموس جـ ٤ ص ٣٦١ .
(٤٣) الساميون ولغاتهم ص ١٨ ، ١٩ . ا . د / حسن ظاظا ١٩٧١ .
(٤٤) ديوان أبى الطيب المتنبى بشرح أبى البقاء العكبرى جـ ١ ٣٢٢ ، ٣٢٣ ضبطه وصححه ووضع فهارسه الأستاذ مصطفى السقا ، وآخرين .

أ - أن ورود كلمات قليلة بالصاد والظاء والطاء فى اللغات السامية لا يكفى دليلاً على أن الظاء من مستحدثات العربية .

ب - ليس هناك دليل على أن هذه اللغات أقدم من العربية بل العكس هو الصحيح حيث أثبت رجالات علم اللغة المقارن فى أوربا أن العربية أقدم صورة حية [٤٥] للغات السامية إن لم تكن الأم لهذه اللغات وهذا باعتراف الباحث نفسه[٤٦] .

جـ - من الثابت باعتراف الباحث وجود الظاء فى النقوش اليمنية القديمة ، واليمن هى المهد الأصلى للغات السامية فى القول الراجح . وعلى هذا تكون الظاء أصلية ثم انتقلت إلى صاد أو إلى طاء فى هذه اللغات ؛ لأنهم لا يستطيعون النطق بها .

د - ومما يؤيد ما قلنا ما ذكره الدكتور محمود فهمى حجازى من أن صوتى الضاد والظاء تحولا ليصيرا مع الظاء صوتاً واحداً هو الصاد فى الحبشية ، والعبرية ، والآرامية ، والآشورية البابلية وعلى هذا فالظاء ليست مستحدثة .

ويذهب بعض الباحثين من المستشرقين ، مثل : بروكلمان ، وسيجال[٤٧] وبروشتاين إلى أن الضاد فى السامية الأم كانت تنطق صوتاً مزدوجاً مكوناً من قاف وسين « قساد » .

وحجتهم فى ذلك أننا لو أخذنا كلمة شائعة فى كل اللغات السامية وتشتمل على حرف الضاد ، مثل « أرض » لوجدناها فى العبرية « ارص » وفى البابلية الآشورية « آريستو » وبتفخيم فى السين أحياناً ، وفى الحبشية « أرد » وفى الآرامية « أرعا » أو « أرقا » واستخلصوا من ذلك أنها لابد أن تكون صوتاً من أقصى الحنك الرخو عند منطقة اللهاة بدليل أنها تحولت إلى عين وإلى قاف فى الآرامية يتبعه مباشرة صوت أسنانى فكان هذان الصوتان هما عند أولئك القاف والسين وقد تأثروا فى ذلك بنطق اليهود الإشكنازيين[٤٨] لحرف الصاد صوتاً مزدوجاً مكوناً من تاء وسين[٤٩] .

وهذا الكلام إذا ناقشناه فإننا نستطيع أن نقول الآتى :

أولاً : أنها نطقت فى بعض اللغات صادا أو سيناً ، أو دالاً وهذه الأصوات من طرف اللسان ، فإذا افترضوا أنها مركبة من قاف وسين فلم لا تكون مركبة من السين ومن الصاد ، أو من السين ومن الدال وهى قريبة منها فى المخرج ؟

ثانياً : أن اليهود الاشكنازيين حين نطقوا الصاد صوتاً مزدوجاً نطقوه مكونا من صوتين متقاربين فى المخرج وفى الصفة ، وإذا نظرنا إلى القاف والسين اللذين يمثلان الضاد نطقاً نجد القاف من أقصى الحنك اللين بينما نجد السين من طرف اللسان والسين مهموسة والقاف كانت قديماً مجهورة حسب وصف علماء العربية القدامى لها[٥٠] فكيف يستساغ تركيب صوت من صوتين متباعدين فى المخرج وفى الصفة .

(٤٥) الساميون ولغاتهم ص ١٩ .
(٤٦) السابق ص ١٥ .
(٤٧) أسس علم العربية ص ١٤٢ .
(٤٨) يهود شرق أوربا ووسطها .
(٤٩) كلام العرب من قضايا اللغة العربية ص ٢٩ . أ . د / حسن ظاظا ١٩٧٦ م .
(٥٠) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٤٣٤ .

ويرجح الدكتور حسن ظاظا أن الضاد كانت عندهم صوتاً مركباً بشكل آخر هو : اعتماده على نقطة خروج لسانية سنانية من نوع الياء ، مع تفخيم يصل الإطباق فيه مع الجهر إلى تحويل هذا المخرج إلى مزيج مع صوت حلقى .[٥١] ويستأنس لذلك بأن النبط والآراميين بعامة ينطقون مقابل هذه الضاد فى لغتهم عينا ، بل لقد نطق العرب الضاد فى بعض الكلمات بنطقهم الفصيح ثم تحول عند الآراميين إلى عين وجاء من جديد إلى العرب بنطقه الجديد[٥٢] وضرب مثلاً على ذلك بالبيعة . والضأن :

وبالنسبة للكلمة الأولى أوضح العلاقة التشبيهية بينها وبين البيضة ، ولما كانت البيعة هى المعبد الصغير للنصارى واليهود ، ولما كانت هذه المعابد قد انتشرت فى مناطق من دنيا الساميين تفشت فيها الآرامية ودان أهلها بالمسيحية فقد نطقت البيضة عند هؤلاء بالعين الحلقية بيعة وعادت إلى العربية .

وبالنسبة للكلمة الثانية وهى : الضأن فهى فى العربية تعنى جنس الغنم وتنطق فى العبرية بالصاد ، وفى الآرامية بالعين الحلقية (عانا) وقد عادت إلى العربية ، مع تغيير طفيف . فقد صارت عانة بمعنى القطيع من الحمر الوحشية[٥٣] .

وهذا التصور غير مقبول لعدة أمور :

١ ـ كيف يتصور أن تمزج الضاد من صوت لسانى سنانى من نوع الياء مع تفخيم يصل الإطباق فيه مع الجهر إلى تحويل هذا المخرج إلى مزيج مع صوت حلقى ، إذ ان الأصوات المزوجة متباعدة : فشتان بين الحلق ومع الإطباق ، واللسان مع السِّنان .

٢ ـ هناك اختلاف بين البيعة والبيضة فى الدلالة ووجود تشبيه ليس كافياً للاستدلال على أصل اللفظة ، كما فى الكلمة الأولى . وبين الضأن والعانة اختلاف فى المعنى : فالضأن خلاف الماعز من الغنم ، والعانة : الأتان والقطيع من حُمُر الوحش[٥٤] ..

٣ ـ وإذا كان هناك اختلاف فى الدلالة بين الضأن والعانة فالعلاقة الصوتية بعيدة أيضاً بين الضاد والعين فى الكلمتين .

٤ ـ وإذا كان المحدثون يعدون تحول الضاد الموروثة عن اللغة السامية الأولى فى اللغة الآرامية إلى قاف مرة وإلى عين أخرى ـ من أصعب التحولات الصوتية تفسيرا[٥٥] فكيف يستساغ هذا التركيب الذى ذكره الباحث .

ونخلص من هذا إلى أن اللغات السامية لم توجد فيها أصوات مركبة على هذا النحو . وأن الضاد العربية التى وصفها القدامى من علماء اللغة وأهل الأداء هى التى كانت فى اللغة السامية الأم وبقيت العربية وهى الأم لجميع اللغات السامية ، لخصائص تعطيها هذا الحق ـ محتفظة بها ، ونزل القرآن الكريم وهى بهذه الصفة ، ثم انتقلت إلى ما نسمعه الآن فى اللهجات الحديثة فى العالم العربى ، ولا يصح أن يأخذ باحث لغوى نطق أى قطر عربى للضاد سواء أكانت تنطق فيه بوجه واحد أم أكثر

وعندما نقول إن اللغة العربية لغة الضاد فإننا « نستحضر تاريخاً سحيقاً ضاع من الوثائق ، وبقى فى عجينة الألفاظ ، وفى معانيها ، وفى أصواتها يشهد بأن العربية الفصحى أبعد مدى وأرسخ قدماً فى علاقة الإنسان باللسان مما سجله علماؤها »[٥٦] ..

يتبع

---

(٥١) كلام العرب ص ٢٩ . (٥٢) السابق ص ٣٠ .
(٥٣) السابق نفس الصفحة . (٥٤) القاموس المحيط جـ ٤ ص ٢٤٤ ، ٢٥٢ .
(٥٥) علم اللغة العربية أ . د / محمود فهمى حجازى ص ١٤٢ نشر وكالة المطبوعات بالكويت ١٩٧٣ .
(٥٦) كلام العرب ص ٣٢ .

ثقافتنا العربية الإسلامية

بين الدور والمكانة

تحتل ثقافتنا العربية الإسلامية مكاناً رفيعاً بين ثقافات العالم الكبرى ، ويرجع ذلك إلى اسباب كثيرة منها موقعها المتوسط في تاريخ الثقافة الإنسانية بوجه عام ، فهى قد نشات ونمت ، ثم ازدهرت بعد الثقافات الشرقية القديمة والثقافة اليونانية الرومانية ، واستطاعت تجديد العلم والفلسفة والفن والحضارة ، وغزت الثقافات التي ظهرت بعدها في الشرق والغرب بخير العناصر ، ولا تزال لها حيويتها ، ولا يزال لها تاثيرها القوي إلى يومنا هذا تمد الأجيال بالقيم الثقافية ، وتهيىء مادة جادة وغزيرة لطالبي المعرفة وللباحثين .

لتلك الثقافة من روح الأمة التى أسستها ، وهيأت لها أسباب الظهور والتقدم والازدهار ، ما تميز به العربي من ذكاء فطري وتفكير حر طليق مع نظرة واقعية واضحة ، من روح الهمة العالية ومحبة الحرية والشعور بالكرامة وتقدير خصال العفو والحلم والشجاعة والسماحة والكرم والإعجاب بثمرات العقل الراجح وفيض الإحساس الكريم ، ثم رسخت تلك الثقافة وبسقت بالإسلام ومبادئه . فقد جاء الإسلام العظيم ليقرر عقيدة التوحيد على أساس العلم ، مع احترام تام وملتزم لأهل الأديان السماوية السابقة وعقائد أهلها ، ويبين رسالة الإنسان السامية على هذه المعمورة ، ويقرر مبادىء العدل والمساواة بين الناس من غير تفرقة عمياء بسبب اللون أو الجنس أو المعتقد ، ويطلق الفكر الإنساني من كل ما يكبله من قيود ويعظم العقل والحكمة والعلم وينظم العلاقات بين الناس على أساس من السلام والتعاون .

ومن أجل هذا لم يبق الإسلام مقصوراً على العرب ، فلما عرفته الأمم في أثناء توسع الدولة العربية الإسلامية اعتنقته كل الأجناس والشعوب عن اقتناع كامل ، فدخل فيه الفرس والروم والهنود والصينيون والمصريون افواجاً إلى غيرهم من البشر .

وهكذا اتيح لجميع المواهب والخبرات ـ دون قيد أو حجر ـ فرصة نادرة لكي تتجلى وتتفاعل وتزدهر وتثمر في إطار الحضارة العربية الإسلامية خصوصاً في ميادين التشريع والأدب واللغة والفلسفة والفن والعلم ، وكان الخلفاء بفضل سمو المبادىء الإسلامية ، وبفضل روح الشهامة وسعة الصدر وعلو الهمة التي تميز بها العربي اكبر المشجعين للعلوم والفنون وخير الحماة للفكر والمفكرين على اختلاف منازعهم ومشاربهم . ثم إن الإسلام الحنيف قد أمرنا باستعمال العقل في البحث والنظر والسعى لاقتناء العلم والحكمة مع توخي البحث عن

للأستاذ يسري عبد الغني

اليقين العلمي السليم وتجنب الحكم على الأشياء بأسلوب الظن والهوى ، كذلك اكد علينا ضرورة التأمل في هذا الكون الشاسع ، تتدبر في خلق السموات والأرض لنكون من اولى الألباب ـ الذين يدركون الظاهرات الكونية جملة وتفصيلاً وتبهنا إلى درسها مع استخدام العقل استنباطاً واستقراء وتجريبياً من أجل معرفة خصائص الأشياء والاستدلال منها على موجدها الأعظم ، ونبه إلى حقائق وراء هذه الأجسام المادية وعوالم لا نحيط بها لتقوم قواعد الإيمان على أساس متين من العلم الخالص والمعرفة اليقينية ، مع فتح افاق الحقائق المتوارية وراء مظهر الأشياء .

وكل ذلك بعث في نفوس المؤمنين بالإسلام من عرب وغير عرب إقبالاً على طلب المعرفة والانتفاع بكل ما انتهى إليهم من تراث فكري مفيد عند الهنود واليونان والفرس . وقد ترجم أجدادنا العرب كل ذلك إلى لغتهم ولم يلبث المسلمون بفضل الاجتهاد والدأب وروح الفحص والنقد أن صاروا اساتذة العالم المبتكرين فجددوا نظام الفكر والحياة والفن ، وأضافوا لسجل المعرفة الإنسانية إضافات مبتكرة ، وانشأوا علوماً بأكملها ، فجاءت حضارتهم الروحية والفلسفية والعلمية امتداداً متطوراً لخير العناصر في الحضارة البشرية ، ومرحلة رائعة متكاملة من مراحل التقدم الإنساني فيها كل عناصر البقاء والتطور والارتقاء لأنها اعتمدت على جوانب حية في نظام المعرفة الإنسانية وتشكيل الحياة .

وقد ازدهرت الثقافة العربية في كل مكان اظله سلطان العرب ونفذت وانتشرت وأرسلت أشعتها إلى ما وراء ذلك حتى وجدناها تتوغل في أعماق آسيا ، وتشرق في شبه الجزيرة الهندية ، وتسير حول الجنوب الآسيوي الشرقي حتى تعم أرخبيل الملايو والجزر الأندونيسية ، وفي عصر ازدهار الثقافة العربية في أندلسنا الجريح وجنوب إيطاليا وصقلية كانت حواضرنا منارات علم ومعرفة يقدم إليها طلباً للمعرفة من كل مكان ، ولم تلبث أن تأسست في أوروبة في العصور الوسطى مراكز لدراسة علوم العرب وترجمتها . ولا تخلو جامعة كبيرة في العالم أجمع من اهتمام بدراسة الثقافة العربية ، هذا عدا المراكز والمعاهد المتخصصة التي لا تخلو منها مدينة أوروبية كبيرة ، والتي تدل على مدى اهتمام الغرب بتجربة العرب الثقافية واجتهاده في الاستفادة منها .

وهنا يستطيع مؤرخ الفكر والحضارة أن يقرر مطمئناً أن حضارة العرب العقلية كانت ولا تزال اصلاً من اصول الحضارة الأوربية في العصور الحديثة وأنها غذت كل العالم المحيط بها في آسيا وافريقيا بأسباب التقدم والرقي ، ولا يزال الباحثون يكشفون كل يوم عن فضل ثقافتنا العربية الإسلامية على الثقافات الغربية والشرقية ايضا . وقد كانت سعة الأفق العقلي عند أجدادنا العرب وسماحتنا في تمكين جميع المواهب والملكات الممتازة لدى مختلف الأمم من العمل والازدهار مع استعمال روح النقد الجاد والتمحيص العلمي كل هذه عوامل جعلت العرب يتقبلون خير ما اثمرته القرائح البشرية ،

وساعدت على تقبل الثقافة العربية وسهولة انتشارها على مر الزمان .

(٢)

لقد نبغ العرب في جميع ميادين المعرفة الإنسانية : في ميدان العلوم النظرية والتطبيقية ، الكونية والإنسانية . وكان نبوغهم فذاً في الأدب واللغة والعقيدة والشريعة والكون والإنسان ، وهم في هذا الباب وضعوا علوماً بأكملها هي من خير ما توصل إليه العقل البشري ، وكان لها تأثيرها في الفكر العالمي خصوصاً في الفكر الأوروبي في العصور الحديثة .

على أن أكبر ما قدمته قرائح رجال الفكر الإسلامي للثقافة العالمية هى أعمال مُفكري الإسلام أمثال : ابن ماجه ، وابن تيمية ، وابن حزم ، وابن رشد ، وابن سينا ، وابن طفيل ، وابن عباد الرندي .. وغيرهم .

كذلك أعمال علمائنا العرب في ميادين الجغرافية بشتى فروعها من أمثال : اليعقوبي ، وياقوت الحموى ، والمقدسي ، والمسعودي ، والقزويني .. وغيرهم .

وفي الدراسات التاريخية لا ينسى المرء إسهاماتهم المتنوعة المتمثلة في أعمال ابن الأثير ، وابن الجوزى وابن الخطيب ، وابن الصيرفي ، وابن القيم ، وابن الفرات ، وابن القلانس ، وابن اياس ، وابن تغري بردي ، وابن خلدون ، وابن خلكان ، وابن شداد .. وغيرهم .

وفي الدراسات الأدبية والإبداع الأدبي : تقف شامخة أعمال كل من : الميداني ، وياقوت الحموي ، والمفضل الضبي ، والمرزوقي ، والمتنبى ، والمبرد ، والكميت بن زيد الأسدي ، والقلقشندي ، وقدامة بن جعفر ، وأبي على القالي ، والفرزدق ، وجرير ، والأخطل .. وغيرهم وغيرهم من افذاذ أجدادنا من النقاد والمبدعين .

وفي العمارة نذكر جهد كل من : ابن شحنة ، وابن جبير ، وابن رستة ، وابن فضل الله ، العمري ، والبلوري ، والخطيب البغدادي ، والمقريزي ، واليعقوبي .. الخ .

وفي الفنون الجميلة تشرق أعمال ساطعة لكل من : ابن سينا ، والأرموي ، والحسن بن أحمد على الكاتب ، والمفضل بن سلمة ، والكندي ، والفارابي ، واللازقي .. وغيرهم .

وفي العلوم الطبيعية وفروعها تبرز بحوث وإنجازات كل من : المجريطي والكرخي ، والكحال ، والكاشي ، والقوهي ، والقزويني ، والقرطبي ، والفارسي ، والغافقي ، والمجوسي .. وغيرهم .

وفي اللغة وعلومها تبرز دراسات : ابن الأثير ، وابن السكيت ، وابن دريد الأزدي ، وابن سلام ، وابن سيده الضرير ، وابن فارس ، والأزهرى ، والزمخشري ، وسيبويه ، والسيوطي والفيروزابادي .. وغيرهم .

وفي العلوم الاجتماعية وفروعها نرى جهد كل من : ابن الشحنة ، وابن الصيرفي ، وابن تيمية ، وابن جماعة ، وابن خلدون ، وابن سلام ، وابن سينا ، وابن طباطبا ، وابن طيفور .. وغيرهم .

وفي الدراسات الإسلامية والفقهية الأصولية تظهر اجتهادات ودراسات وبحوث كل من : ابن الصلاح ، والبخاري ، ومسلم والترمذي ، وابن الهمام ، وابن حيان ، وابن حبيب ، وابن حزم

الأندلسي ، وأحمد بن حنبل ، وابن عابدين ، وابن قدامة ، وابن قيم الجوزية ، وابن ماجه . وغيرهم .

وأخيراً وليس آخراً نجد أصحاب الموسوعات أو المؤلفات العامة وعلى راسهم نذكر أفذاذا من أمثال : ابن النديم ، والبغدادي ، والبلوي ، والقلقشندي ، والنويري .. وغيرهم .

(٣)

ان أكبر ما قدمه المفكرون المسلمون للثقافة العالمية أعمال علمائهم في شتى ميادين العلوم ، ولا يتسع المقام هنا لذكر سبق العرب وابتكاراتهم وكشوفهم في ميادين المعرفة الإنسانية ، وساكتفي بالإشارة إلى سبق مفكري الإسلام في آراء ومذاهب ومناهج في الوجود والمعرفة اقتبسها المفكرون الأوربيون وصارت من مفاخرهم ، وإلى سبق العرب في ميادين الرياضيات والطب والفلك .

وإذا اقتصرنا على ذكر إضافات الأجداد ـ رضى الله عنهم وأرضاهم ـ في ميدان الطب على سبيل المثال نجد أنهم عكفوا جادين على دراسة الأمراض ومداواتها مستعينين بتجارب كانوا يجدونها في المخابر وفي البيمارستانات (المستشفيات) التى انشأوها ، فأصلحوا كثيراً من معارف القدماء ، وزادوا في كيفية العلاج زيادات كبيرة .

وهذا ابن القاسم خلف بن العباس الزهراوي نسبة إلى الزهراء الأندلسية وهي مدينة تقع على بعد سبعة أميال من قرطبة الأندلسية . كان طبيباً عظيم القدر مبرزاً في صناعة الطب والعلاج . وتميز على معاصريه بممارسته فن الجراحة وارتفع به وصيره صناعة مرموقة ، وكان الزهراوي أعظم جراحي العرب في العصور الوسطى ومدرسة لعصر النهضة في أوروبا ، وكان خصب الإنتاج مجدداً في صناعته ومبتكراً ، ويثبت ذلك في ثلاثين مقالة :

القسم الأول منها يبحث في الأدوية وتركيبها . وفوائدها والأمراض الباطنية عامة .

وأفرد القسم الثاني للجراحة وأخرجه منفصلاً ، وهذا القسم يحتوى على ثلاثة أبواب :

الباب الأول : خاص بالكي يقع في ٥٦ فصلاً ، ويمتاز بوفرة الشرح والرسومات .

والباب الثاني : يحتوى على ٩٧ فصلاً في الشق والفصد ، وفيه وصف لعمليات استخراج حصاة المثانة بالشق ، والتفتيت وفصل عن البتر في حالات الغنغرينا . وعن علاج الجروح ومعالجة الحالات الصديدية .

والباب الثالث منه خاص بالكسور وخلع المفاصل ، ويقع في خمسة وثلاثين فصلاً . وفيه وصف للشلل الناشىء عن كسر فقرات الظهر ، وفصل عن كسر الحوض ، وفيه أيضا فصول في تعليم القوابل وإخراج الجنين الميت وصور الآلات التي يحتاج إليها في إخراجه .

وقد ترجم كتاب التصريف إلى اللاتينية خمس مرات ، وكان أول كتاب في تاريخ الجراحة به صور الآلات الجراحية وعددها أكثر من مائتين ، وأغلبها من استنباط الزهراوي واختراعه .

وامتاز هذا المؤلف بحسن الترتيب . ووضوح الأسلوب وبراعة التفسير وكان له أثر واضح على الجراحة لعدة قرون ، فلقد اقتبس منه « شوتياك » في القرن الرابع عشر ، واستشهد به أكثر من مائتي مرة كما نقل عنه كثير من جراحي الغرب . بعد عصره بعدة قرون .

ومن إنجازات الزهراوي أنه أول من صمم قلباً صناعياً من العاج أو الأبنوس ، وصمم أكثر من آلة وشرح طريقة عملها واستعمالها في العمليات الجراحية وذلك في القسم الثاني من كتابه .

وطالب بضرورة تعلم التشريح لأن الجهل به يؤدي إلى نتائج وخيمة بالنسبة للجراح ، ولم يكن الزهراوي الطبيب العربي الوحيد الذي نادى بضرورة تعلم علم التشريح فمن كلام الطبيب الفيلسوف ابن رشد القرطبي قوله :

« من اشتغل بالتشريح إزداد إيماناً »

وتوصل إلى عمليات جراحة الشرايين الدقيقة ، وربطها لأول مرة .

ويعتبر اخصائياً من طراز فريد في جراحة المسالك البولية ، لذلك أفرد في كتابه فصلاً عن استخراج الحصاة فوصف عملية لجراحة المسالك البولية ابتدعها .

وقسم حصى الكلى على حسب شكلها فقال : إن منها ذوات الزوايا وذوات الحروف والملساء . ثم قال فإذا لم تطاوعك الحصى فاقبض عليها بجفت محكم يكون طرفه كالمبرد ليضبط على الحصى ، وإذا كانت الحصاة كبيرة جداً فتحايل على كسرها بالكلاليب حتى تخرجها قطعاً .

فكان بهذا أول من فكر في عملية تفتيت الحصاة إذا تعذر إخراجها مما يدل على حسن تصرفه وتمكنه من صناعته .

واهتم بالكى وافرد له في كتابه جزءاً كبيراً ورسم في كتابه أشكالاً متعددة لآلات الكى وبين استعمال كل منها .

واستعمل المكواة في حالات كثيرة لمرضى النزف واستئصال السرطان وفضلها عن المشرط واستعملها في جراحة الفتق والعظام .

وله تجارب ناجحة في جراحة العيون والأسنان واللوزتين وسرطان الثدى والغدة الدرقية .

ويعتبره بورتل أول من استعمل السنانير في الاستئصال .

ويقول « سيرتجل » إن الزهراوي أول من وصف استخراج حصى المثانة عند النساء عن طريق المهبل .

ومن استعرض أعمال الزهراوي في الجراحة وما أضافه إليها لا يسعه إلا أن يعترف له بالإمامة ، ويضعه في المرتبة الأولى بين قادة العلم دون منازع .

حقاً لقد كان أطباء العرب من أمثال الزهراوي وابن النفيس وعلى بن عباس المجوسي وغيرهم أول من فتت الحصى في المثانة دون جراحة ، وسدوا الشرايين النازفة ، وكتبوا عن مرض الجذام ،

والحصبة والجدري وعدوى الطاعون والوقاية منه ، واستعملوا المرقد (المخدّر) في العمليات الجراحية وكشفوا النقاب عن الدورة الدموية وعن دورة الدودة المستديرة « الانكلستوما » .

وفي ميدان البحث في العلوم كان جابر بن حيان هو المؤسس الأول لمنهج البحث العلمي في الكيمياء ورائداً من رواده ، وإليه يرجع الفضل الأول في تحسين عمليات البخر والترشيح والتصعيد والتذويب والتقطير والتبلور ، وفي وصف عمليتي التكلس والتحويل وصفاً علمياً وفي انه حضر مواد كيماوية كثيرة وعديدة أذكر منها : كبريتور الزئبق واكسيد الزرنيخ والماء الملكي واللزج النقي ، وملح البارود وغيرها .

وفي ميادين الطبيعة « الفيزيقا » نجد جهد الحسن بن الهيثم المتميز في شتى نواحيه وتمكن في اقتدار في تحطيم النظريات القديمة في الضوء والعدسات والإبصار ، ليضع أسس علم الضوء بمعناه الحديث وليقنن مناهج البحث العلمي قبل « بيكون » بقرون عديدة .

كانت الثقافة الإسلامية العربية مثالاً فريداً بين الثقافات العالمية . إننا نأمل في يوم نجد فيه ما يقدم للقراء وعشاق الفكر والمعرفة من بحوث ومؤلفات جادة تصور أعلام فكرنا في مختلف المجالات التراثية ، وتعرض لأهم مؤلفاتهم ، إننا في أشد الحاجة إلى إعداد قوائم ببلوجرافية توضيحية تقوم على أساس معياري وصفي ، قدر الإمكان ولتكن هذه القوائم البيبلوجرافية غرضها الأول تثقيف القارىء الشاب وتعريفه ببعض مؤلفات أجداده العرب التي تتميز بالأصالة وكان لها الشأن الأكبر في تاريخ المعرفة البشرية .

وإذا كانت بعض مؤلفات العرب فيما عدا المصنفات المتخصصة قد أخذت في عصر الثقافة الزاهر وبحسب الحاجات الثقافية صورة المصنفات الجامعة ، أعنى موسوعات المعرفة ، فإن المصنف الواحد ، يشتمل على علوم شتى ، وكثيراً ما نجد العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية .. وغيرها ضمن مصنف كبير ، وعلى ذلك فلا يندهش الإنسان إن وجد أحد كتب أجدادنا ضمن دراسات الفلسفة ومراجعها ، ثم يجدها ثانية ضمن قوائم العلوم أو الرياضيات لاشتماله عليها . فلنحرص دائماً على تناول المرجع من زاويته التي اشتهر بها .

وأي جهد في تراثنا ـ كما أعتقد ـ لا يعدو أن يكون عملاً تمهيدياً ، هو بمثابة النموذج الذي نرجو له أن ينمو ويتسع على يد صفوة علمائنا الأجلاء ، ويمكن أن أزعم فأقول : إننا في حاجة ماسة إلى دليل مختصر نوجهه إلى الشباب لرجالاتنا من أعلام التراث ولأهم مصنفاتهم في شتى العلوم والفنون وذلك لأن مصنفات أجدادنا لا تحصى وكثير منها إلى هذه اللحظة لا يزال مخطوطاً متفرقاً في الشرق والغرب ، فلم يكن بد من الاقتصار في هذا الكتيب على التعريف بمراجع أساسية مميزة في الميادين الرئيسية للثقافة العربية ، حتى يستطيع القارىء أن يرجع إليها وهو على بينة من موضوعها ومنهجها وروحها .

ولعلنا في تعريفنا ببعض أعلامنا ومراجعهم ندين لأساتذة أجلاء تعلمنا على أيديهم بصورة مباشرة وحضرنا لهم مجالس علمهم حيث قرأنا لهم جل نتائجهم ، رحم الله منهم من رحل عن عالمنا الفاني وغفر له ، وأمد الله في عمر الأحياء منهم ليواصلوا مسيرتهم العلمية المعطاءة .

تعقيب على تحليل

طالعت فى الجزء الرابع من السنة التاسعة والخمسين (ربيع الآخر ١٤٠٧ هـ) مقالا كتبه السيد / عاطف زهران عن كتاب « الإعلام الدولى » وبوصفى مؤلف هذا الكتاب أرجو التفضل بنشر ما يلى :

اشكر السيد / عاطف زهران على اختياره فصل الإذاعات الدينية للتحليل من بين فصول الكتاب المختلفة ولعله لاحظ عدم تعرض مؤلفى الإعلام لمثل هذا الموضوع . عندما كتبت فى الإذاعات الدينية أو الإعلام الدينى أردت أن أضع تحت نظر المهتمين بهذا الموضوع طريقة استخدام الكنيسة للإذاعات التى تتبعها فهذا جزء من الإعلام الدولى ثم أضفت معلومات عن الإسلام والمسيحية فى أفريقيا ، وآراء بعض الأجانب فى انتشار الإسلام بهذه القارة التى خبرت شئونها عن كثب . ثم سردت المحطات المختلفة التى تشتغل بالتبشير بالمسيحية سواء فى افريقيا او خارجها مع التنبيه إلى أن هذه الإذاعات تهتم بالأقطار العربية أكبر من اهتمامها بالأفارقة أصحاب المعتقدات الطبيعية كما بينت استراتيجية الإعلام الصادر عنها وفلسفة البرامج فيها .

ويؤسفنى أن السيد / عاطف زهران لم يتفهم عمق الإعلام الدولى بدليل أنه ساق تعاريف مختلفة لمؤلفين مختلفين ونسى أن الإعلام الدولى هو قرين الإذاعات الدولية وبالتالى كان يجب أن نشرح استراتيجية هذه الإذاعات فيما تبثه من إعلام دولى ، على الهواء وأرجو أن يتحمل ما جاء من شرح لاستراتيچيات الإعلام الدولى فى الدول العظمى فبدونه لا يقع إعلام دولى. كذلك لا يوجد إعلام دولى دون إذاعات دولية فهى التى تحمل الفكرة أو المعلومة للمستمع المستهدف . ولم يقتصر كتابى على استراتيچيات الإعلام فى الدول العظمى بل تناول العالم الثالث وأفريقيا . هذا وإنى لا أذكر أن الإذاعات الدينية بنوع خاص كانت محط بحث مؤلفى الإعلام الدولى فى مصر ، وكما يجب أيضاً أن نشير إلى تاريخ بعض هذه الإذاعات ونظمها، وتمويلها واستراتيچيتها التبشيرية وغير التبشيرية فى التعبير عن رأى المسئولين عنها سواء كانوا جماعات أو حكومات ، وفى نفس الوقت أشكره أيضاً لأنه كشف عن خطأ مطبعى عندما ذكرت أن روسيا تذيع بثمانٍ وأربعين لغة فى حين أنها تذيع بثمانٍ وخمسين لغة . والنقطة الهامة التى يجب ألا تغرب عن

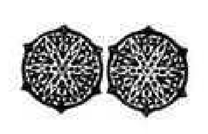
الأذهان هى طريقة عمل هذه الإذاعات التبشيرية التى تمولها جماعات فى الولايات المتحدة الأمريكية والتى تركز اهتمامها على العالم الإسلامى خاصة الدول العربية . ولعل أحد المهتمين بالإعلام يلجأ مرة أخرى إلى حث المهيمنين على الإعلام فى مصر ان يسيروا بخطى جادة نحو إنشاء إذاعات دينية بلغات مختلفة كما حاول صديقى الأستاذ محروس عبد الوهاب إذ لا تكفى البرامج الدولية من القاهرة ما تقدمه فى خدماتها الخارجية من مواد دينية لا تتعدى عشر دقائق على الأكثر منها القرآن الكريم الذى يستغرق حوالى خمس دقائق . فهذه الدقائق العشر لا يمكن أن تستوعب الفلسفة الإسلامية ولعل السيد عاطف زهران يجد فسحة من الوقت ليذهب إلى الإذاعة المصرية ليرى بنفسه أن كل خدمة خارجية بها إعلام دينى إسلامى إلى جانب محطة القرآن الكريم التى تستهدف المسلمين فى الدول العربية ومن تجربتى فى الدول الأفريقية أعلم أن الدعاة العرب يهتمون باستكمال الكماليات التى يريدونها بل لا يستطيعون الرد على المبشرين لعدم تعمقهم فى الأديان المقارنة ، ولذلك أردت أن أقدم لهؤلاء الدعاة كتابا يرد على المبشرين . وتقوم دار المعارف فى الوقت الحاضر بطباعته ليكون تحت أيدى رجال الدعوة مرجعا علمياً يستفيدون منه ، كذلك أقوم فى الوقت الحاضر باستكمال كتاب عن الأديان السماوية والطبيعية فى أفريقيا . هذا وأود أن أصحح للأستاذ عاطف زهران قوله (أن توافيك بالحدث أن وقوعه) والواقع ليس ذلك ممكنا إلا إذا كانت المحطة تذيع أربعا وعشرين ساعة فى اليوم ، وهذا لا يتأتى حتى للدول الكبرى . فالإذاعة الدولية قد تكون على موجات قصيرة أو متوسطة (كالعبرى من مصر) أو حتى على التشكيل الذبذبى كما هو حادث فى وسط أوروبا .

وأخيرا اشكر الأستاذ / عاطف زهران وأرجوه أن يعلم أن الإذاعة المصرية فى خدماتها الخارجية كانت ولا تزال فى مقدمة الإذاعات الدولية تأثيرا فى الشعوب المستهدفة .

وتفضلوا بقبول فائق احترامى

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أحمد طاهر



أنباء وآراء

الاستراتيچية العسكرية المصرية نابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية

○ اعلن المشير محمد عبد الحليم ابو غزالة نائب رئيس الوزراء ووزير الدفاع والإنتاج الحربى : أن مصر لديها عقيدتها العسكرية النابعة من العقيدة الدينية وهى استراتيچية سلمية دفاعية نابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة . وأن عقيدتنا تهدف إلى تحقيق الغايات الأسمى لأمتنا العربية ، وأن العقيدة بمفهومها الواسع ليست مسئولية القوات المسلحة وحدها بل مسئولية كافة الأجهزة التى تحيط بنا . ونحن دولة مسلمة تؤمن بالله ، والعقيدة موجودة فى قلوبنا نقاتل من أجلها ونضحى فى سبيل الله وهو شىء واضح ومؤكد .

تكوين لجان فقهية لتوحيد الفتاوى

○ أكد الشيخ عبد الله المشد رئيس لجنة الفتوى بالأزهر وعضو مجمع البحوث الإسلامية : أن ظاهرة التعدد فى الفتاوى حول المسألة الواحدة مظهر من مظاهر الرحمة الإسلامية . قال : إن كل مفتٍ يقول بما ذهب إليه إمامه أو مذهبه الفقهى . أضاف أن المذاهب الفقهية لا تختلف فى الأصول وإنما تختلف فى بعض الفروع نتيجة الاجتهاد الذى يصل من خلاله العالم إلى الحكم .

دعا الشيخ المشد إلى تكوين لجان علمية فقهية لبحث ماقننته لجان الإفتاء فى العالم الإسلامى والنظر فى اختيار فتوى موحدة فى كل مسألة من المسائل التى تعن المسلمين .

مادة الثقافة الإسلامية بالجامعات

○ بحثت اللجنة العليا للدعوة الإسلامية المشروع المقدم من أمانة اللجنة بتدريس الثقافة الإسلامية بالجامعات المصرية . وأوصت اللجنة وزارة التعليم بضرورة اتخاذ اللازم لتحقيق المشروع . وناقشت اللجنة معوقات الدعوة الإسلامية بالداخل والخارج وقررت تشكيل لجنة فرعية لتقديم تقرير عاجل عن مشاكل الدعوة وكيفية حلها ..

مركز جديد للدعوة الإسلامية

○ اقامت جمعية علماء الهند مركزاً جديداً للدعوة الإسلامية لنشر الكتب الدينية باللغة الأوردية بأسلوب سهل لتعريف الأجيال الجديدة بمبادىء الإسلام وموقف الإسلام من القضايا الناتجة عن الحضارة الحديثة ، كما قررت الجمعية إنشاء مجمع إسلامي لنشر الكتب

إعداد : د. عبد الرحيم السايح
الإستاذ صفوت عبد الجواد

بالأسلوب العلمى الحديث والرد على إفتراءات وأكاذيب أعداء الإسلام والحاقدين عليه، وترجمة أمهات الكتب الإسلامية المنشورة باللغة العربية إلى اللغة الأوردية وذلك لنشر المفاهيم الإسلامية الصحيحة عن الإسلام.

الإعجاز العلمى للقرآن الكريم

○ قررت هيئة الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة برياسة الشيخ عبد المجيد الزندانى التابعة لرابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة فتح باب التقدم بالأبحاث العلمية لمؤتمر الإعجاز العلمى الأول فى القرآن والسنة الذى تنظمه الجامعة الإسلامية بالباكستان بالتعاون مع الهيئة وهو المؤتمر المقرر عقده فى الفترة من ٢٦ إلى ٣٠ من جمادى الآخرة عام ١٤٠٨هـ والأبحاث التى تقدم للمؤتمر تكون فى مجالات :

١ - تأصيل موضوع الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة ووضع ضوابط الكتابة فيه.

٢ - تاريخ العلم عند المسلمين.

٣ - الحالة العلمية فى زمن الرسول - ﷺ -.

٤ - أوجه الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة فى مجالات الفلك والأرض والبحار والحيوان والنبات والأرصاد والأجنة والتشريح والطب النفسى.

٥ - إحصاء الآيات القرآنية المتعلقة بالعلوم الكونية.

٦ - إحصاء الأحاديث النبوية المتعلقة بالعلوم الكونية.

مؤتمر دولى لمناقشة مشاكل العلماء المسلمين

○ أقام معهد الثقافة والبحوث التاريخية الإسلامية فى تركيا مؤتمراً دوليا لدراسة سبل مواجهة المشاكل التى تعترض العلماء المسلمين فى مجال العلوم ضمن خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى الدول الإسلامية.

المؤتمر العالمى الخامس للتربية الإسلامية

○ عقد المؤتمر العالمى الخامس للتربية الإسلامية بجامعة الدول العربية بالقاهرة فى ٨ من رجب ١٤٠٧ هـ الموافق ٨ من مارس ١٩٨٧ م حتى يوم ١٣ من رجب ١٤٠٧ هـ - ١٣ من مارس ١٩٨٧ م تحت رعاية الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية. والقى السيد الأستاذ الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف كلمة الافتتاح نيابة عن السيد الرئيس محمد حسنى مبارك.
وقد اشترك فى المؤتمر نحو مائة عالم إسلامى من مختلف الدول الإسلامية، كما نوقش فى المؤتمر أكثر من مائة وخمسين بحثا فى مجال التربية منها :

- (نموذج من التربية الإسلامية فى القرآن الكريم).

للدكتور/ محمد سيد طنطاوى ـ مفتى جمهورية مصر العربية
- (التربية من منظور إسلامى)
للدكتور/ سيد على أشرف
- (تخطيط المناهج)
للدكتور/ محمود كامل الناقة
- (إعداد المعلم)
للدكتورة/ امينة احمد حسن
- (التربية الإسلامية فى مواجهة تحديات الحاضر والمستقبل)
للمستشار على احمد حمدى
- (التقويم والتطبيق)
للدكتور/ محمد عبد الحميد سعد
- (التربية الإسلامية والفكر التربوى الحديث)
للدكتور/ فتحى على إبراهيم يونس
- (صمود الجامع الأزهر كمؤسسة تعليم فى مواجهة تحديث التعليم على يد محمد على « ١٨٠٥ ـ ١٨٤٩ »)
للدكتور/ رافت غنيمى الشيخ
- (ملامح البيان القرآنى فى تبليغ الرسائل التعليمية)
للدكتور/ عبد السلام الفرجانى
-(المعلم المسلم ودوره فى تكوين الفرد المسلم)
للدكتور/ على هود باعباد
-(تربية الإنسان المسلم بين التشريع الوضعى والتطبيق)
للدكتور/ محمد عبد السلام حامد
- (التربية ممن ولمن ؟)
لفضيلة الشيخ/ محمد متولى الشعراوى
- (الفكر التربوى فى الإسلام بين الوحدة والتنوع)
للدكتور/ محمد فريد حجاب
-(التربية فى ضوء ما جاء فى القرآن الكريم)
للدكتور/ محمود محمد محمد سلامة
-(منهاج التربية الإسلامية من الصغر حتى الكبر فى وصايا القرآن الكريم)
للواء/ عادل عبد الحميد رسلان

كما اوصى المؤتمر العالمى الخامس للتربية الإسلامية فى ختام اعماله بالقاهرة :

- إنشاء مركز عالمى إسلامى للتربية الإسلامية ودعوة العلماء لوضع نظرية إسلامية فى التربية يسترشد بها فى المناهج الدراسية ـ وإعداد المعلمين ومراجعة جميع المناهج التعليمية من الحضانة إلى الثانوي ـ وتنقيتها مما يتعارض مع المبادىء والقيم الإسلامية .

- الاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم والسيرة النبوية وتدريسها فى جميع المراحل .

- العناية باللغة العربية طوال مراحل الدراسة المختلفة .

- دعم الأقليات الإسلامية فى مختلف دول العالم ومطالبة هذه الدول بالاعتراف بالتعليم الإسلامى لأبناء الأقليات المسلمة ، حفاظا على ذاتيتهم وشخصياتهم الإسلامية من الذوبان فى المجتمعات غير الإسلامية .

كما طالب المؤتمر : بإنشاء معاهد إسلامية نموذجية فى مختلف دول العالم الإسلامى ، تتولى إعداد المعلمين الملتزمين بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة . والاهتمام بالطفولة ـ خاصة فى مرحلة الحضانة ـ وإنشاء دور حضانة إسلامية تكفى لسد حاجة المسلمين فى كل مكان والاستغناء عن دور الحضانة غير الإسلامية .

كما أوصى المؤتمر بالاهتمام بالأنشطة المدرسية التى من شانها إكمال العملية التربوية بما يحقق الأهداف الإسلامية فى التربية المتكاملة للنواحى الجسمية والعقلية والثقافية والعسكرية والتركيز على روح الجهاد الإسلامى ، وتزويد تلاميذ الأمة الإسلامية بزاد الثقافة الإسلامية العامة الذى من شانه توحيد مفاهيم أبناء هذه الأمة والتى تميز شخصيتها الإسلامية .

وقد تحدث فى الجلسة الختامية فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وعدد من رؤساء الوفود .

كما عقد المؤتمر جلسة عامة القى فيها الدكتور محمد الأحمدى أبو النور نائب الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين العالمية محاضرة عن أسلوب القرآن الكريم وتوجيهاته فى التربية الإسلامية .

مدرسون مصريون بدلا من الفرنسيين بالجزائر

○ قررت الجزائر الاستغناء عن المدرسين الفرنسيين وإحلالهم بمدرسين مصريين فى المواد العلمية : الرياضيات والكيمياء والفيزياء ، وسوف تبدأ ـ بإذن الله ـ الاستعانة بالمدرسين المصريين من العام الدراسى ٨٧ ـ ١٩٨٨ .

سيترتب على ذلك زيادة عدد المبعوثين من التربية والتعليم والأزهر الشريف للجزائر .

٢٠ إماما وواعظا جزائريا يتدربون بالأزهر

○ وصل إلى القاهرة وفد جزائرى مكون من ٢٠ إماما وواعظا للمشاركة فى دورة تدريبية فى الأزهر الشريف تستمر لمدة ثلاثة شهور .

مصر عادت لممارسة القيادة للعالم الإسلامى ورائدة فى مجال الفكر

○ أعلن الدكتور عبد العزيز الخياط وزير الأوقاف الأردنى أن عقد المؤتمر العالمى الإسلامى الخامس للتربية الإسلامية ومؤتمر السكان فى العالم الإسلامى فى مصر يؤكد عودة مصر لمكانتها الطبيعية كقائدة للعالم الإسلامى ورائدة فى مجالات الفكر الإسلامى .

عشرة آلاف جنيه لمحفظى القرآن الكريم

○ قررت وزارة الأوقاف منح نقابة محفظى وقراء القرآن الكريم عشرة آلاف جنيه سنويا معاونة لها فى رعاية قراء المقارىء والسورة وصرف ١٠٠ جنيه مصاريف تشييع جنازة للقارىء عند وفاته ، ٢٠٠ جنيه إعانة لأسرته على مواجهة الحياة بعد عائلهم .

معاهد أزهرية تجريبية

○ قررت اللجنة الوزارية للخدمات إنشاء عدد من المعاهد الأزهرية التجريبية والنموذجية ، تقوم بتدريس اللغات الأجنبية بالمستوى الرفيع ، بالإضافة إلى المواد الأساسية بهدف تخريج دعاة من الأزهر يجيدون اللغات الأجنبية للاستفادة بهم كدعاة فى الدول التى لا تتحدث باللغة العربية .

من خير ما كتب

فضيلة الشيخ/ محمد الغزالى

من يقول إن صورة الوجه فى المرآة.. حرام ؟!

الحضارة الحديثة نتاج تقدم علمى باهر ، وصل إليه الإنسان بعد قرون من البحث المضنى والتجارب الغالية ، ولم يكن عجبا ان يستغل الإنسان كشوفه لأسرار الكون وقواه الخفية فى ترقية نفسه وترقية معايشه ، بل إن ذلك اقرب إلى الحكمة من استغلال هذه الكشوف فى تدمير الحضارة نفسها وتيسير الانتحار الجماعى على الناس !

وأحسب أن التقدم الصناعى العام وفر للجماهير متعا ما كان يحصل عليها الملوك الاقدمون ! الأطعمة انعم ، والأشربة صنوف ، والملابس تفضل الحرير نسجاً ولونا ورقة ، وأدوات النقل اغنت عن الخيل والبغال والحمير ، والقيان التى كانت تغنى فى مقاصير الأمراء انتقل صوتها إلى الأكواخ ونام على لحنها العمال والفلاحون ، والمرء فى المشرق يكلم صاحبه فى المغرب بثمن ميسور ، وربما بلغ الناس من الرفاهة درجة اعلى ، وملكوا غدا انصبة اكثر ، ومع هذا كله فالأعصاب مشدودة والأطماع طاغية ، والبكاء على القليل المنشود يفسد السعادة بالكثير الموجود . وتحاسد الأفراد والأقطار اشعل البغضاء هنا وهناك .

وقيل فى وصف العالم : إن عضلاته اكبر من فكره . ولو انصفوا لقالوا : إنه عالم يذكر نفسه ، وينسى ربه ، ويجحد حقه ، ويمارى فى لقائه . ويظن أن هذه الدنيا كل شىء فلا امتداد لوجود آخر ولا حياة إلا هنا !

وأنا رجل مسلم أحب الحياة وابتهج بطيباتها ، إن الله استضافنى فى كونه وأطعمنى خيره فمن السفاهة أن أرفض الكرم المبذول ومن السفاهة كذلك أن أضن بشكر المنعم . إن الله تبارك اسمه يعطى الفضل ولا يطلب إلا الاعتراف بالجميل . فهل هذا ثمن فادح ؟ يبدو أن ناساً كثيرين يعز عليهم دفع هذا الثمن « وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ الشَّكُورُ » على ذلك الأساس انظر ما قدمته الحضارات قديمها وحديثها إنه – كما علمنى الإسلام – لى وليس لغيرى ، أليس يقول الله « هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا » ومن ثم فالأصل فى الأشياء الإباحة ولا تحريم إلا بنص قاطع .

والواقع ان نفرا سوداويى المزاج اولعوا بالتحريم ومنهجهم فى الحكم على الأشياء يخالف منهج نبى الإسلام عليه الصلاة والسلام الذى ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثماً فإن كان إثماً ، كان ابعد الناس عنه . روى انس بن مالك ان

للأستاذ عبد الفتاح السيد عبد السلام

رسول الله ﷺ قال (لا تشددوا على انفسكم فيشدد عليكم فإن قوماً شددوا على انفسهم فشدد عليهم ، فتلك بقاياهم فى الصوامع والأديرة رهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم) .

وقد اشاعت المدنية الحديثة (الراديو والتليفزيون) وغيرهما من الأجهزة الناقلة للثقافة والملاهى على سواء ، ومعروف أن هذه الأجهزة ادوات غير مسئولة عما يصدر عنها ، وأن المسئولية تقع على المؤلفين والمغنين والمخرجين ففى استطاعتهم ان يقدموا النافع ويحجبوا الضار .. !

لقد كان من المستطاع أن نتوسل بهذه الأجهزة لإشاعة اللغة السليمة وتذوق الآداب الرفيعة وحماية الأخلاق ودعم التقاليد الفاضلة ، بل كان من الممكن أن ندرب الألوف على إتقان حرفٍ نحن محتاجون إليها ، وأن نرفع مستوى الأداء لأشغال كثيرة ، فإن البطالة السافرة والمقنعة تفتك لدينا بأعمار الناس . كان من الممكن أن نحارب عادات ضارة موروثة أو مستوردة ، انتشرت بيننا واوقفت مسيرتنا ، إن وسائل الإعلام لو أحسنا استغلالها تصنع الكثير ، قد يفهم من ذلك أنى احارب الغناء والموسيقى والترويح عن النفس .. لا ولكنى الحظ أن الامة العربية والإسلامية تريد أن تعمل قليلا وتغنى كثيرا والاستجمام حق المرهقين لا حق القاعدين .

اما الغناء فكلام ، حسنه حسن وقبيحه قبيح ، ومن غنى أو استمع إلى غناء شريف المعنى طيب اللحن فلا حرج عليه ! وما نحارب إلا غناء هابط المعنى واللحن .

لم يرد حديث صحيح فى تحريم الغناء على الإطلاق . وقد احتج البعض بقوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً ، أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾ .

ولعمرى أن من يشترى جد الحديث أو لهوه للأسباب المذكورة فى الآية جدير بسوء العقاب . أما من يريح أعصابه المكدودة بصوت حسن ولحن جميل فلا علاقة للآية به . وكما يقول ابن حزم (لو اشترى مصحفا للإضلال فهو مجرم) ويبدو أن اقتران الغناء ببعض المحرمات من خمر وفحش . . وما يشاع عن البيئة الفنية من تحلل . هو الذى جعل عددا من العلماء يحرمه . وإلى هذه الجملة من الرذائل يشير حديث البخارى إلى من يستحلون الحرير والخمر والمعازف .

بيد أنه ليس من الضرورى أن تجتمع هذه العناصر كلها عند سماع أغنية وعلى أية حال فإذا كان الغناء مقرونا بتلك المحرمات فهو مرفوض أما إذا برىء منها فلا شىء فيه . ونعود إلى ما بدأنا به موضوعنا وهو أن أمتنا بحاجة إلى الكثير من الجد والقليل من اللهو ، ولو رزقنا بفنانين ذوى شرف ومقدرة لأمكن تحويل الفنون إلى عوامل للبناء

◆ من خير ما كتب

لا للهدم ، ولإثارة المشاعر النبيلة لا إهاجة الغرائز الدنيا .

أما الصور فيجب أن نفرق بين نوعين : المجسم الذى يصنعه المثالون الآن لأغراض شتى ، والرسوم التى توضع على المسطحات من أوراق وأقمشة وغير ذلك والتصوير سواء كان شمسيا أو فلميا هو جزء من الطب والأمن والعلوم الكونية ، والحيوية والتاريخ والشئون الاجتماعية الكثيرة والأصل فيه الإباحة لحديث مسلم (إلا رقما فى ثوب) ولحديث رزين سئل ابن عباس عن أجرة كتابة المصحف . فقال : لا بأس إنما هم مصـورون ، وأنهم إنما يـأكلون من عمل أيديهم) .

ولم يقل أحد أن صورة الوجه فى المرآة محرمة ، ولا يقول أحد إن إثباتها بطريقة أو بأخرى تحول المباح إلى محرم . ولا يحرم من هذا النوع إلا ما حمل طابعا دينيا لعقائد يرفضها الإسلام .

كما يحرم أى تصوير يخل بالآداب ويحرك الغرائز إلى المعصية أما التماثيل المجسمة فإن النصوص الواردة تتظاهر على رفضها ما لم تكن الاعيب للصبية أو عرائس هزلية كحلول المناسبات المختلفة ، فإن أحدا لا يفكر فى توقيرها أو عبادتها .

لقد رأيت بعينى من يعبدون هذه الأصنام فى جنوب آسيا ، ورأيت فى مصر من يحيى بخشوع تمثالا لعبد الناصر ، وذلك أثناء نقله من مكان إلى مكان !! وأعرف أن هناك من رجال الفتوى من يحرم التصوير كله سواء كان مجسما أو كان رسما على ورق ، وأخشى أن يكون سوق النصوص مقطوعة عن ملابساتها سببا فى ضياع الدين والدنيا معا .

ولنضرب مثلا بالمرويات التى جاءت فى قضية البناء . روى الشيخان عن خباب بن الأرت قال : (إن المسلم يؤجر فى كل شىء ينفعه إلا فى شىء يجعله فى هذا التراب) .

وروى الترمذى عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : (النفقة كلها فى سبيل الله ، إلا البناء فلا خير فيه) ! وأخرج داود عن أنس أيضاً أن رسول الله ﷺ قال : (أما إن كل بناء وبال على صاحبه إلاما لابد منه) .

هذه الآثار كلها لو أخذت على ظاهرها ما بنيت مدينة ولا قرية . ولعاش الناس فى أكواخ لا تستر العورات إلا بجهد والواقع انها واردة فى المكاثرة والمفاخرة والاستطالة على الناس وبناء القصور جائز بلا ريبة ! فهل الذين يحرمون التصوير مطلقا يحرمون بناء القصور ! إنهم فى بعض البلاد لا يزالون يرون الصورة فى التليفزيون محرمة وأقمار الأجانب تلتقط الصور لنا فى أيام السلام والحرب على سواء ونحن ندرى ولا ندرى .

الأستاذ / خالد محمد خالد

الرسول ﷺ قاوم التطرف

ينشأ التطرف الدينى من فراغ فى النفس ، أو التباس فى الفكر ، أو رد فعل لتطرف آخر ينقص من نفوذ الإسلام ، أو انتحار خبيث تقوده قوى غامضة لتقويض الدين وهدمه . أو هناك سبب خامس أو سادس ؟ ربما ولكن أيا ما تكن فمردها جميعا إلى هذه الأسباب الأربعة .

والأديان السماوية الثلاثة رزئت جميعها ولا تزال بهذا التطرف المقيت فى شتى المراحل والعصور وكان - ولا يزال - لكل دين (خوارج) يخرجون على أنماطه السديدة وسننه المألوفة والأنيسة ، ليشفوا غيظ قلوبهم ، أو يعكسوا ظلمات تفكيرهم .

والتطرف الدينى هو مجاوزة الاعتدال فى السلوك الدينى فكرا وعملا أو لنقل : إنه الخروج عن مسلك السلف فى فهم الدين وفى العمل به فمسلك السلف فى الإسلام هو المعيار والمقياس الذى يقاس عليه السلوك القويم فلقد نهل السلف من رسولهم الكريم ، وكانوا أدرى باتجاهات التشريع ، وكانوا موضع احترام الكافة والخاصة .. حتى رأينا إماما عظيما كالإمام مالك رضى الله عنه يجعل عمل أهل المدينة أساسه الإسلام واستنباط أحكامه وفقهه .

لقد قاوم الرسول عليه الصلاة والسلام التطرف مقاومة مفعمة بالحسم والحزم فمثلاً عندما اجتمع ثلاثة من أصحابه يتواصون على أن يرتفعوا بعبادتهم إلى ما يفوق طاقة الإنسان فقال أحدهم : إنى سأصوم الدهر ولا أفطر . وقال الثانى : إنى سأقوم الليل ولا أنام وقال الثالث : أما أنا فلن أتزوج النساء أبدا .. وعندما نما إلى الرسول خبرهم استدعاهم إليه وسألهم : أأنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ قالوا - وجلين - نعم يارسول الله . فقال لهم الرسول ﷺ : « أما والله ، إنى أخشاكم لله ، وأتقاكم له ولكنى أصوم وأفطر ، وأقوم من الليل وأنام وأتزوج النساء .. فمن رغب عن سنتى فليس منى » . فالصيام والقيام عبادتان لهما فى الإسلام مكانة عالية .. ومع ذلك اعتبر الرسول مجرد المغالاة فيهما عملا مرفوضا .

ومظاهر التطرف الدينى كثيرة بيد أنها تتلخص فيما ذكرنا من الخروج على مسلك السلف فى فهم الدين وفى العمل به .

والتطرف فى العمل صنو التطرف فى الفهم ، كلاهما تحدٍ لسماحة الإسلام وعظمته ، وكلاهما تزيد فى الدين واتهام له بالتقصير . وكأن الرسول قد بلغ رسالة منقوصة ، يجىء هؤلاء المتطرفون ليكملوها ويتموها .

هؤلاء الذين يرون فى المجتمعات الإسلامية المعاصرة دور كفر . أين لهم الحجة فى هذا الادعاء . ولقد شهد مجتمع الإسلام الأول فى عصر الرسول والوحى جماعات من المنافقين الذين قالوا للرسول : نشهد أنك رسول الله .

ففضح الله سرائرهم بقوله سبحانه ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ ولقد استأذن الرسول بعض أصحابه ليقتلوا أحد المنافقين فقال الرسول : أولئك الذين نهانى الله عن قتلهم .

أجل مادام قد شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . فقد عصم دمه وماله وأصبح مواطنا له كل حقوق المواطن فى دولة الإسلام .

وما أيسر أن يهرب الإنسان من مسئولياته متذرعا بأوهى المبررات وأكثرها ضلالا وبطلانا لكن الذين يواجهون تبعاتهم ويبنون حياتهم وحياة أممهم بناء صلبا وشامخا فأولئك هم الرجال حقا وهم المسلمون حقا .




فهــــرس العــــدد

desires to complete the term. But he shall bear the cost of their food and clothing on equitable terms".

(Surat Al-Baqara, II, 233).

Scientific evidence indicates that mother's milk has no exact substitute and it is the best food for the baby during the early nursing period of infancy. The mother's milk is rich with all the requirement for a healthy wholesome nutrition that is necessary for growth and development. Moreover, mother's milk is sterile and is available at all times of need. The composition of the mother's milk changes according to the actual needs of the infant and according to his age during the suckling period.

The Prophet also called on Muslim women not to nurse their babies while they are pregnant. Since a baby so nursed grows up physically weak. If a mother is called on to nurse her baby for two years, and if she is called on not to nurse another baby while pregnant, this means that Islam formulates its own system of family planning and spacing of bearing children.

The foundations of epidemic control is also described in the Holy Quran and the Sunna of the Prophet prayers and peace be upon him, In an honourable Hadith, the Prophet said: " If an epidemic appears in a land while you are away from it, do not ever enter it. If it appears in a land while you are in it, do not ever go out from it". This is the rule of thumb followed currently for controlling the spread of epidemics; that is the establishment of cordons or quarantines around the afflicted area and through preventing people from entering or leaving the area until the epidemic is eliminated. Several other Hadith are concerned with cleanliness; prevention of water, soil and air pollution; nutrition, mental health and several aspects pertaining to the health and wellfare of the individual and the community.

The above are only synoptic examples of some principles relevant to human health that are included in the vast body of teachings included in the Holy Qur'an and the Prophet's Traditions. This glimpse is intended only as an evidence of the Qur'anic verse: " ... Nothing have We omitted from the Book ..." (Surat Al-An'am, VI, 39).

In writing this article, I have made use of Dr. Aly Muhammad Metawea's book An Introduction to Islamic Medicine, (Cairo: the supreme counil for Islamic affairs, 1985). (In Arabic).

the normal uniform human practice. The Holy Quran repeatedly states this understanding.

"And (remember) Lut; behold, he said to his people: Ye do commit lewdness such as no people in Creation (ever) committed before you. You do indeed approach men and cut off the highway..."
(Surat Al-Ankabut, XXIX, 28-29).

"We also sent Lut (as an apostle): behold, he said to his people, "Do ye do what is shameful though ye see (its iniquity) Would ye really approach men in yopur lusts rather than women. Nay, ye are a people (grossly) ignorant !".
(Surat Al-Naml, XXVII, 54-55).

"We also sent Lut: He said to his people: "Do you commit lewdness such as no people in creation (ever) committed before you. For ye practice your lusts with men in preference to women: ye are indeed a people tranagressing beyond bounds."
(Surat Al-A'raf, VII, 80-81).

The practice qf homosexuality is a frank inimical sin. The social impact of the practice is unequivocal disaster. The medical consequences are certainly very grave indeed from the physical and mental standpoint. It is a pathologic perversion that must receive therapy and full scale management. It is a practice that is not encountered in animals, and recently has become prevalent in the more affluent human societies. It is the most disgraceful, disgusting malignant vilifying act. Recently, medical scientific research has proved that among its various pathologic sequelae is severe suppression of the immune mechanisms of the human body (Eg. The Aquired Immune Deficiency Syndrome known as AIDS).

Maternity is another aspect of Islamic teachings depicted from the Holy Quran and the Sunna of the Prophet (prayers and peace be upon him). The Holy Qur'an has made it incumbent on muslim mothers to nurse their babies. The Holy Quran states:

"The mothers shall give suck to their offspring for two whole years, if the father

Considering the intricate mechanisms of biosynthesis, cellular growth and differentiation; such prohibition becomes very scientifically sound. Also, intermarriage between relatives although accepted, however, it is not advocated, to avoid the bad effects of the possible accumulation of mutations.

Again, sexual intercourse should never be attempted during the menstrual period of the wife. It is unhealthy for both the male and female. In this respect, the text of the Holy Quran states:

> "They ask thee concerning women's courses. Say: They are a hurt and a pollution: So keep away from women in their courses, and do not approach them until they are clean. But when they have purified themselves, ye may approach them in any manner, time, or place ordained for you by Allah. For Allah loves those who turn to Him constantly and He loves those who keep themselves pure and clean."
>
> (Surat Al-Baqara, II, 222).

Having a sexual relation with the wife during the course of her period is harmful both to husband and wife. The menestrual blood is suitable media for bactarial growth, it is also in itself toxic, being essentially degenerated cellular breakdown. This certainly may result in inflammation of the male urinary tract and all the sequelae of such inflammation. The harm affecting the female is even more direct, during intercourse, the uterine wall contracts and the uterine vasculature becomes more active. This vascular activity may take up microscopic fragments of the menstrual blood into the circulation.

The Holy Our'an also calls on Muslims to have intercourse only through the proper anatomical channel which is the vagina. All other channels are prohibited, because it is man's own whimsical fancy to satisfy his capricious lust. It is a condemned practice in Islam to have sexual intercourse through any channel other than the vagina. It is a deviation from the normative purpose, a degrading act to both male and female, and it is certainly unhealthy both physically and mentally.

Homosexuality is a subject that received optimal importance in the Holy Quran. It is absolutely condemned and denounced as a sinful act that does not conform with

prohibited in Islam according to the Quranic text which states.

> "O ye who believe ! Intoxicants and gambling, (dedication of) stones, and (divination by) arrows, are an abomination, of Satan's handiwork: Eschew such (abomination), that ye may prosper."
>
> (Surat Al-Ma'ida, V, 93).

In this respect, the Prophet (prayers and peace be upon him) says: "If much of something causes drunkedness, little of it is prohibited". The effects of alcohol on liver, heart, brain and vascular system causes liver cirrhosis, coronary disease, atherosclerosis, and dementia. It leads to loss of dignity, self respect, and disintegrates the frame and poise of the human personality.

The act of drinking simple water also has manners. The prophet (prayers and peace be upon him) advised to sip water and not gulp it. This is better to quench the thirst and be absorbed. The Prophet (prayers and peace from Allah be upon him) said, "Do not drink in one gulp as a camel does sip your water and mention the name of Allah when you drink, and thank Allah when you finish". He also called on Muslims to cover containers of food and drinks, to avoid contamination.

Marriage and Sexual Relations is another issue related to the health of man, that has been given due consideration in the Holy Quran.

> "And among His Signs is this, that He created for you mates from among yourselves, that ye may dwell in tranquility with them, and He hath put love and mercy between your (hearts); Verily in that are signs for those who reflect."
>
> (Surat Al-Rum, xxx, 21).

Several aspects of this issue of marriage and sexual relationship have been dealt with in detail in the Holy Quran and the Honourable Hadith. It is prohibited by Quranic text to marry a female who has shared the same breast for feeding during infancy, being considered therefore a true sister although of different parents.

➔

strangling, or by a violent blow, or by a headlong fall, or by being gored to death: that which hath been (partly) eaten by a wild animal; unless ye are able to slaughter it (in due form); that which is sacrificed on stone (altars)..."

(Surat Al-Ma'ida, V, 3).

All dead meat is forbidden except fish and locusts, and all blood is forbidden except the liver and spleen. Therefore it is incumbent on Muslims to drain the blood from the vessls of an animal by slaughtering before its meat can be eaten; also to mention the name of Allah before the slaughter.

The wisdom behind this Quranic principle is that blood is unhealthy for human consumption. It accelerates the decay of meat, it is a fertile media for the growth of microrganisms. Blood contains toxic metabolites; also digested and undigested blood in the human intestines results in the formation of ammoniacal compounds and uric acid All such substances have proved to have an adverse effect on the health of man.

Another aspect of great interest is the prohibition of pork meat. Inspite of the so many explanations that are soundly put for this issue, the most recent prevailing understanding according to basic scientific knowledge, is that pork meat is synthetized in the body of the animal from the filthy decayed assortment of food the animal consumes. The biochemical pathways leading to meat fibre formation and quality, that its contents when digested and assimilated by man become certainly harmful to his cellular systems. The prohibition of all other kinds of meat indicated in the Quranic text, follows the same scientific understanding. Such meat from the strangled animal... etc develops a changed intracellular biochemistry which becomes unhealthy to man.

The quantity of food a Muslim should eat was very simply and logically defined in a famous Hadith which states. "Enough for a child of Adam a few crumbs which support him. However, should he eat more, a third (of his stomach) for food, a third for drink, and a third for breathing." How very wise to avoid gluttony which is the seat of all human disease.

Wines and all other alcoholic drinks are strictly

PREVENTIVE MEDICINE FROM THE HOLY QUR'AN AND THE PROPHET'S TRADITIONS

By :
Ahmed Shafik Elkhatib, ED.D.

The Holy Qur'an and the Sunna (Traditions) of Prophet Muhammad (Prayers and Peace be upon him) include several principles the purpose of which is to enable Muslims to keep fit and to lead a healthy life. These principles are the essence of the branch of modern medicine known as Preventive Medicine. The purpose of this presentation is to focus on the salient aspects of these principles as evidenced by Quranic text and the Hadith.

Food as a primary element for the upkeep of human life has been very precisely defined in quantity and quality. The Holy Quran introduces all principles regarding food and water intake; what to eat and drink, how much, how and when, and also the general manners of doing that. The text of the Holy Quran states:

> "O children of Adam ! Wear your beautiful apparel at every time and place of prayer: eat and drink but waste not by excess, for Allah loveth not the wasters".
>
> (Surat Al-Araf, VII, 31).

> "Forbidden to you (for food) are: dead meat, blood, the flesh of swine, and that on which hath been involved the name of other than Allah, that which has been killed by

as reference material of the Sunna of pilgrimage and other aspects of Islamic teachings. The short sermons that were addressed to the pilgrims at Arafat, and at Mina formulated a concise comprehensive synopsis of the essential features of the Islamic creed. These fundamental articles of Islam were highlighted with precision in the words of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The absolute belief in the Oneness of Allah and total submission in faith; the adherence to the teachings of the Holy Quran and the tradition of the Prophet; the obligation to summon all mankind to the message of Islam; the compulsory respect of human rights and social justice; the optimal importance of family structure and the rights of women; the superior tightly bound relationship of brotherhood and fraternity between muslims and preservation of their unity; the perpetual struggle aginst the Devil Iblis as the enemy of rightousness. These were the elements of the Islamic creed that were the theme of the sermons delivered by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) during the pilgrimage. The illustrious teachings to all mankind that will endure along the ages as the code for human virtue and goodness.

A sentence that was often repeated by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) during the pilgrimage was "Hear me O people, for I know not if ever I shall meet with you in this place after this year". This sentence caused some concern in the minds of more sagacious and prudent companions; could it be the herald of the end.

Prayers and peace be upon our magnanemous prophet.

REFRENCES:

Hijjat Al-Wida
Sheikh Muhammad Zakaria Al-Kandahalwy.

Al-Sira Al-Nabawia (Vol. IV)
Imam Abi Al-Fida Ismail Ibn kathir.
Dar Al-Marifah. Beirut. Lebanon.

"Celebrate the praises of Allah during the appointed days. But if any one hastens to leave in two days, there is no blame on him, and if any one stays on, there is no blame on him if his aim is to do right. Then fear Allah and know that ye will surely be gathered unto Him "

(Surat Al-Baqara, II, 203)

On the way from Macca to Al-Madinah, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) stopped at Ghadir Al-Kumm. There, he delivered a short sermon in which he ascertained the high position of Ali Ibn Abi Taleb. He took Ali by the hand and said " O Allah be the friend of him who is his friend, and the foe of him who is his foe". By these words all bitter feelings towards Ali were subdued. These bitter feelings against Ali Ibn Abi Taleb developed among the members of his troops as they reached Macca coming back from Yemen. Ali had ridden ahead of his men eager to meet the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and to make pilgrimage with him. The man left in charge of the troops took the liberty to give each man a new change of clothes out of the linen of the spoils to attend the feast in Macca. When Ali returned to his troops, he could not countenance such liberty and ordered the troops to take off the new linen and put it back to the spoils and wear their old clothes. Great resentment against Ali was felt amongst the troops on account of this incident; and several men reported the very strict conduct of Ali and complained against that behavior to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). He had indicated before that Ali is too scrupulous in the path of Allah to be blamed.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) reached Zi Al-Hulayfah, at the outskirts of Al-Madinah where he spend the night and prayed. He entered Al-Madinah by the route of Al-Maaras by day. When the mountain of Uhnd was sighted, he said " That is a mountain that loves us and we love it. We return, we repent to Allah, we worship Allah, we prostrate to Allah in submission and affirmation of gratitude and praise. Allah has sufficed his promise, and champoined his subject, and defeated the confedrates alone".

The farewell pilgrimage was very accurately documented by the companions of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). These documentations are used

(the Holy Quran) and the Traditions of His Prophet, which if you observe in practice, you shall not disgress.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) remained at Mina for three days after the day of sacrifice; departing from Mina on the third day. The stoning of the three Aqabah sites was also done on the Twelveth day and Thirteenth day of Zu Al-Hijjah between noon and afternonn. According to most authors, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) visited the Kaabah in Macca daily during the three days, and gave respect in reverence and worship to Allah. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) left Mina on the Thirteenth day of Zu Al-Hijjah in the afternoon to a place in the outskirts of Macca called Al-Muhassab, also known as Al-Abtah; where he and the pilgrims performed the Asre, Maghreb and Isha prayers. He rested for sometime, then went straight to the Kaabah in Macca to perform the farewell circumbulation (Tawaf) around the Kaabah. After the Tawaf, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) drank from the waters of Zamzam; prayed the morning prayers; and then left Macca by the route of Kudaii taking some water from Zamzam with him; his destination was Al-Madinah.

The sequential order of the days of pilgrimage are recognized by most authors as follows. The Sixth day of Zu Al-Hijjah is the day of preparation of the cattle for sacrifice and the mounts. The Seventh day is the day of watering in which the necessary waters are collected and contained. The Eighth day is the day of Mina when all pilgrims go from Macca to Mina. The Nineth day is the day of Arafat during which all pilgrims remain at the Mount of Arafat in supplication. The Tenth day is the day of sacrifice, also known as the day of the Great Hajj. The Eleventh day is known as the day of Al-Qar (meaning staying), and it is the first day of the days of Al-Tashriq (meaning, drying the meat in the sun). The Twelveth day is the second day of Al-Tashriq and the first day of Al-Nafre, (meaning departure) from Mina. The Thirteenth day is the third day of Al-Tashriq and the second day of Al-Nafre for the final departure from Mina. Pilgrims are given a choice to depart from Mina on the Twelveth day (second day of Al-Tashriq) or on the Thirteenth day (third day of Al-Tashriq) according to a text in the Holy Quran.

THE FAREWELL PILGRIMAGE

Part III

By:
Dr.Anas Moustafa El-Naggar MD;Ph.D

In the Name of Allah most Gracious most Merciful.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) had finished stoning the Aqabah, and slaughtering the cattle of sacrifice; and after shaving his head, he removed his Ihram, and dressed into ordinary clothes. It is related that Aisha Bent Abu Bakre, may Allah bless her, the wife of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) scented him with perfumed oil as he changed his clothes. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) mounted and left Mina to Macca where he circumbulated around the Kaabah (Tawaf) seven rounds. He drank from the waters of the well of Zamzam and performed the Zuhre (noon) prayers with the pilgrims following him; and returned to spend the rest of the day and the night in the district of Mina.

The following day (The Eleventh of Zu Al-Hijjah) when after the noon time when the sun inclined to the west, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) walked to the site of the first Aqabah, then to the second, then to the third and stoned each of the three with seven bebbles, made supplication as he stoned without stopping.

Several chroniclers relate that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) delivered a short sermon on the following day after the day of sacrifice. He indicated that Allah is One with no partner; that man should not kill his fellow man except for right: that all sin is felony; and that rightousness is to shun transgression. He also pointed out that women have their rights in man's trust so long as they live in honesty, they are taken as wives by the permission and witness of Allah. Do not fall back after my death into ignorance and dispute. I have left in your hands the Words of Allah

AL-AZHAR MAGAZINE

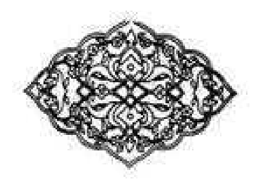
ENGLISH SECTION

VOL. 59, Part VIII

SHABAAN, 1407 HIJRAH

CONTENTS

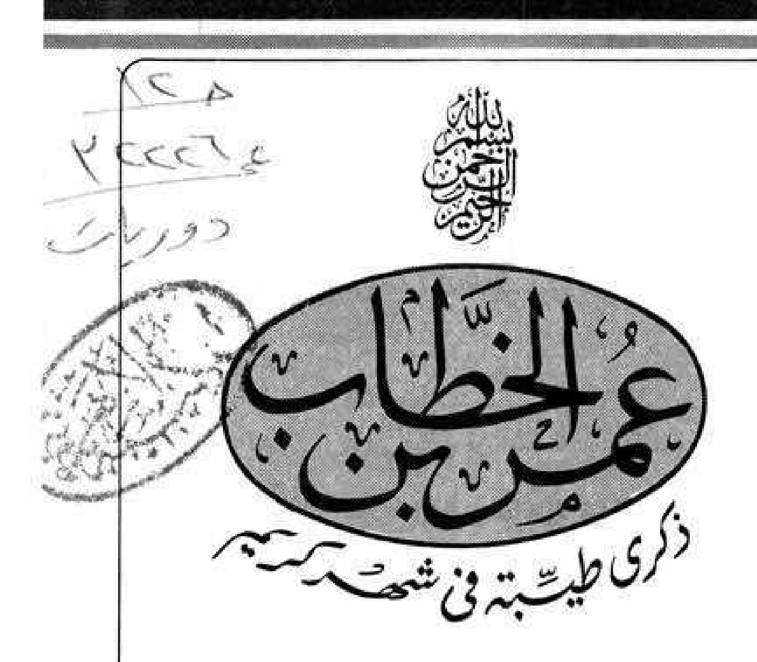
Preparation of Prints : Mrs. Fatimah Mohammad Sirry.



AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION



عاش عمر ـ رضى الله عنه ـ مطاعا محبوبا مهابا ·

ومات ـ رضى الله عنه ـ مطاعا محبوبا مهابا ·

لم تختلف عليه رعيته حيا ، ولا ميتا ·

لقد وَعَى ميراث النبوة فى حب ، وحرص عليه فى شغف ، فجمع الى العلم به حُسْنَ الفقه فيه ، والى حُسْنِ الفقه فيه روعة التوفيق فى تطبيقه ·

فهل عجب أن تنعم الأمة بالأمن والرحمة والعدل والنصفة ·· ؟!

وتقر السكينة ، فلا تطل الفتنة ·· ؟!

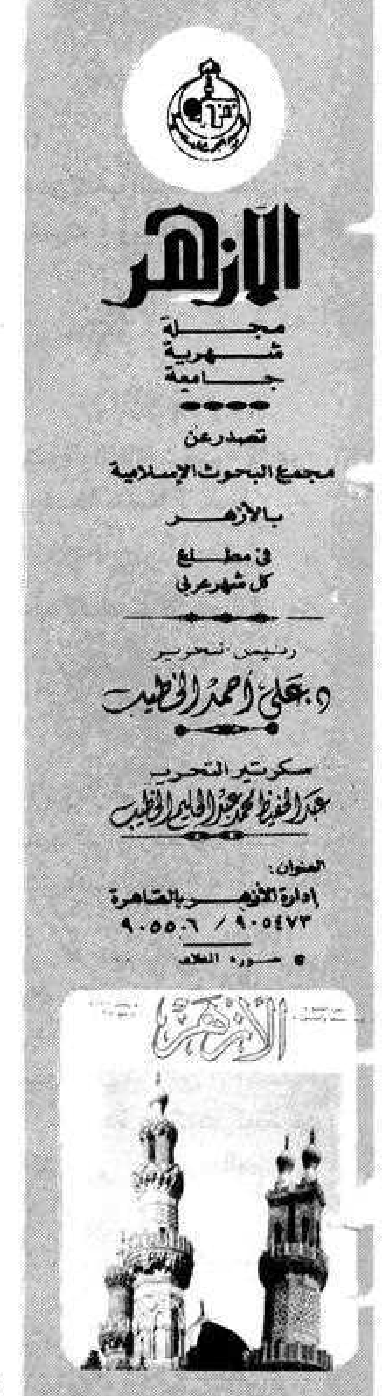


* الجزء التاسع *

* السنة التاسعة والخمسون *

* رمضان ١٤٠٧ *

* مايو ١٩٨٧ *



لقد عاشت ـ فى وجدان عمر ، رضى الله عنه ـ آية من كتاب الله ـ تعالى ـ كانت هى قطب أفقه السياسى الذى ظل يرمقه طوال مسيرته ، ويوجه اليه دفة سفينته ٠

كانت قوله ـ تعالى :
« إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ » ٠

فما عامل من عماله إلا قد تحلى ـ طبيعيا ـ بالقوة والأمانة : قوة فى غير بطش ، وأمانة فى غير تأويل ، ثم زاد عمر ـ على نفسه ـ زهدا منصفا لا عدوان فيه ولارياء ٠

يقسم عمر : أن لو كان يعلم فى أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من هو أولى منه بالخلافة لأسندها إليه ٠

فأى عجب فى أن تطيعه رعيته وتحبه وتهابه ؟!

إنه لم يفترض فى تلك الرعية كراهية له حتى يرتاب فيهم فيتسقط سرائرهم فيفسدهم فليست السُّنَّةُ فى ذلك ، فعن المقداد بن الأسود وأبى أمامة ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إن الأمير إذا ابتغى الريبة فى الناس أفسدهم » (١) ٠

لذلك أحبته رعيته ووقرته ٠

وأمانته ـ فى شخصيته العامة والخاصة ـ مطروحة للباحثين من رعيته فما وجد أحدهم عليه هفوة تنال من نزاهته ، واهتم بمراقبة عُمَّالِهِ ، فـ « كان عِلمُهُ بمن نأى عنه من عُمَّاله ورعيته كعلمه بمن بات معه فى مِهادٍ واحد وعلى وِساد واحد ، فلم يكن له فى قطر من الأقطار ، ولا ناحية من النواحى عاملٌ ولا أمير جيش إلا وعليه عينٌ لايفارقه ما وجده ، فكانت ألفاظ من بالمشرق والمغرب عنده فى كل ممسى ومصبح ، وأنت ترى ذلك فى كتبه إلى عماله وعمالهم حتى كان العامل منهم ليتهم أقرب الخلق إليه وأخصهم به » (٢) ٠

---

(١) رواه احمد فى مسنده ٦ / ٤ وابو داود فى سننه ـ ادب ٣٧ ٠

(٢) الجاحظ ـ التاج ص ١٦٨ ـ ط الأميرية اولى ١٣٢٢ ٠

لذلك لم يعرف الظلم سبيلا إلى الرعية ، فإن حدث كان له عمر بالمرصاد ، فـ « كفاك خيانة أن تكون أمينا للخونة »[1] وعمر لايسكت على ظلم ، فالسكوت عليه خيانة .

لذا أحبته رعيته ، وأطاعته حيا وميتا :

روى الامام مالك — رضى الله عنه — « أن عمر بن الخطاب مر بامرأة مجذومة — وهى تطوف بالبيت — فقال لها : يا أمة الله ، لاتؤذى الناس ، لو جلست فى بيتك ! فجلست ، فمر بها رجل — بعد ذلك — فقال لها : إن الذى كان قد نهاك قد مات فاخرجى ، فقالت :

ماكنت لأطيعه حيا وأعصيه ميتا » .

قال الامام الباجى — رضى الله عنه : « تريد أنها إنما أطاعته لأنه أمرها بالحق وذلك يوجب عليها امتثال ما أمر به فى كل وقت : فى حياته وبعد مماته » [2] .

وحين أزهقته الطعنات الثلاث نالت من كل قلب مسلم فأسالت الشجن والدموع ، واذ ظل بين الموت والحياة ثلاث ليال لم تفارقه هَيْبَتُهُ ، فحين حَدَّثَهُ ولدُه : عبدُ الله بن عمر — رضى الله عنه — راجيا ألا يدع الناس دون خليفة ، قال عمر لجلسائه : أسندونى !

يقول عبد الله — رضى الله عنه : تمنيت أن يكون بينى وبينه عرض المدينة حين قال : أسندونى.

ومات أمير المؤمنين ، فَأَبَّنَهُ علي بن أبى طالب — رضى الله عنه — بكلمات :

« رحمة الله على أبى حفص ورضوانه ، تالله لقد أَكَدَّ مَنْ بعده ، وأتعب من تلاه ، والله ما أحد من خلق الله — سبحانه وتعالى — أحب إلى من أن ألقى الله بصحيفته من هذا المُسَجَّى » ثم خرج ودموعه تتحادر »[3] .

وماهو الا قليل حتى تحققت كلمة على — كرم الله وجهه . « أَكَدَّ من بعده وأتعب من تلاه » فقد ضاق عبد الملك بن مروان — وهو خليفة — بالحديث عن عمر وسيرته فى الرعية فأصدر أمره بمنع ذكر عمر « فإنه إزراء على الولاة مفسدة للرعية »[4] .

فهل كان ذلك ؟!



---

(١) رواه الإمام احمد فى الزهد

(٢) انظر للامام الباجى — المنتقى — شرح موطأ الامام مالك ٣ / ٨١ دار الكتاب العربى — بيروت .

(٣) الخوارزمى : جامع مسانيد الامام الاعظم ١ / ٢٠٥ مجلس دائرة معارف الهند ١٣٣٢ .

(٤) مجالس ثعلب ٢ / ٣٩٣ ، ٣٩٤ .

إلى الأمة الإسلامية فى استقبال رمضان

رمضان شهر العمل والأمل

هذا شهر رمضان قد أهل الله سبحانه هلاله يبشر المؤمنين برحمته ورضوانه إذا هم غالبوا شهواتهم وغلبوا أهواءهم :

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ . وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ، أُولَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ .

هذا شهر رمضان قد أقبل بعد أن انصرم أمثاله ونحن ـ المسلمين ـ إنما نستقبله كل عام بإعداد الموائد وإتلاف الصحة والأموال ، وحولنا الجوعى ، والمحرومون والمرضى ، والمنكوبون لا تجذبنا إليهم أخوة الإسلام بل ولا صلة الإنسان بالإنسان ، قد أغفلنا عمدا توجيهات القرآن وسنة رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام فى البر والإحسان . ففى القرآن الكريم قول الله :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ .

وقوله سبحانه :

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

وفى الحديث الشريف قول الرسول ﷺ : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا محالة ـ يعنى من الزيادة ـ فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » .

هذا :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ .

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ

جاد الحق على جاد الحق " شيخ الأزهر "

هذا الصوم الذى فرضه الله طريقا للتقوى وغفرانا للذنوب وموسما للطاعة والتوبة عما اقترف بنو الإنسان من سيئات .

هذا الصوم الذى جعله الله وسيلة للصفاء والنقاء النفسى والجسدى ، وسببا للتعاطف والمواساة .

فهل يليق أن يكون استقبالنا لهذا الشهر الكريم شهر التقى والقرآن بالإغراءات الداعية للخروج على أحكام وآداب الإسلام . وبتشجيع أولئك الخارجين عن طاعة الله بالإفطار جهرا وعلانية دون خوف من الله أو حياء من الناس ونحن نعرف وعيد الله لمن يتسبب فى شيوع الفواحش وذيوعها فى المجتمع .

إن هؤلاء مصدر عدوى للخروج على أحكام الله ، وعلى المسئولين عن حماية المجتمع أن يأخذوا على أيديهم .

إن الأزهر الشريف يحث أصحاب المقاهى والمطاعم والملاهى على رعاية أوامر الله وإغلاق محلاتهم عن الرواد فى نهار رمضان ، سدا للذرائع ومنعا من تشجيع أولئك الذين جاهروا بالفطر واقترفوا أعظم الإثم .

إن الرسول ﷺ نبه إلى أن (الصوم جنة) أى وقاية وحماية ولو فهمنا حقه لتغيرت عاداتنا التى تغاير الإسلام ، ودخلنا فى حرز من الله وارتقت أخلاقنا وعرفنا الفضيلة والحلم وحسن التعامل ، وقويت فينا غريزة مراقبة الله .

إن على كل رب أسرة أن يحرص أفراد الأسرة على صوم رمضان وأن يبصرهم بأحكام الصوم وآدابه وثوابه وبأن طاعة الله طريق النجاح والفلاح فى الدين والدنيا .

إن الطبيب إذا نصح بالصوم أو بالإقلال من الطعام أو الحرمان من بعض أنواعه بادرنا إلى طاعته طلبا لشفاء غير مضمون فأولى بنا أن نطيع الله فى أمره ونصوم فى هذا الشهر عن الخطايا والدنايا وعن الإثم والفسوق والعصيان ونتلو القرآن ونعمل به ففى ذلك الشفاء المضمون الذى لا شك فيه .

علينا أن نراجع صحائف أعمالنا فإن وجدنا خيرا حمدنا الله وأخذنا أنفسنا إلى الطريق المستقيم ، ولنقرأ وعد الله الذى لا يختلف ولا يتخلف :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

هذا شهر الخيرات والبركات فلنأخذ أنفسنا بما يصلحها وليس إلا القرآن وسنة رسول الإسلام . علينا أن نوقف ما يسود بيننا من شقاق وتفرق ونذكر قول الله سبحانه :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ .

←

◆ الى الأمة الاسلامية فى رمضان

وقوله تعالى :

﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ .

وأن ندرك معنى قول الله :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ .

أى أن المطلوب العمل لا مجرد الأمل وأن نتواصى بالحق ونقدم عليه . وبالصبر ونأخذ به ـ وصولا إلى تحسين الأحوال وعلاج الخلل الذى أصاب حياتنا الاجتماعية والاقتصادية حين ابتعدنا عن العمل بشرع الله ، فإن هذه الأمة لا تصلح إلا بما صلح عليه أولها .

علينا أن نأخذ أنفسنا أفرادا وأسرة ومجتمعاً بأحكام الإسلام عقيدة وشريعة ، فتعالوا نراجع أخطاءنا ونتسابق إلى تجاوزها إصلاحا لأنفسنا ولأولادنا . فإن الله قد حملنا المسئولية فقال :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ .

وفى الحديث ـ عن النبى ﷺ « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته والأمير راع ، والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها ، وولده ، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .. متفق عليه .

إن الأزهر الشريف ليذكر ونحن نستقبل شهر رمضان هذه الحروب التى يقتتل فيها المسلمون لا لنصرة الدين ولا لرد بغى وعدوان على أرض المسلمين وإنما هى حروب قبلية أهلكت الأموال والأولاد ، وشغلت المسلمين عن قضاياهم وعن تنمية بلادهم وتحديثها استثمارا لنعم الله التى فاضت فى البلاد الإسلامية على اتساع آفاقها .

إن الأزهر ليدعو المسئولين عن الحرب الإيرانية العراقية أن يراعوا حق الله وحق الأمة الإسلامية وأن يسارعوا إلى ما سبق أن نادى به مرارا من ضرورة وقف هذه الحرب والجلوس للتحكيم تنفيذا لأوامر الله فى القرآن .

كما يدعو الأمة الإسلامية إلى العمل بكل الوسائل لإنهاء هذه الحرب المهلكة التى أعانت أعداء الأمة الإسلامية على استمرار سلب مقدساتها والتنكيل بالفلسطينيين فى كل مكان .

أما كان أولى بأولئك الذين أقاموا هذه الحرب على مقربة من القدس أن يجمعوا جموعهم ليرفعوا عن القدس وعن فلسطين عار الأسر ، وأن يزيلوا هذا الإصر الذى طوق الأمة الإسلامية كلها بل لقد امتدت يد العدوان إلى لبنان ففرقت الصفوف وأثارت الشقاق ؟ نسأل الله تعالى أن يكشف عنا هذه الغمة التى ليس لها من دون الله كاشفة .

هذا شهر رمضان قد أقبل بعد أن تمت أعمال الانتخابات ومقدماتها . وبعد أن انطلقت الألسنة وأسنة الأقلام من عقالها

بعيدا ـ فى كثير منها ـ عن تنافس هادف عف ، وإنما علت الأصوات ، واشتد الصخب ، وتبادل الاتهامات دون موضوعية تدرس حال البلاد وما تحتاجه لإصلاح مسارها التشريعى والاقتصادى والاجتماعى استمدادا من شرع الله .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ .

إن هذا الشرع ـ عقيدة وشريعة ـ هدى أمة وأقام دولة أساسها العدل والإحسان :

﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

إن الأزهر الشريف يهنىء السادة أعضاء مجلس الشعب بثقة الشعب بعد أن منحهم الوكالة عنه ويذكرهم بقول الله فى القرآن :

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ .

يدعوكم الأزهر أن تحملوا المسئولية وأن تتخلوا عن كل ما يتعارض مع حقوق الله وحقوق الوطن الذى حملكم أمانته ، يدعوكم لأن تعملوا بجد وتضامن على تنقية الصفوف من الأحقاد والضغائن وأن تجمعوا كلمتكم وأن تقولوا للناس حسنا ، وأن ترعوا العهد ، عهد الله وميثاقه وأن تأتلفوا ولا تختلفوا ، وأن تتحاوروا وتتشاوروا (ولا تنازعوا فتفشلوا) ضعوا المصلحة العامة للشعب أمامكم لاسيما وأنتم تعلمون أن مصر رائدة أمة تحمل مسئوليتها . وتتحمل عبء استقامة أمرها ، أصلحوا ذات بينكم يصلح الله بكم .

إن الأزهر الشريف يهنىء الأمة المصرية الكريمة شعبا ورئيسا وحكومة بشهر رمضان داعيا الله سبحانه أن يهيىء لنا من أمرنا رشدا . وأن يصلح الأحوال ويحقق الآمال فى كل مجال .

إن الأزهر الشريف يقدم لأصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء وأمراء الأمة الإسلامية وللشعوب الإسلامية التهنئة بحلول شهر رمضان

ويدعو الله أن يكون مقدمه دعوة للمودة والتسامح لتعود الأمة كما وصفها الرسول ﷺ .

« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

أيها المسلمون فى كل مكان :

﴿ إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ . و ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ .

شيخ الأزهر

(جاد الحق على جاد الحق)



تفسير لغوى فى الكتاب العزيز

قال تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى . مَاضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَاغَوَى . وَمَايَنطِقُ عَنِ الهَوَى . إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى . عَلَّمَهُ شديدُ القُوَى . ذُو مِرَّةٍ فاسْتَوَى . وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى . ثم دَنَا فَتَدَلَّى . فكانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾

قال صاحب البصائر : هى مكية باتفاق وآياتها اثنتان وستون فى عَدّ الكوفيين وواحدة وستون فى عد الباقين ، وهو يرى أن أعلى الروايات وأصحها العد الكوفى لأن إسناده متصل بعلى بن أبى طالب رضى الله عنه .

وفواصلها[1] جاءت بالألف ، والواو ، والهاء ، والنون . وسبب نزولها قول المشركين : إن محمداً يختلق القرآن ، وادعاؤهم أنه شاعر وكاهن ومجنون ـ كما حدثتنا سورة الطور . ولهذا ناسب وضعها بعدها ـ وإن كانت النجم نازلة قبل الطور ـ فالنجم ترتيبها فى السور المكية (٢٢) والطور ترتيبها (٧٥) .

قالوا : والزمان لا يشترط فى المناسبة لأن المقصود منها وضع آية فى موضع يناسبها والآيات كانت تنزل على أسبابها ويأمر النبى صلى الله عليه وسلم بوضعها فى المواضع التى علم من الله تعالى أنها مواضعها[2] .

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ الواو للقسم .

وحروف القسم الواردة فى القرآن الباء ، والتاء ، والواو ـ قال النحويون : والأصل فيها الباء ، ولذلك اختصت بجواز ذكر الفعل معها نحو ﴿وأَقْسَمُوا بِاللهِ﴾.

ويدخولها على الضمير نحو (بك لأفعلن) .

---

(١) أى آخر الحروف فى آيها .

(٢) وبين الإمام الجعبرى ـ رضى الله عنه : أن ترتيب المصحف نسخ ما قبله .



أ . د عبد العظيم الشناوى

وباستعمالها فى القسم الاستعطافى (وهو مايجاب بجملة إنشائية) نحو (بالله هل عفوت عن زميلك) .

وبمجيئها لغير القسم وهى جارة .

أما الواو فلا تدخل فى القسم إلا على مظهر ولا تتعلق إلا بمحذوف - وإن تلتها واو أخرى فالثانية للعطف وإلا لاحتاجت كل منهما إلى جواب .

وأما التاء فهى أقل منهما استعمالاً فى القسم لأنها لاتدخل إلا على لفظ الجلالة نحو ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم ﴾ وربما قالوا : تَرَبِّى ، تَرَبِّ الكعبة ، تالرحمن ، تَحَيَاتِك .

وقال الزمخشرى فى ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم ﴾ : الباء أصل حروف القسم ، والواو بدل منها ، والتاء بدل من الواو وفيها اى (التاء) زيادة معنى التعجب ، اى لايقسم بها إلا على فعل غريب .

هذا - والواو أكثرها استعمالا فى القرآن الكريم - وإن كانت فرع الباء ، فقد يكثر الفرع فى الاستعمال ويقل الأصل - .

والمراد بالنجم : إما الثريا . فيكون مما عرف « بأل » وغلب على بعض من يستحقه حتى التحق بالأعلام ، ونظيره فى ذلك : البيت والمدينة والعقبة قال ابن مالك :

وقد يصير علماً بالغلبة
مضاف أو مصحوب أل كالعقبة

فإذا أطلق « النجم » وأريد به معين فهو الثريا - ولهذا قالوا :

طلع النجم عشاء وابتغى الراعى كساء
طلع النجم غدية وابتغى الراعى شُكَيَّة

يريدون بالنجم الثريا لأنها تطلع عشاء فى مبدأ الشتاء فيحتاج الراعى إلى كساء - وتطلع صباحاً فى مبدأ الصيف فيحتاج الراعى إلى شكية (وهى تصغير شكوة ، والشكوة القربة الصغيرة للماء) فالراعى يحتاج الكساء شتاء والماء صيفاً .

وإذا كانت « أل » للجنس فيكون المراد :

إما نجوم السماء ، أو النجوم المنقضة على الشياطين أو نجوم الأرض وهى ما لا ساق له من النبات ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ ويقابله الشجر وهو ماله ساق ، أو نجوم القرآن .

قيل بِكلٍّ - واستظهر المفسرون الرأى الأول والثانى .

ومما جاء فيه لفظ النجم مراداً به الجنس قول الشاعر :

فباتت تعد النجم فى مستحيرة[3]

سريع بأيدى الآكلين جمودها .

وعلى ما استظهره جمهور المفسرين يكون المراد « بالهوى » الغروب - وقيل الطلوع .

واللغويون لم ينكروا مجىء الهوى بمعنى السقوط والصعود ، ولم ينكروا مجيئه مفتوح الهاء ومضمومها .

وإنما الخلاف بينهم فى مجىء الفتح والضم للمعنيين معا أو الفتح لمعنى والضم لمعنى -

أقول : والقاعدة العامة فى كل مصدر على فعول ضم الفاء ولم يجىء منه مفتوح الفاء إلا الوقود والطهور والقبول والوضوء والولوع كما ذكر صاحب القاموس فى المقدمة - وكان ينبغى أن يذكر الهوى إذ جوز فيها الفتح والضم فى بابها - وما ذكره صاحب القاموس مختلف فيه .

(إذا) الأصل فيها أن تكون ظرفا لما يستقبل من الزمان مضمنة معنى الشرط ، وقد تتمحض للظرفية كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ لأنه لو كان فيها معنى الشرط لوجبت الفاء .

قالوا : ومن ذلك وقوعها بعد القسم نحو ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ ، ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ فهى هنا متمحضة للظرفية فلا جواب لها .

وقد تأتى لغير الاستقبال بأن تدل على المضى ، نحو :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا[4] ﴾

وكقوله تعالى : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ[5] ﴾

وكقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا[6] ﴾

---

(٣) المستحيرة : تسمى بها الجفنة التى امتلأت دسما ، أى الجفنة الودكة ، والمستحيرة اسم بلد ، واسم ماء ، والتسمية الأولى أولى بالبيت . انظر القاموس .

(٤) آل عمران - ١٥٦

(٥) التوبة - ٩٢

(٦) آخر « الجمعة » .

لأن ﴿ لَوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ ﴾ و « لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ » مقولان فيما مضى . وكذا الانفضاض المشار إليه واقع فيما مضى .

وذكر جماعة منهم ابن هشام - فى المغنى والزركشى فى البرهان - أنها بعد القسم تكون للحال - فـ « إذا » هنا ظرف محض دال على الحال .

أما إعرابها هنا فذهب كثير من المحققين إلى أنها ظرف متعلق بمحذوف حال والعامل فى الحال فعل القسم المحذوف .

والزركشى هنا يرى أنها مجردة عن الشرطية والظرفية ومجرورة المحل لأنها بدل من النجم - والتقدير أقسم بالنجم وقت هوية أى أقسم بوقت هوى النجم - وإنما كان القسم بالنجم إذا هوى لأنه لا تتميز به الجهات ولا يهتدى به وهو ثابت وسط السماء . أما إذا كان صاعداً أو هابطاً تبين لنا المغرب من المشرق والشمال من الجنوب فيتحقق الاهتداء .

(مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى) لامحل لها من الإعراب جواب القسم وأكثر المفسرين على أنه لا فرق بين الضلال والغى .

وذهب بعضهم إلى أن الضلال يقابل الهدى والغى يقابل الرشد .

وقال آخرون : الضلال أعم استعمالاً فى الوضع تقول : ضل بعيرى ولا تقول غوى .

فالمراد من الضلال ألا يجد السالك إلى مقصده طريقاً أصلاً .

ومن الغواية ألا يكون له طريق مستقيم إلى مقصده .

فالضال كالكافر والغاوى كالفاسق ، فكأنه تعالى قال : (ماكفر صاحبكم ومافسق) .

وقيل : ما ضل : ماعدل عن طريق الحق ، وماغوى أى وما اعتقد باطلا ؛ فالغى : جهل ناشىء عن اعتقاد فاسد وكلها معان متقاربة فالذى انتفى عنه الضلال والغواية يكون مهتدياً ومرشداً -

والمراد بالصاحب سيدنا محمد ، والخطاب لقريش ، وإضافة الصاحب إليهم : للإيذان بوقوفهم على تفصيل أحواله الشريفة وإحاطتهم خبرا ببراءته عليه الصلاة والسلام من كل مارموه به .

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ هذه الآية كالدليل على أنه ماضل وما غوى والتقدير : كيف يضل أو يَغْوِى وهو لا يصدر نطقه عن هواه ورأيه . والهوى مصدر هَوِىَ من باب تعب إذ أحبَّ ، ثم اطلق على ميل النفس وانحرافها نحو الشىء ، ثم استعمل فى ميل مذموم فيقال : اتبع هواه وهو من أهل الأهواء .

﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْىٌ يُوحَى﴾ (إن) بمعنى ما النافية : ووردت فى القرآن كثيراً بهذا المعنى داخلة على الجمل الاسمية كما هنا ، وكقوله تعالى ﴿إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ﴾ ، ﴿إِنْ هِىَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ﴾ وعلى الجمل الفعلية نحو ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى﴾ ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ﴾ .

وزعم بعضهم أنه لاتجىء إن النافية إلا وبعدها (إلا) او (لما) التى بمعناها نحو ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ اى : ماكل نفس إلا عليها حافظ ـ وَرُدَّ عليه بقوله تعالى : (وَإِنْ أَدْرِى أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾ (إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ) وهو كثير .

(هو) ضمير راجع إلى النطق المستفاد من « وَمَايَنطِقُ » فالمرجع مذكور حُكْماً ، اى : ماالذى ينطق به من القرآن إلا وحى من الله تعالى فهى كالبيان لقوله تعالى ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ .

(وَحْىٌ) الوحى أصل معناه : الإشارة والرسالة والكتابة وكل ما القيته إلى غيرك ليعلمه ، وهو مصدر وَحَىَ إليه يَحِى كوعد يعد ، وأوحى إليه مثله ويجمع على وحىّ ووزنها فعول ـ ثم غلب استعمال الوحى فيما يلقى إلى الأنبياء من عند الله .

وبعض العرب يقول : وحيت إليه ، ووحيت له ، وأوحيت إليه ، وله ، والقرآن لم يستعمل إلا الفعل الرباعى ومصدر الثلاثى فلم يرد فيه فعل الثلاثى ولا مصدر الرباعى ـ ونظير ذلك كلمة أحب وحب لم يستعمل القرآن إلا الفعل الرباعى ومصدر الثلاثى .

والوحى هنا بمعنى الموحى به . (يُوحَى) صفة مؤكدة لوحى رافعة لاحتمال التجوز ، وهو فعل مبنى للمجهول ، يحتمل أنه من وحى يحى أو من أوحى يوحى ونرجح الثانى لأن القرآن لم يذكر الفعل الثلاثى كما ذكرنا وهذا الحصر فى الآية ينفى عن الرسول صلى الله عليه وسلم كل ما نسب إليه من كهانة وشعر وسحر وغى وضلال إلخ . ويحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للأنبياء ويجاب بأن الله تعالى إذا سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد وما يستند إليه كله وحياً لانطقا عن الهوى .

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ علّم تضعيف علم بمعنى عرف ، فبعد التضعيف ينصب مفعولين وهما هنا : الرسول صلى الله عليه وسلم ، والوحى .

فإن كان الضمير هنا للرسول يكون الثانى محذوفاً ـ وإن كان للوحى يكون الأول محذوفاً .

(وشديد القوى) فاعل ؛ وهو جبريل عليه

السلام ؛ فقد بلغ من شدة قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط ورفعها إلى السماء ثم قَلَبَها ، وصاح بثمود صيحة أهلكتهم .

وكان هبوطه على الأنبياء وصعوده إلى السماء فى أسرع من ارتداد الطرف .

والإضافة هنا لفظية من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها فى المعنى ، والجملة حال أو صفة .

﴿ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴾ (ذو) بمعنى صاحب ولا يستعمل إلا مضافاً ، وأصل وضعها للتوصل إلى وصف الأشخاص بأسماء الأجناس كما لمن (الذى) وضعت للتوصل إلى وصف المعارف بالجمل

وأما قراءة ابن مسعود (وفوق كل ذى عالِمٍ عليم) فقيل العالم هنا مصدر فكأنه قال ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ .

فالقراءتان فى المعنى سواء وقيل (ذى) زائدة .

ولايضاف (ذو) أيضاً إلى ضمير الأشخاص ؛ ولهذا لَحَّنُوا قول بعضهم : صلى الله على محمد وذويه(٧)

واختلفوا فى إضافتها إلى ضمير الأجناس فمنعه الأكثرون وأجازه بعضهم ، لأن ضمير الجنس كالجنس فى المعنى(٨) .

وعن ابن بَرِّى أنها تضاف إلى مايضاف إليه (صَاحب) لأنها رديفته ، وأنه لايمتنع إضافتها للضمير إلا إذا كانت وصلة (أى للوصف بأسماء الأجناس(٩)) وإلا فلا يمتنع .

وقال السهيلى إضافة (ذو) أشرف من إضافة (صاحب) لأن قولك (ذو) يضاف إلى التابع و (صاحب) يضاف إلى المتبوع تقول : أبو هريرة صاحب النبى ولا تقول النبى صاحب أبى هريرة ـ وأما (ذو) فإنك تقول فيها : ذو المال وذو العرش فتجد الاسم الأول متبوعاً غير تابع ، ولذلك سميت أقيال حمير بالأذواء نحو قولهم : ذو جدن ذو يزن ، وفى الإسلام أيضاً قالوا : ذو الشهادتين ، ذو اليدين .

وبنى على هذا الفرق أنه سبحانه قال فى سورة الأنبياء (وَذَا النُّونِ) فأضافه إلى (النون) وهو الحوت ، وقال فى سورة القلم ﴿ وَلَاتَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾ قال : والمعنى

---

(٧) وذويه : جمع (ذو) وهنا أضيف إلى ضمير الأشخاص . ومن الشاذ قولهم : إنما يعرف الفضل من الناس ذَوُوهُ .
(٨) المجيزون أعْطَوْا ضمير الجنس حكم الجنس ، و« ذو » الأصل فيها أن تضاف إلى الأجناس .
(٩) لأن اسم الجنس جامد فلا يقع صفة لاتقول : رجل عقل ـ مثلاً فتقول : رجل ذو عقل .

واحد ، ولكن بين اللفظين تفاوتا كبيرا فى حسن الإشارة إلى الحالتين فإنه ذكر فى موضع الثناء عليه ذا النون ولم يقل صاحب النون ، لأن الإضافة بذى أشرف من (صاحب) ولفظ (النون) أشرف من (الحوت) لوجود هذا الاسم فى حروف الهجاء وفى أوائل السور وليس فى اللفظ ما يشرفه .

ومعنى (ذُومِرَّةٍ) ذو حصافة فى عقله ورأيه ومتانة فى دينه ، وهو كناية عن ظهور آثاره البديعة وأفعاله العجيبة .

(فَاسْتَوَى) عطف على (عَلَّمَهُ) بطريق التفسير فإنه إلى قوله تعالى (فأوحى إلى عبده ما أوحى) بيان لكيفية التعليم .

أى فاستقام على صورته الملكية دون الصورة التى كان يتمثل بها كلما هبط الوحى ـ وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن يراه فى صورته التى جبل عليها ـ فطلع له جبريل من المشرق فسد الأرض من المغرب وملأ الأفق فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشياً عليهِ فنزل جبريل فى صورة آدمية وضمه إلى نفسه فأفاق وسكن روعه ـ وكان ذلك فى مبدأ الوحى والرسول بِحِراء ـ وقيل : ما رأى أحد جبريل على صورته الحقيقية غير الرسول عليه الصلاة والسلام فإنه رآه مرتين : مرة فى الأرض ومرة فى السماء .

﴿ وَهُوَ بِالْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ بالجهة العليا من السماء فسد الأفق شرقاً وغرباً والجملة حال من الضمير فى استوى .

(ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ) أى قرب جبريل عليه السلام من النبى صلى الله عليه وسلم فزاد فى القرب حتى كان أقرب شىء إليه .

وقيل : دنا أى أراد الدنو فتدلى أى استرسل من الأفق الأعلى مع تعلق به فدنا من النبى .

وقيل : فى الآية تقديم وتأخير تقديره ثم تدلى من الأفق الأعلى فدنا من النبى صلى الله عليه وسلم .

﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ القاب والقيب والقاد والقيد ـ بكسر القاف قبل الياء : المقدار .

والقوس : آلة لرمى السهام وتختلف أشكاله .

وقد جاء التقدير عن العرب بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والشبر والفِتْر(١٠)

(١٠) بكسر الفاء وهو ما بين طرف الإبهام والمشيرة .

وبالإصبع . وربما سموا الذراع قوساً .

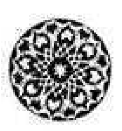
والمعنى على هذا فكان مقدار مسافة قرب جبريل مثل قاب قوسين عربيتين ، ثم حذفت هذه المضافات وأسند الفعل إلى جبريل وجعل الخبر قاب قوسين أى أن المسافة بينهما مقدار قوسين أو أقرب .

وقيل القاب ما بين وتر القوس ومقبضها .

وكان العرب فى الجاهلية إذا تحالفوا يخرجون قوسين ويلصقون إحداهما بالأخرى فيكون ذلك رمزاً إلى اتحادهما فكان جبريل ملتصقاً بالنبى صلى الله عليه وسلم

وهذا المعنى أليق برواية ضمه إلى نفسه ـ والقوس يذكر ويؤنث ويجمع على قِسِيّ وأقواس وقياس ـ وأتى بـ (أو) هنا على لغة المخاطبين ، لأنهم يقولون ـ مثلاً : هذا قدر رُمْحَيْنِ أو أنقص ، وقيل : إن (أو) بمعنى (بل) .

يتبع





كلمة شيخ الأزهر
إلى
مؤتمر رابطة الجامعات الإسلامية
المنعقد في جامعة الأزهر
٢٠ من شعبان ١٤٠٧هـ ١٨ من أبريل ١٩٨٧م

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله..

وبعــد ...

فإن الله سبحانه قال في القرآن الكريم :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَىَ اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

هذا ما ينبغي أن يكون هدفاً لهذا المؤتمر، إعداد الداعي إلى الله الذي يحسن القول، يطبّ لكل داء، ويواجه كل علة بالمنطق الرشيد والأسلوب السديد، يعيش عصره، فاحصاً قضاياه، معداً حجته التي يستمدها من كتاب الله : القرآن وسنة رسول الله، فهما السند ومنهما المدد، عليهما اجتمعت الأمة، فاقامت الدولةَ على العدل والإحسان، وتعاونِ على البر والتقوى، وتجنُّبِ الإثم والعدوان.

هـذه العقائـد والمذاهب الإجتماعية والإقتصادية والسياسية التي توالت على الإنسانية منذ خلقها الله لم يكن لها قرارٌ لأنها من صنع الإنسان، أما الإسلام فهو تنزيل من حكيم حميد، لا يختلف ولا يتخلف، ولا يعتريه التلف، لأنه ليس من فكر الإنسان، وإنما هو ذكر الرحمن :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون ﴾ ..

هذا الذكر لابد أن تحمله فئةٌ واعيةٌ بمهامها، قادرةٌ على أداء هذه الأمانة التي أناطها الله بها في قوله الكريم :

﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَةً فَلَوْلَا نَفَر مَنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَهُوا فِي الدِّيْنِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهم إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِم لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُون ﴾ ..

هذا الحفل الكريم الحافل بالعلماء، تنتظر منه الأمة الإسلامية على اختلاف مواقعها أن يوثِّق الأواصرَ بين شعوبها بالعلم النافع والفهم الثاقب لما هو واقع في المحيط الإنساني، من تسابق وتدافع بين الحق والباطل، فإذا تفرّق أهل الحق وانفرط عقدُهم، أجلب عليهم الباطلُ بخيله ورجله، فأجلاهم عن مواقعهم، وربما طمس معالمهم، أما إذا اعتزوا بالحق الذي يحرسون، وكانوا

بموازينه قائمين ، يظاهرونه ثقة به لأنه رسالةُ الله إلى الناس ، وأنهم أهل التقوى وأهل المغفرة ، كان النصر لهم ، إذ الحق أحق أن يتبع وذلك وعد الله الذى لا يتخلف :

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾ . .

* * *

ها أنتم أولاء قد التقيتم على أرض مصر ، وفى رحاب الأزهر الشريف ، الذى يرحب بكم : إخوةً فى العلم وسدنةً للفكر ، حملةً لعقيدة الإسلام وشريعته ، تتشاورون فى مناهج العلم والتعليم للجامعات الإسلامية ، التى تحمل عبء إعداد العلماء الذين ينشرون علوم العقيدة والشريعة .

ولا شك أن هذه مهمة لها ما بعدها من آثار طيبة ، من أبرزها التمهيدُ لتنقيةِ الفكر والفقه الإسلامي مما ران عليه من غبار حجب حقائقَه عن عقول أجيال العلماء المسلمين المتعاقبة فى الفترة التى امتحنت فيها الأمة الإسلامية بالتفرق والتمزق السياسي ، وبالتفيط فى مناهج التعليم .

هذه الفترة التى اقيمت فيها الحدود والسدود بين الشعوب الإسلامية فتفاوتت فيما بينها المعارف ، وتوقف التواصل العلمى الذى تنمو به الدراسات وترقى عليه أساليبُ الحوار .

فى هذه الحقبة احتجبت كل مدرسة إسلامية فى بيئتها وانغلقت على ما بين أيديها من تراث علمى ، قد يكون فى حاجة إلى التنقيح مواجهةً لحديث الواقعات ، وحكماً على الجديد من النازلات ، أما والأزهر الشريف منذ كان وما يزال فاتحاً أبوابه ، مانحاً رحابَه للعلم وطلابه وعلماءه يتوافدون عليه يتعلمون وَيُعَلِّمُون ، متجاوزاً تلك الصعاب ، وفياً بالعهد حارساً لعلوم المسلمين التى حملها علماءه الذين انحازوا إليه فى تلك الفترة .

أما والأزهر على العهد به ، فإنه يطلب إلى هذا الجمع الكريم من العلماء : أن يخططوا لجامعاتهم الإسلامية ، وأن يؤصّلوا المناهج التى يتواصل بها حملةُ المشاعل لأجيال المسلمين ، فتقدم الدعاة الذين استوعبوا علوم أسلافهم ، واستخلصوا منها ما يواجهون به المذاهب المعاصرة فى السياسة والاجتماع والاقتصاد . هذه المذاهب ذات البريق الذى خطف الأبصار والتى بدأت تشغل ساحةً عريضة من المثقفين المسلمين ، تضلهم فى عقيدتهم وشريعتهم ، وتمنيهم الأمانى ، وتذهب بهم بعيداً عن أصول الإسلام .

هذه المذاهب والأفكار ـ لابد وأن تدرس وتمحص فى نطاق المصادر الإسلامية : (ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حى عن بينة) .

إن الجامعات الإسلامية هى مصانع الرجال الذين وهبوا حياتهم لنشر الإسلام ، ومن الواجب أن تؤهلَهم بالعلوم التى تعينهم على الأداء المتميز الجاد .

البقيـة ص ١٢٤٥



سُلوكُ الصَّائم
فى ضوء الكتاب والسنة

من محاسن التشريع الإسلامى القويم ، أن الله تبارك وتعالى حين شرع الصيام ، وجعله فرضا من فرائض الإسلام وركنا من أركانه ، لم يشأ وهو الحكيم الخبير ، أن يكون الامتثال لما أراده منه ، مقتصرا على مجرد كف النفس عن شهوتى البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، بل جعله مع كل ما تضمنه تشريعه من هدى وخير ، وسيلة إلى تهذيب السلوك ، وأداة لارتقاء الخلق ، وإذا كان السلوك المستقيم ، والخلق الكريم ، من علامات تقوى الله فى الجهر والخفاء ، ومن دلائل خشيته فى السر والعلن ، فإن التقوى هى ثمرة الصيام ، والصيام من وسائل تحصيلها وأدوات تحقيقها ، يدل على ذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ، حيث بين الحق سبحانه ، انه قد كتب الصيام علينا ، لنكون به أهلا لتقواه ، واجتناب محارمه ، والبعد عن مواطن معصيته ، وما ذلك إلا لأن فى الصوم تزكية للبدن ، وارتقاء بالنفس ، وتضييقا لمسالك الشيطان ، وفيه رادع للصائم من مواقعة السوء .

ولما كانت التقوى هى الثمرة المرجوة من الصيام ، والغاية المنتظرة منه ، فليس مما يتواءم معها ، أن يجيىء مسلك الصائم على غير ما تقتضيه من امتثال كامل لأحكام الله ، وخضوع تام لأوامره ، وذلك لن يتحقق إلا من خلال قدرة الصائم على نفسه ، وسيطرته على جوارحه ، وتحكمه فى مشاعره ، فلا ينفلت فى خطاب ، ولا يتهور فى تصرف ، ولا يتورط فى سوء ، وقد جاء فى حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ : « إن الصوم جنة[1] » أى ستر ووقاية من النار ، لأنه يضبط جوارح الإنسان على منهاج الله ، ويوطن مسلكه على طاعته ، فهو عاصم من انحراف السلوك ، ومانع من تردى الخلق .

مواطن سلوك الصائم :

والمواطن التى يمكن أن تكون محلاً لسلوك الصائم كثيرة ، حيث تتعدد بتعدد أفعال المكلف فى كل أمر من أمور الدين والدنيا ،

(١) رياض الصالحين ـ للنووى ـ ص ٤٥٩ .





والواجب على الإنسان أن يضع نفسه فى الموضع الذى يريده الله سبحانه وتعالى . فمعنى التقوى لا يتجزأ ، ومثل من يمتثل أمراً شرعياً ، ويهمل أمرا شرعيا آخر كمثل من يبنى ثم يهدم ما بناه ، حيث تأكل المعصية فى الأعمال أجر الحسنات فى الأعمال ، ومن ثم يصير رصيده فى مجال الخير صفرا ، ولهذا سماه النبى ﷺ مفلسا فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه . أن رسول الله ﷺ قال : « أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع ، فقال : إن المفلس من أمتى ، من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار » (٢) .

ولهذا فقد أمر الله بالتقوى على قدر استطاعة الإنسان وحسب طاقته ، قال تعالى : ﴿ فَاتَّقُواْ اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْراً لأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ كما ربط بينها وبين امتثال الإنسان لكلام ربه وطاعته لأوامره ، ومقاومته شح نفسه ، ومجال الطاعة شامل لكل أمر شرعى ، وهو أعم من صيام رمضان كما ينبغى ، والقيام بواجب الطاعة فيه لله كما يجب فلا يأتى بتصرف يبطل صومه ، أو يفسده ، فضلاً عن إحسان الصيام وقيام الليل تطلعا لما كان يفعله النبى ﷺ واقتداء به .

وهذا المعنى من تقوى الله ، يشير إليه قول الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ، وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ قال ابن عباس : إن معنى حق تقاته : أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يُشْكر فلا يُكْفر .

وقال أيضاً : إن هذه الآية لم تنسخ بآية سورة التغابن التى سبقت الإشارة إليها ، ومعناها : أن يجاهدوا فى سبيله حق جهاده ولا تأخذهم فى الله لومة لائم ، ويقوموا بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم ، وذلك لا يتنافى مع وجوب تقوى الله قدر استطاعة الإنسان ، حيث إن الله لا يكلف عبده بما لا يستطيع أن يقوم به وبما لا يقدر على إتيانه ، لأن رحمته بخلقه أعظم من أن يكلفهم بمالا يطيقون ، وهو القائل : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ .

←

(٢) رواه مسلم فى صحيحه ـ رياض الصالحين للنووى ـ ص ١٢٠ ـ باب تحريم الظلم والأمر برد المظالم .

تفريد محل الدراسة :

ولا شك أننا لا نهدف من خلال هذا البحث إلى تناول كل تلك المجالات بالدراسة لأنها « أى هذه المجالات » أكبر من أن يتسع لها ، أو حتى لمجرد الإشارة الموجزة إليها بحث كهذا ، ولكننا نقصد إلى إبراز عدد من السلوكيات التى لها صلة بالصوم : إما لكونها أيسر وقوعا فيه ولا تتفق معه ، وإما لأن الإمساك وحرمان النفس من متطلباتها وشهواتها ، قد يسببان للصائم ضيقاً أو نزوعاً يدفعه إلى ارتكابها ، وإما لأنها تتصل بالصوم من ناحية إصلاحه للنفس ، وعلاجه لجانب الشح فيها ، وغرسه لصفات البذل والكرم بين سجاياها .

وهذه الجوانب وتلك السلوكيات قد حظيت بالتوصيف الكافى والبيان الشافى من سنة النبىّ ﷺ ، وهى على ضوء هذا البيان ، يمكن تأصيلها ، وإرجاعها إلى ثلاثة أمور :

أولها : يتعلق بالصيام وآفات اللسان .

وثانيها : يتعلق بالصيام والإسراف فى الطعام والشراب .

وثالثها : يتعلق بالصيام وإهمال العمل، ونود بيان تلك الأمور على النحو الآتى :

أولاً : الصيام وآفات اللسان :

من أخطر السلوكيات التى يمكن أن ينزلق إليها الصائم ، تلك التى يقترفها بلسانه وتنطوى على مخالفة لأوامر الله ، أو تتضمن مساسا بحق أو شرف أو عرض ، وقد وهب الله الإنسان نعما كثيرة لا تحصى ولا تعد ، ومن أهمها ذلك العضو من أعضاء جسم الإنسان ، حيث جعله الله أداة للتخاطب ووسيلة للتفاهم والارتقاء والتقدم والمعايشة ، وبه يتميز الإنسان عن الحيوان الأعجم ، وقد مَنَّ الله على عباده بهذه النعمة فى قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ، وإذا كان البيان نعمة ، فإن أداة تحصيل تلك النعمة ، هى اللسان .

والإنسان بلسانه يعبد الله فى جل أمور التكليف ، وفى الأغلب من أمور الدين والدنيا ، فبه يذكر الإنسان ربه وينطق بالشهادة ، ويقرأ القرآن ، ويدرس العلم ، ويشهد على الحقوق ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، إلى غير ذلك من مجالات العبادة باللسان وهى أكثر من أن يحصرها عد .

يقول الإمام ابن حجر العسقلانى :

« واعلم أن فضول الكلام لا تنحصر ، بل المهم محصور فى كتاب الله تعالى حيث قال : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ ،

وآفته لا تنحصر ، فعد منها الخوض فى الباطل . وهو الحكاية للمعاصى من مخالطة النساء ، ومجالس الخمر ومواقف الفساق وتنعم الأغنياء ، وكل ما لايحل الخوض فيه ، ومنها الغيبة والنميمة . وكفى بهما هلاكا فى الدين ، ومنها المراء والمجادلة والمزاح ومنها الخصومة والسب والفحش وبذاءة اللسان

والسخرية والكذب ، وقد ذكر الإمام الغزالى فى الإحياء عشرين آفة . وذكر فى كل منها كلاما بسيطاً حسناً ، وذكر علاج هذه الآفات .[٣]

وإذا كان اللسان أداة خير فى كل ما سبق ، فإنه قد ينقلب إلى أداة شقاق وظلم ومعصية لله ، وبعد عن طريقه ، فى مواطن أخرى ، حين لا يأتى عمل اللسان من منطلق الإيمان بالله سبحانه تعالى ، ومن ثم يصدق عليه القول المشهور : إنه سلاح ذو حدين ، يمكن أن يكون مدخلا إلى الإيمان والطاعة ، أو منزلقا إلى الفسق والمعصية ، وهو فى الحالة الأخيرة ، أعظم خطرا وأكثر بلاء ، ولسهولة اقتراف المخالفات به ، كما أن آفاته قد تمثل عند البعض هواية يقتل بها وقته ، أو يسلى بها صيامه ، أو يشبع بها نقصه ، ومن ثم كان التردى فى شرك مخالفاته أيسر ، والوقوع فى براثن آفاته أسرع . وكان خداعا مغريا لارتكاب الجرائم لذلك .

الإسلام يضبط حركة اللسان :

ولعل ذلك بعض من وجوه الحكمة التى تبرز اهتمام الشارع به ، وحكمه لكل ما يصدر عنه من قول أو تلفظ ، قال تعالى :

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ .

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت »[٤] .

وعنه ﷺ أنه قال : « إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقى لها بالا ، يرفعه الله بها درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالا ، يهوى بها فى جهنم » [٥] .

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله : ما النجاة ، قال : أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وَابْكِ على خطيئتك[٦] .

وهكذا حكم الإسلام تصرف اللسان ، وضبط نطقه ، حتى يستشعر المسلم خطورة المسئولية عنه . وإذا كان تقدير تلك المسئولية فى الظروف العادية أمرا واجبا ، فإن مراعاة حدودها فى الصوم ينبغى أن تكون أشد وجوبا وأكثر تقديرا ، وذلك من باب أولى .

آفات تنال من أجر الصائم :

والصوم ليس مجرد امتناع عن الطعام والشراب ولكنه وسيلة لتحقيق خير أشمل وسعادة أكبر ، ولهذا كان معناه شاملا لصوم

←

---

(٣) شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام . للحافظ بن حجر - على سبل الإسلام للصنعانى - جـ ٤ ص ١٨١ - الطبعة الرابعة .

(٤) تنبيه الغافلين - للسمرقندى - ص ٧٥ - الطبعة الثالثة .

(٥) رواه البخارى فى صحيحه - راجع : رياض الصالحين للنووى - ص ٥٤٩ .

(٦) المرجع السابق - ص ٥٥٠ .

سلوك الصائم

الجوارح ، ومنها اللسان عن معصية الله سبحانه ، وقد ذكرت السنة النبوية الشريفة مجموعة من الآفات التى لا تتواءم مع الصوم ولا تتفق مع سلوك الصائم ، ووقوعها منه أثناء صومه يجرد عبادته من معناها المراد ، ويجعلها مجرد كف عن طعام وشراب ، وهى تأتى على أجر الصائم فلا يثاب على صومه ، بمعنى أن ثواب الصيام لا يقوم فى الموازنة بإثمها .

يقول ابن المنير فى حاشيته على البخارى : قد تكون هذه الآفات سببا فى عدم قبول الصيام .[7] ، وهذه الآفات جاء النص عليها فى عدة أحاديث نبوية رواها أبو هريرة عنه ﷺ ، منها :

« إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب ، ولا يجهل ، وإن شاتمه أحد ، أو قاتله ، فليقل إنى امرؤ صائم »[8] .

ومنها : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه »[9] . وقد استنبط الفقهاء من هذين الحديثين وغيرهما أن درجة الصوم فى المنزلة والثواب ، متفاوتة ، وهى كما ذهب الإمام الغزالى على ثلاثة أقسام ، صوم العموم وصوم الخصوص ، وصوم خصوص الخصوص ، فأما صوم العموم فهو الكف عن الشهوات الجسمية ، وأما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام ، وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله بالكلية ، ثم يقول : فلينظر كل امرىء ما يختار لنفسه من المنزلة[10] .

وهذه الآفات هى :

١ ـ الرفث والصخب والجهالة :

أما الرفث : بفتح الراء والفاء : فالمراد به هو فحش الكلام . وبذاءة التلفظ ، يكون ذلك حين يكون المستهدف من الكلام هو خدش الحياء العام ، والمساس بمواطن العفة فى وجدان الناس وإحساسهم ، وذلك واضح فى الكلام عن مقدمات العلاقة بين الرجل والمرأة ، وإفشاء سرها بين الناس ، ولهذا فإن الرفث قد يطلق على الجماع[11] ، والنهى وارد فى الحديث عن التلفظ بهذا الكلام مطلقا سواء كان لرجل أم امرأة ، وحكمة النهى واضحة هى الترفع عن كل عمل يؤدى إلى الرذيلة سدا لذريعتها ، وقطعا لدابرها .

وأما الصخب : فهو تلك الضجة التى لا تصدر إلا من سفيه أحمق ، لا يتورع عن اللجاج ولا يترفع عن الاضطراب والخصام ،

---

(٧) نيل الأوطار للشوكانى ـ جـ ٤ ـ ص ٢٣٤ .
(٨) متفق عليه ـ راجع : نيل الأوطار ـ جـ ٤ ـ ص ٢٣٢ .
(٩) المرجع السابق ـ جـ ٤ ـ ص ٢٣٣ .
(١٠) مشار إليه فى : رمضان خير وبركة ـ لفضيلة المرحوم الشيخ محمد البناص ٤٣ ، ٤٤ ـ هدية مجلة الأزهر فى رمضان سنة ١٤٠٦ هـ .
(١١) نيل الأوطار للشوكانى ـ جـ ٤ ـ ص ٢٣٢ .

وهو مثل سيء لمن لا يألف الناس ولا يألفونه ، لسلاطة لسانه ، وبذاءة تصرفاته[12] .

وأما الجهالة : فهى فعل ما يقترفه الجهال ممن لا يقدرون مغبة تصرفاتهم ، ولا يتدبرون مرامى ألفاظهم ، فيطلقونها عارمة طياشة حمقاء ، ولا تبقى على ود ، ولا تخشى على حق ، وهو الصياح والسفه[13] .

ويظهر من خلال هذه الأقسام الثلاثة ، أن مواطن النهى قد عمتها لتشمل حماية الحق العام من خدش حيائه والمساس بمواطن العفة فيه ، وحماية الحق الخاص من التعدى عليه بالبذاءة والسفه وسقطات اللسان ، وليس المراد من الكف عنها مع الصوم ، أنها مباحة فى غيره ، بل المراد أن المنع منها يتأكد بالصوم لأنها لا تتفق معه .

٢ ـ قول الزور والعمل به :

من الأمور التى أمر النبى ﷺ بتركها فى الصوم وغيره ، قول الزور والعمل به ، تلك الجريمة النكراء التى وردت ضمن مصاف الكبائر فى حديث النبى ﷺ الذى رواه أبو بكر نقيع بن الحارث عنه أنه قال :

« ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا : بلى يارسول الله . قال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئا فجلس فقال : ألا وقول الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت »[14]

وقد نهى الله عنه نهيا مؤكداً حين قرنه بالأمر باجتناب الرجس من الأوثان ، فى قوله تعالى :

﴿ فَاجْتَنِبُواْ الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُواْ قَوْلَ الزُّورِ ﴾ .

وإذا كان قول الزور محرما فى غير الصوم فإن حرمته فى الصوم تكون أبلغ ، ووجوب البعد عنه يكون أوثق .

والمراد بقول الزور فى الحديث : الكذب[15] ، وقد جاء تحريمه فيه ليكون سدا لذريعة شرور كثيرة ، ومضار جسيمة ، المدخل إليها هو الكذب ، الذى هو عدم مطابقة كلام المتلفظ للحق والواقع ، ولا يخفى ما يمكن أن يوصل إليه الكذب فقد يترتب عليه ضياع حقوق ، وخراب بيوت وإزهاق أنفس ، والكذب هو المدخل العام لكل أنواع الجرائم ، ومن ثم شمل قول الزور : الكذب فى الكلام ، وشهادة الزور ، وكل قول لا يتفق مع الحق والواقع إذا قصد من ورائه ظلم الناس وضياع حقوقهم .

٣ ـ الغيبة والنميمة :

ومن أخطر جرائم اللسان التى تلحق بتلك الجرائم التى وردت فى حديثى أبى هريرة

←

(١٢) المرجع والمكان السابقين .
(١٣) المرجع والمكان السابقين .
(١٤) رياض الصالحين للنووى ـ ص ٥٦٧ .
(١٥) نيل الأوطار للشوكانى ـ جـ ٤ ـ ص ٢٣٤ ، وسبل السلام للصنعانى ـ جـ ٢ ص ١٥٦ .

رضى الله عنه جريمتا : الغيبة والنميمة ، وقد ورد النهى القاطع بحرمة الغيبة فى قول الله تعالى :

﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ حيث حرم الغيبة ، وشبه مقترفها بمن يستسيغ اكل لحم الميتة ، وهى لا يقبلها الطبع السليم والحس الصادق ، فضلا عن كون اللحم المشبه به لحم إنسان لا يؤكل أصلا لا حيا ولا ميتا . وفى ذلك ابلغ دلالة على التحريم .

والغيبة : كما أشار إلى حقيقتها النبى ﷺ فى حديثه الذى رواه أبو هريرة قال :

« أتدرون ما الغيبة ـ بكسر الغين ؟ ، قالوا الله ورسوله أعلم ، قال : ذكرك أخاك بما يكره ، فإن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فقد بهته[١٦] » .

وهى تتحقق بأن يذكر الإنسان فى غيبته بسوء وإن كان فيه . فهى شاملة لذكر المرء بما يكره سواء كان فى بدن الشخص أو دينه أو دنياه أو نفسه أو خلقه ، أو ماله أو ولده أو زوجه أو خادمه أو حركته أو طلاقته أو عبوسته أو غير ذلك مما يتعلق به ذكر سوء ، سواء كان باللفظ أم بالرمز أم بالإشارة أم بالتعريض[١٧] .

إلا فى المواطن التى رخص فيها الشارع ، وقد جمعها ابن أبى شريف فى ستة مواضع للترخيص بالغيبة أوردها فى نظمه .

والذم ليس بغيبة فى ستة
متظلم ومعرِّف ومحذر
ولمظهرٍ فسقاً ومستفتٍ ومن
طلب الإعانة فى إزالة منكر[١٨]

أما النميمة : فهى نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض للإفساد بينهم ، وقد ثبتت حرمتها بالكتاب والسنة .

أما الكتاب فقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ .

وأما السنة النبوية فمنها ما روى عن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة نمام »[١٩] .

٤ ـ مقابلة الشتم بالشتم :

وهى من الأمور التى نهى عنها النبى ﷺ ، إرشاداً للصائم إلى مقتضى الخلق القويم والأدب الرفيع ، وتخلقا بأخلاق الصالحين الذين لا يردون على الإساءة بمثلها ، وإذا كان الصائم مأمورا بعدم الرد على ما يوجه

(١٦) أخرجه الإمام مسلم ـ راجع : سبل السلام للصنعانى ـ جـ ٤ ص ١٩٢ .
(١٧) المرجع السابق ـ ص ١٩٣ . وراجع رسالة الغيبة لشيخ الإسلام ابن تيمية . تحقيق محمود إمام منصور ـ ص ١٦ ومابعدها ـ مكتبة الصحابة بطنطا .
(١٨) راجع فى تفصيل هذه المواضع الستة ـ رسالة رفع الريبة عما يجوز من الغيبة ـ للإمام الشوكانى مطبوعة مع رسالة ابن تيمية المشار إليها ـ ص ٣٥ وما بعدها .
(١٩) سبل السلام للصنعانى ـ جـ ٤ ـ ص ١٩٨ .

إليه من إساءة ، فلأن يكون الأمر بعدم البدء بالإساءة أرجح من باب أولى ، وهذا الحث النبوى فيه تهذيب للنفس يتفق مع فريضة الصوم ، وارتقاء للطبع ، والتخلق بصفة كظم الغيظ ، وفيه نوع من المجاهدة لا يقدر عليه إلا من قواه الله بالإيمان ، وحصنه بالصوم ، فإذا سابه أحد أو شاتمه ، فلا يرد على تلك الإساءة بل يعلن أمامه أنه صائم ليكون فى هذا البيان ما يكشف عن خلقه ، ويدل على مزيته[٢٠] ، وتلك المنزلة فى الصوم هى التى تدل على قوة الإيمان حيث يجيىء الاختبار بالصوم فى موضعه والكثيرون لا يتدبرون حكمة هذا الاختبار ، فيترددون فى شجار وعراك باسم الصيام ، وما هذا من أخلاقيات الصيام .

ثانياً : الإسراف فى الطعام :

ومن السلوكيات المؤثمة تلك التى يقترفها الناس ، وارتكابها أكثر ما يكون فى رمضان حتى أن الإمساك فى وقت الصوم يكاد ينقلب إلى إفراط فى وقت الفطر ، فيوقع ذلك السلوك الناس فى حرج شديد مع ربهم ، حيث أمرنا الله بعدم الاسراف فى قوله : ﴿ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ ، ونهى عن التبذير ، ووصف المبذرين بأنهم إخوان الشياطين فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ، إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً ﴾ فإسراف الناس فى الطعام والشراب فى رمضان يعد مخالفة لتلك النصوص الواضحة ، فضلاً عما يجر ذلك على الإنسان من متاعب صحية متعددة يولدها الإسراف فى الطعام والشراب كما أثبت العلم أن الصوم بما يستلزمه من عدم الإسراف أصبح علاجا لكثير من أمراض العصر كاضطرابات الأمعاء وزيادة الوزن الناشئة عن كثرة الغذاء وقلة الحركة وزيادة الضغط الذاتى والبول السكرى ، والتهاب الكلى المزمن المصحوب بارتشاح وتورم ، وأمراض القلب المصحوبة بتورم ، والتهابات المفاصل المزمنة وغيرها[٢١] .

وقد أشار النبى ﷺ إلى ذلك فى حديثه عن المقداد بن معد يكرب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه وثلث لنفسه » والأكلات هى اللقم[٢٢] .

وهـذا المسلك الخـاطىء من بعض الصائمين ، لا يتفق مع سنة النبى ﷺ فى صيامه وفطوره فعن أنس رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يفطر قبل أن يصلى على رطبات ، فإن لم يكن رطبات فتميرات ، فإن لم تكن تميرات حسا حسوات من ماء » رواه أبو داود والترمزى[٢٣] .

(٢٠) نيل الأوطار للشوكانى ـ جـ ٤ ص ٢٢٣ .

(٢١) راجع فى تفصيل ذلك : صوم رمضان ـ للمرحوم الأستاذ عبد الرازق نوفل ـ ص ٢٣ وما بعدها ـ دار الشروق .

(٢٢) رواه الترمذى ـ راجع رياض الصالحين للنووى ـ ص ٢٢٣ ـ وسبل السلام جـ ٤ ص ١٧٨ .

(٢٣) رياض الصالحين ص ٤٦٥ .

سلوك الصائم

الصيام وكرم النفس :

والنهى عن الإسراف فى الطعام والشراب فى رمضان لا يتنافى مع ما يجب أن يكون عليه الصائم من كرم طبع ، وسماحة نفس ، فالصوم فرصة لإحياء هذه المعانى اقتداء بسنة النبى ﷺ ، فعن ابن عباس رضى الله عنه قال :

كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه جبريل فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله ﷺ ، حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة[٢٤] .

وقد ورد فى السنة ما يدل على فضل من فطر صائما ، فعن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : من فطر صائما كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شىء .[٢٥]

وعن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ جاء إلى سعد بن عبادة رضى الله عنه . فجاء بخبز وزيت فأكل ثم قال النبى ﷺ : « أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة » [٢٦] ، فالنهى عن الإفراط فى الطعام والشراب ، والإسراف المعهود فيهما مع الصيام ، لا ينبغى أن يحول بين الانسان وكرم النفس ، بله لا يتنافى معه ، كما أن تهذيب النفس فى تناول الطعام وتقديمه للصائمين فى الإفطار ، بل وبذل المال فى الصدقات ، وإخراج صدقة الفطر ، كل ذلك من المقاصد التى يهدف إلى تحقيقها الصيام .

ثالثاً : الصيام وإهمال العمل :

ومن السلوكيات السيئة التى يجب أن ينأى عنها الصائم ، أن يتخذ من الصوم وسيلة لإهمال العمل وتركه أو تأجيله لما بعد الفطر بحجة أنه صائم .

وذلك فيما رواه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : ما من عبد يصوم يوما فى سبيل الله الا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا[٢٧] .

وقد أثر عن النبى ﷺ أنه قد غزا أكثر غزاته فى رمضان وهو صائم ، كغزوة بدر الكبرى ، وفتح مكة ، وهكذا فلم يؤثر عنه ﷺ ، أنه قد عاقه الصوم عن عمل أو دفع به إلى تقاعد عن أداء واجب ، ولا شك أن مقدار الامتثال فى أداء الواجب يختلف بحسب المصلحة المترتبة على العمل وما إذا كانت راجحة أو مرجوحة ، وفى جميع الأحوال فإنه لا ينبغى أن يكون الصيام عائقا عن عمل أو ذريعة للكسل حتى لا يبنى الإنسان فى جانب ، ثم يهدم ما بناه بإهماله وتقصيره فى جوانب أخرى خاصة ما يتعلق منها بمصالح الناس لدى الموظف العام ، وهى أمانة ، وأداء الأمانة واجب فى غير الصيام ، وهو فى الصيام يكون أشد وجوبا وأكثر امتثالاً .

(٢٤) رياض الصالحين ـ للنووى ـ ص ٤٦١ .
(٢٥) رياض الصالحين ـ للنووى ـ ص ٤٧١ .
(٢٦) نفس المرجع ـ ص ٤٧٢ .
(٢٧) المرجع السابق ـ ص ٤٦٠ .



وسهيل بن عمرو فى فتح مكة

أ.د. رءوف شلبى

فى العصر الحاضر يردد كثير من الشباب الإسلامى صيحات : القرآن منهج حياة وقد يصاحب هذه الصيحات لغط وضجيج وصخب مفزع ولا شك أن الحماس للإسلام فى وجه المفاسد المعاصرة أمر مطلوب ومرغوب ، لكن لغة الحماس هذه لابد أن تتفق مع فضائل الإسلام فإن الله تعالى : « لَّا يُحِبُّ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ » وقد كره لنا سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كثرة السؤال وقيل وقال ، ونبهنا ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الفضائل فى التحدث فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » على نحو ما رواه الإمام البخارى .

وشىء آخر مأخوذ على الحماس الملتهب أنه يؤدى إلى سلوك يتنافى مع إعلانية القرآن منهج حياة . فالمنهج صالح للتطبيق كلما انتكس المجتمع تماما كتذكرة الطبيب تصلح للعلاج المخصص لمرض معين إذا عاود المرض المعين المريض وإلا كان التشخيص خطأ أو كان الدواء غير صالح . فالمنهجية من خصائصها فى أى فن هى الصلاحية عند التكرار ، كذلك من خصائص المنهج الإسلامى أنه يربى ويحيل الخصوم إلى أصدقاء لأنه جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور ليس هكذا بالطفرة بل بالمحايلة والإقناع ، ودفع الشبهات ، وإقامة الحجة ليحيا من حى عن بينة ، وليهلك من هلك عن بينة .لكن الشباب المعاصر إذ يعلن أن القرآن

منهج حياة يفسد على نفسه ثواب هذا التحمس بما يتدخل فيه بعواطفه الخاصة ، أو مصلحته المعينة ، أو شدة حماسه الفائق فيفسد باسم الإسلام صلاحية المنهج لإعادة صياغة الحياة من جديد بعد فسادها على المنهج الإسلامى .

ولقد لمحت فى ظل شهر رمضان المعظم المبارك وهو شهر المنهج خاصية حتمية يجب أن يفهمها الشباب المسلم المتحمس المعاصر . ويجب أن يعتقدها حتى لا يضل وهو يدعى الإسلام ذلك أمر سهيل بن عمرو ، فقد عُرف سهيل بن عمرو بعداوته للإسلام عداوة شريرة رعناء . وقد استغل أدبه الرفيع ، وفصاحته فى الخطابة ، وماله الجم ، وجاهه العريض فى المهاجمة والمداهمة والتحريض والدس لكيد الإسلام ، وكانت هناك آراء متحمسة لكسر أسنانه حتى لا يقوم خطيباً ضد الإسلام أو قتله حتى يستريح الإسلام من قادة الكفر والطغيان ... وكل هذا جائز ، والدم فائر من غلواء سهيل وأفعاله . ولكن هل هذه هى غاية المنهجية الإسلامية ؟؟ فلننظر ..

يقرر التاريخ مجموعة من الوقائع ضد سهيل بن عمرو منها :

أنه فى يوم بدر كان الحاض والحاث على القتال والخروج لملاقاة المسلمين . وكان ذلك الحماس المتدفق فى مواجهة نظرية عدم الخروج لأن اللطيمة قد سلمت وقد نجا أبو سفيان بالتجارة يقول المقريزى :

« وقام سهيل بن عمرو ومعه زمعة بن الأسود وحنظلة بن أبى سفيان يحضون الناس على الخروج فقال سهيل : « يا آل غالب أتاركون أنتم محمداً والصباة من أهل يثرب يأخذون بعيراتكم وأموالكم ؟ » .

ثم عرض عليهم التمويل والمدد فقال : « من أراد مالاً فهذا مال ، ومن أراد قوة فهذه قوة ، فمدحه أمية بن أبى الصلت بأبيات .... » .

بل إن سهيل بن عمرو كان على رأس الناحرين الإبل لإطعام جيش قريش الذاهب لقتال الإسلام يوم بدر يقول المقريزى :

« وخرجت قريش بالقيان والدفاف فى كل منهل وينحرون المجزر .. وكان المطعمون : أبو جهل ، وأمية بن خلف ، وسهيل بن عمرو ابن عبد شمس ، فعداوة سهيل باهظة جداً ومرهقة جداً .. لكن لما وقع فى الأسر وقد رأى بعض المسلمين رأيا أن يباد الأسرى لأنهم مجرمو حرب ومشعلو فتنة ولصوص معتدون على أموال المسلمين وأعراضهم أيام مكة بدء الدعوة .

واقترح سيدنا عمر بن الخطاب على مولانا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يكسر ثنيته فيدلع ويسقط لسانه فلا يقوم بعدها خطيباً يؤذى الإسلام ... فهل قبل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا الاقتراح أو ذاك ؟ .

هل قبل اقتراح الإعدام لمجرمى الحرب ؟ .

أو هل قبل أن ينزع ثنية سهيل بن عمرو حتى لا يؤذى الإسلام بلسانه ؟؟ .

إن المنهجية الإسلامية التى يعلّمها لنا سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تقول : « لا أمثل به فيمثل الله بى وإن كنت نبياً ولعله يقوم مقاماً لا تكرهه » ولنحتفظ بهذه النبوءة المباركة للمنهجية الإسلامية لوقت يجىء فيما بعد .

وتمضى الأيام وفتية من قريش يدخلون فى الإسلام اقتناعا مثل سيدنا خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ويهاجرون فى موكب إيمانى جليل تحفه ملائك الرضوان ويبقى سهيل بن عمرو فى مكة رأسا للكفر وعضدا للعناد وساعداً للقتال ضد الإسلام .

ويأتى يوم الحديبية : لقد خرج سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ معتمراً وساق الهدى إعلاناً لصدق النية فى العبادة وأغمدت السيوف فى قرابها إشهاداً على أن الإسلام لا يريد أن يدخل مكة عنوة ، وكانت قريش فى جهد جهيد من الفقر وقلة النفقة وضعف فى العسكرية بعد أحد ، جعلتها لا تفى بتوعدها باللقاء يوم بدر الثانية لقلة ذات اليد وقلة الكراع والسلاح والعتاد ، وكان مولانا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلم ذلك ولو كان يريدها حرباً مبيدة لاستغل هذا الضعف العام فى الاقتصاد والعسكرية وكان سهيل يعلم أنهم فى قوم ضعاف ومع هذا تعسف وتجبر وكان غاية فى التصلب حتى مع ولده أبى جندل الذى جاء يرسف فى الأغلال والسلاسل .

فقد رفض أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، ورفض أن يكتب محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واستشاط المسلمون غيظاً من فعاله وبكى المسلمون كثيراً وقالوا كلاماً نادماً « أنعطى الدنية فى ديننا ونحن على الحق وقد أعطوا البيعة على الحرب والقتال وكانت يد الله معهم وقد رضى عنهم ورضوا عنه .

فهل أثر سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ استخدام هذه القوة العسكرية للمسلمين لينهى معركة الكفر للضعف الذى أصاب قريشاً ؟ فهى فرصة عسكرية سانحة لإنهاء الخلاف ؟ .

إن المنهجية الإسلامية لينة وسهلة وترغب فى أن تحيل هؤلاء الأعداء إلى أحباب وهؤلاء الخصوم إلى أصدقاء يقول المقريزى :

فلما جاء سهيل بن عمرو قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : سهل أمرهم وهكذا تناول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ باسم سهيل لأنه يريد أن يأتى الناس إليه طائعين أفضل من أن يأتوه قتلى ونساؤهم سبايا .

ووقع ميثاق الحديبية ووقعت الهدنة وكان خيراً واسعاً على الإسلام ، يقول المقريزى :

« فأسلم فى الهدنة أكثر ممن كان أسلم من يوم دعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى يوم الحديبية وما كان فى الإسلام فتح أعظم من الحديبية. « ا هـ » .

◆ منهجية الإسلام

وكان من بركة ليونة المنهجية الإسلامية هذه الكوكبة من السفراء الذين حملوا رسائل سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الملوك والرؤساء فى داخل الجزيرة العربية وفى خارجها ، وتلك الوفود التى جاءت إلى المدينة المنورة لتتعرف على الإسلام ومبادئه فاتسع الزمان ليعرف الناس الإسلام على طبيعته السمحة الجليلة بعيداً عن شغب الجدل القريشى والعناد الصاخب المجلجل .

ومضت الأيام وسهيل بن عمرو فى ضيق من مواثيق الحديبية فراح بنفسه مع جماعة من الشبان المتطرفين يعملون على إلغائها من أجل اللقاء العسكرى مرة أخرى بالإسلام ظناً منهم أنهم سيكيدون له ويقضون عليه . فقد أغار سهيل بن عمرو مع جماعة من أقرانه على خزاعة حليفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقتلوا منهم ثلاثة وعشرين عمتهم نساء وصبيان وضعفة الرجال .

وأحست قريش بالندم وعلمت أنها نقضت العهد فأرسلت أبا سفيان ليجدد العهد ويعتذر لكن المنهجية الإسلامية وإن كانت تلين من أجل الوصول إلى الغايات بأسلوب السلام والأمن ، فهى لا تلين فى مقام الحفاظ على الحقوق والسيادة ، والحفاظ على كرامة المواثيق وبخاصة إذا تخطاها الأعداء عن عمد فجند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جيشاً جراراً لتأديب قريش على فعلتها ، ودون إطالة فى الموضوع فقد أسلم أبو سفيان وزوجه وأطلق الأمان لكل من دخل الحرم أو دخل بيته إلا مجموعة متهورة متطرفة على رأسها سهيل بن عمرو فقد امتشقوا السلاح وعزموا على صد الإسلام عن دخول مكة آمنا .

يقول المقريزى :

« وانتهى المسلمون إلى ذى طوى فوقفوا ينظرون إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى تلاحق الناس ، وقد كان صفوان بن امية وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو دعوا إلى القتال واجتمع إليهم من قريش وغيرهم جماعة عليهم السلاح يحلفون بالله لا يدخلها محمد عنوة أبداً » .

ودخل الجنود جميعاً إلا خالد بن الوليد فقد واجه صفوان وعكرمة وسهيل بن عمرو وشهروا فى وجهه السلاح ورموه بالنبل وقالوا لا تدخلها عنوة ودارت معركة سجلها الشاعر فى قوله :

إنك لو شهدت يوم الخندمة
إذ فر صفوان وفر عكرمة
واستقبلتنا بالسيوف المسلمة
يقطعن كل ساعد وجمجمة
ضرباً فلا تسمع إلا غمغمة
لهم نهيت خلفنا وهمهمة
لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمة

أترون يا معشر شباب الإسلام المعاصر أن يبقى لهؤلاء وسهيل بن عمرو معذرة ؟؟ الا يستحقون القتل ؟؟ .

اليست كل هذه العداوات كافية فى اتخاذ موقف عدائى تجاه سهيل بن عمرو والذين على شاكلته ؟؟

لكن منهج تبليغ الدعوة ونشر الإسلام لا يصنف الناس إلى أعداء وأصدقاء وإنما يصنفهم إلى قوم آمنوا وقوم نحب أن نبلغهم الدعوة بالحسنى .

إن القرآن يهدى إلى التى هى أقوم وهذه التى هى أقوم ليس سبيلها العداوة ولا القتل وإنما الصبر على تبليغ الدعوة ، يقول الله تعالى :

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ .
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .
﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِىِّ ﴾ .
﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَاتَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ .

إن الذين يحبون الحماس للإسلام عليهم أن يتحلوا بهذه الأخلاق لأن ثمارها تأتى محققة ولو مع طول الزمن ، فإن سماحة الإسلام مع سهيل بن عمرو نقلته إلى مدافع عن الإسلام ومحب لسيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

لقد روى سيدنا أبو بكر رضى الله عنه عن سهيل بن عمرو يوم حجة الوداع قال :

« نظرت إلى سهيل بن عمرو فى حجة الوداع قائماً عند النحر يقرب إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدنة ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينحرها بيده ودعا الحلاق فحلق رأسه ، فانظر إلى سهيل يلقط من شعره ، وأراه يضعه على عينيه ، وأذكر إباءه أن يقر يوم الحديبية بأن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم وإباءه أن يكتب أن محمداً رسول الله فحمدت الله الذى هداه للإسلام فصلوات الله وبركاته على نبى الرحمة الذى هدانا به وأنقذنا به من الهلكة » .

فأى المقامين أفضل ؟ هذا المقام الذي يرويه سيدنا أبو بكر ؟

أم مقام القتل وتكسير الأسنان ... ؟؟

وتمضى الأيام وتظهر بركات المنهجية الإسلامية عندما يلحق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالرفيق الأعلى ويتحرش المتحرشون بالإسلام يريدون الردة فيقف سهيل بن عمرو بمكة خطيباً فيقول نفس الكلمات التى قالها أبو بكر فى المدينة المنورة : من كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ ..

فإذا لم يكن سهيل بن عمرو قد أسلم وكان هذا الحدث الجليل قام للإسلام فى مكة يرد الناس عن الردة كما رده أبو بكر رضى الله عنه ؟

أو ليس هذا هو الموقف الذى وقفه سهيل بن عمرو وقال فيه سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعمر بن الخطاب فلعله يقف موقفاً ترضى عنه ؟ .

فلينظر المتحمسون كيف نجح الإسلام فى جعل الخصوم أصدقاء يقفون موقف المنافحة

عن الإسلام فى وقت عصيب تكون شهادتهم فيه أكبر شاهد يدفع ما يدعيه الصادون عن دين الله وهكذا كان الله تعالى يقيض لهذا الدين من خصومه فى المستقبل من يكونون له أنصاراً تأسرهم سماحة الإسلام وتدفعهم إلى التضحية عدالته وجذالته يقول الكاتبون فى تاريخ الرواة والصحابة ، قال سهيل بن عمرو بعد إسلامه :

« والله لا أدع موقفاً وقفته مع المشركين إلا وقفت مع المسلمين مثله ، ولا نفقة أنفقتها مع المشركين إلا أنفقت على المسلمين مثلها لعل أمرى أن يتلو بعضه بعضاً » .

وكانت سنة سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بلسماً شافياً لجراح أولئك الذين تأخروا عن السابقين إلى الإسلام فيروى سهيل بن عمرو عن سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله :

سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول :

« مقام احدكم فى سبيل الله ساعة من عمره خير من عمله عمره فى أهله » .

كأنما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يريد أن يأسى الجراح التى تعلن بصدق هؤلاء الذين أسلموا بعد جهد جهيد فى المعاندة والمشاقة فَيَجُب الإسلام كل ما قبله وتصبح أنفسهم طيبة ولذلك قال سهيل :

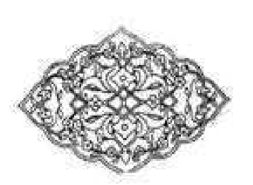
فإنما أرابط حتى أموت ولا أرجع إلى مكة ، وقد صدق الرجل فى وعده فظل يجاهد فى سبيل الله بماله وولده حتى جاءته المنية فى طاعون عمواس بالشام فمات رضى الله عنه وقد أدى له وللإسلام ولرسول الإسلام ما وعد به .

أفلا ينظر شبابنا المعاصر إلى هذه المنهجية التى حولت هؤلاء العتاة فى الكفر إلى أصحاب تضحية صادقة فى الإسلام ؟؟

إن ذلكم هو « معنى القرآن منهج حياة » فليعتبر كل ذى لب وعقل وحماس صادق عاقل مستنير . ألا هل بلغت اللهم فاشهد .

هذا وبالله التوفيق ،،،،

« أ . د . رءوف شلبى »



الدعاء مخ العبادة

د. توفيق محمد شاهين

كل إنسان فى هذه الحياة ، يرغب ويشتهى ويتمنى ويريد .. من الناس من يريد ذلك لأمور الدنيا وحدها ، ومن المؤمنين من يريدها لأمور الآخرة وحدها ، وواجب المسلم أن يكون ذلك لأن فيه خيرى الدنيا والآخرة ؛ ليكون قوياً فى الدنيا ، مثاباً فى الآخرة .

وفى سبيل نيل هذا المطلوب يستعمل الإنسان كل طاقاته البشرية ، فى سبيل دفع بلية ، أو حلّ مشكلة ، باذلا فى سبيل ذلك كل إمكاناته المادية والمعنوية . غير أنه أحياناً تعجز طاقاته ، وتتضاءل إمكاناته ، ويحار عقله .. وهنا : إن كان بعيداً عن الله تعالى يئس ، وذهبت نفسه حسرات ، واجتالته الشياطين من الإنس والجن ، واحتوته الهموم والأحزان بما يزيد من آلامه ومصائبه .

وإن كان مؤمناً بالله سبحانه ، ذاكراً له ، متصلاً به ، عارفاً طريقه .. فإنه يفزع إلى خالقه القوى ، يناديه بالدعاء ، ويتوسل إليه رجاء أن يعينه ، أو ييسر له ، أو يكشف عنه ما نزل به .. موقناً بأن الله الذى بيده كل شىء هو مفرج الكرب ، وميسر السبل ، وقاضى الحاجات ، بفضله وكرمه ورحمته ، وقدرته المطلقة التى لا حدود لها .. وحين يرفع الإنسان يديه مبسوطتين يسأل المولى سبحانه ، فتلك إشارة إلى الافتقار ، ونفاد الحيلة ، والاستعداد للتلقى .

والله سبحانه يتحبب إلينا دائماً بإنعاماته وأفضاله ، ويفتح دائماً باب الأمل للراجعين إليه ، والراجين خيره ، يقول تعالى :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ، أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ، فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى ، وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ البقرة (١٨٦)

ففى الآية حب الله تعالى لعباده بتوقع السؤال ، وتشريفهم بالعبودية ، وتكريمهم بالقرب ، وتبشيرهم بالاستجابة ، وحثهم على الدعاء والطلب ، وإرشادهم إلى عبادته وحده

←

والاستجابة لأوامره .. وتسديد خطاهم نحو الرشاد والسداد .

وكما نحب الإجابة والتأييد ، علينا واجب الاستجابة لما يحبه ويرضاه ، لنكون دائماً معه ، ويكون سبحانه معنا ، : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ - النحل (١٢٨) .

●●●

. . .

وأساس الإيمان الصادق بالله تعالى الإحساس المستمر بقدرة الله تعالى اللا محدودة ، والشعور بضعف الإنسان وقدراته المحدودة .. ومن ثم فيلزم الإنسان دائماً أن يشعر بقوة عليا ، وأن يحيا دائماً مع الله جل جلاله ..

ومن هنا كان حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - مشيراً إلى مكانة الدعاء فى الإسلام ، وأنه فى القلب والقمة فى دنيا الطاعة ، حيث يقول : « الدعاء مخ العبادة » ، فهو أساسها ولُبُّها ، وفى مكان الصدارة منها ؛ لأن الداعى يعيش مع الله سبحانه ، ولسانه رطب بذكره وسؤاله ، والتضرع إليه ، والله تعالى يحب ذلك من عبيده ؛ إقرارا بعبوديتهم له ، وربوبيته عزّ وجلّ .

ولله درّ الشاعر حيث يقول :

لا تسـألـنّ بنـى آدم حـاجـةً
وسـل الـذى أبـوابـه لا تحجب
فـالله يغضب إن تـركت سؤالـه
وَبُنَىّ أدم حـين يسـأل يغضب

●●●

. . .

وآيات القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة ، حفية بالدعاء والداعين ، ومبشرة بعظيم الأجر ، وكرم القبول ، وشرف الاحتفاء بالدعوة وداعيها ، ونماذج طيبة لأنبياء مطهرين ، أدُّوا رسالة الله جل جلاله ، لهداية الناس إلى طريق الهدى والرشاد .. وحين تحيفتهم من مشركى قومهم الحتوف السوء ، وكُذِّبوا ، وردُّوا بأقبح رد .. اتجهوا إلى السماء بالدعاء لطلب النصرة ورفع الضرِّ ، وكشف الغمَّة ، وطلب المعونة رجاء استمرارية تبليغ دعوة الله تعالى ، وهداية الإنسانية لأقوم طريق .. فاستجاب لهم الخالق القوى ، واللطيف الرحيم ، استجاب لهم وسمع دعاءهم حين استجابوا لأمره ودعوته .

تقرأ فى سورة الأنبياء فتطالعك هذه النماذج الطيبة لأبى الأنبياء إبراهيم ، وابن أخيه لوط ، ولأبى البشر الثانى نوح ، ولداود وابنه سليمان ، ولأيوب فى صبره وامتحانه ، ولإسماعيل الذبيح ، ولإدريس صاحب المكانة العليا ، ولذى الكفل ، وليونس أو ذى النون فى سجنه أو قبره الذى سَبَّح فيه ، ولزكريا فى أمنيته حين شيخوخته وعقم زوجه .. صلوات الله وسلامه عليهم وعلى سائر الأنبياء والمرسلين ، فأنجاهم المولى جلت قدرته من مكر قومهم ، وسلمهم من أمراضهم ، وكشف عنهم غمومهم ، وشرح صدر زكريا بغلام صار نبياً ولم يكن له من قبل سمياً ؛ ليرث علمه وفضله وجهاده فى سبيل الله . وصدق المولى

حيث يقول : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ، فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي . . ﴾ البقرة ١٨٦ . .

وذكر المولى سبحانه ثلاثة أسباب رئيسية - عقب تلك القصص الحسن - فى سورة الأنبياء ، كانت سبباً لاستجابة الرحمن سبحانه لدعاء هذه الكوكبة الصالحة من الأنبياء والمرسلين ، وتعليماً لنا من بعدهم ولمن بعدنا ، مابقيت السموات والأرض ، يقول جلّ علاه :- ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾ .
﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً ﴾
﴿ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ الأنبياء/ ٩٠ .

فالمسارعة فى عمل الخير ، والتضرع إلى الله تعالى رغبة ورهبة ، والتواضع ، صفة المتقين ، ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ - المائدة ٢٧) .

●●●

. . .

ولا يضيع الدعاء الخالص عند الله سبحانه ، ولا يخيب داع دعاه ، ولا يشغله عنه شىء ، يروى سلمان الفارسى - رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قوله : « إن الله تعالى ليستحى أن يبسط العبد إليه يديه ، يسأله فيها خيراً فيردهما خائبتين »[1] فالخير محقق للداعى مالم يدع بشر أو إثم وخطيئة .. ويفسر ذلك ما رواه أبو سعيد أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال :

« ومن مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة ليس فيها إثم ولاقطيعة رحم ، إلاّ أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال : إمّا أن يعجل له دعوته ، وإمّا أن يدخرها له فى الأخرى ، وإمّا أن يصرف عنه من السوء[2] مثلها » ففى الدعوة الصالحة من الفوائد ما لا يحرم منها الداعى بخير بحال من الأحوال . فالله سبحانه يعلم من خلق ، وما يصلح له ، ومن ثم فقد لا ينال الداعى مطلوبه وفق مطلوبه ؛ لأن فى ذلك خيراً له ، أو يكون تأجيل الإجابة اختبارا للإيمان والصبر وزيادة الأجر ، أو تكون فى موازين عمله فى الدار الباقية ، والآخرة خير وأبقى ، أو تسد باباً من الشر والضر ، فتكون وقاية للداعى وحفظاً ، ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ .

●●●

. . .

وعلى الداعى أن يدعو ربه وهو موقن بالإجابة ، حسن الظن بالله تعالى ، واعياً لما يقول ، مستجمعاً قلبه وفكره ، لا لاهيا ، ولا غافلاً ، ولا متكاسلاً ، ولا متبعاً سبيل « الروتين » فى دعواته ..

عن أنس رضى الله عنه : أنه سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقول :

[قال الله تعالى : « أنا عند حسن ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا دعانى »] [3]

←

---

١ - مسند أحمد ٤٣٨/٥

٢ - راجع صحيح مسلم - مسافرين ٢٥١ وسنن أبى داود - الوتر ١٤

٣ - انظر مسند أحمد

وفى حديث آخر يقول أبو هريرة رضى الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :ـ [قال الله تعالى : « أنا مع عبدى ماذكرنى ، وتحركت بى شفتاه [4] »] .

ويؤكد ذلك عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ بأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « القلوب أوعية ، وبعضها أوعى من بعض ؛ فإذا سألتم الله أيها الناس ، فاسألوه [5] وأنتم موقنون بالإجابة ، فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل » .

وروى أنس ـ رضى الله عنه ـ عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله فى الحديث القدسى :ـ

« يقول الله عز وجل [ياابن آدم ، واحدة لك وواحدة لى ، وواحدة بينى وبينك :ـ فأما التى لى : فتعبدنى لاتشرك بى شيئاً ، وأما التى لك فما عملت من شىء أو من عمل وفيتكه . وأما التى بينى وبينك : فمنك الدعاء ، وعلىّ الإجابة [6] » .]

●●●

. . .

كثير من العلماء يحبذون الدعاء سرًّا ، وبخاصة إذا كان الداعى منفرداً .. وبعض العلماء يرى أن الدعاء يكون سرًّا وجهراً ، حسب الحال .. وإذا كان الإمام مع قوم لا يعرف معظمهم كيف يدعو ، أو لا يعرف أدعية مأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم .. فالأفضل حينئذ الدعاء جهرة ، وليتعلم المؤتمون خلفه الدعاء .

قال الله تعالى :

﴿ ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ، وَلَا تُفْسِدُواْ فِى الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ، وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ الأعراف (٥٦، ٥٧) .

يقول ابن كثير رحمه الله : أرشد الله عباده إلى دعائه الذى هو صلاحهم فى دنياهم وأخراهم . ومعنى (تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً) أى تذللا واستكانة .

وفى الصحيحين عن أبى موسى الأشعرى قال : رفع الناس أصواتهم بالدعاء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أيها الناس ، أربعوا على أنفسكم (أى لا ترفعوا أصواتكم بالدعاء) فإنكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً ، إن الذى تدعونه سميع قريب » .

فالمكروه فى الدعاء جهرة هو المراءاة ، لأن الأمر مبنى على الطاعة والتذلل والخشوع والإخلاص ، ولا تعتدى فى الدعاء ، بمعنى لا تسأل إلا ما أنت أهل له ، فلا تسأل الله تعالى منازل الأنبياء مثلاً ..

وبحسبك حسب حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن تقول :

« اللهم إنى أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل . وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل » .

٤ ـ ٣٩١ ـ البخارى ـ توحيد

٥ ـ انظر البخارى ـ توحيد

٦ ـ انظر مسند أحمد ١٧٧/٢

وندعو الله وحده سبحانه فهو القادر الرازق والرحمن الرحيم . فليكن دعاؤنا خوفاً مما عند الله من وبيل عقابه ، وطمعاً فيما عنده من جزيل ثوابه ، ورحمة الله قريب من المحسنين الطائعين . وقال مطر الوراق : «استنجزوا موعود الله بطاعته فإنه قضى أن رحمته قريب من المحسنين » .

●●●

. . .

أماكن وأشخاص يستحب فيها ومنهم الدعاء :ـ

فضل الله سبحانه بعض الأماكن على بعض مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وفضل بعض الرسل على بعض ، قال تعالى :ـ

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ البقرة (٢٥٣) . وفضل بعض الأزمنة على بعض ، كفضل ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر . وفضل بعض العباد على بعض بالإخلاص والتقوى ... كذلك هناك أماكن مظنون فيها الإجابة ، وأشخاص أشار إليهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يستحب منهم وفيها الدعاء ، رجاء الإجابة والقبول :ـ

فيرجى الدعاء من الصالحين ، ومن المسافرين ولهم بظهر الغيب ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال :

« ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل ، والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم يرفعها الله دون الغمام يوم القيامة ، وتفتح لها أبواب السماء ، ويقول : بعزتى لأنصرنك ولو بعد حين »[٧] .

وعلى الداعى وبخاصة المظلوم الا يتوقع الإجابة فى نفس اللحظة التى دعا فيها ، لأن الله تعالى لم يؤت ذلك حتى لرسله وأنبيائه حين دعوا ربهم ، تعليماً لنا ، واختبارا للصبر والإيمان ، وقد تدخر له كعمل صالح ، أو يدفع بها عنه سوء ، كما ذكرنا فى الحديث الشريف .

وقد لا يستجيب الله تعالى للداعى لمصلحة له فى ذلك ، فالله عليم بالإنسان الصالح وما يصلحه : فقد يظن فى بعض الأمور خيراً والأمر بالعكس .

كذلك فإن متاع الحياة الدنيا متاع الغرور ، وما عند الله خير وأبقى ، فعلى الإنسان أن يسأل الله رضاءه والجنة والاستقامة على الصراط المستقيم ، وراحة البال وهدوء النفس ، والرضا بما قسم الله ، وصلاح الحال والمآل ، والتفقه فى الدين والعمل به ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه ابن مسعود ـ رضى الله عنه :ـ

« إن الله قسم بينكم أخلاقكم ، كما قسم بينكم أرزاقكم [٨] . وإن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطى الدين إلا لمن أحب ، فمن أعطاه الله الدين فقد

←

٧ ـ راجع الترمذى جنة ٢ وابن ماجه صيام ومستند احمد ١٥٤/٤

٨ ـ انظر مسند احمد ٣٨٧/١

أحبه ، والذى نفسى بيده ، لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه ، قالوا : ومابوائقه يا نبى الله ؟ قال : « غشه وظلمه » ولا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه . ولا يتصدق به فيقبل منه ، ولا يتركه خلف ظهره إلاّ كان زاده إلى النار . إن الله لا يمحو السيء بالسيء ، ولكن يمحو السيء بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث » .

ففى الحديث فضل الدين وشرفه فى السؤال ، وسلامة القلب واللسان من الإيمان والإسلام ، وحفظ الجار من تمام الإيمان ، والكسب الحلال زاد إلى الجنة ، والكسب الحرام يحرم الإجابة ، ولا بركة فيه ، فعلى الداعى أن يطهر قلبه ولسانه ومطعمه ومشربه .. والله غفور يغفر الذنب بالعمل الصالح ، وكانت وصية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لسعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ أن يأكل من الطيبات حتى يكون مستجاب الدعوة . فآكِلُ الحرام لا يستجاب له ، كالداعى بإثم أو قطيعة رحم .

نماذج طيبة من أدعية الرسول صلى الله عليه وسلم :

فى ختام مقالنا نذكر أدعية مأثورة عن نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ لتكون نبراساً لنا ، نقتدى ونهتدى وندعو بها ، وينبغى أن نتعلمها ونعلمها :

روى عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم أنه قال :ـ « ما أصاب أحد قط هم ، ولا حزن فقال :

« اللهم إنى عبدك ، ابن عبدك ، ابن أمتك ، ناصيتى بيدك ، ماض فى حكمك ، عدل فى قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته فى كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك . أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ، ونور صدرى ، وجلاء حزنى ، وذهاب همى . . إلا أذهب الله حزنه وهمه . . وأبدل مكانه فرحاً » . .

فقيل : يارسول الله أفلا نتعلمها ؟ فقال : بلى ينبغى لكل من سمعها أن يتعلمها . أخرجه أبو حاتم البستى فى صحيحه ، وأحمد فى مسنده ١/٣٩١ الميمنية .

ومن أدعية الرسول صلى الله عليه وسلم عند الكرب :ـ

« لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله ربّ السموات ، ورب الأرض ، ورب العرش العظيم . اللهم رحمتك أرجو ، فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ، وأصلح لى شأنى كله ، لا إله إلاّ أنت »[٩] .

---

٩ ـ جزؤه الأول رواه أحمد بروايات عدة وانظر فى جزئه الأخير سنة أبى داود ـ أدب ١٠١ ومستند أحمد ٥/٤٢ .

ومن الدعوات الصالحات للرسول صلى الله عليه وسلم :

« اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن ، والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين ، وقهر الرجال » .

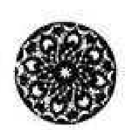
ومن الأدعية الجامعة لرسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم :

« اللهم إنى أسألك من خير ما سألك منه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار »[10] .

والقرآن الكريم فيه دعوات مباركة لحسن الإيمان وصلاح الإسلام وشرح الصدر ، يقول الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ .

« رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً ﴾ .

والله يقول الحق ويهدى السبيل .



١٠ ـ راجع الترمذى ـ دعوات ٨٨ .



صلى الله عليه وسلم

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال :
قال رسول الله ﷺ :

« أُعطيت خمسا لم يُعطهن أحدٌ قبلى ، نُصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجُعلت لى الارض مسجدا وطهورا ، ايما رجل من امتى أدركته الصلاة فليصل ، وأُحلت لى الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلى ، وأُعطيت الشفاعة ، وكان النبى يُبْعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة » .

رواه البخارى(١)

التعريف بالراوى :

جابر بن عبد الله رضى الله عنه هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن سلمة الأنصارى السلمى ، يكنى : بأبى عبد الرحمن ، وأبى عبد الله ، وأبى محمد ، وهو أحد المكثرين من الرواية ، روى عن النبى ﷺ ، وعن أبى بكر ، وعمر ، وعثمان وعلى ، وأبى عبيدة وطلحة ، وغيرهم ، وروى عنه جماعة من الصحابة ، والتابعين ، له ، ولأبيه صحبة ومن مشاهده : العقبة مع رسول الله ﷺ ، وشهد معه الغزوات إلا بدرا وأحداً .

المعانى اللغوية :

قوله : « أعطيت .. » مبنى للمجهول ، والتاء نائب فاعل ، أى أعطى الله سبحانه وتعالى رسوله خمس خصال ، أو خمس مزايا لم يعطهن نبى قبله .

وقوله : « نُصرت .. » مبنى للمجهول كذلك والتاء نائب فاعل أى نصره الله بالرعب يلقى فى قلوب أعدائه قبل أن يتحرك إليهم بشهر .

وقوله : « جُعلت .. إلخ » أى أن الله سبحانه أباح له ولأمته الصلاة فى كل الأرض ماعدا ما تيقنت نجاسته .

وبناء هذه الأفعال للمجهول يدل على أن ما حدث لم يكن من قِبَلِهِ ﷺ ، وإنما من قِبَلِ الله عز وجل .

وقوله : « أيما .. » « أى » مبتدأ فيه معنى الشرط ، « وما » زائدة ، للتأكيد ، وهذه صيغة عموم يدخل تحتها من لم يجد ماء ولا ترابا ، ووجد شيئا من أجزاء الأرض فإنه يتيمم به .

---

(١) فى كتاب الصلاة باب قول النبى ﷺ جعلت لى الارض مسجدا وطهورا .

وقوله : « وأعطيت الشفاعة » « أل » هنا للعهد ، والمراد : الشفاعة العظمى فى إراحة الناس من هول الموقف ، ولا خلاف فى وقوعها بين المسلمين .

المعنى العام :

هـذا الحديث الشريف يبين بعض خصوصيات النبى ﷺ ، كما يبين لنا أن الدعوة لابد أن تركز على عاملين : عامل معنوى ، وهذا يتمثل فى القوة الروحية التى تميز المسلم عن غيره .

وعامل مادى يتمثل فى هذا الحديث ، وغيره الذى يوضح كيف أن الله سبحانه تكفل بنصر رسوله ﷺ حين قال : ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ ﴾ التوبة : (٤٠).

● ● ●

فقوله : « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى » وفى رواية « من الأنبياء » أى لم يعط كل واحدة منها غير النبى ﷺ ، فالتفضيل بكل واحدة واحدة لا بمجموعها .

وذهب البعض إلى أن التفضيل حاصل بالمجموع ، أى هى فى مجموعها ، وجملتها حاصلة له ﷺ فيجوز أن يكون بعضها مما أعطيه غيره ..

وهذا الحديث يفهم منه أن النبى ﷺ لم يعط غير الخمس ، لكن روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى هريرة : « فضلت على الأنبياء بست ، فذكر الخمس المذكورة ، ما عدا الشفاعة ، وزاد اثنتين وهما : أعطيت جوامع الكلم ، وختم بى النبيون ، فتحصل من حديث أبى هريرة ، وحديث جابر سبع خصال ، ولمسلم أيضاً « فضلنا على الناس بثلاث : جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا ، وجعلت تربتها لنا طهورا إذا لم نجد الماء » .

وحديث أبى هريرة رضى الله عنه :

« بعثت بجوامع الكلم ، ونُصرت بالرعب ، وبينما أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض ، فوضعت فى يدى »[٢] .

وفى مسند الإمام أحمد من حديث على مرفوعا إلى النبى ﷺ : « أعطيت أربعا لم يعطهن أحد من أنبياء الله : أعطيت مفاتيح الأرض ، وسميت أحمد ، وجعلت أمتى خير الأمم ، وجعل التراب لى طهورا » ويمكن أن يوجد أكثر من ذلك لمن أراد المزيد ، حتى أن أبا سعيد النيسابورى فى كتاب : شرف

(٢) قال ابو هريرة رضى الله عنه : وقد ذهب رسول الله ﷺ وانتم تَنْتَثِلُونَها . اى تخرجونها . اى الاموال فى مواضعها . يشير إلى انه ﷺ ذهب ولم ينل منها شيئا . والحديث اخرجه البخارى فى كتاب الجهاد باب قول النبى ﷺ : نصرت بالرعب مسيرة شهر راجع للاستاذ المرحوم محمد فؤاد عبد الباقى : اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان . الحديث رقم ٣٠٠ .

المصطفى ﷺ قال :

« إن عدد الذى اختص به نبينا محمد على الأنبياء ستون خصلة » .

وذلك أن المعروف أن الوحى كان ينزل على رسول الله ﷺ نجوما أى نجما نجما شيئاً فشيئاً ، والأحكام كانت تتجدد فلذا أطلع النبى ﷺ أولا على بعض هذه الخصوصيات ، فأخبر بها ، ثم أطلع على بعضها بعد ذلك فأخبر بها ، فهو فى كل حالة من هذه الحالات أخبر بما علم ، أخبر أولا بثلاث ، ثم بخمس ، ثم بست ، ومعلوم أن الصحابة رضى الله عنهم ما كانوا يتلقون عن النبى ﷺ فى وقت واحد بل كانوا يسمعون منه فى أوقات متفاوتة ، وقد يسمع أحدهم ما لايسمعه الآخر ، فأخبر كل واحد عند الأداء بما سمع وما علم .

● ● ●

وقوله : « نصرت بالرعب » أى أن الله سبحانه قد تكفل بنصره .

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ غافر : (٥١) .

ومن ثم فإن أعداءه كانوا يرهبونه ، ويخافون منه من مسيرة شهر مع بعد ديارهم عنه ﷺ بحيث لو أراد حربهم لقطع المسافة التى بينه وبينهم فى شهر بسير الإبل .

وقد تدرك الحكمة النبوية فى تحديد الشهر ، إذا علمت أن الدولتين الكبيرتين المتمثلتين : فى الفرس فى العراق ، والروم فى الشام لم تكن المسافة بينه ﷺ ، وبين أى منهما تزيد على أكثر مما ذكر ، وقد كانتا تعلمان خطورته ﷺ خصوصا بعد أن دعاهما مع غيرهما إلى الإسلام ، وبعد أن انتصر على أهل الجزيرة العربية ، ودان أهلها له بالطاعة والولاء ، ولهذا فلم تحاول أيتهما أن تحاربه ، أو تنال من دولته ، والسبب ما ألقى الله فى قلوبهما من الرعب فقد قال سبحانه :

﴿ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾ الأنفال : (١٢) .

وهنا يطرح السؤال نفسه : لماذا إذن حاربه اليهود وكفار قريش ، ولم يستسلموا له ؟

نقول : فأما اليهود فقد كانوا ـ منه ـ ﷺ ـ فى رعب شديد ، فلم يواجهوه بحرب ، وإنما استعانوا بالدهاء لتقليب العرب عليه ـ ﷺ .

وأما كفار قريش فقد كان ذوو الأحلام منهم يرهبونه وكم من رجل منهم حذر قومه من التعرض له ، ومنهم أبو سفيان ـ رضى الله عنه ـ عندما سلم بالعير ، وكان حينئذ مشركا ـ ناشد قومه ألا يتعرضوا لمحمد ﷺ ـ فاندفع الحمقى إلى الحرب غير مقدرين للعواقب ، وغير ملمين بما له من قوة ، فأغرى بعضهم بعضا بأنها ما هى إلا جولة أو جولتان فيكون النصر ، وتقيم بعدها على العزف والطرب ، فخسرت قريش فى بدر رؤساءها فلم تقم لهم بعدها قائمة .

وبعد ..

فهل هذه الخصوصية تحصل للأمة الإسلامية بعد النبى ﷺ ؟

يقول الحافظ ابن حجر[٣] : فيه احتمال :

(٣) راجع لابن حجر رضى الله عنه . فتح البارى .. الجزء الأول .

والذى أميل إليه أن الأمة الإسلامية لو سارت على نهج كتاب الله وسنة نبيه ، فى كل شئون الحياة ، واهتدت بهديه فى سياستها العامة والخاصة ، ولاسيما سياسة إعداد القوة وأخذ الأهبة للأعداء ، وحب الاستشهاد فى سبيل الله ، والاعتزاز بالتقوى ، والحرص على رضا الله ، فالظن فى ذلك أن يلقى الله الرعب فى قلوب أعدائهم ، ويخذلهم ، وينصرهم عليهم مهما قلُّوا ، وكَثُرَ الأعداء ، ولنا فى تاريخ الإسلام مشاهد كثيرة .

لقد أعطى الله لرسوله هذه الخصوصية ، ومع هذا فقد كان ﷺ يمارس الأخذ بأسباب النصر العادية ، ويستمع إلى المشورة والنصح ، كما حدث فى اكبر الغزوات : الخندق ، وبدر ، وَقَادَ ، وَغَزَا ، وَجَاهَد ، وتعرض للسهام والنبال ، وصمد فى كثير من المواقف حيث فر الشجعان ، وكان يقود الجيوش بنفسه ، ولبس المِغْفَر ـ وهو ما يلبس على الرأس لوقايتها ـ ولبس اللَّأْمَةَ ـ الدروع تلبس للحرب ـ وكثيرا ما كان صموده سببا فى جمع شمل المسلمين .

● ● ●

وقوله : « وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا » اشتملت هذه الخصوصية على أمرين :

الأمر الأول : مشروعية التيمم عند فقد الماء ، وقد دل الحديث على أن التيمم بالتراب الطاهر من خصوصيات هذه الأمة ، وقد استدل أبو حنيفة برواية مسلم :

وجعلت لى : « الأرض طيبة طهورا ومسجدا » وكذلك قال الإمام مالك رضى الله عنهما بجواز التيمم بغير التراب من أجزاء الأرض أى الذى ليس عليه غبار من الجو .

الأمر الثانى : جعل الأرض مسجدا ، وهذا يعنى صلاحية كل بقعة من الأرض للصلاة عليها إلا المتحقق نجاسته ، ويفيد أيضا أن من كانوا قبلنا أبيح لهم الصلاة لكن فى أماكن مخصوصة كالْبِيَعِ والصوامع والكنائس ، ومن ثم فإن هذه المكرمة خاصة بأمة النبى محمد ﷺ .

● ● ●

وقوله : « وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى » .

وهذه الخصوصية متعلقة أيضاً بأمة محمد ﷺ يقول الإمام الخطابى :

كان من تقدم عليكم على ضربين :

ـ منهم من لم يؤذن له فى الجهاد ، فلم تكن لهم مغانم أصلا .

ـ ومنهم من أذن له فى الجهاد ، ولكن كانوا إذا غنموا شيئاً لم يحل لهم أن يأكلوه وجاءت نار فأحرقته .

● ● ●

وقوله : « وأعطيت الشفاعة » .

الشفاعة : هى طلب الأمر ممن يقدر عليه لغيرك لا لنفسك ، مأخوذة من الشفع ، وهو الضم ، لأن الشافع ضم نفسه فى الطلب إلى المشفوع له .

والمراد بها هنا الشفاعة العظمى العامة ، وهى التى تكون فى المحشر ، وذلك أن الناس جميعا يجتمعون فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر ، فيشتد الهول

◆ من خصوصيات محمد صلى الله عليه وسلم

والكرب عليهم ، فيلهمهم الله أن يستشفعوا بالأنبياء ، فيذهبون إلى آدم ، فيقول : لست هنا لكم ، ويعتذر ويحيلهم على نوح .. فيقول : لست هنا لكم ، ويعتذر ، ويحيلهم على ابراهيم فيعتذر ، ويحيلهم على موسى فيقول مثل مقالة من سبق ، ويحيلهم إلى عيسى فيعتذر ، ويقول : اذهبوا إلى محمد ﷺ عبد غفر له ما تقدم من ذنبه ، وما تأخر ، فيأتون إليه ، فيستأذن على ربه فيخر ساجدا لله ، فيقول الله له : ارفع رأسك ، وقل يسمع لك واشفع تشفع ، فيشفع في إراحة الخلق قاطبة من هول الموقف فحينذاك يحمده الأولون والآخرون ، والمؤمنون ، والكافرون ، وهذا هو المقام المحمود الذى وعده الله به[٤] لقوله سبحانه :

﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ الإسراء : ٧٩ .

وهذه الشفاعة العظمى مما أجمعت عليه الأمة .. وهى خصوصية لمحمد ﷺ .

قال ابن جرير : أكثر أهل التأويل : أن ذلك هو المقام الذى يقومه محمد ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ماهم فيه من شدة ذلك اليوم ، وقال ابن عباس : رضى الله عنهما « هذا المقام المحمود مقام الشفاعة ، وكذلك قال ابن أبى نجيح عن مجاهد ، وقاله الحسن البصرى »[٥] .

وعن ابن عمر ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ قال : إن الشمس قد تدنو يوم القيامة ، حتى يبلغ العرق نصف الأذن ، فبينما هم كذلك :

استغاثوا بآدم ، فيقول : لست بصاحب ذلك ، ثم بموسى فيقول كذلك ، ثم بمحمد ﷺ فيشفع ليقضى بين الخلق فيمشى حتى يأخذ بحلقة باب الجنة فيومئذ : يبعثه الله مقاما محمودا ، يحمده أهل الجمع كلهم[٦] .

● ● ●

وقوله ـ ﷺ : « وكان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة » وفى رواية لمسلم عن أبى هريرة : « وأرسلت إلى الخلق كافة » وهى شاملة لكل المخلوقات .

وفى التنزيل العزيز : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ الأعراف : ١٥٨ .

وقوله سبحانه ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ الفرقان : ١ .

وقوله جل ذكره : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ الأنبياء : ١٠٧ .

وكما أنه ﷺ مرسل إلى الناس كافة ، وإلى الخلق أجمعين يقول عز من قائل :

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ : أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ . قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ، يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ ﴾ الأحقاف : ٢٩ ـ ٣١ .

---

(٤) فتح البارى : جـ٦ ، جـ١١ .
(٥) راجع تفسير ابن كثير فى هذه الآية الكريمة .
(٦) انظر الدين الخالص ـ الجزء الأول .

فبعثته ﷺ عامة إلى الإنس والجن ، لأن الخلق بمعنى المخلوق ، فيشمل الإنس والجن ، والله تحدى الإنس والجن معا أن يأتوا بمثل القرآن فعجزوا .. يقول الحق : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ الإسراء : ٨٨ .

ومن ثم فإن رسالة من تقدم على النبى ﷺ من الأنبياء جميعا كانت إلى أقوامهم خاصة كما كانت غايتها أن يبعث نبى أخر بعده فينسخ شريعته ، ويؤيد بعضها فكانت رسالتهم محدودة الزمان والمكان ، بخلاف رسالة نبينا محمد ﷺ فعامة لجميع الخلق أصالة باقية إلى يوم الدين . لكل زمان ومكان .

ولقد تكفل الله بنصر رسله والمؤمنين :

مواطن نصرة محمد ﷺ :

كذلك كان لنصر الله لرسوله محمد ﷺ دوى هائل داخل الجزيرة العربية وخارجها ، فجعل كلمته هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، وجعل دينه الظاهر على سائر الأديان كلها .

﴿ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ الفتح : ٢٨ .

فهجرته ﷺ كانت نصرا ، وغزوة بدر كانت نتائجها فى صالحه ، وصالح الإسلام ، ثم فتح مكة ، الفتح المبين وفيه يقول ربنا : ﴿ إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ .. ﴾ القصص : ٨٥ .

ثم نصر الله أصحابه ، ففتحوا البلاد ، وبلغوا دين الله فى أقطار المعمورة ، ولا يزال من أبناء الإسلام من يدعو إلى دين الله ، برغم العقبات التى قد تقف حجر عثرة فى طريقهم .

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يوسف : ٢١ .

مايؤخذ من الحديث :

١ ـ خصوصية النبى ﷺ بامور لم ينلها نبى سابق ، كالنصرة بالرعب ، وحل الغنائم له ، وبعثته للعالمين .

٢ ـ نصر الله ليس مقصورا على انبيائه عليهم الصلاة والسلام ، وانما يشمل ايضاً نصرة المؤمنين ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .. ﴾

٣ ـ جواز الصلاة بالوضوء ، أو التيمم ـ إذا اقتضى الأمر ـ فى كل الأرض ماعدا المتيقن نجاسته .

٤ ـ حرص المسلم على الصلاة حيث ذكر فى الحديث دون بقية اركان الإسلام الأخرى .

٥ ـ مقام الرسول ﷺ فى يوم الفصل حيث هو ﷺ المقدم فى الموقف .

٦ ـ على المسلم أن يحرص الحرص كله على التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ حتى ينال نصر الله وتاييده .

٧ ـ تطبيق الجانب العملى من الإسلام حتى يكون الإسلام قائما قولا وعملا .

د . محمود محمد رسلان



التفسير البياني

للقرآن الكريم

نزل القرآن الكريم فى أفصح منطق، وأبلغ بيان، ففهمه العربى بعقله، وتعمقه بوجدانه، ولم يستطع معارضوه الخلاص من روعته الآسرة، فكانوا يتوقون إلى استماعه، وإن أحدهم ليقول فيما تحدث به القرآن عنه ﴿ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾(١) .

وقد تحدث العارفون عن بلاغة النص القرآنى فى عصر النبوة وما وليه قبل أن توضع المصطلحات البلاغية، فوصلوا إلى الجوهر اللباب مما عناه البلاغيون فى تعريفاتهم، قبل أن تعرف المصطلحات العلمية، لأن روح العربى الذواقة قد هدته إلى السر الخالص فى جمال الصياغة، ودقة التعبير، ولطافة المغزى، وهو إن سمع قصيدة رائعة لزهير أو النابغة فإنه يدرك أبعادها الفنية بوحى من سليقته المطبوعة على تذوق الفن الأدبى، ويختار من أبياتها ما يراه موضع الإعجاب من تصوير رائع، أو ولوج إلى خفايا النفس، ومستسرّ الضمير، كذلك كان العربى الذواقة يسمع الآية البيانية من كتاب الله فيعرف ما اشتملت عليه من مناحى الروعة، على تفاوت بين المستمعين، لأن الناس فى كل زمان ومكان، ليسوا على حد سواء .

ونحن نعلم أن ابن عباس قد شرح قول الله عز وجل .

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾(٢) .

فقال كانت السموات رتقا لا تُمطر، والأرض رتقا لا تنبت ففتق هذه بالمطر، وهذه بالنبات !

كما نعلم أنه شرح قول الله عز وجل :

﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ﴾(٣) .

فقال هذا مثل ضربه الله عز وجل لرجل يعمل أعمال أهل الخير والسعادة حتى إذا

---

(١) سورة المدثر : ٢٤، ٢٥ .
(٢) سورة الأنبياء : ٣٠ .
(٣) سورة البقرة : ٢٦٦ .



أ. د. محمد رجب البيومى

كان فى آخر عمره أحوج ما يكون إلى ثمرة عمله ختم فعله بعمل أهل الشقاء فما أصاب خيرا .

وكما نعلم أنه قال عن قول الله عز وجل :

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً فَسَبِّحِ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾(٤) .

إن ذلك كناية عن أجل رسول الله حيث أتم رسالته وبلغ أمانته .

هذا التفسير البيانى الفطرى قد وجد قبل عصر التدوين ، وتناقله الرواة ، وسجله المؤلفون .

(طلائع التفسير البيانى)

ظهر بعد ابن عباس وغيره من بلغاء الصحابة من تناولوا التفسير البيانى من التابعين ومن وليهم ، فنقلت أقوال كثيرة عن عروة بن الزبير والحسن البصرى وأبى عمرو بن العلاء تنتمى إلى هذا الضرب من البيان ، وأول كتاب وقع فى أيدينا من ذلك الضرب هو كتاب (مجاز القرآن) لأبى عبيدة ، وقد قال قوم إنه يعنى بالمجاز كلمة « التفسير » ، ولا يعنى المدلول البيانى ، ولكن ذلك لا يمنع أن التفسير الذى عناه قد اتجه وجهة البيان لدى كل معنى بيانى فذكر ما يدل عليه المجاز ، وقد شاعت لدى العلماء كلمات المجاز والتمثيل والكناية ، فنقلتها :

فهو مثلاً عند قوله تعالى :

﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾(٥) .

جـ ١ ص ٧٣ يقول إنها كناية وتشبيه .

وهو فى قول الله تعالى :

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ﴾(٦) .

جـ ١ ص ٢٦٩ يقول : « ومجاز الآية مجاز التمثيل ، لأن ما بنوه على التقوى أثبت أساساً من البناء الذى بنوه على الكفر والنفاق ، فهو على شفا جرف ، وهو ما يجرف من الأودية فلا يثبت البناء عليه .

أما الكناية فقد توسع فى إطلاقها توسعا حدده البلاغيون ، ولكنه سبق إليه ونص عليه » .

وأما حديثه عن حروف الزوائد ، والتكرار ، والتأكيد ، والسببية ، ودلالة الفاعل على المفعول ، والعكس فظاهر فى كتاب « مجاز القرآن » وهو متداول محقق .

ويجىء الجاحظ بعد أبى عبيدة فيتحدث عن الإعجاز ونظم القرآن ، بما لم يسبق به ،

(٤) سورة النصر : ١ ، ٢ ، ٣ .
(٥) البقرة : ٢٢٣ .
(٦) التوبة : ١٠٩ .

وكل ذلك من صميم التفسير البياني ، كما يحدد المراد باللفظ ، ومطابقته المدلول ، ويوغل في قضايا البيان إيغالا يدل على التعمق .

فهو مثلا عند تفسيره قول الله عز وجل : ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾[٧] .

يذكر أناسا زعموا أن رءوس الشياطين ثمر شجرة تكون ببلاد اليمن ، لها منظر كريه وينفى ذلك ، فينقل عن المتكلمين قولهم : ما عنى الله إلا رءوس الشياطين المعروفين بهذا الاسم من فسقة الجن ومردتهم ، وإذا قال الطاعنون (لا يجوز أن يضرب المثل بشيء لم نره فنتوهمه ، ولا وصفت لنا صورته في كتاب ناطق أو خبر صادق ، فمخرج الكلام يدل على التخويف بتلك الصورة والتفزيع منها ، وعلى أنه لو كان شيء أبلغ في الزجر من ذلك لذكره ، فكيف يكون الشأن من ذلك والناس لا يفزعون إلا من هائل عاينوه ؟ » .

يقول الجاحظ ردا على ذلك :

« ونحن وإن كنا لم نر شيطانا قط ولا صور رءوسها لنا صادق بيده ففي الإجماع على ضرب المثل بقبح الشيطان دليل على أنه في الحقيقة أقبح من كل قبيح »[٨] .

ولا يتسع المجال هنا لإيضاح الأثر البارز للجاحظ في مجال التفسير البياني ، وحسبنا أن نشير .

وقد فتح الجاحظ أبواب الكلام عن البيان القرآني لكل من تلاه ؟ فابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن) يتعرض لأكثر وجوه البيان مفسرا محللا ،وهو يقول في مقدمة كتابه :

« وللعرب المجازات في الكلام ، ومعناها طرق القول ومأخذه ، ففيها الاستعارة والتمثيل ، والقلب والتقديم والتأخير والحذف والتكرار والإخفاء والإظهار والتعريض والإفصاح والكناية ، والايضاح ، ومخاطبته الواحد مخاطبة الجمع ، والجمع مخاطبة الواحد ، والواحد والجمع خطاب الاثنين ، والقصد بلفظ مخصوص لمعنى العموم ، وبمعنى العموم لمعنى الخصوص مع أبواب كثيرة ستراها في أبواب المجاز إن شاء الله ، وبكل هذه المذاهب نزل القرآن »[٩] .

أجل

كانت أحاديث أبى عبيدة والجاحظ وابن قتيبة . المدد الأول لرجال التفسير من بعد .

وتفسير الطبرى وهو أقدم ما لدينا من أمهات التفسير قد اعتمد على آثار سابقيه ، وقد كان المظنون به أن يتجافى أبا عبيدة إذ كان كثير المؤاخذة له ، ولكن الواقع يثبت غير ذلك ، فقد اعتمد عليه في نقول كثيرة ، وضحها

(٧) الصافات : ٦٥ .
(٨) الحيوان جـ ٦ ص ٢١٢ .
(٩) تأويل مشكل القرآن ص ١٦ .

الدكتور محمد فؤاد سركين محقق كتاب (المجاز فى القرآن) حيث يذكر فى حواشى الكتاب كل قول نقله الطبرى عن أبى عبيدة ووافق عليه !

وهذا يدل على صدى (المجاز) لدى معارضيه فكيف بموافقيه .

أما اعتماد المفسرين على كتب ابن قتيبة فمن الوضوح بحيث لم ينكره أحد ، لأن ابن قتيبة من أئمة أهل السنة ، وتفسيره البيانى جلى شفيف ، وإذا كان من الضرورى المحتوم لدى المفسر أيا كان اتجاهه أن يصل إلى دقائق النص القرآنى فلا معدى لديه من الوقوف على أقوال البلاغيين .

الإعجاز القرآنى

لا شك أن المتحدثين عن الإعجاز القرآنى قد اختصوا الجانب البيانى منه بالنصيب الأوفر ، لأن بلاغة القرآن كانت مصدر تأثيره فى نفوس من سمعوه لأول مرة ، وهم قوم فصحاء يعلمون معادن القول ، ويطيرون بالحديث البليغ طيرانا محلقا ، ولا يهمنا الآن أن ندرس قضية الإعجاز بما اشتملت عليه من حجاج جدلى ، وبرهان عقلى ، ودفع منطقى ، إنما يهمنا أن نسجل أن من كتبوا عن الإعجاز قد عمدوا إلى كثير من آيات الكتاب الكريم بالتفسير البيانى ، وهذه التفسيرات المتشعبة قد وجدت اهتمام المفسرين لكتاب الله . فرعوها حق رعايتها ، وتحولت جداول وأنهاراً عذبة تصب فى محيط التفسير الفسيح :

فالرّمانىّ يتعرض فى رسالته عن الإعجاز إلى أمثلة شافية من البيان القرآنى ، فهو يقف ـ مثلا ـ أمام قول الله عز وجل[10] ﴿ إِذَا أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقاً وَهِىَ تَفُورُ ، تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ فيقول « شهيقا : حقيقته صوتا فظيعا كشهيق الباكى ، والاستعارة أبلغ منه وأوجز ، والمعنى الجامع بينهما قبح الصوت ، (تميز من الغيظ) : حقيقته من شدة الغليان بالاتقاد ، والاستعارة أبلغ منه لأن مقدار شدة الغيظ على النفس محسوس مدرك ما يدعو إليه من شدة الانتقام ، وفى ذلك أعظم الزجر ، وأكبر الوعظ ، وأول دليل على سعة القدرة وموقع الحكمة ، ومنه « ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً ﴾[11] أى تستقبلهم للإيقاع بهم استقبال مغتاظ يزفر عليهم .

والخطابى يقف من بعض النقدات التى وجهت إلى ألفاظ القرآن ممن لا يعون البيان على وجهه المشرق موقف المصحح المصوب ، إذ نقل عن الجاحظ قول من آثر كلمة « افترس » على أكل فى قوله تعالى ﴿ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ ﴾[12] وأجاب الجاحظ بما رآه ، ولكنه ترك مجالاً للخطابى يقول فيه[13] (إن الافتراس معناه فى فعل السبع القتل

(١٠) ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ص ٨٠ ، سورة تبارك : ٧ ، ٨ .
(١١) الفرقان : ١٢ .
(١٢) يوسف : ١٣ .
(١٣) ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ص ٢٧ .

فحسب ، وأصل الفرس دق العنق ، والقوم إنما ادعوا على الذئب أنه أكله أكلا ، وأنه أتى على جميع أجزائه وأعضائه فلم يترك مفصلا ولا عظما ، وذلك أنهم خافوا مطالبة أبيهم اياه بأثر باق يشهد على صحة ما ذكروه فادعوا فيه الأكل ، ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة ، والفرس لا يعطى تمام هذا المعنى ، فلم يصلح على هذا أن يعبر عنه إلا بالأكل ، على أن لفظ الأكل شائع « فى استعمال الذئب وغيره من السباع ، وحكى ابن السكيت : « أكل الذئب الشاة فما ترك لها تامورا ، وقال بعض الشعراء :

فتى ليس لابن العم كالذئب إن رأى
بصاحبه يوما دما فهو آكله

أما الشريف الرضي فيقف أمام قوله تعالى ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[14] فيقول[15] فى دقة تنظير ، وقوة تدليل :

هذه استعارة خفية ، وقد تكون استعارة خفية ، واستعارة جلية ، وذلك أن حقيقة الميراث فى الشيء هو ما انتقل إلى الإنسان من ملك الغير بعد موته على جهة الاستحقاق ، أما صفة الله بأنه هو الوارث . لخلقه ، كما قال ﴿ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾[16] وكقوله ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[17] فهو مجاز ، والمراد أنه الباقى بعد فناء خلقه ، وتقوض أرضه وسمائه ، وقد استعمل ذلك فى نزول قوم ديار قوم بعدهم ، وأخذ قوم أموال قوم بعد اجلائهم وحربهم ، فقال سبحانه فى هذه السورة ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ ، مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾[18] وقال فى موضع آخر ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ ، وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ﴾[19] وليس يصح فى إيراث الجنة مثل هذه المعانى ، لأن الجنة لا يسكنها قوم بعد قوم ، قد فارقوها وانتقلوا عنها ، فقوله سبحانه ﴿ أن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا ﴾[20] على الأصل الذى قدمناه استعارة ، ويكون المعنى الذى يسوغ هذه الاستعارة أن هؤلاء المؤمنين لما عملوا فى دار الدنيا أعمالا استحقوا عليها الجزاء والثواب ، ولم يصح أن يوفر عليهم ذلك إلا فى الجنة ، وهى من الدار الآخرة ، فكأنهم استحقوا دخولها ، فحسن على هذا الوجه أن يوصفوا بأنهم أورثوها » .

ونختم هذه النقول الكاشفة لمعانى الآيات الكريمة لدى أصحاب المنحى البيانى بمثل نختاره من دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجانى ، ولا يحتاج مثل عبد القاهر إلى إيضاح منزلته فى دنيا البيان العربى ، فإن كتابيه عن أسرار البلاغة ودلائل

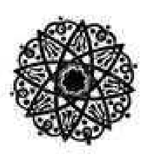
(١٤) الأعراف : ٤٣ .
(١٥) تلخيص البيان للشريف الرضى ص ١٤٥ .
(١٦) القصص : ٥٨ .
(١٧) آل عمران : ١٨٠ .
(١٨) الأعراف : ١٣٧ .
(١٩) الأحزاب : ٢٧ .
(٢٠) الأعراف : ٤٣ .

الإعجاز هما عمدة البيانيين اليوم ، ومن دلائل الإعجاز ننقل تفسيره لقول الله عز وجل : ﴿ وَقِيلَ يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[21] حيث جلى ما يعنيه بقضية النظم القرآنى تجلية رائعة فى قوله[22]

إن شككت فتأمل ، هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها ، وأفردت لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهى فى مكانها من الآية ، قل (ابلعى) وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وما بعدها ، وكذلك فاعتبر ما يليها ، وكيف بالشك فى ذلك ، ومعلوم أن مبدأ العظمة فى أن نوديت الأرض ، ثم أمرت ، ثم أن كان النداء بـ (يا) دون (أى) نحو ياأيتها الأرض ، ثم فى إضافة الكاف إلى الماء ، دون أن يقول ابلعى الماء ، ثم أن أتبع نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها نداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها ثم أن قيل « وغيض الماء » فجعل الفعل على صيغة « فُعِل » الدالة على أنه لم يغض إلا بأمر آمر ، وقدرة قادر ، ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور وهو استوت على الجودى ، ثم إضمار السفينة قبل الذكر ، كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظيم الشأن ، ثم مقابلة « قيل » فى الخاتمة ، بقيل فى الفاتحة ، أفترى لشىء من الخصائص التى تملؤك بالإعجاز روعة ، وتحضرك عند تصورها رهبة تحيط بالنفس من أقطارها تعلقا باللفظ من حيث هو صوت مسموع ، وحروف تتوالى فى النطق ، أم كل ذلك لما بين معانى الألفاظ من الاتساق العجيب » .

هذا بعض ما يشير إلى خطرات البلاغيين فى مضمار التفسير القرآنى ، وقد أشرت إلى هذه النصوص فى كتابى خطوات التفسير البيانى ، فى مواضع متفرقة وفق المقتضى ، ولمن يريد أن يستجلى النص فى مناسبته وموضعه وإضافاته الجديدة أن يرجع إلى كتاب الخطوات ، نظراً لضيق المجال .

(د . محمد رجب البيومى)



---

(٢١) هود : ٤٤ .

(٢٢) دلائل الإعجاز : ص ٣٦ ط السيد محمد رشيد رضا



الوصية الواجبة

دراسة مقارنة

فى الوصية الواجبة

يشتمل البحث على :

مقدمة فى الوصية - دليل الوصية - انتقال الملك فى الوصية - حكم الوصية - أدلة من قال بوجوبها - أدلة من قال بعدم الوجوب - الوصية للوارث وأقوال الفقهاء فيها - الوصية بأكثر من الثلث - خلاصة أحكام الوصية وشروطها ، الوصية الواجبة ، مبدأ العمل بها ، تعريفها ، نظام الوصية الواجبة ومواد القانون التى استحدثتها - المذكرة التفسيرية ، شرح نظام الوصية الواجبة ، طريقة استخراج مقدارها ، أمثلة تطبيقية .

دراسة حول الوصية الواجبة ، قوة شبهها بالميراث ، أقوال العلماء فى ذلك ، ضعف شبهها بالوصايا ، المحظورات الشرعية المترتبة عليها . ثمانية أمثلة لهذه المحظورات ، أقوال العلماء فى عدم شرعية الوصية الواجبة ، المخالفات العشر التى وقع فيها واضعو قانون الوصية الواجبة ، نتيجة وبيان وبلاغ . (1)

الوصية الواجبة

مقدمــــة فى الوصيــة :

شرع الله الوصية وهى تمليك مضاف إلى ما بعد الموت بطريق التبرع سواء أكان الموصَى به عينا أم منفعة . فللإنسان أن يوصى فى حال حياته بأن يصرف جزءاً من ماله بعد موته لشخص معين أو فى عمل من أعمال الخير أو فى أداء ما وجب عليه من الفرائض والواجبات التى قصر فى أدائها وهو يريد أن يتدارك ما فاته منها إبراء لذمته وتحصيلاً للثواب الذى هو فى أشد الحاجة إليه ، وفى الوقت نفسه يخشى أن يتبرع بماله فى حياته

---

(١) هذا الموضوع يطرحه كاتبه للبحث وتلقى وجهات النظر من العلماء المختصين ، والمجلة على استعداد تام لقبول دراساتهم ، والله الهادى إلى الحق وأقوم سبيل - مجلة الأزهـر .

ثم تمتد به الأيام ويطول به الأجل فيحتاج إلى ماله فى قضاء مصالحه فى الدنيا ودفع حاجته فيها ، فهو بين الرغبة فى الاستزادة من الثواب ، والخشية من العوز وذل الحاجة فى الحياة ؛ فشرع الله الوصية للناس رحمة بهم . وتمكينا لهم من مقاصدهم فى فعل الخير مع تأمين حياتهم من شر الفقر والفاقة ففتح لهم بذلك أبواب الخير بنفوس مطمئنة ، وتصدق عليهم بثلث أموالهم يوصون فيه بما يريدون ولا ينفذ ذلك عليهم إلا بعد موتهم إذا استمروا على وصيتهم وماتوا دون أن يرجعوا فيها .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن الله تصدق عليكم بثلث أموالكم زيادة فى أعمالكم فضعوه حيث شئتم أو حيث أحببتم » رواه البخارى .

ولم تجز الوصية فيما زاد على ثلث المال مراعاة لحق الورثة فأبقى الله لهم الثلثين لا تنفذ فيهما وصية مورثهم إلا إذا أجازوها .

دليل الوصيـــة :

ثبتت الوصية بالكتاب والسنة والإجماع والمعقول .

أما الكتاب فمنه قول الله تعالى :
« مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَا أَو دَيْنٍ » . [٢]
فقد جعل الله الميراث بعد الوصية . وذلك يدل على شرعيتها وتقديم تنفيذها على الميراث .

ومنه قوله تعالى :
« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُم إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ » . . [٣]

فقد طلب منا سبحانه الإشهاد على الوصية فدل ذلك على أنها مشروعة .

أما السنة فمنها ما رواه سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : « جاءنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعودنى عام حجة الوداع من وجع اشتد بى فقلت : يا رسول الله . إنى قد بلغ بى الوجع ما ترى ، وأنا ذو مال ولا يرثنى إلا ابنة أفأتصدق بثلثى مالى ، قال : لا . قلت فالشطر يا رسول الله . قال : لا.قلت : فالثلث . قال : الثلث والثلث كثير أو كبير . إنك إن تَذَرْ ورثتَكَ أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس » .

وأما الإجماع فإن الأمة من لدن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى يومنا هذا ، يوصون من غير إنكار من أحد فيكون إجماعاً من الأمةعلى ذلك .

وأما المعقول فهو كما قال الكاسانى [٤] .
« فإن الإنسان يحتاج إلى أن يكون ختم عمله بالقربة ، زيادة على القرب السابقة ، على ما نطق به الحديث . [٥] أوتداركا لما فرط منه

←

(٢) آية رقم ١١ من سورة النساء .
(٣) آية رقم ١٠٦ من سورة المائدة .
(٤) البدائع جـ ٧ ص ٣٣٠ .
(٥) « إن الله تصدق عليكم بثلث أموالكم .. الحديث » .

◆ الوصـية الواجبـة

فى حياته ، وذلك بالوصية ، وهذه العقود ما شرعت إلا لحوائج العباد إليها ؛ فإذا مست الحاجة إلى الوصية وجب القول بجوازها » .

انتقال الملك فى الوصيـة :

وينتقل ملك الشيء الموصَى به عند موت الموصِى لا قبله ، فإنه قَبْلَ الموت يجوز للموصِى أن يرجع فى وصيته ، ولذلك يعتبر قبول الموصَى له عند الموت كذلك ولا عبرة لقبوله قبله فإنه لا يفيده .

وركن الوصية الإيجاب من الموصِى والقبول من الموصَى له إذا كان معينا وذلك عند جمهور الفقهاء [٦] ، أما إذا كانت لغير معين كالوصية للفقراء أو لبناء مسجد أو مدرسة أو مستشفى فإنها تتم بالإيجاب فقط ولا تتوقف على قبول الموصَى له لتعذر ذلك وعدم الحاجة إليه فينتقل المال الموصَى به من ملك الموصِى ويخرج لتنفيذ الوصية إذا لم يجاوز ثلث التركة ؛ فإذا جاوز الثلث توقف نفاذها فى الزيادة على إجازة الورثة ، لأن حقهم تَعَلَّقَ بالثلثين فلا يؤخذ منهما شيء إلا برضى أصحاب الحق فيهما وهم الورثة [٧] .

والتركة التى تنفذ الوصية من ثلثها هى ما يبقى من المال بعد تجهيز الميت وسداد ديونه إن وجدت لأن ذلك من ضروراته التى لا بد من الصرف إليها أولاً سواء فى حالتى الحياة والممات .

حكم الوصيـة :

قال ابن حزم : الوصية فرض على كل من ترك مالاً : لما روينا عن طريق مالك عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ما حق امرىء مسلم له شيء يوصى فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته عنده مكتوبة » .

قال ابن عمر : ما مرت على ليلة مذ سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال ذلك إلا وعندى وصيتى .

وروى الوجوب عن ابن عمر وطلحة والزبير وقال : هو قول عبد الله بن أبى أوفى ، وطلحة ابن مطرف ، وطاووس ، والشعبى وغيرهم ، وهو قول أبى سليمان وجميع أصحابنا . أهـ[٨] .

قال : وفرض على كل مسلم أن يوصى لقرابته الذين لا يرثون ... فيوصى لهم بما طابت به نفسه لا حد فى ذلك ، فإن لم يفعل أعطوا ولابد ما رآه الورثة أو الوصى [٩] .

---

(٦) خلافاً لزفر من الحنفية : فإن الوصية عنده تتم بالإيجاب فقط ، ولا تتوقف على قبول الموصى له .
(٧) خلافاً لابن حزم فإن الوصية عنده لا تجوز بأكثر من الثلث ولو اجازها الورثة ا هـ المحلى جـ ٩ ص ٣١٧ .
(٨) المحلى جـ ٩ ص ٣١٢ .
(٩) المحلى جـ ٩ ص ٣١٤ .

وقال داود : هى واجبة للوالدين والأقربين الذين لا يرثون ، وحكى ذلك عن مسروق وطاووس وإياس وقتادة وابن جرير [١٠] واحتجوا بقول الله تعالى : « كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقاً عَلَى الْمُتَّقِينَ » قالوا : فهذا فرض كما نسمع خرج منه الوالدان والأقربون الوارثون وبقى من لا يرث منهم على هذا الفرض .

وذهب الأئمة الأربعة والزيدية إلى أنها ليست فرضاً على كل من ترك مالاً ولا للوالدين والأقربين غير الوارثين .

وفى التطبيق العملى نجد أن الوصية يختلف حكمها باختلاف الأحوال التى تدعو إليها فتعتريها الأحكام الخمسة من وجوب وندب وحرمة وكراهة وإباحة [١١] .

١ ـ تجب بحقوق الله تعالى التى فرط فيها كزكاة ونحو ذلك ، وبحقوق العباد التى لا تعلم إلا من جهة الموصِى كدين ووديعة لا يعلم بها عن تثبت بقوله . لأن الله تعالى فرض أداء الأمانات ، وطريقه فى هذا الباب الوصية فتكون واجبة عليه .

٢ ـ تندب فى القربات لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به . أو ولد صالح يدعو له » . كما تندب للمحارم الفقراء وأهل الصلاح والتقوى .

٣ ـ تحرم الوصية بالمعاصى كخمر وبناء كنيسة ودار لهو ونحو ذلك وفى الإضرار بالغير .

٤ ـ تكره لأهل الفسق والمعاصى إذا غلب على الظن صرفها فى الفسق والفجور مع احتمال غير ذلك .

٥ ـ تباح لغنى من الأقارب أو الأجانب . والأفضل فى الوصية المندوبة والمباحة أن يقدم الموصِى من لا يرث من قرابته المحارم ثم غير المحارم ثم بالرضاع ثم بالمصاهرة ثم بالولاء ثم بالجوار كالصدقة المنجزة [١٢] .

ومن كان له ورثة لا تغنيهم تركته فلا يستحب له أن يوصى ؛ لأن إغناء الوارث خير من إعطاء الأجنبى . والمختار ما ذهب إليه الأئمة الأربعة والزيدية من عدم وجوب الوصية على كل من ترك مالاً ولا للوالدين والأقربين غير الوارثين لأن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مات ولم يوص ولو كانت فرضاً ما تركها .

وكذلك أكثر الصحابة لم ينقل عنهم وصية ولم ينقل أن أحداً أنكر عليهم ترك الوصية وقول الله تعالى : « مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَا أَوْ دَيْنٍ » لا يفيد وجوب الوصية غاية الأمر أن الوصية إن وجدت تكون مقدمة على الميراث فى

(١٠) المغنى جـ ٦ ص ٢ .
(١١) حاشية ابن عابدين جـ ٥ ص ٤٢٨ ومثله فى فتح البارى جـ ٥ ص ٣٥٩ طبعة دار الفكر .
(١٢) شرح الترتيب جـ ٢ ص ٢ .

حدود الثلث ، وأن الميراث يكون بعد سداد الدين وإخراج الوصية التى استوفت أركانها وشرائطها وأصبحت لازمة بالموت .

وحديث ابن عمر الذى استدل به ابن حزم على وجوب الوصية قد جاء فى بعض رواياته « له شىء يريد أن يوصى فيه » فرد الأمر إلى إرادة الموصِى ، أو أن هذا الحديث محمول على من عليه واجب أو عنده وديعة فتكون الوصية واجبة فى حقه كما قدمنا .

وقوله تعالى : « كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ ... » كانت أول الأمر فوض الله فيها إلى من حضرته الوفاة أن يوصى للوالدين والأقربين بالمعروف دون أن يقيده سبحانه بشىء من السهام والأنصباء .

ثم أنزل سبحانه آية المواريث وبين فيها السهام والأنصباء وجعل ذلك وصية منه سبحانه ، فدل على أن الذى فوضه إليكم أولاً قد تولى سبحانه بيانه بنفسه ، وبذلك انتهى أمر الوصية المكتوبة للوالدين والأقربين بحصول المقصود بما هو أقوى منها كما لو أمر إنسان غيره بعمل ثم تولاه بنفسه فإنه بذلك ينتهى حكم الوكالة [١٣] .

وقد جاء حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله : « إن الله أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث » مشيراً إلى أن آية الميراث قد أعطى الله فيها الوارث كل حقه فدل على ارتفاع الوصية له وتحول حقه من الوصية إلى الميراث . وإذا تحول لا يبقى له حق فى الوصية ، كالقبلة تحولت من بيت المقدس إلى الكعبة لم يبق بيت المقدس قبلة ، وكالدَّيْنِ إذا تَحول من ذمة إلى ذمة لا يبقى فى الذمة الأولى [١٤] .

الوصيـة للوارث :

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الوصية للوارث غير جائزة وذلك لحديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « لا وصية لوارث » ولم يخالف أحد فى ذلك إلا الشيعة الامامية الذين قالوا : إن الوصية للوارث صحيحة نافذة ولو لم يُجِزْها الورثةُ واستدلوا لقولهم هذا بعموم قوله تعالى : « كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ .. الآية » .

وقد بينا أن هذه الآية كانت فى شأن وجوب الوصية أول الأمر قبل فرض الميراث . ولما فرض الله الميراث وحدد أنصباءه وتولى ذلك بنفسه انتهى العمل بهذه الآية وبين ذلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله : « إن الله أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث » .

وجمهور الفقهاء الذين اتفقوا على عدم جواز الوصية للوارث : [١٥] منهم من رأى أن

---

(١٣) من الألوسى جـ ٢ ص ٤٧ طبعة منير .

(١٤) البدائع جـ ٧ ص ٣٣١ .

(١٥) وهم الحنفية والشافعية وأحمد وقول غير مشهور للمالكية .

عدم الجواز إنما كان لحق الورثة فإذا تنازل الورثة عن حقهم وأجازوها جازت ومَلَكَ الوارثُ الموصَى له ما أوصى به الميت . وإن لم يجزها الورثة بطلت وذلك حقهم واستندوا فى ذلك إلى ما جاء فى رواية الحديث المتقدم عند البيهقى أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لا وصية لوارث إلا أن يجيز الورثة » فدل ذلك على أن صحة الوصية للوارث تتوقف على إجازة الورثة وترد بردهم .

والعبرة فى إجازة الورثة وعدمها بعد موت الموصِى لا قبله .

ومنهم [16] من اخذ بظاهر الحديث « لا وصية لوارث » فقال : لا تجوز الوصية للوارث أصلاً سواء أجاز الورثة أم لم يجيزوا فإن الله منع من ذلك على لسان نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فليس للورثة أن يجيزوا ما أبطله الله تعالى . فإذا أجازوها تكون عطية مبتداة منهم لأن ذلك مَالُهُمْ يتصرفون فيه كما يشاءون .

والفرق بين القولين :

أن على القول الأول تكون إجازة الورثة تنفيذاً لوصية الموصِى فلا تحتاج إلى قبول جديد من الموصَى له ، ولا يجوز الرجوع فى هذه الإجازة ولو قبل قبض الموصَى له به .

أما على القول الثانى فتكون إجازة الورثة هبة وعطية من مالهم لا تتم إلا بقبول الموهوب له ويجوز الرجوع فيها قبل القبض وتأخذ أحكام الهبة لا الوصية .

ولم يقل أحد من الفقهاء : إن الوصية للوارث صحيحة نافذة ولو لم يجزها الورثة إلا الإمامية الذين ظهر ضعف استدلالهم وسبق الرد عليهم .

ومع ذلك فقد أخذ قانون الوصية المصرى رقم ٧١ لسنة ١٩٤٦ بقولهم فأجاز الوصية للوارث فى حدود الثلث من غير توقف على إجازة الورثة ، وجاء ذلك فى المادة ٣٧ منه وفيها .

« تصح الوصية بالثلث للوارث وغيره ، وتنفذ من غير إجازة الورثة » وقد خالف القانون فى ذلك الأئمة الأربعة وجمهور الفقهاء من غير مبرر ظاهر .

الوصيـة بأكثر من الثلث :

قال ابن حزم [17] : ولا يجوز الوصية بأكثر من الثلث ، كان له وارث أو لم يكن له وارث ، أجاز الورثة أم لم يجيزوا لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حديث سعد : الثلث والثلث كثير أو كبير .

ويرى ابن حزم أن هذا الجزء من الحديث قضية قائمة بنفسها ، وحُكْمٌ فَصْلٌ غير متعلق بما بعده ، وأن ما بعده ليس علة له ؛ فإنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ابتدأ قضية أخرى مبتداة قائمة بنفسها غير متعلقة بما قبلها .

(١٦) ابن حزم ومشهور قول المالكية .
(١٧) المحلى جـ ٩ ص ٣١٧ .

الوصية الواجبة

فقال - صلى الله عليه وسلم - : « إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس » : واستدل بالخبر الذى روى أن رجلاً من الأنصار أوصى عند موته بعتق ستة أَعْبُد - لا مال له غيرهم - فدعاهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأقرع بينهم فأعتق اثنين وأرق أربعة .

وابن حزم فى قوله ببطلان الوصية فى أكثر من ثلث التركة يرى أن ما زاد على الثلث من حق الورثة وأن تصرف الموصى فيما استحقه الورثة بالميراث باطل لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام » فليس لهم إجازة الباطل ، لكن إن احبوا أن ينفذوا ذلك من مالهم باختيارهم فلهم ذلك . ولهم حينئذ أن يجعلوا الأجر لمن شاءوا [١٨] .

وتحرير المذهب على هذا يتلاقى مع مذهب المالكية القائلين بأن الوصية للأجنبى بما زاد على الثلث باطلة « وإذا أحاز الورثة تكون عطية لا تنفيذاً لوصية الميت فتحتاج إلى قبول ثان [١٩] .

واتفق الحنفية والشافعية والحنابلة والزيدية والإمامية [٢٠] فيما إذا كان له (وارث) على أن الوصية للأجنبى بما زاد على الثلث صحيحة موقوفة على إجازة الورثة بعد الموت ؛ فإن أجازوها جازت وإن لم يجيزوها بطلت فيما زاد ورد إلى الثلث ، وذلك لأن المنع كان لحق الورثة فإذا أجازوا زال المانع .

أما إذا لم يكن له وارث فإن بعض الفقهاء يرى أنه لا يجوز له أن يوصى بأكثر من الثلث وإن لم يكن له وارث .

ويرى آخرون أن المنع كان لحق الورثة وهذا المانع غير موجود لعدم الوارث فيجوز له أن يوصى بما شاء ولو استغرق بالوصية جميع ماله .

وقد أخذ قانون الوصية رقم ٧١ لسنة ١٩٤٦ بما ذهب إليه جمهور الفقهاء ، وهو أن الوصية - بما زاد على الثلث - صحيحة موقوفة على إجازة الورثة ، وجاء ذلك فى المادة ٣٧ وفيها : « وتصح بما زاد على الثلث ، ولا تنفذ فى الزيادة إلا إذا أجازها الورثة بعد وفاة الموصى ، وكانوا من أهل التبرع عالمين بما يجيزونه » .

وأخذ القانون بجواز الوصية بكل المال عند عدم الوارث فجاء فى المادة ٣٧ منه ما نصه : « وتنفذ وصية من لا دين عليه ، ولا وارث له بكل ماله أو بعضه من غير توقف على إجازة الخزانة العامة » .

---

(١٨) المحلى جـ ٩ ص ٣٢٠ .

(١٩) حاشية الدسوقى على الشرح الكبير جـ ٦ ص ٤٢٧ .

(٢٠) يراجع عند الحنفية البدائع جـ ٧ ص ٣٧٠ وعند الشافعية شرح الترتيب جـ ٢ ص ٥ وعند الحنابلة المغنى جـ ٦ ص ١٢ وعند الزيدية البحر الزخار جـ ٥ ص ٣٠٣ ، ٣٠٩ وعند الإمامية الشرائع جـ ١ .

الخلاصـــــة :

وخلاصة القول فى أحكام الوصية وشروطها نجمله فيما يأتى :

١ ـ أن الوصية صدقة من الله تعالى على عباده تنفذ فى ثلث أموالهم زيادة فى أعمالهم .

٢ ـ أنها ثبتت بالكتاب والسنة والإجماع .

٣ ـ أنها لا تجوز فيما زاد على الثلث ولا تجوز لوارث إلا إذا أجاز الورثة ذلك .

٤ ـ أنها ليست واجبة فللمالك ألا يوصى بشىء ويترك ماله لورثته خلافاً لابن حزم وداود .

٥ ـ أنها تتم بالإيجاب من الموصِى والقبول بعد الموت من الموصَى له إذا كان معيناً . ويجوز رجوع الموصِى عن وصيته كما أنها ترد إذا لم يقبلها الموصَى له فليس فيها اجبار لأحدهما

٦ ـ لا تجب الوصية إلا بحقوق الله تعالى التى فرط فيها العبد أو قصر وبحقوق العباد التى لا تعلم إلا من جهة الموصى ولا يعلم بها من تثبت بقوله .

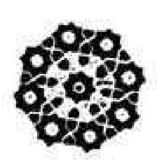
٧ ـ أن القائلين بوجوب الوصية للقرابة الذين لا يرثون لا يجبرون الموصِى على الإتيان بها ، ولا يحددون مقدارها فيوصِى لهم بما طابت به نفسه لا حد فى ذلك . فإن لم يفعل أعطاهم الورثة أو الوصِى ما يرونه وما تطيب نفوسهم به .

٨ ـ أن آية المواريث التى حدد الله فيها نصيب كل وارث وتولى بنفسه توزيع التركة على الوارثين نسخت ما كان أول الأمر من تفويض التوزيع لمالك المال عن طريق الوصية ، ووجوب أن يجعل نصيباً للوالدين الأقربين بالمعروف حقاً على المتقين ، فلم تعد هناك وصية واجبة لأحد على أحد بعد أن أعطى الله كل ذى حق حقه .

ومع هذه الأحكام التى تستند إلى ما جاء فى الكتاب والسنة وإجماع الأمة والتى قال بها جمهور الأئمة . فقد جاء قانون الوصية المصرى رقم ٧١ لسنة ١٩٤٦ بما أسماه « الوصية الواجبة » منشئاً بذلك حقاً ليس فى شرع الله . وجعل تنفيذه جبراً على الموصِى والموصَى له على خلاف أحكام الوصايا فإنها اختيارية لا تتم إلا بالإيجاب والقبول .

وارتكب فى ذلك محظورات شرعية كثيرة وصلت إلى درجة مخالفة لما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سنبينها فيما يأتى :

يتبـــع





الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام الأنبياء وسيد المرسلين وعلى آله وصحبه ومن استن بسنته إلى يوم الدين .

فى هذه الفترة الأليمة التى بلغت فيها حالة المسلمين من التفرق والتمزق وإراقة دمائهم بأيديهم - لا بأيدى أعدائهم - درجة من المأساة لا تعتبر مأساة محاكم التفتيش الأسبانية شيئاً مذكوراً لو قورنت بمأساتنا الدامية الفاجعة ، وعجزت جهود العقلاء من كبار المسلمين عن إيقاف إراقة هذه الدماء البريئة .

فى هذه الفترة الأليمة نقرأ أو نسمع ما لم يكن من الممكن للعقل البشرى أن يتصوره وهو أن بعضاً ممن ظنوا أنهم صاروا علماء ، يطردون المسلمين من المساجد فى ليالى رمضان بعد أداء ثمانى ركعات ظانين أن قيام الليل قد تم بذلك وأن التراويح ليست من الإسلام[1]

كأن هؤلاء « العلماء » لم يكفهم دماء إخواننا المسلمين التى تراق كالسيل فى كثير من البلاد الإسلامية هباء .

وكأنهم لم يكفهم ما يسمعون من أن بعض الزعماء من غير المسلمين يطلبون علناً من المسئولين فى بلادهم استخدام أقسى وسائل القمع مع المسلمين الذين قضى الله - عز وجل - أن يعيشوا تحت حكمهم لمنعهم من أن يقولوا - لا إله إلا الله -

كأن هؤلاء « العلماء » لم يكفهم هذا وذاك فأخرجوا المسلمين من المساجد فى ليالى رمضان حتى لا يصلوا أكثر من ثمانى ركعات فـ « لا حول ولا قوة إلا بالله » . هذه مأساة جديدة ما كنا نتوقع وقوع مثلها .

على أننا فى الآونة الأخيرة كثيراً ما نقرأ فى بعض الجرائد والمجلات أو نسمع عن طريق وسائل الإعلام المسموعة والمرئية تساؤلات حول قيام رمضان ، أهو ثمانى ركعات أم عشرون ركعة ؟

كأن هذه التساؤلات تلمح إلى أن المسلمين قد انتهوا من جميع مشاكلهم الدينية

---

(١) راجع مجلة الأزهر الصادرة فى جمادى الأولى لسنة ١٤٠٧ هـ صـ ٦٢٨ .

لفضيلة الأستاذ الشيخ
توفيق إسلام يحيى

والسياسية والاقتصادية والاجتماعية فلم يبق أمامهم ما يعوقهم من الوصول إلى قمة المجد وأوج الرقى إلا معرفة عدد ركعات قيام رمضان ، وأمر عددها قد تم وانتهى قبل أن تلتحق روح عمر « رضى الله عنه » ببارئها[٢]

والمطلع على كتب التراث الإسلامى وإن كان يجد خلافات حول سنية عدد ركعات قيام رمضان ، إلا أن هذا المطلع مع ذلك يجد إجماع المؤلفين على أن عدد ركعات قيام رمضان عشرون سوى الوتر [٣] .

وما قرأته فى مجلة « الأزهر » الشريف من قيام بعض من يدعون العلم بطرد المسلمين من المساجد بعد أداء ثمانى ركعات من قيام رمضان .

وما أسمع من تساؤلات بعض الناس حول عدد ركعات هذا القيام ، هو الذى حملنى على القيام ببحث هذا الموضوع من مختلف جوانبه .

وأرجو من الله ـ تعالى ـ أن أكون قد وفقت فى توضيحه بحيث لا يحتاج المتسائل إلى مزيد من الوضوح والبيان .

وأبدأ الموضوع ببيان :

ما ثبت به أصل قيام رمضان .

ثم ما ثبت به سنية هذا القيام .

ثم ذكر الأحاديث الشريفة الواردة حول عدد ركعات هذا القيام فى عهد النبى ﷺ وفى خلافة أبى بكر وصدر من خلافة عمر « رضى الله عنهما » :

ثم بيان ما استقر به أمر المسلمين من عهد عمر « رضى الله عنه » إلى يومنا ، وأقول وبالله التوفيق :

ثبوت فضل قيام رمضان

وردت إلينا أحاديث كثيرة تُرَغِّبُ فى إحياء ليالى رمضان بالطاعة ، وتثبت ما لهذه الطاعة من فضل عند الله ـ تعالى ـ منها :

ما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » .

وروى مسلم عن أبى هريرة قال : كان رسول الله ﷺ يرُغِّب فى قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة فيقول : « من قام رمضان ... الخ » .

←

(٢) كما سنتبين ذلك كله وبكل وضوح فى أثناء هذا البحث .
(٣) سنذكر ذلك بالتفصيل فيما بعد .

هذان الحديثان يدلان على فضيلة قيام رمضان ويؤكدان استحباب هذا القيام .

ومعنى « قام رمضان » أى قام لياليه مصلياً . وليس المراد من قيام الليل ما يحصل به مطلق القيام قليلاً كان أو كثيراً كما قيل ؛ بل المراد الإكثار من الطاعة فى ليلة رمضان حتى تكون الليلة كلها مشمولة بالصلاة وتلاوة القرآن والذكر والتسبيح ونحو ذلك .

وبما أن فى الصلاة تلاوة وذكراً وتسبيحاً فإن ذلك يستدعى أن يكثر المسلمون من ركعات صلاة القيام حتى إذا لم تشمل الليل كله فلا أقل من شمولها أكثر الليل . ويُفْهَم هذا المراد من « قام رمضان » .

حيث تقرر فى علم « أصول الفقه » أن الظرف إذا كان منصوباً على نزع الخافض « فى » صار الظرف بمنزلة المفعول به .

وذلك يقتضى أن يعم الفعل جميع الظرف إلا بدليل ، بخلاف ما إذا كان الظرف مجروراً بالخافض « فى » فإن الفعل حينئذ يعم بعض الظرف لا كله ، وكل من عنده إلمام بعلم أصول الفقه يعرف الفرق بين « قام الليل » و« صام رمضان » وبين « قام فى الليل » و« صام فى رمضان »

إذا ثبت هذا يكون المطلوب استغراق الليل كله بالطاعة . وهذا غير ممكن عقلاً وشرعاً .

أما عقلاً : فإن الإنسان قد يضطر إلى تجديد الوضوء أكثر من مرة فينقطع عن الطاعة .

وأما شرعاً فإن الشارع ندب إلى تناول السحور آخر الليل فينقطع أيضاً عن الطاعة .

وطبقاً للقواعد الأصولية يكون المطلوب شمول أكثر الليل بالطاعة ، وذلك لا يتحقق بثمانى ركعات . لذلك كان أهل مكة يطوفون بين كل أربع ركعات ، لأن الطواف طاعة . وكان أهل المدينة يصلون فرادى ـ بدل الطواف ـ بين كل شفعين أربع ركعات .

ثبوت سنية هذا القيام

قيام رمضان سنة مؤكدة بدليل مواظبة النبى ﷺ على ذلك ، فقد روى الشيخان وأصحاب السنن عن أبى سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة « رضى الله عنها » : كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ فى رمضان ؟

فقالت : ما كان رسول الله ﷺ يزيد فى رمضان ولا فى غيره على إحدى عشرة ركعة : يصلى أربعاً فلا تسل عن حسنهن وطولهن . ثم يصلى أربعاً فلا تسل عن حسنهن

وطولهن ، ثم يصلى ثلاثاً » قالت عائشة : قلت يا رسول الله : أتنام قبل أن توتر ؟ فقال : ياعائشة : إن عَيْنَىَّ تنامان ولا ينام قلبى »(٥) .

هذا الحديث يفيد :

أنه ﷺ كان يصلى ليلاً فى رمضان ثمانى ركعات . ولفظ « يصلى » جواباً لسؤال : كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ يفيد مواظبة رسول الله ﷺ على قيام رمضان والمواظبة دليل على سنية هذا القيام .

ويؤيد أيضاً سنية قيام رمضان الحديث الذى سنذكره فيما بعد ، وفيه طلب النبى ﷺ من أصحابه أن يصلوا صلاة القيام فى بيوتهم ، فقد روى البخارى ومسلم عن زيد ابن ثابت أن رسول الله ﷺ اتخذ حجرة ـ قال حسبت أنه قال : من حصير ـ فى رمضان فصلى فيها ليالى ، فصلى بصلاته ناس من أصحابه ، فلما علم بهم جعل يقعد ، فخرج إليهم فقال : قد عرفت الذى رأيت من صنيعكم . فصلوا أيها الناس فى بيوتكم ، فإن أفضل الصلاة صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة(٦)

فى هذا الحديث وإن كان النبى ﷺ طلب من أصحابه ترك أو عدم أداء صلاة قيام رمضان جماعة إلا أنه طلب منهم صراحة أن يؤدوها فى بيوتهم.ودلالة ذلك على سنية قيام رمضان أمر واضح من غير جدال .

ثبوت سنية قيام رمضان جماعة

أداء قيام رمضان فى المساجد أو فى البيوت جماعة سنة أيضاً فقد روى البخارى ومسلم عن عروة بن الزبير أن عائشة « رضى الله عنها » أخبرته أن رسول الله ﷺ خرج ليلة من جوف الليل فصلى فى المسجد وصلى رجال بصلاته ، فأصبح الناس فتحدثوا ، فاجتمع أكثر منهم فصلى فصلوا معه ، فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة ، فخرج رسول الله ﷺ فصلى فصلوا بصلاته ، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح ، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال :

أما بعد فإنه لم يَخْفَ علىّ مكانكم ، ولكنى خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها .

فتوفى رسول الله ﷺ والأمر على ذلك .

وفى رواية زيادة :

فتوفى رسول الله ﷺ والناس على ذلك ، ثم كان الأمر على ذلك فى خلافة أبى بكر وصدر من خلافة عمر « رضى الله عنهما » (٧) .

هذا الحديث دليل واضح على سنية الجماعة فى قيام رمضان حيث خرج رسول الله ﷺ مرات إلى المسجد يصلى هذه الصلاة فيه ويصلى الصحابة بصلاته . وكان ﷺ يريد أن يواظب على أدائها جماعة لولا أن عرض عليه

---

(٥) راجع الحديثين رقم ١١٤٧ ورقم ٢٠١٣ فى فتح البارى طبعة الريان .

(٦) راجع الحديث رقم ٣١٧ فى فتح البارى طبعة الريان ، وفى شرح مسلم للنووى جزء ٦ صـ ٦٩ .

(٧) الحديث رقم ٢٠١٢ ورقم ٢٠٠٩ فى فتح البارى طبعة الريان .

عارض وهو خشيته من أن تفرض عليهم فيعجزوا عنها .

هذا الحكم إذن - وهو « سنية جماعة قيام رمضان » - جُمِّد لهذا العارض . وكلنا يعلم أن بعض الأحكام تُجمَّد مؤقتاً لعارض ، فإذا زال العارض عادت الأحكام إلى حالتها الأولى :

فالمرأة مثلاً إذا حاضت فى رمضان امتنعت عن الصيام لوجود العارض وهو الحيض ، فإذا طهرت زال العارض .

وبزوال العارض يعود الحكم إلى ما كان عليه وهو وجوب الصوم عليها من وقت انقطاع الحيض .

وهنا زال العارض - وهو خوف الافتراض - بوفاته ﷺ حيث انقطع الوحى وانتهى التشريع فعاد الحكم وهو سنية الجماعة فى صلاة القيام إلى ما كان عليه .

وقد فهمنا من الحديث الرابع الذى سبق ذكره أن النبى ﷺ طلب من الصحابة أن يصلوا صلاة القيام فى بيوتهم . والحديث الذى معنا هنا أثبت ذلك حيث جاء فى آخره « .... والأمر على ذلك » أى على ترك الجماعة فى صلاة القيام .

والحديث الذى سيأتى - بعد قليل - يبين لنا أن الصحابة « رضى الله عنهم » لم ينقطعوا عن أداء قيام رمضان جماعة [8] ، فمنهم من كان يصلى لنفسه ، ومنهم من كان يصلى فيصلى بصلاته الرهط .

نستنتج مما سبق أن سنية الجماعة فى قيام رمضان ثبتت بخروج النبى ﷺ إلى المسجد مراراً ، وأداء هذا القيام جماعة . وحرصه على هذا الخروج لولا العارض وهو خشية الافتراض عليهم ، وبعد الوفاة زال العارض فعاد الحكم .

جمع عمر الناس على إمام واحد

روى البخارى « رضى الله عنه » عن عبد الرحمن بن عبد القارى « أنه قال : خرجت مع عمر بن الخطاب « رضى الله عنه » ليلة فى رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع [9] متفرقون يصلى الرجل لنفسه ، ويصلى

(٨) روى الإمام أحمد فى مسنده عن عائشة « رضى الله عنها » قالت : كان الناس يصلون فى مسجد رسول الله ﷺ فى رمضان بالليل أوزاعاً يكون مع الرجل شىء من القرآن فيكون معه النفر الخمسة أو الستة أو أقل من ذلك أو أكثر فيصلون بصلاته .

قالت : فأمرنى رسول الله ﷺ ليلة من ذلك أن أنصب له حصيراً على باب حجرتى ففعلت فخرج إليه رسول الله ﷺ « بعد أن صلى العشاء الآخرة فاجتمع إليه من فى المسجد فصلى بهم .. » . هذا الحديث أيضاً يؤيد سنية الجماعة فى قيام رمضان حيث أقرهم على فعلهم وصلى بهم ثم ترك ذلك لعارض وهو خشية الافتراض . ذكر الإمام أحمد « رحمه الله » هذا الحديث بمسنده فى أبواب التاريخ شرح الشيخ الساعاتى .

(٩) « أوزاع » قال ابن الأثير فى النهاية : معناها متفرقون ، أراد أنهم كانوا يتنقلون فى المسجد بعد صلاة العشاء متفرقين ، وعلى هذا يكون « متفرقون » تأكيداً لفظياً .

أما الجوهرى فقال : معناها جماعات لا واحد لها من لفظها و« متفرقون » صفة لأوزاع أى جماعات متفرقون . وهذا المعنى هو الذى أراده الراوى ببيان ما أجمل فيه .

الرجل ويصلى بصلاته الرهط ، فقال : إنى أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل ، ثم عزم فجمعهم على أُبَىّ بن كعب ، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم ، قال عمر : نعم البدعة هذه [١٠] ، والتى ينامون عنها أفضل من التى يقومون ـ يريد آخر الليل ـ وكانوا يقومون أوله . [١١] .

قول الراوى : « يصلى الرجل لنفسه ويصلى الرجل ويصلى بصلاته الرهط » بيان لما أجمل فى قوله « أوزاع متفرقون » ومعناه : أن بعضهم كان يصلى منفرداً ، وبعضهم كان يصلى جماعة .

وافق الخليفتان عثمان وعلى « رضى الله عنهما» عمر « رضى الله عنه » على هذا الجمع ، ووافقه كذلك بقية الصحابة « رضوان الله عليهم » . ومن تخلف منهم وهم : ابن عمر وعروة والقاسم وإبراهيم وسالم ونافع إنما تخلفوا لعذر . وإذا كان تخلفهم ـ فى اجتهادهم ـ أفضل فهو معارض بما هو أولى منه ، وهو اتفاق الجَمّ الغفير على خلافهم ، فلا اعتبار لتخلفهم ، وتمسكهم بحديث « أفضل صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة » يرد عليه أن من النوافل نوافل شرعت فيها الجماعة كصلاة العيدين والاستسقاء والكسوف .

أو لم تشرع فيها الجماعة وفعلها فى البيت ليس أفضل كتحية المسجد ، وركعتا الطواف ، وركعتا الإحرام إذا كان عند الميقات مسجد .

وقوله ﷺ للصحابة : « .. فَصَلُّوا أيها الناس فى بيوتكم .. » فى الحديث الذى سبق ذكره إنما كان ذلك فى معرض بيان سبب عدم خروجه إلى المسجد وهو خوف الافتراض ، وتبعا لذلك طلب منهم أن يؤدوها فى بيوتهم . ولما توفى النبى ﷺ ارتفع الخوف لانقطاع الوحى فعاد حكم الجماعة فى القيام إلى ما كان عليه .

والاحتجاج بأن عمر « رضى الله عنه » كان يتخلف غير وارد لأنه كان مشغولاً بما هو أهم وهو مسئوليته عن أحوال المسلمين كبراها وصغراها . لذلك كان يطوف ليلا بطرقات المدينة ليطمئن على أحوال المسلمين .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتابه[١٢] « اقتضاء الصراط المستقيم : » .

←

---

(١٠) ابن الاثير ذكر فى النهاية معنى البدعة وخلاصته : ما كان فى خلاف ما أقر الله ورسوله فهو فى حيز الذم والإنكار .
وما كان واقعاً تحت عموم ما ندب الله إليه وحض الله عليه أو رسوله فهو فى حيز المدح .
وقول عمر « رضى الله عنه » : نعم البدعة من النوع الثانى .

(١١) معنى قول عمر : والتى ينامون عنها .. الخ أى أن صلاة القيام آخر الليل جماعة أفضل من صلاته أول الليل . وذلك لمن أمن عدم فوتها إن أخرها إلى آخر الليل .

(١٢) قصدت ذكر نص كلام « ابن تيمية هنا لعل العلماء الذين أخرجوا المسلمين من المسجد بعد أداء ثمانى ركعات مدعين أن التراويح ليست من الإسلام ـ لعلهم يقرءون هذا العدد فيعلمون أن دراستهم كانت ناقصة ، وأنهم لم يدرسوا آراء الإمام الشيخ محمد عبد الوهاب على حقيقتها ، فدعوته ليست مخالفة للكتاب والسنة ، ولمذاهب الأئمة الأربعة . وأتباعه يقبلون ما وضح برهانه من كتاب أو سنة أو أثر عن السلف الصالح كالخلفاء الراشدين المأمورين باتباعهم بقوله ﷺ : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى » وعن الأئمة الأربعة المجتهدين . وهم فى الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل إلا إذا صح حديث مخالف لما فى المذهب فيأخذون به ويتركون المذهب . وكل الأئمة قالوا : إذا صح الحديث فهو مذهبى ..

فأما صلاة التراويح فليست بدعة فى الشريعة بل هى سنة بقول رسول الله ﷺ وفعله فإنه قال : « إن الله فرض عليكم صيام رمضان وسننت لكم قيامه »[13] ، ولا صلاتها جماعة بدعة بل هى سنة فى الشريعة ، بل قد صلاها رسول الله ﷺ فى الجماعة فى أول شهر رمضان ليلتين بل ثلاثا ، وصلاها أيضاً فى العشر الأواخر فى جماعة مرات وقال : « إن **الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة** » رواه أهل السنن وفى قوله هذا ترغيب فى قيام رمضان خلف الإمام وذلك أوكد من أن يكون سنة مطلقة ، وكان الناس يصلونها جماعة فى المسجد على عهد الرسول ﷺ ويقرهم ، واقراره سنة منه ﷺ انتهى .

وأذكر بهذه المناسبة أنى وجدت فى فتاوى ابن تيمية الفتوى رقم ١٣٨ عن عدد ركعات صلاة التراويح حيث قال فيها : « .. قام بهم أُبَىّ بن كعب فى زمن عمر بن الخطاب عشرين ركعة يوتر بعدها .. » . وبالطبع المقصود بهذه الركعات العشرين هى صلاة التراويح التى ذكرها بهذا اللفظ فى كتابه « اقتضاء الصراط المستقيم » .

عدد ركعات قيام رمضان

اختلف العلماء فى تحديد عدد ركعاتها ، والحديث المشهور المروى عن عائشة رضى الله عنها يؤكد أن النبى ﷺ لم يزد فى رمضان ولا فى غيره على أكثر من إحدى عشرة منها الوتر . ومع ذلك فالروايات الواردة إلينا عن عائشة رضى الله عنها كثيرة ومختلفة ، وهى وإن أشكلت على كثير من العلماء حتى نسب بعضهم حديثها إلى الاضطراب ـ كما قال القرطبى ـ إلا أنه يتبين لنا بعد البحث الدقيق أن كل ما ذكرته من هذه الروايات المختلفة محمول على أوقات متعددة وأحوال مختلفة بحسب النشاط وبيان الجواز[14] .

وحديث ـ « جمع عمر الناس على أُبَىّ .. » ـ ليس فيه عدد الركعات التى كان يصلى بها أبى ، وروى البخارى عن السائب بن يزيد قال : « كنا نصلى زمن عمر رضى الله عنه فى رمضان ثلاث عشرة ركعة » .

قال اسحق : هو أثبت ما سمعت فى ذلك .

وقال ابن حجر : هو موافق لحديث عائشة المشهور فى صلاة الليل .

ولا أدرى كيف غاب عن ذهن ابن حجر أن الحديث المشهور أثبت أن صلاة النبى ﷺ فى

١٣ ـ روى هذا الحديث الإمام أحمد فى مسنده فى فضل قيام رمضان ، وأخرجه أيضاً النسائى وابن ماجة وفى إسناده النضر بن شيبان وهو ضعيف .

وقال البخارى فى خلاصة تهذيب الكمال : لم يصح حديثه .

واستدلال ابن تيمية به إشارة إلى أنه قد صح عنده ، لأن الراوى ربما ضعفه البعض ووثقه البعض الآخر كما نرى ذلك فى كتب أسماء الرجال ، ففى كتاب التهذيب نجد ـ مثلا ـ بعد ذكر الحسين بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، النسائى يقول : متروك ، وضعفه ابن معين وأبو حاتم وقال : يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقال ابن عدى : يكتب حديثه فإنى لم أر فى حديثه منكرا : وجميع ما فى مسند الإمام أحمد صحيح ، ولم يتكلموا إلا فى ٢٤ حديثاً ، ومع ذلك فقد تصدى لدفع تهمة الضعف عن جميعها الحافظ ابن حجر فى كتابه « القول المسدد فى الذب عن مسند الإمام أحمد .

١٤ ـ بالاختصار من فتح البارى جزء ٣ ص ٢٦ طبعة الريان .

الليل ثماني ركعات فقط . وحديث السائب اثبت أن أبيا كان يصلى عشر ركعات غير الوتر ، تأمل .

ولقد روى عن السائب بن يزيد روايات أخرى ، فقد روى مالك عن طريق يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد قال : « عشرين ركعة » وروى البيهقى فى المعرفة هذا الحديث أيضاً عن السائب بن يزيد . وقال : النووى فى الخلاصة : إسناده صحيح .

وفى الموطأ عن يزيد بن رومان قال : كان الناس يقومون فى زمان عمر بثلاث وعشرين ركعة .

وروى محمد بن نصر عن طريق عطاء قال : « أدركتهم فى رمضان يصلون عشرين ركعة وثلاث ركعات الوتر .

ويمكن الجمع بين هذه الروايات كما قال الشيخ البدر العينى : إن هذا كان من فعل عمر أولاً ثم نقلهم إلى ثلاث وعشرين ركعة .

أقول إن ابن حجر نقل فى فتح البارى ما رواه ابن أبى شيبة من حديث ابن عباس رضى الله عنهما فى مصنفه « كان رسول الله ﷺ يصلى فى رمضان عشرين ركعة والوتر » .

رواه أيضاً أبو القاسم البغوى فى معجم الصحابة قال : حدثنا منصور بن أبى مزاحم حدثنا أبو شيبة عن الحكم عن مِقْسَم عن ابن عباس ، رضى الله عنهم ثم عقب على ما نقل بقوله : إسناده ضعيف بأبى شيبه[١٥] جد ابن أبى شيبة صاحب المصنف ، ثم قال ابن حجر : وعارضه حديث عائشة المشهور وهى أعلم بحال النبى ﷺ ليلاً من غيرها .

وفى هذا التعقيب نظر . أما المعارضة فيمكن دفعها بأن عائشة رضى الله عنها مع التسليم بانها أعلم بحال النبى ﷺ ليلاً من غيرها فهى إنما تحدثت عما كان النبى ﷺ يصليه ليلاً عندها . وهذا لا يدل على أنه ﷺ كان يصلى قيام الليل بهذا العدد من الركعات عند غيرها من أزواجه ، ولا ينفى أيضاً انه كان يصلى عند غيرها أكثر من هذا العدد .

وقال الترمذى : إن معنى قول عائشة رضى الله عنها فى حديثها المشهور : « ما زاد على ثمانى ركعات » تعنى : « عندها » وذكر الترمذى أن ابن عباس رضى الله عنهما رأى النبى ﷺ فى بيت خالته ميمونة ـ أم المؤمنين رضى الله عنها ـ يصلى خمس عشرة ركعة . فعلى هذا ما رواه ابن أبى شيبة من حديث ابن عباس لا يعارض بحديث عائشة المشهور كما يقول ابن حجر . أما ضعف اسناده فيمكن رده بانه تقوى واعتضد بما اتفق على صلاة القيام عشرين ركعة من القرن الأول إلى يومنا هذا من غير نكير حيث كان المسلمون يصلون

←

---

١٥ ـ هو إبراهيم بن عباس العبسى ابو شيبة الكوفى جد عثمان بن محمد بن إبراهيم راوى هذا الحديث والمكنى بابن ابى شيبة . كان جده « ابو شيبة » قاضيا بمدينة « واسط » وموصوف فى قضائه بالعدل .

وروى عن خاله الحكم بن عتيبة الذى قال عنه رجال الحديث : إنه من الثقات . رجال الحديث وإن ضعفوه إلا أن ابن عدى قال : مع ضعفه يكتب حديثه ولا يجوز الاحتجاج به .

عشرين ركعة فى المسجد الحرام إلى يومنا هذا وكانوا يطوفون بين كل شفعين . وكان أهل المدينة يصلون عشرين ركعة جماعة ويصلون فرادى أربع ركعات بين كل شفعين بدل طواف أهل مكة . وقال الإمام مالك رضى الله عنه العمل على هذا ـ عشرين ركعة ـ منذ بضع ومائة سنة .

وإذا عرفنا أن الإمام مالكا رضى الله عنه ولد سنة ٩٣ هـ . وأنه قال هذا الكلام فى العقد الثالث من عمره مثلاً ثبت أن أهل المدينة كانوا يصلون عشرين ركعة جماعة من آخر عهد عمر رضى الله عنه . وعلى هذا يسلم إسناد حديث ابن عباس من الضعف . وأيضاً يؤيد سلامة هذا الإسناد من الضعف أن راوى هذا الحديث هو عثمان[١٦] بن أبى شيبة حفيد « أبى شيبة » الذى ضعفوه . والراوى عثمان أحد الحفاظ الكبار الثقات فيستحيل عقلا أن يروى عن جده ـ وهو أعلم بحاله من غيره ـ حديثا ضعيفا . ولو كان الراوى غير عثمان ـ ليس من أهل أبى شيبة ـ لتغير الأمر ووقفنا عن الكلام .

ويؤيد صحة حديث ابن أبى شيبة عن ابن عباس ما ذكره العينى فى شرحه أن كثيرا من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم منهم عثمان وعلى كانوا يصلون عشرين ركعة .

فالروايات الواردة إلينا عما كان يصلى أبى تبدأ بحديث السائب بن يزيد أنه كان يصلى ثلاث عشرة ركعة وتنتهى بحديث آخر رواه السائب بن يزيد أنه كان يصلى عشرين ركعة سوى الوتر .

وصلاة كثير من الصحابة والتابعين « رضوان الله عليهم أجمعين » عشرون ركعة دليل على ثبوت ذلك عندهم . والجمع بين هذه الروايات الذى قال به الشيخ البدر العينى يتفق تماما مع القواعد الأصولية فى الفقه والحديث حيث قال علماء الأصول فيها :

قول الصحابى أو فعله فى الحكم التعبدى الذى لا مجال للرأى فيه حجة لظهور أن مستنده فيه التوقيف من النبى ﷺ ففى الأول صلى أُبَىّ ثلاث عشرة ركعة ثم ظهر عند عمر رضى الله عنه مستند وهو التوقيف من النبى ﷺ فطلب من أُبَىّ أن يصلى عشرين ركعة . فبناء على هذا المستند وهو التوقيف من النبى ﷺ طلب عمر من أُبَىّ أن يصلى عشرين ركعة .

وقال الشافعى رحمه الله : لو روى عن على رضى الله عنه أنه صلى فى ليلة ست ركعات فى

١٦ ـ هو عثمان بن محمد بن أبى شيبة إبراهيم العبسى أبو الحسن الكوفى وهو أحد الحفاظ الكبار ، وثقه يحيى بن معين وابن مخير والعجلى . وقال أبو حاتم : عثمان صدوق .. والأحاديث التى عرضها عبد الله بن أحمد على أبيه فأنكرها على عثمان تتبعها الخطيب وبين عذره فيها . ولاشتهاره بالحفظ والثقة روى عنه البخارى ومسلم وجميع أصحاب السنن سوى الترمذى . روى عنه البخارى ٤٤ حديثا فى أبواب الطهارة والصلاة والصيام والحج والتفسير وغيرها . وكان البخارى يعتبره من أهل العلم حيث قصده بالمركب الإضافى « أهل العلم » فى عبارته بأول كتاب الوضوء « وكره أهل العلم الإسراف فيه » قال العينى وابن حجر : يقصد بذلك ما أخرجه عثمان فى مصنفه عن عدم الإسراف فى الماء .. ومن كان بهذه المكانة من العلم والثقة لا يروى عن جده حديثا ضعيفاً .

كل ركعة ست سجدات وثبت عندى عن على لقلت به لأنه لا مجال للقياس فيه فالظاهر أنه فعله توقيفا[17] .

وهذا المستند الذى ظهر عند عمر رضى الله عنه وهو التوقيف من النبى ﷺ يفيدنا أمرين هامين :

أولهما : أن حديث ابن عباس الذى رواه ابن أبى شيبة صحيح ، وهو الذى رجحناه فيما مضى ، لأنه من حديث ابن أبى شيبة يتفق مع مفهوم مستند عمر رضى الله عنه وهو التوقيف من النبى ﷺ .

ثانيهما : أن سنية العشرين ركعة هى سنة النبى ﷺ ثبتت سنية الثمانى الأولى بفعله ﷺ وصلاته جماعة فى المسجد . وثبتت سنية الاثنتى عشرة ركعة الأخيرة بالمستند الذى ظهر عند عمر من النبى ﷺ وهو التوقيف .

وكل أمر ثبت توقيفا كان راجعا إلى النبى ﷺ وليست سنية الاثنتى عشرة ركعة الأخيرة سنة عمر رضى الله عنه كما قال بذلك كثير من العلماء متمسكين بقوله ﷺ : « .. فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى[18] » لأن قولهم يخالف مفهوم مستند عمر رضى الله عنه وهو التوقيف .

ويدل على ثبوت سنية العشرين ركعة من رسول الله ﷺ جواب المحدث الإمام أبى حنيفة[19] لسؤال أبى يوسف له عما فعله عمر حيث قال له : صلاة التراويح « أى العشرين ركعة » سنة مؤكدة لم يتخرجه عمر من تلقاء نفسه ولم يكن فيه مبتدعا ولم يأمر به إلا عن أصل لديه وعهد من رسول الله ﷺ . وبهذا يظهر أيضاً عمق فهم الشيخ البدر العينى ووضوح رؤيته حينما جمع بين روايات السائب بن يزيد وكلها صحيحة بقوله : كان ذلك فعل عمر أولا ثم حملهم على عشرين ركعة .

صلاة التراويح

التراويح فى اللغة جمع ترويحة وهى الجلسة مطلقا . ثم سميت بها الجلسة التى بعد أربع ركعات من قيام رمضان لاستراحة المصلين بها بعد الركعات الأربع ، ثم سمى كل أربع ركعات من ركعات قيام رمضان ترويحة مجازا من باب ذكر المحل وإرادة الحال .

أطلق هذا اللفظ منذ القرن الأول على العشرين ركعة من قيام رمضان . يقول ابن قدامة فى كتابه المغنى : « نسبت التراويح إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه » .

١٧ ـ راجع شرح الجلال المحلى على جمع الجوامع فى مبحث قول الصحابى .
١٨ ـ رواه الإمام احمد فى مسنده فى كتاب الاعتصام بالسنة ، ورواه الترمذى فى باب العلم .
١٩ ـ ذكرى لقول ابى حنيفة تأييداً لسنية العشرين ركعة من النبى ﷺ ليس بصفته إمام ائمة المجتهدين وإنما ذكرته لأنه محدث تابعى عليم بخلفيات كثير من الروايات أكثر من غيره . وهو من أوائل من جمعوا الأحاديث ودونوها . وجمع فحول علماء الحديث أحاديث أبى حنيفة فى خمسة عشر مسندا . وجمع من هذه المسانيد أبو المؤيد محمد بن محمود الخوارزمى المتوفى سنة ٦٦٥ هـ سندا لأبى حنيفة فى ثمانمائة صفحة كبيرة وتم طبعه بمصر سنة ١٣٢٦ هـ .

وقال المؤرخون فى ترجمة « الإمام البخارى » : كان يقوم بعد التراويح فى رمضان بثلث القرآن .

وشيخ الإسلام ابن تيمية « رحمه الله » استعمل فى كتبه لفظ « التراويح » فى التعبير عن الركعات العشرين وسبق أن ذكرنا نص كلامه . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية فى عدد ركعات قيام رمضان بعد أن ذكر أن صلاتها جماعة سنة : « .. قام بهم أُبَيّ بن كعب فى زمن عمر بن الخطاب عشرين ركعة بوتر بعدها .. » . راجع فتوى ابن تيمية رقم ١٣٨ فى فتاواه .

ومجمل ما سبق أن قيام رمضان عشرون ركعة ، ثبتت سنيتها بفعل النبى ﷺ وبالمستند الذى ظهر عند عمر رضى الله عنه من النبى ﷺ وهو التوقيف .

واصطلح على إطلاق لفظ « التراويح » على هذه الركعات العشرين ، وهى سنة مؤكدة ، وأداؤها فى المسجد سنة على الكفاية . فمن اراد أن يقوم بالسنة كاملة فعليه أن يصلى عشرين ركعة .

وواجبنا دعوة المسلمين وترغيبهم فى الحضور إلى المساجد فى ليالى رمضان لأداء القيام . وبعد حضورهم فليصلوا ما يشاءون : عشرين ركعة أو أقل أو أكثر والدين يسر لاعسر فيه . ولو قضوا الليل كله فى المساجد يصلون ما أمكنهم من النوافل عاملين بالحديث القدسى الذى رواه البخارى : « .. ومايزال العبد يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه .. » لفازوا فوزاً عظيماً .

هذا رأيى وبالله التوفيق .

توفيق إسلام يحيى





تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة فريد دهره ووحيد عصره
أبي محمد برهان الدين إبراهيم الجعبري
تغمده الله تعالى برحمته وأسكنه فسيح جناته بمنه وكرمه

تحقيق فضيلة الشيخ
إبراهيم عطوة عوض



الباب التاسع
في ذكر فواصل آي السور

سورة سورة على ترتيب المصحف العثماني ، لأنه المحكم أبداً : السورة بنسبتها ، ثم كمية حروفها ، ثم كَلِمُها ثم آيُها باتفاق واختلاف ، ثم نظيرها كذلك ، ثم ما يشكل بما يُعَدُّ وما لا يُعَدّ .

فالأوّل : كل كلمة ناسبت أحد طرفيهما بوجه ما ، أو عدّ مثلها في سورتها ، أو غيرها باتفاق أو اختلاف ولا نص عليها .

والثاني كل كلمة باينت أحدهما بوجه ما ولم يُعَدّ مثلها فيها ، أو غيرها كذلك ونص عليها ثم رويها .

ثم النص على فواصلها على العَدّ الكوفي لأنه الأشهر في بلادنا ، والأثبت خلافاً للداني في المدنّي الأخير .

واستغنيت بذكر أحد الضّدين عن الآخر ، وتوخيت ذكر الأقل وليس التفصيل بعد الإجمال تكراراً .

سورة الفاتحة

قال ابن عباس وقتادة رضى الله عنهم : مكية ، وأبو هريرة ومجاهد وعطاء ـ رضى الله عنهم ـ مدنية .

وحروفها مائة وعشرون ، وَكَلِمُها خمس وعشرون (كأرايت)[1] وآيُها سبع ، متفق

(١) اى كسورة : ارايت . وهى سورة الماعون .

الإجمال ، خلافها آيتان : « بسم الله الرحمن الرحيم » عدها مكي ، وكوفي ولم يُعَدَّا « أنعمت عليهم »[٢] ، وعكسه مدنى . وبصرى وشامي .

ونظيرتها في المكي والشامى « الناس » والكوفى « الماعون » .

وفيها ما يشبه الفاصلة « إياك نعبد » وَوَهِمَ عمرو بن عبيد في عدّها؛ لأنه إن عَد المختلفين[٣] تسَّعَ المُسَبَّع أو أسقطهما سَدَّسَهُ ، أو أحَدَيْهما ثَمَّنَهُ .

وقال الدانى : يلزمه من ترك « أنعمت عليهم » للرّدف ترك « نعبد » رويُّها « من »[٤]

فواصلها : الرحيم ـ العالمين ـ الرحيم ـ الدين ـ نستعين ـ المستقيم ـ الضالين .

سورة البقرة

مدنية . حروفها خمسة وعشرون ألفاً وخمسمائة ، وَكَلِمُهَا ستة آلاف ومائة وإحدى وعشرون ، وآيها مائتان وثمانون . وخمس حجازي ، وشامي ، وست كوفى ، وسبع بصري .

خلافها ثلاث عشرة : « ألم » كوفي . « عذاب أليم » شامي ، وتَرَكَ « مصلحون » ، « إلا خائفين » بصرى . « يا أولى الألباب » . مدنى أخير وعراقى ، وشامي بخلف عنه .

وثاني : « ماذا ينفقون » حجازى « إلا إياه »[٥] ، وأول « لعلكم تتفكرون » مدنى أخير ، وكوفي وشامي . « قولاً معروفاً » بصرىّ . « الحي القيوم » حجازي . إلا الأول . وبصرى ، وعدّها الكل أوّل آل عمران وتركها بـ « طه » « من الظلمات إلى النور » مدنى أول .

وفيها ما يشبه الفاصلة اثناعشر .

أول « من خلاق » . « هم يتلون الكتاب » « هم في شقاق » . « والأنفس والثمرات » « في بطونهم إلا النار » « طعام مسكين » « من الهدى والفرقان » « والحرمات قصاص » « عند المشعر الحرام » .

وأول « ماذا ينفقون » « الخبيث منه تنفقون » « ولا شهيد »

وغلط من عزاها إلى المكي وما يشبه الوسط اثنان « كن فيكون » « ليكتمون الحق وهم يعلمون »

رَوِيُّهَا « قم لندبر »[٦] . « القاف من خلاق » « واللام » « السبيل » .

(٢) اى (عليهم) الأولى فى قوله تعالى : « انعمت عليهم » .
(٣) اى ما اختلفوا فى عدهما ، وهما : البسملة ، و « انعمت عليهم » .
(٤) اى الميم والنون اى نهاية الآى إما (ميم) وإما (نون)
(٥) بهامش الكتاب وجدنا قوله وثانى « من خلاق » كل إلا الأخير « وقنا عذاب النار » غير مكى بخلف عنه واول « لعلكم تتفكرون » .
(٦) اى أن نهاية آيها بأحد هذه الأحرف : ق ـ م ـ ل ـ ن ـ د ـ ب ـ ر .

وفواصلها : ألم - للمتقين - ينفقون - يوقنون - المفلحون - يؤمنون - عظيم - بمؤمنين - يشعرون - يكذبون - مصلحون - يشعرون - يعلمون - مستهزئون - يعمهون - مهتدين - يبصرون - يرجعون - بالكافرين - قدير - تتقون - تعلمون - صادقين - للكافرين - خالدون - .

الفاسقين - الخاسرون - ترجعون - عليم - تعلمون - صادقين - الحكيم - تكتمون - الكافرين - الظالمين - حين - الرحيم - يحزنون - خالدون - فارهبون - فاتقون - تعلمون - الراكعين .

تعقلون - الخاشعين - راجعون - العالمين - ينصرون - عظيم - تنظرون - ظالمون - تشكرون - تهتدون - الرحيم - تنظرون - تشكرون - يظلمون - المحسنين - يفسقون .

مفسدين - يعتدون - يحزنون - تتقون - الخاسرين - خاسئين - للمتقين - الجاهلين - تؤمرون - الناظرين - لمهتدون - يفعلون - تكتمون - تعقلون - تعملون -

يعلمون - تعقلون - يعلنون - يظنون - يكسبون - تعلمون - خالدون - خالدون - معرضون - تشهدون - تعملون - ينصرون - تقتلون - يؤمنون - الكافرين - مهين - مؤمنين .

ظالمون - مؤمنين - صادقين - بالظالمين - يعملون - للمؤمنين - للكافرين - الفاسقون - يؤمنون - يعلمون - يعلمون - يعلمون - أليم - العظيم .

قدير - نصير - السبيل - قدير - بصير - صادقين - يحزنون - يختلفون - عظيم - عليم - قانتون - فيكون - يوقنون - الجحيم - نصير - الخاسرون - العالمين - ينصرون .

الظالمين - السجود - المصير - العليم - الرحيم - الحكيم - الصالحين - العالمين - مسلمون - مسلمون - يعملون - المشركين - مسلمون - العليم - عابدون - مخلصون - تعملون - يعملون .

مستقيم - شهيداً[٧] - رحيم - يعملون - الظالمين - يعلمون - الممترين - قدير - تعملون - تهتدون - تعلمون - تكفرون - الصابرين - تشعرون - الصابرين - راجعون - المهتدون .

عليم - اللاعنون - الرحيم - أجمعين - ينظرون - الرحيم - يعقلون - العذاب - الأسباب - النار - مبين - تعلمون - يهتدون - يعقلون - تعبدون - رحيم - أليم - النار - بعيد .

المتقون - أليم - تتقون - المتقين - عليم - رحيم - تتقون - تعلمون - تشكرون - يرشدون - يتقون - تعلمون .

تفلحون - المعتدين - الكافرين - رحيم - الظالمين - المتقين - المحسنين - العقاب - الألباب - الضالين - رحيم - خلاق - النار - الحساب .

تحشرون - الخصام - الفساد - المهاد - العباد - مبين - حكيم - الأمور - العقاب -

←

(٧) لعله لم يقتصر المؤلف في ذكر الفواصل على العدد الكوفي أو خرج على القاعدة التي ارتضاها من غير الكوفي ، فعدها ... المحقق .

حساب - مستقيم - قريب - عليم - تعلمون - خالدون - رحيم .

تتفكرون - حكيم - يتذكرون - المتطهرين - المؤمنين - عليم - حليم - رحيم - عليم - حكيم - الظالمون - يعلمون - عليم - تعلمون .

بصير - خبير - حليم - المحسنين - بصير - قانتين - تعلمون - حكيم - المتقين - تعقلون .

يشكرون - عليم - ترجعون - بالظالمين - عليم - مؤمنين - الصابرين - الكافرين - العالمين - المرسلين .

يريد - الظالمون - العظيم - عليم - خالدون - الظالمين - قدير - حكيم - عليم - يحزنون .

حليم - الكافرين - بصير - تتفكرون - حميد - عليم - الألباب - أنصار - خبير .

تظلمون - عليم - يحزنون - خالدون - أثيم - يحزنون - مؤمنين - تظلمون - تعلمون - يظلمون - عليم .

عليم - قدير - المصير - الكافرين .

سورة آل عمران

مدنية ، حروفها أربعة عشر ألفاً وخمسمائة وخمسة وعشرون ، وكَلمها ثلاثة آلاف وأربعمائة وثمانون . وآيُها[8] مائتان متفقة الأجمال ، فقط خلافها سبع « الم » كوفي « وأنزل الفرقان » غيره « وأنزل التوراة والإنجيل » غير شامي « والحكمة والتوراة والإنجيل » ولم يعدوه بالمائدة والأعراف والفتح « ورسولاً إلى بني إسرائيل » بصرى وحمصى . ولم يعدّوا « حلاً لبني إسرائيل » « مما تحبّون » حرميّ . ودمشقى . غير يزيد « ولم»[9] يعدّوا « أربكم ما تحبون » « مقام إبراهيم » يزيد وشامى .

وفيها مشبه الفاصلة اثنا عشر : « لهم عذاب شديد » . « عند الله الإسلام » . « وحصورا » « إلا رمزا » . « يخلق ما يشاء » « في الأميين سبيل » . « أفغير دين الله يبغون » . « لهم عذاب أليم » . « إليه سبيلا » « يوم التقى الجمعان » « أذى كثيرا » . « متاع قليل » .

وعكسه ست : « بالأسحار » . « يفعل ما يشاء » . « يقول له كن فيكون » . « وليعلم المؤمنين » « في البلاد » .

رويها : (لقد أطنب مر)[10] القاف : الحريق ، والهمزة : السماء والدعاء . وما يشاء .

وفواصلها : الم - القيوم - والإنجيل - انتقام - السماء - الحكيم - الألباب - الوهاب - الميعاد - النار - العقاب - المهاد - الأبصار - المآب .

(٨) حذفنا واوا بين آيها مائتان إذ كانت : وآيها ومائتان ، وهو خطأ من نسخ .
(٩) في النسخة : غير يزيد ويعدوا أراكم ، والتصحيح عن إتحاف فضلاء البشر
(١٠) سبق تفسيره .

بالعباد ـ النار ـ بالأسحار ـ الحكيم ـ الحساب ـ بالعباد ـ أليم ـ ناصرين ـ معرضون ـ يفترون ـ يظلمون ـ قدير ـ حساب ـ المصير ـ قدير ـ بالعباد ـ رحيم ـ الكافرين .

العالمين ـ عليم ـ العليم ـ الرجيم ـ حساب ـ الدعاء ـ الصالحين ـ يشاء ـ والإبكار ـ العالمين ـ الراكعين ـ يختصمون ـ المقربين ـ الصالحين ـ فيكون ـ والإنجيل ـ مؤمنين ـ وأطيعون ـ مستقيم .

مسلمون ـ الشاهدين ـ الماكرين ـ تختلفون ـ ناصرين ـ الظالمين ـ الحكيم ـ فيكون ـ الممترين ـ الكاذبين ـ الحكيم ـ المفسدين ـ مسلمون ـ تعقلون ـ تعلمون ـ المشركين ـ المؤمنين ـ يشعرون ـ تشهدون ـ تعلمون ـ يرجعون ـ عليم ـ العظيم .

يعلمون ـ المتقين ـ أليم ـ يعلمون ـ تدرسون ـ مسلمون ـ الشاهدين ـ الفاسقون ـ يرجعون ـ مسلمون ـ الخاسرين ـ الظالمين ـ أجمعين ـ ينظرون ـ رحيم ـ الضالون ـ ناصرين ـ عليم .

صادقين ـ الظالمون ـ المشركين ـ للعالمين ـ العالمين ـ تعملون ـ تعملون ـ كافرين ـ مستقيم ـ مسلمون ـ تهتدون ـ المفلحون ـ عظيم ـ تكفرون ـ خالدون ـ للعالمين ـ الأمور ـ الفاسقون ـ ينصرون ـ يعتدون .

يسجدون ـ الصالحين ـ بالمتقين ـ خالدون ـ يظلمون ـ تعقلون ـ الصدور ـ محيط ـ عليم ـ المؤمنون ـ تشكرون ـ منزلين ـ مسومين ـ الحكيم ـ خائبين ـ ظالمون ـ رحيم ـ تفلحون ـ للكافرين ـ ترحمون .

للمتقين ـ المحسنين ـ يعلمون ـ العاملين ـ المكذبين ـ للمتقين ـ مؤمنين ـ الظالمين ـ الكافرين ـ الصابرين ـ تنظرون ـ الشاكرين ـ الشاكرين ـ الصابرين ـ الكافرين ـ المحسنين ـ خاسرين ـ الناصرين ـ الظالمين ـ المؤمنين .

تعملون ـ الصدور ـ حليم ـ بصير ـ يجمعون ـ تحشرون ـ المتوكلين ـ المؤمنون ـ يظلمون ـ المصير ـ يعملون ـ مبين ـ قدير ـ المؤمنين ـ يكتمون ـ صادقين ـ يرزقون ـ يحزنون .

المؤمنين ـ عظيم ـ الوكيل ـ عظيم ـ مؤمنين ـ عظيم ـ أليم ـ مهين ـ عظيم ـ خبير ـ الحريق ـ للعبيد ـ صادقين ـ المنير ـ الغرور .

الأمور ـ يشترون ـ أليم ـ قدير ـ الألباب ـ النار ـ أنصار ـ الأبرار ـ الميعاد ـ الثواب ـ البلاد ـ المهاد ـ للأبرار ـ الحساب ـ تفلحون .

سورة النساء

مدنية ، حروفها ستة عشر ألفا وثلاثون ، وكلمها ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وأربعون .

وآيها مائة وسبعون وخمس حرمى وبصرى ، وست كوفى ، وسبع شامى .

خلافها آيتان « أن تضلوا السبيل » . كوفى وشامى . « عذابا أليما » شامى .

فيها مشبه الفاصلة ثمانية : « إحداهن قنطارا » « عليهن سبيلا » . « إلى أجل

قريب » « للناس رسولا » . « لمن ليبطئن » . « يكتب ما يبيتون » . « ملة ابراهيم حنيفا » . ولا الملائكة المقربون » .

وعكسه أربعة : « « ألا تعولوا » « مريئا » . « أجرا عظيما » . « ولا ليهديهم طريقا » ، ورويها « ملنا »[11] اللام : السبيل ، والنون : مهين ، وخمس ميمات ، مرفوعات ، وفواصلها :

رقيبا ـ كبيرا ـ تعولوا ـ مريئا ـ معروفا ـ حسيبا ـ مفروضا ـ معروفا ـ سديدا ـ سعيرا ـ حكيما .

حليم ـ العظيم ـ مهين ـ سبيلا ـ رحيما ـ حكيما ـ أليما ـ كثيرا ـ مبينا ـ غليظا ـ سبيلا ـ رحيما .

حكيما ـ رحيم ـ حكيم ـ عظيما ـ ضعيفا ـ رحيما ـ يسيرا ـ كريما ـ عليما ـ شهيدا ـ كبيرا ـ خبيرا .

فخورا ـ مهينا ـ قرينا ـ عليما ـ عظيما ـ شهيدا ـ حديثا ـ غفورا ـ السبيل ـ نصيرا ـ قليلا ـ مفعولا ـ عظيما ـ فتيلا ـ مبينا ـ سبيلا ـ نصيرا ـ نقيرا ـ عظيما ـ سعيرا ـ حكيما ـ ظليلا .

بصيرا ـ تأويلا ـ بعيدا ـ صدودا ـ وتوفيقا ـ بليغا ـ رحيما ـ تسليما ـ وتثبيتا ـ عظيما ـ مستقيما ـ رفيقا ـ عليما ـ جميعا ـ شهيدا ـ عظيما .

عظيما نصيرا ـ ضعيفا ـ فتيلا ـ حديثا ـ شهيدا ـ حفيظا ـ وكيلا ـ كثيرا ـ قليلا ـ تنكيلا ـ مقيتا ـ حسيبا ـ حديثا .

سبيلا ـ نصيرا ـ سبيلا ـ مبينا ـ حكيما ـ عظيما ـ خبيرا ـ عظيما ـ رحيما ـ مصيرا ـ سبيلا ـ غفورا .

رحيما ـ مبينا ـ مهينا ـ موقوتا ـ حكيما ـ خصيما ـ رحيما ـ أثيما ـ محيطا ـ وكيلا ـ رحيما ـ حكيما ـ مبينا ـ عظيما .

عظيما ـ نصيرا ـ بعيدا ـ مريدا ـ مفروضا ـ مبينا ـ غرورا ـ محيصا ـ قيلا ـ نصيرا ـ نقيرا ـ خليلا ـ محيطا ـ عليما ـ خبيرا ـ رحيما ـ حكيما ـ جميدا[12] ـ وكيلا ـ قديرا ـ بصيرا .

خبيرا ـ بعيدا ـ سبيلا ـ أليما ـ جميعا ـ جميعا ـ سبيلا ـ قليلا ـ سبيلا ـ مبينا ـ نصيرا ـ عظيما ـ عليما .

عليما ـ قديرا ـ سبيلا ـ مهينا ـ رحيما ـ مبينا ـ غليظا ـ قليلا ـ عظيما ـ يقينا ـ حكيما ـ شهيدا ـ كثيرا ـ أليما ـ عظيما .

زبورا ـ تكليما ـ حكيما ـ شهيدا ـ بعيدا ـ طريقا ـ يسيرا ـ حكيما ـ وكيلا ـ جميعا ـ نصيرا ـ مبينا ـ مستقيما ـ عليم .

سورة المائدة

مدنية ، حروفها أحد عشر ألفا وسبعمائة وثلاثة وثلاثون ، وكلمها ألفان وثمانمائة وأربعة وأربعون .

---

(11) سبق التعريف بذلك .

(12) كذا الصواب ، وفي النسخة (حميلا) وهو خطأ .

وآيها مائة وعشرون كوفى . واثنان وشامي[١٣] ، وثلاث بصرى .

خلافها ثلاث « بالعقود » « وعن كثير » غير كوفى « فإنكم غالبون » . بصرى .

وفيها مشبه الفاصلة سبعة : « نقيبا » ، «جبارين» « لقوم آخرين » ، « شرعة ومنهاجا » . « الجاهلية يبغون » . « عليهم الأولين »[١٤] ولا عكس .

رويها « لم ندبر » اللام ثلاثة « السبيل » وفواصلها :

يريد - العقاب - رحيم - الحساب - الخاسرين - تشكرون - الصدور - تعملون - عظيم - الجحيم - المؤمنين .

السبيل - المحسنين - يصنعون - مبين - مستقيم - قدير - المصير - قدير - العالمين - خاسرين - داخلون - مؤمنين - قاعدون - الفاسقين - الفاسقين .

المتقين - العالمين - الظالمين - الخاسرين - النادمين - لمسرفون - عظيم - رحيم - تفلحون - اليم - مقيم - حكيم - رحيم - قدير .

عظيم - المقسطين - المؤمنين - الكافرون - الظالمون - للمتقين - الفاسقون - تختلفون - لفاسقون - يوقنون .

الظالمين - نادمين - خاسرين - عليم - راكعون - الغالبون - مؤمنين - يعقلون - فاسقون - السبيل - يكتمون - يعملون - يصنعون - المفسدين - النعيم - يعملون .

الكافرين - الكافرين - يحزنون - يقتلون - يعملون - أنصار - أليم - رحيم - يؤفكون - العليم - السبيل - يعتدون - يفعلون - خالدون - فاسقون .

يستكبرون - الشاهدين - الصالحين - المحسنين - الجحيم - المعتدين - مؤمنون - تشكرون - تفلحون - منتهون - المبين - المحسنين - أليم - انتقام - تحشرون .

عليم - رحيم - تكتمون - تفلحون - حليم - كافرين - يعقلون - يهتدون - تعملون - الآثمين - الظالمين - الفاسقين .

الغيوب - مبين - مسلمون - مؤمنين - الشاهدين - الرازقين - العالمين - الغيوب - شهيد - الحكيم - العظيم - قدير .

سورة الأنعام

مكية . نزلت بها ليلاً جملة حولها سبعون الف ملك يسبحون ، ولا خصوص فى قراءتها جملة . قال ابن عباس ومجاهد : إلا قوله تعالى : « قل تعالوا أتل » إلى آخر الثلاث . قال الكلبى : وإلا قوله تعالى - جواب قول فنحاص او ملك « **ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى** » إلى آخر الثلاثين .

وحروفها اثنا عشر الفاً وأربعمائة واثنان[١٥] وعشرون .

---

(١٣) كذا الأصل ولعله واثنان شامى بإسقاط الواو .

(١٤) وقراء حفص « عليهم الأوليان » .

١٥ - بالأصل واثنا .

وكلمها ثلاثة آلاف واثنتان وخمسون ، وأيها مائة وستون وخمس كوفى ، وست شامى . وبصرى . وسبع حرمىّ .

خلافها خمس : « والنّور » حرمى « من طين » مدنى أوّل ، « بوكيل » . كوف ، « فيكون » . وثانى « إلى صراط مستقيم » . غيره .

وفيها مشبه الفاصلة خمسة : « من طين » « يستجيب الذين يسمعون » « مبشرين » « ومنذرين » « صراط ربك مستقيماً » . « فسوف تعلمون » . ولاعكس .

رويّها (لِمَ نظر)

وفواصلها : يعدلون ـ تمترون ـ تكسبون ـ معرضين[16] . يستهزئون ـ ءاخرين ـ مبين ـ ينظرون ـ يلبسون ـ يستهزئون ـ المكذبين ـ يؤمنون ـ العليم .

المشركين ـ عظيم ـ المبين ـ قدير ـ الخبير ـ تشركون ـ يؤمنون ـ الظالمون ـ تزعمون ـ مشركين ـ يفترون ـ الأوّلين ـ يشعرون ـ المؤمنين ـ لَكَاذِبُون ـ بمبعوثين ـ تكفرون ـ يزرون ـ تعقلون ـ يجحدون ـ المرسلين ـ الجاهلين .

يرجعون ـ يعلمون ـ يحشرون ـ مستقيم ـ صادقين ـ تشركون ـ يتضرعون ـ يعملون ـ مبلسون ـ العالمين ـ يصدفُون ـ الظالمون ـ يحزنون ـ يفسقون ـ تتفكرون ـ يتقون ـ الظالمين ـ بالشاكرين ـ رحيم ـ المجرمين ـ المهتدين ـ الفاصلين ـ بالظالمين .

مبين ـ تعملون ـ يُفَرِّطُون ـ الحاسبين ـ الشاكرين ـ تشركون ـ يفقهون ـ بوكيل ـ تعلمون ـ الظالمين ـ يتقون ـ يكفرون ـ العالمين ـ تحشرون ـ الخبير .

مبين ـ الموقنين ـ الآفلين ـ الضّالين ـ تشركون ـ المشركين ـ تتذكرون ـ تعلمون ـ مهتدون ـ عليم ـ المحسنين ـ الصّالحين ـ العالمين ـ مستقيم ـ يعملون ـ بكافرين ـ للعالمين ـ يلعبون ـ يحافظون ـ تستكبرون ـ تزعمون .

تُؤفكون ـ العليم ـ يعلمون ـ يفقهون ـ يؤمنون ـ يصفون ـ عليم ـ وكيل ـ الخبير ـ بحفيظ ـ يعلمون ـ المشركين ـ بوكيل ـ يعملون ـ يُؤْمِنُون ـ يعمهون .

يجهلون ـ يفترون ـ مقترفون ـ الممترين ـ العليم ـ يخرصون ـ بالمهتدين ـ مؤمنين ـ بالمعتدين ـ يقترفون ـ لمشركون ـ يعملون ـ يشعرون ـ يمكُرون ـ يؤمنون ـ يَذكّرُون .

يعملون ـ عليم ـ يكسبون ـ كافرين ـ غافلون ـ يعملون ـ ءاخرين ـ بمعجزين ـ الظالمون ـ يحكمون ـ يفترون ـ يفترون ـ عليم ـ مهتدين .

المسرفين ـ مبين ـ صادقين ـ الظالمين ـ رحيم ـ لصادقون ـ المجرمين ـ تخرصون ـ أجمعين ـ يَعْدِلون .

١٦ ـ لم تكن با لمنسوخ .

تعقلونَ ـ تذكرون ـ تتقون ـ يؤمنون ـ ترحمون ـ لغافلين ـ يصدفُون ـ منتظرون ـ يفعلون ـ يظلمون ـ المشركين ـ العالمين ـ المسلمين ـ تختلفون ـ رحيم .

سورة الأعراف مكية

قال مجاهد وقتادة : إلا قوله تعالى : « وسئلهم عن القرية » .

وحروفها أربعة عشر ألفاً وثلاثمائة وعشرة .

وكلمها ثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمس وعشرون .

وآيها مائتان وخمس بصرى وشامى ، وست حرمى وكوفى .

خلافها خمس : « المص » و« تعودون » كوفى ، « له الدين » بصرى وشامى ، « ضعفاً من النار » ، وثالث « على بنى إسرائيل » حرمى ، وقيل : « يستضعفون » مدنى أوّل .

وفيها مشبه الفاصلة تسعة : « فدلاهما بغرور » . « فى سم الخياط » « والإنس فى النّار » . « بكل صراط توعدون » . « فرعون بالسنين » . « وموسى صعقاً » . « ولا ليهديهم سبيلاً » . « عذاباً شديداً » ورابع « بنى إسرائيل » .

وعكسه ستة . « وخلقته من طين » . « فسوف تعلمون » . « ثم لأصلبنكم أجمعين » . وثلاثة « بنى إسرائيل » الأول.

رويّها : (مَنْ دَلْ) دال . الدّال ـ صاد . واللام ثلاثة إسرائيل .

وفواصلها : المص ـ للمؤمنين ـ تذكرون ـ قائلون ـ ظالمين ـ المرسلين ـ غائبين ـ المفلحون ـ يظلمون ـ تشكرون ـ الساجدين ـ طين ـ الصّاغرين ـ يبعثون ـ المنظرين ـ المستقيم ـ شاكرين ـ أجمعين ـ الظالمين ـ الخالدين ـ الناصحين ـ مبين ـ الخاسرين ـ حين ـ تخرجون ـ يَذَّكرون ـ يؤمنون ـ تعلمون ـ تعودون ـ مهتدون .

المسرفين ـ يعلمون ـ تعلمون ـ يستقدمون ـ يحزنون ـ خالدون ـ كافرين ـ تعلمون ـ تكسبون ـ المجرمين ـ الظالمين ـ خالدون ـ تعملون ـ الظالمين ـ كافرون ـ يطمعون .

الظالمين ـ تستكبرون ـ تحزنون ـ الكافرين ـ يجحدون ـ يؤمنون ـ يفترون ـ العالمين ـ المعتدين ـ المحسنين ـ تذكّرون ـ يشكرون ـ عظيم ـ مبين ـ العالمين ـ تعلمون ـ ترحمون ـ عمين .

تتقون ـ الكاذبين ـ العالمين ـ أمين ـ تفلحون ـ الصادقين ـ المنتظرين ـ مؤمنين ـ اليم ـ مفسدين ـ مؤمنون ـ كافرون ـ المرسلين ـ جاثمين ـ الناصحين ـ العالمين ـ مسرفون ـ يتطهّرون ـ الغابرين ـ المجرمين ـ مؤمنين (توعدون)[17] المفسدين ـ الحاكمين .

كارهين ـ الفاتحين ـ لخاسرون ـ جاثمين ـ الخاسرين ـ كافرين ـ يضّرّعون ـ يشعرون ـ يكسبون ـ نائمون ـ يلعبون ـ الخاسرون ـ يسمعون ـ الكافرين ـ لَفَاسقين ـ المفسدين ـ

---

١٧ ـ ليست الفاصلة هذه فى عدد الكوفى الذى التزمه المؤلف . المحقق .

العالمين ـ إسرائيل ـ الصادقين ـ مبين ـ للناظرين ـ عليم ـ تأمرون ـ حَاشِرين ـ عليم ـ الغالبين ـ المقربين ـ الملقين ـ عظيم .

يأفكون ـ يعملون ـ صاغرين ـ ساجدين ـ العالمين ـ وهرون ـ تعلمون ـ أجمعين ـ منقلبون ـ مسلمين ـ قاهرون ـ للمتقين ـ تعملون ـ يذكرون ـ يعلمون ـ بمؤمنين ـ مجرمين ـ إسرائيل ـ ينكثون ـ غافلين ـ يعرشون ـ تجهلون ـ يعملون ـ العالمين ـ عظيم .

المفسدين ـ المؤمنين ـ الشاكرين ـ الفاسقين ـ غافلين ـ يعملون ـ ظالمين ـ الخاسرين ـ الظالمين ـ الراحمين ـ المفترين ـ رحيم ـ يرهبون ـ الغافرين .

يؤمنون ـ المفلحون ـ تهتدون ـ يعدلون ـ يظلمون ـ المحسنين ـ يظلمون ـ يفسقون ـ يتقون ـ يفسقون ـ خاسئين ـ رحيم ـ يرجعون ـ تعقلون ـ المصلحين .

تتقون ـ غافلين ـ المبطلون ـ يرجعون ـ الغاوين ـ يتفكرون ـ يظلمون ـ الخاسرون ـ الغافلون ـ يعملون ـ يعدلون ـ يعلمون ـ متين ـ مبين ـ يؤمنون ـ يعمهون ـ يعلمون ـ يؤمنون .

الشاكرين ـ يشركون ـ يُخْلَقون ـ ينصرون ـ صامتون ـ صادقين ـ تنظرون ـ الصالحين ـ ينصرون ـ يبصرون ـ الجاهلين ـ عليم ـ مبصرون ـ يقصرون ـ يؤمنون ـ ترحمون ـ الغافلين ـ يسجدون .

سورة الأنفال مدنية

واختلف فى « وما كان الله ليعذبهم » ، وحروفها خمسة آلاف ومائتان وأربعة وتسعون .

وكلمها ألف ومائتان وإحدى وثلاثون ، وآيها سبعون ، وخمس كوفى ، وست حرمى وبصرى ، وسبع شامى .

خلافها ثلاث . « ثم يغلبون » بصرى وشامى ، وأول « كان مفعولا » غير كوفى ، « بنصره وبالمؤمنين » غير بصرى ، ونظيرتها فى المدنى : الحج ، والكوفى : الزمر ، والشامى : الفرقان .

وفيها مشبه الفاصلة ثمانية : « **أولئك هم المؤمنون** » ، « **رجز الشيطان** » « **فوق الأعناق** » ، « **المسجد الحرام** » ، « **إلا المتقون** » ، « **يوم الفرقان يوم التقى الجمعان** » وثانى « كان مفعولا » وعكسه أوله . رويّها (ندبر) قطرب : الدال للعبيد ، والقاف الحريق ، والباء أربعة : العقاب .

وفواصلها : مؤمنين ـ يتوكلون ـ ينفقون ـ كريم ـ لكارهون ـ ينظرون ـ الكافرين ـ المجرمون ـ مردفين ـ حكيم ـ الأقدام ـ بَنَان ـ العقاب ـ النَّار ـ الأدبار ـ المصير ـ عليم ـ الكافرين ـ المؤمنين ـ تسمعون ـ يسمعون .

يعقلون ـ معرضون ـ تحشرون ـ العقاب ـ تشكرون ـ تعلمون ـ عظيم ـ العظيم ـ الماكرين ـ الأولين ـ أليم ـ يستغفرون ـ يعلمون ـ تكفرون ـ يحشرون ـ الخاسرون ـ الأوّلين ـ بصير ـ النصير .

قدير ـ عليم ـ الصّدور ـ الأمور ـ تفلحون ـ الصابرين ـ محيط ـ العقاب ـ حكيم ـ

الحريق - للعبيد - العقاب - عليم - ظالمين - يؤمنون - يتقون - يذكرون - الخائنين - يعجزون - تظلمون .

العليم - وبالمؤمنين - حكيم - المؤمنين - يفقهون - الصابرين - حكيم - عظيم - رحيم - رحيم - حكيم - بصير - كبير - كريم - عليم .

سورة التوبة مدنية

سّماعون[18] المكيّون : الفاضحة ، قال ابن عباس : مازال ينزل (ومنهم)[19] حتى حسبنا أن لايدع أحدا .

حروفها عشرة آلاف وثمانمائة وسبعة وثلاثون .

وكلمها ألفان وأربع مائة وسبع وسبعون .

وآيها مائة وتسع وعشرون كوفى ، وثلاثون فى الباقى .

وخلافها خمس « من المشركين » معا : أحدهما بصرى بخلفه .

المعلّ[20] عن الجحدرى عدّ الأول لا الثانى ، وشهاب عنه بعكسه « الدّين القيّم » حمصى ، أول « عذاباً أليما » دمشقى ، وقيل شامى . « وعاد وثمود » حرمى .

وفيها مشبه الفاصلة : ستة عشر « أحد من المشركين » . عند من لا يعدها « وقاتلوا المشركين » « برحمة من الله ورضوان » « وقلّبوا لَكَ الأمور » ، « وفى الرقاب » ، « ويؤمن للمؤمنين » ، « فى الصدقات » ، ثانى « عذابا أليما » ، « ماعلى المحسنين من سبيل » « لا يجدون ماينفقون » ، « من المهاجرين والأنصار » ، « بين المؤمنين » ، « فيقتلون ويقتلون » ، « أن يستغفروا للمشركين » ، « ماينفقون » ، « إنهم يفتنون » .

وعكسه ثنتان : من يعدّ « من المشركين » ، « وقوم مؤمنين » .

رويّها (لم نُربَّ) اللام قليل . والبا الغيوب .

وفواصلها : من المشركين - الكافرين - أليم - المتقين - رحيم - يعلمون - المتقين - فاسقون - يعملون - المعتدون - يعلمون - ينتهون - مؤمنين - مؤمنين - حكيم - تعملون - خالدون - المهتدين .

الظالمين - الفائزون - مقيم - عظيم - الظالمون - الفاسقين - مدبرين - الكافرين - رحيم - حكيم - صاغرون - يؤفكون - - يشركون - الكافرون - المشركون .

أليم - تكنزون - المتقين - الكافرين - قليل - قدير - حكيم - تعلمون - لكاذبون - الكاذبين - المتقين يترددون .

القاعدين - بالظالمين - كارهون - بالكافرين - فرحون - المؤمنون - متربّصون - فاسقين - كارهون - كافرون - يفرقون - يجمحون - يسخطون - راغبون .

حكيم - أليم - مؤمنين - العظيم - تحذرون - تستهزئون - مجرمين - الفاسقون - مقيم -

(18) كذا الأصل ، ولعلها : سماهاالمكيون .. الخ .

(19) اى ايات تصف المنافقين مفتتحة بهذا اللفظ : ومنهم مثل قوله تعالى : ومنهم من يقول ائذن لى ... ومنهم من يلمزك فى الصدقات ... ومنهم الذين يؤذون النبى ... الآيات .

(20) فى الاتحاف العلى من الجحدرى .

الخاسرون ـ يظلمون ـ حكيم ـ العظيم ـ المصير ـ نصير .

الصالحين ـ معرضون ـ يكذبون ـ الغيوب ـ أليم ـ الفاسقين ـ يفقهون ـ يكسبون ـ الخالفين ـ فاسقون ـ كافرون ـ القاعدين ـ يفقهون ـ المفلحون ـ العظيم ـ أليم ـ رحيم ـ ينفقون .

يعلمون ـ تعملون ـ يكسبون ـ الفاسقين ـ حكيم ـ عليم ـ رحيم ـ العظيم ـ عظيم ـ رحيم ـ عليم ـ الرحيم ـ تعملون ـ حكيم ـ لكاذبون ـ المُطَّهِرين ـ الظالمين ـ حكيم .

العظيم ـ المؤمنين ـ الجحيم ـ حليم ـ عليم ـ نصير ـ رحيم ـ الرّحيم ـ الصّادقين ـ المحسنين ـ يعملون ـ يحذرون ـ المتّقين ـ يستبشرون ـ كافرون ـ يذكرون ـ يفقهون ـ رحيم ـ العظيم .

سورة يونس عليه الصلاة والسلام

مكّية ، حروفها سبعة آلاف وخمسمائة وسبعة وستون كَهُوَدٍ .

وكلمها ألف وثمانمائة واثنان وثلاثون .

وآيها مائة وتسع غير شامي وعشر فيه . خلافها ثلاث : « له الدِّين » ، « فى الصّدور » ، شامي وقيل دمشقى ، « لنكونن من الشاكرين » غيره ، ونظيرها فيه « سبحان »[٢١] .

وفيها مشبه الفواصل ثلاثة : « آلر » ، « متاع فى الدنيا » ، « بنى إسرائيل » وعكسه موضع « على الله الكذب لا يفلحون » ورويّها : (ملن) اللام : بوكيل .

وفواصلها : الحكيم ـ مبين ـ تذكّرون ـ يكفرون ـ يعلمون ـ يتقون ـ غافلون ـ يكسبون ـ النعيم ـ العالمين .

يعمهون ـ يعملون ـ المجرمين ـ تعملون ـ عظيم ـ تعقلون ـ المجرمون ـ يشركون ـ يختلفون ـ المنتظرين ـ تمكرون ـ الشاكرين ـ تعملون ـ يتفكرون ـ مستقيم .

خالدون ـ خالدون ـ تعبدون ـ لَغَافِلِين ـ يفترون ـ تتقون ـ تصرفون ـ يؤمنون ـ تؤفكون ـ تحكمون ـ يفعلون ـ العالمين ـ صادقين ـ الظالمين ـ بالمفسدين ـ تعملون ـ يعقلون ـ يبصرون ـ يظلمون ـ مهتدين ـ يفعلون ـ يظلمون ـ صادقين ـ يستقدمون ـ المجرمون ـ تستعجلون ـ تكسبون .

بمعجزين ـ يظلمون ـ يعلمون ـ ترجعون ـ للمؤمنين ـ يجمعون ـ تفترون ـ يشكرون ـ مبين ـ يحزنون ـ يتقون ـ العظيم ـ الحليم ـ يخرصون ـ يسمعون ـ تعلمون ـ يفلحون ـ يكفرون .

تنظرون ـ المسلمين ـ المنذرين ـ المعتدين ـ مجرمين ـ مبين ـ الساحرون ـ بمؤمنين ـ عليم ـ ملقون ـ المفسدين ـ المجرمون ـ المسرفين ـ مسلمين ـ الظالمين ـ الكافرين ـ المؤمنين ـ الأليم ـ لا يعلمون .

(٢١) أى الإسراء .

المسلمين ـ المفسدين ـ لَغَافِلُون ـ يختلفون ـ المترين ـ الخاسرين ـ يؤمنون ـ الأليم ـ حين ـ مؤمنين ـ يعقلون ـ يؤمنون ـ المنتظرين ـ المؤمنين ـ المؤمنين ـ المشركين ـ الظالمين ـ الرّحيم ـ بوكيل ـ الحاكمين .

سورة هود عليه الصلاة والسلام

مكية ، حروفها سبعة آلاف وخمسمائة وسبعة وستون كَيُونُس .

وكلمها ألف وتسعمائة وخمس عشرة ، وآيها مائة وعشرون وواحدة حرمى وبصرى ، إلا الأول ، وثنتان فيه وشامى ، وثلاث كوفى .

خلافها سبع : « مما تشركون » . كوفى وحمصى ، « فى قوم لوط » حرمى وكوفى ودمشقى . « من سجّيل » مدنى أخير ومكى ، « منضود » ، « وإنا عاملون » غيرهما ، « إن كنتم مؤمنين » . حمصىّ وحرمّى ، « ولا يزالون مختلفين » غيره ، وتقدّمت نظيرتها « المائدة » .

وفيها مشبه الفاصلة تسعة :
« آلر » ، « يعلم مايسرّون وما يعلنون » ، « إنما أنت نذير » ، « فسوف تعلمون » ، « سوف تعلمون » ، « وفار التنور » ، « فينا ضعيفا » ، « ذلك يوم مجموع » ، وعكسه موضع « كما تسخرون » .
رويّها (ذق ظلم صردبز) .
وفواصلها : خبير ـ وبشير ـ كبير ـ قدير ـ الصدور .

مبين ـ مبين ـ يستهزئون ـ كفور ـ فخور ـ كبير ـ وكيل ـ صادقين ـ مسلمون ـ يبخسون ـ يعملون ـ يؤمنون ـ الظالمين ـ كافرون ـ يبصرون ـ يفترون ـ الأخسرون ـ خالدون .

تذكرون ـ مبين ـ أليم ـ كاذبين ـ كارهون ـ تجهلون ـ تذكرون ـ الظالمين ـ الصادقين ـ بمعجزين ـ ترجعون ـ تجرمون ـ يفعلون ـ مغرقون ـ تسخرون ـ مقيم ـ قليل .

رحيم ـ الكافرين ـ المغرقين ـ الظالمين ـ الحاكمين ـ الجاهلين ـ الخاسرين ـ أليم ـ للمتقين ـ مفترون ـ تعقلون ـ مجرمين ـ بمؤمنين ـ تشركون ـ تنظرون ـ مستقيم ـ حفيظ ـ غليظ ـ عنيد ـ هود .

مجيب ـ مريب ـ تخسير ـ قريب ـ مكذوب ـ العزيز ـ جاثمين ـ لثمود ـ حنيذ ـ لوط ـ يعقوب ـ عجيب ـ مجيد ـ لوط ـ منيب ـ مردود ـ عصيب ـ رشيد ـ نريد ـ شديد ـ بقريب ـ منضود ـ ببعيد .

محيط ـ مفسدين ـ بحفيظ ـ الرشيد ـ أنيب ـ ببعيد ـ ودود ـ بعزيز ـ محيط ـ رقيب ـ جاثمين ـ ثمود ـ مبين ـ برشيد ـ المورود ـ المرفود ـ وحصيد ـ تتبيب ـ شديد ـ مشهود ـ معدود ـ وسعيد ـ وشهيق ـ يريد .

مجذوذ ـ منقوص ـ مريب ـ خبير ـ بصير ـ تنصرون ـ للذاكرين ـ المحسنين ـ مجرمين ـ مصلحون ـ مختلفين ـ أجمعين ـ للمؤمنين ـ عاملون ـ منتظرون ـ تعملون .

يتبع

اتجاه قبلة الصلاة

قال الله تعالى :

﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ .

صدق الله العظيم . .

(سورة البقرة الآية ١٤٤)

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال : (البيت قبلة لأهل المسجد ، والمسجد قبلة لأهل الحرم ، والحرم قبلة لأهل الأرض فى مشارقها ومغاربها من أمتى)[١] .

لا شك أن اتجاه القبلة للصلاة من الأمور الهامة التى تهم المسلمين فى جميع انحاء الأرض ومن الأمور الهامة أيضاً أن يطمئن المسلمون إلى قبلتهم التى اتخذوها فى المساجد المقامة سواء القديمة منها أم الحديثة ، ولقد انتشرت فى الآونة الأخيرة « البوصلات » التى تحدد اتجاه القبلة فى مختلف المواقع من العالم .

وأمام الدعاية التى رافقت انتشار هذه « البوصلات » ، وعن دقة الصناعة اليابانية وغيرها أصبحت الثقة مطلقة فى هذه البوصلات إلى درجة بروز بعض الاعتراضات ليس على البوصلة بل على اتجاه القبلة داخل المساجد مما يثير البلبلة والشكوك فى نفوس المسلمين .

ويقوم قسم حساب النتائج والتقاويم بالإدارة العامة « للجيوديسيا والحساب » بالهيئة المصرية العامة للمساحة بتحديد اتجاه قبلة الصلاة للمساجد على أساس علمى دقيق وذلك عن طريق حل مثلث كروى يربط بين الموقع الجغرافى للمسجد الحرام بمكة المكرمة والموقع الجغرافى لأى مسجد بالإضافة إلى موقع القطب الشمالى .

---

(١) أخرجه الإمام القرطبى تفسيره الجامع لأحكام القرآن ـ اية ١٤٤ سورة البقرة

● المثلث دائرى اى الأضلاع غير مستقيمة

للأستاذ حمدى وهبه شعراوى

مدير الحساب المساحى بالهيئة المصرية العامة للمساحة

القطب الشمالى
ط َ - ط
٩٠° - ع
٩٠° - عَ
هـ
اتجاه القبلة
موقع أى مسجد
المسجد الحرام

بفرض أن : ع خط عرض أى مسجد

ط خط طول أى مسجد

عَ خط عرض المسجد الحرام

طَ خط طول المسجد الحرام

ظتا هـ = جتا عَ طاع - جا ع جتا (طَ - ط) / جا (طَ - ط)

وتعتبر (هـ) زاوية انحراف لاتجاه قبلة الصلاة عن الشمال الجغرافى فى موقع المسجد بالضبط

وحيث إن خط عرض المسجد الحرام بمكة المكرمة معلوم وَقَدْرُهُ ٢١° ٢٥َ ١٥,٦ً

وكذلك خط طول المسجد الحرام بمكة المكرمة معلوم وقدره ٣٩° ٤٩َ ٢٩,١ً

أما خط العرض وخط الطول للمسجد المراد إنشاؤه فيمكن حسابه عن طريق أرصاد فلكية أو ربطه بشبكة المثلثات الجيوديسية القريبة من المسجد ، وبالتالى يتم حساب الموقع الجغرافى للمسجد .

وحساب اتجاه القبلة بالنسبة للشمال الجغرافى يعتبر من أدق القياسات وهو ما يتبع فى المساجد المصرية . وتقوم هيئة المساحة بتحديد اتجاه القبلة بواسطة أجهزة مساحية هندسية دقيقة مثل « جهاز التيودوليت » الذى يبين الدرجة وأجزاءها بالدقيقة والثانية واتجاه قبلة الصلاة يختلف من مسجد إلى مسجد ومن مدينة إلى أخرى بحسب الموقع الجغرافى لكل مسجد .

ماذا عن دقة البوصلة ؟

أما استخدام الشمال المغناطيسى لتحديد القبلة فإن الهيئة لا تستخدم هذه الطريقة مطلقا وفى المساجد بصفة خاصة نظرا لاختلاف وتغيير قيمة الانحراف المغناطيسى من مكان إلى آخر . كما أن « البوصلة المغناطيسية » تتأثر بما حولها من مواد حديدية أو كهربائية أو بناء مسلح أو أجسام ممغنطة غير منظورة تغير من اتجاه « إبرة

البوصلة » وتعطى اتجاها خاطئا . ثم لأن الانحراف المغناطيسى تقريبى يقرأ رقماً لأقرب دقيقة فقط فى البوصلات الهندسية الكبيرة .

أما البوصلات المتداولة فى الأسواق التى تحدد اتجاه القبلة ومعها جداول تحدد رقما لكل مدينة . فقد قمنا بعمل الدراسة اللازمة عليها ووصلنا إلى النتائج الآتية :-

(١) البوصلات المتداولة فى الأسواق مقسمة إلى ٤٠ قسما كل قسم يمثل ٩ درجات ولا يمكن الحصول على أجزاء القسم . لذلك فإنه يوجد خطأ فى التوجيه مقداره ٩ درجات .

(٢) الجداول الملحقة مع البوصلة على نوعين : نوع يعتبر الرقم الدال على اتجاه القبلة لمدينة مثل القاهرة (٢٥) ونوع آخر يرقم القسم الواحد بالعشرات والرقم الدال على اتجاه القبلة لمدينة مثل القاهرة (٢٥٠) وهذا لا يعطى أى اختلاف فى التقسيم فكلاهما يقسم الدائرة إلى (٤٠) قسما .

(٣) أظهرت الدراسة أن الخطأ فى التوجيه إلى المسجد الحرام بمقدار درجة واحدة لمسافة ٨٠٠ كم (وهى مسافة متوسطة لمصر) ينتج عنه خطأ فى مكان المسجد الحرام بمقدار ١٣,٩٦ كيلومتر .

(١ × ١٧٤٥ . . . × ٨٠٠ = ١٣,٩٦ كم)

لذلك فإن الخطأ فى قسم من أقسام البوصلة يجعل القبلة :

(٩ × ١٣,٩٦ = ١٢٥,٦٤ كيلومتر)

بمعنى أن الخطأ فى قسم من أقسام البوصلة يجعل القبلة خارج الحرم تماما على مسافة ١٢٥ كم بعيدا عن المسجد الحرام .

(٤) الأنواع المتداولة من البوصلات يوجد بينها اختلاف فى بعض مدن الجمهورية بالنسبة للرقم الدال على اتجاه القبلة . فمثلا : مدينة السويس أعطى لها رقم (٢٤) فى بوصلة وأعطى لها رقم (٢٧٠) فى بوصلة أخرى كما هو واضح من الجداول المرفقة بهما . وهذا الفرق يعطى خطأ ثلاثة أقسام أو (٢٧ درجة) فرق بينهما برغم صنعهما فى بلد واحد .

(٥) تم حساب اتجاه القبلة حسب الموقع الجغرافى المتوسط لكل مدينة من مدن الجمهورية وكذلك تحويل الانحراف الجغرافى إلى انحراف مغناطيسى بطرح قيمة الميل المغناطيسى فى كل بلد . ومقارنة ذلك بالأرقام الواردة مع جداول البوصلات المتداولة . ونرفق هذه المقارنة التى يتضح منها وجود أخطاء تصل إلى (٢٥) درجة عند أسوان (وسبع درجات) عند المنصورة .

وعلى هذا نوجز ما يلى :-

أولا : جميع مساجد الجمهورية التى حددت فيها القبلة بمعرفة الدولة حددت بطريقة دقيقة وصحيحة ولا مجال لأى شك فيها .

ثانيا : البوصلات المتداولة يجب ألا تستخدم نهائيا داخل المساجد لوجود الملاحظات السابق الإشارة إليها .

ثالثا : البوصلات المتداولة يمكن الاسترشاد بها عند الضرورة فقط مثل المناطق الصحراوية وفى البلاد التى لا يوجد بها مساجد وتكون للاسترشاد الشخصى البحت وليس للاعتماد عليها فى بناء مسجد يؤم المسلمين .

حساب الانحراف لاتجاه القبلة

بسبب البوصلة لبعض مدن مصر

حسب الموقع الجغراق المتوسط لهذه المدن

المدينة	خط العرض	خط الطول	الانحراف الجغراق للقبلة	الفرق المغناطيسى	الانحراف المغناطيسى للقبلة
القاهرة	٣٠° ٠٤′ ٣٦″	٣١° ١٦′ ٣٠″	١٣٦° ٢٣′ ٤٥″	٢° ١٨′	١٣٤° ٠٦′
حلوان	٢٩° ٥٢ ٠٠	٣١° ٢٠ ٠٠	١٣٥° ٥٣ ١٧	٢° ١٦	١٣٣° ٣٧
اسكندرية	٣١° ١١ ٥٣	٢٩° ٥٥ ٤٣	١٣٥° ٢٨ ١٥	٢° ١٠	١٣٣° ١٨
رشيد	٣١° ٢٤ ٠٠	٣٠° ٢٥ ٠٠	١٣٧° ٣٧ ٠٩	٢° ٢٠	١٣٥° ١٧
دمنهور	٣١° ٠٢ ٣٠	٣٠° ٢٨ ٠٠	١٣٦° ٤٣ ٠٧	٢° ١٨	١٣٤° ٢٥
دسوق	٣١° ٠٠ ٠٨	٣٠° ٣٩ ٠٢	١٣٧° ١٢ ١٩	٢° ٢١	١٣٤° ٥١
طنطا	٣٠° ٤٧ ٠٠	٣٠° ٥٩ ٣٠	١٣٧° ٤١ ١٣	٢° ١٨	١٣٥° ٢٥
الفيوم	٢٩° ١٨ ٠٠	٣٠° ٥٠ ٠٠	١٣٢° ٠٦ ١٨	٢° ١٠	١٢٩° ٥٦
المنصورة	٣١° ٠٢ ٥٠	٣١° ٢٣ ٤٥	١٣٩° ٥٣ ٥٢	٢° ٢٠	١٣٧° ٣٤
العلمين	٣٠° ٥١ ٠٠	٢٨° ٢٥ ٣٠	١٣٠° ٠٠ ٠٩	١° ٤٦	١٢٨° ١٤
الزقازيق	٣٠° ٣٥ ٠٠	٣١° ٣٠ ٠٠	١٣٨° ٥١ ٠٧	٢° ٢٤	١٣٦° ٢٧
اسيوط	٢٧° ٠٠ ٤٥	٣١° ١٠ ٣٥	١٢٣° ٢٩ ٣٥	١° ٤٩	١٢١° ٤١
بلبيس	٣٠° ٢٤ ٠٠	٣١° ٣٥ ٠٠	١٣٨° ٣٤ ١٦	٢° ٢٥	١٣٦° ٠٩
بنها	٣٠° ٢٧ ٠٠	٣١° ١٠ ٣٠	١٣٧° ١٦ ١٦	٢° ١٩	١٣٤° ٥٧
ابو قير	٣١° ١٨ ٠٠	٣٠° ٠٤ ٠٠	١٣٦° ١٢ ٢٤	٣° ٤١	١٣٢° ٣١
مرسى مطروح	٣١ ٢٤ ٠٠	٢٧° ١٥ ٠٠	١٢٨° ٣٤ ٣٣	١° ٢٤	١٢٧° ١١
السلوم	٣١ ٣٢ ٠٠	٢٥° ١٠ ٠٠	١٢٤° ٠٨ ٢٤	١° ٢٨	١٢٢° ٤٠
السويس	٢٩° ٥٨ ١٢	٣٢° ٣٢ ٣٠	١٤٠° ٥٠ ٢٢	٣° ٢٩	١٣٧° ٢١
بورسعيد	٣١° ١٦ ٠٠	٣٢° ١٨ ١٠	١٤٣° ٥١ ١٦	٢° ٤٣	١٤١° ٠٨
القنطرة	٣٠° ٥٢ ٠٠	٣٢° ١٨ ١٠	١٤٢° ٤٢ ٢١	٢° ٠٤	١٤٠° ٣٨
دمياط	٣١° ٢٤ ٥٧	٣١° ٤٨ ٤٤	١٤٢° ٢٧ ١١	٢° ٣٩	١٣٩° ٤٨
بلطيم	٣١° ٣٤ ٠٠	٣١° ٤٨ ٠٠	١٤٢° ٤٩ ٣٧	٢° ١٨	١٤٠° ٣٢
الاسماعيلية	٣٠° ٣٥ ٥٤	٣٢° ١٥ ١٣	١٤١° ٤٢ ٣٤	٢° ٤٤	١٣٨° ٥٩
اسوان	٢٣° ٥٦ ٠٠	٣٢° ٥٥ ٠٠	١١٠° ٠٩ ١٢	١° ٠٨	١٠٩° ٠١
العريش	٣١° ٠٧ ٢٠	٣٣° ٤٧ ٥٠	١٤٩° ٢٩ ٠٥	٣° ٤٦	١٤٥° ٤٣

ملاحظات

الانحراف المغناطيسى لاقرب دقيقة فقط لأن البوصلة لا تقرا الثوانى

حساب الخطا فى انحراف القبلة

بجداول البوصلات المتداولة

المدينة	البوصلة رقم ١			البوصلة رقم ٢		
	الرقم الدال للقبلة	المقابل بالدرجات	الخطا	الرقم الدال للقبلة	المقابل بالدرجات	الخطا
القاهرة	٢٥	١٣٥°	+ ٠٠° ٥٤´	٢٥٠	١٣٥°	+ ٠٠° ٥٤´
حلوان	٢٥	١٣٥°	+ ١° ٢٣	٢٥٠	١٣٥°	+ ١° ٢٣
اسكندرية	٢٥	١٣٥°	+ ١° ٤٢	٢٥٠	١٣٥°	+ ١° ٤٢
رشيد	٢٥	١٣٥°	− ٠٠° ١٧	٢٥٠	١٣٥°	− ٠٠° ١٧
دمنهور	٢٥	١٣٥°	+ ٠٠° ٣٥	٢٥٠	١٣٥°	+ ٠٠° ٣٥
دسوق	٢٥	١٣٥°	+ ٠٠° ٠٩	٢٥٠	١٣٥°	+ ٠٠° ٠٩
طنطا	٢٥	١٣٥°	− ٠٠° ٢٣	٢٥٠	١٣٥°	− ٠٠° ٢٣
الفيوم	٢٥	١٣٥°	+ ٥° ٠٤	٢٥٥	١٣٠° ٣٠´	+ ٠٠° ٣٤
المنصورة	٢٥	١٣٥°	− ٢° ٣٤	٢٥٥	١٣٠° ٣٠´	− ٧° ٠٤
العلمين	٢٥	١٣٥°	+ ٦° ٤٦	٢٥٥	١٣٠° ٣٠´	+ ٢° ١٦
الزقازيق	٢٥	١٣٥°	− ١° ٢٧	٢٥٠	١٣٥°	− ١° ٢٧
اسيوط	٢٥	١٣٥°	+ ١٣° ١٩	٢٦٥	١١٦° ٣٠	− ٠٠° ١١
بلبيس	٢٥	١٣٥°	− ١° ٩	٢٥٠	١٣٥°	− ١° ٠٩
بنها	٢٥	١٣٥°	+ ٠٠° ٠٣	٢٥٠	١٣٥°	+ ٠٠° ٠٣
ابو قير	٢٥	١٣٥°	+ ٢° ٢٩	٢٥٠	١٣٥°	+ ٢° ٢٩
مرسى مطروح	٢٥	١٣٥°	+ ٧° ٤٩	٢٦٠	١٢٦°	− ١° ١١
السلوم	٢٥	١٣٥°	+ ١٢° ٢٠	٢٦٠	١٢٦°	+ ٣° ٢٠
السويس	٢٤	١٤٤°	+ ٦° ٣٩	٢٧٠	١١٧°	− ٢٠° ٢١
بورسعيد	٢٤	١٤٤°	+ ٢° ٥٢	٢٤٥	١٣٩° ٣٠´	− ١° ٣٨
القنطرة	٢٤	١٤٤°	+ ٣° ٢٢	٢٤٥	١٣٩° ٣٠´	− ١° ٠٨
دمياط	٢٤	١٤٤°	+ ٤° ١٢	٢٤٥	١٣٩° ٣٠´	− ٠٠° ١٨
بلطيم	٢٤	١٤٤°	+ ٣° ٢٨	٢٤٥	١٣٩° ٣٠´	− ١° ٠٢
الاسماعيلية	٢٤	١٤٤°	+ ٥° ٠١	٢٤٥	١٣٩° ٣٠´	+ ٠٠° ٣١
اسوان	٢٥	١٣٥°	+ ٢٥° ٥٩	٢٧٠	١١٧°	+ ٧° ٥٩
العريش	٢٥	١٣٥°	− ١٠° ٤٣	٢٤٠	١٤٤°	− ١° ٤٣

بوصلة رقم ١

AMERICA SOUTH CENTER AND NORTH AMERICA			امريكا الجنوبية والوسطى والشمالية
COLOMBIA			كولمبية
Bogota	33	٣٣	بوغوتة
VENEZUELA			فنزويلا
Caracas	32	٣٢	كاراكاس
ECUADOR			اكوادور
Quito	32	٣٢	كيتو
GUIANA			جويانة
All Localities	31	٣١	جميع بلدانها
BRAZIL			البرازيل
Rio de janeiro			ريودوجانيرو
			وبقية
All Localities	31	٣١	البلدان الأخرى
PEROU			بيرو
Lima	33	٣٣	ليما
CUBA			جزيرة كوبا
Havana	34	٣٤	هفانة
MEXIOUE			المكسيك
Mexico			مكسيكو وبقية
All Localities	37	٣٧	البلدان الأخرى

○ ○ ○

AFRIQUE	افريقيا
EGYPTE	مصر
CAIRO	القاهرة
Holowan	حلوان
Alexandrie	الاسكندرية
Rosette	رشيد
Damanhour	دمنهور
Déssouq	دسوق
Tanta	طنطا
EL-Fayoum	الفيوم
EL-Mansouroh	المنصورة
EL-Alamein	العلمين
Zagazig	الزقازيق
Asiout	أسيوط
Belbés	بلبيس
Benha	بنها
Aboukir	ابو قير
Matrouh	مرسى مطروح
Saloum	السلوم

No25 رقم ٢٥

Suez	السويس
Port-said	بورسعيد
El-Kantara	القنطرة
Damiette	دمياط
Baltim	بلطيم
Lsmailia	الاسماعيلية

No24 رقم ٢٤

بوصلة رقم / ٢

110 Hydrabad	١١٠ حيدر اباد
110 Harachi	١١٠ هراشي

أفريقيا
AFRICA

Algeria	الجزائر
270 Biskra	٢٧٠ بسكرة
270 Constantine	٢٧٠ قسنطينة
270 Guelma	٢٧٠ ولمة
275 Khermis	٢٧٥ خميسى
275 Oran	٢٧٥ وهران
270 Algiers	٢٧٠ الجزائر (العاصمة)
270 Setif	٢٧٠ سطيف
270 Tebessa	٢٧٠ تبسة

◆ اتجاه قبلة الصلاة

٢٧٠ تيزى اوزو	270 Tizi Ouzou
مصـــــر	**EGYPT**
٢٥٠ ابو قير	250 Abukir
٢٥٠ الاسكندرية	250 Alexandria
٢٧٠ اسوان	270 Aswan
٢٦٥ اسيوط	265 Asyut
٢٥٠ بنها	250 Benha
٢٤٥ بلطيم	245 Batim
٢٥٠ بلبيس	250 Bilbeis
٢٥٠ القاهرة	250 Cairo
٢٥٠ دمنهور	250 Damanhour
٢٤٥ دمياط	245 Damiatte
٢٥٠ دسوق	250 Desouq
٢٥٥ العلمين	255 El Alamein
٢٤٠ العريش	240 El Arish
٢٥٥ الفيوم	255 El Fayoum
٢٤٥ القنطرة	245 El Kantara
٢٥٥ المنصورة	255 El-Mansourah
٢٦٠ المنيا	260 El-Minia
٢٥٠ حلوان	250 Helwan
٢٤٥ الاسماعيلية	245 Ismailia
٢٦٠ مطروح	260 Matrouh
٢٤٥ بورسعيد	245 Port Said
٢٥٠ رشيد	250 Rosette
٢٦٠ السلوم	260 Saloum
٢٧٠ السويس	270 Suez
٢٧٠ سوهاج	270 Souhag
٢٥٠ طنطا	250 Tanta
٢٥٠ الزقازيق	250 Zagazig
٢٧٠ سوهاج	270 Souhag
٢٧٠ الاقصر	270 Luxor
٢٧٠ اسوان	270 Aswan
ليبيـــا	**Libya**
٢٧٠ اجدابية	270 Ajdabiyah
٢٧٠ بمبه	270 Bomba
٢٦٥ درنة	265 Derna
٢٧٠ جغبوب	270 Giarabub
٢٨٠ غدامس	280 Gadames
٢٩٠ غدوة	290 Ghoddua
٢٩٠ واحة الكفرة	290 Kufra oasis
٢٧٠ اللبا	270 Leba
٢٧٠ مصراتة	270 Misrata
٢٧٥ مزدة	275 Mizda
٢٩٠ مرزوق	290 Mourzouk
٢٨٥ سبها	285 Sabhah
٢٦٠ بنغازى	260 Benghazi
٢٦٠ طرابلس	260 Tripoli
٢٦٥ بو مريم	265 Bou-mariam
٢٩٠ القطرون	290 Gatorun

بوصلة رقم ٣

CENTRAL AFRICA	وسط افريقيا
360 ANGOLA	٣٦٠ انجولا
325 BENIN	٣٢٥ بنين
305 CANARY ISLANDS	٣٠٥ جزر الكنارى
345 Bangui	٣٤٥ بنجوى
CHAD	تشـــاد
335 Fort Archam-hault	٣٣٥ فورت ارخامبولت
325 Fort Lamy	٣٢٥ فورت لامى
CONGO	الكونغـــو
350 Brazzaville	٣٥٠ برازافيل
EGYPT	مصـــر
245 Aboukir	٢٤٥ ابو قير
245 Alexandria	٢٤٥ الاسكندرية
260 Asyut	٢٦٠ اسيوط
245 Banha	٢٤٥ بنها
245 Batim	٢٤٥ بلطيم
250 Bilbeis	٢٥٠ بلبيس
245 Cairo	٢٤٥ القاهرة
245 Damanhour	٢٤٥ دمنهور
240 Damiatte	٢٤٠ دمياط
245 Disouq	٢٤٥ دسوق
250 El-Alamein	٢٥٠ العلمين
230 El-Arish	٢٣٠ العريش
250 El-Fayoum	٢٥٠ الفيوم

0 Marombe	٠ مارومبى
0 Morondava	٠ موروندافا
10 Tamatave	١٠ تماتيفه
0 Tulear	٠ تولير
10 Vatomandry	١٠ فاتوماندرى
20 MAURITUS ISLANDS	٢٠ جزر موريشيو
MOROCCO	المغـــرب
285 Beni-Mellal	٢٨٥ بن ملال
280 Casablanca	٢٨٠ الدار البيضاء
280 Fes	٢٨٠ فاس
285 Marrakesh	٢٨٥ مراكش
280 Rabat	٢٨٠ الرباط
275 Tanger	٢٧٥ طنجة
20 REUNION ISLANDS	٢٠ جزر الريونيون
TUNIS	تـــونس
265 Bizerte	٢٦٥ بنزرت
275 Gabes	٢٧٥ قابس
275 Gafsa	٢٧٥ قفصة
270 Kairouan	٢٧٠ القيروان
270 Sfax	٢٧٠ صفاقص
270 Sousse	٢٧٠ سوسة
270 Thala	٢٧٠ طحلة
275 Tozeur	٢٧٥ توزر
265 Tunis	٢٦٥ تونس



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه الطيبين الطاهرين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ....

فإن الحديث عن ليلة القدر ، هو حديث عن ليلة موعودة من بين سائر الليالى ، هو حديث عن ليلة مشهودة سجلها الوجود كله فى فرح وابتهاج ، هو حديث عن ليلة العظمة والشرف ، كما يقال فلان له قدر أى له منزلة وشرف ، وسميت بذلك : لأنه نزل فيها كتاب ذو قدر ، بواسطة ملك ذى قدر ، على رسول ذى قدر ، لأمة ذات قدر ، كذلك من أتى فيها بفعل الطاعات صار ذا قدر وشرف عند الله عزوجل .

وقال الخليل بن أحمد : المعنى « ليلة الضيق » من قوله تعالى : ﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ﴾ أى ضُيِّق ، وسميت بذلك لأن الأرض تضيق فيها بالملائكة النازلين إليها فى تلك الليلة ، ونزول الملائكة كله خير وبركة ، وقد جاء فى حديث أبى داود عن أبى هريرة مرفوعاً « وإن الملائكة تلك الليلة فى الأرض اكثر من عدد الحصى »(1) .

وقيل : ليلة القدر أى ليلة التقدير ، وسميت بذلك لما روى عن ابن عباس وغيره : أنه يُقَدَّرُ فيها ويُقْضَى مايكون فى تلك السنة من مطر ورزق وإحياء وإماتة إلى السنة القابلة كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ .

والمراد من التقدير إظهاره ـ عزوجل ـ ذلك للملائكة ـ عليهم السلام ـ المأمورين بالحوادث الكونية والمعنيين بشئون الخلق ، وإلا فتقديره تعالى جميع الأشياء أزلى قبل خلق السموات والأرض .

وليس هناك مايمنع أن يكون معنى ليلة القدر متضمنا لكل هذه المعانى . فهى الليلة ذات الشرف والقدر لما حدث فيها من تنزل القرآن الكريم ، ولما يتنزل فيها من ملائكة الله الأكرمين ، ولما يظهر الله فيها لملائكته ماقدره

---

(1) منحة المعبود جـ1 ص 200 .

للدكتور حلمى عبد المنعم صابر

فى شأن العباد أجمعين لعامهم الجديد . والله أعلم .

● ● ●

ووجه التفضيل الحقيقى لهذه الليلة هو تنزل القرآن الكريم فيها كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ فالصحيح المعتمد كما قاله ابن حجر فى شرح البخارى وكما صح عن ابن عباس : أن القرآن الكريم أنزل فى ليلة القدر جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فى السماء الدنيا ، فليلة القدر هى ليلة بدء نزول القرآن الكريم ذلك الحدث العظيم الذى لم تشهد الأرض ولا السماء مثله فى عظمته وفى دلالته .

وسواء كانت هى الليلة التى أنزل فيها القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فى سماء الدنيا ـ كما ذكرنا من قبل ـ أو هى الليلة التى بدأ نزول القرآن فيها على قلب سيدنا محمد ـ ﷺ ـ أو هى الليلة التى أمر الله سبحانه القلم أن يكتب القرآن فى اللوح المحفوظ . فإنها على أية حال : الليلة التى حظيت بساعة الفصل من عالم الغيب المكنون إلى عالم الشهادة الموجود .

إنها ليلة القدر .

والليل محل السكون والهدوء ، والنفس تكون فيه مهيأة لاستقبال الفيوضات ، ومن هنا كان اختيار الليل لنزول المنهج أنسب وأوقع ، وكأن القرآن قد اختيرت له هذه الليلة التى لها قدرها عند الله منذ الأزل ، وقد زادت قدراً على قدر بنزول القرآن فيها ، وحظيت بهذا الشرف فوق شرفها الأول وأصبحت سيدة الليالى وكل ليلة سواها خاضعة فى أمورها لما تنزل فى تلك الليلة ؛ ولذلك لما أراد الله سبحانه أن يبرز كلامه من عالم الغيب المكنون إلى عالم الشهادة اختار له تلك الليلة المشهودة التى (يُفْرَقُ فِيهَا كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) كما قال تعالى :

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ .

والقرآن ـ بلا ريب ـ هو رأس الحكمة ، ورأس الفرقان ، وبذلك استحقت هذه الليلة أن يقول الله عنها ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾ أى أن دراية علوها ومنزلتها خارج عن دائرة دراية الخلق ، فلا يعلم ذلك إلا علام الغيوب جل جلاله . ولذلك كان العمل الصالح فيها من الصيام والقيام والدعاء وقراءة القرآن خيراً من العمل فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ـ كما قال تعالى : ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ .

روى الإمام أحمد فى المسند عن أبى هريرة قال : لما حضر رمضان قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « قد جاءكم شهر رمضان ، شهر مبارك ، افترض الله عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم » .

←

● ● ●

أما عن كون هذه الليلة خاصة بالأمة الإسلامية أم كانت فى الأمم السالفة ؟

فإن أكثر الأخبار الواردة فى سبب النزول تقتضى تخصيص هذه الأمة بتلك الليلة فقد حدّث الزهرى عن مالك : أن رسول الله ﷺ - أرى أعمار الناس قبله - أو ماشاء الله من ذلك - فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل الذى بلغ غيرهم فى طول العمر ، فأعطاه الله ليلة القدر خيراً من ألف شهر - فهذا القول من الإمام مالك يقتضى تخصيص هذه الأمة بتلك الليلة .

وصرح بهذا الرأى الهيثمى وغيره ، بل حكى الخطّابى عليه الاجماع .

وقد أخرج الديلمى عن أنس عن النبى - ﷺ - قال : « إن الله تعالى وهب لأمتى ليلة القدر لم يعطها من كان قبلهم » .

قد يعترض على هذا الرأى بحديث « أبى ذر » الذى رواه « النسائى » و« أحمد بن حنبل » وفيه :

« قلت يارسول الله أتكون مع الأنبياء ماكانوا فإذا قبضوا رفعت ؟ أم هى إلى يوم القيامة ؟ فقال - ﷺ - : بل هى إلى يوم القيامة .

والذى أميل إليه فى هذه المسألة :

أن ليلة القدر موجودة منذ الأزل ، وهى ليلة لها منزلتها وشرفها من بين سائر الليالى منذ أن خلق الله الأيام والليالى ، ولكن تخصيص العمل فيها بتلك الأفضلية ، وأن العمل فيها من الطاعات خير من ألف شهر هو خاص بالأمة المحمدية لكثرة ماجاء من الأخبار فى أسباب النزول ، وأنها كانت عوضاً عن قِصَرِ أعمار تلك الأمة ، وأيضاً لما نص عليه وجاء صريحاً فى حديث « الديلمى » من كونها خاصة بأمة النبى محمد - ﷺ - .

ويكون معنى بقائها - مع الأنبياء السابقين - كما جاء فى حديث أبى ذر - هو بقاء شرفها وفضلها فى ذاتها ، وليس فى مضاعفة الثواب والعمل بالف شهر إذ أن ذلك خاص بالأمة المحمدية ، والله أعلم .

أو أن الإخبار عنها والإعلام بها لم يتأت للأنبياء السابقين ، وإنما خص الله به نبيه محمداً وأمته دون غيرهم .

● ● ●

أما عن كون هذه الليلة ليلة ثابتة معينة أم أنها متنقلة ؟

فقد قال ابن حجر الهيثمى - رحمه الله - : اختار جَمْعٌ : أنها لا تلزم ليلة بعينها من العشر الأواخر ، بل تنتقل فى لياليه ، فعاما أو أعواماً تكون وترا إحدى وعشرين أو ثلاثا أو غيرهما ، وعاما أو أعواما تكون شفعاً اثنتين وعشرين أو أربعا أو غيرهما ، قالوا : ولا تجتمع الأحاديث المتعارضة فيها إلا بذلك .

روى عن أبى قلابة أنه قال : ليلة القدر تنتقل فى العشر الأواخر ، وقد مال إلى هذا الرأى كثير من السلف الصالح منهم الإمام مالك وأحمد بن حنبل والثورى وأبو ثور والمزنى وغيرهم .

وحكى عن الإمام مالك ـ رحمه الله ـ أن جميع ليالى العشر فى تطلب ليلة القدر على السواء لا يترجح منها ليلة على أخرى[٢] .

واستدل هذا الفريق على قولهم هذا بأحاديث منها ماثبت فى الصحيحين عن عبد الله بن عمر : أن رجالاً من أصحاب النبى ـ ﷺ ـ أُرُوا ليلة القدر فى المنام فى السبع الأواخر من رمضان ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ « أرى رؤياكم قد تواطأت فى السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحرها فى السبع الأواخر »[٣] .

لكن الإمام الشافعى ـ رحمه الله ـ ذهب إلى أن ليلة القدر ليلة ثابتة معينة لا تنتقل وأن تلك الروايات المتعارضة فى تحديدها . إنما صدرت من النبى ـ ﷺ ـ جوابا لمن كان يسأله : أألتمس ليلة القدر فى الليلة الفلانية ؟ فيقول له : نعم وقد استدل الشافعى فى رأيه هذا بما جاء فى البخارى عن عبادة بن الصامت قال : خرج علينا رسول الله ـ ﷺ ـ ليخبرنا بليلة القدر : فتلاحى رجلان من المسلمين ، فقال ـ ﷺ ـ : « خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيراً لكم فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة » .

ووجه الدلالة : أنها لو لم تكن معينة مستمرة التعيين لما حصل لهم العلم بعينها فى كل سنة ، إذ لو كانت تنتقل لما علموا تعينها إلا ذلك العام فقط ، اللهم إلا أن يقال : إنه ـ ﷺ ـ خرج ليعلمهم بها تلك السنة فقط .

وأنا أميل إلى ماذهب إليه الإمام الشافعى من كونها ليلة معينة ثابتة ، وهى وإن كان الله تعالى قد أخفى عنا تحديدها فما ذلك إلا من أجل الاجتهاد فى العبادة طول الشهر عامة وفى العشر الأواخر خاصة ـ ولا ريب ـ أن من فعل ذلك فقد أصاب ليلة القدر ولن يفوته فضلها ، وأن القول بتعينها وعدم تنقلها هو الذى يتناسب مع أوصاف تلك الليلة التى خصها الله وعينها وحددها منذ الأزل لتنزل القرآن الكريم فيها والله أعلم .

● ● ●

أما عن العلامات التى تميز هذه الليلة عن غيرها :ـ

فقد روى الإمام أحمد والبيهقى وغيرهما عن عبادة بن الصامت عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال :

« إن أمارة ليلة القدر أنها صافية ، بَلِجَةٌ ـ أى مشرقة ـ كأن فيها قمرا ساطعا ، ساكنة ، ساجية ، لا برد فيها ولا حر ، ولا يحل لكوكب يرمى به (فيها) حتى تصبح ، وأن أمارتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ، ولا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ » .

---

(٢) ذكر ذلك ابن كثير فى تفسيره وقال : رأيته فى الشرح الكبير للرافعى رحمه الله .

(٣) صحيح البخارى كتاب الصوم باب التماس ليلة القدر جـ٣ ص ٥٩ .

وقيل : إنه فى هذه الليلة يكثر صياح الديكة لكثرة مايرون من تنزل الملائكة كما يقل نهيق الحمير ونباح الكلاب .

وهى ليلة كلها خير وسلام كما قال تعالى : ﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ فهى سالمة من كل شر ، وسالمة من الشيطان وأذاه فلا يستطيع أن يصيب فيها أحدا بخبل أو داء أو ضرب من ضروب الفساد ، ولا ينفذ فيها سحر ساحر .

وفى الحديث : أن الشيطان لا يخرج فى تلك الليلة حتى يضىء فجرها ـ ولعل مايصدر من المعاصى والشرور فى تلك الليلة إنما يكون من فعل النفس الأمارة بالسوء وليس بواسطة الشيطان ، والله أعلم .

وقيل إن السلام المقصود فى الآية هو بمعنى « التسليم » أى ماهى إلا تسليم فى تسليم لكثرة التسليم والمسلمين من الملائكة على المؤمنين فى هذه الليلة ، وقد جعلت عين التسليم للمبالغة فى كثرة السلام فيها .

● ● ●

ـ وليس بشرط لنيل فضلها أن يرى الإنسان شيئاً :

وإنما يحظى بفضلها كل من أقامها وأحياها بالعبادة والإخلاص حتى ولو لم ير شيئا .

وإن للقلوب المؤمنة فى هذه الليلة المباركة حساً مرهفاً نحوها يجعلها أكثر تواضعاً وأنشط عبادة وأشد ماتكون رحمة وشفقة فى هذه الليلة مما يجعل الألسنة فيها تلهج بالاستغفار والدعاء للمؤمنين والمؤمنات ، ويشعر فيها العبد بالقرب من ربه والأنس به .

وقد علق النبى ـ ﷺ ـ فضلها على القيام فيها بالعبادة ولم يعلقه على رؤية شىء فيها فقال : « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ماتقدم من ذنبه »[٤] .

وليس هذا الذى ذكرناه بمانع من أن يرى الإنسان فيها شيئاً مما اختصها الله به من الأنوار وتنزلات الملائكة وتسليمهم على المؤمنين فيها ، وقد دلت الأخبار على أن رؤيتها مناماً وقعت لغيره ـ ﷺ ـ ، ففى صحيح مسلم وغيره عن ابن عمر رضى الله عنهما : أن رجالا من أصحاب النبى أُرُوا ليلة القدر فى المنام فى السبع الأواخر ، فقال ـ ﷺ ـ « أرى رؤياكم قد تواطأت فى السبع الأواخر ، فمن كان متحريها فليتحرها فى السبع الأواخر » والله أعلم .

كما أن رؤية أنوار الملائكة أمر جائز وواقع بدليل حديث أسيد بن حضير أثناء قراءته فى الصلاة ليلاً حينما صالت الفرس وجالت لرؤية الملائكة .

● ● ●

« تحديد ليلة القدر وبيان وقتها »

إن القول بأن ليلة القدر قد رفعت ـ كما زعم بعض طوائف الشيعة ـ هو قول

---

(٤) رواه البخارى عن أبى هريرة فى كتاب الإيمان باب قيام ليلة القدر من الإيمان ورواه مسلم فى كتاب الصلاة باب الترغيب فى قيام رمضان .

مردود ، وما استدلوا به من قوله - ﷺ - فى شانها « فرفعت وعسى أن يكون خيراً لكم » فالمراد من قوله - ﷺ - ذلك هو رفع عِلْم وقتها عينا وبالتحديد ، وليس المراد رفعها بالكلية كما زعموا .

— كما أن القول بانها تدور فى السنة كلها وترتجى فى جميع الشهور على السواء كما روى عن ابن مسعود ومن تابعه من علماء الكوفة هو قول مردود ايضا لقوله تعالى :
﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ ، فمجموع الآيتين يشير إلى أن ليلة القدر هى الليلة التى انزل فيهاالقرآن ، وأنها ليلة من ليالى رمضان ، فهى ليلة خاصة بشهر رمضان دون غيره من الشهور .

وقد روى ابو داود عن عبد الله بن عمر قال : سئل رسول الله - ﷺ - وأنا اسمع عن ليلة القدر فقال : « هى فى كل رمضان »[٥] .

والقول بأنها ليلة من ليالى رمضان ، هو القول الذى اعتمده جمهور العلماء ، لكنهم اختلفوا حول أى ليلة تكون هى من الشهر :

— فعن ابن رزين أنها الليلة الأولى من رمضان ، وربما استدل على ذلك بقول النبى - ﷺ - : فإذا كان أول ليلة من رمضان نظر الله إليهم جميعا ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبدا .

— وعن الحسن البصرى أنها السابعة عشرة لأن وقعة بدر كانت فى صبيحتها وكانت ليلة جمعة ، وسمى الله يومها بيوم الفرقان وتنزلت فيه الملائكة .

— وعن زيد بن أرقم وابن مسعود وعن أنس مرفوعا أنها التاسعة عشرة ، وربما استأنسوا لذلك بمناسبة فتح مكة وهو الفتح الأعظم .

— ومال الإمام الشافعى إلى أنها ليلة إحدى وعشرين ، واستدل على ذلك بما جاء فى الصحيحين وغيرهما من حديث أبى سعيد الخدرى أنه عليه الصلاة والسلام قال : قد رأيت هذه الليلة ثم نسيتها وقد رأيتنى أسجد من صبيحتها فى ماء وطين ، قال أبو سعيد فمطرت السماء من تلك الليلة فوكف المسجد فأبصرت عيناى رسول الله - ﷺ - وعلى جبهته وأنفه أثر الماء والطين من صبيحة إحدى وعشرين .

— وأخرج أحمد ومسلم وغيرهما عن « عبد الله بن أنيس » أنه سئل عن ليلة القدر فقال سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « التمسوها الليلة وتلك الليلة ليلة ثلاث وعشرين » .

— وأخرج أحمد وأبو داود وابن جرير وغيرهم عن بلال قال : قال رسول الله - ﷺ - :

« ليلة القدر ليلة أربع وعشرين » .

وجاء فى حديث : « واثلة بن الأسقع » مرفوعاً .

« أن القرآن أنزل ليلة أربع وعشرين » .

وجاء فى الاتقان وغيره : أنها الليلة التى انزل فيها القرآن .

— وقيل إنها ليلة خمس وعشرين لما رواه

---

(٥) سنن ابى داود ، تفريع ابواب شهر رمضان باب « من قال : هى فى كل رمضان » .

البخارى عن عبد الله بن عباس أن رسول الله - ﷺ - قال :

« التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان فى تاسعة تبقى فى خامسة تبقى » فسّره كثيرون بليالى الأوتار وهو أظهر وأشهر، وحمله آخرون على الأشفاع .

ـ وأخرج ابن أبى شيبة عن أبى ذر أنه سئل عن ليلة القدر فقال :

كان عُمَر وَحُذَيفةُ وناس من أصحاب رسول الله لا يشكون أنها ليلة سبع وعشرين ، وروى ذلك عن معاوية وابن عمر وابن عباس وغيرهم ، وهو الجادة من مذهب أحمد بن حنبل .

وقد حكى عن بعض السلف أنه استخرج كونها ليلة سبع وعشرين من القرآن من قوله تعالى فى السورة « هى » لأنها الكلمة السابعة والعشرين من السورة .

وقيل تكون ليلة تسع وعشرين كما رواه أحمد بن حنبل عن أبى هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال فى ليلة القدر : إنها ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين ، وإن الملائكة تلك الليلة فى الأرض أكثر من عدد الحصى (المسند جـ٢ ص ٥١٩) .

وقيل : إنها فى آخر ليلة من رمضان لما رواه الترمذى والنسائى عن أبى بكرة أن رسول الله - ﷺ - قال :

« فى تسع يبقين ، أو سبع يبقين أو خمس يبقين أو ثلاث ، أو آخر ليلة »[٦] . يعنى : التمسوا ليلة القدر .

وفى رواية أحمد عن أبى هريرة مرفوعاً : أنها آخر ليلة .

● ● ●

ـ وخلاصة القول فى هذه المسألة :

أن الأقوال فيها مختلفة جداً كما رأينا : إلا أن الأكثرين على أنها فى العشر الأواخر لكثرة الأحاديث الصحيحة فى ذلك .

وأكثرهم على أنها فى أوتارها لذلك أيضا ؛ لأن الله تعالى وِتْرٌ يحب الوتر .

وكثير منهم ذهب إلى انها الليلة السابعة والعشرون .

وقد صح من رواية الإمام أحمد ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى وابن حبان وغيرهم أَنَّ زِرّ بنَ حُبَيش سأل أبى بن كعب عنها فحلف لا يستثنى أنها ليلة سبع وعشرين ، فقال له : بم تقول ذلك ياأبا المنذر ؟ فقال : بالآية والعلامة التى قال رسول الله - ﷺ - أنها تصبح من ذلك اليوم تطلع الشمس ليس لها شعاع .

وبعض الأخبار عن ابن عباس ظاهرة فى ذلك ، وفى بعضها الاستئناس له بما يدل على جلالة شأن (السبعة) التى قالوا فيها إنها عدد تام من كون السموات سبعاً والأرضين سبعاً والأيام سبعاً والجمار سبعاً والطواف بالبيت وكذا السعى سبعاً وطعام الإنسان من سبع والسجود على سبع إلى غير ذلك مما ذكره .

---

(٦) تحفة الأحوذى أبواب الصوم باب ما جاء فى ليلة القدر جـ٣ ص ٥٠٧ .

ـ وفى الحقيقة : أنه على الإنسان أن يهتم بما طلبه الله منه وهو العبادة فى ذلك الشهر عامة والمزيد منها فى العشر الأواخر خاصة ، ولا يشغل نفسه بما طواه الله عنه ، فما كان الله ليخفى عنا شيئاً ثم يطالبنا بإفراغ الوقت فى تحديده .

وقد ـ رأينا ـ من خلال الأقوال السابقة والأحاديث الكثيرة ـ أن رمضان من أول ليلة

فيه إلى آخر ليلة هو محل لليلة القدر ، فالعاقل هو الذى يشتغل بما طلب منه ولا يصرف وقته فيما طوى عنه ، ويضع نصب عينيه دائماً قول النبى ـ ﷺ ـ « من لم يغفر له فى رمضان فمتى ؟ »[٧] .

● ● ●

أما عما يتحقق به قيام تلك الليلة ومايسن فيها من أدعية فنقول :

يسنّ الدعاء فى هذه الليلة المباركة بكثرة ، فإنها إحدى أوقات الإجابة ، وأن الله تعالى حيىّ كريم يستحى من عبده المؤمن إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً خائبتين .

أخرج الإمام أحمد ، والترمذى وصححه ، والنسائى وابن ماجه وغيرهم عن عائشة رضى الله عنها ـ قالت :

قلت يارسول الله ، إن وافقت ليلة القدر فما أقول ؟

قال : « قولى اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى ».

وعلى الإنسان أن يجتهد فيها بأنواع العبادات من صلاة وقراءة وذكر لله وغير ذلك .

وذكر العلامة ابن رجب أن الأكمل فى هذه الليلة هو الجمع بين الصلاة والقراءة والدعاء والتفكر .

وقد كان ـ ﷺ ـ يفعل ذلك كله لاسيما فى العشر الأواخر .

جاء فى الصحيحين عن عائشة قالت : كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر »[٨] .

وفى صحيح مسلم عنها أيضاً قالت : كان رسول الله ـ ﷺ ـ يجتهد فى العشر مالا يجتهد فى غيره » .

وكان ـ ﷺ ـ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عزوجل ثم اعتكف أزواجه من بعده .

كما كان ـ ﷺ ـ يجتهد فى شهر رمضان فى قراءة القرآن ، ويقرأ قراءة مرتلة لا يمر بآية رحمة إلا سأل ولا بآية عذاب إلا تعوذ .

وكان ـ ﷺ ـ ينصح أصحابه فيقول : « فاسْتَكْثِرُوا فيه من أربع خصال : خصلتين تُرْضُونَ بهما ربكم وخصلتين لاغنى لكم عنهما :

فأما اللتان ترضون بهما ربكم فتقولون : لا إله إلا الله وتستغفرونه .

وأما اللتان لاغنى لكم عنهما : فتسألون الله الجنة وتستعيذون به من النار » .

←

---

(٧) البخارى كتاب الصوم باب العمل فى العشر .
(٨) مسلم:كتاب الاعتكاف باب الاجتهاد فى العشر .

وكما يسن الاجتهاد فى الليالى يسن الاجتهاد فى الأيام وخاصة يوم ليلة القدر إذ أن الليلة تتبع يومها على الأرجح **ويحصل قيامها** على ماقال البعض بصلاة التراويح

أخرج البيهقى عن أنس بن مالك عن النبى - ﷺ - قال :

« من صلى المغرب والعشاء فى جماعة حتى ينقضى شهر رمضان فقد أصاب من ليلة القدر بحظ وافر .

وأخرج مالك عن سعيد بن المسيب قال :

« من شهد العشاء ليلة القدر فى جماعة فقد أخذ بحظه منها ، فأقل شيء يفعله الإنسان فى تلك الليلة هو أن يحافظ على الأوقات فى جماعة، خاصة العشاء الأخيرة والفجر » .

والله أعلم .

● ● ●

أما عن كيفية حصول ليلة القدر فى جميع بقاع الأرض رغم اختلاف المطالع عليها فنقول :-

بناء على كروية الأرض ودورتها حول الشمس ، فإن المطالع تختلف على سطحها ، وقد أشار الله عزوجل إلى هذه الحقيقة فى كتابه فقال : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾ ومقتضى ذلك : أن الليل عند قوم يكون نهاراً فى الجهة المسامته لأقدامهم وهى قد تكون مسكونة ولو بواسطة سفينة تمر فيها ، وربما يكون زمن الليل عند قوم بعضه ليلا وبعضه نهاراً عند آخرين ، بل قد تنقضى أشهر بليل ونهار على قوم ولم ينقض يوم واحد فى بعض العروض كما فى بلاد القطبين ، ومن هنا : فإن الشهر نفسه يختلف دخولاً وخروجاً بالنسبة إلى سكان البسيطة ، وكذا لياليه وأيامه ، فتكون الليلة وتراً عند قوم وشفعاً عند آخرين وهكذا ..

ـــ والسؤال الذى يطرح نفسه هنا : كيف تحصل ليلة القدر - على القول بتعينها وثباتها - لجميع سكان البسيطة مع اختلاف المطالع والعروض .

والمسألة هذه : فيها رأيان أو احتمالان :

كما ذكر الإمام الألوسى فى تفسيره : « روح المعانى » .

الاحتمال الأول خلاصته : أن التخصيص بالليل جاء جريا على الغالب رعاية لمكان المتنزل عليه القرآن وهو النبي عليه الصلاة والسلام وغالب المؤمنين به ، وبناء على ذلك يكون جميع سكان البسيطة فى ليلة القدر تبعاً لوقت مكة والمدينة ، وقد ثبت أن سائر الأقطار الإسلامية من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق تجتمع فى جزء من الليل ، وحيث يكون هذا الوقت نهاراً عند قوم فإن الله تعالى يعطى أجرها لمن اجتهد منهم فى ليلة ذلك اليوم أو اجتهد فيه . ولعل فى قول العلماء : إنه يسن الاجتهاد فى يومها « ما » يكون رمزاً إلى هذا المعنى وهو حصول ثوابها لمن كان وقتها عندهم نهاراً ، ومما يقوى هذا الاحتمال قول العلماء فى الفتوى برجوع أهل العروض التى

يطول فيها الزمن النهارى أو الليلى جداً ـ كالبلاد القطبية أو القريبة منها ـ فى تقدير أوقات صومهم وصلاتهم إما إلى أعدل الزمن على خط طولهم . وإما إلى أوسط الزمن وهو زمان مكان التنزيل والوحى وهو زمن أهل مكة ، جريا على القاعدة التى تقول :

« إن خطاب الله وأحكامه تكون على الغالب » . والله أعلم .

وأما الاحتمال الثانى فى تلك المسألة فخلاصته :

أنه يكون لكل قوم ليلتهم الخاصة بهم وإن اختلفت دخولاً وخروجاً بالنسبة إلى آفاقهم .

وتكون ليلة القدر أشبه براكب يبدأ السير من نقطة معينة ويسير فى اتجاه واحد ، فإنه سيلفّ الكرة الأرضية كلها حتى يصل إلى النقطة التى بدأ منها .

ومعنى ذلك أن ليلة القدر تحصل إلى أهل كل منزل فى وقت ليلهم كما تتنزل الملائكة على أهل هذه المنازل على حسب دخول الليل عندهم ، ولا يبعد أن يتنزل عند كل قوم ماشاء الله تعالى منهم عند أول دخولها عندهم ويعرجون عند مطلع فجرها عندهم أيضاً ، أو يبقى المتنزل منهم هناك إلى أن تنقضى الليلة فى جميع المعمورة فيعرجون معاً عند انقضائها .

وما يقال بالنسبة لتنزل الملائكة يقال أيضا بالنسبة إلى تقديرات الله فى هذه الليلة ، بأن يقدر الله ـ عز وجل ـ على حسب سير الليلة فى أى جزء شاء منها بالنسبة إلى من هى عندهم أموراً تتعلق بهم .

ومثل ليلة القدر فيما ذكر وقت **نزوله سبحانه إلى السماء الدنيا من الليل** كما صحّت به الأخبار ، وكذا **ساعة الإجابة من يوم الجمعة ، وسائر أوقات العبادة كوقت الظهر والعصر وغيرهما .**

وأنا أميل إلى الاحتمال الثانى لأنه يتوافق مع سنن الله فى خلق الكون على هذا النحو ، وإلا لو كان المراد هو الرجوع إلى زمن مكة لجعل الله الزمن على الأرض واحداً وما كان بينه هذا الاختلاف .

كما أن القول بهذا الرأى أيضاً يجلى لنا حقيقة هامة وهى :

أن فيوضات الله وتجلياته على عباده وتقديراته لهم لا تنقطع فى هذه الليلة من الأرض لحظة ، فهى تجليات موصولة وعطاءات متوالية . كما أن عبادات الخلق لا تنقطع من الأرض لحظة ، واتجاههم إلى الله موصول فى كل وقت وحين . وايّما كان الأمر : فمرد الفضل كله إلى الله ، وأفضلية هذه الليلة ومناط الفضل فيها يرجع إلى من أقامها وأحياها فى أى مكان على ظهر الأرض . والله أعلى وأعلم . وصلى الله على سيدنا محمد والحمد لله رب العالمين .

د . حلمى عبد المنعم صابر

الفتاوى

فى الصوم

س ١ : ماحكم من أكل أو شرب ناسيا أو مخطئا أو مكرها فى نهار رمضان ؟

جـ : لاقضاء عليه ولا كفارة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم « من نسى وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه ، فانه أطعمه الله وسقاه » وقوله : « ان الله وضع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » .

ومنه يعلم حكم من غلبه الماء ونزل الى جوفه وهو يتوضأ فصومه أيضا صحيح ولاشىء عليه .

أما من أكل أو شرب أو جامع ـ ظانا غروب الشمس أو عدم طلوع الفجر فظهر خلاف ذلك فعليه القضاء عند جمهور العلماء ومنهم الأئمة الأربعة ... ولا كفارة عليه .

وذهب اسحاق وداود وابن حزم وعطاء وعروة والحسن البصرى ومجاهد الى أن صومه صحيح ولا قضاء عليه .. لقوله تعالى : « **لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ** » مع ماسبق من حديث وضع الخطأ والنسيان ...

س ٢ : ماحكم الحقنة فى نهار رمضان ؟

جـ : الحقنة مطلقا سواء كانت للتغذية أم لغيرها ، وسواء أكانت فى العروق أم تحت الجلد مباحة ، فانها وان وصلت الى الجوف فانها تصل اليه من غير المنفذ المعتاد .

فمن محظور الصوم الأكل والشرب وحقيقتهما دخول شىء من الحلق الى المعدة ، والمعدة هى محل الطعام والشراب من الانسان كالحويصلة للطائر والكرش للحيوان .

إعداد وتقديم : عبد الحميد السيد شاهين

فالمبطل للصوم مادخل فيها بخصوصها مغذيا أم غير مغذ عن طريق المنفذ المعتاد ـ فما دخل الجوف ولم يصل اليها لايفسد الصوم ..

فالحقنة الشرجية ـ يدخل بها الماء فى الجوف ولكن لايصل اليها ـ فلا تفطر ... ، والحقن الجلدية أو العرقية يسرى أثرها فى العروق . ولاتدخل محل الطعام فلا تفطر ، ولايضر مايحدث منها من نشاط فى الجسم لانها لاتدفع عطشا أو جوعا فلا تأخذ حكم الأكل وان أدت شيئا من مهمته .. واذا كان هذا هو الأصل فى الافطار وكانت الحقن بجميع أنواعها لاتفطر الصائم فان أقماع البواسير أو مراهمها أو الاكتحال فى العين أو التقطير فيها لايفطر .

س ٣ : ماحكم من طلع عليه الفجر وهو ياكل أو يشرب أو يجامع ؟

ج : يباح للصائم أن يأكل ويشرب ، ويجامع حتى يطلع الفجر ، فاذا طلع الفجر وفى فمه طعام وجب عليه أن يلفظه ، أو كان مجامعا وجب عليه أن ينزع .

فان لفظ أو نزع صح صومه ، وان ابتلع مافى فمه من طعام مختارا ، أو استدام الجماع أفطر ..

كما يباح للصائم أن يصبح جنبا .. ثم يغتسل لأجل الصلاة لحديث عائشة رضى الله عنها فى الصحيحين : « أن النبى ﷺ كان يصبح جنبا ثم يغتسل » ...

فى الميراث

س : من السيد/ ع . م . حميد .. الجيزة توفى عن : زوجة ، بنت ، اخ لأم . فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ، وللبنت النصف فرضا لعدم من يعصبها والباقى ردا عليها ... ولاشىء للأخ لأم لحجبه بالفرع الوارث .

الاشعاع الكاشف

س : من السيد / ا ـ ف . المسلمى .. الشرقية .

توفيت عن : اخ شقيق ، اخت شقيقة ، اولاد اخ شقيق ، اولاد اخت شقيقة فما الحكم ؟

ج : التركة كلها للاخ الشقيق والاخت الشقيقة تعصيبا يقسم بينهما للذكر ضعف الأنثى ، ولاشىء للذكور من أبناء الأخ الشقيق لحجبهم بالأخ الشقيق ، كما لاشىء للاناث من أولاد الاخ الشقيق ، ولا لأولاد الأخت الشقيقة لأنهم من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات .

فى المعاملات المالية

س : من السيد / عبد الهادى . أ . المدنى السودان .

تعطى حكومة السودان قروضا للمزارعين لقاء خصم مصروفات وخدمات يقوم بها موظفو البنوك الزراعية .. فهل هذا يجوز فى الشريعة الاسلامية أم أنه من باب الربا ؟

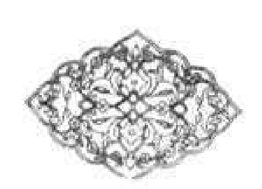
ج : لامانع من هذا التعامل وهو الاقراض الحسن مع دفع مصروفات وخدمات يقوم بها موظفو البنك الزراعى لقاء أعمالهم ، لأنه حينئذ من باب الاجر لا من باب الربا .

س : من السيد / ز . خ . المطراوى .. الدقهلية ..

أودعت مبلغا فى البنك بفائدة ، وصرف لى البنك هذه الأرباح على المبلغ فما الحكم . وماذا أفعل فى مبلغ الارباح ؟

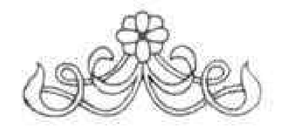
ج : الزيادة المشروطة على المال ربا ، والربا محرم بالكتاب والسنة واجماع الأمة ، ولك أخذ هذه الارباح على أن تصرفها فى مصالح المسلمين ، ولاتتعامل مع هذا البنك .

والله أعلم



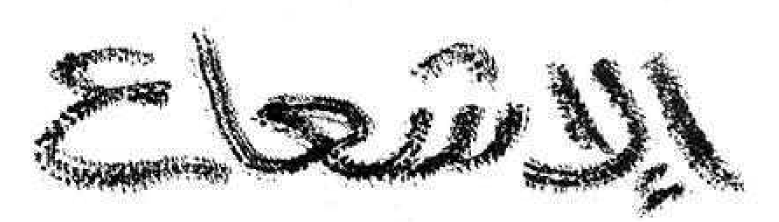
العلوم الكونية

الاشعاع الكائن والدخيل بجسم الانسان



المفاهيم الكونية والعقلية





الكامن والدخيل بجسم الإنسان

ان الاتجاه العام المسيطر على مشاعر الجماهير حاليا تجاه قضية التلوث الاشعاعي لايزال يجمع بين القلق وبلبلة الافكار من ناحية ، والسلبية واللامبالاة من ناحية أخرى ، وهو وضع طبيعي بعد الضجة الصحفية والموجات الاعلامية التى اندلعت فى أواخر فبراير الماضى لبضعة أيام ساد بعدها هدوء نسبى تتخلله أقاويل تدعو للاستهانة بآثار ما تحتويه ملعقة من اللبن الجاف الملوث بنظائر مشعة فى ضوء ضآلة المستوى الاشعاعى المسموح به وما تتضمنه أجسامنا فعلا من نظائر مشعة كامنة به ولم تلحق أى ضرر معلوم بالانسان منذ الخليقة •

والاستهانة بأى أمر — مهما كان ضئيلا — اتجاه خطير لا يتمشى مع الأسلوب العلمى فى معالجة أى موضوع •

أما النظائر المشعة الكامنة بجسم الانسان فقد يكون لها دورها فى تنشيط الخلايا طالما كانت فى حدود نسبة معينة يتعرض بعدها الجسم لأضرار جسيمة فهى بذلك لاتختلف كثيرا عن الأكل والشراب والدواء وغيرها من ضروريات الحياة التى قد تضر بها اذا أكثر منها •

وهى تنقسم بصفة أساسية الى نوعين :

(أ) نظير البوتاسيوم (٤٠) وهو مشع لجسيمات بيتا بطاقة متوسط قيمتها حوالى نصف مليون من « الالكترون فولت » وعمر النصف الإشعاعى له حوالى «ألف مليون سنة» ويتواجد فى الطبيعة بنسبة (١ ٠ر٠٪) مع نظيرين للبوتاسيوم عددهما الذرى (٣٩ ، ٤١) وبقياس فاعليته الاشعاعية يمكن تقدير نسبة تواجد عنصر البوتاسيوم بجسم الانسان ، ووجد أنها (٣٥ر٪) من كتلته ، منها (١٠٪) مرتبطة بخلايا المخ والعظام وكرات الدم الحمراء ، والباقى فى صورة تبادلية بين الفاقد والمكتسب للجسم •

وأوضحت الحساباتأن المستوى الاشعاعى للبوتاسيوم (٤٠) يصل الى حوالى مائة (بكريل) لكل كيلو جرام من جسم الانسان (البكريل وحدة قياس للفاعلية تعبر عن انحلال نووى واحد فى الثانية) •

(ب) نظائر مشعة تولدت نتيجة امتصاص نيوترونات الاشعة الكونية بنوى ذرات الغلاف الجوى كالنتروجين مثلا الذى يتحول الى كربون (١٤) مشع لجسيمات بيتا ، وباتحاده

أ.د. فتحى البديوى

رئيس قسم العلوم الأساسية بعين شمس

مع أكسجين الجو يتكون غاز ثانى أكسيد كربون مشع يختلط مع الغاز العادى ويمتص بجسم الانسان أثناء الاستنشاق ، ووجد أن نسبة الكربون المشع الى نظيره المستقر هى (جزء من مليون المليون) بكل كائن حى الا أنها تقل بعد الوفاة حسب عمر النصف للكربون المشع البالغ (٥٦٠٠) عام مما جعله يستخدم فى تقدير عمر الآثار بقياس اشعاعيته .

وفى ضوء ما هو معلوم عن تواجد عنصر الكربون بجسم الانسان بنسبة (١٨٪) فانه يمكن تقدير المستوى الاشعاعى للكربون (١٤) بحوالى « أربعين بكريل » لكل كيلوجرام من جسم الكائن الحى .

ولعله من المفيد أن نعلم أن هذه النوعية تتضمن كذلك نظير الترتيوم المشع لجسيمات بيتا بعمر نصف (١٢٫٣) عام ، ويتواجد فيما نشربه من مياه ، ولوحظ تزايد تركيزه منذ الحرب العالمية الثانية اذ أن انفجار القنابل الذرية يصاحبه فيضانات من النيوترونات التى يمتصها الايدروجين الثقيل « ديوتريوم » المتواجد بنسبة (٠٫٠١٪) بالنسبة لعنصر الايدروجين مكونا « الترتيوم » الذى يتحد مع الاكسجين مكونا جزيء الماء الأثقل يتساقط مع الامطار ملوثا المحيطات والأنهار .

كما أود الاشارة الى نوعيه طفيفة أخرى تتواجد بالهواء الجوى ، وتعرف بـ « غاز الرادون » المنبعث خلال سلسلة انحلال « اليورانيوم ٢٣٨ » المتواجد فى الأرض ومختلف مواد البناء وبصفة خاصة مع الفوسفات ، وعمر النصف الاشعاعى للرادون حوالى أربعة أيام ينبعث منه سلسلة من جسيمات « ألفا » أو «بيتا » متحولا من نظير مشع الى آخر بأعمار نصفية مختلفة يصل بعضها الى حوالى ربع قرن ، وباستنشاق الهواء يتسرب غاز الرادون أو مخلفاته الاشعاعية وتلتصق بالرئة فتلوثها اشعاعيا .

وجدير بالذكر أن نعلم بأن « التوباكو » سريع الالتقاط لغاز الرادون مما يلوث السجاير اشعاعيا ، ويفسر اصابة المدخنين بسرطان الرئة وعلى العموم فان المستوى الاشعاعى لمختلف النظائر المشعة الكامنة بجسم الانسان فى حدود (١٥٠) بيكريل لكل كيلو جرام .

وتختلف النظائر المشعة الداخلة للجسم عن طريق الاغذية الملوثة من حيث مصدرها سواء من قنبلة ذرية أو مفاعل نووى فكلاهما تعتمد طاقته على انشطار ما به من نوى اليورانيوم الى العديد من النظائر المشعة فيما بين «الزنك» وعدده الذرى (٣٠) «اليوربيوم» وعدده الذرى (٦٣) بنسب مختلفة ، وهى ما تعرف بالمخلفات الانشطارية فاذا انفجرت



◆ الاشعاع الكامن

القنبلة الذرية أو حدث خلل فى أنبوبـــة تبريد المفاعل وعجز عن علاجه نظام الطوارىء فـــان الحـــرارة المتولدة من عمليـــات الانشـــطار تصهر قلب المفاعل فتندفع منه الغـــــازات والابخرة المشعة طليقة فى حالة عدم وجـــود غطاء واق كمـــا حـــدث فى المفـــاعل الروسى « تشرنوبيل » فى أواخر ابريل المـــاضى اذ انطلقت تلك المخلفات النووية ، وتصاعدت الى طبقات الجو العليا وحملتها الرياح مع السحب من دولة الى أخرى وتساقطت مع الامطار فى كثير من المناطق حيث تلوثت اشعاعيا وأصابت ما بها من مزارع ومراع وانتقلت الى المواشى فلوثت لحومها وألبانها بمختلف النظائر المشعة منهـــا بصـــفة أساسية « الاسترنشيوم » ٩٠ ${}^{90}_{36}Sr$ بمنطقة احدى قمتى وفرة النظائر الانشطارية و «اليود» ١٣١ ${}^{131}_{53}T$ والسيزيوم ١٣٧ ${}^{137}_{55}Cs$ بمنطقة القمـــة الأخرى •

وخطورة تناول أغذية ملوثة اشعاعيا أنهـــا تضيف الى ماهو كائن بجسم الانسان نظـــائر دخيلة تشع جسيمات « بيتا » بطاقات تقـــدر ببضعة آلاف من الالكترون فولت تفقدفى تأيين ذرات الخلايا بمواقع امتصـــاصها بجســـم الانسان بما يؤدى الى اتلافها أو تكاثرهـــا سرطانيا اذا ما تعدت نسبتها حـــدا معينـــا ، ويتضاعف البلاء على قدر قيمة عمر النصف لكل من هذه النظائر المشعة أى الفترة الزمنية التى تقل فاعلية كل منها الى النصف ثم الى الربع وهكذا الى أن تنعدم تقريبا بعد حوالى خمسة أعمار نصفية •

ففى حالة اليود المشع الذى يتركز فى الغدة الدرقية فان عمر النصف له حوالى أسبوع أى يستمر أثره الاشعاعى لما يقرب من خمســـة أسابيع يصبح بعدها اللبن الملوث به صالحـــا للشرب غير أن الوضع يختلف فى حالة كل مـــن « الاسترنشيوم » « والسيزيوم » اذ أن عمر النصف لكل منها يقرب من ثلاثين عاما بمعنى أن فاعلية كل منهما فى تهديد البشرية تظل قائمـــة لما يزيد على قرن من الزمان من خلال تنـــاول الألبان أو الاغذية الملوثة ، وبينما يتركز الاول فى العظام مع « الكالسيوم » فان الآخر يتوزع خلال جسم الانسان بدون مناطق تركيز معينة وليس هناك وسيلة معلومة للعلاج ســـوى الامتناع عن تناول أى غذاء مستورد بصـــفة خاصة من المناطق الملوثة مع الكشف المســـتمر عن مدى تلوث أية سلعة ترد من الخارج بقياس طيف اشعاعات « جاما » المنبعثة منها وبتحليل طاقة وشدة كل خط طيفى باســـتخدام المحلل عديد القنوات يمكن تحديد النظـــائر المشـــعة بصفة عامة وتقدير المستوى الاشعاعى للعينة وهناك معدلات مسموح بهـــا وهى لاتتعـــدى « ٦٠٠ بكريل » فى الكيلو جرام مـــن المـــواد الغذائية للكبار وتقل الى (٣٧٠) بكريل فى لتر الالبان للصغار ، ويمكن تبسيط عملية الكشف كماهو متبع حاليا لمجابهة تراحم العينـــات بالجمـــارك بالاكتفـــاء بالخط الطيفى المميز للسيزيوم (١٣٧) عنـــد (٦٦١) كيلـــو الكترون فولت يضبط عنده قناة المحلل لاشعاعات «جاما» كمرحلة أولى للفحص الشامل •

وعلى ضـــوء ذلك يتبين أن عملية الفحص الاشعاعى لن تنتهى بعد شهر أو شهرين وانما هى مستمرة لسنوات طـويلة مما يـدعو الى ضرورة الحسم فى معالجة هذا البلاء ليس فقط بالتدبير الفورى لأحدث وحدات القيـــاس الاشـــعاعى وتوزيعهـــا عـــلى معـــامل مجهزة وقائيا بكل من الموانى والمطــارات تحت ادارة متخصصة أو بمجابهة هذا السلوك اللا أخلاقى لكل مـــن المســـتورد والمـــورد وتوقيع أقصى العقوبات عليهما ، وانما يلزم منع اســـتيراد المواد الغذائية من الدول التى أصيبت بتلوث اشعاعى حتى ولو كانت معونات والعمل جديا من أجل استمرار الحياة بعيدا عن هذه الأخطار برسم ســـياسة لاتقليـــدية للاكتفـــاء الذاتى وتوجيه الطاقات البشرية المعطلة والزائدة عن حاجة العمل نحو استصلاح الأراضى وزيـــادة الانتاج ، ويا حبذا لو أمكن دفع التكامل المثمر مع السودان الشقيق وتعميمه مع باقى الأخوة بالدول العربية فالمشكلة يعانى منها الجميع •

د/فتحى البـــديوى

كلمة شيخ الأزهر - بقية

وإنه لمن المفيد أن تأخذ هذه الجامعات من العصر وسائلَه المتجددةَ فى البلاغ ، والإبلاغ ، وأن تدرس الجديدَ من وسائل الإتصال ، وأن تمارس الحوار والمقارنةَ مع ما يفد إلى المجتمعات الإسلامية من أفكار وعادات وأعراف ، وألا تنعزل عن مجرى نهر الحياة ، فإن الماء الراكد الآسن يضر ولا يسر .

ليس بين العلم والإسلام إلا الوئام ، فأقبلوا على العلم وتفهموه وتدارسوه ، وَنقُّوه حتى يسلمكم إلى ما ينفع المسلمين وينتشر به الإسلام . أبرزوا للناس محاسنَ الإسلام : عقيدتَه وشريعتَه بحسن السيرة وإخلاص السريرة .

إن الأمل معقود أن تخرجوا على الناس بما يوحد كلمتهم ، ويجمعهم على الهدى ودين الحق ، وأن تُخَرِّجَ جامعاتكم هداةً مرشدين ، وفقهاء مستنيرين ، وقضاةً عدولا يمارسون الحكم بين الناس بشرع الله ..

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ .

المفاهيم الكونية والعقلية
مفاهيم العلم والحياة

فى معظم الآيات القرآنية جاء الفؤاد أو القلب ـ وهو القوة المدركة للعلم ـ جمعا كالبصر ، وذلك لأنه أيضا يتأثر بالزمان والمكان وإرادة الإنسان .. كما أن له أوهاما تميل به عن سواء السبيل وأهواء تخدعه فتبعده عن الرشد والحق ، وللفؤاد أو القلب مدركات متعددة ومفاهيم كثيرة .. ولذا كان واجبا ، بل ضروريا السعى للقاء الناس ومناظرتهم والاستماع لرأيهم ورؤيتهم .. فتتلاقح الأفكار وتتضح المفاهيم وتستجلى الحقيقة ويظهر الحق مؤكدا بالدليل ومثبتا بالبرهان ، وقد يكون اشارة لذلك قول الله تعالى :

« أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ» (الحج : ٤٦) .

« المفهوم الكونى أو المدرك هو صورة ذهنية مكتسبة تنمو بنمو العقل وتشمل الكثير والكثير من الحقائق العلمية التى لا يمكن غالبا تجريبها (١٧) » .

والآيات الكونية فى القرآن الكريم هى ـ فى حدود علمى ـ لها ثلاثة مفاهيم رئيسية ثابتة يخضع لها كل الأشياء والأحياء وتشملها جميعا « سنة الزوجية » .. « وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » (الذاريات : ٤٩) .

وتلك المفاهيم العظمى الثابتة هى :

١ ـ زوجية العطاء (الذكر والأنثى .. أو السالب والموجب) .

٢ ـ زوجية التوازن (الشىء ونقيضه .. أو الفعل ورد الفعل) .

٣ ـ زوجية التمييز (وحدة الأصل والاختلاف .. أو الوحدة والتنوع) .

وهناك ثلاثة مفاهيم أخرى متغيرة ـ تختلف باختلاف الأشياء والأحياء والتأثير فيها ـ هى :

١ ـ الحركة .

٢ ـ الزمان .

٣ ـ المكان .

---

(١٧) محمد صابر سليم ، سعد عبد الوهاب نادر : الجديد فى تدريس العلوم . الطبعة الثانية، مطبعة المعرفة ـ القاهرة .

د . محمد وسيم نصار
المدرس بطب القاهرة

زوجية العطاء : وهى زوجية تكامل ينتج عن لقائها عطاء متجدد كالذكر والأنثى من الانسان والحيوان والنبات وكالسالب والموجب من الجماد اللذين بلقائهما تنتج الطاقة كيميائية كانت أو حرارية أو كهربية أو غيرها . وقد وصفت — فى القرآن الكريم — بأنها أزواج كريمةلكثرة عطائها وتجدده .. وبأنها بهيجة لأن بنتاجها بهجة الحياة لما تبعث فى النفس من سرور وسعادة .. وبأنها موزونة لأن عددها أوكمها يمكن احصاؤه أو قياسه كما أنها بمقدار يحقق توازن الحياة .

وعن تلك الأزواج يقول الحق عز وجل :

« وَهُوَ الَّذِى مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » (الرعد : ٣) .

« وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِىَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ » (الحجر : ١٩) .

« وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِىَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ » (ق : ٧) .

« خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِى الْأَرْضِ رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ » (لقمان : ١٠) .

« سُبْحَانَ الَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ » (يس : ٣٦) .

« فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » (الشورى : ١١) .

« وَالَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ » (الزخرف : ١٢) .
« وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا »(النبأ : ٨) .

وتوجد زوجية العطاء فى الجماد : فى أصغر مكوناته وهى الذرة فى الالكترون (الجسيم السالب) والبروتون (الجسيم الموجب) كما توجد فى أضخم مكوناته وهى المجرة فى الكواكب والنجوم ، وكذلك فى الأحياء : انسانا أو حيوانا أو نباتا مهما بلغت ضخامته ، كما توجد فى أدق الأحياء وهى الخلايا ، فقد تمكن العالمان « كريك وواتسون » سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة وألف من معرفة التركيب الكيميائى للصبغيات أو الجسيمات الملونة (الكروموسومات) التى تكون النواة .. القائد المسيطر والمتحكم فى كل وظائف الخلية وأنشطتها وخصائصها محددا الزمان والمكان والمقدارلكل منها ، والأساس الكيميائى هو

ما يسمى بالحمض النووى القائد (D. N. A) ويوجد على هيئة سلالم حلزونية ملتفة مكونة من أربع قواعد نيتروجينية هى : « أدنين •• جوانين •• سيتوزين وثيمين » •

ويرتبط الأدنين دائما بالثيمين ، ويرتبط الجوانين بالسيتوزين ، ويتصل كل واحد من هذه القواعد بسكر خماسى ناقص الأوكسجين (ديزوكسى ريبوز) الذى يتصل بدوره بمركب فوسفورى • وعندما تقوم الخلية بنشاط معين يتم اعداد الحمض النووى الرسول (R. N. A) الحامل لأوامر القائد فيذهب الى مصانع الخلية حيث يتم التنفيذ الفعلى للانتاج بمنتهى الدقة حسب الأمر الصادر اليها •• ، والحمض النووى الرسول يشبه الحمض النووى القائد فى اقتران الأزواج القاعدية ببعضها عدا أن قاعدة الثيمين ترتبط هنا بقاعدة أخرى هى « اليوراسيل » ، كما أن السكر الخماسى تام أى أن به الأوكسجين (١٨) •

وفى الكائنات الدقيقة التى لا تستطيع عطاء أو انتاجا بغير وجودها داخل « خلايا » حية فانه يمكنها العطاء انتاجا وتكاثرا بعد دخول الحمض النووى لها ، فاذا كان الحمض من النوع « الرسول » (R. N. A) فانه تبعا لقاعدة « الاقتران الزوجى » يتحول الى الحمض النووى « القائد » ثم يندمج بنظيره القائد فى نواة الخلية المضيفة ثم يصدر أوامره التى ينقلها رسوله الخاص الى مصانع الخلية التى تكرس نشاطها فى خدمته وتنفيذ ما طلبه فيتضاعف بذلك عدده (١٩) •

زوجية التوازن : وهى زوجية مكملة لزوجية العطاء •• تعطى للحياة توازنها الدقيق ونسقها البديع ، وبذلك يكون العطاء بقدر محدود وبتقدير معلوم بقوى وقدر متقابلة ومتكافئة ••

وفى ذلك يقول الحق سبحانه :

« قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ » (آل عمران : ٢٦ ، ٢٧) •

« إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا

18 ... Harper, H.A., «Review of Physiological Chemistry». Middle East Edition, 15th ed., 1975.

19 ... Wistreich G. A. and Lechtman ., M. D.: «Microbiology». Mac Millian Publishing Co., N.Y. 4th ed., 1984.

فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » (الأنعام : ٩٥ — ٩٧) .

« هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » (يونس : ٥) .

« اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ » (الرعد : ٨) .

« وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ » (الحجر : ٢١) .

« وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ » (المؤمنون : ١٨) .

« وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ » (المؤمنون : ٨٠) .

« وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا . وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا » (الفرقان : ٤٧ — ٤٩) .

« وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا » (الفرقان : ٥٣) .

« اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ » (الروم : ٥٤) .

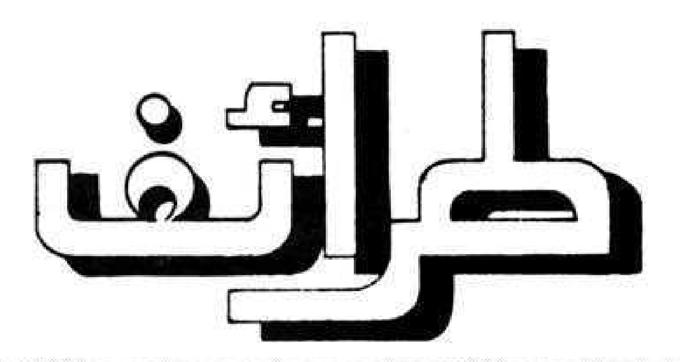
« وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ » (الشورى : ٢٧) .

« إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ » (القمر : ٤٩) .

« الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ . وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ . وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ . أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ . وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ . وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ . فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ . وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ » (الرحمن : ٥ — ١٢) .

« لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ » (الحديد : ٢٥) .

« يتبع »



أدب المؤمن مع الله

اطراق الطـرف ، وجمع الهم ، وسـكون الجـوارح ، وامتثـال الأوامر ، واجتنـاب النواهي ، وحسـن الخلق ، ودوام الذكـر ، وسكون القلب ، وتعظيم الرب ، وايثار الحق .

من غير فقيه

روى أن أعرابيـا حضر مجلس ابن عباس رضي الله عنهما فسمع عنده قـارئا يقـرأ : « وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا » فقال الأعرابي : والله ما أنقذكم منها وهو يرجعكم اليها .

فقال ابن عباس رضي الله عنهما : خذوها من غير فقيه .

الزاهـد

اختلف فى مجلس الزهـرى فى معنى قـول القائل : فلان زاهد .

فقال الزهرى : الزاهـد : الذى لا يغلب الحرام صبره ، ولا الحلال شكره .

حقـا

قيل : ان على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : يعيش البخيل فى الدنيـا عيش الفقراء ويحاسبه الله حساب الأغنياء .

قال يحيى بن معاذ الرازى :

مصيبتان للعبد لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما فى ماله عند موته !!

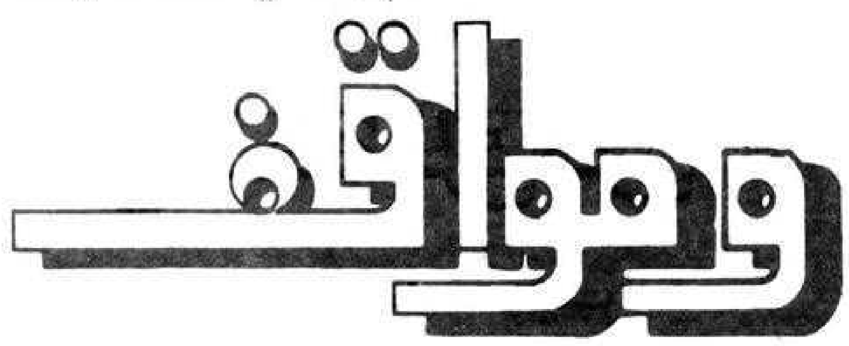
قيل له : وكيف ذلك ؟

قال : يؤخذ منه كله .. ويسأل عنه كله .

قـالـوا

* اترك فضول النظر توفق للخشوع .
واترك فضول الكلام توفق للحكمة .
واترك فضول الطعام توفق للعبادة .
* من تمادى فى ارضاء الناس بسـخط الله خسر ايمانه .

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم



* المعروف لا يتم الا بثلاث : تعجيله ، وستره ، وتصغيره . فإنك إن عجلته هنأته (١) ، واذا سترته تممته ، واذا صغرته عظمته .
* الرخصة من الله صدقة فلا تردوا صدقته .
* التقوى فى الرجل تعرف فى ثلاثة أشياء : فى أخذه ومنعه وكلامه .
* أول الحرب شكوى ، وأوسطها نجوى ، وآخرها بلوى .

طول العمر

المرء يأمل أن يعيش
وطول عيش قد يضره
تفنى بشاشته ويبقى
بعد حلو العيش مره
وتسوءه الأيام حتى
لا يرى شيئا يسره

أجهل من قومى قومك

قال معاوية لرجل من اليمن : ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة !!

فقال الرجل لمعاوية : أجهل من قومى قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى عبادة الرحمن : « اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » .

ولم يقولوا : « اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا اليه » .

دعاء

اللهم اصلح ذات بيننا ، وألف بين قلوبنا ، واهدنا سبل السلام ، ونجنا من الظلمات الى النور .

---

(١) اى نصرته بإزالة شدة الحاجة عن المعطى



الصوم

للأستاذ طه حبيب

لما توطنت النفوس على التوحيد ، وألفت الأوامر والنواهى شرع الله فريضة الصوم ، وهى الفريضة الوحيدة التى نزل أمـــرها فى الكتاب العزيز تفصيلا يحيط بها كما وجـــزءا وممارسة وتفصيلا .

وهى عبادة تفتح فى سلك الايمان طريقـــا لايلجه الا الصابر الشاكر المخلص الطـــائع فيزداد به برا ورحمـــة ، وينال به ثـــوابا ورفعة .

عبادة تجمع الى الاخلاص لله الرفق بعباده، فمن ذاق ألم الجوع فى بعض الأوقات ذكر من هذا حاله فى عموم الأوقات فرَقّ قلبه وأصبح وقد تخلق بأخلاق صاحب الرسالة واهتـدى بهديه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفى هـــذه الفريضـــة .

قال الشيخ ـ رحمه الله :

الصـــوم

الصوم لغة : الامساك عن الطعام أو الكلام أو غيره .

وفى لسان الشرع : الامساك عن الأكـــل والشرب وغشيان النساء من الفجر الى الغروب مع النية . وهو فرض قطعى لازم على كـــل مكلف ومكلفة .

وهو أحد أركان الاسلام الخمسة .

وقد فرض على المسلمين فى شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة . وتأخير فرضه الى مابعد الهجرة لأنه من أشق العبادات وأصعبها ، لأنه منع النفس عن مألوفاتها وشهواتها . وابتداء الناس بما هو شاق يدعو الى النفرة ، فلمـــا توطنت النفوس على التوحيد وألفت الأوامـــر والنواهى ، وتدرجت فيما علمها الله على لسان رسوله ، شرع الله الصوم بعد ذلك ليكـــون تلقيه سهلا على النفوس .

والأصل فى فرضه قوله تعالى : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ**



إعداد :
عبد الفتاح حسين الزيات

لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ • شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) •

فرض الله على الناس الصيام بهذه الآيات وأبان أهم أحكام الصيام ، ولنبين ذلك على وجه الاجمال : قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ) أى فرض عليكم الصيام كما فرض على الذين من قبلكم من أهل الملل السابقة ، فلم يفرض عليكم وحدكم بل أنتم ومن سبقكم سواسية فى أصل الوجوب : فرض عليهم كما فرض عليكم هذا النوع من العبادة، وهذا منه سبحانه وتعالى تسهيل لأمر الصوم على المسلمين ، لأن الأمر الشاق اذا كان عاما سهل تحمله • ولم يقص الله علينا ماذا كان صيام من قبلنا ، ولاعدد الأيام التى كانوا يصومونها ، وهل كانوا يمسكون عن الشهوات التى أوجب الله علينا الكف عنها أو كانوا يمسكون عن أمور معينة •

وقد ورد فى كثير من الكتب الدينية مدح الصوم والصائمين ، وورد أن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام صام أربعين يوما ، كما ورد أن السيد المسيح عليه السلام صام نفس الأيام التى صامها السيد الكليم ، وروى : « خير الصيام صيام داود عليه السلام » •

وصفوة القول أن الصوم معروف لدى الأمم السابقة على الاسلام ، وقد ندبت اليه جميع الديانات ، وجاء الدين الاسلامى فأقر مديح الصوم وفرض على كل مكلف صيام أيام معدودات هى شهر رمضان ، وندب الى صوم غيره من الأيام ، وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام لا يمضى عليه شهر غير رمضان دون أن يتقرب الى ربه بصوم أيام منه •

وقد أبان القرآن أن القصد من الصوم هو نفع الصائم باعداد نفسه للتقوى ، وأن الله غنى عن الناس صومهم وصلاتهم ، فقال تعالى : (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) أى تعدون أنفسكم للتقوى بالصوم الذى هو ترك محبوب النفس من الشهوات ، لأنه يردع النفوس عن الفواحش ، ويهون لذات الدنيا ، ومتى هانت لذة الدنيا تحققت أسباب التقوى •

(أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ) هى شهر رمضان على ما بينه سبحانه وتعالى فى الآية الثانية ، وقد أبهم الأيام أولا ، ثم أبان أنها شهر رمضان ثانيا ، لحكمة عظمى هى أن الابهام اذا صادف النفس أولا شعرت بالقلة فتخف عليها مشقة التكليف ، ولم يقف الأمر هنا عند الابهام بل صحبه ذكر حكمة الصوم من الاعداد للتقوى • وحيث استقر فى النفوس أنه خير، وأن من شأنه ما وصفه الله ، جاء البيان بعد

هذا والنفس متشوقة اليه . راغبة فيه ، فلاجرم أنها تتلقاه بالقبول والرضا .

ثم قال : (فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) بين الله فى الآية الأولى أن المقيم الذى لم يعرض عليه سفر ولا مرض حكمه لزوم الصوم عليه فى الأيام التى الزمه الله بصومها ، ثم شرح فى هذه الآية حكم بعض العوارض التى تعرض للانسان . فبين حكم عارض المرض كما بين حكم عارض السفر ، فقال تعالى : (فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) والمرض معروف ، وقد اتفق الفقهاء على أن المرض المبيح للفطر هو الذى يؤدى الى ضرر فى النفس أو زيادة فى العلة ، اذ لا فرق فى الفعل بين الشىء الذى يخاف منه والشىء المؤدى الى ما يخاف منه . فالمحموم اذا خاف أنه لو صام تشتد حماه، جاز له الفطر وعليه القضاء.

أما المريض الذى لا يضره الصوم فقد اتفقت كلمة الأئمة على أنه لا يرخص له فى الافطار ، فالرخصة انما هى لمن خاف المرض المؤدى للضرر أو زيادته أو تأخر البرء . ولا يمكن القول بأن كل مرض يترخص به ، لأن من الأمراض ما ينقصه الصوم . ومنه الحمل والارضاع ، فكل من الحامل والمرضع اذا خافت على نفسها الهلاك أفطرت وعليها القضاء ، فقد روى أن الامام مالكا رضى الله عنه قال : « ان أهل العلم يرون فى الحامل اذا اشتد عليها الصيام الفطر والقضاء ، ويرون ذلك مرضا من الأمراض ، ومثلها المرضع . هذا حكم المرض الذى رخص الله من أجله الفطر والقضاء .

وأما المسافر فقال أصحابنا (أى الحنفية): انه من قصد مسيرة ثلاثة أيام بسير متوسط وهو سير الابل وسير الأقدام فى أقصر أيام السنة . وعند الامام الشافعى يوم وليلة .

والمعتبر فى البحر أن ينظركم تقطع السفينة الشراعية فى ثلاثة أيام اذا كانت لرياح مستوية معتدلة ، فيجعل ذلك هو المقدار ، كما أن المعتبر فى الجبل أن ينظر الى كم يقطع المسافر بالسير المعتاد فى ثلاثة أيام ، فمن قطع هذه المسافة (أى التى تقطع فى ثلاثة أيام) فى يوم أو ساعة أو أقل كمن سافر فى قطار سريع أو فى طائرة ووصل الى المقصود فى ساعة أو أقل من ساعة ، كان له أن يترخص . كما أن من سافر فى محفة ووجد من أسباب الراحة والرفاهية شيئا كثيرا له أن يترخص ، لأن الله سبحانه وتعالى أناط الرخصة بالسفر ، لأنه الوصف المناسب المنضبط الذى يصلح معرفا، والحكمة هى ما ينطوى عليه السفر من المشقة، وغير خاف أن المشقة يعسر ضبطها لاختلاف مراتبها بحسب الأشخاص والأحوال والأمكنة والأزمنة ، وليس كل قدر منها يوجب الترخص وتعيين القدر الذى يوجبه متعذر لعدم ظهوره وانضباطه ، فجعل الله سبحانه وتعالى رحمة منه وفضلا أمر الرخصة منوطا بالسفر، حتى ولو كان المسافر عاصيا بسفره . ولبعض الناس آراء فى السفر غير هذا ، غير أن المعتبر هو ما قدمناه لك .

والضابط فيه أن كل امام من الأئمة رضوان الله عليهم قال : ان السفر الذى يباح فيه الفطر هو السفر الذى يجوز فيه قصر الصلاة

• فوضح بهذا قوله تعالى : (فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) لأن معناه من كان مريضا أو مسافرا فعليه صوم عدة أيام المرض والسفر من أيام أخر ان ترخص •

والخلاصة أن من صام فقد قام بالواجب عليه ، ومن ترخص وأفطر جازله ذلك ووجب عليه القضاء • وهذا ما كان عليه النبى وأصحابه ، فقد ورد أنهم كانوا يسافرون معه صلى الله عليه وسلم ومنهم من يترخص فيفطر • ومنهم من يأخذ بالعزيمة فيصوم ولا عبرة بغير ذلك لأنه مخالف لما كان عليه النبى وأصحابه •

أما قوله تعالى : (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ) فقد بين به سبحانه الحكم فيمن لا يستطيعون الصوم الا بمشقة وعسر شديدين وهم الشيوخ الفانون والشيخات الفانيات ، فأبان سبحانه وتعالى أن هؤلاء حكمهم جواز الفطر والفدية ولاقضاء عليهم ، لأن الطاقة اسم للقدرة مع الشدة والمشقة ،

كما أن الوسع اسم للقدرة على الشيء على وجه السهولة، فالمعنى : وعلى الذين يصومون مع الشدة والمشقة فدية • أو أن الفعل من أطاق الشيء اذا بلغ غاية طوقه ، قال شيخنا :

الا طاقة أدنى درجات المكنة والقدرة على الشيء ، فلا تقول العرب أطاق الشيء الا اذا كانت قدرته عليه فى نهاية الضعف بحيث يتحمل به مشقة شديدة ، فالمراد بالذين يطيقونه الشيوخ الضعفاء • وقد روى البخارى أن ابن عباس حمل الآية على الشيخ والشيخة ، فقد روى عنه أنه قال : رخص للشيخ الكبير أن يفطر ويطعم ولا قضاء عليه•

وقد روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قرأت « وعلى الذين يطوقونه » وهو ظاهر فى أن المراد الذين لا يستطيعون الصوم الا بمشقة وعسر شديدين • وقد جرت أئمة الحنفية (والسادة الشافعية) على هذا فقالوا ان الآية مسوقة لبيان حكم الشيخ الفانى وهو الذى لا يستطيع الصوم الا بجهد ومشقة ، فان له أن يفطر ويفدى ولا قضاء عليه ، غير أن الحنفية شرطوا استمرار عجزه عن الصوم الى الممات ، أما لو قدر واستطاع قبل الموت فان عليه قضاء ما قدر عليه • أما أصحاب المهن الشاقة وهم الذين لا يستطيعون الصوم ، فهم من أصحاب العوارض التى تبيح الفطر ، وعليهم القضاء بعد زوال العذر لظهور الفرق بينهم وبين الشيخ الفانى • ثم قال تعالى : (فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) •

بعد أن بين الله سبحانه وتعالى حكم من عرض لهم المرض أو السفر من المكلفين وحكم الشيخ الفانى ، أفادنا سبحانه وتعالى حكما آخر فقال : (فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا) من المرخص لهم مرضى كانوا أو مسافرين أو شيوخا عاجزين بأن زاد المريض والمسافر أياما

أكثر من الأيام التى لزمه قضاؤها ، أو زاد الشيخ الفانى على القدر المذكور فى الفدية ، أو أطعم مسكينين أو ثلاثة ، فهذا الصنيع من كل منهم خير له ، لأن فيه زيادة الثواب •

أما اذا تحمل هؤلاء جميعا المشقة وأخذوا بالعزيمة وصاموا ، فالصيام خير لهم ما لم يكن فيه اهلاك محقق ، لما فيه من مضاعفة الثواب للصائم الذى هذا حاله ، لأن عمله يدل على قوة الايمان (إن كنتم تعلمون) ما فى الصوم من فضيلة ولا تصوموا لمجرد الجوع والعطش أو اتباعا لعادات اعتدتم عليها •

(شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) : قد أوضحنا فيما تقدم الحكمة فى ابهام الله الأيام أولا ، ثم بيان أنها شهر رمضان ثانيا ، ونزيد أن الله سبحانه وتعالى أراد — والله أعلم — بيان الحكمة فى وجوب شهر الصوم بأنه الشهر الذى أنزل فيه القرآن الذى هو هدى للناس ، فلا عجب أن يمتاز بالصوم الذى هو من أفضل العبادات ، لأنه الشهر الذى بدأت فيه الفتوحات الالهية والفيوضات الربانية حيث كان مبدأ نزول القرآن فيه ، فتذكارا لهذه النعمة الجليلة ، وشكرا لتلك المنة العظمى والهبة السامية ، أوجب الله الصوم على عباده • قال الأستاذ الامام : وصف الله القرآن بأنه هدى فى نفسه لجميع الناس ، وأنه من جنس الكتب الالهية ، ولكنه الجنس العالى على جميع الأجناس ، فانه آيات بينات من ذلك الهدى السماوى ، وكتب الله كلها هدى ، ولكنها ليست فى ضيائها كالقرآن ، اذضياء الحق والهداية فى غيره ليس ساطعا سطوعه من القرآن •

(فمن شهد منكم الشهر فليصمه) :

من الشهود وهو الحضور ، اما ذاتا أو علما والمعنى : فمن حضر فى الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه ، أو من علم هلال الشهر وتيقن به فليصم ، فلا وجوب على من شك فى رؤية الهلال • (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) : إعادة منه سبحانه وتعالى لبيان حكم الرخصة خوف أن يتوهم من تعظيم أمر الصوم فى نفسه أن صوم الشهر حتم لاتتناوله الرخصة التى سبق بيانها ، وأراد من الاعادة تمكين أمر الرخصة حتى لا يتقيها أحد • «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» رأفة منه ورحمة حيث شرع لكم من الرخصة ما سمعتم •

حكمة مشروعية الصوم :

قهر النفس بمنعها عما تشتهيه وتحبه ، سواء فى ذلك الأكل والشرب وغيرهما من بقية الشهوات المنافية للصوم ، فترتاض النفس ويصفو القلب من الكدر ، وتستعد النفس للتقوى التى هى المقصد الأسمى من شرعية الصوم ، حيث قال تعالى : (لعلكم تتقون) اذ لا يخفى أن الصوم يعد النفوس للتقوى ، لأن من راض نفسه على ترك الشهوات المحببة اليه بالطبع امتثالا لله وخضوعا لسلطانه ، راغبا عن أعز الأشياء وأحبها اليه ، مع أنه

حر فى نفسه ليس عليه رقيب الا مولاه الـذى يلاحظ فى تركه ما يتركه الخوف من بطشه ، ويراقب أن من لا يعزب عن علمه شىء رقيب عليه بصير به ، فاذا هو باشر شـــهوة من الشهوات لابد مطلع عليه عالم بما يعمله سرا كان أو جهرا ــ من لاحظ فى صومه وعبادته هذا لاشك تنمو عنده ملاحظة مولاه العليم الخبير، وتكبر لديه مراقبة سيده الرقيب البصــير ، فلا يلبث الا والمراقبة ملكة له فى الصـــوم والحج والصلاة وغيرها من العبادات وسائر المعاملات • ومن كان هذا شأنه أهلته هـذه الملكة لكل أعمال الخير ، وأبعدته عن الشرور صغيرها وكبيرها عظيمها وحقيرها ، فلا يخدع ولا يغش ولا يكذب ولا يمارى ولا يـرائى ، ولا يظلم ولايهضـم حقـا ولا يقـول الا صدقا ، وبفضيلة الصدق لا ينم ولا يسعى فى الفساد بين الناس ، ولا يؤذيهم • وصـفوة القول أنه يسعى جهده للفضائل وينأى بكل قواه عن الرذائل ، ويصبح وقد تخلق بأخلاق صاحب الرسالة واهتدى بهديه •

ومن الحكم التى شرع لها الصوم أنه يربى فى الانسان ملكة الصبر وقوة الارادة والوفاء بالعهد ، كما ينمى فيه عاطفة الرحمة ، فان من ذاق ألم الجوع فى بعض الأوقات ذكر من هذا حاله فى عموم الأوقات فرق عليه بسرعـــة ، ويواسيه بما أمكنه من المواساة •

هدى الرسول فى الصوم :

لما كان هدى الرسول صلى الله عليه وسلم فى الصوم أكمل هدى ، وكان السير على هديه يحصل المقصود ان شاء الله ، أردنا أن نلم فى هذه العجالة بشىء من هديه ﷺ ، ليكون نهجا وسننا نسير عليه ، لنأمن زيغ الشيطان فنقول : كان من هديه ﷺ فى رمضان الاكثار من العبادات ، فكان جبريل يدارسه القرآن ، وكان اذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة ، ومع أنه عليه السلام كان أجـــود الناس ، كان أجود ما يكـون فى رمضـــان : يكثر فيه من الصـدقة والاحســان ، وتلاوة القرآن ، والذكر ، والاعتكاف ، وكان يواصـل الصوم فيه أحيانا ، حتى ان بعض أصحــابه اقتدى به فنهاهم عن الوصال رحمة منه بهم ، وأفهمهم فى لطف أنهم ليسوا مثله ، لأنه عند ربه يطعمه ويســقيه ، أى يغذيه بالمعــارف ، ويفيض على قلبه من لذة المناجاة والقرب منه التى هى غذاء القلب ونعيم الأرواح •

وكان من هديه ان لايدخل فى صوم رمضان الا برؤية هلانه رؤية محققة أو بشــهادة ولو كانت شهادة واحد ، فقد صام مـرة بشهادة ابن عمر رضى الله عنه ، وصام مرة بشــهادة أعرابى ، ولم يكلف الشـــاهد لفظ أشـهد ، واكتفى فى رمضان بخبر واحد ، فاذا لم تكن رؤية ولا شهادة ، أكمل عدة شعبــان ثلاثين يوما ، ولم يكن يصوم يوم الشك ولا أمر به ، بل أمر أن يكمل عدة شعبان ثلاثين يوما ، وعن هذا قال الحنفيـــــة : ينبغى للنـــاس أن يلتمسوا الهلال فى اليوم التاســـع والعشرين من شعبان ، فان رأوه صاموا وان غم عليهم أكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما • وينبغى لمن رأى الهلال أن يسارع الى القــاضى ليخبره

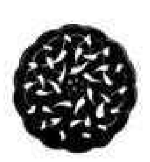
بما رأى ، فاذا كان بالسماء علة اكتفى بخبر الواحد العدل رجلا كان أم امرأة حرا كان أم عبدا دون اشتراط لفظ الشهادة ولا مجلس القضاء . واذا لم يكن بالسماء علة لا تقبل شهادة الواحد الا اذا أتى من خارج البلد أو كان على مكان مرتفع فيها ، فاذا لم يكن الأمر كذلك اكتفى بشاهدين خصوصا فى هذا الزمن الذى قعد الناس فيه عن التماس الأهلة . ولما كان المفهوم المتبادر من رؤية الهلال هو الرؤية ليلا أى عند عشية آخر كل شهر ، كان المعتمد عند الحنفية أن لاعبرة برؤية الهلال نهارا يوم الشك .

هذا وقد اختلفت أقوال العلماء فى الأخذ برأى علماء الفلك فى ثبوت الأهلة . وقد نقل صاحب القنية من الحنفية أقوالا منها ما نقل عن القاضى عبد الجبار من أنه لابأس من الاعتماد على قولهم ، ومنها ما نقل عن ابن مقاتل أنه كان يسألهم ويعتمد على قولهم اذا اتفق عليه جماعة منهم ، وهذا القول وجيه خصوصا اذا لاحظنا أن نظريات علم الفلك قلما تخطىء فى الحساب ، ولوحظ مع هذا أن الصوم فرض على من لايرى الهلال عدة أشهر وهم القاطنون فى الجهات التى تمكث فيها الشمس ستة أشهر أو أقل من ذلك ، لأن سقوط العلامة لا يوجب سقوط نفس الأوقات على مارآه المحققون من الحنفية .

وكان من هديه — صلى الله عليه وسلم — أنه حين سافر فى رمضان صام وأفطر وخير أصحابه بين الأمرين ، وكان يأمرهم بالفطر اذا دنوا (قربوا) من عدوهم ، ليكون الفطر أقوى لهم على القتال ، ومن هديه صلى الله عليه وسلم اسقاط القضاء عمن أكل أو شرب ناسيا لأن الله سبحانه هو الذى أطعمه وسقاه . والله أعلم ؟

طه حبيب

المجلد الثالث



الشعر والشعراء

اشراف: د. حسن جاد

شهر رمضان

يا مرحبا شهر الكرامة

رمضان

شهر رمضان

ها قد عبرت العام في عجلٍ لكي تخطو إلينا
يا شهرنا المحبوب إنك أجمل الذكرى لدينا
الليل يارمضان يغمرنا ويغزو مقلتينا
ياأيها الحادي ترفق بالخطى .. وامش الهوينا

***

لا تأتنا إلا ونحن مهيئون لعودتك
لك فرحة في القلب فاجعلنا نحس بفرحتك
لك هزة في الروح نقبس نورها من شعلتك
لا تأتنا إلا وفجر النصر بشرى رؤيتك

***

أتجيء يارمضان والعرب الأباة مهددون ؟
وتمرّ وسط مدافع الأعداء منخفض الجبين ؟
أتجيء والإسلام في غضب على الظلم المهين
والمسجد الأقصى يدنسه البغاة الآثمون ؟

***

أتراك ترضى أن نغنيّ أو نصفق للهلال
ودماء أمّتك الأبيّة لم تزل فوق الرمال

للشاعرة جليلة رضا

وأنين جرحاها يدوى فى الصحارى والجبال
والبغى - ياويل الحقيقة - جاثم عند القنال ؟

***

أتراك ترضى أن تدقَّ الباب ، باب المسلمين
فنصوم نحن الشهر فى أمن ونفطر هانئين
ونقرّ فى دفء وآلاف العرايا نازحون
واللاجئون هناك من عشرين عاما صائمون !

***

إنا نريدك أن تجىء ولست بالماضى شبيها
ونريد أن تأتى وقد أجليت مغتصباً كريها
ونريد أن تأتى وقد ضمّت فلسطين بنيها
وتحرّرتْ أوطاننا وتألقت زهواً وتيها
إنّا نريدك أن تجىء ونصرنا فى راحتينا
والنور فوق جبيننا والحق منتسب إلينا
ياضيفنا المحبوب إنك أجمل الذكرى لدينا
ياأيها الحادى ترفق بالخطى ..وامش الهوينا !

يامرحبا شهر الكرامة

للشاعر: عبد العليم القبانى

يامرحبا شهر الكرامة والهدى
يامرحبا بالنور لما أن بدا
يامرحبا خير الشهور على المدى

• • •

رمضان أهلا بالمساء المسعد
بالحسن والإحسان والصبح الندى
بالروح أشرق فى ظلال المسجد

• • •

رمضان أهلا بالهدى والنعمة
بالحسن والإحسان فوق مدينتى
فوق المروج الخضر فوق القرية

• • •

الليل فيك من السماحة جنة
والفجر فيك حديقة غناء
والكون وضاء الجوانب ضاحك
صاف عليه من الجلال رواء

• • •

يامرحبا شهر الكرامة والهدى
يامرحبا بالنور لما أن بدا
يامرحبا خير الشهور على المدى

رمضان

للشاعرة : علية الجعار

وإن هل بالنور شهر الصيام
يجود به الله في كل عام
وصمنا له طاعة في النهار
وقمنا له خشعا في الظلام
جرى الفضل منه على الصائمين
بفيض التقى والرضا والسلام
فيكرمنا بامتداد العطايا
ويمنحنا العفو يوم الزحام
فسبحانه ما توالى الزمان
وما قام عبْدٌ وصَلَّى وصام

من أعلام الأزهر

الشيخ أحمد العدوى الملقب بأبى البركات أحمد الدردير

● درة رجال الأزهر النابهين فى زمانه وامام العلماء العاملين فى وقته وعصره وذلك لما اشتهر به من العلم الغزير والعمل المستمر والارشاد النافع وكثرة المناقب والفضائل على تعدد أنواعها فى شخصيته ، فهو شمس العرفان وعارف الزمان ، أجمع الناس على جلالة قدره وزعامته وعموم نفعه فى سائر البلاد اذ جمع بين الامامة فى الدين والعلم وبين رعاية مصالح الناس .

ذلك هو الشيخ أحمد العدوى الشهير بـ « دردير » ، ولفظ العدوى نسبة الى بلدته « بنى عدى » التى سكنها بعد الفتح الاسلامى لمصر بطن من قبيلة بنى عدى ، تلك القبيلة العربية التى أنجبت سابقا الخليفة الراشد « عمر بن الخطاب » رضى الله عنه ، وأما كلمة (دردير) فهو اسم جده زعيم فرع تلك القبيلة لذلك كان هذا الاسم لقبا لأسرته كما لقب هو به تفاؤلا لشهرته (١) .

ميلاده وبيئته :

ولد الشيخ أحمد الدردير سنة ١١٢٧ هجرية فى بلدة (بنى عدى) من أعمال محافظة أسيوط بصعيد مصر فى وسط جو من الصلاح والتقوى والعلم والمعرفة ، فقد كان والده عالما دينيا ومعلما متقنا للقرآن الكريم وكان علمه يضفى على كتابه الكثير من الفوائد وبرغم أنه كان ميسور الحال فقد استمر فى تحفيظ أبناء المسلمين كتاب الله حتى بعد أن تقدمت به السن وكف بصره .

وفى هذا الجو القرآنى المبارك كانت نشأة نجله « أحمد » فحفظ القرآن وتابع دراسته بعد وفاة والده وله من العمر عشر سنين حتى استكمل حفظه وأتقن تجويده واستوعب أوليات بعض العلوم (٢) .

---

(١) كتاب الشرح الصغير على أقرب المسالك الى مذهب الامام مالك ، تأليف العلامة ابى البركات احمد بن الدردير . الجزء الأول ـ طبعة دار المعارف بمصر ـ ١٩٧٢ م . تخريج وتنسيق الدكتور مصطفى كمال وصفى المستشار السابق بمجلس الدولة .

(٢) كتاب ـ أبو البركات سيدى احمد الدردير ـ تأليف الدكتور عبد الحليم محمود ـ دار الكاتب الحديثة . طبعة ١٩٧٤ .

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

انتقاله الى القاهرة :

لما كان الأزهر الشريف ـ قديما ومازال ـ قبلة المسلمين العلمية فى داخل البلاد وخارجها تسوده روح الاسلام فى القول والعمل عزم الشيخ أحمد الدردير على السفر الى القاهرة لكى يلتحق به وينتظم فى صفوف طلابه حتى يغترف من علومه وينهل من معارفه .

أساتذته الذين تلقى العلم عنهم بالأزهر :

تلقى الشيخ أحمد الدردير العلم على كثير من علماء الأزهر فى ذلك الوقت نذكر منهم :ـ

١ ـ الشيخ محمد الدفروى الذى سمع عليه « الأولية » بشرطه .

٢ ـ الشيخ أحمد الصباغ وقد سمع عليه « الحديث » .

٣ ـ الشيخ على الصعيدى اذ لازمه فى دروس الفقه المالكى حتى نجب فيه وصار علما مفردا .

٤ ـ الشيخ الملوى والشيخ الجوهرى فقد درس وسمع منهما بعضا من فروع العلم .

تأثره بالشيخ محمد شمس الدين الحفنى :

كان الشيخ محمد شمس الدين الحفنى الشهير بأبى الأنوار شمس الدين الحفنى صاحب الكلمة المسموعة وكان شيخا للأزهر أيام دراسة الشيخ أحمد الدردير فتأثر به تأثرا عظيما ، فقد كان للشيخ محمد الحفنى مصدر جاذبية عظمى من عدة نواح فى شخصيته كان حسن السمت أنيقا بارع الحديث مالكا لزمام التوجيه وكان على علم غزير فى العلوم الكسبية فهو محدث مع المحدثين ومنطقى مع علماء المنطق فقيه مع الفقهاء ثم هو امام فى كل ما يتصل بالدراسة فى الأزهر كما كان مربيا صاحب ارشاد وتوجيه وله أتباع ومريدون كثيرون ،وكان سلوكه يتمثل فيه الاخلاص والطهر (٣) .

سلوكه طريق شيخه الحفنى واتباعه اياه :

لقد بلغ من تأثر الشيخ أحمد الدردير بشخصية أستاذه الشيخ محمد شمس الدين الحفنى أن سلك طريقه على يديه فسار أحسن سير وسلك أحسن السلوك ، لانه كان سليم الباطن مهذب النفس مع المجاهدة والعمل المرضى الموافق للكتاب والسنة ، وقد أثنى عليه الشيخ محمد الحفنى بقوله **(ما له نظير وحاله جميل وهو من الصدق فى درجة عليا ومن الأدب والتواضع فى أعلى منها)** (٤) .

(٣) كتاب العارف بالله أبوالأنوار شمس الدين الحفنى شيخ الأزهر ـ تأليف الدكتور عبد الحليم محمود ـ من مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر ـ ادارة نشر الثقافة الاسلامية ـ طبعة ١٩٧٧ .

(٤) كتاب مناقب وكرامات ـ شيخ الاسلام شمس الدين الحفنى : تأليف الشيخ حسنى شمه الفوى المكى ـ مطبعة الصدق الخيرية ١٢٧٤ هـ .

ويتحدث الشيخ أحمد الدردير عن أستاذه الشيخ محمد الحفنى فيرسم له صورة مشرقة، يقول عنه : « الامام المهيب الذى كانت الملوك تخضع لهيبته ، السخى الذى شهد الأعداء بهمته وسخائه بحيث يقر كل انسان بأن الملوك لاقدرة لهم على أن يجودوا كما كان يجود ، الحسن الخلق الذى كان كل من جالسه لايشبع من وداده حتى الحسود ، الجميل الذى كان وجهه كالشمس فى رابعة النهار حتى أن كل من رآه ذكر الله العزيز الغفار ، الذى كانت العامة والخاصة يتبركون برؤيته ويتسارعون لمصافحته ، الجامع بين تحقيق العلوم الظاهرية والأسرار الالهية ، المتكلم على الخواطر كما كان يشهده من سلك على يده السنية ، يربى أصحابه باللحظ والدلال وله بينهم مهابة لاتوجد فى كثير من الأبطال كما قيل :

اذا ما سطا دع عنك تذكار عنتر
وان جاد لا تذكر مكارم حاتم (٥)

تعيين الشيخ أحمد الدردير شيخا للمالكية :

لما توفى الشيخ على الصعيدى شيخ المالكية فى زمانه عين الشيخ أحمد الدردير خلفا له شيخا للمالكية ومفتيا وناظرا على « وقف الصعايدة » وشيخا على طائفة الرواق وكما يقول الجبرتى فى تاريخه :

شيخا على أهل مصر بأسرها فى وقته حسا ومعنى ، لانه كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويصدع بالحق واستمر على ذلك حتى توفى فى شهر ربيع الأول سنة ١٢٠١ هـ وصلى عليه بالأزهر فىمشهد حافل عظيم ودفن بزاويته بخط الكحكيين بمدينة القاهرة خلف الجامع الأزهر » .

مؤلفاته

له مؤلفات كثيرة نذكر منها :

١ ــ شرح مختصر خليل أورد فيه خلاصة ما ذكره الأجهورى والزرقانى واقتصر فيه على الراجح من الأقوال وسماه الشرح الصغير على أقرب المسالك الى مذهب الامام مالك

٢ ــ متن فى فقه المذهب سماه أقرب المسالك لمذهب مالك .

٣ ــ رسالة فى متشابهات القرآن .

٤ ــ نظم الخريدة السنية فى التوحيد وشرحها .

٥ ــ تحفة الاخوان فى آداب أهل العرفان فى التصوف .

٦ ــ رسالة على ورد الشيخ كريم الدين الخلوتى فى المولد النبوى .

٧ ــ شرح مقدمة نظم التوحيد للسيد محمد كمال الدين البكرى .

(٥) كتاب أبو البركات سيدى أحمد الدردير تأليف الدكتور عبد الحليم محمود ــ السابق الاشارة اليه .

٨ ـ رسالة فى المعانى والبيان .
٩ ـ رسالة أورد فيها طريق حفص .
١٠ ـ رسالة فى المولد النبوى الشريف .
١١ ـ رسالة فى شرح قول الوفائية :

ياامولاى ياواحد ، ياامولاى ياادائم ، ياعلى ياامكين .

١٢ ـ شرح على مسائل كل صلاة بطلت على الامام (الأصل للشيخ البيلى) .

١٣ ـ شرح على رسالة فى التوحيد من كلام دمرداش .

١٤ ـ رسالة فى الاستعارات الثلاث .

١٥ ـ شرح على آداب البحث .

١٦ ـ رسالة وشرح صلاة السيد أحمد البدوى .

١٧ ـ شرح على الشمائل « لم يكمل » .

١٨ ـ رسالة فى صلوات شريفة اسمها الورد البارق فى الصلاة على أفضل الخلائق .

١٩ ـ التوجه الأسنى بنظم الأسماء الحسنى .

٢٠ ـ مجموع ذكر فيه أسانيد الشيوخ .

٢١ ـ رسالة جعلها شرحا على رسالة قاضى مصر عبد الله أفندى المعروف بططرزاده (٦) فى قوله تعالى « **يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا** » سورة الانعام ١٥٨

سعيه فى قضاء حوائج الناس ومناصرته للضعفاء والمظلومين من أبناء الشعب :

يقول عنه الجبرتى فى تاريخه « وله فى السعى على الخير يد بيضاء » وذلك لما اشتهر عنه أنه كان يسعى فى قضاء حوائج الناس بالليل وبالنهار ولو أدى الأمر الى أن يركب ويذهب المسافات الطويلة لقضاء تلك الحوائج ومواجهة الحكام والأمراء اذا تقدم أحد أفراد الشعب بشكوى أو مظلمة ضدهم فقد حدث فى ربيع سنة ١٢٠١ هـ يناير ١٧٨٦ م أن نهب جماعة من المماليك دارا بحى الحسينية فتجمع أهالى الحى وعولوا على الثورة واتجهوا الى الجامع الأزهر ومعهم الطبول والعصى الغليظة وذهبوا الى الشيخ أحمد الدردير فقال لهم (أنا معكم) وصعد منهم طائفة الى أعلى المنازل وعلى منارات المساجد يصيحون ويضربون بالطبول ، وانتشروا بالأسواق وأغلقوا الحوانيت وخاطبهم الشيخ أحمد الدردير قائلا « فى غد نجمع أهالى الأطراف والحارات وبولاق ومصر القديمة وأركب معكم وننهب بيوتهم كما ينهبون بيوتنا ، ونموت شهداء أو ينصرنا الله عليهم » .

ولم تلبث هذه الصيحة أن حققت هدفها فقد حضر بعد مغرب اليوم نفسه « سليم أغا

←

(٦) كتاب الشرح الصغير على اقرب المسالك الى مذهب الامام مالك ـ تاليف العلامة أبى البركات احمد بن محمد بن احمد الدردير ـ الجزء الاول وايضا كتاب ابو البركات سيدى أحمد الدريرى تاليف الدكتور عبد الحليم محمود وقد اشير اليهما فيما سبق .

مستحفظان ومحمد كتخدا ومعهما نائب الوالى وجلسوا فى الغورية ، ثم ذهبوا الى الشيخ الدردير وتكلموا معه وخافوا من تضاعف الحال وقالوا للشيخ « اكتب لنا قائمة بالمنهوبات ونأتى بها من محل ما تكون » .

وحدث نفس الشىء فى العام نفسه فى « مولد السيد أحمد البدوى » اذ وقع العسف من كاشف الغربية على بعض أفراد الشعب فلما التجأ الناس الى الشيخ أحمد الدردير ركب الى خيمة الكاشف ودعاه اليه فلما أجابه الكاشف كلمه الشيخ الدردير من فوق ظهر بغلته ووبخه ، وبهذا السعى على الخير من جانبه ووقوفه الى جانب الضعفاء والمظلومين رد اليهم حقوقهم كما أرهب الحكام من المماليك حتى لا يعودوا الى ارتكاب مظالمهم مرة أخرى . (٧)

شىء مما كان ينعيه على حكام عصره فى ظلمهم للمسلمين رغم سماحتهم لأهل الذمة :

كان مما ينعيه الشيخ أحمد الدردير على أمراء عصره وحكام زمانه أنهم أغروا أهل الذمة من اليهود والنصارى ورفعوهم دون وجه حق على المسلمين حتى يقول « ويا ليت المسلمين عندهم كمعشار أهل الذمة اذ ترى المسلمين كثيرا ما يقولون : ليت الأمراء يضربون علينا الجزية كالنصارى واليهود ويتركوننا بعد ذلك كما تركوهم (٨) .

« وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ » (٩) .

وبعد

فان أمة الاسلام ممثلة فى علمائها ومفكريها وظيفتها بين الأجناس والأوطان أن تدعم الخير وأن تعلى صوت الحق ، وأن تحمى شارة الايمان ، وأن تجعل من كيانها موئلا للفضائل ، وأن تكره الآثام وتتنكر لفاعليها وتعقب على أخطائهم وخطاياهم بالتفنيد والرد ، وتعمل على نصرة المظلومين والوقوف بجانبهم ضد الظالمين فهى الحارسة لوحى السماء وابقاء مناره عاليا يومض بالاشعاع الهادى كى يهتدى به السارون فى ظلمات البر والبحر .

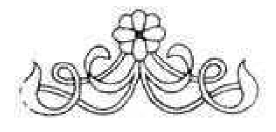
ومذ تسلم الأزهر رسالة الاسلام فى العلم والمعرفة من المسجد العتيق جامع عمرو بن العاص صار الممثل للاسلام ، القائم على نشره ومنع الظلم عن المسلمين فلا غرو اذا كان علماؤه فى شتى العصور يمثلون حقا الخلافة لرسول الله صلى الله عليه وسلم شعارهم قول الله تعالى « وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا » (١٠) وقوله جل شانه « إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » (١١) .

---

(٧) كتاب الأزهر الشريف فى عيده الألفى ـ فصل (نضاله الوطنى قبل الحملة الفرنسية) .
(٨) كتاب غير المسلمين فى المجتمع الاسلامى ـ تأليف الدكتور يوسف القرضاوى ـ تنشره مكتبة وهبة ـ طبع ١٩٧٧ .
(٩) سورة الشعراء ـ ٢٢٧ .
(١٠) سورة طه ـ ١١٤ .
(١١) سورة الشورى ـ ٤٢ .

اللغة والأدب والنقد

علي زين العابدين



في صحبة علمائنا الأدباء

علي زين العابدين

ابن الحسين رضي الله عنهما

• **كان يوماً مشرقاً من ايام شهر شعبان من العام السابع والثلاثين من هجرة محمد ﷺ . ذلك اليوم الذى ولد فيه على زين العابدين أول مولود للحسين بن على رضى الله عنهما .**

واخذ الجد ، على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ حفيده بين يديه وانفرجت شفتاه عن ابتسامة تنم عن الرضى .. ثم سجد لله شاكراً .. وبعد أن انتهى من صلاته .. سماه عليا كاسمه .. ثم وقف وقد طافت بفكره ذكرى عزيزة لديه حينما حضرت أم المولود (شاهرناه) سلافة بنت (يزدجرد) ملك الفرس إلى المدينة .. هى وأختاها وقد وقعن سبايا فى أيدى المسلمين .

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قد أرسل جيشاً لصد هجمات الفرس واعتداءاتهم على المسلمين .. فانتصروا عليهم بإذن الله وسقط يزدجرد آخر ملوك الفرس من أولاد كسرى وأحضر المسلمون الأسرى .. والسبايا ومن بينهم بنات الملك .. وعلم على بن أبى طالب أن بنات ملك الفرس الثلاث قد سُبِيْنَ ضمن السبايا .. فدفع ثمنهن من ماله . ثم وهب واحدة منهن لعبد الله بن عمر بن الخطاب ، ووهب الثانية لمحمد بن أبى بكر الصديق ، ووهب الثالثة (سلافة) ولقبها (شاهرناه) إلى ابنه الحسين .

وبذلك رَدَّهُنَّ عمر إلى رجال فى منزلة عليا فوقها مالهم من إيمان فتبعوهن على الإسلام وقد ولدت شاهرناه للحسين : عليا زين العابدين . وأما من تزوجها عبد الله بن عمر فقد ولدت له (سالما) ، وولدت الثالثة لمحمد بن أبى بكر الصديق ولده (القاسم) وقد أصبح الثلاثة من العلماء الأفاضل .

(٢)

اتجه على زين العابدين ـ منذ أن شب عن الطوق إلى تحصيل العلم والتفقه فى الدين . فحفظ القرآن الكريم وسنه لم تتجاوز العاشرة .. وحفظ ما أمكن من أحاديث الرسول ﷺ من جده الإمام على بن أبى طالب ومن أبيه الإمام الحسين رضى الله عنهما .. ومن عمته زينب الطاهرة رضى الله عنها وغير أولئك من العلماء رضى الله عنهم أجمعين .. كذلك .

للأستاذ: درويش الزفتاوى

وحينما بلغت سنه السابعة عشرة زوجه أبوه من السيدة / فاطمة بنت عمه الحسن رضى الله عنه فأنجبت له ابنه الإمام محمد الباقر والد الإمام جعفر الصادق والإمام عبد الله الباهر .

ومن أولاد على زين العابدين من زوجات أخريات : السادة : الإمام زيد ، والحسن ، والحسين الأصغرين ، وعبد الرحمن ، وسليمان ، وهو أصغر ابنائه .

ومن بناته السيدات : خديجة ، وفاطمة ، وعلية ، وأم كلثوم .

قيل : إنه لما ولد له زيد (الإمام زيد بن على) رضى الله عنهما . وبشر به على زين العابدين .. كان بيده مصحفٌ ؛ فإذا به يقرأ : ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم ﴾ فأطبقه وفتح الثانية فخرج : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ ﴾ فأطبقه ثم فتح فخرج : ﴿ وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ ﴾ فأطبقه وقال : (عزيت عن هذا المولود وإنه من الشهداء) . وكان ذلك سنة خمس وسبعين من الهجرة .

(٣)

تذكر على زين العابدين استشهاد أبيه الحسين فى مذبحة (كربلاء) .

ذكره ذلك حدسه أن ابنه زيداً سيكون شهيداً .. وعادت سحابة الحزن تغشى وجهه .

وقد ظلت تغلف وجهه الكريم قرابة خمسة عشر عاماً .. منذ قتل أبوه فى العام الستين من الهجرة على يدى جند يزيد بن معاوية بن أبى سفيان .

وكان على زين العابدين فى ذلك الوقت فى الثالثة والعشرين من العمر ، وتذكر ما كان من تخلى الناس عن الحسين وتركه يواجه هو وأطفاله ونساؤه جيشاً قوامه عشرة آلاف رجل من جند يزيد فى (كربلاء) .

ويشاهد على زين العابدين مقتل أبيه الحسين ، ومقتل أخوته .. وأبناء عمه الحسن . وقد أراد قتلة أبيه الحسين أن يقتلوه فمنعهم الله من قتله فلم تَفْنَ ذرية الحسين رضى الله عنه وأرضاه . ووقفت عمته زينب أمام جنود يزيد لتحمى ابن أخيها المريض .. وتقول : (لا، والله لا يقتل أو أقتل دونه) . وشاءت إرادة الله أن يحفظ بنجاته نسل الإمام الحسين من الانقراض . فقد كانت ذرية الحسين فيما بعد من أبناء وأحفاد على زين العابدين ...

ومن هذا اليوم وعلى زين العابدين يحتضن الحزن بين جوانحه . وحينما سأله أحدهم عن استطالة حزنه ؟ قال : (إن يعقوب عليه السلام بكى حتى ابيضت عيناه على يوسف ،

ولم يعلم أنه مات . وإنى رأيت بضعة عشر من أهل بيتى يذبحون فى غداة يوم واحد .. افترون حزنهم يذهب من قلبى ؟)

(٤)

وقد يكون هذا المشهد البشع الذى شَاهَدَهُ على زين العابدين فى رقعة ضَمَّتْ مقتل أبيه وأبناء عمه .. هو الذى جعله يعتزل السياسة ، ويتجه إلى تحصيل العلم والفقه .. ثم تعليم الناس ماعلمه من أمور الدين .

ومن الأحاديث التى رواها عن أسامة بن زيد رضى الله عنه .. أن رسول الله ﷺ قال « لايرث المسلم الكافر » ومارواه عبد الرازق عن ابن شهاب الزهرى عن على زين العابدين ابن الحسين أن (صفية) أم المؤمنين رضى الله عنها جاءت إلى الرسول ﷺ ليلا لتزوره .. وهو معتكف بالمسجد فحدثته ثم قامت فقام معها ، فمر رجلان من الأنصار ، فلما رأيا النبى ﷺ : أسرعا . فقال رسول الله ﷺ : « إنها صفية بنت حيى » . فقالا : سبحان الله يارسول الله . فقال عليه الصلاة والسلام : (إن الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم ، وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئا) .

ويقول الإمام ابن شهاب الزهرى : دخلنا على عليّ زين العابدين بن الحسين ـ رضى الله عنهم ـ فقال فِيمَ كنتم ؟ قلت : تذاكرنا الصوم فأجمع رأيى ورأى أصحابى على أنه ليس من الصوم شىء واجب إلا شهر رمضان .

فقال على زين العابدين ـ رضى الله عنه ـ : يازهرى ليس كما قلتم ، الصوم على أربعين وجها ، عشرة منها واجبة كوجوب شهر رمضان . وعشرة منها حرام . وأربع عشرة خصلة منها صاحبها بالخيار .. إن شاء صام وإن شاء افطر ، وصوم النذر واجب وصوم الاعتكاف واجب . قال الزهرى : قلت فسرهن يابن رسول الله ﷺ . قال على زين العابدين :

ـ أما الواجب فصوم رمضان .

وصيام شهرين متتابعين ـ يعنى فى القتل الخطأ لمن لم يجد العتق ، قال تعالى : ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ودِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ .

وصيام ثلاثة أيام فى كفارة اليمين لمن لم يجد الإطعام . قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴾ .

وصيام حلق الرأس . قال الله عزوجل : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ .

وصَوْمُ دَم المتعة لمن لم يجد الهدى قال الله تعالى : ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْى فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِى الْحَجِ ، وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ .

وصوم جزاء الصيد ، قال الله عزوجل : ﴿ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَاقَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ ، أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ

صِيَاماً لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ﴾ وإنما يقوّم ذلك الصيد بقيمته ثم يقضى الثمن على الحنطة .

وأما الذى صاحبه بالخيار فصوم يوم الاثنين والخميس من كل أسبوع . وصوم ستة أيام من شوال بعد رمضان ، ويوم عرفة . ويوم عاشوراء .. كل ذلك صاحبه بالخيار . إن شاء صام ، وإن شاء أفطر .

وأما صوم الإذن فالمرأة لا تصوم تطوعاً إلا بإذن زوجها ، وكذلك العبد والأمة .

وأما صوم الحرام ،فصوم يوم الفطر ، ويوم الأضحى ، وأيام التشريق ، ويوم الشك .. نهينا أن نصومه كرمضان .. وصوم يوم الوصال ، وصوم الصمت حرام ، وصوم نذر المعصية حرام . وصوم الدهر حرام والضيف لا يصوم تطوعاً إلا بإذن صاحبه .

قال رسول الله ﷺ : ﴿ من نزل على قوم فلا يصوم تطوعاً إلا بإذنهم ﴾ .

ويؤمر الصبى بالصوم إذا لم يراهق تأنيساً ، وليس بفرض ، وكذلك من أفطر ليلة من أول النهار ، ثم وجد قوة فى بدنه أمر بالإمساك ، وذلك تأديباً من الله عزوجل وليس بفرض ، وكذلك المسافر إذا أكل من أول النهار ثم قدم أمر بالإمساك .

وأما صوم الإباحة فمن أكل أو شرب ناسيا من غير عمد فقد أبيح له ذلك وأجزاه الله عن صومه .

وأما صوم المريض وصوم المسافر فإن العامة اختلفت فيه .. فقال بعضهم : يصوم ، وقال قوم : لا يصوم ، وقال قوم : إن شاء صام ، وإن شاء أفطر ، وأما نحن فنقول : يفطر فى الحالين . جميعاً ، فإن صام فى السفر والمرض فعليه القضاء ، قال الله عز وجل : ﴿ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ .

(٥)

أخذ على زين العابدين ينهل من معين العلم اينما وجد .. حتى صار من الفقهاء العالمين ومن أقواله رضى الله عنه يبدو منهجه .

(التارك للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كالنابذ كتاب الله تعالى وراء ظهره ، إلا أن يتقى منهم تقاة) وقد سئل : ماالتقاة ؟ فقال : (يخاف جبارا عنيدا أن يستطيل عليه أو أن يطغى) .

وكان إذا دخل المسجد تخطى الناس حتى يجلس فى حلقة (زيد بن أسلم) .

وكان رضى الله عنه يسعى باحثا عن سعيد بن جبير وكان عبداً مملوكاً ـ فقيل له : ماتصنع به إذا قابلته ؟ فقال : (أريد أن أسأله عن شيء ينفعنا الله به) .

وقد تفضل الله عَلَى علىّ زين العابدين بحب الناس له . وكانت منزلته من رسول الله ﷺ ثم دماثة خلقه وسخاؤه .. كل ذلك يدفع الناس إلى حبه والتعلق به .

دخل مرة على محمد بن أسامة بن زيد وكان مريضاً ، ليعوده ، فوجده يبكى فقال : مايبكيك ؟ فقال : علىّ دين . قال : وكم هو ؟ قال : خمسة عشر ألف دينار . فقال على زين العابدين : هى علىّ .

ويروى محمد بن إسحاق أنه كان ناس بالمدينة يعيشون لا يدرون من أين يعيشون ومن يعطيهم .. فلما مات على زين العابدين فقدوا ذلك ، فعرفوا أنه هو الذى كان يأتيهم بليل بما كان يأتيهم به .

ولما مات وجدوا فى ظهره وأكتافه أثر حمل الجراب إلى بيوت الأرامل والمساكين . وكان يقول (صدقة الليل تطفىء غضب الرب ، وتنير القلب والقبر ، وتكشف عن العبد ظلمة يوم القيامة) ..

وبالإضافة إلى كرمه هذا كان يمتاز بالتسامح ، والعفو عمن ظلمه .. ومن أمثلة ذلك :

أنه كانت له جارية .. كانت تحمل الأبريق وتسكب منه الماء ليتوضأ فوقع منها الأبريق على وجهه وشجه ، فرفع رأسه إليها لائما ، فقالت : إن الله تعالى يقول : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾ فقال : قد كظمت غيظى . فقالت : ويقول سبحانه : ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ . فقال : عفا الله عنك قد عفوت . فقالت : ويقول : سبحانه : ﴿ والله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ فقال : أنت حرة لوجه الله تعالى .

(٦)

وكان - رضى الله عنه - منصفا حتى لخصومه .. وكان لا يوافق الْمُتَشَيِّعِينَ لآل على بن ابى طالب ، ولا يحب ماخالف الشريعة من تصرفاتهم واعتبر فعالهم وأقوالهم ضد الأئمة والخلفاء الراشدين عاراً مابعده عار فكان يقول :

— أيها الناس احبونا حُبَّ الإسلام ، فما برح حبُّكم حتى صار عارا ، وحتى بَغَّضتُمونا إلى الناس .

جاءه يوماً جماعة من أهل العراق ، وأخذوا يسبون أبا بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب .. وعثمان بن عفان .. ظانين بذلك أنهم يجاملونه ، وحسبوا أنه راض عن ذلك . ولكنه قال لهم :

— أخبرونا أأنتم من المهاجرين الأولين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، يبتغون فضلاً من الله ورضوانا ، وينصرون الله ورسوله ؟ قالوا : لا .

قال : أفأنتم من الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ؟ قالوا : لا .

فقال : أما أنتم فقد أقررتم على أنفسكم أنكم لستم من هؤلاء ولا من هؤلاء وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة ، الذين قال الله فيهم : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ الآية .. فقوموا عنى لا بارك الله فيكم . ولا قرب ودكم ، أنتم مستهزئون بالإسلام ، ولستم من أهله .

وحدث أن ادعى بعض الشيعة أن عليا بن ابى طالب سيرجع بعد أن مات فاستاء على زين العابدين لهذه الشائعة الكاذبة ، وحينما سأله أحدهم : متى يبعث على ؟ قال :

ـ يبعث والله يوم القيامة وتهمه نفسه .

هكذا كان حب على زين العابدين للإسلام وللمسلمين وتسامحه .. وعفوه . ولذلك أحبه الناس ووقروه وهابوه . وكانوا على استعداد أن يقدموا أرواحهم فداء له لو تعرض لسوء .

وهذا ماحدث من أحد محبيه وهو الفرزدق الشاعر .. حينما تصدى لهشام بن عبد الملك وكان لم يتول الخلافة بعد .. وأراد أن يوجه إهانة لعلى زين العابدين حينما حج هشام بن عبد الملك فطاف بالبيت ، فلما أراد أن يستلم الحجر لم يتمكن فنصب له منبرٌ فجلس عليه وسلم ، وأهل الشام حوله ، وبينما هو كذلك إذ أقبل على زين العابدين بن الحسين فلما رآه الناس انفضوا من حول هشام بن عبد الملك والتفوا حول على زين العابدين ولما دنا على زين العابدين بن الحسين من الحجر ليستلمه تنحى عنه الناس إجلالا له واحتراماً .

فاغتاظ هشام بن عبد الملك لما رآه من احترام الناس لعلى زين العابدين اكثر من احترامهم له وهو ابن الخليفة .. والخليفة المنتظر .. فسوف يتولى الخلافة بعد أبيه ..

أراد هشام أن يقلل من شأن على زين العابدين فقال : من هذا ؟

فانبرى الفرزدق الشاعر له وقال أنا أعرفه ثم أنشد :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التَّقِىّ النقىّ الطاهر الْعَلَمُ

إذا رأته قريش قال قائلها
إلى مكارم هذا ينتهى الكرم

يُنْمَى إلى ذروة العز التى قصرت
عن نيلها عَرَبُ الإسلام والعجم

يكاد يُمسكها عرفان راحته
ركنُ الحطيم إذا ما جاء يستلم

يغضى حياء ويغضى من مهابته
فما يكلم إلا حين يَبْتَسِمُ

بكفه خيزرانٌ ريحها عَبِقٌ
من كف أروع فى عرنينه شمم

مشتقة من رسول الله نبعته
طابت عناصرها والخيم والشيم

ينجاب نور الهدى من نور غرته
كالشمس ينجاب من إشراقها الغيم

حمال أثقال أقوام إذا فدحوا
حلو الشمائل تحلو عنده (نَعَم)

هذا ابن فاطمةٍ إن كنت جاهله
بجده أنبياء الله قد ختموا

مَنْ جده دان فضل الأنبياء له
وفضل أمته دانت لها الأمم

عم البرية بالإحسان فانقشعت
عنها الغواية والإملاق والظلم

كلتا يديه غياث عم نفعهما
يستوكفان ولا يعروهما العدم

سهل الخليقة لاتخشى بوادرُهُ
يزينه اثنتان الحلم والكرم

لا يُخلف الوعد ، ميمون نقيبته
رحب الفناء أريب حين يعتزم

من معشر حبهمْ دين وبغضهمُ
كفر وقربهمُ منجى ومعتصم

يستدفع السوء والبلوى بحبهم
ويستزاد به الإحسان والنعم

←

مقدم بعد ذكر الله ذكرهمُ
في كل حكم ومختوم به الكلم
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم
أو قيل : من خير أهل الأرض قيل : هُمُ

لا يستطيع جواد بعد غايتهم
ولا يدانيهمُ قوم وإن كرموا
هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت
والأسد أسد الشرى والبأس محتدم
يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم
خيم ، كرام ، وأيد ، بالندى هُضُم
لاينقص العُدْمُ بسطا من أكفهم
سيان ذلك إن أثْرَوْا وإن عَدِموا
فليس قولك من هذا بضائرهِ
العرب تعرف من أنكرت والعجم

وقد نال الفرزدق كثير من الأذى على أيدى هشام بن عبد الملك ، حين سجنه فى مكان يسمى عسفان يقع بين مكة والمدينة .. وحينما عَلِمَ عليُّ زين العابدين بما لاقاه الفرزدق من أجل قصيدته فيه ، أرسل إليه باثنى عشر ألف درهم .. فلم يقبلها وقال : إنما قلت ماقلت لله عزوجل ونصرة للحق ، وقياما بحق رسول الله ﷺ فى ذريته ، ولست أعتاض عن ذلك بشيء فأرسل إليه على زين العابدين قائلاً : قد علم الله صدق نيتك فى ذلك وأقسمت عليك بالله لتقبلنَّها فقبلها من أجل القسم .

(٧)

جاء على زين العابدين إلى مصر مع عمته السيدة زينب الطاهرة بنت على بن أبى طالب التى اختارت أن تلجأ إلى مصر هى ومن بقى من أهل بيت الرسول ﷺ ، ورضى الله عنهم بعد مذبحة كربلاء .. وقد خيرها يزيد بن معاوية أن تختار البلد الذى ترغب أن تعيش فيه هى ومن بقى معها من أطفال ونساء وابن أخيها على زين العابدين .. فاختارت مصر لما تعرف عن جدها محمد ﷺ وقد أوصى بأهلها خيراً .. كما كرم الله مصر بقوة إيمان أهلها وحبهم لآل بيت النبى ﷺ .

استقبل أهل مصر آل بيت النبى أعظم استقبال وأغدقوا عليهم من الحب فكان بيتها ملتقى علية القوم من قضاة وعلماء وفقهاء حتى سماها البعض : صاحبة الشورى ورئيسة الديوان أما على زين العابدين فكان ماحظى به من حب أهل مصر يفوق كل وصف ..

....

وأقاموا له مسجداً دفن فيه سنة ٩٤ من هجرة الرسول ﷺ . وصار أهل مصر يقيمون احتفالا بذكرى مولده كل عام .. وسمى الحى الذى به مسجده بحى (زينهم) .

فرضى الله عن على زين العابدين بن الحسين وعن كل آل بيت النبى ﷺ .

في صحبة علمائنا الأدباء

للأستاذ : عبد الحفيظ فرغلي القرني

لا بأس بين الحين والحين أن يرجع الإنسان بذاكرته إلى الوراء ، يسترجع الماضى ويستعيد الذكريات ، ففى ذلك تجديد للحياة وتنشيط للذاكرة وإحياء للمعالم والخبرات .

كنا فى معهد أسيوط الدينى فى أواخر الثلاثينيات نحضر على أساتذتنا دروسا فى الأدب إلى جانب دروس العلم ، ولا تنفض حلقات الدراسة فى الفصول حتى تبدأ حلقات المناظرات والأشعار والمحاورات الأدبية فى آخر النهار فى كثير من أيام الأسبوع .

ومعهد أسيوط الدينى الذى شيد على أحدث طراز فى حينه وافتتحت الدراسة رسميا فيه فى منتصف الثلاثينيات من هذا القرن ـ ثم افتتحها الملك فاروق سنة ١٩٣٧ مرة أخرى ، ولا أنسى حين جاء وبصحبته فضيلة الإمام الأكبر الشيخ المراغى شيخ الجامع الأزهر ، تنحى فضيلة الإمام قليلاً ليفسح الطريق للملك ليدخل أمامه إلى الفصل الذى كنا فيه ، ولكن الملك يصر على أن يتقدمه الإمام فى الدخول . وكان هذا اعترافاً من الملك الشاب يومئذ بمكانة العلم والعلماء ، ولكن هذا الاعتراف أخذ يفتر بعض الشىء بمرور الوقت .

أقول : كان هذا المعهد مهيئاً بقاعة للمحاضرات تستقبل المئات من الطلاب وغيرهم ولها شرفة علوية تطل عليها معدة للضيوف وكبار الزوار . وكان ذلك مشجعاً على أن تصبح هذه القاعة سوق عكاظ لا يكاد ينفض لها سامر ، فمن ندوة إلي ندوة ومن حفل إلى حفل ..

كان يقام كل يوم خميس إما ندوة أدبية

يشترك فيها أساتذتنا الأفاضل يديرون فيها نقاشاً حول موضوع من الموضوعات ، وإما محاضرة يلقيها أحد الأساتذة الأدباء وما أكثرهم .

الشيخ عبد المنعم فارس :

منهم على سبيل المثال المرحوم الشيخ عبد المنعم فارس ، كان أستاذاً للرياضيات ومع ذلك فقد كان شاعراً مبدعاً وأديباً مجدداً ، سمعته مرة فى محاضرة عن أبى فراس الحمدانى ، وكأنى أشهد فيه صورة منه ، فى أدبه وبيانه هذا إلى حسن إلقائه وجهارة صوته وترتيب أفكاره ونصاعة أسلوبه .

وكانت للشيخ عبد المنعم فارس فى كل مناسبة قصيدة ، لا أشبهها بشعر المناسبات الخالى من الروح ، ولكنه كان يستغل المناسبات للإفاضة عن مشاعره وأحاسيسه ، فالهجرة فى شعره - مثلاً - تتحول إلى مهرجان تاريخى يستحضر فيه الذكرى يربط بين الماضى والحاضر حتى يحيل القاعة المكتظة إلى ثورة عارمة ضد الواقع المظلم وشوق حار إلى المستقبل المشرق .

لقد كان الشيخ عبد المنعم فارس رحمه الله أديباً حتى فى إلقاء دروسه الرياضية ، فيحيل هذه المادّة الجافة إلى حياة وحيوية بما يقصه فى أثناء الدرس من قصص أدبية واستشهادات شعرية لا تخرج عن محيط الدرس ، وهكذا تكون الموهبة الأدبية ، تعبر عن نفسها فى أي موقع .

وكان أول مرة سمعت فيها الشيخ عبد المنعم فارس فى حفل أقيم لتأبين زميل قتله أصحاب القمصان الزرقاء فى أسيوط عام ١٩٣٧ م ، وكان من الخطباء فيه فضيلة الشيخ الباقورى وغيره من أئمة العلماء . وتناوب الشعراء القصائد ، وكان مما قاله الشيخ عبد المنعم فارس فى قصيدته عن هذا الفقيد :

نجم تألق ثم غاب
وهوى كما يهوى الشباب

قَلَـمٌ تكسَّر سنـه
من قبل إتمام الكتاب

وما كان يدرى الشاعر أنه يرثى بذلك نفسه ، فإنه لم يلبث أن اختطفته المنون وهو فى ريعان شبابه وحرمنا من علمه وأدبه .

فضيلة الدكتور محمد محمد خليفة :

ومن الشعراء الذين كانوا يأسرون سامعيهم ونالوا شهرة فائقة فى عالم الشعر والأدب ، الشيخ الدكتور محمد خليفة وكان أستاذاً للبلاغة والأدب بالمعهد ، وله إلقاء رائع فى شعره ، ينتظره الجميع على شوق ، حتى إذا ما أخذ فى إلقاء قصيدته استولى على القلوب والألباب وملك المشاعر والأحاسيس . كان يمثل في ذلك الشاعر العربي الحقيقى .

فإن الشعر بدون جودة الإلقاء لا قيمة له[1] وهذا معنى قولهم : انشد الشاعر قصيدته ، فالإنشاد من النشيد والنشيد توقيع ، ولا أكون مبالغاً إذا قلت : إن الفضل فى ميل الطلاب فى ذلك الوقت إلى الشعر والأدب كان يرجع إلى هذين الأستاذين الفاضلين .

كان عيد الهجرة موسماً سنوياً ينتظره الجميع ليبدأ فيه مهرجان للأدب ، لا تقام فى المعهد حفلة واحدة ولكنها حفلات تمتد ثم تخرج عن محيط المعهد إلى مختلف الهيئات فى الخارج ، حيث تختار كل هيئة أو نقابة أو جمعية أو مدرسة يوماً تقيم فيه حفلها الذى يتناوب فيه الخطباء والشعراء . ثم تمتد تلك الحفلات وقتاً قد يزيد على الشهر .. وحفلات المعهد بمثابة الأم لهذه الحفلات يحضرها رئيس الإقليم ، وهو مدير المديرية فى ذلك الوقت ـ ورؤساء الهيئات ومديرو المصالح والموظفون والوجهاء ، والطلاب لهم دور مرموق ـ أعنى الموهوبين منهم ـ فلهم دورهم الذى يفيضون فيه خطباء أو شعراء ، وقد ظل ذلك تقليداً مرعياً طوال فترة دراستنا فى المعهد ، ولا ندرى ما حدث بعد ذلك حين انتقلنا إلى الكليات فى القاهرة .

مساهمات عزيز أباظة باشا :

ولكنى أذكر أن مدير الإقليم قبل انتقالنا إلى القاهرة فى منتصف الأربعينيات كان هو الشاعر المشهور عزيز أباظة مجدد الشعر المسرحى ، وقد جمعت الصداقة بينه وبين شيخين من شيوخ المعهد هما الشيخ الحسينى سلطان ثم الشيخ عبد السلام العسكرى وكلاهما كان قمة فى العلم وقوة الشخصية والاحتفاظ بكرامة العلماء .

وكان الشاعر عزيز أباظة يشارك فى حفلات المعهد بأدبه وفنه ، ولم يكن شاعراً فحسب بل كان خطيباً مفوهاً أيضاً يملك ناصية البيان وترنو إليه العيون والأذهان .

ولم يكن دور الأدب فى المعهد قاصراً على إحياء المناسبات الدينية ، ولكنه كما قلت كان يتناول مجالات أخرى ، منها الندوات والمحاضرات ..

وفاة الشيخ قراعة :

فى عام وفاة الشيخ عبد الرحمن قراعة احتفل المعهد بإحياء ذكراه احتفالاً مهيباً ، فقد كان له مركزه المرموق فى العلم والقضاء ، وفقدت أسيوط بفقده فقيهاً وأديباً وعالماً جليلاً ، واكتظت القاعة على سعتها بالوافدين

←

(١) من الحقائق الادبية ان شوقى (بك) لم يكن يستطيع ان يجارى حافظ فى الإلقاء على روعة ما لدى شوقى من بيان ، فانصاع شوقى بك للواقع ثم وضع يده على توفيق دياب فكان يلقى شعره نيابة عنه فأغلق بذلك على حافظ .

من كل مكان يشاركون فى إحياء هذا الحفل بالشعر والخطابة ، والطلاب يستمعون ويتعلمون .

وأقيم فى إحدى السنوات مهرجان عن فلسطين ، تحدث فيه الشعراء والخطباء عن الثورة الفلسطينية ونددوا بما يحدث فى الأرض العربية من جرائم وما يحاك لها من مؤامرات ، وتعلم الطلاب من هذا المهرجان كثيراً مما كان يضمره الاستعمار للعرب ، وألقى طالب شاعر قصيدة أذكر منها هذا البيت الذى ظل عالقاً بذهنى :

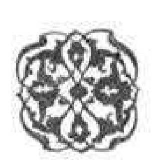
فلسطين الحبيبة افتديها

بروحى بل وما ملكت يمينى

ودار نقاش حول هذا البيت من حيث المعنى ، أيهما أولى بالتقديم ، ما ملكت اليمين أم الروح ؟ وقال القائلون : إن القافية أملت على الشاعر تقديم الروح وكان الأولى أن يضرب إليها الشاعر بدلاً من أن يضرب عنها ، ودارت معركة كلامية حول البيت لم تقل عن المعركة الدموية فى فلسطين ولكنها على كل حال دلت على الاحتفال بالأدب والعناية به وتأصل ملكة النقد ، فقد كان الطلاب يسمعون ويحكمون على ما يسمعون .

كما دل المهرجان نفسه على أن الطلاب والأساتذة لم يكونوا بعيدين عن الأحداث وأنهم كانوا يعبرون عن ضمائرهم بما يستطيعون ويملكون .

وهكذا كان للأدب سوقه الرائجة يقيمها أساتذة بررة ، قضوا ولكن ذكراهم عامرة بكل خير ، رحم الله من قضى منهم ، وأفسح العمر لمن بقى ، ومع بقية الحديث إن شاء الله تعالى ..



التاريخ الإسلامي وتطبيق الشريعة

للأستاذ السيد حسن قرون

يعد الأستاذ فهمي هويدي في معظم ما يعالجه من موضوعات سواء في الأهرام أو مجلة العربي كاتباً إسلامياً يعني بالشريعة الإسلامية، وينظر إلى أحكامها من خلال المنظورات المعاصرة، ومن ثم يتناول التاريخ الإسلامي ولاسيما في عصوره الأولى ناظراً إلى تطبيق الشريعة ومدى الالتزام بذلك التطبيق ..

ولقد دارت مقالاته الأخيرة في أهرام كل ثلاثاء حول التطرف الديني وأتبعه بمقالات عالج فيها التطرف العلماني وفي كلتا الحالين يتخذ ميزان الاعتدال في نقد ما يورده كل من الفريقين، وله قدرته في ذكر الحقائق وتأييدها بالبراهين النقلية والعقلية على حد تعبير السلف الصالح.

وفي مقاله « إنكار في الحاضر وإهدار للماضي » ١٦/٩/١٩٨٦ معلومات في حاجة إلى نظر، وأنا لا أدخل معه في صراع مؤيداً أو معارضاً، ولكني أناقش هفوات تاريخية جاءت في خضم الأحداث وتوهج العبارات .. وقد بدأ مقاله بما يشير إلى هدفه فقال:

يعيرنا العلمانيون المتطرفون بالتاريخ ويقدمونه باعتباره « صحيفة سوابق » تشهد على أمة الإسلام بالعجز والإفلاس، حجتهم الأساسية أن التطبيق الإسلامي لم يكن إلا سلسلة طويلة من الفشل .. وحصروا فخر المسلمين في تطبيق الشريعة بسنوات الخلافة الراشدة وهي لا تعدو ثلاثين عاماً.

وناقش الأستاذ فهمي هويدي تلك المقولة ودافع عن التاريخ الإسلامي في كل عصوره، ووقف طويلاً أمام الدولة الأموية مدافعاً عن خلفائها مبيناً موقفهم من تطبيق الشريعة الإسلامية، واستغرقته فكرة الدفاع وجمع الأدلة الدامغة ليضع الحكم الأموي في إطار بارز من الإشراق، واتهم العباسيين وأشياعهم بتشويه التاريخ الأموي: ليظهروا بني أمية في صورة سيئة، وكان أن وقع في

هفوات لم يحسب لها حسابها ، كنا نود ألا يقع فيها فهو الدارس المتعمق للتاريخ الإسلامي كما يبدو من تناوله لأحكام الشريعة الإسلامية واستجابتها لما جد من أمور على حسب العهود والعصور ، وليؤكد أن الحكم الأموى لم يغفل الشورى ، جعل مَرْوان بن الحكم تولى الخلافة عن طريقها .

يقول : والذين جاءوا بعد معاوية كانوا على الجملة أهل حكمة وسداد وعلم وحزم : مروان بن الحكم انتخب فى ظل شورى حقيقية تمت فى مؤتمر عقده أهل الرأى بالشام واستمر ثلاثين يوماً فى بلدة الجابية بين الأردن ودمشق حيث رجحت كفته على عبد الله بن الزبير وخالد بن الوليد .

وهذا الكلام فيه تجاوزات لا يقرها التاريخ ؛ فمروان بن الحكم جاءت توليته بالمؤامرات لا بالمؤتمرات ، وحين تنازع أبناء أمية على الحكم فى الشام فى الأردن ودمشق وحمص كان عبد الله بن الزبير خليفة عاصمة خلافته مكة مبايعاً من الأقطار الإسلامية شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ـ ما عدا الأردن ـ وبها كانت مشاحنات بنى أمية فى المدن الشامية الى أن أسند الأمر إلى مروان .

والواقع أن مدن الشام وازنت• بين شخصيتين من بنى أمية هما مروان بن الحكم ، وخالد بن يزيد ـ لا خالد بن الوليد ، فخالد بن الوليد المخزومى مات سنة ٢١ هـ ونحن فى وقت المؤامرات كنا فى سنة ٦٤ هـ عقب وفاة الخليفة معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان وخالد بن يزيد أخو الخليفة الراحل معاوية الذى أبى أن يستخلف أحداً من بعده قائلاً :

« لا يذهب بنو أمية بحلاوتها وأتجرع مرارتها » وانتصر المتآمرون فولوا مروان بحجة صغر سن خالد وأنه شيخ بنى عبد مناف ، ويذكر التاريخ أن رئيس قبيلة جذام اتفق مع مروان على أمر هو أن يخطب ابنه عبد العزيز فى الجامع بحضور أربعمائة من أفراد قبيلة جذام ويكون التأييد منهم ، ونفذ عبد العزيز ما اتفق عليه فخطب وقال عن أبيه :

« ما أحد أولى بهذا الأمر من مروان كبير قريش وسيدها ، والذى نفسى بيده لقد شابت ذراعاه من الكبر » فقال الجذاميون صدقت . فقال خالد بن يزيد : أَمْرٌ دُبِّر بليل » وبهذا انتقلت الرياسة من بنى سفيان إلى مروان وأبنائه من بعده .

فلم تجر انتخابات فى جزيرة العرب وبقية بلاد المسلمين لاختيار أحد المرشحين الثلاثة : عبد الله بن الزبير ، وخالد بن يزيد ، ومروان بن الحكم . ولقد مدح الأستاذ فهمى مروان ووصفه بحسن الأحدوثة وتناسى ما جرى منه أثناء حكم الخليفة الثالث « عثمان بن عفان » واتهامه بإفساد أمر الخليفة عثمان حتى تألب عليه الثائرون وأحاطوا بداره وحاصروه ثم قتلوه .

ومع ذلك فقد كان مروان فى طريقه لمبايعة ابن الزبير بعد وفاة معاوية بن يزيد وانتشار الدعوة لخليفة مكة عبد الله بن الزبير ، ولكن

عبيد الله بن زياد قابله فى الطريق فثناه عن مقصده وقال له : أنت شيخ بنى عبد مناف وأحق بالخلافة منه ، فعاد إلى الشام وكانت المؤامرات بعد وفاة معاوية بن يزيد حتى تولاها مروان ، فنازع ابن الزبير وكانت حروب وأحداث .

مات مروان سنة ٦٥ هـ ومكث ابن الزبير يحكم البلاد الإسلامية ـ ما عدا الشام ومصر ، حتى استشهد سنة ٧٣ هـ فلو كان الأمر أمر الشورى لكان ابن الزبير هو الخليفة غير منازع .

والأستاذ فهمى هويدى فى سبيل تأييد رأيه يورد رأى ابن خلدون فى مروان وابنه عبد الملك ويصف عبد الملك بالعلم « فوق كونه أفقه أهل زمانه » ثم يقول : وفى عهد خلفه الوليد بن عبد الملك ظهرت عظمة الدولة الإسلامية ، ويذكر له أنه لم يعهد بالخلافة من بعده لأحد من أولاده ، وإنما عهد بها إلى أفضل أهل زمانه « عمر بن عبد العزيز » الذى هو أجل من أن يُعَرّف ..

لم يكن الخليفة بعد « الوليد » « عمر بن عبد العزيز » ، وإنما كان الخليفة بعد الوليد « سليمان بن عبد الملك » حسب ولاية العهد التى وضعها عبد الملك لابنيه الوليد ثم سليمان . وسليمان هذا هو الذى اختار أن يكون الخليفة بعده عمر بن عبد العزيز ، لأن أبناءه كانوا صغاراً ، وقد جعلوا هذا من مزايا سليمان . يقول الرواة عن سليمان : « كانت ولايته يُمْناً وبركة افتتحها بخير وختمها بخير ، فرد المظالم وأخرج المسجونين وبغزاة مسلمة بن عبد الملك الصائفة حتى بلـغ القسطنطينية ، أمـا ختمها بخـير فاستخلافه عمر بن عبد العزيز » . •

قالوا : وتفاخر ولد لعمر بن عبد العزيز وولد لسليمان بن عبد الملك ، فذكر ولد عمر فضل أبيه . فقال له ولد سليمان : إن شئت أقل وإن شئت أكثر ، فما كان أبوك إلا حسنة من حسنات أبى .

فالرغبة الشديدة لدى كاتبنا دفعته إلى إيراد وقائع التاريخ غير محققة ؛ لقد جعل مروان بن الحكم يتولى الخلافة بالشورى ، وجعل الوليد يولى عمر بن عبد العزيز الخلافة من بعده ، ويضع خالد بن الوليد مكان خالد بن يزيد ، وكل هذا يخالف ترتيب العهود ووقائع التاريخ .

وانا فى هذا الاتجاه لا أغض من منهج الكاتب واجتهاداته ، ولكنى أود منه فى مثل تلك الأمور التى يختلف حولها المؤرخون والفقهاء وأصحاب المذاهب أن يراجع الأحداث قبل أن يضعها فى دائرة الحقائق وتحت أضواء البراهين . وقديماً قيل :

« صديقى من أهدى إلىَّ عيوبي » .

وأنا أضع نفسى فى حيز الصداقة من الكاتب المفكر وأدعو له بالتوفيق .

السيد حسن قرون

مناقشات في الاعلام الدولى

تعقيب على تعقيب

كتب الأستاذ أحمد طاهر بمجلة الأزهر الصادرة فى شعبان ١٤٠٧ هـ تعقيبا على ما كتبته عن كتابه : (الاعلام الدولى) فى العدد الصادر فى ربيع الآخر ـ ١٤٠٧ هـ وأعجبنى فى التعقيب حواره الهادىء . وجاء بالتعقيب مؤاخذتان على ماكتبه جديرتان بالمناقشة هما :

الملاحظة الأولى :

قوله : اننى لم أتفهم عمق الاعلام الدولى بدليل أننى سقت تعاريف مختلفة لمؤلفين مختلفين متناسيا أن الاعلام الدولى قرين الاذاعات الدولية .

وعقب على ذلك بقوله : « لا يوجد اعلام دولى دون اذاعات دولية ، فهى التى تحمل الفكرة أو المعلومة للمستمع المستهدف » .

وقوله : اننى لم أتفهم عمق الاعلام الدولى ليس عيبا . فالانسان لا بد أن يتعلم ويبحث ويخطىء ويصيب « هذه طبيعة البشر » وفوق كل ذى علم عليم .

ولكن الدراسات الاعلامية وأساتذة الاعلام يفرقون بين المفهومين من حيث الوسائل والأساليب وكثير منهم لايتفقون مع ما يراه من اقتران المعنيين وذلك لسببين :

(أ) للاعلام الدولى أساتذته ومؤلفاته ووسائله . ونذكر على سبيل المثال كتاب : الاعلام الدولى بين النظرية والتطبيق للدكتور محمد العوينى ـ والاعلام الدولى والدعاية للدكتور أحمد بدر .. وغيرهما .

كما أن الاذاعات الدولية لها أساتذتها وكتبها ونذكر منها :

كتاب الاعلام الدولى بالراديو والتليفزيون للدكتورة جيهان أحمد رشتى ، والاذاعات الدولية للدكتورة سهير بركات . والاذاعات الموجهة للدكتورة ماجى الحلوانى .. وغيرهم .

وربما أجمع هؤلاء وغيرهم على أن الاذاعة هى أهم وسيلة للاعلام الدولى فى العصر الحديث . ولكن ذلك لا يعنى أبدا اهمال غيرها من الوسائل التى تلعب دورا فعالا فى مجال الاعلام الدولى كالصحافة ووكالات الأنباء والسينما والوفود والملاحق الاعلامية والمعارض .. الى غير ذلك .



عاطف زهران

ولنأخذ الصحافة كمثال محسوس تعبر الدول من خلالها الى الرأى العام العالمى للتأثير عليه .

« ففى الولايات المتحدة الأمريكية يلاحظ أن متوسط توزيع الصحف اليومية ذات الاهتمام العام يزيد على (٥٦) مليون نسخة . وتذهب بعض التقديرات الى أن أوربا تشترى ٣٨٪ من الصحافة اليومية العالمية . بينما تشترى أمريكا الشمالية ٣٣٪ أما أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية فتشترى ٢٩٪ من الصحافة اليومية العالمية » (١) .

ولعلنا جميعا نعرف أن صحفا عالمية يقرؤها المصريون بانتظام . ونضرب مثلا بالنيويورك تايمز والواشنطن بوست ، وول استريت جيرنال ، وهى صحف أمريكية ، والتايمز والجارديان والفاينانشيال تايمز والأوبزرفر والصنداى تايمز وهى صحف انجليزية ، وصحيفة لى موند الفرنسية .. كما أن هناك مجلات دولية عديدة مثل : التايم والنيوزويك الأمريكية والاكسبريس الفرنسية والأيكونومست البريطانية .. وليس ثمة من ينكر مالها من تأثير على الرأى العام العالمى . وللصحافة ميزات قد لا تتوافر لسواها . فهى تخاطب قادة الرأى والمثقفين ممن يؤثرون بدورهم فى غيرهم ، ويمكن الاحتفاظ بها لمطالعتها فى وقت آخر بعكس الراديو الذى قد يصادف أذهانا غير خالية ولا مستعدة . أو قد يحدث تداخل بين المحطة والأخرى فيصعب على المستمع التقاطها فيؤثر الانصراف عنها وقد لا يعود اليها ثانية .

(ب) ان عمر الاذاعات الدولية قصير . فهى وليدة هذا القرن . والعالم قد عاش من قبلها قرونا طويلة . وتواصلت الأمم فيما بينها ، واخترعت وسائل وأساليب تمكنها من ايصال أفكارها الى ما عداها من الأمم .

ونذكر هنا ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم لابلاغ دعوته الى شتى أمم الأرض منذ أربعة عشر قرنا عن طريق الرسائل التى أرسلها الى الملوك والأمراء . وأحدثت هذه الرسائل أثرا لاينكر . فبواسطتها عرف العالم أن رسولا بعث برسالة خاتمة وكتاب حكيم .

وذلك يجعلنا لا نسلم بأنه لايوجد اعلام دولى بلا اذاعات دولية . حتى فى عصرنا الحاضر لا يمكن الاعتماد كلية عليها . فقد تطرأ ظروف تسبب توقف محطة البث لسبب أو لآخر . فهل يعنى ذلك أن اعلام هذه الدولة التى توقفت اذاعتها الدولية أو أوقفت سيتوقف ؟ .. لا أعتقد .

←

(١) د . محمد العوينى الإعلام الدولى بين النظرية والتطبيق ص ١٠٣ .

كما أن من المعروف أنه كلما كانت هناك أكثر من وسيلة اعلامية من دولة ما أدت الى نتائج آكد . فاذا الصحافة ساندت الاذاعة فى الاعلام الدولى . لاشك أننا سنحصل على نتائج أفضل فى خدمة قضية ما وتحقيق هدف ما . ويمكن القول : ان الاذاعة الدولية أعطت للاعلام الدولى انتشارا أوسع وأيسر . ولكن ذلك لايعنى اغفال الوسائل الأخرى .

الملاحظة الثانية :

اعترض الأستاذ طاهر على ما قلته عن « آنية الاذاعة الدولية » بمعنى أنها يمكن أن توافيك بالحدث آن وقوعه وقال : ليس ذلك ممكنا الا اذا كانت المحطة تذيع أربعا وعشرين ساعة فى اليوم . وهذا لايتأتى حتى للدول الكبرى .

والواقع أن هذه الآنية تعتبر خاصية هامة للاذاعة الدولية تعمد اليها أحيانا لحكمة تقتضيها ظروف معينة . فتؤدى بذلك خدمة لجمهورها العريض المنتشر . بدليل خطابات بعض الزعماء ورحلاتهم التى تنقلها الاذاعات الدولية أحيانا . ومباريات الكرة .. وغير ذلك .

يقول الأستاذ محمد فتحى :

« ان قدرة الاذاعة لم تعد خافية على أحد ، فالمدى الذى تبلغه وسرعتها كأداة اتصال بل آنيتها وربطها بين الشعوب ، ووسائلها الفضائية أوضح من أن تعرف . اننا عندما نستمع الى خطاب رئيس دولة فى أى ركن من أركان العالم ، أو نشهد مباريات الالعاب الأوليمبية من مونتريال أو طوكيو أو ميونيخ أو موسكو ، أو نرى الصور الملونة المثيرة المرسلة من المشترى أو زحل نأخذ ذلك الواقع المذهل كأمر مسلم به » (١) .

وكون الاذاعة لاتفعل ذلك دائما لاينفى قدرتها عليه . وبعد مناقشة هاتين الملاحظتين يجب أن أنبه على نقاط أخرى وردت بالتعليق أتفق معه فيها هى :

(أ) أن كتابه قد سد فراغا كبيرا فى المكتبة الاعلامية خصوصا بحديثه عن الاذاعات التبشيرية وأسلوب عملها ومراكز انتاجها .

(ب) حث المهيمنين على الاعلام فى مصر — وغيرها — للسير بخطى جادة نحو انشاء اذاعات دينية دولية بلغات مختلفة . بشرط أن تقوم على أسس علمية سليمة تمكنها من ابلاغ رسالتها الى العالم أجمع .

(جـ) ان اذاعة مصر الموجهة قد أدت دورا بارزا بين الدول المستهدفة وذلك باعتراف الجميع .

« وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ » .

---

(١) انظر كتاب عالم بلا حواجز فى الاعلام الدولى — للاستاذ محمد فتحى ص ١٢ .

أنباء وآراء

إعداد: د. عبد الرحيم السايح
الإستاذ صفوت عبد الجواد

رحب الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر باستجابة الحكومة لبيان مجمع البحوث الاسلامية الذى أعلن أن الاحتفال بعيد الأم يوم ٢١ مارس مخالف للاسلام لأن يوم ٢١ مارس هو عيد البهائيين المرتدين عن الاسلام ، ولأن الاسلام ليس فيه أعياد سوى عيدى الفطر والأضحى • وما عدا ذلك يمكن أن يسمى بـ « يوم الأم » أو « يوم الأسرة » أو أى شىء آخر غير العيد •

وأعرب شيخ الأزهر عن أمله فى أن تستجيب الجهات المعنية لما جاء بالبيان من المطالبة بالغاء الاحتفال بكافة الأعياد غير الاسلامية وقصر كلمة عيد على عيد الفطر وعيد الأضحى •

*** وكيل الأزهر يبحث توسعات التعليم الأزهرى ببنى سويف ••**

بحث الدكتور رءوف شلبى وكيل الأزهر مع المستشار هاشم قراعه محافظ بنى سويف مدى امكانية ما يستطيع الأزهر أن يقدمه للتعليم الأزهرى بمحافظة بنى سويف • وقد وافق فضيلة وكيل الأزهر على مساهمة الأزهر فى العديد من المشروعات التعليمية خاصة فى المدارس الابتدائية التى هى قاعدة التعليم الأزهرى •

وخلال الزيارة افتتح محافظ بنى سويف وبصحبته الدكتور رءوف شلبى مبنى المنطقة الأزهرية الجديد •

وفى ختام اللقاء وافق وكيل الأزهر على ضم بعض المعاهد الابتدائية الى الأزهر •

• ورد الى فضيلة الأستاذ الدكتور الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية الرسالة التالية من السيد السفير / مصطفى سيسى رئيس اللجنة التنفيذية للمجلس الأفريقى للتنسيق الاسلامى •

القاهرة فى ١٩٨٧/٣/٢٠ •

←

الى حضرة فضيلة الدكتور/عبد الفتاح بركة
أمين عام مجمع البحوث الاسلامية .

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته
وبعد

يسرنى ويشرفنى أن أجدد لكم الشكر والامتنان على المقابلة الكريمة التى شرفتمونى بها يوم الثلاثاء ١٧/٣/١٩٨٧ فى مكتبكم العامر حيث تم بحث علاقات التعاون الأخوية بين البلدين الشقيقين : مصر والسنغال وذلك بناء على الروابط التاريخية العديدة التى تربط بين الشعبين والرغبة المشتركة للرئيس محمد حسنى مبارك وعبده ديوف .

واسمحوا لى كما أشرت أثناء لقائنا المبارك أن أذكركم بنشاط المجلس الأفريقى للتنسيق الاسلامى الذى مقره فى « دكار » عاصمة السنغال والذى أرأس لجنته التنفيذية . ان الهدف الاساسى لهذه المنظمة هو تنسيق جهود المنظمات الاسلامية فى افريقيا وبخاصة فى غرب القارة لتقوم بدورها فى التربية والتعليم وتوجيه الشباب المسلم توجيها اسلاميا حقيقيا .

ان سيادة الرئيس / عبده ديوف يدعم هذا المجلس ويوليه اهتماما كبيرا . كذا زودنا برسائل توصية الى بعض الزعماء الأفارقة لدعوتهم الى مساندة المجلس ونشاطه الرامى الى نشر الدعوة الاسلامية بصفة عامة .

اننى أجدد لكم رغبتنا فى التعاون مع مجمع البحوث الى أقصى حد ممكن كما أرجو أن توجهوا دعوة الى المجلس لحضور الاجتماعات التى تنظمونها على مستوى علماء المسلمين وقادتهم . ويكون كل ما يرسل الى المجلس بالعنوان التالى :

Consetl Africain de Coordination
Islamique B.P. 6093 Dakar-Senegal

ولكم منى جزيل الشكر والتقدير واطيب التمنيات والله يحفظكم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

السفير
مصطفى سيسى
رئيس اللجنة التنفيذية للمجلس
الأفريقى للتنسيق الاسلامى

وزراء خارجية الدول الاسلامية
اجتماعهم بعمان فى أكتوبر القادم

* أعلن شريف الدين بير زاده الأمين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامى أنه سيتم عقد اجتماع على مستوى وزراء الخارجية للدول الاسلامية فى العاصمة الاردنية فى المحرم ١٤٠٨ — أكتوبر ١٩٨٧ .

وأوضح بير زاده أنه سيتم خلال هذا الاجتماع استعراض العديد من القضايا التى تواجه العالم الاسلامى وعلى رأسها القضية الفلسطينية وقضية أفغانستان كما ذكر بير زاده أنه تم تشكيل لجنة تضم ست دول لمناقشة عمل وكالة الأنباء الاسلامية ، ترفع توصياتها للمؤتمر الاسلامى .

أضاف بير زاده أنه سيتم عقد اجتماع لوزراء الاعلام فى الدول الاسلامية بالسعودية قبل نهاية العام الحالى لبحث سبل التصدى لعمليات التشويه الاعلامى التى تقوم بها

وسائل الاعلام الأجنبية فى تغطيتها لأنباء الدول الاسلامية .

١٠٠ ألف مسلم يتظاهرون فى نيودلهى

احتجاجا على تسليم مسجد للهندوس

* تظاهر نحو ١٠٠ ألف مسلم من سكان العاصمة الهندية نيودلهى الأسبوع الماضى احتجاجا على حكم قضائى صدر أخيرا بتسليم أحد المساجد للهندوس وتحويله مكانا لعبادتهم .

سارت المظاهرة بصورة سلمية من مسجد جاما أكبر مساجد نيودلهى الى مقر مبنى البرلمان الهندى حيث ردد المتظاهرون الشعارات المنددة بتسليم المسجد الذى بنى فى القرن السادس عشر وأغلق عام ١٩٤٩ لمنع اندلاع أعمال العنف بين المسلمين والهندوس .

المصارف الاسلامية

ارتفع عدد المصارف والمؤسسات الاسلامية التى يضمها الاتحاد الدولى للمصارف الاسلامية خلال العام الماضى من أربعة وخمسين مصرفا ومؤسسة اسلامية فى يناير ١٩٨٦م الى خمسة وتسعين مصرفا ومؤسسة اسلامية فى يناير ١٩٨٧م بزيادة قدرها واحد وأربعون مصرفا ومؤسسة اسلامية انضمت للاتحاد خلال العام الماضى من يناير الى ديسمبر ١٩٨٦ م .

وصرح مجد الدين عزام المستشار بالاتحاد الدولى للمصارف الاسلامية بالقاهرة أن الاحصاءات الرسمية فى الاتحاد تؤكد أن عدد المصارف والمؤسسات الاسلامية التى تنضم الى الاتحاد فى تزايد مستمر ، وأن هناك تسع عشرة شركة اسلامية فى سبيلها للانضمام الى الاتحاد قريبا . وأضاف : ان المصارف والمؤسسات الاسلامية التابعة للاتحاد تعمل فى ضوء مفهوم الاقتصاد الاسلامى والشريعة الاسلامية فلا تتعامل بالربا ولا بفوائد القروض انتاجية كانت أو استهلاكية .

الاقبال على مدارس تحفيظ

القرآن الكريم بمكة المكرمة

بلغ عدد طلاب جماعة تحفيظ القرآن الكريم بمنطقة مكة المكرمة ستة آلاف طالب وأوضح ذلك المشرف على الجماعة الأستاذ محمد سعد ابراهيم .

وقال ان هناك مدارس للجماعة فى القرى التابعة لمكة المكرمة مشيرا الى التزايد فى الاقبال على الالتحاق بالجماعة وأضاف ان الجماعة تنظم كل يوم جمعة مجلسا لتدريس القرآن الكريم بمقر باب الملك عبد العزيز بالحرم المكى بهدف تدريس القرآن الكريم واتقان حفظه وأشار الى ان هناك معهدا تابعا للجماعة يدرس به حوالى ٤٥٠ طالبا لتأهيلهم لتدريس القرآن الكريم وقال المشرف على الجماعة : ان مدة الدراسة بهذا المعهد سنتان .

أول مؤتمر لخطباء الجمعة

ناقش المؤتمر الاسلامى الأول لخطباء

الجمعة الذى عقد مؤخـرا • بمدينـة فاس بالمغرب وسائل النهوض بالخطبة كاحدى دعائم الدعوة الاسلامية •

أجمع العلماء المشـاركون فى المؤتمـر على أهمية تعليم العربية الفصحى اذ أنها أداة فعالة فى الخطابة وكذلك حفظ القرآن الكريم والالمام بالسنة النبوية الشريفة •

كان المؤتمر قد افتتح أعماله بكلمـة للملك الحسن الثانى أكد فيها أن عدم الالمام باللغـة العربية فى المجتمعات الاسلامية يشكل احدى المشـكلات الأسـاسية التى يواجهها العـالم الاسلامى فى الوقت الحاضر •

مؤتمر تطبيق الشريعة الاسلامية

نظمت جمعية علماء الاسـلام بباكسـتان مؤتمرا حـول تطبيق الشريعة الاسـلامية فى ساحة منار باكستان بمدينة لاهـور جاء هذا المؤتمـر تأكيدا للمطالبـة الشـعبية بتطبيق الشريعة الاسلامية فى كافة مناحى الحياة وقد أيد المؤتمر مئـات الألوف من أبناء الشعب الباكستانى المسـلم •

قوانين الشريعة الاسـلامية

أكـد الشيخ آدم عبد الله الألورى الأمين العام لرابطة الأئمة وعلماء الاسـلام ومدير مركز التعليم العربى فى نيجيريا • أن بلاده سوف تظل اسلامية خالصة رغم المحاولات التى تقوم بها الصهيونية العالمية والصليبية الدولية لحصار الاسـلام فى نيجيريا • وقد تم تكوين هيئة تضـم ٢٣٠ عضـوا لوضـع قوانين الشريعة الاسلامية فى نيجيريا •

مؤتمر للاعجـاز العلمى فى القرآن

تعقد الأمانة العامة لهيئة الاعجاز العلمى فى القـرآن والسـنة بالمجلس الأعلى العـالمى للمســاجد بمكة المكرمة مؤتمرهـا الأول فى اسلام أباد بباكستان يوم ١٧ أكتوبر القـادم وذلك بالتعـاون مع الجامعـة الاسـلامية باسلام أباد بباكستان •

يهدف المؤتمر الى التعريف بالقضايا المتصلة بالمعجزات الطبية فى القرآن والسنة ، واقامة الندوات لمناقشـة هذه القضـايا • مع توطيد العلاقات بين العلماء والمؤسسـات المختصـة لتنظيم البحث العلمى •

المؤتمر الدولى الخامس للتربية الاسلامية

انتهت أعمال الدورة الخامسـة للمؤتمر الاسلامى الخامس العـالمى حـول التربيـة الاسلامية فى بلاد العالم الاسـلامى • ناقش المؤتمر الذى عقد على مدى أربعة أيام بجامعة الدول العربية أكثر من ثمانين بحثـا حـول أهداف ومقاصد التربية الاسلامية وكيفية اعداد المعلم القادر على تنشئة الأجيال الاسـلامية وكيفية مواجهة التحديات الفكرية المعاصرة فى الداخـل والخـارج ، وتأسيس خطط تربوية تقوم على المفاهيم الاسلامية للأمور دون ترك النظريات التربوية الحديثة •

شارك فى المؤتمـر وفـود الدول العربيـة والاسلامية وبعض الجاليات الاسلامية فى أوربا

وأمريكا • وأوصى المؤتمر فى نهاية جلساته بالبدء فورا فى تطبيق الأسس الاسلامية فى مجال التربية والأخذ بحذر من المفاهيم التربوية المعاصرة وتحقيق أعلى معدلات التنسيق والتعاون بين الجامعات والمؤسسات كما أوصى المؤتمرون المؤسسات العامة وبخاصة الصحافة والاعلام بالعمل على بث المضامين الاسلامية داخل أبناء الاسلام حتى تتحقق الأهداف السامية للتربية •

معهد عال للتمريض الاسلامى

تقرر انشاء معهد عال للتمريض الاسلامى فى الاسكندرية لتخريج المرضات الملتزمات بآداب الاسلام فى الدراسة والأخلاق والسلوك • صرح بهذا مصدر مسئول بالأزهر الشريف . وقال : ان المعهد جاء بفكرة من رابطة العالم الاسلامى بالسعودية ويتخذ من الاسكندرية مقرا له ، وسوف يقوم بالجهود الذاتية لأبناء العالم الاسلامى •

وقال ان خصوم الاسلام استغلوا فكرة التمريض فى أحيان كثيرة لبث أفكارهم بين المسلمين • وسوف يكون هذا المعهد وسيلة طيبة لتعريف المرضات بمسئوليتهن المهنية والاسلامية خاصة فى الدول الافريقية والأسيوية •

مجلة اسلامية جديدة

تصدر لجنة الشريعة بنقابة المحامين بالقاهرة مجلة اسلامية جديدة غير دورية هى « الدفاع الاسلامى » صرح بذلك مختار نوح رئيس اللجنة وقال : ان المجلة ستضم أبوابا عن القضاء فى الاسلام وأسباب نزول آيات القرآن الكريم.

تكريم العلماء والاعلاميين

تم توزيع شهادات تقدير على العلماء والاعلاميين الذين شاركوا فى أعمال المؤتمر العالمى الخامس للتربية الاسلامية الذى عقد مؤخرا بالقاهرة وذلك فى احتفال كبير أقامه المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين العالمية • شهد الحفل فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر والشيخ يوسف الرفاعى الوزير الكويتى السابق ومستشار مؤتمر العالم الاسلامى بكراتشى • وعلى الهاشمى مستشار رئيس دولة الامارات لشئون القضاء والمجاهد الأفغانى الشيخ فاتح محمد خان أمير المجاهدين الأفغان بالمنطقة الجنوبية •

واشاد الأستاذ جمال خشبة الأمين العام للمؤتمر وأمين عام جمعية الشبان المسلمين بالدور الذى قام به الأزهر والأوقاف لانجاح المؤتمر وكذلك رابطة العالم الاسلامى التى قدمت دعما ماليا ومعنويا للمؤتمر •

جاك كوستو عالم البحار الفرنسى يشهر اسلامه

بعد تجارب علمية مكثفة فى البحث عن الحقيقة من خلال القرآن الكريم بشأن المياه وعالم البحار أعلن عالم البحار « جاك كوستو » اسلامه موضحا أن ما انتهى اليه من خلال دراساته عن خصائص البحار قد أكده القرآن الكريم منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام ، وأن الاسلام هو الدين الحق وأن القرآن لم يترك صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ومن هنا كان قراره الدخول فى دين الله •

من خير ما كتب

الأستاذ/عبد اللطيف فايد ٠٠

القــرآن ٠٠ والمنهج العلمى المعاصر

سيظل القرآن الكريم مصدر الرقى العقلى البشرى وتطوره فى العلوم والمعارف حتى يرث الله الأرض ومن عليها ٠٠ تلك مقــولة بلغ من استقرارها وثباتها ودورانها فى كل زمان ومكان أنها تلحق بالظــواهر الكونيــة التى يراهــا الانسان ويلحظها فى الوجود وتؤكدها تجاربه فى المعامل والمخابير ٠ فالقرآن الكريم لم يهمل ظاهرة كونية اهتدى اليهــا العقل البشرى بعد نزوله فى عصر الوحى ولا يزال يجد فى كل عام سندا فى كتاب الاسلام لكل ما يتوصل اليه ، وبلغ من شــدة هذا اليقين ان وصــف بعض العلماء القرآن بأنه كتــاب علم مع ان آياته أكبر من العلم وكتبه ، فهو كتاب عقيدة يهدى الناس الى السعادة ويدفعهم دفعا الى النظر فى الكون واكتشاف ما أودعه الله فيه من أسرار وكثرة التأمل فى آياته ليعلم منهــا ما يجب أن يعلم استمرارا لمسيرة الحضارة الانسانية ٠

ومن هنا يثبت للقرآن الكريم طــريق آخر الى الاعجاز غير ما كان يعرف الناس قديما من أنه صدق الخبر وبلاغة اللفظ ونصاعة العبارة التى وقف أمامها أفصح العرب أن يأتوا بمثله أو حتى بأقصر سورة من مثله ولقد مروا بهذه المعجزة بعد طول تأمل وتفكــير ، ولكنهم لم يطيلوا التأمل والتفكير أمام أنواع أخرى من الاعجاز مثل تبخر الماء ثم سقوطه امطارا تروى الأرض فتنبت أو يتجمع سيولا تأكل ما بنى الانسان من دور وما زرع من حقول،ولقد حدث هذا فى دول ليس لها من الحضارة نصيب ودول أخرى بلغت شــأوا كبيرا فى حضــارة المــادة فشيدت المدن والمعامل وزرعت الصحارى وكان لها سبق كبير فى الوصول الى عدد من الكواكب السيارة وكأن القرآن يقول لهذه الأخــيرة ان كنتم على علم حقيقى فامنعوا عن أنفسكم هذه الاعاصير والسيول فالمطر ان نزل على قــدر حاجة الانسان فهو خير وان زاد أو نقص فهو نذير لنفس هذا الانسان وفى الحالين لا يغنى علمه شيئا ٠

ولقد امتدت عهود ظلام طويلة على العرب قبل الاسلام ، لكنهم بهذا الدين انتصروا على أمم ذات حضارات وتاريخ فى قمتهم الفرس والروم فى سابق الأزمان وهذه وحدها معجزة للعرب أهل الصحراء صنعها لهم الاسلام عقيدة والتزاما ٠ ثم تفتحت أمامهم سبل المعرفة مع مرور الأزمان حتى كانت لهم معجزات أخرى صنعها لهم الاسلام أيضــا ٠ ففى البحــوث

للأستاذ عبد الفتاح السيد عبد السلام

النظرية كان مفسرو القرآن الكريم وحماة السنة الشريفة والفقهاء الذين استنبطوا منها الأحكام ووضعوا التعاريف والتقاسيم •

وفى البحوث العلمية كانت مجالات واسعة فى الفلك والرياضيات والطب والمقاييس وغيرها ، كل هذا وأوربا يغطيها الظلام •

وشاء الله أن يلقى على المسلمين درسا بعد أن وهنت أصابعهم عن الامساك بدينهم فانتقلت حضارتهم الى أوربا عن طريق الأندلس فامتدت الى سائر دولها كما تمتد الانهار فتصنع لنفسها الترع والجداول لتكسو الخضرة أراضى واسعة جدباء •• ولأن ضعف الأمة الاسلامية طال مداه فقد بعدت الشقة بينهم وبين أسباب الحضارة التى رآها أسلافهم فى الدين وظن الكثير أن حضارة أوروبا الحديثة هى أم الحضارات.ولا يعرف عكس ذلك أناس قليلون تفرغوا للعلم ودراسته فى الغرب وكان لهم تلاميذ من أبناء المسلمين فى الشرق كلهم يدينون بمناهج البحث العلمى التى صاحبت ازدهار أوربا ويعلنون الولاء لأحد الذين أسسوا أصول هذه المناهج وهو « فرنسيس بيكون » •

لكن الله سبحانه يشاء لهذا الدين أن يبقى وأن تظل أشعته المبهرة فى عطائها للبشرية وهو سبحانه يتيح له من الباحثين والدارسين من ينفض الغبار عن المعدن الأصيل فيكشف للناس أصالته ويبين لهم أنه هو الأساس لكل آثار الحضارة التى تخلب منهم الألباب •

دكتور طبيب : غريب جمعه :

لو غيرك قالها يادكتور عبد الغفار !!

اطلعت على مادبجه يراع فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد الغفار عزيز بالعدد رقم ١٦١ من جريدة الوفد (وهو العدد الأسبوعى الصادر يوم الخميس ٤ من شعبان سنه ١٤٠٧هـ /١٩٨٧/٤/٢) وذلك تحت عنوان :

تمخض الجبل فولد فأرا

والدكتور / عبد الغفار عزيز ليس فى حاجة الى تعريف ومواقفه فى مجلس الشعب مشهورة مذكورة ونرجو أن تكون فى صحائف الحسنات يوم يقال لكل انسان : « **اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا** » •

وهو أزهرى لحما ودما وعلما ولهذا عجبت من عنوان المقال ثم تملكنى عجب لاينقضى حينما قرأت ما تحت العنوان ومنه على سبيل المثال قوله :

« وقد جاء هذا القرار فى غير وقته أو محله وأساء الى الاسلام وعلمائه اساءة بالغة • حيث أظهر قادة المسلمين بما لا يصح أن يوصف به علماء الدين وقادة الفكر الاسلامى » •

وذلك تعليقا على قرار مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف بخصوص ما يسمى بعيد الأم • ثم يقول فضيلته بعد أن

من خير ما كتب

يذكر ضياع الشباب بين قسوة السلطة وتقصير العلماء :

« كان ينتظر من مجمع البحوث الاسلامية أن يتحرك لانقاذهم مما هم فيه الآن من تشويش للفكر وخلل فى العقيدة — لكن هذه القرارات لاتزال مجرد حبر على ورق حتى فقد الشباب ثقته فى العلماء والحكام معا خاصة بعد أن رأى المجمع — وهو أعلى هيئة دينية فى البلاد — أن يغير رأيه فيحل ما كان قد أفتى بتحريمه من قبل كجواز الصلح مع اسرائيل ».

ثم يختتم كلامه بقوله :

« ياعلماء المجمع : لقد أعطيتم من يحارب الاسلام والمسلمين سلاحا جديدا ليحاربوه وليثبتوا عدم صلاح ما تقدمونه للناس من فهم لشريعة تقود البشرية وتقول عنها :انها صالحة لكل زمان ومكان . ثم يسترجع كمن أصابته مصيبة فيقول « إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » .

وتعقيبا على هذه النقاط أقول : —

بخصوص النقطة الأولى فلست أدرى ما هى الاساءة التى تضمنها هذا القرار الى الاسلام وعلمائه ؟ وهل اذا حاول علماء المجمع أن يعيدوا عاداتنا وتقاليدنا ومسراتنا وأحزاننا الى أصول اسلامية يكون ذلك اساءة منهم الى الاسلام وعلمائه ؟ .

ولقد تحدثت حول هذه النقطة أكثر من صحيفة ومجلة وهيئة اسلامية منها على سبيل المثال :

١ — جريدة « المسلمون » فى العدد العاشر الصادر فى ٢٣ من رجب سنة١٤٠٥ وذلك تحت عنوان ٢١ مارس عيد بهائى .

٢ — مجلة « الرابطة » الصادرة عن رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة « العدد ٢٦٢ — السنة ٢٥ — جمادى الأولى ١٤٠٧ ص ٣٤) تحت عنوان : مكتب الافتاء الكويتى : الاحتفال بعيد الأم حرام — عيد الام عيد للبهائية !

٣ — مجلة « الوعى الاسلامى » الصادرة عن وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت (العدد ٢٧٢ شعبان سنة ١٤٠٧ السنة الثالثة والعشرون) صفحة ١٢٠ تحت عنوان : عيد الأم أو الأسرة هو عيد البهائيين الكفرة .

٤ — مجلة « البريد الاسلامى » الصادرة عن دار تبايغ الاسلام « العدد ٥١١ — ٥١٣ ربيع الآخر — جمادى الآخرة سنة ١٤٠٧ هـ السنة السادسة والأربعون » صفحة ١٠ : نحن وعيد الأم .

فهل أساءت هذه المجلات والجهات التى أصدرتها الى الاسلام وعلمائه أيضا ؟

أما بخصوص النقطة الثانية وهى : تغيير المجمع رأيه ليحل ما كان قد أفتى بتحريمه من قبل كجواز الصلح مع اسرائيل .. ألم يقدم فضيلته بهذا القول سلاحا جديدا الى أعداء الاسلام ليحاربوه ... الخ . فقد حكم على المجمع — وهو الأزهرى لحما ودما وعلما — كما قلنا من قبل بأنه يفتى وفق هوى السياسة ولو كان على حساب الدين ؟

ومن هم المفتون بالمجمع ؟ أليسوا هم علماء الأزهر ـ علماء الاسلام ـ وهو واحد منهم ؟

وقد لا يميز شخص بين عالم وعالم فيضعه فى صف من يفتون وفق هوى السياسة لكونه محسوبا على علماء الأزهر ، أما النقطة الثالثة وهى خطابه لعلماء المجمع بقوله : « ياعلماء المجمع ... الخ

أليست هذه تأكيدا الحكم السابق على المجمع ومن بين علمائه المصرى وغير المصرى وهم أحرار فى قبول هذا الحكم أو رفضه • ولكن الذى يمكن أن يقال : إن فضيلته قد دعم ما أعطاه من سلاح سابق لمن يحارب الاسلام • اذ لا مانع من أن يخرج علمانى مأفون على الناس بمقال عنوانه :

وشهد شاهد من أهلها !!

ثم يستشهد بكلام فضيلة الدكتور على ما يريد أن يلصقه بعلماء الاسلام من صفات ونعوت غير لائقة • ولو أن مؤسسة علمانية أو بهائية أصدرت قرارا فيه خطأ أو انحراف ما تناولها أحد أعضائها على صفحات الجرائد بمثل هذه الصورة بل انهم يناقشون أمورهم فيما بينهم ثم يخرجون على الناس بما انتهوا اليه • وكم يعجب الانسان من تجمعهم على الباطل وتفرقنا على الحق • ولاقداسة لأحد ولا كرامة لمن يفتى على حساب الدين • أما الموضوعات التى تأخر المجمع فى ابداء الرأى فيها فهذا أمر لا يختلف عليه اثنان ولا حتى فضيلة الدكتور أمين المجمع فى أول حديث له لجريدة اللواء الاسلامى • ونحن نشارك الدكتور عبد الغفار مطالبته بأن لا يطول انتظار المسلمين أكثر من ذلك •

وبعد ...

فهذه سطور أرجو أن تكون خالصة لوجه الله حيث أن صاحبها ليس عضوا بالمجمع ولا حتى خريجا من خريجى الأزهر ولكنه مسلم تربطه بالأزهر رابطة الاسلام التى تربط به المسلمين جميعا • وقد يكون الدافع لكتابة هذه السطور هو بعض اهتماماته الاسلامية المتمثلة فى صورة مقالات متناثرة هنا وهناك •

ويعلم الله أنك يافضيلة الدكتور عبد الغفار عزيز حبيب الى عزيز على ولكن الحق أحب الى وأعز على منك

ورحمك الله ان أهديت الى عيوبى •

قرآن وسنة

الدكتور / عبد الجليل شلبى

الرأفة والقدوة الحسنة من أهم الأسباب التى رغبت فى اعتناق الاسلام ومحبته ، ونرجع الى تاريخ الاسلام والبلاد التى تمشى فيها من غير ان يغزوها المسلمون •

نجد هذين العاملين أساس انتشاره والترغيب فيه . والمسلمون لم يكونوا يكرهون الكتابيين على الاسلام ولايفرضون عليهم جزية ثقيلة ترهقهم ، ولكنهم وجدوا معاملة المسلمين ورفقهم البالغ بالرعية كلها ، فآثروا الاسلام ، يوم انسحب أبو عبيدة بجيشه من دمشق وماحولها ، أمر برد الجزية للكتابيين ، وقال : كنا أخذناها منكم للدفاع عنكم ، والآن لانستطيع الدفاع عنكم ، فلا حق لنا فى أخذ

←

مالكم ، ووقف القسس وكبار القوم يعلنـون أسفهم لفراق المسلمين ويقولون : ردكم اللـه الينا . أعدتم الينا أموالنا وهى فى أيديكم ، ولو كانت فى أيدى الرومان ماردوا لنا منها شـيئا أنتم أرأف بنا من أبناء ديننا (١).

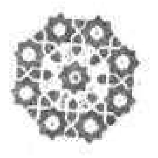
ويوم أن دخل المسلمون أسبانيا أزالوا آثار النظام الاقطاعى ، وقضـوا على فكرة رقيق الأرض وتسخير الناس فأعجب الأهلون بهـذا الدين وأقبلوا عليه أفواجا .

وحين هزم المسلمون وطردوا من أسـبانيا بعد ثمانية قرون ظل الشعب الأسبانى متمسكا باسلامه . وأرهقته الحكومة بالتعذيب ، وأفتى القسس باباحة دمـاء المسـلمين ، ومع ذلك استمر الاسلام يمارس سرا نحو قرنين حتى طرد المسلمون نهائيا وألقوا فى البحر .

كان الاسلام يتمشى سريعا وبدون اكراه ، ثم كان موته تحت القسوة والوحشية بطيئا وبكل أنواع الاكراه وأقساها .

وتمشت الفتوحات الاسلامية فى أفريقيـا على شريط ضيق فى امتداد البحـر المتوسط ، ولكن الاسلام انحدر جنوبا على ساحل أفريقيا الغربى ، وقامت له هناك دولتان كبيرتـان متتاليتان — هما دولتا المرابطين والموحدين ، وفى شقى نهر النيجر وحول نهـر الكونغـو وسيراليون وعلى امتداد الساحل حتى المحيط تمشى الاسلام بين قبائل عديدة ، كلهم أعجبهم نظام المسلمين ، من صدق التجار فى معاملاتهم وما يتسـمون به من نظـافة فى ملابسـهم وأجسامهم ، ورقـة حواشيهم فى المعـاملة ، واعلانهم دائما أن الناس سواسية كأسـنان المشط ، ولم يكن الأوربيون يقبلون أن يتساووا بالزنـوج .

وهكذا كان الرفق وحسن الأسـوة عوامل جذب للاسـلام .



---

(١) كتبنا فى هذا الموضوع ، وبينا أن الله — سبحانه — شاء أن ينتصر أبو عبيده رضى الله عنه فى مواجهة تسعة فيالق رومانية فكان ذلك سببا عمليا فى هداية الكثير من النصارى حين لمسوا بأنفسهم هذا التطبيق العملى لمبـادىء الاسلام .

رسالة قارئ

كتب الأستاذ عبد الباسط صديق أحمد سباع بمعهد الرحمانية قبلى ــ نجع حمادى بملاحظتيه التاليتين :

فى هدية مجلة الازهر جمادى الاخرة ١٤٠٧ هـ كتاب (الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة) للامام ابن حجر العسقلانى صفحة (٢٢) بعنوان « حديث صلاة التسبيح يوجد خطأ مطبعى فى الحديث التالى : قال ابو داود من رواية ابن عباس رضى الله عنهما: ان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال للعباس : ياعماه ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبوك ألا أفعل بك عشر خصال اذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك : أوله وآخره ، قديمه وحديثه ، خطاه وعمده ، صغيره وكبيره ، سره وعلانيته : أن تصلى لله أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة ، فاذا فرغت من القراءة فى أول ركعة ، وأنت قائم ، قلت : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خمس عشرة مرة ، ثم تركع فتقولها وأنت ساجد عشرا ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا فذلك خمسة وسبعون » .

ولكنك اذا جمعت التسابيح الموجودة فى الحديث المكتوب وجدتها خمسا وخمسين فقط وذلك لان الخطأ يوجد فى السطر العاشر : حيث سقط : « ثم تركع فتقولها وأنت راكع : عشرا ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها : عشرا ، ثم تسجد فتقولها وانت ساجد عشرا » وبذا يكون العدد خمسا وسبعين تسبيحة .

كذلك كتب سيادته ، يقول :

وفى هدية شعبان ١٤٠٧/ابريل ١٩٨٧ « الأفغان محنة ومنحة » للدكتور محمد عبد العليم العدوى ــ خطأ فى صفحة (٢١) فى السطر الثامن والتاسع حيث يقول المؤلف :

« واستمرت هذه الفتوحات فى عهد معاوية بن أبى سفيان حيث حاول عبد الله بن أبى بكر عام ٧٩ هـ ــ ٦٩٨ م ــ فتح جهات أخرى ولكنه لم يفلح » أ هـ

ومن المعلوم ــ تاريخيا ــ أن معاوية بن أبى سفيان تولى الخلافة من عام (٤١) الى (٦٠)هـ ــ ٦٦١ ــ ٦٨٠ م .

ثم أرسل سيادته بملاحظتين عقب ذلك تناولتا كلا من « أمان الله » و « محمد نادر خان » ولم يوضح مقصوده من التعليق عليهما، نشكر لسيادته حسن اهتمامه وجميل تصويبه .

فهرس العدد

العلوم الكونية

الشعــــر والشعــــراء

إشراف د . حسن جاد

اللغـة والأدب والنقــد

القسم الإنجليزى

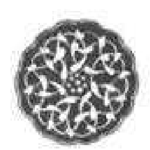
with him), it was reported that the Prophet (prayers and peace from Allah be upon him) said "Whoever fasts during Ramadan in faith and in reverend obedience, his previous sins will be forgiven. (Bukhari and Muslim).

Learned men have classified this practice of fasting in Islam by hierarchizing the conduct of a Muslim during the fast. The first level is the fast of the ordinary person, who abstains from material matters without having the proper ethical and spiritual conduct. The second level is the fast of the "distinguished" person, who observes the fast by abstaining from material matters and by controlling all bodily functions (eyesight, hearing, speech, temper, and thought) against unorthodox action. The third level is that of the "very distinguished" individual who observes the fast by completely submitting his heart, mind, and soul to Allah.

Fasting in Islam has a completeness and a coherence that distinguish it from fasting in other ideologies or religions. In the Holy Qu'ran Allah prescribes fasting and explains all the necessary details pertaining to its proper performance. These divinely given requirements cannot be changed, nor can dispensation be granted by any authority. Throughout the world all Muslim individuals have an inherent and deep devotion to observe the fast of Ramadan. Their strong desire and enthusiastic acceptance reflect their deep devotion. This universality of devotion exists only in Islam and this devotion is constantly growing all over the world.

=================

This articles is taken from the original article published in the Bulletin of the Islamic Center, Washington, D.C., May 1986, by Dr. Anas M. El Naggar.



over his passions and desires, attaining the feeling of triumph in his struggle against temptation and evil. The genuine concepts of fasting are: to empty and deprive one's self from all material sources of energy and to fill this void with spiritual energy and potentials for self-mastery. The results of this process are bountiful enrichment, joyful feelings, and fulfillment of the inner self.

Another characteristic of fasting in Islam is that Ramadan can fall in any season of the year, because the Islam year is based on the lunar calendar. Therefore, as a result of this seasonal variation, fasting differs in intensity, severity, and length (daily number of fasting hours). This variation also allows the Muslim community to acquire attributes, perpetual sense of dynamism, readiness, adaptability, and welcomed anticipation for the month of fasting.

Another type of fast in Islam as prescribed in the Holy Qu'ran is penitential or expiation fasting or fasting for atonement. This type is performed as a penalty for making an infringement during the performance of Hajj or for breaking an oath. It is also a compensation for breaking the fast during Ramadan for any reason.

Besides observing the prescribed fast of Ramadan and the penitential fasting, several Muslims voluntarily perform supererogatory fasting. Optional fasts are usually done on certian days: Monday and Thursday of every week; 13th, 14th, and 15th days of every lunar month during the year; the first day of the Hijrah year; the 10th day of Muharram (the day of Ashura); the first day of Rajab, the 27th day of Rajab; the six days of Shawwal; and the ninth day Zul Hijjah (the day pilgrims assemble at Arafat) for those not performing the Hajj.

The Holy Qu'ran dictates the doctrine of fasting:

"O ye who believel ! Fasting is prescribed to you as it was prescribed to those before you, that ye may learn self restraint".
(Surat Al-Baqara, II, 183).

On the authority of Abu Hurayrah (Allah be content

conception, and understanding. These differences originate from the fact that a Muslim's fast is a unique form of worship and a part of his inherent submission to Allah. Fasting is different from any other form of worship (salat, zakat, or hajj) in that Allah meticulously explains the doctrines of fasting in the Holy Qu'ran, giving full consideration to such issues as how to implement the fast, who is exempt from fasting, and what are the codes governing its practice.

All Muslims must fast during Ramadan, the ninth month of the Islamic year. During Sha'ban of the second year after the hijrah, the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah be upon him) received a Qur'anic revelation prescribing this fast. Several verses of the Holy Qur'an were revealed separately to specify in precise detail all legislative considerations of the fasting process. Basically, fasting in Islam, requires total abstention from food, drink, sexual intercourse, and smoking. During the entire month of Ramadan, Muslims fast daily from dawn to sunset. For Muslims, this practice is a matchless institution of joyfull worship, constituting a completely integrated structure of virtue and chastity. It is highly esteemed, desired, and held in reverence and competitive demand.

Muslim scholars have attributed several values to the discipline of fasting. Fasting teaches the abstainer how to love and obey Allah with a creative sense of hope and devotion. It also imbues him with strong faith, allowing him to feel an intimacy with Allah. The abstainer also develops a clear conscience and learns patience, self-control, tolerance, and determination. He also learns moderation, honesty, and will-power. Fasting estalishes the roots of equality and social and communal belonging among various classes of Muslim individuals. It gives provision for mental transparency and spiritual elevation, clearness of mind, and the feeling of lightness in the body. By fasting, the individual optimizes the bodily functions to a high degree of adaptability and trains his faculties of physical and mental discipline and order. Fasting precipitates self assurance, self-confidence, self-dignity, and superb sense of self-determination. If the process of fasting is performed with refinement, self-denial, and intimate submission to Allah, this syngamy of values and synergy of benefits will never fail to become reality. The Muslim fasting in this manner will exercise full command

entirely lost. In fact, there were notable revivals of fasts in the Wesleyan and Evangelical movements, in which fasting recovered its previous obligatory status and importance during the second quarter of the nineteenth century. Nevertheless, the whole issue is ultimately left to every man's conscience.

As the aforementioned considerations indicate, fasting in Christinaity differ from Islam and Judaism in several ways:

1. The Church has the complete authority to govern the practice of fasting and to legislate matters associated with it. There is no adherence to the doctrines of fasting as stated in the original scriptures.

2. Fasting was limited to abstaining from food and drink, and did not include abstention from sexual intercourse.

3. Since there is no religious obligation to fast, the matter is left to the discretion of the individual.

4. Christians disagree on the exact duration of the fast. In Protestantism, each individual has the right to decide on how long to fast. In Catholicism, the church authorities determine the length of the fast.

5. Catholics are the major branch of Christianity practicing abstention from speech. Each individual can freely choose whether to follow this practice or not.

6. Catholics, Orthodox Christians, and Copts are the major branches refraining from eating animal food and animal products on certain occasions. Their decision springs from independent reasoning and choice.

7. The different Christian denominations do not practice abstention from work.

The practice of fasting in Islam, compared to other religious, has absolutely different dimensions,

any rules on the subject, the Prophet Jesus practiced fasting and his later followers declared that it should have a place in Christianity. The Roman Chruch prescribed the rules governing the practice. The division of Christianity into various rites and later into denominations gave rise to the development of independent practices and philosophies within the Christian doctrine of fasting.

In Catholicism, fasting is prescribed as the second commandment of canon law. As in the Middle Ages, Catholics still fast during Lent and Advent and many still fast or at least abstain from meat on Vigils and on Fridays. In 1781, the severity of fasting was reduced by making a distinction between fasting and abstinence. Further concessions have been made during this century. In 1917, a new legislation was issued providing that abstinence from flesh meat is the only requirement on the days of abstinence. No restriction on the quantity of food taken was made. The strict fast from midnight before Communion was reduced twenty years ago to one hour and now bishops and priests liberally grant total dispensation. Catholic priests and brothers residing in monasteries often abstain from speech for long periods. Individuals also practice this kind of abstention for limited periods.

The Eastern Orthodox rite has taken an independent line in the development of appointed fast days. The Fast of the Apostles begins on the Sunday of All Saints and lasts for one week. The fortnight before the Feast of the Assumption of the Virgin is celebrated on August, 15th. The Advent Fast of the Nativity of Our Lord begins on November 15th and lasts until Christmas, covering about fifty days. The fast before communion is usually compulsory. Throughout the year Wednesdays and Fridays are fast days.

The Protestants have issued a list of fast days, which is found in the Book of Common Prayer. This list includes the forty days of Lent, the Ember days at the four seasons, the three Rogation days, and all the Fridays in the year. Since no direction for the observance of these fasts is given, the matter is left to every man's conscience. Legal provisions are made for granting dispensations to the Archbishop of Canterbury, bishops, and heads of parishes. Even though fewer fasts were observed after the Reformation, fasting was never

➔

The Revealed Religions (Judaism, Christianity and Islam) alone teach the transcendence of the divine. Allah, who is beyond the Cosmos and created it, revealed the original doctrines of these religions through His public revelations to selected prophets. In these religions, man is viewed as a highly complex structure of body, soul, mind, self, inertia, energy, and emotion. This structure requires mental adjustment, spiritual purification, and bodily health, all of which are achieved through the acceptance of the doctrines and teachings of these religions. They aim to optimize the integrity of the human constitution in submission to Allah and to harmonize the functions of its constituent elements. The doctrines of fasting have been prescribed for Jews, Christians, and Muslims. Great differences exist between the very stringent, austere forms of fasting adopted by the ancient cultures and the much more tolerant and moderate forms of fasting prescribed by the Revealed Religions.

Judaism requires an annual fast on the Day of Atonement. The Jews observed a four-day fast every year to commemorate the siege of Jerusalem at the time of the Babylonian exile; a fifth day was added in remembrance of the three-day fast of Esther. Additional voluntary fasts on the part of individuals were common. Among their prophets, Da'ud volunteered to fast on alternate days. At the beginning of the Christian era, the stricter Jews kept Monday and Thursday of each week as voluntary fast days. The mode of fasting in Judaism is abstention from food, drink, and sexual intercourse. Concerning their modern practice of fasting, Jews observe the Day of Atonement as an obligatory fast day; all other occasions are voluntary. The duration of the fast is twenty-four hours. Some of the Jews, however, did not preserve the sanctity of that day and neglected the practice of fasting. Two other modes of fasting in Judaism are abstaining from speech and refraining from work. The Jews continued to practice this first abstention until the appearance of Christianity. This mode of fasting is part of Christianity. Concerning the second abstention, the Jews chose certain days to refrain from work: every Saturday and several other days during the year.

Christians have different opinions on fasting and therefore adhere to various practices. Notwithstanding that the original Christian doctrines did not mention

FASTING IN ISLAM

A COMPARATIVE PERSPECTIVE

By :
Nasr El-Dein Abdel-Fattah Sholkamy

Fasting (siyam) literally means the total and absolute abstention from certain bodily functions and requirements. Historically, the most common type of voluntary fasting has been the practice of self denial and self discipline with definite religous intention. The act of fasting has existed since ancient times. The duration of the fast and exact mode of abstention have varied significantly from one era to another and from one ethnic community to the other. It may be continuous or interrupted. Fasting has been prescribed in many religions in the ancient, middle, and higher intellectual cultures. In the ancient cultures, fasting was practiced according to the rudimentary science of magic and a variety of very crude religious beliefs. Some individuals used fasting as a special discipline to perfect their abnormal powers and ritual tasks. Other individuals fasted to avoid generalized dangers, e.g., disease, or more specific threats, such as punishment from tribal authorities.

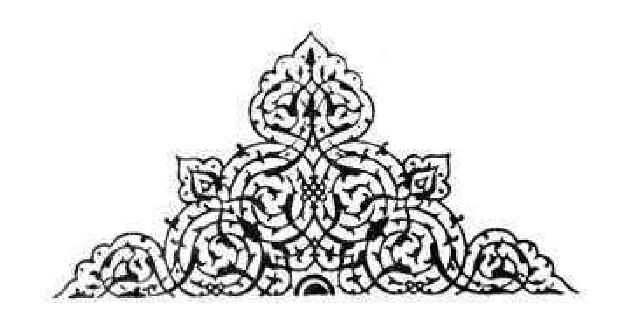
Among the middle cultures, such as Peruvians, Babylonians, and Assyrians, fasting was practiced in connection with penance and sacrificial offering. As part of one prevailing philosophical beliefs of various schools (Cynics, Stoics, Pythagoreans and others), all initiates in Greek and Roman civilizations were required to fast. .Fasting also constituted a major part of the religious life of Ancient Egyptians. Even among the higher religions teaching immanence of the divine in the cosmos, fasting is important. The Hindus practice severe fasts on some occasions and at times favor abstinence. Buddhists recommend moderation rather than extreme self-deprivation. The Taoists of China imposed periods of strict abstinence as a preparation for the worship of ancestral spirits.

➧

refuge and sanctuary". The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was helped back to Aishah's rooms. Coming out to the Mosque and addressing the people who assembled was very exhausting and certainly added to the deterioration of his condition and the fever.

At Aishah's house, Fatimah the daughter of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) came to see her father every day and sat very close to him. On that day, he whispered something to her which made her weep; then he confided to her few other whispers that made her smile through her tears. As Fatimah was leaving, Aishah asked her what the Prophet was telling her that made her weep and made her smile. Fatimah said "I cannot divulge the secrets of the Prophet.

Prayers and peace be upon our magnanemous Prophet.



that the Prophet was speaking of himself, and that the choice he had taken meant the acceptance of death. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) continued to say "O people, the most beneficient of men unto me in his companionship, and in that which his hand bestoweth is Abu Bakre. If I were to take from all mankind an inseparable friend he would be Abu Bakre. Companionship and brotherhood of faith is ours until Allah unite us in His Presence." Before leaving the pulpit he said "I go before you, and I am your witness. Your tryst with me is at the Pool. I fear not for you that ye will set up gods beside Allah; but I fear for you this world lest you seek to rival one another in wordly gains."

From the mosque, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) went to the rooms of Maymunah, whose day it was to house him. The headache intensified and he became feverish; however, he continued to lead the prayers at the mosque as usual. Moving from one house to the other each day, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) became gravely sick and was in need of more careful nursing and rest. All his wives gathered and decided to move him to the rooms of Aishah where he could be carefully looked after. He was moved there with the help of his uncle Al-Abbas and his cousin Ali Ibn Abi Taleb.

Word came to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) that there was much criticism among the people about his choice of so young a man as Usamah to command the expedition to the Syrian borders. He decided to answer such talk, but his fever was very intense. However, he said to his wives "pour over me seven skins of water from different wells". Hafsah brought a tub to Aishah's rooms and the other wives brought water and poured it over him as he sat in the tub. They helped him to dress and bound his head; and two men aided him to the Mosque where he addressed those who assembled there. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) said "O people, dispatch Ussamah's troops, for though you question his leadership even as you questioned the leadership of his father before him, yet he is worthy of the command, even as his father was worthy of it. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) descended from the pulpit, and before he left the mosque, he said "O people of the Muhagereen, the Ansars are entrusted to your kindness and care, they were my

After the return from the farewell prilgrimage, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) remained the rest of Zu Al-Hijjah of the Tenth year, Muharam and Safar, the early month of the Eleventh year. During Safar, he commissioned Ussamah, son of Zayd Ibn Harithah to prepare to march north to the Syrian border at the head of an army of three thousand strong. The army included among its members men of age and men of high rank in Islam as Abu-Bakre, and Omar; all under the command of Ussamah, a young adult below twenty years of age. Preparations started and the troops assembled at Al-Jurf at the outskirts of Al-Madinah, ready to move north to the Syrian borders. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) instructed Ussamah as to the purpose of the campaign and the strategy of performance; the army was finally ready to march north.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him), continually spoke of Paradise (after his return from pilgrimage), and when he did so it was as a man who sees what he describes. One night, he called to a freedman in the household in the early hours of the morning; Abu Muwayhibah and said "I have been commanded to pray forgiveness for the people of the cemetery of Baqi, so come with me. When they reached the Baqi, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) said "peace be on you, O people of the graves, rejoice in your state; how much better is your state than the state of men now living. Compuctions come like waves of darkest night, the one following hard upon the other, each worse than the last". He then turned to Abu Muwayhibah and sid "I have been offered the keys of the tresuries of this world and immortality therein followed by Paradise, and I have been given the choice between that and meeting may Lord, and Paradise". "I have already chosen the meeting with my Lord and Paradise", then he prayed forgiveness and mercy for those burried at Al-Baqi.

At dawn on the following day after visiting Al-Baqi the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) felt severe agonizing ache in his head, inspite of that, he went to the mosque and after leading the prayer he mounted the pulpit and invoked blessings on the martyrs of the battle of Uhud, then he said "There is a slave among the slaves of Allah, unto whom Allah hath offered the choice between this world and that which is with Allah, and the slave hath chosen that which is with Allah." On hearing this, Abu Bakre wept, for he realized

THE ILLNESS

By :

Dr . Anas Moustafa El-Naggar, MD., Ph.D

In the name of Allah, most gracious, most merciful.

The farewell pilgrimage was completed, and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) returned to Al-Madinah during the last few days of Zu Al-Hijjah of the tenth year of Hijrah. The pilgrims dispersed and went their different ways to their homes; some headed south, some north, some east, and some west to their respective destinations. The whole territory of the Arab peninsula was now accepting Islam as the dominant new creed. All the Arab clans and tribes were earnestly and resolutely learning and practicing the teachings of the new religion. Some clans had resident delegates from among the close companions to instruct and teach them the principles of Islam and its proper application in life.

The claims of the imposters Musaylimah of Bani Hanifah, Tulayhah of Bani Asad, and Aswad Al-Ansii of Yamen did not worry or perturb the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). All these imposters and the few others of lesser popularity like the woman of Tamim named Sajah, who claimed to be a prophetess were potential dangers to Islam, and acted as sporadic foci of hostility. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was not disposed to take immediate action against them. His main concern and attention was towards the North, the Syrian borders, where the Byzantine forces of the Roman Empire represented a continuous threat to the growing newly constituted Muslim community in the Arab Peninsula. The Syrian borders had always been a great concern to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Since the time of the battle of Muat'ah, followed by the events that lead to the expedition of Tabuk. The security of the north frontiers was very vital aspect in the strategy of Muslims. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was the founder of this understanding and always programmed for action in that direction.

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 59, Part IX

Ramadan, 1407, Hijrah

CONTENTS

Preparation of Prints: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION



الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان: إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦





ياقوت

أبو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى .

ياقوت الرومى شيخ الجغرافيين فى الإسلام ، وصاحب « معجم البلدان » الذى يقول – هو – عنه بحق لا غرور فيه : « إن كتابى هذا أَوْحَدٌ فى بابه مُؤَمَّرٌ على اضرابه » .

توفى هذا الشيخ الإمام الجليل سنة (٦٢٦) هجرية الموافقة لسنة (١٢٢٨) ميلادية .

ويعنى ذلك انه – رضى الله عنه – توفى قبل ان يولد « سير إسحق نيوتن » بأربعة قرون واربعة عشر عاماً ، فقد ولد « نيوتن » عام (١٦٤٢م) ، وكانت وفاته عام (١٧٢٧م) .

فماذا قدم الإمام ياقوت للسِير إسحق ؟!

* الجزء العاشر *

* السنة التاسعة والخمسون *

* شوال ١٤٠٧ هـ *

* يونيو ١٩٨٧ *

هذا ما انقله عن الإمام ـ رحمه الله ـ مما كتبه فى مقدمة « مُعْجَمِهِ » حريصاً على نصه ، وإن تباعدت السطور احياناً .

قال ـ رحمه الله :

« اختلف القدماء فى هيئة الأرض وشكلها .. وأما المتكلمون فمختلفون ايضاً ، والذى يعتمد عليه جماهيرهم :

« ان الأرض مُدَوَّرَةٌ كتدوير الكرة موضوعة فى جوف الفلك كالمُحَّةِ فى جوف البيضة » . ثم تحدث عن « الجاذبية » فقال :

« والنسيم حولها [اى حول الأرض] جاذب لها من جميع جوانبها إلى الفلك ، وبينه الْخَلْق على الأرض ، وان النسيم جاذب لما فى أبدانهم من الخفة .

والأرض جاذبة لما فى أبدانهم من الثقل ؛ لأن الأرض بمنزلة حجر المغناطيس الذى يجتذب الحديد ، ومافيها من الحيوان وغيره بمنزلة الحديد » اهـ .

وحديث الإمام صريح فى « كروية » الأرض ، وصريح فى « جاذبيتها » .

فليست الجاذبية ـ إذاً ـ من اكتشاف سير نيوتن ، والقول بهذا خطأ ، بل فى حديث الإمام ياقوت الرومى مايشير إلى اكثر من « جاذبية » واضح فيها :

(أ) جاذبية الأرض لما عليها . (ب) وجاذبية الأجسام بعضها لبعض .

لكنَّ للسير نيوتن شيئاً آخر فى « الجاذبية » ... شيئاً محدداً فى « تقييم » نشاطها انتهى إلى « قانون الجاذبية » .

لقد وفقه الله ـ تعالى ـ إلى معرفة إحدى الخواص الأساسية للمادة ، وهى :

« أن اى جسمَيْن يتجاذبان بقوة تتناسب ـ عكسياً ـ مع مُرَبَّع المسافة بينهما »

اى أنه كلما زاد مربع المسافة بين الجسمين كلما قلت قوة التجاذب بينهما ، والعكس صحيح ، فوضع « نيوتن » القانون التالى :

$$\text{قوة التجاذب بين جسمَيْن} = \underset{ج}{\text{ثابت الجذب العام}} \times \frac{\underset{ك_1}{\text{كتلة الجسم الأول}} \times \underset{ك_2}{\text{كتلة الجسم الثانى}}}{\underset{ر}{\text{مربع المسافة بينهما}}} = ج \frac{ك_1 \quad ك_2}{ر^2}$$

ونتيجة لكون « ج » قيمة ثابتة صغيرة جداً دائماً[1] فإن التجاذب بين الكتل الصغيرة غير محسوس ، ومما يجعل التجاذب بين الأشياء والأرض محسوسا كونُ كتلة الأرض أضعافا مضاعفة من « ج »[2] .

ولذلك فبالرغم من أن الأرض تجذب الأجسام ، والأجسام كذلك تجذب الأرض ، كُلٌ يجذب الآخر بنفس القوة ـ فإن الأرض لا تتحرك نتيجة جذب الأجسام لها بسبب كبر كتلتها .

هذا ماقدمه سير اسحق نيوتن ، مضافا إلى ماسبقه إليه الإمام ياقوت الرومى ، رحمه الله. ولِكُلٍّ حَقُّهُ .

د. على أحمد الخطيب

(١) قيمة « ج » = ٦,٧ × ١٠$^{-١١}$ نيوتن × م/ كجم^{٢}

(٢) كتلة الأرض = ٥,٩٨ × ١٠^{٢٤} كجم .

كلمة الأزهر الشريف إلى المسلمين

فى عيد الفطر

بقلم: صاحب الفضيلة الشيخ
جاد الحق على جاد الحق "شيخ الأزهر"

● ها هى امة المسلمين قد ودعت شهر رمضان المبارك ، بعد ان أدت فيه فريضة الصوم . وبعد ان جاهدوا فيه أنفسهم فاحسنوا وفادته واحتفوا به صوماً فى النهار ، وقياماً بالليل ، وتلاوة للقرآن الكريم ومدارسة له ، ومراجعة للأعمال وللأقوال . تحدث العلماء فافادوا وأجادوا ، مبينين فضله وفضائله ، داعين إلى التوبة والأوبة إلى شرع الله وطاعته ، واستشعر المقصرون انهم فى حاجة إلى أن يسرعوا بالعودة إلى الله بعد أن استمعوا إلى قول الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ .. ﴾ .

هاهو شهر رمضان قد رحل شاهداً على ما كان من المسلمين من واقع لا يسر ، حيث اشتعلت نار العداوة والبغضاء التى قطعت الأرحام والأوصال ، وضاعت أواصر الأخوة الإسلامية بين الجحود والنكران ، فقد بغى بعضهم على بعض ، وأقاموا سوقاً للمهاترات وإثارة الشحناء بدلاً من المودة والصفاء والإخاء ، ونسوا قول الله الذى يتلى عليهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ ..

وقد كان شهر رمضان كفيلاً بهذا التغيير .. ذلك لأن التغيير لا يكون من خارج النفس ، وإنما من داخلها ، وذلك بالمصابرة والمثابرة والجهاد تخلصاً من الأنانية وحب الذات والتفاخر بعرض الدنيا من الأموال والأولاد ، لانه لا يمكن لأمة طغت عليها الأنانية والحرص والفرقة والشتات ، بل والخصام والتدابر

←

والاقتتال لا يمكن لأمة هذا واقعها أن تنهض من كبوتها .. وصدق الله حين حذرنا فى قوله سبحانه :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ • أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ . .

وإذا كان شهر رمضان قد انصرمت أيامه ، وذهب شاهداً على المسلمين بسوء ضيافته أو بحسن وفادته ، فإن على هذه الأمة التى جعلها الله أمة وسطا شاهدة على الناس أن تفىء إلى أمر الله .

هذه الأشهر الحرم قد أهل الله علينا مقدماتها بعيد الفطر ، والتى قال الله عنها :

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ . .

وقد قال عنها رسول الله ﷺ فى حجة الوداع : (ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض .. السنة اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم ثلاث متواليات : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان) .

فاستعيضوا عما فرط فى رمضان بما هو آت فى الأشهر الحرم المقبلة ، ووحدوا كلمتكم وارتفعوا فوق الخلاف والاختلاف ، واحتكموا إلى كتاب الله وسنة رسوله فى كل خلافاتكم وانزعوا حب الترف والدعة من قلوبكم ، وجاهدوا أنفسكم وروضوها على مشقة المواجهة مع هذا الحاضر المؤلم ، وأحيوا القلوب بذكر الله حتى توهب لكم الحياة ، وقدموا الأعمال على الأقوال ، واتركوا الشعارات الزائفة ، ولا تقولوا إلا الحق ، وكونوا صادقين فى كل شىء ، صدقاً مع الله ، وصدقاً مع النفس ، وصدقاً مع الناس ، احقنوا الدماء ، وأغلقوا أبواب الفتن ، لا تؤمنوا الخائن ، ولا تخونوا الأمناء ، كرموا المجدين العاملين لرفعة الأمة والبلاد ، أقبلوا على الإنتاج حماية لكرامتكم ، فإن اليد العليا خير من اليد السفلى .

خذوا على أيدى أولئك الذين يعبثون بأمن الناس وأمن البلاد ، واعلموا أن الله لا يحب المعتدين ، وأن دم المسلم على المسلم حرام ، وأن قتل المؤمن عند الله أكبر من زوال الدنيا ، وأن الشر لا يكون طريقاً إلى الخير ، وإنما هو وسيلة إلى الدمار والخراب .

احترموا هذه الأشهر الحرم ، ولا تظلموا فيهن أنفسكم ، بل : ﴿ ادْعُوا

رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ. وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

ذلك أن الظلم والإثم محرمان فى الشهور كلها ، وأنها الأشد وزراً وأعظم جرماً فى تلك الأشهر الحرم ، كما أن العمل الصالح فيهن أعظم أجراً .

فلنحترم ـ نحن المسلمين ـ مواسم الطاعات التى قال عنها العلماء ـ تقريراً لفضلها ـ إن الله اصطفى صفايا من خلقه ، اصطفى من الملائكة رسلاً ، واصطفى من الكلام ذكره ، واصطفى من الأرض المساجد ، واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم ، واصطفى من الأيام يوم الجمعة ، واصطفى من الليالى ليلة القدر ، فلنعظم ما عظم الله ، ولنقبل على إصلاح ذات البين أفراداً وجماعات ، وشعوباً وحكومات ، امتثالاً لقول الله سبحانه : ﴿ والصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ .. وقول الله فى الآية الأولى من سورة الأنفال :

﴿ فاتَّقُوا اللَّهَ وأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُم مُؤْمِنِينَ ﴾ ..

هذا يوم عيد الفطر وفى المأثورات انه قد نزل من القرآن فى فضله وذكره وصدقة فطره قول الله سبحانه فى سورة الأعلى :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى . بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ ..

وقد وجهت هذه الآيات البينات إلى مابه نيل الفلاح والنجاح لمن زكت نفسه وترفعت عن دنس البخل المهين ، لا سيما فى يوم العيد وفازت بنعيم العطاء للفقراء والمساكين والأيتام وذوى الحاجات من بنى الإنسان طاعة لله ، ذاكرا اسمَهُ تعالى شاكراً لأنعمه وعلى ما أعطاه من الخير ، اما أولئك الذين آثروا كنز الأموال وبخلوا بما آتاهم الله من فضله ، فقد ذكرهم الله فى قوله فى سورة الليل مقارناً لهم بأصحاب العطاء والسخاء :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى . وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى. وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴾ ..

وقد أجمعت الأمة على مشروعية زكاة الفطر وعلى إخراجها قبل صلاة عيد الفطر فقد روى أبو سعيد الخدرى قال : كان رسول الله ﷺ يقول : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى. وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ ثم يقسم الفطرة قبل أن يغدو إلى المصلى ..

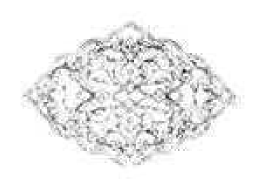
هذا يوم عيد الفطر .. فجددوا فيه الإخاء والمودة والولاء ، وتعاهدوا ـ أيها المسلمون والمسلمات ـ على فعل الخيرات واجتناب المنكرات ، وأعرضوا عن مثيرى العصبية العرقية والإقليمية ومروجى الفتن والشائعات

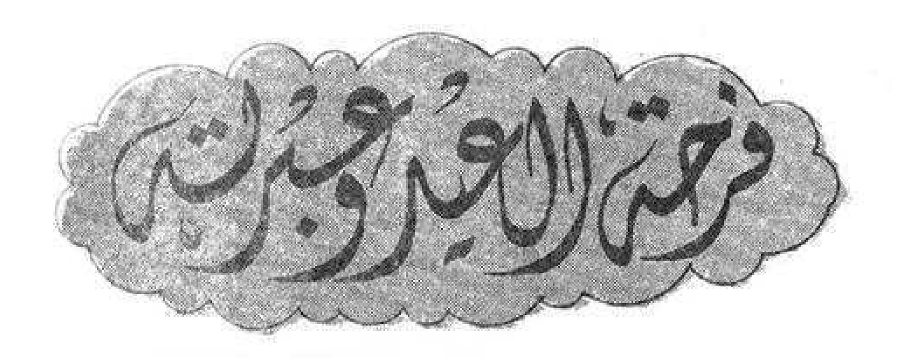
وتواصوا بالوحدة التي دعا إليها الإسلام ، كما في قول الله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ .. وقوله : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ .. وقوله : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ .. واجتنبوا النزاع والخلاف ، فقد قال الله : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ .. وفي الحديث الشريف : (صل من قطعك ، واعف عمن ظلمك ، وأحسن إلى من أساء إليك ، وقل الحق ولو على نفسك) .. وفي الحديث أيضاً : (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) .. قالوا كيف ننصره ظالماً ؟ قال : (تمنعه من الظلم) .. وهذه دعوة من الرسول ﷺ إلى امته ان تتخلى عن المواقف السلبية عند ارتكاب الجرائم والمنكرات وأن عليها أن تقف موقفاً حازماً ضد مفرقي الصفوف ومثيري الشغب ومنتهكي الحرمات المروعين للآمنين ..

إن على المسلمين وقد أضفت عليهم طاعتهم لله في رمضان بالصيام والقيام وتلاوة القرآن أن يداوموا على هذا الصفاء الذي ألفوه والنقاء الذي اعتادوه ، فيلبسون في يوم العيد أنظف الثياب ليلتقي ظاهرهم مع باطنهم ، وأن يتراحموا ويتزاوروا ، ويتسامحوا ، ويتخلوا عن الشقاق والنفاق ، وأن يكونوا عباد الله إخواناً : المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله .

انتصروا لدينكم من أنفسكم .. وارتفعوا فوق خلافاتكم .. والله معكم ، ولن يتركم أعمالكم .

في يوم عيد الفطر .. وباسم الأزهر الشريف : أقدم التهنئة بهذا العيد المبارك إلى أصحاب الجلالة والفخامة والسمو الملوك والرؤساء والأمراء والحكام وشعوب الأمة الإسلامية في كافة مواقعها .. وادعوا الله أن يجعل هلال شوال نوراً في حياة هذه الأمة تستكشف فيه مواقع أقدامها بين الأمم .. وهدى ترتفع فيه الغشاوة عن الأبصار والحجب عن البصائر ، فقد أوضح القرآن معالم الطريق المستقيم .. فقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) .





للدكتور عبد العزيز عبده أبو عبد الله

بالآمال الوضاء والسنا الوضاح وأزهار الأمل الباسم ، وبالتدبر العميق والتأمل الصافى تستقبل البشرية اطلالة غراء تحمل فى مضمونها أسمى المعانى وأرفع القيم وتحمل الجميع فى رحلة روحانية على بساط من الأمان والتطلع الى عالم يرفل بحلل النور ويطمئن فى هجعة الايمان ، وميعة الضياء المديد فى مطاف السلام والخلود ..

انها اشراقة العيد السعيد تسطع على الصائمين يفرحون بالثواب المعجل من براءة فى الوجوه ، وصيانة فى الأعضاء وصحة فى الجسم ، وقوة فى العزيمة وصلابة فى الارادة ، وبالثواب المؤجل فقد ورد أن هناك بابا من أبواب الجنة يقال له الريان ، يدخل منه الصائمون فاذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد غيرهم ..

ألا ما أعظم ثواب الله الذى لا يضيع عنده مثقال ذرة من عمل فهو يحصى ولا ينسى ، لقد عايشوا الصوم على هدى دينهم الحنيف كفا عن الأكل والشرب وغضا للبصر ، وطاعة للخالق ، وتعويدا للنفس على مكارم الأخلاق وحميد الخصال .. !

ان العيد يوم ملحوظ فى السنة مذكور على الألسنة ، مجموع له الناس ، يتلاقون فيه على فرحة وبهجة ؛ ويتبادلون فيه تحية وتهنئة ، ويملئون صدورهم بنسمة الاطمئنان ونفس الرضا ، اذ هو يوم عيد ، والعيد يوحى بالعود الذى يجدد فى النفس الأمل ويقوى الرجاء ، وكلما عاود الانسان عملا ونجح فيه جاء اليه عيد يستريح عنده ويستجم فيه ، ثم يعاود القيام بواجبه ويعاود السعى فى مسالك الحياة للانتاج والاثمار والتقدم والانتفاع وهكذا دواليك ، عيد بهيج يقبل بالفرحة والبهجة وعودة من الانسان الى عمل موفق يعقبها عيد سعيد ويد الله من وراء المسلم الدائب السعى تشده وترشده وتعينه

« **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ**

لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ » والمعاودة الهادفة فى حياة الأفراد والجماعات هى التى تؤدى الى تكوين العادة ، والعادة تقارب الطبيعة ولذلك يقول الأول :

تعوّد صالح الأعمال إنى
رأيت المرء يألف ما استعادا

وبذلك تتكون الفضائل التى يسمو بها الفرد ، وتعز عن طريقها الجماعة ، وهذه الفضائل هى الأخلاق الفاضلة التى تعتدل الحياة بها وتستقيم •

والدائبون يجدون السعادة فى أداء الواجب مهما كان شاقا ، وقد يتصبب العرق منهم فيكون وساما كريما لهم وحينئذ يحسون بنشوة الظفر ولذة الفوز وسعادة التوفيق لأداء الواجب مؤمنين بأن من وراء الشدة متعة ونعمة ، وأن التعب هو الذى يجعل للراحة طعما ويقلب المحنة منحة والعسر يسرا ، وهم ينتهون من مهمة ليستأنفوا القيام بمهمة يعمر صدورهم الايمان بالانتصار وتتألق نفوسهم بعلو الهمة وشرف المقصد ويقين الثقة بالله ،

وهذا يفسر قول الله تبارك وتعالى : « فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا • فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ » •

والعيد يذكرنا فى لفظه ومعناه بالعائدة ، والعائدة هى المعروف والاحسان الذى شرعه الاسلام فى عيد الفطر متمثلا فى زكاة البدن التى يقدمها القادر لغير القادر • وتشريع ذبح الضحية فى العيد الاكبر حتى يتشارك الناس فى الخير ويتقاسموا فى النعمة فتسود بينهم المحبة ، « وَمَنْ وَجَدَ الإحسان قَيْدًا تَقَيَّدَا » وحينئذ يعود العيد ليرى أمة مكافحة تتعاون على البر والتقوى ولا تتعاون على الاثم والعدوان ، يرى أمة يتشارك أبناؤها فى المعروف ويتساندون فى البأساء والشدة ، ويرى أمة تتنزه عن الفتنة والفرقة واشاعة الفاحشة واثارة الشهوات ، يتحقق فى هذه الأمة قول الله تعالى « وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » •

ربــاه !

ان منا أمة عربية شرفتها بحمل رسالتك وتبليغها الى العالمين كافة ، قد ثقلت عليها المحن وتتالت عليها النكبات والخطوب وصمدت مستمسكة بعروتك الوثقى وحبل رحمتك الذى لا ينقطع فأمنحها القوة والقدرة على تجاوز واقعها الحاضر الى مستقبل أعز وأمتع وأكثر اشراقا وأمنا ليبقى فى أرضك من يمثل الحق ويحسن خلافتك ويحمل الخير فى عالم أفسدته أدران المادية وطغت فيه حماقة القوة والجبروت

ان الأمة العربية التى حملت مشاعل النور ورايات الايمان وتحملت أعظم التضحيات فى سبيلها عليها أن تقف اليوم مع روعة الذكرى وجلال مضمونها تستمد من معانيها القوة التى تحقق الآمال التى تهفو اليها أفئدة أبنائها ، والأمانى التى تداعب وتعانق أحلام أجيالها والانتصار على كل قيود واقعها تحقيقا لمجد سالف عامر بالعطاء مفعم بالرجاء ، وأن تتخذ من قيمها سلاحا نضاليا تبعث به أصالتها وتعزز مبادىء نضالها لتكون الأمة التى شعت على الدنيا كلها عدلا وأضاءت أرجاءها نورا وغمرتها محبة ورحمة :

أيها السائل عن راياتنا
لم تزل خفاقة فى الشهب

تشعل الماضى وتعلى ناره
قوة الحق وبأس العرب

ما أروع المعانى التى يوحيها العيد ، وما أعظم أن ننقلها من عالم التجريد والذهنية الى عالم الواقع فى الحياة العملية لنعطى لها مبررها الحق كما أراده رب العزة ومالك القدرة تجسيدا لكل معانى الخير والنبل والصفاء ، وتأصيلا لها فى سلوك الناس وممارسات العباد .

ما أحسن الحياة حين يظللها سمو المعانى ونبل الخلق وروحانية السريرة .

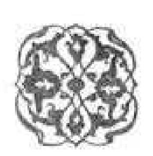
ان الامة العربية بكل فرد من أبنائها مدعوة الى أن تتخذ من هذه المعانى دافعا يزيد من تلاحمها ويقضى على بذور الفرقة والشقاق التى غرستها قوى العدوان والطغيان ، وبخاصة فى الوطن الذبيح (لبنان) ليكون بمقدورها أن تواجه الخطر الذى يتهددها ويحدق بها .

لقد علمنا الاسلام أن الدين جامعة انسانية تدفع البشر جميعا الى الاخاء والتراحم فى ظل شرعة الله وعلى هدى من أوامره ونواهيه والتمسك بدينه بعيدا عن التعصب والحقد بل بقيم المحبة والتسامح .

واذا كان هناك مايجب التذكير به فهو أن (الرسالات السماوية كلها استهدفت شرف الانسان وكرامته) وأن جوهر الرسالات كلها قائم على دفع الظلم والطغيان ، ودعوة لتطهير النفوس وتخليصها من ربقة العبودية المادية لتسمو وتحلق فى عالم روحى يموج بقيم الحق والخير والجمال اصغاء لنداء السماء الى الأرض واستجابة لدعوة خالق الثقلين جل جلاله وسمت قدرته .

كل عام أنتم بخير مع عيد الفطر السعيد فليفرح الجميع بهذا العيد ، وليكن الأمل الطريق الذى يشدهم الى المستقبل أملا بالسلام الذى نجد شراعه مليئا بالصعوبات .

وأملا بالنصر وعملا على تحقيقه ، وليتبادل الناس التحية والتهنئة وليتعرفوا خَطَّهُ وطريقَهُ ويتطلعوا الى مستقبل وغاية ويحمدوا ربهم تبارك وتعالى على ماوفقهم اليه من جهاد بالأمس فى سبيل حرياتهم وعزتهم وحقوقهم فى بلادهم وعقائدهم وليستعينوا به فى جهاد يزدان به غدهم فى سبيل البناء والتعمير والتثمير والصيانة حتى يكسبوا أينع الثمرات من خيرات بلادهم التى مد السماح بها جناحه وأظهر فيها المجد آيته الكبرى ـ « **وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ** » .





قال تعالى :

« فأوحى إلى عبده ما أوحى * ما كذب الفؤاد ما رأى * أفتمارونه على ما يرى * ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى * إذ يغشى السدرة ما يغشى * ما زاغ البصر وما طغى * لقد رأى من آيات ربه الكبرى * أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى * ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذا قسمة ضيزى * إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى » .

« فأوحى » أى جبريل بأمر الله تعالى « الى عبده » عبد الله محمد ﷺ ، وان لم يجر لاسم الله تعالى ذكر لأنه لا يلتبس لأنه معروف أن النبى ﷺ لم يكن عبدا ولم يؤد حق العبودية — الا لله وحده — وكلمة (عبده) فى القرآن اذا أطلقت تنصرف الى النبى صلوات الله وسلامه عليه — وهذا دليل على استيفائه حق العبودية لله وأنه لم يقم أحد بمثل ما قام به من الخضوع والطاعة وأداء الواجب لله سبحانه — ولهذا لما أراد سبحانه غيره — أى غير محمد — بكلمة (عبده) أتبعها بالاسم فقال (ذكر رحمة ربك عبده زكريا) — ومثل ذلك فى ذكر الضمير بدون مرجع (ماترك على ظهرها من دابة) لأن الدواب ليست كائنة الا على ظهر الأرض .

« ما أوحى » أى جبريل والعائد على ما الموصولة محذوف .

وقيل : ماأوحى الله أى أوحى جبريل الى محمد ﷺ ما أوحاه الله اليه .

وقيل : فأوحى الله تعالى بوساطة جبريل ماأوحى ، وأبهم الموحى به للتفخيم ولبيان أنه من الأمور العظيمة التى لا تفى بها العبارة .

وقيل : أوحى اليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك .

هذا وقد جرى على ألسنة النحويين قولهم ان (ما) بمعنى (الذى) مطلقا • وليس كذلك ، بل بينهما تخالف فى المعنى وبعض الأحكام ، كما قال السهيلى •

أما المعنى : فلأن « ما » اسم مبهم فى غاية الابهام حتى انه يقع على المعدوم نحو « ان الله عالم بما كان وبما لم يكن » •

وأما فى الأحكام فانها لا تكون نعتا لما قبلها ولا منونة ولا تثنى ولا تجمع • انتهى •

ثم لفظها مفرد ومعناها الجمع ويجوز لك مراعاة أحدهما فى الضمير ، نحو قوله تعالى « وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ » •

ففى ضمير « يملك » روعى اللفظ وفى ضمير « يستطيعون » روعى المعنى •

« مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى » •

أى ما كذب فؤاد محمد ﷺ ما رآه ببصره من صورة جبريل ، أى ما قال فؤاده حين رآه: لم أعرفك ، ولو قال ذلك لكان كاذبا ، لأنه عرفه بقلبه كما رآه ببصره •

وكذب يتعدى ، يقال كذبتك عينك •

وقرىء (ماكذّب) بالتضعيف أى صدقه ولم يشك أنه جبريل بصورته •

وقيل المرئى هو الله سبحانه وتعالى رآه بعين رأسه وقيل بقلبه •

وقيل المرئى مقدورات الله تعالى وملكوته، وأبت ذلك السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها وقالت « أنا سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآيات فقال لى:هو جبريل عليه السلام فيها كلها » •

قالوا : وحديث عائشة قاطع لكل تأويل فى اللفظ ، لأن قول غيرها انما هو منتزع من ألفاظ القرآن وليست نصا فيما ذهبوا إليه •

« أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى » •

قدمت الهمزة على حرف العطف ، وقال ابن مالك فى « شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح » : والأصل أن يقدم حرف العطف على الهمزة كما تقدم على غيرها من أدوات الاستفهام نحو « وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ » ونحو « فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ » ونحو « فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ » ونحو «فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ» ونحو « أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ » ونحو « فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ » •

فالأصل أن يجاء بالهمزة بعد العاطف كما جىء بعده بأخواتها فكان يقال فى «أفتطمعون» وفى « أفكلما » وفى « أثم إذا ما وقع » (١)

(١) « افتطمعون » و « افكلما » من البقرة ، « أثم اذا ماوقع » فى « يونس » •

« فأتطمعون وفأكلما ، ثم أئذا ما وقع) لأن أداة الاستفهام جزء من جملة الاستفهام وهى معطوفة على ما قبلها من الجمل والعاطف لا يتقدم عليه جزء مما عطف .

ولكن خصت الهمزة بتقديمها على العاطف تنبيها على أنها أصل أدوات الاستفهام لأن الاستفهام له صدر الكلام .

وقد خولف هذا الأصل فى غير الهمزة فأرادوا التنبيه عليه فكانت الهمزة بذلك أولى لأصالتها فى الاستفهام .

وقد غفل الزمخشرى فى معظم كلامه فى الكشاف عن هذا المعنى فادعى أن بين الهمزة وحرف العطف جملة محذوفة معطوفا عليها بالعاطف ما بعده وفى هذا من التكلف ومخالفة الأصول مالا يخفى ، وقال ان المدعى حذف شىء يصح المعنى بدونه لاتصح دعواه حتى يكون موضع ادعاء الحذف صالحا للثبوت ويكون الثبوت مع ذلك أكثر من الحذف وما نحن بصدده بخلاف ذلك فلا سبيل الى تسليم الدعوى ، وقد رجع الزمخشرى عن الحذف الى ترجيح الهمزة على أخواتها بكمال التصدير اهـ

فالجمهور يرى أن (الهمزة ومادخلت عليه) معطوف على ما قبل الهمزة كما بينا قريبا .

وذهب جماعة منهم الزمخشرى الى أن المعطوف عليه مقدر بعد الهمزة فالهمزة والعاطف كلاهما فى موضعه .

والزمخشرى لم يلتزم هذا الرأى بل سار مع الجمهور فى بعض الآيات كقوله تعالى « أفأمن أهل القرى » فانه جعل العطف على « فأخذناهم » قبلها .

وبناء على ما تقدم : لنا أن نجعل العطف على ما تقدم الهمزة - ولنا أن نجعل المعطوف عليه مقدرا بعد الهمزة أى أتكذبونه فتمارونه .

وتمارونه مأخوذ من المماراة : يقال : ماراه يماريه مراء ومماراة : جادله ، مأخوذ من (مرى الناقة يمريها) اذا مسح ضرعها ليخرج لبنها — كأن كل واحد من المتجادلين يسعى لاستخراج ما عند صاحبه ليلزمه الحجة .

وقرىء أفتمرونه بفتح التاء أى أفتغلبونه فى المراء ، من ماريته فمريته : أى غلبته فى المراء ولمافيه من معنى الغلبة عدى بعلى لما فى الجدال من معنى المغالبة ، أو للاشعار بأنهم كانوا يجادلونه لا للوصول الى الحق ، ولكن يجادلونه حرصا على التغلب عليه .

وقيل : أفتمرونه أفتجحدونه من مريته حقه اذا جحدته ومنه :

لئن هجوت أخا صدق ومكرمة
لقد هجوت أخا ما كان يَمْرِيكا

وعدى بعلى على معنى التضمين .

والتعبير بالمضارع فى يرى للاشارة الى ما سيحدث بعد .

« وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى » .

اللام هنا لام جواب القسم ، واعلم أن هناك فرقا بين لام جواب القسم ، واللام الموطئة للجواب :

فاللام الموطئة هى الداخلة على أداة الشرط للايذان بأن الجواب بعدها مبنى على قسم قبلها لا على الشرط ؛ ومن ثم تسمى اللام المؤذنة وتسمى الموطئة لأنها وطأت الجواب

للقسم وقول المعربين : انها موطئة للقسم فيه تجوز لأنها موطئة لجوابه .

ولام جواب القسم هى الداخلة على الجواب كما هنا وكما فى قوله تعالى : « تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا » .

وقد اجتمع اللامان فى قوله تعالى : « كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ » .

فاللام فى (لئن) موطئة ، وفى (لنسفعا) لام جواب القسم .

ومعنى الآية : وبالله لقد رأى محمد ﷺ جبريل فى صورته مرة أخرى من النزول .

« ونزلة » منصوبة انتصاب الظروف لأنها اسم للمرة من الفعل فكانت فى حكم المرة المنتصبة على الظرفية .

وقيل : تقديره ولقد رآه نازلا نزلة أخرى فنصبها على المصدر .

وقيل هى مصدر فى موضع الحال أى رآه ذا نزلة أخرى.

« عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى » .

ليلة المعراج وهذه هى المرة الثانية وكانت قبل الهجرة بسنة وأربعة أشهر ، وقيل بثلاث سنين .

والسدرة ــ عند الجمهور : شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش ــ وقيل : اطلاق السدرة عليها مجاز ، لأن الملائكة تجتمع عندها كما يجتمع الناس فى ظل السدرة المعروفة .

والمنتهى اسم مكان فاضافة السدرة من اضافة الشىء الى مكانه . كأشجار البستان ، أو مصدر ميمى بمعنى الانتهاء فتكون الاضافة من اضافة المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه.

وقيل المنتهى أصلها : المنتهى اليه ، وهو الله سبحانه وتعالى فتكون من اضافة الملك الى المالك .

وعلى كل . قيل : ان هذه السدرة ينتهى اليها علم الخلائق وأعمالهم ولا يعلم أحد ما وراءها .

وقيل : ينتهى اليها أرواح الشهداء .

وقيل ينتهى اليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها .

« عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى » .

أى الجنة التى يأوى اليها المتقون ، أو أرواح الشهداء ــ والجملة حالية ــ وقيل : ان « عندها » متعلقة بمحذوف حال ، وجنة المأوى مرفوع بعند على الفاعلية .

« إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى » اذ ظرف لما مضى من الزمان ويضاف الى الجمل مطلقا ــ وهو منصوب على الظرفية لرآه .

والغشيان يأتى بمعنى التغطية والستر ، ويأتى بمعنى الاتيان ، والمعنى الأول أليق بالمقام .

وفى ابهام ما يغشى من التفخيم مالا يخفى، وتأخيره عن المفعول للتشويق اليه .

والمعنى : ولقد رآه عند السدرة وقت ماغشيها ماغشيها مما لا يفى به البيان .

وصيغة المضارع فى يغشى لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها البديعة وللايذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد .

قيل : يغشاها جم غفير من الملائكة للعبادة أو التبرك وقيل يغشاها جراد من ذهب وقيل غير ذلك .

« مَازَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى » •
أي ما مال بصر رسول الله ﷺ عما أذن له في رؤيته وما تجاوزه الى غيره بل أثبته اثباتا صحيحا مستيقنا •

وزاغ من الزيغ وهو الميل عن الاستقامة : وطغى من الطغيان وهو تجاوز الحد •

« لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى » •
اللام لام جواب القسم ، والكبرى قيل مفعول رأى والمعنى على هذا — والله لقد رأى الآيات الكبرى التي هي بعض آيات ربه حين رقى به الى السماء •

وقيل : المفعول محذوف ، والكبرى صفة لآيات ربه •

والمعنى على هذا لقد رأى من آيات ربه الكبرى عجائب لا يحيط بها الوصف •

والحذف في مثل هذا أبلغ وأهول •

وقال بعضهم : وهذا الوجه أولى لأن فيه تفخيما لآيات الله ، وأن فيها مارآه وفيها مالم يره •

أما على الوجه الأول فيكون قد رأى جميع الآيات الكبرى على الشمول والعموم وفيه بعد لأن آيات الله تعالى لا يحيط بها أحد علما•

والآيات وان كانت جمعا صح وصفها بوصف الواحدة لأن مثل هذا الجمع يجوز فيه المطابقة على حد قوله تعالى : « لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى » فالعلى جمع عليا — وهذا هو الأرجح،

« أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى.وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى » •

لما قرر الرسالة ذكر ما ينبغي أن يبتدىء به الرسول وهو التوحيد ، وافراد الله بالألوهية وعدم الاشراك به •

واللات : صنم لثقيف بالطائف ، والعزى سَمُرَة بأرض نخلة لغَطَفان وهي التي قطعها خالد بن الوليد بأمر رسول الله ﷺ• ومناة : صخرة لهذيل وخزاعة ، أو لثقيف •

وقيل : ان الثلاثة كانت أصناما بالكعبة لقريش •

ويؤيد هذا أن الخطاب موجه لقريش •

وقرىء اللات بالتشديد ومناءة ، وقد طال الخلاف في أماكنها ونسبتها الى أصحابها واشتقاقها وصورها راجع البحر المحيط لأبي حيان •

والثلاثة منصوبة بقوله : أفرأيتم ، وهي بمعنى أخبروني •

والمفعول الثاني : « أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى » ولم يعد ضمير على الأصنام لأن قوله وله الأنثى هو في معنى قوله وله هذه الاناث فأغنى عن الضمير ، وكانوا يقولون : ان هذه الأصنام بنات الله •

فالمعنى : ألكم النوع المحبوب المستحسن وله النوع المذموم بزعمكم ؟ ! وحسن ابراز الأنثى كونه نصا في اعتقادهم أنهن اناث ، وأنهن بنات الله ، ومراعاة الفواصل •

وقال الزجاج وتبعه النسفي في وجه ارتباط (أفرأيتم ... الآية) بما قبلها ، يقول : أخبروني عن آلهتكم التي تعبدونها من دون الله : هل لها شيء من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة في الآيات السابقة ، فجعل المفعول الثاني لأفرأيتم جملة الاستفهام التي قدرها وحذفت لدلالة الكلام السابق

عليها ، وعلى تقديره يبقى قوله تعالى : « أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى » متعلقا بما قبله من جهة المعنى لا من جهة الاعراب •

وذهب بعضهم الى أن رأى هنا قلبية ، وليست بمعنى أخبرونى ، ومفعولها الأول الأصنام ، والثانى محذوف لدلالة الحال عليه والمعنى : أعقيب ما سمعتم من آثار عظمة الله عز وجل فى ملكه وملكوته وجلاله وجبروته وأحكام قدرته ونفاذ أمره فى الملأ الأعلى رأيتم هذه الأصنام مع حقارتها وذلتها شركاء لله تعالى ؟!

وقيل : المعنى : أفرأيتم هذه الأصنام مع حقارتها وقماءتها بنات الله تعالى ؟ !

وقيل غير ذلك •

وكل هذه المعانى تدور حول الانكار عليهم جعل الأصنام شركاء وبنات لله ، تعالى الله عن ذلك ، والهمزة للانكار •

والفاء للتعقيب وترتيب الرؤية على ما ذكر من شئون الله تعالى ، « والثالثة » وصف للتأكيد ، « والأخرى » صفة ذم للثالثة بأنها متأخرة فى الرتبة وضيعة فى القدر ، وكانت عندهم أعظم الثلاثة ، وتتضمن ذم السابقتين أيضا •

« تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى » •

تلك اشارة الى القسمة المفهومة من الجملة الاستفهامية (اذا) حرف يؤتى به لتوكيد مرتبط بما تقدم ، ألا ترى أنها لو سقطت لفهم الارتباط •

وذهب بعض النحويين الى أنها اسم •

وأصلها « إذا » الظرفيه قطعت عن الاضافة ، وأتى بالتنوين عوضا عن المضاف اليه •

(ضيزى) : جائرة أو منقوصة إذْ جعلتم له ما تستنكفون منه •

وقراءة الجمهور ضيزى — بكسر الضاد — والظاهر : أنه صفة على وزن فُعلى — بضم الفاء وكسرت لتصح الياء ، كما حصل بنحو (بيض) والذي حمل على هذا كثرة فُعلى فى الصفات — بضم الفاء — دون فِعلى — بكسر الفاء — بل أنكرها سيبويه ورد عليه بنحو (عزهى) •

ويجوز أن تكون مصدرا على وزن (فعلى) كذكرى ، ووصف به مبالغة •

وقرأ ابن كثير ضئزى بضاد مكسورة بعدها همزة فوجه على أنه مصدر ،

وقرأ زيد بن على : ضيزى — بضاد مفتوحة بعدها ياء ساكنة — ووجه على أنه مصدر كدعوى أو وصف كسكرى ، يقال ضاز فى حكمه جار وضازه حقه يضيزه ويضوزه ضيزا : نقصه وبخسه وضأزه كمنعه بمعناه •

« إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم » •

ان : نافية بمعنى ما ، وقد تقدم الكلام عليها •

(هى) ضمير الأصنام •

والمعنى : ما هذه الأصنام الا أسماء ليس تحتها فى الحقيقة مسميات لأنكم تدعون الألوهية لما هو أبعد شىء منها وأشده منافاة لها ونحوه قوله تعالى : « مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا » وفى هذا من المبالغة

مالا يخفى كقولك عند تحقير انسان اسمه زيد ما زيد الا اسم . وما الملك الا اسم .

وقيل : (هى) ضمير الأسماء (اللات والعزى ومناة) .

يعنى : ما هذه الأسماء الا أسماء سميتموها بهواكم وشهوتكم ليس لكم من الله على صحة تسميتها برهان تتعلقون به .

ومعنى (سميتموها) وضعتموها ، لأن التسمية وضع الاسم — أو سميتم بها ، ونسب التسمية اليهم — مع كونها حاصلة قبل وجودهم — لأن وضعها الأصلى لم يستند الى دليل نقلى ولا عقلى فلا يصح اتباعه ولا يعتد به ، فكل من يطلق هذه الألفاظ فهو كالمبتدىء الوضع .

« **مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ** » من برهان تتعلقون به ، مأخوذ من السليط بمعنى الزيت (وكانوا يستضيئون به) .

ولا يجمع سلطان بمعنى البرهان لأن مجراه مجرى المصدر ، وانما يجمع اذا كان بمعنى الوالى فيقال سلاطين .

و (من) أفادت النص على استغراق النفى .

« **إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ** » .

ما يتبعون الا توهم أن ما هم عليه حق توهما باطلا من غير دليل .

والظن — فى الأصل : خلاف اليقين . كما قال الأزهرى وقد يستعمل بمعنى اليقين ، والفرق بينهما فى القرآن ضابطان :

أحدهما : أنه حيث وجد الظن محمودا مثابا عليه فهو اليقين ، وحيث وجد مذموما متوعداً بالعقاب فهو الشك كما هنا .

الثانى : أن كل ظن يتصل به (ان) الخفيفة فهو شك كقوله تعالى : « **إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ** » وكقوله : « **بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ** » وكل ظن يتصل به (أن) المشددةفالمراد به اليقين كقوله : « **إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ** » .

والمعنى فيه أن « أن » المشددة للتأكيد فناسبت اليقين و « أن » الخفيفة بخلافها فدخلت فى الشك .

« **وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ** » .

أى الذى تشتهيه أنفسهم الأمارة بالسوء على أن «ما» بمعنى «الذى» وقيل : يجوز أن تكون مصدريه فيكون المتبع هو الهوى — وعلى الأول مقتضى الهوى .

وخص بعضهم اتباع الظن بالعقيدة ، واتباع الهوى فى العمل والعبادة ، وقال : وكلاهما فاسد ، لأن الاعتقاد ينبغى أن يكون مبناه على اليقين ، ولأن العمل والعبادة دائما على خلاف الهوى فكيف يبنيان على متابعته ؟!

« **وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ** » .

توبيخ لهم وتأكيد لبطلان اتباع الظن والهوى ، فان اتباعهما من أى شخص قبيح ، ومن الذى هداه بالرسول المؤيد بالكتاب والمعجزات أقبح .

والمراد بـ « الهدى » : الرسول ، أو الكتاب ، أو المعجزات .

والجملة حالية من فاعل « يتبعون » أو اعتراضية .

يتبع

كتاب حُسْنُ المَدَد

فى معرفة فن العدد

تأليف الشيخ الإمام

أبى محمد برهان الدين إبراهيم الجعبرى تغمك

نقلا عن المخطوط رقم "٢٠" بدار الكتب المصرية

٤

تحقيق فضيلة الشيخ

إبراهيم عطوة عوض

سورة يوسف عليه الصلاة والسلام

مكية ، حروفها سبعة آلاف ومائة وستة وستون .

وكلمها ألف وست وسبعون .

وآيها مائة وإحدى عشرة .

ونظيرها فى الحرمىّ والشامى « الأنبياء » ، والكوفى « سبحان » ، والبصرى « الكهف » و« الأنبياء » .

وفيها مشبه الفاصلة اثنا عشر . « الر » « منهن سكينا » . « السجن فتيان » . و« أخر يابسات » .[1] معاً « حمل بعير » ، « فصبر جميل » كلاهما[1] . « يأت بصيراً » . « فارتد بصيراً » . « لأولى الألباب » .

وعكسه موضعان : « عشاءيبكون » ، « بضع سنين » رُوْيُها (لم بدا)[2] اللام « وكيل » وفواصلها :

المبين ـ تعقلون ـ الغافلين ـ ساجدين ـ مبين ـ حكيم .

ـ للسائلين ـ مبين ـ صالحين ـ فاعلين ـ لناصحون ـ لحافظون ـ غافلون ـ لخاسرون ـ يشعرون ـ يبكون ـ صادقين ـ تصفون ـ يعملون ـ الزاهدين ـ يعلمون ـ المحسنين ـ الظالمون ـ المخلصين ـ أليم ـ الكاذبين ـ الصادقين ـ عظيم ـ الخاطئين .

ـ مبين ـ كريم ـ الصاغرين ـ الجاهلين ـ العليم ـ حين ـ المحسنين ـ كافرون

←

---

(١)و(١) لأنهما موضعان .

(٢) كذا وجدناه بهذه الصورة وعند الإحصاء للفواصل وجدناها أربعة أحرف هى ن ـ م ـ ر ـ ل يجمعها قولك : (لم نر)

ـ يشكرون ـ القهار ـ يعلمون ـ تستفتيان
ـ سنين ـ تعبرون ـ بعالمين ـ فَأرْسلون
ـ يعلمون ـ تأكلون ـ تحصنون ـ يعصرون
ـ عليم ـ الصادقين ـ الخائنين .
ـ رحيم ـ أمين ـ عليم ـ المحسنين
ـ يتقون ـ منكرون ـ المنزلين ـ تقربون
ـ لفاعلون ـ يرجعون ـ لحافظون ـ الراحمين
ـ يسير ـ وكيل ـ المتوكلون ـ يعلمون
ـ يعملون ـ لسارقون ـ تفقدون ـ زعيم
ـ سارقين ـ كاذبين ـ الظالمين ـ عليم .
ـ تصفون ـ المحسنين ـ لظالمون
ـ الحاكمين ـ حافظين ـ لصادقون ـ الحكيم
ـ كظيم ـ الهالكين ـ تعلمون ـ الكافرون
ـ المتصدقين ـ جاهلون ـ المحسنين
ـ لخاطئين ـ الراحمين ـ أجمعين ـ تفندون
ـ القديم ـ تعلمون ـ خاطئين ـ الرحيم
ـ أمنين ـ الحكيم
ـ بالصالحين ـ يمكرون ـ بمؤمنين
ـ للعالمين ـ معرضون ـ مشركون ـ يشعرون
ـ المشركين ـ تعقلون ـ المجرمين ـ يؤمنون .

« سورة الرعد »

قال ابن عباس ومجاهد وابن جبير : مكية ، وقتادة : مدنية إلا « ولا يزال الذين كفروا » ، وعنه من أولها « ولو أنّ قرآناً » ، ويجمع بينهما بالطرفين .

وحروفها : ثلاثة آلاف وخمسمائة وستة .

وكلمها : ثمانمائة وخمس وخمسون .

وآيها أربعون وثلاث كوفى ، وأربع حرمى ، وخمس بصرى ، وسبع شامى .

خلافها ست : « خلق جديد » . « الظلمات والنور » غير كوفى ، « الأعمى والبصير » . دمشقى ، « الحق والباطل » حمصى ، « لهم سوء الحساب » . شامى ، « من كل باب » عراقى ، وشامى .

ونظيرها فى الخرقى[٣] . « سأل »[٤] والبصرى « فاطر . و ق . والنازعات . » .

وفيها مشبه الفاصلة خمسة : « المر » « وما تغيض الأرحام وما تزداد » « لربهم الحسنى » « يكفرون بالرحمن » .

وعكسه موضع « يضرب الله الأمثال » .

رويُها (نقرد عبل) العين : متاع ، وردف النون ، و« القلوب» واو ، والباقى ألف[٥] .

وفواصلها : يؤمنون ـ يوقنون ـ يتفكرون ـ يعقلون .

ـ خالدون ـ العقاب ـ هاد ـ بمقدار
ـ المتعال ـ بالنهار ـ وَالٍ ـ الثّقال ـ المحال
ـ ضلال ـ والآصال ـ القهار ـ الأمثال
ـ المهاد .
ـ الألباب ـ الميثاق ـ الحساب ـ الدّار
ـ باب ـ الدّار ـ الدّار ـ متاع ـ أناب
ـ القلوب ـ مآب ـ متاب ـ الميعاد ـ عقاب

---

(٣) كذا ولعلها « الحرمى » من علماء العدد .
(٤) أى « المعارج » .
(٥) يشير بهذه الحروف إلى أن الحرف الذى قبل الأخير من حروف المد تعرف به الفاصلة .

ـ هاد ـ واق .
ـ النار ـ مآب ـ واق ـ كتاب ـ الكتاب
ـ الحساب ـ الحساب ـ الدّار ـ الكتاب .

« سورة ابراهيم عليه السلام »

مكية قال ابن عباس : إلا آيتين في قتلى كفار قريش ببدر : قوله تعالى : « ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً » إلى آخرها•

وحروفها : ثلاثة آلاف واربع مائه واربعة وثلاثون .

وكلمها : ثمانمائة وإحدى وثلاثون .

وآيُها : إحدى وخمسون بصرى ، واثنان كوفى ، وأربع حرمى . وحمصى ، وخمس دمشقى .

خلافها : سبع « الناس » . « من الظلمات إلى النور » . و« قومك من الظلمات إلى النور » حرمّى وشامى « وعادٍ وثمود » حرمى وبصرى ، « جديد »، مدنى اول وكوفى ودمشقى . و« فرعها فى السماء » غير الأول وغير بصرىّ ، « الليل والنهار » وشامى « عما يعمل الظالمون » .

ونظيرها فى الحرمىّ « سبأ » ، والكوفى « نون والحاقة » ، والبصرى « الحاقة » ، والشامى سبأ ولقمان والمدثر .

وفيها مشبه الفاصلة سبعة . « آلر » ، « يضل الله الظالمين » . « دائبين » « يأتيهم العذاب » . « أجل قريب » . « غير الأرض والسموات » . « من قطران » .

وعكسه ثلاثة « ما يشاء » « فيها سلام » ، و« أفئدتهم هواء » .

رويُّها (آدم نظر صب زل) .

وفواصلها :

الحميد ـ شديد ـ بعيد ـ الحكيم ـ شكور ـ عظيم ـ لشديد ـ حميد ـ مريب .
ـ مبين ـ المؤمنون ـ المتوكلون ـ الظالمين ـ وعيد ـ عنيد ـ صديد ـ غليظ ـ البعيد ـ جديد ـ بعزيز ـ محيص ـ أليم ـ سلام ـ السّماء ـ يتذكرون ـ قرار ـ يشاء .
ـ البوار ـ القرار ـ النار ـ خلال ـ الأنهار ـ والنهار ـ كفّار ـ الأصنام ـ رحيم ـ يشكرون ـ السّماء ـ الدّعاء ـ دعاء ـ الحساب ـ الأبصار ـ هواء ـ زوال ـ الأمثال ـ الجبال ـ انتقام ـ القهار ـ الأصفاد ـ النّار ـ الحساب ـ الألباب ـ

« سورة الحجر »

مكيـة

حروفها : ألفان وسبعمائة وإحدى وسبعون (٦).

وكلمها : ستمائة وأربع وخمسون .

وأيها تسع وتسع (٧)

ونظيرها في المكى والمدنى الأخير : « مريم والواقعة » والأول(٨) والشامى . « الواقعة » .

• كذا والآيه بعدها من نفس السبيل .

(٦) كذا بالمصور .

(٧) اى بالرقم ٩،٩ اى تسع وتسعون .

(٨) اى والمدنى الأول .

وفيها مشبه الفاصلة موضع . « الر » ورويُّها « ملر »[٩] .

وفواصلها :

مبيــن ـ مسلمين ـ يعلمون ـ معلوم ـ يستأخرون ـ لمجنون ـ الصادقين ـ منظرين ـ لحافظون ـ الأوّلين ـ يستهزئون ـ المجرمين ـ الأوّلين ـ يعرجون ـ مسحورون ـ للناظرين ـ رجيم ـ مبين ـ موزون ـ برازقين ـ معلوم ـ بخازنين ـ الوارثون ـ المستأخرين ـ عليم ـ مسنون ـ السّموم ـ مسنون ـ ساجدين ـ أجمعون ـ الساجدين ـ السّاجدين ـ مسنــون ـ رجيم ـ الدين ـ يبعثــون ـ المنظرين ـ المعلوم ـ أجمعين ـ المخلصين ـ مستقيم ـ الغاوين ـ أجمعين ـ مقسوم ـ وعيون ـ آمنين ـ متقابلين ـ بمخرجين.

الرحيم ـ الأليم ـ إبراهيم ـ وجلون ـ عليم ـ تبشرون ـ القانطين ـ الضالون ـ المرسلون ـ مجرمين ـ أجمعين ـ الغابرين ـ المرسلون ـ منكرون ـ يمترون ـ لصادقون ـ تــؤمــرون ـ مصبحــين ـ يستبشرون ـ تفضحون ـ تُخْزُون ـ العالمين ـ فاعلين ـ يعمهون ـ مشرقين ـ سجّيل ـ للمتوسّمين ـ مقيم ـ للمؤمنين ـ لظالمين ـ مبين ـ المرسلين ـ معرضين ـ آمنين ـ مصبحين ـ يكسبون ـ الجميـل ـ العليم ـ العظيم ـ للمؤمنين ـ المبين ـ المقتسمين ـ عضين ـ أجمعين ـ يعملون ـ المشركين ـ المستهزئين ـ يعلمون ـ يقولون ـ الساجدين ـ اليقين

« ســورة النحــل »

مكية إلا قوله تعالى : « وإن عاقبتم » إلى آخرها مدنية .

نزلت حين هم عليه الصلاة والسلام بتمثيل من مَثَّل بحمزة ـ رضى الله عنه ـ

وقال ابن عباس : بين مكة والمدينة عقيب مُنْصَرَفِهِ من أُحُد .

وقتادة وجابر : من أولها إلى « والذين هاجروا فى الله » مكّى ، وإلى آخرها مدنى فجوّز الأمرين باعتبار الطرفين .

وحروفها : سبعة آلاف وسبعمائة وسبعة .

وكلمها : ألف وثمانمائة وأربعون .

وآيَهَا مائة وثمان وعشرون .

وفيها مشبه الفاصلة اثنا عشر : « قصد السبيل » . « ومايشعرون » ، « والله يعلم ماتسرون » ، « لاجرم أن الله يعلم ما يسرون ومايعلنون » ، « مايشاءون » ، « الملائكة طيبين » ، « مايكرهون » ، « أفبالباطل يؤمنون » ، « هل يستون »[١٠] ، « وما عند الله باق » ، « متاع قليل » .

وعكسه خمسة : « ويخلق مالا تعلمون » ، « وما تعلنون » ، « وهم مستكبرون » ، « كن فيكون » ، « على الله الكذب لايفلحون » .

ورويّها (نمر) الرّا موضعا[١١] ، قدير .

---

(٩) كذا ، وهو خطأ فى النسخ ، وإلا فإن الروى ثلاثة أحرف لا غير هى : م ـ ل ـ ن .

(١٠) كذا وفى المصحف بواوين آخرهما صغيرة يستوون .

(١١) أى موضعا واحدا .

وفواصلها :

يشركون - فاتقون - يشركون - مبين - تأكلون - تسرحون - رحيم - تعلمون - أجمعين - تسيمون - يتفكرون - يعقلون - يذّكرون - تشكرون - تهتدون - يهتدون - تذكرون - رحيم - تعلنون - يخلقون - يبعثون - مستكبرون - المستكبرين - الأوّلين - يزرون - يشعرون - الكافرين - تعملون - المتكبرين .

المتقين - المتقين - تعملون - يظلمون - يستهزئون - المبين - المكذبين - ناصرين - يعلمون - كاذبين - فيكون - يعلمون - يتوكّلون - تعلمون - يتفكرون - يشعرون - بمعجزين - رحيم - داخرون - يستكبرون - يؤمرون - فارهبون تتقون - تجأرون - يشركون - تعلمون - تفترون - يشتهون - كظيم - يحكمون - الحكيم - يستقدمون - مفرطون - أليم - يؤمنون - يسمعون - للشاربين - يعقلون - يعرشون - يتفكرون - قدير - يجحدون - يكفرون - يستطيعون - تعلمون .

يعلمون - مستقيم - قدير - تشكرون - يؤمنون - حين - تسلمون - المبين - الكافرون - يستعتبون - ينظرون - لكاذبون - يفترون - يفسدون - للمسلمين .

تذكرون - تفعلون - تختلفون - تعملون - عظيم - تعلمون - يعملون - يعملون - الرجيم - يتوكلون - مشركون - لا يعلمون - للمسلمين - مبين - أليم - الكاذبون - عظيم - الكافرين - الغافلون - الخاسرون - رحيم .

لا يظلمون - يصنعون - ظالمون - تعبدون - رحيم - يفلحون - أليم - يظلمون - رحيم - المشركين - مستقيم - الصالحين - المشركين - يختلفون - بالمهتدين - للصابرين - يمكرون - محسنون .

« سورة الاسراء »

مكيـــة

حروفها : ستة آلاف وأربعمائة وستون .

وكلمها : ألف وخمسمائة وثلاث وثلاثون .

وآيها مائة وعشر كوفى[١٢] ، وإحدى عشرة فيه .

وخلافها آية « للأذقان سُجَّداً » كوفى .

وتقدمت نظيرتها « يوسف » .

وفيها مشبه الفاصلة أربعة عشر : « لبنى إسرائيل » ، « بأس شديد » ، « ويبشر المؤمنين » ، « السنين والحساب » ، « لمن نريد » ، « وبالوالدين إحسانا » ، « قتل مظلوما » ، « لِوَلِيِّه سلطانا » ، « بها الأولون » ، « عذابا شديداً » ، « ورحمة للمؤمنين » ، « وصمّا » ، « وبالحق نزل » ، « للأذقان يبكون » .

وعكسه اثنان : « الجبال طولا » ، « بِكُمْ لفيفا » .

ورويّها (قدمل سعمد[١٣] بعره) ، وبعد كُلِّ ألفُ التنوين .

وفواصلها :

البصير - وكيلا - شكورا - كبيرا -

---

(١٢) كذا والصواب : (فى غير الكوفى) كما نص البناء فى الاتحاف ، فلعله خطأ من الناسخ .

١٣ - هذا أول تركيب يقابلنا تكرر فيه بعض الحروف . والروى الذى حصرناه هو : ر - ل - م - ب - هـ - ن - ع - د - ق - س .

مفعولا ـ نفيرا ـ تَتْبيرا ـ حصيرا ـ كبيرا ـ أليما ـ عجولا ـ تفصيلا ـ منشورا ـ حسيبا ـ رسولا ـ تدميرا ـ بصيرا ـ مدحورا ـ مشكورا ـ محظورا ـ تفضيلا ـ مخذولا .

كريما ـ صغيرا ـ عفورا ـ تبذيرا ـ كفورا ـ ميسورا ـ محسورا ـ بصيرا ـ كبيرا ـ سبيلا ـ منصوراً ـ مسئولا ـ تأويلا ـ مسئولا ـ طولا ـ مكروها ـ مدحورا ـ عظيما ـ نُفُورا ـ سبيلا ـ كبيرا ـ غفورا ـ مستورا ـ نُفُورا ـ مسحورا ـ سبيلا ـ جديدا .

أو حديدا ـ قريبا ـ قليلا ـ مبينا ـ وكيلا ـ زبورا ـ تحويلا ـ محذوراً ـ مسطورا ـ تخويفا ـ كبيرا ـ طِينا ـ قليلا ـ موفورا ـ غرورا ـ وكيلا ـ رحيما ـ كفورا ـ وكيلا ـ تبيعا .

تفضيلا ـ فتيلا ـ سبيلا ـ خليلا ـ قليلا ـ نصيرا ـ قليلا ـ تحويلا ـ مشهودا ـ محموداً ـ نصيرا ـ زهوقا ـ خَسَارا ـ يئوسا ـ سبيلا ـ قليلا ـ وكيلا ـ كبيراً ـ ظهيرا ـ كفورا ـ ينبوعا ـ تفجيرا ـ قبيلا ـ رسولا ـ رسولا ـ رسولا ـ بصيرا ـ سعيرا ـ جديدا .

كُفُورا ـ قَتُورا ـ مسحورا ـ مثبورا ـ جميعا ـ لفيفا ـ ونذيرا ـ تنزيلا ـ سُجَّدا ـ لمفعولا ـ خشوعا ـ سبيلا ـ تكبيرا .

« سورة الكهف »

مكية ، حروفها : ستة آلاف وثلاثمائة وستون .

وكلمها : ألف وخمسمائة وسبع وتسعون .

وآيها : مائة وخمس حرمى ، وست شامى ، وعشر كوفى ، وإحدى عشرة بصرى .

خلافها : إحدى عشرة : « وزدناهم هدى » غير شامى ، « لا يعلمهم إلا قليل » ، مدنى أخير « غدا » ، غيره « بينهما زرعا » ، « من كل شىء سببا » ، مدنى أخير ، وعراقى ، وشامى « هذه ابدا » ، مدنى أول ومكى ، وعراقى ، « فأتبع سببا » ، « ثم اتبع سببا » ، « ثم اتبع سببا » عراقى ، « عندها قوما » غير مدنى اخير . وكوفى « بالأخسرين أعمالا » عراقى ، وشامى ، وتقدمت نظيرتها فى البصرى (يوسف) .

وفيها مشبه الفاصلة اثنتا عشرة : « قيِّما » ، « بأسا شديداً » ، « ويبشر المؤمنين » ، « وهم رقود » ، « عليهم بنيانا » ، « بسلطان بيِّن » ، « مراء ظاهرا » ، « ثيابا خضرا » ، « ولم تَظْلم منه شيئا » ، « على ربِّك صفا » ، « آذانهم وقرا » ، « من دونهما قوما » .

وعكسه : ثلاثة : « عوجا » ، « نهرا » ، « عندها قوما » .

رويُّها . (أزل . جدب . طغن . ضرم صقل . قط ـ) وبَعْدَ كُلِّ ألفُ التنوين وفواصلها :

. عوجا ـ حسنا ـ أبدا ـ ولدا ـ كذبا ـ أسفا ـ عملا ـ جرزا ـ عجبا ـ رشدا ـ عددا ـ أمدا ـ هدى ـ شططا ـ كذبا ـ مرفقا .

مرشدا ـ رعبا ـ احدا ـ أبدا ـ مسجدا ـ أحدا ـ غداً ـ رشدا ـ تِسْعا ـ

أحدا ـ ملتحدا ـ فُرُطا ـ مرتفقا ـ عملا ـ مرتفقا .

زرعا . نَهَرا . نفرا . أبدا ـ منقلبا ـ رجلا ـ أحدا ـ وولدا ـ زلقا ـ طلبا ـ أحدا ـ منتصرا ـ عُقْبا ـ مقتدرا ـ أملا ـ أحدا ـ موعدا ـ أحدا ـ بدلا .

عضدا ـ موبقا ـ مصرفا ـ جدلا ـ قبلا ـ هُزُواً ـ أبدا ـ موئلا ـ موعدا ـ حقبا ـ سربا ـ نصبا ـ عجبا ـ قصصا ـ علما ـ رشدا ـ صبرا ـ خُبْرا ـ أمْرا ـ ذِكْرا ـ إمْرا ـ صبرا ـ عسْرا ـ نكرا ـ صبرا ـ عُذْرا ـ أجرا ـ صبرا .

غصبا ـ وكفرا ـ رُحْما ـ صبرا ـ ذكرا ـ سببا ـ سببا ـ حسنا ـ نُكرا ـ يسرا ـ سببا ـ سِتْرا ـ خُبْراً ـ سببا ـ قولا ـ سدّاً ـ ردما ـ قِطْرا ـ نَقْبا ـ حقا ـ جمعا ـ عَرْضا ـ سَمْعا . نُزُلا . أعمالا . صُنْعا . وَزْنا . هزوا . نُزُلا . حِوَلا . مَدَدا . أحدا .

« سـورة مريـم »

مكيـــة :

حروفها ثلاثة آلاف وثمانمائة وحرفان .

وكلمها :

سبعمائة وثنتان وســـتون .

وآيُها تسعون وثمان مدنى أوّل وعراقى وشامى ، وتسع مكى ومدنى أخير .

خلافهـا :

ثلاث « كهيعص » كوفى « الرحمن مُدّا » غيره « فى الكتاب إبراهيم » مكى ومدنى أخير .

تقدمت نظيرتها فى المكى . والأخير الحجر .

وفيها مشبه الفاصلة أربعة : « الرأس شيبا » . « وقرى عينا » « للرحمن صوما » . « اهتدوا هـدى »

وعكســه موضع « كن فيكون »

ورويها (يا آدم . نـز . الدال . صـاد)

وفواصلها : كهيعص .

ـ زكريا ـ خفيا ـ شقيا ـ وليا ـ رضيا ـ سميًا ـ عتيا ـ شيئا ـ ســويا ـ وعشيا ـ صبيا ـ تقيا ـ عصيا ـ حَيًّا ـ شرقيا ـ سويًا ـ تقيا ـ زكيا ـ بغيا ـ مقضيا .

قصيا ـ منسيا ـ سريا ـ جنياً ـ إنسيا ـ فريا ـ بغيا ـ صبيا ـ نبيا ـ حيا ـ شقيا ـ حيًا ـ يمترون ـ فيكون ـ مستقيم ـ عظيم ـ مبين ـ يؤمنون ـ يُرْجَعون ـ نبيا ـ شيئا ـ سَوياً ـ عصيًا ـ وليا ـ مليا ـ حفيًا ـ شقيا ـ نبياً ـ عليا ـ نبيا ـ نجيا ـ نبيًا ـ نبيًا ـ مرضيا ـ نبيا ـ عليا ـ وَبُكيًّا .

غيا ـ شيئا ـ مَأْتِيًا ـ وعشيا ـ تقيا ـ نسياً ـ سمِيًا ـ حيا ـ شيئا ـ جثيا ـ عتيا ـ صليا ـ مقضيا ـ جثيا ـ نديا ـ وَرِءْيًا ـ جنْدا ـ مَرَدًّا ـ وولدا ـ عهدا ـ مدّا ـ فَردا ـ عزّا ـ ضِدًّا ـ تؤزهم ازّا ـ لهم عدّا ـ وفداً ـ وِرْدًا ـ عهدا ـ وَلَداً ـ إدّاً ـ هدّاً ـ ولداً ـ وَلدا ـ عبداً ـ عدّاً ـ فرداً ـ وُدّاً ـ لُدًّا ـ ركزا .

سورة طه

مكية حروفها خمسة آلاف ومـائتان واثنان .

وكلمها ألف وثلاثمائة وإحدى وأربعون .

■● وآيها : مائة وثلاثون وثنتان بصري ، وأربع حرمي ، وخمس كوفي ، وثمان حمصي ، وأربعون شامي .

خلافها : أربع وعشرون : « طه » « ما غشيهم » « وضلوا » كوفي . « زهرة الحياة الدنيا » ، غيره « مني هدى » ، غيره والحمصي « في اليَمّ » « ضنكا » له « نسبحك كثيراً » « ونذكرك كثيراً » غير بصري « محبة مني » حرمي ودمشقي « ولا تحزن » . « في أهل مدين » . « أوحينا إلى موسى » له . « معنا بني إسرائيل » « فتونا » بصري معه .

« واصطنعتك لنفسي » كوفي وشامي « غضبان أسِفاً » « وإله موسى » . مكي ومدني أول . « موسى فنسي » غيرهما « وعدا حسنا » « إليهم قولا » مدني أخير . قيل : وشامي ، « ياسامري » قال ابن شنبوذ : غيره « ألقى السامري » غير مدني أخير « صفصفا » عراقي وشامي .

وفيها مشبه الفاصلة تسعة : « فاعبدني » . «بآياتي» « ما أنت قاض » « عليكم غضبي » « ثم ائتوا صفا » « وبينك موعداً » « ولا برأسي » . « لا مساس » « منها جميعاً » .

وعكسه خمسة : « نودي ياموسى » . « المقدس طوى » « من أهلي » « هارون أخي » « على عيني » .

ورويُّها (سارع يوم فتل كز) الميم : غشيهم ، والواو : ضلوا .

وفواصلها :

طه - لتشقى[١٤] - يخشى - العلى - استوى - الثرى - وأخفى - الحسنى - موسى - هدى - موسى - طوى - يوحى - لذكرى - تسعى - فتردى - موسى - أخرى - موسى - تسعى - الأولى - أخرى - الكبرى - طغى - صدري - أمري - لساني - قولي - أهلي - أخي - أزري - أمري - كثيراً - كثيراً - بصيرا - موسى - أخرى - يوحى - عيني - موسى - لنفسي - ذكري - طغى - يخشى - يطغى - وأرى - الهدى - وتولى - موسى - ثم هدى - الأولى - ولا ينسى - شتى - النهى .

أخرى - وَأَبَى - موسى - سوى - ضحى - أتى - افترى - النجوى - المثلى - استعلى - ألقى - تسعى - موسى - الأعلى - أتى - وموسى - وأبقى - الدنيا - وأبقى - يحيى - العلى - تزكى - تخشى - غشيهم - هَدَى - والسلوى - هوى - اهتدى .

موسى - لترضى - السامري - موعدي - السامري - فنسي - نفعا - أمري - موسى - ضلوا - أمري - قولي - سامري - نفسي - نسفا - علماً - ذكرا - وزرا - حملا - زرقا - عشرا - يوما - نسفا - صفصفا - أمْتا - همسا - قولاً - علماً .

ظلماً - هضماً - ذكرا - علما - عزما - أَبَى - فتشقى - تعرى - تضحى - يبلى -

(١٤) نلاحظ في جمعه للروى أنه لم يثبت القاف وقد وردت ممدودة في أكثر من فاصلة بينما اثبت الفاء وقد وردت في فصلتين . ولعل ذلك من ترادف النسخ .

فغوى - وهدى - يشقى - القيامة أعمى - بصيرا - تُنْسى - وأبقى - النهى - مسمى - ترضى - وأبقى - للتقوى - الأولى - نَخْزَى - اهتدى .

سورة الأنبياء عليهم السلام

مكية حروفها : أربعة آلاف وثمانمائة وتسعون .

وكلمها ألف ومائة وثمان وستون .

وآيها مائة وإحدى عشرة غير كوفي ، واثنتا عشرة فيه .

خلافها : آية « ولا يضركم » له ، وتقدمت نظيرتها في غيره : يوسف .

وفيها مشبه الفاصلة أربعة : « أكثرهم لا يعلمون » . « ولا يشفعون » « لكم ولما تعبدون » « إنكم وما تعبدون » .

وعكسه ثلاثة : « له إبراهيم » « ياإبراهيم » « على إبراهيم » .

ورويها (من) ، فواصلها :

معرضون - يلعبون - تبصرون - العليم - الأولون - يؤمنون - تعلمون - خالدين - المسرفين - تعقلون - أخرين - يركضون - تُسْئَلُون - ظالمين - خامدين - لاعبين - فاعلين - تصفون - يستحسرون - يفترون - ينشرون - يصفون - يسئلون - مُعرضون - فاعبدون - مكرمون - يعملون - مشفقون .

الظالمين - يؤمنون - يهتدون - معرضون - يسبحون - الخالدون - تُرجَعُون - كافرون - تستعجلون - صادقين - ينصرون - ينظرون - يستهزئون - معرضون - يصحبون - الغالبون - ينذرون - ظالمين - حاسبين - للمتقين - مشفقون - منكرون - عالمين - عاكفون - عابدين - مبين - اللاعبين - الشاهدين - مدبرين - يرجعون - الظالمين - إبراهيم - يشهدون - ياإبراهيم - ينطقون - الظالمون - ينطقون - يضركم - تعقلون - فاعلين - إبراهيم - الأخسرين - للعالمين - صالحين - عابدين - فاسقين - الصالحين - العظيم - أجمعين - شاهدين - فاعلين - شاكرون - عالمين - حافظين

الراحمين - للعابدين - الصابرين - الصالحين - الظالمين - المؤمنين - الوارثين - الخاشعين - للعالمين - فاعبدون - راجعون - كاتبون - يرجعون - ينسلون - ظالمين - واردون - خالدون - يسمعون - مبعدون - خالدون - توعدون - فاعلين - الصالحون - عابدين - للعالمين - مسلمون - توعدون - تكتمون - حين - تصفون .

سورة الحج[15]

- قال ابن عباس : مكية إلا أربعا ، وعطاء إلاستا ، كأنه عدّ « الحميم » و« الجلود » ولم يَعُدَّهما .

قال أبو ذر : أقسم بالله لقد نزلت بالمدينة في المتبارزين ببدر: عليّ وحمزة وعبيدة رضى الله ←

(١٥) عقب ذلك بياض قدر طوله ثلاثة سنتيمترات . وأغلب الظن أنه القدر الذى يكتب فيه « مدنية » كعادته في إرداف لفظ مكية أو مدنية عقب ذكره السورة .

عنهم ، ثم عتبة وشيبة والوليد ، وهى « هذان خصمان » إلى « الحميد » .

وقتادة مدنية إلا أربعا : « وما أرسلنا » إلى « عقيم » ويجمع بينهما بالأصالة والتبع .

وحروفها خمسة آلاف ومائة وسبعون .

وكلمها ألف ومائتان وإحدى وتسعون .

وآيُها سبعون وأربع شامى ، وخمس بصرى ، وست مدنى ، وسبع مكى ، وثمان كوفى .

خلافها خمس : « الحميم » « والجلود » كوفى « عاد وثمود » غير شامى . « وقوم لوط » حرمى وكوفى « سماكم المسلمين » مكى .

ونظيرتها فى المكى : الفرقان والرحمن ، والكوفى الرحمن . وتقدمت نظيرتها فى المدنى : الأنفال .

وفيها مشبه الفاصلة أربعة : « ثياب من نار » و « النار » « فأمليت للكافرين » « معجزين » .

وعكسه ثلاثة : « ما يشاء » « من حديد » « تقوى القلوب » .

ورَوِيّها (انظم زبرجد قط) الهمزة يشاء .

وفواصلها :

عظيم ـ شديد ـ مريد ـ السعير ـ بهيج ـ قدير ـ القبور ـ منير ـ الحريق ـ للعبيد ـ المبين ـ البعيد ـ العشير ـ يريد ـ يغيظ ـ يريد ـ شهيد ـ يشاء .

الحميم ـ والجلود ـ حديد ـ الحريق ـ حرير ـ الحميد ـ أليم ـ السجود ـ عميق ـ الفقير ـ العتيق ـ الزور ـ سحيق ـ القلوب ـ العتيق ـ المخبتين ـ ينفقون ـ تشكرون ـ المحسنين .

كفور ـ لقدير ـ عزيز ـ الأمور ـ وثمود ـ لوط ـ نكير ـ مشيد ـ الصدور ـ تعدون ـ المصير ـ مبين ـ كريم ـ الجحيم ـ حكيم ـ بعيد ـ مستقيم ـ عقيم ـ النعيم ـ مهين ـ الرازقين ـ حليم .

غفور ـ بصير ـ الكبير ـ خبير ـ الحميد ـ رحيم ـ لكفور ـ مستقيم ـ تعملون ـ تختلفون ـ يسير ـ نصير ـ المصير ـ المطلوب ـ عزيز ـ بصير ـ الأمور ـ تفلحون ـ النصير .

سورة المؤمنون

مكية

حروفها أربعة آلاف وثمانمائة وحرفان .

وكلمها ألف وثمانمائة وأربعون .

وآيها مائة وثمانى عشرة كوفى وحمصى ، وتسع عشرة فى الباقى .

خلافها آية « وأخاه هرون » . غيرهما .

وفيها مشبه الفاصلة ثلاثة « مما تأكلون » ، « وفار التنور » « وعذاب شديد » .

ورويها « نم » .

وفواصلها :

المؤمنون ـ خاشعون ـ معرضون ـ فاعلون ـ حافظون ـ ملومين ـ العادون ـ راعون ـ يحافظون ـ الوارثون ـ خالدون ـ طين ـ مكين ـ الخالقين ـ لَمَيِّتُون ـ تبعثون ـ غافلين ـ لقادرون ـ تأكلون ـ للآكلين ـ تأكلون ـ تحملون ـ تتقون ـ الأولين ـ حين ـ كذّبون ـ مغرقون ـ الظالمين ـ المُنْزِلين ـ

لمبتلين - آخرين - تتقون - تشربون - لخاسرون - مخرجون .

توعدون - بمبعوثين - بمؤمنين - كذبون - نادمين - الظالمين - آخرين - يستأخرون - يؤمنون - مبين - عالين - عابدون - المهلكين - يهتدون - ومعين - عليم - فاتقون - فرحون - حين - وبنين - يشعرون - مشفقون - يؤمنون - يشركون - راجعون - سابقون - يظلمون - عاملون - يجأرون - تنصرون - تنكصون - تهجرون - الأوّلين - منكرون - كارهون - معرضون - الرازقين - مستقيم - لناكبون .

يعمهون - يتضرّعون - مبلسون - تشكرون - تحشرون - تعقلون - الأوّلون - لمبعوثون - الأوّلين - تعلمون - تذكرون - العظيم - تتقون - تعلمون - تسحرون - لكاذبون - يصفون - يشركون - يوعدون - الظالمين - لَقَادرون - يصفون - الشياطين - يحضرون - ارجعون - يبعثون - يتساءلون - المفلحون - خالدون - كالحون - تُكَذِّبون - ضالّين - ظالمون - تكلمون - الراحمين - تضحكون - الفائزون - سنين - العادّين - تعلمون - ترجعون - الكريم - الكافرون - الراحمين .

سورة النور

مدنيـــة .

وحروفها : خمسة آلاف وستمائة وثمانون .

وَكَلِمُها : ألف وثلثمائة وست عشرة .

وآيُها : ستون وثنتان حرمى ، وثلاث حمصى ، وأربع عراقى ودمشقى .

خلافها ثلاث : « بالغدو والآصال » . « ويذهب بالأبصار » عراقى وشامى « لأُولِى الأبصار » غير حمصى .

وفيها مشبه الفاصلة اثنان : « لهم عذاب اليم » « يَمْسسه نار » وعكسه : « إن كنتم مؤمنين » .

ورويُّها (لم نرب) فالباء « حساب » « الحساب » .

وفواصلها : تَذَكَّرُون - المؤمنين - المؤمنين - الفاسقون - رحيم - الصّادقين - الكاذبين - الكاذبين - الصادقين - حكيم - عظيم - مبين - الكاذبون - عظيم - عظيم - عظيم - مؤمنين - حكيم - تعلمون - رحيم .

عليم - رحيم - عظيم - يعملون - المبين - كريم - تَذَكَّرُون - عليم - تكتمون - يصنعون - تفلحون - عليم - رحيم - للمتقين .

عليم - والآصال - والأبصار - حساب - الحساب - نُور - يفعلون - المصير - بالأبصار - الأبصار - قدير - مستقيم - بالمؤمنين - معرضون - مذعنين - الظالمون - المفلحون - الفائزون .

تعملون - المبين - الفاسقون - تُرْحمون - المصير - حكيم - حكيم - عليم - تعقلون - رحيم - أليم - عليم .

سورة الفرقان[16]

وحروفها : ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاثة وثمانون .

(١٦) كذا ولم نجد بالمصورة حكما بالمكية او المدنية ، والمصاحف بأيدينا تقول : مكية إلا الآيات (٦٨ - ٦٩ - ٧٠) فمدنية .

وَكَلِمُها : ثمانمائة وثنتان وتسعون .
وآيها : سبع وسبعون بلا خلاف .
ونظيرتها فى الحرمىّ الرحمن وتقدّمت ، نظيرتها فى الشامى : الأنفال .
وفيها مشبه الفاصلة تسعة : « ولم يتخذ ولدا » « وهم يخلقون » « قوم آخرون » « أساطير الأولين » « وُعِدَ المتقون » « ما يشاءون خالدين » « صرفا ولا نصرا » « فى السماء بروجا » « على الأرض هونا » .
وعكسه موضعان : « ضلوا السبيل » « ظلما وزورا » .
ورويُّها : (نل مبر) .
وفواصلها :
نذيرا - تقديرا - نشورا - وزورا - وأصيلا - رحيما - نذيرا - مسحورا - سبيلا - قصورا - سعيرا - وزفيرا - ثبورا - كثيرا - ومصيرا - مسئولا - السبيل - بورا - كبيرا - بصيرا .
كبيرا - محجورا - منثورا - مقيلا - تنزيلا - عسيرا - سبيلا - خليلا - خذولا - مهجورا - ونصيرا - ترتيلا - تفسيرا - سبيلا - وزيرا - تدميرا - أليما - كثيرا - تتبيرا - نشورا - رسولا - سبيلا - وكيلا - سبيلا - دليلا - يسيرا - نشورا - طهورا - كثيرا - كفورا - نذيرا - كبيرا .
محجورا - قديرا - ظهيرا - ونذيرا - سبيلا - خبيرا - خبيرا - نفورا - منيرا - شكورا - سلاما - وقياما - غراما - ومقاما - قواما - أثاما - مهانا - رحيما - متابا - كراما - وعميانا - إماما - وسلاما - ومقاما - لزاما .

سورة الشعراء مكية

قال عبد الكريم : كلها .
فقوله تعالى :[١٧] « والشعراء يتبعهم الغاوون » إلى آخرها فى كَافِرَيْن تهاجيا ، واتبع كُلًّا فريق .
وقال ابن عباس : إلّا « والشعراء » إلى الأربع فى شعراء النبى عليه الصلاة والسلام : زيد وكعب وابن رواحة .
والظاهر أن الثلاث فى الكافرين والأخيرة فى المسلمين .
وحروفها : خمسة آلاف وخمسمائة واثنان وأربعون .
وكلمها : ألف ومائتان وسبع وتسعون .
وآيها : مائتان وعشرون وست حرمى إلا الأول . وبصرى ، وسبع هو وكوفى وشامى .

---

(١٧) يُذكر هنا سبب نزول الآيات الأربع الأخيرة من الشعراء :
أ - أنها نزلت فى كَافِرَيْن تهاجيا .. إلخ .
ب - قول ابن عباس : أنها فى شعراء النبى عليه الصلاة والسلام
جـ - أن الثلاث آيات من الأربع فى الكافرين ، والآية الأخيرة فى المسلمين .

خلافها أربع « طسم » كوفى « فلسوف تعلمون » غيره . هنا ثالث « أين ما كنتم تعبدون » غير بصرى ، وأول « تنزلت به الشياطين » غير الأخير .

وفيها مشبه موضع « فينا وليداً » .

وعكسه : موضعان : « معنا بنى إسرائيل » « من عمرك سنين » .

ورويُّها « ملن » اللام أربع « إسرائيل » .

وفواصلها : طسم ـ المبين ـ مؤمنين ـ خاضعين ـ معرضين ـ يستهزئون ـ كريم ـ مؤمنين ـ الرحيم ـ الظالمين ـ يتقون ـ يُكَذِّبُون ـ هرون ـ يقتلون ـ مستمعون ـ العالمين ـ إسرائيل ـ سنين ـ الكافرين ـ الضالين ـ المرسلين ـ إسرائيل ـ العالمين ـ موقنين ـ تستمعون ـ الأوّلين ـ لمجنون ـ تعقلون ـ المسجونين ـ مبين ـ الصادقين ـ مبين ـ للناظرين ـ عليم ـ تأمرون ـ حاشرين ـ عليم ـ معلوم ـ مجتمعون ـ الغالبين ـ الغالبين ـ المقرّبين ـ ملقون ـ الغالبون ـ يأْفَكُون ـ ساجدين ـ العالمين ـ وهرون ـ أجمعين ـ منقلبون ـ المؤمنين .

متبعون ـ حاشرين ـ قليلون ـ لغائظون ـ حاذرون ـ وعيون ـ كريم ـ إسرائيل ـ مشرقين ـ لَمُدْرَكُون ـ سيهدين ـ العظيم ـ الآخرين ـ أجمعين ـ الآخرين ـ مؤمنين ـ الرحيم ـ إبراهيم ـ تعبدون ـ عاكفين ـ تَدْعُون ـ يَضُرُّون ـ يفعلون ـ تعبدون ـ الأقدمون ـ العالمين ـ يهدين ـ ويسقين ـ يشفين ـ يُحْيِين ـ الدين ـ بالصالحين ـ الآخرين ـ النعيم ـ الضالين ـ يبعثون ـ بنون ـ سليم ـ للمتقين ـ للغاوين ـ تعبدون ـ ينتصرون ـ والغاوون ـ أجمعون ـ يختصمون ـ مبين ـ العالمين ـ المجرمون ـ شافعين ـ حميم ـ المؤمنين ـ مؤمنين ـ الرحيم ـ المرسلين ـ تتقون ـ أَمِين ـ وأطيعون .

العالمين ـ وأطيعون ـ الأرذلون ـ يعملون ـ تشعرون ـ المؤمنين ـ مبين .

المَرْجومين ـ كَذَّبُونِ ـ المؤمنين ـ المشحون ـ الباقين ـ مؤمنين ـ الرحيم ـ المرسلين ـ تتقون ـ أَمِين ـ وأطيعون ـ العالمين ـ تَعْبثُون ـ تخلدون ـ جبأرين ـ وأطيعون ـ تعلمون ـ وبنين ـ وعيون ـ عظيم ـ الواعظين ـ الأوّلين ـ بمعذّبين ـ مؤمنين ـ الرحيم ـ المرسلين ـ تتقون ـ أَمِين ـ وأطيعون ـ العَالَمين ـ آمنين ـ وعيون ـ هضيم ـ فارهين ـ وأطيعون ـ المسرفين ـ يُصْلِحون ـ الْمُسَحَّرِين ـ الصادقين ـ معلوم ـ عظيم ـ نادمين ـ مؤمنين ـ الرّحيم ـ المرسلين ـ تتقون ـ أمين ـ وأطيعون ـ العالمين ـ العالمين ـ عادون ـ المخرجين ـ القالين ـ يعملون ـ أجمعين ـ الغابرين ـ الآخرين ـ المنذرين ـ مؤمنين ـ الرحيم ـ المرسلين ـ تتقون ـ أَمِين ـ وأطيعون ـ العالمين .

الْمُخْسِرين ـ المستقيم ـ مفسدين ـ الأوّلين ـ الْمُسَحَّرِين ـ الكاذبين ـ الصادقين ـ تعملون ـ عظيم ـ مؤمنين ـ الرحيم ـ العالمين ـ الأمين ـ المنذِرين ـ مبين ـ الأوّلين ـ إسرائيل ـ الأعجمين ـ مؤمنين ـ المجرمين ـ الأليم ـ يشعرون ـ مُنْظَرُون ـ يستعجلون ـ

سنين - يُوعَدون - يُمَتَّعُون - منذِرون - ظالمين - الشياطين - يستطيعون - لَمَعْزُولون - المعذَّبين - الأقربين - المؤمنين - تعملون - الرحيم - تقوم - في الساجدين - العليم - الشياطين - أثيم - كاذبون - الغاوون - يهيمون - يفعلون - ينقلبون .

سورة النمل

مكية .

وحروفها : أربعة آلاف وسبعمائة وسبعون .

وكَلِمُها : ألف ومائة وتسع وأربعون .

وآيها تسعون . وثلاث كوفى ، وأربع بصرى وشامى ، وخمس حرمى .

خلافها ثنتان : « بأس شديد » حرمى . « من قوارير » غير كوفى .

وفيها مشبه الفاصلة ثلاثة : « طس » . « غير بعيد » . « وما يشعرون » . ورَوِيُّها « مَن » وفواصلها :

مبين - للمؤمنين - يوقنون - يعمهون - الأخْسرون - عليم - تَصْطَلُون - العالمين - الحكيم - المرسلون - رحيم - فاسقين - مبين - المفسدين - المؤمنين - المبين - يوزعون - يشعرون - الصالحين - الغائبين - مبين - يقين - عظيم - يهتدون - تعلنون - العظيم .

الكاذبين - يرجعون - كريم - الرّحيم - مسلمين - تشهدون - تأْمُرين - يفعلون - المرسلون - تفرحون - صاغرون - مسلمين - أمين - كريم - يهتدون - مسلمين - كافرين - العالمين - يختصمون - ترحمون - تفتنون - يُصْلِحُون - لَصادقون - يشعرون - أجمعين - يعلمون - يتقون - تُبْصِرُون - تجهلون .

يتطهرون - الغابرين - المنذَرين - يشركون - يعدلون - يعلمون - تَذَكَّرُون - يُشركون - صادقين - يبعثون - عمُون - لمخرجون - الأوّلين - المجرمين - يمكرون - صادقين - تستعجلون - يشكرون - يعلنون - مبين - يختلفون - للمؤمنين - العليم - المبين - مدبرين - مسلمون .

يوقنون - يُوزَعون - تَعملون - ينطقون - يؤمنون - داخرين - تفعلون - آمنون - تعملون - المسلمين - المُنْذِرين - تعملون .

سورة القصص

مكية إلاّ « إن الذى فرض » قال يحيى بن معاذ : جاء جبريل إلى النبى عليه السلام - لمّا هاجر وهو بالجحفة ، فقال : يا محمد أتشتاق إلى بلدك التى ولدت فيها ؟ فقال : نعم ، فقال له : إن الذى فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد .

وحروفها : خمسة آلاف وثمانمائة .

وكَلِمُها : ألف وأربعمائة وإحدى وأربعون .

وآيُها : ثمان وثمانون متفقة الإجمال .

وخلافها أربع : « طسم » كوفى ، « من النّاس يسقون » غيره ، « على الطين » . حمصى ، « فأخاف أن يقتلون » غيره .

ونظيرتها فى الكوفى ، « ص » والشامى « الزخرف » .

وفيها مشبه الفاصلة موضع : « امراتين تذودان »

وعكسه موضع : « من خير فقير » ورويّها (لم نر).

وفواصلها :

طسم - المبين - يؤمنون - المفسدين - الوارثين - يحذرون - المرسلين - خاطئين - يشعرون - المؤمنين - يشعرون - ناصحون - يعلمون - المحسنين - مبين - الرحيم - للمجرمين - مبين - المصلحين - الناصحين - الظالمين - السبيل - كبير - فقير - الظالمين - الأمين - الصالحين - وكيل .

تصطلون - العالمين - الآمنين - فاسقين - يقتلون - يُكَذِّبون - الغالبون - الأوّلين - الظالمون - الكاذبين - يُرْجعون - الظالمين - يُنْصَرون - المقبوحين - يَتَذَكَّرون - الشاهدين - مرسلين - يَتَذَكَّرون - المؤمنين - كافرون - صادقين - الظالمين .

يَتَذَكَّرون - يؤمنون - مسلمين - ينفقون - الجاهلين - بالمهتدين - يعلمون - الوارثين - ظالمون - تعقلون - المحضَرين - تزعمون - يعبدون - يهتدون - المرسلين - يتساءلون - المفلحين - يشركون - يعلنون - تُرْجَعُون - تسمعون - تُبْصِرون - تشكرون - تزعمون - يفترون .

الفرحين - المفسدين - المجرمون - عظيم - الصابرون - المنتصرين - الكافرون - للمتقين - يعملون - مبين - للكافرين - المشركين - ترجعون .

سورة العنكبوت

مكية .

قال قتادة : إلا عشراً من أولها إلى « وليعلَمن المنافقين » .

وحروفها : أربعة آلاف وخمسة وتسعون .

وكلمها : سبع مائة وثمانون .

وآيُها تسع وستون . غير حمصى ، وتسعون فيه .

خلافها خمس : « الم » كوفى ، « وتقطعون السبيل » حرميّ وحمصيّ ، وكل عده بالفرقان والأحزاب إلا الزخرف . « له الدين » بصرى ودمشقى « أفبالباطل يؤمنون » حِمْصى ، وقال الصيدلانى : « وفى ناديكم المنكر » مدنى أوّل . بخلف، ورَوِيُّهَا (نمر)

وفواصلها : الم - يفتنون - الكاذبين - يحكمون - العليم - العالمين - يعملون - تعملون - الصالحين - العالمين - المنافقين - لكاذبون - يفترون - ظالمون - للعالمين - تعلمون - ترجعون - المبين - يسير - قدير - تقلبون - نصير - أليم - يؤمنون - ناصرين .

الحكيم - الصالحين - العالمين - الصادقين - المفسدين - ظالمين - الغابرين - الغابرين - يفسقون - يعقلون - مفسدين - جاثمين - مستبصرين - سابقين - يظلمون - يعلمون - الحكيم - العالمون - للمؤمنين - تصنعون .

مسلمون - الكافرون - المبطلون - الظالمون - مبين - يؤمنون - الخاسرون - يشعرون - بالكافرين - تعملون - فاعبدون - ترجعون - العاملين - يتوكلون - العليم - يؤفكون - عليم - يعقلون - يعلمون - يشركون - يعلمون - يكفرون - للكافرين - المحسنين .

يتبع ،

من أدب القرآن
فى سورة الحجرات

من ادب القرآن فى سورة الحجرات
قال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىِ اللهِ وَرَسُولِهِ واتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ .. ﴾ الآيات

البيـــان

اختار الله رسوله الخاتم للرسالات والنبوات من العرب ، لأنهم من ولد إسماعيل عليه السلام ، ولأن فيهم شرف الكلمة وصدق الوعد والشجاعة والنخوة والمروءة .

وقد بعثه سبحانه لكى يبلغ شريعة الله للعالمين ، وليكون قوله الفصل فيما يختلف فيه الناس ، وليكون قدوة وإماما لأمته ، يتبعونه ولا يبتدعون ، ويتأسَّوْن به ولا يتقدمونه .

ومع ما للعرب من مكارم ففيهم جفاء وخشونة وغلظة فى الخطاب .

وقد بقيت فيهم هذه الصفات بعد أن شرفهم الله بالإسلام ، فلذا كانوا يرفعون أصواتهم فى خطابهم لرسول الله ، أو فى حديث بعضهم مع بعض امامه ، وكانوا يخاطبونه باسمه مجرداً من وصف النبوة احياناً ، كما أن فيهم وفى غيرهم اعتزازا بآرائهم وتمسكا بها ولو كان الصواب عند غيرهم ، وفيهم عادات تتنافى مع مكارم الأخلاق وتدفع إلى الخصومة ، وفيهم الترفع بالأحساب والأنساب ، وغير ذلك من العادات والأخلاق ، فأنزل الله « سورة الحجرات » ليتعلموا منها مكارم الأخلاق والآداب ، وليتجنبوا ما يخالفها .

سبب نزول هذه الآية

اختلفت الروايات فى سبب نزول هذه الآية التى نحن بصددها .

فقد روى الواحدى بسنده عن ابن جُريج قال : حدثنى ابن ابى مُلَيْكَة أن عبد الله بن الزبير أخبره أنه قدم ركب من بنى تميم على رسول الله - ﷺ - ، فقال أبو بكرٍ : أمِّر القعقاع بن معبد ، وقال عمر : أمِّر الأقرع بن حابس ، فقال أبو بكر : ما أردت إلا خلافى ، وقال عمر : ما أردتُ خلافك ، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما ، فنزل فى ذلك قوله تعالى . ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىِ اللهِ

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

وَرَسُولِهِ . . ﴾ إلى قوله ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ . . ﴾ ورواه البخارى عن محمد بن الصباح .

وروى المهدوى بسنده : أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أراد أن يستخلف على المدينة رجلاً إذا مضى إلى خيبر ، فأشار عليه عمر برجل آخر ، فنزل ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ .

وذكر الماوردى عن الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما (أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أَنْفَذَ أربعة وعشرين رجلاً من أصحابه إلى بنى عامر فقتلوهم ، إلا ثلاثة تأخروا عنهم فسلموا وانكفئوا إلى المدينة ، فلقوا رجلين من بنى سليم فسألوهما عن نسبهما ، فقالا من بنى عامر لأنهم أعز من بنى سليم فقتلوهما ، فجاء نفر من بنى سليم إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا : إن بيننا وبينك عهدا وقد قتل مِنَّا رجلان ، فوداهما النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمائة بعير فى قتلهم الرجلين) .

وقال قتادة : إن ناسا كانوا يقولون : لو أُنْزِل فىَّ كذا أو انزل فىَّ كذا فنزلت هذه الآية .

وقال ابن عباس : نُهوا أن يتكلموا بين يدى كلام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وقال مجاهد : لا تفتاتوا[1] على الله ورسوله حتى يقضى الله على لسان رسوله . ذكره البخارى .

وقال الحسن : نزلت فى قوم ذبحوا أضحيتهم قبل أن يصلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلاة عيد النحر ، فأمرهم أن يعيدوا الذبح .

وقال ابن جريج : لا تقدموا أعمال الطاعات قبل وقتها الذى أمر الله تعالى به ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

رأينا فى هذه الأقوال

ينقسم ماذكر قسمين :

(أحدهما) أحداث نزلت من أجلها الآية .

(وثانيهما) آراء قالها أصحابها فى معناها .

فأما الأحداث التى نزلت من أجلها الآية فلا أرى مانعا من أن يكون مجموعها تقدم نزول الآية ، فنزلت الآية بشأنها جميعا ، ليلتزم أصحابها الأدب مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأما الآراء التى قيلت فى معناها ، فهى كلها صحيحة تدخل تحت عمومها .

(١) أى لا تستبدوا برايكم .

ويقول بعض العلماء : لعلها نزلت من غير سبب ، لتكون دستوراً للمسلمين في أعمالهم ، فلا يقدموا طاعة عن وقتها ، ولا يخالفوا عمل الرسول أو قوله فيها ، فهو إمام أمته وأسوتها ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً ﴾ .

ويدخل في عموم الآية كما قال ابن كثير : حديث معاذ : قال له النبي - صلى الله عليه وسلم - حين بعثه إلى اليمن « بِمَ تحكم » ؟ قال : بكتاب الله ، قال « فإن لم تجد » ؟ قال بسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، قال : « فإن لم تجد » ؟ قال : أجتهد رأيي ، فضرب في صدره وقال : « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله » .

مايفهم من الآية

يفهم من الآية أن كل عبادة مؤقتة بوقت لا يجوز تقديمها عليه ، كالصلاة والصوم والحج ، وتعتبر الآية أصلا في ترك التعرض لأقوال النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وإيجاب اتباعه وعدم مخالفته ، ولذا قال النبي - ﷺ - في مرض موته « مُرُوا أبا بكرفليصل بالناس » .

فقالت عائشة لحفصة رضي الله عنهما : قولي له : إن أبا بكر رجل أَسِيفٌ - أي سريع البكاء - وإنه متى يقم مقامك لا يُسْمِع الناس من البكاء ، فمُرْ عمر فليصل بالناس ، فقال صلى الله عليه وسلم : مُرُوا أبا بكر فليصل بالناس .

واختلف في تقديم الزكاة عن وقت وجوبها ، فأجازه قوم ، وبه قال أبو حنيفة والشافعي ومنعه قوم ومنهم أشهب ، فلا تقدم عندهم على وقتها لحظة واحدة .

وقد اعتمد الذين أجازوا تقديمها على فعل النبي - ﷺ - ، فقد استعجل من العباس صدقة عامين ، ولأنه - ﷺ - قد أقر جمع زكاة الفطر قبل يوم الفطر حتى تعطى لمستحقيها يوم الوجوب ، وهو يوم عيد الفطر .

وبهذا القول نقول : فيجوز إعطاء الزكاة قبل تمام الحول ، فإذا حال الحول وقد نقص المال فما دفعه من الزيادة عن الواجب عليه يعتبر صدقة تطوع ، وإذا زاد كما في عروض التجارة فإنه يستكمل الزكاة بإخراج نصيب هذا القدر الذي زاد .

وقد ختم الله الآية بالتحذير من مخالفة هذا النهي فقال : ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ أي خافوا الله واجعلوا لأنفسكم وقاية من عقابه ، فإنه سميع لأقوالكم عليم بها وبأعمالكم ، فيجزيكم الجزاء اللائق بامتثالكم ومخالفتكم .

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ ﴾ .

سبب نزول الآية

تعددت الروايات في سبب نزول هذه الآية كما يلي :

روى البخارى والترمذى عن أبى مُلَيْكَة قال : (حدثنى عبد الله بن الزبير أن الأقرع بن حابس قدم على النبي ـ ﷺ ـ ، فقال أبو بكر : يارسول الله ، استعمله على قومه ، فقال عمر : لا تستعمله يارسول الله ، فتكلما عند النبى ـ ﷺ ـ حتى ارتفعت أصواتهما ، فقال أبو بكر لعمر : ما أردت إلا خلافى ، فقال عمر ما أردت خلافك ـ قال ـ فنزلت هذه الآية :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ . .

قال فكان عمر بعد ذلك إذا تكلم عند النبى صلى الله عليه وسلم لم يسمع كلامه حتى يستفهمه ، قال ـ أى أبو مليكة ـ وما ذكر ابن الزبير جَدَّه ـ يعنى أبا بكر ، فقد كان والد أمه أسماء ذات النطاقين .

وهذه الرواية قد سبق مثلها فى أسباب الآية التى قبلها ، فتكون قصة أبى بكر وعمر من أسباب نزول الآية ..

ويلاحظ على هذه الرواية أن الذى اقترح الأقرع بن حابس هو أبو بكر ، في حين أن الرواية السابقة تفيد أنه اقترح تأمير القعقاع ابن معبد ، وأن الذي اقترح تأمير الأقرع بن حابس هو عمر ، وعلى أى حال فالواقعة صحيحة ، وإن اختلفت الروايتان فى الشخص الذى اقترح كل منهما تأميره .

وروى الإمام أحمد بسنده عن انس قال : (لما نزلت هذه الآية : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ . . ﴾ إلى ﴿ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ وكان ثابت بن قيس رفيع الصوت ، فقال : أنا الذى كنت أرفع صوتى على رسول الله ـ ﷺ ـ أحبط عملى أنا من أهل النار ، وجلس فى أهله حزيناً ، ففقده رسول الله ـ ﷺ ـ فانطلق بعض القوم إليه ، فقالوا له : تفقدك رسول الله ـ ﷺ ـ : مالك ؟ قال : أنا الذى أرفع صوتى فوق صوت النبى ـ ﷺ ـ وأجهر له بالقول ، حبط عملى . أنا من أهل النار ، فأتوا النبى ـ ﷺ ـ فأخبروه بما قال ، فقال : « لا . بل هو من أهل الجنة » قال أنس ، فكنا نراه يمشى بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة ، فلما كان يوم اليمامة كان فينا بعض الانكشاف ، فجاء ثابت بن قيس بن شماس وقد تحنط ولبس كفنه وقال : بئسما تعودون أقرانكم ، فقاتلهم حتى قتل ، وقد جاءت قصته فى الصحيحين عن أنس نحو هذه الرواية ..

وقال عطاء الخراسانى : حدثتنى ابنة ثابت بن قيس قالت : لما نزلت ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ . . ﴾ الآية ، دخل أبوها بيته وأغلق عليه بابه ، ففقده النبى ـ ﷺ ـ فأرسل إليه يسأله ما خبره ، فقال : أنا رجل شديد الصوت وأنا أخاف أن يكون حبط عملى ، فقال ـ ﷺ ـ لست منهم ، بل تعيش بخير » قالت : ثم أنزل الله ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ . فأغلق بابه وطفق يبكى ، ففقده النبى ـ ﷺ ـ فأرسل إليه فأخبره ، فقال : يا رسول الله : إنى أحب الجمال وأحب أن أسود قومى ، فقال : « لست منهم ، بل تعيش حميداً ، وتقتل شهيداً ، وتدخل الحنة ،

ـ قالت ـ فلما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد إلى مسيلمة [٢]، فلما التقوا انكشفوا ، فقال ثابت وسالم مولى أبى حذيفة : ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ـ ﷺ ـ ثم حفر كل واحد منهما له حفرة فثبتا وقاتلا حتى قُتلا ، وعلى ثابت يومئذ درع له نفيسة ، فمر به رجل من المسلمين فأخذها ، فَبَيْنَا رجل من المسلمين نائم أتاه ثابت في منامه فقال له : أوصيك بوصية فإياك أن تقول : هذا حلم فتضيعه ، إنى لما قُتِلت أمس مَرَّ بى رجل من المسلمين فأخذ درعى ، ومنزله فى اقصى الناس ، وعند خبائه فرس تَسْتَنُّ فى طِوَلَه[٣] ، وقد كفأ على الدرع بُرْمَة ، وفوق البرمة رحل ، فائت خالد بن الوليد فمره أن يبعث إلى درعى فيأخذها ، وإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله ـ ﷺ ـ يعنى أبا بكر ـ فقل له : إن علىَّ من الدين كذا وكذا ، وفلان من رقيقى عتيق وفلان ، فأتى الرجل خالداً فأخبره ، فبعث إلى الدرع فأتى بها ، وحدث أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته ـ قال ـ ولا نعلم أحداً أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت رحمه الله ، ذكره أبو عمرو فى الاستيعاب ، وذكره مسلم كذلك .

رأينا فى أسباب النزول

لا نرى مانعا من أن تكون الآية نزلت بسبب رفع الصوت على رسول الله ـ ﷺ ـ من كل من أبى بكر وعمر وثابت بن قيس ، لتكون قاعدة عامة فى مخاطبة النبى ـ ﷺ ـ منهم ومن غيرهم ، توقيراً للنبى ـ ﷺ ـ ورفعا لمقامه فوق كل مقام .

وكل ما حدث من رفع الصوت على الرسول ـ ﷺ ـ قبل نزول هذه الآية لاعقاب عليه ، فلما نزلت وجب الالتزام بها .

نبذة عن ثابت بن قيس

ثابت بن قيس هذا هو ابن شماس الخزرجى ، ويكنى بأبى محمد ـ ابنه ـ قتل له يوم الحرة ثلاثة أولاد محمد ويحيى وعبد الله ، والحرة أرض بظاهر المدينة ، وبها كانت الواقعة التى حدثت فى سنة ثلاث وستين من الهجرة ، أيام يزيد بن معاوية ، الذى جعل المدينة نهبا لعسكره من الشام ، الذين جاء بهم لكى يقاتلوا أهلها من الصحابة والتابعين ، وأمّر عليهم مسلم بن عقبة المُرِّىّ ، وسوف يجزيهم الله تعالى بسوء ما صنعوا .

وكان ثابت هذا خطيباً بليغاً ، وكان يقال له : خطيب رسول الله ـ ﷺ ـ كما كان يقال لحسان بن ثابت شاعر رسول الله ـ ﷺ ـ

ولما قدم وفد بنى تميم على رسول الله ـ ﷺ ـ وطلبوا المفاخر ، قام خطيبهم فافتخر ثم قام ثابت فخطب خطبة بليغة فغلبهم ، وقام شاعرهم وهو الأقرع بن حابس فقال :

أتيناك كيما يعرف الناس فضلنا
إذا خالفونا عند ذكر المكارم

---

(٢) هو مسيلمة الكذاب الذى ادعى النبوة ، وكان خالد قائداً للجيش الذى يقاتله .

(٣) أى وعند خيمته فرس مربوط بحبل طويل يمرح فيه فى المرعى .

وأنـا رءوس النـاس من كـل معشر
وأن ليس في أرض الحجـاز كـدارم
وأن لنـا المـربـاع في كـل غـارة
تكـون بنجـد او بـارض التهـائم

والمراد بأرض التهائم الحجاز ، وقد رد عليه حسان ابن ثابت فقال :

بنـي دارم لاتفخـروا إن فخـركـم
يـعـود وبـالا عنـد ذكـر المكارم
هَبِلْتُـم علينـا تفخـرون وأنتمـو
لنـا خَـوَلٌ مـا بـين ظئـر وخـادم(٤)

معنـى الآيـة

ياأيها الذين آمنوا بالله ورسوله عظموا رسول الله إذا حدثتمـوه ، فلا تـرفعوا أصواتكم فوق صوته فإذا نطق ونطقتم ، فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته ، وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه غالباً لكلامكم ، وجهره باهراً لجهركم ، حتى تكون مزيته عليكم واضحة ، وسابقة ظاهرة ، وامتيازه بينا ، فلا تغمروا صوته بلفظكم ، وتبهروا منطقه بصخبكم ، ولا تخاطبوه بيامحمد وياأحمد ، ولكن قولوا يا نبي الله أو يارسول الله ، افعلوا ذلك لئلا يتأذى الرسول نفسياً بلفظكم ورفع أصواتكم واجتنابكم أسلوب التوقير له ، فتحبط أعمالكم ويضيع ثوابكم وأنتم لا تشعرون بذلك في دنياكم ، بل تعلمونه في أخراكم حيث حبطت أعمالكم وإذا وصل الجهر بالصوت إلى حد الاستخفاف والاستهانة فذلك كفر والعياذ بالله .

فالغرض من الآية أن يكون صوت المؤمن عند خطابه لرسول الله - ﷺ - خفيضاً مناسباً لمقامه وهيبته ، لكن بحيث يسمعه النبي - ﷺ - .

ولا يتناول النهي رفع الصوت الذي لا يتأذى به الرسول ، وهو ما كان منهم في حرب أو مجادلة معاند أو إرهاب عدو أو ما أشبه ذلك .

وقد أثنى الله على من يخفضون أصواتهم عند رسول الله - ﷺ - ووعدهم المغفرة والأجر العظيم فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ أي إن الذين يخفضون أصواتهم عند رسول الله - ﷺ - حين يكلمونه أو يكلمون غيره بين يديه إجلالاً له ، أولئك الذين أخلص الله قلوبهم للتقوى ، لهم مغفرة لذنوبهم وأجر عظيم على خفض أصواتهم عنده .

ولفظ امتحن مأخوذ من قولهم : امتحنت الفضة ، أي اختبرتها حتى خلصت .

وروي عن أبي هريرة أنه قال : (لما نزلت ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ ﴾ قال أبو بكر : والله لا أرفـع صوتي إلا كـأخ السِّرار) أي إلا كصاحب المسارة .

وقال عبد الله بن الزبير (لما نزلت : ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ ﴾ ما حدث عمر عند النبي - ﷺ - بعد ذلك فسمع كلامه حتى يستفهمه مما يُخفِّض فنزلت ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ والله تعالى أعلم . «يتبـــع »

---

(٤) هَبِلْتُم أي قدمتم مجتمعين ، والخَوَلُ : حَشَم الرجل وأتباعه ، والظئر : المرضع .

الخير في خشية الله

قال رسـول الله - صلى الله عليـه وسـلم :
(إِنَّكَ لن تَـدَعَ شـيئًا اتقـاءَ اللهِ إِلَّا آتـاك اللهُ خيرًا منه) •
رواه الامام أحمـد

البيـــــان

خشـية الله تسـمو بالانسان الى كل خير :

خشية الله ، والخوف منه ، من الدعـائم التى قامت عليها الحياة الروحية التى تسـمو بالانســان الى كل خير • لذلك جاءت الأديان تسعى لغرس هذه الصفة فى نفوس الأفراد ، ولولا خشـية الله لاسـترسل النـاس فى شرورهم ، وانكبوا عـلى شـهواتهم ، واذا ما اتقى الانســان ربه ، ارتقى الى مصـاف الملائكة وبلغ مرتبة السمو ، ونال رضا الله ، وصـار من المتقين الـذين رضى الله عنهم ، ورضوا عنه ، وصار المجتمع مجتمعا طـاهرا نقيـا صـافيا قـويا ، مؤيـدا بنصر الله ، واستحق معية الله •

العبد اذا رق قلبه خشى ربه :

ان العبد اذا رق قلبه خشى ربه ، وراقبـه فى السر والعلانية وصدق الله فى كل ما يصدر عنـه ، وسـار وفق منهـج الله وشريعته •

ومن كانت هـذه حـاله فان الله سبحانه وتعالى يتولاه برعايتـه وتوفيقـه ، وعاش هادىء النفس مستريح الضمير •

ولهذا كانت الخشية فى مقام الاحسـان ؛ وهو أن تعبد الله كأنك تراه ، فـان لم تكن تراه فانه يراك •

والخشية من صفات العلماء « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » فاطر — ٢٨ •

والخشية من صـفات الأتقياء المـؤمنين ، الذين رضى الله عنهم ، ورضوا عنـه :

« إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ . جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُ » سورة البينة — ٧ ، ٨ •

من اتقى الله ترك محارمه :

من اتقى الله ترك محارمه ، ومن ترك محارم الله اتقاء له آتاه الله خـيرا ، وآجـره الله بكرمه •

للأستاذ محمد صابر البرديسي

قال — تعالى : —

« **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ** » سورة النور — ٥٢ .

والتقوى أعم من الخشية ، فهى مراقبة الله والشعور به عند الصغيرة والكبيرة ، والتحرج من اتيان ما يغضب الله ويكرهه توقيرا لذاته تعالى — واجلالا له وحياء منه الى جانب الخوف والخشية .

وقد وعد الله أولئك بأنهم هم الفائزون ، ولن يخلف الله وعده لهم ، وهم للفوز أهل ، فقد ساروا على النهج القويم الذى رسمه من طاعة وخشية وتقوى .

وخشية الله وتقواه هى الحارس الذى يكفل الاستقامة على النهج ، واغفال المغريات التى تحيط بهم من كل جانب ، وترك الشهوات التى تدفعهم الى ارتكاب المحرمات ، لأن النهج الالهى أمامهم واضح مستقيم ، فلا ينحرفون ولا يلتفتون ، ولا تتوزع طاقاتهم ، ولا يمزقهم الهوى ولا يتخبطون .

وترك المؤمن الشهوات والمحرمات اتقاء له ينبىء عن مدى اشراق القلب بنور الله

واتصاله به ، وشعوره بهيبته ، كما ينبىء عن عزة القلب المؤمن وترفعه عما سوى الله ، فالمؤمن الحق لا يحنى رأسه الا لله الواحد القهار .

وخشية الله وتقواه تهب الشجاعة للانسان ، فتجعله يبدى رأيه بصدق ووضوح فيما يعتقد أنه الحق ، مهما ظن الناس به ، أو تقولوا عليه ، ويرفض العمل بما لا يراه صوابا .

والقرآن يرشد المؤمنين الى التحلى بخشية الله يقول تعالى :

« **فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** » آل عمران — ١٧٥ .

وقال سبحانه « **أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** » التوبة ١٣ .

ويذكر الله صفات المؤمنين بقوله : « **يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ** » المائدة — ٥٤ .

والتاريخ مملوء بالذين أحبوا الحق أكثر من حبهم لأنفسهم ، وضحوا فى سبيله بكل نفيس ، وصبروا وتحملوا الآلام حبا فى الحق .

الخشية مع الأمل :

والخوف والخشية التى ندعو اليها ، لابد أن تكون مقرونة بالأمل والرجاء فى فضل الله ومغفرته ورضوانه ، ففى كل انسان عواطف

وميول للعمل الصالح تشجعها المكافأة الحسنة والوعد الصادق بنيل فضل الله ، وقد وصف الله المؤمنين الصادقين ، بقوله « تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً » السجدة — آية ١٦ •

ان خشية الله المقرونة بالرجاء لهى أقوى المؤثرات فى أعمال الانسان ، فهى التى تربى الضمير الانسانى وتجعله قدوة صالحة فى المجتمع •

ولقد يسمو الرجاء فيكون أملا فى الاستشهاد ورغبة فى لقاء الله وتحملا فى سبيل ذلك لكل صعاب وآلام وأثقال فى هذه الحياة ، بل ربما وجد المؤمن فى ذلك متعة وراحة يستطيبهما •

عن شداد « رضى الله عنه » أن رجلا من الأعراب جاء الى النبى ﷺ فآمن به واتبعه ، ثم قال : أهاجر معك ، فأوصى به النبى ﷺ بعض اصحابه ، فلما كانت غزاة غنم النبى ﷺ فقسم للجند وقسم له ، فأعطى أصحابه فأقسم له — وكان يرعى ظهورهم — فلما جاء دفعوه اليه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا قسم قسمه لك النبى ﷺ فأخذه ، فجاء به الى النبى ﷺ فقال : ما هذا ؟ قال : قسمته لك ، قال : ما على هذا اتبعتك ، ولكن اتبعتك على أن أرمى ها هنا (وأشار الى حلقه) بسهم فأموت فأدخل الجنة ، فقال له الرسول ﷺ « ان تصدق الله يصدقك » فلبثوا قليلا ثم نهضوا الى قتال العدو ، فأتى به النبى ﷺ — يحمل — وقد أصابه سهم حيث أشار ، فقال النبى ﷺ أهو هو ؟ قالوا : نعم ، قال النبى ﷺ صدق الله فصدقه » ثم كفنه النبى ﷺ فى جبته التى عليه ، ثم قدمه فصلى عليه ، وقال فى صلاته : « اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا فى سبيلك فقتل شهيدا ، وأنا شهيد على ذلك) رواه النسائى •

لقد أعلن هذا الصحابى الجليل بأنباع نفسه ابتغاء رضوان الله وكان كل أمله أن يفوز بالشهادة ويدخل الجنة ، وكان صادقا مخلصا فى قوله ، فصدقه الله ، وحقق أمنيته وفاز برضوان الله وجنته وشهد على ذلك الرسول ﷺ •

وهكذا كل انسان ينسجم قوله مع عمله وعقيدته يثيبه الله ، ويحقق له رجاءه ، ويدخله الجنة بفضله وكرمه •

ثمرات التقوى :

من ترك شهوته مخافة الله ، وخشية من عقابه وامتنع عن المعصية اتقاء الله ، ورغبة فى رضوانه ، وأنه تعالى مطلع على سر نفسه ، فلا جرم أنه يحدث له من تكرار هذا الاتقاء ملكة مراقبة الله تعالى وخشيته ويكتسب بهذه الملكة الحياء من الله ، فلا يحب أن يراه الله حيث نهاه ، وتصبح لديه القدرة على ترك ملذات الحرام ، وبذلك يصبح خيرا فى كل أعماله ، ويثاب على تقواه واخلاصه فى أفعاله •

ومن ثمرات التقوى أنها تجعل الانسان فى أمن من الخوف والحزن يوم القيامة ويفوز بالنصر والتوفيق فى هذه الحياة ، قال تعالى :

« أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ » يونس ٦٣ ، ٦٤ .

ومن ثمراتها الثواب العظيم والنعيم فى الآخرة ، قال تعالى :

« لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ » آل عمران — ١٥ .

ويذكرها القرآن فى معرض تفريج الأزمات وحل المشكلات ، قال تعالى :

« وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ » الطلاق — ٢ ، ٣ .

ويقول تعالى « وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا » الطلاق — ٤ .

ومن ثمرات التقوى تنوير البصيرة ، وحلول الهداية فى قلب الانسان بحيث يفرق بين الحق والباطل ، واختيار طريق النجاة .

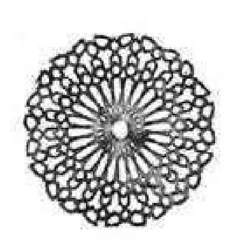
هذه هى التقوى ، وهذه صفات المتقين وثمراتها فى الأفراد والجماعات وقد أولاها القرآن عناية فائقة ودعا اليها كما جاء فى هذه الآية التى تدل على عمق الروحية الاسلامية قال تعالى :

« وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى » البقرة — ١٩٧ .

ولو أن العالَمَ عرف التقوى وقام بواجبها لانطفأت سورة الشر وساد السلام ، وكانت الأرض كلها وكأنها جنة .

نسال الله أن يوجه المسلمين لما فيه خيرهم وفلاحهم .

محمد صابر البرديسى





خطة مقترحة لتكوين

الداعية المفتي

من شأن المجتمع الإسلامى أن يكون وقافا عند حدود الله ، يحرص أفراده على معرفة أحكام الله حتى لا يتجاوز ما يحل له إلى ما يحرم عليه ، وحتى لا تغربه مشتبهات المسائل بالوقوع فى المحظور ، ولأن الفرد ليس عنده من الوقت ما ينفقه لتعلم العلم من أصوله ، حتى يتوصل بذلك لما يعرض له فى حياته من فروع فهو كثيراً ما يتردد على شيخ الدائرة ، أو على فقيه المحلة ، أو خطيب المسجد وإمامه يسأله عن كل ما يصادفه فى حياته من أمور .

ولقد كانت المدن والقرى ، بل وكثير من الأسر يتباهون بأن يكون عندهم من العلماء المفتين الذين يعتمد عليهم ويركن إليهم فى علمهم وفقههم ، ومن يرجع إليهم الناس فى شئون حياتهم يطلبون حكم الإسلام فيها فيطمئنون إلى علمهم وحسن تصرفهم فيما آتاهم الله من هذا العلم .

ثم جد على الناس زمان صرفتهم فيه الصوارف من زينة هذه الحياة الدنيا وما فيها من لهو ومتاع ، وشغلتهم الشواغل من فتنة هذه الدنيا ، وما فيها من محن وبلايا ، فانصرفوا عن التردد على العلماء فى طلب الأحكام وركن العلماء إلى الدعة والخمول فثبطت حدة أذهانهم ، وصدئت صفحة مرآتهم فلم يعودوا على المستوى العام يشتغلون بما كانوا يشتغلون به من قبل ، من جمع المسائل ، والمقارنة بينها ، ووضعها بإزاء الأحكام التى يطلبها طلاب الفتوى .

ورغم ذلك فإن دورات الفترة والنشاط تتعاقب ، ويبدو أن دورة الفترة قد بدأت تعقب نشاطا جديداً ، حيث عاد المجتمع الإسلامى يسترد أصالته ، ويبحث عن أسباب عافيته وقوته فى عناصر شريعته وما فيها من أحكام وقيم ، فينبغى أن يكون علماؤنا ودعاتنا أكفاء لهذه الصحوة يتجاوبون معها علما وتوجيها ، وقيادة وريادة .

وليس من المعقول ، بل ولا من الممكن عمليا ، أن ينصرف جميع المسلمين إلى تحصيل الأدوات العلمية التى يتمكن بها كل منهم من الاجتهاد ، حتى يستغنى بذلك عن طلب الفتوى من غيره من العلماء ، فإن هذا

للأستاذ الدكتور عبد الفتاح بركة

يصرف الناس عن وجوه العمل التى يحتاجها المجتمع ، وانصراف الناس جميعاً إلى هذه الوجوه لا يوفر العلماء اللازمين لسد حاجة المجتمع من الفتاوى ، مصداق ذلك فى كتاب الله قوله تعالى : (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فى الدِّينِ ، وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُون) ـ التوبة ـ(١٢٢) .

لهذا وجب أن تتوافر طائفة خاصة فى كل مجتمع لتحصيل الأدوات العلمية اللازمة التى تمكنها من سد حاجة الناس إلى هذه الأحكام فيما ينزل بها أو بأفرادها من نوازل وأحداث .

وقد يكون من هذه الطائفة من يصل إلى رتبة الاجتهاد المطلق ، وهو أمر حسن نتمنى أن يكثر ويزداد ، ولا خلاف فى أنه أكثر العلماء صلاحية للفتوى وللإفتاء ، ولكن مثل هذه المرتبة ـ خاصة فى عصرنا الذى كثرت فيه الشواغل الصارفة ـ عزيز المنال ، ولم ينلها فى العصور المباركة إلا الأفراد القلائل وإلا الواحد بعد الواحد ، وأولى أن لا ينالها فى عصورنا هذه إلا أقل القليل ، والأحداث والنوازل لا تتوقف فى المجتمعات انتظارا لبروز مثل هذا المجتهد المطلق وظهوره ، ولكنها تلح فى التوالى والتتابع ، وأهلها يلحون فى المطالبة بمعرفة الأحكام ، لهذا لا ينبغى أن نتشدد فى شروط الداعية المفتى إلى هذا **الحد** ـ مع الحرص على طلب الوصول إليه ـ ولكن ينبغى أن نقنع على المستوى العام بالعمل على إيجاد الداعية المفتى والمجتهد فى مذهب معين .

وقد نُقِلَ عن العلامة الدهلوى فى رسالة « عقد الجيد » أن الرافعى والنووى وغيرهما ممن لا يحصون كثرة قد صرحوا بأن المجتهد المطلق قسمان : مستقل ومنتسب ، ويظهر من كلامهم أن المستقل يمتاز بثلاث خصال :

إحداها : التصرف فى الأصول التى عليها بناء مجتهداته .

الثانية : تتبع الآيات والآثار بمعرفة الأحكام التى سبق الجواب فيها ، واختيار بعض الأدلة المتعارضة على بعض ، وبيان الراجح من محتملاته ، والتنبيه لمأخذ الأحكام من تلك الأدلة .

الثالثة : الكلام فى المسائل التى لم يسبق بالجواب فيها ، أخذا من تلك الأدلة والمنتسب من سلم أصول شيخه ، واستعان بكلامه كثيرا فى تتبع الأدلة ، والتنبيه للمآخذ ، وهو مع ذلك مستيقن بالأحكام من قبل أدلتها ، قادر على استنباط المسائل منها .

ثم ذكر أن مرتبة الاجتهاد المطلق المستقل يدخل فيها كل فقهاء الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب المتبوعة ، ومن فى منزلتهم كالثورى ، والأوزاعى والليث .

وإن مرتبة الاجتهاد المطلق المنتسب تشمل أصحاب الأئمة الذين وافقوهم على أصولهم

وكان لهم اجتهادهم واستنباطهم ، كأصحاب أبى حنيفة ، وأصحاب مالك ، وأصحاب الشافعى ، وأصحاب أحمد وغيرهم .

ثم استحسن رأى الشيخين أبى زهرة وخلاف - رحمهما الله - أن مثل أبى يوسف ومحمد وزفر من أصحاب أبى حنيفة لا ينزلون عن مرتبة الاجتهاد المطلق المستقل .

أما الذى هو دون ذلك فهو المجتهد فى المذهب ، وهو مقلد لإمامه فيما يظهر فيه نصه ، ولكنه يعرف قواعد إمامه وما بنى عليه ، فإذا وقعت حادثة لم يعرف لإمامه فيها نصا اجتهد على مذهبه ، وخرجها من أقواله وعلى منواله .

ودونه فى المرتبة : مجتهد الفتيا ، وهو المتبحر فى مذهب إمامه ، المتمكن من ترجيح قول على آخر ، ووجه من وجوه الأصحاب على آخر .

فإذا أضاف إلى حذقه فى مذهب إمامه ، بحيث يتمكن من ترجيح قول على آخر ، حذقه فى المذاهب المتبوعة الأخرى ، كان ذلك أولى وأفضل ، بحيث يستطيع أن يفاضل بين الآراء والأقوال الراجحة فى المذاهب ليأخذ منها فى النهاية أقواها حجة وأرجحها دليلاً وفق معايير الترجيح ، ومنها :

أن يكون القول أليق بزماننا ، وأرفق بأهله ، وأقرب إلى يسر الشريعة ، وأولى بتحقيق مقاصد الشرع ومصالح الخلق ، ودرء المفاسد عنهم .

وهاتان المرتبتان هما اللتان نقصد إليهما حين نرى أننا ينبغى أن نقنع على المستوى العام بالعمل على تكوين الداعية المفتى والمجتهد فى مذهب معين .

بل يمكن أن نتنزل أكثر من ذلك إلى المرتبة التى ذكرها الأستاذ الدكتور عبد الكريم زيدان وهى : أن يكون قادراً على فهم فقه مذهبه مع حفظ لهذا الفقه أو لأكثره ، ويفهم ضوابطه وتخريجات أصحابه ، ويستطيع الرجوع إلى مصادر هذا المذهب ، واشترط أن لا يفتى إلا فى المسائل التى بَيَّنَ أحكامها أصحابُ المذهب والمجتهدون فيه ، وإن كان يفتى فيما يندرج تحت ضابط مفهوم وواضح من ضوابط المذهب .

هذا هو المفتى فى حده الأدنى الذى نطلب وجوده فى الداعية ، والذى نحاول الآن أن نضع خطة لتكوينه لكى يسد تلك الثغرة الواسعة العريضة التى تمتد بامتداد الساحة فى المجتمعات الإسلامية شرقا وغربا .

ولكى نستطيع وضع الخطة اللازمة لتكوينه لابد أن تكون لدينا فكرة واضحة عن شروطه وصفاته « مواصفاته » .

وشروطه الأولية هى : شروط التكليف ، إذ لا يتصور أن يقوم غير المسلم قصداً بالدعوة إلى الإسلام أو بيان حكم الله وشرعه للناس ، وعلى الرغم من بداهة هذا الشرط التى تجعل النص عليه يبدو فى رأى الكثيرين من الزيادة المعلومة ، فإنها لا يستحسن تجاوزها أو تركها ، لأن الإسلام قد ابتلى فى هذه الأيام بكثير من المذاهب الضالة المارقة التى تنتسب إلى الإسلام كيدا له ، ومضرة لأهله ، ويتحدثون باسم الإسلام زوراً وتضليلاً ، كالقاديانية والبهائية وغيرها ، فأتباع هذه

النحل الهدامة ، لا يصح أن يلجأ إليهم مسلم فى طلب الفتوى لمعرفة حكم الله ، لأنه لا ينطبق عليهم الشرط البديهى وهو الإسلام ، وفى ذكرى هذا الشرط مع بداهته فائدة ، لاسيما بالنسبة لأمثال هؤلاء .

كما أن شرط العقل من شروط التكليف ، فهو شرط للمفتى من باب أولى وهناك شروط علمية لابد من ملاحظتها فى المفتى منها :

١- العلم بالقرآن الكريم

بأن يكون للداعية المفتى معرفة عامة بمعانى القرآن ، مع توجيه عناية خاصة للآيات التى يكثر تداولها فى الاستدلال للأحكام ، ومراعاة أن هذه الآيات قد تكون محصورة العدد فى زمن أو عصر معين ، ثم تجد حادثة أو تظهر مسألة تتعلق بها آيات أخرى لم تكن تخطر على بال المجتهدين من قبل فينتبهون لها ، وتصبح بذلك هذه الآيات مما يتداوله الفقهاء فى هذه الموضوعات ، وتدخل بذلك ضمن الآيات التى تحتاج من المفتين إلى توجيه عناية خاصة بها .

وليس من الضرورى - وإن كان من الأولى - أن يحفظ القرآن كله عن ظهر قلب لأن المعاجم المفهرسة اليوم قد أصبحت وسيلة سهلة للباحثين للعثور على مقصودهم من الآيات إلا أن الحفظ عن ظهر قلب مما يمكن صاحبه من استحضار المطلوب فى سهولة ويسر ، وفى سرعة كذلك ، يضاف إلى ذلك أن اشتغال المفتى بمادة الفتوى لابد أن تؤثر فيه ميلا إلى حفظ كتاب الله والمداومة على تلاوته .

ومن العلم بالقرآن الكريم العلم بعلومه ، كأسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ولو بصورة إجمالية ، لأنه لا يشترط فى مجتهد المذهب ما يشترط فى المجتهد المطلق بل يكفى - فى مسألة النسخ مثلاً - أن يعرف معناه ، ووقوعه ، ووجوه الاختلاف فى ذلك ، وبعض أمثلة ، وبخاصة تلك التى تتعلق بها بعض الأحكام الفقهية التى يدرسها فى المذهب .

٢- وكذلك العلم بالسنة

وهى المصدر الثانى - بعد القرآن - للشريعة الإسلامية .

والسنة باب واسع لا تسهل الإحاطة به حتى على المتخصصين ، لذلك اشترط العلماء معرفة الأحاديث التى تتعلق بالأحكام .

وليس من الضرورى - أن يحفظ المفتى الأحاديث عن ظهر قلب ، وإن كان من الأفضل أن يحفظ منها قدراً مناسباً يتعلق بالأحكام ، ويكفيه أن يعرف كيفية الرجوع إلى الأحاديث المطلوبة فى مظانها ومراجعها عند الاحتياج إليها ، ولعل كتب الفهارس وغيرها ، التى ظهرت والتى يمكن أن تظهر بفضل نشاط العلماء والباحثين ، يساعد المفتين على تحقيق علمهم أكبر مساعدة .

ومن العلم بالسنة العلم بعلومها مثل علم مصطلح الحديث ، وذلك لتمييز الصحيح عن الفاسد والمقبول من المردود وليس من الضرورى فى المرتبة التى نتحدث عنها أن يكون فى علمه بها قادرا على تعديل الرواة ، وتحقيق شروط القبول والرد ، وتصحيح الحديث وتضعيفه ، وغير ذلك من علوم

الدراية والرواية ، وإن كان ذلك طيباً ومفيداً ، إلا انه يكفى فى هذه المرتبة أن يكون قادراً على معرفة هذه المصطلحات ، وما يترتب عليها ، وأن يكون قادراً بعد ذلك على الرجوع إلى مراجع هذا الفن لمعرفة الصحيح من الضعيف ، وغيره ، بالنسبة للأحاديث التى يستند إليها ويعتمد عليها فى مذهبه للتوصل إلى استنباط أحكامه ، وهناك كتب خاصة ألفت فى تخريج الأحاديث التى وردت فى كتب الفقه المختلفة ، وهى مفيدة فائدة كبيرة فى هذا الباب .

وكذلك من علوم السنة علم أسباب ورود الحديث ، وناسخه ومنسوخه ولو بصورة إجمالية ، كما سبقت الاشارة إليه بالنسبة للقرآن الكريم .

٣ـ ومن العلوم المطلوبة للمفتى العلم بأصول الفقه

وهو من مفاخر علماء الإسلام وفقهائه الذين ابتكروه لإرساء قواعد الاستنباط من النصوص والاستدلال فيما لا نص فيه .

فعلى فقيه المذهب أن يعرف أصول إمامه وقواعده ، وأن يكون قادراً على فهم فقه مذهبه على أصوله وقواعده التى بنى عليها ، وإن لم يكن قادراً هو على استنباط الأحكام استقلالا بناء على هذه الأصول والقواعد ، لأننا نترخص فى هذه المرتبة ـ كما ذكرنا ـ ما لا نترخص فى المراتب الأعلى للمفتين .

٤ـ ولايستغنى الداعية المفتى عن معرفة إجمالية لمقاصد الشريعة الكلية

لأن ذلك يساعده على فهم مأخذ الأحكام فى مذهب إمامه ، ويساعده على وضع هذه الأحكام فى موضعها عند المستفتين ، وكثيرا ما تلتبس مسائلهم بما يحيط بها من ظروف وأحوال تجعل تطبيق الأحكام بصورة صماء أمرا متعذرا ، وإنما تحتاج إلى كثير من الموازنة والتصرف المناسبين ، وهذا لا يتأتى إلا بمعرفة هذه المقاصد الشرعية التى تدل على رعاية الشريعة للضروريات والحاجيات والتحسينات رعاية تقوم على العدل والتوازن وعلى درء المفاسد والمضار .

يتبع

« تصويب »

فى موضوع « قيام رمضان والتراويح » المنشور فى العدد السابق وردت بالسطر التاسع من صفحة ١٢٠٥ عبارة « لانه من حديث ابن ابى شيبة يتفق مع مفهوم مستند عمر رضى الله عنه » وصحتها : « لان متن حديث ابن ابى شيبة يتفق .. الخ . لتصحيح المعنى لزم التنبه .




في النقد الذاتي لمسيرة

الحركة الإسلامية

في العصر الحديث

للأستاذ الدكتور رءوف شلبي
وكيل الأزهر

مقدمة

الصحوة الاسلامية المطلوبة هى : ـ

* تحديد هدف متفق عليه .

* وضع خطة تنفيذية لهذا الهدف المرغوب فيه من الجميع .

* أختيار أفضل الوسائل الموصلة الى الهدف دون تحديد لزمن معين .

* مرونة استخدام الوسائل بحيث تظهر الهدف دون تحديد لزمن .

* مرونة استخدام الوسائل بحيث تظهر الهدف بصورته الاسلامية الراقية فى جميع مجالات الحياة الانسانية .

* محاسبة مراحل التطبيق لمعرفة الاسباب الجيدة والموانع العائقة للاستمرار فى السبيل السليم وتجنب المعوقات غير المقصودة .

* أن يأخذ التطبيق أسلوب الأوانى المستطرقة بحيث تسير كل المجالات حسب نظامها الطبيعى دون تخير أو تدخل فى تفضيل مجال على مجال أو التمحك والتفلسف بفرض أولايات لأمور على أمور حسب الهوى أو ادعاء العبقرية .

* أن تسير القافلة العاملة فى ثوب اسلامى موحد ليس بينها وبين سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واسطة غير القرآن الكريم والسنة المطهرة وعمل الصحابة الأجلاء والائمة التابعين لهم باحسان .

* تجنب المهاترات بجميع مظاهرها مثل المسيرات والتنظيمات والاتحادات ، والهتافات ، والشعارات ، واللافتات . ودراسة جميع النظريات الاصلاحية التى قامت باسم الاسلام لمعرفة أخطائها لتجنبها ومعرفة مجالات نجاحها لحذوها .

ومن أجل فكرة الصحوه الاسلامية المطلوبة ، وباخلاص قوى لوجه الله فانى أقدم هذه الملاحظات على مسيرة الحركة الاسلامية المعاصرة كمقدمة أساسية للتفكير الجاد فى وضع خطة للصحوة الاسلامية المطلوبة .

وقدمتها الى مجلة الأزهر ، لأن الأزهر هو عرين الدعوة الاسلامية وهو صحن اليقظة تاريخيا وهو رائدها منذ الف عام ورجاء فى الله تعالى أن يهدينا يقينا وعزما وسدادا لتقوم الصحوة الصحيحة من جنباته كما كانت من قبل والله ـ وحده ـ الهادى الى سواء السبيل .

أ. د. رءوف شلبى
وكيل الأزهر

فى النقد الذاتى لمسيرة الحركة الاسلامية فى العصر الحديث ..

أولا : ـ

العشوائية :

اتخذت الدعوة الاسلامية فى العهدين : المكى ، والمدنى عدة مناهج لتوصيل مبادئها بأسلوب يتفق مع هذه المبادىء . وكانت المناهج ذات صبغة مرنة تصورها مقالة السيدة عائشة رضى الله عنها : لو أن أول ما نزل لا تسرقوا لقالوا : لا ندع السرقة أبدا .. الخ ولقد نزل بمكة وأنا جويرية ألعب : « بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر » .

ولقد صور تاريخ الدعوة كثيرا من يقظة الصحابة والتابعين للدسائس والمكايد والألاعيب التى حاكها خصوم الدعوة تجاه الدعوة وجماعة المسلمين ، ولم تفلح أفاعيل هؤلاء الأعداء ضد الدعوة .

لقد فشل اليهود فى عدائهم للاسلام صدر الدعوة ، فلم تفلح فى اثارة قريش ضد الاسلام ، ولم تفلح فى محاولاتهم قتل النبى صلى الله عليه وسلم :

(أ) فى حادث بنى النضير .
(ب) وفى حادث دس السم فى الذراع .
(جـ) وفى حادث خيانة بنى قريظة .
(د) وفى حادث الافك المفترى
ولم تفلح محاولات المنافقين ضد الاسلام .
(أ) يوم أحد .
(ب) ومسجد الضرار .
(جـ) والتربص بالمسلمين فى كل فتنة .

ولقد هرب النصارى من المباهلة .
ولم يبلغوا مأربهم يوم مؤتة .
وتضعضعوا يوم تبوك ودخلت بلاد من بلادهم فى صلح مع الاسلام .

وفى عهد سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ نجح المؤتمر اليهودى المجوسى الفارسى النصرانى فى اغتيال رئيس الدولة لخطأ المسلمين فى تصورهم أن العمالة القليلة لن تؤثر فى حياة المجتمع الاسلامى الزاخر بجحافل الامة الاسلامية ولم يكن تصورا منبعثا من اليقظة المعهودة فى جماعة المسلمين فوقع المحظور وقُتِلَ سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه بيد أبى لؤلؤة المجوسى الصانع الذى رضى به المسلمون

ليؤدى لهم حاجياتهم ، ولكن الدولة لم تتأثر كثيرا بهذا الاغتيال فمازالت الأمة الاسلامية تزخر بالكبار من الرجال •

وعرف أعداء الاسلام أن القتل لن يؤثر فى القضاء على دولة الاسلام ومبادئه فطبخوا لهم طبيخا ثقافيا ليفرق الفكر ويشتته ويمزق الامة ويجعل بعضها يقطع رقاب بعض :

فكانت أفكار عبد الله بن سبأ ثم كانت الفتنة الكبرى التى ولدت لنا أطفالا فى الفكر الاسلامى غير شرعيين مثل الشيعة والخوارج،وتولد من مدارس هؤلاء أفكار وأفكار أبعدت الامة الاسلامية عن منبعها الصافى : القرآن الكريم والسنة المطهرة ، فآلت الامة الى ماهو معروف فى التاريخ ثم اجتمعت فى عهد بنى أمية ، ثم اجتمعت فى الدولة العباسية،ثم جاء التتار وأسقطوها،وجاء الصليبيون واغتصبوا منها « المقدس » و « صور » و « الرها » وتأسست امارات صليبية فوق الارض المسلمة وظن الناس أن الليل الكئيب لن ينتهى وفجأة تقوم الدولة الا[illegible] فى تركيا وتسبح فى أوروبا الشرقية فى اللحظة التى كانت النصرانية الاوروبية فيها تطرد الاسلام من أوروبا الغربية وتحاول بالكشوف الجغرافية أن تُطْبِق على بلاده فى الشرق العربى ••

فكانت يقظة ويقظة :

يقظة إسلامية بفضل تركيا المسلمة تطرق أبواب أوروبا الشرقية،ويقظة نصرانية تطرق الاسلام من أبواب أوربا الغربية وتحاول أن تضربه فى بلاده • غير أن اليقظة النصرانية كانت راسخة فقضت على اليقظة الاسلامية وساعد العربُ على طرد تركيا المسلمة من بلادهم فى اللحظة التى كان يخطط فيها الغرب النصرانى للخلاص من المارد الاسلامى ببناء اسرائيل لتكون « دملا » فى قلب العرب فلا يفيقوا أبدا•

وكان من أوليات التخطيط اقامة اليهود فى قلب الوطن العربى لتبقى صنابير الصديد تنضح على الحياة العسكرية والسياسية والاقتصادية للمسلمين ، ومع أن العرب قديما كانوا فقراء لايؤثرون فى السوق العالمية اقتصاديا فانهم بعد أن تفضل الله عليهم بالنفط وكان يمكنهم أن يساوموا الغرب على مصالحه فى مقابل احترام قضاياهم،ومن أولها قضية فلسطين ، اذ كان البترول العربى عاملا مساعدا على تقدم الصناعة العسكرية فى العالم الغربى الذى تحمس لبناء اسرائيل ، غير أن الامر كان على العكس فانقلب فائض البترول العربى على الاخلاق مما جعل العرب يفكرون فى إنشاء مؤسسة لتحسين سمعة العرب فى بلاد الافرنجة •

وبعد أن استقر الاستعمار فى العالم العربى قامت حركات إسلامية مخلصة وهادفة ولكنها أخطأت فى المنهجية فاعتمدت على الحماس المنفعل والمظاهرات الصاخبة واثارة الرأى العام بفرقعات ونظرت الى محيط البشر فى العالم العربى فظنته القوة اللازمة للكفاح ولكن الامر كان يحتاج الى تعبئة أخرى ، وفقه أوسع وأساليب واعية واستقطاب ثابت ودائم للرأى العام نحو قضية العرب الاساسية •

وتعددت الحركات الاسلامية فتمزقت الاهداف ، وانحسرت كل حركة فى اتجاه لايوصل الى الغاية التى يجب أن يحرص عليها العمل الاسلامى الواعى ، وكانت الاتجاهات

في أغلبها تدور حول الشكل والمظهر ، وكانت بعض التعاليم ضارة أكثر من كونها نافعة ففتحت الجدل حول البدعة ، وانقسم المسلمون على أنفسهم وانفتح باب التجهيل والتكفير والتفسيق فكانت فرصة للمستعمر يعيد فيها من جديد سياسة عبد الله بن سبأ في تمزيق الامة الاسلامية فكريا لتتمزق عضويا وقد وقع الامر وانفلت العقال وأعجب كل ذى رأى بهواه .

وحتى الجماعة التى أحست بهذا الخطر وراحت تجمع المتفرق ، وتوحد المنقسم ، وتقوى الضعيف عندما قويت وصارت جسما هائلا في المجتمع أعجبتها كثرتها وتنوع رجالها من علماء الى سياسيين الى عسكريين الى فلاحين ... الخ

واعجاب المرء بنفسه مفسدة ، ومضيعة ، وتورطت في تطبيق بعض مبادئها ففشلت ، فان الاسلام لايسمح أن تذهب كتيبة عسكرية لتقاتل في سبيل الله وهى محاصرة من جميع الجنبات عسكريا — بل وطريق امدادها مقطوع ، وسلاحها ليست مخازنه ولا صناعته بأمرها ، بل هو في يد غيرها .

ان العسكرية الاسلامية دقيقة الحرص ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى بالحذر قبل استخدام السلاح ، « وليأخذوا حذرهم واسلحتهم » ولكن العقل الجمعى والمحيط البشرى الهائل كثيرا مايغلب التعقل والتدبر .. ويلجأ الى التصرف في عشوائية وهذا هو أول خطأ وقعت فيه الحركة الاسلامية انها مخلصة لاشك ولكنها عشوائية ، والعشوائية أمر ضد التعاليم الاسلامية الموروثة ، وضد منهجية الدعوة الاسلامية التى نجحت قديما وتركت لنا أساليبها دربا ، من حافظ عليه وصل فمن يتق الله يجعل له مخرجا دائما ، ويرزقه من حيث لايحتسب ، وأفضل الارزاق للصالحين التوفيق الى مرضاة الله جل شأنه .

ثانيا : الجبرية :

في مرحلة من مراحل التطور السياسى للدولة الاسلامية ضاقت الآفاق والصدور وعجزت عن البحث الطبيعى للخلاص من هذا الضيق الذى تعانيه في ظل بعض الحكومات فاخترعت فكرة « الجبر » ، واخترع مقابلها « مطلق الاختيار » ونقلت الفكرة النصرانية : أيهما أولا : « البيضة قبل الفرخة أو الفرخة قبل البيضة وهى في واقع الامر ليست كذلك بل هى أيهما أولا : الابن أو الاب اذا كان عيسى ابن الله فهل هو مساوق له ر جود أو ان الاب قبلا والابن بعدا ... » .

وانخرطت هذه الفكرة النصرانية في خياشيم الثقافة الاسلامية وعمل المستعمرون على نشرها وبثها حتى صارت قضية من قضايا الفكر الاسلامى وهى ليست اسلامية ، ولا مولدها كان اسلاميا ، ولكنها اندست اندساسا في غفلة من المسلمين عن طبيعة منهجية الاسلام والذى يقرأ القرآن الكريم والسنة المطهرة يجد أن هذه الفكرة مستبعدة استبعادا كاملا من الفقه والتصور الاسلامى ، سواء نظرنا الى بنية الانسان وخلقه ، أو نظرنا الى الاعتقاد والايمان بالله ورسله ، أو نظرنا الى التشريع

والتكاليف ففيما يتعلق ببنية الانسان وخلقه فقد خلقه الله سبحانه وتعالى على هيئة تستقبل الخير والشر معا وليس فى بنية الانسان جبر على شىء بعينه سواء كان خيرا ، أو كان شرا •

يقول الله تعالى :

« ونفس وما سواها • فألهمها فجورها وتقواها • قد أفلح من زكاها • وقد خاب من دساها » • الشمس •

فالخلق الأصلى مستعد للفجور وللتقوى • والارادة الانسانية قادرة على فعل ما تختاره من التزكية أو التدسية •

وفى سورة الليل توضيح لمسالك السلوك الانسانى ، يقول الله تعالى :

« فأما من أعطى واتقى • وصدق بالحسنى • فسنيسره لليسرى • وأما من بخل واستغنى • وكذب بالحسنى • فسنيسره للعسرى » •

فالاختيار لأى من اليسر أو العسر ، الخير أو الشر ، الصلاح أو الطلاح ، أمر مركوز فى بنية الانسان وخلقيته ، فليس البناء الذاتى للانسان بمقصور على نوع واحد من البديلين الخير أو الشر •• والا لو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة ولكنه جل شأنه جعل الناس فى ذات بينهم قادرين على فعل الخير والشر •

وأما فيما يتعلق بالاعتقاد فقد وضح من عرضنا لأدلة التوحيد أن الله سبحانه وتعالى أراد من الناس أن يؤمنوا به طواعية يقول الله تعالى :

«فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» الكهف

فليس فى الاسلام قسر على الاعتقاد بالله الواحد الأحد ولكن فيه دعوة الى التفكير والفهم •

يقول الله تعالى :

« لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » • البقرة •

وهذا الاستمساك مرده النظر فى البراهين والأدلة وليس مرده القسر والقهر والجبر •

يقول النبى صلى الله عليه وسلم :

تألفوا الناس وتأتوهم ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم فما على وجه الأرض من أهل بيت مدر ولا وبر الا تأتونى بهم مسلمين أحب الى من أن تأتونى بنسائهم وأولادهم وتقتلوا رجالهم •

رواه ابن منده وابن عساكر عن عبد الرحمن ابن عابد ، اذن فليس فى القرآن الكريم ، ولا فى السنة النبوية المطهرة جبر فيما يتعلق بالعقيدة والايمان بالله الواحد •

ولم يضع الاسلام جيشا عسكريا فى مقابل الاقناع بالله الواحد الأحد بل جعله فى مقابل جيش عسكرى يريد أن يعتدى •

فالعسكرية الاسلامية اما :

- أن ترد اعتداء •
- أو تؤدب ناكثا بعهد •
- أو تجهض جيشا يعتزم الحرب ضد المسلمين •
- أو تحمى سيادة الدولة وأملاك الرعية وأفرادها •

ولا يحفظ التاريخ العسكرى للجيش الاسلامى الا واحدة من هذه الانواع « الاستراتيجية » •

فاستخدام الجبرية من بعض دعاة العمل

الاسلامي المعاصر تغفل أيما تغفل وجهل أيما جهل ، وخروج على المنهج السوى ولذلك لم يفلحوا .

وأما فيما يتعلق بالتكاليف الشرعية فهى قائمة على الرضا من كلا الطرفين في البيع وفي الزواج على الأخص .

يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

ـ البيعان بالخيار .

ـ لا تنكح البكر حتى تستأمر .

اذ أسلوب الجبر أو القهر أو العنف أو التطرف مرفوض اسلاميا بل ان النبي صلى الله عليه وسلم قد وظف من الأمة الاسلامية جماعة تحمى الاسلام من هذا الغلو في قوله صلى الله عليه وسلم :

« يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله .

* ينفون عنه تحريف الغالين .

* وانتحال المبطلين .

* وتأويل الجاهلين .

ـ تحريف الغالين : هم المتطرفون الذين لا يسيرون بالدعوة على منهجها ، ولا يحترمون مرونة هذا المنهج وينظرون الى مثالية قبل أن تأتى مرحلتها الزمنية حسب « التكتيك » الذى يجب أن يرسم للوصول اليها .

ـ انتحال المبطلين : من أولئكم الذين يدخلون في الاسلام أوهاما كادعاء النبوة ، وسقوط التكاليف الشرعية ، والغاء مفهوم الدولة في الاسلام .

ـ تأويل الجاهلين : من أولئكم الذين يصفون العمل الشرعى بأنه بدعة كالذين يقولون أن قراءة الكهف في المسجد يوم الجمعة بدعة فانظر : كيف أولوا ليجعل من القرآن المعصوم في المسجد في يوم جماعة المسلمين بدعة ؟ أفليست هذه مصيبة لا تصدر الا عن جاهل ؟ وهلم جرا .

ولقد جنحت جماعات ـ وجميعها بعيد عن نهج الأمة الاسلامية لأن الأمة الاسلامية واحدة في العقيدة ، والقبلة ، والنبي ﷺ والصلاة ، وجميع أركان الاسلام فكيف تفرق نفسها لتصير جماعات ، ثم تدعى أنها تعمل باسم الاسلام ...

جنحت هذه الجماعات الى العنف والجبرية في الشكليات لا في الأمور الهامة التى عمدت اليها الدعوة قديما فأقامت دولة وجيشا ، وأمة .

وهذا الجبر أو هذا العنف من أخطر ما ينسب الى الاسلام لأنه ضد مبادىء الاسلام التى تدعو الى السلام **« والله يدعو الى دار السلام »** وتدعو الى الأمن : **« الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ... »** وتلك من الأدواء التى يصعب علاجها .

أولا : لاعتقاد هؤلاء أنهم على حق وماهم على الحق .

ثانيا : أنهم أخذوا « الذات » نموذجا والحديث مع الذات صعب وقاس وحساس .

ثالثا : أن مصالحهم الشخصية مرتبطه بهذا السلوك والحديث عن المصالح الشخصية صعب وخطير كذلك .

البقيــه ص ١٣٩٨

دور المؤسسات التربوية في إعداد الداعية

اعداد الدكتوره أمينة أحمد حسن

مقدمة[1] :

لقد شغلت الدعوة الإسلامية فى الداخل جهود الدعاة ، واستأثرت باهتمام القائمين على شئون الدعوة ؛ ذلك :

أنَّ مشاكل المجتمع المصرى والعربى .

ومتطلبات الحياة العصرية .

واختلاف المصالح والأهداف .

وصراع المذاهب السياسية والاقتصادية .

وظهور وظائف اجتماعية مادية لم تكن من قبل ، قد حدد كل هذا درجة الاهتمام بالداخل وما تفرضه البيئة من اتجاهات وواجبات .

كما أن ازدياد السكان فى البلاد النامية التى تضم أرضها غالبية العالم الإسلامى يعتبر سببا آخر ، فرض على مؤسسات الدعوة الداخلية التعليمية منها والإرشادية أن تتخذ سلوكا خاصا ، ومنهجا معينا حتى يمكنها أن تواجه به هذه الكثرة السكانية التى طبعت بدورها المؤسسات التعليمية بطابع جديد فى نمطه وثقافته ومنهجه .

أما الدعوة الخارجية فنظرا لعدم وضوح مفهومها والغاية منها فقد تناولها البعض على أنها ابتعاث لمدرس ، أو خطيب واعظ ، أو منحة دراسية ، أو معونة ثقافية دينية استجابة لرغبة سفارة أو تلبية لرغبة مؤسسة تعليمية أو جماعة مسلمة ، وبهذا أصبحت

←

(١) قدم هذا البحث إلى « المؤتمر الدولى لإعداد الدعاة » الذى أقامه الأزهر الشريف بالاشتراك مع رابطة الجامعات الإسلامية بجامعة الأزهر ـ الفترة ١٨ ـ ٢٢/٤/١٩٨٧ .

الدعوة الخارجية امتدادا للدعوة الداخلية وكأن البلاد الأجنبية التى تضم جماعة من المسلمين هى امتداد لمحافظات مصر وإن كانت وراء البحار بعيدا عن الوطن الإسلامى الأصلى .

غير أن الدعوة إلى الله فى خارج الوطن العربى والإسلامى ـ وقد بدأت مبكرة فى فجر الإسلام وما كتب عنها فى كتب السيرة وصفحات التاريخ ـ زاخرة بمواقف ومشاهد رائعة تبين أن للدعوة الخارجية الأصيلة هدفا ومنهجا وأسلوبا وطريقة وَدُعَاةً أعدوا إعدادا خاصا لهذه المهمة أصلت جميعها لتاريخ ونظام الدعوة الخارجية .

ولذا فإن الدعوة الخارجية فى العصر الحديث إذا أريد لها أن تقوم على أساس علمى وتؤدى دورا لها فى مجال الدعوة الإسلامية ، فإنه لابد أن تضع فى حسابها الجذور التاريخية للدعوة الإسلامية وعوامل نجاحها منهاجا وتطبيقا ، وفى نفس الوقت لا تغفل متغيرات العصر الحديث من النواحى الاجتماعية والاقتصادية والحضارية هذه المتغيرات التى أصبحت سمة من سمات العصر التى منحته معطيات صاغت مُثُلَهُ ، وشكّلت أخلاقه ، ورسمت له تعليمه وثقافته ، وقدمت له تفاسير جديدة ومعانى مستحدثة لمفاهيم تقليدية ولألوان نشاطه الفكرى والروحى مما يستلزم إجراء دراسة جادة لحياة الدول الإسلامية غير العربية وجماعات الأقليات المسلمة فى دول العالم الشرقى والغربى ، دراسة من حيث : حجمها وواقعها ، ومستقبلها ، وتاريخ إسلامها ، وكيف أسلمت بفعل السلم أو الحرب ، ثم ما قصة استقرارها ، وما ظروفها الحالية وكيانها الخاص وبيئتها العامة ، وما علاقتها بالدول المحيطة بها ؟ وهل هى تشكل خطرا عليها يهدد كيانها ويحارب إسلامها ؟

وبالمثل دراسة **بالنسبة للأقليات المسلمة فى دول العالم** : هل هى أقليات اختيارية أو اضطرارية ، وما حجمها النوعى والكمى ؟ وما علاقتها بالحكم القائم داخل الدولة التى تعيش فيها ومدى مشاركتها أو عزلها عن الجهاز الادارى أو السياسى ؟ وما نوع ثقافتها ومستوى مؤسساتها التعليمية والتيارات والأفكار المحيطة بها ، وعلاقتها الدينية والتعليمية بالقوانين القائمة فى الأوطان التى تستقر بها ، وكذلك قضاياها اللغوية ومشاكل عبادتها ؟

وما واقع الأقليات التى خرجت من الإسلام ولكنها لم تدخل فى عقيدة أخرى ومذاهبها ونحلها الدينية وعاداتها التى حملتها معها من الوطن الأم مع عادات وعقائد مجتمعها الجديد ، ثم ما أفكار الجيل الثانى الذى نشأ وترعرع فى المغترب بالنسبة للعقيدة والتراث ؟

كل ذلك يستلزم أن يكون الداعية إلى الله فى الخارج مزودا بالمعارف والمعلومات عن المسلمين فى دول غير عربية والأقليات المسلمة فى دول غير إسلامية ، وأن يُعَدَّ لهذه المهنة إعدادا لغويا وثقافيا ونفسيا وتربويا على أسس علمية وبوسائل وطرائق منهجية تمكنه من القيام بوظيفته وأداء رسالته على دعائم من دراسة دينية وعلمية

وتربوية عميقة وشاملة تؤهله لتحمل مسئوليات المهنة وواجبات الوظيفة بدرجة عالية من الإيمان الصادق والسلوك المخلص ، وبذل الجهد دون أن توهن له عزيمة مع الصبر على مشاق الرسالة بالاستزادة فى العلم والإصرار على بلوغ الهدف عن علم وبصيرة .

ومعنى ذلك أن الداعية إلى الله هو فى حاجة إلى إعداد تربوى إلى جانب الإعداد الدينى والعلمى . فما دور المؤسسة التربوية فى هذا الإعداد ؟

الأمة الإسلامية صاحبة الرسالة العظيمة. رسالة الدعوة إلى الله :.

إن الله بالناس لرءوف رحيم ، لم يخلقهم عبثا بل خلقهم سبحانه لغاية ، ولم يتركهم سدى بل بَيَّن لهم سواء السبيل وحدد معالمه . كذلك شرع لهم أحكاما فى دينه محققة لمصالحهم فى دينهم ودنياهم وآخرتهم ، وقد ثبت لدى العلماء من تتبع أحكام الشرع واستقرائها أنها تحقق خمس مصالح هى : الدين ، والنفس ، والعقل ، والنسل ، والمال . وتقف كل مصلحة من المصالح الخمس مكملة للتى تسبقها وخادمة لها . وهى فى تحقيقها لهذه المصالح تتدرج بين مراتب ثلاث هى : الضرورات ، والحاجيات ، والتحسينات وتقف كذلك كل مرتبة من المراتب الثلاث مكملة للتى تسبقها وخادمة لها .

غير أن الإنسان بطبيعته قد يطغى فيكفر ، وقد ينسى فيخطىء وقد يضعف امام اغواء الشيطان فيرتكب المعاصى وقد يجهل فيُشْرك ، وقد يبتغى عرض الدنيا فينحرف ويبدل كلام الله ليشترى به ثمنا قليلا .

ومن رحمة الله على البشر ، ولأنه ـ سبحانه ـ يعلم أن الإنسان خلق ضعيفا أرسل من الرسل والأنبياء من يهديهم إلى الصراط المستقيم ، ويدعوهم إلى الحق ودين الفطرة ويخرجهم من الظلمات إلى النور وذلك عندما يبتعدون عن الحق أو ينتشر بينهم الغى والظلم ، ويستشرى فيهم الكفر والفساد وتتفشى بينهم المعاصى والمكاره والفواحش . غير أن عصر الرسل والأنبياء أصحاب الدعوات السماوية قد انتهى ببعثة محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين بعد أن ترك فى أمته الكتاب العزيز والسنة المشرفة ، وهما عاملان ما إن تمسكوا بهما لن يضلوا من بعده أبدا وقد وعد الله سبحانه وتعالى بأن يحفظ كتابه القرآن من التحريف والتبديل أو الضياع فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(٢) .

وجاء قرآنه سبحانه وتعالى تبيانا لكل شىء .

﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾(٣) .

---

(٢) سورة الحجر ـ آية ٩ .

(٣) سورة الأنعام ـ آية ٣٨ .

وقد أمر أمة محمد ﷺ بحمل الأمانة وتبليغ الرسالة بعد الرسل فى قوله تعالى :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾(٤) .

وقد يسر على أمة محمد أداء هذه المهمة بأن جعلها أمة وسطا بين الأمم لينتشروا من أرضهم إلى العالمين أجمع يدعون إلى الله قال تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾(٥) .

وذلك اقتداء برسالة النبى **الأمى** ومن سبقه من الرسل ـ عليهم ، جميعا ، أفضل الصلاة والسلام ـ وهى الرسالة التى ذكرها الله فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ﴾(٦) .

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَٰؤُلَاءِ شَهِيداً ﴾(٧) .

فالدعوة الإسلامية التى حملها محمد ـ ﷺ ـ إنما تمثل اللبنة والحلقة الأخيرة من سلسلة الدعوات الطويلة إلى الإسلام بواسطة الرسل والأنبياء عليهم السلام على مر التاريخ البشرى .

وجماع الدعوة التى حمل لواءها خاتم الأنبياء بآخر الرسالات السماوية هى رَدُّ البشرية إلى الإله الواحد الأحد ليدين له بالعبودية كل مخلوق ويخضع لشريعته كل موجود .

وفى خطبة الوداع أَشْهَدَ ربه على البلاغ ، وَأَمَرَ أن يبلغ الشاهدُ الغائب من الناس ، وأخبر المولى ـ عز وجل ـ أنه أكمل الدين ورضى للناس جميعا أن يكون الإسلام دينهم . وتمت النعمة وختمت الرسالات وانقطع الوحى ، وانتقل المصطفى ـ ﷺ ـ إلى الرفيق الأعلى بعد أن نجح فى وضع أساس البنيان للدولة الإسلامية فى المدينة المنورة وما حولها من البلاد فى الجزيرة العربية .

ولتكملة الرسالة واستمرارية الدعوة جاهد أصحابه من بعده طوال القرن الأول الهجرى لكى يتخطوا بهذه الدعوة حدود الجزيرة العربية تنفيذا لأمر الله جل جلاله ورسوله ﷺ فخرجوا يجاهدون فى سبيل الدعوة إلى الله على المنهج والطريقة التى اتبعها الرسول عليه الصلاة والسلام يحطمون كل ما أقامه أعداء الإسلام أمامهم من سدود وعوائق ، ودافعوا عن راية التوحيد حاملين رسالتهم الخالدة ، التى ارتكزت على كتاب الله وسنة رسوله . وقد خرج هؤلاء الدعاة الأوائل وهم لا يحملون من سلاح سوى الإيمان بالله وبكتابه وبرسوله واليوم الآخر وتزودوا

(٤) سورة آل عمران ـ آية ١٠٤ .
(٥) سورة البقرة ـ آية ١٤٣ .
(٦) سورة الأحزاب ـ آية ٤٥ ـ ٤٦ .
(٧) سورة النساء ـ آية ٤١ .

بالصبر على البلاء وعزموا على المجاهدة فى ملاقاة الاعداء ، ولم يمض على انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى مائة عام حتى كانت دولة الإسلام ودعوة الحق قد اتسع نطاقها ، وعظم شأنها واشتد بأس المسلمين بعد أن تمسكوا بقرآنهم فبلغت الدعوة حدود الصين شرقا وسهول فرنسا غربا وخط الاستواء جنوبا وسهول سيبريا شمالا .

ومما ساعد على نجاح الدعوة إلى وحدانية الله ونجاح الدعاة الأوائل فى نشر الدعوة الإسلامية أنهم ساروا على المنهج والطريقة التى اتبعها الرسول ﷺ مما يستدعى تحليل النظام التعليمى الذى سار عليه الصحابة والتابعون لنشر الدعوة .

ومن هنا وجب على المسلمين فى عصورهم المتتابعة أن يواصلوا المسيرة ، ويرفعوا لواء الدعوة إلى الله ، وأن يبلغوا ما أنزل على محمد ﷺ إلى كل من لم تبلغه الدعوة فى العالمين ، فذلك واجبهم .

ولن يكون للناس على الله حجة بعد الرسل .

يقول الإمام أحمد بن حنبل :

« الحمد لله الذى جعل فى كُلِّ زَمَانٍ فترةٍ من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويبصرون من هم على الأذى ، يحيون بكتاب الله الموتى ، ويبصرون بنور الله العمى ، فكم من قتيل لإبليس أحيوه ، وكم من ضال تائه قد هدوه ، فما أحسن أثرهم على الناس وما أقبح اثر الناس عليهم » .

ويقول ابن القيم عن الدعاة :

« هم فى الأرض بمنزلة النجوم فى السماء بهم يهتدى الحيران فى الظلمات ، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب ، وطاعتهم أفرض من طاعة الأمهات والآباء » .

غير أن حدوث الانقسامات بقيام ثلاث خلافات إسلامية : فى بغداد ، ثم فى الأندلس ، ثم الخلافة الفاطمية فى مصر كان من الأسباب القوية والمباشرة التى حَدَّتْ من انطلاقة الدعوة الإسلامية أو توفير المناخ الملائم لها للانطلاق .

ونتج عن هذا الانقسام تفرقة شمل المسلمين وضاعت أرض إسلامية كانت تتوافر بها الحضارة الراقية ، وتكالب الأعداء على التقهقر بالدعوة الإسلامية إلى مركزها شيئا فشيئا فكانت الحروب الصليبية التى استطاعت أن تسيطر على بلاد الشام لفترة تقرب من قرنين من الزمان حتى رَدَّ الله كيد الأعداء فى نحورهم بعد أن استطاع صلاح الدين الأيوبى أن يرفع عن الدعوة الإسلامية الخطر الداهم عليها . ثم تتابعت بعد ذلك اعتداءات أخرى على الدول الإسلامية حيث جاءت جحافل المغول والتتار كى تحطم الخلافة العباسية فى بغداد كما حطم الصليبيون من قبل الخلافة الأموية فى الأندلس .

وفى العصر الحديث حاولت دول الغرب المسيحى أن تقف بالمرصاد لعظمة الإسلام وقوة انتشاره وذلك بتفتيت وحدة الشعوب الإسلامية والدول العربية وتقسيمها بين الدول المستعمرة حتى تجد لنفسها وجودا بين هذه الدول لتسلب خيراتها وتتعرف على

ثقافتها وتأمن على نفسها من وحدتها وتحد من نشر ديانتها وعقيدتها . فقد فرض المستعمر صاحبُ النفوذ الأجنبى بالاحتلال السياسى أو الاقتصادى أو العسكرى - ثقافته الأجنبية ونظام حياته على المسلمين بعد أن عطل الشريعة الإسلامية وَأَبْعَدَ المسلمين عن التفقه فى دينهم وتعلم قرآنهم دستور حياتهم الذى عاشت الأمة الإسلامية فى إطاره عمرها كله ، ولم يكن هذا النفوذ الغربى الوافد إلا عاملاً من عوامل هدم المجتمع الإسلامى وضربه فى الصميم .

غير أن معظم الدول الإسلامية قد تمكنت بفضل من الله تعالى أن تتخلص من الاستعمار فى أوائل القرن العشرين ، وبدأت بعد حصولها على استقلالها وحريتها السياسية تتجه من جديد إلى الوحدة الإسلامية ، وتسعى للتقارب بين شعوبها كخطوة أساسية لاستكمال الرسالة والعودة إلى نشر الدعوة إلى الله . فبدأ التضامن الإسلامى يظهر للعالم قويا واضحا فى شكل العديد من المؤسسات الإسلامية مثل رابطة العالم الإسلامى والمؤتمر الإسلامى ، وبنك التنمية الإسلامى وغيرها من المؤسسات الأخرى التى تمثل خطوة على طريق الوحدة الإسلامية والدعوة إلى الله .

ويشهد القرن الخامس عشر الهجرى اليوم الحركة الكبرى للدعوة الإسلامية التى بدأت بذورها تنمو فى أوروبا وأمريكا وأفريقيا واستراليا وغيرها من بقاع العالم على يد الجاليات الإسلامية والأمم الإسلامية . إلا أن الحركات التنصيرية وأعداء الإسلام من اليهود لا يزالون يرصدون الأموال ويكثفون الجهود لاستمرار نشاطهم لعرقلة الدعوة إلى الله تعالى وتضبع الإمكانات المادية والعلمية والفنية تحت تصرف العاملين فى حقل التنصير لزعزعة ثقة المسلمين وتضليلهم عن دينهم ، وإثارة الشبهات حول مبادىء هذا الدين القيم والافتراءات حول حقائقه .

فالأمة الإسلامية صاحبة الرسالة العظيمة والمسئولية الجسيمة يرتبط مصيرها بهذه الدعوة إلى الله ، فإن حرصت عليها وأوفت بالعهد وحملت الميثاق إلى دول العالم أجمع حلقت فى آفاق عالية من العزة والمجد ، وإن تقاعست وأخلفت الوعد كما فعل اليهود من قبل فإنها تعرض نفسها للتشتت والضياع والانقسام وأسوأ النكبات . فقد قال رسول الله ﷺ .

« والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » رواه الترمذى وقال حديث حسن .

حقيقة ، إن المهمة شاقة ، والمسئولية جسيمة ، وعلى الدعاة أن يفقهوا ذلك جيدا ليعلموا أن ذلك يقتضى جهدا كبيرا ووقتا طويلا فلا تَهِنُ لهم عزيمة ولا تردهم مصاعب ، وحسبنا أن نتذكر موقفا من مواقف البطولة فى التاريخ الإسلامى حتى يتبين لنا كيف يكون الصبر على مشاق المهمة ، والإصرار على بلوغ الهدف وتحقيق الغاية مع التخطيط العلمى السليم لنشر الدعوة حتى نطمئن إلى أننا نسير فى خطوات صحيحة مدروسة ، ونستبشر بالوصول إلى النتائج التى نهدف إليها .

ومعنى هذا أن الدعوة الإسلامية اليوم فى حاجة إلى إدراك أهمية الجوانب الآتية :

(١) إدراك أساليب ومخططات الأعداء المعاصرين وضربها فى وكرها قبل أن تنفث سمومها بين الأمم الإسلامية .

(٢) وضع « استراتيجية » عامة لتوحيد جهود المسلمين وتوحيد كلمتهم وهدفهم عند التخطيط لنشر الدعوة وإعداد الدعاة .

(٣) وضع خطة تربوية شاملة لإعداد القيادات فى مجال الدعوة إلى الله .

(٤) اتباع الشريعة الإسلامية والتشريع الإسلامى وقواعد ومبادىء الإسلام فى كل مجالات الحياة ، وأهمها التعليم والاقتصاد والتجارة وغيرها .

(٥) استنباط منهج الدعوة الإسلامية وأهدافها والأسلوب والطريقة التى تتم بها والمواصفات المطلوبة فى الداعية مما جاء فى القرآن والسنة .

ويتطلب تحقيق ذلك ما يلى :

(١) أن يكون على رأس العمل فى مجال الدعوة أناس يشهد لهم بالإيمان الصادق والإخلاص فى العمل والزهد فى مغريات الحياة الدنيا ، والحماسة و « الدافعية » لنشر الإسلام والدعوة إلى الله فى أرجاء المعمورة .

(٢) توفير التسهيلات المادية والمعنوية التى تيسر العمل فى مجال الدعوة فى الخارج والداخل والضرب بشدة على كل يد تعوق هذا العمل أو تعرقله فى الداخل والخارج .

(٣) تحديد المواصفات والشروط التى يجب أن تتوافر فى الدعاة بحيث يتم بها اختيار أفضل العناصر للعمل فى مجال الدعوة بما يضمن عدم استغلال الدعوة للإثراء أو جمع المال أو الوصول إلى الشهرة والجاه والمناصب العليا .

دور المؤسسات التربوية فى إعداد الداعية :

إذا كانت عملية التعليم تحتاج إلى معلم وأستاذ مُدَرَّب لبناء شخصية الطفل وتنشئته تنشئة إسلامية صحيحة فإن تعليم الكبار ودعوتهم إلى العلم الدينى وإلى الإسلام الحق يحتاج كذلك إلى معلم داعية على درجة عالية من الإعداد العلمى والدينى والتربوى : فإن الدعوة إلى الله بالبداهة والجزاف ، والجدال بغير علم أو فقه فى الدين أمر يضر بالدين أكثر مما يفيده ، كذلك فإن نشر الدعوة بدون تخطيط سليم لمنهج علمى مدروس يجعل نتائج الجهود التى تبذل فى نشر الدعوة غير مضمونة والعمليات التى تؤدى فى هذا المجال غير فعالة .

ومعنى ذلك أن الدعوة إلى الله وتبليغ الرسالة لنشر الإسلام يحتاج إلى إعداد القيادة اللازمة للعمل فى مجال الدعوة الإسلامية فى كل أنحاء العالم وإعداد الرصيد البشرى من الدعاة لتحمل مسئولية الدعوة فى كل موطن يعملون فيه ويجاهدون فى سبيل نشر الإسلام الحق .

ولما كانت مسئولية الدعوة إلى الله قد ألقيت

على أمة محمد ﷺ من بعده بأمر من الله تعالى لكى تستمر الدعوة وينتشر الإسلام فى العالم أجمع ؛ فإن ذلك يحتم على المؤسسة التربوية حمل المسئولية والقيام بدورها بالتخطيط العلمى لمنهج العمل لنشر الدعوة وإعداد القيادات المؤهلة اللازمة لهذا العمل إعدادا دينيا وعلميا وتربويا على أعلى مستوى من الإيمان والكفاءة .

فإذا تمكنت المؤسسة التربوية من إعداد هذه الفئة من القيادات الداعية وعملت على تأهيلهم تأهيلا علميا ودينيا وفنيا بدرجة عالية من الكفاءة فحينئذ يبدأ الطريق إلى تحقيق رسالة الإسلام التى جوهرها قوله تعالى :

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾[٨] .

ولكى تقوم المؤسسة التربوية بدورها ووظيفتها على خير وجه فإنه يتحتم عليها أن تؤدى العديد من المسئوليات نذكر منها :

(١) تحديد أهداف الدعوة إلى الله وتحديد مسئوليات الداعية محليا وخارجيا .

(٢) تحديد الصفات الشخصية المطلوب توافرها فى الطالب الداعية .

(٣) وضع خطة الدراسة واختيار أفضل العناصر وأكفأها من الخبراء المتخصصين لانتقاء موضوعات المنهج لكل مادة دراسية .

(٤) اختيار هيئة التدريس من العلماء المشهود لهم بالكفاءة وحسن السمعة .

(٥) وضع « استراتيجية » عامة لتنفيذ الخطة بعد إقامة الدراسات الموضوعية التى تتعلق بظروف المسلمين فى كل دولة ونوع التحديات التى يمكن أن تواجه الدعوة فى دول العالم الإسلامى وغير الإسلامى الذي تعيش فيه جماعات وجاليات إسلامية .

وبناء على ما تقدم سوف تقتصر دراستنا فى هذا البحث على بعض الأدوار والمسئوليات التى تؤديها المؤسسة التربوية من حيث :

تحديد أهداف الدعوة .

تحديد الصفات الشخصية للداعية .

تحديد المنهج والطريقة والأسلوب .

أولا : تحديد أهداف الدعوة :

(١) توحيد الألوهية وعدم الشرك بالله :

إن موضوع الألوهية فى الإسلام تضمن تصحيحا دقيقا لتفكير العقول البشرية على اختلاف مستوياتها وعصورها ، وقرر ـ بالثقة والطمأنينة ـ ما يجب لله جل شأنه من الكمال والإيمان بوحدانيته وجلال سلطانه .

وتوحيد الألوهية يعنى : الاعتراف والاعتقاد بأن المعبود الحق الذى لا يستحق العبادة غيره هو الله تعالى ، ولابد أن يظهر هذا الاعتراف فى القول والفعل والسلوك ؛ ولذا كانت الشهادة هى أول أركان الإسلام ،

---

(٨) سورة محمد ـ آية ١٩ .

وهى تعنى العلم والإعلام والإخبار بعقيدة الفرد بقوله : أشهد أن لا إله إلا الله .

قال تعالى :

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ... ﴾[٩] .

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ . سَيَقُولُونَ لِلهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾[١٠]

وقد قصر الله على ذاته تعالى ـ وحدانية الذات كما قصر وحدانية الصفات .

قال تعالى :

﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ... ﴾[١١] .

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[١٢] .

﴿ لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى . وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى . اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾[١٣] .

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[١٤] .

وتهدف الدعوة إلى الله إلى توضيح العقيدة وأركانها وتثبيتها ودحض شبهات المعاندين ومغالطات المغالطين حولها بعيدا عن التشبيه الذى اعتقده اليهود ، والتثليث الذى اعتقده النصارى ، والضد الذى اعتنقه المجوس ، والشرك الذى اعتنقه عبدة الأوثان ـ إذ أن القرآن يختلف عن الكتب السماوية السابقة التى حرفها النصارى وبدلها اليهود وكتبوها بأيديهم فيما احتوى عليه من آيات تبين بالحجة والبرهان وحدانية الله من حيث الذات والصفات ووحدانية ربوبيته فتوحيد الألوهية يستلزم توحيد الربوبية .

قال تعالى :

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[١٥] .

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[١٦] .

وإذا كان القرآن قد جاء تداركا لانحرافات البشر فى العقيدة وَحَيدهم عن طريق الحق ؛ فإن الدعوة إلى وحدانية الله ، وإلى الحق لا تكون إلا على يد البشر **أنفسهم ممن امتلأت** قلوبهم بالإيمان وعرفوا الله بالفطرة ثم تزودوا بالعلم وخصهم الله بالسكينة والبصيرة وقوة الحافظة **ليدعوا** العالمين إلى دين الحق ويكونوا شهداء على الناس ، إذ أن أهم هدف من أهداف الدعوة هو نهى الناس عن الشرك بالله رحمة بهم .

قال تعالى :

﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً ﴾[١٧] .

(٩) سورة الفاتحة .

(١٠) سورة المؤمنون ـ آية ٨٦ ، ٨٧ .

(١١) سورة الأنعام ـ آية ٥٩ .

(١٢) سورة الأنعام ـ آية ١٠٣ .

(١٣) سورة طه ـ آية ٦ـ٨ .

(١٤) سورة القصص ـ آية ٨٨ .

(١٥) سورة الأنبياء ـ آية ٢٢ .

(١٦) سورة الأنبياء ـ آية ٩١ .

(١٧) سورة النساء ـ آية ٤٨ .

﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ﴾(18) .

﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ﴾(19) .

﴿ وَمَن يُشْرِك بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ ﴾(20) .

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾(21) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾(22) .

الدعوة إلى الاسلام دين الله :

من أهداف الدعوة إلى الله تعريف الناس جميعا بأن كل دين سماوى نزل على رسول إلى قومه هو دعوة إلى الإسلام . فالقرآن الذي يأمر الناس جميعا بالإسلام إنما جاء مصدقا لكتب التوراة والإنجيل ومهيمنا عليها . فهذا نوح عليه السلام جاهد جهاد أولى العزم لتبليغ الرسالة ، وأعلن بقوة فى قومه أنه مستمسك بعروة الإسلام الوثقى امتثالا لأمر الله .

قال تعالى :

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُن أَمْرُكُم عَلَيْكُم غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ . فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ(23) .

وإذا تذكرنا دعاء ابراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام وهما يبنيان قواعد البيت الحرام فقد دعَوَا الله .

قال تعالى :

﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾(24) .

﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ »(25) .

وما دعا لوط عليه السلام قومه إلا إلى الإسلام ، وتحكى قصة يوسف عليه السلام أن يوسف كان يقر بفضل الله عليه ويدعو ربه أن يتوفاه مسلما .

قال تعالى :

﴿ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾(26) .

﴿ وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾(27) .

(18) سورة النساء ـ آية 116 .
(19) سورة المائدة ـ آية 72 .
(20) سورة الحج ـ آية 31 .
(21) سورة لقمان ـ آية 13 .
(22) سورة النساء ـ آية 116 .
(23) سورة يونس ـ آية 71 ، 72 .
(24) سورة البقرة ـ آية 128 .
(25) سورة البقرة ـ آية 132 .
(26) سورة يوسف ـ آية 101 .
(27) سورة يونس ـ آية 84 .

وفرعون عندما أدركه الغرق هو وجنوده بعد أن عصى موسى وكفر بالله ثم خرج يطارد موسى بجنوده إلى البحر .

قال تعالى :

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾(٢٨) .

وقالت ملكة سبأ عندما دعاها سليمان إلى الإسلام .

قال تعالى :

﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(٢٩) .

ولما أحس عيسى بعصيان أهله وتشددهم فى الكفر سأل قومه والحواريين من فيهم من أنصاره إلى الله .

قال تعالى :

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(٣٠) .

وهكذا أخذ الله من الرسل والأنبياء ميثاقهم لكى يؤمنوا بالله ويكونوا مسلمين هم وقومهم .

قال تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقاً غَلِيظاً . لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً ﴾(٣١) .

وقد ختم محمد النبى الأمى هذه الرسالات جميعا وأمر أمته بالإسلام لله والإيمان بوحدانيته ، بعد أن تلا عليهم آيات الله البينات **وزكاهم** وعلمهم الكتاب والحكمة واكمل رسالته وأتمم عليهم الدين ليكونوا مسلمين .

قال تعالى :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ﴾(٣٢) .

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(٣٣) .

ومن يدعو إلى الله من أمة محمد ﷺ فهو مكلف بالدعوة إلى الإسلام فهو هدف أهداف الدعوة إلى الله ولن يقبل الله دينا غيره قال تعالى :

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾(٣٤) .

ومن يقبل هذا الدين لابد أن يشهد انه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله هو خاتم الرسل والأنبياء ، فلا نبى بعده وأن الكتاب الذى نزل عليه سيظل محفوظا فى الصدور حتى لا تناله يد التحريف والتبديل ؛ ولذا خص الله سبحانه وتعالى أمة محمد بقوة حفظه ومن يدخل هذا الدين عليه أن يتعلم أركانه وفرائضه والشريعة التى تضمنته . يتبع

---

(٢٨) سورة يونس ـ آية ٩٠ .
(٢٩) سورة النمل ـ آية ٤٤ .
(٣٠) سورة آل عمران ـ آية ٥٢ .
(٣١) سورة الأحزاب ـ آية ٧ ، ٨ .
(٣٢) سورة المائدة ـ آية ٣ .
(٣٣) سورة آل عمران ـ آية ٨٥ .
(٣٤) سورة آل عمران ـ آية ١٩ .

الوصية الواجبة
دراسة مقارنة

٢

● **مبدأ العمل بالوصية الواجبة :**

صدر قانون الوصية رقم ٧١ لسنة ١٩٤٦ م فى ٢٤ من رجب سنة ١٣٦٥ هـ الموافق ٢٤ من يونية ١٩٤٦ م ونشر بالعدد ٦٥ من الوقائع المصرية الصادر فى يوم الاثنين ٣ من شعبان سنة ١٣٦٥ هـ الموافق أول يوليو ١٩٤٦ م على أن يعمل به بعد شهر من تاريخ نشره ، وقد عمل به فعلا من أول أغسطس سنة ١٩٤٦ م .

الوصية الواجبة المستحدثة قانونا :

يمكن تعريف الوصية الواجبة التى استحدثها القانون المذكور بأنها : تمليك نصيب معلوم من التركة جبرا لفرع الولد الذى مات فى حياة مورثه بشروط مخصوصة .

فقولنا «تمليك» كالجنس يشمل كل أنواع التمليك كالبيع والهبة والصدقة و « نصيب معلوم » هو نصيب الولد الذى مات فى حياة أبيه أو أمه من الميراث على افتراض حياته الى ما بعد موتهما . « من التركة » وهى المال الذى يبقى بعد التجهيز وسداد الدين ، ونصيب الولد الذى مات فى حياة أبيه أو أمه لا يثبت فى مالهما الا بعد أن يصير تركة بموت مورثه و « جبرا » يخرج به الوصية الاختيارية التى يوصى بها الانسان باختياره قبل أن يموت فان التمليك فيها لا يكون جبرا بل يتوقف على ايجاب الموصى قبل موته وقبول الموصى له بعد الموت و « لفرع الولد » لاخراج الوارثين غير الفرع فانهم لا يأخذون شيئا من الوصية الواجبة كما وضعها القانون وكلمة « الولد » ليشمل الذكر والأنثى . و « الذى مات فى حياة مورثه » ليخرج الذى بقى حيا الى ما بعد موت مورثه فانه يأخذ نصيبه بالميراث وليس بالوصية الواجبة ، والموت فى حياة المورث معتبر سواء أكان الموت حقيقة أو حكما كالمحكوم بفقده (١)

(١) وهو الذى غاب اربع سنين فى مهلكة وحكم القاضى بموته .



للدكتور عبد الرحمن العدوى

أو الذى مات مع مورثه فى حادثة هدم أو غرق أو احتراق طائرة ولا يعلم السابق منهما . و « بشروط مخصوصة » وهى الشروط التى وضعها القانون لاستحقاق فرع الولد الوصية الواجبة وسيأتى بيانها .

نظام الوصية الواجبة :

نظم القانون أحكام الوصية الواجبة فى المواد من ٧٦ — ٧٩ وقد تناول فى هذه المواد من يستحق الوصية الواجبة من الفروع الذين مات أصلهم فى حياة المورث وهذا نصها .

مادة ٧٦ :

اذا لم يوص الميت لفرع ولده الذى مات فى حياته ، أو مات معه ولو حكما — بمثل ما كان يستحقه هذا الولد ميراثا فى تركته لو كان حيا عند موته وجبت للفرع فى التركة وصية بقدر هذا النصيب فى حدود الثلث بشرط أن يكون غير وارث ، وألا يكون الميت قد أعطاه بغير عوض من طريق تصرف آخر قدر مايجب له ، وان كان ما أعطاه أقل منه وجبت له وصية بقدر ما يكمله .

وتكون هذه الوصية لأهل الطبقة الأولى من أولاد البنات ، ولأولاد الأبناء من أولاد الظهور وان نزلوا،على أن يحجب كل أصل فرعه دون فرع غيره ، وأن يقسم نصيب كل أصل على فرعه وان نزل قسمة الميراث ، كما لو كان أصله أو أصوله الذين يدلى بهم الى الميت ماتوا بعده ، وكان موتهم مرتبا كترتيب الطبقات .

مادة ٧٧ :

اذا أوصى الميت لمن وجبت له الوصية بأكثر من نصيبه كانت الزيادة وصية اختيارية ، وان أوصى له بأقل من نصيبه وجب له ما يكمله ، وان أوصى لبعض من وجبت لهم الوصية دون البعض الأخر ، وجب لمن لم يوص له قدر نصيبه .

ويؤخذ نصيب من لم يوص له ويوفى نصيب من أوصى له بأقل مما وجب من باقى الثلث فان ضاق عن ذلك فمنه ومما هو مشغول بالوصية الاختيارية .

مادة ٧٨ :

الوصية الواجبة مقدمة على غيرها من الوصايا (٢) . فاذا لم يوص الميت لمن وجبت لهم الوصية وأوصى لغيرهم ، استحق كل من وجب له الوصية قدر نصيبه من باقى ثلث التركة ان وفى والا فمنه ومما أوصى به لغيرهم .

مادة ٧٩ :

فى جميع الأحوال المبينة فى المادتين السابقتين يقسم ما بقى من الوصية

(٢) المراد بغير الوصية الواجبة — الوصايا الاختيارية وهى التى انشاها الموصى ولم تجب عليه بحكم القانون ، سواء اكانت بفرض او واجب او كانت تبرعا كما اوضحته المذكرة التفسيرية لهذه المواد .

◆ الوصية الواجبة

الاختيارية بين مستحقيها بالمحاصة مع مراعاة أحكام الوصية الاختيارية .

المذكرة التفسيرية :

وضعت هذه المواد (٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩) لتلافى حالة كثرت منها الشكوى ، وهى حالة الأحفاد الذين يموت آباؤهم فى حياة أبيهم وأمهم ، أو يموتون معهم ولو حكما كالغرقى والهدمى والحرقى ، فان هؤلاء قلما يرثون بعد موت جدهم ، أو جدتهم لوجود من يحجبهم من الميراث ، مع أن آباءهم قد يكونون ممن شاركوا فى بناء الثروة التى تركها الميت ، وقد يكونون فى عياله يمونهم . وأحب شىء الى نفسه أن يوصى لهم بشىء من ماله ولكن المنية عاجلته فلم يفعل شيئا ، أو حالت بينه وبين ذلك مؤثرات وقتية .

وقد تضمنت المادة (٧٦) أنهم اذا كانوا غير وارثين ، ولم يوص لهم الجد أو الجدة بمثل نصيب أصلهم ، فان الوصية تجب لهم بايجاب الله تعالى بمثل هذا النصيب على ألا يزيد على الثلث .

وهى تجب لأهل الطبقة الأولى من أولاد البنات ، ولأولاد الأبناء من أولاد الظهور ، وهم من لا ينسبون الى الميت بأنثى وان نزلت طبقاتهم ، والأصل يحجب فرعه دون فرع غيره ، ويقسم نصيب كل أصل وهو ابن الميت أو بنته على من يوجد فى فروعه قسمة الميراث، كما لو كان أصولهم الذين ينتسبون بهم الى الميت ماتوا مرتبين .

ولا يدخل فى قسمة التركة أولاد الميت الذين ماتوا فى حياته ولم يعقبوا ، أو أعقبوا من لا يستحق فى الوصية ، فلو خلف الميت ابنا وبنتا وبنتى بنت ماتت فى حياته ، وابن ابن مات أبوه وجده فى حياته أيضا غير مرتبين ، وكان له ابن مات فى حياته ولم يعقب أو أعقب أولاد بنت ، قسمت التركة بين أولاد الميت الأحياء والأموات الذين لهم من يستحق الوصية ، وهنا نصيب الابن والبنت الميتين أكثر من الثلث فيكون لهما الثلث يقسم بينهما قسمة الميراث للبنت ثلث يعطى لبنتيها بالتساوى ، وثلثاه للابن يعطى لفرعه ولو أن أباه مات قبل جده .

١ — والقول بوجوب الوصية للاقربين غير الوارثين مروى عن جمع عظيم من فقهاء التابعين ومن بعدهم من أئمة الفقه والحديث ، ومن هؤلاء سعيد بن المسيب ، والحسن البصرى ، وطاووس ، والامام أحمد ، وداود ، والطبرى واسحق بن راهويه ، وابن حزم .

والأصل فى هذا قول الله تعالى : « **كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ** » .

٢ — والقول باعطاء جزء من مال المتوفى للاقربين غير الوارثين على أنه وصية وجبت فى ماله اذا لم يوص لهم مذهب ابن حزم ، ويؤخذ من أقوال بعض فقهاء التابعين ، ورواية فى مذهب الامام أحمد .

٣ — وقصر الأقربين غير الوارثين على

الأحفاد بالترتيب المبين فى المادة (٧٦) وتحديد الواجب لهم بمثل نصيب أبيهم أو أمهم فى حدود الثلث مع تقسيمه بينهم قسمة الميراث ، مبنى على مذهب ابن حزم ، وعلى القاعدة الشرعية التى سبق شرحها فى المادة الثانية (٣) •

فالجزء الواجب اخراجه يجوز فى مذهب ابن حزم أن يحدده الموصى أو الورثة بمثل نصيب الأب ، كما يجوز تحديده بأقل أو أكثر •

كذلك يجوز فى مذهبه أن تكون الوصية لبعض الأقربين دون البعض الآخر ، وحينئذ يكون لولى الأمر أن يتدخل ، ويحدد الأقربين بأولاد الأولاد على الترتيب المذكور فى المادة ، ويأمر باعطائهم جزءا من التركة ، هو نصيب أصلهم فى الميراث لو بقى حيا (مادة ٧٦) •

والآية الكريمة ظاهرة فى أن الوصية الواجبة للأقربين هى الوصية بـ « المعروف » وكلمة « المعروف » فى القرآن الكريم ، يراد منها ما تطمئن اليه النفوس والفطر ، ولا تنبو عنه المصلحة ، وهو العدل الذى لا وكس فيه ولا شطط •

فاذا نقصوا أحدا ماوجب له ، أو لم يوصوا له بشىء ، ردوا بأمر ولى الأمر الى المعروف (مادة ٧٧) •

وتقديم الوصية الواجبة على الوصية الاختيارية يؤخذ مما نقله ابن مفلح عن الامام أحمد وما روى عن طاووس •

والمراد بغير الوصية الواجبة للأقربين الوصايا الاختيارية ولو كانت وصية بفرض أو بواجب آخر ، وسواء أكانت لجهة أم لأشخاص (مادة ٧٨) •

شرح نظام الوصية الواجبة

أعطى القانون نصيب الولد الذى مات فى حياة مورثه لفرعه وان نزل ان كان الذى مات ذكرا ، ولفرعه من الطبقة الأولى اذا كان الذى مات أنثى •

فلو أن ابنا مات فى حياة أبيه أو أمه ثم مات الأب أو الأم (٤) ، فان نصيب الابن الذى مات فى حياة أحد والديه أو كليهما ينتقل الى فرعه ، بشرط ألا يزيد ذلك النصيب عن ثلث التركة فان زاد يكتفى بالثلث الا اذا أجاز باقى الورثة هذه الزيادة فتنفذ •

وقد اشترط القانون فى الوصية الواجبة ألا يكون الفرع وارثا ، فان كان وارثا فلا وصية له حتى لا يأخذ من التركة مرتين : احداهما بالوصية الواجبة ، والأخرى بميراثه •

واشترط القانون كذلك ألا يكون المتوفى قد

---

(٣) القاعدة الشرعية المشار اليها هى : ان لولى الامر ان يأمر بالمباح لما يراه من المصلحة العامة ومتى أمر به وجبت طاعته •
وفى رأى بعض الفقهاء امره ينشىء حكما شرعيا تعقد الوصية — وهو من عقود التبرعات — يجوز ان يكون باشهاد كتابى ، ويجوز ان يكون باشهاد شفوى ، واذا رأى ولى الأمر ان يكون باشهاد كتابى على الوجه المبين فى المادة وأمر به نشأ بأمره حكم شرعى يجب على الكافة ان يعملوا به ، والا كانت وصاياهم مردودة ، من المذكرة الايضاحية للمادة (٢) من القانون رقم ٧١ لسنة ١٩٤٦ م •

(٤) أو ماتت معه ولو حكما كالغرقى والهدمى اذا لم يعلم السابق موته منهما •

أعطى لهذا الفرع بغير عوض من طريق تصرف آخر كالوقف أو الهبة مثلا ما يساوى مقدار ما يستحقه بالوصية الواجبة ، أو أن يكون أوصى له بمثل هذا المقدار .

فاذا كان قد اعطاه بغير عوض أو عن طريق الوصية ما يماثل ما يستحقه بالوصية الواجبة فلا شيء له بعد ذلك ، أما اذا أعطاه أقل مما يستحقه فانه يكمل له استحقاقه عن طريق الوصية الواجبة فى حدود ثلث التركة .

ولا تنفذ الوصية الواجبة فيما زاد على ثلث التركة الا اذا أجازها الورثة ، فان أجاز البعض دون البعض نفذت الزيادة فى حق من أجازها ولم تنفذ فى حق من لم يجزها .

ولما كان استحقاق الفرع بالوصية الواجبة يأتى عن طريق أصله الذى مات فى حياة المورث ويتحدد بما يستحقه هذا الأصل لو كان حيا ، فانه اذا وجد مانع يمنع استحقاق الأصل للميراث كاختلاف الدين ، أو قتل مورثه فان فرعه بالتالى لا يستحق شيئا بالوصية الواجبة اذ أن استحقاقه مبنى على استحقاق أصله وينعدم بانعدامه .

ومع أنها وصية واجبة لكنها تقسم بين الفروع قسمة الميراث فما يستحقه الأصل الذى مات فى حياة مورثه يقسم بين أولاده للذكر مثل حظ الانثيين ، ويحجب كل أصل فرعه دون فرع غيره فابن الابن يحجب ابنه ان وجد لكنه لايحجب ابن ابن ابن آخر لأنه ليس فرعا له.

وأولاد الميت الذين ماتوا فى حياته ولم يعقبوا أو كان لهم أولاد بنت فان هؤلاء لا يدخلون فى قسمة التركة لعدم وجود الفرع الذى يستحق الوصية الواجبة .

وتقدم الوصية الواجبة على الوصايا الاختيارية ولو كانت بفرض أو واجب آخر وسواء أكانت لجهة أم لأشخاص فتخرج الوصية الواجبة أولا من ثلث التركة فان بقى شيء من الثلث بعد تنفيذها فهو للوصية الاختيارية وما زاد على الثلث يتوقف على اجازة الورثة .

طريقة استخراج مقدار الوصية الواجبة

نصت المادة (٧٩) من القانون على أن الفرع يأخذ مقدار نصيب أصله من التركة لو كان حيا، فلا يأخذ أكثر من أصله بأية حال ، ولا أقل منه اذا كان فى حدود الثلث فان زاد يرد الى الثلث .

وعلى هذا فاننا عند التنفيذ نحتاج الى استخراج نصيب الأصل على فرض حياته كغيره من الورثة فان كان هذا النصيب ثلث التركة أو أقل كان لفرعه وان زاد على الثلث فانه يرد الى الثلث .

فاستخراج مقدار الوصية الواجبة تطبيقا لنص هذا القانون وروحه يتم فى خطوات ثلاث :

أولا : أن يفرض الولد الذى مات فى حياة مورثه حيا وارثا وتقسم التركة عليه وعلى الورثة الموجودين ، كما لو كان الجميع أحياء ليعرف مقدار نصيبه .

ثانيا : نستبعد هذا النصيب من التركة فى حدود الثلث ، وانما أخرجناه من التركة أولا

البقية ص ١٤٥٤



الحريات الاقتصادية

- ب -

للدكتور فوزى محمد طايل

الدولة الاسلامية تضمن حرية التعامـــل الاقتصادى فيما وراء ذلك :

ان الأصل ، فى الاسلام ، أن تكون التجارة حرة فى حدود ما قدمنا من دراسة وطالما التزم الأفراد بالابتعاد عن صور النشاط الاقتصادى المحرمة . وهذا راجع الى المبدأ العام فى ان « الأصل فى الأشياء الاباحة » ، وأن السـلطة العامة فى الدولة الاسلامية لا تملك أن تحرم ما أحل الله ، وأنه لاتحريم الا بنص قطعى الثبوت والدلالة ، لعموم قول الله تعالى « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَـاتِ مِنَ الرِّزْقِ ... » (الأعراف : ٣٢) .

ورغم هذا فقد اختلف الفقهاء المسلمون حول جواز تدخل الدولة فى النشاط التجـــارى بالتسعير ، فكثير من الفقهاء أجازوا التسعير بحجة أنه يدفع الأذى عن الناس ، ويمنـــع الاحتكار أو يحد منه ويخفف آثاره ، ويمكـن المستهلك من الحصول على السلع والخدمات بأسعار ليس فيها مغالاة ، ولأن على ولى الأمر أن يمكن كل فرد فى المجتمع من الحصول على ما يحتاج اليه بما يستطيعه .

بيد أن الامام أبا حنيفة رضى اللـــه عنـه وأصحابه قالوا بعدم جواز التسعير (أى أن يترك تحديد السعر لتفاعل قوى العـــرض والطلب) استنادا الى ما رواه كثير من أصحاب السنن عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « غلا السعر فى المدينة على عهد رسول اللـه ﷺ فقال الناس : يا رسول الله غـلا السعر فسعر لنا فقال رسول الله ﷺ « ان الله هـو المسعر القابض الباسط الرازق ، وانى لأرجو

أن ألقى الله وليس أحد منكم يطلبنى بمظلمة فى دم ولامال رواه الخمسة الا النسائى •

ونرى من جانبنا أن الحرية الاقتصادية التى كفلها الاسلام تقتضى أن يكون التسعير غير جائز فهو ظلم فى غالب الأحيان • ودليلنا على ما نذهب اليه ما يلى :

أولا — قول الله تعالى : « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ** •• » (النساء : ٢٩) ، فاذا ما توافر ركن التراضى بين البائع والمشترى فالتعامل مشروع • أما اذا سعرت السلعة فيكون هذا اجبار لأحد الطرفين على التعاقد من غير رضى منه ، فهو أكل لاموال الناس بالباطل فهو غير مشروع •

ثانيا — ان امتناع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يسعر كان واضحا ، وعلل ذلك بأن التسعير قد يوقع ظلما ، والاسلام لايرضى ظلما لأحد • ولو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمور بالتسعير — وهو لاينطق عن الهوى — لكان قد سعر •

ثالثا — اذا لم يكن فى الحديث الشريف نهى صريح عن التسعير ، فلا يجوز حمله على تقييد الحرية الاقتصادية للافراد ، لان « الاصل فى الأشياء الاباحة » •

رابعا — اذا حكمنا العقل نجد أن التسعير العشوائى لمجرد خفض سعر البيع دون أى اجراءات أخرى يؤدى الى :

١ — اختفاء السلع من السوق لتباع خفية بأسعار أعلى مما كانت معروضة بها فى السوق فلا يشتريها الا الغنى ، ويحرم منها الفقير فيشتد ضيق الناس ويزيد حرجهم ولا تقضى حاجاتهم •

٢ — قد يضطر منتج السلعة الذى لايستطيع اخفاءها وبيعها فى الأسواق الخفية الى العمل على تقليل نفقة انتاجه بالتلاعب فى كمية الخامات ، أو وزن المنتج النهائى ، أو نوعية المواد الداخلية فى الانتاج حتى يمكنه البقاء فى السوق ، وبذا نكون قد وضعنا منتج السلعة أمام اختيارين كلاهما ظلم : فاما أن ينتج بأمانة ويبيع بأقل من سعر التكلفة فيخسر ، واما أن يصبح غاشا مطففا فى الكيل أو الميزان •• وقد يلجا بعض منتجى السلعة الى الانسحاب كلية من هذا المجال ، وفى هذا ما فيه من مضار اقتصادية • إذن ما الحل اذا تعنت بعض التجار أو تحكموا فى رفع الأسعار دون مبرر •• ؟

ان من واجب السلطة العامة أن تشيع العدل فى المعاملات وأن تعيد التوازن اذا اختل فتتدخل فى هذه الحالة بوسيلتين فى آن واحد :

أولاهما — أن تدخل الدولة كمنتج لهذه السلعة ومنافس فى السوق معلنة السعر العادل لمنتجاتها (وهذا لايعدو ممارسة المنتج لحقه فى وضع السعر المناسب لسلعته) • هذا الأمر سيزيد من عرض السلعة ، وعرض السعر المناسب ، فيستقر السوق ، ويعود التوازن من جديد بناء على تفاعل قوى العرض والطلب •

ثانيتهما — أن تعمل الدولة على تيسير حصول المنتجين على المواد الأولية والخامات ووسائل التغليف والحفظ والتخزين والنقل ،

ومستلزمات الصناعة الأخرى ، بالأسعار التى تيسر لهم الاستمرار فى الانتاج بنفس درجة الجودة ، وعرض المنتج بالسعر الذى يحقق الربح العادل ، ويوفر للمستهلك السلعة بالثمن المناسب ، ويتم ذلك باستخدام الاعفاءات الضريبية ، أو بمنح علاوات الانتاج اذا لزم الأمر فى الحدود التى تتمشى مع المصلحة العامة للمجتمع ، فينشط الانتاج ويزداد ، وتعتدل الأسعار •

إن ما ذكرناه عن عدم جواز التسعير يسرى على المنتجات السلعية ، وعلى الخدمات وعلى الايجارات (سواء فى ذلك ايجارات الأماكن أو الأرض الزراعية) •

بيد أن هذا كله لايمنع من قيام الأجهزة المتخصصة فى الدولة الاسلامية بمراقبة الأسواق والالمام المستمر بتكاليف إنتاج السلع وتوفير الخدمات المختلفة •

تنظيم حق الملكية وحرية التملك :

يعتبر حق الملكية من الحقوق التى كان لها دور كبير فى رسم تاريخ الشعوب ، فكم من ثورات قامت من أجل الدفاع عن هذا الحق ، فضلا عن أن النظرة الى حق الملكية وحرية التملك تعد نقطة من نقط التمييز الجوهرية التى تميز بين النظام الرأسمالى الغربى ، والنظام الاشتراكى الماركسى فى الوقت الحاضر •

وقد شغل تنظيم كل من حق الملكية وحرية التملك ــ وهما جوهر الحريات الاقتصادية كلها وحجر الزاوية بالنسبة للنظام الاقتصادى ــ جزءا غير قليل من التشريع الاسلامى •

وحق الملكية أو ما يطلق عليه فقهاء الشريعة الاسلامية « الملك » بضم الميم وسكون اللام والكاف ، ليس حقا طبيعيا وانما هو « صفة شرعية » أو « حكم شرعى » أو « قدرة شرعية » فالملك كله لله تعالى كما نطق بذلك القرآن الكريم فى مواضع متعددة منها :

« **وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا** » (المائدة : ١٧) ، وهو سبحانه يمنحه من يشاء وينزعه عمن يشاء • يقول سبحانه وتعالى :

« **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِى الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ** » •• (آل عمران : ٢٦) •

ولقد جاءت نظرة الاسلام الى المال وتملكه نظرة واقعية معتبرة لفطرة الانسان ولحبه للاقتناء والتملك ، فأقرت الشريعة الاسلامية حق الملكية الفردية ، وأحاطته بالحماية الكافية درءا للنزاع أو الشقاق فى المجتمع ، وفى نفس الوقت جعلت هذا الحق منوطا به تحقيق وظيفة اجتماعية هى تحقيق السعادة والازدهار الاقتصادى فى المجتمع بجانب تحقيقه لاشباع حاجات الفرد المالك وغرائزه المشروعة •

فالملكية الفردية فى الاسلام تنحصر بين حدين:
الحد الأدنى : عدم الحاق الضرر بالآخرين•
والحد الأعلى : تحقيق سعادة المجتمع كله •

وما بين هذين الحدين يتمتع الفرد بحق الملكية •ويوضح الامام الشافعى رضى الله عنه هذا بقوله : « فاذا التزم الفرد هذه الحدود وتلك القيود فليس لأحد أن ينزعها (أى ينزع الملكية) من يد صاحبها » •

ان اضافة ملكية المال بداية الى الخالق سبحانه وتعالى فيه ضمان لتوجيه المال للنفع العام من خلال التكاليف التى ترد على حق الملكية الفردية ، كما أن اضافة الملك بعد ذلك للفرد بصفته مستخلفا فى مال الله ، فيه ضمان لقيام هذا الفرد بالانتفاع بالمال واستثماره واستهلاكه والتصرف فيه فى حدود معينة ، هى حدود الوكالة والخلافة • وهذا يدفع الفرد الى العمل الجاد ، ويحفزه على مداومة استثمار هذا المال وتنميته ، دون أن يتعدى القيود الواردة على استخدامه لحق الملكية •

وتنقسم الملكية فى الاسلام الى ملكية فردية وملكية عامة • وهذه الأخيرة تتمثل فى المساجد، والوقف ، والطرق ، والمرافق العامة ، والمناجم ومجارى الأنهار ، وكل ما تقوم الدولة بانشائه والانفاق عليه من بيت مال المسلمين ، سواء أكان له وظيفة انتاجية أم وظيفة خدمية تعود بالفائدة على المجتمع كله ، أو على قطاع من قطاعاته •

ويلاحظ فيما يطلق عليه (ملكية عامة) أنها أحد نوعين :

فاما أن تكون أموالا لا تؤدى الغرض منها اذا تملكها الأفراد ملكية فردية ، أو تكون أموالها ثمرتها الناتجة عنها غير متكافئة مع كمية العمل المبذول فيها فتكون ملكا عاما حتى لايختل التوازن فى المجتمع نتيجة النفع المفرط الذى قد يصيبه الآحاد اذا ما تملكوها ملكية فردية وقد تقوم الدولة بانشاء بعض المرافق اللازمة للمجتمع والتى بسبب أنها لا تدر ربحا أو تتكلف تكاليف باهظة ، لا يقدم الافراد على انشائها ، فهذه أموال عامة أيضا •

على أنه يجوز لولى الامر أن يقطع ما يعد ملكية عامة للآحاد اقطاع منفعة لا اقطاع رقبة، فى حالة اذا ما كانت الادارة الفردية لمثل هذه الأموال أفضل ، وتعود بنفع أكثر على المجتمع•

وترد على الملكية الفردية تكاليف وقيود كى يكون المال مصدر خير وسعادة على مالكه وعلى المجتمع كله ، وحتى لا يكون هذا المال أداة طغيان وافساد فى المجتمع :

أولا : ضرورة مداومة صاحب المال على استثمار ماله

يؤدى تعطيل استثمار المال الى مضار تلحق بصاحب المال نفسه اذ تؤدى الى افقاره ، وتلحق بالمجتمع مضارا جساما :

أولها : أن صاحب المال لن يؤدى من التكاليف المالية ما يصلح حال المجتمع ويرفع من شأنه لأن المال اذا لم ينم فانه سوف يتناقص وسوف تأكله الصدقة •

وثانيها : أن صاحب المال اذا استمر على هذه الحال فسوف يدخل ـ ان آجلا أو عاجلا ـ فى عداد الفقراء فيصبح عالة على المجتمع بدلا من أن يكون عونا له •

وثالثها : أن المال لن يدخل فى العملية الانتاجية ليزيد من الناتج القومى ويساهم فى القضاء على البطالة التى تعتبر أساسا لأمراض اجتماعية كثيرة •

ولما كان الاسلام يبغض الفقر والبطالة ، ويحض على أن يكون المجتمع فاضلا ، فان سوء التصرف فى المال وعدم مداومة استثماره يعد مبررا لتدخل السلطة العامة فى الدولة الاسلامية لاجبار صاحب المال على حسن استثماره وتنحصر صور التدخل فيما يلى :

ـ تحصيل الزكاة عن المال المعد للنماء حقيقة أو حكما ، وطالما أنه لا يوجد ما يحول دون الاستثمار سوى تقاعس صاحب المال •

ـ الحجر على تصرف السفيه وذى الغفلة فى ماله ، ودفع هذا المال لمن يشرف على مداومة استثماره •

ـ تنظيم الولاية على مال الصغير والمجنون حتى لا يساء استغلال المال • يقول الله تعالى :

« وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِى جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا • وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ •• » (النساء ٥ ـ ٦) •

ـ انقضاء حق الاحتجار (اصلاح الأرض البور) اذا انقضت ثلاث سنين والأرض معطلة ، لقول رسول الله ﷺ المروى عن جابر ابن عبد الله : « من أحيا أرضا ميتة فهى له ، وليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين • » (الجامع الصغير للسيوطى) •

ثانيا أداء الفروض والتكاليف المالية

اذا قام صاحب المال باستثماره فعادت عليه منفعة مادية فلا يستأثر بهذه المنفعة ، بل عليه أن يؤدى الزكاة المفروضة ، كما أن عليه أن يؤدى التكاليف المالية التى قد تفرضها السلطة العامة كالضرائب ، لاصلاح أحوال المسلمين وللقيام بأعبائها (أى الدولة) تجاه المجتمع •

ثالثا عدم جواز التعسف فى استخدام حق الملكية الفردية

لايجوز لصاحب المال أن يستخدمه بأسلوب ينتج عنه ضرر للغير حتى ولو كان استخدام صاحب المال لماله مشروعا فى حد ذاته ، وذلك لقول رسول الله ﷺ : « لا ضرر ولا ضرار » (رواه ابن ماجة) • ولقد طبق رسول الله ﷺ هذا المبدأ الهام فقد (أخرج أبو داود) أنه كان لسمرة بن جندب نخل فى حائط (بستان) رجل من الأنصار وكان يدخل عليه هو وأهله فيؤذيه ، فشكا الانصارى الى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله لسمرة : بعه (أى النخل) ، فأبى ، قال : فاقلعة ، فأبى ، قال : فهبه ولك مثله فى الجنة ، فأبى ، فقال رسول الله ﷺ : « أنت مضار » • ثم قال لصاحب الحائط : « اذهب فاقلع نخله » • فكان هذا بمثابة حكم واجب النفاذ أصدره رسول الله ﷺ يمنع استخدام حق الملكية الفردية بشكل يضر بالغير، ولو عاد بالمنفعة على صاحب الحق •

رابعا تقييد حق المالك فى توجيه ماله بعد وفاته

ينبع هذا القيد من أصل أن المال مال الله

وأن الانسان مستخلف فيه ، فينتفع به حال حياته لمنفعته الشخصية ، فاذا ما توفى الانسان انقطعت صلته بماله ، ووزع هذا المال بالأسلوب الذى حدده المالك الأصلى للمال ، وهو الله سبحانه وتعالى ، حسب نظام دقيق فصله القرآن الكريم ، وأوضحته السنة قولا وعملا .

ومع ذلك فقد تصدق الله تعالى على المسلم بثلث ماله يوجهه كيف يشاء فتسرى ارادته بعد مماته عن طريق الوصية أو الوقف ، وليس للمسلم تجاوز هذا القدر . وللقضاء فى الدولة الاسلامية أن يبطل التصرف فيما يزيد عن الثلث ورده الى الحدود المشروعة ، ما لم يجز الورثة هذا التصرف ، فان فعلوا فهم متصرفون فى أموالهم لا فى مال مورثهم .

وقد أبطلت الشريعة الاسلامية تصرفات المريض مرض الموت فى ماله عن طريق التبرع بالهبة أو الوصية به ، أو أن يحابى فى عقود المعاوضات ولو بغبن يسير ، بل يكون بيعه وشراؤه بثمن المثل ، حتى لا يقع الضرر على الورثة .

هل يجوز نزع الملكية الفردية للمصلحة العامة:

لا يوجد نص قرآنى أو حديث نبوى شريف يشير من قريب أو من بعيد الى جواز نزع الملكية الفردية أو الى جواز تحديدها . ولم يرو عن رسول الله ﷺ أنه فعل ذلك .

بيد أنه حدث على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن ضاق المسجد الحرام بالمصلين وكانت الدور المجاورة محدقة به من كل جانب عدا فتحات يدخل منها الناس اليه فأراد عمر أن يشترى – رضى الله عنه – الدور المجاورة ، لكن أصحابها أبوا ، فكان اجتهاده بنزع ملكية الدور جبرا على مالكيها ، وأودع قيمتها ، (مقدرا القيمة بثمن المثل) ، أودعها خزانة الكعبة الى أن تسلمها أصحابها . وقد حذا عثمان ابن عفان ، أيام خلافته ، حذو عمر رضى الله عنه .

فالأصل أنه لايجوز للسلطة العامة الاسلامية أن تنزع ملك فرد منه لتحوله الى مال عام الا اذا تطلبت المصلحة العامة للجماعة ذلك ، ويكون نزع الملكية كما عبر عنها فضيلة الشيخ على الخفيف رحمه الله : « عن رضا أو عن قهر ببدله دون غبن على صاحبه ، وذلك لأن المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة (اذا تعارضتا) » . ويقول فى موضع آخر : « ذلك لأنه ليس لمالك أن يأبى حين يدعوه الى بيع ملكه داعى المصلحة العامة . فاذا أبى كان اباؤه ظلما فيدفع » .

فشرطا نزع الملكية الفردية لتحويلها الى ملكية عامة هما

– وجود مصلحة عامة غالبة لا تتحقق الا بنزع الملكية ، أو وجود ضرر سيلحق بالمجتمع الاسلامى لا يدفع إلا بها .

– أن يتم تعويض صاحب المال ، من بيت مال المسلمين ، تعويضا عادلا فوريا دون غبن ، بثمن المثل ، مضافا اليه التعويض المناسب عما سيلحق صاحب المال من ضرر مادى أو معنوى

وهل يجوز تحديد الملكية الفردية ..؟

لقد ذهب بعض علمائنا الأفاضل فى الآونة الأخيرة الى جواز تحديد الملكية الفردية بحد أقصى ، وأن هذا التحديد يمكن أن يشمل كل أنواع المال أو بعضه ، رفعا للضرر الذى قد يصيب المسلمين من جراء تراكم الثروة فى أيدى بعض الأغنياء . وقد ترك علماؤنا الأفاضل أمر تقدير الضرر وتقدير الحد الأعلى للملكية فى يد ولى الأمر بماله من ولاية شرعية تخول له ايجاب ما فيه صالح الأمة .

بيد أن ما نراه فى هذه الجزئية أنه — وان جاز نزع الملكية الفردية ، استثناء ، رعاية للمصلحة العامة تحت الشرطين اللذين أوردناهما — فان تحديد الملكية يعد بمثابة توسع فى الاستثناء دون مبرر ، وهو ظلم بين ، فضلا عن كونه يأتى بآثار سيئة ، ودليلنا على ذلك :

١ — اذا كان الأصل فى الأشياء الاباحة مالم يرد نص يغير من هذه الحالة ، فالأصل هنا هو أن لكل انسان أن يكسب كسبا مشروعا حلالا بلا حدود ، طالما أنه يؤدى ما عليه من تكاليف شرعية . والاستثناء لايكون الا للضرورة التى لا يرفع الحرج الا بها . وللضرورة فى الشريعة الاسلامية ضوابطها . ولا يمكن تصور ضرورة توجب الحد من النشاط الانتاجى المشروع وحصول صاحب المال على ثمرة عمله .

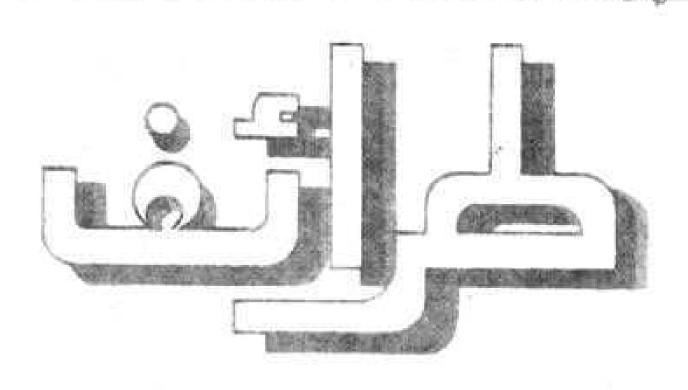
٢ — إن الاسلام قد كفل اعادة توزيع الثروة والدخل فى المجتمع بطريقتين لا ثالث لهما : نظام المواريث ، وتحصيل الزكاة وانفاقها فى مصارفها الشرعية .

٣ — ان الاسلام لا يدعو الى افقار الغنى من أجل توزيع ماله على الفقراء ، وانما هو يعمل على إغناء الفقراء كى لا يحقدون على الأغنياء ، ويحض هؤلاء وأولئك على مواصلة السعى والعمل والانتاج من أجل خيرهم وسعادة المجتمع كله .

٣ — إن تحديد الملكية فيه تثبيط للهمم ، واشاعة جو من عدم الثقة فى المجتمع ، وكبت لغريزة التملك والسعى ، فيقل النشاط الفردى الخلاق الذى لايعود ضرره على صاحبه فحسب، وانما يعود على المجتمع كله . وفى هذا — والله تعالى أعلم — اهدار لصوالح الأفراد ، وهى مصونة فى الشرع الاسلامى ، واهدار للمصلحة العامة فهو مفسدة .

من كل ما سبق نجد أن النظام الاقتصادى الاسلامى يقوم على مبادىء أخلاقية قويمة ، وعلى ايجاد توازن عادل بين صوالح الأفراد ، وهو نظام يقوم على أن يحصل كل مجتهد على نتيجة اجتهاده ، وكل صاحب مال على ثمرة استثماره للمال بالطريق المشروع الحلال ، شريطة أن يؤدى ما عليه من تكاليف مالية شرعية، وأن يراعى فى نشاطه ألا يتعدى حدود الله فلا يظلم ، ولا يجور ، ولا يأكل أموال الناس بالباطل .

د . فوزى محمد طايل



« طرائف الدين »

الدّينُ يذكر ويراد به الجزاء « مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ »

ويراد به الإسلام «بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ » .

ويراد به العذاب[1] « ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ »

ويراد به الطاعة « وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ »

ويراد به التوحيد « مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ »

ويراد به الحكم « مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ »

ويراد به الحد « وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ »

ويراد به الحساب « يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ »

ويراد به العبادة « قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ »

ويراد به الملة «وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ »

عن « المدهش » لأبي الفرج بن الجوزي

« قالـوا ... »

- إن عليك في علمك حقاً ، كما أن عليك في مالك حقا .
- رب رجل لا تغيب فوائده وإن غاب ، وآخر لا يسلم منه جليسه وإن احترس .
- أكبر العيب أن تعيب ما فيه مثلك ..
- اتباع الهوى يصد عن الحق ، وطول الأمل ينسي الآخرة .

- القرابة تحتاج إلى مودة ، والمودة لا تحتاج إلى قرابة .
- من أشبع أرضه عملاً أشبعته خبزاً .
- من أطاع هواه أعطى عدوه مناه .
- من أصغى إلى حديث الهوى أورثه الصمم عن النصائح .
- رحيل من رحل عنا نذير لنا وما جرى على من تقدمنا وعظ لنا

---

(١) عبارة الإمام الطبري - في الآية الكريمة « ذلك الدين القيم » : يقول الله تعالى : إن إقامتك وجهك للدين حنيفاً غير مُغَيّرٍ ولا مبدل هو الدين القيم ، يعني المستقيم الذي لا عوج فيه .. وقد وجه بعضهم معنى الدين في هذا الموضع إلى « الحساب » .

مجلة الأزهر .

مواقف

عبد الحفيظ عبد الحليم

« يوم الجمعة »

سُمِيَ يوم الجمعة لأحد أمرين :

أولهما : اجتماع الناس في الصلاة .

وثانيهما ـ وهو الصحيح ـ أنه اليوم الذي جمع فيه الخلق وكمل ، وهو اليوم الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين لفصل القضاء .

« حقا »

إذا كان غير الله في عدة الفتى
أتته الرزايا من وجوه الفوائد

« من درجات الكمال مخالفة الجوارح لهوى النفس »

قال الشاعر :

إذا طالبتك النفس يوماً بشهوة
وكان إليها للخلاف طريق
فدعها وخالف ما هويت فإنما
هواك عدو والخلاف صديق

« نصيحة »

قيل لحكيم : ما ابعد الأشياء عن الناس ؟

قال : الأمل .

فقيل له : وما أقرب الأشياء ؟

قال : الأجل

« حقيقة »

دخل محمد بن كعب القرظي على عمر بن عبد العزيز وقد غيره الزهد فأنكره .

فقال : يا ابن كعب ، فكيف لو رأيتني بعد ثلاثة أيام في قبري ؟

« تشابه وتلازم »

مثل السلطان كالطبيب ، ومثل الرعية كالمرضى ومثل الوزير كالسفير بين المرضى والأطباء ، فإن كذب السفير فقد بطل التدبير ، وكما أن السفير إذا أراد أن يقتل أحداً من المرضى وصف للطبيب نقيض دائه ، فإذا سقاه الطبيب على صفة السفير هلك العليل ، كذلك الوزير ينقل للملك ما ليس في الرجل فيقتله .

« دعـاء »

اللهم نور دنيانا بنور توفيقك ، واقطع ايامنا في الاتصال بك ، وانظم شتاتنا في سلك طاعتك .

الفتاوى

س : من السيد / إمام أئمة مساجد « تجكجا » إحدى مدن جمهورية موريتانيا الإسلامية :

١ ـ ما حكم الدين فيما يفعل فى ليلة ختم القرآن فى شهر رمضان ؟ حيث إنه توضع مجموعة من الأوانى والأباريق المملوءة بالماء أمام الإمام فى تلك الليلة ، وحينما يفرغ الإمام من ختم القرآن فى القيام ويدعو بدعاء ختم القرآن ، يقوم الإمام بالتفل بدون ريق فى داخل تلك الأوانى ، ثم يقوم أصحاب الأوانى بالشرب والوضوء منها تبركا .

٢ ـ ما حكم الدين فى نقل الدم من متبرع إلى مريض ـ مع العلم بأن الدم حال خروجه من الجسم يكون نجسا ، فهل ينجس الإنسان المنقول إليه الدم ؟

٣ ـ هناك أسلوب متبع فى موريتانيا الإسلامية فى الصلاة . وهو أن يقف المصلِّ على المصلَّ ويضع جبهته أثناء السجود على الأرض ، وتبرير ذلك أنّ الإنسان يضع وجهه وهو أسمى ما عنده فى مستوى أدنى من قدمه تذللا لله سبحانه أثناء السجود .. فما الحكم ؟

الجــــواب

جـ ١ ما يفعله الإمام هذا ابتداع فى الدين لا أصل له ، ويؤدى إلى أن كثيرا من الجهلة يتفلون فى الآنية بدعوى البركة ، وقد يؤدى ذلك إلى انتقال الميكروبات والأمراض والرسول ﷺ يقول : « لا ضرر ولا ضرار » .

جـ ٢ أما نقل الدم من باب العلاج للمنقول إليه فليس حراما . بل يثاب المنقول منه ـ بشرط ألا يكون المنقول منه مريضا بمرض ينتقل إلى المريض عن طريق نقل الدم إليه .. وإلا كان نقل الدم حراما ، ومن أجل ذلك يجب تحليل الدم قبل نقله .

وهذا الدم لا يتنجس به المنقول إليه لأنه ينقل عن طريق الحقن لا عن طريق الفم .. ويسير فى شرايين الجسم وأوردته فلا ينطبق عليه حكم الدم المسفوح الوارد فى قوله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِيمَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ .. ﴾ .. الآية .

إعداد وتقديم : عبد الحميد السيد شاهين

جـ ٣ أما وقوف المصلى فى مكان أرفع من مكان سجوده بدعوى التذلل فهو بدعة لم يرد بذلك نص من الشارع . وينبغى تجنب ما لم يرد به نص من الشارع .

○○○

س : من السيد / ع . أ - الإبراهيمى . الاسكندرية

فتاة زوجت نفسها بدون إذن وليها ورضاه فما الحكم على المذاهب الأربعة ؟

ج : الأئمة الثلاثة : مالك ، والشافعى ، وابن حنبل - يشترطون الولى فى عقد النكاح لقوله ﷺ : « أيُما امرأة أنكحت نفسها بدون إذن وليها فنكاحها باطل .. باطل .. باطل » .

وذهب الإمام أبو حنيفة إلى أنه لا يشترط الولى بل يجوز للفتاة أن تزوج نفسها بدون ولى بشرط أن تضع نفسها عند كفء ، فإذا لم تضع نفسها عند كفء فللولى حق الاعتراض على الزواج .

س : من السيد / ع . ع . إبراهيم - القاهرة

هل للزوجة المتوفى عنها زوجها نفقة من مال زوجها ؟ وهل يخرج مؤخر صداقها من التركة ؟

ج : مؤخر صداق الزوجة يخرج من التركة قبل توزيعها - ولا نفقة لها من مال زوجها لأنها صارت وارثة ولها مال .

○○○

س : من السيد / ك . م . الشرقاوى - أسيوط

شاب يريد الزواج من بنت عمه الشقيق ولكن الشاب رضع من جدته لأبيه خمس رضعات متفرقات فى زمن الرضاع . فما الحكم ؟

ج : برضاع الشاب من جدته لأبيه خمس رضعات متفرقات متيقنات فى زمن الرضاع وهو الحولان .. صار ابنا للجدة وأخا لجميع أولادها ، وعلى ذلك فلا يجوز له الزواج من بنات أعمامه

الفتـــاوى

ولا من بنات عماته ؛ لأنهن صرن أولاد إخوة له من الرضاع ، والرضاع يحرم به ما يحرم من النسب .

○○○

س : من السيد / أبو الخير طانيوس . الشرابية

توفى رجل عن : زوجة ، أولاد عمين شقيقين ذكورا وإناثا . فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للزوجة الربع فرضا لعدم وجود الفرع الوارث - والباقى للذكور من أولاد العمين الشقيقين تعصيبا ، يقسم بينهم بالتساوى كأنهم أولاد رجل واحد .

ولا شيء للإناث أولاد العمين الشقيقين لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث وأصحاب الفروض والعصبات .

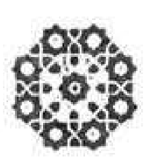
○○○

س : من السيد / م . ا . ع الدراسة

توفيت امرأة عن : أولاد أخوين شقيقين ذكورا وإناثا .. فما الحكم ؟

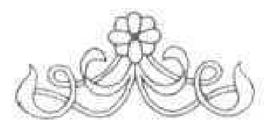
ج : التركة كلها للذكور من أولاد الأخوين الشقيقين تعصيبا تقسم بينهم بالتساوى ولا شيء للإناث لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث .. والله أعلم .

عبدالحميد السيد شاهين



العلوم الكونية

اهتمام المسلمين بدراسة الحيوان



"الإيدز" وباء الفاحشة .. إلى أين ؟!

اهتمام المسلمين

بدراسة الحيوان

طبيعة وسلوكيات الكلب، وسبق المسلمين إلى اكتشاف نظرية الارتباط الشرطى المنسوبة إلى "بافلوف"

يتركز الحديث فى هذا البحث حول الكلب، طبيعته، وسلوكياته، ومهاراته، والعلاقة التاريخية بينه وبين الإنسان، وحكم الشرع فى تنظيم هذه العلاقة، ويعتنى البحث بصفة خاصة بموضوع سبق المسلمون فيه إلى اتخاذ الكلب موضع التجربة والملاحظة، ومن ثم توصلوا إلى نظرية الإرتباط الشرطى فى القرن الثالث الهجرى على يد الجاحظ، اى قبل أن يولد بافلوف العالم الروسى الذى تعرف النظرية باسمه بقرون عدة.

إن اكتشاف هذه الحقيقة العلمية الخطيرة وعرضها لأول مرة يجعل لهذا البحث أهميته وأسبقيته فى هذا الباب، هذا فضلا عن حداثة الموضوع الذى نعالجه هنا بصفة عامة.

تردد ذكر الكلب فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية الشريفة وكتب الفقه والأحكام، كذلك احتل الكلب مكانا ملحوظا فى ديانات وثقافات وآداب شعوب أهل الأرض جميعا.

يعتبر الكلب من الحيوانات الثديية المستأنسة أكلة اللحوم، وهو يشبه إلى حد كبير الحيوان المعروف بابن آوى والذئب والثعلب. ويتميز الكلب من بين الحيوانات الأخرى بحاسة الشم " بحاسة السمع الحادة؛ ويقال: إن الإنسان قد أستأنس الكلاب من عشر إلى أربع عشرة ألف سنة تقريبا؛ ويوجد فى العالم ما يناهز الأربعمائة نوع من الكلاب.

الكلب ونظرية الارتباط الشرطى عند بافلوف

ترتبط هذه النظرية فى أذهان الناس ـ مسلمين وغير مسلمين ـ باسم العالم النفسانى الروسى « بافلوف إيفان بتروڤيتش »

بقلم / دكتور محمد أبو ليلة

الذى يعرفه العالم كخبير فى فرع علم النفس المعروف بـ « Neurophysiology » الذى يتعامل مع الجهاز العضوى بصفة عامة ومع العمل الوظيفى للجهاز العصبى خاصة .

عاش بافلوف فى الفترة ما بين ١٨٤٩ ـ ١٩٣٦ ، وتركز عمله أولاً فى علم النفس ودراسة الجهاز العصبى وعلاقته بعملية الهضم ، وقد حازت أعماله على التقدير من قبل العلماء وأهلته من ثم للفوز بجائزة « نوبل » للبحوث النفسية والطبية عام ١٩٠٤ ; ولكنه اشتهر أكثر ما اشتهر بالنظرية المنسوبة إليه « البافلوفية » وتعنى « الإرتباط الشرطى » عند الكلاب والتى نحن بصدد إثبات أصلها الإسلامى .

أثرت هذه النظرية تأثيراً بالغاً على اتجاه علم النفس الروسى بصفة عامة ، كما كان لها أيضاً تأثيرها العميق على ما يسمى بـ « behaviourisn» أى علم السلوك بالولايات المتحدة الأمريكية ، ولسنا نستبعد تأثيرها على مجرى السياستين الأمريكية والسوفيتية أيضاً .

وقد ترجمت بعض أعمال بافلوف الخاصة بنظرية « الإرتباط الشرطى » أو « الاستجابة اللاإرادية للدافع » إلى الـ ـة الانجليزية ، وهى التى اعتمدنا عليها فى تصوير آرائه مع الاستعانة ببعض المراجع الأخرى .

إن التجربة أو التجارب التى أجراها هذا العالم الروسى على الكلب قامت على أساس معرفة مدى سيلان لعابه ، ومدى ارتباط ذلك بالمؤثر الخارجى ؛ ولكى يتأكد من صحة تجربته وسلامة نتيجته قام بافلوف بعزل جزء من معدة الكلب وتوصيله بقناة خارجية بحيث يمكن ملاحظة وقياس إفرازات المعدة وبالتالى دراسة « ظاهرة الارتباط الشرطى » بين « المثير الخارجى » « ورد الفعل اللاإرادى » الشرطى المنعكس ، والمثير الخارجى الذى استعمله بافلوف فى تجربته هو « الجرس » ، حيث كان يدقه قبل تقديم الطعام للكلب حتى ارتبط حصوله على الطعام بدق الجرس ، ثم بعد ذلك كان يدق الجرس فى موعد تقديم الطعام دون أن يقدمه له بالفعل ، فلاحظ أن دقات الجرس كانت تثير لعاب الكلب بنفس الدرجة عندما كانت مصحوبة بتقديم الطعام ، ومن ثم توصل بافلوف إلى نظرية الارتباط الشرطى التى ذاعت شهرتها باسمه .

بعد هذا العرض الموجز لنظرية بافلوف نلاحظ أن هذه التجربة قد ارتكزت على الوسائل والخطوات التالية :

١ ـ إتخاذ الكلب موضوعا للتجربة .
٢ ـ إتخاذ الجرس لاثارة انتباه الكلب وملاحظة مدى سيلان لعابه .
٣ ـ دق الجرس فى موعد تقديم الطعام .
٤ ـ دق الجرس فى نفس الموعد دون تقديم الطعام .

٥ ـ تكرار هذه التجربة للتأكد من صدق الملاحظة .

٦ ـ عزل جزء من معدة الكلب وتوصيله بقناة خارجية لملاحظة إفرازات المعدة أيضاً .

سبق الجاحظ فى ملاحظة

الارتباط الشرطى عند الكلب

يعتبر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الذى عاش بالبصرة فى الفترة ما بين ١٥٠ ـ ٢٥٥ هجرية (٧٦٧ ـ ٨٦٨ ميلادية) هو الرائد الأول لهذه النظرية والسابق إليها ، ويحسن أن نقدم « عالمنا المسلم » بعجالة للتعريف به وإبراز فضله .

يعد الجاحظ من المكثرين فى التأليف وكتبه كثيرة ومتنوعة ، وذائعة شائعة بين العرب والمسلمين والمهتمين باللغة العربية وآدابها فى أنحاء العالم .

إن للجاحظ فى كل فن قلم ، غزيرة أسطاره ، عميقة أفكاره ، كاتب مسهب فى بيانه ، بليغ فى عرضه ، قوى فى حججه ، من أساطين العربية وسدنتها ، ومن أشهر كتبه كتاب « الحيوان » ، حققه تحقيقا ممتازا ونشره بالقاهرة الأستاذ محمد عبد السلام هارون (الحلبى ١٣٨٥ ـ ١٩٦٥) .

فى هذا الكتاب وتحت عنوان « الانتباه الغريزى فى الكلب »[1] يقول الجاحظ « وقد خبرنى صديق لى أنه حبس كلبا له فى بيت وأغلق دونه الباب فى الوقت الذى كان طباخه يرجع فيه من السوق ومعه اللحم ، ثم أحدَّ سكينا بسكين ، فنبح الكلب (وقلق) ، ورام فتح الباب لتوهمه أن الطباخ قد رجع من السوق بالوظيفة (أى طعام اليوم) وهو يحد السكين ليقطع اللحم !! قال : فلما كان العشىّ صنعنا به مثل ذلك ، لنتعرف حاله فى معرفة الوقت ، فلم يتحرك !!

قال : (أى الجاحظ) وصنعت ذلك بكلب لى آخر فلم يقلق إلا قلقا يسيرا ، فلم يلبث أن رجع الطباخ فصنع بالسكين مثل صنيعى ، فقلق حتى رام فتح الباب !!

قال : فقلت : والله لئن كان عرف الوقت بالرصد فتحرك له ، فلما لم يشم ريح اللحم عرف أنه ليس بشىء ، ثم لما سمع صوت السكين والوقت بعد لم يذهب ، وقد جىء باللحم (فشم ريح اللحم) من المطبخ وهو فى البيت ، أو عرف فصل (أى الفرق) ما بين إحدادى السكين ، وإحداد الطباخ ، إن هذا أيضا لعجب » .

ويبرز الجاحظ لنا أيضا حاسة الشم القوية التى يتميز بها الكلب ، فيقول : « وإن اللحم ليكون بينى وبينه الذراعان والثلاث الأذرع ، فما أجد ريحة إلا بعد أن أدنيه من أنفى وكل ذلا عجب » .

ويستمر الجاحظ فى ملاحظاته ورصده لسلوك الكلب وكيف أنه يعرف تقدير الوقت

(١) الجاحظ ـ الحيوان ٢ / ١٢٠ ط مصطفى الحلبى طبعة ثانية

بدقة فيقول : « ولم أجد أهل سكة أصطفانوس (مكان ينسب إلى كاتب نصرانى من البحرين) ودار جارية ، وباعة مُرَبَّعَةِ بنى مِنْقَر (موضعان بالبصرة) يشكون أن كلبا كان يكون فى أعلى السكة ، وكان لا يجوز محرس الحارس أيام الأسبوع كله ، حتى إذا كان يوم الجمعة أقبل قبل صلاة الغداة ، من موضعه ذلك إلى باب جارية ، فلا يزال هناك مادام على معلاق الجزار شىء من لحم ، و « باب جارية » تنحر عنده الجُزُر (جمع جزور وهى الناقة) فى جميع أيام الجمع خاصة ، فكان ذلك لهذا الكلب عادة ، ولم يره أحد (منهم) فى ذلك الموضع فى سائر الأيام ، حتى إذا كان غداة الجمعة أقبل ! » .

بعد عرض تجربة الجاحظ وملاحظاته يتبين لنا أنه اعتمد على الوسائل والخطوات التالية :

١ ـ أن الكلب كان موضوع التجربة والملاحظة عنده .

٢ ـ أن صوت إحداد السِّكِّينَيْنِ فى كلام الجاحظ ، يقابله رنين الجرس عند بافلوف ، وكلاهما اتخذ لنفس الغرض أى لإثارة الكلب .

٣ ـ أن عبارات الجاحظ (فنبح الكلب وقلق) و (عرف الوقت فتحرك له) ، تقابلها مصطلحات بافلوف (رد الفعل الشرطى المنعكس) .

٤ ـ سجل الجاحظ فى ملاحظاته حركة واهتياج وقلق الكلب بناء على إحداث المؤثر الخارجى ، ولاحظ بافلوف سيلان لعاب الكلب كعلامة على الاستجابة الشرطية ، وكلها ردود فعل تصدر فى وقت واحد كنتيجة لاستجابة الكلب .

ثم انفرد الجاحظ بالنقطتين التاليتين :

١ ـ أنه كرر التجربة على الكلب الواحد ثم انتقل بها إلى كلب آخر لزيادة التأكد .

٢ ـ أنه أبرز مدى قوة حاسة الشم عند الكلب .

وانفرد بافلوف عن الجاحظ بالعملية الجراحية التى أجراها على الكلب لقياس ظاهرة الافراز المعدى أيضا .

إن هذه الحقائق الدامغة تثبت وبلا أدنى شك أن نظرية الارتباط الشرطى إنما هى إبداع إسلامى واكتشاف عربى صميم سبق بافلوف بنحو أحد عشر قرنا من الزمان وعرفته من ثم العراق قبل أن تعرفه روسيا والعالم الغربى .

ولسنا نشك فى أن تكون تجربة الجاحظ قد وصلت إلى بافلوف عن طريق بعض اليهود أو بعض المسلمين الروس ممن لهم علم بالعربية وآدابها . فأخذها بافلوف الذى عاش عصر التخصص الدقيق وأدخل عليها عمليته الجراحية .

وبعد : فإن الإسلام دين يشجع على العلم ، ويفرض على الإنسان أن يستعمل عقله وفكره ، وأن يلاحظ ويجرب للتعرف على أسرار الماديات وربطها بأسبابها ومسبباتها ، والتعرف من ثم على خالقهُا عز وجل وعبادته .

◆

◆ اهتمام المسلمين بدراسة الحيوان

إن أسلافنا العظام قادوا مسيرة الحضارة وأرسوا قواعد المدنية الحديثة ، وكان لهم السبق والريادة فى كثير من الاختراعات والاكتشافات ، وقد دللنا فى هذا البحث على سبق الجاحظ إلى القول بالارتباط الشرطى ، كما دللنا فى بحث لنا سابق على استحداث طريقة الكتابة البارزة للمكفوفين على يد محمد بن عبد الوارث الأندلسى .

إن تراثنا ملىء بأسباب الرقى والنهضة وإن علينا أن نفتش فى ذخائره ونفيد منه ونتقدم به ، ونصل الماضى بالحاضر للارتقاء بالمستقبل ، « وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ » .

د . محمد أبو ليلة

◇ ◇

فى النقد الذاتى - بقية

والنموذج الذى أقدمه ليفهم هؤلاء أن الأمر فى الاسلام ليس بالعنف • موضوع « الأصنام » فقد بعث سيدنا محمد ﷺ ليعبد الله وحده لا شريك له وبعث وأمر •• أن يتبع ملة ابراهيم حنيفا ، ومعنى اتباع ملة ابراهيم أن يقوم مثل جده ويكسر الأصنام بالفأس فهى كثيرة فوق الكعبة ، ولكنه لم يفعل لأنه يريد لهاتكسيرا بالمنهج لا بالمعول ، والصحابة رضوان الله عليهم لم يسألوا رسول الله ﷺ أن يكسرها أو يكسروها معه على ذمة ما فعله سيدنا ابراهيم ، لأنهم أسلموا عقولهم للمنهج الذى جاء به سيدنا محمد ﷺ •

والعقلية المعاصرة من الشباب المتطرف أو الجبرى لو كان موجودا مع الصحابة لحاجهم وقال لهم :

أن الله أمر نبيه أن يتبع ملة ابراهيم وابراهيم كسر الاصنام بالفأس • فلابد من ثورة وأن تكسر الأصنام بالفأس ولأوجدوا جدلا وصخبا كالذى نلمسه فيهم وفى سلوكهم المستعصب بالجهل الذى يضيفونه على الاسلام والاسلام من هذا كله برىء •

فقد عرف تاريخ الدعوة أن رسول الله ﷺ كسر الأصنام يوم فتح مكة وليس لها واحد من أتباعها القدامى يدافع عنها ، بل ان عكرمة ابن أبى جهل وأبا سفيان بنحرب ، وزوجته هند وهم من صناديد المدافعين عن الأصنام كانوا يشاهدون تكسيرها وهم سعداء ويرددون مع المسلمين **« جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا »** •

ذلك لأن منهج الاسلام عميق وفسيح وسرمدى فهل للمعاصرين أن ينصاعوا فى أدب وتواضع ومعرفة لله تعالى ولرسوله ﷺ !! هذا وبالله التوفيق •



د. واصف عبد الحليم عبد الله

● مقدمة : فى هذه الأيام تجتاح الأوساط الطبية والشعبية فى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية موجة عارمة من الذعر والهلع سببها مرض ظهر منذ سنوات قليلة فى الولايات المتحدة ثم انتشر منها بسرعة إلى كثير من البلدان حتى بلغت ضحاياه الآلاف خلال فترة وجيزة .. لقد أطلق على هذا المرض اسم «AIDS» وهو الأحرف الأولى من اسمه بالإنجليزية Acquired Immune Deficiency Syndrom

ويعنى « النقص المكتسب فى مناعة الجسم تجاه الأمراض » . اكتشفت أول إصابة بالأيدز عام ١٩٧٩ م فى مدينة نيويورك الأمريكية عند رجل شاذ جنسياً ثم تتابعت الإصابات وكان معظمها عند رجال شاذين . «Homosexual» وقد اتصفت هذه الإصابات بسيرها السريع نحو الموت ثم بدأت تظهر إصابات جديدة خارج نطاق هذه الفئة مما استرعى انتباه الأطباء والباحثين فى مجال الأمراض الوبائية .

● العامل المسبب للمرض :

تركزت الأبحاث فى البداية حول معرفة العامل المسبب للمرض وتمكن الباحثان : الأمريكى (Prof.R.Gallo) والفرنسى (L.Mon-dagnier) عام ١٩٨٣ من اكتشاف العامل المسبب للمرض وهو فيروس أطلق عليه اختصاراً اسم LAV/HTLV-111 ولا يزيد قطرها عن (٠,١٠٠٠) ملم وتشبه الفيروس المسبب لالتهاب الكبد المصلى (Hepatitisb) ولكنه يختلف عنه بضعفه فهو يتخرّب عند تعرضه لحرارة تزيد عن (٦٠°م) وللمطهرات كالغول الإثيلى (٧٠ ـ ٨٠٪) .

● طريقة العدوى :

لقد أصبح من الثابت الآن أن العدوى

بهذا المرض تتم بانتقال الحمّة[1] الراشحة من دم الشخص المصاب أو الحامل لها إلى دم الشخص السليم . وأن الطريق الرئيسى لهذا الانتقال هو الاتصالات الجنسية الشاذة ـ « اللواط » و « الزنا » واستعمال الإبر الملوثة ـ بهذه الحمّة كما هو شائع عند المدمنين على حقن المخدرات .

● السير والأعراض لمرض الأيدز :

بعد الإصابة بالحمّة الراشحة وخلال فترة تتراوح بين (٦) أسابيع و (٦) أشهر يصبح المصاب حاملاً للمرض . وتغدو التفاعلات المخبرية الخاصة « بالأيدز » عنده إيجابية .. وتبقى الإصابة كامنة فى دور الحضانة فترة من الزمن قد تمتد إلى خمس سنوات أو أكثر وحسب التقديرات فإن (١٠٪) على الأقل من هؤلاء الحاملين للمرض سوف تتفاقم عندهم الإصابة وتتطور إلى مرض « الأيدز » الذى ينتهى بالموت المحتم خلال فترة لا تزيد على ثلاث سنوات .

بعد دور الحضانة تظهر أعراض هامة غير وصفية كالوهن والضعف والحمى والتعرق الليلى ونقص الوزن والإسهالات ، ثم تحدث تضخمات فى العقد الليمفاوية «Chronic Lymphadeno Pathy» وتتكامل الصورة السريرية لمرض « الإيدز » بانهيار مقاومة البدن للأمراض فتستولى عليه الإنتانات الانتهازية الفتاكة وقد تحدث إصابة دماغية شديدة تعرف باسم (LAV/HTLV-111-Encephalopathy)نتيجة لتخريب خلايا الجهاز العصبى .

وفى أكثر من نصف الحالات يصاب المريض بنوع خاص من السرطان الذى يصيب الجلد والعقد الليمفاوية والأحشاء ويدعى **Kaposi Sarcoma** ويبدو على شكل أدران قاتمة منتشرة على الجسم ، وكما أسلفنا فإن الأمر ينتهى بالموت خلال وقت قصير .

إن ظهور هذه الأعراض والعلامات وبخاصة عند شخص ينتمى لإحدى الفئات المعرضة لخطر الإصابة السابقة الذكر يدعو إلى الشك فى إصابته بهذا المرض . ويمكن تأكيد ذلك أو نفيه بالاستعانة ببعض الفحوص المخبرية التى تمكن العلماء من تطويرها فى الآونة الأخيرة ، وأهمها اختبار يدعى (HTLV/111ELISA) ويمكن بواسطته الكشف عن الأجسام الضدية لحمّة الإيدز «Antibodies» فى دم الأشخاص المشتبه فى إصابتهم . وقد أصبح هذا الاختبار وغيره يستعمل فى الفحوص الروتينية الجماعية (Screen Test) للكشف عن الأشخاص الحاملين للمرض وللكشف عن الدماء والمُصُول الملوثة بهذه الحمّة الراشحة .

الانتشار :

لقد اتصف هذا المرض منذ ظهوره

١ ـ الحمة ـ بفتح الحاء : عرض من أعراض مرض « الإيدز » وبواسطته يتم انتقال العدوى .

بانتشاره السريع فالإصابات والوفيات تتزايد بشكل خط بياني صاعد مستقيم . وهى تتضاعف كل ستة أشهر . حيث يقدر أن ضحاياه سيبلغون حوالى ٣٥ ألفاً فى نهاية ١٩٨٧م وكلهم من الشباب ، مما أعاد إلى الأذهان جائحة مرض الزهرى التى اجتاحت أوروبا فى القرن الخامس عشر الميلادى ، والتى اعتقد فى حينها أنها وفدت من أمريكا بعد اكتشافها .. وقد حمله الأوروبيون معهم إلى بلادنا الإسلامية فعرف فى بلادنا باسم « الأفرنجى » وقد بقى الزهرى خطراً جاثماً على صدور الشاذين والمنحرفين حتى هذا القرن بعد أن اكتشف عقار البنسلين عام ١٩٤٠ م .

إن الأرقام والاحصاءات التى تقدمها الدراسات المخبرية تدعو إلى مزيد من الخوف والقلق . ويرى البرفيسور غالو (Prof . R . Gallo) وهو من ابرز الباحثين فى هذا المرض أن ٩٨٪ من الحاملين لهذا المرض لا يزالون غير مكتشفين وغير معروفين . فنحن إذن أمام واقع يشبه الثلج الذى نرى قمته ويغيب عن أنظارنا حجمه المختفى تحت سطح الماء .

طريق الوقاية :

لم يتوصل الباحثون حتى اليوم - برغم الجهود المكثفة - إلى إيجاد عقار لمعالجة مرض الإيدز ، ولا يعلق الخبراء آمالاً كبيرة على إيجاد علاج أو إيجاد لقاح فعال ضده فى السنوات القليلة القادمة . وتتركز المعالجة فى الوقت الحاضر فى محاولة تجريب بعض الأدوية المعروفة كـ« الانترفيرون » ودواء (Cyclosporine) وكذلك بالعناية بالمريض ومعالجة ما يطرأ عليه من « إنتانات » وآلام . علماً بأن هذه المعالجة تتطلب « كوادر » طبية مدربة كافية .

● الايدز إلى أين ؟؟

حتى الآن لم يتمكن مصاب واحد بمرض الإيدز من الشفاء . ويبقى أمامنا طريق واحد لا بديل له هو التطعيم ضد الفيروس ، ومادام العلاج لم يعط أى نتيجة إلا فى حدود ضيقة كما هو واضح على أعلى المستويات الطبية فى العالم فى أمريكا وغيرها من الدول الغربية فإن الذى يبقى أمامنا هو « الوقاية » وهذه تتم بمايلى :

١ - الابتعاد عن الشذوذ الجنسى والاتصالات الجنسية غير المشروعة .

٢ - وجوب الابتعاد عن المخدرات بكل أشكالها .

٣ - على السيدات المصابات بالمرض أو الحاملات للفيروس حتى بدون أعراض أن يتوقفن عن الانجاب .

٤ - المرضى الذين يحتاجون إلى نقل دم أو مكونات الدم عليهم أن يتأكدوا من سلامة الدم المنقول إليهم .

٥ - على مرضى الهيموفيليا أن يصروا على نقل عوامل التجلط المسخنة أو المعاملة بطرق تقضى على الفيروس .

الاسلام وهذا الوباء :

إن هذا الدين الذى جاء إتماما لمكارم

الأخلاق يحرم الفواحش قال تعالى :

« قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ » الأعراف ٣٣ .

وأوقع أقسى العقوبات على مرتكبيها قطعا لدابرها وتطهيرا للمجتمع من شرها .

وما شاعت الفاحشة فى قوم إلا ظهر فيهم من الوباء ما لم يكن معروفا من قبل ، وهذا ما أحاط بالعالم الغربى الذى تهتك لأذنيه فى غمرة الفوضى الجنسية التى يدعو لها بكل سبيل ، ويزينها بما يخترعه للجنسين من آلات وأدوات طفح شرها فأحاط - أول ما أحاط - به ..

﴿ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ يونس ١٠١ .

ومصداقا لأحكام الإسلام ولأحاديث رسول الله ﷺ ظهر هذا المرض الخبيث الذى لم يعرف من قبل ، وربما يُحِدُّ داء « الإيدز » من اندفاع الغرب فى دنيا اللذات ، ولقد يجبره على العيش فترة أخلاقية نظيفة ، وإن كانت عابرة - فإنها إن حدثت فسيكون أساسها خشية الإصابة بـ « الإيدز » لا خشية الله .

« نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » ١٩ « الحشر » .

فأما الكيان النفسى للإنسان الغربى فمن الوهم أن يتحول عن تلك الجبلة .

إن الغرب - لضلاله - يضع كل الرجاء فى الطب ويسعى جاهدا للبحث عن علاج لـ « الإيدز » متغافلاً عن أصل الداء الذى هو انحراف السلوك ، غير مفكر فى تصحيحه .

ولعله من الخير أن نستذكر فى الختام صفحة من تاريخ الجاهلية الأولى .. قال تعالى : « وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ . أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ . فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾ صدق الله العظيم - النمل ٥٤ - ٥٨

المراجع :

١ - الإيدز .. ضريبة الشيطان ... د . واصف عبد الحليم عبد الله

٢ - الإيدز ويخاوف المستقبل ... د . واصف عبد الحليم عبد الله

٣ - الإيدز مرض العصر ... د . عبد الله الباكر

٤ - المجلة الطبية .

٥ - المجلة الشهرية الصادرة عن جامعة هانوفر .

٦ - مجلة **Stem**

٧ - مجلة **Syno Posisy Pathology**

٨ - مجلة **Derspiegel**

٩ - **Current Medical Diugand Treatment**

من أعلام الأزهر

العلامة الشيخ

على محمود قراعة

رئيس المحكمة العليا الشرعية "سابقا"

للأستاذ الشيخ
توفيق إسلام يحيى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول اللهوعلى آله وصحبه ومن والاه ..

« تمهيد »

من ساداتنا العلماء الفطاحل والقضاة الأفاضل فقيد العلم والقضاء رئيس المحكمة الشرعية الشيخ « على محمود قراعة » نجل المرحوم الشيخمحمود أحمد قراعة قاضي أسيوط وشقيق المرحوم العلامة الشيخ عبد الرحمن أحمد قراعة مفتى الديار المصرية ، وشقيق المرحوم محمد أمين قراعة قاضى قضاة السودان سابقا .

« ميلاده ونشأته »

ولد فقيدنا العظيم العلامة الشيخ (على قراعة) فى اليوم الثانى من فبراير لسنة ١٨٦٦ ميلادية فى مدينة أسيوط .

ولد ـ رحمه الله ـ فى بيئة اشتهرت بالعلم والدين أبا عن جد ، جل أبناء الأسرة الذين ولدوا قبله أو فى عصره علماء أفاضل خدموا العلم والدين مخلصين لله رب العالمين .

فى هذه البيئة العلمية الطاهرة فتح « وليدنا » العلامة الشيخ على قراعة عينيه فرأى العلم والورع والتقى والاخلاص والصدق والوفاء تملأ جوانبها فانعكست عليه هذه الأمور العظام التى تدفع الانسان الى

الأمام وترفعه الى أعلى مقام • فعشق (١) « وليدنا » العلم والورع والتقى والاخلاص والصدق والوفاء • ولما بدأ يدخل مرحلة التمييز وجد فى بيئته من قام بتعليمه وتثقيفه وانماء المبادىء الكريمة التى امتزجت بروحه ، فتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، وتلقى العلوم والفنون ، وسرعان ما استوعبها ونبغ فيها وظهرت فيه ملكة الخطابة والكتابة وقرض الشعر ، ولم يكن قد بلغ العشرين من عمره المبارك •

حياته وهو طالب

لاشك أن من ينشأ فى بيئة علمية دينية تتحدث جدرانها بأن كل شىء داخلها يجرى وفق روح الاسلام المفهوم من الكتاب والسنة لاشك تمتلىء جوارحه بآثار هذه البيئة ثم تنعكس على جميع أدوار حياته ، وفقيدنا العلامة « رحمه الله » أدرك فى كل أدوار حياته لذة معرفة الله تعالى ، ومعرفة أفعاله ، فآثر هذه اللذة الروحية على حب اللعب فى سن التمييز ، وحب الزينة فى سن البلوغ ، وحب الرياسة بعد العشرين ••

ولما اشتد عوده ، وكمل تمييزه أقبل على تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، وأخذ يتعلم قواعد العلوم الأخرى ، ولم يكن بحاجة الى مدرس خارجى ، لان كل من بالاسرة علماء وأدباء يتولونه بالعناية والرعاية والارشاد وحل ما يتعرض له فى أثناء دراسته من مشكلات علمية • •

وهكذا صار شابا مميزا بين أترابه • محبوبا لدى أصحابه ، يستمعون اليه بشوق كلما تحدث اليهم ، أو خطب فيهم • وبدأت ملكة قرض الشعر تتفتح عنده ثم تتفجر فى ريعان شبابه ، فكان يراسل أترابه وأصحابه كلما جد جديد بقصائده الشعرية الدالة على أنه سيكون — لو داوم على قرض الشعر وتفرغ له — من أقران البارودى وشوقى وحافظ •

من نماذج شعره

أنه أرسل الى صديق له اقترح تأليف جمعية أدبية ووعده بتأليفها ثم تأخر — فأرسل اليه قصيدة جاء فيها :

أتذكر اذ مَشَيْنا فى « سيوط »
من « الحمر » الى بعض الشوارع
وقلنا فى طريق المشى شيئا
كثيرا ذِكْرُهُ يَشْفِى المسامع
. . . .
وبعد القول صار الأمر نسيا
يحق لتركه سيل المدامع
فمن هذا علمت بأن قومى
لهم قول وليس لهم منافع

---

(١) سيأتى فيما بعد قصيدة نظمها وهو دون العشرين تشوقا الى الالتحاق بمدرسة القضاء الشرعى يقول فيها :

(حبيبى) عشقت العلم طفلا ويافعا
ومن عشق العلياء لابد يعشق

ولما تألفت هذه الجمعية التي سميت «جمعية الآداب بأسيوط» نظم قصيدة ألقيت عند انعقاد الجمعية تحث شباب أسيوط على التمسك بالصدق والوفاء، وتنفرهم من الكذب والرياء جاء فيها : —

أيا شبان «أسيوط»
أفيقوا للذى يجب
ولا تلقوا بأنفسكم
الى هُلْكٍ فتنتحبوا
وأصغوا للذى أحكى
ففيه النفع لا الخطب

ثم يذكر فى قصيدته بعض ما يدور بين الناس مما يتنافى مع الشرع الشريف ولا يريد ذكره، لان أدبه يمنعه من ذلك، ويختم قصيدته بقوله :

ولولا أن لى أدبا
ونعم المانع الأدب
لما أبهمت ما نكروا
ولا أخفيت ما نسبوا
بعثت نصيحتى لكمو
لتنتبهوا وتجتنبوا
وإلا ساءت العقبى
وضاع المجد والحسب

ولما فتحت مدرسة القضاء الشرعى باب القبول كتب قصيدة ذكر فيها شوقه الى الانتساب إليها فقال :

اذا النفس تاقت المعالى وجدتها
تنقب عنها كلما لاح بارق
فان وجدت فى الأرض فهى محوزة
وان وجدت فى الأفق جاءت تعانق
.. .. ..
وانى عشقت المجد طفلا ويافعا
ومن عشق العلياء لابد يعشق
كذلك رأت نفسى المعالى عزيزة
فمدت يديها فى الفضاء تحلق
فما وجدت الا العلوم معاليا
فمنها يضىء الكون دوما ويشرق
فجدت لحوز العلم من كل سبله
بعزم أكيد ثابت الجاش يصدق

ثم يذكر فى هذه القصيدة أنه حينما رأى مدرسة القضاء الشرعى قد فتحت أبوابها سنة ١٩٠٧ لامتحان القبول تاقت نفسه أن يكون من بين الناجحين فيه وختم قصيدته بقوله :

ولما رأت (دار القضاء) قد فتحت
أبوابها ودعى اليها السبق
اقبلت أسعى أن أكون كواحد
ممن يرى فى الناجحين ويسبق

تقدم فقيدنا العظيم رحمه الله لامتحان القبول بالقسم العالى الذى أنشأته مدرسة القضاء فكان ترتيبه الثالث من بين الناجحين فيه • وكان سعد باشا زغلول فى ذلك الوقت ناظر المعارف «وزير» جاء يزور المدرسة فألقى فقيدنا العظيم رحمه الله قصيدة ترحيبا بناظر «وزير» المعارف قال فيها :

اليوم حل بدار العلم ناظرنا
فاصبح العلم بالبشرى ينادينا

يقول يا قوم هيا فانشروا فرحا
وزينوا القطر بالأنوار تزيينا
فـ «لسعد» جاء ومن يحلل بساحته
«سعد» رأى البشر والاقبال واللينا

✦ من أعلام الأزهر

هو (الوزير) الذى قد زان منصبه
ومذ علاه رأيت الناس يثنونا
ففكره ثاقب لا ينثنى أبدا
وعزمه نافذ كل « الأحايينا »
وحبه للمعالى ظاهر ابدا
فيما مضى للناس يغنينا
وشاهد الحال أجلى فى نظارته
يريد للعلم اكثارا وتحسينا

وكما كان فقيدنا العظيم فى أثناء طلب العلم شاعرا مبدعا كان أيضا خطيبا بارعا ، فكثيرا ما كان يلقى محاضرات على زملائه طلبة مدرسة القضاء الشرعى عن صدق العزيمة وأثر الاسلام فى العالم . هذا الأثر الذى قسم الى أربعة أقسام :

١ – أثر الاسلام فى الدين .
٢ – أثره فى السياسة .
٣ – أثره فى العمران .
٤ – أثره فى العلم .

وأذكر هنا بعض عباراته الدالة على عمق الفهم ونفاذ البصيرة ووضوح الرؤية يحاضر اخوانه متألما قائلا : « أرونى أمة فقدت صدق عزيمتها وابتليت بضعفها وهى قوية ؟!

أرونى أمة رزئت بالتقلب وهى حية ؟!

أظنكم لا تجدون ، وان وجدتم ففى الأذهان لا فى الأعيان .

كانت مدة الدراسة بالقسم العالى الذى أنشأته مدرسة القضاء الشرعى أربع سنوات . وفى أثناء امتحان النقل من السنة الأولى جاء سعد زغلول باشا وهو ناظر للمعارف يزور المدرسة ومعه رشدى باشا مدير الأوقاف العمومية . دخل سعد باشا اللجنة التى كان يمتحن فيها فقيدنا العظيم رحمه الله مقبلا على الكتابة بكل أحاسيسه ومشاعره ، ولما اقترب منه « سعد باشا » لفت نظره خطه الجميل فأمسك بورقته ليتمتع بجمال خطه ، لكنه نسى جمال خطه حين بهرته معلوماته . ولشدة اعجابه بها أطلع زميله رشدى باشا عليها ، ثم أطلع عليها أيضا ناظر المدرسة « عاطف باشا بركات » . وبعد ذلك أخرج سعد باشا « وزير المعارف » قلمه من جيبه وكتب بيده درجة الامتحان النهائية وهى ٣٠ من ٣٠ فى هذه المادة وهى « الأخلاق » ثم هنأه سعد باشا وزميله رشدى باشا وشجعاه على المداومة على استيعاب الدروس هكذا .

وذكرت جريدة المقطم الصادرة يوم ٣٠ من مارس سنة ١٩٠٨م ، هذا الحادث كما ذكرت سرور معالى الوزير وزميله من فهمه العميق للمادة وأسلوبه الحسن وخطه الجميل وتعتبر ورقة الامتحان هذه هى الورقة الأولى والأخيرة التى وضع درجة الامتحان فيها وزير المعارف بيده .

كان من برنامج القسم العالى بمدرسة القضاء الشرعى أن يكلف كل طالب بكتابه بحث علمى فى نهاية كل سنة ، فكتب فقيدنا العظيم رحمه الله فى السنة الأولى رسالة عن اللغة العربية والتعريب بعنوان « الدخيل فى اللغة العربية » لا يكتب مثلها الا فطاحل علماء اللغة .

وفى السنة الثانية كتب رسالة فى « الوراثة » كتابة علمية لا يكتب مثلها الا المتخصصون .

وفى السنة الثالثة كتب رسالة فى (تاريخ

القضاء الشرعى فى مصر) من بعد الفتح الى وقتنا الحاضر .

وفى السنة الرابعة كتب رسالة فى « الحيل الشرعية » وهى أيضا رسالة جامعة ذكر فيها أسبابها وتاريخها ونتائجها ، وبين أقسامها وأنواعها ، والجائز منها والممتنع .

ولكى يتم الانتفاع بهذه الرسائل أرجو من الله تعالى أن يوفقنى ـ بعد بحثها ودراستها بعمق وامعان ـ فى نشرها تباعا فى مجلة « الأزهر الشريف » لتكون الفائدة بها أتم وأشمل .

وفى يوم ٢٥ من ذى الحجة لسنة ١٣٢٩ هـ صدرت من مشيخة الجامع الأزهر الشريف الشهادة رقم ٥ من فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر بأنه صار امتحانه ـ امتحان فقيدنا العظيم ـ بمجلس مكون من فضيلته رئيسا وعضوية كل من أصحاب الفضيلة الشيخ بكرى عاشور الصدفى مفتى الديار المصرية ، والشيخ أحمد السيوفى شيخ السادة الحنابلة ، والشيخ محمد بخيت المطيعى قاضى الأسكندرية والشيخين : عبد الكريم سلمان ، وأحمد هارون المفتشين بالمحاكم الشرعية وسعادة فتحى باشا زغلول وكيل وزارة الحقانية وعبد العزيز فهمى بك « باشا » المحامى صار امتحانه فيما هو مقرر بمدرسة القضاء الشرعى من العلوم الاحد عشر وهى (التفسير والحديث والأصول والفقه والتوحيد والمنطق والنحو والصرف والمعانى والبيان والبديع) وفى العلوم الأخرى التى تقرر تدريسها بمدرسة القضاء الشرعى ، وقرروا استحقاقه الدرجة العالية ، والاذن له بالتدريس فى الجامع الأزهر وفى غيره من أماكن التدريس .

تعيينه مدرسا بمدرسة القضاء

فى أول سبتمبر لسنة ١٩١١ م صدر قرار تعيينه مدرسا بمدرسة القضاء الشرعى ولم يكن قد جاوز الخامسة والعشرين من عمره فقام بتدريس الفقه والتوحيد .

تعيينه قاضيا بالمحاكم

فى ٢٤ من مارس سنة ١٩١٢ ميلادية عينه المرحوم سعد باشا زغلول ـ وكان فى ذلك الوقت وزيرا للحقانية ـ بأمر عال ـ قاضيا بمحكمة الزقازيق الشرعية .

وفى سنة ١٩٢٥ ميلادية انتدب فضيلته لتدريس مادة « التوثيقات الشرعية » بالقسم الثانوى بالأزهر الشريف .

ولما أنشىء قسم التخصص بمدرسة القضاء الشرعى انتدب فضيلته للتدريس به وكلف بوضع برامج بعض العلوم فوضع برامج أربع مواد هى : « التوثيقات الشرعية » و « القضايا ذات المبادىء » و « المرافعات الشرعية » و « الأوقاف » .

وقام بالتدريس فى قسم التخصص مدة أربع سنوات متتالية .

ومن تلاميذه : الدكتور عبد الوهاب عزام ، والشيخ أمين الخولى ، والشيخ عبد اللطيف السبكى ، والشيخ منير الهلالى ـ وهو آخر رئيس للمحكمة العليا الشرعية ـ والشيخ محمد أبو زهرة ، وفضيلة الدكتور عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر الأسبق .

يتبع



ملف خاص

عن مأساة المسلمين في بلغاريا

القتل بالمصاحف حرقا .. للمسلمين فى بلغاريا .

لم تكن ــ فاطمة أوغلــو ــ تعلم أن زوجها الذى خرج مع رفاقه لأداء صــلاة العشاء الأخيرة فى مسجد القرية لن يعود اليها أبدا .

لقد حوصر المصلون فى المسجد ، وكانت معركة من طرف واحد .. استخدم فيها البلغار الشيوعيون آخر ما وصل اليــه « فن الابادة الجماعية » للمسلمين فى هذه الدنيا .

لم تكن « فاطمة » تعلم أن زوجها قد قتــل وأنه خرج ولن يعود .. وفى حنان دافق ... ضمت طفلها الرضيع « أحمد » الى صــدرها تهدهده كى ينام لتتفرغ لاعداد طعام العشاء لزوجها الغائب .. ولتجمع ملابس هذا الطفل التى جفت بعد نشرها على أغصان شجرة ليمون عجوز تدلت أغصانها الجافة فى كل جانب .

وفجأة .. لعلع صوت الرصاص فى المنطقــة كلها .. كانت هناك حركة مقاومة يائسة من بعض الشباب الذين شاهدوا المسجد وهو يحترق بعد أن أغلقت أبوابه على خمسة شيوخ تقــدمت بهم السن .. ؟!!

وانطلق البلغار كوحوش صائلة فى مطاردة هؤلاء الشباب الذين فروا الى غــابة قريبة من القرية .. فاستدار القتلة السفاحون الى منازل المسلمين للاجهاز على من بقى فيها من الأطفال والنساء والعجزة .

لقد اقتحمــوا بيت « عصــمت » زوج « فاطمة » .. سألوها عن أية كتب دينية وفى رهبة من الفزع أشارت فاطمــة بيديهــا الى نسخة من القرآن علقت داخل كيس من الجوخ الأخضر فوق سارية السرير العليا .

فى هذه اللحظة .. ثبت سفاح بلغارى حربة بطرف « البندقية » ثم صوب رأس هذه الحربة الى الكيس الذى وضع فيه المصحف .

قفزت « فاطمة » لتحول بين المجرم واغتيال المصحف .. فاستقرت الحربة فى قلبهــا الذى توقف وهو ينزف .

حاول الطفل « أحمد » أن يمسك بثدى أمه .. فلم يجد غير الدم ، وبقايا قلب تحول الى قطع صغيرة من اللحم !

وجاء ســفاح بزجاجة ملأى بالكيروســين الأسود .. فألقى بها فوق المصحف .. ولــم يكد يشعل النــار حتى امتــد لهبهــا الى الأم والطفل الذى علا صراخه ثم سكت فجأة ولم ينطق !

يقول محمد جلال كشك :

فى البداية لم نصدق ..



للأستاذ الدكتور
عبد الودود شلبي

فما حدث ويحدث لا يمكن تصديقه ..

لم نصدق أنه فى بلد شيوعى أوروبى ، يمكن أن تشن الحكومة حملة على مواطنيها تصل الى حد القتل والقمع بالسلاح ، لاجبارهم على التخلى عن أسمائهم الاسلامية وتحويل «محمد» الى ميخائيل وعائشة الى « تاتيانا »

لم نصدق أن ذلك يمكن أن يحدث ، فلا تحتج منظمة دولية ولا هيئة من هيئات حقوق الانسان التى لا تغفل عن همسة فى بلادنا .

لم نصدق أن ذلك يمكن أن يحدث فى بلد شيوعى فلا يرتفع صوت شيوعى واحد بالاحتجاج .. ولا تخرج مظاهرة شيوعية واحدة معترضة ؟!..

ألم يبق شيوعى أوروبى لا تحركه أحقاد دينية ؟!

ألم يبق شيوعى واحد يؤمن بحرية العقيدة .. ويعارض الابادة الجماعية للأقليات ؟!

أين مظاهرات « سارتر » المقبور ، والحزب الشيوعى فى براغ دفاعا عن حق اسرائيل فى البقاء فى أرضنا ؟!

فى ألمانيا النازية عارض ألمان ابادة اليهود .. وفى روسيا يؤيد روس شيوعيون هجرة اليهود، ويطالبون بحرية الكنيسة .. وفى أمريكا زعيمة الامبريالية ، أوقفت المظاهرات حرب فيتنام .

وفى بلغاريا لم يصدر احتجاج واحد من شيوعى .. بل ولا فى أوروبا كلها ..

ولا شيوعى واحد فى العالم كله رأى عيبا فيما يجرى فى بلغاريا ؟!

رفضنا أن نصدق امكانية أن يحدث ذلك فلا تتحرك دولة ولا منظمة اسلامية فتصدر بيانا أو قرارا ضد بلغاريا أو تطلب اجتماع الأمم المتحدة .

ولكن الخبر تأكد من صحف مثل الاوبزرفر والواشنطن بوست الأمريكية التى نقلت عن ريتشارد بالمفورث مراسل وكالة رويتر البريطانية ، الصورة المرعبة المخزية التالية يوم (٦ نيسان ـ ابريل ١٩٨٥) :

هؤلاء المسلمون . أين هم ؟ ..

يقول الاستاذ جلال كشك (١) :

فى خاطرى صورة عمرها أكثر من أربعين سنة ، لا هى تغيب ، ولا أنا أنساها ، أو أمل التذكير بها .. صورة نقلتها الصحف عن احدى المجاعات فى الهند خلال الأربعينيات ، فشاعت وذاعت ، مثلما انتشرت صورة الطفلة الفيتنامية التى كانت تجرى والنار تشتعل فى جسدها من النابالم الأمريكى .. ولكن الصورة الهندية كانت مختلفة تماما ، فهى صورة فلاح هندى أنهكه الجوع فسقط بلا حراك ماعدا عينيه اللتين كانتا تنبئان باستمراره حيا .. وفى الصورة نرى ذراعه ممتده الى جانبه ، وقد

(١) انهم يبيدون الاسلام فى بلغاريا ص ٧ وما بعدها .

برزت عظامها حتى كأنها بلا جلد ، وكلب جائع مسعور ينهش هذه اليد ، والرجل ينظر اليه ولكنه عاجز عن نهر الكلب ، عاجز عن جذب يده من أنيابه ، عاجز حتى عن الصراخ .. وانما نظرة غريبة ليست من هذا العالم ، نظرة ميت لو كان الموتى ينظرون ! .. جثة تأخر دفنها ، وكائن حي فقد كل خصائص الحياة .. أربعون عاما ، وهذه الصورة تقفز الى خاطرى ، كلما واجهت أمتنا كارثة أو اعتداء وعجزت حتى عن التألم ! .. فنحن فى حالة من العجز والشلل تشبه حالة هذا الفلاح الهندى ، ونحن على هذا الحال منذ قرون عديدة قد تتجاوز الاربعمائة سنة بدأت بتخدر ثم شلل فى الاعصاب ، أفقدنا الحس والتجاوب والقدرة بل حتى الرغبة فى المقاومة ، فقد كان العثمانيون يدقون أسوار « فيينا » ولكنهم لم يحركوا ساكنا لانقاذ ثمانية ملايين مسلم ومسلمة فى الاندلس ، حيث جرت أول وأضخم عملية ابادة جماعية لشعب بأكمله على يد الكنيسة والدولة الكاثوليكية فى أسبانيا والبرتغال .وتلك الجريمة التى تحلل منها الضمير العالمى ، بحذفها من ذاكرة التاريخ ، فهى لـم تقع ! .. ولا يوجد مرجع غربى حاول أن يفسر ، ولا أقول أن يدين ، لغز اختفاء شعب بأكمله ، وزوال حضارة دامت حوالى سبعمائة سنة ، ولا حاجة للحديث عن كمية ما نشر عن الستة ملايين يهودى ، بل ما نشر عن اختفاء السبط الثانى عشر من بنى اسرائيل أو اليهودى التائه أو ما أثير حول أصل الفلاشة .. ولكن لا أحد يهتم بالبحث عن شعب الأندلس الضائع .

لا أحد استقصى أصل ودين العبيد الذين نقلوا من العالم القديم الى العالم الجديد

فى سفن الأوروبيين ، وفى طليعتها طغاة أسبانيا والبرتغال ، ولا كلمة عن مئات الالوف الذين ماتوا على المجداف فى هذه السفن وتحت ضربات السياط ، أو فى حقول أمريكا ، والذين ما زالت أسماؤهم ودماؤهم وألفاظهم فى دول أمريكا اللاتينية تشى بأنهم مسلمو الأندلس وسواحل أفريقيا .

ولأن الفكر العربى المعاصر هو مجرد للفكر الأوروبى ، فان كتابنا لم يكتفوا بجهل مأساة ابادة الأمة الأندلسية وتناسيها ، بل نجد بعض كتابنا اذا ما أراد التشهير بالاسلام والمسلمين يصرخ قائلا : « تريدون اعادة محاكم التفتيش » ؟ ! ويظن جيل هذه المسوخ ، أن محاكم التفتيش ظهرت فى العالم الاسلامى ، أو أنها اختراع اسلامى ، أو استخدمها المسلمون ضد مخالفيهم فى العقيدة أو لتغيير دين الشعوب التى خضعت للسلطة الاسلامية .. ؟ !

***

فى وقت واحد ، أو زمن لاحق متقارب ارتفعت صيحات الجياع فى معسكرات اللاجئين الفلسطينيين تسأل عن حكم الاسلام فى أكل جثث الموتى . !

وفى اليوم نفسه أبيدت أسر اسلامية ابادة كاملة فى جنوب الفلبين على أيدى عصابة « الفيران المتوحشة » التى تحمل الصليب فوق رؤوسها .!

وبعد يومين أذاعت وكالات الأنباء خبر اعدام سبعة من المسلمين ــ علنا ــ فى ليبيا ، وقد تم الاحتفال بهذا الاعدام على شاشة التليفزيون . ؟!

وفى اليوم نفسه قتل أكثر من ثمانين طفــلا وامرأة من اللاجئين الأفغان فى مدينة بيشاور بقنابل الميج (٢٥) السوفيتية .. !

حدث كل هذا فى وقت واحد أو زمن لاحــق متقارب .

وبالرغم من هذا كله نتحدث عن مؤتمرات اسلامية وعن زحف اسلامى ظافر ! ؟

المسلمون فى بلغـــاريا

ــ تبلغ مساحة بلغاريا ١١٠٩١٢ كيلو مترا مربعا وعاصمتها صوفيا ، تحدها من الشمــال رومانيا ، ومن الجنوب تركيا واليونان ، ومن الشرق البحر الأسود ، ومن الغرب يوغسلافيا .

ــ أصبحت بلغاريا دولة شيوعية فى عــام ١٩٤٦ م ولم تظهر حدودها الحالية للعالم الا بعد الحرب العالمية الثانية وانضمامها الى الكتلة الشيوعية .

ــ تذكر الروايات التاريخية أن الاســلام دخل بلغاريا عن طريق الهجرات الاســلامية الفردية ، وعن طريق الجهود التى كان يقوم بها الدعاة المسلمون من أجــل نشر الدين الاسلامى الحنيف فى شتى بقاع الأرض .

ــ يذكر ياقوت الحموى فى كتابه « معجم البلدان » أن الاسلام انتشر فى بلغـــاريا فى منتصف القرن الثالث الهجرى ، حتى وقف ملك البلغار من الاسلام والمسلمين موقفا ســمحا كريمـــا .

ــ لم يصل عام ١٣٩٣ م حتى كانت بلغاريا كلها تحت الحكم العثمانى الذى دام فى جنوب البلاد (٥٤٥) سنة ، وفى شمالها (٥١٥) سنة وعندما دخل الدين الاسلامى بلغاريا مع الفتح الاسلامى العثمانى أخذ الكثير من هذا الشعب يعتنق الاسلام .

ــ فى عام ١٩٤٦ م سيطر الشيوعيون على الحكم ، وبدأت حملة ابادة المسلمين التى أعد لها مخطط رهيب منذ بادىء الأمر ، حيث عمل الشيوعيون على اجبار المسلمين على الهجرة الى تركيا ، ولكن الحكومة تنبهت الى أن كثيرا من الفنيين قد ترك البلاد ، فاتبعت أسلوبا آخر يهدف الى اذابة الشخصية المسلمة فى بلغاريا وذلك عن طريق :

١ ــ تفريق المسلمين بعضهم عن بعض على أساس قومى عرقى ، وفى اطار ذلك فصــل الأتراك والبوماتسيون والغجــر عن بعضهم ، وأحدثت دار افتاء خاصة لأبناء كل قومية .

٢ ــ السيطرة على دار الافتاء المركزية فى العاصمة صوفيا من قبل موظفين ملاحــدة أو نصــارى .

٣ ــ اغلاق المساجد فى المدن والقرى ، وعدم السماح بفتحها لصلوات الجمعة والأعيــاد ، وحين يسمح بفتح بعضها لظروف خاصة يكون تحت رقابة شديدة من الدولة . وقــد تفتح لأغراض دعائية لدى قدوم وفود اسلامية

٤ ــ كان عدد المساجد فى بلغـــاريا عــام ١٨٧٦ م (٤٨٦٠) مسجدا ولم يبق منها قائما سوى (١١٨٠) مسجدا ، عطلت فيها اقــامة الشعائر الدينية ، وان بقيت هياكلها قائمة .

٥ ــ اغلاق مدارس تعليم القرآن الكريم وعددها (٦٨٠) مدرسة ، واغلاق المــدارس الخاصة بالمسلمين وعددها (٤١١٢) مدرسة .

٦ ــ منع طباعة الكتب الاسلامية والصحف الخاصة بالمسلمين ، وقد كان للمسلمين العديد من الصحف اليومية والمجلات الاسلامية الغيت كلها بقرار حكومى عام ١٩٧٠ م .

٧ ــ تهجير اعداد هائلة من النصارى والملحدين الى مناطق المسلمين .

٨ ــ منع المسلمين من أداء فريضة الحج .

٩ ــ مراقبة العلماء وعزلهم عن جماهير المسلمين وارغامهم على قبول بعض القوانين والقرارات غير الاسلامية .

١٠ ــ مصادرة الكتب الاسلامية العربية منها والتركية وعدم السماح بادخال الكتب الاسلامية بعد جمع ما وجد منها فى البيوت .

١١ ــ منع ختان الأطفال الذكور فى المناطق الاسلامية ، ومنع اقامة الافراح على الطريقة الاسلامية الخالية من المحرمات .

١٢ ــ منع دفن الموتى على الطريقة الاسلامية ومنع صلاة الجنازة وتشييع الجثمان حسب المنهج الاسلامى .

١٣ ــ هدم مقابر المسلمين وتسويتها واقامة الأبنية عليها .

١٤ ــ عدم صرف رواتب العمال والموظفين المسلمين وتقاعد العجزة والأرامل الا بعد أن يتم تغيير الأسماء الاسلامية .

١٥ ــ رفض تسجيل طلاب جدد من المسلمين فى المدارس ، وكذلك اعادة تسجيل الطلاب القدامى ، وعدم السماح بالانتقال الى الصف الأعلى الا بعد تغيير الأسماء الاسلامية الى أسماء نصرانية ، ويفصل من المدرسة كل من يرفض هذا القرار .

ــ استمرت تلك المضايقات والاضطهادات على مدى السنوات الأخيرة حتى بلغت أوجها فى أواخر عام ١٩٨٤ م حيث جندت الحكومة البلغارية حملات منظمة ضد المسلمين فى المدن والقرى تمثلت أعمالها الاجرامية فى :

١ ــ الكشف على جميع أطفال المسلمين وحصر عدد المختونين منهم وأخذ تعهد من أولياء الأمور بمنع الختان .

٢ ــ معاقبة كل من يقوم بالختان بالسجن مدة لا تقل عن خمس سنوات ومنع أى طفل أجريت له عملية الختان من دخول المدرسة .

٣ ــ منع النساء المسلمات اللاتى يضعن الحجاب الاسلامى ، أو حتى يغطين شعر الرأس من السفر أو ركوب وسائل المواصلات أو دخول المحلات العامة لشراء الحاجيات ، واعتقال كل من يبيع أو يتعامل مع امرأة محجبة .

٤ ــ التعرض لكل امرأة محجبة والاعتداء عليها واجبارها على كشف شعر رأسها وخلع الحجاب .

٥ــ ارغام رب كل أسرة أمام زوجته وأبنائه على توقيع استمارة تغيير اسم وهوية الاسرة ، ويتسلم قصاصة ورق لكل فرد تحمل الاسم النصرانى الجديد بدلا من الاسم الاسلامى .

٦ ــ تهديد كل من يتردد أو يبدى اعتراضه على تبديل الاسم بالقتل كما يجرى تمزيق ثياب النساء والاعتداء عليهن أمام الأزواج والأبناء والآباء .

ــ هذا وقد تم تبديل أسماء المسلمين حسب القيود الرسمية فى ولاية (رازغات) وعددهم (١٢٤٦٠) وفى (شمنو) وعددهم (١٣٨٠٠) وفى (وارنا) وعددهم (١٣٤٦٠) وفى (روسجوق) وعددهم (٢١٧٥٠) وفى (اسكى جناد) وعددهم (١١٧٢٤٠) وفى (ترنووا) وعددهم (١٤١٥) وفى (سلسترة) وعددهم (١٠٠٨٠) وفى (خاص كوى) وعددهم (١٢٩٠٠) واما غير

المسجلين ممن ارغموا على تبديل أســـمائهم فكثير .

ــ وحرصا من السلطات الشيوعية البلغارية على استئصال شأفة الاسلام عملت على هدم المعالم الاسلامية المتمثلة فى المساجد ، وما نجا منها من الهدم أغلق فى وجوه المسلمين ، وحول الى أماكن للسياحة واللهو .

ــ نتيجة لهذه الاجراءات اضطر المسلمون الى اتخاذ مســاجد سرية فى بعض المنــازل ، وهى مساجد متحركة ، حيث يتخذ المسلمون مسجدا سريا فى مكان ، ثم ينتقلون الى مكان آخر بدافع الحرص على الأمن ، ومســجد « الأرقم » فى صوفيا العاصمة واحد من تلك المساجد السرية التى بدأت تنتشر فى بلغاريا .

ــ يعلم المســلمون أن الشرطــة البلغارية تعرف أماكن المساجد السرية ، لكنها تتغــافل عنهــا لتراقب نشــاط وحــركة المســـلمين المتحمسين ، والعناصر النشطة منهم وتحتفظ بحركتهم تحت نظرها ، ولحصر المترددين على هذه المســاجد تمهيدا لضربة قادمة .

ــ يعتقد المسلمون أن المساجد السرية يجب ألا تلهيهم عن المطالبة باعادة فتــح المســاجد واقامة الصلوات فيها ، ووقف كل أنـــواع الضغط على المسلمين ، لأن ذلك هو الســبيل الوحيد للاحتفاظ بالدين الاسلامى .

ــ أما الاجتماعــات فى المنــازل ، واقــامة الصلوات سرا فستظل مقصورة على أعــداد قليلة من المسلمين المخلصين ومعظمهم من كبار السن ، وهذا يؤدى الى قطع كل الصلات بين الشباب وبين الدين الاسلامى ، بخاصــة أن المدارس ذات المناهج الالحادية تجبرهم على تقديس « لينين » ومبــادئه والتنكر للدين .

ــ من الجوانب المشرقة فى مأساة مســلمى بلغاريا أن الذين أجبروا على تغيير أسمائهم استمروا فى استخدام الأســماء الاســلامية الحقيقية ولم يعترف أحد باســمه النصرانى (الجديد) .

ــ وأن معدلات النمو السكانى بين المسلمين فى ازدياد مستمر حتى أن الدلائل الاحصائية المحايدة تؤكد أن ازدياد المسلمين يصل بالنسبة لغير المسلمين الى ثلاثة أضعاف ونصف وأن هذا هو سر تأجيل الاحصاء الرسمى والتوقف عن اذاعــة أية بيانات احصائية رسمية منذ عشرين عاما .

ــ قد تكون نسبة التزايد العالية بين المسلمين أحد أسباب التحرك الوحشى الالحــادى الذى يستهدف نقل المسلمين الى خانة غير المسلمين عن طريق تغيير اسمائهم وهوياتهم حتى لاتظهر الحقيقة التى تؤكد أن عدد المسلمين الآن يقترب من المليونين بالنسبة لمجموع عدد السكان الذى يبلغ الآن فى بلغاريا تسعة ملايين ، أى أن ٢٠٪ على الأقل من سكان بلغاريا هم من المسلمين فى حين أن واحدا منهم لا يشــغل أى منصــب مهم فى البلاد .

ــ قد يتهم المسلم بالتحيز حين يلقى الأضواء على مأساة المسلمين فى بلغاريا ، ولكن لا يمكن اتهام « الواشــنطن بوســت » و « رويتر » بالتعصب « المحمدى » ومع ذلك فقد نقلنا لقطة من مأساة المسلمين فى بلغاريا ، حرصنا فيهــا على تحاشى أى ذكر لكلمة اسلام أو مســلمين مع أن هذا هو لب القضية التى يمكن ايجازها بأنها : اجبار المسلمين على خلع دينهم وهويتهم

ــ بعضهم يطرح القضية على أنها تناقض بلغاري تركي ، والسلطة البلغارية تزعم أنها مجرد تصحيح خطأ تاريخي وقع منذ ستمائة سنة ، والدعاية المعادية تصورها أنها صراع بلغاري تركي من أيام حرب البلقان ، والحقيقة انها صراع حقيقي بين الشيوعية والاسلام •

ــ ان المسلمين فى بلغاريا مواطنون أعرق من قادة الحزب الشيوعي ، أسلموا خلال الخمسمائة سنة العثمانية ، أو خلال الألف سنة من التجاور والتعامل الاسلامي مع شعوب الدول الاسلامية ، ومع هذا فليس من حق المسلم فى بلغاريا الاحتفاظ باسمه الاسلامي •

ــ ان ما تستهدفه الحملة الظالمة هو تمزيق هوية الانسان المسلم ، وان ما يجرى فى بلغاريا اليوم هو نفس ما جرى فى الأندلس (أسبانيا والبرتغال) قبل قرون ، هناك أيضا بكى المسلمون وتلفتوا حولهم فلم يجدوا معينا ولا مغيثا ولا ملجأ ، وربما تعاهدوا على أن ينادوا بعضهم فى الخفاء بأسمائهم الاسلامية ثم طواهم الجبروت والطغيان المنظم •

وبعد •••••

ــ فهل بعد هدم المساجد ومنع الصلاة ، والحيلولة بين المسلمين وأداء فريضة الحج ، وهل بعد تمزيق حجاب المرأة المسلمة ، وهل بعد تحويل اسم محمد الى « ميخائيل » وعائشة الى « تاتيانا » وأحمد الى « أندريا » هل بعد كل هذا من ظلم يجب دفعه ورفعه ؟!

ــ وماذا نقول لكل من محمد وأحمد وعائشة وهم يتلفتون الى أخوتهم فى العالم الاسلامي باحثين عن حق الأخوة فى النصرة والولاء ؟

ــ أين الأمم المتحدة واليونسكو وحماة التراث والثقافات والأقليات ومطاردى النازية ومقاومى الابادة الجماعية ؟

وهل من ابادة أبشع من ابادة الدين والانتماء والتاريخ ؟

ــ لقد اتبعت الحكومة البلغارية أبشع الوسائل ضد الذين عارضوا القرارات القاضية باستئصال الاسلام من جذوره فى بلغاريا ، فأبيدوا داخل السجون التى أقيمت تحت الأرض ، وقتلوا بالغازات السامة والكهرباء ذات الضغط العالى والرصاص فى الجبال ، ومازالت السجون البلغارية مليئة بالمسلمين بعد أن قتل منهم من قتل من النساء والأطفال والشيوخ •

ــ فى نفس الوقت الذى يضطهد فيه المسلمون تحترم الحكومة الرهبان ، وتعطى الحرية لكنائسهم وهى كثيرة فى البلاد ، اذن فالمقصود هو الاسلام خاصة •

ــ ومعنى ذلك أن بقايا الروح الصليبية لدى البلغار تتوحد مع الروح الشيوعية لديهم فيلتقى الحقد الصليبى القديم بالحقد الشيوعى الجديد فى ايقاد حرب ضروس ضد الاسلام والمسلمين •

ــ ان المسلمين كلهم مطالبون بالعمل لايقاف مايجرى ضد اخوانهم فى بلغاريا على المستويات الرسمية والشعبية •

ــ فالمؤسسات الرسمية عليها أن تحتج وتبرق وترسل الوفود للتقصى •

ــ ينبغى أن يفعلوا ذلك ، ابراء للذمة أمام الله تعالى ، واعذارا الى حق الأخوة الاسلامية من التقصير ، وحتى لايسجل التاريخ أنه فى

زماننا تحول اسم محمد الى « ميخائيل » وعائشة الى « تاتيانا » وأحمد الى « أندريا » دون أن نحرك ساكنا .

« ١١١ مسلما أعدمتهم بلغاريا »

حصلت « المسلمون » على قائمة بأسماء مائة وأحد عشر مسلما أعدمتهم السلطات البلغارية ضمن حملة الاضطهاد الجديدة ضد المسلمين وهم :

شعبانوف حسن حسنوف ، عبد اللوف حيسيني ، أحمد ف قام ، أحمد وف صبري ، عبد لوف محمد حيسينوف ، بكروف ابراهيم ، أعينوف محمود محمدوف ، ايابوف ايـاب شوفكدوف ، فهموف أحمد ، فرهادوف مصطفى ، حازميميروف عمر ، حافظ مصطفى الدين ، هلالوف ابراهيم حسنوف رضاب ، حسينوف محمد حسنوف ، حسينوف رأفت ، ايليازوف فكرت ، اسماعيلوف يوميجول ، كاميروف عصمت محمدوف ، كيلوف ميمون ايش ، كوروف مصطفى ابراهيمولي ، محمد روف انبيا عمروف ، محمد عليف ابراهيموف ، مرادوف أحمد ، مصطفوف حسين ، مصطفى محمد محمدوف ، مصطفوف صالح ، ميمونوف العيش ، نظيف مصطفى محمدوف ، عثمانوف شعبان أحمدوف ، رضا بوف سيد أحمد ، صادقوف حمدي ، صاليف مصطفى محمدوف ، شعبانوف توفيق ، طاهروف أحمد أحمدوف ، يعقوبوف حسين حسنوف ، باماكوف علي ، وشعبانوف ابراهيم محمدوف ، عبد الرحمنوف آدم ، أحمدوف محمد ، أحمدوف ايشي ، أراب زاده سنان ، بريفادير عبد الله ، ايمنوف ميمون ، فرهادوف مراد ، فرهادوف سليمان يوسفوف ، حاز ميحدوف حسين ، حسنوف حسان ، حسنوف عصمت ، حسينوف علي ، حسينوف نوري نيضابوف ، حسينوف راشد ، ايليازول ايلياس ، قادريوف قادر محمدوف ، كيلوف ايش ، كفارضيف أحمد مصطفوف ، كوروف سليمان محمدوف بدري ، مصطفوف عادل ، مصطفوف محمد ،مصطفوف مصطفى ، ومصطفوف زكريا ، وميموفوف الباكري ، عثمانوف أحمد ، بهليفان ابراهيم شعبانوف ، حبريف فضيال ، صاليف أحمد سيزازوف ميمون ، سلمانوف شكروف ، فيليف فيلي أحمدوف ، يعقوبوف محمد ، يوسفوف حسين ، شعبانوف مصطفى ، ادوموف زياد رضابوف ، أحمدوف رأفت ، عليف ادم اسماعيلوف ، عزيروف سليمان ، دورموشوف دورموش عليف ، اروف شتين ، فاطمنين اكياشندا ، بزهادوف حسنين عليف ، جينشوف قادر ، حازميجدوف جابتزه ، هلالوف فرحات ، حسنوف محمد ، حسينوف حسين ، حسينوف عثمان محمدوف ، حسينوف شعبان حسين ، اسلاموف علي أحمدوف ، كاميريوف أحمد محمدوف ، كيلوف محمد حسنوف ، كريموف صايم ، كريموف محمد مصطنوف ، فصلديف العياش عليف ، مصطانوف أحمد حسنوف ، مصطفوف داود حسنوف ، مصطفوف محمد عليف ، مصطفى مصطاديب ، مصطفاوف جبولوبيا ، نضابوف حمدي قاسموف ، عثمانوف اسماعيل ، مضلنوف قهري طاهريف ، صبريف حسن ، صاليف أمر الله محمدوف ، شعبانوف فهيم ، سلمانوف أيمن ، يعقوبرف حسن ، يعقوبوف يوسف ، يوزيروف بوزيرزنروف ، يابوف شوكت .

وكتب الأستاذ محمد العزب موسى :

يمكنك أن تكون مسلما فى أى مكان .. ماعدا بلغاريا . فانك اذا أصررت هنـــاك على أنك مسلم واحتفظت باسمك الاســلامى أصبحت خائنا للصحوة البلغارية ، وبالتالى مهدور الدم وتجرى تصفيتك بكل هدوء ، دون أن يســمع أحد فى العالم الخارجى صياحك أو أنينك ، فان تصفية المسلمين فى بلغاريا من « الشــئون الداخلية » لبلغاريا وأى أحد يتدخل فى هــذا الموضوع ، أو يتحدث عنه ، يعتبر معـــاديا لبلغاريا ومتدخلا فيما لايعنيه ، وبالتالى يسمع مالا يرضيه .

وهكذا توترت علاقات بلغاريا مع جارتهـا تركيا ، ومع الدول الاسلامية ، بل ومع الاتحاد السوفيتى نفسه عندما انتقد الزعيم السوفيتى جورباتشوف مؤخرا أعمال القمع ضد المسلمين البلغار ، ولكن كل ذلك لا يهم بلغاريا .. انهم يتدخلون فى شئونها الداخلية .

وفى الاسبوع الماضى أصدرت منظمة العفو الدولية وهى منظمة غير اســلامية أو تركية ، تقريرا جاء فيه أن أكثر من ١٠٠ تركى قد قتلوا بواسطة البوليس أثناء حملة تغيير الأســماء التى اكتسحت المناطق التركية فى بلغاريا خلال العام الماضى « ١٩٨٥ » ، واعتقل مئات آخرون، وســويت بالأرض منازل الأسر التى رفضــت التعاون مع السلطات .

وفى بلغاريا ٩٠٠ ألف مســلم أى ١٠٪ من مجموع الســكان وهو تســعة ملايين ، ولكن الحكومة البلغارية ترى أنهم بلغار « تتركوا » ويجب اعادتهم الى جادة الصواب ، اذ عندما دخلت بلغــاريا تحت « النــير التركى » منذ ٥٠٠ عام أقــدم بعض البلغــار على اعتنــاق الاسلام ، وجــاء بعض الأتراك العثمــانيين واستقروا فى السهول ، ومن نسل هؤلاء نشأت المشكلة .

وحل هذه المشــكلة من وجهة نظــر حكومة بلغاريا هو اعادة « بلغرة البلغــار المتتركين » أى ارغامهم على تغيير أســمائهم الى أســماء بلغارية واغلاق المدارس الاســلامية ، ومنع النطق باللغة التركيــة فى المدارس والوظــائف والأماكن العامة ومنع الصلوات فى المســاجد . وتحويل المساجد نفسها الى متاحف وادارات ، ومحاصرة قرى المســلمين وعزلها عن العــالم الخارجى .

وهكذا أصــبح « محمد » يدعى « ميليف » و « يوسف » يدعى « ايفــان » ، ومن يريــد تسجيل مولوده باسم تركى أو اسلامى يرفض، ومن يريد أن يتزوج زواجا اسلاميا لا يجــد موثقــا ، ومن يمتنع عن شرب الخمــر وأكــل الخنزير يشك فيه ، وحتى المقــاهى والمطــاعم صدرت اليها الأوامر برفع تعبير « قهوة تركى » من قوائمهــا .. ومن يرفض هذه الأوامــــر « القراقوشية » يقتل أو يسجن أو يتشرد .

وقد نشرت صحيفة « الهيرالد تريبيون » فى عددها الصادر يوم الخميس الماضى ١٠ أبريل عن مأساة قرية اســلامية فى بلغاريا تســمى « كرد على » تبعد ٢٥ ميــلا شــمال الحدود اليونانية و ٥٥ ميلا غربى الحدود التركيــة ، وقد ظلت هذه القرية ١٧ شهرا على الأقل مغلقة

البقيــة صــ ١٤٥٣

الشعر والشعراء

إشراف: د. حسن جاد

كلمات مصرية إلى قادة المنظمة الفلسطينية

قدرة الله

أسماء ذات النطاقين

إلى كمال قاذر



كلمات مصرية

إلى قادة المنظمة الفلسطينية

إخوة الرأى والحجا خبرونى: كيف بالله يفهم الرافضونا ؟
أترى مسهم خبال وطيش أورث العقل غفلة أو جنونا ؟
يارفاق الكفاح هل بات وهما ما بذلناه والضحايا سنينا ؟
مصر أعطت سواعدا وقلوبا مصر أعطت جماجما وعيونا
مصر عاشت وشعبها فى رباط وصمود الرجال حصنا حصينا
مصر كانت لكم ملاذا وزادا ومعينا ومأمنا ويقينا

●●●

ما تركنا النضال طرفة عين ما طعنا ظهوركم غادرينا
ما قطعنا ودادكم آثمينا ما نصبنا لكم بليل كمينا
ما منعنا الطعام والماء عنكم ما قتلنا رهينة أو رهينا
ما فرضنا على الصغار حصارا ما تركنا نساءكم جائعينا
بل أقمنا لكم سياج أمانٍ وحمينا رحيلكم قادرينا
وفتحنا قلوبنا للضحايا وأسونا جراحكم راحمينا

●●●

جرحكم جرحنا بلوناه دوما وتخذناه فى الجوانح دينا
قد خبرنا القتال حربا فحربا وبذلنا وغيرنا قاعدونا
وتعبنا وغيرنا ناعمونا وزرعنا وغيرنا يحصدونا



للشاعر رشاد محمد يوسف

وشربنا مرارة القحط حينا والمعاناة والضنى والديونا
كم حصدنا الأشواك من كل نبت قد غرسنا جذوره صادقينا
وسقيناه من دمانا رحيقا ورعيناه من قوانا سنينا

●●●

فإذا ما التقى الرفاق توالت قصص الغدر وانبرى الجاحدونا
وإذا الغدر للوفاء جزاء نتلقى سهامه صابرينا
« اعزلوا مصر » : صيحة من جنون كم عهدنا من الرفاق الجنونا
اعزلوها إذا استطعتم ولكن لن تعيشوا بغيرها آمنينا
اعزلوها لكننا سوف نأبى أن يكون الجزاء غدرا مشينا
اعزلوا النصر والبطولة تترى « عين جالوت » عانقت « حطينا »
اعزلوا عودة لسيناء ظهراً واقتحام النسور والعابرينا
اعزلوا مصر شمسها أو ضحاها نسمات الأصيل والياسمينا
اعزلوا مجدها تراث الليالى حكمة الأولين واللاحقينا
اعزلوا النيل والضفاف السهارى وبناة الأهرام والخالدينا
اعزلوا الأزهر الشريف وفيه الف عام من التقى شاهدونا

●●●

اعزلوا مصر تعزلون المعالى والمنى والسنا وقلبا امينا
أنها مصر فى الجوانح نور يهب العزم والصبابة فينا
خبرونا بربكم خبرونا كيف بالله يفهم الرافضونا

قدرة الله

د . عزت شندى

صَمَتَ الطبيعة والأنام .. نيام ... ومنظم الأكوان ليس ينامُ
فالفجر يحبو فى أرق غُلالة ... طفلا تهدهد مهده الأحلام
والطير تنضو عن حماها حلة ... سكنتْ إليها فى الكرى الأجسام
وتهيم فى الأجواء تخفق حرة ... فكأنها فى خفقها الأعلام

***

وشقائق النعمان تفتح للهوى ... أجفانها .. وتشوقها الأنسام
وفراش نوار الخميلة يشتهى ... لقيا الحقول .. وكلهن هيام
والجدول الجارى يهز خريره ... مهج القلوب كأنه أنغام
والشمس كالحسناء خلف إزارها ... يسبى النفوس ضياؤها البسام
وتطل من خلف الحجاب وتختفى ... فطباعها الإقدام والإحجام

***

يارب نمّقتَ الوجود وصُغته ... فنًا تُبين رُواءه الأيامُ
غنّتْ بذكرك فى الرياض عنادل ... وَشَدَا بمجدك فى المروج حمام
يامبدع الأكوان كيف كسوتها ... حُسْنا .. وهذا المُلْك كيف يُقام ؟
ياعالم الأسرار علم حقيقة ... وله بكل خَفيّة إلمام
يامرسل الغيث الذى تسقى به ... ظمأى القفار .. وترتوى الأنعام
ياباعث النور الذى تُجلى به ... حجب الظلام .. وتقشع الأوهام
يامخرج الحىّ استمد حياته ... من ميت .. والموت فيه زؤام
ياراعيا ضعف الفقير وذُلّهُ ... من ذا الذى تحميه ثم يضام ؟
ياشافيا مرض العليل وداءه ... مَسَحَتْ يداك .. فزالت الأسقام
عجزت عقول الناس عن إدراك ما ... صنعت يداك .. وحارت الأفهام
وقضاؤك الأمر الذى لا يُرتجى ... فى حكمه نقض ولا إبرام
وإذا يضلّ الفكر فى استيعابه ... جهلا .. وإعياء .. فكيف نُلام ؟
لا الشمس فى دورانها تجرى على ... غير المدار ولا يُساء نظام
طُويت ـ إذاً ـ صحف البيان واخفقتْ ... لغة الكلام .. وجفّت الأقلام

ذات النطاقين

للشاعرة : نعمت عامر

ذات النطاقين .. أسماءُ تناجيني ... ذكراكِ كالبدر في شتى الميادين
في الشعر والنثر .. والأفكار حائمة ... تنفكُّ رُوحكِ تدعوني وتُغْريني
كيما أُسجل للأجيال مفخرة ... في المسلمات شَأَتْ شتى الملايين

***

من غابر الدهر لا زالت مواقفها ... غراء تُزْرِي بتزْيين وتدوين
من لي بجهد لذي الشمَّاء يُسْعفني ... كيما أُنسق أزهارَ البساتين
في مجد بنت أبي بكر ودُرَّته ... فيمن تُعدُّ من الغُرِّ الميامين
آمنت بالفن نبراسا وُمنْطلقا ... إذا تسلسل في رِفْق وفي لين
يزفُّ خيْرَ نساءِ الأرض قاطبة ... في موقف الفخر .. في عزم وتمكين
ففي النطاقين زادُ وافر دسم ... (للمصطفى) .. وصفيِّ العُمْر والدين

***

تسعى بلا وَجَلٍ واللهُ حارسها ... نِعْم الفداء .. فداء الحُرَّةِ الْعِين
ومن يُطالع يوم الروع موقفها ... وقد أتاها فتاها .. بالغَ الهُونَ
يقول : أخشى إذا ما مُتُّ مجزرةً ... تعيثُ بغيا بجسمي من شياطين
قالتْ - وما خشيت بأسا بفلذتها ... إذا تردَّى بأنياب الملاعين
« وهل يُضير شياه الذبح أن سُلختْ ... وما تحس بتمزيق السكاكين ؟! »

***

ياقُدرةَ الله ! ما هذي مجاهدة ... فحسب بل هذه أسْمَى الرياحين

الى كهل قانط

للشاعر احمد محمود مبارك

أوَ لم تـزل رغـم الكـهـولـةْ عـبـداً لـرغـبتِـكِ الضليـلـةْ
رغــم انتشـار الثلـج فـى فَـوْديـكَ تـوغـلُ فـى الـرذيلةْ
هــلاَّ يئسـتَ إذِ انْطــوت فــى الإثـم أعـوامٌ طـويلـه
مـن أن يُضـىء دجـى حـيـا ةِ الـوزْرِ مصبـاحُ الفضـيلـةْ
فـأخــذت تُلقــى مـا تبَقّـى مــن ليـاليــكَ القليلــةْ
للإثــم ينهشـهــا بـــلا أمــلٍ لديــك ولا وسيلــةْ

**
*

يــاجـدُّنـــا .. لا تبتئـــسْ مـن وطـأةِ الـوزْرِ الثقيلـةْ
إن الطـريـقَ لمـن يــريـ دُ النـورَ ليسـت مستحيلــةْ
مــا مــن قلــوب هـاجـرت لله وارتـــدت ذليلـــةْ
بـالـرغـم ممـّـا شـابـهــا قبـل الضراعـةَ من رذيلـةْ
يَمِّـمْ فـؤادك شطـر وجــه الله لا تتـــركْ سبيلــةْ
وستبصـرُ الليـل الثقيـ ل يجرُّ فـى خزْىٍ ذيـولـةْ
ولســوف تـرجــع كـالــوليـ ـدِ يُضيئـهُ طُـهْـرُ الطفـولـه

مجلة الأزهر من خمسين عاما

القصاص

للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت
شيخ الازهر الأسبق

اعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

لايجد المتتبع لتشريعات الاسلام وأحكامه مشقة ولا عناء كبيرين ليدرك مدى ما ترمى اليه هاتيك الأحكام والتشريعات من منافع جمة ومصالح لا تقف عند حدود الأفراد أو الجماعات بل تتجاوزهما لتشمل الانسانية عامة فكان أن توخى الاسلام فى عقوبة القتل أصولا بعدت بتلك العقوبة فى جميع مراحلها عن الافراط والتفريط ، وقربت من التوسط فى غير اسراف أو تقصير .

قال الأستاذ الشيخ :

من جوانب التشريع الاسلامى :

ما فتىء الناس منذ تكونوا جماعات ، وظهر فيما بينهم تعارض الرغبات والشهوات ، وتمكنت بها فى النفوس بواعث التعدى ، يرون أن جريمة القتل من أكبر الجرائم، ذلك أنها سلب لحياة المجنى عليه بغير حق ، وتيتيم لأطفاله ، وترميل لنسائه ، وحرمان منه لأهله وذويه ، وأنها تحد لشعور الجماعة البشرية الذى فطرت عليه ، من اعتقاد أن الحياة حق لكل حى يتمتع به ولا يجوز انتزاعه منه ، وأنها زعزعة لما ترجو هذه الجماعة من هدوء الحياة واستقرارها وأنها فوق ذلك هدم لعمارة شاءها الله ، تتكون منها ومن أمثالها العمارة الكبرى لهذا الكون .

لهذا لا نكاد نعثر فى التاريخ على جماعة هانت عليها النفوس ، وغضت أبصارها عن آثار هذه الجريمة السيئة ، فلم تغضب لها ، ولم تكترث بشأنها .

جريمة القتل فى أول جماعة بشرية :

وهذا هو القرآن الكريم يحدثنا عن أول اعتداء وقع من الانسان على أخيه الانسان بالقتل ، ويصور لنا كيف كان القاتل والمقتول

كلاهما يعد القتل جريمة آثمة ، تستوجب غضب الله ، والدخول مع الظالمين فى الجحيم ، وأن القاتل لشعوره بهذا كان يعالج فى نفسه الاقدام على جريمته ، علاج الكاره المتحرج ، حتى « طوعت » له نفسه قتل أخيه فقتله ، فأصبح من الخاسرين •

قص الله علينا هذه الجريمة الأولى ، وربط بها أول تشريع جنائى فيما نعلمه فقال عز وجل:

« مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ، وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا » • (١) •

وقد جاء فى صحيحى البخارى ومسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « ليس من نفس تقتل ظلما الا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها ، لأنه أول من سن القتل » •

جريمة القتل فى التوراة والانجيل :

وقد تناولت التوراة جملة من صور القتل ، وبينت ما يستحق القصاص ومالايستحق،ومما جاء فيها أن القتل أكبر الذنوب،وأفظع الجرائم عند الله ، وأن القاتل لا تصح الرأفة به ولا الشفقة عليه • وقد تضمنت أسفار الخروج والتثنية والاشتراع كثيرا من نصوص تفيد أن القتل عقوبة للقتل •

أما الانجيل فيذكر كثير من الناس أن قتل القاتل لم يكن من شرائعه ، ويستندون الى نص انجيل متى الذى يقول : « سمعتم أنه قيل : عين بعين وسن بسن ، وأما أنا فأقول لكم : لاتقاوموا الشر بالشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له خدك الآخر أيضا ، ومن رأى أن يخاصمك ، ويأخذ ثوبك ، فاترك له الرداء أيضا ، ومن سخرك ميلا واحدا ، فاذهب معه اثنين » •

وللناظر أن يرى أن هذا النص ليس فيه نفى للقود ، وأن قوله « لاتقاوموا الشر •• » يجرى مجرى العفو والتسامح الواردين فى كثير من آيات القرآن الكريم ، مثل قولهتعالى « وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ، ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ، فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ (٢) » ، ولا يتنافى مع استمرار حكم القصاص الذى جاءت به التوراة ، ولاسيما اذا انضم الى ذلك قول عيسى : « ما جئت لأنقض الناموس » وقوله تعالى فيما حكاه القرآن عنه « وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَاةِ » (٣) •

جريمة القتل فى نظر الشرائع الوضعية :

كذلك كان القتل عند الأمم القديمة عقوبة لجريمة القتل ، غير أنه كان لنظام الطبقات

(١) المائدة ٣٢ •
(٢) فصلت ٣٤ •
(٣) آل عمران ٥٠.

المعروف عند الرومان أثر فى تطبيق العقوبة ، فاذا كان الجانى من الأشراف « أرباب الوظائف الحكومية » رفع عنه القتل واكتفى بنفيه ، واذا كان من أواسط الناس كانت عقوبته قطع الرقبة ، واذا كان من الطبقة الدنيا كانت عقوبته الصلب ، ثم غيرت بالقائه فى حظيرة حيوان مفترس ، ثم غير هذا بالشنق .

وعلى الجملة فقد مرت بالجرائم فى الشعب الرومانى ، كما فى سائر الشعوب ، كما يقول الدكتور على بدوى بك ، أربعة أدوار ، كان آخرها تدخل الحكومة تدخلا مباشرا فى المعاقبة على الجرائم ، باعتبار أن المصلحة العامة التى تمثلها تقتضى ذلك ، ولم يكن هذا التدخل قاصرا على الجرائم الماسة بالحكومة كالخيانة العظمى والثورة ، بل كان شاملا للجرائم الواقعة على الأفراد ، كالقتل والسرقة .

وبذلك جعلت الجرائم الخاصة جرائم عامة ووقعت الحكومة عليها عقابا جسمانيا ، وألغت الدية كما ألغت الثأر ، وهذا هو ما وصلت اليه الأمم الحديثة .

وبمقتضى هذا الوضع الذى صارت اليه الجرائم الواقعة على الأفراد فى الأمم الحديثة ، جعل العقاب عليها من خصائص الحكومة أيضا ، ومنحت الدساتير رئيس الدولة حق العفو ، وحق تخفيض العقوبة .

وعللوا ذلك بأن حق العفو وسيلة ضرورية لضمان نظام الحكم السليم من جهة أنه علاج للأخطاء القضائية التى تقع فيها المحاكم وعلاج للتخفيف من صرامة القانون ، اذا كانت نصوصه لا تسمح باستعمال الرأفة ، ولا بوقف التنفيذ .

جريمة القتل عند العرب :

كذلك كان للعرب قبل الاسلام عادات ونظم يرجعون اليها فى كثير من شئونهم الاجتماعية وكان من بينها قتل القاتل ، وكانوا يقولون فى ذلك : « القتل أنفى للقتل » ولكنهم بحكم العصبية القبلية ، والحمية الجاهلية ، وجنونهم بأخذ الثأر ، كانوا يسرفون فى تطبيق ذلك المبدأ ، ولا يتوخون فيه معنى العدل الذى يوجب الوقوف عند حد القصاص الصحيح « النفس بالنفس » . وكانوا كثيرا ما يطلبون فى سبيل ذلك غير القاتل بالقاتل ، والعدد بالواحد ، والرجل بالمرأة ، والحر بالعبد ، بل كانوا كثيرا ما يأخذون الانسان بالبهيمة .

وكانوا يفعلون ذلك أيضا فى « الجراحات » والديات ، فيجعلون دياتهم وجراحاتهم ضعف ديات الخصوم وجراحاتهم ، وربما زادوا على ذلك وأعنتوا فطلبوا غير المقتول اسرافا فى الظلم ، وفى تلبية العصبية الغاشمة . ومن ذلك ما روى فى أسباب نزول آية القصاص : أن واحدا قتل آخر من الأشراف فاجتمع أقارب القاتل عند والد المقتول وقالوا له : ماذا تريد؟ قال : احدى ثلاث ، قالوا : وما هى ؟ قال : اما أن تحيوا ولدى ، أو تملأوا بيتى من نجوم السماء ، أو تدفعوا الى جملة قومكم حتى أقتلهم ، ثم لا أرى أنى أخذت عوضا !

وكثيرا ما دفعهم هذا العسف الى الحروب فاندلعت ألسنتها فيما بينهم ، فيشتد أوارها ، ويطول أمدها ، حتى تنتهى بفناء القبائل .

الوضع العام لجريمة القتل فى الشرائع المتقدمة :

من هذا العرض الوجيز الذى بينا به نظرة الشرائع الأخرى الى جريمة القتل ، نرى أن معظمها يتخذ القتل عقوبة للقتل ، غير أنها على وجه عام تميل فى شأن تنفيذها ، اما الى جانب الافراط أو الى جانب التفريط تبعا لمقتضيات الأحوال اذ ذاك .

فالتوراة : تتجه فى تشريعها الى جانب المجنى عليه ، فتفرض لوليه قتل الجانى ، ولا تقبل هوادة فيه ، وفى هذا مبالغة فى الرعاية لحق المجنى عليه .

والانجيل : — على مايفهم كثير من الناس — يغض النظر عن الجناية ، ويحذر دفع الشر بالشر ، ويحتم العفو على ولى الدم ، وهذا عكس الأول .

والقانون الرومانى — فى قديمه — يعطف على الجانى اذا كان من الأشراف ، ويقسو عليه اذا كان من غيرهم ، وكأن غير الشريف فى نظرهم لا يلتقى مع الشريف فى صلب رجل واحد ، ولا تنتظمهما الانسانية الواحدة ، فهو فى جانب التفريط بالنسبة للشريف ، وجانب الافراط بالنسبة الى غيره .

وبينما ترى هؤلاء الثلاثة : « التوراة ، والانجيل ، والقانون الرومانى القديم » فى هذا الوضع الذى وصفنا ، وتراها تلتزم فى جانب العقوبة أخذ الواحد بالواحد ، من غير تعد ولا اسراف ، ترى العرب يسرفون فيأخذون غير الجانى بالجانى ، والكثير بالواحد ، فى الأشخاص والجراحات والديات .

وبينما ترى الشرائع القديمة كلها ، تجعل الحق لولى الدم ، نظرا الى أن الجناية تقع عليه أولا وبالذات ، ترى أن الوضع الجنائى الذى صارت اليه الأمم الحديثة ، واستمر العمل به الى الآن ، يعتبر أن الجريمة الواقعة على الأفراد جريمة عامة ، ويجعل الحق فى العقوبة والعفو عنها لولى الأمر ، رضى ولى الدم أم أبى .

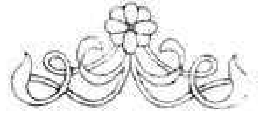
وهناك مع هذا فى وقتنا الحاضر من يرون عدم صلاحية القصاص لأن يكون عقوبة ، ويقولون : انه من القسوة وحب الانتقام ، ويرون أن المجرم الذى يسفك الدم ، ويرهل النساء ، ويروع الأسر ، يجب أن تكون عقوبته تربية وتهذيبا ، لاقسوة وانتقاما ، ويشددون النكير على من يحكم بالقتل بغير الاقرار ، ويرون أن الحكومة اذا علمت الناس التراحم كان أحسن تربية لهم .

وربما سمعنا هذا أو قرأناه لبعض المسلمين المشتغلين بفقه الجريمة والعقاب .

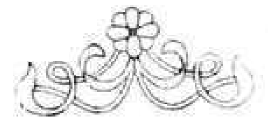
يتبع

اللغة والأدب والنقد

العلاقة بين الضاد والظاء



في صحبة علمائنا الأدباء



نظام الشورى في الإسلام

العلاقة بين الضاد والظاء

صوتيا وتاريخيا ولهجيا



من الملاحظ فى تحديد مكان نطق كل من الضاد والظاء ومن وصفهما انهما متجاوران مخرجا ومتفقان فى صفات الجهر والرخاوة والإطباق فبينهما علاقة صوتية قوية تبيح الانتقال من أحدهما إلى الآخر ، ومن ثم وقع التبادل بينهما فى كلام العرب ولا يزال إلى الآن فى هذه المنطقة المعروفة اليوم بالعالم العربى .

يقول الشاعر :

إلى الله أشكو من خليل أودُّه
ثلاث خصال كلها لى غائض

فقالوا أراد (غائظ) فأبدلوا الظاء ضادا [1]

وقد أورد بعض علماء اللغة شواهد وقع فيها هذا التبادل : منها ما روى :

أن رجلا قال لعمر : (رضى الله عنه) يا أمير المؤمنين أيظحى بضبى ؟

قال وما عليك لو قلت : أيضحى بظبى . ؟

قال : إنها لغة . قال : انقطع العتاب ولايضحى بشىء من الوحش [2]

وورد أن عمر (رضى الله عنه) ومن حضره عجبوا من قولهم فقال : ياأمير المؤمنين إنها لِغة وكسر اللام فكان عجبهم من كسر لام لغة أشد من عجبهم من قلب الضاد ظاء والظاء ضادا [3] وهذه الرواية يجب أن تكون فى الأصل على أحد نطقين لأحد حيين من العرب : أول هذين النطقين : أيضحى بظبى .

وثانيهما: أيظحى بظبى .

أما النطق الثالث الوارد فى كلام الرجل فهو مجموع من النطقين السابقين وهو معروف لدى علماء اللغ بتداخل اللغات فقد أخذ من

---

١ ـ سر صناعة الإعراب جـ ١ ص٢٢٢

٢ ـ الفرق بين الحروف الخمسة لابن السيد البطليوس ص ١٩٠ تحقيق د / على زوين مطبعة العانى بغداد ، وانظر المزهر للسيوطى جـ ١ ص ٥٦٣ تحقيق على محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل ابراهيم .

٣ ـ انظر السابقين نفس الصفحتين .

التى تؤثر الظاء على الضاد الظاء فى أيظحى واخذ من التى تؤثر الضاد على الظاء الضاد فجمع بين لغتين فى كلامه . والعرب « تختلف احوالها فى تلقى الواحد منهم لغة غيره : فمنهم من يخف ويسرع قبول مايسمعه ومنهم من يستعصم ويقيم على لغته البتة ، ومنهم من إذا طال تكرر لغة غيره عليه لصقت به ووجدت فى كلامه » [٤]

ومن ثم عجب عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومن معه من نطق هذا الرجل لأنهم ممن يقيمون على لغتهم لايفارقونها .

ويذكر الدكتور إبراهيم أنيس « أن النطق القديم للضاد كان إحدى خصائص لهجة قريش » [٥] وقبل أن نحكم بصحة هذا الكلام أو عدم صحته يجب أن نستعرض نصوصا من مظانها المختلفة لنصل من خلالها إلى الرأى الذى نراه :

١ ـ الأرض والأرظ

وردت الكلمة بوجهين عن العرب هما : الضاد ، والظاء مع اتفاق المعنى : يقول ابن السيد البطليوس : « والأرظ والأرض قوائم الد بة والأشهر فيها » الضاد [٦]

وجاء فى اللسان : « والأرض سفلة البعير والدابة وما ولى الأرض منه يقال بعير شديد الأرض ، إذا كان شديد القوائم . والأرض أسفل قوائم الدابة . وأنشد لحميد يصف فرسا :

ولم يقلب أرضها البيطار

وقال سويد بن كراع :

فـركبنـاهـا عـلى مجهـولهـا
بصلاب الأرض فيهن شجع

وقال خفاف :

إذا ما استحمت ارضه من سمائه
جرى وهو مودوع وواعد مصدق [٧]

والبيت الأول لحميد بن ثور الهلالى من بنى عامر بن صعصعة [٨] وهم يعودون إلى قيس [٩]

وسويد بن كراع ـ قائل البيت الثانى ـ من عُكْل [١٠]

---

٤ ـ الخصائص لابن جنى جـ ١ ص ٣٨٣ تحقيق الأستاذ محمد على النجار.
٥ ـ الأصوات اللغوية ص ٤٩.
٦ ـ الفرق بين الحروف الخمسة ص ١٨٧
٧ ـ لسان العرب لابن منظور جـ ١ ص ٦١ طبعة دار المعارف .
٨ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة جـ ١ ص ٣٩٧ تحقيق وشرح الأستاذ أحمد شاكر ١٩٧٧.
٩ ـ جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٢٧٢ تحقيق وتعليق الأستاذ عبد السلام هارون دار المعارف طبعة رابعة
١٠ ـ الشعر والشعراء جـ ٢ ص ٦٣٩

وبنو عكل بن عوف بن عبد مناه بن أد ابن طابخة بن إلياس بن مضر [11]

وخفاف قائل البيت الأخير ـ هو خفاف ابن عمير بن الحارث بن الشريد السلمى [12] المعروف بخفاف بن ندبة ، وبنو سليم يعودون إلى قيس [13] وكل من طابخة وقيس ينتهى إلى مضر [14] .

وكانت مضر مقيمة وحدها فى تهامة بعد خروج ربيعة منها حتى دب بينها التفرق ، ووقع بين قبائلها البغضاء بسبب تباين هذه القبائل وكثرة عددها وفصائلها وضيق البلاد بها ، ومن هنا رأينا قبيلة متهمة وأخرى منجدة ، فظعنت قيس من تهامة طالعين إلى بلاد نجد إلا قبائل منهم انحازت إلى أطراف الغور من تهامة [15]

وطابخة نزحت من تهامة إلى ظواهر نجد والحجاز [16]

أما عكل الذين منهم سويد بن كراع فقد نزحوا من الحجاز بعد ذلك إلى بلاد نجد وصحاريها [17] .

وعلى هذا فالنطق بالضاد هنا ليس خاصا بقريش وإن كانت تعود إلى مضر [18] .

٢ ـ الحُضُض والحُظَظ والحُضَظ .

قال ابن السِّيد : « والحظظ والحضض : الكحل الذى يقال له الخولان يقال بضم الظاء والضاد وفتحهما ، قال الراجز :

أرقش ظمآن إذا عَضّ لَفَظ

أمرُّ من مرٍّ ومقْرٍ وحظظ [19]

وحظظ بظاءين فى اللسان أيضا [20]

وجاء فى الصحاح بضاد وظاء قال الجوهرى : وأنشد شمر :

أرقش ظمآن إذا عصر لفظ

أمرُّ من صبر ومقْرٍ وحضظ

ويعقب الخليل على البيت بقوله : يُنْشدُ هذا البيت بظاءين من كانت لغته فيه بالظاء . والذى لغته بالضاد يجعل الأول على لغته ضادا ويجعل الآخر ظاء لإقامة الروى [21] .

وقال أبو عمر الزاهد : الحُضُض بالضاد والذال .

وهذه النصوص تعطينا فى الكلمة أربع لهجات :

الأولى : الحضض بضادين .

الثانية : الحظظ بظاءين .

---

١١ ـ جمهرة أنساب العرب ص ٤٨٠

١٢ ـ الشعر والشعراء جـ ١ ص ٣٤٨

١٣ ـ جمهرة أنساب العرب ص ٢٦١

١٤ ـ السابق ص ٤٨٠

١٥ ـ معجم ما استعجم للبكرى جـ ١ ص ٨٦ و ٨٧ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧١ ـ ١٩٥١ م

١٦ ـ السابق نفس الصفحة .

١٧ ـ السابق نفس الصفحة .

١٨ ـ جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٢

١٩ ـ الفرق بين الحروف الخمسة ص ١٨٧

٢٠ ـ جـ ٢ ص ٩٢٠

٢١ ـ الفرق بين الحروف الخمسة ص ١٨٨

الثالثة : الحضظ بضاد بعدها ظاء .

الرابعة : الحضذ بضاد بعدها ذال .

وقد روى البيت باللهجتين الثانية والثالثة .

والذى أراه أخذا من نصوص اللغويين أن الكلمة بضاضين وبظائين لهجتان مشهورتان وأما الضاد وبعدها الظاء فلهجة قليلة يدل على ذلك قول شمر : لم أسمع الضاد مع الظاء إلا فى هذا [٢٢] وأما اللهجة الرابعة فنادرة .

٣ - ضنين وظنين .

فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ [٢٣])

قرىء بالضاد والظاء فى (ضنين [٢٤])

١ - فقد قرأ عبد الله (بن مسعود) ، وابن عباس ، وزيد بن ثابت ، وابن عمر ، وابن الزبير ، وعائشة ، وعمر بن عبد العزيز وابن جبير وعروة وهشام بن جندب ومجاهد وغيرهم من السبعة وابن كثير بظنين بالظاء . وقرأ عثمان وابن عباس أيضا والحسن وأبو رجاء والأعرج ، وأبو جعفر وشيبة وجماعة غيرهم ، وباقى السبعة بالضاد [٢٥]

٢ - وجاء فى معانى القرآن للفراء وحدثنى قيس بن الربيع عن عاصم بن أبى النجود عن زر بن حبيش قال : أنتم تقرءون (بضنين) ببخيل ونحن نقرأ (بظنين) بمتهم . وقرأ عاصم وأهل الحجاز وزيد بن ثابت (بضنين) وهو حسن [٢٦]

٣ - ويقول الطبرى وبالضاد خطوط المصاحف كلها [٢٧]

٤ - وفى الكشاف وهو فى مصحف عبد الله بالظاء وفى مصحف أُبَىّ بالضاد [٢٨]

٥ - وجاء فى المصاحف القديمة لجفرى أن ظنينا جاء بالظاء فى مصاحف ابن عباس وعائشة [٢٩] وورد عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرؤه الظنين بالظاء [٣٠]

٦ - وقد ورد أن « المكتوب فى مصحف الإمام بالضاد » [٣١] وقد ورد أيضا : « وهو رسم الإمام وسائر المصاحف العثمانية » [٣٢]

وهذا يفسر قول الطبرى من أن المقصود بالمصاحف كلها : المصاحف العثمانية وتفيد النصوص التى عرضناها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بهما ويؤكد ذلك الزمخشرى [٣٣] والقراءات الواردة بهما متواترة [٣٤]

---

٢٢ - لسان العرب جـ ٢ ص ٩١٠

٢٣ - الآية ٢٤ من سورة التكوير .

٢٤ - الكشاف للزمخشرى جـ ٤ ص ٢٢٥ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى .

٢٥ - البحر المحيط لأبى حيان جـ ٨ ص ٤٣٥ الطبعة الثانية دار الفكر ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

٢٦ - جـ ٣ ص ٢٤٢ تحقيق الشيخ محمد على النجار .

٢٧ - البحر المحيط جـ ٨ ص ٤٣٥

٢٨ - الكشاف جـ ٤ ص ٢٢٥

٢٩ - انظر الآية ٢٤ من سورة التكوير .

٣٠ - فتح القدير للشوكانى جـ ٥ ص ٣٩٤ طبعة ثانية .

٣١ ، ٣٢ - المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية لملا على بن سلطان محمد القارىء ص ٤٢ الطبعة الأخيرة

٣٣ - الكشاف جـ ٤ ص ٢٢٥

٣٤ - تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٤٨٠ دار الفكر بيروت ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

وتفيد النصوص السابقة أيضا أن بعض القراء من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بهما .

وإذا رجعنا بالقراء إلى البيئات التى انتسبوا إليها أو عاشوا فيها مدة طويلة فإننا نستطيع أن نقول : إن النطق بالضاد والظاء ينسب إلى البيئة الحجازية الغربية ، وإلى بيئة البدو فى وسط الجزيرة وشرقها . وكان يقطن بيئة البدو هذه قيس وتميم وأسد [٣٥] . وقد ورد النطق بالظاء عن الكسائى وأبى عمرو . وكان الكسائى ربيبا لبنى أسدْ وينسب أبو عمرو ابن العلاء إلى بنى تميم [٣٦]

وجاء النطق بالظاء عن ابن كثير وهو مكى [٣٧] وعلى هذا فالنطق بالظاء وارد فى البيئة الحجازية فى مكة وفى البيئة الشرقية فى تميم وأسد .

وورد النطق بالضاد عن نافع وهو مدنى [٣٨] وجاء عن ابن عامر وهو شامى تميمى [٣٩] وورد عن حمزة الكوفى وكان مولى لآل عكرمة [٤٠] وعكرمة تؤول إلى قيس [٤١] وجاء عن عاصم بن أبى النجود وهو من بنى أسد [٤٢]

وعلى هذا فالنطق بالضاد وارد فى بيئة الحجاز فى المدينة وفى بيئة البدو الشرقية فى تميم وقيس وأسد .

وإذا رجعنا إلى من اتصل بالنبى صلى الله عليه وسلم وروى عنه وجدنا النطق بالظاء لدى عائشة وروته عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وجاء النطق بالظاء عن عبد الله ابن مسعود وابن عمر وابن الزبير وهؤلاء جميعا من البيئة الحجازية .

وجاء النطق بالضاد عن عثمان رضى الله عنه وهو قرشى . [٤٣]

وجاء النطق بالضاد والظاء معا عن عبد الله بن عباس وزيد بن ثابت وهما من بيئة الحجاز فالأول ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم والثانى من كُتّاب الوحى وإذا كان النطق بالضاد والظاء نسب إلى النبى صلى الله عليه وسلم فلا غرابة أن ينسب إليهما .

وإذا كان ظنين بمعنى متهم وضنين بمعنى بخيل فالمعنيان واردان فى بيئة الحجاز فالمعنى الأول لهذيل والثانى لقريش [٤٤]

---

٣٥ ـ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبى جـ ١ ص ١٠٠ تحقيق محمد سيد جاد الحق طبعة أولى
٣٦ ـ السابق جـ ١ ص ٨٣
٣٧ ـ السابق جـ ١ ص ٧١
٣٨ ـ السابق جـ ١ ص ٨٩
٣٩ ـ السابق جـ ١ ص ٦٧
٤٠ ـ السابق جـ ١ ص ٩٣
٤١ ـ جمهرة أنساب العرب ص ٢٥٩
٤٢ ـ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار جـ ١ ص ٧٣
٤٣ ـ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار جـ ١ ص ٢٩
٤٤ ـ لغات القبائل الواردة فى القرآن الكريم لأبى عبيد القاسم بن سلام جـ ٢ ص ٣٤٣ هامش تفسير الجلالين طبعة دار التراث بالقاهرة .

ويرجح الدكتور أنيس رأى ابن جرير الطبرى الذى يقول : « وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب ما عليه خطوط مصاحف المسلمين متفقة وإن اختلفت قراءتهم به ، وذلك بضنين بالضاد لأن ذلك كله كذلك فى خطوطها. (٤٥)

ويخلص الدكتورأنيس إلى أن القراءة بالظاء إنما كانت على أساس لهجة بعض العرب القدماء ممن كانوا ينطقون بالضاد ظاء (٤٦) ونقول كما قررنا سابقا إن النطق بالضاد والظاء وارد فى البيئة الحجازية الغربية والبيئة الشرقية وإذا كان النطق بالضاد ظاء لهجة قديمة كما يرى الدكتور أنيس فقد بقى هذا النطق مع أهل هذه اللهجة سواء من بقى فى منطقة البدو منهم أو انتقل إلى بيئة الحضر .

وكلام ابن جرير سبق تفسيره والقراءتان ثابتتان متواترتان وليس ثم داع لتفضيل النطق بالضاد على النطق بالظاء .

٤ ـ عض وعظ

يقول البطليوسى: العظ والعض : شدة الحرب وشدة الزمان ولاتستعمل الظاء فى غيرهما ، قال الفرزدق :

وعض زمان ياابن مروان لم يدع
من المال إلا مسحتا أو مجلف(٤٧)

ويقول ابن برى : « عضه القتب وعضه الدهر والحرب وهى عضوض » قال المخبل السعدى :

غداة جنى على بنىَّ حربا
وكيف يداى بالحرب العضوض(٤٨)

وجاء فى اللسان : « العظ : الشدة فى الحرب وقد عظته الحرب بمعنى عضته وعظه الزمان لغة فى عضه » (٤٩)

وهنا نلاحظ ان النطق بالضاد هو الشائع المنتشر والنطق بالظاء محصور فى عدد قليل وقول صاحب اللسان : وعظه الزمان لغة فى عضه يشهد لما قلنا . والفرزدق تميمى (٥٠) ، والمخبل السعدى تميمى أيضا (٥١)

٥ ـ فاظت نفسه وفاضت .

يقول الفراء : « أهل الحجاز وطىء يقولون فاظت نفسه وقضاعة وتميم وقيس يقولون فاضت نفسه ، مثل فاضت دمعته » (٥٢) ويقول أبو زيد وأبو عبيدة : « فاظت نفسه ، بالظاء لغة قيس وبالضاد لغة تميم » (٥٣)

---

٤٥ ـ تفسير ابن جرير الطبرى سورة التكوير .
٤٦ ـ الأصوات اللغوية ص ٥٦
٤٧ ـ الفرق بين الحروف الخمسة ١٨٦
٤٨ ـ لسان العرب جـ ٤ ص ٢٩٨٨
٤٩ ـ جـ ٤ ص ٣٠٠٣
٥٠ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة جـ ١ ص٤٧٩
٥١ ـ خزانة الأدب للبغدادى جـ ٦ ص ٩٣ ، ٩٤ تحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام هارون الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م
٥٢ ـ لسان العرب جـ ٥ ص٣٥٠٢
٥٣ ـ السابق نفس الصفحة .

وروى المازنى عن أبى زيد أن العرب تقول : « فاظت نفسه بالظاء إلا بنى ضبة فإنهم يقولونه بالضاد » [٥٤] ويقوى هذه الرواية ما ورد عن أبى حاتم ، قال : سمعت أبا زيد يقول : « بنوضبة وحدهم يقولون فاضت نفسه » [٥٥]

وجاء فى الغريب المصنف : « فاظت نفسه تفيظ : مات . وناس من تميم يقولون فاضت نفسه تفيض[٥٦] .

وورد عن أبى عبيدة : « كل العرب تقول : فاضت نفسه بالضاد إلا بنى ضبة فإنهم يقولون فاظت نفسه بالظاء » [٥٧]

وهذه الروايات تفيد الآتى :

١ ـ أن النطق بالضاد ينسب إلى قضاعة ، وتميم ، وقيس وأن النطق بالظاء ينسب إلى الحجاز وطيىء

٢ ـ أن العرب بما فيهم الحجاز ، وطيىء ، وقضاعة ، وقيس ، وأسد يقولون بالظاء إلا بنى ضبة فإنهم يقولون بالضاد .

٣ ـ ضبة وحدها تقول بالظاء وباقى العرب بما فيهم الحجاز ، وطيىء وقضاعة ، وتميم ، وقيس تقول بالضاد .

٤ ـ بنوضبة ينسب إليهم النطق بالضاد فى رواية وبالظاء فى رواية أخرى .

٥ ـ تميم ينسب إليها النطق بالضاد فى رواية ، وناس منها ينسب إليهم النطق بهذه الضاد فى رواية أخرى .

وأصل من هذا كله إلى أن بعض أفراد القبيلة كان يؤثر الضاد والبعض الآخر كان يؤثر الظاء . والضاد والظاء ـ كما سبق ـ متجاوران فى المخرج ، ومتفقان فى الجهر والرخاوة والإطباق والاستعلاء ، مما يجعل من اليسير انتقال مخرج الضاد إلى الظاء . وقد وقع هذا التبادل بينهما فى اللغة الأوجريتية التى كان يكتب بها فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد [٥٨] كما وقع هذا التبادل بينهما فى جنوب بلاد العرب [٥٩]

ولا يقصد بوقوع التبادل بينهما أن الذى نطق بالضاد من العرب أبدلها ظاء أو العكس إلا إذا كان يلهو أو يعبث ، لأن المتكلم لا بد أن يثبت على نطق واحد فى كلمة واحدة فى زمن واحد ، ومن ثم يقول أبو الطيب اللغوى : « ليس المراد من الإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف ، وإنما هى لغات مختلفة لمعانٍ متفقة تتقارب اللفظتان فى لغتين لمعنى واحد حتى لا يختلفا إلا فى حرف واحد » [٦٠] ووضح ذلك بأن القبيلة الواحدة لا تتكلم بكلمة طورا مهموزة وطورا غير مهموزة ،ولا بالصاد مرة ، وبالسين أخرى ،

---

٥٤ ، ٥٥ ـ السابق جـ ٥ ص٣٥٠١

٥٦ ـ المزهر للسيوطى جـ ١ ص ٥٦١

٥٧ ـ السابق جـ ١ ص ٥٦٢

٥٨ ـ حرف الضاد وكثرة مخارجه أ . د / خليل يحيى نامى مجلة كلية الآداب مجلد ٢١ ص ٦٢ عدد أول مايو ١٩٥٩ م

٥٩ ـ محاضرات الأستاذ الدكتور خليل يحيى نامى فى معهد اللغات الشرقية ١٩٥٤ م .

٦٠ ـ المزهر جـ ١ ص ٤٦٠

وكذلك إبدال لام التعريف ميما ، والهمزة المصدرة عينا ، كقولهم في أن : عن « لا تشترك العرب في شيء من ذلك إنما يقول هذا قوم وذاك آخرون » [٦١]

٦ ـ هيظلة وهيضلة .

يقول البطليوس : « ويقال للجماعة من الناس إذا خرجت في الغزو : هيظلة وهيضلة والمشهور فيها الضاد ، وحكاها العتقي بالظاء ولم أر ذلك لغيره ، قال ساعدة بن جؤية الهذلي :

أزهير إن يشب القذال فإنه
رب هيضل مسرس لففت بهيضل [٦٢]

وجاء في اللسان : « والهيضل الجيش الكثير واحدهم هيضلة » قال الكميت :

وحول سريرك من غالب
ثبى العز والعرب الهيضل

وقال الكميت (أيضا) :

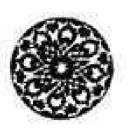
في حومة الفيلق الجأواء إذ نزلت
قيس وهيضلها الخشخاش إذ نزلوا

وإذا نسبنا الشعراء إلى قبائلهم فإن ساعدة بن جؤية من بني كعب بن كاهل من سعد هذيل

ونسبة البيت في ديوان الهذليين إلى أبي كبير الهذلي لا يخرجه عنها والكميت بن زيد من بني أسد

وهذيل من الحجاز وبنو أسد ممن يتوطنون وسط شبه الجزيرة وشرقها ونصل بعد ذلك إلى أن النطق بالضاد بوجوهها المختلفة ليس محصورا في قريش كما ذهب الدكتور أنيس إلا إذا أردنا إخراجها من جانبي اللسان فقد نسب هذا النطق إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإلى عمر بن الخطاب وقد أفادتنا هذه النصوص أن النطق بالضاد يوجد في بيئة الحجاز التي منها قريش وفي بيئة وسط الجزيرة وشرقها في قيس وتميم وأسد وكذا النطق بالظاء وجدناه في البيئتين معا .

يتبع .



---

٦١ ـ السابق نفس الصفحة

٦٢ ـ الفرق بين الحروف الخمسة ص ١٨٨ ، ١٨٩





مر بنا فيما مضى ما عرفناه عن أساتذتنا الذين كان لهم فضل كبير فى ارعاء أنظار طلابهم الى فنون الأدب بما كانوا يقيمونه لهم من حفلات أدبية .. ونتابع معا بقية الحديث ..

لم يقتصر دور الطلاب على الخطابة والشعر فيما كان يقام لهم من حفلات ، ولكنهم أرادوا أن يجربوا أقلامهم أيضا ، فقد افتتح بعض الصحفيين جريدة محلية فى أسيوط ، كان ذلك فى أول الأربعينيات ، وسخر الصحفى لصحيفته أقلام الطلاب ، هم يكتبون — طبعا بدون أجر — وهو يبيع ويقبض ، ولكى يروج لجريدته فتح باب الحوار فى قضية كانت تشغل الأذهان هى قضية اقتحام المرأة ميدان العمل .

وتنافس الكاتبون فى هذا المجال بين مؤيد ومعارض ، وحمى وطيس المعركة ولم يطفئها الا تعطل الجريدة عن الصدور .

وانتقل الميدان من الجريدة الى المعهد نفسه ، فأقيمت مناظرة فى الموضوع نفسه فى قاعة المحاضرات وتحدث المتناظرون كل يدلى بحجته ويبسط براهينه ، والفائدة من وراء ذلك شحذ الأذهان وثراء الفكر ودربة اللسان على القول والبداهة ..

ونتيجة لتجربة الأقلام ومرانها بدأت القصص والروايات تظهر بأقلام الطلاب وتجد لها سوقا بينهم .

رسالة الأزهر : ولم تلبث أن انتقلت المناظرات من فريق الطلاب الى فريق الأساتذة ، ولكنها كانت فى ميدان آخر ، هو ميدان رسالة الأزهر .

طرح هذا السؤال : هل أدى الأزهر رسالته؟

كان فريق المجيبين بالاثبات يمثلهم المرحوم الشيخ عبد الرحيم فودة .

وكان فريق المجيبين بالنفى يمثلهم الشيخ محمد فتحى . .

وكلاهما كان مدرسا بالمعهد وكان قمة فى الفكر والنضج والحجة القوية .

رأى الشيخ فوده أن الأزهر بذل قصارى جهده فى تقديم العلم وتخريج العلماء واستطاع

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

بشيوخه الأجلاء وعلمائه الفضلاء أن يحفظ التراث الاسلامى واللغوى والأدبى والعلمى ، وقد تخرج فيه آلاف الطلاب الذين عمروا جوانب الحياة فى ربوع العالم .

ان هذا المعهد العريق الذى سلخ من الزمن عشرة قرون مازال كيوم أنشىء شابا قويا فتيا يواصل أداء رسالته نحو الاسلام والعروبة ، وحسبه أنه أنجب من عباقرة العلم والدين ما يعد درة فى جبين الزمن من امثال الشعرانى والشرقاوى والدردير ومحمد عبده والمراغى وغيرهم ممن يضيق المجال بذكر أسمائهم وسرد أعمالهم ... الى آخر ما قال . وأثبت فحواه .

وكان رأى الشيخ محمد فتحى أن رسالة الأزهر لا تحدها حدود ، انها تتجاوز مهمة تخريج العلماء ونشر الكتب واصدار الفتاوى . انها منوطة بمكانته التى تتربع على عرش القلوب فى مشارق الأرض ومغاربها ، فعليها أن تتسع لتشمل ما يحلم به كل مسلم فى اى صقع من الأصقاع .

ان الأزهر ــ وهو قادر على ذلك ــ عليه ان يعيد للاسلام هيبته ويرفع مكانته ، وعليه أن يساير الزمن تجديدا واعلاء ، عليه أن يزيل الخلافات التى تأكل جسد الأمة الاسلامية وعليه أن يقاوم الجمود ويقضى على الخرافات ويصهر فى بوتقته العاقلة المتزنة جموح الجامحين وعقوق العاقين ، ثم انه باعتبار دوره الطليعى فى العالم الاسلامى عليه أن يكون القدوة الصالحة الممثلة فى علمائه وطلابه حتى ينظر اليهم الناس وكأنهم الملأ الأعلى يسير على الأرض فيعيدون سيرة السلف الصالح ، لا يتهمون مع التاهمين ولا يميلون مع المائلين ولا ينحرفون مع المنحرفين .

الى آخر ما قال وأنا أنقله هنا معنى لانصا بعد زمن يقرب من أربعين عاما .

وقد استمرت هذه المناظرة بين هذين الشيخين الجليلين وقتا طويلا ، وانتهت وقد استفاد منها الطلاب الكثير الطيب . كان أكثرهم غفلا عن الأزهر ورسالته وهم أبناؤه، يحسبونه مكانا لتلقى الدراسة فحسب ، ولم يكونوا يعرفون أنه يمثل روح للأمة وكيان المجتمع الاسلامى ، لقد أدركوا من هذه المناظرة القيمة أنهم ينتمون الى قلعة صامدة تحدت أمواجا من التحديات عبر العصور وقاومت الطغيان فى أشكال كثيرة وخرجت من معاركها جميعا وهى منتصرة مرفوعة اللواء .. عرفوا ذلك فازدادوا تعلقا بأزهرهم وايمانا بدوره الفعال ، واستجابة لما سمعوا من دعوة حارة تدعو أبناء الأزهر ليكونوا أهلا لحمل رسالة العلم والدين .

المواهب الأدبية فى الطلاب : واذا كان الحديث عن الذكريات الأدبية ، فمن الواجب التنويه ببعض الزملاء الذين تفتحت مواهبهم الأدبية مبكرة ، وكان لهم نتاج أدبى طيب وهم طلاب ، منهم من احتفظ بهذه الموهبة وشحذها حتى آتت ثمارها ناضجة يانعة ، ومنهم من وقفت الحياة فى طريقهم وحالت الظروف بينهم وبين استمرار العطاء الأدبى المناسب .

لا أنسى أن الشاعر الأديب المحقق المرحوم عبد الستار فراج كان من الزملاء المتقدمين ، وكان له ديوان شعرى أصدره وهو طالب فى السنة الخامسة الثانوية بعنوان : « زورق الأحلام » ، واستطاع بعد ذلك أن يأخذ طريقه الى عالم الأدب بعد تخرجه ، وحقق وألف وشارك بقلمه الدءوب العالم فى تحرير مجلة العربى حتى العام الماضى حيث وافته منيته فى الكويت رحمه الله .

ولا أنسى أيضا الشاعر سيد سليمان النخيلى صاحب ديوان « ثورة الشباب » ، وقد استمر فى عطائه الشعرى فترة ، ولكن قيود وظيفتى التدريس والتوجيه فى وزارة التربية والتعليم لم تبقيا له وقتا أو فراغا يعينانه على الاستمرار فى هذا العطاء الأدبى الذى ينتفع به القراء .

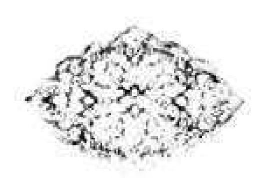
وكان الأستاذ محمد على مخلوف شاعرا موهوبا كانت مجلة الرسالة التى أنشأها الأديب الكبير أحمد حسن الزيات ـ كانت تنشر له قصائده الرائعة .

والأستاذ المرحوم فوزى العنتيل وهو زميل دراسة كان مفتنا فى شعره ومحلقا ومبدعا منذ مطلع شبابه ، وظل عطاؤه نابضا بكل معانى الفن والجمال حتى اختطفته يد المنون فجأة فى العام الماضى رحمه الله .

وهناك أدباء كثيرون فتحوا عيونهم على ذلك العطاء الأدبى من هؤلاء الشيوخ الأجلاء فى ذلك المعهد العتيد ، وتعلموا منهم كيف يمكن للأدب أن يصبح علما يتلقاه الدارسون عن طريق الرواية الجيدة والتقديم الفنى والتشويق اليه والتحبيب فى فنونه وألوانه حتى يصبح شهيا تتشهاه العقول قبل القلوب وتطلبه الأذهان قبل الوجدان .

ولم يكن هؤلاء الشيوخ الأجلاء الذين تتلمذنا عليهم ونبغ على أيديهم زملاء لنا الا من نتاج ذلك البحر الخضم بحر الأزهر الزاخر .

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى



مع رسالة جامعية

نظام الشورى فى الإسلام ونظم الديمقراطية المعاصرة

للدكتور زكريا محمد الخطيب

عرض وتقديم :
أحمد محمد الخواص

تهتم هذه الدراسة بعرض صورة مشرقة لنظام الحكم الاسلامى متمثلا فى الشورى .. ذلك النظام الذى تضاءلت أمامه كل النظم الوضعية مهما ألبست من أثواب .. فشتان بين نظام محكم .. تنزيل من حكيم حميد .. وبين نظم تضاربت حولها الآراء .. وتتبعتها الانتقادات ..

بدأ الباحث ببيان قيمة الشورى ومنزلتها .

فالشورى بدأت توجيها الهيا ساميا ، ثم أضحت تقنينا سماويا خالدا الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولئن كانت الشورى بهذه الدرجة من الأهمية . فالأمر يقتضى تحديد مفهومها والتعرف على مداها وحدودها .

ثم من هم أهلها وما اشتراطات تأهيلهم لتولى مهامها .. وما مدى التزام الحاكم بنتائجها .. وهل تصمد أمامها نظم الديمقراطية المعاصرة ؟

لقد عرف الباحث الشورى بأنها : — النظر فى الأمور من أرباب الاختصاص والتخصص لاستجلاء المصلحة المقصودة شرعا واقرارها ..

والدراسة التى بين أيدينا ترشد الى أهم المصادر التى يمكن الرجوع اليها للتعرف على نظام الحكم الاسلامى المتمثل فى الشورى .

أهم المصادر :

١ — الكتاب الكريم وقد اشتمل على الأنواع الثلاثة للأحكام التى اشتملت عليها كل شريعة .

(أ) الأحكام الاعتقادية .

(ب) الأحكام التهذيبية .

(جـ) الأحكام العملية .

←

والقرآن الكريم فصل الأحكام الشخصية والمواريث والحدود ، وفيما عدا ذلك فان أحكامه فيه قواعد عامة ومبادىء أساسية لم يتعرض فيها للتفصيلات الا فى النادر ، ولعل الحكمة فى ذلك أن يكون لأولى الأمر أن يقننوا حسب المصالح فى حدود أسس القرآن من غير اصطدام بحكم جزئى فيه ...

وعن حجية القرآن الكريم أكدت هذه الدراسة أن للقرآن حجيته وأن نصوصه جميعها قطعية الثبوت والنقل عن الرسول ﷺ ، الا أنها من ناحية الدلالة على الأحكام نوعان :

(أ) قطعية الدلالة وهى التى تدل على معنى معين .

(ب) ظنية الدلالة وهى التى تدل على معنى ولكنها تحتمل أن تؤول وتصرف عنه .

القرآن والتشريعات الحديثة :

التشريعات على درجتين :

(أ) تشريع دستورى . وهو القانون الأساسى فى الدولة .

(ب) القوانين العادية . وتصدرها السلطة التشريعية فى حدود القواعد العامة التى يقررها الدستور .

ولايمكن تشبيه القرآن الكريم بالقواعد الدستورية أو القوانين العادية وفقا لاصطلاحات فقهاء القانون العام المعاصر ، لأن المسلم به أن للجماعة فى أى وقت أن تغير دستورها ..

أما القرآن الكريم فانه يتسم بالخلود ولايمكن أن يتغير بأى حال من الأحوال فهو أعز شأنا وأرفع مقاما من أن يقارن أو يشبه بأى تشريع أرضى .. « **تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** » « **لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ** » .

٢ ــ أما المصدر الثانى من مصادر التعرف على نظام الحكم الاسلامى المتمثل فى الشورى فالسنة الشريفة وقد قسمها الباحث من جهة الورود الى :

(أ) السنة المتواترة .
(ب) السنة المشهورة .
(جـ) سنة الآحاد .

والسنة بأقسامها هذه واجبة الاتباع والعمل ...

أما أحكامها بالنسبة للقرآن الكريم .. فقد ذكرت الدراسة أن السنة على ثلاثة أقسام : ــ

(أ) سنة مؤكدة تؤكد حكما جاء به القرآن .

(ب) سنة مفصلة ومفسرة لما أجمله القرآن أو مقيدة لما أطلق أو مخصصة لما جاء به عاما .

(جـ) سنة مثبتة ومنشئة حكما سكت عنه .

٣ ــ أما المصدر الثالث للشورى ..

فالاجماع ... وللاجماع المتمثل فى رأى الأكثرية حجيته .. على أن الاجماع الذى يعتبر فى الاسلام مصدرا من مصادر التشريع فيما لا نص فيه .. هو : اتفاق أهل النظر فى المصالح .

ولما كانت الرسالة التى بين أيدينا من قبيل

الدراسات المقارنة .. اذ أنها بحث فى : نظام الشورى فى الاسلام ونظم الديمقراطية المعاصرة .. فان الباحث لهذا الموضوع قد خرج علينا من دراسته تلك بأن أهل الشورى هم : أهل الحل والعقد .. هم نواب الأمة الذين يختارون عن طريق الاقتراع السرى العام .

الشروط المتطلبة فى أهل الشورى :

١ ــ اشترط الباحث فى أهل الشورى من حيث الكيف : العدالة ، والعلم بمتطلبات المهمة المنوطة بالعضو ، والرأى المفضى الى القرار .. ولولاة الأمر أن يفصلوا هذه الشروط وأن يزيدوا عليها .. أما من حيث الكم فذلك متروك للظروف ومتوقف على توافر الكفاءات .. وبالتالى فقد رجح الباحث الاتجاه القائل بضرورة مشاركة المرأة فى اعمال الشورى وطالب بافساح المجال لها مع الرجل على قدم المساواة ... كما أنه استنادا الى التسامح الاسلامى ، والسوابق العملية ، ولكون أهل الذمة يمثلون نسبة من المواطنين ، ولأن فيهم أهل خبرة ، اضافة الى أنه لايخشى منهم فى اتخاذ القرار اذا ماروعيت نسبتهم ، وقطعا لألسنة الطاعنين على الاسلام .. لكل هذه الاعتبارات أباح الباحث أن تشتمل هيئة أهل الشورى على بعض العناصر الذمية .

التفرقة بين اهل الشورى وأهل الاجتهاد :

تميل الدراسة فى هذه الرسالة الى ترجيح التفريق بين أهل الشورى وأهل الاجتهاد وذلك من منطلق اختلاف عمل كل من الفريقين ، وبالتالى فقد ركز الباحث على أهم نقطة توضح الفرق بينهما . ألا وهى : كيفية اتخاذ القرار لدى كل من الفريقين ..

ويرى الباحث ضرورة أن تكون هناك جماعة المجتهدين الذين تعرض عليهم جميع المقترحات لدراسة مدى موافقتها للشريعة الاسلامية .. ثم يتخذ مجلس الشورى اجراءات اقرار هذه المقترحات وبذلك يمكن التوفيق بين التراث ومستحدثات العصر .

ولكن ما حدود الشورى ؟

يقول الباحث : الشورى لاتجوز فيما ورد فيه نص قاطع ، لأن ارادة الشارع فيه بينة وهى معصومة ، فلا اجتهاد فى مورد النص .. الا أنه رحمه الله يعود فيستدرك على ماورد بشأنه نص قاطع فيفسح مجال النظر فيه مستدلا على ذلك بواقعة سهم المؤلفة ، وحد السرقة عام المجاعة .. على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ...

ويضيف الباحث فى هذا المجال قوله ليس هذا من باب ابطال النص أو نسخه أو الغائه ، فذلك خارج عن سلطة البشر .. وانما هو ايقاف لتطبيق النص لظروف طارئة ومصلحة عارضة جعلت شروط النص لم تكتمل .. فالنص لايتغير مدلوله وحكمه فى أى عصر من العصور

ولا فى أى مكان .. ولكن ظروف العمل بـه تختلف حسب المكان والزمان (١) والملابسات .

وعن مدى سلطة مجلس الشورى بالنسبة للسوابق التشريعية الاجتهادية فى عصر الخلفاء الراشدين وأئمة المذاهب .. وحيث اختلفت الآراء فى ذلك فان الباحث يؤيد القائلين بعدم الالتزام بهذه السوابق التشريعية .

وهذا القول من المؤلف فيه خروج على القواعد الفقهية ، التى تقضى بأن عمل الصحابة من مصادر التشريع الاسلامى ، على رأى جمهور الفقهاء . وهذا الرأى له أسانيده القوية من مصادر التشريع الاسلامى ، منها ماصح عن النبى ﷺ أنه قال :

« **خير الناس قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم** » .

وقد عاصر الصحابة رسول الله ﷺ ، وفازوا بشرف صحبته ، ومن ثم أتيح لهم من فهم النصوص ، والوقوف على أسرار التشريع مالم يتح لغيرهم .

* ويمكن الاستئناس بها عند المشاورة واصدار التشريعات . والحاكم ملتزم بما يصدر عن أهل الشورى فى اختيار الباحث .

وعن حكم الشورى أواجبة أم مندوبة أم مستحبة ، يرى الباحث القول بالوجوب .. فالشورى عنده ليست مندوبة أو مستحبة .. بل هى واجبة .

والاسلام لم يضع نظاما معينا للشورى بل ترك ذلك لظروف الزمان والمكان .. ومن ثم فان أى أسلوب تتخذه الدولة لتطبيق نظام الشورى يكون صالحا مادام ملتزما بالحدود الشرعية(٢) محققا الهدف المنشود فى اطار القيم المتمثلة فى صدق الايمان والاخلاص المتحصنة بسياج من الحرية والعزة والاباء ..

ضمانات الشورى :

وتحت هذا العنوان أكد الباحث أن الشريعة قد قررت من الأصول والقواعد ما يكفل سلامة التطبيق للنظام الأمثل الذى جاءت به ... .. ويتمثل ذلك فى : ـ

١ ـ الرقابة الشعبية أو دعوى الحسبة .. فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حق لكل مسلم قادر على مواجهته (٣)على أساس أنه من

---

(١) ان ايقاف حد السرقة عام المجاعة على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ انما هو تابع لنص اخر غير نص الحد وهو قوله تعالى : « **ولا تلقوا بايديكم إلى التهلكة** » ومثل ذلك ايضا اباحة اكل الميتة عند الاضطرار الى ذلك عملا بهذه الآية ايضا ، ومن ثم فان التطبيق لا يدور مع الزمان والمكان وانما يتبع الادلة المتعارضة فى الظاهر ، للترجيح بينها والعمل بما هو راجح .

(٢) لعل قصد الكاتب من قوله : الحدود الشرعية ، التزام ما امر الله به ، والانتهاء عما نهى عنه .

(٣) الافضل ان يقال : قادر عليه .

الفروض العينية أو من فروض الكفاية فى اطار التناصح والتعاون •• وليس الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر سلطة للفرد قبل الغير أو الجماعة الا اذا كان متقلدا •• وهذا ماتحتمه طبيعة البيئة الاسلامية وما تستلزمه سلامة نظم الحكم ••

ويضيف الباحث رحمه الله فى هذا المجال قوله : ولايحتج على هذا بقوله ﷺ : « من رأى منكم منكرا فليغيره ••» الحديث فانما يفهم من الحديث على حد قوله أن من رأى منكرا عليه أن يبلغ السلطات كتابة أو شفاهة فان لم يستطع فليدع الله بقلبه أن يزيل هذا المنكر ويهدى فاعله (٤) •••

على أن دعوى الحسبة دعوى عامة ••• والصفة فى رفعها ثابتة لكل مسلم عاقل ، ويكفى فى رفعها الغيرة على أحكام الشريعة الاسلامية•

٢ ــ القضاء المتخصص •• وينحصر فى مظهرين هما :

ولاية المظالم ، ولاية الحسبة ••

ولقد أفاض الباحث رحمه الله فى تعريف الحسبة وبيان شروط المحتسب وآداب الحسبة ثم عرج على اختصاصات المحتسب عند كل من الغزالى ، وابن خلدون ، والماوردى ، وابن تيمية •

فالغزالى : رأى أن المحتسب مختص بالنظر فى منكر موجود •• وليس له أن يتجسس ••

وابن خلدون يرى : أن للمحتسب أن يبحث عن المنكرات ويعزر ويؤدب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة ••

أما الماوردى فقد جعل الاختصاصات ذات شقين : شق خاص بالأمر بالمعروف ، والآخر خاص بالنهى عن المنكر ••• والأمر بالمعروف عنده مقسم الى ثلاثة أنواع :

(أ) مايتعلق بحقوق الله الخالصة •

(ب) ما يتعلق بحقوق الآدميين الخالصة • بنوعيها العام والخاص •

(ج) ماكان مشتركا بين حقوق الله وحقوق الآدميين •

كما قسم الماوردى النهى عن المنكر الى ثلاثة أقسام :

(أ) ماكان من حقوق الله الخالصة ••

(ب) ما ينكر من حقوق الآدميين المحضة وهذا النوع لااعتراض للمحتسب فيه مالم يستعد ، لأنه حق يجوز العفو عنه ويصح ممن يخصه •

(ج) ماينكر من الحقوق المشتركة •

←

---

(٤) ينبغى ان يزاد بعد : ويهدى فاعله •• مع الزام نفسه بالحق حتى ولو انصرف الناس عنه ، حتى لا يكون امعة يقلد غيره فى فعل المنكر ، وهذا مما يستفاد من الحديث الشريف •

أما ابن تيمية ، فقد نقل عنه الباحث أنه يرى أن المحتسب له من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ما ليس من خصائص الولاة والقضاة •• ونحوهم •

فالحسبة هى الرقابة الشاملة للحفاظ على النظام العام الاسلامى والأداة الفعالة لضمان تطبيق أحكام الشريعة •• والحسبة حق أصيل لجميع المسلمين القادرين جعلته دواعى النظام ويسر المباشرة مفوضا الى أولى الأمر يعينون له الأكفاء والأمناء •

ولما كانت الدراسة دراسة مقارنة •• بين نظام الهى ونظم وضعية •• فقد أكد الباحث وبعد وضع الديمقراطيات المعاصرة تحت مجهر البحث وفى مواجهة نظام الشورى •• أكد — رحمه الله — على أن الديمقراطية التقليدية بأنواعها المختلفة قد وجهت اليها سهام النقد ، كما بين أن التطبيق الغالب فى الدولة المعاصرة ينحصر فى النظام النيابى بصورتيه البرلمانى والرئاسى (٥) •• والاتجاه السائد ينم عن تطعيم هذا التطبيق بمظهر أو بأكثر من مظاهر الديمقراطية شبه المباشرة خاصة الاستفتاء السياسى والتشريعى حتى فى أعظم الدول عراقة فى النظام البرلمانى •

أما عن الماركسية فقد أبرز الباحث جوانب الضعف فيها كنظرية •• كما أثبت فشل تطبيقها مما حدا بالقائمين عليها الى محاولات التخفيف من حدتها والعودة الى الأخذ ببعض مبادىء النظام الحر••ومع ذلك فانهم يكابرون ويدعون أن ذلك اجراء مرحلى •

والباحث — رحمه الله — ومن منطلق ايمانه وعلمه يسلط الأضواء على الركن الالحادى فى الماركسية مؤكدا على أنها تحارب الأديان ، وتعبد المادة الها من دون الله •• أما الشورى الاسلامية فانها بما تنطوى عليه من سيادة الأمة واستقلال ارادتها ، وحريتها فى مباشرة حقوقها ومسئوليتها التضامنية فى اختيار الحاكم ، والمشاركة فى تبعات الحكم ، ومسئوليتها التضامنية عن صحة الاستنباط ، وسلامة التطبيق••الشورى الاسلامية وبما لها من ضمانات الرقابة الشعبية •• ودعوى الحسبة •• الشورى الاسلامية باعتبارها نظام الحكم الاسلامى •• الشورى بهذه الصورة وتلك المضامين وهذه الضمانات ، وهذا التكييف القانونى ما هى الا النبع الأصيل للنظم الديمقراطية المستحدثة التى يجب أن تسود •• أما النظم الديمقراطية موضوع المقارنة فقد طغى عليها العرض اذ تركت الجوهر وشغلت نفسها بالشكليات وأهملت المضمون فجاءت هزيلة لا تقوى على الثبات •• ولذلك تقلبت مع الزمن ولم تثبت على وضع معين فتأرجحت ووجهت اليها الانتقادات وفى

(٥) لعل قصد الكاتب أن ذلك هو الغالب فى النظم الدولية المتبعة ، وهى لا تنحصر فى هذين النوعين . فالنظم السياسية فى العالم ، قد تتخذ شكل النظام الرئيسى ، أو النظام الاندماجى أو النظام البرلمانى ، وهو ما يعرف بنظام التعاون بين السلطات ، وهو وسط بين النظامين الاولين فى المبادىء التى يقوم عليها .

كل طور من أطوارها وممن ؟ من دعـاتها حيث أجرى عليها الكثير من الترقيعات والتلفيقات.. على حين تظهر روعة المنهج الاسلامى كما عرضه الباحث رحمه الله فى اقامة الميزان الاقتصادى والعدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعى فى الوقت الذى لم ولن تستطيع المذاهب الاجتماعية والاشتراكية أن تأتى بمثل ما جاء به المنهج الاسلامى ولو تضافرت جهودها واتصلت أبحاثها وتجاربها .

ان الصورة المشرقة لمنهج الاسلام فى اقامة الميزان الاقتصادى والعدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعى لتبدو لذى البصر والبصيرة جديرة بكل اجلال وتقدير .

يقول الباحث ـ رحمه الله ـ :

أقام الاسلام الملكية على أسس تتفق وما فطر عليه الانسان من حب الاستقلال والاعتداد بجهوده الشخصية وتملك ثمراتها ، وما فطر عليه من حب المنافسة التى تؤدى الى التفوق والتقدم .. وكفل الاسلام الملكية بالتنظيمات التى تصون حق صاحبها فيها .. وضمن الاسلام حق الأمة فى الحيلولة دون أن تكون الملكية وسيلة استغلال أو تسلط .

والاسلام وان قرر الملكية الفردية وحمايتها وحماية تراث العمل الانسانى الا أنه وضع عليها من القيود كما وضع على كاهل المالك من الواجبات ما يحقق الهدف الذى ينشده من اقرار العدالة الاجتماعية والتوازن الاقتصادى

لقد أقام الاسلام التكافل الاجتماعى على أسس انسانية أساسها المحبة والتواد والتراحم والتواصى بالبر والخير فى امهال المدين المعسر عملا بقول الله تعالى (**وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ**) ، بل ندب الاسلام الى العفو والتنازل عن الحق ، اذا توافرت مبرراته . ولم يترتب على هذا التنازل ضرر بالغير ، وذلك عملا بقول الله تعالى « **وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** » .

فالاسلام يسعى الى تقليل الفوارق بين الطبقات على أساس من الرضا وبدافع من الأخلاق الايمانية لا قسرا ولا جبرا ولا طفرة واحدة .

لقد أبقى الاسلام على درجات المجتمع الفطرية والطبيعية التى لا تثير حقدا ولا ضغينة لأنها لا تقوم على الأثرة والأنانية كما فى النظام الرأسمالى ..ولا على الاذلال والعدم كما فى النظام الشيوعى .

لقد تحاشى الاسلام قيام الطبقة « البيروقراطية » و « ديكتاتورية » الطبقة العاملة طبقة « البروليتاريا » .

وبهذه المقارنات وتلك النتائج التى يشهد لها الواقع يكون الباحث رحمه الله قد أكد على أن الاسلام وسط فلا تفريط ولا افراط .

بهذا تميز الاسلام وامتاز .

تميز الاسلام اذ تجنب الفردية المطلقة وما يترتب عليها .. وتميز عندما ترك الأخذ بما نادت به المذاهب الاشتراكية من الغاء الملكية الخاصة بجميع صورها .

أنباء وآراء

ذكرت المصادر فى أبى ظبى : أنه سيبدأ فى الأيام القادمة تسجيل « موسوعة الحديث النبوى » التى تعد أول موسوعة اذاعية « تليفزيونية » تستوعب أبواب الحديث ، وتتناول قضايا الحياة المعاصرة ، والبعد الاسلامى فيها من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة . وسوف يتم تسجيل الموسوعة فى ألف حلقة اذاعية « وتليفزيونية » ويشترك فى اعدادها أساتذة الحديث النبوى والعلوم المختلفة بحيث يكون شرح الحديث النبوى شاملا وسيكون هؤلاء الاساتذة من أنحاء العالم الاسلامى من مصر ودول الخليج والمغرب والشرق والأقصى . وسيتم تسجيل هذه الحلقات باللغة العربية أولا وسيجرى الاتصال برابطة العالم الاسلامى لترجمة هذه الحلقات .

تشكيل المجلس الوطنى الاسلامى

شكلت المنظمات والجمعيات الاسلامية فى « زيمبابوى » اتحادا باسم « المجلس الوطنى الاسلامى » للقيام بتنسيق نشاطها وأوجه التعاون فيما بينها وتحقيق جبهة اسلامية موحدة للدفاع عن قضايا المسلمين فى « زيمبابوى » أعلن رئيس الاتحاد المؤقت اسماعيل خلقى : أن الاتحاد سيكون الناطق باسم المسلمين فى البلاد فيما يتعلق بالقضايا الدينية . وأن هدفه الأساسى هو التوعية الدينية وغرس المبادىء والقيم فى نفوس الناشئين والشباب .

اعادة ٢٠ ألف مسجد للمسلمين

تذكر أنباء غير مؤكدة أن الحكومة الصينية أعادت مؤخرا حوالى عشرين ألف مسجد الى المسلمين كانت مصادرة . ونسب الى السيد شن ذى زامى نائب رئيس الاتحاد الاسلامى الصينى أنه قال : انه أصبح الآن بمقدور المسلمين فى الصين أداء الصلاة فى المساجد القريبة من منازلهم وأشار الى أن الاتحاد الاسلامى قام بارسال عدد من أعضائه للدول الاسلامية لبحث دعمها لهذه المساجد .

أول جامعة أزهرية خارج مصر

تم وضع حجر الأساس لجامعة الدراسات الاسلامية بمدينة كراتشى . وهى أول جامعة مصرية تتبع الأزهر ، ويتم انشاؤها خارج مصر حضر الاحتفال بوضع حجر الأساس الدكتور رءوف شلبى وكيل الأزهر وتضم الجامعة الجديدة أربع كليات هى كلية الدعوة وأصول الدين وكلية الشريعة والقانون . وكلية علوم، وكلية بنات ، وستدرس فى هذه الكليات نفس مناهج الأزهر .

اعـداد : احـمـد عبد الرحيـم السـايـح
الاسـتاذ : صـفـوت عبد الجـواد

مؤتمر الجامعات الاسلامية

أصدر مؤتمر الجامعات الاسلامية بالقاهرة فى ختام جلساته عدة توصيات حول الدعوة الاسلامية فى الداخل والخارج واعداد الدعاة والتنسيق بين كليات الشريعة • وأوصى المؤتمر بانشاء صندوق عالمى لدعم الدعوة الاسلامية سواء داخل الدول الاسلامية أو الأجنبية وذلك من خلال عدة وسائل كمراكز المعلومات ،ومنح الدارسين بكليات الدعوة ومراكزها حوافز مالية ، وتشجيع انشاء مؤسسات اعلامية اسلامية لانتاج ونشر المواد الاعلامية التى تخدم الدعوة الاسلامية والعمل على انشاء وكالة أنباء اسلامية •

كما أوصى المؤتمر بانشاء هيئة عليا للدعوة الاسلامية تقود التخطيط والتنسيق اللازم للدعوة الاسلامية على مستوى العالم وانشاء مراكز دائمة للتوعية الدينية والتوسع فى الدورات التدريبية للدعاة بمراكز التدريب •

عقد المؤتمر فى المدة من ٨ الى ٢٢ ابريل حيث بدأ جلسته الافتتاحية بجامعة الأزهر ثم انتقل الى مقر جامعة الدول العربية •

لجنة الشريعة باتحاد المحامين

أوصت لجنة الشريعة المنبثقة عن مؤتمر اتحاد المحامين العرب الذى اختتم أعماله مؤخرا فى الكويت بمطالبة كافة الدول العربية بالنص فى دساتيرها على أن الشريعة الاسلامية هى المصدر الأساسى لكل التشريعات والقوانين أوضحت التوصية التى أصدرتها لجنة الشريعة بهذا الصدد : أن الشريعة الاسلامية عندما تكون أساسا لكل تشريعات الدول العربية سيكون من شأنها التقريب بين التشريعات العربية التى تعانى حاليا من التشتت • وذلك فضلا عن أن الشريعة الاسلامية ستكون الضمان للحفاظ على كل القيم النبيلة التى تسعى القوانين الى تحقيقها •

أول برنامج تدريبى بالمعهد الدولى

اختتمت فى ولاية « نيومكسيكو » الأمريكية اعمال البرنامج التدريبى الأول للمدرسين بالمعهد الدولى للدراسات الاسلامية التابع لمؤسسة « دار الاسلام » كان موضوع البرنامج « التدريس وفقا للمفهوم الاسلامى» ويعد هذا العمل الأول من نوعه •

منع الخادمات غير المسلمات

طلب مجلس المنظمات والجمعيات الاسلامية بعمان من وزير العمل والتنمية الاجتماعية وضع كافة الضوابط لمنع استقدام خادمات أجنبيات الى المجتمع الأردنى المسلم وحث المجلس على ضرورة استخدام مربيات من

أنباء وآراء

المجتمعات المسلمة حتى يمكن تنشئة الطفل المسلم على منهاج الاسلام .

وجه المجلس نداء الى الأسر المسلمة في الأردن بوجه خاص والعالم الاسلامي بشكل عام بعدم استخدام الخادمات الأجنبيات غير المسلمات والتوجه الى البلدان الاسلامية لاستخدام الخادمات المسلمات اللواتى يعملن على رعاية الأطفال وتدبير شئون المنازل .

جاليات اسلامية جديدة

أعلنت مصادر المشيخة الاسلامية العليا في يوغسلافيا عن تكوين جاليات اسلامية لأول مرة بالمدن الشيوعية الخالصة والتي لم يكن للمسلمين وجود فيها . من هذه المناطق التي أصبح للاسلام فيها نفوذ : يولا – بريكا – اوبلانا – سيساك – اوسييك وأكدت مصادر المشيخة الاسلامية أن ظهور هذه الجماعات الاسلامية في هذه المدن دليل على حيوية الاسلام وانطلاقة الدعوة ونشاط المشيخات الاسلامية في يوغسلافيا . وتدرس المشيخة الاسلامية اليوغسلافية انشاء مجالس اسلامية في هذه المناطق تتولى بناء المساجد والمدارس الاسلامية لأبناء المسلمين في هذه المناطق .

مجلة الأزهر : نسال الله سبحانه أن يكون الأمر كذلك .

برنامج لمحو أمية المسلمين الجدد

أعلن كمال عبيد رئيس شعبة الدعوة الاسلامية بالمركز الاسلامي الأفريقي بالخرطوم أنه تم اعداد برنامج لمحو الأمية لحديثي العهد بالاسلام . يهدف البرنامج في مرحلة متقدمة منه الى العمل على نشر الثقافة الاسلامية والسلوك الاسلامي . وذلك عن طريق تنظيم حلقات دراسية ومعسكرات يتعرف من خلالها حديثو العهد بالاسلام على القيم الاسلامية الصحيحة .

واضاف رئيس شعبة الدعوة أن برنامج محو الأمية لهؤلاء يعتمد على القضاء على أميتهم عن طريق حفظ القرآن الكريم . وقد تم تعيين المحفظين اللازمين لذلك .

أول كتاب عن الآثار الاسلامية

انتهى الدكتور مايكل كيل العالم الهولاندى المتخصص في دراسة الآثار الاسلامية في شرق أوربا من وضع أول كتاب عن الآثار الاسلامية في ألبانيا . يحكى الكتاب تاريخ هذه الآثار وأوصافها وتطورها . ويتضمن الكتاب دراسات عن المساجد والقلاع والحصون والمدارس الاسلامية والتكايا والخلاوى والمقابر والدور والقصور المبنية على الطراز الاسلامي .

الفارق بين المخلوق والخالق

سِفْرٌ جليل الفه العلامة عبد الرحمن الباجة جي زاده الحنفي الذى عاش الفترة (١٢٤٨ – ١٣٣٠) هجرية (١٨٣٢ – ١٩١١) ميلادية .

عنى فيه المؤلف بعقيدة التوحيد ، وبسط القول فيها متناولا – في هدوء – بالحكمة

والموعظة الحسنة معتقدات الأمم التى تناولت « الذات الإلهية » بغير ما يليق وقد سبق لهذا الكتاب أن طبع بالقاهرة ، ثم هيأ المولى ـ سبحانه ـ للكتاب ونظائره طبعة أخرى فاخرة تمت فى « دبى » وقام ناشرها ـ ابتغاء وجه الله تعالى ـ بتوزيعها مجانا على الجهات العلمية ليتم النفع بها .

وقد ضم للكتاب سفرين جليلين فى نفس الموضوع هما :

أ ـ الأجوبة الفاخرة فى الرد على الأسئلة الفاجرة للإمام القرافى .

ب ـ هداية الحيارى لأبى عبد الله شمس الدين محمد بن أبى بكر بن أيوب الدمشقى .

الخمر تؤدى لسرطان الثدى

أكدت دراسة أجرتها جامعة هارفارد الأمريكية أن شرب الخمر يجعل المرأة أكثر تعرضاً للإصابة بسرطان الثدى .

وقالت الدراسة التى نشرتها صحيفة [الهيرالدتريبيون] الأمريكية : إن المرأة التى تتناول مشروبات كحولية بمعدل ثلاث مرات فى الأسبوع تصبح أكثر تعرضا لسرطان الثدى بنسبة مرة ونصف مرة عن المرأة التى لا تتناول هذه المشروبات وتزيد النسبة مع زيـادة معدلات الشرب ، وأضافت الدراسة أن خطر الإصابة بسرطان الثدى بين شاربات الخمر يزيد بين الشابات حتى سن ٥٥ سنة عنه بين من تعدين هذه السن .

توحيد الدراسات العليا بالأزهر للبنين والبنات هذا العام

أعدت إدارة الدراسات العليا بجامعة الأزهر جداول الامتحانات للبنين والبنات بأسئلة موحدة هذا العام .

يؤدى الطلاب والطالبات الامتحان فى مواد الفقه الإسلامى والعقيدة والأخلاق والتفسير والحديث والسيرة النبوية والقرآن الكريم فى نفس الوقت .

وقد تم تشكيل لجان الامتحان واختيار أعضاء لجان تقييم الدرجات فى الامتحان الشفوى والتحريرى لهذه المواد وسيتم امتحان الطلاب تحـريريـاً فى المواد الإسلامية لمرحلة الإجازة العالية بمقار الامتحان بكلياتهم الأصلية .

وزير الصحة فى اجتماعات المنظمة بجنيف

طالب وزير الصحة المصرى منظمة الصحة العالمية بإلزام حكومات الدول التى تعرضت للإشعاعات بعدم تصدير أغذية ملوثة إلى العالم ومعاونة دول العالم الثالث خاصة الأفريقية فى مواجهة مـرض (الإيدز) وتدعيم المعامل ومدها بالخبراء والاخصائيين والقيام بالإعلام العلمى اللازم حول هذه المشكلة .

وأشار الوزير فى الكلمة التى ألقاها أمام منظمة الصحة العالمية إلى نجاح حملات التطعيم الوقائية فى مصر وأثرها فى خفض معدلات وفيات الأطفال والأطفال الرضع ونجاح مشروعات الجفاف والإيواء .

أجرى الوزير عدة اتصالات مع وفود دول عدم الانحياز والدول الأفريقية المشتركة فى جلسات المنظمة لدعم التعاون بين البلاد فى المجالات الصحية .

بعثة طبية إلى السعودية للإشراف على ذبح الهدايا في موسم الحج هذا العام

قررت الهيئة العامة للخدمات البيطرية إيفاد بعثة طبية مصرية من مائتي طبيب إلى السعودية للإشراف على عمليات ذبح الهدايا وتجميدها في موسم الحج تمهيداً لتوزيعها على البلاد الإسلامية .

وصرح الدكتور بدر مصطفى المشرف على مشروع الأضاحي بالهيئة بأن عدد الذبائح في موسم الحج هذا العام سيصل إلى ٥٠٠ ألف رأس يبلغ نصيب مصر منها ٣٠ ألف رأس ضأن بزيادة (١٠) آلاف عن العام الماضي .

وقد وصل للقاهرة نائب مدير البنك الإسلامي للتنمية والمشرف على المشروع في زيارة لمصر يلتقي خلالها بالدكتور عبد المنعم بركات رئيس الهيئة العامة للخدمات البيطرية لبحث ترتيبات وإقامة البعثة المصرية الطبية كما التقى بالمسئولين في وزارات الأوقاف والشئون الاجتماعية .

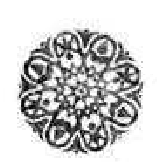
٨١,٩ نتيجة امتحانات السنة التأهيلية لطلبة الأزهر

اعتمد رئيس جامعة الأزهر نتيجة امتحانات السنة التأهيلية لطلبة جامعة الأزهر .

وقد تقدم للامتحان ١٠٨ طلاب نجح منهم ٨٢ طالباً بنسبة نجاح ٨١,٩٪ وتخلف ٢٦ طالباً عن أداء الامتحان وقد حصل الطالب حسن بابكر زيادة على المركز الأول بتقدير عام ممتاز من كلية الطب والثاني حازم لطفي عفيفي من كلية التجارة والثالث محمود غازي حسن من كلية الصيدلة .

كما حصل ١٦ طالباً على تقدير عام جيد جداً ، ٥٠ طالباً على تقدير عام جيد ، ١٥ طالباً على تقدير عام مقبول .

هذا وسوف تعلن في فترة لاحقة نتيجة فرع الجامعة بأسيوط .



من خير ما كتب

تقديم الاستاذ
عبد الفتاح السيد عبد السلام

الدكتور / على عبد الواحد وافى •

موقف الدين من الكسب غير المشروع

حرم الاسلام استغلال النفوذ والسلطان للحصول على المال • وحرم امتلاك ما يأتى عن هذا الطريق • وأجاز للامام مصادرته لانفاقه فى الصالح العام للمسلمين وعلى ذوى الحاجات منهم

وأول من طبق هذا المبدأ رسول الله ﷺ وقد روى البخارى فى صحيحه أنه أقبل يوما على رسول الله ﷺ ابن اللتبية « وهو رجل من بنى لتب من الأزد كان الرسول عليه الصلاة والسلام قد استعمله على صدقات بنى سليم ، أى على جمع الزكاة منهم » • فقسم الرجل ما معه قسمين • وقال هذا لكم وهذه هدايا أهديت الى ، فظهر الغضب فى وجه النبى ﷺ فخطب الناس فقال :

« أما بعد ، فانى أستعمل رجالا منكم فى أمور مما ولانى الله • فيأتى أحدهم فيقول : هذا لكم وهذه هدايا أهديت لى • فهلا قعد فى بيت أبيه « أو قال بيت أمه » فينظر أيهدى اليه أم لا ؟ ! والذى نفسى بيده لايأخذ أحد منه شيئا الاجاء به يوم القيامة يحمله على رقبته » •

أى أن ما جاءه من هدايا لم يهد اليه لشخصه وانما أهدى اليه لوظيفته وعن طريق استغلال النفوذ • ثم صادر جميع الأموال التى أهديت الى ابن اللتبية ، وجعلها من أموال الدولة التى تنفق فى الصالح العام للمسلمين وعلى ذوى الحاجات منهم •

وحرم الاسلام أكل مال اليتيم وتوعد مرتكبيه بعذاب أليم فى الآخرة • فقال تعالى

« وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا » سورة النساء — آية ٢

وقال « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » سورة النساء آية ١٠ •

وحرم الاسلام كذلك جميع المعاملات التى تنطوى على غش أو رشوة أو أكل أموال بالباطل أو تطفيف فى الكيل والميزان • قال تعالى **« ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها**

←

◆ من خير ما كتب

الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال النـــاس بالاثم وأنتم تعلمون» سورة البقرة ــ آية ١٨٨

وقال « ويل للمطففين • الذين اذا اكتـــالوا على الناس يستوفون • واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون • ألا يظن أولئك أنهم مبعـــوثون • ليوم عظيم » آيات ١ ــ ٥ ســـورة المطففين •

ويقول الرسول ﷺ « من غش أمتى فليس منى » •

وحرم الاسلام كذلك احتكار الضروريـــات للتحكم فى أسعارها • وفى هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « من احتكر طعامـــا أربعين يوما فقد برىء من الله وبرىء الله منه » ويقاس على ذلك احتكـــار بعض الأفـــراد أو الشركات صنفا ما فى التجارة أو الصناعــــة للتحكم فى السوق ، متى كـــان فى ذلك اضرار بالمستهلكين عملا بالقـــاعدة الاســـلامية التى تخضع لها جميع المعـــاملات ، وهى قوله ﷺ « لاضرر ولاضرار » •

الدكتور / محيى الدين عبد الحليم •

معارضة الاســـلام للمذاهب المعاصرة دليـــل عـــلى فقـــر هذه المـــذاهب

يردد أصحاب النوايا الخبيثة أو الايمـــان الضعيف ومثلهم الحاقدون والكارهون لشريعة الحق جل وعلا أن الاسلام يحوى من التعاليم ويتضمن من القواعد ما يحقق اهداف المذاهب المختلفة وما يخدم كل « الايديولوجيـــات » السائدة فى العالم فيجد فيه الشيوعى بغيتـــه ليدعو الى الشيوعية من خلاله • ويرى فيـــه « الليبرالى » منتهى أمله ، ويوظفه غيرهمـــا بالطريقة التى تحلو له ، وهذا يدل على عـــدم وجود ســـمات مميزة وعلامات واضـــحة أو حدود فاصلة لهذا الدين أى أنه دين فضفاض لا ينفرد بأسس معينة ولا يقوم على ركـــائز تحدد معالمه •

وهذا الكلام مردود عليه بالمنطق والبرهان ، فليس العيب فى الاسلام ، ولكنه فى أصحاب هذه المـــذاهب وتلك العقـــائد الذين يريدون انتزاع ما يحقق أهدافهم من الاســـلام عنوة على الرغم من أن كلا منهم يقف على النقيض من الآخر :

فالنظام الشمولى الذى يجثم على أنفـــاس الناس ويحدد لهم ماذا يأكلون وكيف يشربون وأين يعملون ومتى يتكلمـــون ويحجـــر بذلك على كل شىء فى حيـــاة الانســـــان ويقيـــد حريته ويتحكم فى مستقبله ليس من الاسلام فى شىء •

والنظام الليبرالى الذى أطلـــق العنـــــان للانســـان لكى يصنع لنفســـه ما يشـــــاء كيف يشاء دون حدود أو سدود حتى وصـــل به الأمر الى مخالفة فطرة النـــاس والمنهـــج الانســـــانى فى الحيـــاة فأبـــاح الشـــذوذ الجنسى للرجال والنســـاء وأطلـــق العـــلاقة بينهما الى أبعد الحدود ومنحهم حق الاثراء بأى طريق وحق القول والفعـــل المطلـــق دون ما حواجز سواء جاءت أقوالهم مخـــالفة أو متفقة مع الذوق والخلق السليم أو متناقضـــة مع طبيعة الخلق الانســـانى •

وهذا أيضا ليس من الاسلام فى شىء •

وأصـــبح الكثـــير مـــن هـــذه النظم وتلك الأيدولوجيات تحمل عوامل هدمها رغم مظاهر

الثراء والتقدم العلمى والأيديولوجى البادى عليها ، وليس أدل على ذلك من أن الماركسية نفسها بدأت تتهقر فتختلف فى تطبيق النظام الماركسى فى مختلف الدول التى تسير على نهجه ووصل هذا الاختلاف الى حد الكراهية والاقتتال بينها • وليست أحداث اليمن الجنوبية ببعيدة عنا كما أنه ليست الخلافات المذهبية بين الاتحاد السوفيتى والصين الشعبية ويوغوسلافيا والمجر ورومانيا الا دليلا على صحة ما نقول •

كذلك النظام الليبرالى نجده فى الولايات المتحدة مطبقا بطريقة تختلف عنه فى فرنسا ، أو السويد أو غيرهما •

أما الاسلام فله أسس ثابتة موحدة وأصول راسخة وعقيدة واحدة لو أحسن فهمه وأحسن تطبيقه وخلصت النوايا وتجاوزنا عن الأغراض الشخصية التى تسىء الى هذه العقيدة السمحة وهذا الدين الشامخ • وليس ذنب الاسلام على الاطلاق أن يفسره البعض على هواه ويوظف بعض آياته لخدمة مآرب خاصة وأغراض خبيثة ونوايا سيئة ، وعوضنا عن كل هذا أن الله ناصر دينه حافظ ذكره الى يوم يبعثون (**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**) •

ملف خاص عن مأساة المسلمين - بقية

ومحاصرة لزوم انجاز « الصحوة » البلغارية ، فالجيش يغلق الطرق المحيطة بها ويمنع وصول أى أجنبى اليها ويمنع اتصال أى شخص فيها بالخارج ، وجواسيس البوليس ينتشرون فى شوارعها وأسواقها ومقاهيها ، ويبدو أن سكانها فى غاية العناد أو الغباء أو الرغبة فى الانتحار ، فهم لا يريدون التنازل عن أسمائهم وديانتهم وثقافتهم ، والأنكى من ذلك أن نسبة زيادة المواليد بينهم عالية ، بينما هى تبلغ بين البلغار صفرا ، ومثل هذه القرية تكون بالطبع موضوعا صحفيا جيدا للمراسلين الأجانب الذين حفيت أقدامهم لدخولها بلا فائدة •

ولكن أمام الضغط الشديد والاحراج المستمر سمحت الحكومة البلغارية بعد مؤتمر للحزب الشيوعى البلغارى لمجموعة من الصحفيين الأجانب بزيارة « كرد على » عدة ساعات يوم السبت قبل الماضى ، ودخل فى أعقابهم عشرات من رجال البوليس السرى ، وكانت النتيجة أن سكان القريه الذين يبلغ تعدادهم ٤٠ ألفا تحولوا الى صم بكم عمى فهم لا يتجاوبون ، ولكن واحدا منهم قال فى لحظات مسروقة « لقد قتلوا الكثيرين •• لا أعرف العدد • ولكنهم كثيرون » وقال آخر لا توجد حياة هنا انهم يتعقبونكم •• انهم يتعقبوننى !

وبعد •• ان المسلمين البلغار لا يريدون شيئا سوى أن يتركوا وشأنهم فى عباداتهم وأسمائهم وتقاليدهم وشرعهم فهل هذا كثير على أقلية دينية أو قومية فى أى مكان ؟

واذا كان هذا كثيرا بمعايير الصحوة البلغارية •• فهل من المعقول أن تمتلىء قارنا وغيرها من مصايف بلغاريا بالسياح المسلمين ؟ أم أن ذلك ليس بالكثير بمعايير الغفوة الاسلامية ؟!

الوصية الواجبة
بقية

لأن الوصية مقدمة على الميراث — ويقسم هذا النصيب على أولاده قسمة الميراث للذكر مثل حظ الانثيين .

ثالثا : يقسم الباقي — بعد اخراج مقدار الوصية الواجبة — على الورثة الأحياء بتوزيع جديد من غير نظر الى الولد الذى فرض حيا ، لأن هذا الباقى هو الميراث للاحياء ويعطى كل وارث حقه كما هو الشأن فى تقسيم التركات بعد اخراج الوصايا منها .

ولا يدخل فى قسمة التركة التى وجبت الوصية فيها — أولاد الميت الذين ماتوا قبله ولم يعقبوا ، أو أعقبوا من لا يستحق الوصية .

واذا تعددت الطبقات فانه يرث كل طبقة فرعها ، ويحجب كل أصل فرعه لا فرع غيره .

وهذه الطريقة هى التى سارت عليها دار الافتاء من مدة (٥) وقضت بها محاكم الأحوال الشخصية . وقد رأت لجنة الفتوى بالأزهر وجوب اتباعها فأصدرت قرارا بذلك فى ١٤ من رجب ١٣٧٩ هـ الموافق ١٣ من يناير ١٩٦٠ م

ولتوضيح هذه الطريقة نذكر مثالين محلولين على نظامها :

المثال الأول :

توفيت امرأة عن زوج وابنين وابن ابن مات فى حياتها . وتركت ٢٤ فدانا فيفرض الابن المتوفى حيا وتقسم التركة للزوج — وللأبناء الثلاثة — الباقية . فيكون نصيب الابن المفروض حيا من التركة ٦ أفدنة وهى أقل من ثلث التركة تستبعد ، وتعطى لابنه ، ثم يقسم الباقى وقدره ١٨ فدانا على الزوج والابنين هكذا .

للزوج ١/٤ = ١٨ × ١/٤ = ١٨/٤ = ٤ ١/٢ فدان

للابنين الباقى = ١٨ — ٤ ١/٢ = ١٣ ١/٢ فدان

نصيب الابن = ١٣ ١/٢ ÷ ٢ = ٦ ٣/٤ فدان

المثال الثانى :

توفى رجل عن ابن وبنت وابن ابن وترك ٦٠ فدانا .

فيفرض الابن المتوفى حيا وتقسم التركة عليه وعلى أخيه وأخته الموجودين للذكر ضعف الأنثى فيكون نصيبه ٢٤ فدانا وهو أكثر من الثلث فيرد الى الثلث ٢٠ فدانا تعطى لابنه بالوصية الواجبة ثم يقسم الباقى ومقداره ٤٠ فدانا على الابن والبنت الموجودين فعلا تعصيبا للذكر ضعف الأنثى .

هذا ما جاء به القانون فى الوصية الواجبة واحكامها وشروطها وما تضمنه من كيفية استخراجها وتقسيم التركة بعد اخراجها فى حدود الثلث

---

(٥) وكانت دار الافتاء — اولا — قد سارت على طريقة اخرى فى بداية صدور القانون ، وقد ظهر عدم صوابها ؛ فارتضت السير على هذه الطريقة فيما بعد .
انظر : ابو زهرة — شرح قانون الوصية ص ٢١١ وما بعدها .

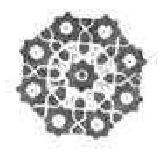
فهرس الكتاب

باب العلوم الكونية

بـاب الشعـر والشعـراء

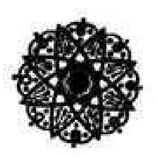
باب اللغة والأدب والنقد

القســم الانجليــزى



Further came about the final teachings embodied in Islam, scriptured in the Holy Quran, carried by the Messenger of Allah, Muhammad (prayers and peace from Allah be upon him), to carry the last Divine Revelation send to mankind. The natural advancement of the Universal concept of faith is into the teachings of Islam, it constitutes all the ingredient requirements for 'the material and spiritual life of mankind. It is the advancement of the revival of faith.

> We have sent among you an Apostle of your own, rehearsing to you our signs, and sanctifying you, and instructing you in Scripture and Wisdom, and in new knowledge.
>
> (Surat Al-Baqara, II, 151)



"And remember, Moses said to his people: "O my people why do ye vex and insult me, though ye know that I am the Apostle of Allah sent to you?. Then when they went wrong; God let their hearts go wrong; for God guides not those who are rebellious transgressors".

(Surat Al-Saff, LXI, 5)

After Moses, in the sucession of Apostles that came to guide Bani Israel, finally came Jesus son of Mary ordained by Allah to be the guidance of mankind to follow the right path, and to give the unique example of purity and supreme faith. In the Holy Quran, it is stated.

"And remember, Jesus, The son of Mary, said: "O children of Israel ! I am the Apostle of God sent to you confirming The Law (which came) before me, and giving glad tidings of an Apostle to come after me whose name shall be Ahmad. But when he came to them with clear Signs; they said "this is evident sorcery".

(Surat Al-Saff, LXI, 6)

Prophet Jesus (peace be upon him) was commissioned to the children of Israel, his own people (the Jews). He gave the news of a Prophet to follow to give guidance to mankind at large. The Last of the Prophets, to carry the Revelation of the final manifesto of faith to encompass all the patterns of human needs in life. The final scripture (the Quran) that will include the old and the new scriptures, to unite the call to monotheism, the summons to unity of the creator, the belief in Allah. Judism previously called for that by the very words of Ibrahim, Isaac, and Jacob to their people, and in the teachings of all the apostles of Bani Israil. Christianity called for that by the teachings of Jesus. Inspite of that the split came about and persisted to divide the human race into Jews and Christians. This is certainly a proof of human discrepancy, arrogance, stubborness, material worldly power gains. In full faith, the teachings of Jesus are the natural advancement of those of Moses, and should be adopted as complementary.

Ark) with Noah, and of the posterity of Ibrahim and Israel - of those whom We guided and chose. Whenever the signs of Allah (The Merciful) were rehearsed to them, they would fall down in prostrate adoration and in tears".

(Surat Maryam, XIX, 58)

In the course of time, the nation of Ibrahim and his posterity of Bani Israel went astray and neglected the teachings of faith, followed worldly trends and became the fertile media for the activity of Satan. They neglected prayers and remembrance of God. Their sinful acts became alluring to them and obstructed their vision to the right path. Such trends ultimately resulted into vice, sin, worship of idols, and false gods. In the Holy Quran it states:

"But after them followed a posterity who missed prayers and followed after their lusts. Soon, then, will they face destruction."

(Surat Maryam, XIX, 59)

Such sinful behaviour and worldly living in lust and vice increased and the ethical teachings of faith and belief were neglected. In Palastine, the children of Israel dominated in their transgression, and neglected the teachings of the faith and the warnings they received from God. These warnings came about to Bani Israel by several Apostles to remind Bani Israel of the right path of this father Ibrahim and the faith he had followed. They deviated, resisted, and subbornly refused. In the Holy Quran, it states:

"We gave Moss the book and followed him up with a succession of Apostles; We gave Jesus the son of Mary clear signs and strengthened him with the Holy Spirit. Is it that whenever there comes to you an Apostle with what ye yourseleves desire not, ye are puffed up with pride ? Some ye called imposters and others ye slay"

(Surat Al-Baqara, II, 87)

During the prophethood of Moses, his people of Bani Israel often rebelled against him and even insulted him. They did that not through ignorance but from a selfish rebellious spirit. In the Holy Quran, it is stated:

granted them lofty honour on the tongue of truth."

(Surat Maryam, XIX, 49, 50)

The exact chronology of the career of the Prophet Ibrahim is postulated. His visit to Egypt is not referred to in the Holy Quran. His second wife Hajar (from Egypt) gave his elder son Ismail. In the Holy Quran it is stated:

"Also mention in the Book the story Ismail: He was strictly true to what he promised, And he was an apostle and a prophet".

(Surat Maryam, XIX, 54)

The Prophet Ibrahim, his son Isaac, and grandson Jacob and their descendents of Bani Israil maintained the banner of Allah's spiritual truth for many generations deserving the high praise. They resided in the lands of Syria and Palastine. Ibrahim prayed Allah in sincere supplication that He should be praised by the tongues of truth among men to come in later ages. Ismail is the fountain-head of the Arabian nation (Ummah), and in his posterity came the final Prophet, Apostle, and Messenger Muhammad prayers and peace from Allah upon him). The whole Ummah of Islam as it stands nowadays reflects back to the apostleship of Ismail. The descendants of Ismail, the Muslim Ummah of the Prophet (Muhammed) are those that praise Allah, thus making the prayers of Ibrahim come true.

The Prophet Ibrahim left a specific legacy to his sons as stated in the Holy Quran:

"And this was the legacy that Ibrahim left to his sons, and so did Jacob: O my sons, Allah hath chosen the faith for you; then die not except in the faith of Islam".

(Surat Al-Baqara, II, 132)

The same connotation appears in several texts of the Holy Quran. However, in respect to the subject matter that is being considered, the Holy Quran mentions again:

"Those were some of the Prophets on whom Allah did bestow his grace, - of the posterity of Adam, and of those whom We carried (in the

"Ibrahim said "Do you then worship, besides Allah, things that can neither be of any use to you, nor do you any harm "?
(Surat Al-Anbiyaa XXI, 66)

The idolators were in absolute poverty of any logic argument, and in such situations, only the argument of violence and brute force remained. They ordered the burning of Ibrahim alive.

"They said" Burn Him and protect your Gods, if ye do anything at all."

"We said" O fire be thou cool and a means of safety for Ibrahim".

"Then they sought a stratagem against him; but We made them the ones that lost most".
(Surat Al-Anbiyaa, XXI, 68, 69, 70)

The unique miracle is only in the power of Allah. The nature of fire by all the physical laws of matter is its intense heat. The supermacy of mind over matter is common and accepted; but the supremacy of the spiritual over the material is not commonly conceived. And yet it is the greatest element in the proper estimate of Reality. The material is ephemeral (transient and mortal); the spiritual is eternal and absolute. Amidst the fire of persecution, Ibrahim remained unhurt, and the fire became cool and a means of safety.

Ibrahim (prayers be upon him) left his father, and the home of his people and never returned. He left because he was turned out and because it was impossible for him to make compromise with what was false in religion. When he left, Allah granted him Isaac as son and Jacob as grandson; in order to carry on the path of Ibrahim's traditions of faith. Isaac is from Ibrahim's wife Sarah. In the Holy Quran, it is stated:-

"When he had turned away from them and from that which they worship besides Allah. We bestowed on him Isaac, and Jacob, and each one of them We made a Prophet."

"And We bestowed of our Mercy on them, And We

"With Him are the keys of the Unseen, the treasures that none knoweth but He. He Knoweth whatever there is on the earth and in the sea. Not a leaf doth fall but with His knowledge. There is not a grain in the darkness or depths of the earth, nor anything moist or dry (green or withered), but is inscribed in a Record, clear and definite.

(Surat Al-Anam, VI, 59)

The prophet Ibrahim (prayers be upon him) perceived and realized that understanding completely. All knowledge and all creation are organised according to an eternal law according to which, everything seen and unseen is ordered and regulated, nothing is outside the plan of His Creation. All Creation, animate and inanimate utter God's praises and celebrate His glory; animate with consciousness, and inanimate by the evidence they provide by their own creation of the Unity of Allah. All creation bears witness to His power, His wisdom, His knowledge, and His Omnipotency.

The third situation Ibrahim (prayers be upon him) confronted was with the masses of idolators and pagans of his own tribesmen. Ibrahim argued with them how could they so devotedly worship idols; pointing out the great error which they were committing, unconceivable heresy and iniquity. He summoned them to worship Allah, the Lord of all Creation, the Creator of Heavens and Earth, the Fashioner, the Evolver, the All-knowing, the Omniscient and Dominating. Ibrahim declared that he will prove the powerlessness of the idols, to make the people ashamed of worshiping senseless stocks of stones. Ibrahim broke all the idols to pieces, and left the biggest, so the idolators might return and address themselves to it to ask what had happened - if he could answer them. They knew it was Ibrahim who broke their idols, he had openly declared that, but to continue his ironic ridicule of the idolators, Ibrahim told them that it appeared that the biggest idol broke the rest in a quarrel, ask them if they can answer !. Ibrahim's biting defiant attitude made the idolators admit that idols could not speak: and at this stage, Ibrahim delivered his final blow and said "Then why do you worship such useless impotent stones, shame upon you, for having no sense to understand. In the Holy Quran, this dialogue of Ibrahim and his own tribesmen is very clearly presented:

call on my Lord: Perhaps, by my prayer to my Lord, I shall be not unblest".
(Surat Maryam, XIX, 48)

The confrontation between Ibrahim and his father demonstrates the outcome of belief and faith which had come to Ibrahim from Allah; and on the other hand the blind atrocity of the father as an outcome of unbelief and paganism. The spiritual lesson and experience gained by Ibrahim from this confrontation was certainly tremendous.

The second of these situations has been the subject of much controversy as to the exact person alluded to in the Quranic text. Speculation in such cases is really unnecessary, since the basic idea is to advance a concept as a corner stone of belief. In this case, the Quranic text illustrates the blind pride of human power and its absolute impotence as against the power of Allah. The Holy Quran states:

"Hast thou not turned thy vision to one who disputed with Ibrahim about his Lord, because Allah had granted him power. Ibrahim said "My Lord is He who giveth Life and death. He said "I give life and death". Ibrahim said "But it is Allah that causeth the sun to rise from the East. Do thou then cause it to rise from the West." Thus was he confounded who in arrogance rejected Faith. Nor does Allah give guidance to a people unjust".
(Surat Al-Baqara, II, 258)

The personification of man's power may have been Nimrod, a ruler in Babylon or elsewhere who arrogantly prided himself with power and in blind ignorance disputed the powers of Allah. Ibrahim had faith and insight of Truth and Reality and simply referred everything to the true Cause of all Causes. A sceptical ruler might claim to have the power of life and death; also a man of science might claim the knowledge of life and death. This claim of power and knowledge is true only to a very limited finite sense and originates from the Transcendant Divine power and knowledge. The ultimate infinite universal Transcendant power and knowledge in its totality and absoluteness belongs to Allah. This basic fundamental understanding of belief is presented in the Holy Quran in several places; one of which:

thee from Allah. So that thou become to Satan a friend".

(Surat Maryam, XIX, 42 - 45)

With these words Ibrahim (prayers be upon him) with the manners of an apostle carrying the message of Allah, addressed his father. Ibrahim was trying to avoid his father the degredation of deliberate rejection of the Truth and becoming a follower and supportive of Satan. The father answered in belligerent hostile and repellent words which was the outcome of Pagan arragance and the worship of brute force. The reply of Ibrahim's father as stated in the Holy Quran:

"(The father) replied; "Dost thou hate my gods O Ibrahim. If thou forbear not, I will indeed stone thee : Now get away from me for a good long while".

(Surat Maryam, XIX, 46)

Again with confident gentleness and calm assurance, Ibrahim (prayers be upon him) answers that he will ask Allah forgiveness for him, and in so doing, the son is really doing his utomost to bring the Light of Reality to his father. The Holy Quran states the words of Ibrahim to his father:

"Ibrahim said: "Peace be on thee: I will pray to my Lord for thy forgiveness, for He is to me most Gracious."

(Surat Maryam, XIX, 47)

Ibrahim (prayers be upon him) having experienced knowledge of the Truth and Reality and the Light from Allah can never renounce that Light, even if he has to forfeit his father's love and give up his home. Even if his father repels him and turns him out, his answer will be soft with love politeness and forgiveness, nevertheless, it is firm and decisive on behalf of the Truth and Reality he has divinely received. The Holy Quran relates the words of Ibrahim to give them the exactness and impact required, and a grace of instruction to believers:

"And I will turn away from you (all) and from those whom ye invoke besides Allah. I will



THE REVIVAL OF FAITH

By :
Fathy Mahmoud Yousuf

In the name of Allah most Graciuos most Merciful.

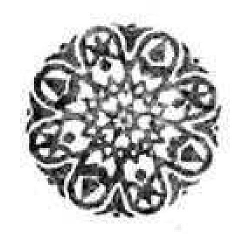
The Prophet Ibrahim (prayers be upon him) was ordained an apostle by Divine providence. He was consecrated throughout his life since birth to carry and deliver the message of Allah to mankind, the message of Monotheism, the concept of submission to one God "Allah". In the course of the summons to the belief in Allah, the Prophet Ibrahim confronted three situations in which he was severely challenged, and his faith outwardly opposed in defiant interrogation.

The first of these situations was with his father "Azar". Ibrahim approached his father in tender solicitude wanting to guide him to the Light of Unity. Ibrahim pleaded with loving earnestness with his father to accept the Truth. Ibrahim was rejected and refuted, yet, retained the humble gentleness of a son addressing his father. The pious son is dutiful to his father and wishes him well in all things both material and spiritual. The dialogue between Ibrahim (prayers be upon him) and his father is specified in the text of the Holy Quran:

> "Behold, he said to his father, O my father ! Why worship that which heareth not, and seeth not, and can profit thee nothing ?"
>
> "O my father ! to me hath come knowledge which hath not reached thee. So follow me I will guide thee to a way that is even and straight".
>
> "O my father ! serve not Satan, for Satan is a rebel against Allah, most gracious".
>
> "O my father ! I fear, lest penalty afflict

from Allah upon him) insisted that Abu Bakre should lead the congregational prayers in his place. In an authentic Hadith that the Prophet said in that respect "The man that leads the prayer should be the most knowledgeable in the Holy Quran, if equalled; then the most knowledgeable in the Sunna, if equalled; then the more advanced in age, and if equalled; then the earlier in Islam". These particular qualifications were mostly befitting Abu Bakre the most adherent companion to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), the first adult man to embrace Islam. He was very highly favoured by the Prophet, so highly esteemed among the whole Muslim community at Al-Madinah and among all the Arab tribes throughout the whole Arab Peninsula. He was also highly favoured by the Muhagereen and the Ansars.

The prayers of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) while seated behind Abu Bakre was the last prayers performed at the mosque. He was helped back to the rooms of Aishah by two men, Al-Abbas and Ali Ibn Abi Taleb. The Prophet was so exhausted that his legs lost all muscular tone, and his feet dragging as they touched the ground. The end was drawing near.
(prayers and peace be upon our magnanemous prophet)



took Ali by the hand and said "I certainly recognise signs of death in the face of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), as well as I have ever recognised signs of death in the faces of Bani Hashem (the clan of the Prophet). So, let us go and speak with the Prophet. If he will vest authority in us, then we shall know that; and if in others than us, then we will ask him to commend us to those in whom the authority will be endowed. Ali Ibn Abi Taleb answered "By Allah, I shall not, for if the authority be withheld from us by him, none after him will ever give it to us."

The wives of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) took the liberty of fixing a concoction herb medicine, that they gave him during sleep. When he woke up, he reproached them for having done that and said "Allah, would not allow that I take that medicine. the Prophet insisted that all his wives would drink from that medicine.

It is related that at the start of the illness, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) had seven Dinars in his posession. He feared that death overtakes him while the money was in his possession. He instructed his wives to give them away in charity. In one of his better hours, he asked what they had done with the money. Due to their worry and concern for the Prophet's illness and being occupied in nursing him, they forget to give away the money as instructed. He asked for the money, put it in his palm and said "How will Muhammad meet Allah with this in his possession", and gave the money in charity".

During one of the prayers, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) heard the voice of Omar Ibn Al-Khattab leading the prayer. He asked for Abu Bakre and said "Allah refuses that, call Abu Bakre to lead the prayers." In one of his better hours, the Prophet made an effort to join the prayers helped by two men. As he advanced towards the lines, he was noticed by the congregation during their prayers. Abu Bakre leading the prayer was about to take a step back to join the lines to give place to the Prophet to lead the prayers. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) signaled to Abu Bakre to remain leading the prayers, and sitting down beside Abu Bakre, he joined in the prayers.

This indicated that the Prophet (prayers and peace

the time with his head resting on Aishah. One time he said to her "The Archangel Gebriel revised the Holy Quran with me once every year in the past; this year he revised it with me twice, and I take that to indicate the nearness of my end". One time Abdul Rahman Ibn Abi Bakre (Aishah's brother) entered the room with a piece of siwack stick in his hand (tooth stick); Aishah saw the Prophet looking at it in a way that she knew he wanted it. She took it from her brother and gnawed upon it to soften it, and gave it to the Prophet, who rubbed his teeth with it vigorously despite his severe weakness.

One time when several of the companions were visiting the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), he said "Give me paper and pen to write something to you by which you shall not go distorted.". Those who were present disputed; some were of the opinion that the Holy Quran consisted of everything indeed; others prefered that the Prophet writes what was on his mind at the time. The Prophet reproached them for disputing in his presence, and asked them to leave. Some authoritative authors believe that what the Prophet intended to dictate was of great importance.

The condition of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) deteriorated; the Muslim community at Al-Madinah and the army at Jurf were all very anxious, highly apprehensive and in suspense. Ussamah Ibn Zayd was resolved to advance no further and to remain in his camp at Jurf until Allah should decide. The graveness of the Prophet's condition made Ussamah come down from the Jurf to the house of Aishah. He entered in tears, bent over the Prophet and kissed him. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was too ill to speak though he was fully concious, raised his hands, palms upwards to ask and receive blessings from Heaven. He then made a gesture with his hands as if to empty all the contents of blessings in his hands onto Ussamah head and shoulders. Ussamah returned to his troops at Jurf very depressed and deeply perturbed about the situation. He, however, awaited the word of Allah.

Al-Abbas Ibn Abdul-Muttaleb the Prophet's Uncle and Ali Ibn Abi Taleb the cousin of the Prophet were visiting him during the latter stages of the illness. When they came out, some men who were passing asked Ali how the Prophet was. Ali replied "praise be to Allah; the Prophet is well". As they became alone, Al-Abbas

THE LAST HOURS

By :
Dr Anas Moustafa El-Naggar M.D., Ph.D

(In the name of Allah most Gracious, most Merciful)

During his illness, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) remained in the home of his wife Aishah. His last visit to the mosque was to ascertain the command of Ussamah Ibh Zayd over the Muslim army that was assembled at Jurf ready to move north to the Syrian borders. The physical effort of the visit, and the mental concern implicated, were direct factors that aggravated the illness. At the next call for prayer, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) felt such grave weakness that he could not go out to the mosque to lead the prayer, even if he remained seated. He said to his wives "Tell Abu Bakre to lead the people in prayer". Aishah feared that it would greatly pain her father to lead the prayers in place of the Prophet; so she said "O Messenger of Allah, Abu Bakre is a very sensitive man, much given to weeping when he recites the Quran, and has a weak faint-sounding voice. "Tell Abu Bakre to lead the prayer" said the Prophet, as if she had not spoken. Aishah tried again, this time suggesting that Umar should lead the prayer. "Tell Abu Bakre to lead the prayers' the Prophet reiterated. Again Aishah tried to speak, but the Prophet addressed her with words of reproach and reprehension and said "Tell Abu Bakre to lead the people in prayers". Allah and the believers will not have it otherwise. He repeated the last sentence three times; and for the rest of the illness of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Abu Bakre led the people in prayers".

During the last hours of the illness of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), all his wives assembled constantly at Aishah's house. He lay much of

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 59, Part X

Shawal, 1407, Hijrah

CONTENTS

Preparation of Prints: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION



أدب المؤمنين

الطفُ النفوس افعمها إحساساً بمشاعر الناس ، فاسرعها استجابة لإزالة خطر قد يعرض لأجسادهم ، أو أذى ينال من مشاعرهم ، أو يطوف عليهم بضيق فى نفوسهم .

وَنَفْسٌ - على هذا السمو - لها بالملأ الأعلى أوفى الصلات ، ثم هى - فى الناس - أسمى الذوات . وإنها لذات رسول الله محمد - عليه الصلاة والسلام .

فهو - صلى الله عليه وسلم - الذى أدّب المؤمنين بما يمنع عنهم أدنى ما يعرضهم لخطر ، ويحتاط لهم - وهو الرءوف الرحيم - بالنهى عن فعله .

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع
كل شهر عربى

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان :
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦



★ الجزء الحادى عشر ★
★ السنة التاسعة والخمسون ★
★ ذى القعدة ١٤٠٧ ★
★ يولية ١٩٨٧ ★

أدب المؤمنين

روى الإمام أحمد وأبو عُمر ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ نَهْيَهُ عن تعاطى السيف مسلولا حتى يُغْمَد . وفى لفظ أحمد ـ رضى الله عنه ـ بسنده إلى سليمان بن موسى عن جابر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرّ بقوم فى مجلس يسلون سيفاً يتعاطونه بينهم غير مغمود ، فقال : ألم أزجركم عن هذا ؛ فإذا سَلَّ أحدكم السيف فَلْيَغْمُدْهُ ثم ليعطه أخاه[1] .

●● ●● ●●

وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ إذا رأى ما يكرهه أحب أن يرتفع بالمؤمنين عن ممارسته متجاوزا ما ينال الكرامة أو يؤذى المشاعر .

سأل رجل عبدَ الله بن عباس ـ رضى الله عنهم ـ عن الغسل يوم الجمعة : « أواجبٌ هو ؟ قال : لا ، ومن شاء اغتسل ، وسأحدثكم عن بَدْءِ الغسل :

كان الناس محتاجين ، وكانوا يلبسون الصوف ، وكانوا يسقون النخل على ظهورهم ، وكان مسجد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ضيِّقاً متقاربَ السقف ، فراح الناس فى الصوف فَعَرِقُوا ، وكان منبر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قصيراً ، إنما هو ثلاث درجات ، فعرق الناس فى الصوف فَثَارَتْ أرواحُهم أرواح[2] الصوف ، فتأذى بعضهم ببعض حتى بلغتْ أرواحُهم رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ، وهو على المنبر ـ فقال : يأيها الناس ، إذا جئتم الجمعة فاغتسلوا ، وَلْيَمَسَّ أحدكم من أطيب طيب إن كان عنده »[3] .

●● ●● ●●

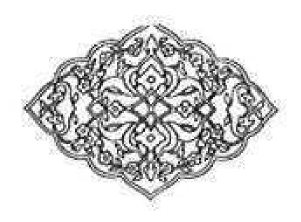
ولقد يَضيقَنَّ إنسان بمتطفل ألقى بصره على صحيفة بين يديه ، أو كتاب ، أو أوراق خاصة ـ يطالع فى أىّ من ذلك دون استئذان . وهذه حال ورد النهى عنها أيضاً ؛ فقد روى الإمام أبو داود ـ فى سننه ـ رضى الله عنه ـ وليس فى سننه إلا الصحيح وما يشبهه أو يقاربه[٤] ، قال رضى الله عنه ـ بسنده إلى محمد بن كعب القرظى عن عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهم ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

من نظر فى كتاب أخيه بغير إذن ، فإنما ينظر فى النار »[٥] ..

وفى ذلك ما يحفظ للمسلم حقه باحترام خصوصياته ، وترك التطفل عليه .

وفى كُلٍّ لمحة ـ من الخلق العظيم الذى تمتع به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونَعِمَ المسلمون بذخائره .





---

(١) مسند أحمد ٣ / ٣٧٠ « الميمنية » وانظر ٣ / ٣٤٧ و٥ / ٤٢ ، وانظر « نبيه الجهنى » ترجمة رقم (٥١٩٥) بأسد الغابة ، وبعض الروايات تصرح بلعن من يفعل ذلك .

(٢) جمع ريح بمعنى رائحة .

(٣) مسند أحمد ١ / ٢٦٨ .

(٤) انظر ترجمته ص ز جزء أول مطبعة مصطفى البابى الحلبى سنة ١٣٧١ .

(٥) الحديث أورده الإمام أبو داود ١ / ٣٤٢ ، وأشار إلى ضعفه ، لكن ما تقدم عنه ـ رضى الله عنه ـ فيما أوردته المقدمة ، وأشرتُ إليه يرجح أنه غير موضوع فهو مما يقارب الصحيح أو يشبهه ، ويرى بعض العلماء أنه من الحسن .

سياسة وأدب العقاب

فى التشريع الإسلامى

اشتهر السجن كموضع للعقاب فى كثير من الجرائم ، والسجن كعقوبة .
ويقول اهل اللغة : إن السجن - بكسر السين - « الحبس » وبفتحها «المصدر» .
يقال : سجنه ويسجنه سَجْنا اى حبسه .
والسجن : المحبس وهو فى هذه الحالة اسم وفى قراءة لقوله تعالى : فى سورة يوسف : « قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ » - من الآية رقم ٣٣ - بكسر السين على انه المحبس ، وقراءة اخرى بفتحها:المصدر اى الفعل ذاته .
وفى الحديث الشريف[1] : « ليس شىء احوج إلى طول سَجْن (بفتح السين) من لسان » .. والسجان صاحب السجن ورجل سجين ومسجون والأنثى كذلك .
وقد وردت هذه المادة فى القرآن الكريم فى سورة يوسف فى الآيات : ٢٥ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ١٠٠ وجاءت فى سورة الشعراء فى الآية ٢٩ وجاءت فى سورة المطففين فى الآيتين : ٧ ، ٨ .
« كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ● وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ كِتَابٌ مَرْقُومٌ » .
قيل : إن معناه ان كتاب هؤلاء الفجار فى حبس لخساسة منزلتهم عند الله تعالى فما بالك بمنزلتهم هم انفسهم .
وقيل : إن سجين موضع فيه كتاب الفجار وهو : الديوان الذى سجلت فيه أعمالهم .
وقال ابن كثير : والصحيح ان سجينا ماخوذ من السجن وهو الضيق .

وجاءت مادة الحبس فى الآية ١٠٦ من سورة المائدة والآية ٨ من سورة هود .

والسجن كموضع للحبس وعقوبة أمرهما قديم فقد سجن سيدنا يوسف عليه السلام وقد كان معاصرا لفراعنة مصر وتعرف فى السجن على صاحبيه اللذين وردت قصتهما فى القرآن الكريم .

وتروى كتب التاريخ[2] أن السجن عند الأقدمين كان على أخشن ما يتصوره العقل ، فقد كان إما سراديب تحت الأرض أو قلعة حصينة أو

---

(١)غاية المأمول شرح التاج الجامع للأصول شرح أحاديث الرسول ﷺ جـ ٥ ص ١٨٢ طـ دار الفكر .
(٢)دائرة المعارف جـ ٥ مادة سجن - لفريد وجدى .

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

مكانا مخوفا تعافه النفس ويهابه الرائي لا تمييز فيه بين السجناء فالقاتل والمزور والخائن للوطن والعالم الذى جهر بكلمة حق أو دعا إلى ترقية حال الشعب دينيا أو سياسيا أو علميا كل أولئك سواء فى السجن .

والعقوبة فى الشريعة الإسلامية قسمان : حد ، وتعزير

والحد ما جاءت فيه العقوبة مقدرة بنص صريح فى القرآن الكريم أو فى سنة رسول الله ﷺ كحد الزانى محصنا وغير محصن ، وحد السرقة ، وحد القذف ، وحد الشرب .

والتعزير يقع على الجرائم التى لم ترد فيها عقوبة محددة وهذا النوع أيضاً ثابت بوجه عام بالقرآن الكريم مثل قوله تعالى فى سورة النساء ـ الآية ٣٤ ـ : « وَاهْجُرُوهُنَّ فِى الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ . . » وبالسنة الشريفة فعلا وقولا وبإجماع الأمة على وجوبه فى كل كبيرة لا توجب حدا، أو جناية لا توجب الحد كذلك ، ويكون التعزير بالحبس وبالضرب وباللوم والتوبيخ وبأخذ المال على خلاف بين الفقهاء فى هذا الأخير .

والتعزير بالحبس موضع اتفاق بين فقهاء المسلمين فقد أثر عن الرسول ـ ﷺ ـ[٣] انه حبس رجلا بالتهمة، وقد ردد الفقهاء فى كتبهم جرائم أجازوا فيها الحبس فقالوا : إن من يتهم بالقتل والسرقة وضرب الناس يحبس ويخلد فى السجن إلى أن يظهر التوبة ، ويحبس كذلك المجتمعون على نية الشرب وإن لم يشربوا، والمغنى والمخنث والنائحة ومن قَبَّل أجنبية أو عانقها أو لمسها بشهوة وكذلك من قذف إنسانا بما يعتبر قذفا عرفا ، والمسلم آكل الربا كل أولئك يعزرون بالحبس وليس فى الحبس مقدار محدد بل أمر تحديد مدته مفوض لولى الأمر أو للقاضى حسب الأحوال .

والحبس فى فقه الشريعة الإسلامية كما يكون فى الجرائم أجازه الفقهاء أيضاً فى نظير الديون .

فقال فقهاء الحنفية : إن سبب وجوب الحبس هو « الدين » قل أو كثر ويشترط فى الدين أن يكون حَالاً فلا حبس فى الدين المؤجل، لأن الحبس لدفع الظلم المتحقق بتأخير قضاء الدين ولم يوجد من المدين لأن الدائن هو الذى أخر حق نفسه بالتأجيل ، ولا يمنع المدين من السفر قبل حلول أجل الدين سواء بَعُدَ مَحَلُّهُ أو قَرُبَ واشترطوا لحبس المدين ثبوت قدرته على قضاء الدين فإذا كان معسرا لا يحبس لقوله تعالى : « وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ » من الآية ٢٨٠ من سورة البقرة ومنها « المُطْل » وهو تأخير قضاء الدين لقوله عليه الصلاة والسلام[٤] : « مطل الغنى ظلم » وقوله عليه الصلاة والسلام :[٥] « لَيُّ الواجد يحل عرضه وعقوبته » أى امتناع

---

(٣) كتاب أدب القاضى للخصاف ـ باب الحبس فى الديون وغيره ص ١٣٤ .

(٤) رواه البخارى ومسلم .

(٥) رواه ابن حبان والحاكم .

المدين الموسر يجيز عرضه على القضاء وعقوبته والحبس من العقوبات المقررة شرعا ولكن لا يحبس أحد الوالدين بدين لولده لقول الله سبحانه : « وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا » من الآية ١٥ من سورة لقمان ـ ومع هذا فإذا امتنع أحد الوالدين مع يساره عن اداء نفقة ولده يجوز حبسه وفى هذه الحال يقول الفقهاء : إن الحبس تعزير فى نظير الدين .

هذا ولا يكون الحبس فى الديون إلا بطلب الدائن أما فى الجرائم فإن ذلك شأن الحاكم مع العقوبة المقررة مقابل كل جريمة .

والحبس قد يكون بمعنى : الملازمة وذلك لا يتأتى إلا فى حبس المدين أو من لم تثبت عليه التهمة بعد فيأمر القاضى الدائن بملازمة مدينه اكراها له على سداد الدين أو ارتقابا لبينة قريبة ، والأصل فى شرعية الملازمة هو ضمان حضور الخصم إلى مجلس القضاء لأن بعض فقهاء المذاهب لا يجيزون سماع الدعوى ولا القضاء فيها على غائب .

وقد يكون الحبس فى منزل المحبوس وسكنه وهو يقابل التعبير فى عصرنا بتحديد محل الاقامة كما يكون بوضع الجانى أو المدين فى السجن على ما أورده فقهاء الحنفية فى كتبهم وتحدث به سائر فقهاء المذاهب فى كتبهم أيضاً إذ الحبس كنوع من انواع الجزاءات العقابية تعزيرًا أَمْرٌ متفق عليه ذو سند صحيح فى السنة الشريفة وعمل الصحابة رضوان الله عليهم .

وإذا كانت الشريعة الغراء قد أجازت الحبس عقابا فإنها بقواعدها العامة قد أحاطت هذا العقاب بما أحيط به غيره من وجوب الرفق والامتناع عن إيذاء المسجون ومن هذه القواعد ما جاء فى الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال[٦] : « إن الله كتب الاحسان على كل شىء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة » .

أرأيت إلى هذه القاعدة الشريفة : إن الله كتب الاحسان على كل شىء .. أى أن الله سبحانه أمرنا أن نحسن كل شىء حتى العقوبات ، فإذا كانت العقوبة ـ القتل ـ فالاحسان .. أن يستعمل السلاح الذى ينهى حياة الجانى قصاصا دون تعذيب له وإذا كان القصاص فى عضو أو جزء عضو فإن المتتبع لأقوال الفقهاء فى شروط تنفيذ هذه العقوبة بالقطع قصاصا يتراءى له عيانا تصويرهم لحرص الإسلام على تحقيق العدالة فى المماثلة مع الرحمة فى المعاملة فهم يقررون أنه متى ثبتت السرقة تقطع يد السارق وتحسم لينقطع نزف الدم لقول الرسول ﷺ فى شأنه : (فاقطعوه واحسموه) والمقصود حسم نزف الدم اى وقفه ولا يتعين أن يكون بالكى كما كان معروفا وقتذاك ، بل كان يوقف النزف رحمة ورفقا بالجانى بعد إنزال العقاب به رحمة الله فى شرعه ، عقاب ورحمة .

ووفقا لتطور الإنسان وصلاحية الشريعة الإسلامية لاحتواء كل جديد سواء فى عالم المعاملات أو العقوبات أو حتى طريق توقيع هذه الجزاءات لم تحمل النصوص تحديدا لا مرونة فيه لوسائل التنفيذ بل : « إذا قتلتم فأحسنوا القتلة » أحسنوها بأية أداة لا تحوى تعذيبا ولا إذلالا إلا فى حال الحرابة وقطع الطريق فإن لذلك حكما خاصا قصد به الشارع ردع المجاهر بالسلب والنهب وترويع الناس .

---

(٦)رواه مسلم .

لم يكن للسجن معالم خاصة

ومن هنا لم يكن للسجن معالم خاصة فى شريعة الإسلام وإنما ترك تحديد معالمه وفقا لتطور الإنسان واتساع العمران وانحسار الايمان من القلوب وانعدام مراقبة الله جريا وراء المادة والمادية .

ففى عصر الرسالة كان الحبس فى المسجد فقد حبس[7] رسول الله ﷺ رجلا فى تهمة فربطه فى سارية المسجد وكان هذا الفعل كافيا فى امتثال هذا الرجل واحتباسه نفسه وجسده حيث وضعه الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، فلا يمكن أن يخطر ببال هذا المحبوس الخروج على حكم الرسول ، فلم إذاً السجن والسجان وقتئذ ؟ وجرى هذا أيضاً فى عهد عمر رضى الله عنه .

ثم بدأ فى العصر الأموى اتخاذ أماكن للسجن ، كانت جبا يحفر فى الأرض يستقر فيه المسجون ولم تكن مدد السجن موضوع تحديد ، لأن هذه العقوبة كانت فى الأغلب من اختصاص الولاة لا القضاة ، وكان لأولئك سجن ولهؤلاء سجن ، وكما هو مشهور معروف فقد نزل هذا العقاب بعدد من الفقهاء المجتهدين أصحاب المذاهب كالإمام أبى حنيفة وكالإمام أحمد بن حنبل فى فتنة « خلق القرآن » كل هذا فى العصر العباسى .

هذا وتاريخ العقاب فى الإسلام لا يعرف نظام السجن المؤبد أو الأشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة والمثل الواضح لهذه النزعة الإسلامية فى تقصير أمد الحبس يتجلى فيما يراه الإمام مالك من أن عقوبة الحبس تكون سنة مع الدية لجريمة القتل إذا انتفى فيها القصاص ..

وفى الفقه الحنفى امثلة لذلك أيضاً ومدة الحبس القليلة تحدث أثرها فى نفس الجانى ولا تحدث أضرارا مؤبدة فى الأسرة أو الجماعة .

ومما سلف نستبين ملامح السجن مكانا للعقوبة فى الإسلام الذى يدعو إلى الاحسان فى كل شىء ، بل ينبغى أن يعامل فيه الإنسان معاملة لائقة بآدميته التى كرمها الله سبحانه فى قوله تعالى : « وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ » ـ من الآية ٧٠ من سورة الإسراء .

فقد نص الفقهاء على أن المسجون إذا مرض فى السجن كان دواؤه من بيت المال ، وكذلك نفقاته وأنه إذا لم يوجد من يقوم على تمريضه وتطبيبه أعيد إلى بيته ليلقى عناية أهله

ماذا يفعل بالسجين فى سجنه ؟ :

يقول الكاسانى فى بدائع الصنائع ، وهو من أعلام الفقه الحنفى : المحبوس ممنوع من الخروج إلى أشغاله ومهماته وإلى الجمع والجماعات والأعياد وتشييع الجنائز وعيادة المرضى والزيارة والمضايفة ولا يمنع من دخول أقاربه عليه لأن هذا لا يخل بما وضع له الحبس ولا يمنع كذلك من التصرفات الشرعية من بيع وشراء وهبة وصدقة لأن الحبس لا يوجب بطلان أهلية التصرفات وسلطة ولى أمر المسلمين فى عقوبات التعزير ليست مطلقة ، بل مقيدة بأمور استقاها الفقهاء من قواعد الشريعة العامة وهى : ـ

أولا : أن يكون الباعث على تحديد العقوبة وتقديرها حماية المصالح الإسلامية المقررة .

ثانيا : أن تكون العقوبة ذات فعالية فى القضاء على الفساد دون اهدار لآدمية الفرد وكرامته .

ثالثا : أن يكون هناك تناسب بين الجريمة والعقوبة المقررة لها .

---

(٧) رواه ابو داود .

رابعا : المساواة بين الناس فى تطبيق العقوبة التعزيرية بحيث يسرى حكمها على جميع من تساوت مراكزهم القانونية دون استثناء .

وإذا كانت هذه القيود مفروضة فى ذات عقوبة الحبس فإنها أيضاً واردة فى الحبس أى السجن فلا يكون السجن لمجرد التعذيب ، بل لحماية المجتمع من الأشرار الخطرين على الأموال والأعراض .

هذا : وهدف سياسة العقاب فى الشريعة الإسلامية حماية المصلحة العامة وحماية الفضيلة .. ودفع الفساد ، ومن أجل ذلك فإن العقوبات الشرعية يستتبع توقيعها :

أولا : الزجر : بمعنى ردع ومنع الجناة من العودة إلى ارتكاب الجريمة وكذلك منع الغير من اقتراف ذات الجرم ، وهذا يتمثل على وجه خاص فى الحدود الشرعية .

ثانيا : تحقق العدالة إذ أن العقوبة تنزل بالجانى ألما تراه الجماعة المجنى عليها ومقابلا لذات الجرم فتهدأ النفوس وتطهر نفس المجرم ، ويعود إلى الاستقامة مقلعا عن جريمته ، ذلك لأن إصلاح ذات الإنسان المنحرف المرتكب للخطيئة أهم أغراض العقاب فى الشريعة .

ومن أجل تهذيب النفوس وإصلاح حال الخطائين نرى أن العقوبة تقع على جسد الخاطىء بالجلد والضرب وعلى داخل نفسه بشهود جمع من الناس توقيع هذا الجزاء : « وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » من الآية ٢ من سورة النور .

وهذا لاشك أدخل فى العقاب وأدنى ثمرة فى الإصلاح وزجر الغير والابتعاد به عن مجرد التفكير فى اقتراف مثل هذا الجرم .

وإذا كان هدف العقوبة دائماً الردع والإصلاح ، فالأولى أن نعود إلى النظر فى كثير من الجزاءات المقررة فى قانون العقوبات لنستبدل بالحبس الجلد أو الضرب العلنى حتى تجدى فى الزجر ؛ لأن أساس العقوبة فى الشريعة هو الجلد ، لا السجن ولا الحبس .

والجلد عقوبة بدنية مؤقتة بساعات لا تهدر آدمية المستحق لها وتتيح للمذنب فرصة التوبة والأدب والصلاح وخدمة الأسرة والجماعة ، بل وخدمة النفس بالسعى المشرف والعمل النافع ، إذ أن الحبس أو التغريم أو هما معا لا يردعان الكثير من الخاطئين .

وسنرى أن السجون وقتئذ قد قل روادها وانحسرت كثرتهم الحالية عن فئة المحترفين وعتاة المجرمين الذين اعتادوا الجريمة على اختلاف صنوفها واستمرأوا كسبها ، وهؤلاء نرى أن فقهاء الإسلام قد قالوا فى شأنهم ـ على ما جاء فى الأحكام السلطانية للقاضى أبى يعلى الحنبلى ـ أنه يجوز للأمير فيمن تكررت منه الجرائم ولم ينزجر عنها بالحدود أن يستديم حبسه إذا استضر الناس بجرائمه حتى يموت ، بعد أن : يقوم بقوته وكسوته من بيت المال ليدفع ضرره عن الناس .

ومن أجل هذه السياسة العقابية فى الشريعة الإسلامية لم تكن السجون بهذه الكثرة التى نشهدها فقد كانت عقوبة الحبس فى الأعم الأغلب إما حبس تهمة استظهارا واحتياطا كما فعله الرسول ﷺ فقد روى الحاكم فى المستدرك عن عراك بن مالك عن أبيه عن جده عن أبى هريرة رضى الله عنهم : أن النبى ﷺ « حبس فى تهمة يوما وليلة استظهارا واحتياطا » ، وهذا الوجه من الحبس يقابل فى نظامنا الآن الحبس الاحتياطى على ذمة التحقيق ـ وإما حبسا مستديما للخطرين الذين اعتادوا الإجرام والذين يتضرر الناس من جرائمهم ويروعون الآمنين فى الأموال والأنفس والأعراض والثمرات .

والمتتبع لأقوال الفقهاء المتناثرة فى مواضع كثيرة من كتب الفقه الإسلامى فى شأن السجون يجد أنها فى نطاق القول الجامع الصادر من الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « إن الله كتب الاحسان على كل شيء » .. فهم يوصون بتوقير الإنسان المحبوس والامتناع عن إهدار كرامته التى حفظها الله وأوصى بها ، وبتوفير الرعاية الصحية له والقيام على امور معاشه داخل السجن ، وأمور أسرته من : زوج وولد ووالد ، واستدامة زياراتهم له واستقباله إياهم صلة للرحم واستعانة بهم على إصلاح ذات نفسه وانتزاع الشرور من بين جنبيه ، كما يوصى الفقهاء - إعمالا لتلك القاعدة الجامعة - بأن يكون فى السجن العلاج من داء الإجرام ، باشتغال السجين بما يعود عليه نفعه ماديا كعمل يدر عليه كسبا أو مهنة يتعلمها ليحترفها تعطيه ربحا طيبا ، ولذلك يجب أن يتوسع فى إلحاق مصانع بالسجون يتدرب فيها المسجونون ويعملون وتصرف لهم أجورهم أو إلى المستحقين لها عنهم أو تدخر لهم وأن تلحق بها كذلك مدارس ابتدائية وإعدادية وثانوية، وللنظر فى إدخال عقوبة الجلد وحدها أو مع الحبس فى بعض الجرائم وفى حالة الجمع بينهما يكون الحبس عقوبة تبعية ، ولنعمل على وضع النماذج الصالحة من البشر أمامه تزكو برؤيتها نفسه ويلين قلبه ، ونعنى بهذه النماذج نفرا من المستقيمين فى دينهم ودنياهم عظة وقدوة .

ومع هذه الوصايا من فقهاء الإسلام فإنهم قد احتاطوا لئلا يكون السجن مدرسة خطرة تؤلف بين قلوب المجرمين فقالوا بوجوب تصنيفهم والبعد بذوى المروءات الذين زلت أقدامهم عن طريق الحق والفضائل فى مكان قصى عمن ساءت دخائلهم وصارت الجريمة كسبهم ومأواهم ، ومن هنا كانت عقوبة التعزير سواء بالجلد والضرب أو الحبس أو بالتغريم أو بالعظة والنصح واللوم مختلفة باختلاف الناس وما جبلوا عليه وهم فى ذلك جد مختلفين .

وبعد :

فإن عقوبة الحبس أو السجن بالمصطلح السائد قانونا قد صارت غالبة ، وقد أوجزت فيما سبق خطة السجن والسجون كما أوصت بها نصوص الشريعة الإسلامية .

وأمل - ونحن نعد ونستعد لتطبيق الشريعة الإسلامية فى مجتمعنا تشريعا وسلوكا وقضاء واقتضاء - أن تتعدل سياسة العقاب وفقا لنصوص الشريعة حدا وتعزيرا

وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .. ويشرق نور الإسلام وقوة اليقين فى قلوب الآثمين ، فيخشون الله وتحيا ضمائرهم ، فإنها لا تعمى الأبصار .. ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور .

اللهم «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ .. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ .. غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ» آمين .

مصـــادر هـــذا البحـــث

القـــرآن الكريـــم

لسان العرب لابن منظور

بدائع الصنائع للكاسانى — فقـه حنفـى

البحر الرائق لابن نجم

الدر المختار وحاشيته رد المحتار لابن عابدين

منهج الطلاب وحواشيه — فقـه شافعـى

حاشية الدسوقى على الشرح الكبير للدردير

تبصرة الحكام لابن فرحون — فقـه مالكـى

فتاوى الشيخ عليش

الروض المربع — فقـه حنبلـى

المغنى لابن قدامة

الاحكام السلطانية للماوردى

الأحكام السلطانية للقاضى أبى يعلى

أدب القاضى للخصاف — فقـه عـام

دائرة المعارف لفريد وجدى

تفسير لغوى فى

الكتاب العزيز



قال تعالى :

﴿ أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّى . فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى . وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى . إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى . وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى . وَللهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى . الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى . أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى . وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى . أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى . أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى . وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى . أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى . وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴾ . صدق الله العظيم .

﴿ أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّى ﴾ أم بمعنى بل والهمزة التى للاستفهام الأنكارى افادت الانتقال من بيان أن ما هم عليه غير مستند إلا إلى توهمهم وهوى أنفسهم . إلى بيان أن ذلك لا يجدى نفعا وأنه ليس للإنسان كل ما يتمناه وتشتهيه نفسه من الأمور التى من جملتها طمعهم فى شفاعة الأصنام لهم - وتمنيهم المنزلة الكريمة عند الله وتمنى بعضهم النبوة « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » وكقول الوليد بن المغيرة « لأوتين مالا وولدا » ونظائرها التى لا تكاد تدخل تحت الوجود .

﴿ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴾ تعليل لانتفاء ان

لفضيلة الأستاذ الدكتور
عبد العظيم الشناوى

يكون للإنسان ما يتمناه فهو سبحانه منفرد بملكهما وبالتصرف فيهما فيعطى ما يشاء لمن يريد ويمنع من يشاء وليس لأحد أن يبلغ منهما إلا ما شاء الله .

﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِى شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ .

كم خبرية ومعناها التكثير وهى مبتدأ خبرها (لا تغنى) والغنى : جلب النفع ودفع الضر . و (كم) لفظها مفرد ومعناها جمع فالضمير من (شفاعتهم) راجع إلى المعنى ومن قرأ شفاعته راعى اللفظ وأفردت الشفاعة لأنها مصدر ولبيان أنهم لو شفعوا جميعاً لواحد لم تغن شفاعتهم شيئاً والمعنى أن الملائكة مع قربهم وعلو منزلتهم لا تنفع شفاعتهم ولا تغنى شيئاً إلا إذا شفعوا من بعد أن يأذن الله لهم فى الشفاعة لمن يشاء أن يشفعوا له ويرضى ويراه أهلاً للشفاعة من أهل التوحيد والإيمان وأما من عداهم من أهل الكفر والطغيان فهم عنها بمعزل ـ فإذا كان حال الملائكة فى الشفاعة ما ذكر فما ظنهم بحال الأصنام .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى ﴾ نفى عنهم الايمان بالآخرة مع انهم كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وذلك لأنهم كانوا لا يؤمنون بها على الوجه الذى جاءت به الرسل من عقابهم على الكفر والمعاصى ـ أو لأنهم كانوا لا يجزمون بها بدليل قول بعضهم . ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّى إِنَّ لِى عِندَهُ لَلْحُسْنَى ﴾ ومعنى تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى : قولهم الملائكة بنات الله لأنهم بذلك جعلوا كل ملك بنتا له سبحانه ـ وهو التسمية بالأنثى ﴿ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ ﴾ الجملة حال من فاعل يسمون ـ وعلم مبتدأ ولهم متعلق بمحذوف خبر وبه جار ومجرور متعلق بعلم ومن صلة والضمير فى به راجع لما يقولون أى يسمونهم والحال أنه لا علم لهم بما يقولون وقرىء بها أى بالملائكة أو بالتسمية .

﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً ﴾ أى ما يتبعون فيما ذهبوا إليه إلا الظن الفاسد وإن جنس الظن لا يغنى من الحق شيئاً ـ والمراد بالظن الأول الظن الواقع منهم وبالثانى جنس الظن كما يشير إليه الإظهار فى موضع الإضمار ـ لأنه لو أريد من الثانى عين الأول لقيل ـ وإنه لا يغنى من الحق شيئاً ـ والمراد بالحق حقيقة الشىء وهو لا يدرك إلا بالعلم فقط والظن لا اعتداد به فى شأن المعارف الحقيقية وإنما يعتد به فى العمليات وما يؤدى إليها ـ ويحتمل أن المراد بالحق هو الله سبحانه وتعالى ومعناه أن الظن لا يفيد شيئاً من الله تعالى أى الأوصاف الإلهية لا تستخرج بالظنون ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾ .

﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ اترك مجادلتهم فقد بلغت

واتبت بما كان عليك - وأكثر المفسرين يرون انها منسوخة بآية القتال - وقال « عن من تولى » ولم يقل عنهم - للتوصل بالصلة إلى وصفهم بالتولى والإعراض الذى كان سببا فى الأمر بالاعراض عنهم لأن من لا يصغى إلى قول ، كيف يفهم معناه ثم بين لنا سبحانه سبب توليهم عن الذكر وهو حصر إرادتهم فى الحياة الدنيا - فالتولى عن الذكر سبب فى الإعراض عنهم وإيثار الدنيا وتفرغهم لها دون غيرها سبب التولى عن الذكر .

والمراد « بذكرنا » القرآن المفيد للعلم اليقينى المنطوى على علوم الأولين والآخرين المذكر بأمور الآخرة - أو الإيمان - أو الرسول ﷺ أو عن ذكرنا كما ينبغى فإن ذلك مستتبع لذكر الآخرة وما فيها من الأمور المرغوب فيها والمرهوب منها - أو الدليل والبرهان .

﴿ ذَلِكَ ﴾ إشارة إلى تعلقهم بالدنيا وتحصيلها والرضا بها - وقيل إشارة إلى الظن اى غاية ما يفعلون أن يأخذوا بالظن ﴿ مَبْلَغُهُم مِنَ الْعِلْمِ ﴾ غايتهم ومنتهاهم من العلم والمراد بالعلم هنا مطلق الإدراك المنتظم للظن والفاسد - والضمير فى مبلغهم راجع لمن باعتبار معناها ورجع إليها فى « تولى » و« يرد » باعتبار لفظها .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ﴾ .

تعليل للأمر بالاعراض وتسلية للرسول ﷺ إذ كان حريصاً على إيمانهم وتكرير « أعلم » لزيادة التقرير وللإيذان بتباين المعلومين .

والمراد بمن ضل . من أصر على الضلال . وبمن اهتدى من شأنه الاهتداء فى الجملة - وفى تعليل الأمر باعراضه عليه الصلاة والسلام عنهم بقصر العلم بأحوال الفريقين عليه تعالى ، رمز إلى أنه تعالى يعاملهم بموجب علمه بهم فيجزى كلًا منهم بما يليق من الجزاء ففيه وعيد ووعد ضمنا - وسيأتى صريحا فى الآية بعدها .

والسبيل : الطريق يذكر ويؤنث .

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ اى كل ما فى العالم العلوى والسفلى لله وحده ملكا وخلقا - واللام فى ليجزى متعلق بما دل عليه قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ اى خلق ما فيهما ليجزى .

وقيل متعلقة بقوله « هو أعلم بمن ضل » فهى للتعليل .

وقيل متعلقة بقوله « ضل واهتدى » فهى للعاقبة .

والباء صلة الجزاء فيكون التقدير ليجزى الذين اساءوا بعقاب ما عملوا من الضلال ، الذى عبر عنه بالإساءة بيانا لحاله ويجزى الذين أحسنوا اى اهتدوا بالمثوبة الحسنى وهى الجنة .

وقال فى جزاء المحسنين بالحسنى ولم يقل بما عملوا للاشعار بأنه سيتفضل عليهم بأكثر مما يستحقون .

فالحسنى تأنيث الأحسن .

وقيل الباء للسببية والمعنى ليجزى المسىء بسبب عمله .

والمحسن بسبب أعماله الحسنى .

« والأرض » لم ترد فى القرآن إلا مفردة وعللوا ذلك بأنها بمنزلة السفل والتحت ولكن

وصف بها هذا المكان المحس فلا معنى لجمعها كما لا يجمع الفوق والتحت والعلو والسفل ، وحيث أريد بالأرض الذات والعدد أتى بلفظ يدل على التعدد كقوله تعالى : ﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ .

أما « السماء » فإن أريد منها الوصف الشامل للسموات وهو معنى العلو والفوق افردت ، كقوله تعالى : ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ ﴾ ﴿ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ﴾ ، ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ .

وإذا أراد ذات السموات دون وصفها جمعها جمع سلامة لأن العدد قليل وجمع القليل اولى به ، نحو ﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ ﴾ ﴿ سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ .

وقد استعرض الزركشى فى البرهان كثيراً من الآيات معللا فيها لجمع السموات وإفرادها ، والسماء مؤنثة وتذكر .

والأرض مؤنثة اسم جنس أو جمع بلا واحد ولم يسمع أرضة والجمع أرضات وأروض وأرضون وآراض والأراضى غير قياس وهى كل ماسفل .

﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾ الذين بدل من الذين أحسنوا أو بيان أو نعت أو مقطوع للمدح فيكون مفعولاً لفعل محذوف أو خبرا لمبتدأ محذوف .

واجتناب الكبائر جاء فى القرآن بصيغة المضارع ولم يأت بالماضى ، أما اجتناب الطاغوت فجاء بالماضى دون المضارع ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ السر فى ذلك أن عبادة الطاغوت راجعة إلى الاعتقاد والاعتقاد إن وجد استمر ، فمن اجتنبها اعتقد بطلانها فيستمر .

وأما الكبائر فأمر تختلف أحوال الإنسان فيها ، فتارة يأتيها وتارة يرجع إليها بعد تركها ، وايضاً هى متعددة فكلما عرض للمحسن نوع منها اجتنبة فأتى بصيغة المضارع الدالة على التجدد والاستمرار .

والكبائر جمع كبيرة .

ولم يجىء جمع كبيرة على كبائر ، وكذلك جمع صغيرة على صغائر إلا فى الذنوب ، أما فى غيرها فتجمع كبيرة على كبار وكبيرات وصغيرة على صغار وصغيرات .

والكبائر ما كبر عقابه من الذنوب وهو ما ورد فيه وعيد بخصوصه والفواحش ما عظم قبحه من الكبائر ، وهى معطوفة على الكبائر وأفردها بالذكر لتدل على عظم عقاب مرتكبها .

وقيل الكبائر ما توعد الله عليه بالنار صريحا .

والفواحش ما أوجب عليه حداً فى الدنيا ، وقيل كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث صاحبها ، واعتمد الواحدى أنه لا حد لها يحصرها وقد اخفى الله أمرها على عباده ليجتهدوا فى اجتناب المنهى عنه رجاء أن تجتنب الكبائر ، وقيل غير ذلك .

والإثم : جنس يشمل الكبائر والصغائر فالإضافة على معنى من - يقال أثم من باب علم فهو أثم وفى المبالغة أثام وأثيم وأثوم ويعدى بالحركة فيقال اثمته أثما من باب ضرب وقتل - إذا جعلته آثما ، وأثّمته بالمد -

إذا أوقعته فى الذنب ، وآثمته تأثيما قلت له : أثمت ، وتأثم كف عن الإثم وتاب منه - كما يقال : تحرج إذا تحفظ من الحرج ، مثل ذلك تحنث .

وتهجد إذا ترك الحنث والهجود : فتفعل قد يأتى لترك الحدث كما فى هذه الأفعال .

« إلا اللمم » استثناء منقطع لأنه ليس من الكبائر على المشهور .

وقيل إلا بمعنى غير صفة للكبائر نحو قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾ .

و« إلا » حينما تكون صفة يظهر إعرابها على ما بعدها - سواء قلنا ببقائها على حرفيتها كما هو رأى الجمهور ، فتكون هى وما بعدها صفة - أم قلنا باسميتها فتكون هى صفة وما بعدها مضافا إليه مجرور بالكسرة المقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة إعراب « إلا » الظاهر فيه .

واللمم - هو ما صغر من الذنوب مأخوذ من قولهم ألم بالمكان إذا قل لبثه فيه وألم بالطعام إذا قل أكله منه -

وقيل هو مقاربة الذنب من غير مواقعته من قولهم ألم الشىء قرب وألم بكذا قاربه ولم يخالطه .

وقيل هو فعل الصغيرة ثم لا يعاوده .
وقيل غير ذلك .
﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر فالجملة تعليل لاستثناء اللمم وإخراجه وتنبيه على أن إخراجه عن حكم المؤاخذة ليس لخلوه من الذنب فى نفسه بل لسعة المغفرة الربانية .

« وواسع » هنا صفة مشبهة مفيدة الدوام والاستمرار . « لأن فاعلا » لا يضاف لفاعله فى المعنى - كما هنا إلا إذا حول إلى معنى الصفة المشبهة وهو الدلالة على الدوام والاستمرار فمغفرة الله واسعة على الدوام .

ومادة الغفر الأصل فيها الستر - يقال : غفر الشىء يغفره ستره والمتاع فى الوعاء أدخله وستره كأغفره والشيب بالخضاب غطاه وغفر الله له ذنبه يغفره غفراً وغفرة حسنة بالكسر ومغفرة وغفوراً وغفرانا بضمهما وغفيرا وغفيرة غطى عليه وعفا عنه .

﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ﴾ أى يعلم أحوالكم حين أنشأكم فى ضمن إنشاء أبيكم آدم عليه السلام من تراب .

﴿ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ فيعلم أطواركم فيها وحاجتكم إلى الغذاء ويعلم العدد والذكورة والأنوثة ووقت الانفصال عن الأم ومدة المكث فى الرحم .

والأجنة : جمع جنين وهو الولد مادام فى البطن ، فإذا ولد فهو منفوس أو سقط أو ولد ؛ وسمى جنينا مادام فى البطن لاستتاره ، لأن المادة الأصل فيها الستر .

فالترس مجن بكسر الجيم لأن صاحبه يتستر به ، والقلب جنان لاستتاره ، ومقابل

الإنس جن لعدم رؤيتهم وكذلك الملائكة جن وجنة ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً ﴾ وأجنه الليل ستره ، والجنة بالضم كل ما وقى ، وكل مستور جنين .

وقوله : ﴿ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ تنبيه على كمال العلم والقدرة فإن بطن الأم فى غاية الظلمة ومن علم الله سبحانه حاله وهو مجن لا يخفى عليه شيء من أحواله وهو ظاهر .

والبطن مفرد بطون مذكر فمن الخطأ قولهم بطنه منتفخة أو كبيرة مثلاً بل هو منتفخ أو كبير .

وامهات جمع أم . قيل وأصله امهه وردت الهاء عند الجمع .

وقيل أصله أم وزيدت الهاء عند الجمع . قال ابن جنى ودعوى الزيادة أسهل من دعوى الحذف ، وكثر فى الناس أمهات وفى غيرهم أمات للفرق .

قال الفيومى فى المصباح : والوجه ما أورده البارع أن فيها أربع لغات ، أم بضم الهمزة وكسرها وبمة وامهة فالأمهات والأمات لغتان ليست إحداهما أصلا للأخرى ولا حاجة إلى دعوى حذف ولا زيادة .

﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ﴾ الفاء هنا لترتيب النهى عن تزكية النفس على ما تقدم من أن عدم المؤاخذة باللمم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم ، أى إذا كان الأمر كذلك فلا تثنوا على انفسكم بالطهارة عن المعاصى أو بالزكاة فى العمل والنماء فى الخير والطاعات بل اهضموها واشكروا الله على فضله ومغفرته ، فقد علم الله منكم الزكى والتقى قبل إخراجكم من صلب أبيكم آدم ، وقبل إخراجكم من بطون أمهاتكم .

يقال : زكيته بالتضعيف نسبته إلى زكاء وهو الصلاح والرجل زكى والجمع أزكياء : فالتضعيف فى تزكوا لإفادة النسبة إلى الحدث وقد نهاهم الله عن ذلك كما بينا ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ المعاصى جميعا . وقيل اتقى الشرك والجملة استئناف مقرر للنهى ومشعر بأن فيهم المتقى .

وقيل : كان ناس يعملون أعمالاً حسنة ثم يقولون : صلاتنا وصيامنا وحجنا الخ فنزلت وهذا منهى عنه إذا كان على سبيل الإعجاب أو الرياء فأما من اعتقد أن عمله هذا بتوفيق الله وفضله وتحدث عنه اعترافا بفضله تعالى وشكرا له فليس من المزكين أنفسهم فإن المسرة بالطاعة طاعة والحديث عنها شكر .

وقيل المعنى لا يزكى بعضكم بعضا تزكية السمعة أو المدح للدنيا وأما التزكية لإثبات الحقوق فجائزة .

﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴾ أى أخبرنى عن الذى أعرض عن الحق والمفعول الأول اسم الموصول والثانى جملة ﴿ أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ ﴾ ﴿ وَأَعْطَى قَلِيلاً ﴾ شيئا قليلاً من المال أو إعطاء قليلاً .

﴿ وَأَكْدَى ﴾ قطع العطاء ومنعه من

قولهم : أكدى الحافر إذا بلغ الكدية وهى الأرض الصلبة فيمسك عن الحفر .

قالوا نزلت فى الوليد بن المغيرة حين هم بالإسلام بعد أن جلس إلى الرسول ﷺ واستمع للقرآن ووعظه ﷺ فعيره بعض المشركين وقال له : تركت دين الاشياخ وزعمت أنهم فى النار .

فقال الوليد : إنى خشيت الله وعذابه فضمن له إن أعطاه شيئاً من المال ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله فوافقه الوليد على ذلك ورجع عما هم به من الإسلام وضل ضلالا بعيداً وأعطى شيئاً من المال لذلك الرجل ثم أمسك عنه .

وقيل : نزلت فى العاصى بن وائل السهمى .
قيل : فى أبى جهل بن هشام قال : والله ما يأمر محمد إلا بمكارم الأخلاق .

وقيل غير ذلك .
﴿ أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴾ الأمور الغيبية التى من جملتها تحمل صاحبه عند القيامة أوزاره ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴾ التوراة وصحف إبراهيم الذى وفى .
قرأ الجمهور بالتضعيف وقرىء بالتخفيف .
ولم يذكر المتعلق ليتناول كل ما يصلح أن يكون متعلقاً « لو فى » كتبليغ الرسالة والصبر على ذبح ولده وعلى فراق إسماعيل وأمه وعلى نار نمروذ وقيامه بحق أضيافه .

وعن الحسن ما أمره الله بشىء إلا وفى به .
وعن عطاء عهد ألا يسأل مخلوقا فلما قذف فى النار قال له جبريل : ألك حاجة ؟

فقال : أما إليك فلا . وعن النبى ﷺ « وفى » عمله كل يوم بأربع ركعات فى صدر النهار وهى صلاة الضحى .
وقيل غير ذلك .

وينبغى أن يكون ما قيل على سبيل التمثيل لا على سبيل التعين .

وإنما خص الله هذين الرسولين عليهما أفضل الصلاة والسلام : قيل : لأنهم قبل إبراهيم كانوا يأخذون الرجل بجريرة أخيه وابنه وعمه وخاله والزوج بجريرة امرأته والعبد بسيده فأول من خالفهم إبراهيم ، ومن شريعته إلى شريعة موسى عليهما الصلاة والسلام كانوا لا يأخذون الرجل بجريمة غيره .

ثم أعلم الله بما فى صحف موسى وإبراهيم فقال : ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ أن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن ولا تزر خبرها وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر فى محل جر بدل من « مافى صحف موسى » أو فى موضع رفع على هو ألا تزر كأن قائلاً قال وما فى صحفهما ؟ فقيل هو ألا تزر وازرة وزر أخرى ، والوزر الإثم والثقل .

يقال : وزر يزر من باب وعد إذا حمل الإثم .

ويقال : وزر بالبناء للمفعول من الإثم فهو موزور .

أما قوله ﷺ « ارجعن مأزورات غير مأجورات » فالهمز للازدواج . فلو أفردت مأزورات عن مأجورات لقيل موزورات رجوعا إلى الأصل ، والمعنى لا تحمل نفس من شأنها « آثمة أو غير آثمة » حمل نفس أخرى من الإثم .

فلا يؤاخذ أحد بذنب غيره ليتخلص الآخر من عقابه - ولا يقدح فى ذلك قول النبى ﷺ « من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة » فإن ذلك وزر الإضلال الذى هو وزره .

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ أن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وخبرها ليس « وما سعى » اسم ليس وخبرها للإنسان - والجملة معطوفة على ما قبلها . وما هنا مصدرية بدليل قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُ ﴾ وهى لبيان أن الإنسان لا ينتفع بعمل غيره من حيث جلب النفع إليه إثر بيان عدم انتفاعه من حيث دفع الضرر عنه أى لا يثاب بعمل غيره كما لا يؤاخذ بذنب غيره - وهذا فى شريعة موسى وإبراهيم فقد ثبت بالكتاب والسنة والاجماع انتفاع الإنسان بعمل غيره - فمن اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله فقد خرق الاجماع وذلك باطل من وجوه .

١ - أن الإنسان منتفع بدعاء غيره .
٢ - أن النبى ﷺ يشفع لأهل الموقف فى الحساب ثم لأهل الجنة فى دخولها ولأهل الكبائر فى الخروج من النار .
٣ - أن الملائكة يدعون ويستغفرون لمن فى الأرض .
٤ - أن الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيراً قط - أى من المؤمنين بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم .
٥ - أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم .
٦ - قال تعالى فى قصة الغلامين اليتيمين ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ فانتفعا بصلاح أبيهما وليس من سعيهما .
٧ - أن الميت ينتفع بالصدقة عنه وبالعتق بنص السنة والاجماع .
٨ - أن الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة وكذلك الحج المنذور والصوم المنذور يسقط عنه بعمل غيره .
٩ - أن المدين قد امتنع النبى ﷺ من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة وقضى دين الآخر على بن أبى طالب وانتفع بصلاة النبى ﷺ .

١٠ - أن الإنسان تبرأ ذمته من ديون الخلق إذا قضاها قاض عنه - وكذلك ينتفع الإنسان بالجار الصالح وبمن يصلى معه جماعة وبمجالسة أهل الذكر وإن جلس معهم لحاجة عرضت له والميت ينتفع بالصلاة عليه والدعاء له فيها .

وهكذا ومن تتبع العلم وجد من انتفاع الإنسان بمالم يعمله مالا يكاد يحصى ، فكيف يجوز أن نتناول الآية الكريمة على خلاف صريح الكتاب والسنة وإجماع الأمة ،

أ . هـ ملخصا من حاشية الجمل نقلاً عن ابن تيمية .

فإما أن يقال : إن الآية عامة قد خصصت بأمور كثيرة .

أو يقال إنها مخصوصة بقوم إبراهيم وموسى لأنها حكاية عما فى صحفهما وأما هذه الأمة فلها ما سعت هى وما سعى لها غيرها بدليل ما ذكر وبدليل قوله تعالى : ﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ حين أدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء .

أو يقال : إن سعى غيره لما لم ينفعه إلا مبنيا على سعى نفسه وهو كونه مؤمنا كان كأنه سعى نفسه أو يقال : إن المراد بالإنسان الكافر والمعنى أنه ليس له من الجزاء إلا ما عمل فيثاب عليه فى الدنيا بسعة الرزق والصحة والجاه وغير ذلك حتى لا يبقى له فى الآخرة منها نصيب .

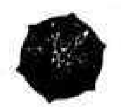
أو يقال ﴿ لَّيْس لِلْإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى » أى عدلاً .

فأما من باب الفضل فجائز أن يزيده الله من فضله ما يشاء .

وفى الحديث : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث .. إحداها ولد صالح يدعو له » ـ وهذا تفضل من الله تعالى كما أن مضاعفة الحسنات وتوفية الأجر للصابرين من غير حساب فضل منه تعالى .

هذا وقد ذكر « الخازن » الإجماع على أن الصدقة عن الميت تنفع وكذلك الدعاء وقضاء الدين والحج المفروض ـ وذكر الخلاف فى وصول ثواب الصوم وقراءة القرآن والصلاة وسائر التطوعات ـ قال والاختيار أن يقول القارىء بعد فراغه من القراءة اللهم أوصل ثواب ما قرأته إلى فلان . ونحو ذلك .

﴿ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴾ أى يعرض عليه ويكشف له يوم القيامة فى صحيفته وميزانه ، وفى عرض الأعمال تشريف للمحسن وتوبيخ للمسىء .





٢

أ.د. محمد رجب البيومي

لو تقيّا المفسرون لبيان الله، ظلالّ عبد القاهر الجرجانيّ فساروا في طريقه الأدبي المنير، لأصبح لدينا تراث أدبي، يجعل شروح القرآن معرضاً للأسلوب الرفيع، ولكن الذين جاءوا بعده من رجال البلاغة كانوا علماء فضلاء ومنهم - على قلّةٍ - من رزق حظاً من الأدب، وأكثرهم من برع في علوم المعقول، وخاصة لجج المنطق والفلسفة والحكمة لترين على تفكيره، فيعتصر الكلام اعتصاراً، وربما احال التفسير إلى قضايا عقلية يباهي باكتنازها، بل لعله تعمّد هذا الاكتناز ليجد من يخصها بالشرح: على دأب التاليف حينئذ، وللشارح ايضاً نهج المشروح، لأنه من مدرسته العقلية، فبدلاً من أن يسلّط النور على ظلماتٍ تتراكب في التفكير والتعبير، أخذ يضيف إلى القضايا الجدلية، والبحوث الفلسفية والتأويلات العلمية ما يزيح التلال فوق التلال لتصير قمماً شاهقة، ولا اقول حجبا صفيقة، وإن استدعى الواقع هذا التعبير.

وابرز من تاثر طريق عبد القاهر هو الزمخشري صاحب الكشاف، والزمخشري يمت إلى الأدب بصلات بارزة ولكنه عالم أولاً، وصاحب مذهب جدلى ينفح عنه، وفي سبيل التفريق بينه وبين عبد القاهر، كتبت من قبل حديثاً طويلاً انقل منه :[1]

لقد رزق الزمخشري مواهب عبد القاهر في صدق النظرة ولطافة الحس، ورقيق الاستشفاف، ولكن صاحب أسرار البلاغة رزق انطباعاً في التعبير، واسترسالاً في التوجيه، واطراداً في النسق، لم يستطع الزمخشري أن يبلغ منه كثيراً، وقد وضح ذلك في مسلك الرجلين في التأويل، فعبد القاهر يتعرض للآية البليغة ليبسطها

(١) خطوات التفسير البياني للكاتب ص ٢٣٥.

بسطاً كاشفاً متماسكاً يجرى به النفس الأدبى إلى أبعد مدّى وأقصاه .

أما الزمخشرى فقد جعل الحوار سبيله فى التوضيح فهو يقول إن قلت كذا ، كان الجواب كذا ، وهذه الطريقة تقنع العقل وترضيه ، ولكنها تبعث على الايجاز فى مواضع تتطلب البسط والامتداد ، وقد مهَّد لعبد القاهر أن يطيل فيبدع ، أنه لم يتعرض لتفسير الكتاب آيةً آيةً ، فيغرق في بحر لا ساحل له ، إذ كان صاحب قضية يبسطها مستعينا على إيضاحها بما يتوجه إليه من آيات الكتاب .

أماَّ الزمخشرى فيتعرض لتفسير القرآن آيةً آيةً فهو مضطر إلى الإيجاز ، وقد يتجه إلى البسط فى بعض الآيات فلا يبلغ شأو صاحبه الكثير ، والصفحات الأولى من تفسير الفاتحة والبقرة ذا.. بسطٍ ممتد لا ينكر ، ومجال الموازنة بين عبد القاهر والزمخشرى فى تأويل الآيات الأولى من سورة البقرة ممهَّد ميسر لمن يريد .

امثلة من تفسير الكشاف

لقد تحدث الزمخشرى فى مقدمة كتابه عن خصائص المفسر البيانى فاشترط أن يكون مسترسل الطبيعة نقادها ، مشتعل القريحة وقادها ، يقظان النفس ، دراكاً للمحة ، وإن لطف شأنها ، منتبهاً على الرمزة ، وإن خفى مكانها لا كزاً جاسياً ، ولا غليظاً جافياً ، قد علم كيف يرتب ويؤلف ، طالما دفع إلى مضايق الكلام ، ووقع فى مداحضه ومزالقه ، وهى شروط أحسها الزمخشرى من نفسه ، إذ لا ينكر أحد أنه مشتعل القريحة يتنبه إلى الرمزة وإن خفى مكانها وأنه دفع إلى مضايق الكلام وعرف مزالقه ومداحضه ، ولكنه مع ذلك كان مقتضب التعبير حين يستدعى المجال بسطاً شافياً ، ولا تكلفه فوق ما يستطيع .

ونترك ما اشتط فيه من ألوان التكلف لينصر مذهب الاعتزال ، فلهذا المنحى رجاله من مقاول علم الكلام ، لنختار من تفسيره البيانى ما يدل على منحاه .

١ ـ يقول الله عز وجل ﴿ وَاللَّهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً ، فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ .

فيقول الزمخشرى[٢] :

فإن قلت لم جاء فتثير على المضارعة دون ماقبله وما بعده .

قلت ليحكى الحال التى تقع فيها إثارة الرياح السحاب ، وتستحضر تلك الصورة البديعة للدلالة على القدرة الربانية ، وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية . وسوق السحاب إلى البلد الميت ، وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها ، كانا من الدلائل على القدرة الباهرة .

فقيل فسقنا ، وأحيينا ، معدولاً بهما عن لفظ الغيبة إلى ما هو داخل فى الاختصاص .

٢ ـ يقول الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ، مَا ظَنَنْتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾[٣] .

(٢) الكشاف جـ٢ ص ٣٣٩ سورة فاطر : ٩

(٣) الكشاف جـ٢ ص ٤٤٥ سورة الحشر : ٢

فيقول الزمخشرى :

فلقد قلت أى فرق بين وظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم ، وبين النظم الذى جاء عليه .

قلت : فى تقديم الخبر على المبتدأ دليل على فرط وثوقهم بحصانتهم ، ومنعها إياهم ، وفى تصيير ضميرهم اسماً ، وإسناد الجملة إليه ، دليل على اعتقادهم فى أنفسهم أنهم فى عزة ومنعة لا يبالى معها بأحد يتعرض لهم ، أو يطمع فى معازتهم وليس ذلك فى قولك : وظنوا أن حصونهم ما نعتهم .

٣ ـ يقول الله تعالى على لسان ابنة عمران : ﴿ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَا أُنثَى ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ .

فيقول الزمخشرى :

لم قالت إنى وضعتها أنثى ، وما أرادت إلى هذا القول ؟

قلت : قالته تحسرا على ما رات من خيبة رجائها وعكس تقديرها ، فتحزنت إلى ربها لأنها كانت ترجو وتقدر أن تلد ذكراً ، ولذلك نذرته للسدانة ، ولتكلمها بذلك على وجه المتحسر ، قال الله تعالى : وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ تعظيماً لموضوعها ، وتجهيلاً لها بقدر ما وهب لها منه ، ومعناه والله أعلم بالشىء الذى وضعت ، وما علق به من عظائم الأمور ، وهى جاهلة بذلك لا تعلم شيئاً[٤] ..

وأضيف إلى ما قاله الزمخشرى لمحة بارعة اتى بها عبد القاهر حين ذكر عن قولها (إنى وضعتها انثى) أن أم مريم تؤكد لنفسها بمعنى انها كانت تشوق إلى الولد فأخذتها حيرة « حين رات الأنثى ، فجعلت تؤكد لنفسها متحسرة كأنها لا تضدق الواقع » ..

تراجـــــع

فى الوقت الذى ازدهر فيه تفسير الكشاف ، كان هناك تفسير آخر الفه عبد الحق بن عطية الغرناطى الأندلسى ينحو المنحى البيانى الذى اتجه إليه الزمخشرى ، ولم يتح لأحدهما أن يقتبس من الآخر لأن ظروف المكان المتباعد ، والاتجاه المذهبى المتخالف لم تجعل لأحد منهما أن يرجع للآخر ، وقد كان احتجاز تفسير ابن عطية بالمغرب حائلاً دون انتشاره بالمشرق ، فطغى الكشاف على عقول من وليه من المفسرين .

وكان غريباً أن تكثر حواشى الأشاعرة على الكشاف ، فكتب شرف الدين الطيبى ، والقطب الشيرازى ، وسعد الدين التفتازانى ، والسيد الجرجانى ، شروحاً على تفسير الزمخشرى ، ولكن هذه الشروح وإن زادت فى اشتهاره ، وجد جدُها فى سيرورته فإنها جعلت تتحيف ناحيته البيانية بحيث طغت البلاغة الأعجمية على أسلوب التناول ، ونقول البلاغة الأعجمية وفقاً للاصطلاح المتداول الذى يعد مدرسة السكاكى ومن تلاه من القزوينى والسعد والسيد والقطب أقطاب هذه المدرسة ، مع أن المفهوم الجغرافى لهذه الأعجمية يدخل فيها عبد القاهر الجرجانى ، وهو رأس من رءوس المدرسة البيانية فى البلاغة ويعتبر امتداداً للجاحظ وأضرابه ،

(٤) الكشاف جـ ١ ص ١٤٢ سورة آل عمران ٣٥ .

وإذن فقد ساعدت شروح الكشاف على إطفاء البوارق النفسية اللامعة فى مجال الإيحاء البيانى إذ ووجهت بأعاصير المنطق والأصول وما يعرف بالحكمة العقلية !

وأصبحت البلاغة القرآنية فى هذه الشروح بعيدة عن التذوق الفنى ، ولو قدر لكتاب (المحرر الوجيز) لابن عطية أن يزدهر ازدهار الكشاف لمضى بالتفسير البيانى إلى معنى آخر ، ولكن الحظ الذى جعل كتاب « المفتاح » للسكاكى يحمل كتاب ابن الأثير « المثل السائر » فى مجال البحث البلاغى فتدور حوله وفى محيطه عشرات المؤلفات والشروح هو نفسه الحظ الذى باعد كتاب المحرر الوجيز عن الازدهار فأتاح للبيان التفسيرى أن يتحجر فى ظلال الحدود والتقسيمات والتفريعات ، وكلها مجادلات .. عقلية آلية ، ولفظية أخرى ، إن أفصحت عن مقدرة العقل فى التشقيق والتفريع فقد أظهرت ركود الروح الأدبى وأزهقت أنفاس التذوق البيانى ! وفى أى كتاب ؟ فى كتاب الله !!

يقول أستاذنا العلاّمة محمد الفاضل بن عاشور فى مجال الموازنة بين الكشاف والمحّرر[٥] .

« كان تفسير الزمخشرى فى المواطن الكثيرة التى يختلف فيها وجهُ تخريج الآية عند المعتزلة عنه عند أهل السنة التزاماً دفاعيّاً ، وكان تفسير ابن عطية فى تلك المواطن نقدياً هجومياً ، فكان يمثّل صوْلة الغالب العَتيد على المنهزم المتراجع ، ولقد قوى هذا فى تفسير ابن عطية بما أُضيفَ إليه من قوّة بيانية ترجع إلى شبابه وعروبته فإنّ الشباب [لدى ابن عطية] أفاده قريحةً متقّدة ، ونظرةً حادةً يتناول بهما موضوعه فى قوّة وسرعة ، ومتانة إلمام فيأتى بيانه محبوكاً منسجماً ، والعروبة أفادتْه طبعاً أصيلاً ، وسليقةً صافية ففاضَ بيانه قوياً هتافاً، سائغاً سلساً .

ولما اختلف عنه الزمخشرى بالشيخوخة والعجمة ، فإن أسلوبه البيانى قد جاء متثاقلاً مفككاً ، ومواضعه متفاوتة ، وتعبيره ثقيلاً كزاً ، ترهقه كلفة الصناعة مع نبوة الطبع » .

من مدرسة الكشاف

وإذا تركنا ما كتب من الحواشى والتقريرات على الكشاف لأعلام الباحثين ممن أشرنا إليهم من قبل ، فلابد أن نشير إلى بعض آثار الكشاف فيمن تصدوا للتفسير رأساً ، بعيداً عن التحشية والتقرير ، لأن هؤلاء قد انتفعوا بالزمخشرى فى ضوء معارفهم المتشعبة .

فالبيضاوى قد رجع فى تفسيره إلى أكثر ما قال الكشاف فى الحقل البلاغى بعيداً عن آراء الاعتزال ، وقارئه يشعر فى المجال البيانى أن البيضاوى يكاد يكون ناقلاً ، ولكن أىَّ ناقل ؟ إنه نقل الموجز المدقق الذى يكتفى بالكلمة عن السطر والحرف عن الكلمة ، والزمخشرى فى منحاه البيانى رجل إيجاز مقتضب ، فماذا نقول فيمن حاول أن يوجز الإيجاز لدرجة تصير فى بعض الأحيان ،

(٥) التفسير ورجاله لابن عاشور ص ٦٣ .

غموضاً ، على أنه لا يكتفى بالنظرة البلاغية وحدها بل يضيف زبدة مقتضبة مما وعاه من الفخر الرازى ، ولذلك كان تفسير البيضاوى أكثر حاجة إلى الشروح من تفسير الكشاف .

وقد عكف على شرحه أعلام كبار لا يقلون منزلة عمن عكفوا على شرح الكشاف ، وقد عدَّ صاحب كشف الظنون من شراح البيضاوى أكثر من خمسين شارحاً ! ومن أهمهم الشهاب الخفاجى وعبد الحكيم ، ولم يذكرهما صاحب كشف الظنون إذ مات قبل أن يكتبا شرحيهما الكبيرين .

وننقل أحد الأمثلة للتفسير البيانى من كتاب البيضاوى ليدل على منحاه : والنصّ من سورة النور :

قال الله تعالى ﴿ والَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ﴾(٦) والذين كفروا حالهم على ضد ذلك فإن أعمالهم الذين يحسبونها صالحةً ، يجدونها لاغية مخيبة فى العاقبة ، كالسراب وهو ما يرى فى الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن أنه ماء يسرب أى يجرى ، والقيعة بمعنى القاع ، وهو الأرض الخالية من النبات وغيره ، وقيل جمعه كجار وجيرة وقرى بقيعات كديمات ، ﴿ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ﴾ أى العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر به فى شدة الخيبة ، عند مسيس الحاجة ، ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ ﴾ جاء ما توهمه ماءً أو موضعه ، ﴿ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً ﴾ مما ظنه ﴿ وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ ﴾ عقابه أو زبانيته أو وجده محاسباً إياه ، ﴿ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ﴾ استعراضاً أو مجازاة ﴿ وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ لا يشغله حساب عن حساب .

﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ ﴾ عطف على كسراب وأو للتخيير ، فإن أعمالهم لكونها لاغيةً لا منفعة لها كالسراب ، ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكبة من لج البحر ، والأمواج والسحاب أو للتنويع فإن أعمالهم إن كانت حسنةً فكالسراب ، وإن كانت قبيحة ، فكالظلمات ، أو للتقسيم باعتبار وقتين كالظلمات فى الدنيا والسراب فى الآخرة .

وهذا مما يشير إلى منحى البيضاوى فى التفسير البيانى ، وإذا كان المفسرون من بعده قد سلكوا مذهبه فى الانتصار بالعلوم العقلية ، والإشارات الفلسفية ، والنكات الإعرابية فإن المد فى الحواشى الخاصة به قد بلغ أقصاه وزاد رحابة واتساعاً فى حاشيتى الشهاب الخفاجى وعبد الحكيم ، ومازالت مؤلفات هذه الأجيال تغزر و تتّسعُ وتمتد ، حتى تركت أمواجاً من الأفكار ما بين سؤال وجواب ، واعتراض ودفعه وقياس جدلى ، وشكّلٍ منطقى وكل ذلك يقرؤه متأمل التفسير حائراً فيما يأخذ ويدع .

وقد جاء العلامة أبو السعود العمادى ، ليستوعب ما أخرجته المتون والشروح والتقارير فى عالم التفسير من فنون ، وليكتب تفسيره الزاخر بعد أن تملأ تملؤاً واسعاً من كُلّ ما قرأ ، وكان من ظروف حياته أنه قرأ لتلاميذه دروساً فى الكشاف والبيضاوى وأفاض عليهم بما فتح الله به فى نطاق هذين التفسيرين ، ولابد أن لسانه كان متصل الحديث جياش المعانى فى شرحه ، حتى بدا له أن يستقل بمؤلف خاص فى التفسير يجمع

---

(٦) سورة النور : ٣٩ .

ما قرأ على كثرته ، ويضيف إليه ما يناسبه مما يستنبط ، والعمادى من تلاميذ هذه الكُتب ذات المنتمى الأعجمى ، وآراء السعد والسيد والقطب والفخر والزمخشرى والبيضاوى لا تزال تموج فى صدره إذ صادفت موضع ارتياحه حين شب عليها متعلماً ، ثم شرحها عالماً .

وهو فى الحقل البلاغى يخالف البيضاوى إذ لا يكتنز القول ، ولا يتوسط كالزمخشرى ، بل يزيد بنكات تجمع النحو إلى البلاغة إلى القراءات إلى المنطق فإذا أراد القارىء مِثالاً لشرحه البلاغى فإننا ننقل إليه ما كتبه عند تفسير قول الله عز وجل ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا ، فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ، وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾[7] وبيت القصيد فى التشبيه الذى تضمن ما قاله الموجزون ليمتد فى هذه العبارة : قال أبو السعود :[8]

فمثله كمثل الكلب ، لما أنه أخسّ الحيوانات وأسفلها ، وقد مثل حاله ، بأخس أحواله وأدلها حيث قال « إنْ تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث » أى مخالته التى هى مثل فى السوء ، كصفته فى أرذل أحواله ، وهى حالة دوام اللهث به فى حالتى البعد والراحة ، فكأنه قيل فتردى إلى ما لا غاية وراءه ، فى الخِسّة والدناءة ، وإيثار الجملة الإسمية على الفعلية ، بأن يقال : فصار مثله كمثل الكلب ، للإيذان بدوام اتصافه بتلك الحالة الخسيسة والخطاب فى فعلى الشرط لكل أحدٍ ممن له حظ الخطاب فإنه أدخل فى إشاعة فظاعة حاله ، واللهث إدلاع اللسان بالتنفس الشديد ، أى هو ضيق الحال مكروب دائم اللهث سواء هيجته وأزعجته بالطرد العنيف أو تركته على حاله ، فإنه فى الكلاب طبع لا تقدر على نفض الهواء المتسخن ، وجلب الهواء البارد ، بسهولة ، لضعف قلبها ، وانقطاع فؤادها ، بخلاف سائر الحيوانات فإنها لا تحتاج إلى التنفس الشديد ، ولا يلحقها الكرب والمضايقة إلا عند التعب والإعياء ، والشرطية مع أختها تفسير لما أبهم فى المثل ، وتفصيل لما أجمل فيه ، وتوضيح للتمثيل بيان وجه الشبه لا محل له من الإعراب على منهاج قوله تعالى : ﴿ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[9] إثر قوله ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ﴾[9] وقيل هى فى محل نصب على الحالية من الكلب بناء على خروجهما من حقيقة الشرط ، وتحولهما إلى معنى التسوية ، حسب تحول الاستفهامين المتناقضين إليه فى مثل قوله تعالى : ﴿ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾[10] كأنه قيل لاهثاً فى الحالتين ، وأياً ما كان فالأظهر أنه تشبيه للهيئة المنتزعة مما اعتراه بعد الانسلاخ من سوء الحال ، واضطرام القلب ، ودوام القلق والاضطراب وعدم الاستراحة بحال من الأحوال بالهيئة المنتزعة مما ذكر من حال الكلب .

---

(٧) سورة الأعراف : ١٧٥ ، ١٧٦ . (٨) الجزء الثانى من تفسير أبى السعود ص ٣١٩ ط دار العصور .
(٩) سورة آل عمران : ٥٩ . (١٠) سورة يس : ١٠ .

كتاب حسن المدد

فى معرفة فن العدد

تأليف الشيخ الإمام

أبى محمد برهان الدين إبراهيم الجعبرى تغمده
نقلا عن المخطوط رقم ٣٠٢ بدار الكتب المصرية



تحقيق فضيلة الشيخ

إبراهيم عطوة عوض

سورة الروم

مكية ،

وحروفها : ثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعة وثلاثون .

وَكَلِمُها : ثمانمائة وتسع عشرة .

وأيها : تسع وخمسون مكى ومدنى أخير ، وستون الباقى .

خلافها خمس : « الم » كوفى ، « غلبت الروم » غير مكى ومدنى اخير ، « بضع سنين » غيره وكوفى . « سيغلبون » غير مكى بخلف ، « يقسم المجرمون » مدنى أول ، قال ابن شنبوذ ومكى : بخلف .

ونظيرتها فى غير المكى والأخير « والذّاريات » .

وفيها مشبه الفاصلة موضعان : « بنصر الله » « حين - سون » .

وعكسه موضع : « يفرح المؤمنون » .

رَويها : (نمر)

وفواصلها :

الم - الروم - سيغلبون - المؤمنون - الرحيم - يعلمون - غافلون - لكافرون - يظلمون - يستهزئون - تُرجعون - المجرمون - كافرين - يتفرقون - يُحبرون - محضرون - تُصبحون - تُظهرون - تخرجون - تنتشرون - يتفكرون - للعالمين - يسمعون - يعقلون - تَخرجون - قانتون - الحكيم - يعقلون - ناصرين - يعلمون .

المشركين - فرحون - يشركون - تعلمون - يشركون - يقنطون - يؤمنون - المفلحون - الْمُضعِفُون - يشركون - يرجعون - مشركين - يَصَّدعون - يمهدون - الكافرين - تشكرون -

المؤمنين - يستبشرون - لمبلسين - قدير - يكفرون - مدبرين - مسلمون .

القدير - يؤفكون - تعلمون - يُستعتبون - مبطلون - يعلمون - يوقنون .

سورة لقمان

مكية .

قال ابن عباس : إلا ثلاثا، وعطاء إلا آيتين .

قال الأحبار - للنبى عليه الصلاة والسلام بالمدينة، قلتَ : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » أتعنينا أم قومك ؟ قال : « كُلاًّ قد عنيت » ، قالوا : وتتلوا أنا قد أوتينا التوراة وفيها بيان كل شيء ؟ فقال : « هى فى علم الله قليل » . ونزل : « ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده » إلى آخر الثلاث .

وحروفها: ألفان ومائة وعشرة .

وكلمها: خمسمائة وأربعون .

وأيُها: ثلاثون ، وثلاث حرمى ، وأربع فى الباقى .

وخلافها: ثنتان : "ألم" كوفى له وبصرى وشامى .

ونظيرتها فيهما: الأحقاف .

وفيها مشبه الفاصلة موضع « فى الدنيا معروفاً » وعكسه موضع « الحمير » .

ورويها « ظن مرد » .

وفواصلها :

آلم - الحكيم - للمحسنين - يوقنون - المفلحون - مُهين - أليم - النعيم - الحكيم - كريم - مبين - حميد - عظيم - المصير - تعملون - خبير - الأمور - فخور - الحمير - منير - السعير.

الأمور - الصدور - غليظ - يعلمون - الحميد - حكيم - بصير - خبير - الكبير - شكور - كفور - الغرور - خبير

سورة السجدة

مكية .

قال ابن عباس: إلا ثلاثا، قال الوليد - لعلىّ - رضى الله عنه - بالمدينة : أنا أبسط منك لسانا . وَأَحَدُّ سِنانا وَأَرَدُّ للكتيبة فقال له : اسكت فإنك فاسق . فنزل « أفمن كان مؤمنا » إلى « تُكَذِّبُونَ » .

وحروفها : ألف وخمسمائة وثمانية عشر .

وكلمها: ثلاثمائة وثلاثون .

وآيها : تسع وعشرون بصرى ، وثلاثون فى الباقى .

وخلافها : ثنتان : « آلم » كوفى « خلق جديد » حرمى وشامى .

ونظيرتها : فى المدنى الأول "الملك" و"نوح"، والأخير والمكى هى والكوفى ، والثانى « تبارك » و« الفجر » ، والبصرى : "الفتح والحديد ونوح وكُوِّرَتْ والفجر".

وفيها مشبه غير الفاصلة : ثلاثة : طين . يستوون . إسرائيل .

ورويها : « لمن » .

وفواصلها :

آلم - العالمين - يهتدون - تتذكرون -

تَعُدُّونَ ـ الرحيم ـ طين ـ مهين ـ تشكرون ـ كافرون .

ترجعون - موقنون ـ أجمعين ـ تعملون ـ يستكبرون ـ ينفقون ـ يعملون ـ يستوون ـ يعملون ـ تكذبون ـ يرجعون ـ منتقمون ـ إسرائيل ـ يوقنون ـ يختلفون ـ يسمعون ـ يبصرون ـ صادقين ـ يُنظَرون ـ منتظرون .

سورة الاحزاب

مدنية .

وحروفها : خمسة آلاف وسبعمائة وستة وتسعون .

كلمها : ألف ومائتان وثمانون .

آيها : ثلاث وسبعون .

نظيرتها ـ فى الشامى ـ "الزمر".

وفيها مشبه الفاصلة موضع « إلى أوليائكم معروفا » .

رويها : « ظن برزق قُدم له » .

وفواصلها :

حكيما ـ خبيراً ـ وكيلاً ـ السبيل ـ رحيماً ـ مسطوراً ـ غليظاً ـ أليماً ـ بصيراً ـ الظنونا ـ شديداً ـ غروراً ـ فراراً ـ يسيراً ـ مسئولاً ـ قليلاً ـ نصيراً .

قليلاً ـ يسيراً ـ قليلاً ـ كثيراً ـ وتسليماً ـ تبديلاً ـ رحيماً ـ عزيزاً ـ فريقاً ـ قديراً ـ جميلاً ـ عظيماً ـ يسيراً ● كريماً ـ معروفاً ـ تطهيراً ـ خبيراً ـ عظيماً ـ مبيناً ـ مفعولاً ـ مقدوراً ـ حسيباً ـ عليماً ـ كثيراً ـ وأصيلاً ـ رحيماً ـ كريماً ـ ونذيراً ـ منيراً ـ كبيراً ـ وكيلاً ـ جميلاً ـ رحيماً ● حليماً ـ رقيباً ـ عظيماً ـ عليما ـ شهيداً ـ تسليماً ـ مُهيناً ـ مبيناً ـ رحيماً ـ

قليلاً ـ تقتيلاً ـ تبديلاً ـ قريباً ـ سعيراً ـ نصيراً ـ الرسولا ـ السبيلا ـ كبيراً ـ وجيهاً ـ سديداً ـ عظيماً ـ جهولاً ـ رحيماً .

سورة سبأ

مكية .

وحروفها ثلاثة آلاف وخمسمائة واثنا عشر .

وكلمها : ثمانمائة وثلاث وثمانون .

وآيها: خمسون وأربع غير شامى ، وخمس فيه .

خلافها : آية « عن يمين وشمال » له .

ونظيرتها : فى الكوفى « فصلت » ، وتقدمت نظيرتها فى الحرمى والشامى « إبراهيم » .

وفيها مشبه الفاصلة : أربعة « معجزين » كلاهما « كالجواب » « ما يشتهون » .

وعكسه : موضع « قبلك من نذير » .

ورويها : « ظن لمدبر » .

وفواصلها :

الخبير ـ الغفور ـ مبين ـ كريم ـ أليم ـ الحميد ـ جديد ـ البعيد ـ منيب .

الحديد ـ بصير ـ السعير ـ الشكور ـ المُهِين ـ غفور ـ قليل ـ الكفور ـ آمنين ـ شكور ـ المؤمنين ـ حفيظ ـ ظهير ـ الكبير .

مبين ـ تعملون ـ العليم ـ الحكيم ـ يعلمون ـ صادقين ـ تَستقْدمون ـ مؤمنين ـ مجرمين ـ يعملون ـ كافرون ـ بمعذَّبين ـ يعلمون ـ آمنون ـ مُحضَرون ـ الرازقين ـ يعبدون ـ مؤمنون ـ تُكذِّبون ـ مبين ـ نذير ـ نكير .

شديد - شهيد - الغيوب - يُعِيد - قريب - قريب - بعيد - بعيد - مريب .

سورة فاطر

مكية :

حروفها: ثلاثة آلاف ومائة وثلاثون .

وكلمها : سبع مائة وسبع وتسعون .

وآيها : أربعون واربع حمصى ، وخمس حرمى إلا الأخير وعراقى ، وست دمشقى والأخير .

وخلافها : تسع : « لهم عذاب شديد » بصرى وشامى « تشكرون » « إلا نذير » غير حمصى « بخلق جديد » غير بصرى . وحمصى . « والبصير » « ولا النور » غير بصرى « أن تزولا » له « فى القبور » غير دمشقى . « تبديلا » بصرى وشامى والأخير .

ونظيرتها : فى المكى والأول « والنازعات » والحرمى إلا الأخير والعراقى « ق » والحمصى « سأل » وتقدمت نظيرتها فى البصرى . « الرعد » .

ورويها : « زادمن بر » .

وفواصلها :

قدير - الحكيم - تؤفكون - الأمور - الغَرور - السعير - كبير - يصنعون - النشور - يَبور - يسير - تشكرون - قِطْمِير - خبير .

الحميد - جديد - بعزيز - المصير - البصير - النور - الحَرور - القبور - نذير - نذير - المنير - نكير - سُود - غفور - تَبور - شكور - بصير - الكبير - حرير - شكور - لُغُوب - كفور - نصير - الصدور - خَسَارا - غرورا .

غفورا - نفورا - تحويلاً - قديراً - بصيراً .

سورة يس

مكية .

وحروفها : ثلاثة آلاف وعشرون .

وكلمها : سبع مائة وسبع وعشرون .

وآيها : ثمانون وثنتان غير كوفى ، وثلاث فيه .

خلافها : آية « يس » كوفى .

وفيها مشبه الفاصلة : موضع « رجل يسعى » ، وعكسه : ثنتان « من العيون » و« فيكون » .

ورويها : « نم » .

وفواصلها :

يس - الحكيم - المرسلين - مستقيم - الرحيم - غافلون - يؤمنون - مُقْمحون - يبصرون - يؤمنون - كريم - مبين - المرسلون - مرسلون - تَكْذِبُون - لَمُرسلون - المبين - أليم - مسرفون - المرسلين - مهتدون - تُرجَعون - يُنقِذون - مبين - فاسمعون - يعلمون - المكرمين

مُنزِلين - خامدون - يستهزئون - يرجعون - مُحضَرون - يأكلون - العيون - يشكرون - يعلمون - مُظلِمون - العليم - القديم - يَسبَحون - المشحون - يركبون - يُنْقَذُون - حين - تُرحَمون - معرضين - مبين - صادقين - يَخِصِّمون - يرجعون - ينسلون -

المرسلون ـ محضرون ـ تعملون ـ فاكهون ـ متكئون ـ يَدَّعُون ـ رحيم ـ المجرمون .
مبين ـ مستقيم ـ تعقلون ـ توعدون ـ تكفرون ـ يكسبون ـ يبصرون ـ يرجعون ـ يعقلون ـ مبين ـ الكافرين ـ مالكون ـ يأكلون ـ يشكرون ـ ينصرون ـ مُحضَرون ـ يعلنون ـ مبين ـ رميم ـ عليم ـ توقدون ـ العليم ـ فيكون ـ تُرجَعون .

سورة الصافات

مكية .

وحروفها : ثلاثة آلاف وثمانمائة وست وعشرون .

وكلمها : ثمانمائة وستون .

وآيها : مائة وثمانون وآية أبو جعفر وبصرى ، وآيتان فى الباقى .

وخلافها : أربع : « من كل جانب » غير حمصى « دحورا » له . « وما كانوا يعبدون » غير بصرى « وإن كانوا لَيَقُولون » غير أبى جعفر .

وفيها مشبه الفاصلة ستة « الملأ الأعلى » و« أم من خلقنا » . « ماذا ترى » « ما تُؤْمَر » « وعلى إسحق » . « وبين الجِنَّةِ نسبا » ، وعكسه ثلاثة : « وتلّه للجبين » « ياإبراهيم » « كيف تحكمون » .

ورويها : « فقدم نبر » .

وفواصلها : صفا ـ زجرا ـ ذكرا ـ لَوَاحد ـ المشارق ـ الكواكب ـ مارد ـ جانب ـ واصب ـ ثاقب ـ لازب ـ ويسخرون ـ يذكرون ـ يستسخرون ـ مبين ـ لمبعوثون ـ الأولون ـ داخرون ـ ينظرون ـ الدين ـ تُكَذِّبُون ـ يعبدون ـ الجحيم ـ مسئولون ـ تناصرون ـ مستسلمون ـ يتساءلون ـ اليمين ـ مؤمنين ـ طاغين ـ لذائقون ـ غاوين ـ مشتركون ـ بالمجرمين ـ يستكبرون ـ مجنون ـ المرسلين ـ الأليم ـ تعملون ـ المخلصين ـ معلوم ـ مكرمون ـ النعيم ـ متقابلين ـ معين ـ للشاربين ـ يُنْزَفُونَ ـ عِين ـ مكنون ـ يتساءلون ـ قرين ـ المُصَدِّقين ـ لمدينون ـ مطّلعون ـ الجحيم ـ لتردِين ـ المحضرين ـ بميتين ـ بمعذبين ـ العظيم ـ العاملون ـ الزَّقُوم ـ للظالمين ـ الجحيم ـ الشياطين ـ البطون ـ حميم ـ الجحيم ـ ضالين ـ يُهرَعون ـ الأولين ـ مُنذِرين ـ المنذَرِين ـ المُخلَصين ـ المجيبون ـ العظيم ـ الباقين ـ الآخرين ـ العالمين ـ المحسنين ـ المؤمنين ـ الآخَرين .
لإبراهيم ـ سليم ـ تعبدون ـ تريدون ـ العالمين ـ النجوم ـ سقيم ـ مدبرين ـ تأكلون ـ تنطقون ـ باليمين ـ يَزِفُّونَ ـ تنحتون ـ تعملون ـ الجحيم ـ الأسفلين ـ سيهدين ـ الصالحين ـ حليم ـ الصابرين ـ للجبين ـ ياإبراهيم ـ المحسنين ـ المبين ـ عظيم ـ الآخرين ـ إبراهيم ـ المحسنين ـ المؤمنين ـ الصالحين ـ مبين ـ وهارون ـ العظيم ـ الغالبين ـ المستبين ـ المستقيم ـ الآخرين ـ وهارون ـ المحسنين ـ المؤمنين ـ المرسلين ـ تتقون ـ الخالقين ـ الأولين ـ لَمُحْضَرون ـ المُخْلَصين ـ الآخِرين ـ إلْ يَاسِين ـ المحسنين ـ المؤمنين ـ المرسلين ـ أجمعين ـ الغابرين ـ الآخَرين ـ مصبحين ـ تعقلون ـ المرسلين ـ المشحون ـ المدحضين ـ مليم ـ المُسَبِّحين ـ يبعثون .

سقيم ـ يقطين ـ يزيدون ـ حين ـ البنون ـ شاهدون ـ لَيَقُولون ـ لكاذبون ـ البنين ـ تحكمون ـ تذكَّرون ـ مبين ـ صادقين ـ لَمُحْضَرون ـ يصفون ـ المخلصين ـ تعبدون ـ بفاتنين ـ الجحيم ـ معلوم ـ الصَّافُّون ـ المسبحون ـ لَيَقُولون ـ الأوّلين ـ المخلصين ـ يعلمون ـ المرسلين ـ المنصورون ـ الغالبون ـ حين ـ يبصرون ـ يستعجلون ـ المُنْذَرين ـ حين ـ يبصرون ـ يصفون ـ المرسلين ـ العالمين .

سورة ص

مكية ،لذكر الآلهة ، وقيل : مدنية .

وحروفها : ثلاثة آلاف وتسعة وستون .

وكلمها : سبعمائة وثنتان وثلاثون .

وآيها : ثمانون وخمس للجحدرى ، وست حرمى وشامى . وأيوب ، وثمان كوفى .

وخلافها : خمس « ذى الذكر » كوفى انفرد عمر بن مرّة عن الكوفى بـ « ص » . « وغوّاص » غير بصرى . « نبأ عظيم » غير حمصى . « والحقُّ أقول » . كوفى وحمصى وأيوب ، قال[1] حاتم ويعقوب . وقيل الجحدرى لا أيوب .

ونظيرتها : فى الشامى « غافر » ، وتقدمت نظيرتها فى الكوفى «القصص» .

وفيها مشبه الفاصلة : أربعة . « من ذكرى » « قوم نوح » « وعاد وقوم لوط » « لداود سليمان » .

ورويها : « صدَّ قطرب من لَجّ » .

وفواصلها :

الذكر ـ وشقاق ـ مناص ـ كذاب ـ عُجاب ـ يُراد ـ اختلاق ـ عذاب ـ الوهاب ـ الأسباب ـ الأحزاب ـ الأوتاد ـ الأحزاب ـ عقاب ـ فواق ـ الحساب ـ أواب ـ والإشراق ـ أواب ـ الخطاب ● المحراب ـ الصراط ـ الخطاب ـ وأناب ـ مآب ـ الحساب ـ النار ـ الفجار ـ الألباب ـ أواب ـ الجياد ـ بالحجاب ـ والأعناق ـ أناب ـ الوهاب ـ أصاب ـ وغوّاص ـ الأصفاد ـ حساب ـ مآب ـ وعذاب ـ وشراب ـ الألباب ـ أوّاب ـ والأبصار ـ الدار ـ الأخيار ـ الأخيار ـ مآب ـ الأبواب ـ وشراب . أتراب ـ الحساب ـ نفاد ـ مآب ـ المهاد ـ وغسّاق ـ أزواج ـ النار ـ القرار ـ النار ـ الأشرار ـ الأبصار ـ النار ـ القهّار ـ الغفّار ـ عظيم ـ معرضون ـ يختصمون ـ مبين ـ طين ـ ساجدين ـ أجمعون ـ الكافرين ـ العالين ـ طين ـ رجيم ـ الدين ـ يبعثون ـ المُنْظَرين ـ المعلوم ـ أجمعين ـ المخلصين ـ أقول ـ أجمعين ـ المتكلفين ـ للعالمين ـ حين .

سورة الزمر

مكية .

قال ابن عباس إلا ثلاثا فى وَحْشى قاتل حمزة . « قل ياعبادىَ الذين أسرفوا » .. إلى آخر الثلاث .

---

(١) يبدو ـ والله أعلم ـ قاله .

وحروفها : أربعة آلاف وسبعمائة وثمانية .
وكلمها : ألف ومائة وثنتان وسبعون .
وآيها : سبعون وثنتان حرمي وبصري ، وثلاث شامي ، وخمس كوفي .
وخلافها : سبع : « فيه يختلفون » الأول غير كوفي « له ديني » و« من هاد » الثاني له « فسوف تعلمون » . مع حمصي « فبشر عباد » غير مكي ومدني أول . « من تحتها الأنهار » لهما « له الدين » . والثاني كوفي ودمشقي .
وتقدمت نظيرتها في الكوفي « الأنفال » والشامي « الأحزاب » .
وفيها مشبه الفاصلة خمسة : « الدين الخالص » « بما كنتم تعملون » « كلمة العذاب » « متشاكسون » « جيء بالنبيين » .
وعكسه : موضع « له الدين » الأولى .
ورويها : « من لي بدر » .
وفواصلها :
الحكيم - له الدين - كفار - القهار - الغفار - تصرفون - الصدور .
النار - الألباب - حساب - الدين - المسلمين - عظيم - ديني - المبين - فاتقون - عباد - الألباب - النار - الميعاد - الألباب - مبين - هاد - تكسبون - يشعرون - يعلمون - يتذكرون - يتقون - يعلمون - ميتون - تختصمون .
للكافرين - المتقون - المحسنين - يعملون - هاد - انتقام - المتوكلون - تعلمون - مقيم - بوكيل - يتفكرون - يعقلون - تُرجَعون - يستبشرون - يختلفون - يحتسبون - يستهزئون - لا يعلمون - يكسبون - بمعجزين - يؤمنون الرحيم - تنصرون - تشعرون - الساخرين - المتقين - المحسنين - الكافرين - للمتكبرّين - يحزنون - وكيل - الخاسرون - الجاهلون - الخاسرين - الشاكرين - يشركون - ينظرون - يُظلَمون - يفعلون - الكافرين - المتكبرين - خالدين - العاملين - العالَمين .

سورة غافر

مكية .
وحروفها : أربعة آلاف وتسعمائة وستون .
وكلمها : ألف ومائة وتسع وتسعون .
وآيها : ثمانون وثنتان بصري .
وأربع حرمي وحمصي ، وخمس كوفي ، وست دمشقي .
وخلافها : تسع « حم » كوفي . « كاظمين » غيره . « التلاق » غير دمشقي « بارزون » له . « إسرائيل الكتاب » غير مدني أخير وبصري . وابن الجهم عن الشامي . « الأعمى والبصير » دمشقي والأخير « يسحبون » كوفي ودمشقي . « والحميم » مكي والأول « كنتم تشركون » كوفي ودمشقي .
وفيها مشبه الفاصلة تسعة : « شديد العقاب » « له الدين » . معا « لدى الحناجر » « من حميم » . « ولا شفيع » « وهامان وقارون » . « تولون مدبرين » . « يتحاجّون في النار » . « والسلاسل »
وعكسه موضعان : « يطاع » « تقوم الأشهاد » .
ورويها : « دبر من علق » .
وفواصلها : حم - العليم - المصير - البلاد - عقاب - النار - الجحيم - الحكيم -

العظيم ـ فتكفرون ـ سبيل ـ الكبير ـ ينيب ـ الكافرون ـ التلاق ـ القهار ـ الحساب ـ يطاع ـ الصدور ـ البصير .

واق ـ العقاب ـ مبين ـ كذاب ـ ضلال ـ الفساد ـ الحساب ـ كذاب ـ الرشاد ـ الأحزاب ـ للعباد ـ التناد ـ هاد ـ مرتاب ـ جبار ـ الأسباب ـ تباب ـ الرشاد ـ القرار ـ حساب ● النار ـ الغفار ـ النار ـ بالعباد ـ العذاب ـ العذاب ـ النار ـ العباد ـ العذاب ـ ضلال ـ الأشهاد ـ الدار ـ الكتاب ـ الألباب ـ الأبكار ـ البصير ـ يعلمون ـ تتذكّرون ـ يؤمنون ـ داخرين ـ يشكرون ـ تُوفكون ـ يجحدون ـ العالمين ـ العالمين .

العالمين ـ تعقلون ـ فيكون ـ يُصرَفون ـ يعلمون ـ يُسحَبون ـ يُسجَرون ـ تشركون ـ الكافرين ـ تمرحون ـ المتكبرين ـ يُرجَعون ـ المبطلون ـ تأكلون ـ تحملون ـ تُنكِرون ـ يكسبون ـ يستهزئون ـ مشركين ـ الكافرون .

سورة حم السجدة[٢]

مكية .

وحروفها : ثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسون .

وكلمها : سبعمائة وست وتسعون .

وآيها : خمسون وثنتان بصرى وشامى ، وثلاث حرمى ، وأربع كوفى .

وخلافها : ثنتان « حم » كوفى . و« عاد وثمود » حرمى وكوفى .

ونظيرتها : فى البصرى والشامى . « ن » والحمصى « الحاقة » وتقدمت نظيرتها فى الكوفى « سبأ » .

وفيها مشبه الفاصلة موضعان : « عذابا شديداً » « هدى وشفاء » .

ورويها « ظن طب ضرم صدر » .

وفواصلها :

حم ـ الرحيم ـ يعلمون ـ يسمعون ـ عاملون ـ للمشركين ـ كافرون ـ ممنون .

العالمين ـ للسائلين ـ طائعين ـ العليم ـ وثمود ـ كافرون ـ يجحدون ـ ينصرون ـ يكسبون ـ يتقون ـ يوزعون ـ يعملون ـ ترجعون ـ تعملون ـ الخاسرين ـ المعتبين .

خاسرين ـ تغلبون ـ يعملون ـ يجحدون ـ الأسفلين ـ توعدون ـ تدعُون ـ رحيم ـ المسلمين ـ حميم ـ عظيم ـ العليم ـ تعبدون ـ يسئمون ـ قدير ـ بصير ـ عزيز ـ حميد ـ اليم ـ بعيد ـ مريب ـ للعبيد .

شهيد ـ محيص ـ قنوط ـ غليظ ـ عريض ـ بعيد ـ شهيد ـ محيط .

سورة الشورى

مكية .

وحروفها : ثلاثة آلاف وخمسائة وثمانية وثمانون .

وكلمها : ثمانمائة وست وستون .

وآيها : تسع وأربعون بصرى بخلف ،

(٢) المعروفة بـ «فصّلت»

وخمسون حرمى . ودمشقى ، وآية حمصى، وثلاث كوفى .

وخلافها : أربع « حم » و« عسق » و« كالأعلام » . كوفى وحمصى فى الاتفاق ، وقال أيوب: أبدل بعض البصريين « عن كثير » الأول بـ « كالأعلام » .

ونظيرتها : فى الحرمى والدمشقى و« المرسلات » .

وفيها مشبه الفاصلة ستة : « أن أقيموا الدين » . « كبر على المشركين » « من كتاب » . « طرف خفى » . « عليهم حفيظاً » . « من يشاء عقيماً » .

ورويها : « قدم لصبٌ نزر » .

وفواصلها :

حم - عسق - الحكيم - العظيم - الرحيم - بوكيل - السعير - نصير - قدير - أنيب - البصير - عليم .

ينيب - مريب - المصير - شديد - قريب - بعيد - العزيز - نصيب - أليم - الكبير - شكور - الصدور - تفعلون - شديد .

بصير - الحميد - قدير - كثير - نصير - كالأعلام - شكور - كثير - محيص - يتوكلون - يغفرون - ينفقون - ينتصرون - الظالمين - سبيل - أليم - الأمور - سبيل - مقيم - سبيل - نكير - كفور - الذكور - قدير . حكيم - مستقيم - الأمور .

سورة الزخرف

مكية .

وحروفها: ثلاثة آلاف وأربعمائة .

وكلمها : ثمانمائة وثلاث وثلاثون .

وآيها : ثمانون وثمان شامى ، وتسع فى الباقى .

وخلافها : ثنتان « حم » كوفى « مهين » حرمى وبصرى .

وتقدمت نظيرتها فى الشامى .

وفيها مشبه الفاصلة موضع : « عن السبيل » وعكسه : اثنان « مُقْرِنِين » . « قرين » .

ورويها : « ملن » .

وفواصلها :

حم - المبين - تعقلون - حكيم - مسرفين - الأولين - يستهزئون - الأولين - العليم - تهتدون - تخرجون - تركبون - مقرنين - لمنقلبون - مبين - بالبنين - كظيم - مبين - وَيُسْئَلُون - يخرصون - مستمسكون - مهتدون - مقتدون .

كافرون - المكذبين - تعبدون - سيهدين - يرجعون - مبين - كافرون - عظيم - يجمعون - يظهرون - يتكئون - للمتقين - قرين - مهتدون - القرين - مشتركون - مبين - منتقمون - مقتدرون - مستقيم - تسئلون - يعبدون - العالمين - يضحكون - يرجعون - لمهتدون - ينكثون - تبصرون - يبين - مقترنين - فاسقين - أجمعين - للآخرين .

يصدون - خَصِمون - إسرائيل - يخلفون - مستقيم - مبين - وأطيعون - مستقيم - أليم - يشعرون - المتقين - تحزنون - مسلمين - تُحْبَرُون - خالدون - تعملون - تأكلون - خالدون - مبلسون - الظالمين - ماكثون - كارهون - مُبرِمون - يكتبون - العابدين - يصفون - يوعدون - العليم -

ترجعون - يعلمون - يؤفكون - يؤمنون - يعلمون .

سورة الدخان

مكية .

وحروفها : ألف وأربع مائة وأحد وثلاثون .

وكلمها : ثلاثمائة وست وأربعون .

وآيها : خمسون وست حرمى وشامى ، وسبع بصرى ، وتسع كوفى .

وخلافها أربع : « حم » ، و« ليقولون » كوفى . « الزقوم » غير مكي . وحمصى والأخير « فى البطون » غير دمشقى والأول .

ونظيرتها فيه « المدثر » .

وفيها مشبه الفاصلة : موضعان : « يُحْيِ ويميت » « بنى إسرائيل » .

ورويها « من » .

وفواصلها :

حم - المبين - منذرين - حكيم - مرسلين - العليم - موقنين - الأولين - يلعبون - مبين - اليم - مؤمنون - مبين - مجنون - عائدون - منتقمون .

كريم - أمين - مبين - ترجمون - فاعتزلون - مجرمون - متبعون - مغرقون - وعيون - كريم - فاكهين - آخرين - مُنْظَرِين - المهين - المسرفين - العالمين - مبين - ليقولون - بمنشرين - صادقين - مجرمين - لاعبين - لا يعلمون - أجمعين - ينصرون - الرحيم - الزقوم - الأثيم - البطون - الحميم - الجحيم - الحميم - الكريم - تمترون - أمين - وعيون - متقابلين - عِين - آمنين - الجحيم - العظيم - يتذكرون - مرتقبون .

سورة الجاثية

مكية .

وحروفها : ألفان ومائة وأحد وتسعون .

وكلمها : أربعمائة وثمان وثمانون .

وآيها : ثلاثون وست غير كوفى ، وسبع فيه .

وخلافها آية : « حم » كوفى .

نظيرتها فى غيره « المطففون » .

وفيها مشبه الفاصلة موضع : « أهْوَاء الذين » .

ورويها « من » .

فواصلها :

حم - الحكيم - للمؤمنين - يوقنون - يعقلون - يؤمنون - أثيم - أليم - مُهين - عظيم - أليم .

تشكرون - يتفكرون - يكسبون - ترجعون - العالمين - يختلفون - يعلمون - المتقين - يوقنون - يحكمون - يظلمون - تذكرون - يظنون - صادقين - يعلمون - المبطلون - تعملون - تعملون - المبين - مجرمين - بمستيقنين - يستهزئون - ناصرين - يُسْتَعْتَبُون - العالمين - الحكيم .

سورة الاحقاف

مكية .

وحروفها : ألفان وستمائة وأربع وأربعون .

وآيها : ثلاثون وأربع غير كوفى ، وخمس فيه .

وخلافها آية : « حم » كوفى . وتقدمت .

نظيرتها فى البصرى والشامى « الأحقاف » « لقمان » .

وفيها مشبه الفاصلة موضعان : « عذاب الهون » « ما يوعدون » .

ورويها : « نمر » .

وفواصلها :

حم ـ الحكيم ـ معرضون ـ صادقين ـ غافلون ـ كافرين ـ مبين ـ الرحيم ـ مبين ـ الظالمين ـ قديم ـ للمحسنين ـ يحزنون ـ يعملون ـ المسلمين ـ يوعدون ـ الأوّلين ـ خاسرين ـ يظلمون ـ تفسقون .

عظيم ـ الصادقين ـ تجهلون ـ أليم ـ المجرمين ـ يستهزئون ـ يرجعون ـ يفترون ـ منذرين ـ مستقيم ـ أليم ـ مبين ـ قدير ـ تكفرون ـ الفاسقون .

سورة محمد صلى الله عليه وسلم

مدنية .

وحروفها : ألفان وثلاثمائة وتسعة وأربعون .

وكلمها : خمسمائة وتسع وثلاثون .

وآيها : ثلاثون وثمان كوفى ، وتسع حرمى ودمشقى ، وأربعون بصرى وحمصى .

وخلافها سبع : « أوزارها » غير كوفى وحمصى . « فضرب الرقاب » . « فَشُدُّوا الْوَثاق » . « لا نتصر منهم » له « ويصلح بالهم » . « ويثبت أقدامكم » . غيره « لذة للشاربين » بصرى معه ، والكل فى « الصافات » .

ونظيرتها : فى الحرمى والشامى « القيامة » والحمصى « عم » .

وفيها مشبه الفاصلة سبعة : « إن تنصروا الله ينصركم » « فتعسالهم » « الذين من قبلهم » . « دمر الله عليهم » « قال ءانفاً » « لأريناكهم » « بسيماهم » .

ورويها « مل » اللام (أمثالها . وأقفالها). وقبل الميم « كاف » أو « ها » مضمومان .

وفواصلها :

أعمالهم ـ بالهم ـ أمثالهم ـ أعمالهم ـ بالهم ـ لهم ـ أقدامكم ـ أعمالهم ـ أعمالهم .

أمثالها ـ لهم ـ لهم ـ لهم ـ أهواءهم ـ أمعاءهم ـ أهواءهم ـ تقواهم ـ ذكراهم ـ ومثواكم ـ لهم ـ لهم ـ أرحامكم ـ أبصارهم ـ أقفالها ـ لهم ـ إسرارهم ـ وأدبارهم ـ أعمالهم ـ أضغانهم ـ أعمالكم ـ أخباركم ـ أعمالهم .

أعمالكم ـ لهم ـ أعمالكم ـ أموالكم ـ أضغانكم أمثالكم .

سورة الفتح

مدنية

وحروفها : ألفان وأربعمائة وثمانية وثلاثون .

وكلمها : خمسمائة وستون .

وآيها : تسع وعشرون .

ونظيرتها فى الكوفى « الحديد » و « كوّرت » ، والشامى هى و « نوح » ، والحرمى . إلاّ يزيد ـ « كوّرت » ، والبصرى و « الفجر » ، وتقدمت نظيرتها فى البصرىَ « المضاجع »[٢] .

(٢) سورة السجدة .

وفيها مشبه الفاصلة خمسة : « بأس شديد » . « أو يسلمون » . « آمنين » « ومقصرين » . « لاتخافون » .

ورويّها : (دِنْ لرب مز) .

وفواصلها : مبينا - مستقيما - عزيزا - حكيما - عظيما - مصيرا - حكيما - ونذيرا - وأصيلا - عظيما - خبيرا - بورا - سعيرا - رحيما - قليلا - أليما - أليما .

قريبا - حكيما - مستقيما - قديرا - نصيرا - تبديلا - بصيرا - أليما - عليما - قريبا - شهيدا - عظيما .

سورة الحجرات

مدنية :

وحروفها : ألف وأربعمائة وست وتسعون .

وكلمها : ثلاثمائة وثلاث وأربعون .

وآيها : ثمانى عشرة .

ونظيرتها : « التغابن » وفى الأخير « المزمّل » ، والشامى وافراد .

ورويّها « نمر » .

وفواصلها :

عليم - تشعرون - عظيم - يعقلون - رحيم - نادمين - الراشدون - حكيم - المقسطين - ترحمون - الظالمون - رحيم - خبير .

رحيم - الصادقون - عليم - صادقين - تعملون .

سورة ق

مكية :

وحروفها : ألف وأربعمائة وأربعة وسبعون .

وكلمها : ثلاثمائة وخمس وسبعون .

وآيها : خمس وأربعون :

ونظيرتها فى الشامى والأخير « والنازعات » ، وفى الحرمى والعراقى « فاطر » .

وفيها مشبه الفاصلة ثلاثة « ق » . « رزقا للعباد » « عليهم بجبار » .

وعكسه موضعان : « وثمود » « وإخوان لوط » .

ورويّها : (طب جظ صرد) الطاء لوط .

وفواصلها :

المجيد - عجيب - بعيد - حفيظ - مريج - فروج - بهيج - منيب - الحصيد - نضيد - الخروج - وثمود - لوط - وعيد - جديد - الوريد - قعيد - عتيد - تَحِيد - الوعيد - وشهيد - حديد - عتيد - عنيد - مريب - الشديد .

بعيد - بالوعيد - للعبيد - مزيد - بعيد - حفيظ - منيب - الخلود - مزيد - محيص - شهيد - لغوب - الغروب - السجود - قريب - الخروج - المصير - يسير - وَعِيد .

سورة الذاريات

مكية :

وحروفها : ألف ومائتان وسبعة وثمانون .

وكلمها : ثلاثمائة وستون كـ « النجم »

وآيها : ستون وتقدمت نظيرتها فى غير المكى « الروم » ورويّها : (فتاك معن)(٤)

---

(٤) كذا بالمصورة وبعودتنا إلى السورة الشريفة وجدنا الروى هكذا : أ - ق - ع - ك - ف - ن - م .

وفواصلها :

ذروا - وِقرا - يسرا - أمرا - لصادق - لـواقـع - الحُبُـك - مختلف - أفـك - الخراصون - ساهون - الدِّين - يفتنون - تستعجلون - وعيون - محسنين - يهجعون - يستغفرون - والمحروم - للموقنين - تبصرون - توعدون - تنطقون - المكرمين - منكرون - سمين - تأكلون - عليم - عقيم - العليم .

المرسلون - مجرمين - طين - للمسرفين - المؤمنـين - المسلمـين - الأليم - مبـين - مجنون - مليم - العقيم - كالرميم - حين - يَنظُرون - منتصرين - فاسقين - لَمُوسِعون - الماهدون - تذكرون - مبين - مبين - مجنون - طاغون - بملوم - المؤمنين - لِيعبـدون - يُطْعِمون - المتين - يستعجلون - يوعدون .

سورة الطور

مكية ، وحروفها : ألف وخمسمائة .

وكلمها ثلاثمائة واثنتان .

وآيها : أربعون وسبع حرمىّ ، وثمان بصرىّ ، وتسع كوفى وشامى .

وخلافها ثنتـان : « والطور » عـراقى وشامى « جهنّم دعًا » كوفى وشامى .

وفيها مشبه الفاصلة موضعان : « يوم يدعّون » . « سُرُر مصفوفة »

وعكسه ثلاثة : « لواقع » « ولكم البنون » « حين تقوم »ورويّها (رم عن)وفواصلها :

والطور - مسطور - منشور - المعمور - المرفوع - المسجور - لواقع - دافع - مَوْرا - سَيْرا - للمكذبين - يلعبون - دعًا - تُكذبون - تبصرون - تَعملـون - ونعيم - الجحيم - تعملون - عِين - رهين - يشتهون - تأثيم - مكنون - يتساءلون - مشفقين - السموم - الرحيم - مجنون - المنون - المتربصين - طاغون - يؤمنون - صادقين - الخالقون - يوقنون - المصيطرون - مبين - البنون - مثقلون - يكتبون - المكيدون - يشركون - مركوم - يصعقون - ينصرون - يعلمون - تقوم - النجوم .

سورة النجم

مكية :

وحروفها : ألف وأربعمائة وخمسة .

وكلمها : ثلاثمائة وستون « كالذاريات » .

وآيها : ستّون وآية غير كوفى وحمصى ، وثنتان فيهما .

وخلافها : ثلاث « من الحق شيئاً » كوفى « عَنْ مَنْ تولّى » شامى « الحيوٰة الدنيا » غير دمشقى .

وفيها مشبه الفاصلة موضع : « وتضحكون »ورويّها (نراه)[٥] .وفواصلها

هوى - غوى - الهوى - يوحى - القوى - فاستوى - الأعلى - فتدلى - أدنى - أوحى - رأى - يرى - أخرى - المنتهى - المأوى - يغشى - طغى - الكبرى - والعزّى - الأخرى - الأنثى - ضِيزَى - الهدى - تمنى - والأولى - ويرضى - الأنثى - شيئا[٦] - الدنيا - اهتدى - بالحسنى - اتقى - تولّى - وأكدى - يَرى - موسى - وفّى - أُخْرى - سعى - يُرى - الأوفى - المنتهى - وأبكى - وأحيا - والأنثى - تمنى - الأخرى - وأقنى - الشِّعرى - الأولى - أبقى - وأطغى - أهوى - غَشّىٰ - تتمارى - الأولى - الآزفة - كاشفة - تعجبون - تبكون - سامدون - واعبدوا .

---

(٥) كذا بالصورة وفى بصائر ذوى التمييز للفيروزبادى : « مجموع فواصل اياتها " واه " ... » .

(٦) ترك راس هذه الآية مع كونه معدودا عند الكوفى ولذلك اثبتناه - « المحقق » .



الإسلام والحياة الزوجية

● قال رسول الله - ﷺ - :

« ايما رجل صبر على سوء خلق امراته اعطاه الله مثل ما اعطى ايوب « عليه السلام » على بلائه ، وايما امراة صبرت على سوء خلق زوجها اعطاها الله من الأجر مثل ما اعطى أسية بنت مزاحم امراة فرعون » .

رواه ابو داود وابن حبان فى صحيحيهما .

وبعد : فمن سنن الله فى الخلق والتكوين - الزوجية ؛ فالزوجية - بمعنى قيام النوع واستمراره على ذكر وأنثى - عامة مطردة لا يشذ عنها عالم الإنسان .. والحيوان .. والنبات قال - سبحانه وتعالى :

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ الذاريات ٤٩ ، وقال سبحانه :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يس ٣٦ .

والزواج - بأسلوبه الشرعى فى الإسلام - هو النمط الذى اختاره الله - سبحانه - للتوالد والتكاثر ، واستمرار الحياة فى طهر بعد أن أعد كلا الزوجين لدور ايجابى فى تحقيق مقاصده ، وفى المقام أحاديث شريفة ، منها ما روى عن رسول الله - ﷺ - :

« يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ؛ فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » رواه البخارى .

وقوله - عليه الصلاة والسلام :

« تزوجوا فإنى مكاثر بكم الأمم ، ولا تكونوا كرهبانية النصارى »[1]

فالزواج هو الموئل الطبيعى الآمن لحياة طيبة تجمع إلى التواد والتراحم ترويح النفس ، وإيناسها وهو الاستجابة الطاهرة لمطالب النفس والروح ، ومن تمام رحمته تعالى ببنى آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم فتمت بذلك المودة والرحمة والمحبة . قال تعالى :



د . محمود محمد رسلان

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الروم - ٢١ .

ومن أجل ذلك كان التعاون بين أركان الأسرة الأساسية ، أمرا لازما وضروريا ، فالزوجة المسلمة بحق .. عون لزوجها على متاعب الحياة ؛ فهى تقوم منها بشطر كبير : إذ تدبر المنزل ، وترعى الأطفال ، وتتولى تربيتهم على النهج الذى وضعه الله تعالى .

وقيام المرأة بهذه المهام العظيمة يهيىء للرجل فرصة للسعى فى طلب الرزق ، وحسن القيام بواجب الله ، وواجب الأسرة ، والأمة والوطن .

قال ﷺ : « من رزقه الله امرأة صالحة ، فقد أعانه على شطر دينه ، فليتق الله فى الشطر الباقى[1] . فالإنسان وحده نصف ، لا يبلغ تمامه إلا إذا انضم إليه نصفه الآخر ، ومن ثم فإن فى رعاية الأهل ، والقيام بحقوقهم ، والصبر على أخلاقهم ، والسعى فى إصلاحهم ، وإرشادهم إلى ما ينفعهم فى دينهم ودنياهم ، والاجتهاد فى كسب الحلال لهم ، وحسن تربيتهم كل ذلك أمور عظيمة الفضل والثواب ، ومن أجل ذلك كان الساعى فى طلب الرزق له ولأسرته حاجا ، مجاهدا فى سبيل الله ، كما قال ﷺ :

« طوبى لمن بات حاجا ، وأصبح غازيا : رجل مستور ، ذو عيال ، متعفف ، قانع باليسير من الدنيا يدخلُ عليهم ضاحكا ويخرج منهم ضاحكا ، فوالذى نفسى بيده إنهم هم الحاجّون الغازون فى سبيل الله - عز وجل -[2] .

وفى كتب المالكية : أن تربية الأولاد أفضل من الحج ، والجهاد .

الهدف من اختيار الزوجة :

غاية الإسلام من اختيار الزوجة فقط إيمان الرجل والمرأة ، وإعداد الأسرة الصالحة ، لتكوين المجتمع الراقى ، ولذلك راعى فى اختيارها مجموعة من الصفات تؤهل الأسرة لهذه الغاية النبيلة ، وهاك أهم هذه الصفات :

أ - أن تكون صالحة ذات دين تصون به عرضها وأسرتها وأمتها .

ب - أن تكون ذات خلق حسن يحملها على البقاء فى بيتها للعناية بشئون زوجها وأولادها ، ومنزلها فى هدوء ودعة .

←

(١) رواه الطبرانى والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

(٢) رواه الديلمى عن أبى هريرة ، والحديث فى (زهر الفردوس) لابن حجر مخطوط بالهيئة العامة للكتاب رقم (٢٠٤٨٩) ب ص ٢٨٦ .

جـ ـ أن تكون مقبولة عند زوجها ، مرضيا عن شكلها ليتأتى التحصن المنشود ، وتتحقق الألفة المطلوبة ، ومن ثم يستحب للمرء النظر إلى وجه من يريد زواجها ويديها ، لما للوسامة من كبير الخطر ، وعظيم الأثر ، فى حياة الأسرة والأمة .

كما قال ﷺ : « خير نساء أمتى أصبحهن وجها ، وأقلهن مهرا »[٣] .

د ـ أن تكون الزوجة ولودا ؛ تحقيقا للقصد الهام من الزواج ، وهو النسل ، وتعرف الولود التى لم يسبق لها زواج بشبابها ، وصحتها ، وذوات قراباتها كأمها وأختها .

قال ﷺ : « تزوجوا الودود الولود ؛ فإنى مكاثر بكم الأمم »[٤] .

هـ ـ أن تكون الزوجة من بيت صلاح ودين وخلق كريم ؛ فعلى ذلك ستنشىء أولادها ، لذلك قال ﷺ : « تزوجوا فى الحُجْز[٥] الصالح ؛ فإن العرق دساس »[٦] يمتد إلى الأبناء كما يمتد إلى الآباء والأجداد .

وقال أيضا ﷺ : « تخيروا لنطفكم ؛ فإن النساء يلدن أشباه إخْوانهن وأخواتهن »[٧] .

وإذا كان الإسلام وضع شروطا فى الزوجة ، فكذلك فعل فى الزوج .

شــروط الــزوج :

على ولى المرأة أن يتحرى فيمن يريد زواجها منه :

أ ـ الدين وحسن الخلق .

ب ـ القدرة على القيام بحقها من مأكل وملبس ، ومسكن مع الاحتفاظ بمكانتها الاجتماعية .

جـ ـ السلامة من العيوب والأمراض ، والتقارب فى السن[٨] .

فإذا توافرت هذه الأمور فى طالب زواج كان كفؤا يجاب إلى طلبه ، قال ﷺ :

« ثلاث لا تؤخروهن : الصلاة إذا أتت ، والجنازة إذا حضرت ، والأيم إذا وجدت كفؤا »[٩] . وقال أيضا ﷺ :

« إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير ، قالوا : يارسول الله وإن كان فيه ؟ قال : إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه »[١٠] قال ذلك : ثلاث مرات .

---

(٣) الحديث استدل به الشيخ أمين الخولى فى الآداب الدينية الاجتماعية والحديث له روايات أخرى انظر المجموع : شرح المهذب جـ ١٥ ص ٢٠٩ تحقيق وتكملة الشيخ محمد المطيعى .

(٤) رواه أبو داود والنسائى عن معقل بن يسار رضى الله عنه .

(٥) الأصل .

(٦) والحديث لابن عدى فى الكامل عن أنس رضى الله عنه .

(٧) رواه ابن عدى ، وابن عساكر عن عائشة رضى الله عنها ، راجع الجامع الصغير برقم (١٠٢٤٨) .

(٨) الآداب الدينية الاجتماعية ص ١٧١ ـ ١٧٣ .

(٩) الحديث رواه الترمذى والحاكم فى المستدرك عن على رضى الله عنه والأيم : التى لا زوج لها بكرا كانت أم ثيبا ، والرجل أيم .

(١٠) رواه الترمذى ، وقال حديث حسن غريب .

فليس أساس التفضيل هنا المال ، بل صالح الأخلاق وكريم الأعمال ، فالفاسق ليس كفؤا للصالحة ولو كان غنيا .

قال ﷺ : « من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها »[11] . وقال رجل للحسن بن على رضى الله عنهما : إن لى بنتا فمن ترى أن ازوجها له ؟ قال : زوجها ممن يتقى الله ، فإن أحبها أكرمها ، وإن أبغضها لم يظلمها[12] .

ومن كان مصرا على الفسوق لا ينبغى أن يُزَوج[13] .

ولما كان الإسلام « يعلو ولا يُعْلى »[14] كما قال الرسول - ﷺ ، ولما أوردناه من حق القوامة للرجل أجمع العلماء على تحريم زواج المسلمة من غير المسلم .

حقــوق الزوجيــن :

لكل من الزوجين حقوق لدى الطرف الآخر يقابلها واجبات يضطلع بها كل منهما ، فمن حق الزوجة على زوجها :

أ - المعاملة الحسنة لقوله تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ النساء - ١٩ .

وقوله - ﷺ : « واستوصوا بالنساء خيرا »[15] .

وهذا يقتضى حسن المعاملة عن شعور بالواجب وحب فيه ، ولقد يقتضى ذلك كثيرا مداراة النساء وحسن سياستهن ، فلا غنى لأحدهما عن الآخر ، والمؤمن كَيِّس فَطِن ، ومن المحال أن يتحقق للإنسان كل ما ينشده ، وقد قال - ﷺ :

« لايَفْرَكُ[16] مؤمن مؤمنة : إن كَرِه منها خُلُقاً رضى منها آخر »[17] .

ب - الملاطفة والمداعبة : وعليه ممارسة ذلك ليطيب له قلب زوجته ، وقد كان رسول الله ﷺ يمزح مع نسائه ، قالت عائشة - رضى الله عنها :

« سابقنى رسول الله ﷺ فسبقته ، فلما حملت اللحم سابقنى فسبقنى ، وقال : هذه بتلك »[18] وقال - عليه الصلاة والسلام :

« كل شيء ليس من ذكر الله لهو ولعب إلا أن يكون أربعة : ملاعبة الرجل امرأته ، وتأديب الرجل فرسه ، ومشى الرجل بين الغرضين[19] ، وتعليم الرجل السباحة »[20] .

---

(١١) رواه ابن حبان فى الضعفاء من حديث أنس ، ورواه فى الثقات من قول الشعبى بإسناد صحيح .
(١٢) فقه السنة جـ ٦ ص ٤٩ .
(١٣) نفس المصدر .
(١٤) أخرجه الدارقطنى فى السنن .
(١٥) رواه البخارى .
(١٦) يفرك : يكره .
(١٧) رواه أحمد ومسلم .
(١٨) رواه ابن ماجة .
(١٩) الغرضان : صفا المتحاربين ، كل منهما غرض للآخر .
(٢٠) رواه الترمذى .

وينبغى أن تكون الملاطفة والمداعبة بقدر معتدل لا إسراف فيه باتباع هوى أو ضياع لكرامة ، وإلا ساءت العاقبة فصار الحاكم محكوما والتابع متبوعاً ، وإنما القياد للرجل ، قال تعالى :

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ تابع الآية الشريفة .

وكما لا يفرط الرجل فى الملاطفة والمداعبة فكذلك لا يفرط فى المخالفة والتزمت[٢١] ، فخير الأمور الوسط فإن ما يجاوز حده يثمر ضده .

جـ - الغيـــرة :

وهى طبيعة الإنسان السَّوِىّ ، وليست تكون سوية - من أى منهما - إلا إذا كانت معتدلة لا مبالغة فيها بإساءة الظن والتعنت ، وشدة التقصى عن العيوب ؛ فإن ذلك يفسد الزوجة ، ويجعل حياة الزوج جحيما .

وهى معتدلة طالما كان القصد منها ألا تقارف المرأة ما يمس عرضها وكرامتها ، أو يغض من مروءة الزوج أو مروءتها ، وما هو مطلوب من الزوجة هنا مطلوب أيضا من الزوج قال رسول الله - ﷺ - :

« إن الله - تعالى - يغار ، وإن المؤمن يغار ، وغيرة الله أن يأتى المؤمن ما حرم الله عليه »[٢٢] وقد نهى رسول الله - ﷺ - عن غيرة فى غير محلها ، قال عليه الصلاة والسلام :

« من الغيرة ما يحب الله ، ومنها ما يكره الله ، فأما ما يحب فالغيرة فى الريبة ، وأما ما يكره فالغيرة فى غير ريبة »[٢٣] .

د - الاعتدال فى النفقة

لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[٢٤] .

فالإسراف يطغى الزوجة ويرديها ، ويجعلها توغل فى شهواتها ، والتقتير يصيب الزوجة بالضجر والنفور . روى أبو داود عن حكيم بن معاوية القشيرى عن أبيه قال : قلت : يارسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال : « أن تُطعمها إذا طَعِمْتَ ، وتكسُوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه[٢٥] ولا تقبح ، ولا تهجر إلا فى البيت » حديث حسن صحيح رواه أبو داود .

حقوق الزوج على امرأته :

تتمثل هذه الحقوق فيما يلى :

١ - **الطاعة** : فى غير معصية الله ، وأن تجتهد فى إرضائه وسروره لقوله تعالى :

﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾[٢٦] .

---

(٢١) تكلف الوقار والتظاهر به .

(٢٢) رواه البخارى .

(٢٣) رواه أبو داود والنسائى وابن حبان عن جابر بن عتيرة .

(٢٤) الفرقان - ٦٧ .

(٢٥) ترميها بقبح بلفظ أو تشبيه أو سب .

(٢٦) النساء - ٣٤ .

وفى الحديث : « لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها »[٢٧] . ومن ثَمَّ يُعْرف عِظَمُ حق الزوج على زوجته فى تمام الطاعة الشرعية .

ب ـ الا تدخل احداً بيته إلا بإذنه

لقوله ﷺ : « لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ، ولا تأذن فى بيته إلا بإذنه »[٢٨] ومعنى شاهد : أى حاضر .

فكما لا يجوز للمرأة شرعا أن تصوم تطوعا وزوجها مقيم غير مسافر إلا بإذنه ، كذلك لا يجوز لها أن تدخل رجلا أجنبيا بيت الزوجية إلا بإذنه ولو كان صديقا أو قريبا له .

ولما ورد فى الحديث الشريف : « ألا إن لكم على نسائكم حقا ، ولنسائكم عليكم حقا ؛ فأما حقكم على نسائكم فلا يَأْذَنَّ فى بيوتكم لمن تكرهون ، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن »[٢٩] .

جـ ـ المحافظة على مال الزوج :

حث الإسلام المرأة على أن تحافظ على مال زوجها ، فلا ترهقه بمطالبها فتسوء حاله ، ولا تتصرف فى ماله إلا بإذنه ، لقوله ﷺ : « لا يجوز لامرأة عطية إلا أن يأذن زوجها »[٣٠] ، وقال أيضا ﷺ :

« لا يحل لها أن تُطْعم من بيته إلا بإذنه إلا الرطب من الطعام الذى يخاف فسادُه ؛ فإن أطعمت عن رضاه كان لها مثل أجره ، وإن أطعمت بغير إذنه كان له الأجر وعليها الوزر » .

د ـ عدم الخروج من المنزل إلا لضرورة وبإذن زوجها :

من حق الرجل على امرأته أن تلزم بيتها ؛ لأن عملها المنزلى لا يقل أهمية عن عمل الرجل فى الخارج ، فإذا خرجت لا تخرج إلا بإذنه ، لقوله ﷺ : « أيما امرأة خرجت من بيتها بغير إذن زوجها كانت فى سخط الله تعالى حتى ترجع إلى بيتها ، أو يرضى عنها زوجها »[٣١] .

وعلى المرأة أن يكون همها صلاح شأنها ، وتدبير بيتها ، وطاعة ربها ، قانعة من زوجها بما رزقه الله ، فتقدم حقه على حقها ، وحق سائر أقاربها حتى يرضى عنها فيرضى الله عنها .

لما ورد فى الحديث :

« أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة »[٣٢] .

(٢٧) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .
(٢٨) متفق عليه ، واللفظ للبخارى .
(٢٩) رواه الترمذى .
(٣٠) رواه أحمد .
(٣١) الحديث بفيض القدير رقم ٢٩٤٣ .
(٣٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن .

هـ - أن تعنى بأولادها خير عناية :

فتحسن تنشئتهم على العقيدة السليمة والخلال الحميدة ، والأفعال المجيدة .

ولتذكر الزوجة أنه ما من حق لها على زوجها إلا ويقابله واجب عليها نحوه ، والأمر كذلك عنده قال تعالى :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ البقرة - ٢٢٨ .

وممارسة الحياة الزوجية - فى ضوء الآية الكريمة والانصياع لها - اقرار لسعادة بيت الزوجية فلا ينقسم على نفسه ؛ فإن حدث انقسام أو اختلال ؛ فإنما جاء من متابعة هوى النفس والخروج عما أراد الله تعالى .

صبر أحد الزوجين على الآخر:

ليس شأن الحياة دائما أن تأتى موافقة لمراد الإنسان ، وطبائع البشر تأبى ذلك ؛ فلابد من توطين النفس على قبول ما يعترض الحياة الزوجية من خلاف ، ينشأ عن اختلاف وجهات النظر ، أو عن فهم غير سليم لتصرف ورد من الطرف الآخر أو لغير ذلك والرجل - باعتباره ، إسلاميا ، ربُ البيت ورأسه - فإنه مطالب بالصبر ، وحسن السياسة والتدبير فى كياسة .

قال - ﷺ :

« إن المرأة خلقت من ضلع ، لن تستقيم لك على طريقة ، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج ، وإن ذهبت تقيمها كسرتها ، وكسرها طلاقها »[٣٣] . وهذا ما يكرهه الإسلام ، ومن ثم قال ﷺ : « أيما رجل صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله مثل ما أعطى أيوب - عليه السلام - على بلائه[٣٤] وأيما امرأة صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله من الأجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم[٣٥] امرأة فرعون » .

فليس من ريب فى أن سوء خلق الزوجة يقضى على كل خير فضلا عما يبعث من ريبة وتأويل فى كل مظهر ، والمرأة التى تبنى سلوكها على جحد زوجها ، وكفر نعمته تخط لنفسها طريقا إلى النار . وذلك ضرب من الخسة ، قد يغرى بعض الناس بترك الإحسان[٣٦] ، وفى الحديث : « لا ينظر الله تبارك وتعالى إلى امرأة لا تشكر لزوجها ، وهى لا تستغنى عنه »[٣٧] .

---

(٣٣) رواه البخارى .

(٣٤) كان عليه الصلاة والسلام مضرب المثل فى الصبر ، وهو القائل - ﷺ : أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل ، والحديث استدل به الحافظ ابن كثير فى تفسيره ١٨٨/٣ ط / الحلبى .

(٣٥) هى مثل وحدها فى تفضيل الإيمان على ما سواه من أى نعيم فى الدنيا . اقرأ الآية (١١) من سورة التحريم .

(٣٦) راجع الإسلام عقيدة وشريعة .

(٣٧) رواه الحاكم .

وفى آخر : « أُريتُ النار فإذا أكثر أهلها النساء ، يَكْفُرْنَ ؛ قيل : أيكفرن بالله ؟ قال : لا ، يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئا قالت : ما رأيت منك خيرا قط »[٣٨] .

وليس على ذلك الحال يكون البيت المسلم ، إن البيت المسلم أسرة متماسكة ، وفى رحاب الأسرة المتماسكة تنمو الخلال الطيبة ، وتستحكم التقاليد الشريفة ، ويتكون الرجال الذين يؤتمنون على أعظم الأمانات ، وتتخطب النساء اللاتى يتأدبن فى أعرق البيوت ، ومن ثم كانت الأسرة هى اللبنة الأولى ، التى تتكون منها الأمة على خير حال وأسمى نموذج لأفرادها جميعا .

مكانة الأسرة فى المجتمع :

نوه القرآن الكريم بجلال نعمة الأسرة التى تعد نواة المجتمع الكبير فقال :

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ النحل ـ ٧٢ .

إن العلاقة بين الزوجين ـ قد نظمها الله ـ وما يترعرع فى أحضانها من أبناء لا يمثلون أنفسهم فحسب بل يمثلون حاضر أمة ومستقبلها . ومن ثم فإن الشيطان حين يفلح فى فك روابط أسرة إنما يوقع الأمة فى شر مستطير . تأمل هذا الحديث لتعرف أن فساد الأسرة قرة عين الشيطان !!

عن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إن ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة . يجىء أحدهم ، فيقول : فعلت كذا وكذا ، فيقول : ما صنعت شيئا ، ثم يجىء أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته ، فيدنيه منه ، ويقول : نعم أنت فيلتزمه »[٣٩] .

مكانة الأسرة الصالحة فى الدنيا والآخرة :

عرفنا أن الزواج القائم على تعاليم الله وسنة رسوله ﷺ ، ينبت ذرية صالحة ، قوية متماسكة ولما كانت الزوجة هى دعامة البيت السعيد ، وركنه العتيد ، فإن الروابط بين الأسرة ليست مقصورة على الدنيا ، بل إن شملها يلتئم مرة أخرى فى الدار الآخرة ، على نحو ما كانوا عليه فى الدنيا :

﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِم وَذُرِّيَّاتِهِم ﴾ . الرعد ـ ٢٣ .

وفى سبيل جمع الشمل ، لا بأس أن يلتحق الأبناء المقصرون بآبائهم المجدين .

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِنْ عَمَلِهِم مِن شَىْءٍ ﴾ الطور ـ ٢١ .

لذلك جعل الإسلام حماية الأسرة من أعظم الواجبات ، وتمهيد الطريق امامها من أفضل القربات ؛ فمن أراد اسرة صالحة فعليه بالإسلام ، ومن ينشد إصلاح المجتمع فعليه بالإسلام ، ومن يود صلاحهما معا فعليه بالإسلام .

---

(٣٨) رواه البخارى .

(٣٩) رواه مسلم ، واورده السيوطى فى جامع الاحاديث رقم ٤٨٧٢ .

الأذان بالحج

قال تعالى : ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ، وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ، ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ .

الحج من ٢٦ ـ ٢٩

قوله : (وَإِذْ) معمول لفعل مقدر تقديره : واذكر حين جعلنا لإبراهيم مكان البيت مباءة ومرجعاً يرجع إليه لعمارة البيت وبنائه . وللعبادة حيث يكون قبلة .

ويقال : بواه منزلاً أنزله فيه ، وقد أنزل الله إبراهيم مكان البيت ، وجعله مرجعاً ليوحد فيه رب البيت عن الشريك وليطهره وينظفه من الأصنام والأوثان .

وكان مكان البيت قد غمره الماء أيام الطوفان فطمس مكانه ، فأعلم الله إبراهيم مكانه حيث بعث ريحاً كشفت مكانه ، فبناه إبراهيم على وضعه الأول .

وقد روى أن الكعبة بنيت خمس مرات :

إحداها بناء الملائكة ، والثانية بناء إبراهيم ، والثالثة بناء قريش ، والرابعة بناء ابن الزبير ، والخامسة بناء الحجاج .

وقوله : ألا تشرك (أن المدغمة فى لا) مفسرة لبوأنا ، لأن بوانا متضمن لمعنى : تعبدنا ، لأن التبوئة إنما كانت للبناء وللعبادة كما بينا .

وقد تكون (أن) مصدرية وصلت بالنهى فى قوله : لا تشرك : أى : فعلنا ذلك لئلا تشرك بى فى العبادة شيئاً .

ومكان البيت : إما ألا يكون معموراً من قبل ، وكانوا يرمون فيه الأقذار فأمر إبراهيم ببناء البيت وتطهيره مما كان يرمى فيه .

وإما أن يكون معموراً ، وقد وضع الناس فيه الأصنام على مر الأجيال فأمر الله إبراهيم بتخريب المكان من الأصنام ووضع بناء جديد ليكون مكان عبادة الله أو المراد أنه بعد أن يتم البناء يطهره إبراهيم عما لا ينبغى أن يكون من الشرك وقول الزور .



المراد بالطائفين والقائمين والركع السجود :

١ ـ قال ابن عباس : الطائفون بالبيت من غير أهل مكة ، والقائمون : المقيمون بها والركع السجود : المصلون من الجميع .

٢ ـ وقيل : القائمون : هم المصلون ؛ لأن المصلى يكون قائماً فى الصلاة وراكعاً وساجداً .

***

(وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ) اى ناد فى الناس ، وادعهم إلى حج البيت والأمر فى ذلك قيل : هذا الأمر لإبراهيم عليه السلام .

قالوا لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت قال له سبحانه وتعالى « وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ » . قال : يارب . وما يبلغ صوتى ، قال : عليك الأذان وعلىّ البلاغ ، فصعد إبراهيم الصفا ، وفى رواية أبا قبيس وفى رواية ثالثة على المقام ، ثم قال إبراهيم : كيف أقول ، قال جبريل عليه السلام : قل : لبيك اللهم لبيك . فهو أول من لبىّ .

وفى رواية أنه صعد على الصفا فقال : ياأيها الناس إن الله قد كتب عليكم حج البيت العتيق فسمعه مابين السماء والأرض ، فما بقى شىء سمع صوته إلا أقبل يلبى يقول : « **لبيك اللهم لبيك** » »

وفى رواية : إن الله يدعوكم إلى حج البيت الحرام ليثيبكم به الجنة ، ويخرجكم من النار ، فأجابه يومئذ من كان فى أصلاب الرجال وأرحام النساء ، وكل من وصل إليه صوته من حجر أو شجر أو مدر ، أو أكمة أو تراب .

قال مجاهد : فما حج إنسان ولا يحج أحد حتى تقوم الساعة إلا وقد أسمعه ذلك النداء فمن أجاب مرة حج مرة ، ومن أجاب مرتين حج مرتين أو أكثر .

وقيل : من أتى مكة حاجاً فكأنه أتى إبراهيم عليه السلام ، لأنه يجيب نداءه الذى قال الله فيه « وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ »

٢ ـ وقيل : إن الأمر بالأذان بالحج إنما هو للنبى محمد صلى الله عليه وسلم وذلك فى حجة الوداع وينقض هذا الرأى أن السورة مكية ، وقد نزلت قبل حجة الوداع بأعوام كثيرة .

« يَأْتُوكَ » هذا جواب الأمر فى قوله : وأذن .

« رِجَالاً » جمع راجل كقيام جمع قائم بمعنى مشاة .

« وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ » عطف على « رِجَالاً » والمعنى : ويأتوك ركبانا على كل بعير مهزول أتعبه وزاد من هزاله بعد الطريق حين يأتى الركبان من الآفاق البعيدة والأقطار النائية « يَأْتِينَ » صفة لكل ضامر على معنى انه جمع ، وقرىء « يأتون » على أن يكون صفة للرجال والركبان جميعاً « مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ » والفج : الطريق الواسع . والعميق : البعيد العمق .

وقد ابتدأ فرض الحج على النبى محمد صلى الله عليه وسلم حين امره الله ان يؤذن بالحج ويعلم الناس كيفيته وكيفية أداء مشاعره .

وقد روى سعيد بن جبير : أجر الحاج الماشى والراكب فى حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم :

« **إن الحاج الراكب له بكل خطوة تخطوها راحلته سبعون حسنة ، وللماشى سبعمائة حسنة من حسنات الحرم** » .

قيل يارسول الله : وما حسنات الحرم ؟

قال : « **الحسنة بمائة ألف حسنة** » .

وتجلت حكمة الله فى أمر الناس بالحج فى

قوله تعالى : « **لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ** » دنيوية كالتجارة وأخروية ككسب المغفرة أو العفو أو هما معاً . واللام فى قوله « **لَهُمْ** » متعلقة بمحذوف صفة لمنافع أى : منافع كائنة أو حاصلة لهم .

« **وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ** » إن ذكر الله غاية لإتيان القادمين من كل فج عميق بعد انتفاعهم الدنيوى .

وقيل : إن قوله : ويذكروا اسم الله كناية عن النحر والذبح ، لأن المسلمين يظلون يذكرون اسم الله كلما نحروا أو ذبحوا . « **وكان المشركون يذبحون للنصب والأوثان** » وأما المسلمون فينحرون أو يذبحون لله ، ويتقربون إليه بذكر اسمه عند النحر أو الذبح وهذا هو الغرض من الذبح .

ما يقال عند الذبح :

١ ـ قال مقاتل : إذا ذبحت فقل « **بسم الله والله أكبر اللهم منك وإليك** » ، وتستقبل القبلة .

٢ ـ الكلبى : زاد على ذلك : « **إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين** » .

« **فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ** » :

١ ـ قال مجاهد وعطاء والحسن وقتادة ، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال به الشافعى وأبو حنيفة ، كل أولئك قالوا : إن الأيام المعلومات هى عشر ذى الحجة وذلك لأن الناس يعلمونها ويحرصون على علمها ، لأن وقت الحج فى آخرها حيث فى آخرها يوم التروية ويوم عرفة وبعده يوم النحر ، حيث يبدأ فى رمى الجمار ، وكذلك فيها تكثر المنافع ، حيث تكون الذبائح يوم النحر .

٢ ـ وروى عطاء عن ابن عباس ، وروى مسلم وقال به أبو يوسف ومحمد من أصحاب أبى حنيفة « **إنها يوم النحر وثلاثة ايام بعده** » .

***

أما الأيام المعدودات التى ذكرت فى قوله « **وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى** » فتلك الأيام هى أيام التشريق ويؤيد ما قيل من أن ذكر اسم الله فى الأيام المعلومات كناية عن الذبح والنحر وقوله تعالى بعد ذلك « **عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ** »

البقية ص ١٥٩٢



د. عبد الرحمن العدوى
كلية الشريعة والقانون - جامعة الأزهر

دراسة حول الوصية الواجبة :

وبدراسة نصوص القانون فى الوصية الواجبة وما تضمنته من أحكامها وشروطها وموانعها نجد أنها ميراث فى الحقيقة وإن سماها القانون بغير اسم الميراث ، فإن فيها كل الخصائص التى تجعلها ميراثا وليست وصية ومن أهمها :

١ - أنها لا تحتاج إلى إيجاب من الموصى بل تنفذ عليه من ثلث التركة جبراً دون أن ينشىء تمليكا مضافا إلى ما بعد الموت كما هو الشأن فى الوصية والتمليك جبراً شأن الميراث لا الوصية .

٢ - أن الوصية الواجبة تنفذ من تركة الميت ولو صرح قبل موته بمنعها فلا يسمع قوله فى المنع ، وهذا شأن الميراث لا الوصية .

٣ - أنها تدخل فى ملك الفرع جبراً عليه دون حاجة إلى قبوله ولا ترد برده وذلك من خصائص الميراث .

وقد قال الفقهاء « لا يدخل شىء فى ملك الإنسان جبراً عنه سوى الميراث فإنه يدخل فى ملك الوارث من غير إرادته » ولا كذلك الوصية فإنها لا تدخل فى ملك الموصى له إلا بقبوله فإن لم يقبلها بطلت ولا يجبر عليها .

٤ - أن الوصية الواجبة تتحدد بمقدار الميراث الذى يستحقه الأصل الذى مات على فرض حياته وينتقل الاستحقاق إلى فرعه ولا يترك تحديدها للموصى شأن الوصايا أو ورثته فى رأى من يقول بأن الوصية فرض على كل من ترك مالا[١] .

←

---

(١) وهو ابن حزم فى المحلى ص ٣١٢ ، ٣١٤ .

٥ - أنها تقسم بين المستحقين قسمة الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين ولو لم تكن ميراثا لجاز أن تتساوى فيها الأنصباء من غير نظر إلى تقسيم الميراث .

٦ - يحجب الأصل فيها فرعه كما هو الشأن فى الميراث . وإن كان لا يحجب فرع غيره .

٧ - يحرم الفرع منها إذا حرم أصله من الميراث بسبب من أسباب الحرمان فهى توريث لمن مات قبل مورثه[٢] ثم ينتقل إلى فرعه .

٨ - يشترط فى استحقاق الفرع لها الا يكون وارثا بنفسه حتى لا يجتمع له الميراث مرتين إحداهما بما يسمى « وصية واجبة » والأخرى ميراثه بسبب قرابته للمورث .

٩ - يجيز القانون الوصية للوارث فى حدود الثلث ولو لم يجز الورثة[٣] ، غير أنه خالف ذلك فى الوصية الواجبة فاشترط فيها أن يكون الفرع غير وارث . وهذا يدل على أن القانون لم يعتبرها كغيرها من الوصايا لما تتميز به من الخصائص التى تبعدها عن أن تكون وصية وتجعلها أقرب ما تكون إلى الميراث .

هذه الخصائص توشك أن تجعل « الوصية الواجبة » ميراثا وإن سميت بغير اسمه تفاديا لما يترتب على ذلك من محظورات شرعية سنتعرض لها قريبا .

ولقوة شبه الوصية الواجبة بالميراث قال أحد الشيوخ مدافعا عن الوصية الواجبة من منبر مجلس الشيوخ وفى حضرة صاحب الفضيلة مندوب وزارة العدل . قال ذلك الشيخ ما نصه :

« إن ابن الابن وإن نزل يعتبر كأنه يمثل الابن الأول الذى مات ، ويرث من المورث فيما يخرج من الثلث لأنها وصية فيأخذ نصيبه ملكا وهذا مالك له من أولاده بنت فإذا ماتت قبل أبيها يحتم القانون أن أولاد البنت ذكورا أو إناثا يمثلون أمهم ، ويرثون فى المورث ، ومتى ورثوا ورثوا ملكا وانتفاعا وينتقل إلى ورثتهم من بعدهم » .

قال هذا العضو هذا الكلام وعبر عن استحقاق الفروع بالميراث أكثر من مرة فى صدد الدفاع عن « الوصية الواجبة » ولم يعترض عليه أحد . غير أن العالم الكبير الشيخ محمد أبو زهرة استدرك على هذا التعبير بقوله : « بيد أن استحاق الفرع لا يستحقه ميراثا لمخالفة ذلك لنصوص القرآن والسنة المتضافرة بل يستحقه على أنه وصية تنفذ من التركة كلها وفى دائرة الثلث »[٤] ونقول : هذا من باب تسمية

(٢) انظر شروط الميراث ص ١٤ .
(٣) جاء فى المادة (٣٧) : تصح الوصية بالثلث للوارث وغيره .
(٤) أبو زهرة شرح قانون الوصية ص ٢١٧ .

الأشياء بغير أسمائها ولذلك نجد فضيلته فى موضع آخر يقول صراحة : « إن هذه الوصية مادامت لازمة فى ذاتها ، وأنها كالميراث ، أو هى ميراث قانونى وإن لم يكن شرعياً ، فالملكية ثبتت كالميراث بمجرد الوفاة وإذا ثبتت بمجرد الوفاة لم يكن للقبول بعد موضع ، ولم يكن للرد محل ، لأن الميراث لا يرد »[٥] وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه من أنها ميراث أو هى إلى الميراث أقرب .

بقى أن الوصية الواجبة لها شبه بغيرها من الوصايا فى أنها تنفذ من ثلث التركة وأن ما زاد على الثلث يحتاج إلى إجازة الورثة ، وهو شبه لا يقوى على معارضة الخصائص التى ذكرناها والتى تقربها من أن تكون ميراثا حتى عبر عنها أفاضل العلماء والشيوخ بأنها ميراث قانونى أى الزم به القانون الذى وضع لذلك .

المخالفات المترتبة على الوصية الواجبة :

وتوريث الفرع الذى مات أصله فى حياة مورثه بما يسميه القانون « وصية واجبة » يترتب عليه من المخالفات الشرعية ما يأتى :

١ ـ مساواة ذوى الأرحام مع العصبة بالغير فى استحقاقهم من التركة .

٢ ـ وتوريث ذوى الأرحام مع وجود من يحجبهم شرعا من ذوى الفروض أو العصبات .

مثال ذلك :

توفى عن ابن وبنت وبنت بنت ماتت فى حياة أبيها وترك ٢٤ فدانا فعلى القول بالوصية الواجبة : نفترض حياة البنت التى ماتت فيكون عدد البنات اثنتين وتوزع التركة على ابن وبنتين للذكر ضعف الأنثى فيكون للبنت سهم من أربعة = ٦ أفدنة تأخذها ابنتها والباقى ١٨ فدانا يقسم بين الابن وأخته فيكون للبنت الصلبية ٦ أفدنة وللابن ١٢ فدانا وذلك نصيب كل منهما بعد توزيع الباقى من التركة بعد الوصية الواجبة عليهما للذكر ضعف الأنثى : وقد ترتب على هذا :

أولا : تساوت بنت البنت فى الاستحقاق من التركة وهى من ذوى الأرحام مع البنت الصلبية فأخذت بنت البنت ربع التركة (٦ أفدنة) وأخذت البنت الصلبية من تركة أبيها نصيبا مساويا (٦ أفدنة) وهى عصبة بأخيها .

ثانيا : بنت البنت مع وجود البنت والابن فى هذه المسألة أخذت ربع التركة وهى فى الميراث محجوبة بهما لا ترث معهما شيئا ، وبذلك نكون قد ناقضنا نظام الحجب فى الميراث ، وقدمنا ذوى الأرحام عن مرتبتهم فأعطيناهم مع وجود الوارثين من أصحاب الفروض والعصبة النسبية ، وإن سمينا عطاءنا لهم باسم « الوصية الواجبة » .

● ● ●

٣ ـ إعطاء ذوى الأرحام فى حين أن ذوى الفروض محجوبون وهم أولى وأقرب .

←

(٥) نفس المرجع السابق ص ٢٢٠ .

مثال ذلك :

توفى عن ابن وأخت شقيقة وبنت بنت ماتت فى حياة أبيها وترك ٣٠ فدانا فعلى القول بالوصية الواجبة : نفترض وجود البنت التى ماتت فكأن الميت مات عن ابن وبنت وأخت شقيقة . ولما كانت الأخت الشقيقة محجوبة بالابن فإن التركة يتم توزيعها على الابن والبنت للذكر ضعف الأنثى فيأخذ الابن ٢٠ فدانا وتأخذ البنت ١٠ أفدنة تعطى لبنتها بالوصية الواجبة لأنها ثلث التركة .

وبهذا أعطينا بنت البنت من ذوى الأرحام ثلث التركة باسم الوصية الواجبة فى حين حجبنا الأخت الشقيقة التى هى أقوى منها قرابة لأنها من أصحاب الفروض أو عصبة مع الغير . وليس للأخت الشقيقة وصية واجبة تأخذ عن طريقها !!

فنكون بهذا الصنيع قد أعطينا الأبعد من الأرحام وهو بنت البنت ثلث التركة باسم الوصية الواجبة فى حين أن من هو أقرب منها محجوب بقواعد الميراث ، وذلك أشبه بالحيل التى يحتال بها على إعطاء من لا يستحق .

٤ - إعطاء الأبعد قرابة نصيبا من التركة أكثر من نصيب من هو أقرب منه إلى المتوفى . فتأخذ بنت الابن نصيبا بالوصية الواجبة أكثر من نصيب البنت الصلبية الذى تأخذه بالميراث .

مثال ذلك :

توفى عن أربع بنات وبنت ابن مات فى حياة أبيه وترك ٦٠ فدانا فعلى القول بالوصية الواجبة نفترض حياة الابن الذى مات ونقسم التركة على ابن وأربع بنات للذكر ضعف الأنثى فيأخذ الابن ٢٠ فدانا تأخذها ابنته بالوصية الواجبة لأنها تنفذ من ثلث التركة وتأخذ كل بنت صلبية من تركة أبيها (١٠) أفدنة لأن الباقى قسم عليهن بالتساوى فرضا وردا .

وبذلك نكون قد أعطينا بنت الابن من تركة جدها ضعف ما أخذته البنت الصلبية من تركه أبيها ، وأصبح نصيب البنت فى التركة نصف نصيب بنت الابن . ويكون هذا الظلم تحت شعار المعروف الذى تطمئن إليه النفوس والفطر . ولا تنبو عنه المصلحة ، والعدل الذى لا وكس فيه ولا شطط [٦] .

أى عدل وأى معروف هذا ؟!!

٥ - على القول بالوصية الواجبة ينفرد الفرع بكل ميراث أصله الذى مات فى حياة مورثه ولا يأخذ أصحاب الفروض الآخرون من هذا الميراث شيئا ، مما فرضه الله لهم .

مثال ذلك :

توفى عن ابنين وبنت ابن مات فى حياة أبيه ، وكان لهذا الابن الذى مات أم وزوجة بالإضافة إلى بنته .

فعلى القول بالوصية الواجبة تنفرد بنت الابن الذى مات بنصيب أبيها ومقداره ثلث التركة ولا ترث الزوجة ولا الأم شيئا مما

(٦) العبارات الواردة فى المذكرة التفسيرية لتبرير القول بالوصية الواجبة .

فرضه الله لهما . وذلك يخالف نص القرآن الكريم فى توريث الأم والزوجة مع أن الاستحقاق يثبت للفرع بالتلقى عن أصله ولا يستحق إذا كان أصله محروما من الميراث فالمال يثبت أولا للأصل ثم ينتقل إلى فرعه بالرغم من موت الأصل قبل موت مورثه .

فالأم لها فى هذه المسألة بنص القرآن السدس فرضاً : قال الله تعالى ﴿ فَإِن كَانَ لَهُ ولد فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ﴾ ، والزوجة لها الثمن : قال الله تعالى :
﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ﴾ .

هذا شرع الله فى توزيع نصيب الابن الذى مات على ورثته ـ إن كان له نصيب يستحقه ـ ولكن نظام الوصية الواجبة مع كل التجاوزات أعطى كل نصيب الابن لابنته وحرم الوارثين المذكورين مخالفا كتاب الله مخالفة صريحة ، ومن عجب أن هذا القانون يعطى هذا النصيب كله لبنت بنته ـ وهى من ذوى الأرحام ـ إذا ماتت البنت فى حياته ويحرم الأم والزوجة ـ وهما من أصحاب الفروض الوارثين بنص القرآن الكريم !!

لا يقال إنّ بنت الابن أخذت ذلك بالوصية الواجبة ، فقد بينا أنه ليس فيها من سمات الوصية إلا أنها تخرج من الثلث وجميع خصائصها تجعلها من الميراث .

• • •

٦ ـ فى الوصية الواجبة تتساوى فى الأخذ من التركة ـ الأنثى الأبعد درجة مع الابن العصبة بنفسه خروجا على نص القرآن الكريم الذى جعل للذكر مثل حظ الأنثيين .

مثال ذلك :

توفى عن ابنين وبنت ابن مات فى حياة أبيه والتركة ٦٠ فدانا فعلى القول بالوصية الواجبة نفترض حياة الابن الذى مات ونقسم التركة على ثلاثة أبناء لكل منهم ٢٠ فدانا تأخذها بنت الابن الذى مات بالوصية الواجبة ثم يقسم الباقى على الابنين بالتساوى لكل واحد منهما ٢٠ فدانا مثل نصيب الابن الذى مات .

وبذلك أحدثت الوصية الواجبة ما يأتى :

أولا : أخذت بنت الابن التى هى أبعد درجة من تركة جدها مثل ما أخذه الابن العصبة من تركة أبيه .

ثانيا : تساوت الأنثى مع الذكر من جهة البنوة وهى بعيدة وهو قريب مع أنها لو كانت أختا للذكر مساوية له فى البنوة لأخذت نصف نصيبه فكيف تكون بنت الابن أحسن حالا من البنت وكيف تتساوى الأنثى والذكر من جهة البنوة للميت فى الاستحقاق من التركة خروجا على حدود الله ومخالفة صريحة لقوله :
﴿ يُوصِيكُمُ اللهُ فِى أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ .

فأى وصية هذه التى تكون مقدمة على وصية الله فى أولادنا ومخالفة لها ، ثم تحمل شعار العدل والمعروف والرحمة بالضعفاء !! والله أرحم الراحمين .

٧ ـ الوصية الواجبة تجعل الوارث أسوأ حالا منه إذا كان غير وارث وقد أخذ بالقانون وصية واجبة .

مثال ذلك :

توفى عن بنت وابن وبنت ابن مات فى حياة أبيه وترك ٦٠ فدانا فعلى القول بالوصية الواجبة نفترض حياة الابن وتكون المسألة هكذا :

بنت وابنان

١ ٤ أصل المسألة من ٥

التركة = ٦٠ فدانا فيكون للبنت منها ١٢ فدانا وللابن ٢٤ فدانا ولما كان هذا النصيب يزيد على الثلث فإن ابنة الأبن الذى مات تأخذ الثلث ٢٠ فدانا ويقسم الباقى وقدره ٤٠ فدانا على الابن والبنت للذكر ضعف الأنثى :

فيكون نصيب البنت = ٤٠ ÷ ٣ = ١٣ ١/٣ فدانا

ويكون نصيب الابن = ١٣ ١/٣ × ٢ = ٢٦ ٢/٣ فدانا

هذا عند إعطاء بنت الابن نصيب أبيها فى حدود الثلث بالوصية الواجبة فإنها تأخذ ٢٠ فدانا وهى غير وارثة .

وفى حال ما إذا كانت بنت الابن وارثة لعدم وجود ابن للمتوفى فإن المسألة تكون هكذا :

بنت وبنت ابن توفى فى حياة أبيه .

فتكون المسألة من ٦ للبنت النصف (٣) ولبنت الابن السدس تكملة للثلثين[٧] .

ولعدم وجود ذوى فرض غيرهما أو عاصب فيرد باقى التركة عليهما وتقسم التركة للبنت ٣ أسهم ولبنت الابن سهم واحد .

التركة = ٦٠ فدانا .

قيمة السهم = ٦٠ ÷ ٤ = ١٥ فدانا

نصيب البنت = ١٥ × ٣ = ٤٥ فدانا

نصيب بنت الابن = ١٥ × ١ = ١٥ فدانا

من عجب أن بنت الابن فى حال عدم ميراثها لوجود الابن الذى يحجبها أخذت ٢٠ فدانا بالوصية الواجبة ، وفى حال ميراثها لعدم وجود الابن أخذت بالميراث ١٥ فدانا .

وبذلك يكون حالها فى عدم الميراث ـ بفضل هذا القانون ـ أفضل من حالها فى الميراث الذى شرعه الله لها ويكون حجبها بالابن أفضل من عدم حجبها ومن كونها وارثة .

وذلك وضع شاذ أحدثه نظام الوصية الواجبة إذ جعل الإنسان عند حجبه وعدم ميراثه أحسن حالا من استحقاقه الميراث الذى فرضه الله له ، فلعل بنت الابن هذه حين تكون وارثة تتمنى أن الله لم يورثها لتأخذ ما هو أكثر باسم القانون وعدله الذى يدعيه .

وملاحظة أخرى أن بنت الابن فى عدم ميراثها وفى أخذها نصيب أبيها بالوصية الواجبة أخذت ٢٠ فدانا بينما أخذت البنت الصلبية بالميراث ١٣ ١/٣ فتكون بنت الابن غير الوارثة أحسن حالا من البنت الصلبية الوارثة بشرع الله وذلك وضع شاذ كذلك .

(٧) وهو قضاء النبى ﷺ كما رواه ابن مسعود فى صحيح البخارى مع فتح البارى جـ ١٢ ص ١٧ حديث رقم ٦٧٣٦ .

وبهذا قد فضلنا غير الوارث على الوارث ، وفضلنا بنت الابن على البنت ، وجعلنا نصيب البنت من تركة جدها أفضل من نصيب البنت من تركة أبيها وهى أوضاع غير مقبولة ولا مشروعة أحدثها نظام الوصية الواجبة .

٨ ـ استحدث نظام الوصية الواجبة قاعدة جديدة فى الحجب فقد جاء فى المادة (٧٦) ب : « على أن يحجب كل أصل فرعه دون فرع غيره » .

فعلى هذه القاعدة المستحدثة فإن ابن الابن الذى مات فى حياة أبيه يحجب ابنه إن وجد ولا يحجب ابن ابن ابن آخر مع أنهم جميعا من جهة البنوة ، وهو نظام جديد فى الحجب لم يقل به أحد من الأئمة فإن الأقرب من جهة واحدة يحجب الأبعد منها فالابن يحجب ابن الابن سواء كان أو ابن ابنة أخيه وابن الابن يحجب ابن ابن الابن وهكذا .

٩ ـ الوصية الواجبة أبطلت أغراض الموصى فى الوصايا الاختيارية ، فالوصية الواجبة حين تستغرق الثلث لا تنفذ معها وصية أخرى مع أن الله قد تصدق على ذوى الأموال بثلث أموالهم رحمة منه وفضلا قال ﷺ : « إن الله تصدق عليكم بثلث أموالكم زيادة فى أعمالكم فضعوه حيث شئتم أو حيث أحببتم » رواه البخارى .

وابن حزم الذى قال إن الوصية فرض على كل من ترك مالا يقول :

« ولولا أن الله تعالى أذن لنا فى الوصية بعد الموت لما جاز لنا أن نوصى بشىء ، فأباح الله تعالى لنا الثلث فما دونه ، فكان ذلك مباحا ولم يبح أكثر فهو غير مباح »[٨] .

فهل أباح الله إجبار ذى المال على أن ينصرف جزء من ماله بغير اختياره إلى غير وارث دون أن يوصى به ؟ وهل أباح الله أن نبطل ما أوصى به لتنفيذ ما لم يوص به إذا استغرق الثلث ؟ وهل أباح الله أن يحرم الإنسان من استدراك ما قصر فيه من الفرائض والواجبات فلا تنفذ وصيته بأدائها إذا استغرقت الوصية الواجبة التى لم يوص بها ثلث التركة ؟ كل هذا يقول به قانون الوصية .

إن فى هذا إبطالا لما أذن الله فيه وحرمانا للمرء من تدارك ما وجب ابراء للذمة أو للاستزادة من عمل الخير ، وحجزا على ما تصدق الله به على لسان رسوله ﷺ .

وقد أبدى أحد أساتذة الفقه رأيه فى هذا القانون فقال :

« إن هذا القانون حدث فى الإسلام مخالف لما أجمع عليه المسلمون من لدن رسول الله ﷺ إلى أن جاء الزمن الذى وجد فيه من وضعوا هذا القانون ، فلفقوه تلفيقا لا يتفق مع عدالة التشريع الإسلامى فى توزيع التركات التى تولاها الله بنفسه ، ولم يكلها إلى أحد من خلقه . فهو قانون زيادة على فرائض الله تعالى ، وإلزام بما لم يلزم به نص من كتاب الله تعالى ، أو سنة رسوله ﷺ .

←

---

(٨) المحلى لابن حزم جـ ٩ ص ٣١٩ .

الوصية الواجبة

وقد رأيت فى تطبيق الكثير من مسائله أن فرع الوارث البعيد قد يأخذ بموجب هذا القانون من تركة المورث أكثر مما يأخذ الأقرب منه إليه ، وهذا جور وركس وشطط يترتب عليه تضييع حقوق على أصحابها ، وإعطاؤها لغير مستحقيها ، مما يتنافى مع الحث الشديد على دقة العمل بفرائض الإرث وعدم الحيدة عنها .. إلى أن قال : فقد تضرر به ورثته الأقربون عصبة كانوا أو أصحاب فروض مما يوغر صدورهم ويوقع العداوة والبغضاء بينهم مما يرد على واضعى القانون زعمهم أن فيه رحمة بمن حرمهم الله .

فهل هم أرحم من الله بعبادته ؟

﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيراً ﴾(٩)

إن الوصية الواجبة كما جاءت فى القانون تعطى فرع الولد الذى مات فى حياة أبيه النصيب الذى كان يستحقه أصله لو لم يمت قبل مورثه ، والفرع يأخذ هذا النصيب سواء أكان محتاجا إليه أم ليس فى حاجة إليه ، فيأخذ الفرع نصيب أصله فى حدود الثلث ولو كان أيسر حالا من أعمامه وعماته أولاد المتوفى ، مع أن جمهور الذين قالوا بأن الوصية للأقارب واجبة يشترطون احتياجهم إليها فقد نقل عن ابن مسعود أنه يرى الوصية للأفقر فالأفقر فالواجب عنده أن تكون الوصية لأفقر الأقربين غير الوارثين ، وعن طاووس أنه قال إن الأقارب إن كانوا محتاجين انتزعت الوصية من الأجانب وردت إليهم .

وبعض الذين قالوا إن الوصية للأقارب غير الوارثين واجبة لم يشترطوا الاحتياج ، والحق أننا إن أخذنا بالوجوب يجب أن نعتبر الاحتياج وهو المبرر الذى استند إليه القانون فى إعطاء هذه الفروع ثم لم يشترطه عند الإلزام بالوصية لهم .

والأصل فى الوصايا أنها من باب الخير والصدقات فقد شرعها الله رحمة بعباده لتدارك ما قصروا فيه من عمل البر والمعروف ، فإذا كان هناك وصية واجبة كان يجب أن تكون ملائمة مع غرض الشارع من الوصايا التى شرعها الله ليكتسب الموصى عن طريقها الثواب الذى فاته ويؤدى الواجب الذى فرط أو قصر فيه ، فكان على القانون أن يجعل الوصية الواجبة للأقارب فى فقرائهم دون أغنيائهم وهو أمر لم يلتفت إليه واضعو القانون ، فلم يجعلوها لفقراء الأقارب وقصروها على فرع الولد دون سائر الأقرباء .

ويحسن بنا فى هذا المقام أن نذكر رأى عالم جليل فى هذه الوصية الواجبة فننقل عبارته بنصها قال :

« إن هذا القانون زيادة على فرائض الله سبحانه ، وإنه إلزام بما لم تلزم به نصوص الكتاب الكريم ، ولا مأثور السنة النبوية الشريفة ، ولم يؤثر عن المشهورين من فقهاء الصحابة ، ولم يذكره أحد من جمهور الفقهاء . اللهم إنا قد أدينا أمانة العلم وأطنبنا فى البيان لكى نخرج من الربقة ولا نتحمل التبعة والله على ما أقول شهيد »(١٠) .

---

(٩) عبد العظيم فياض فى كتاب نظام المواريث فى الشريعة الإسلامية ص ٢٩١ طبعة ١٩٥٥ م .

(١٠) أبو زهرة فى كتاب شرح قانون الوصية ص ٢١٩ طبعة ١٩٥٠ م .

وقال فى موضع آخر : « إن هذا الجزء من قانون الوصية قد وضعه المقنن المصرى غير معتمد على أصل أو رأى من مذهب من المذاهب الأربعة ، بل على أى مذهب من المذاهب الإسلامية إلا شيئا تعلق به من رأى لابن حزم فى جواز أن ينفذ القاضى بعض الوصايا من تلقاء نفسه وينفذ ما بينه له ولى الأمر .

وعلى ذلك يصح لنا أن نقول فى حق إن ذلك التنظيم قانون وضعى يجرى فى تفسيره ما يجرى فى تفسير القوانين »[11] .

وقد بينا فيما تقدم ما أحدثه هذا القانون الوضعى الذى لم يعتمد على أصل شرعى من مخالفات خطيرة فى أنصباء الوارثين وترتيب المستحقين وغير ذلك خروجا على ما ألزم الله المسلمين به فى كتابه وسنة رسوله وإجماع الأمة .

وإذا كان هذا هو رأى العلماء الأجلاء والفقهاء الفضلاء فى قانون الوصية إجمالا فإن ما قدمنا من تفصيل لبعض[12] مسائله التى خالفت شرع الله وأعطت من لا يستحق وخرجت على قضاء رسول الله ﷺ ما يؤيد هذا الرأى عن بينة وبصيرة ، وهو ما يدعونا - مخلصين - للمطالبة بإعادة النظر فى هذا القانون وتفادى تلك المحاذير والالتزام بشرع الله ووصاياه وفرائضه وحدوده فإن ذلك هو العدل الذى لا عدل وراءه .

﴿ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[13] .

نتيجـــــة :

وبعد فإن الأخذ بنظام الوصية الواجبة على نحو ما جاء به القانون يترتب عليه المخالفات الشرعية الآتية :

١ - مساواة ذوى الأرحام مع العصبة بالغير فى الأخذ من التركة .

٢ - إعطاء ذوى الأرحام مع وجود من يحجبهم شرعا من ذوى الفروض والعصبات .

٣ - إعطاء ذوى الأرحام من التركة فى حين أن ذوى الفروض محجوبون عن الميراث منها وهم أولى وأقرب .

٤ - إعطاء الأبعد قرابة نصيبا من التركة أكبر من نصيب من هو أقرب منه .

٥ - الخروج على إجماع المسلمين فى عدم توريث ذوى الأرحام عند وجود ذى فرض أو عصبة .

٦ - ينفرد فرع الولد الذى مات بكل ما يستحقه أصله ، ولا يأخذ باقى الورثة أصحاب الفروض شيئا مما فرضه الله لهم .

٧ - تتساوى الأنثى الأبعد درجة مع الابن الأقرب منها الذى من شأنه أن يحجبها عن الميراث .

٨ - الوارث بشرع الله يكون فى بعض المسائل أسوأ حالا مما لو كان غير وارث وأخذ نصيبه بالوصية الواجبة .

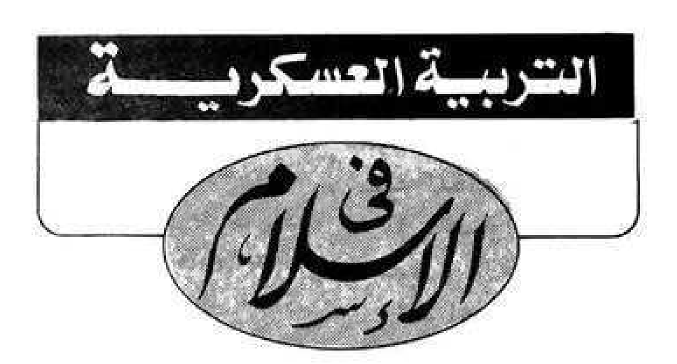
٩ - مخالفة صريحة لقضاء رسول الله ﷺ .

---

(١١) نفس المرجع ص ٢١٤ .

(١٢) توجد مسائل أخرى للتجاوزات والمخالفات لم نكتبها فى هذا البحث حتى لا يطول وفيما ذكر كفاية .

(١٣) آية رقم ١١ من سورة النساء .



إذا ذكرنا موضوع التربية العسكرية ، اتجه فكر الكثيرين إلى القوات المسلحة ظنا منهم أن أمور الطاعة والانضباط والنظام وتحمل المشاق والشجاعة أمور خاصة بالقوات المسلحة وحدها وتتطلبها طبيعتها .

لكن هذا الظن بعيد عن الصواب ، فالتربية العسكرية فى نظر الإسلام أمر عام يتعلق بالإنسان المسلم فى أى مجال من مجالات العمل سواء فى الحياة المدنية أم الحياة العسكرية ، وهذا مبدأ ينفرد به الإسلام ، فالإسلام لا ينتظر حتى يشب الفتى ويكبر ويلتحق بالجيش فيبدأ بغرس هذه القيم فيه ، بل هو يبدأ فى ذلك منذ وقت مبكر جدا فى مرحلة التنشئة وبناء الشخصية .

ولعل إهمال هذا المبدأ هو مصدر ما نلمسه من شكوى الناس من ضعف الانضباط وسوء النظام فى بعض مجالات العمل المدنى إلى الحد الذى نجد معه من الناس من ينادى بأن تتولى القوات المسلحة بعض المهام المدنية على أساس أن ما تتمتع به من نظام وانضباط فى عملها يمكنها من انجازها بسرعة وكفاءة . ويحاول المصلحون تنمية وعى الانضباط والطاعة والنظام فى المجتمع ، فلا يحرزون نتائج مرضية ، وسبب ذلك أنهم تأخروا فى دعوتهم فبدأوا بها بعد فوات الأوان المناسب . هذا الأوان الذى يحقق التربية العسكرية للمسلم منذ نعومة أظفاره كما يدعو الإسلام .

إن الإنسان إذا دخل مرحلة الشباب « بعد سن العشرين » دون أن تتم تربيته خلال مرحلتى الطفولة والمراهقة، فقد فات الأوان ، ويصبح المطلوب حينئذ هو « العلاج » وليس التربية ، وفى ذلك يقول فضيلة الأستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى : « هناك مشكلة تتمثل فى أننا نقول : « تربية الشباب » بينما يجب أن نقول « علاج الشباب » ، لأن هناك فارقاً بين التربية التى تقى من الآفات ، والعلاج الذى يواجه الآفات ، فإذا كان الشباب فيه آفات ، فاعلم أن مرحلة من مراحل حياته قد مرت دون أن يربى .

وها هو ذا أحد القادة العسكريين المشهورين وهو الجنرال مارشال الأمريكى

لواء / أ / ح
محمد جمال الدين محفوظ

يقول فى كتابه « الجنود فى مواجهة النيران » : « إذا رغبنا فى الحصول على الجندى الصالح للقتال فيجب أن تتجه أنظارنا إلى مهد الطفل عندما تنشئه أمه ليكون رجلاً ، وإلى المدرسة حيث يتعلم كيف يضحى بمصالحه الشخصية من أجل الوطن ، وفى أروقة الحكومة حيث ينبثق فى قلوب الشعب وعى صادق عن الواجب .

فهذه شهادة قائد واسع الخبرة بشئون الحرب والقتال أدرك ما لمرحلة التنشئة وبناء الشخصية من أثر كبير فى تشكيل سلوك الأفراد فى القتال فوصل إلى ما يقترب به من المبدأ الذى قرره الإسلام منذ أربعة عشر قرنا .

فالمسلم الذى يتربى على منهج الإسلام فى التربية وبناء الشخصية ، ينشأ منذ صغره على قيم الطاعة والانضباط والنظام وتحمل المسئولية ووعى الأمن وغيرها من محتويات التربية العسكرية ، ومثل هذه الشخصية تدخل الحياة بكل أنشطتها المدنية والعسكرية وهى تحمل فى وجدانها تلك السجايا ، فنستطيع أن نلمسها بوضوح فى سلوك العامل والصانع والمعلم والموظف والجندى والقائد وغيرهم فى كل مجالات الحياة .

منهج الإسلام

والحق أن الإسلام يقرر للتربية العسكرية خير المناهج على الإطلاق ، ويكفى أن نقارن حال العرب قبل الإسلام بحالهم بعد الإسلام ، ثم نبحث عن سر ذلك التحول العظيم الذى حدث للعرب بعد الإسلام فحققوا فتوحات امتدت فى أقل من مائة عام من سيبيريا شمالاً إلى المحيط الهندى جنوباً ، ومن الصين شرقاً إلى شاطىء الأطلسى غربا ، وليس ذلك فحسب بل أقاموا حضارة أضاءت الطريق للبشرية فى كل مجالات العلوم الطبيعية والاجتماعية .

إن الإسلام عقيدة وعملاً ، قد أوجد فى قلب العرب التربة الصالحة ، وخلق الاستعداد النفسى للغرس والتربية ، حتى أصبح العربى ليس فقط مضربا للأمثال فى البطولة والفداء فى الحرب ، بل رائدا فى كل مجالات الحضارة . وسوف نستعرض باختصار ما يتسع له المقام من عناصر التربية العسكرية فى الإسلام .

١ ـ العلم أساس القوة والرقى

لقد اهتم الإسلام بالعلم اهتماما بالغا ، ولا أدل على ذلك من أن أول آية من القرآن الكريم نزلت على قلب المصطفى ﷺ تتضمن « القراءة » التى هى مفتاح العلم ، و« القلم » الذى هو آلة العلم والمعرفة والتاريخ والحضارة ، وأن الله هو الذى علم الإنسان كل شىء : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

(العلق ١ ـ ٥) ، وقال تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (طه ١١٤)

٢ ـ الحرية والكرامة الإنسانية

وقرر الإسلام الحرية والكرامة الإنسانية ومقاومة العبودية لغير الله تعالى فى كل ميدان من الميادين ، فقرر مبدأ الحرية فى النفس والمال والعرض ، فنفس الإنسان فى الإسلام معصومة ، لا يجوز الاعتداء عليها أو النيل منها ، وكذلك مال الإنسان معصوم ، لا يؤخذ منه شىء إلا بحقه ، وكذلك عرض الإنسان لا يهان ولا يخدش والحديث يقول : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » (رواه ابن ماجه وأبو داود) .

قرر الإسلام مبدأ الحرية فى العبادة والاتصال بالله ، فليست هناك وساطة بين الله وعباده ، ولا يتوقف اتصال الله تعالى بعبد من عباده على وساطة أحد بل إن الله سميع بصير ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ويعلم السر والنجوى ، وبابه الكريم مفتوح لكل لاجىء ولكل طالب ، يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (البقرة ١٨٦) .

وقرر الإسلام أيضاً التحرر من أسباب الخوف ، فالذين اتصلوا بربهم وراقبوه وأخلصوا له العبادة والطاعة لا ينالهم هم ولا حزن ، يقول الله تعالى : ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة ٣٨) ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ، لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (يونس ٦٢ ـ ٦٤) وبذلك يكون الإسلام قد كرم الإنسان ، وكرم رأسه وجعله ذا نفس عالية ، ولا يذل إلا لخالقه مالك الملك ولا يخشى إلا إياه .

٣ ـ تربية النفس

وقد أراد الله من المؤمنين أن يحققوا فى أنفسهم ما يجعلهم أهلاً لمواجهة أقسى التحديات ، وللغلبة على أعدائهم من التربية العسكرية والإقدام على التضحية واتقان الجهاد والثبات فى مواطن البأس ، والتمسك بمبادىء الفروسية الإسلامية التى لا يذل صاحبها ولا يخزى ، وهو فى الوقت نفسه لا يضل ولا يطغى ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ (الانفال ٦٥) .

كذلك حث الإسلام على « جهاد النفس » للنزعات والنقائص المعوقة كالغرور وحب الظهور وكل ما يفسد القلب ويعل النفس من أمراض كالطمع والحقد والحسد والبغض ، ولذا نبه الرسول القائد ﷺ ـ عقب رجوعه من بعض الغزوات ـ على أهمية هذا السلاح فى الانتصار والفتك بالأعداء واجتلاب مدد السماء ، ففى حديث جابر عن الخطيب أنه

ﷺ قال بعد رجوعه من غزوة غزاها : « قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر : مجاهدة العبد هواه » . وفى حديث أبى ذر عن ابن النجار : « أفضل الجهاد أن تجاهد نفسك وهواك فى ذات الله عز وجل » .

حقا جهاد النفس هو الجهاد الأكبر وهو السبيل إلى النصر ، جهاد النفس للأمراض الخلقية والاجتماعية ولوساوس الشيطان وللشهوات والمغريات والكسل والفتور والضعف والعقبات ، كل هذا من وسائل النصر ودواعى التغلب ، وعوامل النجاح فى « أى ميدان من الميادين » .

٤ ـ الانضباط الذاتى

وعنى الإسلام بتكوين الضمير الدينى للمسلم بحيث يندفع إلى أداء واجبه على اكمل وجه معتمدا على قوة ذاتية داخل نفسه ، لا على قوة أو سلطة خارجية وهذا هو أرقى مراتب الانضباط ، وهو « الانضباط الذاتى » وفى هذا يقول نابليون بونابرت : « إن المجتمع الذى لا يعتمد على قوة ذاتية ، ويتوقف العمل الجماعى فيه على قوة السلطة وعلى دقة المراقبة ، لا شك فى أنه يعتبر عبئاً على المجتمع ومضيعة لقواه » .

لذلك فالضمير الدينى للمسلم هو الذى يمنحه القدرة على حسن السلوك والجدية فى التفكير والعمل على الابتكار ، والتصرف فى مواجهة المواقف . والضمير الدينى هو الذى يدفع المسلم إلى أن يرعى الله فى عمله لأنه هو الرقيب المطلع ، ويصوره لنا الرسول الكريم ﷺ فى العبادة بقوله : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » (رواه البخارى) .

ومن عجيب صنع القرآن فى تربية هذا الوازع الدينى الخلقى أنه لم يجعل نتيجة الخوف أمراً سلبياً ، وهو النجاة من العقوبة وعدم التعرض للعذاب ، بل جعل للخوف فوق النجاة والسلامة ، جزاء إيجابيا وثمرة أخرى فوق الخلاص من العقاب وهى الثواب الجزيل والأجر العظيم ، استمع إلى قول الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (النازعات ٤٠ ـ ٤١) وقوله : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ (الرحمن ٤٦) .

٥ ـ القيادة

من الطبيعى أنه حيثما وجد العمل الاجتماعى الذى يحتاج إلى التدبير ، ظهرت الحاجة إلى الرياسة ، وقد أوصى بها الرسول ﷺ بقوله : « إذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا عليهم أحدهم » (رواه أبو داود) ومقياس الرياسة عنده شرطان هما جماع الشروط فى كل رياسة : الكفاءة ، والحب .

فقال : « أيما رجل استعمل رجلا على عشرة أنفس علم أن فى العشرة أفضل ممن استعمل ، فقد غش الله وغش رسوله ، وغش جماعة المسلمين » (رواه أبو يعلى عن حذيفة) .

فالرسول ﷺ بذلك يؤكد على مبدأ اختيار القائد على أساس الكفاءة ووضع الرجل المناسب فى المكان المناسب .

وقال أيضاً : « وأيما رجل أم قوما وهم له كارهون لم تجز صلاته أذنيه » (رواه الطبرانى) .

وهو هنا يبين معنى الحب أى حب المرءوسين لقائدهم الذى تبلغ أهميته كشرط فى اختيار القائد إلى حد سقوط الصلاة عن الإمام الذى يكرهه الناس . ودعا الإسلام إلى احترام القائد فقال تعالى : ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً ﴾ (النور ٦٣) وقال أيضاً : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (الحجرات ٢) .

وبذلك حتم على المسلمين احترام القائد وعدم تسميته كتسمية الأفراد بعضهم بعضا ، فما يصح أن يقال له : يامحمد ، وكان نداؤهم له : يارسول الله .

٦ ـ الطاعة

ويأمر الإسلام بالطاعة ويوضح فلسفتها ومغزاها الاجتماعى ، فهى ليست « خضوعاً للسلطة » ، بل هى ضرورة اجتماعية لصالح الجماعة ترتبط ارتباطا وثيقا بالقيادة التى هى الأخرى « ضرورة اجتماعية » لصالح الجماعة ، فالله تعالى يقول : ﴿ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ (النساء ٥٩) وأولو الأمر هم الذين ائتمنهم الله على من هم فى رعايتهم ممن هم دونهم فى الرتبة .

لكن الطاعة التى يريدها الإسلام ليست عمياء ، بل هى الطاعة الواعية البصيرة : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، إنما الطاعة فى المعروف » (متفق عليه عن على رضى الله عنه) .

وقد حرص الإسلام على تحقيق جانبى الطاعة فى شخصية المسلم ، فكما دعا إلى الطاعة الواعية التى يستخدم فيها الإنسان عقله وتفكيره ، فقد دعم ذلك عمليا فى العبادات :

١ ـ **فالصلاة** : تجسيد حى للطاعة والنظام فى أجلى صورهما ، ففيها يتعلم المسلمون تسوية الصفوف حيث جعلت من تمام الصلاة ، وخلف الإمام يتحرك المصلون بتعاليمه ولا يستطيع واحد منهم التصرف من تلقاء نفسه ، وإلا بطلت صلاته .

٢ ـ **والصوم** : صبر على الجوع والعطش وضبط للنفس عن متطلباتها ، وتنفيذ للأوامر الصادرة من الله سبحانه وتعالى لتصحيح البدن وترقية الوجدان وشفافية النفس وتقوى الله .

٣ ـ **والزكاة** : طاعة لله باخراج الجزء الواجب إخراجه بلا رقابة من أحد وبالقدر المحدد .

٤ ـ **والحج عمليا** : طاعة ونظام ، مع تحمل المشاق والتزام دقيق لأداء المناسك فى وقت ومكان محددين ، ففى مكان واحد هو جبل عرفات يقف المسلمون جميعاً دون مخالفة ، وبدونه لا يكون حجا ، والجميع فى وقت واحد وزى واحد وتلبية واحدة هى هتاف واحد إلهى رائع : « لبيك اللهم لبيك » .

في النقد الذاتي لمسيرة

الحركة الإسلامية

في العصر الحديث

٢

لفضيلة الأستاذ
د. رءوف شلبي
وكيل الأزهر

ثالثاً : الجمود

الإسلام حركة منهجية عملية لا ترتكز على النظريات والشروح ، وإنما تقوم على العمل والبناء ، وقد دلت آيات كثيرة في سورة الكهف والإسراء على أن كثيراً من مطالب الكفار التي تعللوا بها ليدخلوا في الإسلام قد رفضت من الله جل جلاله وقال لنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الرد عليها : ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَراً رَّسُولاً ﴾ .

وباختصار يرد الله على منهج السفسطة والجدل وما كان لرسول الله أن يأتي بآية إلا بإذن الله ،

﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً ﴾ .

ولو أن الصحابة رضوان الله عليهم استرخوا لمنهج القيل والقال وكثرة السؤال لما تحرك الإسلام قيد أنملة من بطحاء مكة ، ولكنهم صبروا ، وجاهدوا ، وانتقلوا ؛ وعملوا ؛ وتاجروا ؛ وزرعوا؛ وحصدوا ؛ وبلغوا دين الله بالقدوة الطيبة والعمل الصالح والأسوة الحسنة .. فانتقل الإسلام بفضل عملهم الدءوب سريعاً من آسيا إلى أفريقيا إلى أوروبا في أقل من قرن كأنما الأرض قد انزوت لهم لينتشروا بسرعة هائلة مذهلة في هذه القارات الثلاث ، ثم ظهرت في مرحلة النكسة باسم العمل الإسلامي حركات تفننت في الملصقات والشعارات ، والتسميات المختلفة .

وضاق أفق كل جماعة فلم تلحظ من الإسلام ـ وهو بحر زاخر ـ إلا زاوية ضيقة :

أولاً : هم لم يفهموها حق الفهم ، ولم يضعوها في إطارها مع بقية الزوايا التي تشكل هيكل الإسلام ككل ، يضاف إلى هذا أنهم أخذوا الزاوية المحددة نصاً دون أن يفقهوا منهج تنفيذها وتطبيقها لأن عقليتهم عقلية جدل وانفعال شخصي معقد معتد برأيه

←

الذى يخفيه فى التعصب لفكرة ادعى أنها هى الإسلام كله .

ومن هنا جاءت المفارقات فى هذه الدعوات ؛ ودعت هذه المفارقات إلى الفرقة والاختلاف ، وجر هذا إلى القطيعة والتدابر والخصام فوقعت هذه الجماعات أو الفرق أو النحل فى محظور نهى عنه الإسلام نصاً واضحاً « لا تدابروا ولا تحاسدوا ، ولا تخاصموا ، وكونوا عباد الله إخوانا » رواه البخارى

وفى القرآن الكريم نص صريح واضح : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ، وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ .
آل عمران

والعجيب أن القلب المفعم بالإيمان ينصاع إما انصياعاً حقيقياً إن كان مؤمناً صادقاً ، وإما انصياعاً فى الظاهر إن كان يريد ألا يورط نفسه في فضيحة النفاق ... إلا أن هؤلاء تبجحوا وافترقوا ؛ ووسعوا التفرق ، وشددوا فى التشدق بالآيات والنصوص التى وضعوها وحدها فى زاوية خاصة وسلطوا عليها عقليتهم وجعلوها الإسلام كاملاً ، وتجاهلوا :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾
﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾
﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ .
﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ . . ﴾ الآيات إنما يؤولون هذه النصوص المحكمة الواضحة الصريحة لأنها تفضح طريقهم المعوج الجامد فى الجمود الذاتى كعقلية متحكمة لا تعرف أصولاً ، ولا سلفية ، ولا وحدة للمسلمين ولا تنصر سنة ، فليس فى سنة سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يساعد على الخصام والتفرقة والتكفير ، والتفسيق ، وتزكية النفس .

ومن أغرب الأمور أن الأمر الوحيد الذى نهت السنة الصحيحة عن التعرض له هو طلب الإمارة ففى مسلم :

- « يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة ، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وُكِلْتَ إليها ، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها .
- إنا والله لا نولى على هذا العمل أحداً سأله ولا أحداً حرص عليه .
- لن ، أو لا نستعمل على عملنا من أراده .
- يا أبا ذر إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزى وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها .
- ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة .
- ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة .[1] .

إن هذه الأحاديث التى رواها مسلم وعنون لها الإمام النووى بـ : « باب النهى عن طلب

(١) هذه الأحاديث رواها مسلم فى كتاب الإمارة : باب النهى عن طلب الإمارة والحرص عليها .

الإمارة والحرص عليها » لم تجعل هؤلاء الذين عرضوا أنفسهم لأخذ البيعة لأنفسهم بأنهم خلفاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا أدرى كيف تبجحوا والنصوص تمنع أن يزكى الإنسان نفسه فإن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾

[النجـــم]

ويقول الله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ .

[النســـاء]

ولم يرعوا لهذه الآيات وتلك الأحاديث حرمة فَقَلَّ أدبهم مع الله ورسوله وزكوا أنفسهم باسم السلفية والأصولية وجماعة المسلمين واختلفوا فى المطالبة بالبيعة ، وارتبك عملهم المراهق بالمراهقين فى الفهم الإسلامى والمجادلين بغير حق فى النصوص الإسلامية ..

فكان هذا أحد الأخطاء الكبيرة الفاحشة التى خالف فيها أصحاب العواطف الخاصة نصوص القرآن والسنة لمصالح شخصية ثم جعلوها دنيا وإسلاماً وخلافة وبيعة أسماء لا يعرفون لها معنى ، ولا يدرون لها منهجاً ، ولا طريقاً ، ولذلك لم ينجحوا .. لأنهم جامدون كالحجر الذى ألقى فى جانب من النهر ويمر عليه ماء الحياة عذباً وهو لا يشعر به ولا يحس أن الإسلام هو ماء الحياة وهو كالموج فى المنهجية ولسفينته شراع هو مرونة هذا المنهج وقد عطلت العقلية المعاصرة مشاعرها ووجدانها وأغلقت عينيها عن مشكلات الحياة المعاصرة والتكتلات الحديثة فانعزلت وانزوت وضرت بهذا الدين كما ضروا أنفسهم وأوطانهم ولكن هل سيفيقون .... ؟ ؟

ولقد صدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ يقول :

● لا تروعوا المسلم فإن روعة المسلم ظلم عظيم .

[رواه الطبرانى ــ حديث حسن]

● لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ، ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله .

[رواه الحاكم وأحمد ــ حديث حسن]

● كفى بالمرء فقها إذا عبد الله ، وكفى بالمرء جهلاً إذا أعجب برأيه .

● لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض .

[رواه البخارى ومسلم وأصحاب السنة]

● اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم .

[رواه الطبرانى ــ حديث صحيح]

رابعاً : التكســب

كان التكسب بالشعر ظاهرة فى ظل الدولة العباسية ومع هذا فلم يكن يشكل خطراً على الدولة فإن التاريخ يشهد أن ملك الروم عام ٣٠٥ هجرية أرسل سفارة عسكرية لطلب عقد هدنة مع الخليفة المقتدر ، فأدخلوا البعثة العسكرية قصور الخليفة الفخمة التى فرشت بأجمل الفرش وملئت دار الخلافة ودهاليزها وممراتها بالجند والسلاح وابتدا ذلك من باب (الشماسية) إلى دار الخلافة وكان عدد الجند مائة وستين ألفا بالدروع والسلاح ومن

تحتهم الخيل بسروج الذهب والفضة [٢] ...

فالتكسب بالشعر في عهد العباسيين كان تفكها ترفياً في ظل دولة قوية مرهوبة الجانب من الخصوم ، ولما تظهر بعد منظمات دولية تلتف على عنقها لتخنقها وتزهق روحها .

أما في العصر الحديث وقد تداعت كل الأمم قويها وضعيفها على العرب والمسلمين فإن التكسب الذى يمقته الله ورسوله وجماعة المؤمنين هو التكسب بالدعوة الإسلامية .

وقد أخذ التكسب بالدعوة الإسلامية عديداً من المظاهر والأساليب ومن أبرزها :

أ - مكاتب بيع المنح الدراسية .

ب - الاستيلاء على التبرعات الموقوفة لصالح خدمة الدعوة الإسلامية .

جـ - فرض وصاية على العاملين في حقل الدعوة من صنف معين أفهم نفسه بأنه وحده الوصى على دين الله في الأرض .

د - التنافس على الشهرة .

أولاً : مكاتب بيع المنح الدراسية

يقدم الأزهر الشريف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ورابطة العالم الإسلامى وغير ذلك من المؤسسات الإسلامية آلاف المنح الدراسية للجامعات الإسلامية ، ولو وضعت هذه المنح في الموضع السليم الصحيح لكانت الفوائد أكبر أثراً في حياة الأمة الإسلامية فمثلاً لو كانت المنح تقدم بناء على اختبار في اللغة العربية ، ومواصفات في التفكير والأيدولوچيات والشخصيه الإسلامية لكنا قد استثمرنا المنح الدراسية استثماراً نافعاً ومفيداً وزودنا الأمة الإسلامية بشخصيات مثقفة واعية ذات قدر كريم في الفهم والعزيمة والإدراك والعمل .

ولكم عانى العمل الإسلامى في المقارنة بين المتخرجين من جامعات الشرق الإسلامى ، والجامعات الأوروبية إلى درجة أن بعض البلدان الإسلامية تفضل خريجى جامعات أوروبا في الدراسات الإسلامية على نظائرهم من خريجي جامعات الشرق الإسلامى بسبب حركة خريجي جامعات أوروبا ويقظتهم ، ونوم وكسل خريجى جامعات الشرق الإسلامى .

وفي الحق ليست المسألة مسألة خريجي الشرق أو الغرب ، ولكنها مسألة التكسب بالمنح الدراسية التى تمنح من الشرق الإسلامى ، ومن البلاد الأوروبية .

البلاد الأوروبية تشترط شروطاً تحترمها الدول المرشحة وتراقب تنفيذها سفارات الدول الأوروبية ولذلك لا يرشح إلا المستوى اللائق الذى يصلح للتربة التى أعدت له هناك في أدمغة المخططين ضد الشرق الإسلامى والأمة الإسلامية .

فلا تقدم منحة دراسية عن طريق المحسوبية ، أو الشراء أو لشخصية ضعيفة بل لابد من التحقق من الشخصية القوية التى تصلح للقيادة عند عودتها بعد انتهاء الدراسة .

---

(٢) شوقى ضيف صـ ٧ العصر العباسى الثانى - دار المعارف طـ ٣ .

أما مرشحو منح الدراسة للشرق الإسلامى فهناك مكاتب معروفة ومعلنة دون خجل ولا حياء تعلن عن بيع المنح الدراسية ، وقد يخجل الإنسان عندما يعلم بالمهازل التى تقع من جراء هذا المزاد العلنى لبيع المنح الدراسية ، فالمنحة تباع أولاً لواحد من الناس ثم يأتى آخر ويزيد على الأول فيشترى المنحة وترد أموال الأول ثم يأتى ثالث ويزيد فيشترى المنحة وترد أموال الثانى وهكذا ومن هنا يتأخر المرشح عن الموعد المطلوب للالتحاق بالجامعات ، ويأتى ضعيفاً هزيلاً فى قدرته المعرفية ، واللغوية ، و .. الخ

وقد لا يستمر فى الدراسة بأسلوب طبيعي فيتعثر سنوات حتى إذا ما عاد ، عاد منهكاً هزيلاً قد سبقه أقرانه فى كل شىء ..

وتكون الثمرة الطبيعية التى قدمت للعمل الإسلامى هذا العجاف الهزيل المميت .. فتخسر الدعوة الإسلامية بهذا كثيراً ، وتضعف كثيراً .. ونفتح بابا للخصوم أوسع للانتصار عليها بسبب هذا التكسب ببيع المنح الدراسية التى تضيع هباء منثوراً ..

وقد حضرت مباحثات رسمية بين الأزهر ومسئولين فى بعض الدول الإسلامية فطلبوا من الأزهر ألا يسمح بإعطاء منحة لكل طالب يسافر إلى مصر دون موافقة الحكومة المعنية .

وكشفت مناقشة هذا الموضوع عن محاولة لتكتيف الأزهر وحرمانه من حمايته لجميع أبناء الأمة الإسلامية ، وبخاصة أولئك الذين يتحملون نفقات باهظة على حسابهم الخاص من أجل طلب العلم فى الأزهر بإخلاص ونية حسنة .

فهل ستظل (اليقظـة) هكـذا .... ؟؟ !



خطة مقترحة لتكوين

الداعية المفتى

٢

وهناك شروط أخرى تضاف إلى تلك الشروط العلمية تتعلق بشخصية المفتى من ذلك :

(١) أن يكون متصفاً بالعدالة والتقوى :

والعدالة هيئة فى نفس المسلم تجعله يميل إلى التزام الطاعة ، والنفور من المعصية ، والبعد عما يخدش مروءته أو يثير الريبة فى سمعته ، وهى مطلوبة حتى فى أداء الشهادة أمام القضاء وهى بالنسبة للداعية المفتى أكثر طلباً ، بل ينبغى عليه أن يتشدد فى المحافظة عليها باعتباره « متبوعاً » ينظر إليه الناس ، ويأخذون عنه دينهم ، فينبغى أن يطمئنوا إلى دينه وعلمه ، فعلمه يؤديه إلى معرفة الحكم ، ودينه يحجزه عن الميل والتلاعب ، وحب الشهرة والجاه ، وممالأة ذوى الثروة والسلطان .

(٢) ومما يتصل بهذين الشرطين الأخيرين : العلمى والشخصى :

أن يكون على خبرة ودراية بالناس وأمور الحياة حوله ، لأنه لا يضع قواعد عامة ، ونظريات خالصة ، ولكنه يفتى فى مسائل جزئية ترتبط بالأفراد ، وتتأثر بطريقة تفكيرهم وأسلوب حياتهم وكيفية سلوكهم ومعاملاتهم ، وما يخضعون له من مؤثرات نفسية واجتماعية وثقافية ، بل واقتصادية وسياسية ، إلى غير ذلك من أنواع العلاقات المؤثرة ، ومن ضرورات العصر وحاجاته .

يقول ابن القيم فى ذلك[١] : هذا أصل عظيم يحتاج إليه المفتى والحاكم (القاضى)

(١) اعلام الموقعين جـ ٤ ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥

للأستاذ الدكتور :

عبد الفتاح بركة

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

فإن لم يكن فقيها فيه ، فقيها في الأمر والنهي ، ثم يطبق أحدهما على الآخر ، وإلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح ، وتصور له الظالم بصورة المظلوم ، وعكسه والمحق بصورة المبطل وعكسه ، وراج عليه المكر والخداع والاحتيال .. وهو لجهله بالناس وأحوالهم وعوائدهم وعرفياتهم لا يميز هذا من هذا .

وإذا كان هذا لازماً للمجتهد المطلق ، فهو بالنسبة لمجتهد المذهب أكثر لزوما لما ذكرنا من أنه أكثر احتكاكاً بالناس وممارسة لجزئيات الأحكام وأفراد المستفتين ، وأنه لا يكاد يضطر إلى بحث الكليات والأصول على وجه من التفصيل كما يفعل المجتهد المطلق .

(٣) ويرتبط بهذا الشرط كذلك أن يكون قادراً على الاطلاع على معارف العصر وعلومه :

فيما يتعلق بالعلوم الكونية والطبيعية ، بل والرياضية ، وليس من المطلوب أن يتبحر في هذه العلوم ، فلها أهلها المتخصصون ، ولكن المطلوب أن يكون على معرفة كافية بمبادئها ومسلماتها الأولى ، وأن يكون على معرفة إجمالية بأهم نتائجها وآخر معطياتها خاصة فيما يتعلق بأحكام شرعية ، أو فيما يتطلب النظر في أحكام شرعية ، فإن كثيراً من الأحكام تأكدت أو تعدلت بناء على ما كشفته العلوم المادية والتجريبية من نتائج ، ولعل ذلك مما يساعدنا على حسم القضية التى تثار بين الحين والآخر ، في جدوى دراسة هذه المواد التي تسمى اصطلاحاً عرفياً - بالمواد الثقافية في معاهدنا الأزهرية ، بحجة أنها تثقل الطالب وتضاعف عليه مئونة المناهج ، لجمعه بين مناهج العلوم الدينية والعربية ومناهج المواد الثقافية .

الا إن لكل عصر علومه ، وتجريد الداعية المفتى من علوم العصر يجعله كمن يتحدث إلينا من بطن التاريخ أو كمن يحدثنا من خلال برنامج الصوت والضوء بين الأطلال والآثار وتزويده بعلوم العصر يقربه إلى نفوس الآخرين ، ويجعل منه صورة متماثلة معهم ، يألفهم ويألفونه ، ويفهم عنهم ويفهمون عنه ، ويمكنه من أداء رسالته بينهم بالأسلوب المقنع المفهوم .

(٤) يضاف إلى هذه الشروط شرط ضروري في هذا الزمان ، عبر عنه ابن القيم[٢] « بالكفاية »

وهو أن يكون للمفتي من الموارد مايكفيه

(٢) اعلام الموقعين جـ ٤ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

ويكفى أهله وأولاده بالصورة المناسبة واللائقة بمنزلة أهل العلم ، ولقد كان أهل العلم يُكْرَمون فيما مضى من العصور لعلمهم وورعهم ، بغض النظر عن مظهرهم ورياشهم ، فلم يكونوا يهتمون بالاستكثار من المال أو من طيبات هذه الحياة ، أما فى العصر الراهن ، فقد شقت الحياة وشقيت العلماء ، وأصبح كثير منهم لا يجدون حد الكفاية ، مما أثّر على مظهرهم ، وأثر سلباً على نظرة الجماهير إليهم ، وأدى ذلك فى النهاية إلى شعور العلماء بنوع من الإهمال وعدم الرعاية ، يمكن تفسيره على أنه عزوف عن علمهم ، ورغبة عنهم إلى العلوم المادية الأخرى ، فلابد للداعية المفتى أن توفر له الموارد اللازمة لكفايته من ناحية المعيشة له ولأهله وأولاده . ولقضاء مصالحه فى يسر وراحة ، وهدوء بال ، وكذلك من ناحية مظهره اللائق به كعالم من علماء الأمة لا يجوز أن يمتهن ، لا فى ملبسه ولا فى مسكنه ، ولا فى تحركاته ومواصلاته ومعاملاته فى مختلف المستويات .

يقول ابن القيم : « الكفاية وإلا مضغه الناس ، فإنه إذا لم يكن له كفاية احتاج إلى الناس وإلى الأخذ مما فى أيديهم ، فلا يأكل منهم شيئاً إلا أكلوا من لحمه وعرضه أضعافه ، وقد كان لسفيان الثورى شىء من مال ، وكان لا يتروى فى بذله ويقول : لولا ذلك لتمندل[٣] بنا هؤلاء ، فالعالم إذا منح غناء فقد أعين على تنفيذ علمه ، وإذا احتاج إلى الناس فقد مات علمه وهو ينظر » ..

إذا نظرنا إلى مجمل هذه الشروط فسوف ندرك أنها موضوعة بإزاء الداعية المفتى فى بيئة إسلامية ، دون الداعية الذى يقوم بدعوته فى مختلف البيئات إسلامية وغير إسلامية وكما قلنا - بالنسبة للمجتهد - إنه إما أن يكون مجتهداً مطلقاً أو مجتهداً فى المذهب ، كذلك يمكن أن نقول - بالنسبة للداعية : إنه إما أن يكون داعية مطلقاً ، يستطيع أداء الدعوة والرسالة فى البيئات المختلفة ، وإما أن يكون داعية مفتياً فقط ، يستطيع أداء الرسالة فى بيئة إسلامية ، ويختلف إعداد الداعية المطلق عن إعداد الداعية المفتى ، لأن الداعية المطلق لابد أن يكون داعية مفتياً وزيادة : أن يكون داعية بين المسلمين فلا يحتاج إلى أكثر من تذكيرهم ووعظهم وبيان الأحكام الشرعية فى أحداثهم وأقضياتهم ، وأن يكون داعية بينهم وبين غير المسلمين فيحتاج إلى خبرات أخرى وعلوم أخرى ، كالعلم بالأديان واختلافاتها ، والمذاهب والفرق ، والمؤثرات الاجتماعية : اقتصادية وسياسية وقومية وتاريخية وجغرافية ، إلى غير ذلك من المعارف ، كاللغات التى يحتاجها للحديث بها بين هذه المجتمعات ..

وعندما ننظر إلى مناهجنا المتبعة فى معاهدنا وكلياتنا ، فسوف نرى أنها لا تمكن من تكوين الداعية المطلق ، ولا من تكوين الداعية المفتى ..

أمَّا من حيث الداعية المطلق فنجد

(٣) تمندل : تمسح بالمنديل ، والمقصود هنا : جعلونا سخرة وسخرية لهم .

الكليات المؤهلة لذلك تهتم بالنواحى المعرفية التى تشمل سائر هذه النواحى ، ولكنها تهمل المواد الأساسية فى تكوين الداعية وهى تأهيله من الناحية الفقهية بما يجعله قادراً على تلبية احتياجات الناس فى شئون حياتهم بالأحكام التى توجه سلوكهم ومعاملاتهم ، سواء كان يعمل فى بيئة إسلامية أو غير إسلامية ، لأنه حتى وهو يعمل فى بيئة غير إسلامية لن يعدم مجتمعاً إسلامياً ولو فى صورة مصغرة تحتاج إلى مثل هذه الأحكام ، بل لعل هذه الجماعات غير الإسلامية تستفتى فى مثل هذه الأحكام ، وقد تكون دقة هذه الأحكام وموافقتها للعقل والفطرة ويسرها وملاءمتها للزمان والمكان من عوامل الإقناع الضرورية فى مثل هذه الأحوال .

فهذه الكليات تهتم بالعقائد والأديان ، والملل والنحل ، كما تهتم بعلوم القرآن وعلوم السنة ، وبعض العلوم التى تتعلق بالدعوة وتاريخها ومجالاتها ..

فإذا انتقلنا إلى الكليات التى تهتم بالفقه وعلومه من أصول وتاريخ تشريع وفقه مقارن وسياسة شرعية وغير ذلك ، فسوف نجد عندها نوعاً من القصور بالنسبة لعلوم القرآن الكريم وعلوم السنة المشرفة . وعلى كل الأحوال سوف نجد قصوراً فى التدريب على معرفة أحوال الناس وشئون الحياة ، وعزوفاً عن الاتصال بعلوم العصر ومعارفه .

أما العدالة والتقوى والورع وما إلى ذلك مما ينير قلب الداعية ويفتح بصيرته ويساعده على الجد والمثابرة فى تحصيل العلم ، وبث روح الخدمة العامة فيه ، والرغبة فى إسداء النصيحة لله ورسوله وكتابه وأئمة المسلمين وعامتهم ، فذلك أمر متروك للتربية الخاصة والميول الشخصية .

ولعل هذا القصور فى كلا النوعين من المعاهد والكليات هو الذى حدا ببعض المسئولين إلى افتتاح كليات خاصة بالدعوة ، محاولة منهم لتلافى هذا النقص الواضح فى تكوين الداعية ، ولست أدعى أن الرؤية لم تكن واضحة بما فيه الكفاية عند وضع المناهج الخاصة بهذه الكليات ، ولكن النتيجة على كل حال لم تكن مرضية أو مقاربة .

ومهمتنا فى هذه الخطة المقترحة تهدف إلى تكوين الداعية المفتى ، فليس من مهمتنا أن ننظر إلى تكوين الداعية المطلق ، ولعل الشروط التى ذكرناها وهى فى شأن هذا الداعية دون الداعية المطلق تحدد لنا هذه الخطة وتجعل النظر فيها سهلاً ميسوراً ، وهى أدنى حد ينبغى أن يوضع لتكوين الداعية . فينبغى أن يلاحظ من الناحية العلمية :

١ ـ أن يعتنى بتدارس القرآن ، تلاوة وحفظاً قدر ما يسمح به وقت المنهاج بحيث تتهيأ له القدرة على استحضار الآية عند طلبها ، والعودة إليها فى المصحف ، وإذا كان الطالب من طلاب الأزهر فينبغى أن نتشدد فى حفظ القرآن ، لأنه من المفترض أن يكون قد اتم حفظ القرآن الكريم كله فيما بين المرحلة الابتدائية والاعدادية ، ولا يصح أن نهمل بعد ذلك فى استذكاره ..

٢ ـ يضاف إلى ذلك دراسة قدر مناسب من تفسير القرآن وعلومه ، مع التركيز على آيات الأحكام لتربية ملكة الفهم الفقهى والقدرة على استعمالها عند تلاوة القرآن .

٣ ـ أن يعتنى بمدارسة السُّنَّةِ والحرص على قراءة كتاب كامل من كتبها الستة ، وياحبذا لو كان هو صحيح مسلم لقرب مأخذه ، وسهولة تبويبه ، مع شرحه شرحاً لغويا وإجمالياً خلال القراءة ، والتركيز بعد ذلك على أحاديث مختارة ، خاصة أحاديث الأحكام لشرحها شرحاً تفصيلياً ، مع حفظ مجموعة من أحاديث الأحكام والرقائق بحيث تتهيأ عنده قدرة تساعده على إدراك وجود الحديث عند الحاجة إليه ، والقدرة على الرجوع إليه فى مظانه من الكتب والأبواب .

٤ ـ وأن تتم دراسة قدر مناسب من علوم السنة كعلم مصطلح الحديث ، وعلم الرجال ، بحيث يقدر على الرجوع إلى المصادر الضرورية لمعرفة تخريج الأحاديث ومعرفة درجتها ودرجة رجالها ، ويستطيع معرفة معنى مصطلحاتها ومدلولاتها ، وما يترتب عليها من حيث الاستدلال أو عدمه .

وأن يتمرس بطريقة عملية على استخراج بعض الأحاديث من مظانها ومعرفة درجتها وكيفية استعمالها فى الاستدلال .

٥ ـ وأن يدرس علم أصول الفقه خاصة أصول مذهبه الذى يريد أن يفتى فيه ، حتى يدرك مأخذ الأحكام فى مذهبه ويدخل فى ذلك دراسته لمقاصد الشريعة الكلية ، فيفتى بقلب مطمئن وإدراك لما يفتى به ، فيكون بذلك باعثاً على اطمئنان الآخرين ومحلاً لثقتهم ورضاهم .

أما من الناحية الشخصية :

فينبغى أن يلاحظ أن تكوين الداعية ، خاصة المفتى ، ليس أقل أهمية من تكوين الجندى ، فكما توضع الخطط لتكوين الجندى مادياً من حيث استعمال أدواته وأسلحته ومعداته ، ولتكوينه معنوياً ونفسياً من حيث حبه لوطنه ، ورغبته فى التضحية والفداء من أجله ومن أجل الدفاع عن حدوده وترابه وقيمه وأعرافه ووسائل معيشته ورخائه ، كذلك الداعية يحتاج إلى خطط تساعد على تكوينه من الناحية العلمية ومن الناحية المعنوية .

أما الناحية العلمية التى نزوده بها ونهيئه لاستعمالها عند الضرورة والاحتياج إليها فقد أشرنا إليها فيما سبق .

وأما الناحية المعنوية ، وهى التى أشرنا إليها بأن يكون متصفاً بالعدالة والتقوى .

١ ـ فهذه لابد أن تؤخذ بالتربية ، وتبدأ التربية بالقدوة والأسوة ، فما لم يكن الأساتذة متحلين بهذه الصفات : العدالة والتقوى والورع فإنهم لا يستطيعون أن يفرضوها على أبنائهم وتلاميذهم بل لعلهم لا يجدون فى أنفسهم دافعاً يدفعهم إلى الاهتمام بها ، وتصبح المسألة مجرد مصادفة لا مسألة خطة ومنهاج .

فينبغى أن نتخير الأستاذ لا بمجرد المؤهل الذى يحمله ، ولا بمجرد أن يكون بريئاً مما يؤثر على عدالته وتقواه ، بل لابد أن يلاحظ فى اختياره أن يكون معروفاً بالتقوى متميزاً بالصلاح وتحرى الحق ، والبعد عن مظنة الحرص والأثرة ومواطن الريبة والشبهة .

٢ ـ وأن يؤخذ الطلاب فى هذه الكليات

خاصة مأخذ الحزم فى كل أفعالهم وسلوكهم سواء فى انتظامهم فى الدراسة ، أو فى التعامل بينهم وبين أساتذتهم وإدارتهم أو فيما بينهم بعضهم مع البعض الآخر ، وأن يشدد عليهم ما لا يشدد على الطلبة الآخرين من حيث المظهر والسلوك العام ، وأن توضع لذلك قواعد منظمة يكون لها تقديرها المؤثر فى التقدير العام .

٣ - وأن يؤخذوا بنظام عبادى يتمسك بالفروض وما يتبعها من سنن ، وذلك فى معسكرات دورية لمدة شهرين على الأقل سنوياً ، تتخللها مناشط عملية تتعلق بالثقافة العلمية ، والتطبيقات الفقهية ، ومدارسة القرآن والسنة .

وحبذا لو تم ذلك طيلة العام ، من خلال ما يسمى بالإسكان الداخلى ، كما يفعل بالجنود فيلتزم الطلاب بالإقامة داخل المساكن المخصصة لطلاب هذه الكليات ، وتكون لهذه المساكن نظمها الحازمة التى تأخذ الطلاب بحياة الجد والعمل والنشاط ، عبادة وتحصيلاً للعلم ، وتربية سلوكية وبدنية واجتماعية .

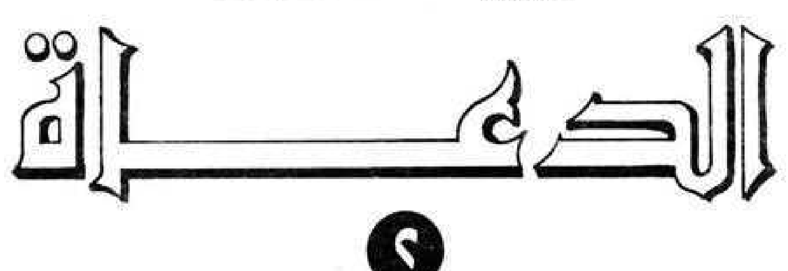
٤ - وأن يدرسوا بين العلوم التى يدرسونها علوم التصوف الأخلاقية والسلوكية فى صورته الصافية النقية ، حيث إن ذلك مما يساعد على غرس معانى المروءة والفتوة والورع والتقوى ، ولدراسة التصوف جانبان : الجانب العلمى ، والجانب الشخصى .

وقد آثرنا أن نذكره فى الجانب الشخصى ، حتى لا يقال بأنه غير ضرورى من الناحية العلمية ، وإن كنا لا نوافق على هذه المقولة ، فهو ظاهرة دينية لا يصح أن يتجاهلها الداعية من الناحية العلمية ، ومع ذلك فتأثيره على شخصية الداعية من حيث تزويده بمشاعر التقوى والورع مما ترجح احتمالاته ويرجح الاهتمام به من هذه الناحية الشخصية التربوية .

٥ - أن يعتنى خلال دورات المعسكرات السنوية أو خلال فترات معينة من إقامتهم الداخلية بتعريضهم إلى القيام برسالتهم فى صورة تدريبية ، فيوزعون على المساجد المأهولة والمزدحمة بالجمهور لإلقاء الدروس العلمية أو خطب الجمعة ، تحت إشراف أساتذة متخصصين ، أو إشراف القائمين بهذا العمل فى هذه المساجد ، وسوف يتعرضون بلاشك لأسئلة الجمهور المختلفة ، مما يزودهم بصورة عامة عن طبيعة المشاكل والمسائل التى يتعرض لها الناس ويطلبون فيها الفتوى ، فيساعدهم ذلك على اكتشاف ما قد يكون لديهم من نواحى الضعف والنقص ، فيحاولون استكمال انفسهم فى هذه الناحية ، ولا شىء يثير الحمية للدرس والتحصيل مثل شعور الدارس بأن جهده وعناءه مثمر وأنه لا يضيع عبثاً ، وأن الناس ينتفعون فعلاً بعمله ودراسته .

٦ - يضاف إلى ذلك أنه سوف يزوده بخبرة ودراية بأحوال الناس وأمور الحياة ، وتجعله يدرك بصورة أعمق أساليب الناس ووسائلهم فى التوصل إلى اغراضهم ، والمشاكل والعقبات التى تزيد من متاعب الناس وآلامهم ، فيتزود من ذلك بالحرص والحذر من الناس من جانب ، والرقة والرأفة

البقية ص ١٥٩٩



دور المؤسسات التربوية في إعداد الدعاة

٢

(٣) الدعوة إلى الصراط المستقيم :

الدعوة إلى الله تهدف إلى إظهار شريعة الله واتباعها كما جاءت فى آخر كتاب سماوى وهو القرآن الكريم . فالتشريع الإلهى كما جاء فى القرآن ينسخ ما جاء قبلـه من شرائع ، فالشرائع السابقـة على القرآن قد انتهى العمل بها بعد بعثة محمد - صلى الله عليه وسلم - ولم تعد هى الشريعة التى يرتضيها الله للناس ، لأنها كانت شرائع مرحلية نزلت على بعض الأمم بخاصة فهى محدودة الزمان والمكان والدعوة وكان أمر تطبيقها مرتبطاً بزمان نزولها .

أما الشريعة التى جاء بها محمد النبى الأمى صلى الله عليه وسلم فقد جاءت عامة لكل البشر . ولكل الأزمان من بعده حتى تقوم الساعة ويرث الله الأرض وما عليها ذلك لأنه نزل للبشرية بعد اكتمال نموها وتطور عقلها ، وتمام نضجها فجاءت التشريعات على يديه صلى الله عليه وسلم متسقة ملائمة لمصالحها فالكتب السماوية وإن كانت تتحد جميعاً من حيث العقيدة إلا أنها تختلف من حيث الشرائع ومن ثَمّ فالدعوة إلى الله تهدف إلى دعوة عباد الله إلى الدين القيم واتباع صراطه المستقيم أى شريعته السمحة .

قال تعالى :

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾[1] .

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾[2] .

وحين يكلف الداعية بدعوة عباد الله إلى الصراط المستقيم فإنه يدعوهم إلى الخير

---

(١) سورة الأنعام - آية ١٥١ ، ١٥٢ .

(٢) سورة الفاتحة - آية ٦ ، ٧ .

د. أمينة أحمد حسن

والعدل والحق والرحمة والإحسان . أى يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر فهو ينفذ أمر الله تعالى فى قوله :
﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٣]

الأسس التى تقوم عليها الدعوة إلى الله :

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يؤكد للمسلمين أن طريق الدعوة إلى الله شاق ومرير قد يتجاوز ما تعارف عليه الناس من تضحيات ليتناول الحياة بلذاتها وشهواتها وزينتها فهى الثمن الذى يدفعه الداعية إلى الله من أجل التمكين للدين ونصرة الله على القوم الكافرين الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون . ولما كانت الدعوة إلى الله ذات مسئوليات جسيمة وتبعات عظيمة فإن تبليغ الرسالة يحتاج إلى المواجهة بشجاعة وإصرار مع تحمل الشدائد والصعاب مهما عظمت دون خشية من وعيد أو خوف من تهديد اقتداء بمن قال الله عنهم سبحانه وتعالى :
﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾[٤]

وإذا كان الداعية مكلفاً بأداء واجب فإنه لكى يتحمل صعاب ومشاق هذا الواجب لابد أن يتم اختياره لهذه المهمة بناء على نواح عدة تعتبر أسساً هامة لضمان فعالية الدعوة إلى الله .

ومن هذه الأسس :

١ - إيمان صادق بالعقيدة .

٢ - فهم صحيح لها يأتى عن تخصص تام فى هذا المجال .

٣ - إخلاص صادق للدفاع عنها بوعى وصدق .

الفائدة التى تعود على المؤسسة التربوية من تحديد أهداف الدعوة

وجدير بالذكر أن معرفة العاملين بالدعوة والمسئولين عن إعداد الدعاة بأهداف الدعوة إلى الله تعالى تعود بالفائدة العلمية والتربوية على كل من المسئولين والعاملين فى مجال الدعوة . إذ أن وضوح الهدف يساعد على تحديد المنهج والطريقة والوسيلة ، كما أن الأهداف تستخدم فى نفس الوقت كمعايير عند قياس النتائج وتقويمها . ومن ناحية أخرى

←

(٣) سورة آل عمران - آية ١٠٤ .

(٤) سورة الأحزاب - آية ٣٩

فإن معرفة الدعاة لأهداف الدعوة إلى الله تساعدهم على أداء رسالتهم بكفاءة وفعالية لأن معرفة الأهداف تيسر معرفة المسئوليات والواجبات والطريقة والأسلوب الذى يناسب كل هدف كما تناسب المستوى العقلى والعلمى لفئات المدعوين .

ثانياً : المواصفات الشخصية والعقلية للداعية

قبل أن تحدد الصفات الشخصية والعقلية التى يجب على المؤسسة التربوية تنميتها وتكوينها فى شخصية الدعاة لإعدادهم للعمل فى مجال الدعوة وجب علينا أن نعرف ما المقصود بالداعية .

ما المقصود بالداعية ؟

يقول الترمذى : إن الداعى على نوعين :
داعٍ إلى الله وهو ما أطلق عليه « الصديق »
وداعٍ إلى سبيل الله وهو ما سماه بالصادق ويقصد بهم الوعاظ .

فالداعى إلى الله يدعو إلى تطهير القلوب وتصفية الأخلاق ليصير القلب طاهراً من دنس الآثام وحراً من رق النفس ، والداعى إلى الله عبد قد خلص قلبه إلى الله وتطوف فى ملكوته وشهد قربه ومقامه من الله وتتابعت على قلبه الأنوار الإلهية فصار حراً طاهراً فانفتح له الطريق على السير إلى الله تعالى على بصيرة ، فعندما يُحَدِّث يكون على يقين ، وعندما ينطق فإنه يدعو إلى الحق والعدل والصدق ، خصه الله بقوة الحفظ ثم وهبه العلم ويسر له طريق المعرفة الظاهرة باستخدام الجوارح من السمع والإبصار . ثم منحه الله السكينة ليقرأ عن القلب ما تعلمه وما حفظه فى العقل . فالداعية إلى الله عبد أحبه الله فأكرمه بالعلم الذى يكتسبه من المشاهدة الخارجية بالحواس . وهذه عملية يشترك فيها جميع الآدميين ، وخصه بالعلم الذى يدركه من يدعو إلى الله على بصيرة فقد خص الله به المقربين إلى الله ممن أخلصت قلوبهم وصفت نفوسهم واتسموا بالخلق العظيم واتبعوا رسوله الكريم واتخذوه قدوة حسنة فهداهم الله إلى الصراط المستقيم ليكونوا شهداء على الناس بعد أن أنعم عليهم بالبصيرة ليدعوا بها إلى الله . قال تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾[٥] .

فالدعاة إلى الله إذن هم طائفة غير الوعاظ ، هم طائفة من العارفين بالله من الصديقين الصادقين لا يكونون إلا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهم المثل الأعلى الذى ينشده الوعاظ .

ويعرف لنا الترمذى الواعظ فيقول : « والواعظ رجل حفظ الأحاديث وكلام الله عن صفات الموت والقيامة والجنة والنار ووفاة

(٥) سورة يوسف ـ آية ١٠٨ .

الرسل والمصائب التى حلت بالأمم الكافرة حتى يرقق القلوب ويلين النفوس . فهو يقبح القبيح من الأعمال ويزجر النفس بالعظة من أنباء الأولين . ماذا حل بهم ، فتزجر النفوس بما يكشف لهم من الغطاء ويصف نعمة الله ـ عز وجل ـ إليهم . فهو يدعو إلى الخيرات على صدق . ولكن من الوعاظ من يكون غير متعمق فى علمه ، وقد يكون غير صادق فى عظته . وقد يبتغى من هذا العمل حطام الدنيا ومنهم من يكون صادقاً فى عظته محتسباً يبتغى وجه الله .

ومعنى ذلك أن الداعية إلى الله هو عبد مقرب إلى الله آتاه الله من العلم والحكمة وأنعم عليه بالخلق العظيم وآتاه الحجة والبرهان ثم حمله الأمانة ليدعو إلى الله على بصيرة .

المواصفات الشخصية والعقلية للداعية :

إن الداعية هو العنصر الفعال وحجر الزاوية فى عملية الدعوة إلى الله ، إذ ترتبط نصرة الإسلام بمدى قدرة الداعية على نشر تعاليمه ومبادئه بكفاءة وفعالية ، كما أن بقاء الأمة الإسلامية وتقدمها معقود باستمرارية الدعوة فهى مصدر خير ورحمة للمسلمين ويتوقف تحقيق الدعوة لأهدافها على قوة علم الداعية وحكمته ودرجة إيمانه بها وإحسانه لعرضها وصموده لنشرها وبحرصه على أن يكون قدوة حسنة وعملية فى التمسك بتعاليمها .

غير أن التزود بالعلم والحكمة لا يؤتى ثماره إلا إذا توافر فى شخصية الداعية مواصفات وسمات معينة تُعِين صاحب الدعوة على التأثير بالإيجاب فى قلوب الجماعة التى يريد أن ينقل إليها دعوته . وفيما يلى بعض هذه الصفات الشخصية التى يجب أن تتوافر فى الداعية .

(١) حسن الخلق :

لعل من أهم سمات شخصية الداعية حُسْنُ الخلق ويمكن أن نستنبط سمات شخصية الداعية بوجه عام من سمات شخصية الرسول الداعية صلى الله عليه وسلم فقد اصطفى الله النبى الأمى وأمره بالدعوة إلى الحق والدعوة إلى الإسلام وقد توافر فيه صلى الله عليه وسلم من الصفات ما يؤهله لتبليغ الرسالة . هذه الصفات التى جعلته القدوة السامية للدعاة فى كل عصر ، فقد وصفه الله تعالى فى كتابه العزيز بقوله :
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٦] .

وقال تعالى :
﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾[٧] .

ـ ومن حسن الخلق أن يكون الداعية رحيماً بكل الناس صغيرهم وكبيرهم ، ضعيفهم وقويهم ، وقد كان صلى الله عليه وسلم « رحمة مهداة » .

قال تعالى :
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[٨] .

---

(٦) سورة القلم ـ اية ٤ .
(٧) سورة الأحزاب ـ اية ٢١ .
(٨) سورة الأنبياء ـ اية ١٠٧ .

وقال تعالى :
﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾(٩) .

وأن يكون الداعية قادراً على نقل المعنى القرآنى بأسلوب حسن وبلاغة فى اللفظ وحسن التعبير حتى يجذب إليه العقول ويؤثر فى النفوس وأن يعرض قواعد الإسلام وتعاليمه عرضاً واضحاً :

- أن يتسم الداعية بالحياء وخفض الجناح لمن يتبعه . قال تعالى :
﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(١٠) .

وأن يعفو عن المسيء . قال تعالى :
﴿ .... فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ .... ﴾(١١) .

- أن يتحلى بالصبر على المكاره فلا تهن عزيمته إذا قوبل بالإهانة أو العداء أو تعرض للأذى من الحمقى وأعداء الإسلام والجاهلين والسفهاء لعله يجد بالصبر قلوباً تتطلع إلى النور وعقولاً فى حاجة إلى الهداية ونفوساً متعطشة إلى الطمأنينة وللداعية فى رسول الله أسوة حسنة حيث صبر على إيذاء قريش طيلة ثلاثة عشر عاماً داعياً الله بقوله :
« اللهم اهدِ قومى فإنهم لا يعلمون » .*

قال تعالى :
﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾(١٢) .

- أن يكون الداعية قوى العزيمة شديد الإيمان قادراً على مقاومة كل إغراء صامداً أمام كل محاولة لإثنائه عن عزمه على الدعوة إلى الله . ولقد ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة فى الإيمان وقوة العزيمة والصمود والتوكل على الله حين وقف فى وجه الطغاة من سادة قريش لا يأبه لإغراء أو تهديد .

- أن يتحلى الداعية بصفات الأنبياء والعلماء ، فلا يتوانى عن الاستزادة علماً ، ولا يتعجل بنشر العلم والدعوة إلى الله قبل أن يبلغ درجة من العلم تمكنه من ذلك ، فالداعية هو إلى العلم أحوج كما هو بالدين أشغف ، فمهما بلغت درجة علمه لابد أن يعرف أنه فوق كل ذى علم عليم وعليه أن يستزيد علماً .

قال تعالى لرسوله الكريم :
﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾(١٣) .

(٢) الموهبة والاستعداد الشخصى والقدرات العقلية

- إن الموهبة فضل من الله يؤتيه من يشاء . فليس كل فرد يصلح لكى يكون داعية

(٩) سورة آل عمران آية ١٥٩ .
(١٠) سورة الشعراء - آية ٢١٥ .
(١١) سورة آل عمران - آية ١٥٩ .
(*) الخبر أوردته كتب السيرة فى نهاية رحلته صلى الله عليه وسلم للدعوة فى الطائف .
(١٢) سورة لقمان - آية ١٧ .
(١٣) سورة طه - آية ١١٤ .

إلى الله . بل لابد أن تتوافر فى الداعية ـ كما مرَّ ـ صفات عقلية معينة وقدرات تناسب متطلبات أداء الرسالة . كذلك يجب أن تتوافر فى شخصيته « القدرة على التأثير » فى الناس فيكون فى قوله حلاوة . وفى هيئته مهابة وفى وجهه قبول ، وفى نفسه الهدوء والاطمئنان ، وفى سلوكه ما يوجب الاحترام له ، وفى صدره انشراح للناس ، وفى نفسه رغبة فى التفقه فى الدين وعلوم القرآن والسنة ، وفى عقله قدرة على الفهم والرغبة فى أن ينقل إلى غيره ما فهمه وما تعلمه . فإذا توافرت فى الداعية هذه الصفات كان أهلاً لتبليغ الرسالة وحمل الأمانة إلى الناس فيؤثر فيهم دون أن يعصوه أو يخالفوا له أمراً ، تحتويه القلوب فتحافظ عليه بإذن ربها وتتأثر به فتتبعه وتنصره بفضل من الله . فمن ينصر الله ينصره ويثبت أقدامه . قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ إِن تَنصُرُواْ اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[١٤] .

ـ أن يكون طليق اللسان سلس اللفظ لديه القدرة على التعبير المباشر السليم ، قادراً على تبليغ ما تعلمه وما تفقه فيه بالقول والفعل ، وقد ذكر القرآن الكريم دعاء موسى عليه السلام فيما يوضح إحدى الصفات الضرورية فى شخصية الداعية : قال تعالى ـ عنه ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام :

﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِى صَدْرِى وَيَسِّرْ لِى أَمْرِى وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى يَفْقَهُواْ قَوْلِى ﴾[١٥] .

ـ أن يتسم الداعية بقوة الحافظة وسلامة الذاكرة وحضور الذهن وقوة الحجة وأن يكون ممن خصهم الله بالبصيرة وأنعم عليهم بالسكينة فهذه الصفات قد خص الله بها أمة محمد صلى الله عليه وسلم دون غيرها من الأمم لذا أمرها بحمل الأمانة وتبليغ الرسالة .

ويقول الترمذى فى كتابه نوادر الأصول : قد خص الله الأمة المحمدية كذلك بالحفظ وقرنه بالعقل ليقرأ عن القلب ، وجعل السكينة فى قلوب أمة محمد دون سواهم من سائر الأمم فقال :

«**ويوم الوفادة** حيث اختار موسى عليه السلام سبعين رجلاً لميقات الله تعالى فلما صاروا إلى الجبل أعطاهم الله تعالى ثلاث خصال فيما روى فى الخبر فقال : أعطيكم الحفظ لتقرءوها عن قلوبكم فقالوا : إنا نحب أن نقرأ التوراة نَظَراً ، فقال : ذلك لأمة أحمد صلى الله عليه وسلم ، قال : وأعطيكم السكينة فى قلوبكم فقالوا : لا نقدر على حملها فاجعلها لنا فى تابوت فكلمنا منها إذا احتاجنا . قال : فذلك لأمة أحمد . قال : واعطيكم أن تصلوا من الأرض حيث أدركتم ، قالوا « لانحب أن يكون ذلك إلا فى كنائسنا ، قال : ذلك لأمة أحمد ....»[١٦] .

ـ أن يتسم الداعية بالزهد فى الدنيا بزخارفها ومادياتها والقدرة على مقاومة

---

(١٤) سورة محمد ـ اية ٧ .

(١٥) سورة طه ـ ايه ٢٥ ـ ٢٨ .

(١٦) نوادر الأصول صفحة ١٠٦ ، والخبر من مرويات الحكيم ـ رضى الله عنه .

إغراءاتها ، فالدعاة لا يستطيعون أن يؤثروا فيمن يخاطبونهم ويحملونهم على إيثار الدين على الدنيا والآجلة على العاجلة ، ومقاومة الأهواء والشهوات ، وتحطيم الأغلال التى تكبلهم والأقفال التى أغلقت قلوبهم ، إلا إذا شعر الناس أن فى الداعية شيئاً لا يجدونه فى قلوبهم وعقولهم وحياتهم ، إذ أن الناس ما زالوا ولا يزالون مفطورين على الإجلال لشىء لا يجدونه فى أنفسهم ، فالضعيف مفطور على احترام القوى ، والفقير مفطور على احترام الغنى ، والأمى مفطور على احترام العالم حتى اللئيم مفطور على احترام الكريم ، أما إذا رأى الناسُ الدعاة إلى الله لا يقلون عنهم حباً فى المال ورغبة فى الثراء ، والإسراف فى التكاثر ، والتنافس على المناصب ، والتمتع بالملذات والإقبال على الشهوات ، والتمتع بلهو الدنيا وزينتها ، فإنهم لا يرون لهم فضلاً عليهم ولا أهلية لهم فى الدعوة إلى الله .

(٣) حسن الهيئة مع البساطة فى المظهر

إن العمل الدينى الذى نجح فيه المبشرون الأجانب إنما كان أساس نجاحه أن داعيتهم خرج من وطنه إلى مجاهل أفريقيا وأدغال آسيا وكتاب الإنجيل بيده وسبحته فى رقبته ، وعلى جسده ثوبه المتواضع لا تسبقه أبهة الوظيفة ولا تصحبه مظاهرة أو تظاهر . ومن هنا نفذ قوله إلى قلوب من استمع إليه ، ومن قبل هؤلاء كان للإسلام تجربة رائدة ، ذلك أن المتصوفة الذين فتحوا للإسلام قلوباً غلفاً اتخذ كل منهم الإيمان الصادق والسلوك المخلص سبيلاً وطريقاً إلى قلوب الناس وحبهم وتأييدهم فآمنوا بكلام الله واتبعوا عقيدة التوحيد .

ومن ثم فإن من أهم سمات الداعية التواضع فى اللباس والبساطة فى المظهر مع حسن الهيئة حتى لا تستصغره العيون ولا تزدريه النواظر فالصورة تسبق اللسان والجثمان يستر الجنان .

(٤) الإلمام بعلوم الدين إلماماً كافياً

إن العلم بالقرآن ودراساته الوثيقة هو أداة الاتصال الأساسية بين الداعية ومريديه أو جمهور المستمعين إليه فبهذا العلم تمحى الضلالة وتزول أوهام الشك ، كما أن صلاح الإنسان لا يكون إلا بالمعرفة الحقة . فالفضيلة لا تنتشر بين الناس إلا إذا تعلموا وعلموا أنها أمر حسن ، وأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد أمر بالمعروف ، وأن المنكر والرذيلة لا تتوارى ولا يختفى شبحها إلا إذا طاردها الناس حين يتعلمون ويعلمون آثارها الضارة وعواقبها الوخيمة فى الدنيا والآخرة . وقد اشتمل القرآن واشتملت السنة على الآيات والعظات والعبر والوصايا وأحسن القصص وأقوم السبل لأفضل حياة وعلى كل ما يتعلم منه الداعية ويستقى منه مصادر علمه ومعلوماته من الأوامر والنواهى والحلال والحرام والفرائض ومصائر الأقوام والأفراد الطائعين والعاصين .

وعلى الداعية أن يكون ملماً إلماماً تاما

بالكتاب والسنة وعلوم الدين حتى يبلغ الرسالة ويحقق الهدف المرجو من الدعوة .

فالداعية من أهم واجباته أن يدعو الناس إلى الله عن علم ، وأن يجادلهم عن وعى فما من دعوة إلى الله على يد رسله وأنبيائه إلا قامت على العلم ، وما من رسول بعثه الله إلى قومه إلاّ وهبه العلم والحكمة ليدعو الناس على بصيرة مقدماً لهم البرهان والحجة والدليل العلمى على وحدانية الله وعلى قدرته .

وقد ذكر الله تعالى فى آياته أن العلم هو دعامة الدعوة إلى الله ، فقد جاء فى سورة مريم ضمن الحوار بين إبراهيم عليه السلام وأبيه قوله تعالى ـ عن لسان إبراهيم

﴿ يَا أَبَتِ إِنِّى قَدْ جَاءَنِى مِنَ الْعِلْمِ مَالَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِى أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً ﴾(١٧) .

وما قامت الحجة لإبراهيم على قومه إلا على مدد من العلم ووضوح فى البرهان .

قال تعالى :

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾(١٨) .

قال تعالى :

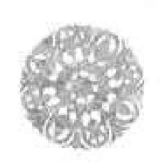
﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً ﴾(١٩) .

﴿ وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً ﴾(٢٠)

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً ﴾(٢١) .

وبعد هذا العرض للمواصفات الشخصية والعقلية التى يجب أن تتوافر فى الداعية إلى الله ، يمكن القول بوجه عام أن ثقة الداعية فى نفسه وثقة المدعوين إلى الله فيه هى من أهم مقومات نجاح الدعوة الإسلامية .

يتبع .



(١٧) سورة مريم ـ آية ٤٣ .
(١٨) سورة الأنعام ـ آية ٨٣ .
(١٩) سورة يوسف ـ آية ٢٢ .
(٢٠) سورة الأنبياء ـ آية ٧٤ .
(٢١) سورة النمل ـ آية ١٥ .

العلامة الشيخ
على محمود قراعة
رئيس المحكمة العليا الشرعية سابقا

حياته فى القضاء

لما تولى القضاء عمل فى محاكم الزقازيق والعياط وأسيوط وههيا والقاهرة الجزئية .

ثم عمل فى محاكم قنا وبنى سويف والزقازيق والمنصورة والقاهرة والأسكندرية الكلية . وختم حياته القضائية المباركة بتولى رئاسة المحكمة العليا الشرعية .

كان شعاره فى عمله طوال حياته القضائية نصيحة سمعها من المرحوم « عاطف باشا بركات » ناظر مدرسة القضاء الشرعى ، وهى : « العامل إما أن يتقن عمله وإما أن يتركه لمن يتقنه » . لهذا كان عمله فى جميع المحاكم التى عمل بها على أحسن ما يمكن أن يقوم به العامل من حسن الإدارة وإتقان الأعمال وتنجيزها . يشهد لحسن إدارته استقرار النظام فى المحاكم التى كان يرأسها حيث لم يحدث فيها اضطراب أو منازعات بين عمالها ، ولم تتعطل أعمالها أو جلساتها .

أما إتقان الأعمال وتنجيزها فيشهد لذلك صواب الأحكام التى كان يصدرها ، لأنه لم يكن يقضى إلا بعد أن يفهم موضوع القضية ، يصغى إلى كلام الخصوم وحججهم ، يفحص هذه الحجج فحص العالم الورع التقى الذى عاهد الله سبحانه على أن يبذل ما فى وسعه لإيصال الحق إلى صاحبه . وبعد أن يستبين له وجه الحق يحكم لصاحب الحق بحقه . ولقد نقل عنه « رحمه الله » فى هذا الموضوع قوله :

« ومتى وثقت بأن الحكم يجب أن يكون كذا ، حكمت به بقطع النظر عما يترك هذا الحكم من الأثر عند أى إنسان ، وكنت لا أنظر لأطراف الخصوم ومركزهم الاجتماعى ، ولا لوكلائهم وعلاقاتهم بى من صداقة أو معرفة أو غير ذلك ، فإنى كنت أنسى كل هذا ولا أنظر إلا إلى موضوع القضية وما قدم لها من أدلة ، وما يقتضيه الشرع والقانون فيها مع قطع النظر عن أى

للأستاذ الشيخ

توفيق إسلام يحيى

اعتبار آخر »[1] ، كان كل جهد فقيدنا العظيم « رحمه الله » مبذولاً لإيصال الحق إلى صاحبه قويا كان أو غنيا ولا يخشى أن يقال : إنه حكم لمركزه ، وكذا ضعيفاً كان صاحب الحق أو فقيراً بلا خوف ولا خشية من مركز خصمه .

وقد حدثت له فى أثناء حياته القضائية حوادث كثيرة ، كل حادثة منها كفيلة ببيان مدى إخلاصه فى احقاق الحق الذى رفعه إلى مرتبة السادة علمائنا العظام من السلف الصالح « رحمهم الله تعالى » . نذكر هنا بعضاً من هذه الحوادث .



١ ـ حينما نقل إلى أسيوط ـ بلده ـ قاضياً شرعياً وصلت إلى وزارة الحقانية يوم ٢٤ من فبراير سنة ١٩١٦ م ، عريضة بتوقيع أحمد محمود بأسيوط تطلب نقل فضيلته من أسيوط لأنه لا يصح عدلاً أن يكون القاضى فى بلده وله به أقارب وأصحاب ومنهم محامون شرعيون ، فأرسلت وزارة الحقانية إليه بهذه العريضة لإبداء رأيه فيها . ولما اطلع عليها أرسل رأيه فيها إلى إدارة المحاكم الشرعية ، وخلاصته : « واجبى أقوم به أينما كنت ، مع أى شخص ، قريب أو بعيد ، عدو أو صديق ، لا أحابى إنساناً ضد آخر فى القضاء ، أفعل ذلك وأتمسك به ، لا خوفا من إنسان ، ولا انتظاراً لرقى ، ولا حرصا على حسن السمعة ، وإنما مراعاة للواجب الدينى وما تقتضيه الذمة والشرف .. ثم يقول : ومما يدل على أن مقدم العريضة كاذب فى قوله أن الناس لو شعروا بشىء من الحيف فى قضائى لاستأنفوا أحكامى طلباً للنصفة منها ، وهذا ما لم يحصل للآن . وختم رده بقوله : إنى لا أستطيع أن أقبض على أيدى الحاسدين فى المستقبل حتى لا يكتبوا فى المستقبل كما كتبوا ، وأزيد ، كما إنى لا أستطيع أن أستقيم فى أعمالى أكثر مما أنا عليه الآن[2] .

٢ ـ حينما كان قاضياً فى قنا عرضت عليه فى إحدى الجلسات قضية رفعها أحد

---

(١) راجع كتاب الفرار إلى الله ص ١٢٢ لنجله الكاتب الكبير محمود على قراعة .

(٢) راجع كتاب الفرار إلى الله ص ١٢٣ .

الخصوم ضد الخاصة الملكية ، ففقيدنا العظيم « رحمه الله » ـ تطبيقاً لشعاره الذى اتخذه وهو إحقاق الحق وايصاله إلى صاحبه ـ حكم فى هذه القضية لصالح المدعى ضد الخاصة الملكية . فما كان ممن حضروا الجلسة إلا أن هتفوا « يحيا العدل » وبعد سنوات رقى ونقل إلى القاهرة ، وذهب إلى القصر ـ جريا على العرف فى ذلك الوقت ـ لشكر الملك فؤاد على الترقية ، فقال له الملك فؤاد فى أثناء حديثه : « اعدل ياقراعة » فرد عليه بكل ثقة وصدق وإيمان « أحكامى كلها عدل والله يعلم ذلك »[٣] .

٣ ـ حينما كان قاضيا بمدينة العياط « وصله خطاب غفل عن الإمضاء بالتهديد بالقتل إذا حكم بنفقة صغيرة أو كبيرة ـ فى قضية معروضة عليه ـ فلم يتأثر وسلم الخطاب للشرطة ، وجرى فى حكمه بما قضى به الشرع ، فأتاه بعد أسبوع خطاب من كاتب الخطاب الأول يستسمحه لما أدخله فى نفسه من إزعاج ، لأنه ظهر له من أحكامه أنه ـ ليس مع المرأة ولا مع الرجل ـ وأنه لا يميل مع الهوى ، وأنه أعدل قاض رآه »[٤] .

٤ ـ رفع فضيلته يوما الجلسة للمداولة . وبينما هو فى حجرة المداولة أراد الأستاذ أحمد مرسى بدر ـ محامى أحد الخصوم ـ أن يضيف بعض الأقوال إلى المرافعة فاستأذن عليه بالدخول فلم يأذن له وقال فضيلة القاضى العادل : لا حق له فى الكلام بعد ما استوفاه فى مرافعته . وبعد مدة عين هذا المحامى وزيراً للعدل وكان فى حقيقة الأمر واسع الأفق محبا للعدل فاعتبر ما صدر من فضيلة القاضى ـ يوم مرافعته ـ فضيلة كبرى لفضيلة القاضى فقدره لذلك ورقاه من رئيس لمحكمة الأسكندرية إلى عضو للمحكمة العليا الشرعية »[٥] .

كان رحمه الله تعالى كثير الحرص على الوصول إلى الحكم الذى يوصل الحق إلى صاحبه ولا يرى غضاضة فى أن يتدارس مع إخوانه ما أشكل عليه ، كما هو شأن القاضى الذى يحب أن يصل فى قضائه إلى العدل بالبحث فى الكتب والتقصى من أولى العلم ، لأن العلم لا يعرف الكبرياء حيث اتصل مرة بصديقه المرحوم الأستاذ أحمد أمين يسأله عن بعض ما أشكل عليه[٦] .

عمله هذا إن دل على شىء ، فإنما يدل على علو همته ورفعة قدره وسمو منزلته وتقديره لمكانة القضاء فى نفسه . وأذكر بهذه المناسبة أن فضيلة المرحوم الشيخ / محمد سعداوى كان يدرس لنا بكلية الشريعة كتاب « الهداية » فجاء يوما وقال لنا : موضوع درسنا اليوم « كذا » وهو مكون من عنصرين ، سأشرح لكم اليوم العنصر الأول : أما العنصر الثانى فسأؤجل شرحه إلى الغد لأنى حاولت وأنا أحضر الدرس مساء فهم العنصر الثانى لكنى عجزت وسأذهب الليلة إلى صديقى الشيخ محمد يوسف أتدارس معه هذا العنصر ، وغداً « إن شاء الله »

(٣) راجع ملخص كتاب الأصول القضائية ص ٣٦٦ .
(٤) راجع كتاب الفرار إلى الله ص ١٦ .
(٥) راجع كتاب الفرار إلى الله ص ١٢٢ .
(٦) الفرار إلى الله ص ٢٣ .

أشرحه لكم . لم يشعر واحد منا ـ نحن الطلبة ـ بأن هذا الاعتراف يمس كرامته كعالم ومدرس فى أكبر جامعة إسلامية ، بل جعلنا نحس بأننا أمام عالم فاضل يندر وجود مثله .

فقيدنا العظيم وهو رئيس للمحكمة العليا الشرعية

فى يوم ٢٩ من أكتوبر سنة ١٩٤٤ ميلادية عين فقيدنا العظيم « رحمه الله تعالى » رئيسا للمحكمة العليا الشرعية ، وكان له فيها خطوات مشكورة لتنظيم القضاء ككل ، وتحسين أحوال رجاله وعامليه ، لأن اطمئنانهم على شئون حياتهم نفع للقضاء فإن صون كرامة القضاة رفع لمكانة القضاء ، واطمئنانهم على شئون حياتهم يجعلهم يتفرغون كلية للبحث والدراسة والتقصى للوصول إلى الرأى العادل واحقاق الحق وايصاله إلى صاحبه .

ولتخفيف المعاناة عن أصحاب القضايا استصدر قراراً من وزير العدل بأن تنتقل دائرة من دوائر المحكمة العليا الشرعية إلى مدينة الأسكندرية لنظر المواد المستأنفة من محكمة الأسكندرية ودمنهور الكليتين أسوة بالدائرة التى تنتقل إلى مدينة أسيوط لنظر القضايا المستأنفة من المحكمتين الكليتين بأسيوط وقنا .

اقتراحه بإنشاء محكمة شرعية للنقض

فكر فقيدنا العظيم « رحمه الله » فى إنشاء محكمة نقض مستقلة برئيس ووكيل وأعضاء وبكل ما تستوجبه المحكمة المستقلة ، واتصل مع وزير العدل فى ذلك الوقت وهو الدكتور « محمد كامل مرسى باشا » فعرض عليه الفكرة وناقشه فيها فوافق عليها وطلب منه وضع مشروع متكامل ليشمل نظام تشكيل المحكمة ، والأحكام التى يصح أن يطلب فيها النقض ، وتعديل بعض مواد المحاكم الشرعية بما يستوجبه هذا المشروع .

وضع فقيدنا العظيم « رحمه الله » هذا المشروع المتكامل وقدمه إلى معالى وزير العدل ، وأخذت وزارة العدل تقوم ببحث هذا المشروع بما فى ذلك بحث تعديل بعض مواد المحاكم الشرعية اللازمة لتنفيذ المشروع . لكن جدت أمور بعد ذلك استدعت صرف النظر عن هذا الاقتراح حيث بدأت الاضطرابات الداخلية فى أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات وقيام ثورة ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ ثم حصل ما حصل مما يعرفه الناس جميعاً .

كذلك تقدم فقيدنا العظيم « رحمه الله » إلى الجهات الرسمية بطلب لتحسين مرتبات رجال القضاء والعاملين فيه حتى يتمكنوا من الظهور بالمظهر المشرف لمكانة القضاء ، ويقوموا بأعمالهم على أكمل وجه يستوجبه القضاء[٧] .

عطفه وحسن معاملته للعاملين

علمنا فيما مضى أن فقيدنا العظيم « رحمه الله » اشتهر بحسن الإدارة وتنظيم اعمالها وضبطها والإشراف عليها بجدية وصدق ،

(٧) راجع كتاب الفرار إلى الله ص ١١٩ ، وملخص كتاب الأصول القضائية ص ٣٦٣ .

وشهد بحسن إدارته فى المحاكم التى رأسها عدم وجود منازعات بين عمالها ، وقيام كل بواجبه فى وقته دون تأخير . ومع ضبطه للإدارة وإشرافه على العاملين بجدية وصدق كان فى قرارة نفسه رحيما بهم عطوفاً عليهم ، فهو بمثابة الوالد لهم .

حدث مرة وهو - رئيس للمحكمة العليا - أن علم بحدوث تقصير من أحد العاملين فاستدعاه ولامه على تقصيره . خرج العامل من مكتبه متألما باكيا فكتب استقالته وقدمها لفضيلته . وبكل هدوء أخذها منه فضيلته ووضعها فى درج مكتبه . أما العامل فظل يبكى فى مكتبه أسفا على زوجته وأولاده ، ووقت انصراف الموظفين استدعاه وأخذ ينصحه بعدم التقصير فى عمله حتى لا يقع تحت غضب الله تعالى ، ثم أعطاه الاستقالة ليقطعها بنفسه فبكى العامل أمامه ثانية واعتذر له شاكرا لتكرمه بعدم تبليغها للوزارة .

عفته ونزاهته وابتعاده عن الشبهات

كان فقيدنا العظيم « رحمه الله » المثل الأعلى فى عفة اليد واللسان والابتعاد عن الشبهات منذ نعومة أظفاره ، ولزمته هذه العفة طوال حياته مع ازدياد نموها ورسوخها فى نفسه .

حدث مرة وهو رئيس للمحكمة العليا الشرعية أن استشير فى ترقية أحد القضاة فأبدى رأيه بما يطابق ضميره وهو أنه يستحق الترقية . وبعد صدور قرار ترقيته رأى القاضى أن يكرم أستاذه فأرسل إليه قفص عنب هدية له . فما كان منه إلا أن أمر نجله الكاتب الكبير « محمود على قراعة » برده له وقال : « إن رأيه الاستشارى فى الترقية إنما هو لوجه الله تعالى ولحسن سير القضاء » ، واعتبر فقيدنا العظيم « رحمه الله » قبول هذا القفص يتجافى مع النزاهة الواجبة فى المستشار ومع الخلق القويم ومع أمانة إبداء الرأى فى رجل القضاء[8] .

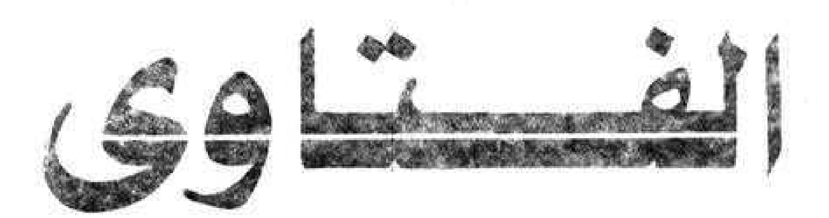
وختم فقيدنا العظيم « رحمه الله » حياته القضائية مودعا المحاكم الشرعية بصدور قرار احالته إلى المعاش لبلوغه السن القانونية سنة ١٩٤٩ ميلادية ، ودعها بعد أن عمل بها قرابة سبع وثلاثين سنة قاضيا عالما ورعا نزيها مخلصا شبيها بساداتنا قضاة عصر التابعين . رحمة الله تعالى على فقيدنا وعلى بقية القضاة الشرعيين أجمعين .

حياته العلمية بعد الإحالة إلى المعاش

بعد أن أحيل إلى المعاش انتدبته المحكمة العليا الشرعية لإبداء رأيه فى إحدى قضايا

البقية ص ١٦١١

(٨) راجع ملخص كتاب « الأصول القضائية » ص ٣٦٥ .



إعداد وتقديم : عبد الحميد السيد شاهين

س : من السيد / ع . ع . عبد النبى - مصر الجديدة :

ما الحقوق الشرعية للزوجة المطلقة قبل الدخول بها ؟ علما بأن لها مؤخر صداق ، وقد أعطاها الزوج بعض الهدايا مثل النقود والذهب ، كما أعطاها شبكة قبل العقد عليها .. فما الحكم ؟

ج : للزوجة المطلقة قبل الدخول بها حق فى نصف المهر جميعه « مقدمه ومؤخره » وكذلك نصف الشبكة - أما الهدايا التى أهداها لها الزوج خلال فترة الزوجية فهى من حقها وليس للزوج حق فيها ؛ لأنها تعتبر هبة والهبة تملكتها بالقبض .

س : من السيد / م . م . خالد - المنوفية

شاب يريد الزواج من فتاة ولكن والد الفتاة رضع من أم الشاب أكثر من خمس رضعات .. فما الحكم ؟

ج : برضاع والد الفتاة من أم الشاب خمس رضعات متفرقات متيقنات فى زمن الرضاع وهو الحولان صار ابنا للمرضعة وأخا لجميع أولادها ، وعلى ذلك فلا يجوز لهذا الشاب الزواج من هذه الفتاة لأنها صارت بنت أخيه من الرضاع ، والرضاع يحرم به ما يحرم بالنسب .

س : من «قدم صبار» : م . م . كمال :

هل يجوز للزوجة المختلفة مع زوجها ، وتقيم بأولادها بعيداً عنه فى منزل والدتها ، أن تمنع والد الأولاد من رؤيته لهم شرعاً ؟

ج : لا يجوز شرعاً أن تمنع الزوجة زوجها من رؤية الأولاد لأنها مختلفة معه ، فالخلاف لا يمنع وجوب رؤية الوالد لأولاده ، وإن منعته فهى آثمة .

الفتاوى

س : من السيد / ب . ت . الباجورى - الشرقية :

ما قيمة النصاب بالنسبة للذهب والفضة بالجرامات ؟

ج : النصاب بالنسبة للذهب هو : (٨٤,٤) أربعة وثمانون جراماً وأربعة من عشرة من الجرام يضرب فى سعر اليوم ، والنصاب بالنسبة للفضة هو (٥٩١,٩) خمسمائة وواحد وتسعون جراماً وتسعة من عشرة من الجرام يضرب فى سعر اليوم .

س : ومن السائل نفسه : ما حكم اللقطة ؟ وهل لها زكاة إذا لم يجد لها صاحباً ؟

ج : بعد التعريف باللقطة حولا كاملاً ولم يظهر صاحبها فإنها تكون ملكاً للفقراء بما فيهم (اللاقط) إن كان فقيراً ، وتكون خالصة لهم إن كان غنياً .. وهذا رأى الجمهور ..

وقال الشافعية : يتملكها (اللاقط) بعد التعريف بها سنة ولم يظهر صاحبها سواء كان اللاقط غنياً أو فقيراً ؛ وعلى مذهب الشافعية يخرج عنها الزكاة لأنها ملكه .

س : من السيد / ط . س عبد الرحمن - الفيوم :

توفى والدى بتاريخ ١٩٨٧/١/١٥ .. وكان قد طلق زوجته طلاقاً بائنا على الإبراء بتاريخ ١٩٨٦/١١/٥ . فهل لها الحق فى الإرث أم لا ؟

ج : بطلاق هذه الزوجة فى التاريخ المذكور ١٩٨٦/١١/٥ طلاقاً بائنا بينونة صغرى لا تحل له إلا بعقد ومهر جديدين وبرضاها ....

وحيث إنه توفى بتاريخ ١٩٨٧/١/١٥ فإن الزوجة لا ترث منه حيث إن الطلاق كان بائناً بناء على طلبها . لأنها يوم وفاته لم تكن زوجة له .

س : من السيد / ج . عبد المقصود - الدرانية :

توفى رجل عن أخوين شقيقين ، واخت شقيقة ، وابن أخ شقيق .. فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : التركة كلها للأخوين الشقيقين والأخت الشقيقة تعصيباً تقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى ، ولا شيء لابن الأخ الشقيق لحجبه بالأخوين الشقيقين .

س : من السيد / ج . السيد - المنيا .

توفى رجل عن : زوجة ، بنت ، اخت شقيقة ، اخت لأب . فمن يرث وما نصيبه ؟

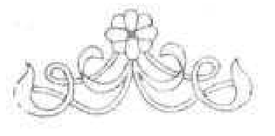
ج : للزوجة الثُمن فرضا لوجود الفرع الوارث .. وللبنت النصف فرضا لانفرادها ولعدم من يعصبها ، والباقى للأخت الشقيقة تعصيباً ، ولا شيء للأخت لأب لحجبها بالأخت الشقيقة .

والله أعلم

عبد الحميد السيد شاهين

العلوم الكونية

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم



الإيدز .. ضريبة الفساد الأخلاقي



المفاهيم الكونية والعقلية

الإعجاز العلمى

فى القرآن الكريم

١٨

تقديـــم :

(*)

هناك قانون طبيعى فى العلوم يقول إن الطاقة لا تجىء من العدم ولا تفنى ، ولكنها يمكن أن تتحول من صورة إلى أخرى ، تماماً كما تتحول الطاقة الكهربائية إلى حرارة وضوء وطاقة حركة ..

وتعريف الطاقة عموماً أنها القدرة على بذل الشغل ، ونحن نجد هذا المعنى واضحاً فى قول إحدى الفتيات لأبيها :

« يا أبت أدرك فاه لقد غلبنى فوه لا طاقة لى بفيه » عندما عجزت عن إغلاق فوهة « قربة » تفيض بالماء !

وينطبق نفس قانون بقاء الطاقة على المادة التى تعرف علمياً بأنها (طاقة مجسدة) ، فهى لا تجىء من العدم ولا تفنى ولا تنعدم ، ولكنها تتحول إلى مواد أخرى أو طاقة .

فمثلاً عندما نحرق قطعة من الفحم إلى أن تختفى عن أنظارنا ولا يتبقى منها سوى قدر صغير جداً من الأملاح تكون قد تحولت إلى غاز ثانى أوكسيد الكربون كما انطلقت منها طاقات ضوئية وأخرى حرارية عبر عملية غير تراجعية ، وعندئذ نقول : إن قطعة الفحم قد فنيت ظاهرياً .

ولقد نشأت المواد والطاقات التى من حولنا فى هذا الوجود متحولة عبر سلسلة طويلة من التغيرات عن مواد وطاقات أخرى .

(*) ما ورد من تفسير فى هذا المقال هو مسئولية الأستاذ الكاتب . مجلة الأزهر .

للأستاذ الدكتور
محمد جمال الدين الفندى

وهنا على الأرض تمت أغلب هذه العمليات لنشوء بيئة طبيعية صالحة لحمل الحياة وازدهارها على كوكب الأرض . فتواجد غاز الأوكسچين اللازم للأحياء فى جوها وذاب فى مائها ، وتكون لها غلاف جوى يؤدى لأهلها العديد من الخدمات التى لا يمكن أن تتوافر لمجرد الصدفة ، ولكن عن تدبير وتصميم من لدن خالق عليم .

﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ .

والمراد هنا بالسماء والسقف المحفوظ غلاف الأرض الجوى كما وضحنا عند الحديث عن استبعاد القرآن الكريم لعنصر الصدفة فى عمليات الخلق .

ولقد جمعت الأرض قدراً وفيراً من الماء الذى يغطى أربعة أخماس سطحها وأسبغ الخالق على الماء من الصفات ما جعله يحول دون حدوث فوارق فى درجة الحرارة على سطح الأرض تفنى معها الحياة .

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِى الْأَرْضِ . . ﴾

هذا كما ترسبت فى قشرتها اليابسة التى نعيش عليها وتكون القارات كافة أنواع المعادن والصخور اللازمة لكافة مجالات الحياة والتعمير ، وكلها آيات تنطق بعظيم تدبير الخالق ورحمته بنا ورعايته لنا :

١ - ﴿ إِنَّ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . الجاثية « ٣ »

٢ - ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ . . ﴾ ، غافر « ٥٧ »

فكرة العدم

هل يمكن أن يدعى عاقل بأن الأصل فى هذا الوجود وما فيه من احياء [الكون وما حوى] هو العدم ؟ !

وهل يستطيع الموت أن يبث الحياة أو أن يتمخض عنها ؟ !

الإجابة واضحة ومنطقية ، وهى كلا ومحال بطبيعة الحال ، فالوجود لا يخلقه إلا موجود سابق ، أو موجود وجوده المسبق موجب . والحياة لا يمنحها ويبثها إلا حى دائم . اليس كذلك ؟ هذا الموجود الموجب الوجود ، وهذا الحى الدائم هو الله تعالى .

وفى هذا المعنى سمى الخالق ذاته العلية بأسماء منها : الأول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن ، والحى ، والقيوم ، والباقى ... فهو ظاهر فيما خلق فى هذا الكون وأبدع من آيات ناطقة بوجوده ، ونظام متقن رائع . وهو باطن إذ لا تدركه الحواس وهو يدرك الحواس ، وهو الباقى إذ كل شىء يفنى إلا هو جل شأنه :

١ ـ ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ .
الرحمن « ٢٦ ، ٢٧ »

٢ ـ ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ .
الأنعام « ١٠٣ »

٣ ـ ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .
الحديد « ٣ »

٤ ـ ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ . . ﴾ .

البقرة « ٢٥٥ » ، آل عمران « ٢ »

وفى علوم الرياضة حيث تدخل فكرة اللا نهاية نجد هذه الصفات معبرة لها خير تعبير ، فالعدد المتناهى فى الكبر مثلاً هو العدد الذى لا يوجد أكبر منه ، ولا تسرى عليه قواعد الحساب التى نستخدمها من جمع وطرح ..

ومعنى ذلك أنه لا سبيل إلى التفكير فى الذات العلية بعقولنا المادية :

﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ . . ﴾
آل عمران « ٣٠ »

ولا محل لسؤال الجهلاء عمن خلق الله ؟ ، فهو قول ساذج تمليه على الإنسان البدائى طبيعة الحياة الظاهرية على الأرض ، حيث يخيل إليه أنه بدأ من العدم كما يبدو له ظاهرياً أنه يعود إليه !

﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ . الروم « ٧ »

العمق السابع عشر من أعماق الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم

يتصل هذا العمق بحقيقة أنه فى ضوء ما تقدم نجد أن القرآن الكريم إنما يقيم الحجة على الكافرين والذين لا يؤمنون بأسلوب علمى ومنطق سليم تجلى فى هذا العصر بأجلى معانيه ، وذلك بالإضافة إلى الأساليب الأخرى التى لها تجلياتها فى كل عصر من عصور المدنية منذ نزل القرآن الكريم فهو **قبل كل شىء يخاطب العقل :**

١ ـ ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ . الملك « ١٠ »

٢ ـ ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ .
الروم « ٢٨ »

وعلى هذا النحو يجعل القرآن الكريم من أسس الإسلام بعد الإيمان بالله تعالى الذى ليس كمثله شىء ، التصديق بالبعث وباليوم الآخر « يوم الدين » ، وبالثواب والعقاب :

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا . . ﴾ . الملك « ٢ »

نعم يقيم القرآن الكريم الحجة على الكافرين بأسلوب علمى ومنطق سليم فيقول مثلاً :

١ ـ ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ .
يس « ٧٨، ٧٩ »

٢ ـ ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ . أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ . الطور « ٣٥ ، ٣٦ »

ويعجز العلم الطبيعي عن الخوض في موضوع أصل الوجود ، ولا يبدأ البحث والدراسة إلا بعد أن توافرت في الوجود طاقة الكون ومادته ويحاول المكابرون التخلص والهروب مما يعجز العلم الطبيعي عن الإجابة عليه ، وهم يلجأون إلى ما يسمونه مثلاً باسم « الصدفة » ! فيدعون أن « الصدفة » ! هي أصل الوجود ! وهنا يحق لنا أن نسأل : هل يمكن للصدفة أن توفر نظاماً شاملاً وأن تثبته على مر الزمن ؟!

وبطبيعة الحال هذا محال . إن شمول النظام وثبوته على مر الزمن لابد أن يكون بفعل قوة مريدة مدبرة واعية ، والله تعالى يقول :

﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلاً ﴾ ـ فاطر « ٤٣ » ـ يعني ثبوت نظام الكون وشموله مع المكان والزمان معاً .

أما موضوع الصدفة فهو أمر يستنكره القرآن الكريم ويستبعده فيقول مثلاً متحديا : ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَّحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ الأنبياء « ٣٢ » ـ وماسماء الأرض هنا وسقفها المحفوظ سوى غلافها الجوى الذى تحتفظ به الأرض بقبضة جاذبيتها وتحول دون تسربه إلى خضم الفضاء الكونى الفسيح .

وتفسير ذلك علميا هو أن الغازات « مثل الهواء » تندفع بطبيعتها بقوة لتملأ الفراغ الذى تعرض له . ولما كان غلاف الأرض الجوى معرضا في نهايته من أعلى « على ارتفاع نحو ألف كيلو متر » للفضاء الكونى ، كان من الطبيعي أن يتسرب هواء الأرض إلى الفضاء الكونى لولا قبضة جاذبيتها الكبيرة . ونظراً لصغر جاذبية القمر فقد تسرب غلافه الجوى منذ القدم وفقد في الفضاء الكونى ، وصار القمر عالما ميتا خربا ، بعد أن تبخرت مياه بحاره ومحيطاته ولم تجد سقفا يحفظها فتسربت بدورها إلى الفضاء .

وتتعادل قوة جذب الأرض وإمساكها لغلافها الجوى مع قوة اندفاعه إلى الفضاء فيظل مرفوعا إلى علو نحو ألف كيلو متر كما قلنا . ويقسم الخالق بهذا السقف المرفوع فيقول : ﴿ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴾ ـ الطور « ٥ » كما يقسم بماء الأرض أو غلافها المائى فيقول : ﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾ ـ الطور « ٦ » .

ويؤدى هذا السقف لأهل الأرض ويوفر لهم من الخدمات الحيوية عدداً وفيراً لا يمكن أن توفره الصدفة ، ولا يمكن أن يوفره المهندسون المهرة في الأرض ولو اجتمعوا لهذا الغرض ، وهكذا يقيم القرآن الحجة على الكافرين بالمنطق السليم فيقول : ﴿ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ الأنبياء « ٣٢ » أى عن خدماتها وفوائدها ومنافعها التى لا يمكن أن يوفرها إلا خالق قدير مدبر مريد .

ومن أمثلة تلك الخدمات الحيوية

١ ـ أن هذا السقف فيه غاز الأوكسجين اللازم لحياة كافة الأحياء في الأرض .

٢ ـ أن فيه غاز ثانى أكسيد الكربون الذى تأخذه النباتات لتكون في ضوء الشمس مركبات الكربون بواسطة « الخضر » أو « اليخضور » أو الكلوروفيل . ومن هذه المركبات الخشب والسكر والزيوت والحبوب ..

٣ ـ فى هذا السقف يتصاعد بخار الماء من البحار والمحيطات وتحمله الرياح لتثير السحب التى تجود بالمطر . والمطر هو المصدر الوحيد للمياه العذبة فى الأرض ، سواء فى ذلك ماء الأنهار ، أو الروافد ، أو الآبار ، أو العيون .. ومنها ماء زمزم .

٤ ـ فى هذا السقف تسرى الأصوات ، ولولاه ماسمع بعضنا البعض عند الكلام .

٥ ـ يتكون ضوء النهار فى الطبقة السطحية من هذا السقف عن طريق تناثر أو تشتت ضوء الشمس بواسطة جزئيات الهواء ، فيقبل ضوء النهار من كل الاتجاهات ، وتلك من أروع مزايا ضوء النهار .

٦ ـ ينظم هذا السقف بواسطة الرياح درجات الحرارة على سطح الأرض ، فينقلها من مناطق وفرتها وغزارتها حول خط الاستواء إلى مناطق قلتها وشحتها عند القطبين ، وبذلك لا تسود فروق عظمى من درجات الحرارة تفنى معها الحياة على الأرض .

ولا يتسع المقام لسرد كافة الخدمات إلا أن منها باختصار أنه يفتت النيازك فى أعالى جو الأرض ، ويحرق الشهب ، ويحمى الأرض وأهلها من زمهرير الفضاء الكونى الذى تبلغ درجة حرارته ٢٧٠ درجة سنتجراد تحت نقطة تجمد الماء.. الخ .

الوصية الواجبة . بقية

١٠ ـ استحدث نظام الوصية الواجبة قاعدة جديدة فى الحجب لم يقل بها أحد .

١١ ـ الوصية الواجبة إذا استوعبت الثلث تبطل ما أذن الله به من الوصايا الاختيارية وتحرم الإنسان مما تصدق الله به عليه لزيادة ثوابه وإبراء ذمته ، وتعطل قصد الموصى فى تدارك ما فاته من الفرائض والواجبات . وتعطى جبرا عليه نصيبا من تركته لمن لا يرثه وقد يكون راغبا فى عدم إعطائهم شيئا من ماله لفسق أو عقوق أو نحو ذلك .

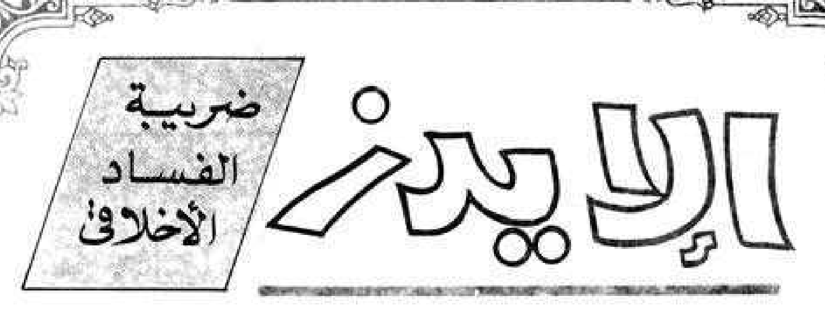
وبعد ، فهذه مخالفات خطيرة توشك أن تكون خروجا على طاعة الله ورسوله وردا لما أمر الله به ، وما قضى به رسول الله ﷺ مما يعتبر تعديا على حدود الله تعالى التى حدها فى المواريث وقال فيها : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(١٤) .

افبعد هذا البيان والبلاغ يجوز لعالم مسلم أن يفتى بنظام الوصية الواجبة ؟!!

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِى إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ .

---

(١٤) آية رقم ١٣ ، ١٤ من سورة النساء .





بقلم/ د. واصف عبدالحليم عبدالله
عضو هيئة التدريس بكلية العلوم الأزهر

فى هذا المقال نستعرض جوانب أخرى لهذا المرض نتعرض لها بالدراسة والتحليل :

١ ـ سير المرض وأعراضه :

بعد الإصابة بالحمّة الراشحة وخلال فترة تتراوح بين ستة أسابيع وستة أشهر يصبح المصاب حاملاً للمرض ، وتغدو التفاعلات المخبرية الخاصة بالإيدز عنده إيجابية .. وتبقى الإصابة كامنة فى دور الحضانة فترة من الزمن قد تمتد إلى خمس سنوات أو أكثر . وحسب بعض التقديرات فإن (١٠٪) على الأقل من هؤلاء الحاملين للمرض سوف تتفاقم عندهم الإصابة وتتطور إلى مرض « الإيدز » الذى ينتهى بالموت المحتم خلال فترة لا تزيد على ثلاث سنوات ، وبعد دور الحضانة تظهر أعراض عامة غير وصفية كالوهَن والضعف والحمى والتعرق الليلى ونقص الوزن والإسهال ثم تحدث تضخمات فى « العقد الليمفاوية » « Chronic Lymphadenopathy » وتتكامل الصورة السريرية لمرض « الإيدز » بانهيار مقاومة البدن للأمراض ، فتستولى عليه « الانتانات » الانتهازية الفتاكة بجراثيم وحمَّات راشحة وطفيليات شديدة الأمراض ونادرة الحدوث مثل :

Penumocystis Carinii

أو Toxo Plasm

أو Cytomegaloverin

وقد تحدث إصابة دماغية شديدة تعرف باسم LAV/HTLV/111 Ence Phalopathy نتيجة لتخرب خلايا الجهاز العصبى ، وفى أكثر من نصف الحالات يصاب المريض بنوع خاص من السرطان الذى يصيب الجلد والعقد اللمفاوية والأحشاء ، ويبدو على شكل أدران قاتمة منتشرة على الجسم ، وينتهى الأمر بالموت خلال وقت قصير .

إن ظهور هذه الأعراض والعلامات : خاصة عند شخص ينتمى لإحدى الفئات المعرَّضة لخطر الإصابة - السابقة الذكر - يدعو إلى الشك فى الإصابة بهذا المرض ويمكن تأكيد ذلك أو نفيه بالاستعانة ببعض الفحوص المخبرية التى تَمَكَّن العلماء من تطويرها فى الآونة الأخيرة .

وأهمها اختبار يدعى « HTLV-111- ELisA » ويمكن بواسطته الكشف عن الأجسام الضدية لحمّه « الإيدز » (Anti-bodies) فى دم الأشخاص المشتبه فى إصابتهم ، وقد أصبح هذا الاختبار - وغيره - يستعمل فى الفحوص الروتينية الجماعية (Screentest) للكشف عن الأشخاص الحاملين للمرض وللكشف عن الدماء والمصول بهذه الحمّه الراشحة .

٢ - الانتشار السريع لمرض الإيدز

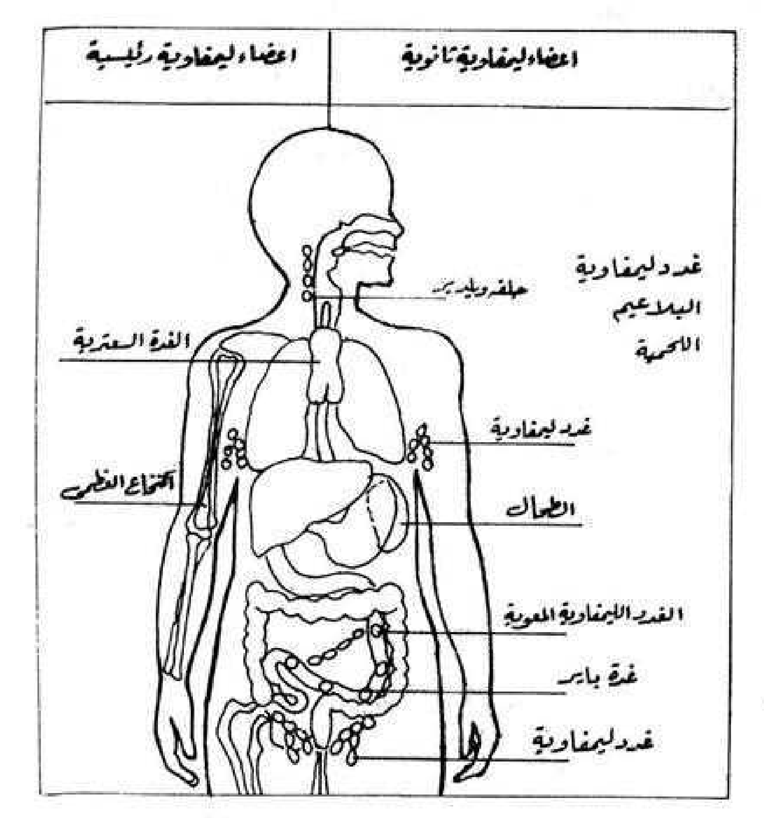
لقد اتصف هذا المرض منذ ظهوره بانتشاره السريع فالإصابات والوفيات تتزايد فى خط بيانى صاعد مستقيم وهى تتضاعف كل ستة أشهر . حيث يُقدر أن يبلغ ضحاياه ثلاثين ألفا فى نهاية هذا العام ١٩٨٧م كلهم من الشباب مما أعاد إلى الأذهان جائحة مرض الزهرى التى اجتاحت أوروبا فى القرن الخامس عشر الميلادى والتى اعُتقد فى حينها أنها وفدت من أمريكا بعد اكتشافها ... وقد حمله الأوروبيون معهم إلى مجتمعاتنا الإسلامية فعرف فى بلادنا باسم (الإفرنجى) وقد بقى الزهرى خطراً جاثما على صدور الشاذين والمنحرفين حتى هذا القرن بعد أن اكتشف عقار البنسلين عام ١٩٤٠ م .



شكل ١ مقارنة بين اعداد حالات فقدان المناعة المكتسبه فى الولايات الامريكية بين اغسطس ١٩٨٣ ويوليو ١٩٨٥

زيادة مطردة من الإصابة — لا توجد إصابات — إصابات بنسب قليلة

إن نظرة سريعة للأرقام والإحصاءات المتوفرة لدينا وبين أيدينا فى هذا المقال وهى من واقع السجلات والجداول الدولية الخاصة بالمرض تبرز لنا حالة الذعر والهلع التى أصابت المجتمع الغربى ... فالإصابات تتفاقم وتتضاعف وتشير آخر الدراسات إلى بداية انتشار الوباء خارج إطار الفئات الاجتماعية المصابة ، وقد بلغ عدد إصابات الأطفال دون سن (١٢) سنة فى الولايات المتحدة الأمريكية حوالى (٢٠٠٠) إصابة شكل (١) ـ معظمهم ابناء لأمهات بغايا أو مدمنات على حقن المخدرات مما دعا الأمهات الأخريات أن يتظاهرن مطالبات بعزل الأطفال المصابين خشية على أبنائهن ـ ومقاطعة المدارس التى تضم بين تلاميذها أطفالاً من عائلات مصابة .



شكل ٢
الجهاز المناعى فى جسم الإنسان حيث تبدو الغدد الرئيسية والثانوية فيه

٣ ـ الإيدز .. كيف يقهر جهاز المناعة

تظهر أهمية جهاز المناعة بصورة واضحة فى المرضى الذين يعانون من ضعف الخلايا الليمفاوية أو نقصها نتيجة لغزو الجسم من قبل بـ(فيروسات) لها القدرة على مهاجمة خلايا الجهاز المناعى كما هو الحال فى مرض « الإيدز » فقد اكتشف أن سبب هذا المرض فيروس يهاجم الجهاز المناعى للجسم شكل (٢) وبذلك يفقده وظيفته فى مواجهة أى جسم

غريب يغزوه مما يؤدى إلى ظهور أعراض مرضية متنوعة منها التهابات رئوية ومعوية والتهابات فطرية فى الفم والمرىء ونقص شديد فى الوزن كما ذكرنا سابقاً ، وكما وجدنا فيروس « الإيدز » له القدرة على الدخول إلى نواة « الخلية التائية » حيث(*) يحدث فيها الخلل والتخريب ويتكاثر بداخلها ويقضى عليها ، وتخرج الفيروسات الجديدة لتهاجم خلايا تائية جديدة .

٤ ـ الإيدز .. بالأرقام

ليس (للإيدز) من العمر إلا خمس سنوات أشاعت الرعب فى العالم الغربى وشغلت جمهرة الأطباء والباحثين الذين سخروا وقتهم للتعرف على هذا الداء الفتاك والبحث عن سببه ومنع تقدمه ومحاولة علاجه .

شكل ٣

تطور عدد الإصابات والوفيات الناجمة عن الايدز في الولايات المتحدة والمانيا الغربية ما بين عامي ١٩٨٢م و ١٩٨٥م

الدولـــة	اكتوبر ١٩٨٢م		حزيران ١٩٨٤م		اكتوبر ١٩٨٥م	
	الإصابات	الوفيات	الإصابات	الوفيات	الإصابات	الوفيات
الولايات المتحدة الأمريكية	٦٦٥	٢٥٦	٦٦٢٠	٣٠٨٩	١٤١٢٥	٦٥٠٠
المانيا الغربيـة	٣	ـــ	٧٢	٤٣	٣٠٠٠	١٣١

شكل ٤

عدد الإصابات في عـدد مـن دول العالم حتى تاريخ ١٩٨٥/٦/٣٠م

الدولـــة	عدد الإصابات
الولايات المتحدة	١٢٠٦٧
البرازيـــل	٤١٠
فرنســـا	٣٩٤
المانيا الغربية	٢٧٢
بريطانيـــا	١١٦
بلجيـــكا	٩٩
ايطاليـــا	٥٢
الدانمـــارك	٤٨
اسبانيـــا	٣٨

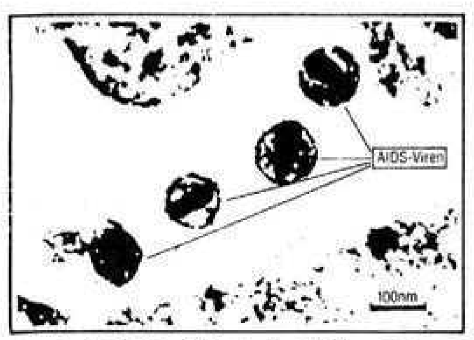
(*) وكعادة الغرب سخر من كل دعوة أخلاقية ، واطلق على قائليها : « أنبياء المستشفيات » ، واطلق على « وباء الفاحشة » ـ « مرض الحب » ولن يفعل كل ذلك شيئاً يقاوم « الإيدز » .

ولقد فوجىء الرأى العام المنخدع بشعار « المنظمة العالمية للصحة » : « الصحة للجميع فى سنة ٢٠٠٠ » فوجىء بظهور الآفة الجديدة « الإيدز » فقد كانت العقلية السائدة أن الأوبئة الغابرة فى طريق الزوال وأن زمن الخوف من الأمراض الجنسية ولى بلا رجعة منذ أن تقهقرت أمام المضادات الحيوية الفعالة فإذا بشبح « الإيدز » يرتسم على الساحة مجبراً هؤلاء على مراجعة حساباتهم وإذا بتيار الإباحية الدافق ينقلب إلى تيار من الذعر والحيرة . ولنتبين الحقيقة للموضوع نستعرض بعض الأرقام (كما هو واضح من الإحصائيات التالية :

(أ) فى آخر إحصائية لمركز الأمراض « Center For Disease Control » بالولايات المتحدة الأمريكية قدرت حالات « الإيدز » بـ ٢١٠٦٥ حتى مايو ١٩٨٦ ، مات منها ١١٥٤١ ويتزايد عدد الإصابات كل سنة . شكل (٤) . شكل (٣) .

(ب) أما فى أوروبا فقد سجلت المنظمة العالمية للصحة ٢٤٢٣ حالة « إيدز » حتى مايو ١٩٨٦ وتأتى فرنسا فى طليعة البلدان الأوروبية تتبعها ألمانيا الغربية ثم بريطانيا فبلچيكا . (كما يوضح الشكل رقم (٤) وشكل (٣) هذه الإصابات) .

(جـ) وفى أفريقيا بلغ عدد الحالات ٣٧٨ فى الفترة نفسها(*) وتشاهد ٢٠ إصابة جديدة كل أسبوع .



■ صورة بالمجهر الإلكتروني تظهر فيها الحمات الراشحة للإيدز إلى جوار خلية دموية ■

(د) وفى آسيا واستراليا وأمريكا الجنوبية أحصيت مئات من الإصابات وتدل آخر الدراسات على أن مجموع الحالات بلغ ٢٥١٥٠ منتشرة فى ٩٢ بلداً منها بلدان عربية وإسلامية .

٥ ـ أهم الحالات والمجموعات المعرضة للإصابة بمرض الإيدز

(أ) المصابون بالشذوذ الجنسى على اختلاف أوضاعه .

(ب) المتعاطون للمخدرات عن طريق الحقن .

(جـ) المصابون بمرض « الهيموفيليا » بمختلف أشكاله .

(د) الذين نقل إليهم دم مصابين قبل التأكد من خلوه من « الفيروس »

(*) نلاحظ أن الغرب عندما بدأ بعض موجهيه يشعرون بالخزى والعار من هذا المرض أرادوا إلقاء التبعة فيه على أفريقيا يريدون تسميته مرضاً أفريقيا ، وقامت « رايدرز دايجست » بترويج ذلك ، والحقيقة تقرر كذب الدعوى .

(هـ) زوجات المجموعات السابقة بعد إصابتهم والنساء اللاتى مَارَسْنَ معهم الجنس بطرق غير شرعية .

(و) الأطفال الذين تنجبهم النساء المصابات من المجموعات السابقة .

وبعد ..

فإن المشكلة الكبرى ـ فى مواجهة هذا المرض ـ تكمن فى صعوبة تغيير السلوك الآدمى فى المجتمعات الغربية التى انتشر عنها هذا المرض الخبيث ، والواقع ان تغيير السلوك الآدمى إنما هو سباحة ضد التيار تقتضى الحذر والصبر ودقة الوعى والقدرة على المقاومة حتى يتمثل الغرب جمال الطهر والعفاف ويعلم ان الحياة السليمة إنما هى نتيجة أخلاق سامية عمادها ضرورة الطهر والعفاف وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

د . واصف عبد الحليم عبد الله

المراجـــع

١ ـ الإيدز مرض العصر ـ د . واصف عبد الحليم عبد الله .

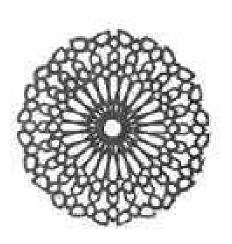
مجلة الشباب وعلوم المستقبل

٢ ـ الإيدز قضية التلوث الإنسانى ـ د . واصف عبد الحليم عبد الله .

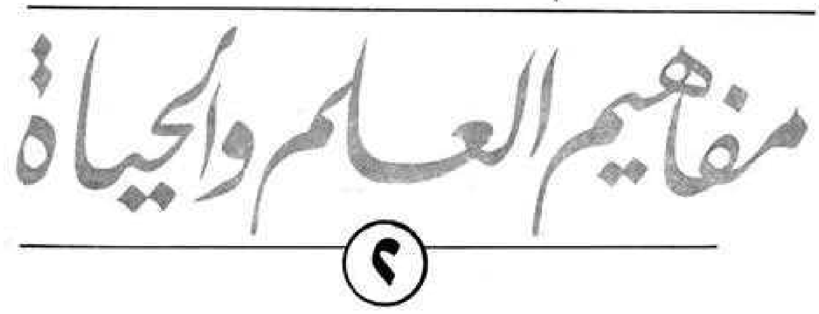
مجلة عالم الفكر

٣ ـ مجلة Current Medical Diagand Treatment

٤ ـ الإيدز حصاد الهشيم للأستاذ الدكتور / عبد الرحيم خليف



المفاهيم الكونية والعقلية



٢

د. محمد وسيم نصار
المدرس بطب القاهرة

« للأرض خصائص كثيرة منها .. أنها تدور فى مدارها حول الشمس فى مدار بين كوكبى المريخ والزُهَرَة ، وأن قطرها عند خط الاستواء (٧٩٢٦,٥) ميل ، ومتوسط بعدها عن الشمس ٩٣ مليون ميل ، ووزنها أو كتلتها (٥,٨٧×١٠^٢١) طن ، وهى تدور حول محورها دورة كاملة كل (٢٣ ساعة وست دقائق وأربع ثوانٍ) ، وتدور حول الشمس دورة كل (٣٦٥) يوماً وست ساعات ، وطول المدار حول الشمس (٥٨٤) مليون ميل ، وأن متوسط كثافة الأرض العام (٥,٥٢) قدر كثافة الماء ، حجم الأرض (٢٦٠) ألف مليون ميل مكعب ، حجم المسطحات المائية (٣٣٠) مليون ميل مكعب . بينما حجم قشرة الأرض (٢٠٠٠) مليون ميل مكعب ، وأن أعظم ارتفاع للأرض جبل « افرست » بالهملايا » ، وأن متوسط ارتفاع اليابس عموماً هو (٨٤٠) متراً ، ومتوسط أعماق المحيطات هو (٣٨٠٨) أمتار ، وأعظم عمق معروف (خانق ماريانا) هو (١١٠٢٣) مترا ...

ولو اختلت خصيصة واحدة من خصائص الأرض الكثيرة جداً والتى ذكرنا طرفا بسيطا منها لتعذر وجود هذا النوع من الحياة عليها :

لو تغير حجمها صغراً وكبراً ..

لو تغير وضعها من الشمس قربا وبعدا ..

لو تغير حجم الشمس ودرجة حرارتها ..

لوتغير ميل الأرض على محورها هنا أو هنا ..

لو كانت بغير رواسى شامخات ثوابت ..

لو تغيرت حركتها حول نفسها أو حول الشمس بطئا أو سرعة ..

لو تغير حجم القمر تابعها الأمين أو تغير بعده عنها .. أو منها ..

لو تغيرت نسبة الماء واليابس فى الأرض زيادة أو نقصاً ...

لو حدث شيء من هذا ما كانت الأرض تصلح لاستقبال الحياة[1] .

هناك تعادل دقيق بين قوة جاذبية الشمس والقوة الطاردة المركزية للكواكب والأقمار التى تدور حولها .. هذا التعادل الدقيق يجعل الكواكب ثابتة حول مراكزها فى أفلاك ثابتة .. وهو الذى يحفظها من الانطلاق ضائعة فى الفضاء أو مبتعدة عن الشمس أو مقتربة منها فيدمر كل منها الآخر ... فكل الأجرام وضعت بمعدلات دقيقة وحسبان إلهى محكم جعل تأثير التجاذب بين الأجرام بمحاولة التقريب بينها متعادلاً مع تأثير سرعة حركتها الفلكية المعارض له فى التبعيد بينها ...

وهذا التوازن المذهل بين النسب التى يتكون منها الغلاف الجوى المحيط بالأرض إلى ارتفاع (١٠٠٠) كم .. حيث يتكون من ستة غازات ، منها (٧٨٪) من النيتروچين ، (٢١٪) من الأوكسچين ، وغازات أخرى توجد بنسب قليلة .. والمجال المغناطيسي للأرض هو القوة التى تمنع هذا الغلاف من التبدد فى الفضاء الكونى بالانفلات .. وهذا السقف المحفوظ يحتفظ بالأوكسچين اللازم لبقاء مملكة الحيوان يانعة مزدهرة ، ومنها بالطبع ممالك البشر .. فهم يستنشقونه ويطردون ثانى أكسيد الكربون للنبات ليعيده (أوكسيچين) من جديد ليساهم فى تجديد دعم أعضاء المملكة الحيوانية والبشرية وإكسابها القدرة على العمل حتى الحيوانات المائية تستنشق الأوكسچين الجوى المذاب فى الماء بواسطة الخياشيم .. وتقوم مملكة النبات باستقبال مخلفات الإنسان والحيوان فتستخلص منه الكربون (الفحم) فى ضوء الشمس ، وترسل إلى الجو من جديد مزيداً من الأوكسچين النقى .. أما الكربون الذى تستخلصه هذه النباتات فإنه هو أساس بناء أجسامها وخشبها وما فيها من السكر والنشا ..

وحرارة الشمس هى مصدر كل النشاط والحركة فى الغلاف الغازى فالشمس تسخن الهواء ، وهذا بدوره يؤدى إلى حركة دائمة فيه هى ما تعرف بالرياح الدائمة التجارية - العكسية - القطبية بسبب تأثير الشمس فى الهواء وتكوين مناطق الضغط المنخفض والمرتفع .. كما أن تسخين الشمس لمياه المحيطات والبحار ، وهى المصدر الأساسى لبخار الماء يؤدى إلى التبخر ... والبخار أساس تكوين الضباب والسحاب والندى والصقيع والثلج والجليد والبرد .. كما أن بخار الماء يعكس جزءاً من أشعة الشمس فى الهواء ويردها إلى الأرض ... والأنهار وهى المجارى الطبيعية من الماء العذب تستمد مياهها من الأمطار الساقطة على المنابع أو من الجليد الذائب عندها .. حتى مياه العيون

---

(١) عبد العليم عبد الرحمن خضر : الظواهر الجغرافية بين العلم والإيمان « الجزء الأول » ، المنهج الإيمانى للدراسات الكونية « الجزء الثانى » من سلسلة العلم والإيمان ، الدار السعودية للنشر والتوزيع - جدة ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

ما هى إلا أمطار تكونت من بخار بفعل حرارة الشمس ثم تسربت داخل مسام القشرة الأرضية ثم تفجرت عيوناً عذبة .. ودرجة الحرارة أحد العوامل المسئولة عن تحريك التيارات البحرية فى المحيطات .. وحرارة الشمس هى المسئولة عن « تنميط » المناخ وتصنيفه على سطح الأرض إلى ست مناطق : هى المنطقة الاستوائية ، وشبه الاستوائية ، والمدارية ، والمعتدلة الدفيئة ، والباردة ، والقطبية .

والمناخ هو أهم عناصر البيئة ذات التأثير المتصل على الإنسان ، فهو يؤثر على توزيع أنماط الاستيطان وكذلك النشاط البشرى فضلاً عن خلقه لردود فعل عضوية وعمليات تكيفية تزود الجسم البشرى بوسائل وقائية .

أما أثره غير المباشر فيتمثل فيما ينتج عنه من حياة نباتية وحيوانية ... وحرارة الشمس عنصر هام فى عملية التجوية : (التعرية ، النحت ، الترسيب) التى تشقق الصخور الصلبة وتفتتها وتمهد الأرض لسكنى الإنسان [٢]...

●●

« يحافظ الجسم على درجة حرارة ثابتة وهى ٣٧ درجة مئوية ، هذه الحرارة تبقى كما هى سواء عاش الإنسان فى المنطقة القطبية حيث تصل الحرارة إلى الستين أو السبعين تحت الصفر ، أو ارتفعت كما فى المناطق الصحراوية شديدة الحرارة ، تلك الحرارة التى تصل إلى الستين فوق الصفر .. وكما أن هناك مادة وقود لكل آلة ، كذلك فإن الجسم البشرى يستمد طاقته من ثلاث مواد رئيسية وهى : السكريات والدسم والبروتينات ، ولكن السكريات تعتبر مصدر الطاقة الرئيسى ، وأما الدسم فإنه يحترق بدوره بنار السكريات ، وأما (البروتين) فإنه يمكن أن يتحول إلى طاقة بصورة استثنائية ، وإمكانية التحول من صورة إلى صورة وارد بين العناصر الثلاثة ، وأصعبها وأندرها هو تحول السكريات أو الدسم إلى بروتين ، وهكذا نرى البدن كموقد كبير يستعر ليلاً ونهاراً بأنواع شتى من الوقود ..

إن ٧٥٪ من الطاقة تضيع بشكل حرارى ، والباقى وقدره ٢٥٪ من الطاقة يستخدم فى إنجاز الأعمال الحيوية المختلفة .. ففى مدى أربع وعشرين ساعة ، يأكل الإنسان ٣ ــ ٤ أرطال من الطعام .. ويشرب ١,٥ لتر من السوائل وتزيد .. ويتنفس (٢٣٠٠٠) مرة .. ويدق قلبه (١٠٠,٠٠٠) مرة .. ويتنفس (٤٢٥) قدماً مكعباً من الهواء ، منها : (٨٥) قدماً مكعباً من الأوكسچين ، ويفرز (١,٥) « لتر » من اللعاب .. ويفرز « لترا » واحداً من العرق .. ويفرز الكبد يومياً « لتراً » من الصفراء .. ويتخلص من (٢,٥) « لتر » من الماء . ومن (٢,٢٥)رطل من غاز الفحم ، ومن (أوقية) من الأملاح المعدنية ، وأكثر من أوقية من (البولة الدموية) « ٢٠ ــ ٣٠ جرام بولينا) .. ويختزن الإنسان فى ذاكرته « نصف مليون » صورة جديدة .. وينتج

(٢) مرجع سـابق .

يومياً ٢٤٠×١٠^١٠ كرية حمراء وأضعافها من البيضاء ...

ويتكيف الإنسان بهذا الثبات الحرورى مع تقلبات درجة الحرارة .. ففى الجلد مراكز استخبارات واسعة تنقل الاحساسات الخارجية ، فإذا كانت التقارير الواردة إلى المركز العام فى الدماغ (منطقة ما تحت السرير البصرى) تفيد أن درجة الحرارة منخفضة : فإن الأوامر ترسل بسرعة عبر الأعصاب إلى الجلد بشكل عام ، وسرعان ما ينطلق الخبر إلى الأوعية الدموية السطحية التى تنقبض ويتناقص قطرها ، وهذا يخفف من مرور الدم إلى السطح وبهذا الشكل يحافظ الجسم على حرارته الداخلية من الضياع ، كذلك تنطلق الأوامر من مركز القيادة العامة عبر الياف خاصة إلى الفص الأمامى من الغدة النخامية التى سرعان ما تستجيب وترسل بدورها « هورمونا » إلى مركز الاستقلاب (الأيض) العام أو « مركز تفعيل حرارة البدن والمحافظة عليها » وهى الغدة الدرقية فى العنق فيصلها عن طريق الدم ليدعوها إلى استخدام وسائلها الخاصة فى السيطرة على استقلابات البدن ولذا فهو يسمى بالهورمون الحاث للغدة الدرقية التى لا تتوانى لحظة فى إفراز « هورمون الثيروكسين » فى الدم لتنشيط الاحتراقات وإطلاق الحرارة فى البدن حتى يبقى فى الحرارة المطلوبة ..

وإذا ارتفعت درجة الحرارة تصدر الأوامر إلى الجلد أيضاً حيث يوجد تحته حوالى ٣ ـ ٤ ملايين غدة عرقية ، وهذه الغدد تُسْتَنْفر للعمل فتفرز العرق الذى يمتص الحرارة الداخلية ، ويمكن للجسم أن يعرق فى مدى ٢٤ ساعة ما يزيد على العشرة لترات أى ضعف حجم الدم الداخلى ...

●● ●● ●●

السكر الوحيد الموجود فى الدم والأنسجة هو سكر العنب (جلوكوز) ، وهو بمقدار محدد يبلغ « جراماً » واحداً فى « اللتر » ؛ ولذا يوجد منه ـ جاهزاً للاحتراق ـ عشرون جراماً (خمسة فى الدم ، وخمسة عشر فى الأنسجة) ، ولكن هذه الكمية لا تبقى أكثر من ربع ساعة لحاجة البدن المستمرة للحرارة والطاقة الآلية ، بحيث يمكن المحافظة على حرارة البدن الكافية دوماً ، كما يصرف المزيد فى حالة البرد وزيادة الجهد .

ويمثل سكر العنب وقود الجسم الدائم . وهذا الثبات دوماً فى هذا المقدار له أهميته لأن نقصاً أو زيادة عن حد معين يسبب فقد الوعى ، وقد يفضى إلى الموت إذا لم يعالج بالسرعة القصوى ، والسبب هو إما فقر أو غرق الدماغ بهذه المادة ... فبعد مضغ المواد النشوية والسكرية وتحطيمها يتم تحويلها بواسطة خمائر (إنزيمات) معينة إلى وحداتها الأولية ، وهى سكر العنب وسكر الثمار وسكر اللبن ، وفى الأمعاء « يُفَسْفَرُ »(٣) السكر لكى يسمح له بالدخول عبر وريد ضخم يسمى الوريد البابى ، ولا يلبث بعدها أن يصل إلى مركز مهم هو

---

(٣) اشتقاق من « الفوسفور » بيانا للمادة العلمية .

الكبد الذى ينظر بعين الحكمة والرشاد إلى مقدار السكر فى الدم : فإن كانت هناك حاجة إليه أعطاه ، وإن كان هناك فائض كَثَّفَهُ ، وبشكل مجفف بعد حذف الماء منه .

وهكذا يتحول السكر إلى نشاء حيوانى أو ما يعرف بـ « الجليكوچين » . ويبقى التوازن ما بين حرق السكر فى خلايا الجسم جميعاً وما بين السكر المجفف فى الكبد وتشترك الأعصاب والغدد جميعاً فى إحداث هذا التوازن : « فالإنسولين » يشد وبقية الهورمونات ترخى ؛ « الإنسولين » مهمته مطاردة السكر حيث يجده ، و« الأدرينالين والثيروكسين » و« هورمون » النمو و« الجلوكاجون » تحميه وتزيد من كميته فى الدم .. وعند نقص السكر فى الجسم يتحول الدسم والبروتين إلى سكر ليمد الجسم بالطاقة والحرارة ، أما إذا زادت كميته فى الدم عن ١,٨ كيلو جرام فى اللتر فإن الكلى تطرح الزيادة فى البول وهو ما يعرف بالعتبة الكلوية ..

وحاجة البدن اليومية تتراوح بين ٢ ـ ٣ « لترات » من الماء ...

والمقدار الداخل يعادل الخارج وكذلك الحال بالنسبة للأملاح المعدنية .. وهناك حوالى عشرين عنصراً تشترك فى كيان الإنسان وهى موزعة بكميات متفاوتة ومقدرة بالضبط فى نفس الوقت ..

والشيء الذى يلفت النظر هو الوظيفة الحيوية فالكلس (الكلسيوم) مثلاً خارج البدن استخداماته محدودة ، ولكن داخل البدن تقفز وظيفته بشكل ملفت للنظر ؛

فهو معدن لصلابة العظام والأسنان .

وهو فى الدم عامل مخثر (مجلط) مضاد للنزف .

وهو فى الأعصاب مسيطر على مرور السيالة (الإشارة) العصبية ، فإذا نقص أصيب الإنسان بالاختلاج والتكزز[٤] ..

وهو فى القلب مساعد على تقلص العضلة القلبية .

وأما معدن « البوتاسى » (البوتاسيوم) فهو المرافق الدائم للخلايا ، ويشترك فى حرق السكر ، وعنصر مشارك فى التقلص العضلى ؛ فإذا نقص من البدن ارتخت العضلات وتداعت قوة البدن ، وهو فى القلب عنصر مساعد على الارتخاء ، وهكذا تتعدد الوظيفة الحيوية ، فى حين أن هناك بعض العناصر تتمتع بثبات الوظيفة الحيوية كما هو الحال فى الحديد الذي يشترك أساساً فى تكوين خضاب الدم (الهيموجلوبين) ، و « اليود » الذى يستعمل بواسطة الغدة الدرقية فى تركيب « هورمون الثيروكسين » ..

إن تفاعل الدم على الحدود السوية مع ميل للقلوية ، والذى يلفت النظر هو هذه التفاعلات ومخلفاتها المنتجة للحامض ومع هذا فإن البدن يبقى معدلاً لها وبشكل دائم .. فهناك تعاون مثمر ما بين الدم والكلية والرئة فى المحافظة على تفاعل الدم بالحدود الوسطى دَوْماً فلا « قلوية » ولا حموضة ..

---

(٤) فى الوسيط : التكزز : انطباق الفكين بتقلص العضلة الماضغة فيمتنع فتح الفم .

وفى الجسم تموت مليارات الخلايا وتستهلك فيقوم البدن بالتعويض والترميم ، وهذا يحدث باستمرار ولكل الخلايا باستثناء الخلايا العصبية فإنها تبقى ثابتة بدون تبدل ، ولعل السر فى هذا يعود إلى وظيفة الخلايا العصبية لأن فيها مخزون المعلومات وتعلم اللغة والمهارات والذاكرة والتراكم الذهنى ..

ويتم هذا التعويض والترميم على المستويين : النوعى والكمى ..

فكُريات الدم الحمراء مثلاً .. وهى الخلايا التى تقوم بحمل « الأوكسچين » إلى مختلف خلايا الجسم تكرر هذا الأمر (١٥٠٠) مرة فى اليوم وتمشى فى رحلة جاهدة تستغرق ١١٥٠ كيلو مترا خلال ١٢٠ يوماً قبل أن تموت .. وهكذا فإن الكريات الموجودة فى الدم تتبدل كلها فى مدى ١٢٠ يوماً ، ويتجدد يومياً ٢٤٠ مليار كرية حمراء[٥] .

والمصنع العملاق الذى يقوم بإنتاج كريات الدم الحمراء هو نخاع العظام .. الذى يقوم أيضاً بإنتاج أنواع عديدة من كريات الدم البيضاء ، بعضها ذات حبيبات مولعة بالصبغيات القلوية أو الحمضية أو بهما معا (متعادلة) و« النوى » متعددة الفصوص ، وبعضها تعرف بوحيدات النوى ، وهى خلايا أكبر وذات قوة التهام هائلة ، وبعضها يُعرف بالخلايا « الليمفاوية » .

وتقوم كريات الدم البيضاء بجميع أنواعها بالانتشار فى جميع أنسجة الجسم ويتمركز بعضها ـ وهى الخلايا الليمفاوية ـ فى حصون منيعة وكثيرة هى الغدد الليمفاوية والطحال ، والجميع على اتصال دائم ومتعدد الشبكات للإجهاز على أى جسم غريب يحاول تهديد بنيان الجسم المتماسك التركيب فيما يسمى بالجهاز المناعى .. فهو الذى يمنع الخلل والاضطرابات الداخلية التى قد تنشأ نتيجة ظهور خلايا تنمو نمواً فوضوياً بغير نظام وهى الخلايا السرطانية والتى تحدث بالملايين كل يوم ، فهناك خلايا ليمفاوية معينة تتحسس كافة الخلايا للاطمئنان على النظام فإذا وجدت خروجاً عليه بادرت على الفور بالقيام بدورها فى القضاء عليه .

وهناك تهديدات خارجية متعددة تتمثل فى جراثيم ذات ضراوة وشراسة وأسلحة ضارة كثيرة إلى جانب مواد كيميائية مختلفة ، فتقوم الخلايا البيضاء ذات الحبيبات المتعادلة ـ وهى خلايا ذات قوة التهام كبيرة ـ بالهجوم السريع فيموت منها مائة مليار خلية يومياً ، ثم تعاونها الخلايا الملتهمة (وحيدة النوى) التى تبعث بإشارات تطلب إمدادات العون من الخلايا الليمفاوية التى قد تفرز أجساماً مضادة نوعية أو خلايا نوعية للقضاء على هذا الغزو ، وبذلك يحافظ الجهاز المناعى على صحة الجسم وتماسك بنيانه ..

يتبـــع

(٥) خالص جلبى : الطب محراب للإيمان « جزءان » ، الطبعة السادسة ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٥ م .

الشعر والشعراء

اشراف : د. حسن جاد

أحمد حسني

المعاني

البلاد

أجل مسلم

أجل مسلم يا رفاق الحياةِ يسير على هَدْىِ قرآنِهِ
يقود النبىُّ خطا سيرهِ ويسمو النبىُّ بإنسانه
له أسوة فى الرسول الكريم وفى الصحبة الغرِّ إخوانه
يُعَمِّرُ بالخير قفر الحياة وَيُثْرِى القلوبَ بعرفانه
تضىءُ الدروبُ على خطوهِ وتحلو الظلال بأفنانه
له الصدرُ بين زحام الوجود وليس الضليلَ باذعانه
يصارع فى اليَمِّ أمواجه وليس الخمولَ بشطآنه
قوىٌّ إذا واجه العادياتِ وليس القنوعَ بخذلانه
أبىّ إذا داهمته الخطوب يحطم أغلال قضبانه
وفىّ يُرَطِّبُ قلب الحياةِ بظل الأمان وأغصانه
ذكىّ الخطا توجته الخلال برَوْحِ اليقين وريحانه
عفىّ العزيمة عند النزال يَفُل الحديدَ بإيمانه
نقىُّ السريرة إخلاصُهُ يُبَدِّدُ أستارَ أضغانه
شجِىُّ الخواطر عفُّ اللسان يذوب الحنينُ بألحانه
وَسَمْحٌ إذا عامل الآخرين يَفِيضُ الوفاءُ بوجدانه
يصون العهود ويُوفى الوعود ويحفظُ ميثاقَ أيْمانه
شفاء الجراح لهذا الوجود وطِبُّ السَّقَامِ لِأَدْرانه

● ●

للأستاذ رشاد محمد يوسف

فقُرْآنُهُ شُرُفَات الضياء ... ينيرُ الوجودَ بتبيانه
وتكبيره سِرُّ أمجادِهِ ... وتوحيدُه سر عرفانه
وعند الصلاة يُجيبُ الدعاء ... إذا ما وعاه بآذانِهِ[1]
وبين رحاب التقى والخشوعِ ... يَخِرُّ الجبينُ لرحمانه
وعند التكافل تأتى الزكاةُ ... صِمامَ الأمانِ لحيرانه
بِفَيْض العطاء لِجَوْعَانِهِ ... وفيضِ الكساء لعريانه
وفى الصوم تسمو أحاسيسه ... وتذكو الحياةُ بإحسانه
وفى الحج حول البناء العتيق ... وركن الأمانِ وأركانه
يلبى وإحرَامُهُ وحدةٌ ... تَسَاوَى الأمير بِعُبْدَانِهِ

●

اجل مسلم يا رفاق الحياة ... تَدينُ الحياةُ لسلطانه
أقام بها العدلَ حتى استقام ... وأرسى الحدودَ بميزانه
فإن قَصَّرَ العزم هذا الزمانُ ... وعاث الفسادُ بألوانه
فلا تحسبوه غَفَا واستكانْ ... وَضَيَّع أبعاد عنوانه
فكم من جواد كبا ثم قام ... ففاز على كل اقرانه
وعاد لِمَيْدانه من جديد ... فليس له غيرُ ميدانه
اجل مسلم بَارَكَتْهُ السماء ... فقام لِيُصْلَحَ من شانه

---

(١) أذان ـ في البيت ـ جمع أذن فأما نداء الصلاة فهو الأذان بغير مد فى الهمز .

المعلم

مهداة للشاعر الكبير

د. حسن جاد

د. عزت شندى موسى

تقدمْ إلى الكف الطهور مقبلاً | فحُقَّ علينا أن يُحبَّ ويُلثما
وإن تُدرِكِ العلياءَ فاذْكُرْه .. إنه | سبيلُك للعليا .. وقد كان سُلَّما
وإن لزم الوِلْدَ الوفاءُ لوالد | يكن إن عدلنا للمعلم .. ألْزما

★ ★ ★

أرى كل فذ فى البلاد ونابهٍ | مَدِينا لمن أعطى الدروس وأفهما
وكلَّ أريب أو أديب وشاعر | أسيرا لمن نمىَّ الفنون وعلَّما
وكُلَّ غنى بالفضائل والحجى | فقيرا لمن ربَّى النفوس وقوَّما

★ ★ ★

حنين يهزُّ القلب شوقا لعهده | وياليته ما قد مضى أو تصرما
لكم أتمنى لو تعود حداثتى | وأرجع تلميذا يُعيد التعلُّما
وأرمق من قد غاب عنا ورسمه | مُقِيم مع الوجدان .. لحما وأعظما
أرانا ـ وقد طاف الخيال بخاطرى | جلوسا إلى مَغْناه نبغى التفهُّما
ليسكب فى الأفهام من فيض علمه | فننهل مما فاض .. شهدا وبلسما
فقد كنتُ بالتعليم والدرس مغرماً | وكنت بأستاذى شغوفا متيما
ألا أيها المجهول فى الجند بيننا | لأنت شهيد القهر والغبن والعمى
وغيرك ذاق الحلو ، دون مشقة | وانت ، على الآلام ، قد ذُقْتَ علقما
وتشقى بعقل زانه الرأى والحجى | وغيرك ، بالعقل العقيم ، تنعَّما

★ ★ ★

إذا كنت لم تظفر بأجرك فى الدُنى | فأجرك عند الله فى اللوح أبرما
فهيا رسول العلم أدِّ رسالة | أبَّر من التطبيب شأنا وأرحما

★ ★ ★

وأُقسم لا يبدو عظيم على المدى | من الناس إلا .. كنت فى الناس أعظما
وما من عليم قام يهدى بعلمه | نُهى القوم إلا كنت أهدى وأعلما




اللبلاب

للشاعرة : جليلة رضا

هتف اللبلابُ يوما من علٍ للأقحوان

« أنت يامسكين تطوى العمر فى هذا المكان

زاحفا كالأفعوان .. وذليلا كالجبان

أىُّ حظَّ حَدَّ من عُودِك حداً واستباح

حيث تُدْميك نُسَيْمات الصباح ـ بينما عودى يعلو فى أمان

وهو يَغْفُو فوق ظهر السنديان »

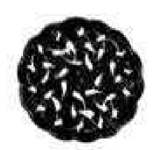
هتف الأقحُوان : « إنى لستُ أنكر .. غير أنى سوف أذكر

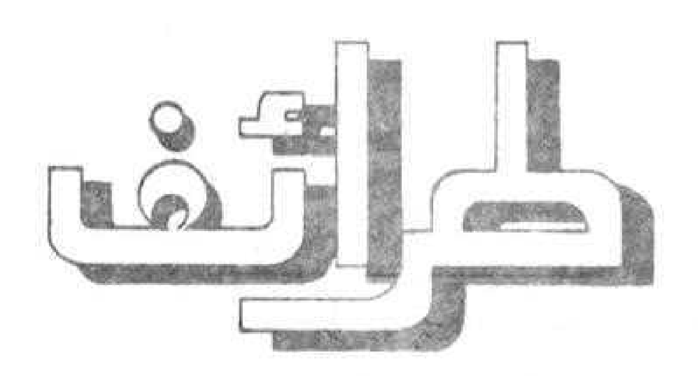
لست فى مسراك أهلاً للتفوق

أنت سَبَّاق ولكن .. فى التسلق

وأنا من عون روحى أستمد ..

وإلى قوة ذاتى أستند . »





« طيّب الرزق »

أخذ أحد أصحاب عمر بن عبد العزيز يُرَدِّدُ في مجلسه قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ بقصد حمل عمر على الإقبال على ما لذ وطاب من الطعام .

فقال عمـــر :

هيهات . لقد ذهبت به إلى غير مذهبه ، إنما يريد به طيب الكسب ، وليس طيب الطعام .

« العزة والإثم »

أمر محمد بن سليمان برجل كان قد غضب عليه أن يطرحوه خارج قصره .

فقال الرجل : اتق الله .

فقال محمد : خلوا سبيله ، فإنى كرهت أن أكون من الذين قال الله ـ تعالى ـ فيهم : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ ﴾ .

« ليس مع الجزع فائدة »

قيل : كان أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ إذا عزى رجلاً قال : ليس مع العزاء مصيبة ، ولا مع الجزع فائدة ، الموت أشد ما قبله وأهون ما بعده .

اذكروا فَقْدَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تَهُنْ عندكم مصيبتكم ـ صلى الله علي محمد ، وعظم الله أجركم .

« اسم الذئب »

قال دحية القاضي ، وكان من مجانين القُصاص : كان اسم الذئب الذى أكل سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ كذا .

فقالوا له : إن الذئب لم يأكل سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ

فقال : إذن فهذا اسم الذئب الذى لم يأكل يوسف ـ عليه السلام ـ

عبد الحفيظ عبد الحليم



« ليس من العدل »

جاء جماعة من أهل الكوفة إلى المأمون ، يشكون إليه عاملها ، واختاروا رجلاً منهم للكلام .

فطعن على العامل وأكثر .

فقال له المأمون : كذبت ، بل هو العفيف الورع العدل .

فقال الرجل : صدقت يا أمير المؤمنين ، هو كما ذكرت ، وليس من العدل أن تؤثرنا به وتحرم منه سائر رعيتك .

« حقا »

قال أبو فراس :

بمن يثق الإنسان فيما ينوبه
ومن أين للحر الكريم صحاب

وقد صار هذا الناس إلا أقلهم
ذئابا على أجسادهن ثياب

« أدب المرأة مع زوجها »

دوام الحياء منه ، وقلة المماراة له ، وحسن الاستماع لكلامه ، والحفظ له في غيبته ، وترك الخيانة في ماله ، وإظهار القناعة ، واستعمال الشفقة ، ودوام الزينة ، وإكرام أهله وقرابته ، ورؤية حاله بالفضل ، وقبول فعله بالشكر ، وإظهار الحب له عند القرب منه ، وإبداء السرور عند الرؤية له .

« حقيقة »

قال القرطبي - رحمه الله - : الموت هو المصيبة العظمى والرزية الكبرى ، وأعظم منه الغفلة عنه ، وترك العمل له .

« دعاء »

اللهم إني أسألك الثبات في الأمر ، والعزيمة في الرشد ، والشكر على نعمتك ، وحسن عبادتك ، وأسألك من خير كل ما تعلم ، واستغفرك من شر كل ما تعلم إنك أنت علام الغيوب .



الأصول التى ركز الإسلام عليها عقوبة القتل

هذا هو الوضع العام لقديم التشريع وحديثه ، فى عقوبة القتل ، وهو ـ كما قلنا ـ إما فى جانب الإفراط أو فى جانب التفريط .

وقد جاء الإسلام ـ وهو آخر الأديان السماوية ، وجاء على أنه الدين العام للناس جميعا ـ على قاعدة : « ابتكار الصالح ، واختيار الأصلح » فاتخذ الحد الوسط بين طرفى الإفراط والتفريط فى كل شىء : عقائده ، وأخلاقه ، وشرائعه ، فردية كانت أو اجتماعية ؛ قال تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ (١) .

وكان من مقتضيات هذا الوضع الذى جاء عليه الإسلام ، أن توخى الإسلام فى عقوبة القتل أصولا بعدت بتلك العقوبة فى جميع نواحيها ، عن طرفى الإفراط والتفريط ، اللذين صحباها فى عامة أدوارها ، بل وفى كل نظر يخالف ما يقتضيه الحد الوسط الذى لا إسراف فيه ولا تقصير .

وإنا نجمل تلك الأصول فيما يأتى :

(١) وضع الإسلام سبل الوقاية من الجريمة ، ثم نظر بعد ذلك إلى جانب الشذوذ الذى لا تسلم منه أفراد الجماعة البشرية ، ففرض العقوبات علاجا لهذا الشذوذ ، وكان له فى ذلك مسلكان أفسح بهما المجال أمام الحاكم فى الردع عن الشر .

---

(١) البقرة : ١٤٣ .

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

المسلك الأول : العقوبات النَّصية

وهى العقوبات التى نص عليها القرآن أو السنة لجرائم معينة ، هى من الجرائم بمنزلة الأمهات ، وهى عقوبة الاعتداء على الدين ، وعقوبة الاعتداء على النفس بالقتل ، وعقوبة الاعتداء على العرض بالزنا أو القذف ، وعقوبة الاعتداء على الأموال بالسرقة ، أو على الأمن العام بالمحاربة والإفساد فى الأرض .

المسلك الثانى : العقوبات التفويضية

وهى ما فوض الأمر فيها للإمام فى أن يعاقب على الجنايات بعقوبة يراها رادعة .

وهذا المسلك هو المعروف عند الفقهاء باسم « التعزير » . ويكون فى الجرائم التى لم تحدد لها نصوص الشريعة عقوبة معينة ، وفى الجرائم التى حددت لها عقوبة ، ولكن لم تتوافر فيها شروط تنفيذ هذه العقوبة ، كما إذا لم يشهد بالاعتداء على العرض أربعة ، وكما إذا وجدت شبهة فى السرقة ، أو حصل شروع فى قتل ولم يحصل القتل ، وهكذا .

وفى هذه العقوبة مجال واسع أمام الحاكم يؤدب به من شاء بما يشاء على ما شاء غير مقيد فيها بشىء ما ، لا فى نوعها ولا فى كمها ولا فى كيفيتها ، ما دام رائده النظر والمصلحة ، وهذا هو الوضع الذى يقتضيه خلود الشريعة وصلاحيتها لكل زمن ومكان وحال إلى يوم الدين .

وفى الحق أن هذه العقوبة التفويضية التى أقرتها الشريعة أساس قوى ومصدر عظيم لأدق قانون جنائى ، تُبنى أحكامه على قيمة الجريمة وظروفها المتصلة بالجانى والمجنى عليه ، ومكان الجريمة وزمانها ، فى كل ما يراه الحاكم اعتداء على حقوق الأفراد أو الجماعات ، بل فى كل ما يراه ضارا بالمصلحة واستقرار النظام ، غير مقيد فيها إلا بمشورة أهل الرأى والنظر .

وعلى هذا الأساس المتقدم أقر الإسلام فى عقوباته النصية القصاص عقوبة للقتل ، وأباح به دم الجانى ؛ وفى ذلك نزلت آيات القصاص ، وجاءت الأحاديث النبوية . ومع هذا لم ير أن القصاص واجب متعين لابد منه ، بل خيّر بينه وبين العفو ، وخير فى العفو بين البدل « الدية والصلح » وبين العفو عنهما أيضا . وحبب العفو إلى النفوس ، وأثار فى سبيله عاطفة الأخوة منبع التراحم والتسامح ؛ وقد صح عن أنس رضى الله عنه أنه قال : « ما رُفع إلى رسول الله ﷺ أمر فيه القصاص إلا أمر فيه بالعفو » .

وصار من المعروف عند الفقهاء أن العفو أفضل من الصلح ، وأن الصلح أفضل من القصاص ، وحسب العافى المؤمن قوله تعالى

﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ ﴾(٢) .

وهذا أبلغ تعليم لفضيلة العفو والتراحم ، يدعو الإسلام إليه ، ولا يراه منافرا لوضع عقوبة القصاص كما يظنه هؤلاء العلماء المحدثون .

وبالقصاص حدّ الإسلام من جانب التفريط ، وإهمال الجريمة من العقاب ، كما دعا إليه الإنجيل ، فى فهم كثير من الناس ، وكما يراه بعض باحثى هذا العصر الذين امتلأت قلوبهم رحمة بالمجرم ، فغضوا ابصارهم عن الآثار السيئة للجريمة فى شخص المجنى عليه ، وذوى قرابته ، وفى هدوء الجماعة البشرية واستقرارها . وفى الوقت نفسه خفف الإسلام من إفراط التوراة بتحتيم العقوبة ، وتحريم العفو عن جريمة القتل ، وجاء فى كل هذا قوله تعالى :

﴿ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾(٣) .

(٢) قرر الإسلام التكافؤ بين الناس جميعا فى الدماء ، ولم يجعل لدم أحد فضلا على دم أحد آخر ، ولم ير فى المجموعة البشرية من هذه الناحية « شريفا » لا تمس حياته بجريمته ، وغير « شريف » يلقى بجريمته للحيوانات المفترسة .

قال ابن قدامة الحنبلى : « ويجرى القصاص بين الولاة ، والعمال ، وبين رعيتهم لعموم الآيات والأخبار ، ولأن المؤمنين تتكافأ دماؤهم ؛ ولا نعلم فى هذا خلافا » .

وقال القرطبى : « أجمع العلماء على أن على السلطان أن يقص من نفسه إن تعدى على أحد من الرعية ، إذ هو واحد منهم ، وإنما له مزية النظر لهم كالوصى والوكيل ، وذلك لا يمنع القصاص ، وليس بينه وبين العامة فرق فى أحكام الله عز وجل » .

وبهذا الأصل العظيم الذى تتضاءل أمام روعته جميع التشريعات البشرية إذا ذكر « العدل الإنسانى » أهدر الإسلام نظام الطبقات الذى كان أساس التشريع عند الرومان ، والذى لا يزال الطغيان البشرى يحتفظ ببعض آثاره إلى الآن ، وجعل الجميع أمام الحق والواجب سواء .

ومن خطبة النبى ﷺ فى حجة الوداع : « أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن اباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب . إن أكرمكم عند الله أتقاكم . ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد » !

وقد يعكر على هذا الأصل عند بعض الناس ما يراه بعض الفقهاء من عدم قتل الوالد بولده والسيد بعبده ، والحر - على الإطلاق - بالعبد ، والمسلم بالذمى .

والحقيقة فى هذا أن عدم القصاص فى هذه الجرائم - عند من يراه من الفقهاء - ليس تطبيقا لأصل عام فى الإسلام ، وإنما هو فهم شخصى لمن يراه مبناه الاستثناء من الأصل العام المتفق عليه بين الجميع ، والثابت بقطعى النصوص ، لاعتبارات خاصة بمحل الجريمة ، وهذه الاعتبارات الخاصة لا تبيح

(٢) الشورى : ٤٠ .

(٣) البقرة : ١٧٨

الجريمة ولا تمنع المسئولية عنها ، وإنما ترفع عنها العقاب فى نظرهم فقط .

على أن هذه الاعتبارات لا تنهض فى النظر دليلا على الاستثناء من هذا الأصل العام والحق الذى تشهد به النصوص والمعانى التشريعية إنما هو القصاص فى الجميع .

(٣) قرر الإسلام أن مسئولية الجناية لا يتحملها غير الجانى فلا يقتل بها غيره : قال تعالى :

﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾(٤) .

ولا يتحملها بأكثر من جنايته فلا تضاعف جراحه ولا دياته ، ولذلك قال سبحانه :

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ﴾(٥) .

وبهذا الأصل أهدر الإسلام ذلك النظام الذى كان سائدا عند العرب ، وهو مسئولية القبيلة عن جناية الواحد منها ، والتحكم فى مضاعفة الجراحات والديات .

أما نظرية « العاقلة » واشتراكها فى تحمل دية الخطأ فليست من باب تحميل غير الجانى مسئولية الجانى ، وإنما هى من باب المواساة والمعونة فى جناية صدرت عن غير قصد ؛ ويدل على هذا أنها لا تشترك فى دية العمد الذى يسقط فيه القصاص : على أن ظاهر النص القرآنى الوارد فى الدية يعطى أن الدية على القاتل .

﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ ﴾(٦) .

وظاهر أن الآية تضع على القتل الخطأ عقوبتين : إحداهما تحرير الرقبة المؤمنة ، والأخرى تسليم دية إلى أهل المجنى عليه : وكما أن العقوبة الأولى واجبة على القاتل وحده ، فكذلك تكون الثانية واجبة عليه وحده ، كما يقتضى النسق . والآية بعد ذلك لم تعرض للعاقلة من قريب أو بعيد .

نعم جاء فى السنة أن العاقلة هم الذين يدفعون الدية ، أو يشتركون فيها ؛ ولعل ذلك كان إقراراً لنظام عربى اقتضاه ما كان بين القبائل من التناصر والتعاون ، وليس تشريعا عاما ملتزما فى جميع الأزمنة والأمكنة دون نظر إلى الأحوال والاعتبارات . ويدل على هذا أن التناصر حينما انتقل من العشيرة والأسرة إلى أهل الديوان وجماعة العمل ، جعل عمر رضى الله عنه الدية على أهل الديوان .

هذا وقد نص الفقهاء على أن الدية فى زمننا هذا لا تكون إلا فى مال الجانى . قالوا : إن العشائر قد وهت ، ورحمة التناصر قد رفعت ، وبيت المال قد انهدم ، فوجب أن تكون فى مال الجانى . وقال صاحب الدر المختار : « إن التناصر أصل فى هذا الباب ، فمتى وجد وجدت العاقلة وإلا فلا ؛ وحيث لا قبيلة ولا تناصر فالدية فى بيت المال ، فإن عدم بيت المال أو لم يكن منتظما فالدية فى مال الجانى » .

---

(٤) الأنعام : ١٦٤ .
(٥) النحل : ١٢٦ .
(٦) النساء : ٩٢ .

(٤) جعل الإسلام حق المطالبة بالدم ، وحق العفو ، لولى المجنى عليه ، ولم يجعل لولى الأمر حقا فى العفو إذا ما تمسك ولى الدم بالقصاص ، ولكن جعل له حقا فى التمسك بعقوبة الجانى إذا ما اختار ولى الدم العفو ، وكان الجانى معروفا بالشر ، وظهر للإمام أن المصلحة تقضى بعقابه دفعا للشر وحفظا للأمن ، وفى « العقوبة التفويضية » المعروفة عند الفقهاء باسم « التعزيز » أن للإمام أن يصل بها إلى القتل .

وتحقيق هذا الأصل أن جريمة القتل عند تحليلها يعلم أنها اعتداء أولا وبالذات على نفس المجنى عليه ، وعلى عصبته الذين يعتزون بوجوده وينتفعون بآثاره ، ويحرمون بفقده عونه ورفده .

وهذه جهات لابد من النظر إليها حينما يراد تعرف صاحب الحق فى هذه الجريمة ، وليس ذلك لفائدة العصبة فقط ، ولكن لفائدة الجماعة ايضا ؛ فإن الحق إذا ما انتزع من أيديهم ، وجاز ألا يقتص الحاكم ، فإنهم يحتالون بما لا يقع تحت طائلة القانون للانتقام والأخذ بالثأر ، فيشتد بينهم وبين القاتل وقومه التشاحن والخصام ، ويستمر البغى والعدوان ، وربما انتقل إلى عشائرهم القريبة ، وانحاز إلى كل فريق فريق ، فيفشو الفساد ، ويعم الإجرام ، وهذا من شر ما تصاب به الجماعة فى أمنها واستقرارها ؛ وقد دلت الحوادث الواقعية فعلا على هذا .

ولكن إذا ما وضع الحق فى أيديهم ثم جاء العفو من قبلهم ، اطمأنت النفوس وطهرت من الأحقاد والأضغان ، وأمن المحظور والفتنة ، وكان العفو الذى حببت فيه الشريعة طهرة للدماء وعلاجا للجراحات .

نعم إن فى جريمة القتل فسادا فى الجماعة ، ومن هذه الجهة كان للجماعة حق فى تلك الجريمة ، ولكن لا يظهر هذا الحق واضحا ، يتعلق به فساد الجماعة إلا إذا كان الجانى معروفا بالشر يرى لنفسه لذة فيه . ونظرا إلى هذه الجهة ، أعطى الإسلام للحاكم حقاً يتصرف به على حسب ما يراه فى دفع الشر عن الجماعة . وبهذا حفظت الشريعة للعصبة حقهم ، وللجماعة حقها ، ولم تهمل واحدا من الحقين .

وظاهر أن هذا التكييف الواقعى لجريمة القتل ، يجعل صاحب الحق الأصلي فى الجريمة ولىَّ الدم ، وأنه هو الذى يطلب القصاص ، ويطلب العفو دون أن يحول ذلك بين الإمام وبين المحافظة على أمن الجماعة وسلامتها . أما إذا عكس الوضع ، وجعلت الحكومة ـ كما هو الشأن فى القوانين الحديثة ـ صاحبة الحق الأصلى ، ولها وحدها أن تقتص ، ولها وحدها أن تعفو دون نظر إلى قرابة المجنى عليه ، واكتفى بحق التعويض لهم ، فإن النفوس ذات أحقاد وحفائظ لا ينهض التعويض المالى على تطهيرها منها وسلامتها .

وما يذكرونه تعليلا لثبوت حق العفو لولى الأمر ، لا يصلح إلا حجة لتقرير مبدأ العفو ؛ أما أنه لولى الأمر أو لولى الدم فلا شأن له به ؛ على أن تعدد درجات القضاء ، والمبدأ الإسلامى القائل « لا يمنعك قضاء قضيته بالأمس أن تراجع فيه نفسك اليوم فإن الرجوع إلى الحق خير من التمادى فى

الباطل » يضعف من هذا التعليل إلى حد كبير .

وإنما لم تأخذ الجرائم الأخرى ذات الحدود ، كالسرقة والزنا ، هذا الوضع الذى أخذته جريمة القتل ، لأنها فى النظر الواقعى اعتداء أولا وبالذات على الجماعة ، وذلك من جهة أنها عنوان على تأصل الشر فى نفس الجانى ، وتمكن خلق الجناية منه ، وبذلك كانت انتهاكا لحرمات الأمن والعرض بأسلوب يعسر اتقاؤه ، وكان حق الجماعة فيها ظاهرا ، وكان على الإمام تنفيذ عقوبتها متى اتضح فيها من غير شبهة معنى الانتهاك ، والضعة الخلقية ؛ ولهذا لم تكن محل عفو أو شفاعة . قال الله تعالى فى شأن الزانية والزانى : ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، ويقول عز وجل فى السرقة :

﴿ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٧) .

وقد جاءت نصوص القصاص على غير هذا الأسلوب ، ففيها التصريح بجعل الحق لولى المجنى عليه ، وفيها نهيه عن الإسراف فى أخذ حقه .

﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا ، فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ﴾(٨)

وفيها تحبيبه فى العفو ، وفتح باب البدل المالى .

﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾(٩) .

ولعلنا نلمح من هذا أن الشريعة تجعل القصاص عقوبة للقتل عن طريق جبر القلوب التى تخدشها الجريمة ؛ ولهذا اعتبرت فيه معنى المماثلة ، وأهابت إلى العفو ، ولوَّحت بالبدل ، رجاء أن يكون جابراً للجريمة فى قلوب المصابين بها .

ولعلنا أيضا نلمح فى مقابلة هذا أنها تجعل الحدود الأخرى عقوبة لنفس الأفعال ؛ ولهذا لم تحدد قدرا معينا فى السرقة يكون له بال فيما بين الناس ، كما لم تأبه بعفو المسروق منه ولا يرضا المزنى بها أو أهلها .

وهذه نظرة دقيقة سامية يجدر بأرباب التشريع الجنائى أن يوجهوا إليها عنايتهم ، ويولوا شطرها وجوههم ، فيدركوا أن عقوبة القتل عقوبة فيها معنى الجبر والمماثلة ، وأن عقوبة الزنا عقوبة على الفعل نفسه لا مماثلة فيها ولا جبر ؛ وبذلك تحفظ الأعراض لذات الأعراض ، والأمانة لذات الأمانة ، ولا يسمع الناس أن القانون المصرى لا يضع جريمة الزنا فى صف الجرائم إلا إذا اقترنت بظروف أخرى تجعلها اعتداء على الأشخاص ، كأن يصحبها إكراه ، أو تقع فى بيت الزوجية ، كما أنه يجعل أمر محاكمة الزوجة إذا زنت بيد الزوج ، ويخوِّل له أن يقف تنفيذ العقوبة المحكوم بها .

وهكذا نرى أن ما قلناه فى هذا الأصل يفسر لنا وجه تفرقة الشريعة بين القصاص والحدود .

---

(٧) المائدة : ٣٨ .

(٨) الاسراء : ٣٣ .

(٩) البقرة : ١٧٨ .

أذان الحج
بقية

أى أنهم يذكرون اسم الله على ما يذبحون أو ينحرون من بهيمة الأنعام ، والبهيمة : مبهمة فى كل ذات أربع ، وبينت بالأنعام ، وتشمل : الإبل والبقر والضأن والماعز .
« فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ » .

وقال بعض العلماء : الأمر فى : كلوا وأطعموا للوجوب ، لأن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون ترفعاً على الفقراء .

وقال أكثر العلماء : ليس الأمر للوجوب بل للإباحة .

فالهدى والأضحية : يأكل النصف ويتصدق بالنصف لقوله تعالى : « فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ » وقيل : يأكل الثلث ، ويدخر الثلث ، ويتصدق بالثلث .

والشافعى يرى أن الأكل مستحب والإطعام واجب فإن أطعم جميعها أجزأه وإن أكل جميعها لم يجزه وهذا فى التطوع .

وقد بعث ابن مسعود بهدى وقال لمن أرسله معه : إذا نحرته فكل وتصدق وابعث منه إلى ابنى هدية .

أما الواجبات كالنذور والكفارات ودم القران ودم التمتع والحلق فلا يأكل منها والبائس الذى ورد فى الآية : هو الذى أصابه بؤس وشدة .

والفقير : هو الذى أضعفه الإعسار أو المحتاج .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : البائس : الذى ظهر بؤسه فى ثيابه وفى وجهه والفقير الذى لا يكون كذلك « ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ » .

ثلاثة أوامر من تشريعات الحج :

١ ـ قضاء التفث أى قص الشارب والأظفار ونتف الإبط والاستحداد . وأصل التفث الوسخ ، وقضاؤه : إزالته ، وذلك إنما يكون عند الإحلال .

٢ ـ إيفاء النذور : وقرىء وليوفوا بتشديد الفاء ؟ والمراد بالنذور : مواجب الحج أو ما ينذرونه من أعمال البر فى حجهم .

٣ ـ الطواف بالبيت : قيل : المراد : طواف الإفاضة وهو من أركان الحج ، وقد يكون يوم العيد بعد رمى الجمار والتحلل الجزئى . أو فى أى يوم من أيام التشريق ، ويقع بهذا الطواف التحلل . وقيل : هو طواف الوداع .

والبيت العتيق : القديم ؛ لأنه أول بيت وضع للناس وسمى بذلك كما قال : الحسن وقتادة لأنه أعتق من الجبابرة .

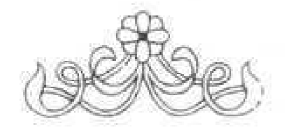
وقال مجاهد : سمى بذلك ؛ لأنه لم يملك أو أعتق من الغرق عند الطوفان . وقيل عتيق بمعنى كريم من قولهم : عتاق الخيل وهى كرامها .

وقد قصده بسوء صاحب الفيل فأرسل الله عليه طيراً أبابيل كما ورد فى سورة الفيل .

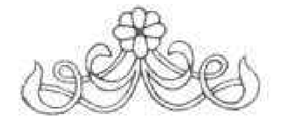
أما الحجاج فلم يقصد التسلط على البيت ، وإنما أراد أن يخرج ابن الزبير حين تحصن به فاحتال لإخراجه بضرب البيت بالمنجنيق فاستسلم ابن الزبير ثم بنى الحجاج ما هدم .

اللغة والأدب والنقد

العلاقة بين الضاد والظاء



حول معارك الرافعي الأدبية



الخيال الشعري في شعر الوصف عند البحتري

العلاقة بين الضاد والظاء

صوتيا وتاريخيا ولهجيا ٣

الضاد والظاء فى اللهجات الحديثة .
لا نقف هنا عند حد التبادل بينهما فقط بل يتجاوز الأمر إلى صيرورة كل منهما إلى أصوات أخرى فى مناطق مختلفة من العالم العربى الممتد من الخليج إلى المحيط هذه المنطقة الشاسعة من العالم .

إن انتقال الضاد إلى الظاء أو العكس قديم عند العرب كما أوضحته النصوص والشواهد السابقة والتى يعضدها ما نقله الفراء عن المفضل أن « من العرب من يبدل الضاد ظاء فيقول : (عظت الحرب بنى تميم) ومنهم من يعكس فيقول فى (الظهر) : (ضهر)[1] .

وقد ذكرنا سابقاً أن العلاقة الصوتية بينهما قوية تبيح الانتقال من أحدهما إلى الآخر .. وهذا يفسر لنا ما حدث فى بيئه صقلية قبل القرن الخامس الهجرى من نطق الضاد ظاء حيث لاحظ ذلك فى فترة حياته ابن مكى صقلى وهو من أهل القرن الرابع حيث توفى سنة ٥٠١ هـ ـ حتى لا يكاد يرى أحداً « ينطق بضاد ولا يميزها من ظاء وإنما يوقع كل واحدة منهما موقعها ويخرجها مخرجها الحاذق الثاقب ، إذا كتب أو قرأ القرآن لا غير .. فأما العامة .. وأكثر الخاصة فلا يفرقون بينهما فى كتاب ولا قرآن »[2] .

وانتقال الضاد إلى الظاء فى بيئة صقلية هو الأكثر والأشهر حتى أصبح أمراً شائعاً

---

(١) المصباح المنير للفيومى جـ ٢ ص ٣٦٥ .
(٢) تثقيف اللسان وتلقيح الجنان ص ٩١ تحقيق أ . د / عبد العزيز مطر ١٩٦٦ .

مما جعل ابن مكى يقول : « هذا رسم قد طمس وأثر قد درس من الفاظ جميع الناس خاصتهم وعامتهم . وهو باب واسع . وأمر شاسع إن تقصيته أخرجت الكتاب عن حده »[٣] .

وقد صارت الضاد فى هذه البيئة أيضاً طاء حيث يقول أهل صقلية لما حول المدينة ربط ، والصواب ربض[٤] . وقد انتقلت إلى الدال لديهم أيضاً نحو قولهم : غردوف بدل غرضوف أو غضروف[٥] .

وقد لاحظ ابن الجزرى فى القرن التاسع انتقال الضاد إلى الطاء فى هذه البيئة وغيرها فى المغرب ، وفى مصر فيقول : « ومنهم من لا يوصلها إلى مخرجها بل يخرجها دونه ممزوجة بالطاء المهملة لا يقدرون على غير ذلك وهم أكثر المصريين وبعض أهل المغرب . »[٦] .

وإذا انتقلنا إلى الضاد والظاء فى لهجاتنا الحديثة فإن الضاد تنطق قريبة من الظاء فى بعض الجهات فى جمهورية مصر العربية فى إقليم ساحل مريوط[٧] . وفى محافظة سيناء الشمالية[٨] . وفى العراق والمغرب[٩] . وفى الخليج والسعودية[١٠] .

وقد لاحظ ذلك ابن الجزرى فى القرن التاسع الهجرى ، فقال : « فمنهم من يجعله ظاء مطلقاً ، لأنه يشارك الظاء فى صفاتها كلها ويزيد عليها بالاستطالة ، فلولا الاستطالة واختلاف المخرجين لكانت ظاء ، وهم أكثر الشاميين وبعض أهل المشرق »[١١] وقد لاحظت نطق الضاد قريبة من الظاء فى جنوب المملكة العربية السعودية من الطلاب فى الجامعة أثناء التدريس ، ومن أهالى المنطقة أثناء تجوالى بينهم . وتنطق الضاد كاللام المطبقة عند أهل حضرموت[١٢] .

ويظهر أن الأندلسيين كانوا ينطقون الضاد مثل ذلك ؛ ولذلك استبدلها الأسبان

←

---

(٣) السابق نفس الصفحة .
(٤) السابق نفس الصفحة .
(٥) السابق نفس الصفحة .
(٦) التمهيد ص ١٣١ .
(٧) لهجة البدو فى إقليم ساحل مريوط أ . د / عبد العزيز مطر ص ٤٧ ـ ١٩٦٧ .
(٨) اللهجة البدوية لمحافظة شمال سيناء ، ورسالة دكتوراه إعداد محمد سعد شاركت فى مناقشتها ص ٥٣ .
(٩) لهجة البدو فى إقليم ساحل مريوط ص ٤٧ ولحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة أ . د / عبد العزيز مطر ص ٢٢٦ ـ ١٩٦٦ .
(١٠) الأصالة العربية فى لهجات الخليج : أ . د / عبد العزيز مطر ص ١٢٧ ـ ١٩٨٥ .. وخصائص اللهجة الكويتية أ . د / رمضان عبد التواب ص ٢٢ ـ ١٩٦٩ . (١١) التمهيد ص ١٣٠ .
(١٢) التطور النحوى للغة العربية ص ١٨ ، ١٩ .

بالـ (Id) فى الكلمات العربية المستعارة فى لغتهم مثال ذلك أن كلمة « القاضى » صارت فى الأسبانية dicdide [١٣] .

وإذا كانت اللام من إحدى حافتى اللسان كالضاد ، لكنها من الجانب الأيمن أمكن وهى مستطيلة مجهورة مثلها وفيها شىء من الرخاوة مثلها أيضاً فقد صارت هذه الضاد لاماً مطبقة عند أهل حضرموت وانتقال الضاد إلى اللام قديم عند العرب فى قول منظور بن حبة الأسدى :

لما رأى أن لادعة ولا شبع .
مال إلى أرطاة حقف فالطجع [١٤] .

وإذا كان الشاعر من بنى أسد فإنهم كانوا ينطقون الضاد لاماً فرارا من الجمع بين حرفين مطبقين ، كما فى الضاد والطاء هنا ؛ لأن هذه اللام أقرب الحروف إلى الضاد ؛ ولما كانت بينهما علاقة صوتية قوية فقد صارت اللام إلى الضاد أيضاً حيث يقول الأزهرى : « ربما أبدلوا اللام ضاداً كما أبدلوا الضاد لاما ؛ قل بعضهم : الطراد واضْطراد لطراد الخيل [١٥])

وهذا يفسر أن التبادل بينهما حادث من قديم للعلاقة الصوتية القوية بينهما ، وإذا كان بعض العرب يفر من الجمع بين مطبقين فبعض آخر منهم يميل إلى الجمع بين المطبقين ؛ لأن اللسان حينئذ يعمل فى منطقة واحدة وهم أكثر العرب . وإذا كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحدث العرب على اختلاف لهجاتهم فقد روى مجاهد عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إذا كان عند اضْطراد الخيل وعند سل السيوف أجزأ الرجل أن تكون صلاته تكبيراً [١٦] .

وأصل اضطراد الطراد بإظهار اللام ، هكذا فسره ابن إسحاق [١٧] .

وإن كان المعهود صوتياً تأثر اللام بالطاء وانقلابها إليها وصيرورتهما صوتاً واحداً يرتفع بهما اللسان ارتفاعة واحدة وعلى هذا أرى أن ذلك حدث فى بيئة ضيقة .

وقد انتقلت الضاد إلى الصاد فى لهجات منطقة ظفار كالمهرية والشحرية [١٨] .

وإذا كانت الضاد تتبادل مع الظاء أو مع اللام لوجود علاقة صوتية قوية بينها وبين الظاء أو اللام .. فالعلاقة الصوتية بينها وبين الصاد قوية أيضاً ، مما يبيح الانتقال إلى هذه الصاد فى منطقة ظفار ، فالضاد من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس والصاد مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا [١٩]

---

(١٣) السابق نفس الصفحة .
(١٤) شرح شواهد العينى هامش حاشية الصبان على شرح الأشمونى جـ ٤ ص ٢٨٠ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه .
(١٥) لسان العرب جـ ٤ ص ٢٥٥٤ .
(١٦) السابق نفس الصفحة .
(١٧) السابق نفس الصفحة .
(١٨) حرف الضاد وكثرة مخارجه ص ٦٢ .
(١٩) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ٤٣٣ .

ويتصفان بالإطباق والرخاوة ، وهذه العلاقة الصوتية القوية أباحت الانتقال بينهما قديماً حيث وجدنا بنى ضبة ينطقون الضاد صاداً ، يقول ابن سيده : « الضئبل بالضاد الداهية ولغة بنى ضبة الصئبل بالصاد والضاد أعرف[٢٠] » ، وانتقال الضاد إلى الصاد محصور اليوم فى منطقة ضيقة من العالم العربى فى اللهجتين المهرية والشحرية من ظفار ، كما كان هذا النطق محصوراً فى قبيلة بنى ضبة قديماً ، ومن ثم وجدنا ابن سيده يقول : والضاد أعرف .

ونجد الضاد فى نطق الكثير من القراء فى مصر وعند العوام فيها وبعض الأقطار الأخرى تنطق دالا مطبقة ونسمعها عند كثير من سكان الريف دالا غير مطبقة حيث يقولون فى ضرب « درب » .

والضاد التى أصبحت قريبة من الظاء عند كثير من البدو فى لهجاتنا الحديثة وغير البدو وهم لا ريب متأثرون بهم فى الخليج والعراق وفى مصر يرى برجشتراسر الألمانى أن هذا النطق « نشأ من نطقها العتيق بتغير مخرجها من حافة اللسان إلى طرفه[٢١] » كما يرى أن نطق الضاد دالا « نشأ من هذا النطق البدوى بإعماد طرف اللسان على الفك الأعلى بدل تقريبه منه فقط فصار الحرف بذلك فى نطقه شديدا بعد أن كان رخوا[٢٢] .

وعلى هذا فنطق الضاد دالا مفخمة كما نسمعه الآن قد مر بنقطة إنتاج الظاء كما أن الضاد التى أصبحت قريبة من الظاء أو أصبحت ظاء كما ذكرنا هى الضاد الضعيفة التى ذكرها سيبويه وأوردها بين ثملنية أصوات « غير مستحسنة ولا كثيرة فى لغة من ترضى عربيته ، ولا تستحسن فى قراءة القرآن ولا فى الشعر[٢٣] » .

وقد فسر ابن يعيش هذه الضاد الضعيفة فى القرن السابع الهجرى بأنها : من لغة قوم اعتاصت عليهم فربما أخرجوها ظاء . وذلك أنهم يخرجونها من طرف اللسان وأطراف الثنايا ، وربما راموا إخراجها من مخرجها فلم يتأت لهم فخرجت بين الضاد والظاء[٢٤] » .

وإذا كان البدو السابق ذكرهم قد صيروا فى نطقهم الضاء ظاء أو قريبة منها فقد احتفظوا بالظاء[٢٥] فيما كانت فيه من كلمات استخدموها فى حياتهم اليومية إلا لهجة سترة وهى الجزيرة الثالثة من جزر البحرين فقد نطقت مكان الظاء الرخوة ضاداً شديدة بحيث تنطق ما كان بالضاد وما كان بالظاء ضاداً واحدة والضاد الشديدة يراد بها الدال المطبقة .

---

(٢٠) لسان العرب جـ ٤ ص ٢٥٤٠ .
(٢١) التطور النحوى للغة العربية ص ١٩ .
(٢٢) السابق نفس الصفحة .
(٢٣) الكتاب جـ ٤ ص ٤٣٢ .
(٢٤) شرح المفصل لابن يعيش جـ ١٠ ص ١٢٧ ، ١٢٨ .
(٢٥) لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ص ٢٢٥ ، ولهجة البدو فى إقليم ساحل مريوط ص ٤٧ ، وخصائص اللهجة الكويتية أ . د / عبد العزيز مطر ص ٢٢ / ١٩٦٩ ، مطبعة الرسالة الكويت .

وتشارك لهجة سترة فى هذا النطق لهجات أخرى فى البحرين، مثل: توبلى، والكورة، والمعامير، وجد، ومستابس، وجزيرة النبيه صالح وسند وجزء من مدينة المنامة(٢٦)، وعلى سبيل المثال فإن كلمتى: يظعن، والقيظ ينطقان بالضاد الشديدة فى هذه اللهجات، أما كلمتا: عرضة، وقرضة فهما فى الفصحى بالضاد وكذا فى لهجة سترة(٢٧)، وقد صارت الظاء ضاداً أيضاً فى لهجة عدن(٢٨).

وقد صارت الظاء ضاداً أيضاً عند العوام فى جمهورية مصر العربية حيث يقولون فى الظهر بالظاء:) الضهر بالضاد، وفى الظل: الضل، وفى حنظل: حنضل.

ويشيع فى اللهجات العامية المصرية انتقال الظاء إلى زاى مفخمة حيث ينطقون ظَهْر بفتح الظاء: زَهر بفتح الزاى مع التفخيم، وفى مثل الوظيفة: الوزيفة، وفى ظفر بمعنى أكل الطيور: زفر.

والزاى كما ذكر سيبويه مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا، والظاء مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا ويتصفان بالجهر والرخاوة(٢٩).

ويبدو أنها صارت فى جهات أخرى إلى السين أو إلى الصاد.

يدل على ذلك قول المستشرق الألمانى برجشتراسر: «وهى الآن عند كثير من أهل المدن أحد حروف الصفير(٣٠)».

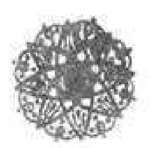
وبعـــــد

فبعد هذه الجولة نكون قد تعرفنا على الضاد والظاء من حيث العلاقة والصوتية والنشاة التاريخية والتبادل بينهما فى اللهجات العربية القديمة والحديثة وانتقال كل منهما إلى أصوات أخرى قريبة منها فى هذه اللهجات قديماً وحديثاً.

والله الموفـــــق

دكتـــــور

عبد المنعم محمد عبد الغنى النجار



(٢٦) الاصالة العربية فى لهجات الخليج هامش ص ١١٦ أ. د / عبد العزيز مطر دار عالم الكتب للنشر والتوزيع العليا ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م.
(٢٧) السابق ص ١٢٧، ١٢٨.
(٢٨) مناهج البحث فى اللغة أ. د / تمام حسان ص ٩٨ ـ ١٩٧٤.
(٢٩) الكتاب جـ ٤ ـ ٤٣٣ ـ ٤٣٥.
(٣٠) التطور النحوى للغة العربية ص ١٩.

خطة مقترحة لتكوين الداعية المفتى « بقية »

بهم من جانب آخر ، فيجمع - إلى جانب التقوى والورع فى الدين - الدراية والخبرة بوسائل الناس وتحايلهم وخدعهم فيحكم هذه بتلك ، ويلبس لكل حال لبوسها ، ويفتى بما يبتغى به وجه الله وحده .

٧ - وإذا كان هذا المنهج ثقيل الوطء ، فلأنه يهيىء الشخصية المتزنة الواعية الحريصة على دينها وعلى دين الأمة ، والتى تصلح بصلاحها وتفسد بفسادها الأمة ، والتفريط فى تخريج الداعية ، بحيث تكون شخصيته غير مستقرة ولا متماسكة يؤثر سلباً على المجتمع الذى يعمل من خلاله ، فعلى قدر صلاحه وتقواه ، ونزاهته فى فتواه ، يطمئن المجتمع ، وتستقر أحواله ، وتقل خصوماته ، ومشاكله ، وتتخفف بذلك الإدارات والمحاكم من أعمال كثيرة لا مصدر لها إلا القلق وسوء الفهم أو التصرف .

لذلك ينبغى أن نضمن لهذا الداعية أن يعمل فى جو من الطمأنينة والرضا النفسى ، وأن يشعر بذلك حتى فى أيام الطلب والتكوين حتى ينصرف إلى مهمته خالياً من الهموم النفسية والمشاغل التى تثير فى نفسه القلق والاضطراب ولا يصح أن نطالبه بأن ينشد الكمال فى نفسه ، فى الوقت الذى نضيق عليه فى حياته المادية ، وننقص من قيمته فى كرامته المعنوية .

وأول شىء فى هذا المجال أن تحترم الجهات الرسمية خاصة وسائل الإعلام المختلفة مهمة الداعية ، وتضعها فى إطارها الكريم ، دون تضخيم الزلات الفردية أو التفاهات الشكلية ، فذلك مما يساعد المجتمع على تقدير الداعية والامتثال لما يفتى به من أحكام الشرع طواعية واختياراً ، ويؤدى إلى الهدف المقصود من استقرار المجتمع وشيوع الأمن والسلام فى علاقاته ..

ثم بعد ذلك تَهَيَّأ له الوسائل المادية اللازمة لاستقراره ، فيعطى ما وصفه ابن القيم بالكفاية ، وذلك يتصور فى تهيئة السكن الملائم ، ووسيلة المواصلة الكريمة والملبس اللائق ، والمراجع الأساسية والضرورية ، وبعد ذلك راتباً يكفيه ويغطى مسئولياته المختلفة بحيث لا يجد نفسه مضطراً إلى وسائل تؤثر فى كرامته ومنزلته بين الناس ، كاتخاذ وسائل للكسب لا تتفق مع طبيعة مهمته السامية ، أو اللجوء إلى الاقتراض أو غير ذلك من الوسائل التى لا تليق .

نرجو أن تكون هذه الخطة واضحة ، وهى إن تكن فى صورة إجمالية فإن وضع تفصيلاتها ليس بعسير على أهل الاختصاص والمشتغلين بهذا الفن .

كما نرجو أن تكون من الناحية العملية ممكنة ، لا تتجاوز الأمر الواقع إلى عالم الوهم والخيال ، والمطلوب من كل ذلك ما يسعه الجهد والوقت ، والاعتماد على الله يذلل كثيراً من المصاعب والعقبات ..

وبالله وحده التوفيق ...

الأمين العام
لمجمع البحوث الإسلامية
« ا . د/ عبد الفتاح عبد الله بركة »

حول معارك الرافعي الأدبية

رجوع إلى الحق

جاء بمقال لى بمجلة الأزهر الغراء[1] ، قولى عن معارك الرافعى الادبية :
(استوقفنا بمقال الدكتور فتحى عبد القادر فريد ، عن ادب الرافعى ، بعدد مجلة الأزهر الغراء ، الصادر فى ربيع الآخر الماضى ، إدراجه اسم « احمد لطفى السيد » ضمن قائمة من خاض الرافعى معهم معاركه الادبية المشهورة .. والذى نعلمه ان لطفى السيد لم يؤثر عنه انه كان طرفاً فى خصومة ما ، مع الرافعى ، فكرياً او ادبياً ..) .

ولأن الرجوع إلى الحق فضيلة ، فإن الأمانة العلمية تقتضينى أن أقرر حقيقة وقفت عليها بالأمس فقط ، أثناء مراجعتى لفصول كتاب « المعارك الأدبية »[2] ، للصديق أنور الجندى ، الذى نص فيه على وقوع معركة « من أخطر المعارك التى واجهت اللغة العربية ، ومن أقدم المعارك الأدبية ..

فقد حمل لطفى السيد عام ١٩١٣ ـ فى (الجريدة) ـ لواء الدعوة إلى تمصير اللغة العربية ، فكتب أكثر من سبع مقالات فى خلال شهر ابريل ومايو عام ١٩١٣ ، وكتب عدد من تلاميذه مقالات متعددة كهيكل وطه حسين وغيرهما . » .

« ولقد وقف عبد الرحمن البرقوقى[3] ومصطفى صادق الرافعى لهذه الدعوة موقفاً حماسياً جريئاً ، حملا فيه لواء الاتهام ،

---

(١) بعدد مجلة الأزهر الغراء الصادر فى ربيع الآخر عام ١٤٠٥ هـ .
(٢) ، (٣) ص ٧٣ .

بقلم أحمد مصطفى حافظ

مؤمنين بأن القضاء على اللغة قضاء على مقدسات الفكر العربى والإسلامى . »

ورغبة فى استيفاء هذا الموضوع ، يتعين أن نلقى الضوء على أهم عناصره ، التى حددها الأستاذ أحمد لطفى السيد فى آرائه تلك ، التى كان ينافح عنها بحرارة فى هذا الوقت ، وحياتنا الفكرية والأدبية أيضاً ، بمستهل القرن الحالى .. وهى تنحصر فى الفقرات التالية ، المستقاة من افتتاحياته للجريدة ، ـ التى كان يتولى إدارة تحريرها ـ فى الفترة المنحصرة ما بين عدد السادس من أبريل عام ١٩١٣ ، وعدد الرابع من مايو من ذات العام[٤] .

يقول لطفى السيد إن « لغتنا واسعة فى القاموس ، ضيقة فى الاستعمال ، مخصَّبة فى المعانى والمسميات القديمة ، مجدبة فى المعانى الجديدة ، والاصطلاحات العلمية » ثم يضرب المثل على ذلك ، بألفاظ أعجمية بدأ سريان استعمالها فى الحياة اليومية ، مثل (الأتومبيل) و(البسكليت) و(الجاكتة) و(البنطلون) إلخ ، ثم يتساءل : « كل هذه الأسماء ما ذنبها حتى تُهجر فى الكتابة إلى غيرها من الألفاظ التى نحاول انتحالها ؟ مع التكلف لنعبر بها عن هذه المسميات .. » ثم يقول : « إن هذه الأسماء الأعجمية وأمثالها قد دخلت فى لغتنا دخولاً تاما ، واستعملت استعمالاً شائعاً ، بحيث لا نستطيع أن نضع لها ولغيرها من المسميات الجديدة ، أسماء جديدة »[٥] ولا يبالى د . لطفى السيد بما قد ينتهى إليه هذا الأمر من الفوضى ، بل إنه يدافع عن هذه الفوضى ، بقوله : « الفوضى واقعة لا محالة ، فى زمن الانتقال الشديد الذى نحن فيه ، ولا بأس بالفوضى (!!) ، إذا كانت لازمة لحال التطور ، وصارفة لنا عن هذا الجمود الذى نحن فيه .. » .

ويضيف إلى حججه العجيبة تلك ، أن لنا لغتين اثنتين : إحداهما لا تُستعمل إلابالقلم ، ولا يقربها اللسان إلا وقت خطبة رسمية ، أما اللغة الثانية (المزيج من الفصحى والعامية) فهى ـ فى رأيه ـ اللغة الحية .. لغة الاستعمال اليومى . إلى أن ينتهى إلى إطلاق حكمه بأن

---

(٤) مع ملاحظة أن الأستاذ أحمد لطفى السيد ، رغم شنِّه الهجوم العنيف على المجامع اللغوية ، وإنكاره لفائدتها .. فإنه عاد فاشترك بعد ذلك فى المجمع اللغوى بعد إنشائه ، بل ورأسه عدة سنوات .

(٥) تم وضع مسميات جديدة مناسبة لهذه الكلمات كما هو معروف : كالسيارة والدراجة والسترة والسربال .. إلخ .

اللغة : « كائن من الكائنات الخاضعة لهذا القانون ، وأنها سائرة حتما إلى أن تُخرج أصولها من الحبس الذى حُبست فيه مدة الحكم غير العربى ، تسترد هى أيضاً حريتها وتطلق جناحيْها .. » ، وأنه - أى لطفى السيد - ليس من أنصار هذه الجامعة المتخيلة أى (الجامعة الإسلامية المنشودة) بوصف كوْنها دينية ، لاقتناعه بأن أساس الأعمال السياسية (هو الوطنية وروابط المنفعة .) .

* * *

وبرغم أن هذه المعركة قد حُسمت لصالح الفصحى ، فلا بأس - للأدب والتاريخ - أن نمضى قُدُما لبيان رد فعل هذه الأفكار ، ومبادرة الأستاذ عبد الرحمن البرقوقى ، صاحب مجلة البيان ، إلى التصدى للرد عليها ، مُفْسحاً صدر مجلته[٦] لكلمة صديقه (النابغ الأديب مصطفى صادق الرافعى) ليدلى بدلوه ، بعد التمهيد للموضوع ، يقول البرقوقى : « هل نستمسك بالمقررات العربية القديمة ؟ أو نأخذ بالمفردات العامية المصرية ؟

هل نضع للمسميات الحديثة أسماء عربية فى مبادئها وأوزانها ، أو ننقل أسماء هذه المسميات من لغاتها الأجنبية ، بعد تهذيبها وجعلها بحيث لا تناكر الأوزان العربية ؟ .. » .

ثم يستطرد الأستاذ البرقوقى قائلاً : « وقد رأيت من واجب « البيان » - الذى رصد نفسه للغة العربية وأدبها - أن يخوض فى هذا الموضوع الهام مع الخائضين ، وهذه كلمة صديقنا النابغ الأديب : السيد مصطفى صادق الرافعى ..

ويورد البرقوقى بعد ذلك مقالة للرافعى بعنوان : (تمصير اللغة - رد على لطفى السيد) ، وبعد مقدمة للموضوع وتلخيص لدعاويه العريضة فى صدر المقال ، يقول الرافعى :

تلك آراء كان يتعلق عليها بعض فتياننا إفراطاً فى الحمية ومبالغة فى الحفيظة لمصر ، وأملا مما يكبر فى صدورهم على ما ترى من تهافتها وضعف تصريفها .. فكان ذلك عذر العقلاء إذا مرُّوا بها لماما ، وتروَّحوا بالإعراض عنها سلاماً .. حتى تناولها مدير الجريدة ، فحذقها وسوَّاها وأخرج منها طائفة من الراى تصلح أن تسمى عند المعارضة : رأيا ، فقال بالإصلاح بين العامية والفصحى على طريقة تجعل هذه تغتمر تلك ، وتحيلها إليها .. فعسى أن يأتى يوم لا تكون العامية فيه شيئا مذكورا .. » .

ويخلص الرافعى فى إبداء رأيه إلى قوله :

(٦) مجلة البيان - العدد الثامن من السنة الثانية (شعبان ١٣٣١ - ١٩١٣) .

« لا نفهم كيف يكون إحياء العربية باستعمال العامية ؟

وكيف ترضى لغة القرآن التى تأبى إلا أن تتقيد بها اللهجات الأخرى ، كما محت من قبل لغات العرب جميعها ، على فصاحتها وقوة الفطنة فى أهلها ، وردَّتْها إلى لغة واحدة : هى القرشية ، ثم ترضى من جهة أخرى هذه اللهجات العامية ، التى تأبى أن تتقيد بشىء .

ثم يتساءل الرافعى :

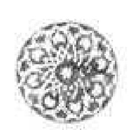
« إذا حاولنا مذهب (الإصلاح العامى) ، فليت شعرى : أى لهجة نأخذ ، وأى لهجة فى مصر هى غير مصرية فننبذها ؟ » ..

ثم ينتهى من ذلك إلى قوله :

« نحن لا نمارى فى وجوب الإصلاح اللغوى ، ووجوب أن يكون للغة فى هذه النهضة مجمع يحوطها ويضع لها ، وينهى الرافعى مقاله بقوله : « لا سبيل لتمصير العربية ، واعتبار هذه المصرية أصلاً لغوياً مجمعاً عليه ، إلا بتمصير الدين الإسلامى ، الذي يقوم على هذه العربية ، فإن بعض ذلك سبب طبيعى إلى بعضه ، فمن كشف لنا عن الوجه الذى يكون به الدين مصرياً وطنياً ، وبصَّرنا بأسباب ذلك ونتائجه ، قلنا له أخطأنا وأصبت (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة .) .

ومن عجب أن الرافعى ـ وهو حُجَّة اللغة والأدب ـ لم يفكر أحد فى إشراكه فى عضوية المجمع اللغوى(٧) ، بعد انشائه فى مصر عام ١٩٣١ .. يرحمه الله ..

أحمد مصطفى حافظ



(٧) مما أثر عن الرافعى قوله :

« أنا لا أعبأ بالمظاهر والأغراض ، التى يأتى بها يوم وينسخها يوم آخر .. والقبلة التى أتجه إليها فى الأدب إنما هى النفس الشرقية فى دينها وفضائلها ، فلا أكتب إلا ما يبعثها حية ، ويزيد فى حياتها وسمو غايتها ، ويمكن لخصائصها فى الحياة ؛ ولذا لا أمسُّ من الآداب كلها إلا نواحى العليا ..

ثم إنه يخيل لى دائماً أننى رسول لغوى ، بعثت للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه » .

.. وبعد فكم كان يسعدنى أن يسبقنى أحد الباحثين إلى استدراك ما فاتنى ، وما أخطأت فيه بنفى حدوث أية معركة قلمية بين الرافعى ولطفى السيد .. والأمر العجيب أن يمر عامان كاملان دون أن يفطن أحد إلى ذلك ! ..

وأن أتولى أنا بنفسى ـ وبيدى لا بيد عمرو ـ أمر هذا التصحيح الذى لابد منه .

الخيال الشعرى

فى شعر الوصف عند البحترى

ذاك عنوان كتاب للأستاذ الدكتور/ طه مصطفى أبو كريشة ، أستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية « جامعة الأزهر » ، وهو من الأساتذة القلائل أصحاب الذوق النقدى ، واللماحية والحس الأدبى .

يضم الكتاب بين دفتيه إحدى وستين ومائتى صفحة ، موزعة بين مقدمة وثلاثة فصول ، يحدثك الفصل الأول عن البحترى فى ظل البيئة ، بدءاً بميلاده ص ٥ وانتهاء بأغراض شعره ، وبعض آراء السابقين فيه ص ٤٥ .

والفصل الثانى يفصل القول فى الخيال الشعرى وموضوعات الوصف ، بادئاً بالخيال ووصف الطبيعة ص ٤٧ ، ومنتهياً بالخيال وأوصاف الحيوان ص ١٧٨ .

أما الفصل الثالث فيتناول الخيال فى ميزان النقد ص ٢١٥ ، ويبدأ بالخيال فى مجال تكرير الصورة عن المشهد الواحد ، وينتهى بالخيال فى مجال الريادة والتأثير للصورة ص ٢٥٧ ، وهى مقارنة طريفة على قصرها بين البحترى وأبى الطيب المتنبى .

يهمس المؤلف فى الروع من خلال المقدمة المقتضبة بمكانة الخيال من الصورة الشعرية ، وبكيفية اختلاف الأغراض فى نصيبها منه ، إذ منها ما يرحب ويتسع مجالها له ، ومنها ما يؤثر الواقع والحقيقة فى أغلب أسلوب أدائه مع الاستعانة بالخيال اليسير .

وهدف الكتاب ـ أو البحث ، كما يقول مؤلفه ـ محاولة الكشف عن مدى مشاركة الخيال الشعرى فى الوصف الذى نبغ فيه البحترى بوجه خاص ، ومحاولة كذلك للكشف عن مدى تأثره وتأثيره ، وفى سبيل الوصول إلى تلك الغاية ، جاء البحث فى الفصول التى ذكرت .

يطالعنا فى الفصل الأول بالحديث عن « منبج » مسقط رأس الشاعر سنة ٢٠٤ أو سنة ٢٠٦ هـ وكيف كانت مغانيها ومجاليها ، حتى لقد أوحت إلى هذا الطفل بأبدع ما فى الطبيعة من إبداع ، وأنه حين استوى شاعراً وأراد أن يصور ما أكرم به لدى أحد ممدوحيه لم يجد صورة أوفى بمقصوده من جمال منبج ، فقال :

عرض وتعليق:

د. حامد إبراهيم الخطيب

لا أنسين زمناً لديك مهذباً
وظلال عيش كان عندك سجسج[1]
في نعمة أوطأتها وأقمت في
أفنائها فكأنني في منبج

ويمثل سعادته بمنبج كانت سعادته بأسرته وقبيلته، فشدَّ ما افتخر بهما، وذكرهما في ثنايا شعره، فقال:

جدي الذي رفع الأذان بمنبج
وأقام فيها قبلة الصلوات

ثم يوضح الكاتب أن البحتري قد عاش في القرن الثالث الهجري، وأنه صاحب في الجزء الأول منه نهاية العصر العباسي الأول، حيث كان في حوالي الثلاثين من عمره، ثم اتصل بالمتوكل الذي بدأ بمقتله العصر العباسي الثاني سنة ٢٣٢ هـ، وفي تلك السنين كان البحتري يتعلم بطرائق عصره، من مثل الحضور على المتخصصين، وحفظ العيون من كل فن، وقد ظهرت آثار هذا على شعره، فترى تأثره بالقرآن في قوله:

ومالي قوة تنهاك عني
ولا آوي إلى ركن شديد
قضيت من طلبي للغانيات وقد
شأونني[2] حاجة في نفس يعقوب

وترى من تأثره بالحديث الشريف قوله:

وإني لأشتاق الخيال وأكثر الز
زيارة من طيف زيارته غب

أما نظره في شعر غيره فيكشف عنه اختيارات الحماسة[3]، ومافي مثل قوله متأثراً بالنابغة الذبياني:

خلائق لو يلقى زياد مثالها
إذن لم يقل أي الرجال المهذب

ثم يتحدث الكاتب عن قصائد المدح، ويعلل لكثرتها اللافتة بكثرة الممدوحين، ورغبته الجامحة في الحصول على المال، وذلك ساعده على كثير ترحاله وبالتالي تجويده ووضوحه، وتحصيله الكثير من مختلف العلوم، إذ التقى بكبار الشخصيات، وبخاصة أبو تمام. واتجاه المدح بدأ به مبكراً. وقد كان حينئذ لا يفرق في مدحه بين عظيم وحقير، إلى أن نضج وكان من شأنه ما كان.

ويريك المؤلف أن الناظر في شعره لن يجده منصرفاً عن مجتمعه ولازاهدا فيه.

ففي مدى معاصرته لتسعة خلفاء، أولهم المعتصم سنة ٢١٨ هـ وآخرهم المعتضد سنة ٢٨٤ هـ. وهي السنة التي مات فيها البحتري. مدح جميع هؤلاء، ومدح غيرهم، وقد حظي المتوكل من بينهم بأوفى نصيب، ثم يحصي الكاتب من مدحهم من غيرهم فيجدهم سبعة وثمانين ومائتي شخصية. ويجعل أبا تمام حبل الصلة بينه وبين أكثر الشخصيات

١ - يقولون: يوم سجسج، أي لا حر فيه ولا برد، ومنه: الجنة سجسج والبيت إفصاح عن رغد العيش وسعادته به.
٢ - الشأو الشوط والسبق.
٣ - ديوان الحماسة، هو أشعار مختارة لشعراء مختلفين، جمعها أبو تمام، وهي تدل على ذوقه دلالة واضحة.

التى مدحها ، وقد حفظ البحترى له ذلك فقال : كان أول أمرى فى الشعر أنى صرت إلى أبى تمام وهو بحمص ، فعرضت عليه شعرى ، وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم ، فأقبل علىّ وترك سائر من حضر ، فلما تفرقوا قال لى : أنت أشعر من أنشدنى ، فكيف بالله حالك ؟ فشكوت خلة ، فكتب إلى أهل معرة النعمان ، وشهد لى بالحذق ، وشفع لى إليهم ، وقال : امتدحهم ، فحضرت إليهم ، فأكرمونى بكتابه ، ووظفوا لى أربعة آلاف درهم ، فكانت أول ما أصبته وإلى جانب ذلك كان يكثر من الفخر برأى أستاذه أبى تمام فيه ، ولم يرض أن يفضله المعجبون به عليه .

وفى حديث عن بعض شعره الذى جاء من وحى الأحداث ، يقول الكاتب : أدرك البحترى نهاية العصر العباسى الأول ، ورأى طغيان الأتراك وهوان الخلفاء ، وقتل نديمه الخليفة المتوكل على أيديهم أو بتحريض منهم ، ولأنه شهد مصرع الخليفة وما وقع لقصره كانت رائعته التى قال فى مطلعها :

محل على القاطول أخلق داثره
وعادت صروف الدهر جيشا تغاوره

ثم كانت السينية التى روح بها عن نفسه إذ اعتورتها الهموم الكالحات ، فذهب إلى إيوان كسرى ، وأفصح هناك عن دخائله فقال :

حضرت نفسى الهموم فوجهت
إلى أبيض المدائن عنسى
أتسلى عن الحظوظ وآسى
لمحل من آل ساسان درس

ثم يحدثك الكاتب عن بهجة البحترى كلما لاح فى عينيه ضوء إصلاح ، أو تولى خليفة يؤمل فيه الحد من طغيان الأتراك ، ومن ثم يعد من مسجلى تلك المرحلة . ومن المؤرخين لها بالشعر والوصف ،برغم ما فيها من تزاحم الأحداث الداخلية والخارجية ، مما كان له أعظم الآثار على شعره وخياله ، وكل ذلك يؤيده بنماذج من شعر الشاعر ، يضيق المقام بنا عن حصرها .

ومن بعد ذلك ينتقل بنا إلى العصر العباسى الثانى ، حيث الطفرة الواسعة فى كل مظاهر الحياة .

فإذا دخل بنا فى القرن الثالث الهجرى ، أرانا من النهضة الفكرية ما لم ير من قبل ، فقد نبغ من نبغ أمثال الجاحظ ، وأبى تمام ، والمبرد ، وابن قتيبة وغيرهم ، وكان من ثم الجدل ، وكانت المناظرات ، وتعدد المذاهب والآراء ، مما تجده فى شعر البحترى ، وعلى رأس تلك الفكر فكرة خلق القرآن التى فيها يقول :

أمير المؤمنين لقد سكنا
إلى أيامك الغر الحسان
رددت الدين فذًا بعدما قد
أراه فرقتين تخاصمان

ومن خلال شعره الذى يسوقه ، يجلى أمام القارىء شخصية الشاعر تجلية ، وأهم جوانب تلك الشخصية ـ كما يقول ـ الغرام الشديد بالجمال ، والكلف به أيا كان موطنه ومظهره ، وكان كذلك يعتز بنفسه ، ويعجب بها وبشعره أيما إعجاب ، الم يكن شعره وسيلته إلى الكبار والحصول على المال !! انظر

قوله :

لا تخف عيلتى وتلك القوافى
بيت مال ما إن أخاف ذهابه
كم عزيز حربن من غير ذل
ماله أو نـزعن عنه ثيابه

ورغم رقة شعره وجماله ، وشدة ولوعه هو بالجمال ، فإنه كان من « أوسخ » خلق الله ثوباً وآلة ، ومن أبغض الناس إنشاداً ، لكن ذلك لم يصرفه عن تذوق الجمال وحبه والغرام به .

وإذ يعرض علينا أغراض شعره . يرينا أنه لم يترك غرضاً دون القول فيه ، وأن شعره يكاد يشمل كل سنى عمره ، وأن أجمل شعره ما قاله فى الأوصاف .

ويبدأ الفصل الثانى ـ كما عرفت ـ بالحديث عن الخيال ووصف الطبيعة ، وذلك لأنها فى مقدمة ما وقف أمامه واصفاً مدققاً ، متدفق العاطفة ، صادق الوجدان ، ولأنها كذلك أول ما فتح عليه عينيه فى منبج التى حظيت من جمال الطبيعة بأوفى نصيب ، ومن ثم يقرر أن حب الطبيعة وموهبة الشعر لدى البحترى توأمان ، وإنه كان يقرأ الطبيعة بعينه وخياله ، وبشعوره وعاطفته ، فإذا انتهى من تفصيل نزوعه إلى الطبيعة وحبها ، أخذ فى تفصيل المظاهر الطبيعية المختلفة التى وصفها ، وأولها الربيع ، فقد كان يرى فى قدومه بعثاً ونشوراً لكل ما فى الحياة من ألوان الجمال ، ومن بعد هذا البعث تجيء حركة دائبة فى التغيير والتجديد ، ويصاحب ذلك أنسام عليلة تشبه أنفاس الأحباب ، وجميع ذلك يبعث على الغناء والسكر بلا شراب ، وترى عنده صورة الورد تتحول إلى حديث مسموع بعد أن كان صامتاً مكتوماً ، ويتحول المطر فى نظره إلى مختال يجر أذياله ، والرعد يرتجز فى حنين ، أو يزمجر كفعل الأسود ، ولقد يصوره بأن الريح تدفعه ـ المطر ـ والرعد يناجيه ، وليس يغيب عنه ما يعقب ذلك من آثار هى آيات من الجمال .

وللحدائق الغناء وما فيها من صفوف الطير وصافى الماء مكان فسيح بين شعره الوصفى ، وإذا كان هنالك من المدن ما تحتضنه الطبيعة وتزدان به أو تزينه فإنه لا يفوته أن يصف ويضفى عليها من خياله روائع الجمال ، فتأمله يقول :

ومانور الروض الشآمى بـل فتى
تـبسم من شرقيـه فتبسـما
أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكاً
من الحسن حتى كاد أن يتكلما
وقد نبه النيروز فى غلس الدجى
أوائل ورد كن بالأمس نوما

وغرامه بالطبيعة وجمالها جعله يمثل بها أرقى ما وصلت إليه الحياة فى عهد المتوكل الخليفة ، يقول :

فكأنما الدنيا هنالك روضة
راحت جوانبها تراح وتوبل
أو ما ترى حسن الربيع وما بدا
وأعـاد فى أيامه المتوكـل

وهناك صور أخرى من جمال الطبيعة يمثل بها رغد العيش فى أكناف ممدوحيه ، وكذلك إذا تغزل تلفت إلى الربيع ، فرأى فى سفور فتاته صورة من سفوره :

سفـرت كـماسفـر الـربيـع الـطلق عن
ورد يرقرقه الضحى مصقول

وتبسمت عن لؤلؤ فى رصفه
برد يرد حشاشة المتبول

ثم ينقلنا الكاتب إلى الخيال وأوصاف الغزل ، فيقول : إن ديوانه يحفل بكثير من الشعر الغزلى ، وخاصة فى مطالعه التى قلد فيها القدماء ، وإنه وصف المرأة حاضرة وغائبة ، وتكلم عنها كأنهامرئية أمامه ، ووصفها متخيلة متوهمة ، وهو فى كل ذلك إما صادق إذا تحدث عن «علوة» التى أحبها فى صباه ، وإما خامد العواطف إذا تغزل فى المرأة مطلقاً ، لكنه فى كل حال بديع الخيال رائع التصوير .

فى بعض الصور نراه يصف الوجه جملة واحدة ، وهنا يقف عند إشراقه وما يفيض به من تألق ، وبخياله يفرغ هذا الجمال فى صورة القمر وسط ظلام حالك من السحب :

قمر من الأقمار وسط دجنة
يمشى به غصن من الأغصان
رمت التسلى عن هواه فلم يكن
لى بالتسلى عن هواه يدان

ولقد يجعل الوجه شمساً تطلع فى كوكبة من الظباء والغزلان .

يا فرحة لى من الشمس التى طلعت
فى الرائحين بسرب الربرب القطن

وهو لم يترك شيئاً ينم عن جمال فى الوجه إلا وصفه وفصل ملامح روعته ، وصف العيون والفم والأسنان ، ولم يكن ليصفها بوصف واحد ، بل إنه كلما قال جاء بصور مغايرة ، لتدل على سعة خياله وحسن تصرفه ، وإليك هذه الصورة :

بيضاء أوقد خديها الصبا وسقى
أجفانها من مدام الراح ساقيها
فى حمرة الورد شكل من تلهبها
وللقضيب نصيب من تثنيها

ثم ينقلنا الكاتب إلى غزله فى القوام ، أو فى كل مظهر من مظاهر الجمال فى المرأة ، حتى عطرها وما فيه من طيب رائحة أخذ نصيبه من غزله ووصفه ، وكذلك حليها الذى تخفيه فتنم عنه وسوسته .

على أن ذلك ـ كما يلمح من كلام المؤلف ـ ليس كل ما وقف عنده البحترى من الغزل وإنما هى أغلب الجوانب التى وجه إليها أوصافه الغزلية .

ثم ينقلنا إلى خيال البحترى ووصف القصور ، فيحيلنا إلى ما قد عرفناه سابقا من أن تلك المرحلة قد عمرت وازدحمت بالدور الفاخرة ، والقصور المزخرفة ، ولأن شاعرنا كان مقربا إلى صناع هذه المباهج ، خاصة المتوكل الذى كان مغرما بالبناء والزينات ، فإنه صار فارس هذا الميدان ، وكانت أداته إلى ذلك بصره وخياله وكثرة الجديد فى تلك القصور أمد الشاعر ووسع خياله ، وهيأ له ما لم يكن يراه ، ومن ثم أجاد كل إجادة ، ونبغ أيما نبوغ ، يقول فى وصف الجعفرى من قصور المتوكل :

ملك تبوأ خير دار إقامة
فى خير مبدى للأنام ومحضر
فى رأس مشرفة حصاها لؤلؤ
وترابها مسك يشاب بعنبر
مخضرة والغيث ليس بساكب
ومضيئة والليل ليس بمقمر

ثم يعرض علينا أوصافه للبرك التى كثرت بكثرة القصور ، ومن شدة جمالها جعلت دجلة خاملة غيرى ، يقول :

يا من رأى البركة الحسناء رؤيتها
والآنسات التى لاحت مغانيها
بحسبها أنها من فضل رتبتها
تعدّ واحدة والبحر ثانيها
ما بال دجلة كالغيرى تنافسها
فى الحسن طورا وأطواراً تباهيها
أما رأت كالىء الإسلام يكلأها
من أن تعاب وبانى المجد بانيها
كأن جن سليمان الذين ولوا
إبداعها فأدقوا فى معانيها
فلو تمر بها بلقيس من عرض
قالت : هى الصرح تمثيلاً وتشبيهاً

تلك صورة من الصور التى رسمها البحترى للبرك والبحيرات الصناعية فى القصور العامرة بأهلها ، فإذا فصّل منها المؤلف ما فصّل ، نقلنا إلى وصفه للقصور وقد عدا عليها الزمن فغدر بأهلها الغادرون ، فرحلوا عنها ، أو طوتهم أيدى المنون ، ويمثل بلوحة فى قصر المتوكل الذى كان ينادمه فيه ، ووقعت كارثة اغتياله فى محضر منه ، فقال :

محل على القاطول أخلق داثره
وعادت صروف الدهر جيشا تغاوره

ثم ترى الشاعر موزع العاطفة ، مشتت الأفكار ، حتى ليأتى بالصورة المؤلمة عقيب الصورة المبهجة ، أو يعكس ذلك الوضع ، وهو فى كل يحكى الماضى المزهر ، والحاضر المقفر ، ومن ذلك :

كأن الصبا توفى نذورا إذا انبرت
تراوحه أذيالها وتباكره
ورب زمان ناعم - ثم - عهده
ترق حواشيه ويونق[٤] ناضره
تغير حسن الجعفرى وأنسه
وقوض بادى الجعفرى وحاضره
تحمل عنه ساكنوه فجاءة
فعادت سواء دوره ومقابره
إذا نحن زرناه أجد لنا الأسى
وقد كان قبل اليوم يبهج زائره

وهكذا فى تصوير باكٍ يرسم البحترى لحظة ما نزل بالقصر ، وما نزل بمن فيه وما حوله من زينات مختلفة الألوان والأشكال ، وكيف كانت فيه الخلافة وإلام صار ، وكيف تخفى قاتلوه ، على أنه لم تنفعه الحجابة القوية ، ولم يدافع عنه أحد ، لأن القاتل هو ولى الدم - ابن المتوكل - وعلى أى حال فإن هذه القصيدة من عيون شعر البحترى ، أو هى من عيون الشعر العربى ، ويضم إليها قصيدته - السينية - التى وصف فيها إيوان كسرى بعد ذهاب أهله عنه ، وقد مر بك سبب رحلته : وأولها قوله :

٤ - يونق من الأنق ، وهو كل شىء راع حسن ، ومنه الأناقة

صنت نفسي عما يدنس نفسي
وترفعت عن جدا كل جبس

إلى أن قال في أوصاف جعلت المرسوم باللون أو المحفور أو المنحوت حيا يتحرك :

وهم خافضون في ظل عال
مشرف يحسر العيون ويخسى
مغلق بابه على جبل القَبْق
إلى دارتي « خلاط ومكس »
حلل لم تكن كأطلال سعدى
في قفار من البسابس ملس
ومساع لولا المحاباة مني
لم تطقها مسعاة عنس وعبس
نقل الدهر عهدهن عن الجد
دة حتى رجعن أنضاء لبس
وكأن الجرماز من عدم الأنْ
س وإخلاله بنية رمس
لو تراه علمت أن الليالي
جعلت فيه مأتما بعد عرس
وهو ينبيك عن عجائب قوم
لا يشاب البيان فيهم بلبس
وإذا رأيت صورة أنطا
كية ارتعت بين روم وفرس
والمنايا مواثل وأنوشر
ان يزجي الصفوف تحت الدرفس[5]
وعراق الرجال بين يديه
في خفوت منهم وإغماض جرس
من مشيح يهوى بعامل رمح
ومليح من السنان بترس
تصف العين أنهم جد أحياء
لهم بينهم اشارة خرس
يغتلي[6] فيهم ارتيابي حتى
تتقراهم يداي بلمس

وهكذا تتوالى الصور الحية في قصيدة طويلة ، يراوح فيها بين عاطفة فرحة واخرى مكتئبة ، وهو أمر ينبيء عن شتات ذهن بين الأسى الذي الم به وبالمتوكل وما الم بالفرس أصحاب الجرماز ، ثم بين الماضي البهج الذي عاشه مع نديمه المتوكل ايضاً ، وماضي هؤلاء الفرس العظماء ، وإذ يخلص المؤلف من تفصيل هذه الصور في القصور ، يأخذنا إلى تصوير البحتري وتخيله لأدوات الحرب وميادين القتال ، وهو ما سنبدأ به البقية الباقية من الكتاب إن شاء الله ..

د / حامد إبراهيم الخطيب

---

٥ ـ الجرماز : اسم الإيوان بالفارسية ، والدرفس : العلم الكبير .
٦ ـ يغتلي من الاغتلاء ، من الغلو وهو مجاوزة الحد ، ويريد هنا شديد شكه وارتيابه .

من أعلام الأزهر. بقية

وقف الأمراء التى كان ملفها قد تضخم لكثرة تأجيلها ، وبيان ما إذا كان الاستبدال المطلوب لصالح الوقف أم لا .

وانتدب فضيلته للتدريس بكليتى حقوق جامعتى القاهرة وعين شمس . تولى التدريس لطلاب هاتين الكليتين عدة سنوات إلى أن انهى هذا الانتداب لكبر سنه وفى هذه المدة ألف لطلاب هاتين الكليتين خمسة كتب جامعية ، وهى :

١ ـ دروس المعاملات الشرعية .

٢ ـ أحكام العقود فى الشريعة الإسلامية .

٣ ـ العلاقة الدولية فى الحروب الإسلامية .

٤ ـ فقه القرآن والسنة فى موضوع الطلاق فى الإسلام .

٥ ـ العقوبات الشرعية وأسبابها .

وكان فقيدنا العظيم « رحمه الله » يوزع كتبه هذه على طلابه بسعر التكلفة . وحصل أن أحد الوراقين الذين كانوا يتعاملون مع الطلبة أخذ أكثر نسخ كتاب من هذه الكتب عنده وأخفاها حتى يتمكن من توزيع كتاب آخر له فيه نصف الربح الكلى . فكان إذا سئل عن كتاب فقيدنا العظيم يقول : نفدت نسخه . ولما سمع فقيدنا العظيم بذلك توجه إلى خزانته فوجد بها ثلاثمائة نسخة حملها وأهداها إلى مكتبة الكلية حتى لا يحرم الطلاب من الاطلاع عليها ثم طبع الجزء الأخير من المقرر على حدة بثلاثين جنيها فى ذلك الوقت ووزعها على طلابه دون مقابل(٩) .

وقد سبق ـ فى أول اشتغاله بالقضاء سنة ١٩١٢ م . أن بدأ فى تأليف كتابه العظيم « الأصول القضائية فى المرافعات الشرعية » وانتهى من تأليفه سنة ١٩٢٠ م وهو كتاب قيم استعمل رسميا فى المحاكم الشرعية المصرية ، والمحاكم الشرعية السودانية ، وطلبة القضاء الشرعى بالسودان ، وطلبة قسم التخصص بمدرسة القضاء الشرعى حينما انتدب للتدريس بهذا القسم بعد إنشائه . وله « مذكرة فى التوقيعات الشرعية » ألفها حين انتدب لتدريس هذه المادة لطلاب القسم الثانوى بالأزهر الشريف سنة ١٩٢٥ م . بعد أن انتهى انتدابه للتدريس بجامعتى القاهرة وعين شمس لكبر سنه ، أقبل على القراءة والاطلاع وكتابة مذكرات وبحوث فى علوم مختلفة فى التفسير والفقه والتوحيد وغيرها ، كما أقبل على مطالعة الكتب الصوفية مع المداومة على قراءة القرآن الكريم إلى أن حان وقت أجله فأسلم روحه الطاهرة إلى بارئها سبحانه وتعالى فجر يوم ١٢ من يوليو سنة ١٩٦٩ ميلادية .

رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وجعله

﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً ﴾ .

وإنا لله وإنا إليه راجعون .

---

(٩) راجع كتاب الفرار إلى الله ص ١٦ .

أنباء وآراء

بحث قضايا العالم الاسلامى

يجتمع وزراء خارجية الدول الإسلامية بالعاصمة الأردنية (عمان) فى المحرم ١٤٠٨هـ الموافق أكتوبر ١٩٨٧م لبحث العديد من القضايا كالقضية الفلسطينية وقضية أفغانستان أعلن هذا شريف الدين بيرزاده الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى ، وذكر أنه تم تشكيل لجنة تضم ست دول إسلامية لمناقشة عمل وكالة الأنباء الإسلامية وستقدم توصياتها للمؤتمر الإسلامى .

أضاف بيرزاده أنه سيتم عقد اجتماع لوزراء الإعلام فى الدول الإسلامية بالسعودية قبل نهاية العام الحالى لبحث التصدى لعمليات التشويه الإعلامى التى تقوم بها وسائل الإعلام الأجنبية فى تغطيتها لأخبار العالم الإسلامى .

رفض الحروف اللاتينية فى القرآن الكريم

صرح فضيلة الدكتور عبد الفتاح عبد الله بركة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ، بأن مجمع البحوث الإسلامية قد رفض رفضاً باتاً ـ فى أكثر من دورة ـ كتابة القرآن الكريم بالحروف اللاتينية ، وقد قرر المجمع فى جلسته الرابعة فى الدورة الثانية والعشرين من عام ١٩٧٦ م أن القرآن الكريم لا يكتب إلا بالرسم العثمانى الذى ورد إلينا مكتوباً منذ صدر الإسلام وذلك منعاً لأى تحريف قد يحدث . وقال : إن الشكل الحالى هو الذى أثر عن النبى ﷺ ووضعه علماء المسلمين بقواعده الشرعية واللغوية المعروفة .

توحيد بداية الشهور العربية

عقدت جلسات مؤتمر مجمع الفقه الإسلامى بمبنى المجمع بالعاصمة الأردنية . ناشد خلالها المجمع العالم العربى والإسلامى شعوبا وحكومات العمل الصادق والفورى لإنقاذ القدس أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وتحرير الأرض المحتلة بحشد الطاقات وتوحيد الصفوف والارتفاع فوق الخلافات والأهواء الشخصية والاحتكام إلى شريعة الله سبحانه وتعالى .

وطالب المجلس فى ختام أعماله العالم الإسلامى بتوحيد بدايات الشهور القمرية . وتناول قرار المجلس فى ذلك قضيتين :

اعداد : احمد عبد الرحيم السايح
الاستاذ : صفوت عبد الجواد

الأولى : حكم إثبات أوائل الشهور العربية بالحساب الفلكى . وفى هذا قرر المجلس وجوب الاعتماد على الرؤية والاستعانة بالحساب الفلكى والمراصد مراعاة للأحاديث النبوية الشريفة والحقائق العلمية .

والثانية : مدى تأثير اختلاف المطالع على توحيد بداية الشهور . وفى ذلك قرر المجلس أنه إذا ثبتت الرؤية فى بلد وجب على المسلمين الالتزام بها ولا عبرة باختلاف المطالع لعموم الخطاب بالأمر بالصوم والإفطار .

تعديل القانون المدنى وفقا للشريعة الإسلامية

اعلن الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف : انه من المقرر أن يتم قريباً الانتهاء من الدراسات الخاصة بتعديل القانون المدنى بفروعه المختلفة للمعاملات لتتمشى نصوصه مع الشريعة الإسلامية . جاء ذلك خلال لقاء فضيلة الوزير برجال الدعوة والأوقاف فى مدينتى طنطا والمحلة الكبرى . وقال : إن الوزارة قررت لأول مرة إجراء دراسة شاملة لإنشاء معاهد قرآنية على غرار معاهد الأزهر الشريف لتحفيظ ابناء الإسلام كتاب الله وتأهيلهم للتعليم الابتدائى والاعدادى الأزهرى وسوف يتم التنسيق فى هذا الصدد مع المسئولين فى إدارة المعاهد الدينية .

برامج الجامعات فى العالم الإسلامى

بالتعاون مع جامعة الملك سعود تقوم « المؤسسة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا والتنمية » المنبثقة عن منظمة المؤتمر الإسلامى بدراسة برامج الجامعات فى الدول الأعضاء بالمنظمة بهدف الوقوف على الوضع الراهن لمعاهد الأبحاث والتعليم بالجامعات بالدول الإسلامية الأعضاء بالمنظمة .

يأتى هذا الإجراء ضمن جهود المؤسسة الإسلامية لوضع برنامج للنهوض بالطاقات البشرية العاملة فى مجال العلوم والتكنولوجيا فى الدول الأعضاء بمنظمة المؤتمر الإسلامى للتعاون العلمى والتكنولوجى بالإضافة إلى وضع خطة لتبادل الخبراء والمختصين بوسائل البحث العلمى . وكذلك تبادل المعلومات والأبحاث والدراسات المتعلقة بهذه المجالات بين مختلف جامعات الدول الإسلامية الأعضاء بالمنظمة .

المجلة التاريخية العربية

تصدر قريباً فى (تونس) دورية بعنوان : المجلة التـاريخية العـربية للدراسات العثمانية تهدف إلى تكثيف الحوار العلمى بين المؤرخين والباحثين العرب والأتراك والأجانب المهتمين بتاريخ الولايات العربية فى العهد العثمانى وتغطى الفترة من القرن الخامس عشر الميلادى إلى الحرب العالمية الأولى . ومن المتوقع أن تسهم هذه الدورية فى مواكبة البحث التاريخى على نطاق عربى ودولى . وهى تنشر الدراسات (الأكاديمية) التى ترد إليها باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية .

تسهيل تدفق الأموال

اتفق رجال المصارف الإسـلامية فى اجتماعهم فى البحرين على تجميع مواردهم فى محاولة للإسراع بتدفق رءوس الأموال من الدول الغنية إلى الدول الفقيرة فى العالم الإسلامى .

قال مصدر مطلع : إنهم عازمون على إيجاد سبل جديدة لنقل الأموال إلى دول إسلامية محتاجة ..

انجاز ترجمات مخطوطة لمعانى القرآن الكريم

انجز مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بـاسطنبول تنظيم وتصنيف ألف وخمسمائة بطاقة لترجمات مخطوطة لمعانى القرآن الكريم باللغتين التركية والفارسية . ويأتى إنجاز هذه البطاقات فى إطار المرحلة الثانية من مشروع « البيلوغرافيا العالمية لترجمات معانى القرآن الكريم » . وهى المرحلة الخاصة بالترجمات المخطوطة .

يتابع المركز فى هذا المجال إجراء مسح لكافة المراجع المتصلة بالمشروع بما فيها فهارس المكتبات . وقد دعا المركز السلطات والمؤسسات والشخصيات إلى تقديم المعلومات المتوافرة لديها بخصوص أى ترجمة خطية لمعانى القرآن الكريم إليه . وأكد أنه واثق من تجاوب الخبراء والباحثين والمؤسسات والمكتبات المعنية بالموضوع ووجوب مساعدة المركز .

الرئيس حسنى مبارك يرأس

اجتماع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

بعد إعادة تشكيله

يرأس الرئيس محمد حسنى مبارك أول اجتماع للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية خلال شهر يوليو المقبل ـ بإذن الله ذو القعدة سنة ١٤٠٧ وذلك بعد تشكيله الجديد . وسيتم خلال الاجتماع الأول بحث وضع سياسة كاملة للدعوة الإسلامية على مستوى العالمين الإسلامى والعربى .

أمراض الأطفال حديثى الولادة

بدأت مؤخراً جلسات المؤتمر الثامن لطب الأطفال الذى تقيمه كلية الطب بجامعة المنصورة ويشترك فيه عدد كبير من أساتذة طب الأطفال يناقشون أكثر من ستين بحثاً فى مجال أمراض الأطفال .

وصرح الدكتور محمد حافظ الأمين العام للمؤتمر بأن المؤتمر يعقد سنوياً بكلية طب المنصورة ويناقش أهم الأبحاث العلمية فى مجال الطفل وكافة مراحل نموه .

وقال : إن المؤتمر ناقش فى جلساته الأولى الأبحاث الجديدة فى دور الوراثة والعلاج للحساسية والربو الشعبى وطرق علاجها .

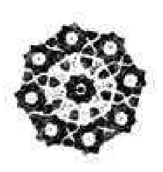
حسن عباس زكى رئيسا للشبان المسلمين

اختير الدكتور حسن عباس زكى رئيساً للشبان المسلمين فى دورتها الجديدة والمستشار طه دنانة نائباً للرئيس والأستاذ جمال خشبة أميناً عاماً .

ومن المعروف أن الدكتور حسن عباس زكى كان وزيراً للخزانة والتموين الاقتصاد والتجارة الخارجية وهو من الشخصيات الإسلامية ، وقد عالج الكثير من الموضوعات فى الاقتصاد الإسلامي .

تحليل البصمات ألكترونيا لسرعة ودقة الكشف عن صاحبها

توصل خبراء جامعة أدنبره باسكتلندا إلى وسيلة جديدة وحديثة لتحليل بصمات الأصابع ألكترونياً وتخزين المعلومات داخل الحاسب الألكترونى بسرعة الرجوع إليها ولدقة الكشف عن صاحبها . والجهاز الذى يقوم بهذه العملية مكون من عدسة تصوير للبصمة وتكبيرها وجزء لتحليل الصور وخصائصها ومكوناتها . وجزء رقمى لتحويل هذه المعلومات إلى أرقام تدخل إلى الحاسب الألكترونى لتخزينها واسترجاعها لمقارنتها فى أسرع وقت وبدقة شديدة ..



من خير ما كتب

فضيلة الشيخ/ محمد الغزالى :

المرأة لا ترى أحداً ولا يراها أحد
فتوى لا يعرفها الإسلام

إن هناك نفراً من المتكلمين باسم الإسلام يرون المرأة فى الجامع أو الجامعة قذى فى أعينهم ، ويضعون العوائق ـ من عند أنفسهم ـ لا من عند الله ، كيلا يكون للنساء وجود فى ميادين الحياة .. وهم مهرة فى لىّ أعناق الآيات ، وقلب الأحاديث النبوية رأساً على عقب ، وتحريف الكلم عن مواضعه حتى يأخذ الناس دينهم من عقول بها مَس !!

لقد استعانت بى السيدة الجليلة الدكتورة (زهيرة عابدين) الأستاذة بكلية الطب ، فى فتوى متواضعة لتمنع متخرجة فى كلية الصيدلة من القعود فى البيت ، والارتزاق من آلة الخياطة لأن أحدهم قال لها : (إن المرأة لا يجوز أن ترى أحداً ولا يراها أحد) .

قلت لها : هذه فتوى مخبول لا يعرف الإسلام ، بل هو وأمثاله قرة عين لأعداء الإسلام الذى لا يحرم على المرأة أن تبيع وتشترى وأن تتعامل مع الناس ما دامت متأدبة بأدب الإسلام .

الأستاذ/ مصطفى أمين :

فكرة

الذى يصنع الدولة العظيمة هو العمل العظيم ، هو الإنتاج الضخم ، هو شعور كل مواطن انه سيد فى بلاده يأخذ حقوقه ويؤدى واجباته . وليس معنى الحرية حريتى فى الخروج على القانون ، فأنا حر ما احترمت قانون بلادى ، فأنا أعطى كل ما عندى لوطنى ، ويعطينى وطنى كل حقوقى ، يعطينى كرامتى وحريتى . ويعطينى العدل والأمن . ويوم يحرم المواطن من العدالة والحرية يفقد الانتماء إلى الوطن . فإذا أردنا أن يؤمن المواطن بالانتماء التام إلى وطنه يجب أن يشعر بأنه صاحب هذا الوطن . ويجب أن نوفر له الاحترام والكرامة . ويجب أن نوفر له الفرص .

الأستاذ/ أحمد زين

بلا مشاكل

لقد تعرض علماء المسلمين إلى هجمات شرسة على يد عدد من الكتاب .. وقد أرسل

هؤلاء العلماء ردوداً إلى الكتاب . فكان نصيبها الإلقاء فى سلة المهملات .. واليوم تعود نفس الموجة الشرسة .. ولقد كتب فى خلال الأيام الأخيرة كاتب يقول .. إن منهج الله وشريعته هى شىء هلامى .. لا يصلح للتطبيق .. وأن آلاف الذين حكموا وطغوا وسرقوا وظلموا .. كانوا جميعاً يطبقون الشريعة الإسلامية .. وأن يزيد بن معاوية الذى جز رأس الحسين .. وأولئك الذين ضربوا الكعبة بالمنجنيق ، وأولئك الذين بنوا القصور لآلاف الجوارى .. كانوا جميعاً يحكمون بشريعة الله .. وعندما رددت على هذا الكاتب .. إذا به بدلاً من أن يقابل الحجة بالحجة .. يستعدى على أعلى السلطات .. وكأننا نحن فى دولة مسموح فيها بأن يهاجم الإسلام كما يشاء الناس .. وممنوع فيها أن يتصدى قلم واحد للدفاع عن الدين الإسلامى .. أو لرد هذه الإتهامات .. والله سبحانه وتعالى يقول ﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ﴾ . صدق الله العظيم .

الأستاذ/ ربيع الشيخ

قضايا وحكايات

لو تأملنا صورة مجتمعنا الآن لوجدنا ظواهر اجتماعية جديدة لم تكن موجودة من قبل .. ظواهر أقل ما توصف به أنها دخيلة على عاداتنا وتقاليدنا التى اشتهرنا بها .

تحولت القيم والأخلاق فى مجتمعنا إلى أسطورة وإلى قصص وروايات يحكيها الآباء للأبناء مثل قصص (ألف ليلة وليلة) (وكان ياما كان) .

أرجو من رجال الاجتماع ومن أصحاب الرأى والمشورة أن يدرسوا لنا كل هذه الظواهر ويقولوا لنا الأسباب الحقيقية وراء كل هذه الكوارث التى أصابت مجتمعنا .

خطورة القضية أنها أصبحت تزداد يوماً بعد يوم وأصبحت تهدد مجتمعنا الذى كان وما زال يتميز حتى الآن بالسماحة والحب والشهامة وكان يضرب به المثل فى إنكار الذات والتمسك بالتقاليد والعادات التى ورثناها عن الأجداد والآباء .

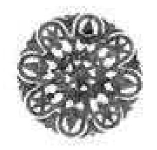
فهل نستطيع أن نحقق ذلك ونعوض ما فاتنا ؟ أم أن الوقت قد فات وأصبح البكاء على الماضى ضرباً من الخيال ..!!



فهرس العدد

water resources, routes and other topographical features. The third is the commander's personal reconnaissance. The Prophet (prayers be upon him) teaches us that the military commander should perform reconnaissance by himself whether in the preparatory stage or in the course of battle. By personal reconnaissance, he adds what he sees by his own eyes to what he has got from other sources of information. When muslims approached Badr before the battle, the Prophet accompanied by Abu Bakr El-Siddique left his army behind and advanced for personal reconnaissance.

These general outlines basic to the art of warfare have developed in modern military tactics into a very sophisticated science supplemented by highly complicated advanced technology. However, the fundamental art of that science had been extensively adopted by Muslims during the days of the Prophet (prayers be upon him) and thereafter. The facts remain that the Holy Quran and the Honourable Traditions are the source of true knowledge to Muslims during peace and at times of armed conflicts. Islam, therefore, is a wholesome education for the proper making of mankind against the forces of evil, and it commands Muslims to make ready their strength to the utmost of their power both by the discipline of the self and by learning the arts of steadfast confrontation against hostile forces.



patrols obtain information without fighting unless in self-defence. The Prophet used patrols of this type of various strength ranging from two or three men to thirty men. In Rajab of the 2nd year of Hijra, the Prophet sent a reconnaissance patrol of about 12 men headed by Abdullah Ibn Jahsh to a place called Nakhla between Macca and Ta'if to get him information about Quraish

Before the battle of Badr in Ramadan of the same year, the Prophet (prayers be upon him) sent two patrols when he approached Badr. The first consisted of Aly Ibn Ali-Talib, Al-Zubair Ibn El-Awam, Saad Ibn Abi Waquas and some of his companions. The second patrol of two men only who informed the Prophet (prayers be upon him) about the time of arrival of Quraish's caravan at Badr.

Combat contingents are patrols that should be prepared to fight for the attainment of its goal. These patrols were bigger in size than reconnaissance patrols and had different objectives to achieve. To watch and guard the border regions of the state against enemy surprise attacks. To impress upon the enemies that there was an established state at Al-Madinah, which was fully prepared to defend its authority within its boundaries and would not tolerate any infringement of its laws. And that it was capable of maintaining peace and order within its territory and ready to defend its borders from any hostile forces. To warn enemies, especially Quraish, that their routes of trade, the economic life line, was now at the mercy of the Muslims at Madinah, who could block that route at anytime they wished. This was meant to force Quraish to stop its hostile activities against the Muslims. To block the sources of the enemy supply line and engage them in fighting before they were properly organised and prepared for war. To punish tribes, who had helped the enemy or opposed the Muslims, intrigued and obstructed their work to demonstrate the power and strength of the Muslims and to impress the enemy.

These types of patrols gave Muslims an opportunity to test the combat efficiency of the enemy and acquire practical experience of organising military operations.

These patrols also made the Muslims acquainted with the surrounding region and the nature of its terrain,

managed to enter their camp, but while he was there the wind blew strongly loaded with sand and dust causing a great deal of confusion and disruption all over the camp. Fearing that that situation might encourage the muslims to infiltrate into his lines, Abu-Sufyan, Quraish's leader, raised his voice ordering everyone of his men to see who is sitting on his right and left to check his identification. Huthaifa immediately, held the hand of the man on his right and on his left and asked for their identification. By this intelligent and quick action, Huthaifa saved himself from being discovered.

Also, before the Battle of Hunain, the Prophet (prayers be upon him) sent Abdullah Ibn Abi Hadrad Al-Aslami to the enemy lines where he mixed with men and came back with valuable information. The muslim commander Amre Ibn El-As in his battles against the Byzantians had some of his men, who learned enemy language disguised and infiltrated enemy lines and returned with useful information. Khalid Ibn Al-Walid, Saad Ibn Abi-Waquas and many other Muslim army commanders, did the same.

Interrogation of prisoners of war is one of the sources of information about the enemy. Before the Great Battle of Badr, the Prophet (prayers be upon him) sent a reconnaissance patrol, which came back with two men from Quraish. The Prophet (prayers be upon him) himself interrogated them. They gave him information about their positions but failed to know their numbers. So, the Prophet (prayers be upon him) asked them : "How many camels do you slay everyday ? They replied : nine in a day and ten in the other. The Prophet deduced that Quraish's army was between 900 and 1000 men as Arabs usually slay one camel for every 100 men. He also deducted that all chiefs of Quraish were at the head of their army.

Reconnaissance is one of the main methods of obtaining information about the enemy in the military thought of Islam. This teaches us that every commander must base his plan on the information he obtains, the more sufficient and adequate and accurate the information is, the better the objective is achieved.

In the field of reconnaissance, Muslims devised several methods for that purpose.

Reconnaissance patrols are those that this kind of

either go forth in parties or go forth all together

(Surat Al-Nisa, IV, 71)

Utilising the concepts of early warning and high degree of combat readiness, the Prophet (peace be upon him) could take swift action against enemies that prepared to attack Al-Madinah. He could move his force, take his enemies by surprise without allowing them time or chance for defence and as a result he could abort their preparations for aggression. Examples of this kind of combat actions are several. Raiding tribes of Banu-Saleem and Ghatafan with 200 men in Shawal during the 2nd year of Hijra; raiding Banu-Thaalaba and Muharib with 450 men in Al-Muharram during the 3rd year; raiding Banu - Saleem with 300 men in Rabi Al-Awal the 3rd year; raiding Banu-Muharib and Banu-Thaalaba with 400 men in Shaaban during the 4th year; raiding tribes of Dawmat-Ulgandal by 1000 men in Rabi Al-Awal during the 5th year; raiding Banu-Almustalaque with 1000 men during Shaaban 5th year; raiding Banu - Lehyan with 3000 men during Jumada Al-Ula 6th year of Hijra.

By the use of intelligence and espionage the Prophet (prayers be upon him) was able to obtain information about all his enemies to ensure the security of Muslims. He had intelligence service not only inside Al-Madinah but also outside. In Mecca and among most Arab tribes he had eyes and ears, who brought forth very vital information. Also, among the Bezantine and Persian forces.

This helped so much in providing Muslims with early warning about enemy intentions. They, for example, informed the Prophet (prayers be upon him) about Quraish's preparations to attack Al-Madinah. Quraish was astonished when they approached the city and saw the trench with which the Arabs were not familiar.

The Prophet (prayers be upon him) was clever in selecting his intelligence that none of them was discovered or caught. He chose those who possessed the qualities of intelligence, that none of them was discovered or caught. He chose those who possessed the qualities of self-control, smartness, steadiness and quick action. An example of this, was Huthaifa Ibn El-Yaman Al-Absy, who was appointed by the Prophet (prayers and peace be upon him) to merge in the lines of Quraish during the Battle of Al-Ahzab to get information about them. Huthaifa

prevent a rush by the enemy. Even while at prayers armour and arms need not be put off except when rain is likely to cause inconvenience to the wearer and damage to the arms, or when illness or fatigue causes the wearer's strength to fail. The verse also warns against enemy surprise attack.

Information obtained should be analysed investigated with deductions of practical results. The Holy Quran states:

> "When there comes to them some matter touching (public) safety or fear, they divulge it. If they had only referred it to the Apsotle, or to those charged with authority among them the proper investigators would have tested it from them (direct). Were it not for the Grace and Mercy of God unto you, all but a few of you would have fallen into the clutches of Satan."
>
> (Surat Al-Nisa, IV, 83)

This is the utmost benefit from the information obtained, it's analysis, and deductions obtained. The validity of such information must be questioned with insight and prudence. This matter has developed into a highly sophisticated process. Among the requirements of obtaining information about the enemy is learning his language. The Prophet (prayers and peace be upon him) ordered Zaid Ibn Thabit to learn the Jewish language. Zaid said : "The Apostle of God ordered me to learn the language of the Jews and said : "By God, I do not trust the Jews to my message." I mastered that language, and I used to write his messages sent to them and read their messages for him." After the time of the Prophet (prayers and peace be upon him) muslim commanders made full use of this directive and they often sent muslim spies learning their enemy's language to obtain information by infiltrating through their lines.

Islam teaches that no confrontation should be undertaken without due preparation and precaution and that "early warning" is very essential for security and defence. Early warning gives the ability to move swiftly at suitable time, and provides enough time to take necessary counter measures.
(The Holy Quran states):

> "O ye who believe, take your precautions, and

a vital necessity in respect to enemy intentions, plans, strength, combat efficiency, movements, position and the like. The Prophet (prayers be upon him) adopted this principle in his struggle against the enemies of Islam, and conducted all his combat actions very carefully with complete knowledge of the plans, combat strength, positions, movements of his enemy. Also, with full security measures for the protection of his own forces.

The teachings of Islam derived from the Holy Quran and Sunnah (Traditions), imply several measures for enemy confrontation. Necessity of obtaining information, information analysis, systems of early warnings, learning enemy language, intelligence and espionage, interrogation of prisoners of war and reconnaissance.

Besides, these basic fundamental element of enemy confrontation that are common in any combat situation; the Holy Quran specifies other measures to be adopted by Muslims in certain particular situations such as during prayer.

> "When thou (O Apostle) art with them, and standest to lead them in prayer, let one party of them stand up (in prayer) with thee, taking their arms with them. When they finish their prostrations, let them take their position in the rear, and let the other party come up which hath not yet prayed and let them pray with thee, taking all precautions and bearing arms. The unbelievers wish if you were negligent of your arms and your baggage to assault you in a single rush. But there is no blame on you if ye put away your arms because of the inconvenience of rain or because ye are ill, but take (every) precaution for yourseleves. For the unbelievers, God hath prepared a humiliating punishment."
>
> (Surat Al-Nisa, IV, 102)

The congregational prayer in danger in face of the enemy rests on the principle that the congregation should be devided into two parties: one party performs the prayer, while the other watches the enemy, and then the second party comes up to prayers while the first falls back to face the enemy; either party performs only half the congregational prayer : every precaution is taken to

preparation is continually justified, and constitutes within its understanding all facets of physical, moral and spiritual fitness. Islam must be understood by its adherents to be a perpetual schooling and a wholesome source of human knowledge, confidence and strength. Such understanding is the basic essential ingredient for consolidation, the inherent glow of power for right. For Muslims to prepare to possess all means of power, they must strictly in devotion adhere to the doctrins of Islam as standardised by Allah. Any deviation from these standards will eventually result in failure to attain power. The prime and first order of preiority is the building up of the muslim individual, the muslim family, the muslim community, the muslim nation, and the muslim Ummah at large. The total integrated geared system of multidisciplinary requirements must be developed; cultural, spiritual, scientific, moral, disciplinary, ethical, economic and physical. The attainment of power structure constitutes higly complicated and complex mechanisms that are doctrinated and highly analysed in Islamic teachings. It is the adherence to these teachings that creates the power that lives in the spirit of man. It was that latent power and not the power of force and armament that made Muslims propagate during the life of the Prophet (prayers and peace from Allah be upon him). It was that latent power in the hearts of Muslims that defeated simultaneously the Roman and Perssian military might grandeor and pomp. It is the power inherent in a diamond crystal as opposed to the feebleness of a huge haystack. It is the adherence to the words of Allah that ignites realism, firmness, solidity and attainment of power.

What has been considered is the making of a Muslim, the building brick of the whole structure. For that powerful muslim to achieve steadfast confrontation of his enemies and the enemies of Islam, he must be knowledgeable in the art and science of warfare. The forthcoming consideration will feature the general aspects of such art.

The first demand for successful planning and fulfillment of any military task is gaining information. This information is needed for the construction of force in every aspect to achieve success in any mission assigned. This information must be up-dated to ensure early warning in order to gain the initiative and ability to repell enemy aggression. This information is

« MAKE READY YOUR STRENGTH TO THE UTMOST OF YOUR POWER »

By : General Mohammad Gamal El-Din Mahfouz

Allah Almight said in the Holy Quran.

> "Against them make ready your strength to the utmost of your power, including steeds of war, to strike terror into (the hearts of) the enemies of God and your enemies, and others besides, whom ye may not know, but whom God doth know. Whatever, ye shall spend in the Cause of God, shall be repaid unto you, and ye shall not be treated unjustly."
>
> (Surat Al-Anfal, VII, 60)

This verse brings to our knowledge that these are three groups of enemies. The first are the enemies of Allah, those who openly declare disobedience and commit aggressive acts against that which is holy and sacred. The second are the enemies of muslims who attack their countries or their beliefs or their sacred rights. The third group are "Others besides whom ye may not know but whom God doth know." Those are the hypocrites, and include those who work against Islam and Muslims in the fields of espionage, psychological warfare, sabotage and all sorts of secret and underground activities.

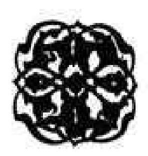
Allah commands Muslims to recognise with insight and wisdom these antagonistic groups and to prepare for them all means of power and steadfast confrontation. Such ability of power in the cause of Allah will dismay the enemies of Islam, and create fear and respect in their hearts for Islam and Muslims. This optimization of

"All that is on earth will perish; But will abide for ever the Face of thy Lord, Glorified and Majestic."
(Surat Al-Rahman, LV, 26, 27)

The companions reproached each other for weeping but they all knew that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) had gone to what is better for him than this world. They all remembered that he had said "what have I to do with this world?. I and this world are as a rider and a tree beneath which he taketh shelter. Then, he goes on his way and leaves it behind him." The sound of his words remains in the hearts and minds of all Muslims to the end of times. He said "I go before you, and I am your witness. Your tryst with me is at the Pool."

The Prophet of Islam had died. He was the guardian of of the believers the witness over them, the bearer of the Holy Revelation, the warner, the kind, the magnaneomous.

All hail to thee our illustrious Prophet, prayers and peace from Allah be upon thee.



decreed upon thee. No death after that shall ever befall thee. How great you are dead, and how great you were alive." Abu Bakre replaced the cover over the Prophet's face -with beloved respect. Abu Bakre walked out into the mosque to the people whom Omar was still addressing. On seeing Abu Bakre, the people gathered around him very anxious to know what he had to say. He was the closest compansion to the Prophet, and the one chosen by the Prophet to lead the prayers during his illness. The commotion subsided, Omar stopped his loud words and everybody listened to what Abu Bakre had to say. After giving praise to Allah, Abu Bakre very calmly and with adamant resolution said "O people, whoso has worshiped Muhammad, truely Muhammad has died; and whoso has worshipped Allah, truely Allah lives and dies not?" Then, he recited the following verses from the Holy Quran.

> "Muhammad is but a messenger, and messengers have passed away before him. If he dies or be slain, will ye then turn upon your heels ? Whoso turneth upon his heels will thereby do no hurt unto Allah; and Allah will reward the thankful".
>
> (Surat Al-Imran, III, 144)

Abu Bakre continued "O people remain true to your faith, you have the revelation of the Holy Quran between your hands; it is the Light and the Absolute. Remain adherent and honest to the Message that your Prophet carried and left to you."

Everybody came to the logic of the mind after Abu Bakre had finished his words. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) had died. Omar said "it was as if I had never heard that verse from the Holy Quran before", and continued to recite more verses from the Holy Revelation pertaining to the same understanding.

> "And call not, besides Allah on another god. There is no god but He. Everything that exists will perish except His Own (self). To Him belongs the Command, and to Him will ye (all) be brought back."
>
> (Surat Al-Qasas, XXVIII, 88)

> "Truely thou wilt die (one day) and truely they too will die (one day."
>
> (Surat Al-Zumar, XXXIX, 30)

Not long afterwards, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) lost consciousness while lying on a couch with his head on Aishah's chest with all strength drawn. Aishah thought it was the moment of death. She then remembered him having told her that no prophet is taken by death until he had been shown his position in paradise and and then offered the choice to live or to die. After sometime, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) opened his eyes and Aishah realised then that he had returned from a vision of the Hereafter, and will not choose to live. She finally heard him murmur in faint peaceful clear utterance "With the supreme communion with the Transcendent in paradise, with those upon whom Allah hath endowed with His favours, the Prophets, the Saints and the martyrs and the righteous; most excellent for communion are they. With the supreme communion, with Allah". Those were the last words the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) spoke. His head grew heavier, and finally the great open channel to the tidings of heavens has been closed. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) had died. The time of death was at noon on that Monday the 12th of Rabie Al-Awal of the 11th year of Hijrah; at the age of sixty three. The mortal nature of mankind makes no exceptions; Muhammad Ibn Abdullah Ibn Abd-Al-Muttalib, the Prophet of Allah and the Messenger of Islam had died.

The news of the death of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) echoed throughout Al-Madinah. Word was sent to Abu Bakre at Sunh, Ussamah Ibn Zayd gave orders to his troops to return to Al-Madinah. The "City of Light" as Al-Madinah is called was oppressed with deep grieve and sorrow, everybody was confused and distresed. Omar Ibn Al-Khattab refused to accept that the Prophet had died, and stood in the mosque assuring the people that the Prophet was merely absent in spirit and that he would return. Omar continued to explain that the Prophet was summoned for Holy Communion with Allah, as Moses had done; and that the return of the Prophet was a certainty. Omar spoke with force and conviction springing from surging emotions that arrested his logic.

While that commotion was taking place, Abu Bakre arrived from Sunh, without pausing to address anybody, he went directly to Aishah's house, took leave to see the body of the Prophet. He uncovered the Prophet's face, looked at him and kissed his head. He said "Dearer than my father and mother, thou has tasted the death, which Allah

THE DEATH

By : Dr. Anas Moustafa El-Naggar, MD, ph.D.

In the name of Allah, the most Gracious and the most Merciful.

The agony and prostration of illness were tightly embracing the body of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Inspite of the grave suffering, there was the supreme peace and deep tranquility of spiritual acceptance that death was very close, and that the transience of life was at an end. The last words that vibrated from his lips and his tongue unable to utter them were "your prayers and what your oaths possess". "May Allah forgive me, bless me and accept me to join the supreme transcendence in paradise." The hours were spent in stone silence in the rooms of Aishah where the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) lay down prostrate, worshipful, and supplicating. Besides him was a pot of water from which he wetted his hand and his face.

It was on Monday the 12th of Rabie Al-Awal of the 11th year of Hijrah at dawn prayers when the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) partially recovered, stood up and looked through the curtains at the gathering of Muslims as they stood in rows assembled to perform the dawn prayers behind Abu Bakre. He smiled with with marked sublime radiance, and signalled to them to remain for their prayers, and withdrew the curtains. A feeling of happiness dominated all the Muslims at Al-Madinah thinking that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) had recovered from his illness. Great was the rejoicing at the apparent recovery; Ussamah rode back to his troops at Jurf to start the march northbound. Abu Bakre took leave to go to his wife Habibah the Khazrajite, who lived at Sunh in upper Medinah. The rest of the close companions went their different ways to attend their personal affairs.

AL-AZHAR MAGAZINE

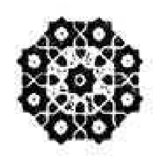
ENGLISH SECTION

Vol. 59, Part XI

Zu Al-Qida, 1407 Hijrah

CONTENTS

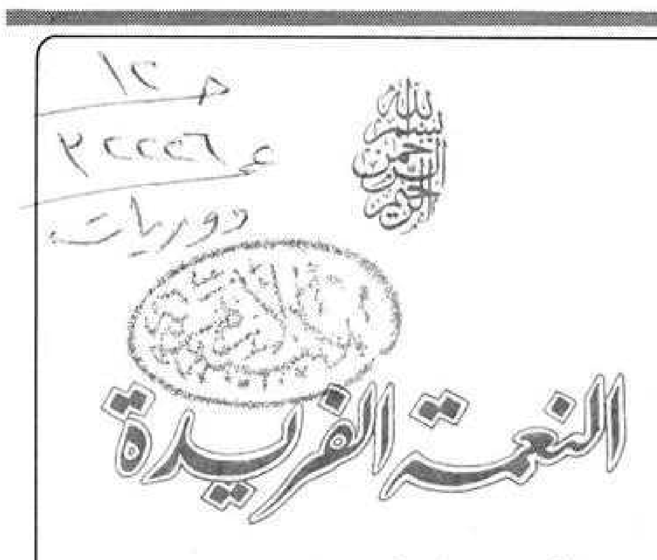
Preparation of Prints: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.



AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION



فما شَرُفَ الكونُ بقَدَرٍ منها إلا مرة ، توارى ـ بعدها ـ فى جلال فكان حَدَثاً فَذاً لا يعرف التكرار .

وهى مقادير كريمة لأنها ثَرَّةُ العطاء ينهل من فضلها كلُّ جيل من أجيال المؤمنين ، فرزقها دائم لا منقطع ولا محدود ، فكانت كريمة كأحسن ما يكون الكرم عطاء بلا مَنٍّ ولا استكثار .

ولأنها فذة كريمةٌ لم تكن لأى الناس ؛ فـ ﴿ رَبُّكَ يَخْلُقُ مَايَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ فكانت للصفوة التى صنعها اللهُ على عينه وجعلها ـ سبحانه ـ هدى للمتقين .

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

بالأزهـر

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان :

إدارة الأزهـر بالقاهرة

٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

الأزهر

* الجزء الثانى عشر *

* السنة التاسعة والخمسون *

* ذى الحجة ١٤٠٧ هـ *

* اغسطس ١٩٨٧ م *

النعمة الفريدة

ولإبراهيم الخليل منها نصيب :

فهو - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - صاحب « الوحى بذبح إسماعيل »

وإسماعيل - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - هو المطلوب من بين البشر بهذا الوحى ، وهو « الوحيد » من بينهم «المُعينُ» أباه على التنفيذ .

وإذا تداعت الأحداث تَمَيَّزَتْ - بضدها - الأفعال :

فهذا إبليس ، وذاك ولد « نوح » !

كيف تراهما أمام « إبراهيم » و « إسماعيل » عليهم السلام ؟

وكيف حال كلٍ مع ما تلقى من « أمر » مع ماق فحواه من تفاوت !

وهل كان « الأمر » لكل من إبليس وولد « نوح » إلا هيناً يسيراً ليس فيه - بحال - بلاء « إبراهيم » ولا احتمال « إسماعيل » عليهما السلام .

عصى إبليس أمر ربه وامتنع عن السجود فباء بلعنة الخلود

وعصى وَلَدُ « نوح » نِشادَ والده الرحيم : ﴿ يَابُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴾ وما كان الجَبَلُ عصمةً من القَدَر فأخذه الموج فكان من المغرقين.

وهاهو إبليس لا يدرى ما يخبؤه القدر حتى كان « الأمر » لإبراهيم فإذا هو أمام خطب جسيم ، ولم يكن من « البلاهة » ليرى « سواءً » ما أُمِرَ به وما أمر به « إبراهيم » وما كان من « الغباء » ليجهل مصير عصيانه ونتيجة طاعة « إبراهيم » وإنه ليمنى النفس بالنجاح كله لو ثنى « إبراهيمَ » عن التنفيذ ؛ أو حَمَل « إسماعيلَ » على العصيان .

وما إن حاول حتى تلقاها حصيات زاجرات أدبر عنها ، ولا تفتأ تلاحقه إلى يوم يبعثون .

لقد أطاع الخليلُ وإسماعيلُ فأورثا إبليس حسرة الأبد ، فلا يزال يرى بعينيه عظيمَ ذنبِهِ ، وأثيمَ كُفرِهِ ، وتفاهة كِبْرِهِ حين تتدفق أمواجُ الحجيج كل عام فيرى جموع المؤمنين بلا ذنب ولا معصية ، هاهم أطهار كيوم ولدتهم أمهاتهم ، وهاهى جهوده فى إغرائهم بالإثم تذهب أدراج الرياح ، وهذه حصياتهم تتبعه زجراً كزجر أبيهم إبراهيم ، سوطَ عذاب إلى يوم الدين .

هاهم البشر أبناء آدم خير منه فى النهاية ، وهاهى حجته فى ﴿ الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ داحضة . فلا هو خير من آدم ، ولا هو منتصر على المؤمنين .

د. علي أحمد الخطيب



كلمة فضيلة الإمام الأكبر
جاد الحق على جاد الحق "شيخ الأزهر"

في المؤتمر الطبي الإسلامي الدولي

الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما . والصلاة والسلام على رسول الله جاء بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، رحمة بالإنسان ، وسعياً به إلى ازدهار الحياة فى رضا من الله ورضوان .

وبعـــد :

فإن هذا الإنسان صنع الله الذى أتقن كل شىء ، استخلفه فى الأرض وعلمه مالم يكن يعلم .

تعهده الله بالرسل والرسالات المتتابعة ، طلباً لاستقامته ، وإنقاذاً له عندما يحيد عن الطريق المستقيم .

حتى إذا حاد المجتمع الإنسانى عن سنن الله وهديه ، واستبد به الظلام والضلال ، وتعامل الإنسان فى مجتمعه كما تتعامل الوحوش .

كانت رسالة الإسلام ، رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[2] .

ومن هذا النور الذى أنزل مع الرسول قول الله سبحانه فى هذه الآية : ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ .. ﴾ .

(١) انعقد المؤتمر بالقاهرة فى الفترة من ٢ ـ ٥ فبراير ١٩٨٧ .

(٢) الآية ١٥٧ من سورة الأعراف .

ولقد بين القرآن الكريم الخبائث التى حرمها الله رحمة بالإنسان وحماية ووقاية لكيانه حتى يحيا صحيحاً سليماً معافى .

من ذلك قوله فى سورة البقرة : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ ﴾ . (٣)

وقوله فى سورة المائدة : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ . . ﴾ . (٤)

وقوله فى سورة الأنعام : ﴿ قُل لَّا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ . . ﴾ . (٥)

هذه الآيات الكريمة حددت أشياء حرمتها : الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام .

هذه الأنواع من الحيوانات حرمها الله سبحانه وهى بهذه الأحوال الموصوفة ، لأنه وهو خالق كل شىء ، ويعلم مالا نعلم ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ حرمها لأنها دخلت فى القاعدة العامة التى جاءت فى قوله سبحانه فى آية سورة الأعراف .. ﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ . . ﴾ وهذا هو العلم قد أظهر ما تحتويه هذه النوعيات من السموم المؤثرة على حياة الإنسان الذى يطعمها .

هذا التحريم لما وصف الله فى هذه الآيات إنما جاء وقاية للناس من الأضرار التى تترتب على تناولها ، وليس حرماناً من مطعومات مفيدة أو مشتهاة لأصحاب الذوق السليم .

ولا يتسع الوقت المحدد للإفاضة فى بيان الأخطار والأضرار التى تقع على الإنسان الذى يتناول هذه المحرمات .

ولسنا ـ نحن المسلمين ـ فى حاجة لليقين بأضرارها إلى فحصها بالأجهزة الحديثة ووصف ما تحمل من جراثيم ، لأننا نؤمن بأنها خبائث كما وصفها الخالق سبحانه : ﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ . . ﴾ وإن كان على العلماء الأطباء أن يشرحوا ويوضحوا وذلك من باب قول نبى الله إبراهيم عليه السلام الذى حكاه القرآن فى سورة البقرة : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي . . ﴾ . (٦)

فنحن نستحث المؤتمرين أن يقولوا للناس : لم كانت هذه النوعيات المذكورة فى تلك الآيات من الخبائث . ومن ثم ورد عليها حكم الله بالتحريم .

صورة ثانية من الطب الوقائى فى الإسلام

أما وقد تحدثنا عن مطعومات محرمة

---

(٣) الآية ١٧٣ .
(٤) الآية رقم ٣ .
(٥) الآية ١٤٥ .
(٦) الآية ٢٦٠ من سورة البقرة .

جاءت فى آيات مكرمة .. نعرض صورة أخرى من وقاية الإسلام للإنسان يشير إليها قول الله سبحانه : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ . (٧)

حيث يأمر هذا القول الحكيم من الله العليم بعدم الإسراف فى الطعام والشراب نجاة له ووقاية مما يقع بالمسرفين من أوجاع وأمراض ووهن وضعف .

وتأتى السنة الشريفة مقررة لهذا المعنى : (بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان ولا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) .

ولعلنا فى هذا العصر ندرك ـ بعد أن تخلى الناس عن الالتزام بتوجيهات القرآن ـ أن أمراض الجهاز الهضمى التى كثرت وتكاثرت وتنوعت وتشعبت ، واستعصت بسبب اتباع الهوى والإسراف فى تناول الأطعمة والأشربة بما هو فوق طاقة هذا الجهاز .

وهذه الآية مع الأمر بالأكل والشرب نهت عن الإسراف فيهما ، فإن الطعام والشراب المعتدل فيه المحافظة على حيوية الأبدان وتعويض الأجسام عما تفقده أثناء تأدية وظائفها ، ولكن الأكل والشرب إنما يكون من الحلال الطيب ذلك قول الله سبحانه :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ . (٨)

وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ . (٩)

وصورة ثالثة من الوقاية

الطبية فى الإسلام

يدل عليها قول الله سبحانه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ . (١٠)

هذه الخمر التى تخمر العقل وتستره أيا كانت المادة التى تخمرت هى من الخبائث وقد وصفها الله فى هذه الآية بأنها ﴿ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ) ولعل الأمر باجتنابها أبعد أثراً فى النهى عن التحريم ، ومن واجب الأطباء أن يقولوا للناس ما تحدثه الخمر من تأثير على الوظائف الرئيسية للكبد وغيره ، الأمر الذى يحدث خللا فى العقل واضطرابا فى الإدراك فوق ما يحدث لشاربها من إهدار لكرامته وكيانه الإنسانى .

وصورة رابعة من الأوامر

الوقائية للإنسان

يشير إليها قول الله سبحانه فى سورة البقرة :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى

---

(٧) من الآية ٣١ من سورة الأعراف .

(٨) الآية ١٦٨ من سورة البقرة .

(٩) الآية ٥١ من سورة المؤمنون .

(١٠) الآيتان ٩٠ ، ٩١ من سورة المائدة .

فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ . (١١)

ولنقف عند وصف القرآن للحيض بأنه « أذى » إذ يقول العلماء إن هذا اللفظ يحمل الكثير من المعانى والأغراض وإن غيره لم يكن ليؤدى المعنى الطبى الوقائى الذى تؤديه لفظة (أذى) .

وهذا نص واضح فى تحريم الصلة بين الزوجين حال حيض الزوجة ....

والأمر وإن كان موجها إلى الرجال ـ مع أن وقوع الأذى فى حال المخالفة يلحق الرجل والمرأة ـ لأن الاعتزال بيد الرجل ولأن التزام الرجل بالامتناع هو فى ذاته امتثال وإذعان لحكم الله المحقق لمصلحة الطرفين ، ولأن الرجل أقوى الطرفين وأقدرهما على ضبط النفس .

ونحن ـ المسلمين ـ لابد أن ننزل عند حكم الله ونقف عند حدوده حتى نقى أنفسنا من الوقوع فى المهالك والآثام .

(ومن أصدق من الله حديثاً) ..

وصورة خامسة

تلك هى الزنا الذى حرمه الله وحرم دواعيه فهذه آيات سورة النور(١٢) :

﴿ .. قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ .. وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ .. ﴾ .

وفى سورة الإسراء قول الله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا .. ﴾ . (١٣)

والزنا فاحشة تجر على مرتكبيها المصائب الجسدية والنفسية التى تنخر فى الهيكل الإنسانى ومن هذه المصائب تلك الأمراض المميتة كالزهرى الذى يصيب أجزاء عديدة من جسد الزناة فضلاً عن إصابة المخ بما يؤدى إلى الصداع الدائم وغير ذلك من العوارض .

والزهرى مرض يورث وخطره على النسل يهدد البشرية ومرض السيلان ويصاب بهما الرجل والمرأة على السواء وأمراض أخرى ـ جسدية ونفسية ـ تنزل بالزناة رجالاً ونساء .

ولعل العلماء الأطباء يعرضون فى هذا المؤتمر لبيان ما تؤدى إليه هذه الفاحشة التى تستقر وتستمر مع من يقع فيها ، وهم لا يترفعون عن فعل أى منكر لأنهم يئسوا من صلاح أحوالهم وصدق الله :

﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ﴾ . (١٤)

ومن صور الوقاية الإسلامية

تحريم فعل قوم لوط

فقد نص الله على قوم لوط فى سور عديدة من القرآن الكريم حيث جاء ذكرهم وسوء فاحشتهم فى سور الأعراف وهود والشعراء

(١١) الآية : ٢٢٢ .
(١٢) الآيتان ٣٠ ، ٣١ .
(١٣) الآية ٣٢ من سورة الإسراء .
(١٤) من الآية ٢٦ من سورة النور .

والنمل والعنكبوت والذاريات والقمر تحذيراً للبشرية من خطر هذه الفاحشة التى ينحط بها فاعلوها إلى أحط درجات السقوط والانحلال .

وهذا الإسلام جاء تطهيراً للأجساد والأرواح من خبث الأهواء وتنجيتها من فاسد العادات وسيىء الأفعال ، والتحذير من سلوك طريق الشرور وصونها من التلوث بأوضار المعاصي والآثام .

ولنستمع إلى القرآن فى شأن قوم لوط : ﴿ وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ . إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ . وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ . فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ . وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ . (١٥)

وهذه هى الفاحشة التى يتنادى الناس الآن بخطرها ويصفونها بأنها وباء هذا القرن قد حرمها الإسلام وحاربها وسائر الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وأحل البديل عنها وعن الزنا فقد قال الله لقوم لوط : ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ . وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ . (١٦) .

وكانت العاقبة المدمرة التى حكاها القرآن فى قول الله : ﴿ .. وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ . إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ . (١٧)

وفى سورة الروم قول الله سبحانه : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ . (١٨)

وبعـــــد :

فإن الله الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى قد جعل حياة الإنسان مهدية تحت ضوء القرآن حيث سواه ونفخ فيه من روحه ورزقه من حيث لا يحتسب ووقاه وارشده وشرح له صدره ويسر امره ..

وإن فى القرآن الكريم والسنة الشريفة لمثلا وافرة من الأوامر والنواهى الواقية للإنسان فى حاله وماله . ولو ذهبنا نعد الواقيات الشافيات لما اتسع الوقت ، فهناك قواعد الحجر الصحى والأمر بطهارة المياه والحفاظ عليها وما خلق الله من لباس ورياش ، ودواب ووسائل ارتحال إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس .

وصدق الله : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً ﴾ (١٩) .

---

(١٥) سورة الأعراف : ٨٠ ـ ٨٤ .
(١٦) ١٦٥ ـ ١٦٦ الشعراء .
(١٧) ١٧٣ ـ ١٧٥ الشعراء .
(١٨) الآية ٢١ .
(١٩) ٨٢ الإسـراء ..



٤

قال تعالى :

﴿ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى . وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى . وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى . وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا . وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى . مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى . وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى . وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى . وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى . وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى . وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى . وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى . وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى . فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى . هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَى . أَزِفَتِ الْآزِفَةُ . لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ . أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ . وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ . وَأَنتُمْ سَامِدُونَ . فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾

صدق الله العظيم

﴿ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى . ﴾ الضمير المرفوع في يجزاه عائد على الإنسان ، والمنصوب عائد على السعي ، والجزاء مصدر مبين للنوع ، وأصل جزى تنصب مفعولين تقول : جزى الله الإنسان على عمله ، وجزاه عمله بحذف الجار فلما بُنِيَ للمجهول صار المفعول الأول نائب الفاعل ، ويجوز أن يكون الضمير للجزاء والجزاء بدلا منه .

وقيل : مفسر له واستبعد هذا أبو حيان ، وقال : وإذا كان الجزاء تفسيرا للمصدر المنصوب في يجزاه فعلى ماذا انتصابه ، وقوله : (الأوفى) وعيد للكافر ووعد للمؤمن .

﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى . ﴾ مصدر ميمى بمعنى الانتهاء اي ينتهى إليه الخلق ويرجعون فيجازي كلا بعمله ، كقوله تعالى : ﴿ إليه مرجعكم ﴾ و ﴿ إلى الله المصير ﴾ وقرىء بفتح أن على معنى أن ذلك كله في الصحف السابقة ، وقرىء بالكسر على الابتداء ، وكذلك ما بعده ، قرىء بالفتح والكسر على المعنيين .

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى . ﴾ اي خلق الضحك والبكاء . وقيل : أضحك أهل الجنة وأبكى أهل النار .

للأستاذ الدكتور
عبدالعظيم الشناوى

وقيل كنى بالضحك عن السرور والبكاء عن الحزن .

وقال الزمخشري : خلق قوتي الضحك والبكاء أهـ ، قال أبو حيان وفي هذا الرأي دسيسة الاعتزال ، وقيل غير ذلك .

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا .﴾ أي لا يقدر على الإماتة والإحياء غيره ، وأما القاتل فلا أثر له في القتل إلا نقض البنية وتفريق الأجزاء والموت الحاصل بذلك فعل الله وإنما حصل الموت عند مباشرة القاتل على سبيل العادة في مثله من ربط الأسباب بالمسببات - وكثيراً ما يتخلف ذلك الأثر كتخلف إحراق النار عن سيدنا إبراهيم .

وقيل أمات الآباء وأحيا الأبناء - وقيل أمات بالكفر وأحيا بالإيمان - وقيل أمات هنا وأحيا هنالك .

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى .﴾ الزوج ضد الفرد فيقال للاثنين زوج وكل واحد من الاثنين يسمى زوجاً فيقال هما زوجان - وتقول عندي زوجا حمام تعني ذكراً وأنثى - وقال الله تعالى ﴿ثمانية أزواج﴾ وفسرها بثمانية أفراد .

قال الأزهرى : وأنكر النحويون أن يكون الزوج اثنين والزوج عندهم الفرد وهذا هو الصواب .

وقال ابن الأنباري : والعامة تُخْطِىء فتظن أن الزوج اثنان ، وليس ذلك من مذهب العرب إذ كانوا لا يتكلمون بالزوج موحداً في مثل قولهم (زوج حمام) وإنما يقولون زوجان من (حمام) وزوجان من (خفاف) ولا يقولون للواحد من الطير زوج بل للذكر فرد وللأنثى فردة .

وقال السجستاني : أيضا لا يقال للاثنين زوج لا من الطير ولا من غيره فإن ذلك من كلام الجهال ، ولكن كل اثنين زوجان واستدل بعضهم لهذا بقوله تعالى ﴿خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى .﴾ .

وأما تسمية الواحد بالزوج فمشروط بأن يكون معه آخر من جنسه ، والزوج عند الحساب خلاف الفرد وهو ما ينقسم بمتساويين ، والزوج يطلق على الرجل وعلى المرأة وبهذا جاء القرآن نحـــو ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ والجمع فيهما أزواج .

وأهل نجد يقولون في المرأة : زوجة بالهاء ، وأهل الحرم يتكلمون بها .

وقال ابن السكيت أهل الحجاز يقولون للمرأة زوج بغير هاء وسائر العرب زوجة بالهاء وجمعها زوجات ، والفقهاء يقتصرون في الاستعمال عليها للإيضاح وخوف لبس الذكر بالأنثى في الأحكام - وبعد فالمراد بالزوجين هنا المصطحبان من رجل وامرأة وغيرهما من الحيوان .

﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى .﴾ أي تُدْفَقُ في الرحم يقال : أمنى الرجل ومنى بمعنى واحد أو تقدر : يقال : منى له الماني أي قدر لك المقدر .

﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى ﴾ أي إعادة الأجسام وحشرها بعد البلى ولما كانت هذه النشأة ينكرها الكفار بولغ بقوله (عليه) بوجودها لا محالة وكأنه تعالى أوجب ذلك على نفسه أو قال : عليه : بحكم الوعد .

وقال الزمخشري وقال : (عليه) لأنها واجبة عليه في الحكمة ليجازى على الإحسان والإساءة انتهى وهو على طريق الاعتزال .

﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى . ﴾ اغنى الناس بالأموال ، وأقنى أعطى القِنْية بكسر القاف وضمها ، وهى المال الذي تدخره وتعزم على عدم إخراجه من يدك يقال : أقناه الله مالا وقَنَّاه إياه بالتضعيف ، اكسبه إياه وقيل : أغنى أعطى وأقنى أرضى ، وتحقيقه أنه جعل له قنية من الرضا والطاعة ، وقيل : أقنى أفقر والهمزة فيه للسلب والإزالة ـ كما في ترب وأتربَ وقسط وأقسط إلخ ماذكروه من الأقوال الاثنى عشر قولاً ، وكل منها لا دليل على تعينه فينبغى أن تجعل أمثلة .

﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى . ﴾ أي رب معبودهم وهى العَبُور وهى أشد ضياء من الشِعْرَى التي تسمى الغُمَيصاء وتسمى الأولى اليمانية والثانية الشامية .

وكانت (خزاعة) تعبد الشعرى اليمانية المسماة بالعَبُور ولهذا أفردها بالذكر ، سن لهم ذلك رجل من اشرافهم يسمى (أبا كبشة) أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم ، من قبل أمهاته وكان اسمه عبد الشِعْرى ، ولذلك كان مشركو قريش يسمونه عليه السلام (ابن أبي كبشة) تشبيها له بذلك الرجل لمخالفته إياهم في دينهم ، ومن العرب من كان يعظمها ولا يعبدها ويعتقد تأثيرها في العالم وأنها من الكواكب الناطقة .

﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الْأُولَى . ﴾ هم قوم هود . وعاد الأخرى إرَم .

وقيل : الأولى القدماء لأنهم أول الأمم هلاكاً بعد قوم نوح عليه السلام .

وقيل الأولى المتقدمون في الدنيا الأشراف .

وقال الطبرى : وصفت بالأولى لأن عادا الأخيرة كانت بمكة مع العماليق وهم بنو لقيم بن هزال .

وقيل : عاد الأخيرة هى ثمود وقيل غير ذلك .

﴿ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى . ﴾ معطوف على عاد لا معمول لأبقى لأن ما بعد (ما) لا يعمل فيما قبلها لصدارتها . والمعنى أنه أهلك عادا وثمود فما ابقى عليهم بل أخذهم بذنوبهم وقيل فما ابقى منهم أحداً ـ وقال ذلك الحجاج بن يوسف حين قيل له إن ثقيفا من نسل ثمود فقال : قال الله تعالى ﴿ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى . ﴾ .

وقال أبو حيان والظاهر القول الأول لأن ثمود آمن منهم جماعة بصالح عليه السلام فما اهلكهم الله مع الذين كفروا به .

وثمود قرىء مصروفا لجعله علما على أبى القبيلة ، وغير مصروف لجعله علما على القبيلة فمنع الصرف للعلمية والتأنيث .

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود : حذف المضاف إليه ونوى معناه فبنى قبل على الضم .

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى . ﴾ الظاهر أن الضمير في (إنهم) راجع إلى قوم نوح وجعلهم أظلم وأطغى من عاد وثمود لأنهم

كانوا في غاية العتو والإيذاء لنوح عليه السلام : لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله فلم يستجيبوا له ولم يتأثروا بدعوته بل ازدادوا طغياناً حتى يئس منهم فدعا عليهم ، ولم يدع نبي على قومه إلا بعد إصرارهم على الضلال .

وقيل : الضمير في (إنهم) عائد على عاد وثمود وقوم نوح أي كانوا أظلم من قريش وأطغى ففي ذلك تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام .

والظلم وضع الشيء في غير موضعه ، والطغيان مجاوزة الحد : يقال طغا طغوا من باب قال وطغى طَغْياً من باب تعب ومن باب نفع لغة ايضا والاسم الطغيان .

هذا وقد جاء بين إن وخبرها لفظ (هو) وذلك في قوله تعالى ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾ وفي ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ وفي ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ﴾. وفي ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى ﴾ ففي الثلاثة الأول لما كان قد يَدَّعِي ذلك بعض الناس كقول نمروذ : أنا أحيي وأميت احتيج إلى (تأكيد) في أن ذلك إنما هو لله لا لغيره ، فهو الذي يضحك ويبكي وهو المحيي والمميت والمغني والمقني حقيقة وإن ادعى ذلك أحد فلا حقيقة له . ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

وأما ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى ﴾ فلأنها لما عبدت من دون الله تعالى نص على أنه تعالى هو ربها وموجدها .

ولما كان خَلْقُ الزوجين والإنشاء الآخر وإهلاكُ عاد وثمود وقوم نوح لا يمكن أن يدعيه أحد ، لم يحتج إلى تأكيد ولا تنصيص على أنه تعالى هو فاعل ذلك .

﴿ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ﴾ هي مدائن قوم لوط بإجماع المفسرين وسميت بذلك لأنها انقلبت يقال أفكه عن كذا يأفكه[1] فائتفك أي قلبه وصرفه فانقلب وانصرف فالمؤتفكة اسم فاعل لائتفك مطاوع أفكه (أهوى) أسقطها إلى الأرض بعد أن رفعها جبريل ، يقال هوى يهوى سقط . وأهوى أسقط . وقيل : كانت عمارتهم مرتفعة فأهواها بالزلزلة وجعل عاليها سافلها . والظاهر أن المؤتفكة منصوب بأهوى وأخر العامل وهو أهوى للفاصلة ، ويجوز أن يكون المؤتفكة معطوفاً على ما قبله وأهوى جملة في موضع الحال توضح كيفية إهلاكهم .

﴿ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى ﴾ تهويل وتفخيم للعذاب الذي حل بهم لما قلبها جبريل عليه السلام و (ما) الظاهر أنها مفعول والفاعل هو الله سبحانه والمعنى ألبسها الله ما ألبسها من الحجارة المنضودة المسومة كما قال تعالى ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ . مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ﴾ ويحتمل أن يكون الفعل المضعف بمعنى المجرد فينصب مفعولا واحداً وهو (ها) من غشاها فتكون (ما) فاعلاً كقوله تعالى ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ .

﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى . ﴾ الباء بمعنى (في) الظرفية ، والخطاب عام لكل سامع وقيل خاص بالكافر ، والاستفهام : للإنكار والآلاء النِّعَم ومفردها (ألى) بفتح الهمزة وكسرها مع فتح اللام وإسكانها

---

(١) بابه : ضرب .

و (ألو) أيضا ، وسمى الكل نعما وقد تقدم ذكر نعم ونقم لما في النقم من العبر والمواعظ والزجر لمن أعتبر فهى بهذا الاعتبار نِعَمٌ .

وقال أبو مالك الغفاري إن قوله ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ إلى قوله ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى ﴾ هو في صحف إبراهيم عليهما الصلاة والسلام ، وقيل (فبأي آلاء) ابتداء كلام .

﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَى ﴾. اي هذا القرآن إنذار من جنس الإنذارات الأولى التى انذر بها من سبقكم من الأمم وسمعتم عواقبها .

وقيل : هذا إشارة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، افتتح به أول السورة واختتم آخرها به .

وقيل الإشارة إلى ما سلف من أخبار المهلكين ،

والنذير : يكون مصدراً أو اسم فاعل وكلاهما من انذر ، ولا ينقاسان بل القياس في المصدر إنذار وفي اسم الفاعل منذر .

والنذر : إما جمع للمصدر أو جمع لاسم الفاعل فإن كان جمعا لاسم الفاعل فوصف النذر بالأولى على معنى الجماعة واختير للفواصل وإن كان جمعا للمصدر فقد جاء على الأرجح من معاملة جمع التكسير لغير العاقل معاملة المفردة المؤنثة كقوله (أياماً معدودة) .

﴿ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ . ﴾ اي قربت الساعة الموصوفة بالقرب في قوله تعالى ﴿ اقتربت الساعة ﴾ ، يقال : ازف الترحل كفرح أزفا وازوفا دنا وقرب .

﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ . ﴾ قال الطبري والزجاج : أي نفس كاشفة تكشف وقتها وتعلمه ، وقيل هو من كشف الضر : دفعه أي ليس لها من يكشف خطبها وهولها . وقيل يحتمل أن تكون مصدراً كالعاقبة . وخائنة الأعين أي ليس لها كشف من دون الله .

﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ ﴾ القرآن ﴿ تَعْجَبُونَ ﴾ فتنكرون ﴿ وَتَضْحَكُونَ ﴾ مستهزئين ﴿ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ جزعاً من وعيده وأسفاً على ما فرطتم في جنب الله ﴿ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴾ قال مجاهد : مُعْرِضُون وقال عكرمة : لا هُون ـ وقال قتادة : غافلون ، وقال السدى : مستكبرون .

وكانوا إذا سمعوا القرآن غَنُّوا تشاغلا عنه .

وروى أنه عليه الصلاة والسلام لم ير ضاحكاً بعد نزولها .

والجملة في محل نصب حال من واو الجماعة .

﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾ يحتمل أن يكون الأمر عاماً ، ويحتمل أن يكون التفاتاً ـ فكأنه قال : أيها المؤمنون اسجدوا لله شكراً على الهداية ، واشتغلوا بالعبادة ، ولم يقل : واعبدوا الله ، إما لكونه معلوماً ، وإما لأن العبادة ـ في الحقيقة ـ لا تكون إلا لله ، فقال : (واعبدوا) أي ائتوا بالمأمور ولا تعبدوا غير الله لأنها ليست بعبادة . وهذا يناسب السجدة عند القراءة مناسبة أشد وأتم مما إذا حملناه على العموم . والفاء هى المسماة بـ (الفصيحة) أي إذا كان الأمر كذلك ﴿ فاسجدوا لله واعبدوا ﴾ تم والحمد لله



العبادة في الحج

للأستاذ
محمد صابر البرديسي

عن جابر بن عبد الله (رضى الله عنه) . حين دفع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من « عرفة » إلى « المزدلفة » قال ، وقد شَنَقَ للقصواء الزمام :
« ايها الناس السَّكينةَ السَّكينةَ » كلما اتى جبلاً من الجبال ارخى لها قليلاً حتى تصعد ، حتى اتى المزدلفة ، فصلى بها المغرب والعشاء باذان واحد وإقامتين ، ولم يسبح بينهما شيئاً ، ثم اضطجع حتى طلع الفجر ، فصلى الفجر حين تبين له الصبح باذان وإقامة ، ثم ركب القصواء حتى اتى المشعر الحرام ، فاستقبل القبلة ، فدعا الله وكبره وهلله ووحده ، فلم يزل واقفاً حتى اسفر جداً فدفع قبل ان تطلع الشمس .
رواه مسلم

أولاً اللغة : ١ ـ شَنَق : أى ضم وضَيَّق ، ٢ ـ القصواء : ناقة الرسول ﷺ ، ٣ ـ لم يسبح بينهما : لم يصل ، ٤ ـ المشعر الحرام : المزدلفة .

ثانياً : ما يشتمل عليه الحديث :
١ ـ خصائص الأماكن المقدسة .
٢ ـ تعدد المناسك والشعائر تلوين للعبادة .
٣ ـ الذكر والدعاء عند المشعر الحرام .

البيان

١ ـ خصائص الأماكن المقدسة

الحج موسم دينى عامر بالعبادة والدعاء ، فيه تصفو الأفئدة وتسمو النفوس ، وتقبل على الله .

ويهيىء الله نفوساً لتأدية فريضة الحج ، فتنطلق هذه النفوس مع شعور دينى عجيب إلى طلب الحج ، والأخذ بأسبابه ، فإذا تم لها ذلك ، اندفعت من أعماق قلبها للأهبة ، وإعداد العدة يحدوها رضوان الله ، وتحفها الملائكة ، ويملأ جوانبها نور النبوة .

فى وسط الجبال الصُّمَّاء ، والرمال الصفراء ، فى هذه الأماكن الشديدة الحر ، أو

الشديدة البرد ، التى لا تصلح مكاناً للنزهة ولا تكون مطلباً للترفيه أو الترف ، ومع هذا فإنها تخلب الألباب ، وتجذب العقول ، وتندفع إليها الملايين شوقاً ، ماذاك إلا لأن الله تعالى خصها بخصائص لا تدرك إلا بالروح ، ولا تتذوق إلا مع الإيمان .

بهذه الأماكن ذكريات جميلة وعظيمة ، تشد المؤمن إلى أزمان مضت يعيش فيها لحظات من السعادة ، مناسك طيبة يؤديها المسلم ، وأماكن مقدسة يتنقل بينها ، ويتعبد فيها ، ويطيب له المقام بها .

٢ ـ تعدد المناسك والشعائر تلوين للعبادة

وفى اختلاف المناسك والشعائر ، وتعدد المعالم والمواقف ، تلوين للعبادة حتى لا تسأمها النفس .

ومن الأسرار الباطنة فى أعمال الحج سر الشوق إلى الكعبة ، بيت الله الحرام ، فإن قاصد « بيت الله الحرام » قاصد لله عز وجل ، وقد أضاف الله ـ سبحانه ـ البيت لنفسه فقال : ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ . الحج آية ٢٦ .

فالحجاج فى ضيافة الرحمن ، والكريم يكرم ضيفه ، فليكونوا أهلاً لهذه الضيافة ، وذلك بالاتصال بالله ، والتقرب إليه بالدعاء ، والاتجاه إليه بالتوبة ، واستحضار عظمة البيت ، وعظمة رب هذا البيت وليشكروا الله على ما هداهم .

والطواف حول الكعبة كالصلاة ، ينبغى أن نحضر له التعظيم والخوف والرجاء ، والإخلاص والمحبة كما نحضرها فى الصلاة .

ومن ذلك تقبيل الحجر الأسود ، وهو بيعة الله على طاعته ، فليحضر المسلم فى قلبه الوفاء بهذه البيعة .

وهو سنة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال سيدنا عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) وهو يُقَبِّل الحجر الأسود ، « والله إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقبلك ما قبلتك .

ولدى الكعبة بيت الله الحرام تضطرم الأشواق ، وتنفعل المشاعر وتلتهب العواطف ، وتستبق الدموع والعبرات .

رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عمر « رضى الله عنه » يبكى ، وهو متعلق بأستار الكعبة ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : [هَاهنا تُسْكَبُ العبرات يا عمر] رواه ابن ماجة والحاكم عن ابن عمر « رضى الله عنه » .

وفى ذلك كله ما ينسى البخلاء والغرباء حبهم لأموالهم وأوطانهم وأولادهم ، وفيه ما يعوضهم عن كل مال ومتاع وأولاد .

وقد روى عن ابن عباس « رضى الله عنهما » عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : [الحجر الأسود يمين الله فى الأرض ليصافح بها عباده] رواه الخطيب فى تاريخه وابن عساكر عن جرير .

وهذا كناية عن رضا الله عن الحاج عند تسلمه للحجر الأسود والقرب منه .

وفى حكمة الوقوف بعرفة يقول الإمام الغزالى :

(على الحاج أن يتمثل الواقفين بعرفات وقد تَبِعُوا ائمتهم فى أحكام المناسك ، بحال الواقفين فى فسيح يوم القيامة ، وقد تبعت كل أمة نبيها وكل يرجو النجاة) .

ويوم عرفة يوم مشهود ، تشهده ملائكة السماء ، وفيه يجتمع المسلمون من كل صوب وحدب متآلفين متحابين ، بقلوب ملؤها الإيمان وصدور شرحها الله لنور الحق .

فى هذا الجبل الرحيب ، يقف المسلمون هذا الموقف الرهيب بإحرامهم الناصع ، وقلوبهم الصافية ، يقبلون على الله فى جلال وإجلال يباهى الله بهم الملائكة .

ومن مظاهر الوقوف بعرفة تجديد الشخصية والانخلاع من الماضى المشوب بالإثم ، وتجديد العهد مع الله سبحانه وتعالى على استئناف حياة نظيفة مستقيمة مع التضرع إلى الله ، ورجاء مغفرته .

وقد ورد : [إن من أعظم الذنوب أن يحضر الحاج عرفات ، ويظن أن الله لم يغفر له] .

عن عائشة قالت : « كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون « الحُمْس »[1] وسائر العرب يقفون بعرفات ، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يأتى عرفات ، ثم يقف بها ، ثم يفيض منها ، فذلك قوله : « من حيث افاض الناس » رواه البخارى .

يأمر الله الحجاج أن يقفوا حيث وقف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمسلمين بعرفات وأن ينصرفوا معهم حيث انصرفوا .

إن الإسلام لا يعرف الطبقية ، ولا الأحساب والأنساب ، كلهم أمة واحدة وطلب منهم أن يلتقوا فى الحج متساوين ، وأن يَدَعُوا عنهم عصبيَّة الجاهلية ، ويدخلوا فى صبغة الإسلام ، وأن يستغفروا الله من كل مامس الحج من مخالفات ولو يسيرة مما نهى عنه الله ورسوله ، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج .

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ . البقرة آية ١٩٩ .

٣ ـ الذكر والدعاء عند المشعر الحرام :

قال ابن عمر : المشعر الحرام : المزدلفة كلها ، والمشاعر هى المعالم الظاهرة .

وسميت « مزدلفة » بالمشعر الحرام ، لأنها داخل الحرم .

وعلى الحجاج أن يذكروا الله فى المشعر الحرام ، شاكرين لنعمه ، مُقدرين فضله وهدايته لهم بأن أكرمهم بالحج ، ويسر لهم تأدية المناسك .

ومن الذكر الجمع فى المزدلفة بين المغرب والعشاء جمع تأخير .

عن الفضل بن عباس « رضى الله عنهما » وكان ردف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

---

(١) جمع الأحمس وهم قريش ـ لأنهم تحمسوا فى دينهم وتشددوا كانوا يقفون بمزدلفة ولا يقفون بعرفة ويقولون : نحن أهل الله فلا نخرج من الحرم ، وكانوا لا يدخلون البيوت من أبوابها وهم محرمون .

ـ فى عشية عرفة ، وغداة جمع ـ للناس حين دفعوا [عليكم السكينة] وهو كاف ناقته حتى دخل محسرًا .[2] رواه الإمام أحمد ومسلم .

وسميت المزدلفة جمعا ، لاجتماع الناس إليها ، أو لجمع الصلاتين فيها ، وسميت « مزدلفة » من الازدلاف وهو التقرب ، لأنهم إذا افاضوا من عرفات تقربوا ومضوا إليها .

عن أمامة بن زيد « رضى الله عنهما » [أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين أفاض من عرفات ، كان يسير العَنَق ، فإذا وجد فجوة نص] متفق عليه .

والنص أسرع من السير العنق ، فعند الزحام ، وعدم الاتساع يكون الإبطاء والمهل فى السير ، وفى ذلك تشريع للأمة ، فى آداب السير فى الحج فى أدب ووقار وسكينة ، ومراعاة للزحام حتى لا يضار الضعيف ، ولا إسراع إلا حيث يكون الاتساع المطمئن .

قال تعالى : ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴾ . البقرة ١٩٨

يبين الله للحجيج فيقول لهم : فإذا دفعتم وأفضتم من عرفات بعد هذا الموقف الذى يباهى الله به ملائكته فاذكروا الله بأنواع الذكر والدعاء عند المشعر الحرام . وهو : جبل بالمزدلفة يسمى « قزح » وقف عنده رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يذكر الله تعالى ويدعو حتى أسفر جدًا (أى ظهر الضوء شيئاً بعد الفجر) .

عن عمرو بن ميمون : سألت عبد الله بن عمر عن المشعر الحرام ، فسكت حتى إذا هبطت أيدى رواحلنا بالمزدلفة ، قال : أين السائل عن المشعر الحرام ؟ هذا المشعر الحرام][3] .

فعلى المسلمين ان يكون شعارهم عند المشعر الحرام ذكر الله والدعاء والتحميد والتكبير والتوحيد والشكر على هدايته لعباده ان وضع لهم مناسكهم وهداهم إليها .

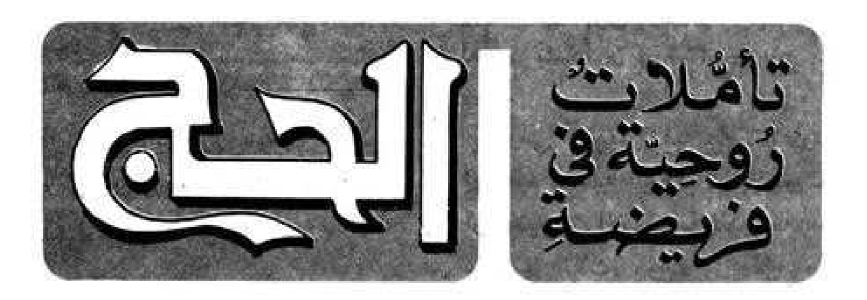
لهذا وجب على المسلمين ان يمتثلوا امر الله فى كل امر ظهرت حكمته ام لم تظهر ، ففى ذلك عظيم الأجر وتمام العبودية وجزيل الثواب .

فاللهم وفق المسلمين إلى ما فيه خيرهم وفلاحهم ، والله الموفق .

---

(٢) وادى محسِّــر : هو بين المزدلفة ومنى ـ والمزدلفة كلها مكان للوقوف إلا وادى محسِّــر .

(٣) رواه ابن كثير عن ابى اسحق السبيعى .



للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

مازال الصالحون ينظرون إلى العبادة التى تعبدنا الله بها نظرة تتجاوز القشور إلى اللباب ، وتنفذ إلى الأعماق ، وتخرج من الأعمال التعبدية بثمار شهية وأذواق رائعة .

فالله ـ سبحانه وتعالى ـ لم يكتب على الناس الصلاة لمجرد الحركات والسكنات ، ولم يكتب الصوم لمجرد الإمساك عن الطعام والشراب والشهوات ، ولم يكتب الزكاة لمجرد إخراج ربع العشر من الأموال والثمرات ، وكذلك لم يكتب الحج لمجرد أن يتجرد الحاج من الملابس ثم يطوف ويسعى ويقف بعرفات ويرمى الجمرات .

لابد أن تكون هناك أهداف عليا من وراء هذه الحركات التى يقوم بها المتعبد ، تترك أثرها واضحاً فى صفاء نفسه وشفافية روحه وشعوره بالقرب من ربه .

ولقد أشار العلماء والفقهاء إلى كثير من أسرار العبادات والحكمة منها .

فقالوا عن الصلاة : إنها صلة بين العبد وربه ، وعن الصوم إنه يعود الصبر ويعلم الكرم والعطف ويحيى ميزان المراقبة والمحاسبة ويوقظ الوجدان والضمير .

وقالوا عن الزكاة : إنها تطهير وتحصين للمال ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ ـ التوبة ١٠٣ ـ ، واستجابة لأدب « داووا مرضاكم بالصدقة وحصنوا أموالكم بالزكاة » .

وقالوا عن الحج : إنه مؤتمر عام يربط بين قلوب المسلمين ويذكرنا بالآخرة ويزهدنا فى الدنيا ، ويوقظ فى الإنسان دوافع محاربة النفس والشيطان .. إلى غير ذلك من المعانى .

التذكير بأفعال ابراهيم وسيرته

وربط الفقهاء بين فريضة الحج وبين

ما قام به الخليل إبراهيم ـ عليه السلام ـ حين أمره الله أن يرفع القواعد من البيت ، وأن يؤذن فى الناس بالحج .

جاء فى تفسير القرطبى فى سورة الحج : لما فرغ إبراهيم ـ عليه السلام ـ من بناء البيت ، وقيل له أذن فى الناس بالحج ، قال : يارب ، وما يبلغ صوتى ؟ قال : أذن وعلىَّ الإبلاغ ، فصعد إبراهيم خليل الله جبل أبى قبيس ، وصاح : « ياأيها الناس إن الله قد أمركم بحج هذا البيت ليثيبكم به الجنة ويجيركم من عذاب النار فحجوا ، فأجابه من كان فى أصلاب الرجال وأرحام النساء : لبيك اللهم لبيك ، فمن أجاب يومئذ حج على قدر الإجابة ، إن أجاب مرة فمرة ، وإن أجاب مرتين فمرتين . وجرت التلبية على ذلك » .

ثم أخذوا يستنبطون بعد ذلك من أفعال إبراهيم ـ عليه السلام ـ موافقات لما يفعله المسلمون فى شعائرهم ، فالسعى بين الصفا والمروة إحياء لما فعلته هاجر أم إسماعيل ـ عليه السلام ـ حين نفد منها الماء ، ووليدها يصرخ من شدة العطش ، فجعلت تجرى بين الصفا والمروة لتنظر هل من قادم ؟ أو هل من ماء ؟ حتى من الله عليها بزمزم التى نبعت تحت قدم ابنها المبارك ، فكان هذا إيذاناً بوفود القبائل وتعمير مكة واستجابة لدعوة إبراهيم ـ عليه السلام ـ حين قال : ﴿ رَّبَّنَا إِنِّى أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ إبراهيم ٣٧ .

ورمى الجمار فيه استشعار لما فعله إبراهيم ـ عليه السلام ـ بإبليس حين حاول أن يثنيه عن الاستجابة لأمر ربه ، فقد حذفه بالحصى ثلاث مرات فى كل مرة بسبع حصيات . روى ذلك أبو الطفيل عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قصص الأنبياء للثعلبى صـ ٩٥ .

أذواق الصالحين لأسرار الحج

ولم يقف الصالحون عند حدود ما فطن له الفقهاء من أسرار ، ولكنهم أقبلوا ـ كعادتهم ـ بما الزموا به أنفسهم من جهاد وتصفية ، على طريق العبادة بهمة وإخلاص ونية صادقة صافية ، فانكشفت لهم أسرار أخرى من وراء هذه العبادات التى ينبغى للمسلم الحق أن يقوم بها حسبما شرعت لتحقق الغرض منها .

فالمعروف أن الله خلقنا للعبادة ، وفى ذلك يقول الحق تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ـ الذاريات ٥٦ ـ والعبادة ثمارها الأكيدة معرفة الله تعالى ، لأنه لا معرفة لله إلا عن طريق عبادته ، والعبادة التى تحقق هذه الثمار لابد أن يتوافر فيها الإخلاص ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُواْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُواْ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُواْ الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ ـ البينة ٥ ـ والله جل وعلا يقول : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ ـ الزمر ٣ ـ

وأخرج القشيرى فى رسالته حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله - ﷺ - « ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله تعالى ، ومناصحة ولاة الأمر ولزوم جماعة المسلمين » .

ومفهوم الإخلاص إفراد الحق سبحانه وتعالى فى الطاعة بالقصد ، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله سبحانه وتعالى دون شىء آخر ، من تصنع لمخلوق أو اكتساب محمدة من الناس أو محبة مدح من الخلق ، أو شراء لقب يدخل به على قلوب الناس ، ويغضب منهم إن تخطوه فى مخاطبتهم له ..

وتحقيق الإخلاص نفسه فى العبادة يحتاج إلى مجاهدة ، لأن الثواب على قدر النية ، والأعمال بالنيات ، وربما كان الإخلاص هو المقصود بمقام الإحسان الذى يشير إليه النبى - ﷺ - فى الحديث المشهور الذى رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن عمر - رضى الله عنه - « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ..

الفلسفة الروحية للحج

إن أول ما يفطن له الإنسان الروحى فى رحلته هو معنى وجود البيت الحرام فى الحجاز إنه يتنبه لسر تسمية هذا المكان بالحجاز ، إنه يحجز عن الشهوات واللذات . كما يقول الطوسى فى كتابه اللمع . ولكن هذا المعنى كان ظاهراً فى أيام الطوسى المتوفى سنة ٣٧٨ هـ أى فى أواخر القرن الرابع الهجرى . أما الآن فقد تغير الاسم والمضمون ، فالمكان اسمه السعودية ، وهو فى حالة رخاء تام ورفاهية كثيرة تحقق بها مدلول الآية الكريمة ﴿ أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ القصص ٥٧ -

وأصبح المقيم بهذه البلاد متمتعا - إذا أراد - بكل ما تطمح إليه النفس من تطلعات ، وذهبت الفاقة التى كانت تصحب المجاورين بالبيت الحرام .

كيف تتحقق أهداف الحج ؟

ولتحقيق أهداف الحج . لابد من التحقق بآدابه أولاً : ومن آدابه تحرير القصد ، وحسن النية وصفاء النفقة ، وحسن اختيار الصحبة ، وإحسان معاملتها ، ومنها أن يفى الحاج بعهده الذى قطعه مع ربه لا يعوقه عن ذلك قلة نفقة أو شدة حر أو برد .

ومن الآداب فى نظر الصالحين عدم استعمال الرخص ، والأخذ بالعزائم ، ولا يتركون شيئا من الطاعات كانوا يفعلونه فى الوطن ما أطاقوا ذلك ، وإن أباح لهم العلم ترك ذلك ، لأن السفر عندهم والإقامة سواء .

ومن المعانى التى يستلهمها الصالحون فى حجهم ، أنهم إذا قالوا : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، أن يتحققوا بمفهوم هذه العبارة ، فلا ينبغى إجابة دواعى النفس والشيطان والهوى ، بعدما أجابوا الحق بالتلبية ، وأقروا أنه لا شريك له فى ملكه .

←

فإذا نظروا إلى البيت بأعين رءوسهم نظروا بأعين قلوبهم إلى من دعاهم لزيارة هذا البيت ، وأنهم فى ضيافته وقد حلوا ساحته ، وحق على الضيف أن يتأدب فى بيت مضيفه .

وإذا طافوا بالبيت بأبدانهم ذكروا العرش الذى تطوف به الملائكة ، حيث يقول الحق ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ - الزمر - ٧٥ - وهؤلاء الملائكة شهود عليهم

وإذا صلوا خلف المقام تذكروا إبراهيم الذى وفى ، وقد ندبنا الله إلى اتباع قدمه ، فقد كان نبينا ﷺ - استجابة لدعوته ، والإسلام استمرارا لمسيرته ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ - الحج ٧٨ - وفى استلام الحجر استلهام لمبايعة الرحمن ، وألا يمدوا أيديهم بعد ذلك إلى شبهة أو حرام وفى تقديم الهدى استجابة لأمر الله واستشعار للتضحية بالأرواح فى سبيل الله ، وذبح كل شهوة للنفس ، ولا يبالى الصالحون بمقدار ما يبذلون من نفقة فى الأضحية . اشترى محرز بن صفوان بدنة بتسعة دنانير لا يملك غيرها ، فسئل فى ذلك فقال : سمعت الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾ - البيان والتبيين جـ ٣ ص ٩٠ -

إن تعظيم شعائر الله هو الشغل الشاغل لهم امتثالا لقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ - الحج - ٣٢ -

وأهل الصلاح يعتدون بالمشقة ويتلذذون بها ، ومنهم من كان يحج ماشيا على أقدامه ، استئناسا بمعنى قوله تعالى : ﴿ يَأْتُوكَ رِجَالًا ﴾

وذكر الرواة أن الحسن بن على رضى الله عنهما كان يحج ماشيا على قدميه وأمامه النجائب لا يمتطيها ، وسئل فى ذلك فقال : إنى استحيى أن ألقاه ولم أمش إلى بيته - أسد الغابة ٢/١٣

بل إن بعض الصالحين كان يحج بلا نفقة أو زاد ثقة فى الله .

وسئل الجلاء عن ذلك فقال : هؤلاء رجال الحق . قيل : فإن هلكوا ؟ قال : الدية على العاقلة .

وسئل بعضهم عن زاده فقال : إن خير الزاد التقوى - ولكن الفقهاء يكرهون ذلك لأن الله يقول : ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ - البقرة ١٩٥ .

لقد تجاوز الصالحون الأسباب إلى مسبب الأسباب ، وكان الله عند حسن ظنهم .

قال بنان الحمال : دخلت بادية تبوك فاستوحشت فهتف بى هاتف : نقضت العهد ، تستوحش أليس الحبيب معك ؟ حتى إذا قصدوا النبى - ﷺ - بالزيارة

استحضروا معنى قرب الرسول من ربه ، واصطفاءه له من خلقه ، وتشمر النبى للدعوة وجهاده فى سبيلها ، ولم يفارق الدنيا حتى هدى الأمة وكشف الغمة وترك الناس على المحجة البيضاء . فحق على الزائر أن يمضى على نهجه ويتأسى بأخلاقه مصداقا لقوله تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ الأحزاب ٢١ ـ

وبأداء الحج بهذه الصورة المثلى يعود الحاج مطهراً من ذنوبه كيوم ولدته امه .. إن لكل عبادة سراً ، وهذا السر هو الذى يوضح قيمتها وجمالها ، ولا يدرك ذلك إلا الجادون المخلصون ، اما مجرد ممارسة العبادة بدون مراعاة جانب الإخلاص ، فهى حركات لا تجرى بصاحبها فى ميدان السابقين ، ولا توقفه فى مقام المخلصين .

• دراسة قرآنية •

دستور خلقى للمؤمنين

قال تعالى :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُواْ خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ .. ﴾ . الآية ١١ من سورة الحجرات

البيان

من اهداف الإسلام العظمى ان يجعل من المؤمنين مجتمعا فاضلا ، يقوم على مكارم الأخلاق وجمال السلوك ، والقدوة المثلى فى معالى الشيم .

وقد اشتملت هذه الآية على مناهج رشيدة من دستور الإسلام الخلقى ، جديرة بان يسلكها كل مؤمن ، ويرشد إليها من غفل عنها ، فإنها من أسس السلام وهناء العيش بين المؤمنين ، وإليكم البيان فيما يلى :

نهى الله المؤمنين فى صدر هذه الآية عن سخرية بعضهم ببعض .

والسخرية : الاستهزاء .

قال الأخفش : سَخِر منه وبه هَزِىء وضحك .

والقوم فى اللغة الذكور خاصة ، ولذا اتبعه نهى النساء عن السخرية .

وقد يدخل النساء فى القوم مجازا ، ولكن الله تعالى شاء أن يعنى بهذه الخصلة فنهى النساء عنها نهيا مستقلا عن نهى الرجال ، ومن الشواهد على أن القوم فى الذكور خاصة قول زهير :

وما أدرى وسوف إخالُ أدرى
اقوم آل حصن أم نساء

وسموا قوما لأنهم يقومون مع داعيهم فى الشدائد .

والمقصود من الآية نهى الفرد أو

للشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير

الجماعة عن أن يسخر بعضهم من بعض .

سبب نزول الآية

اختلف فى سبب نزولها .

فقال ابن عباس : نزلت فى ثابت بن قيس بن شَمَّاس ، كان فى أذنه وَقْرٌ ، فإذا سبقوه إلى مجلس النبى ﷺ أوسعوا له إذا أتى ، حتى يجلس إلى جنبه ليسمع ما يقول ، فأقبل ذات يوم وقد فاتته من صلاة الفجر ركعة مع النبى ﷺ ، فلما انصرف النبى ﷺ أخذ أصحابه مجالسهم منه ، فَرَبَضَ كل منهم بمجلسه ، وعضوا عليه ، فلا يكاد يوسع أحد لأحد ، حتى يظل الرجل لا يجد مجلسا فيظل قائما ، فلما انصرف ثابت من الصلاة تخطى رقاب الناس ويقول : تفسحوا تفسحوا ، ففسحوا له حتى انتهى إلى النبى ﷺ ، وبينه وبينه رجل فقال له : تفسح ، فقال له الرجل : قد وجدت مجلسا فاجلس ، فجلس ثابت منْ خَلْفه مُغْضَبًا

ثم قال : من هذا ؟

قالوا فلان .

فقال ثابت : ابن فلانة يعيره بها ، يعنى أُمًّا له فى الجاهلية ، فاستحيا الرجل فنزلت .

وقال الضحاك : نزلت فى وفد بنى تميم الذين تقدم ذكرهم فى المقال الأول ، استهزءوا بفقراء الصحابة ، مثل عمار وخباب وابن فهيرة ، وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى أبى حذيفة وغيرهم ، حين رأوا رثاثة حالهم ، فنزلت فى الذين آمنوا منهم .

وقيل نزلت فى عكرمة بن أبى جهل حين قدم المدينة مسلماً ، وكان المسلمون إذا رأوه قالوا : ابن فرعون هذه الأمة ، فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ فنزلت .

المقصود من صدر الآية

وسواء كان سبب نزولها هذا أو ذاك أو كلها مجتمعة ، فالمراد ألا يقدم أحد من الرجال أو النساء على الاستهزاء بمن يقتحمه بعينه ، إذا رآه رثِ الهيئة ، أو ذا عاهة فى بدنه ، فلعله أخلص ضميرا وأنقى قلبا ممن هو على ضد صفته ، فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله ، والاستهزاء بمن عظمه الله .

وقد كان السلف يبالغون فى البعد عن السخرية ، وهى لا تكلفنا شيئا فينبغى أن نكون مثلهم .

افراد النساء لسبب آخر

قلنا إن القوم قد يدخل فيه النساء مجازا ، ولكن الله أفردهن بالنهى عن السخرية اعتناء بهذه الخصلة .

ونقول : إن ذلك لأن السخرية تقع منهن كثيرا ، وقد يكون ذلك لما وقع من سبب نزولها .

« ولا تلمزوا أنفسكم »

قال عكرمة عن ابن عباس : إن صفية بنت حُيَيّ بن أخطب أتت رسول الله ﷺ فقالت : يارسول الله إن النساء يعيرننى ويقلن لى : يايهودية بنت يهوديين ، قال رسول الله ﷺ : « هلا قلت إن أبى هارون ، وإن عمى موسى ، وإن زوجى محمد » .

فأنزل الله هذه الآية .

والعبرة فى الإسلام بالقلوب ، لا بهيئات الناس ومظاهرهم .

قال ﷺ : « إن الله لا ينظر إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » .

وإذا رأيت إنسانا على معصية فانهه عنها ولا تسخر منه ، لينتفع بوعظك ، فتكون بذلك قد أعنته على طاعة الله تعالى .

وليست الطاعة الظاهرة أمارة القبول عند الله ، ولا المعصية أمارة غضب الله ، فقد يكون المطيع غير مخلص القلب مع الله ، فتضيع طاعته ولا ينتفع بها .

وقد يكون العاصى أو المفرط أو قليل العمل مخلص القلب مع الله ، صاقى النفس ، نادما على تفريطه فيغفر الله له بسببه ، فالأعمال أمارات ظنية لا أدِلّة قطعية ، وحيث كان الأمر كذلك ، فلا ينبغى الغلو فى تعظيم من رأيناه يعمل الصالحات ، كما لا ينبغى احتقار مُسْلِمٍ بِفَعْلٍ بعض السيئات ، بل تذم ما هو عليه وتنصحه ، ولا تذم ذاته المسيئة ولا تسخر منه .

اللمز العيب .

وقد يكون باليد أو العين أو اللسان أو الإشارة ـ كما قال الطبرى ـ والهمز لا يكون إلا باللسان .

وقال : ﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ ولم يقل : ولا يلمز بعضكم بعضا ، ليشير بذلك إلى أن المؤمنين كنفس واحدة ، فمن عاب غيره من المؤمنين فكأنما عاب نفسه .

قال ﷺ : « المؤمنون كجسد واحد ، إن اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

وقال أيضاً : « يبصر أحدكم القَذَّةَ فى عين أخيه ، ويدع الجذع فى عينه » أى يبصر أحدكم فى عين أخيه الشىء الصغير كالتراب أو التبن أو الوسخ ولا يهتم بالخشبة فى عينه ، والمقصود ألا يعيب غيره فالعيب فيه أكثر ، فعليه أن يعالج عيوب نفسه ، قال الشاعر :

المرء إن كان عاقلاً ورعاً
اشغله عن عيوب غيره ورعه
كما السقيم المريض يشغله
عن وجع الناس كلهم وجعه

وقال آخر :

لا تكشفن مساوى الناس ما ستروا
فيهتك الله ستراً عن مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا
ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

وقال بكر بن عبد الله المشرق : إذا أردت أن تنظر العيوب جمة فتأمل عيَّابا ، فإنه إنما يعيب الناس بفضل ما فيه من العيوب .

« ولا تنابزوا بالألقاب »

النبز بالتحريك اللقب وبالتسكين المصدر ، تقول نبزه ، ينبزه ، نبزاً لقبه ، ويطلق النبز بالتحريك أيضاً على لقب السوء ، والآية تنهى عن أن يلقب المؤمنون بعضهم بعضا بألقاب تسوؤهم .

أخرج الترمذى فى سبب نزولها عن أبى جبير بن الضحاك قال : « كان الرجل منا يكون له الاسمان والثلاثة ، فيدعى ببعضها فعسى أن يكره ، فنزلت هذه الآية ﴿ وَلَا تَنَابَزُواْ بِالْأَلْقَابِ ﴾ قال هذا حديث حسن .

وفى أبى داود عن أبى جبير هذا قال : فينا « نزلت هذه الآية فى بنى سلمة ﴿ وَلَا تَنَابَزُواْ بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴾ .

قال : قدم رسول الله ﷺ ، وليس منا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : فيقولون مه يارسول الله . إنه يغضب من هذا الاسم ، فنزلت هذه الآية .

وقال الحسن ومجاهد : كان الرجل يعير بعد إسلامه بكفره : يايهودى يانصرانى فنزلت . وقال قتادة : هو قول الرجل للرجل : يافاسق يامنافق .

ومن الآية وأسباب النزول عرفنا أن تلقيب الرجل بما يكره منهى عنه .

« بئس الاسم الفسوق بعد الايمان »

اى بئس أن يسمى الرجل كافرا أو فاسقاً بعد إسلامه وتوبته . قاله ابن زيد : وقد روى أن أبا ذر رضى الله عنه كان عند النبى ﷺ ، فنازعه رجل فقال له أبو ذر ياابن اليهودية ، فقال ﷺ : « ما ترى ها هنا أحمر وأسود ، ما أنت بأفضل منه » يعنى فى التقوى .

وقال ﷺ : « مَنْ عيَّر مؤمنا بذنب تاب منه ، كان حقا على الله أن يبتليه ويفضحه فى الدنيا والآخرة » .

وقيل فى معنى الآية : إن من لقب أخاه أو سخر منه فهو فاسق ، فمن فعل ما نهى الله عنه من السخرية والهمز والنبز بالألقاب فذلك فسوق ، فلا يجوز للمؤمنين . ولا يليق بهم أن يفعلوه بعد أن من الله عليهم بالإيمان .

واستثنى من ذلك من غلب عليه الاستعمال ولم يكن له فيه كسب ، ولا يتأذى منه صاحبه ، لأنه لمجرد التمييز لا الإيذاء ، كالأعرج والأحدب والطويل والقصير .

قال القرطبى فى المسألة الثالثة : إن هذا الاستثناء مما جوزته الأمة ، واتفق عليه أهل الملة ، ثم قال : وعلى هذا المعني ترجم البخارى ـ رحمه الله ـ فى « كتاب الأدب » من الجامع الصحيح « باب ما يجوز من ذكر الناس ، نحو قولهم : الطويل والقصير . لا يراد به شين الرجل » قال البخارى : وقال النبى ﷺ : « ما يقول ذو اليدين » ؟

ثم قال القرطبى فى آخر بحثه فى المسألة السادسة : قلت فأما ما يكون ظاهرها الكراهة إذا أريد بها الصفة لا العيب فذلك كثير .

وقد سئل عبد الله بن المبارك عن الرجل يقول : حميد الطويل وسليمان الأعمش ، وحميد الأعرج ومروان الأصغر فقال : إذا أردت الصفة ولم ترد عيبه فلا بأس به .

وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن سرجس قال : رأيت الأصلع ـ يعنى عمر ـ يقبل الحجر ، وفى رواية : الأصيلع ـ ا هـ .

التلقيب باللقب الحسن

يجوز تلقيب الإنسان بما يحب ، ولهذا لقب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عمر بالفاروق ، وأبا بكر بالصديق ، وعثمان بذى النورين ، وأبا هريرة بذى الشمالين وبذى اليدين .

قال صلى الله عليه وسلم « من حق المؤمن على المؤمن أن يسميه بأحب أسمائه إليه » ولهذا كانت التكنية من السنة والأدب الحسن .

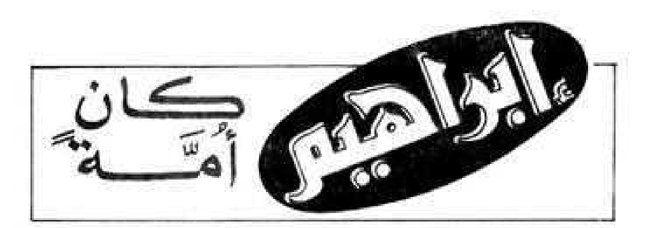
قال عمر رضى الله عنه : اشبعوا الكنى فإنها منبهة : وقد لقب أبو بكر بالعتيق والصديق ، وحمزة بأسد الله ، وخالد بسيف الله ، وقل من المشاهير في الجاهلية والإسلام من ليس له لقب ، ولم تزل هذه الألقاب الحسنة في الأمم كلها من العرب والعجم ، تجرى في مخاطباتهم ومكاتباتهم .

قال الماوردي : فأما ما استحب من الألقاب فلا يكره ، وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ عدداً من أصحابه بأوصاف صارت لهم من أجل الألقاب : انتهى ما ذكره القرطبي بتصرف .

المعنى الاجمالى للآية

ياأيها الذين شرفهم الله بالإيمان : لا يسخر أحد من أحد ، فلا يستهزىء الرجال بالرجال ، ولا النساء بالنساء ، عسى أن يكون المسخور به خيرا عند الله من الساخر ، بنظافة قلبه وصفاء نفسه ، ولا يعب بعضكم بعضا بالقول أو الإشارة ، فإن المؤمنين كنفس واحدة ، فإذا همزت أخاك وعبته ، فكأنما همزت نفسك وعبتها ، بئس الوصف الفسوق بعد الإيمان ، فمن حق الإيمان أن يعصم الناس عن أن يعيب بعضهم بعضا ، فإذا لم يفعل المؤمن ذلك فقد فسق بعد الإيمان ، وذلك أمر لا يليق بالمؤمنين ، ومن لم يتب من الاستهزاء بغيره وتنقيص سواه بالعيب فيه ، فأولئك هم الظالمون لأنفسهم ولإخوانهم المؤمنين .

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الإسلامية



للأستاذ الدكتور محمد محمد خليفة

قال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِّلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . شَاكِراً لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ . ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (النحل من ١٢٠ - ١٢٣) والآيات مكية .

ليس على الله بمستنكر
أن يجمع العالم فى واحد .

كذلك كان إبراهيم عليه السلام جمع الله فيه صفات الكمال وكل نواحي الخير فكان أمة وحده .

وقال مجاهد عن إبراهيم عليه السلام : كان مؤمناً وحده والناس كلهم كفار .

وتجيء أمة بمعنى مأموم : وهو الذى يؤمه الناس ويقصدونه ليأخذوا منه الخير ويقتدوا به ، أو يؤتم به فى الفضائل .

وقال ابن مسعود فى معاذ : إن معاذاً كان أمة قانتا لله ، فقيل له : غلطت إنما هو إبراهيم فقال : الأمة الذى يعلم الخير ، والقانت : المطيع لله وللرسول ، وكان معاذ كذلك .

ويقول عمر رضى الله عنه : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أبو عبيدة أمين هذه الأمة »

ومعاذ أمة قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة إلا المرسلون .

والقانت : القائم بأمر الله .

والحنيف : المائل إلى ملة الإسلام غير الزائل عنه ، أو المائل عن كل دين باطل إلى الحق ، فلا يزول عما يراه حقاً أبداً .

←

إبراهيم كان أمة

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى زيد بن عمرو بن نفيل : « يبعثه الله أمة وحده » .

وكان إبراهيم عليه السلام الداعية الأول إلى التوحيد وإبطال الشرك ، وكان المشركون من الوثنيين ، والكتابيون يقرون بوجوب الاقتداء به . وفى هذه الآيات يقدم الله صورة لإبراهيم الأمة المقر بالتوحيد عسى أن يرجع المشركون والكتابيون عما هم عليه ، ويتبعوا ملة إبراهيم .

وتحمل الآيات الكثير من صفات إبراهيم التى بها وبغيرها اتخذه الله خليلاً :
فكان أمة ـ وكان قانتاً لله ، وكان حنيفاً ولم يشرك بالله فى أصول ولا فى فروع .

وكان شاكراً لأنعم الله ، واجتباه الله ، وهداه إلى صراط مستقيم ، وآتاه فى الدنيا حسنة وجعله فى الآخرة من الصالحين .

أما الصفة الأولى وهى أنه كان أمة فقد بينا ذلك فى صدر تفسير هذه الآيات فلا داعى لتكرار القول فى هذه الصفة .

والثانية : كونه قانتا لله : والقانت : القائم بما أمره الله به وفسر ذلك ابن عباس فى قوله : فى القانت : كونه مطيعاً لله .

والثالثة : كونه حنيفاً ، والحنيف : المائل عن كل دين باطل إلى الحق بحيث لا يزول عما يراه حقاً ، أو المائل إلى ملة الإسلام المنفذ لما تدعو إليه هذه الملة .

والرابعة : كونه لم يك من المشركين : فقد كان عليه السلام من الموحدين منذ وعى : فى الصغر والكبر حيث جادل ملك زمانه حول اثبات الله الصانع للوجود حين قال فى حواره معه : ربى الذى يحيى ويميت ، وندد بعبادة الأصنام والكواكب كما مر ، ثم كسر الأصنام ، وألقوه فى النار فأنجاه الله ، وطلب من ربه أن يريه كيف يحيى الموتى ليطمئن قلبه .

ومن كل ما سبق من أول الكلام على إبراهيم إلى نهاية القول فيه ندرك أن إبراهيم كان إمام الموحدين الداعين إلى الوحدانية على حين أن العالم كله من حوله كان مشركاً .

الخامسة : كونه شاكراً لأنعمه .
وقد عبر بقوله : شاكراً لأنعمه والأنعم من جموع القلة مع أن نعم الله على إبراهيم عليه السلام كانت كثيرة ، لأن المراد أنه كان شاكراً لنعم الله إن كانت قليلة فكيف بالكثيرة .

والسادسة : أنه اجتباه ، أى اصطفاه واختاره للنبوة من بين الناس .

والسابعة : أنه هداه إلى صراط مستقيم فى الدعوة إلى الله وترغيب الناس فى عبادة الواحد .

والثامنة : آتاه الله فى الدنيا حسنة : وكانت تلك الحسنة أن حببه الله إلى كل خلقه . على اختلاف أديانهم ومعبوداتهم ، وقد استجاب الله دعاءه الذى دعا به ﴿ وَاجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى الْآخِرِينَ ﴾ وقد اجرى الله ذكره على لسان المسلمين فى

تشهدهم فى صلواتهم : كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم .. وكما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وسيبقى ذكره فى الآخرين من المسلمين إلى قيام الساعة إن شاء الله .

والتاسعة : أن الله جعله فى الآخرة من الصالحين ، وكان قد دعا الله : ﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْماً وَأَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ ﴾ فاستجاب الله دعاءه حيث قضى أن يجعله فى الآخرة من الصالحين بل يجعله فى الآخرة فى أعلى درجات الصالحين وكيف لا وهو خليل الرحمن . ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَاكَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

لقد أوحى الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم أن يتبع ملة إبراهيم ، ويراد بذلك طريقته فى الدعوة إلى الله وإلى توحيد الله بالرفق والسهولة والحكمة والجدل بالحسنى ، وإيراد الدلائل مرة بعد أخرى .

والملة : اسم لما شرعه الله للعباد على لسان الأنبياء ، وجملة ما جاء به كل رسول من الشرائع يسمى الملة .

وملة محمد صلى الله عليه وسلم : الإسلام ، وهو ما عبر عنه بالصراط المستقيم الذى قيل فيه ﴿ إِنَّ هَذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ ﴾ .

ونفى الله عن إبراهيم الشرك فى قوله : ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشرِكِينَ ﴾

وفى ذلك تأكيد لقوله فى الآية السابقة ﴿ وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشرِكِينَ ﴾ وفى ذلك التأكيد تقرير لبعده عن كل شرك فى أمور الدين فى الأصول والفروع ، وتكذيب للمفترين الذين يدعون أنهم على ملة إبراهيم ، والذين يدعون أنه كان يدين باليهودية ، والذين يدعون أنه كان يدين بالنصرانية ، وقد كذب إدعاءاتهم جميعاً فقال : ﴿ مَاكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ليواجه بالدليل الدامغ من يقولون : عزير ابن الله ، ومن يقولون : المسيح ابن الله .

وفى التعبير بثم فى قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ ما يدل على تعظيم منزلة محمد صلى الله عليه وسلم لأن إبراهيم عليه السلام على سمو منزلته ، يعد أجل ما آتاه الله من النعم اتباع محمد صلى الله عليه وسلم لملته . وذلك لأن "ثم" تدل على تباعد هذا النعت فى المنزلة من بين النعوت والصفات التسع التى قدمنا الكلام فيها فأعظم ما نعت به إبراهيم عليه السلام أن الله أوحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم باتباع ملة إبراهيم وذلك فى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ﴾ . .

د . محمد محمد خليفة



كتاب حسن المدد في معرفة فن العدد

تأليف الشيخ الإمام
أبي محمد برهان الدين إبراهيم الجعبري

نقلا عن المخطوط رقم ٢٠ بدار الكتب المصرية



سورة القمر

مكية :

وحروفها : ألف وأربعمائة وثلاثة وعشرون .

وكلمها : ثلاثمائة وثنتان وأربعون .

وأيها : خمس وخمسون .

ونظيرتها في المكي والدمشقي والأخير « المدثر » وتقدمت نظيرتها في الشامي « إبراهيم »

ورويّها (الراء)

وفواصلها :

القمرُ ـ مستمر ـ مستقر ـ مزدجر ـ النذر ـ نكر ـ منتشر ـ عسر .

وازدجر ـ فانتصر ـ منهمر ـ قدر ـ ودسر ـ كفر ـ مُدَّكر ـ ونذر ـ مدكر ـ ونذر ـ مستمر ـ منقعر ـ ونذر ـ مدكر ـ بالنذر ـ وسعر ـ أشر ـ الأشر ـ واصطبر ـ محتضَر ـ فعقر ـ ونذر ـ المحتظر ـ مدكر ـ بالنذر ـ بسحر ـ شكر ـ بالنذر ـ ونذر ـ مستقر ـ ونذر ـ مدكر ـ النذر ـ مقتدر ـ الزبر ـ منتصر ـ الدبر ـ وأمرّ ـ سعر ـ سقر ـ بقدر ـ بالبصر ـ مدكر ـ الزبر ـ مستطر ـ ونهر ـ مقتدر .

سورة الرحمن عز وجل

قال ابن عباس مكيّة ، وقتادة مدنية .

وحروفها : ألف وستمائة وستة وثلاثون .

وكلمها : ثلاثمائة وأحد وخمسون .

وأيها : سبعون وست بصرى ، وسبع حرمّى ، وثمان كوفى وشامى .

وخلافها خمس : « الرحمن » كوفى وشامى أوّل « خلق الإنسان » غير مدنى . « للانام » غير مكى . « من نار » حرميّ . « المجرمون » غير بصرى . وتقدمت نظيرتها فى الحرميّ « الفرقان »

وفيها مشبه الفاصلة موضعان : « خلق



الإنسان » الثانى . « ورب المشرقين » وعكسه « خلق » الأول .

ورويّها (نمر) أوْ (مرن)

وفواصلها .

الرحمن ـ القرآن ـ الإنسان ـ البيان ـ بحسبان ـ يسجدان ـ الميزان ـ الميزان ـ الميزان ـ للأنام ـ الأكمام ـ والريحان ـ تكذبان ـ كالفخار ـ نار ـ تكذبان ـ المغربَيْن ـ تكذبان ـ يلتقيان ـ يبغيان ـ تكذبان ـ والمرجان ـ تكذبان ـ كالأعلام ـ تكذبان ـ فان ـ والإكرام ـ تكذبان ـ شأن ـ تكذبان ـ الثقلان ـ تكذبان ـ بسلطان ـ تكذبان ـ تنتصران ـ تكذبان ـ كالدهان ـ تكذبان ـ جان ـ تكذبان ـ والأقدام ـ تكذبان ـ المجرمون ـ آن ـ تكذبان ـ جنّتان ـ تكذبان ـ أفنان ـ تكذبان ـ تجريان ـ تكذبان ـ زوجان ـ تكذبان ـ دان ـ تكذبان ـ جآن ـ تكذبان ـ والمرجان ـ تكذبان ـ إلا الإحسان ـ تكذبان ـ جنتان ـ تكذبان ـ مدهامتان ـ تكذبان ـ نضاختان ـ تكذبان ـ ورُمّان ـ تكذبان ـ حسان ـ تكذبان ـ الخيام ـ تكذبان ـ جآنّ ـ تكذبان ـ حسان ـ تكذبان ـ والإكرام .

سورة الواقعة

مكية

وحروفها : ألف وسبعمائة وثلاثة

وكلمها : ثلاثمائة وثمان وسبعون .

وآيها : تسعون وست كوفى ، وسبع بصرى ، وتسع حَرَمِيّ وشامى

وخلافها خمس عشرة آية : « فأصحاب الميمنة » . « وأصحاب المشئمة » الأوّلان غير كوفى وحمصى . « موضونة » حجازى وكوفى « وأباريق » حرمى إلا الأول . « وحور عين » كوفى معه . « ولا تأثيما » غير مكى والأول . « وأصحاب اليمين » . غير كوفى والأخير . « إنشاء » غير بصرى . « وحميم » غير مكى « وكانوا يقولون » « آباؤنا الأولون » غير حمصى « والآخرين » غير شامى « والآخرين لمجموعون » لهما . « وريحان » . دمشقى(٧) وتقدمت نظيرتها فى الحرمى والشامى « الحِجر » وفيها مشبه الفاصلة عشر : « خافضة » . وأول « السابقون » . « واليمين » . « والشمال » . « فى سموم » . « إن الأولين » « لمجموعون » « الضالون » « لآكلون » « المكذبين » ، وعكسه ثلاثة : الواقعة « كاذبة » « ثلّة » .

ورويها « أجد بشمرة سلن »(١) والباء مسكوب

وفواصلها :

الواقعة ـ كاذبة ـ رافعة ـ رجاً ـ بساً ـ منبثا ـ ثلاثة ـ الميمنة ـ المشئمة ـ السابقون ـ المقربون ـ النعيم ـ الأولين ـ

(١) هنا تصحيف كثير من النساخ فأما روى الآيات فهو :
ة ـ ء ـ ث ـ ن ـ م ـ د ـ ب ـ ر ـ ل ويجمعها (إن دل بشمرة) .

الآخرين - موضونة - متقابلين - مخلّدون - معين - يُنزِفون - يتخيّرون - يشتهون - عين - المكنون - يعملون - تأثيما - سلاما - اليمين - مخضود - منضود - ممدود - مسكوب - كثيرة - ممنوعة - مرفوعة - إنشاء - أبكاراً - أترابا - اليمين - الأولين - الآخرين - الشمال - وحميم - يحموم - كريم - مترفين - العظيم - لمبعوثون - الأولون - والآخرين - معلوم - المكذبون - زقوم - البطون - الحميم - الهيم - الدين - تصدقون - تمنون - الخالقون - بمسبوقين - تعلمون - تذكرون - تحرثون - الزارعون - تفكهون - لمغرمون - محرومون - تشربون - المنزلون - تشكرون - تورون - المنشئون - للمقوين - العظيم.

النجوم - عظيم - كريم - مكنون - المطهرون - العالمين - مدهنون - تكذبون - الحلقوم - تنظرون - تبصرون - مدينين - صادقين - المقربين - نعيم - اليمين - اليمين - الضالين - حميم - جحيم - اليقين - العظيم.

سورة الحديد

مدنية.

وحروفها: ألفان وأربعمائة وستة وسبعون.

وكلمها: خمسمائة وأربع وأربعون.

وآيها: عشرون وثمان غير عراقى، وتسع فيه.

وخلافها ثنتان: «العذاب» كوفى «الانجيل» بصرى.

ونظيرتها فى الحرمى والشامى «الجن» وعند يزيد. «وكورت» والبصرى. «والفجر» وتقدمت نظيرتها فى العراقى «الفتح».

وفيها مشبه الفاصلة خمسة: «نورا». «بسور». «الصديقون». «عذاب شديد» «بأس شديد».

ورويها: «من بزردٌ».

وفواصلها:

الحكيم - قدير - عليم - بصير - الأمور - الصدور - كبير - مؤمنين - رحيم - خبير - كريم - العظيم - العذاب - الغَرور - المصير - فاسقون - تعقلون - كريم - الجحيم - الغُرور - العظيم - يسير - فخور - الحميد - عزيز - فاسقون - فاسقون - رحيم - العظيم.

سورة المجادلة

مدنية.

وحروفها: ألف وسبع مائة واثنان وتسعون.

وكلمها: أربعمائة وثلاث وسبعون.

وآيها: عشرون، وآية مكى والأخير، وثنتان فى الباقى.

وخلافها: آية «فى الأذلين» غيرهما.

ونظيرتها فيهما «والليل»، وفى غيرهما «البروج».

وفيها مشبه الفاصلة موضع «عذابا شديدا».

ورويّها (مَنْ زَرَد).

وفواصلها:

بصير - غفور - خبير - أليم - مهين - شهيد

ـ عليم ـ المصير ـ تحشرون ـ المؤمنون ـ خبير ـ رحيم ـ تعملون .
يعلمون ـ يعملون ـ مُهين ـ خالدون ـ الكاذبون ـ الخاسرون ـ الأذلين ـ عزيز ـ المفلحون .

سورة الحشر

مدنية .
وحروفها : الف وستمائة وثلاثة وتسعون .
وكلمها : اربعمائة وخمس وأربعون .
وآيها : أربع وعشرون .
وفيها مشبه الفاصلة خمسة : « لم يحتسبوا » « وأيدى المؤمنين » « ولا ركاب » « أحدا أبدا » « بينهم شديد » .
ورويّها : (من بر) .
وفواصلها :
الحكيم ـ الأبصار ـ النَّار ـ العقاب ـ الفاسقين ـ قدير ـ العقاب ـ الصادقون ـ المفلحون ـ رحيم .
لكاذبون ـ ينصرون ـ يفقهون ـ يعقلون ـ اليم ـ العالمين ـ الظالمين ـ تعملون ـ الفاسقون ـ الفائزون ـ يتفكرون ـ الرّحيم ـ يشركون ـ الحكيم .

سورة الممتحنة

مدنية .
وحروفها : الف وخمسمائة وعشرة .
وكلمها : ثلاث مائة وثمان وأربعون .
وآيها : ثلاث عشرة .
ورويها (لم نرد) .
وفواصلها :
السبيل ـ تكفرون ـ بصير ـ المصير ـ الحكيم ـ الحميد .
رحيم ـ المقسطين ـ الظالمون ـ حكيم ـ مؤمنون ـ رحيم ـ القبور .

سورة الصف

مدنية . قال قتادة ، وابن عباس ومجاهد وعطاء مكية .
وحروفها : تسع مائة وستة وعشرون .
وكلمها : مائتانّ وإحدى وعشرون .
وآيها : أربع عشرة .
وفيها مشبه الفاصلة : موضع « وفتح قريب » .
ورويها (صمن) .
وفواصلها :
الحكيم ـ تفعلون ـ تفعلون ـ مرصوص ـ الفاسقين ـ مبين ـ الظالمين ـ الكافرون ـ المشركون ـ اليم ـ تعلمون ـ العظيم ـ المؤمنين ـ ظاهرين .

سورة الجمعة

مدنية .
وحروفها : سبع مائة وثمانية وأربعون .
وكلمها : مائة وثمانون كـ«المنافقون» .
وآيها : إحدى عشرة .
ونظيرتها : « المنافقون . والضحى . والعاديات » وزاد الكوفى : القارعة ، والبصرى : الطلاق » .

ورويّها : (من) أو (نم) .
وفواصلها :
الحكيم - مبين - الحكيم - العظيم - الظالمين - صادقين - بالظالمين - تعملون - تعلمون - تفلحون - الرّازقين .

سورة المنافقون

مدنية .
وحروفها : سبعمائة وستة وسبعون .
وكلمها : مائة وثمانون .
وآيها : إحدى عشرة وتقدمت نظيرتها « الجمعة » .
وفيها مشبه الفاصلة موضع : « أجل قريب » .
ورويها : (النون) .
وفواصلها :
لكاذبون - يعملون - يفقهون .
يؤفكون - مستكبرون - الفاسقين - يفقهون - يعلمون - الخاسرون - الصالحين - تعملون .

سورة التغابن

مدنية . قال قتادة
وقال ابن عباس ومجاهد : مكية إلا الثلاث الأواخر .
شكا عوف الأشجعى إلى النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة جفاء أهله وولده فنزلت : ﴿ ياأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم ﴾ إلى آخرها .
وحروفها : ألف وسبعون .
وكلمها : مائتان وإحدى وأربعون .
وآيها : ثمانى عشرة وتقدمت نظيرتها « الحجرات » .
وفيها مشبه الفاصلة ثلاثة : ماتسرون وما تعلنون ، التغابن .
ورويها (من رد) .
وفواصلها :
قدير - بصير - المصير - الصُّدور - أليم - حميد - يسير - خبير - العظيم - المصير - عليم - المبين - المؤمنون - رحيم - عظيم - المفلحون - حليم - الحكيم .

سورة الطلاق

مدنية .
وحروفها : ألف وستون .
وكلمها : مائتان وتسع وأربعون .
وآيها : إحدى عشرة بصرى ، واثنتان حرمى وكوفى ودمشقى ، وثلاث حمصى .
وخلافها : أربعة « واليوم الآخر » دمشقى « مخرجا » كوفى وحمصى والأخير ، « ياأولى الألباب » مدنى أوّل ، « قدير » حمصى .
ونظيرتها فى غير البصرى « التحريم » وتقدمت نظيرتها فيه « الجمعة » .
وفيها مشبه الفاصلة خمسة : « ثلاثة أشهر » ، « حسابا شديدا » ، « عذابا شديدا » ، « إلى النور » ، « شىء قدير » . وعكسه موضع « له أخرى » ورويّها « مرجا »(٢)

(٢) كذا وبذلك سقطت القاف ، وطريقة الشيخ - فى حصر الروى - تجعل ضم القاف إلى الروى فى صورة (قمرجا) - مثلا والله أعلم وفى البصائر : (فواصل آياتها على الألف) فلم ينهج منهج الشيخ .

وفواصلها :

امرا - مخرجا - قدرا - يُسرا - أجرا - اخرى - يُسرا - نُكرا - خُسرا - ذكرا - رزقا - علما .

سورة التحريم

مدنية .

وحروفها : الف ومائة وستون .

وكلمها : مائتان وسبع وأربعون .

وآيها : اثنتا عشرة فى غير الحمصى ، وثلاث فيه .

وخلافها : آية « الأنهار » حمصىّ، وتقدمت نظيرتها فى غير الحمصى « الطلاق » .

وفيها مشبه الفاصلة : موضع « وصالح المؤمنين » .

ورويها (رمان) .

وفواصلها :

رحيم - الحكيم - الخبير - ظهير - ابكارا - يؤمرون - تعملون - قدير - المصير - الداخلين - الظالمين - القانتين .

سورة الملك

مكية .

وحروفها : الف وثلاثمائة وثلاثة عشر .

وكلمها : ثلاثمائة وخمس وثلاثون .

وآيها : ثلاثون فى غير المكى وشيبة ونافع وإحدى عندهم .

وخلافها : آية « جاءنا نذير » لهم .

ونظيرتها : فى المكى والأخير « الإنسان » وتقدمت نظيرتها فى الأول « المضاجع » .

وفيها مشبه الفاصلة : ثلاثة « طباقا » « للشياطين » « وهى تفور » .

وعكسه « يأتكم نذير » .

ورويّها (رمن) .

وفواصلها :

قدير - الغفور - فطور - حسير - السعير - المصير - تفور - نذير - كبير - السعير - السعير - كبير[٣] - الصدور - الخبير - النشور - تمور - نذير - نكير - بصير - غرور - ونفور - مستقيم - تشكرون - تحشرون - صادقين - مبين - تدّعون - اليم - مبين - معين .

سورة (ن)

مكية .

وحروفها : الف ومائتان وستة وخمسون .

وكلمها : ثلاثمائة .

وآيها : ثنتان وخمسون .

ونظيرتها فى الحرمّى « الحاقة » وتقدمت نظيرتها فى البصرى والشامى « المصابيح » .

وفيها مشبه الفاصلة : ثلاثة « نٓ » ، « كذلك العذاب » « الحوت » .

وعكسه موضعان : « مصبحين » « ولا يستثنون » .

ورويّها (نم) .

وفواصلها :

يسطرون - بمجنون - ممنون - عظيم - ويبصرون - المفتون - بالمهتدين - المكذبين - فيدهنون - مَهين - بنميم - اثيم - زنيم - وبنين

←

(٣) سقط من الأصل : السعير - السعير - كبير . وقد يتكرر ذلك من الناسخ فى مواطن . وننبه هنا إلى رجوعنا إلى المصحف فى الفواصل فهو المصدر الأول .

ـ الأولين ـ الخرطوم ـ مصبحين ـ يستثنون ـ نائمون ـ كالصّريم ـ مصبحين ـ صارمين ـ يتخافتون ـ مسكين ـ قادرين ـ لضالون ـ محرومون ـ تسبّحون ـ ظالمين ـ يتلاومون ـ طاغين ـ راغبون ـ يعلمون ـ النعيم ـ كالمجرمين ـ تحكمون ـ تدرسون ـ تخيّرون ـ تحكمون ـ زعيم ـ صادقين ـ يستطيعون ـ سالمون ـ يَعْلمون ـ متين ـ مثقلون ـ يكتبون ـ مكظوم ـ مذموم ـ الصالحين ـ لمجنون ـ للعالمين .

سورة الحاقة

مكية .

وحروفها : ألف وأربعة وثمانون .

وكلمها : مائتان وست وخمسون .

وآيها : خمسون وآية بصرى ودمشقى ، وثنتان فى الباقى .

قيل: وثلاث بصرى .

وخلافها ثلاث : « الحاقة » الأولى كوفى « حسوما » حمصى قيل وبصرى فيهما « بشماله » حرمىّ وتقدمت .

نظيرتها فى الحمصى « المصابيح » .

وفيها مشبه الفاصلة : موضعان: « صرعى » « بيمينه » .

ورويها : (هل من) وفواصلها :

الحاقة ـ ما الحاقة ـ ماالحاقة ـ بالقارعة ـ بالطاغية ـ عاتية ـ خاوية ـ باقية ـ بالخاطئة ـ رابية ـ الجارية ـ واعية ـ واحدة ـ واحدة ـ الواقعة ـ واهية ـ ثمانية ـ خافية ـ كتابيه ـ حسابيه ـ راضية ـ عالية ـ دانية ـ الخالية ـ كتابيه ـ حسابيه ـ القاضية ـ ماليه ـ سلطانيه ـ فَغُلُّوه ـ صَلُّوه ـ فاسلكوه ـ العظيم ـ المسكين ـ حميم ـ غِسلين ـ الخاطئون ـ تبصرون ـ تبصرون ـ كريم ـ تؤمنون ـ تذكّرون ـ العالمين ـ الأقاويل ـ باليمين ـ الوتين ـ حاجزين ـ للمتقين ـ مكذّبين ـ الكافرين ـ اليقين ـ العظيم .

سورة سأل

مكية .

وحروفها : ثمانمائة وإحدى وستون .

وكلمها : مائتان وتسع عشرة .

وآيها : أربعون وثلاث دمشقى ، وأربع فى الباقى .

وخلافها : آية « ألف سنة » غير دمشقى وتقدمت .

نظيرتها فى الحمصى « فاطر » .

ورويها : (جعلناهم) .

وفواصلها :

واقع ـ دافع ـ المعارج ـ سنة ـ جَميلا ـ بعيدا ـ قريبا ـ كالمهل ـ كالعهن ـ حميما ـ ببنيه ـ وأخيه ـ تؤويه ـ ينجيه ـ لظى ـ للشوى ـ وتَوَلَّى ـ فأوعَى .

هلوعا ـ جزوعا ـ منوعا ـ المصلين ـ دائمون ـ معلوم ـ والمحروم ـ الدّين ـ مشفقون ـ مأمون ـ حافظون ـ ملومين ـ العادون ـ راعون ـ قائمون ـ يحافظون ـ مكرمون ـ مهطعين ـ عِزين ـ نعيم ـ يعلمون ـ لقادرون ـ بمسبوقين ـ يُوعَدُون ـ يُوفِضُون ـ يوعدون .

سورة نوح عليه السلام

مكيّة .

وحروفها : تسع مائة وتسعة وعشرون .

وكلمها : مائتان وأربع وعشرون .

وآيها عشرون وثمان كوفى ، وتسع بصرى ودمشقى ، وثلاثون حرمى وحمصى .

وخلافها خمس : « فيهن نورا » حمصى « سواعا » غيره وكوفى « فأدخلوا نارا » غيره « ونسرا » له وحمصى والأخير « أضلوا كثيرا » مكى والأول .

ونظيرتها فى الكوفى « الجن » والبصرى والدمشقى « كورت » وفى غيره « المضاجع » ورويّها (طل من رج) .

وفواصلها :

أليم - مبين - وأطيعون - تعلمون - ونهارا - فرارا - استكبارا - جهارا - إسرارا - غفّارا - مدْرارا - أنهارا - وقارا - أطوارا - طباقا - سراجا - نباتا - إخراجا - بساطا - فجاجا - خسارا - كبّارا - ونسرا - ضلالا - أنصارا - ديّارا - كفارا - تبارا .

سورة الجن

مكيّة .

وحروفها : سبع مائة وتسعة وخمسون .

وكلمها : مائتان وخمس وثمانون كالمزمل .

وآيها : ثمان وعشرون وسَبَّعَها[4] البَزّىُ .

وخلافها ثنتان « من الله أحد » مكى « ملتحدا » غيره وتقدّمت .

نظيرتها : فى الكوفى « نوح » .

ورويّها : (دق بط) .

وفواصلها :

عجبا - أحدا - ولدا - شططا - كذبا - رهقا - أحدا - وشهبا - رصدا - رشدا - قددا - هربا - رهقا - رشدا - حطبا - غدقا - صعدا - أحدا - لبدا - أحدا - رشدا - ملتحدا - ابدا - عددا - أمدا - أحدا - رصدا - عددا .

سورة المزمل

مكية ، قال ابن عباس - رضى الله عنهما : إلاّ آية « إن ربك يعلم » إلى آخرها .

وحروفها : ثمانى مائة وثمانية وثلاثون .

وكلمها : مائتان وخمس وثمانون .

وآيها : ثمانى عشرة مدنى أخير ، وتسع بصرى . وحمصىّ ، وعشرون فى الباقى .

وخلافها : أربع « المزمل » كوفىّ ودمشقىّ والأوّل ، « وجحيما » غير حمصىّ « إليكم رسولا » مكىّ معه « شيبا » غير الأخير .

ونظيرتها فى المكى ، والأوّل « البلد » ، و« اقرأ » ، والكوفى والشامىّ ، « البلد » ، والبصرى « الانفطار » و« الأعلى » ، و« اقرأ » قيل : والمكى الأوليان وتقدمت نظيرتها فى الأخير « الحجرات » .

وفيها مشبه الفاصلة : موضع « قرضا حسنا » .

ورويها (بلم) .

وفواصلها :

المزّمل - قليلا - قليلا - ترتيلا - ثقيلا - قيلا - طويلا - تبتيلا - وكيلا - جميلا - قليلا - وجحيما - أليما - مهيلا - رسولا - وبيلا - شيبا - مفعولا - سبيلا - رحيم .

---

(٤) أى جعلها سبعا ، فالبزى يعدها سبعا وعشرين .

سورة المدثر

مكية .

وحروفها : ألف وعشرة .

وكلمها : مائتان وخمس وخمسون .

وآيها : خمسون وخمس مكى . ودمشقى . والأخير ، وست فى الباقى .

وخلافها : ثنتان « يتساءلون » غير مدنى . « عن المجرمين » . غير مكى . ودمشقى ونافع . وتقدمت نظيرتها فى الأخير . والمكى والدمشقى « القمر » .

وفيها مشبه الفاصلة موضعان : « والمؤمنون » « بهذا مثلاً » .

ورويها : (ندرة) .

وفواصلها :

المدثر - فأنذر - فكبر - فطهر - فاهجر - تستكثر - فاصبر - الناقور - عسير - يسير - وحيداً - ممدوداً - شهودا - تمهيداً - أزيد - عنيداً - صعودا - وقدّر - قدّر - قدّر - نظر - وَبَسَرَ - واستكبر - يؤثر - البشر - سقر - سقر - تذر - للبشر - تسعة عشر - للبشر - والقمر - أدبر - أسفر - الكُبَر - للبشر - يتأخر - رهينة - اليمين - يتساءلون - المجرمين - سقر - المصلين - المسكين - الخائضين - الدين - اليقين - الشافعين - معرضين - مستنفرة - قسورة - مُنَشَّرَة - الآخرة - تذكرة - ذكره - المغفرة .

سورة القيامة

مكية .

وحروفها ست مائة واثنان وخمسون .

وكلمها : مائة وتسع وتسعون .

وآيها : ثلاثون وتسع غير كوفى وحمصى وأربعون فيهما .

وخلافها : آية « لتعجل به » لهما .

ونظيرتها فى الكوفى « عم » وتقدمت نظيرتها فى الحرمى ، والشامى « محمد عليه الصلاة والسلام » .

وفيها مشبه غير الفاصلة[٥] : موضعان « بصيرة » « معاذيره » .

ورويها (هارق) .

وفواصلها :

القيامة - اللوامة - عظامه - بَنَانه - أمامه - القيامة - البصر - القمر - والقمر - المفر - وَزَر - المستقرّ - وأخر - بصيرة - معاذيره - به - وقرآنه - قرآنه - بيانه - العاجلة - الآخرة - ناضرة - ناظرة - باسرة - فاقرة - التراقى - راق - الفراق - بالساق - المساق - صلىّ - وتولّى - يتمطى - فأَوْلَى - فأَوْلَى - سُدًى - يمنى - فسوى - والأنثى - الموتى .

سورة الانسان

مكية ، وقال جابر : مدنية .

وحروفها : ألف وأربعة وخمسون .

وكلمها : مائتان وأربعون .

وآيها : إحدى وثلاثون وتقدمت نظيرتها فى المكى والأخير « الملك » .

(٥) فى اتحاف فضلاء البشر « مشبه الفاصلة »

وفيها مشبه الفاصلة خمسة : « السبيل » « مسكينا ويتيما » « قوارير » الثاني . « مخلدون » « نعيما » وعكسه « قوارير » الأول .

ورويها « رمل » .

وفواصلها :

مذكوراً ـ بصيراً ـ كفوراً ـ وسعيراً ـ كافوراً ـ تفجيراً[6] ـ مستطيراً ـ وأسيراً ـ شُكوراً ـ قمطريرا ـ وسروراً ـ وحريراً ـ زمهريراً ـ تذليلاً ـ قواريراً ـ تقديراً ـ زنجبيلاً ـ سلسبيلاً .

منثوراً ـ كبيراً ـ طهوراً ـ مشكوراً ـ تنزيلاً ـ كفوراً ـ وأصيلاً ـ طويلاً ـ ثقيلاً ـ تبديلاً ـ سبيلاً ـ حكيماً ـ أليماً .

سورة والمرسلات

مكية .

وحروفها : ثمانمائة وستة عشر .

وكلمها : مائة وإحدى وثمانون .

وآيها خمسون وتقدمت نظيرتها في الحرمي والدمشقي « الشورى » .

وفيها مشبه الفاصلة : موضعان « شامخات » « عذراً » .

ورويها : « عبرتم لنا » .

وفواصلها :

عرفا ـ عصفاً ـ نشراً ـ فرقاً ـ ذكراً ـ نذراً ـ لواقع ـ طمست ـ فرجت ـ نسفت ـ أُقتت ـ أجلت ـ الفصل ـ الفصل ـ للمكذبين ـ الأولين ـ الآخرين ـ بالمجرمين ـ للمكذبين ـ مَهين ـ مكين ـ معلوم ـ القادرون ـ للمكذبين ـ كفاتا ـ وأمواتا ـ فراتا ـ للمكذبين ـ تكذبون ـ شعب ـ اللهب ـ كالقصر ـ صُفْر ـ للمكذبين ـ ينطقون ـ فيعتذرون ـ للمكذبين ـ والأولين ـ فكيدون ـ للمكذبين ـ وعيون ـ يشتهون ـ تعملون ـ المحسنين ـ للمكذبين ـ مجرمون ـ للمكذبين ـ يركعون ـ للمكذبين ـ يؤمنون .

سورة عمّ

مكية .

وحروفها : سبعمائة وتسعون .

كلمها : مائة وثلاث وسبعون .

وآيها : أربعون غير مكي وبصري . وإحدى فيهما .

وخلافها آية : « قريباً » لهما . وتقدمت نظيرتها في الحمصي « محمد صلى الله عليه وسلم » ، ونظيرتها في الدمشقي والبصري « عبس » .

ورويها « جد بتمزق فنشم »[7] .

وفواصلها : يتساءلون ـ العظيم ـ مختلفون ـ سيعلمون ـ سيعلمون ـ مهادا ـ أوتادا ـ أزواجا ـ سباتا ـ لباسا ـ معاشا ـ شدادا ـ وهاجا ـ ثجاجا ـ ونباتا ـ ألفافا ـ ميقاتا ـ أفواجاً ـ أبواباً ـ سراباً ـ مرصاداً ـ مآبا ـ أحقاباً ـ شرابا ـ وغساقاً ـ وفاقاً ـ حسابا ـ كِذّاباً ـ كتاباً ـ عذاباً ـ مفازا ـ وأعناباً ـ أترابا ـ دِهاقاً ـ كِذّابا ـ حساباً ـ خطاباً ـ صواباً ـ مآبا ـ ترابا .

---

(٦) في المصورة : وشكوراً وهو خطأ من نسخ .

(٧) كذا وبمراجعة الفواصل على السورة وجدنا « السين » لم تثبت .

سورة والنازعات

مكية .

وحروفها : سبعمائة وثلاثة وخمسون .

كلمها : مائة وتسع وسبعون .

وآيها : أربعون وخمس غير كوفي ، وست فيه .

وخلافها : ثنتان « وَلِأَنْعَامِكم » كوفي وحرمي . « من طغى » غيره وتقدمت .

نظيرتها في المكي والأول « والنازعات » .

ورويها « حرم طاقة » .

وفواصلها :

غَرْقاً - نَشْطاً - سَبْحاً - سَبْقاً - أَمْراً - الراجفة - الرادفة - واجفة - خاشعة - الحافرة - نخرة - خاسرة - واحدة - بالساهرة - موسى - طُوًى - طغى - تزكى - فتخشى - الكبرى - وعصى - يسعى - فنادى - الأعلى - والأُولَى - يخشى - بناها - فسواها - ضحاها - دحاها - ومرعاها - أرساها - ولأنعامكم - الكبرى - سعى - يرى - طغى - الدنيا - المأوى - الهوى - المأوى - مرساها - ذكراها - منتهاها - يخشاها - ضحاها .

سورة عبس

مكية .

وحروفها : خمسمائة وثلاثة وثلاثون[8] .

وكلمها : مائة وثلاث وثلاثون .

وآيها : أربعون دمشقي ، وآية بصري وحمصي ويزيد ، وثنتان مكي وكوفي وشيبة .

وخلافها : ثلاث: « إلى طعامه » غير يزيد ، « ولأنعامكم » حرمي وكوفي ، « الصاخة » غير دمشقي وتقدمت . نظيرتها في البصري والحمصي « النبأ » .

وفيها مشبه الفاصلة أربع . « نطفة » . « خلقه » . « وعنباً » . « وزيتونا » .

وعكسه موضعان « شيءٍ خَلَقَه » . « حَبّاً » .

ورويها « قام لهب » .

وفواصلها :

وتولى - الأعمى - يزكى - الذكرى - استغنى - تصدى - يزكى - يسعى - يخشى - تلهى - تذكرة - ذكره - مكرمة - مطهرة - سفرة - بررة - أكفره - خلقه - فقدره - يسره - فأقبره - أنشره - أمره - طعامه - صبا - شقا - حبا - وقضبا - ونخلا - غُلْبًا - وَأَبًّا - ولأنعامكم - الصاخة - أخيه - وأبيه - وبنيه - يغنيه - مسفرة - مستبشرة - غبرة - قترة - الفجرة.

سورة التكوير

مكية .

وحروفها : خمسمائة وثلاثة وثلاثون كـ « عبس » .

وكلمها : مائة وأربع .

وآيها : عشرون وثمان عند يزيد ، وتسع عند غيره .

وخلافها : آية « فأين تذهبون » لغيره

(٨) عدد الحروف عن « بصائر ذوي التمييز » لوجود شبه بياض بالأصل .

وتقدمت نظيرتها عند غيره « الفتح » ، وفى البصرى والدمشقى « نوح » .
ورويها : « تسنّم » .

وفواصلها :
كورت - انكدرت - سيرت - عطلت - حشرت - سجرت - زوجت - سئلت - قتلت - نشرت - كشطت - سعرت - أزلفت - احضرت - بالخنس - الكنس - عسعس - تنفس - كريم - مكين - أمين - بمجنون - المبين - بضنين - رجيم - تذهبون - للعالمين - يستقيم - العالمين .

سورة الانفطار

مكية .
وحروفها : ثلاثمائة وسبعة وعشرون .
وكلمها : ستون
وآيها : تسع عشرة .
ونظيرتها فى الكوفى « الأعلى » و« اقرأ » ، وفى غيره « الأعلى » وتقدمت نظيرتها فى البصرى « المزمل » .
وفيها مشبه الفاصلة : موضعان : « قدّمت » ، « فسواك » .
ورويها : « مكنته » .
وفواصلها :
انفطرت - انتثرت - فجرت - بعثرت - وأخرت - الكريم - فعدلك - ركبك - بالدين - لحافظين - كاتبين - تفعلون - نعيم - جحيم - الدين - بغائبين - الدين - الدين - لله .

سورة التطفيف

مكية ، وقال عكرمة: مدنية .
وحروفها : سبع مائة وثلاثون .
وكلمها : مائة وتسع وستون .
وآيها : ست وثلاثون . وتقدمت نظيرتها فى غير الكوفى « الجاثية » .
ورويها : « نم » .
وفواصلها :
للمطففين - يستوفون - يُخسِرون - مبعوثون - عظيم - العالمين - سجين - سجين - مرقوم - للمكذبين - الدين - أثيم - الأولين - يكسبون - لمحجوبون - الجحيم - تكذبون - عليين - عليون - مرقوم - المقربون - نعيم - ينظرون - النعيم - مختوم - المتنافسون - تسنيم - المقربون - يضحكون - يتغامزون - فكهين - لضالون - حافظين - يضحكون - ينظرون - يفعلون .

سورة الانشقاق

مكية .
وحروفها : أربعمائة وثلاثون .
وكلمها : مائة وتسع .
وآيها : عشرون وثلاث بصرى ودمشقى ، وأربع حمصى ، وخمس حرمى وكوفى .
وخلافها : خمس « كادح » « وكدحا » حمصى « فملاقيه » غيره « بيمينه » « وظهره » حرمى وكوفى .
ورويها : « قهرتمان » .
وفواصلها : انشقت - وحقت - ومدت - وتخلت - وحقت - فملاقيه - بيمينه - يسيراً - مسروراً - ظهره - ثُبُوراً - سعيراً - مسروراً - يَحورَ - بصيراً - بالشفق - وسق - اتسق - طبق - يؤمنون - يسجدون - يكذبون - يوعون - أليم - ممنون .

سورة البروج

مكية .

وحروفها : أربعمائة وثلاثون ، أو وثمانية[9] وخمسون أو ستون .

وكلمها : مائة وتسع كـ « الانشقاق » فيهما .

وآيها : ثنتان وعشرون وتقدمت نظيرتها في غير المكي والأخير « المجادلة » .

ورويها : « قرظ طب جد » .

وفواصلها :

البروج ـ الموعود ـ ومشهود ـ الأخدود ـ الوقود ـ قعود ـ شهود ـ الحميد ـ شهيد ـ الحريق ـ الكبير ـ لشديد ـ ويعيد ـ الودود ـ المَجِيد ـ يريد ـ الجنود ـ وثمود ـ تكذيب ـ محيط ـ مجيد ـ محفوظ .

سورة "والطارق"

مكية .

وحروفها : مائتان وتسعة وثلاثون .

وكلمها : إحدى وستون .

وآيها : عشر وست مدني أول ، وسبع في الباقي .

وخلافها : آية « يكيدون كيدا » غير أول .

ونظيرتها فيه « والشمس » .

ورويها : « ظل بق عابر[10] » .

وفواصلها .

والطارق ـ الطارق ـ الثاقب ـ حافظ ـ مِمَّ خُلِقَ ـ دافق ـ الترائب ـ لقادر ـ السرائر ـ ناصر ـ الرجع ـ الصدع ـ فصل ـ الهزل ـ كيدا ـ كيدا ـ رويدا .

سورة الأعلى

مكية ، وقال الضحاك : مدنية .

وحروفها : مائتان وواحد وسبعون أو وتسعون .

وكلمها : اثنتان وسبعون كـ « العلق » .

وآيها : تسع عشرة وتقدمت نظيرتها « الانفطار » ، وفي البصري « المزمل » ورويها « الألف » .

وفواصلها :

الأعلى ـ فسوى ـ فهدى ـ المرعى ـ أحوى ـ تنسى ـ يخفى ـ لليسرى ـ الذكرى ـ يخشى ـ الأشقى ـ الكبرى ـ يحيى ـ تزكى ـ فصلى ـ الدنيا ـ وأبقى ـ الأولى ـ وموسى .

سورة الغاشية

مكية .

وحروفها : ثلاثمائة وأحد وتسعون .

وكلمها : ثنتان وتسعون .

وآيها : ست وعشرون .

وفيها مشبه غير[11] الفاصلة موضعان « ضريع » « جوع » .

ورويها « مترعة » .

---

(٩) اقتصر صاحب البصائر على العدد الأخير فقال : وحروفها : أربعمائة وثمان وخمسون .

(١٠) في البصائر « عاد » لا « عابر » كما هنا ويبدو أن زيادتها هنا راجعة لخطأ في النسخ .

(١١) تتفق العبارة في المعنى مع ما في "الاتحاف" حيث يقول : « مشتبه غير الفاصلة « ضريع » « جوع » .

وفواصلها :
الغاشية ـ خاشعة – ناصبة ـ حامية ـ آنية ـ ضريع ـ جوع ـ ناعمة ـ راضية ـ عالية ـ لاغية ـ جارية ـ مرفوعة ـ موضوعة ـ مصفوفة ـ مبثوثة ـ خلقت ـ رفعت ـ نصبت ـ سطحت ـ مذكر ـ بمصيطر ـ وكفر ـ الأكبر ـ إيابهم ـ حسابهم .

سورة والفجر

مكية : وقال ابن أبى طلحة : مدنية
وحروفها : خمسمائة وسبعة وتسعون .
وكلمها : سبع وثلاثون .
وآيها : عشرون وتسع بصرى ، وثلاثون كوفى وشامى، واثنان حرمى .
وخلافها : خمس : « وَنَعَّمَهُ » و « عليه رزقه » حرمى وحمصى فى الأول . و « أكرمَن » غيره . « بجهنم » حرمى وشامى « فى عبادى » كوفى . وتقدمت .
نظيرتها فى البصرى « الفتح » . و« الحديد » .
وفيها مشبه الفاصلة موضع « عذاب » .
ورويها : « ندم هارب[12] ».
وفواصلها :
والفجر ـ عشر ـ والوتر ـ يسر ـ حجر ـ بعاد ـ العماد ـ البلاد ـ بالواد ـ الأوتاد ـ البلاد ـ الفساد ـ عذاب ـ المرصاد ـ أكرمن ـ أهانن ـ اليتيم ـ المسكين ـ لما ـ جما ـ دكا ـ صفا ـ الذكرى ـ لحياتى ـ أحد ـ أحد ـ المطمئنة ـ مرضية ـ [عبادى][13] جنتى .

سورة البلد

مكية .
وحروفها : ثلاثمائة وواحد وثلاثون
وكلمها : اثنتان وثمانون .
وآيها : عشرون ، ونظيرتها فى الحرمّى « اقرأ » وتقدمت .
نظيرتها فى الأول والمكى والكوفى . والدمشقى « المزمل » .
ورويها : (دنة)[14] .
وفواصلها :
البلد ـ البلد ـ ولد ـ كبد ـ أحد ـ لُبَدًا ـ أحد ـ عينين ـ وشفتين ـ النجدين ـ العقبة ـ العقبة ـ رقبة ـ مسغبة ـ مقربة ـ متربة ـ بالمرحمة ـ الميمنة ـ المشأمة ـ مُؤْصَدَةَ .

سورة الشمس

مكية :
وحروفها : مائتان وستة وأربعون .
وكلمها : أربع وخمسون .
وآيها : خمس عشرة فى غير الأول قيل ومكى ، وست لهما .
وخلافها : ثنتان « فعقروها » الأوّل وحمصى « فسوّاها » غيره وتقدّمت .
نظيرتها فى الأول « والطارق »

(١٢) كذا بالصورة وفى البصائر (ها روت ندم) . وهو أدق
(١٣ لم تكن بالصورة
(١٤) فى البصائر : هدنا

ورويّها : (الألف)
وفواصلها :
وضحاها - تلاها - جلاها - يغشاها - بناها - طحاها - سواها - وتقواها - زكاها - دساها - بطغواها - أشقاها - وسقياها - فسواها - عقباها .

سورة والليل

مكية : وقال ابن أبى طلحة: مدنية .
وحروفها : ثلاثمائة وعشرة .
وكلمها : إحدى وسبعون .
وأيها : إحدى وعشرون وتقدمت .
ونظيرتها فى المكى والأخير « المجادلة »
وفيها مشبه الفاصلة : موضع « أعطى »
ورويها (الألف)
وفواصلها :
يغشى - تجلى - والأنثى - لشتى - واتقى - بالحسنى - لليسرى - واستغنى - بالحسنى - للعسرى - تردّى - لَلْهُدَى - والأُولَى - تلظى - الأشقى - وتولى - الأتقى - يتزكى - تجزى - الأعلى - يرضى .

سورة والضحى

مكية :
وحروفها : مائة واثنان وسبعون .
وكلمها : أربعون كـ « العاديات »
وأيها : إحدى عشرة وتقدمت .
نظيرتها : « الجمعة »
ورويها[15]: (وق)
وفواصلها :
والضحى - سجى - قلى - الأولى - فترضى - فآوى - فهدى - فأغنى - تقهر - تنهر - فحدّث .

سورة الشرح

مكية .
وحروفها : مائة وخمسون .
وكلمها : سبع وعشرون .
وأيها ثمان .
ونظيرتها فى الحرمى والكوفى « لم يكن » وفى الأول والكوفى « والتين » و « لم يكن » و « إذا زلزلت » « والهاكم » ، وفى الأخير والمكى إلا (زلزلت) والبصرى والشامى « والتين » « والقارعة » « والهاكم » .
ورويها : (بكر)
وفواصلها :
صدرك - وزرك - ظهرك - ذكرك - يُسْرا - يُسْرا - فانصب - فارغب .

سورة والتين

مكية .
وحروفها : مائة وخمسون .
وكلمها : أربع وثلاثون .
وأيها : ثمان وتقدمت نظراؤها بالشرح ..

(١٥) يبدو - والله أعلم - أنها (رثى) تغيرت مع النسخ إلى هذا التصحيف . وفى البصائر (ثرا) وهى حروف (رثى) .. فأما (وق) المذكور فلا وجه له

ورويها (نم)
وفواصلها :
والزيتون - سنين - الأمين - تقويم - سافلين - ممنون - بالدين - الحاكمين -

سورة اقرأ

مكية :
وحروفها : مائتان وثمانون .
وكلمها : ثنتان وسبعون .
وآيها: ثماني عشرة دمشقى ، وتسع عراقى وحمصى ، وعشرون حرمى .
وخلافها ثنتان « يَنْهَى » غير دمشقى (يَنْتَهِ) حرمى وتقدمت نظيرتها فى غير الأخير « المزمل » .
وفيها مشبه الفاصلة : موضعان « ناصية كاذبة » ، وعكسه « ناديه » .
ورويها (بقاهم)
وفواصلها :
خلق - علق - الأكرم - بالقلم - يعلم - ليطغى - استغنى - الرجعى - ينهى - صلى - الهدى - بالتقوى - وتولى - يرى - بالناصية - خاطئة - ناديه - الزبانية - واقترب .

سورة القدر

قال ابن عباس ومجاهد : مدنية ، وقتادة : مكية
وحروفها : مائة واثنا عشر .
وكلمها : ثلاثون .
وآيها خمس مدنى وعراقى ، وست مكى وشامى .
وخلافها : آية - ثالث « القدر » - لهما .
ونظيرتها فى المدنى « الفيل » و « قريش » و « تبت » و « الفلق » ، والعراقى الأولى والأخيران ، والمكى والشامى « أرأيت » و « الكافرون »
ورويّها[16] : (را)
وفواصلها :
القدر - القدر - شهر - أمر - الفجر .

سورة لم يكن

مدنية :
وحروفها : ثلاثمائة وستة وتسعون .
وكلمها : أربع وتسعون .
وآيها : ثمان حرمى وكوفى . وتسع بصرى وشامى .
وخلافها : آية « له الدين » لهما .
ونظيرتها فى البصرى والشامى « الزلزلة » و « الهُمَزَة » وتقدّمت فى غيرها « الشرح » .
وفيها مشبه الفاصلة : موضعان : « المشركين» معا .
ورويّها : (الهاء)
وفواصلها :
البينة - مطّهرة - قيّمة - البّينة - القيّمة - البريّة - البريّة - ربّه .

سورة الزلزلة

مدنية :
وحروفها : مائة وتسعة وأربعون .

(١٦) يريد (راء)

وكلمها : خمس وثلاثون .
وآيها : ثمان كوفى والأول ، وتسع فى الباقى .
وخلافها : آية « أشتاتاً » غيرهما .
ونظيرتها فى المكى والأخير « الزلزلة »[١٧]
ورويّها : (هما)
وفواصلها :
زلزالها ـ أثقالها ـ مالها ـ أخبارها ـ لها ـ أعمالهم ـ يره ـ يره .

سورة العاديات

مكية :
وحروفها : مائة وثلاثة وستون .
كلمها : أربعون .
وآيها : إحدى عشرة وتقدمت نظيرتها « الجمعة » و « المنافقون » « والضحى »
ورويّها (دع حر)
وفواصلها :
ضبحا ـ قدحا ـ صبحا ـ نقعا ـ جمعا ـ لكنود ـ لشهيد ـ لشديد .
القبور ـ الصدور ـ لخبير .

سورة القارعة

مكية : وحروفها : مائة واثنان وخمسون .
كلمها : ست وثلاثون .
آيها : ثمان بصرى وشامى ، وعشر حرمى ، وإحدى كوفى .
وخلافها : ثلاث : أولى « القارعة » كوفى « موازينه » كلاهما مع حرمى .
ونظيرتها : « الهاكم » وتقدمت نظيرتها فى البصرى والشامى « الشرح » و « التين » ، والكوفى « الجمعة » ونظراؤها .
ورويّها : (شثه)
وفواصلها :
القارعة ـ القارعة ـ القارعة ـ المبثوث ـ المنفوش ـ موازينه ـ راضية ـ موازينه ـ هاوية ـ ماهيه ـ حامية .

سورة ألهاكم

مكية
وحروفها : مائة وعشرون .
وكلمها : ثمان وعشرون .
وآيها : ثمان وتقدمت نظيرتها فى البصرى والشامى « الشرح والتين والقارعة » .
ورويّها : (نمر)
وفواصلها :
التكاثر ـ المقابر ـ تعلمون ـ تعلمون ـ اليقين ـ الجحيم ـ اليقين ـ النعيم ـ

سورة والعصر

مكية : وحروفها : ثمانية وستون .

---

(١٧) كذا وهو خطأ فى النسخ ، وقد سبق فى الفصول الأولى من الكتاب (فصل اتفاق السور فى الآى) فى « نظائر الأول ثمانية عشر » قال : « الشرح والزلزلة » وفى ذكره (سورة لم يكن) قال : ونظيرتها فى البصرى والشامى « الزلزلة » ومن قبل ذلك فى سورة (الشرح) قال : ونظيرتها فى الحرمى والكوفى (لم يكن) وفى الأول « والتين » و « لم يكن » و « إذا زلزلت » .
وهذا يعنى ـ إجمالاً أن نظيرة الزلزلة : « الشرح » لدى فريق و « البينة » لدى آخر . ووجدنا فى « البيان فى عد آى القرآن » للإمام أبى عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان المقرىء الدانى عند حديثه عن سورة الزلزلة . قال : ونظيرتها فى المدنى الأخير والمكى « الهمزة »فقط .

وكلمها : أربع عشرة .
وآيها : ثلاث متفقة الإجمال .
وخلافها : ثنتان « والعصر » غير الأخير ، « بالحق » له .
ونظيرتها :« الكوثر والنصر »
وفيها مشبه الفاصلة : موضع « الصالحات »
ورويّها (الراء)
وفواصلها :
والعصر - خسر - بالصبر .

سورة الهُمَزَة

مكية :
وحروفها : مائة وثلاثة وثلاثون .
وكلمها : ثلاث وثلاثون .
وآيها : تسع وتقدمت
نظيرتها فى البصرى والشامى « لم يكن والزلزلة » .
وفيها مشبه الفاصلة : موضع (هُمَزَة)
ورويّها (الهاء)
وفواصلها :
لمزة - وعدده - أخلده - الحطمة - الحطمة - الموقدة - الأفئدة - مؤصدة - ممددة .

سورة الفيل

مكية :
وحروفها : ستة وتسعون .
وكلمها : ثلاث وعشرون كـ « تَبَّتْ والفلق »
وآيها : خمس

ونظيرتها فى الحرمى « قريش وتّبت والإخلاص . والفلق » والشامى الثلاثة الأُخَر . وتقدمت .
نظيرتها فى غيرهما « القدر »
ورويّها : (اللام)
وفواصلها :
الفيل - تضليل - أبابيل - سجيل - مأكول .

سورة قريش

مكية :
وحروفها : ثلاثة وسبعون .
وكلمها : سبع عشرة .
وآيها : أربع عراقى ودمشقى ، وخمس حرمّى وحمصى .
وخلافها : آية :« من جوع » لهما ،
ونظيرتها فى الحرمى « الفيل »
ورويها : (شفت)
وفواصلها :
قريش - والصيف - البيت - خوف -.

سورة أرأيت

مكية[18]
وحروفها : مائة واثنا عشر . أو ثلاثة عشر .
وقال عطاء : وخمسة وعشرون .
وكلمها : خمس وعشرون كـ « الفاتحة »
وآيها : ست حرمى . ودمشقى ، وسبع عراقى وحمصى .

(١٨) هى « الماعون »

ونظيرتها فى المدنى « الكافرون والناس » ، والمكى والشامى « الكافرون . والقدر » ، والعراقى « الحمد » ورويها (نم)

وفواصلها :

الدين ـ اليتيم ـ المسكين ـ للمصلين ـ ساهون ـ الماعون .[19] .

سورة الكوثر

مكية

وحروفها : اثنان وأربعون .

وكلمها : عشر .

وآيها : ثلاث .

ونظيرتها : « العصر والنصر » وتقدمت .

ورويها (الرآء) .

وفواصلها :

الكوثر ـ وانحر ـ الأبتر .

سورة الكافرون

مكية .

وحروفها : أربعة وتسعون .

وكلمها : ست وعشرون .

وآيها : ست .

ونظيرتها فى العراقى « الناس » وتقدمت فى غيرهما .

ورويها : (ندم) .

وفواصلها :

الكافرون ـ تعبدون ـ أعبد ـ عبدتم ـ أعبد ـ دين .

سورة النصر

مدنية .

وحروفها : سبعة وسبعون كـ « المسد »

وكلمها : تسع عشرة .

وآيها : ثلاث وتقدمت .

نظيرتها : « والعصر والكوثر » .

ورويها : (حجب) .

وفواصلها .

والفتح ـ أفواجا ـ توابا .

سورة تبت

مكية .

وحروفها : سبعة وسبعون كـ «النصر »

وكلمها :ثلاث وعشرون كـ « الفيل والفلق » .

وآيها : خمس ، قال ابن شنبوذ قال عطاء : عن الشامى ست ولعله عدّ « أَبِى لهب » وهى تشبه الفاصلة .

ونظيرتها « الإخلاص » فى المكى والشامى ، و« الفلق » فى الكل وتقدّمت « الفيل » .

ورويها : (دب) .

وفواصلها .

وتبَّ ـ كسب ـ لهب ـ الحطب ـ مسد .

(١٩) هنا وافق المؤلف فى عد الآى الحرمى والدمشقى دون غيرهما ممن عد السورة سبع آيات فجعل « يراءون » فاصلة ، وفى بصائر ذوى التمييز عن المختلف فى عدّه قال : المختلف فيها آية « يراءون » .

سورة الإخلاص

قال ابن عباس : مدنية ، ومجاهد وقتادة : مكية .

وحروفها : سبعة وأربعون .

وكلمها : خمس عشرة .

وآيها : أربع مدني وعراقي ، وخمس مكي وشامي .

وخلافها : آية (لم يلد) لهما وتقدمت .

نظيرتها في المكي « الفيل » ، والعراقي « قريش » .

ورويها : (الدال) .

وفواصلها :

أحد ـ الصمد ـ يولد ـ أحد .

سورة الفلق

قال ابن عباس ومجاهد : مدنية ، وقتادة : مكية .

وحروفها : سبعة وتسعون كـ « الناس » .

وكلمها : ثلاث وعشرون كـ « الفيل والمسد » .

وآيها : خمس ، وقال أبو حِيوَةَ : أربع .

قال ابن شنبوذ : لعله لم يعد « الفلق » وتقدمت نظراؤها[20] بـ « قريش » .

ورويها : « دبق » .

وفواصلها :

الفلق ـ خلق ـ وقب ـ العقد ـ حسد .

سورة الناس

قال ابن عباس ومجاهد : مدنية ، وقتادة : مكّية .

وحروفها : سبعة وتسعون كـ « الفلق » .

وكلمها : عشرون .

وآيها : ست مدني وعراقي ، وسبع مكي وشامي .

خلافها آية « الوَسْواس » لهما .

ورويّها « السين » .

وفواصلها :

الناس ـ الناس ـ الناس ـ الخناس ـ الناس ـ والناس .

[حروف المعجم بترتيب مخارجها][21]

وقد ختمت الكتاب بعدد كل حرف من حروف المعجم على ترتيب مخارجها :

الهمزة : ثمانية وأربعون ألفا وثمانمائة واثنان وسبعون .

الألف : أربعة آلاف وسبعمائة وتسعة .

الهاء : سبعة عشر ألفا وتسعون .

العين : تسعة آلاف وأربعمائة وتسعة عشر .

الحاء : أربعة آلاف ومائة وثلاثون .

الغين : ألف ومائتان وتسعة عشر .

---

(٢٠) كذا ، ولعله : نظيرها بـ « قريش » .

(٢١) أضفنا هذا العنوان وجعلناه بين قوسين مربعين وهو لم يرد في نص الكتاب .

الخاء : ألفان وخمسمائة وثلاثة .

القاف : ستة آلاف وثمانمائة وثلاثة عشر .

الكاف : عشرة آلاف وخمسمائة واثنان وعشرون .

الجيم : ثلاثة آلاف وثلاثمائة واثنان وعشرون .

الشين : ألفان ومائة وخمسة وعشرون .

الياء : خمسة وعشرون ألفا وسبعمائة واثنان وثمانون .

اللّام : ثلاثة وثلاثون ألفا وخمسمائة واثنان وعشرون .

النّون : كالميم : ستة وعشرون ألفا وتسعمائة واثنان وعشرون .

الراء : اثنا عشر ألفا ومائتان وأربعون .

الطاء : ألف ومائتان وأربعة وستون .

الدال : خمسة آلاف وسبعمائة وثمانية وتسعون .

التاء : عشرة آلاف وأربعمائة وسبعون .

الصاد : ألفان وسبعة وثمانون .

السّين : أحد عشر ألفا وخمسمائة وتسعة وتسعون .

الزاى : ألف وخمسمائة وثمانية .

الظاء : ثمانمائة واثنان وأربعون .

الذال : خمسة آلاف وستمائة وثمانية وتسعون .

الثاء : ألف وأربعمائة وأربعون .

الفاء : ثمانية آلاف وأربعمائة وتسعة وتسعون .

الباء : أحد عشر ألفا وأربعمائة وثمانية وعشرون .

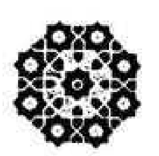
الميم : ستة وعشرون ألفا وسبعمائة واثنان وعشرون .

الواو : خمسة وعشرون ألفا وخمسة وثمانون[٢٢] .

وهذا كتاب المدد في العدد والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله تسليما كثيراً دائماً .

تم

« والحمد لله »



(٢٢) هنا سَقْط لعله من الناسخ حيث لم يذكر الضاد

وقد رجعنا ـ لاتمام الفائدة ـ إلى بصائر ذوى التمييز ١ / ٥٦٣ و٥٦٥ فوجدنا الفيروزابادى رحمه الله كتب يقول عقب رواية عن عبد الواحد الضرير أعقبها بذكر عدد الحروف :

وجملة الضادات ألفان ومائتان وثلاثمائة وتسع ضادات .



المسيرة الإسلامية

في العصر الحديث



لفضيلة الأستاذ
د. رءوف شلبي
وكيل الأزهر

٢ - الاستيلاء على التبرعات

كان الملك فيصل بن عبد العزيز - رحمه الله - سخى اليد والعطاء من أجل خدمة الدعوة الإسلامية وكان - رحمه الله - شديد العاطفة نحو المسلمين فى خارج المحيط العربى ، فإذا ما اقتنع بضرورة تقديم خدمة للإسلام فى بقعة يُحاصر فيها المسلمون فإنه يعطى .

وقد حوصرت جهود المسلمين فى أحد البلاد الإسلامية ، ولم تكن هناك مطبعة يطبع فيها للإسلام شىء غير مطبعة استعمارية صليبية تغالى على المسلمين وتمتص دماءهم . وتطبع لهم أردأ طباعة فى أقبح إخراج .. وعلم الملك فيصل - رحمه الله - بما فيه هؤلاء المسلمون من ضيق فأرسل مائة ألف جنيه استرلينى لبناء مطبعة إسلامية لفك هذا الضيق .

وكان المفروض أن يسرع الذين قبضوا هذا المبلغ فى إنشاء المطبعة خدمة للإسلام والمسلمين أولاً ، ثم خدمة لوطنهم الكبير الذى يحتاج إلى مساعدة منهم ثانياً ، فوفاء بالالتزام الذى تحملوه أمام الله ثم الملك فيصل رحمه الله .

ولكن الذى حدث أن رفعت لافتة على قطعة أرض فى أكبر شوارع العاصمة لكى يراها كل الناس وكتب عليها (أرض مخصصة لبناء المطبعة الإسلامية) .

واستمرت اللافتة معلقة على هذه الأرض حتى استشهد الملك فيصل - رحمه الله - وما قامت المطبعة ولا رآها الناس إلى يومنا

←

هذا ، وضاع بذلك على المسلمين باب فرج ومساعدة لبناء مطبعة مستقلة عن التبعية للمطبعة الصليبية الاستعمارية التي لا تؤتمن على سر ، ولا يوثق فيها اخلاقياً ، وتمتص دماء المسلمين ، وتخرب ذممهم ..!!!

● وبعض آخر كان « نصف أمين » إذ تقبل المنحة المالية ثم بنى عدة فصول دراسية ، وأقام « فيللا » فخمة من نفس الأموال الموقوفة على العمل الإسلامي .

● وبعض آخر تاجر في أموال الوقف أو التبرع فوضعها في البنوك ليجتر فائدة معينة إلى زمن معين ، ومن ريع هذا المال يأخذ في تنفيذ المشروعات بتلكؤ ، وتعثر ، وسير بطيء .

● وبعضهم يدخر هذه التبرعات لينفق منها على سفرياته إلى أوروبا وامريكا ليخطب خطبة « عصماء » ، ثم يرجع وقد اقتنع أنه أنفق المال في سبيل الدعوة الإسلامية ..

وقد سافرت إلى ماليزيا في يناير سنة ١٩٨١ وزرت داراً مسلمة للأيتام في منطقة سكانها جميعاً بوذيون فوجدت بعض هؤلاء الذين يجمعون آلافا مؤلفة من الدولارات للعمل الإسلامي وقد كتبت كلمة بليغة مقدراً هذا العمل الجليل الذي يرعى براعم المسلمين ، ولما سألت مدير الدار عن القيمة التي تبرع بها صاحبنا قال : لا شيء ، فكتبت تحت الكلمة : ياشيخ فلان ، إذا جئت زائراً هذه الأماكن فاحمل معك من أموال المسلمين ما تدفع به عن أصحاب هذه الحقوق غيلة الفقر والفاقة .

● وبعض آخر يأخذ الزكاة ويدخرها ليشتري بها ماء وجوه الناس فيدفعها عند أهله أو أهل أصحابه أو أتباعه للمساعدة في مشروعات تحسب لاسمه ، ويمتدح بها . ويتيه بها على الناس فخراً وإعجاباً .

ويكون كل هذا باسم العمل الإسلامي !!

إن الله لا يتقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم ، ﴿ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ .

٣ ـ فرض وصاية على العاملين في

حقل الدعوة الإسلامية

في عام ١٩٧٤ جاءني صحب كريم يستحثونني للإسهام في تذليل العقبات أمام العلامة المجاهد الكبير الذي يدفع عن الإسلام غيلات الزحف الشيوعي ، وهجمات التيارات المناهضة للإسلام ، وذلك ليقبل بحثه الذي يريد أن يتقدم به لنيل درجة (الدكتوراه) وكانت مدته القانونية قد انتهت وكان موضوع رسالته غير لائق علمياً مع الكلية التي يطلب منها شهادة «الدكتوراه».

واذكر أنهم يوم عرضوا عليّ مسألته قد افهموني أن الإسلام سوف يضيع على ضفاف سلسلة من الدويلات الإسلامية الأسيوية المتاخمة بمنطقة الشرق الأوسط إذا لم يحمل ذلك الرجل شهادة«الدكتوراه»، فإنها سلاح له من أجل رفع كلمة التوحيد ، ونشر مبادىء الإسلام ، ومحاربة التبشير وخلايا الشيوعية المتسربة في كل شبر .. إلخ .. وصدقتهم لأنه رجل له سمعة طيبة ايام كان طالباً ..

وشاء الله وأذن وهو وحده المدبر والمسير للأمور ومنح هذا العالم ذائع الصيت شهادة الدكتوراه بعد بذل مساع عديدة وكثيرة ومتنوعة لفتح باب قبول البحث للمناقشة .

ودارت الأيام وسمح الله لى أن أطلع على الأحوال فى هذه البلاد فوجدت (المجاهدين فى سبيل الله) قد قلبوا العمل الإسلامى إلى عصابة قاطعة للطريق وهى أيضاً تتعلل بهذه العلة :

« الجهاد فى سبيل الله »

لقد وجدت هؤلاء القوم قد فرضوا وصاية على كل كلمة تقال حتى ولو كانت من بعض أصحابهم لأنهم يرفضون صوتاً يعلو على صوت إمامهم وشيخهم ، فالعمل الإسلامى هنا يسير بإشارة من سبابته وليس لأحد رأى .

فلا أحد يظهر فى « التلفاز » ولا يتكلم متكلم فى الإذاعة ولا يصعد أحد منبراً ، ولا ينشط فى جهة من الجهات إلا بإذنه وأمره . ولو صادف أن استطاع واحد أن يفلت من الحصار فإنه ينبه على الأتباع الا يذهبوا إلى الاستماع إلى ذلك المنشق المتطاول على أسياده ، ومن يذهب يعاقب ويهدد بإلغاء عقد عمله ، أو الطرد من محبة ذلك الكبير .

يضاف إلى هذا الشائعات التى تلاحق ذلك المنشق والافتراءات والمكايد وتسلط السفهاء عليه .. يتم ذلك كله باسم « الجهاد فى سبيل الله » .

هذا جانب ، وثمة جانب آخر : فقد قسم هؤلاء الأصحاب المنافع وجلب الأموال على جغرافية تلك البلاد ، فالذى يقطن الطرف الغربى منها يستحوذ عليه ويؤلب الناس لصالحه ، ويغلق أبواب منطقته على من يسكن وسطه أو شماله أو شرقه ..

وتجد بين هؤلاء الأخلاء ـ الذين « يجاهدون فى سبيل الله » متخاصمين متقاتلين من أجل وضع قوسين على كل المنافع لصالح كل منفرداً .

وكان من ثمرة ذلك أن ضاع الجهاد فى سبيل الله وانزوى هؤلاء فى نقرة من الحقد ، وانطلق التبشير يقيم كنائس فارهة واسعة عالية ، وانفسح المجال له للمراسلة والدعوة إلى داخل قعر بيوت أولئك الذين اداروا للإسلام ظهورهم واقبلوا على الدنيا ببهرجها وزخرفها ، ولا زالوا ـ للأسف ـ يكذبون على الله وعلى الناس ويقولون : « إنهم مجاهدون فى سبيل الله » وإنهم هم الأوصياء على دين الله وكل من يعمل فيه ...!؟

فانظر إلى خلفية الجهاد الحقيقى فى التصور الإسلامى ، وانظر إلى المنصب المبتدع الذى أضفاه هؤلاء المتاجرون باسم الإسلام فجعلوا أنفسهم الأوصياء على دين الله ، وعلى كل من يعمل فى سبيل الدعوة إلى الله ...

هل يتصور أن قوماً يزكون انفسهم بدون مبرر ولا أصل يتقبل الله منهم عملاً فينصرهم .

إن نصر الحركة الإسلامية المعاصرة مؤجل حتى يستغفر الله المذنبون من فعالهم التى لا تتفق مع اخلاق الدعوة وأخلاق الجهاد النقى بصدق لتكون كلمة الله هى العليا .

خامساً :

وبعد : فما الحل ؟

● قبل أن نرقى إلى التجرد الشفاف الذى يفرض علينا حلول هذه الأخطاء أحس بسؤال يضغط على أعصاب كل مخلص ، وهذا السؤال هو : هل سنقبل الحل ..؟

إن بعض الأمراض تصيب بعض الناس فيتلذذ حتى يصير الداء الذ من الدواء ، وبخاصة أولئكم الذين يعيشون فى الوهم ويقنعون أنفسهم بأن أحلام اليقظة آمال ممكنة ستتحقق .

إن الله جل جلاله قد وضع ـ فى سورة التوبة ـ مواصفات للعقلية الإسلامية التى تنصاع للحق فتنساق فى سلوكيات يتطلبها الإيمان الصادق .

يقول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُوا ءابَاءَكُمْ وَإِخوَانَكُم أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءابَاؤُكُمْ وَأَبنَاؤُكُمْ وإِخوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَموَالٌ اقتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِىَ اللهُ بِأَمرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

وهذه التجلية لمطالب الإيمان مرحلة أساسية فى صحة العقيدة وقد أطنب القرآن الكريم فى كثير من سوره وآياته ليوضح مدلول المؤمن الخالص الصادق .

ففى سورة التوبة :

﴿ لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لأَتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ استَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُم يُهلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُم لَكَاذِبُونَ ﴾ . [التوبة]

ويقول جل شأنه :

﴿ لاَ يَستَأذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِم وَأَنفُسِهِمْ وَاللهُ عَلِيمُ بِالْمُتَقِينَ . إِنَّمَا يَسْتَأذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُم فَهُم فِى رَيْبِهِم يَتَرَدَّدُونَ . وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ . [التوبة] ٤٤ .

إذن العقلية المسلمة الصادقة هى التى تنزع إلى الجانب السلوكى لمطالب الإيمان دون ريب أو اعتذار أو تبرير أو تأويل وتتجلى الصفات الإيجابية للشخصية الإسلامية فى سورة النور .

حيث يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤمِنُونَ الَّذِينَ ءامَنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّى يَسْتَأذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأذِنُونَكَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا استَأذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنهُم وَاسْتَغْفِر لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ . [النور]

وتنضم سورة الحجرات إلى هذه الأريحية فى تبيان خصائص الشخصية المسلمة الخالصة فيقول الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ . [الحجرات] .

وفى « الأنفال » يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ . أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ . [الأنفال] .

وهذه الشخصية الإسلامية لها آصرة يترابط بها المؤمنون جميعاً فتجعل الأمة الإسلامية كلها جسداً واحداً فى تحمل المسئوليات وتقبل التوجيهات ، يقول الله تعالى :

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ . [التوبة] .

والقرآن الكريم حريص كل الحرص على أن يثبت للتاريخ أن هذه الآصرة طبقت ونفذت حسبما نزلت آيات القرآن ، تفصل سمات الشخصية الإسلامية ، يقول الله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ . [الحشر] .

ولقد باتت السنة المطهرة تحرس هذه الإيجابيات السلوكية وتؤكد وجوب استمراريتها كخاصية للأمة الإسلامية ففى السنة الصحيحة :

● لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

● ترى المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر . « رواه مسلم » .

ومن دقة الحرص النبوى على تلقائية استمرار هذه الشخصية المؤمنة حذر النبى ﷺ من كل خصلة سيئة تفرق الأمة أو تهدد تلقائية الاستجابة للتكاليف الشرعية ففى السنة المطهرة :

● « إن الله عز وجل ... كره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » " رواه مسلم " .

● « لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » " رواه البخارى " .

● كفى بالمرء فقها إذا عبد الله ، وكفى بالمرء جهلاً إذا أعجب برايه(١) .

● من علامات الساعة التدافع على الإمامة(٢) .

---

(١) هو اثر ففى الدارمى - رضى الله عنه - عن مسروق قال : « كفى بالمرء علما ان يخشى الله وكفى بالمرء جهلاً ان يعجب بعمله » الدارمى - المقدمة ٣٤ / ٢٨٩ .

(٢) فى سنن أبى داود ١/١٣٧ عن سلامة بنت الحر الفزارى قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن من أشراط الساعة ان يتدافع اهل المسجد لا يجدون إماماً يصلى بهم » .

وفى مسندها عند احمد ٦/٣٨١ (الميمنية « يأتى على الناس زمان يقومون ساعة لا يجدون إماما يصلى بهم » . . « إن من اشراط الساعة - او فى شرار الخلق - ان يتدافع أهل المسجد لا يجدون إماماً يصلى بهم ») .

● دع ما يريبك إلى ما لا يريبك[٣] إلى آخر مثل هذه الأحاديث الشريفة .

هكذا صان لنا مولانا وسيدنا رسول الله ﷺ الشخصية المؤمنة كشخصية عملية إيجابية تستجيب لنداء الله ورسوله إذا دُعُوا لما يحييهم .

هل نستطيع أن ننفذ أوامر الله ورسوله دون حرص على المصلحة الشخصية وشهوة الحكم ، والشهرة ، وجمع المال .

إن كان الأمر كذلك فما أيسر الحل وأقربه ، وإن كان غير ذلك فما أصعبه وأبعده ؟؟ !!

أما عنْ الحل ففى آيات بينات من كتاب الله تعالى :

﴿ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر] .

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ . [الحجرات] .

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ . [الأنفال] .

﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ [المائدة] .

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ . [الفرقان] .

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ . [النساء] .

فهل ستقدر العقلية المسلمة المعاصرة وهى متدابرة متصارعة تنهبها السياسة نهبا وتقطعها الإقليمية تقطيعاً ، وتمزقها الأهواء تمزيقاً ، وتبيعها الأهواء بثمن بخس ..

هل ستقدر العقلية المسلمة المعاصرة على تقبل قسوة هذا الحل ؟؟؟

أما السنة النبوية الشريفة فقد تفاعلت بوجود جماعة مخلصة تحمى حمى الإسلام وجماعة المسلمين ففى السنة :

● لا يزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون « رواه البخارى » .

● يرث هذا العلم من كل خلف عدوله : ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين[٤] .

فطوبى لمن كان واحداً من جند الله فى هذه الطائفة .

وصدق الله العظيم وهو يعد باستمرارية هذه الطائفة التى تفاعل بها سيدنا رسول الله ﷺ ـ إذ يقول ـ سبحانه :

﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ . [ال عمران] .

فطوبى لمن يستجيب .

---

(٣) رواه البخارى والترمذى والنسائى والدارمى وأحمد . انظر المعجم المفهرس و . د . ع .

(٤) هذا الحديث إمام وحده فى فقه الدين رواه الإمام البيهقى بهذا السند :

أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ حدثنا إبراهيم بن إسماعيل القارى حدثنا يحيى بن محمد بن يحيى حدثنا ابو الربيع سليمان بن داود العتكى حدثنا حماد بن زيد حدثنا بقية بن الوليد حدثنا مُعَان بن رفاعة عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذرى عن ابيه .. إلخ ..

انظر مناقب الشافعى ١/٧ تحقيق أحمد صقر ـ ط دار التراث ـ شارع الجمهورية .



٣

اعداد الدكتورة
أمينة أحمد حسن
رئيس قسم أصول التربية / بنات عين شمس

الأسس العامة التى تراعى فى اختيار وإعداد الداعية :

فى ضوء كل الاعتبارات السابقة التى تخص الصفات الشخصية للداعية يمكن أن نحدد الأسس العامة لاختيار الداعية إلى الله فى مرحلة الإعداد على الوجه التالى :

(١) توافر حد أدنى أساسى من العلم والثقافة الدينية والنضج العقلى يصلح لأن يقام عليه بناء علمى متكامل أثناء مرحلة الإعداد .

(٢) تميز الطلاب المتقدمين للالتحاق بكليات الدعوة عن غيرهم من حيث الهيئة وقوة الشخصية وحسن السلوك والأخلاق ، على أن تعمل الكلية على تنمية هذه الجوانب أثناء مرحلة الإعداد .

(٣) توافر الميل والاستعداد للعمل فى مهنة الدعوة عند الطلاب المتقدمين للالتحاق بكليات الدعوة .

وسائل اختيار الطلاب وانتقائهم :

عند اختيار طلاب كليات الدعوة يعمم اتباع الوسائل الآتية لاختيار أصلح العناصر :

(١) بطاقة الطالب المدرسية :

وهى التى صاحبت الطالب فى مراحل دراسته السابقة ومسجل بها مستوى الطالب من النواحى العلمية والخلقية والسلوكية والصحية . وذلك للتعرف على بعض الصفات والخصائص العقلية والشخصية التى تميز الطالب منذ بداية حياته التعليمية .

(٢) المقابلة الشخصية :

وهي من ألزم الأمور لانتقاء خير العناصر التي تصلح للعمل في مجال الدعوة إلى الله والغرض منها هو الكشف عن الصفات التي لا يمكن التعرف عليها من خلال بطاقة سجل الطالب المدرسية أو عن طريق الاختبارات التحريرية . كالاتزان الانفعالي والسكينة وحسن المظهر والقدرة على التعبير وقوة الإيمان وقدرة الطالب على التصرف بسرعة ولباقة فيما يواجهه من مواقف ، وقدرته على التحمل إذا تعرض لموقف فيه اهانة له أو نقد .

وللمقابلة الشخصية شروط وظروف وأدوات قياس مقننة يجب أن توفر لهذا الغرض بدقة حتى تؤدي الهدف المرجو منها .

(٣) اختبارات تحريرية :

تعد كلية الدعوة للطلاب اختبار قبول يجرى لهم تحريريا على أن يكون الاختبار متنوعا بما يتفق وطبيعة العمل بمهنة الدعوة وذلك بقصد الكشف عن استعدادات الطلاب ومعلوماتهم الدينية والثقافية والعلمية .

وفي ضوء الوسائل السابقة تستبعد العناصر غير الصالحة لهذه المهنة .

(٤) يرتب الطلاب المستوفون للشروط والمواصفات فيما بينهم ترتيبا تنازليا وفقا للدرجات الحاصلين عليها في اختبارات القبول باستخدام الوسائل سابقة الذكر ثم يختار العدد اللازم ابتداء بالحاصلين على أعلى الدرجات .

ثالثا : تحديد المنهج والطريقة والأسلوب :

(١) تحديد المنهج :

إن إعداد الداعية يتطلب تكاتف جهود فريق من العلماء والخبراء المتخصصين في مجالات العلوم الدينية والعلمية والإنسانية والتربوية . فالداعية الصالح هو الذي يؤهل تأهيلا شاملا متكاملا للقيام بهذه المهمة الربانية بين الناس أجمعين ولكي يكون أهلاً لهذه المسئولية يجب أن يكون مزودا بدرجة كبيرة بمختلف العلوم الشرعية والعلوم الطبيعية والحيوية والإنسانية واللغات الأجنبية هذا غير إتقانه لعلوم الدين وحفظه السليم عن ظهر قلب لكتاب الله وسنة نبيه ، وإلى جانب هذا كله لابد أن يكون على علم ومعرفة بالأساليب المضادة والتحديات والشائعات المضللة والأفكار المنحرفة التي اشتملت عليها كتب المستشرقين وأعداء الإسلام بهدف تشويه صورة الإسلام والتشكيك فيه والتقليل من شأن المسلمين .

والعلوم التربوية لا تقل أهمية عن العلوم الدينية والعلمية في مجال إعداد الداعية إذ أن لمهنة الدعوة أصولا ومنهجا وطريقة وأسلوبا ووسيلة هي - في مجملها - النواحي الفنية والتطبيقية لما تعلمه الطالب الداعية من معلومات ونظريات وحقائق وتشريعات ومبادىء وأسس . فإن لكل مهنة جانبين : جانب العلم وجانب الفن في تطبيق هذا العلم ، فأما العلم فهو المنهج ومحتواه ، وأما الفن فهو الطريقة والأسلوب بِبُعْدَيْهِ النظري والعملي .

وبذلك يكون وضع المنهج الدراسى عملية تخطيطية علمية تربوية تقوم بها المؤسسة التربوية بعد تحديد مواد المنهج وتنقية موضوعاته بما يتناسب مع المتطلبات الإسلامية والعلمية لنشر الدعوة وإعداد الداعية لها .

وبناء على ما تقدم فإن المنهج الدراسى لإعداد الداعية لابد أن يشتمل على عدد من العلوم فى مجالات الدين والعلم والتربية وظروف وأحوال المجتمعات التى يعد لها الداعية لنشر الدعوة بها . وفيما يلى عرض مقترح لبعض موضوعات المنهج :

فيما يتعلق بمجال العلوم الدينية

دراسة القرآن وتفسيره وحفظه مع التركيز على بيان ما اشتمل عليه القرآن دستور الحياة فى مجال العقيدة والدعوة إلى الله ومجال المعاملات ، ومجال الدعوة إلى العلم وإعمال العقل واستخدام الحواس بالتدبر والتفكر والتعقل والتذكر حتى يتضح الإعجاز العلمى للقرآن مع دراسة قصص القرآن دراسة تحليلية لاستخلاص القيم والعبر والعظات التى يدعو إليها القرآن من خلال قصص الانبياء والملوك والصالحين والأقوام .

- دراسة الحديث والسنة الشريفة وتبويبها تبعا للمجالات العلمية والإنسانية والمناسبات المتشابهة التى ذكر فيها كل حديث . كمجال التعليم والأخلاق والصحة والتشريع وغيرها .

- علوم إسلامية : مستنبطة من القرآن والسنة ومنهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين والعلماء المحدثين . مع الاهتمام بدراسة علم مقارنة الأديان للتعرف على ما اختلف فيه أهل الكتب السماوية فى التوراة والإنجيل وجاء تبيانه وتصحيحه فى القرآن .

علم السيرة النبوية

- علوم إنسانية : وأهمها علم اللغة العربية التى نزل بها القرآن حتى يمكن فهم آيات الكتاب الحكيم وتفسيرها والتعبير عنها بأسلوب بليغ .

علم التاريخ الإسلامى : بما فيه من فتوحات وبطولات قام بها رجال الفكر والقادة من أجل الدعوة الإسلامية . مع التركيز على عوامل تقدم الحضارة الإسلامية فى ازهى عصورها وعوامل انهيارها وتخلفها .

علوم الجغرافيا : مع التركيز على جغرافية الشعوب الإسلامية وظروفهم ومشكلاتهم وتعدادهم فى كل دولة .

- علوم علمية وطبيعية : بما تشتمل عليه من حقائق ونظريات واختراعات واكتشافات سواء أكانت علوماً توصل إليها المسلمون أم العلوم التى توصل إليها علماء الغرب فى العصر الحديث مع إبراز مخالفات بعض هذه النظريات الحديثة مع ما جاء من حقائق علمية فى القرآن والسنة مثل حقيقة خلق الإنسان فى القرآن ونظرية دارون الخاطئة عن النشوء والارتقاء[1] .

←

---

(١) بدأت الدراسات الغربية تدير ظهرها لنظرية دارون ، ولازال الشرق اليائس يتمسك بها ...

- علوم تتعلق بالاجتهادات العلمية : والآراء الفكرية لأهل الرأى وأصحاب المذاهب الفكرية كالمتكلمين والمعتزلة والمتصوفة وأهل الصفا وغيرهم ، على أن تدرس فى مرحلة متأخرة من سنوات الدراسة أى بعد دراسة العقيدة الإسلامية دراسة تامة بالقرآن الكريم وما فيه من الحجة والبرهان .

- اللغات الأجنبية : التى تمكن الداعية من نشر الدعوة بلغة الدولة التى يدعو فيها إلى الله تحقيقا لعالمية الدعوة .

- العلوم التربوية مثل : الأسس والمبادىء التربوية لنشر الدعوة - أخلاق الداعية - الطريقة التربوية لنشر الدعوة - الأساليب التربوية التى استخدمها الأنبياء لنشر الدعوة وغيرها . وكل هذه العلوم تستنبط مما جاء فى القرآن والسنة والسيرة النبوية اقتداء بما اتبعه الرسول ﷺ من منهج وطريقة وأسلوب .

(٢) الطريقة والوسيلة والأسلوب :

يتوقف نجاح الدعوة على الطريقة التى يتم بها نشر الدعوة ونقل العلم والمعرفة القرآنية للعالمين . ولقد أصبحت طريقة التدريس علما من العلوم التربوية فى العصر الحديث له أصوله وأسسه ومبادئه كما أن استخدام الطريقة التى تناسب فئات المدعوين تعتبر أيضاً فناً وموهبة فطرية .

وقد ابتكر علماء التربية عدة طرائق فى التدريس ظهرت كل طريقة منها فى زمن معين ثم سرعان ما اكتشف رجال التربية عند التطبيق عقم هذه الطريقة أو تلك وعدم صلاحيتها لتحقيق الهدف من التعلم فبحثوا عن طريقة أخرى حتى أصبح لدى علماء التربية طرائق عدة فى التدريس أطلق عليها بعض الأسماء مثل طريقة « التلقين » أو الطريقة « التقليدية » ، طريقة المشروعات ، الطريقة المحورية ، طريقة المشكلات ، وطريقة التعلم بالعمل ، وطريقة التعليم الذاتى ، وتميزت كل طريقة منها بعلاج ناحية معينة فى عملية التعلم وحققت هدفا جزئيا من أهداف التعليم ولم تعد أى منها بمفردها طريقة شافية لعلاج مشكلات عملية التدريس والتعلم .

ويدل نجاح الرسول ﷺ فى نشر الدعوة وتحويل المجتمع الجاهلى إلى مجتمع إسلامى على نجاحه فى استخدام الطرق التى مكنته من نشر الدعوة بين قومه وعشيرته على اختلاف مستوياتهم فى العقل والثقافة والخبرة والسن والنفوذ فأسلم معه وآمن بالله كثير منهم الصغير ومنهم الكبير ، والغنى والفقير ، والجاهل وأهل الكتاب .

وإذا تدبرنا آيات القرآن الكريم يمكن أن نستنبط منها عدة طرائق تربوية استخدمها الرسول ﷺ والأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع قومهم فى الدعوة إلى الله .

قال تعالى :

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(٢) .

(٢) سورة النحل آية ١٢٥ .

ونستنتج من ذلك أن هناك ثلاث طرائق استخدمها الرسول فى الدعوة إلى الله وهى :

الحكمة ـ الموعظة الحسنة ـ الجدال بالتى هى أحسن .

وقد يتبادر إلى الذهن سؤال هام : هل هذه الطرائق الثلاث تستخدم مع كل الناس ، أم أن لكل فئة طريقة تناسبها ، أم أنه يمكن استخدام الطرائق الثلاث مع كل فئة ولكن تتميز الطريقة التى تتناسب مع كل موضوع ومع كل موقف تعليمى .

يقول الإمام الغزالى فى كتابه « القسطاس المستقيم » إن المدعو إلى الله بالحكمة قوم ، وبالموعظة قوم ، وبالمجادلة قوم وعَلَّلَ ذلك بقوله :

« فإن الحكمة إن غذى بها أهل الموعظة أضرت بهم كما تضر بالطفل الرضيع التغذية بلحم الطير .

وإن المجادلة إن استعملت مع أهل الحكمة اشمأزوا منها كما يشمئز طبع الرجل القوى من الارتضاع بلبن الآدمى ، وأن من استعمل الجدال مع أهل الجدال لا بالطريقة الأحسن كما تعلم من القرآن ، كان كمن غذى البدوى بخبز البر وهو لم يألف إلا التمر ، أو البلدى بالتمر وهو لم يألف إلا البر . »[٣] .

فالداعية المُعَدّ إعدادا تربويا ومؤهلا علميا للقيام بمهمة الدعوة عليه أن يعلم أنَّ لكل فئة من فئات الناس طريقة معينة تناسبهم تبعا لمستوى عقولهم ودرجة علمهم وثقافتهم فقد قال رسول الله ﷺ :

« نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونخاطبهم على قدر عقولهم »[٤] .

وليس معنى ذلك أن اختيار الطريقة المناسبة هى وحدها المحققة لنشر الدعوة على الوجه الأكمل ولكنها تعد أحد عوامل نجاحها ، هذا إلى جانب الإيمان بأن مشيئة الله هى فوق كل شىء ، فإذا اجتمعت كل مقومات نجاح الدعوة إلى الله ولكن الله لم يشأ أن يهدى بعض الناس إلى الإيمان فإنهم سيظلون على كفرهم .

قال تعالى :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[٥] .

أما الوسيلة التى تستخدم لنشر الدعوة :

فهى مرتبطة إلى حد كبير بالطريقة المختارة وبتدبر آيات القرآن الكريم ، وها نحن نستنتج عدداً من الأساليب التربوية التى استخدمها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام لتعليم قومهم ونشر الدعوة بينهم ومن هذه الأساليب ما يلى :ـ

١ ـ **أسلوب القص** : وذلك لاستخدام القصص الهادفة لما تشتمل عليه من أنباء وأخبار تهدف إلى العظة والعبرة .

---

(٣) أ . د . رءوف شلبى : الدعوة الإسلامية فى عهدها المكى صفحة ٣٥٠ ، ٣٥١ .
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ١٩/١ ط حجازى . القاهرة .
(٥) سورة يونس آية ٩٩ .

قال تعالى :

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾[6] .

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾[7] .

٢ - **أسلوب التلاوة** : وكان الرسول ﷺ يتلو على الناس آيات القرآن ويرتلها ترتيلا تتضح معه كل كلمة فيتدبر الناس القرآن ويفهمون ما يتلى عليهم .

قال تعالى :

﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ . . . ﴾[8] .

﴿ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ﴾[9] .

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾[10] .

٣ - **أسلوب ضرب الأمثال** : وتستخدم الأمثال فى عملية الدعوة ونشر الدين الإسلامى لتوضيح المعنى وهو أسلوب يستخدم مع العاقلين ممن تزودوا بقدر من العلم والمعرفة .

قال تعالى :

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾[11] .

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[12] .

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ . . .
وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ . . .
وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا . . . ﴾[13] .

٤ - **أسلوب المقارنة** : نهج القرآن الكريم أسلوب المقارنة إلى جانب ضرب الأمثال وذلك لتصوير الفوارق بين الخير والشر ، الجنة والنار ، من يعلم ومن لا يعلم بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة ، وقد جاءت المقارنة صريحة فى بعض الآيات وجاءت ضمنية فى آيات أخرى .

قال تعالى :

﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[14] .

﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾[15] .

﴿ أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[16] .

---

(٦) سورة يوسف آية ٣ .
(٧) سورة هود آية ١٢٠ .
(٨) سورة الكهف آية ٢٧ .
(٩) سورة النمل آية ٩٢ .
(١٠) سورة الكهف آية ٨٣ .
(١١) سورة العنكبوت آية ٤٣ .
(١٢) سورة آل عمران آية ٥٩ .
(١٣) سورة التحريم آية ١٠ - ١٢ .
(١٤) سورة الزمر آية ٩ .
(١٥) سورة النحل آية ١٧ .
(١٦) سورة فصلت آية ٤٠ .

٥ ـ أسلوب الأمر بالمعروف : يستخدم الأمر الحسن لتعليم الناس بعض الفضائل السلوكية والتى لا تحتاج إلى شرح أو تفصيل أو توضيح ولكن تنفيذها والاذعان إلى الأخذ بها يحقق الخير للفرد ولغيره . وقد اشتمل القرآن على هذه الأوامر الحسنة فمثلا منها :

قوله تعالى :

﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾[17] .

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾[18] .

﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾[19] .

اما الأسلوب الذى يستخدم فى الدعوة إلى الله :

فلابد أن يكون أسلوبا حسنا ، من حيث القول والتعبير والتأثير .

قال تعالى :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ ﴾[20] .

﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[21] .

﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾[22] .

تــم

د / امينة احمد حسن

مراجـــع الدراســـة :ـ

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ د . أمينة أحمد حسن : نظرية التربية فى القرآن وتطبيقاتها فى عهد الرسول.دار المعارف ١٩٨٥

٣ ـ د . رءوف شلبى : الدعوة الإسلامية فى عهدها المكى ـ مناهجها غايتها ـ دار القلم ـ الكويت ـ الطبعة الثالثة ١٩٨٢ .

(١٧) سورة الإسراء آية ٢٣ .
(١٨) سورة الأنعام آية ١٥١ .
(١٩) سورة الجمعة آية ٩ ، ١٠ .
(٢٠) سورة فصلت آية ٣٣ .
(٢١) سورة طه آية ٤٤ .
(٢٢) سورة النساء آية ٦٣ .

٤ ـ د . عبد الكريم زيدان : أصول الدعوة ـ دار الإمام ـ بغداد ـ الطبعة الثالثة ١٩٧٦ .

٥ ـ عبد المحسن الحسينى : المعرفة عند الحكيم الترمذى ـ دار الكاتب العربى ـ القاهرة ـ بدون تاريخ .

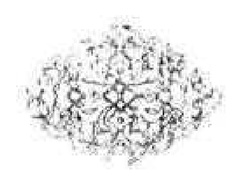
٦ ـ الشيخ محمد عبد الله الخطيب : « أيها الداعية هذه عوامل نجاحك » ـ منار الإسلام ـ العدد الرابع ـ السنة التاسعة ـ يناير ١٩٨٤ .

٧ ـ انور السيد الشريف : حول مناهج التربية الإسلاميـة ـ اضواء الإسلام ـ فبراير ١٩٨٧ .

٨ ـ د . عبد الله عبد الشكور : الدعوة الإسلامية الخارجية وقضية الأقليات ـ منبر الإسلام ـ العدد الثامن ـ السنة الخامسة والأربعون أبريل ١٩٨٧ .

٩ ـ تحقيق قامت به بعثة مجلة الوعى الإسلامى : المؤتمر العالمى لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة ـ مجلة الوعى الإسلامى ـ العدد ١٤٨ ـ السنة ١٣ ـ أبريل ١٩٧٧ .

١٠ ـ الشيخ احمد عبد الواحد البسيونى : الدعوة بين الأجر والوزر ـ منار الإسلام ـ العدد ١٧٥ السنة ١٥ ـ مايو ١٩٧٩ .



الفتاوى

إعداد: عبد الحميد السيد شاهين
ويجيب عليها: لجنة الفتوى بالأزهر

س: من السيد / ع . م . الطحان - طنطا:

تاجر يريد إخراج الزكاة مع العلم بأن له ديوناً على الآخرين ثمن بضاعة فكيف يخرج الزكاة؟ ، وإذا كان عنده بعض السلع لم يمض عليها الحول فهل يخرج عنها زكاة؟

ج: الزكاة تخرج عن أموال التجارة التى يملكها الإنسان وكذلك الديون التى له عند الناس ما دام يطمئن إلى سدادها إليه ... أما إذا لم يطمئن إلى ذلك فإنه لا يدفع عنها إلا بعد سدادها إليه ..

والزكاة تجب عند حولان حول هجرى من تاريخ تحقق النصاب عنه ، ويتبع ذلك المال الذى جد أثناء العام ، فإذا كان يتاجر فى ألف مثلاً وأثناء الحول جد له ألفان فعند نهاية العام يدفع الزكاة عن الثلاثة الآلاف بنسبة ربع العشر أى (٢/١ ٢ ٪) اثنين ونصف فى المائة ، والبضاعة التى استجدت أثناء العام ، والتى بيعت أيضاً تدفع الزكاة عنها فى نهاية الحول ولا يشترط فى هذه البضاعة حولان الحول ، فحولها تابع لباقى المال ...

س: من السيدة / س . ع . حماد - شبرا:

اخبرنى أخواتى وامى واختى بعد ان تزوجت: أننى رضعت من اختى خمسة ايام فى اثناء رضاعى من امى ، ولا يدرى احد منهم كم رضعة رضعتها من اختى ثم ماتت فتزوجت زوجها الثالث وأنا حامل منه ، فما الحكم؟

ج: الرضاع المحرم هو ما بلغ خمس رضعات متفرقات ، متيقنات ، فى زمن الرضاع . وهو الحولان ..

وفى هذه القضية لم يتيقن عدد الرضعات فيها ، وعلى ذلك فالزواج صحيح شرعاً على مذهب الإمامين الشافعى وأحمد رضى الله عنهما ..

س : من السيد / ح . ضيف الله
فلسطين :

حصلت على مبالغ كبيرة من اليانصيب فى كندا . فهل يجوز أن استغل هذه المبالغ لتوزيعها على الفقراء من أهل الفلسطينيين ، أو إنشاء مصنع لهم يعيشون من عائده .. ما الحكم ؟

ج : يرى الأئمة الأربعة أن الأموال التى تكتسب من غير الطرق المشروعة فى الإسلام يجوز صرفها فيما يعود على جماعة المسلمين بالنفع العام ، كبناء مسجد ، أو مدرسة ، أو ملجأ ، أو مصنع لهم يتعيشون منه .

ويرى الإمام ابن تيمية ، والإمام ابن القيم رضى الله عنهما صرف هذه المبالغ أو بعضها للفقراء والمساكين ، سواء كانوا من الأقارب أو غيرهم متى تحقق فيهم شرط الفقر .

س : من السيد / س . ح . سليم .
الزقازيق :

حلفت على زوجتى قائلاً : على الطلاق ما انا داخل البلد ، وكررت هذا اليمين مرتين ولم ادخل حتى الآن ، واريد ان ادخلها . فما الحكم ؟

ج : هذه الطلقات بهذه الصيغة أيمان لا يقع بها طلاق ، وذلك حسب القانون الجارى به التقاضى بمصر والمأخوذ من الشريعة الإسلامية ..

س : من السيدة / ف . محمد .
شبين القناطر :

شاب خطب فتاة وقدم لها شبكة ، ثم توفى الخاطب قبل العقد عليها ، فما الحكم ؟

ج : الشبكة جزء من المهر ، والمهر لا تستحقه المخطوبة إلا بالعقد عليها ، ومادام لم يعقد عليها وتوفى فإن الشبكة ترد إلى ورثة الخاطب ، وليس للمخطوبة حق فيها لأنها أجنبية ..

س : من السيد / ع . ع . حامد .
دسوق :

توفى رجل عن : ابن ، خمس بنات ، أولاد ابن ، فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : فى تركة هذا المتوفى وصية واجبة لأولاد الابن المتوفى قبل والده بمقدار ما كان يستحقه الابن لو كان على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقاً لقانون الوصية الواجبة المعمول به فى مصر من أول أغسطس عام ١٩٤٦ م وبشرط الا يكون الجد قد عوضهم بشىء حال حياته يساوى نصيب والدهم ..

فتقسم التركة تسعة أجزاء : - جزءان منها لأولاد الابن تقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى والباقى وهو سبعة أجزاء هو الميراث للابن والبنات الخمس يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى ..

س : من السيد / ع . ب . عبد الرحمن - دمنهور :

توفيت امرأة عن : أولاد عم شقيق ذكور وإناث . فما الحكم ؟

ج : التركة كلها للذكور من أولاد العم الشقيق تعصيباً ، وتقسم بينهم بالتساوى . ولا شيء للإناث من أولاد العم الشقيق ، لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات ..

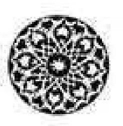
س : من السيد / ف . م . عبد الحافظ - أسوان :

توفى رجل عن : إخوة لأب ذكور وإناث .. فما الحكم ؟

ج : التركة كلها للإخوة لأب تعصيباً تقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى ..

والله تعالى أعلـــم ...

عبد الحميد السيد شاهين



من أعـــلام الأزهـــر



أول من دعا إلى الإسلام في بلاد اليابان

لا جدال فى أن حمل الرسالات وتبليغها تكليف قبل أن يكون تكريما وهو مسئولية كبرى ترهق أصحابها وتضعهم بإزاء حمل باهظ ، فما أعظم هذه المسئولية وأدق حسابها ، وإذا كان محمد ﷺ رسولاً للعالم كله وليس للعرب خاصة فيجب على أتباعه أن يوصلوا رسالته إلى كل قبيل من الناس وبكل لغة يتم التفاهم بها .

هذا الكلام فقهه علماء الأزهر منذ أقدم عصوره ، فهذا واحد من أولئك الأماجد تحمل آلام الاغتراب وتنقل بين الشعوب والأقطار وركب البحار وجاب الآفاق فى أوائل هذا القرن الميلادى حتى وصل إلى بلاد اليابان لا لغرض دنيوى أو لكسب مادى ولكن ليبث دعوة الله وينشر عقيدة الإسلام هناك غير مبال بما يعترضه من الأخطار وما يلاقيه من وعثاء السفر والأهوال .

ذلك هو الشيخ « على أحمد على الجرجاوى » الداعية الإسلامى وصاحب كتاب « الرحلة المشهورة إلى بلاد اليابان » وهو فى رحلته لم يغفل ـ فى كل بلد زاره ـ عن دراسة أحواله وتاريخه وحضارته لينقل النافع من هذا كله إلى أبناء دينه وأمته ووطنه .

يقول عنه الأستاذ الدكتور عبد الودود شلبى الأمين العام للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف الذى كشف اللثام فى هذه الأيام عن أمر رحلته فى الدعوة إلى الإسلام فى بلاد اليابان « إننا إذا قلنا : إن عمر الإسلام أربعة عشر قرنا من الزمان فإن اليابان ظلت ثلاثة عشر قرناً لا تعرف شيئا عنه ولم يعتنق الإسلام من اليابانيين خلال تلك القرون الثلاثة عشر سوى يابانى واحد فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، أما بعد أن قام الشيخ « على الجرجاوى » برحلته للدعوة الإسلامية هناك فإن نور الإسلام بدأ يشرق على تلك البلاد [١] ، ولو لم يكن ذلك الداعية

(١) مجلة الأزهر الجزء الثاني صفر سنة ١٤٠٦ هـ اكتوبر ونوفمبر سنة ١٩٨٥ م

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

الإسلامى من هؤلاء الرواد الذين اختاروا التضحية طريقا إلى الله ما استطاع التنقل والترحال بين مختلف الأقطار مسافراً أكثر من اثنى عشر الف ميل ، محتملاً ما يعجز عنه الأقوياء من الرجال دافعه إلى ذلك إيمان يتخطى الصعاب وروح جياشة بالأمل والعمل لخير المسلمين والإسلام [٢]

أما الشيخ على الجرجاوى فيقول عن تلك الرحلة : « حسبى شرفاً أنها رحلة أول مصرى وطئت قدمه تلك الأرض أى أرض اليابان - من قديم الزمان ، وقد رأيت أن اهدى رحلتى إلى كل عالم وأديب فى مصر خصوصا الناشئة الحديثة التى هى موضع آمال الأمة ، ومقصد آخر أرى من الضرورى الإلماع إليه ، وهو اننا اصبحنا فى عصر تتسابق فيه الأمم إلى إحراز قصب السبق فى ميدان الحضارة فأجدر بالشبيبة المصرية أن تطالع مثل هذه الرحلة ليروا أن فى الشرق امة تنظر إليها الأمم الأخرى نظر الإجلال والاعتبار ، حتى إذا قرعوا ما لم يصل إلى علمهم عنها ، دبت فى نفوسهم الحمية فنزعوا رداء الكسل وقالوا حىّ على خير العمل فإذا عرف هذا ، علم أننى لم اتحمل الأخطار ووعثاء الأسفار ولم أعتمد فى الإنفاق إلا على الخلاق لأجل نفع بلادى وخدمة دينى وجامعتى وهذا هو أول مبرر لوضع هذه الرحلة .[٣]

مولده ونشأته

ولد الشيخ « على أحمد على الجرجاوى » فى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر الميلادى فى مدينة جرجا لذلك كان يلقب بالجرجاوى « جرجا » حاليا من أعمال محافظة سوهاج ، وقد حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادىء القراءة والكتابة فى أحد كتاتيب تلك المدينة ، ثم درس بعض العلوم الدينية على علماء عصره بها ، نظراً لما كانت تتمتع به منذ زمن بعيد من شهرة فى دراسة العلم والدين ، ولما لوجود المعهد الدينى العتيق بها من مكانة سامية يرجع عهد إنشائه إلى سنة ١٠٠٥ هـ [٤] ثم سافر إلى القاهرة لاستكمال الدراسة وتحصيل العلم بالأزهر الشريف حيث تتلمذ على كثير من علماء الأزهر فى ذلك الوقت نذكر منهم المرحوم الشيخ محمد بخيت المطيعى وعندما فتحت مدرسة القضاء الشرعى التحق بها وانتظم فى صفوف طلابها حتى نال إجازتها العلمية .

←

(٢) مجلة الأمة القطرية السنة السادسة شوال سنة ١٤٠٦ هـ حزيران (يونيه سنة ١٩٨٦ م)

(٣) كتاب الرحلة اليابانية تأليف الشيخ على احمد الجرجاوى - الطبعة الأولى سنة ١٣٢٥ هـ مطبعة جريدة الشورى بالفجالة بمصر .

(٤) مجلة الأزهر عدد محرم سنة ١٤٠٥ هـ أكتوبر سنة ١٩٨٤ مقال من أعلام الأزهر فى القرن الحادى عشر الهجرى لكاتب هذا المقال .

الأعمال التى اشتغل بها !

بعد انتهاء الشيخ على الجرجاوى من دراساته الدينية والتشريعية فى نهاية القرن الماضى وأوائل هذا القرن آثر الاشتغال بالعمل الحر فابتعد عن الأعمال الحكومية ، ويبدو أن ما دفعه إلى ذلك هو ما لاحظه من تسلط الإنجليز على مقدرات البلاد إثر فشل الثورة العـرابية واحتـلال الجيش البـريطـانى لأراضيها وتحكمه فى مرافقها فاختار ذلك الداعية العمل فى الصحافة الاسلامية فأسس صحيفة « الإرشاد » التى كان يصدرها ويرعاها فى بداية هذا القرن ، كما اشتغل بـ « المحاماة أمام المحاكم الشرعية » ثم عمل رئيساً لجمعية الأزهر العلمية .

لماذا فكر الشيخ على الجرجاوى فى الرحلة إلى بلاد اليابان

يذكر ذلك الداعية الإسلامى عن دافعه إلى القيام بتلك الرحلة فيقول : كنت أقرأ فى الصحف المحلية ما تنقله من الأنباء المتواترة بانعقاد مؤتمر دينى فى بلاد اليابان بأمر الميكادو - وهو الامبراطور الحاكم على تلك البلاد ، وتوجه البعثات الدينية من المسلمين وغيرهم لحضور هذا المؤتمر الذى تنحصر أعماله فى البحث فى أصول كل دين ، فكنت أتابع الكتابات فى كثير من أعداد جريدتى « الإرشاد » حاضا على تأليف وفد من أفاضل العلماء المصريين للاشتراك مع الوفـود الأخرى ، لحضور جلسات ذلك المؤتمر ونشر التعاليم الدينية الإسلامية بين أمة الشمس المشرقة ، إذ مسلمو مصر أولى بأن يحوزوا هذه الفضيلة لوجود الأزهر بين ظهرانيهم وهو المدرسة الدينية الوحيدة فى العالم الإسلامى التى يقصدها الطلاب المسلمون من كل قطر ومن كل بلد ، كما أن غيرى من أرباب الصحف الإسلامية ضم صوته إلى صوتى .

طفقت أبحث عمن يرافقنى من إخوانى المسلمين فى الرحلة إلى اليابان للدعوة إلى الإسلام هناك فكان ذلك أندر من الكبريت الأحمر ، وبينما أنا كذلك وإذا برجلين فاضلين وفقهما الله أن يعرضا الذهاب معى إلى هاتيك البلاد .

أحدهما : صاحب الفضيلة العلامة الشيخ احمد موسي المصرى المنوفى إمام المسجد الكبير بكلكته عاصمة الهند « وذلك وقت أن كانت بلاد الهند مستعمرة بريطانية قبل استقلالها » .

وثانيهما : من أفاضل الدولة التونسية « لكنه أصلاً لم يرد ذكر اسمه »[٥] .

هذان الفاضلان كانا خاطبانى فى هذا الخصوص ورغبا فى مرافقتى إلى اليابان لهذا الغرض الشريف والمقصد المنيف وقد قالا فيما خاطبانى به آنفا : لا نقصد إلا وجه الله الكريم وخدمة الدين القويم .[٦] .

(٥) يتبين من كتاب الرحلة انه حالت ظروف دون أن يشترك اى من هذين الرجلين معه فى رحلته خصوصاً الأول لمرضه المفاجىء .

(٦) كتاب الرحلة اليابانية تأليف الشيخ على احمد الجرجاوى .

تنزهه عن قبول أية مساعدة من أى شخص أياً كان

عندما أعلن الشيخ على الجرجاوى عن عزمه على السفر على صفحات الصحف العربية اليومية وكذلك الأسبوعية التى نقلت عنها جرائد الآستانة والهند والأفغان وقازان وغير ذلك من الجرائد السيارة بين فى إعلانه المشار إليه أنه لايقبل درهما واحداً من أحد من الناس على سبيل المساعدة المادية حتى ولا قيمة الاشتراك فى جريدته وذلك حتى لا يتهم بأنه اتخذ الرحلة حبالة لصيد الدرهم والدينار لا العمل لوجه الله الكريم (٧).

كيف بدأت الرحلة ؟

كانت بداية هذه الرحلة من مدينة الأسكندرية وذلك فى صبيحة يوم الجمعة الموافق ٣٠ يونية سنة ١٩٠٦ ميلادية حيث استقل « الشيخ على الجرجاوى » إحدى بواخر الشركة الإيطالية التى يممت به نحو ايطاليا وهناك ألقت الباخرة مراسيها فى ميناء « مسينا » ثم فى مدينة « نابلى » وفيما كان يتجول فى شوارعها بزيه الأزهرى رآه أحد أبنائها وكان يعمل مدرساً فى المدرسة الشرقية بها فحياه باللسان العربى ودعاه لزيارة المدرسة ليرى عن كثب كيف يدرسون اللغة العربية وتاريخ العرب وبعض السور الصغيرة من القرآن الكريم مع فهم للمعانى ومعرفة كم من الآيات فى السورة مكية وكم فيها مدنية ، لكن ما أثار دهشته إجادة الطلاب التكلم باللغة العربية قراءة وكتابة دون لحن ، وذلك بسبب تلقيهم اللغة العربية بحسب القواعد النحوية ، ولما وصلت الباخرة إلى ميناء « بالرما » فى « صقلية » تذكر فتح المسلمين لها سنة ٨٣٥ للميلاد ، فهم الذين جعلوا ذلك الميناء قاعدة لتلك الجزيرة ، ثم غلب عليهم النورمانديون وبعدهم ضمت الجزيرة إلى مملكة « نابلى » التى أضحت جزءاً من الدولة الإيطالية فى العصر الحديث ، ثم ألقت الباخرة مراسيها فى « تونس » وهناك نزل فى أحد فنادقها رغم دعوة الكثيرين له من أفاضل أهلها للنزول فى ضيافتهم فهم على جانب كبير من كرم الأخلاق وحسن وفادة الضيف وإكرام الغريب مع تمسكهم بأوامر الإسلام ونواهيه فضلاً عن المشهود لنسائهم بالمحافظة على العفة والصون والشرف .

وقد كان فى نية ذلك الداعية الإسلامى مواصلة السفر عن طريق « بوغازجبل طارق » فسواحل افريقية للوقوف على أحوال سكان تلك البلاد لكن لطول المسافة وبعدها عدل عن ذلك وقرر استئناف رحلته عن طريق بوغاز السويس حيث ألقت سفينته مراسيها فى مدينة « ينبع » ثم فى مدينة « جدة » ثم فى مدينة « عدن » ثم سارت حتى وصلت إلى مدينة « بومباى » فى بلاد الهند ثم إلى مدينة « كولومبو » عاصمة « جزيرة سيلان » ثم إلى ميناء « سنغافورة » ثم إلى جزيرة « هنج كونج » المستعمرة البريطانية فى بلاد الصين ويذكر عن المسلمين فى بلاد الصين أنهم كانوا يبلغون ـ وقت رحلته ـ الخمسين مليونا وقد

---

(٧) المرجع السابق .

صحبه واحد منهم إلى بلاد اليابان هو العلامة السيد سليمان الصينى وهو يشيد به وبشعب الصين العظيم لاعتنائهم الشديد بأمر الزراعة والفلاحة ، حتى أنه لا يوجد نوع من أنواع البقول أو الفاكهة أو غيرها من المزروعات الموجودة فى العالم إلا ولهم خبرة بزراعته ، وهم من شدة شغفهم بالزراعة وعدم وجود الأرض الكافية الصالحة للزراعة عندهم يصنعون ألواحاً من الخشب ويضعونها على مجارى الأنهار بعد تغطيتها بطبقة من الطين ويبذرون فيها البذور فتكون هذه الألواح بمنزلة الأرض العامرة الجيدة التربة ، وقد تنبأ لهم بأنهم فى أخذهم بأسباب الرقى مع طبيعتهم الحية سيلحقون بدولة اليابان لا محالة ، والمسلمون فى بلاد الصين وإن كانوا مبعثرين فى شتى أنحاء الصين إلا أنهم متحدون فى كلمتهم ويحب بعضهم بعضا ويسعون فى المنافع المتبادلة بينهم وهم يد واحدة فى كل ما يهمهم من أمور الدين والدنيا ، ومما لاحظه عليهم أنهم لا يميلون إلى العمل فى دوائر الحكومة بل يشتغلون فى الصناعات المختلفة مثل صناعات الصوف والحرير ، وهم إذا اختلفوا فى أمر دينى فمرجعهم إلى العلماء والفقهاء هناك ، ويفخرون بأنهم من الذين أنعم الله عليهم بنعمة الإيمان والتوحيد ، واحتفالهم بالعيدين عيد الفطر وعيد الأضحى بالغ حد الاعتناء وإذا جاء شهر رمضان المعظم ابتعدوا عن كل شىء يمس كرامة الدين ، ولذلك فلا تجد واحداً منهم مفطراً فى أيام ذلك الشهر الكريم .

ومع ذلك فقد لاحظ انتشار بعض الخرافات والبدع بين المسلمين مما يمس سليم عقيدتهم فى التوحيد ، وهذا يقتضى من علماء الإسلام بعامة وإدارة الأزهر بخاصة إرسال بعض الدعاة لبث العقائد الصحيحة بينهم والقضاء على تلك الخرافات والبدع ، ومما تجدر الإشارة إليه أن المسلمين الصينيين هم أبعد أهل الصين عن الفتن والقلاقل المخلة بالأمن العام .[8]

الوصول إلى بلاد اليابان :

عندما ألقت السفينة مراسيها فى ميناء « يوكوهاما » اليابانى كان بصحبته « السيد سليمان الصينى » وهناك التقيا بـ « الحاج مخلص محمود الروسى » ومن اسمه يبين أنه مسلم روسى ، فقد بعث إليه « السيد سليمان الصينى » ليكون فى انتظارهما وفى وصفه يقول الشيخ على الجرجاوى (كان رجلاً فاضلاً كاملاً مهذبا حاويا لكل الفضائل التى تحبب المرء إلى النفوس وتحله منها محل الاعتبار ، كما كان له إلمام تام بعادات أهل اليابان وأخلاقهم وعن جو تلك المدينة يقول الشيخ على الجرجاوى : لقد لاقينا من البرد فيها ما لا يطيقه إلا من أقام كثيرا فى هذه الأصقاع واعتاد جسمه على احتمال بردها القارص .

ثم واصل ثلاثتهم الرحلة إلى مدينة « طوكيو » عاصمة البلاد بواسطة قطار

(٨) المرجع السابق .

السكك الحديدية ولم تستغرق تلك المسافة سوى نصف ساعة تقريباً لقربها من العاصمة وفى مدينة « طوكيو » نزلوا فى أحد فنادقها وماكادوا يستقرون فيه حتى أحس كل واحد منهم بضعف فى عضلات جسمه بسبب المشاق والمتاعب التى عانوها فى سفرهم خصوصا دوار البحر الذى كان له التأثير الأعظم عليهم ، فمكثوا ليلتهم لا يفارق أحدهم مخدعه من الإعياء .

على طريق الدعوة الى الاسلام

لما وصل الشيخ على الجرجاوى وصحبه إلى مدينة « طوكيو » شاع خبر وصوله بين من حضرها من رجال الأديان الأخرى ومن محاسن الصدف أن احد الدعاة من مسلمى بلاد الهند وهو « السيد حسين عبد المنعم » كان موجوداً فى «طوكيو » وعندما سمع بمقدم « الشيخ الجرجاوى » انضم إليه ليكوّنوا معا جماعة مؤتلفة ويداً واحدة فى الدعوة إلى الإسلام فاستأجروا منزلاً من احد التجار اليابانيين ليكون مركزاً للدعوة ، ومن يمن الطالع أن صاحب ذلك المنزل واسمه (المسيو جازنيف) كان أول الداخلين فى الإسلام لما وقف على حقيقته وكان هو الذى يقوم بترجمة خطب وبيانات الدعوة من الإنجليزية إلى اليابانية فى جلسات الدعوة إلى الإسلام نظراً لإلمامه التام باللغة الإنجليزية .

الجلســة الأولـى :

بدأت مراحل العمل بدعوة الناس إلى الحضور فى ذلك المنزل فى ميعاد محدد وما إن حل ذلك الميعاد حتى اقبل كثير من اليابانيين فغص بهم المكان حيث قرئت عليهم خطبة الافتتاح للتعريف بالإسلام بعد أن صاغها « الشيخ على الجرجاوى » بالعربية ترجمت إلى اللغة الإنجليزية بمعرفة « السيد حسين عبد المنعم » ثم ترجمت بعد ذلك إلى اللغة اليابانية بمعرفة « المسيو جازنيف » وكان مما اشتملت عليه أن الإسلام دين المدنية والعدل والمساواة ، ثم شرحا لأركان هذا الدين ، ثم أورد شهادة أحد العلماء الفرنسيين وهو المسيو (موزا) التى يقول فيها (إننا إذا تصفحنا التاريخ وجدنا أن هذا الدين هو الكفيل الوحيد لترقى الأمم وسعادتها وعليه فيحق لنا ـ نحن الغربيين ـ أن نعترف دون رياء ولا مراء بأن أهل هذا الدين هم أرقى الأمم ، وأحسنهم حالاً من جهة الاعتقادات الدينية) .

ثم اردف خطبة الافتتاح ببعض البيانات الواضحة عن قواعد الإسلام ومعناه والغرض الذى ترمى إليه مبادئه وذلك بأسلوب سهل التناول على الأفهام وبعد انتهاء تلك المحاضرة اعلن عن ميعاد انعقاد الجلسة التالية .

الجلســة الثانيــة :

ولما حل ميعاد تلك الجلسة لوحظ ازدحام شديد فى المنزل ـ مركز الدعوة ، فألقى عليهم « المسيو جازنيف » مارتبه الشيخ على الجرجاوى من بيانات وإيضاحات عن الصّلاة وصلاة الجماعة وصلاة الجمعة والأذان والإمامة والزكاة والصوم والحج مأخوذ كل ذلك من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع الأئمة ، وكانت تترجم للحاضرين باللغة الإنجليزية والفرنسية ومن

لم يعلمها يقوم المسيو جازنيف بترجمتها له باللغة اليابانية ، وكل من ترد عليه شبهة فى موضع كان يرسلها لجماعة الدعوة كتابة حيث يقوم الشيخ الجرجاوى بالإجابة عنها كتابة وبواسطة هذه الطريقة تمكن المرحوم الشيخ على الجرجاوى وصحبه من تفهيم من حضر من اليابانيين عقيدة الإسلام فيدخلون فيه بكثرة مادحين تعاليمه واحكامه وهكذا فى كل جلسة ، وكلما زَادُوهُمْ معرفة بالإسلام زاد عدد الذين يعتنقونه منهم كما يسمعون الثناء على الإسلام من هؤلاء المهتدين ؛ لأنه حسب قولهم ـ وحقا ماشهدوا ـ دلهم على الإله الحق وأخرجهم من الظلمات إلى النور وأوضح لهم المنهاج القويم .

ملاحظات الشيخ على الجرجاوى على أبناء اليابان :

كان مما لاحظه ـ رحمه الله ـ على اليابانيين وأثار إعجابه أن فى طبيعتهم التفانى فى حب الوطن ، ولما كان العلم والتعليم هو أساس سعادة الأمم ورقيها لذلك اعتنت الدولة هناك بفتح المدارس والمعاهد العلمية ورعاية النشاط العلمى منذ بدأت نهضتها مما كان له الأثر الفعال فى تقدمها السريع ، وفى مجال الصناعة فإن العمال اليابانيين أثبتوا فى كل الأحوال أن حركة العمل تسير فى جد فائق ونشاط مابعده نشاط ، اما رجال الضبط (أى الشرطة) عندهم فمن أرقى رجال العالم فى سمو ادبهم ومعرفة مايجب عليهم مع التحلى بمكارم الأخلاق فى أداء مهامهم ومعاملة أفراد الشعب بالعدل والمساواة مع العفة والنزاهة .

يقظة حكومة اليابان حيال أفعال المبشــرين :

مما يذكره الشيخ على الجرجاوى أن حكومة اليابان قد تنبهت فى بداية نهضتها إلى أن الاوروبيين عادة يتخذون من الدين وسيلة توصلهم إلى مقاصدهم السياسية فى السيطرة على الشعوب ثم احتلال اراضيها ، لذلك فإنه لما وفدت الإرساليات التبشيرية النصرانية إلى بلاد اليابان ، رسمت لها الحكومة هناك المنهج الذى تسلكه إلا أن رجال تلك الإرساليات لم يلتزموا بمنهج الحكومة ، بل عملوا على فتح مدارسهم التبشيرية فى الظاهر لكن فى حقيقة أمرها كانت مراكز سياسية لجمع المعلومات وإبلاغها لدولهم مما دفع الحكومة اليابانية إلى توجيه الإنذارات لهم بضرورة الالتزام بالطريق المرسوم لهم وإلا كان الطرد مصيرهم ، والحقيقة أن أبناء اليابان لم يجهلوا نوايا أولئك المبشرين الذين برغم تكبدهم المصاريف الكثيرة والوقت الطويل ، فإن النصرانية التى جاءوا يبشرون بها لم يعتنقها من اليابانيين إلا القليل وكثير من هذا القليل يترك النصرانية ويعود إلى معتقداته القديمة فى شريعة بوذا وكونفوشيوس وغيرهما فى أول فرصة تلوح له .

عدد الجلسات التى عقدها الشيخ على الجرجاوى :

بلغت جلسات الدعوة إلى الإسلام التى عقدها ذلك الداعية الإسلامى فى مدينة طوكيو نحو ثمانى عشرة جلسة ، وفى كل واحدة منها يعتنق الإسلام الخلق الكثير حتى وصل عددهم الإجمالى فى نهاية الجلسات نحو

الاثنى عشر ألف رجل ، ضم العديد من التجار والعظماء وذوى الحيثيات ، وفى تلك الجلسات شرح للحاضرين الكثير مما يشتمل عليه الإسلام نورد - فى إيجاز - بعضه[9] :

أولا : عن الإسلام :

الإسلام هو دين الفطرة فلو أنَّ إنساناً خلق ونشأ فى أرض بعيدة عن بنى نوعه مع وجود العقل الكامل فيه فهو لا شك يعتقد بفطرته انه لا بد من وجود خالق لهذه العوالم وهذه الكائنات مغاير لها كل المغايرة وهذا هو منبع الإسلام وأصل دينه .

ثانيا : عن القرآن :

هو كتاب الله الذى أنزل على النبى محمد صلى الله عليه وسلم وفيه أصول دينه وفروعه وقد حوى من الحجج الدامغة على كل من ارتاب فى صحة الإسلام كما أخبر عن سير المتقدمين ، وجاء بأخبار الأمم السالفة بما فيه ذكرى وعبرة لمن أراد الاعتبار فضلاً عن الإرشادات الهامة والمواعظ الحسنة النافعة إلى خيرى الدنيا والآخرة ، كما تضمن كل مايتعلق بالعبادات والمعاملات وماتقتضيه الحقوق من كل أنواع القضايا التى نراها

ثالثا : عن إعجاز القرآن الكريم :

لقد أقام الله تعالى الحجة على الذين لم يصدقوا أنه كلام الله القديم وقالوا إنه من كلام البشر بقوله ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[10] وهذا أكبر دليل على عجزهم ، ومن إعجازه أنه أخبر عن الأمم السابقة وحوادثهم بأوجز عبارة مما لم يكن معروفا لدى علماء ذلك العصر مع اجتهادهم فى الوقوف على حقيقته ، ومن إعجازه ايضا إتيانه بالأحكام التى لو اجتمع كل أهل الشرائع لَمَا قدروا على وضع مثلها مما يلائم ويوافق حالة كل أمة .

رابعا : عن وحدانية الله تعالى :

إن الله واحد لا شريك له فى ملكه ، وإنه ليس بذات مجسمة وليس له جهة تحده وإنه قادر على كل شىء ، أما الدليل على وحدانيته أنه لو كان له شريك لفسدت الأرض لما تقتضيه الشركة من وقوع الخلاف بين الشريكين فى كثير من المسائل ، والخلاف يؤدى إلى الشقاق وهذا الشقاق يفضى إلى غلبة احدهما على الآخر وهذا يقضى على المغلوب بالضعف وهو مناف لصفات الربوبية وهذا من قواعد علم التوحيد .

خامسا : النبى محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته :

إن نسب هذا الرسول الكريم يتصل بسيدنا إسماعيل بن سيدنا إبراهيم عليهم الصلاة والسلام ، فهو من أشرف قبيلة من قبائل العرب وكانت أخلاقه فى عهد شبيبته لا تعادلها أخلاق فهو - صلى الله عليه وسلم -

←

(٩) المرجع السابق .

(١٠) سورة الإسراء ٨٨ .

اكمل الناس عقلاً إذ طهره الله من أفعال الجاهلية فلم يشرب الخمر أو الدم ولم يلعب الميسر ، بل نشأ على عبادة الله والتحنث فى غار حراء على ملة أبيه إبراهيم عليه السلام حتى إذا بلغ أربعين سنة ، فجاءه ملك الوحى جبريل عليه السلام بأمر ربه بدعوة الخلق إلى دين الإسلام وعبادة الله وحده وأيده ربه بالكثير من المعجزات أهمها القرآن الكريم كما قدمنا ، وفيه بين الله مقدار فضل رسوله ومنزلته عنده ومحبته له فى كثير من الآيات كقوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(١١) وقوله جل شأنه ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾(١٢) وقوله سبحانه ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١٣) ومن الآيات الأخرى أو المعجزات انشقاق القمر وتفجر الماء من بين أصابعه ورد العين المصابة صحيحة وكلام الضب والجمل وحنين الجذع له ـ عليه الصلاة والسلام ـ وكثير غير ذلك مما حفلت به كتب السنة الصحيحة والسيرة النبوية المطهرة .

وتوفى ـ عليه الصلاة والسلام وهو فى الثالثة والستين من عمره الشريف .

الأمور التى ساعدت من اهتدى من اليابانيين على اعتناق الاسلام :

يقرر « الشيخ على الجرجاوى » أنَّ مما سهل هداية هؤلاء القوم إلى الإسلام حالتهم الطبيعية ، فلديهم فى فطرتهم الاستعداد الطبيعى لكل مايوافق العقل ورفض كل ما يخالفه مهما قدم لهم بجميع أوجه السفسطة والمواربة ، ولو كان رجال الإسلام قد تنبهوا فى العصور السابقة إلى إرسال الدعاة للإسلام إلى بلاد اليابان لكان المسلمون منهم الآن يعدون بالملايين .

عودة الشيخ على الجرجاوى إلى الديار المصرية :

بعد انتهاء الجلسات التى عقدها ذلك الداعية الإسلامى فى الدعوة إلى الإسلام فى بلاد اليابان كان قد مضى عليه هناك نحو اثنين وثلاثين يوماً فعزم على العودة إلى وطنه بعد أن

(١١) سورة القلم ٤ .
(١٢) سورة الفتح ٢٩ .
(١٣) سورة آل عمران ٣١

اطمأن على غرسه فى مجال الدعوة خصوصاً ان « الحاج مخلص محمود الـروسى » و« السيد سليمان الصينى » أبلغاه برغبتهما فى البقاء مدة ستة اشهر لرعاية دعوة الإسلام هناك والعمل على نشرها والرد على ماقد يثار حولها من شبهات ، فاستقل إحدى البواخر الصينية التى يممت به إلى بلاد الهند فوصلها بعد واحد وعشرين يوما حيث ألقت الباخرة مراسيها فى ميناء « كلكته » ومن بلاد الهند عاد إلى الديار المصرية حيث حرر مؤلفه عن تلك الرحلة .

الكتب التى ألفها :

حرر الشيخ على الجرجاوى المؤلفات الآتية وكلها تدور على محور الدعوة إلى الإسلام أو الدفاع عنه وهى :-

١ ـ كتاب الرحلة اليابانية وفيه سجل وقائع تلك الرحلة ومراحلها المختلفة .

٢ ـ كتاب الإسلام ومستر سكوت وفيه يرد عليه مفترياته التى حررها ضد الإسلام والقاها على طلبته بمدرسة الحقوق .

٣ ـ كتاب حكمة التشريع وفلسفته فيه جزءان كبيران ، الأول يقع فى ٣١٨ صفحة والثانى فى ٤٧٨ صفحة .

٤ ـ مختصر كتاب حكمة التشريع وفلسفته وذلك لأجل سهولة الرجوع إليه فى قليل من الزمن بالنسبة لطلاب المعاهد الدينية فى وقت الامتحانات السنوية .

كيف كانت حياته بعد عودته من بلاد اليابان حتى تاريخ وفاته :

استمر « الشيخ على الجرجاوى » عازفاً عن العمل فى سلك الوظائف الحكومية أو الانغماس فى الأمور الحزبية مكتفياً بالعمل فى المحاماة أمام المحاكم الشرعية والسعى فى قضاء حوائج الناس خصوصاً أهل بلده « جرجا » والدفاع عن الإسلام أمام من تسول له نفسه المساس به ، مثل ماحدث من المستر سكوت فى كتابه المتضمن دروسه التى كان يلقيها على طلبته فى مدرسة الحقوق مما حدا بناظر المعارف وقتئذ إلى إصدار قرار بعدم تدريس ذلك الكتاب الذى اشتمل على مفتريات ضد الإسلام وإهانة للمسلمين فى دينهم .

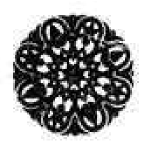
وقد استمر « الشيخ على الجرجاوى » طيلة حياته رئيساً لـ« جمعية الأزهر العلمية » حتى توفى فى يناير سنة ١٩٦١ عن عمر ناهز الخامسة والثمانين ودفن بمقابر أسرته فى مدينة جرجا[١٤] .

(١٤) هذه المعلومات الأخيرة استقيناها من الأستاذ عمر الفاروق محمد المحامى بمدينة جرجا وهو من تلاميذ الشيخ على الجرجاوى وكان يسكن بجواره هناك .

وبعـــد ،

فمن المعروف إن الصفة الأولى للإسلام انه دين الفطرة ، وان الناس يولدون ويتجاوبون مع تعاليمه إذا ادركوها ، ولو خلى المرء وفكره لاتجه إلى إله واحد ولشعر بدوافع ذاتية تجذبه إليه ، فإن الله زود الفطرة الإنسانية بخصائص تمتلك بها حق الاعتراض على موروثات الآباء والأجداد ، تلك الموروثات الباطلة التى تعرض او تُفرض عليها وتجعل العقل يرفض الخرافة ويتشبث بالحقيقة فـ كل مولود يولد على الفطرة وإنما ابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه » وإذا حدث ان خَفَت صوت الفطرة جاءت النجدات له من خارج ذاته ، من الدعاة إلى الإسلام -وهذه هى مهمتهم- لمعاونته كى يؤدى وظيفته ويبقى الإنسان إنساناً يعرف ربه ويؤثره على ما سواه ، وهذا ما يفسر سبب الإقبال من جانب اليابانيين على جلسات الدعوة التى كان يعقدها الشيخ على الجرجاوى فى تلك البلاد واعتناق الكثيرين منهم لعقيدة الإسلام وقتئذ وصدق الله تعالى إذ يقول ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِى آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ . أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ ءَابَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ . وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[١٥] .

المستشار
محمد عزت الطهطاوى

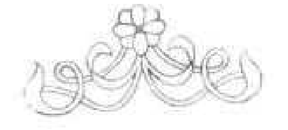


(١٥) سورة الأعراف ١٧٢ ـ ١٧٤ .

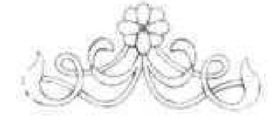
الشعر والشعراء

اشراف : د. حسن جاد

يا إبراهيم .. فديناه



من وحي الحج



في رحاب الحرم

يا إبراهيم .. فديناه

شعر: رشاد محمد يوسف

فاضت بالعَبْرَةِ عيناهُ ... أضناه الحُلْمُ واشقاهُ
شيخ تتمزق مهجته ... تتندى بالدمع .. لِحاه
ينتزع الخطوة مهموما ... والكون يناشد مسراه
وغلام جاء على كبر ... يتعقب فى السير أباه
ويهم الشيخ لغايته ... ويضم الابن بيمناه

• • •

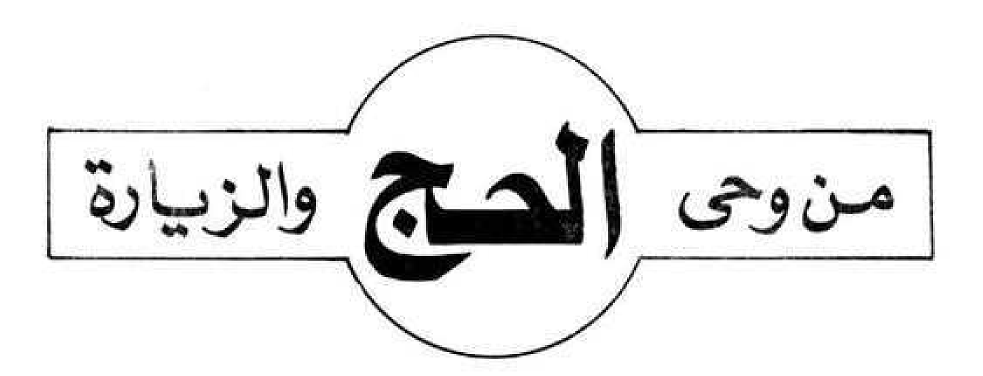
بلغا فى السعى نهايته ... والشيخ يكابد بلواه
لكن الرؤيا لنبى ... صدق وقرار يرضاهُ
والمشهد يبلغ ذروته ... وأشد الأمر وأقساه
إذ تمرق كلمات عجلى ... ويقص الوالد رؤياه :
وَأُمِرْتُ بذبحك ياولدى ... فَانْظُرْ فى الأمر وعقباه
ويجيب الابن بلا فزع : ... افعل ما تؤمر أبتاه
لن أعصى لإلهى أمراً ... من يعصى يوماً مولاه ؟

• • •

واستل الوالد سكينا ... واستسلم ابن لِرَدَاهُ
ألقاه برفق لجبين ... كى لا تتلاقى عيناه

• • •

ارايتم قلبا ابويا ... يتقبل أمراً يأباه
ارايتم ابنا يتلقى ... أمراً بالذبح ويرضاه
ويقولِ الحق - ورحمته ... سبقت فى الفضل عطاياه :
صَدَّقْتَ الرؤيا لاتحزنْ ... ياإبراهيم فديناه



من وحى الحج والزيارة

للأستاذ محمود شاور ربيع

نادى « الخليل » على الصفا فاجابه ** اهل السعادة والهدى والنورِ
من كل فج اقبلوا فى فرحة ** وهناءة ومسرة وحبور
وهناك « بالبيت الحرام » تحلقوا ** وتألقوا كدوائر من نور
« والأسعد » المحبوب كاد يضمهم ** لما اتوا للقائه بثغور
ولدى « المقام » صلاتهم بمحبة ** والطهر يسرى حانيا بصدور
ومضوا سراعا نحو « زمزم » اقبلوا ** من مائها قد اسعدوا بنمير
وسعوا هنالك بين مروة والصفا ** ومشوا خفافا فوق ظهر صخور
ورأوا بمكة بيت « آمنة » الذى ** نال الكرامة فوق كل الدور
ولد « النبى » به فكان منارة ** تهب الضياء على مدار دهور
ومضوا إلى « عرفات » حشدا هائلا ** كالناس قد هبت لنفخ الصور
وقفوا جميعا يطلبون نجاتهم ** من كل عادية وكل شرور
يدعون رب الخلق وهو رحيمهم ** والله اكرم راحم ونصير
وتفيض انوار السماء عليهمو ** هطلت عليهم من رحاب غفور
عادوا وقد غفرت جميع ذنوبهم ** فازوا هناك بنعمة التطهير
ادوا مناسكهم ونالوا فوزهم ** وبدوا لمرأى العين مثل بدور
وسعوا إلى « طه » الحبيب بروضة ** طاروا سراعا مثل سرب طيور
صلوا عليه وسلموا فى بهجة ** سعدوا باكرم مرسل وبشير
طلبوا الشفاعة من اعز مُشفَّعٍ ** وسراج هَذى قداتى بالنور
ياليتنى اجد السعادة مثلهم ** وافوز مثلهمو بكل حبور
ولأنت يارحمن فضلك واسع ** تعطى عبادك كلهم بكثير

وأذن فى الناس بالحج

عبد الستار سليم

عُلِّقتُ حُبَّ منابت الريحان   وعلى الهوى .. ما للمحب يدان
فلم الملام .. ولم تذق طعم الهوى ؟   هيهات تدرك لوعة الحرمان !!
جرح الأحبة فى الصبابة واحد   ولدىّ – من طول النوى – جرحان
تشتاق للبيت العتيق نواظرى   وإلى ثرى أرض النبى كيانى

ومآذن الحرمين يسكن طيفها   فى خاطرى .. وأذانها بجنانى
ولماء « زمزم » فى الجوانح غلة   وللملتقى « عرفات » حنّ زمانى
ويسوقنى الشوق المؤرِّق جفنَهُ   – لِرُبى الحجاز – بهادر التحنان
لا غرو .. أن يشتد بى حر الظما   فلنور « أحمد » يظمأ الثقلان

زوّار بيت الله بين قلوبهم   و « الكعبة الغراء » حبلُ أمان
وعيونهم متعلقات بالسما   وقلوبهم بستائر الأركان
فاضت دموع العين تغسل ذنبها   فعسى الذنوب تذوب بالهملان
وتعانقت فى السعى ما بين « الصفا »   و« المروة » الأرواح والجبلان

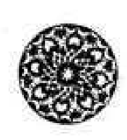
فهمو بأرض يُستجاب دعاؤها   أرض البيان .. ومهبط الغفران
فهنا تولى شق صدر « محمد »   فهل انشقاق لى .. فيصلح شانى ؟
ندعوك يارب « الجمار » بحجة   ترمى بداخلنا هوى الشيطان

ضَيَّفتنا ولأنت خير مضيِّف   طوبى لنا فى حوزة الرحمن
ووعدتنا – والحق وعدك – أننا   جئنا لساحة مكرم الضيفان
أنت الإله البر .. ذو الطول .. الذى   تدرى بيانى .. إن فقدت بيانى

في رحاب الحرم

شعر: علية الجعار

وانا هنا يهفو فؤادى للحرم — وهناك شمل المؤمنين قد التأم
لبيك رب البيت طالت غربتى — وأمضّنى ليل البعاد ولم أنم
كم طَوفتْ يارب روحى حوله — فى البعد واحتَضَنَته اعزازاً وكم
فالبيت بيتُك أنت قد باركته — والنور يومض حوله منذ القدم
لى فى حنايا الصدر قلب عاشق — بك أنت قد بدأ المحبة واختتم
يامن حكمت عليه جاءك داعيا — يرجو نداك فأنت أكرم من حكم
مُرْ تفتح الأبواب لى وأطفْ به — وأقف بكل محبتى بالملتزم
لا تُقْصِنِى يارب عنه إننى — لا بيت يؤنس غربتى غيرُ الحرم



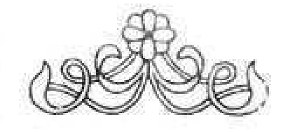
نصائح إلى ولدي

للأستاذ أبو سته محمد إبراهيم

صلاة الفجر نبراس الصلاح ... وصوم النفل مقياس الفلاح
قيام الليل تهذيب ووصل ... دوام الطهر من شيم الملاح
تحرى الصدق منجاة وفوز ... وقول الحق اشرعة النجاح
وتوقير الكبير دليل خير ... وكل الخير في بذل السماح
وبذل المال للآفات دفع ... وتقوى الله مقياس الصلاح
وذكر الليل للشهوات كسر ... كذاك الذكر في فلق الصباح
وفي التسبيح فضل ليس يُحْصَى ... فسبح بالغدو - وبالرواح
وشكر الله للأرزاق جلب ... والاستغفار للزلات ماحى
وخفض الصوت من حسن السجايا ... فلا تطلب أمورك بالصياح
وحق الضيف أن تلقاه بَشًا ... فأطعم ما استطعت من المتاح
وَنَقِّ القلب من غلٍ وحقد ... وكن للنفس كباح الجماح
وبالأبوين كن براً كريما ... فكل الخير في خفض الجناح
وشاور في أمورك أهل نصح ... فليس النصح بالأمر المتاح
وبع لله نفسك ياوليدى ... فهذا البيع يهدى للرباح
وكن حر الإرادة ذا قرار ... ولا تُسلم زمامك للرياح
وأهل العلم كن منهم قريبا ... ولا تركن إلى أهل المزاح

العلوم الكونية

مفاهيم العلم والحياة



آفاق جديدة

المفاهيم الكونية والعقلية

مفاهيم العلم والحياة

٣

زوجية التمييز : وهى زوجية تُعرف بها الأشياء والأحياء وتُميز بها كَمّاً وكيفاً .. فالأشياء والأحياء جميعا تبدأ من أصل واحد ثم تتنوع وتختلف اختلافا كبيراً يبلغ اشده فى الإنسان فقط ، حتى انه يمكن تمييز التوامين الشديدى التشابه تمييزا دقيقا وفى ذلك تتدرج الكائنات كلها من البساطة الواضحة ـ كما فى المعادن والعناصر ـ إلى التعقيد الشديد والغامض فى الإنسان ماراً قبله بالنبات ثم الحيوان ..

وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُم رَقِيباً ﴾ (النساء ١)

﴿ وَهُوَ الَّذِى أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ والرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَاتُسْرِفُواْ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأنعام ١٤١)

﴿ وَفِى الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى الْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَومٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الرعد : ٤)

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِى ذَٰلِك لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (النحل : ١٢ ، ١٣)

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل : ٦٨ ، ٦٩)

للدكتور محمد وسيم نصار
مدرس بطب القاهرة

﴿ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِن نَّبَاتٍ شَتَّى. كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِى النُّهَى. مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ (طه : ٥٣ ، ٥٥)

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (الحج : ٥)

﴿ وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (النور : ٤٥)

﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً ﴾ (الفرقان : ٥٤)

﴿ اللهُ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِى السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴾ (الروم : ٤٨ ، ٤٩)

﴿ ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ (السجدة : ٦ : ٨)

﴿ وَاللهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِى كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ. وَمَا يَسْتَوِى الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ (فاطر : ١١ : ١٣)

﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ. وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ. لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ (يس : ٣٣ ، ٣٥)

ويأتى القول الفصل جليا منيرا فى قوله تعالى :

﴿ فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ.يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ.وَمِنْ ءايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ.وَمِنْ ءايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ.وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴾ (الروم : ١٧ : ٢٢)

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ.ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ . وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (فاطر : ٢٥ : ٢٨)

لقد استطاع العلماء بعد جهود متصلة ومضنية أن يصلوا إلى تحديد أساسى وجوهرى لبنية الذرة وهى أصغر جزء فى هذا الكون .. فوجدوا أن الذرة بتركيبها الدقيق المتناهى فى الصغر تشبه ذلك الكون الفسيح بأجرامه ومجراته المتناهية فى الضخامة ، فالذرة تشبه شكلا كرويا قطره ضئيل يساوى « انجستروم » أى جزء من عشرة ملايين جزء من المليمتر ، ومعظم مادة الذرة موجود فى نواة ضئيلة عند المركز تتكون من جسيمات ذات شحنة موجبة تعرف « بالبروتون » وأخرى حيادية الشحنة تعرف « بالنيوترون » وقطر النواة أصغر من قطر الذرة بعشرة آلاف مرة ، والمحيط بالنواة هو سحابة مفككة مكونة من جسيمات ذات شحنة سالبة تعرف « بالإلكترون » تدور حول النواة فى مدارات خارجية بسرعة تبلغ ثلاثة آلاف كيلو متر فى الثانية أى بسرعة تعادل جزءا من مائة من سرعة الضوء ، ووجد أن وزن (البروتون) يعادل تقريبا وزن (النيوترون) ويساوى (١٨٣٧ مرة) من وزن الالكترون الذى يعادله من ناحية الشحنة الكهربية ، وهكذا تتوازن الذرة من الناحية الكهربية .

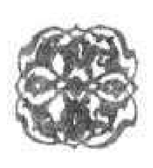
وذرة (الهيدروجين) هى أبسط ذرة فى الكون لأن النواة تحوى (بروتون) واحداً ، والمدار الخارجى به (إلكترون) واحد ، ويتدرج بناء الذرات بحيث يزداد البناء (بـروتونـابروتـونا)حتى (اللـورانسيوم) فيكون المجموع العام للعناصر الموجودة فى الكون هى ثلاثة ومائة عنصر ، ومع زيادة (البروتون) يوجد (النيوترون) بعـدد جديد ، وفى كل العناصر يكـون عدد (الالكترونات) مساويا لعدد (البروتونات) الموجودة فى النواة حتى تتزن الذرة كهربيا لتعادل الشحنات الموجبة والسالبة .

ولقدوجد أن (الإلكترونات) لا تتوزع فى مدار واحد بل فى أربعة مدارات رمز لها بالأحرف : ك .ل .م .ن . وقد تبين أن هناك قانونين يحكمان توزيع (الإلكترونات) فى

المدارات الخارجية .. أحدهما أن عدد الالكترونات فى كل طبقة من تلك المدارات تتوزع وفق القانون (٢ ن٢) حيث يرمز الحرف (ن) إلى رقم الطبقة وهكذا يكون فى الطبقة الأولى (إلكترونان) والثانية (ثمانية الكترونات) والطبقة الثالثة بها (ثمانية عشر إلكترونا) والرابعة بها (اثنان وثلاثون إلكترونا) (٢×٤٢ =٢×١٦=٣٢) .

أما القانون الثانى ، وهو ما يسمى بالنظام الثمانى ، فالذرة التى تحتوى على (ثمانية إلكترونات) فى مدارها الخارجى هى ذرات مستقرة وغير نشطة (خاملة) وأما التى لا تحتوى على هذا العدد فى مدارها الخارجى فإنها تحاول أن تستكمل العدد إما بطرح (الالكترونات) الخارجية ، أو بمحاولة أخذ (الكترونات) من غيرها من الذرات حتى يحدث الاستقرار الخارجى .. والغالبية العظمى من العناصر تفعل ذلك ولذا تعرف بالعناصر النشطة ونتيجة هذا النشاط يتم إنتاج مواد ومركبات كيميائية عديدة قد تكون فى صورة مواد غازية أو سائلة أو صلبة تختلف اختلافا كبيرا فى خصائصها وتأثيراتها واستخداماتها فى الحياة العملية للبشر .

د . محمد وسيم نصار



آفاق جديدة

تحدثنا فى مقالنا الأول ـ بشهر شوال ـ عن « الإيدز » ، كيفية اكتشافه والعوامل المسببة للإصابة به ، وفى المقال الثانى تحدثنا عن سيره وأعراضه وانتشاره السريع ، وفى هذا الجزء نتحدث بالتفصيل عن المحاولات العلمية الجادة التى تستخدم نتائجها فى الحد من مضاعفات هذا المرض كإنتاج « لقاحات » فعالة فى مقاومته ، وتطويرها .

ومن المعروف لدينا أن المرض انتشر فى الولايات المتحدة الأمريكية حتى بلغ عدد المصابين (٢١٠٦٥) حتى مايو ١٩٨٦ مات منهم (١١٥٤١) فلاعجب أن كان السؤال المطروح :

كيف تطور فيروس هذا المرض الجديد ؟ ومن أى ميكروب آخر تطور ؟؟

لقد حملت الأنباء خبر اكتشافين هامين ، وقعا فى وقت واحد تقريبا .

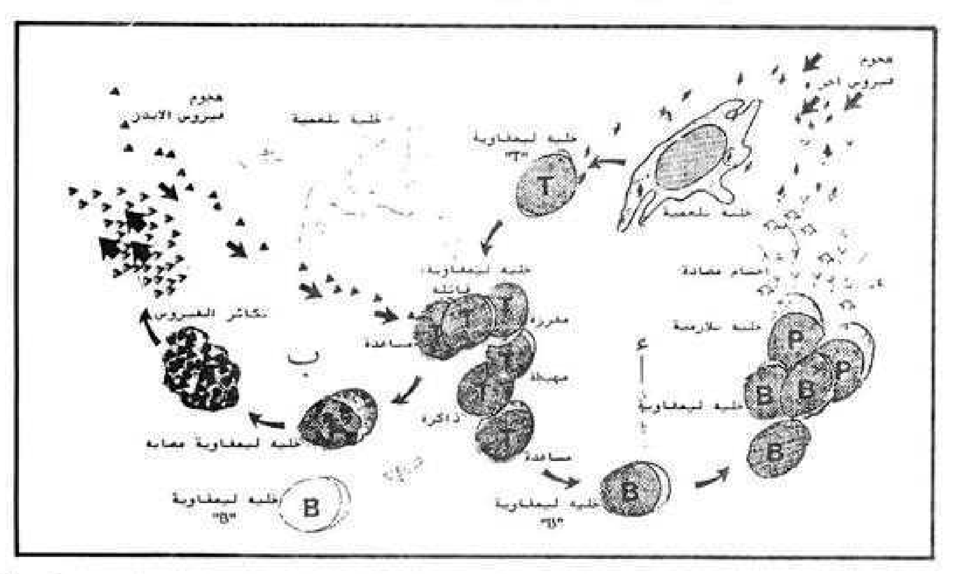
(أ) الاكتشاف الأول لفيروس المرض :.

يعزى هذا الاكتشاف للدكتور « مايرون اسكس » (ماكس اختصارا) البحاثة فى مدرسة الصحة العامة التابعة لجامعة هارفرد ، المعروفة ، وقد جاء هذا الاكتشاف نتيجة التعاون بين الدكتور « مايرون » وبين زملائه فى البحث ، وهم فئتان ، فئة تعمل فى تورز فى فرنسا ، والفئه الأخرى تعمل فى السنغال فى أفريقيا فقد تسنى للأفرقاء الثلاثة عزل فيروس جديد ، وثيق الصلة بفيروس الإيدز ، ولكنه يختلف عنه اختلافاً جذريا فى أكثر من ناحية .

وتبين أن هذا الفيروس الوثيق الصلة بفيروس الإيدز لهو أوثق صلة بفيروس آخر يصيب بعض القردة الأفريقية .

وقال الدكتور/ اسكس الذى أعلن اكتشافه هذا فى اجتماع للجمعية الأمريكية (للميكروبيولوجيا) فى واشنطن قال نعتقد أننا اكتشفنا الحلقة المفقودة التى تسلط الأضواء على ما خفى أو غمض من أصل فيروس الإيدز ! !

د. واصف عبد الحليم عبد الله



شكل ١ يوضح مسار المقاومة الطبيعية عند دخول فيروس للجسم (ب) المسار المغاير الذي يسلكه فيروس الايدز وتحطيمه للمناعة

(ب) الاكتشاف الثانى لفيروس المرض :.

يعرى هذا الاكتشاف إلى باحثين فرنسيين وبرتغاليين فيبدو كبير الشبه بالاكتشاف الأول فقد أعلن الدكتور « لوك مونتاجنير » أحد الباحثين فى معهد « باستور » فى باريس فى المؤتمر الخاص الذى عقد فى لشبونة بالبرتغال أنه تسنى له اكتشاف « الحلقة المفقودة فى قصة تطور فيروس الإيدز » وأن الفيروس المكتشف أقرب إلى فيروس « سيميان » منه إلى فيروس « الإيدز » البشرى المعروف .

اما عينات الدم التى عثروا فيها على الفيروس الجديد فكانت فى دم رجلين من أهالى غينيا ـ « بيساو » فى أواسط أفريقيا القريبة من السنغال .

ولعل أهم ما يذكر عن فيروس الإيدز الأفريقى هذا هو أنه غير فتاك ، فبالرغم من شبهه الكبير بفيروس الإيدز شكلا ومسلكا فإنه لا يبطش بخلايا المناعة (خلايا T المساعدة) كما يفعل نظيره الغربى الفتاك كما يوضحه شكل (١) وتجلت هذه الخاصة فى التجربة التى أجروها على بضع عشرات من الناس (خمسين على وجه التحديد) فقد لُقِّح هؤلاء الناس بالفيروس الجديد .. ولكن أعراض « الإيدز » لم تظهر على أى منهم ، وبرئت أفريقيا من وصمة « الإيدز » الفتاك

←

آفاق جديدة

ومضت سنة أو تزيد والقائمون بالتجربة وهم من الفريق الأول ، يواصلون مراقبة الذين كانوا موضع تلك التجربة . بل ثلاثين منهم بالتدقيق .. فلم يظهر على أى من هؤلاء أى من أعراض المرض التالث . من هنا أصبح لدى العلماء أصل فى أن يطوروا من الفيروس الجديد لقاحاً فعالاً يكسب الإنسان مناعة ضد الإصابة بمرض الإيدز الخطير .

وثمة أمل آخر وهو أن يتمكنوا بواسطة الهندسة البيولوجية من اكتشاف (الجينة gene) المسئولة عن أضرار الإيدز فيتمكنون بالتالى من عزل تلك الجينة عن الفيروس ، والقضاء بذلك على مرض الإيدز .

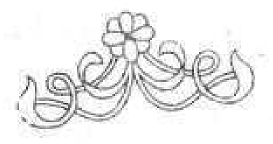
نحو لقاح فعال لمرض الإيدز

لقد تحدثنا فيما سبق عن مرض الإيدز الفتاك وعن اكتشاف مرض إيدز آخر غير فتاك وعن المساعى لتطوير فيروس هذا المرض غير الفتاك ، بحيث يصبح لقاح مناعة ضد الإصابة بالمرض ولما كان مرض الإيدز الجديد نسبيا (٥ ـ ٦ سنوات) يستأثر بنصيب الأسد من الأبحاث العلمية الطبية التى تجرى تلك الأبحاث كثيرة وتكاد تحملها إلينا انباء هنا وهناك كانت النتائج التى تمخضت عنها الطب والعلم يومياً . ولقد وصلت أنباء علمية حديثة من المؤتمرات العلمية الخاصة بمرض الإيدز والتى تعقد تحت رعاية منظمة الصحة العالمية تستهدف تطوير لقاح ضد المرض اللعين من معد آخر بعيد عن مرض « الإيدز » بعداً يكاد يجعل اللقاح المرتقب ضربا من الخيال العلمى ، ذلك أن هذه المساعى الجديدة منصبة على تطوير لقاح « الإيدز » من مرض الجدرى ... بل قل جدرى البقر على وجه التحديد « Compax or Vacci-niavirus » وهو أخف من مرض الجدرى « Smallpex » .. أى أن هذه المساعى تقتفى أثر (ادوارد جنر) العالم البريطانى الذى استعمل فى القرن الثامن عشر (جدرى البقر) لقاحا ضد مرض الجدرى فكان له فضل الريادة فى الجهود المتواصلة التى نجحت فى القضاء على مرض الجدرى أو كادت فالفيروس الذى استعمله « جنر » فى الماضى هو نفس الفيروس الذى يبشر بكبح جماح مرض « الايدز » فيما يؤمله العلماء فى الوقت الحاضر .. وذلك بعد إجراء شىء من التعديل فى بنيته .. والغريب هو أن فاعلية هذا الفيروس ضد الإيدز اكتشفها فريقان من العلماء لا فريق واحد ، والفريقان أمريكيان .

البقية ص ١٧٤٥

اللغة والأدب والنقد

الإعلام الإسلامي وموقعه من الإعلام العالمي



الخيال الشعري في شعر الوصف عند البحتري



أزمة اللغة العربية

فى الإعلام والإعلان وعلاجها

كلمة الإعلام بمعناها الحديث مستحدثة ، وقد أخذت من "أَعْلَمَ" فلان فلانا الخبر ، أى أخبره به ، كما أن الإعلان كلمة محدثة من "أعلن" الأمرَ أظهره وجهر به ، وتعنى إظهار الشىء بالنشر عنه فى وسائل الإعلام أو بوضع اللافتة ، ووسائل الإعلام إما أن تكون ذاتية كالخطابة أو بإحدى الوسائل الآتية :

١ ـ الصحافة اليومية والمجلات .
٢ ـ الإذاعة المسموعة « الراديو » .
٣ ـ الإذاعة المرئيـة « التليفزيون » .
٤ ـ السينما .
٥ ـ الكتاب .
٦ ـ النشرات .

أزمة اللغة فى الإعلام أو ضعفها بمعنى أصح ترجع أساسا إلى أزمه اللغة فى التعليم وضعفه ، فهى نتيجة له وهى حصاد لزرع لم يحسن بَذْرُه ، ولم يُقَوَّمْ فى نموه ، ولكننا لا نكتفى بإلقاء المشكلة على مامضى من مراحل تعليم العاملين فى شتى وسائله وصوره .

وقبل أن نتطرق إلى ما نراه من علاج نحب أن نعرض للظواهر المرضية فى الإعلام فهى ليست مجرد أزمة أى شدة قد تزول كأزمتنا الاقتصادية .. ولكنه مرض يطول علاجه ويصح بعده الإعلام إذا صح العزم والعمل والتوكل على الله ونسجل هنا بعض ما نرى من ظاهرة :

أولاً : ضعف من يتصدرون للإعلام فى المجتمع أو أكثرهم ممن هم قدوة أو ممن يراهم أبناؤنا نجوماً يهتدون بهم ، ممن يسمعهم الناس خطباء فى المناسبات ومتحدثين فى الإذاعات بشتى أشكالها مرئية ومسموعة حيث يتصدون لحل المشكلات وممن يكتبون فى الصحافة فتتغلب على أحاديثهم العامية وبخاصة بين مقدمات البرامج وهن جميعا يدخلن "الباء" على الأفعال عدة مرات مثلاً « بنشكركم ـ بنقـدم إليكم ـ بنشـوف الموضوعات اللى بتهمنا ـ كلنا بنحب مصر .. الخ .

ثانيا : إن ضعف القائمين بالإعلام ـ غالبا ـ لايقف عند حد الشكل النحوى بل

للأستاذ عبد الحفيظ نصار

نجد الضعف فى اختيار الكلمات وصياغة الجملة ومضمونها ، فإلى جانب الأخطاء النحوية واللغوية نجد إسفافا فى الأفكار وبخاصة فى توجيه أسئلة الحوار ، وإعداد الأسئلة فن وعلم وليس مجرد لغو وقضاء وقت وادعاء معرفة تسبق به المتحدثة ضيفها فى الإذاعة أو « التليفزيون » وتغطى المذيعة أو المذيع التفاهة بالضحك فى غير موضع والتظرف فى غير تلطف مما يكون له أثر سيء على الجيل الجديد الذى يقضى عدداً من الساعات أمام « التليفزيون » و « الفيديو » والمسجلات أكثر مما يقضيه فى المدرسة أو المعهد أو الكلية ، إذا اعتبرنا أن العام الدراسى عندنا ستة أشهر بعد اقتطاع الإجازات ، كما أن اليوم خلال الدراسة لا يخلص لها أو للمطالعة المفيدة ، إذ تشارك المدرسة تلك الأجهزة أثناء العام الدراسى الذى هو نصف عام فى الحقيقة كما نجد العامية التافهة فى كل نكتة مع أنه قد تغنى الكلمات العربية البسيطة والتى تسهل قراءتها عن العامية . وقد يزداد الأمر سوءاً من الصحافة بوضعها- فى مكان ووقت غير مناسبين-« الكاريكاتير » الذى جاء بعد خبر خطير يجب أن يستوعبه جيداً القارىء وكأنه وضع ليمسح من الذهن ما قراه أولاً فقد وضع فى ذيل الخبر الخطير فى جريدة الأخبار بتاريخ ١٣/١٠/١٩٨٦ الخبر : « أبو القنبلة النووية الفرنسية ـ إسرائيل تمتلك السلاح النووى » وتفصيل الخبر : تأكيد من « فرانسيس بيران » الرئيس السابق لبرنامج السلاح النووى الفرنسى بما قدمته فرنسا لإسرائيل من أسرار صناعة القنبلة الذرية حتى توصلت إليها . وذلك يؤكد ما نشرته قبل ذلك بيومين « صنداى تايمز البريطانية » من امتلاك إسرائيل للقنابل الذرية ويقدر عددها ما بين مائة إلى مائتين . هذا الخبر الذى يهز النفوس المخلصة المؤمنة ويشعرها بمدى تخلف الأمة العربية بخاصة والأمة الإسلامية بعامة ويدعوها إلى العمل لمواجهة القوة بالقوة أو العلم والعمل بالعلم والعمل ولكن صحيفة الأخبار تستخدم سلاح العامية بنكتة سخيفة لمغنى الأفراح المزعج ويصحبه من يقدمه إلى آخر فيقول:« ده أخويا بيطلع معايا الأفراح عشان يعملوا لى منه نقل دم » .

ثالثا : تحويل الروايات المكتوبة أصلاً باللغة العربية إلى العاميه كروايات محمد سعيد العريان ونجيب محفوظ وثروت أباظة مع أن المسرح فى مطلع نهضته كان ناجحا باللغة العربية ولم تسقط أية رواية مثلت باللغة العربية مثل روايات على أحمد باكثير وعزيز أباظة وخليل مطران الذى ترجم روائع شكسبير وللأسف نجد فى أيامنا من انحدر بها فترجمها بالعامية .

وقد عرض برنامج تاريخى « بالتليفزيون »

عن « ماقبل الأهرامات » وهو مقدم للصغار فى سن المدرسة الابتدائية وهو برنامج جيد يعيبه التعليق عليه بالعامية . وهنا نذكر الانفصال فى تدريس وعرض المواد الدراسية فى غير حصص اللغة العربية بالعامية وهى ظاهرة مَرَضية تستحق المعالجة بعرض المواد جميعها سواء فى المدرسة أو وسائل الإعلام باللغة العربية . كما يرجى الاهتمام باللغة فى مجلات الأطفال وبرامجهم فى الإذاعة والتليفزيون . كذلك يجب تنقية كتب قراءة الأطفال من العامية مثل كلمة « حوش المدرسه » لم لا تكون « ساحة المدرسة » وكثير غيرها مما تغنى عنه اللغة العربية فى بساطتها .

رابعا : الاعلانات فى الصحف والمجلات والإذاعات بأسماء المحلات والشركات التى تدل على فساد الذوق وفقدان الإحساس بالانتماء والارتقاء وإليكم بعض أمثلتها ! « هليو موتورز » وآخر كتب بسم الله الرحمن الرحيم ! « شريف كار » ، وغيره ! « وهبة كار » « جولدن إن ـ نيوكار » ، « جى إم سى سنتر بى ـ إم ـ دبليو » مكتوبة بالحروف العربية » ، « ترى إتش » « توب كاترنج » متخصصون فى تغذية المدارس ـ « مصر كافيه » ومعناها مصر قهوة شركة « أراب اكسبريس » ـ « كونستاد » مركز خبرة ـ قطع غيار سيارات « كنج ـ روكى » للأدوات الصحية ـ ووصل الفساد إلى الأحياء الشعبية ففى « القبارى » وهو حى شعبى بالأسكندرية « حلوانى خميسكو » ، « ترافيك سيتى » ، « ماجيك هاند » وأما أسماء المقاهى والمطاعم ! « كاف دروا » ـ « مطعم لوردا » ـ « رستوران سان جرمان » « هيدكو مصر » H-L-M-M « شوبنج سنتر » « أوليمبيك اليكتريك » . « بلاست أويما » « روستيكو » للأثاث ـ « فيدكو » أولى مشروعات الشركة الإسلامية للصناعات الهندسية !!

وهذا جانب من طوفان الأسماء الأجنبية التى لها تأثيرها على الشباب وتفضيلهم للكلمات الأجنبية على العربية ، ودون فهم يحلون بها ظهورهم أو صدورهم مثل تلك الفتاة التى تلبس قميصا مستورداً كتب عليه « No Broblem » أى لا توجد مشكلة ، وأخرى أو آخر حلى صدره بعبارة «I love You » أليس فى ذلك اعتزاز بلغة غير لغتنا كما أن لذلك صلة بسلوك غير سلوكنا فالمسألة لها أبعاد أخرى تربوية

كما أن الأسماء المذكورة لمحلات وشركات مصرية عربية جدت فى عصر الانفتاح فهو هنا انفتاح على مالا يباح .

وأوجز العلاج لما مضى فيما يأتى :

١ ـ إصدار قانون يمنع الترخيص لأيه شركة أو محل ليس أجنبيا أو كان أجنبيا باسم غير عربى ، والأجنبى يضع الترجمة العربية أو الاسم العربى مع الأجنبي ولنقتد بالجزائر التى أصدرت ونفذت مثل هذا القانون بعد مائة وثلاثين سنة من استعمار فرنسى كان يعمل على إزالة كل ماله صلة

باللغة العربية ، وقد عاونتها مصر فى ذلك التعريب ولكن مصر لم تعاون نفسها ، ونجد من كتابها من يدافع عن تلك الأسماء الأجنبية بحجة أن لها سمعة تجارية وتاريخية وقد قلنا: إننا لن نمس أسماء محلات أو شركات أممتها مصر وكانت للأجانب وإنما نعمل على أن تبقى لنا شخصيتنا العربية وأسماؤنا العربية لمحلاتنا وشركاتنا العربية والمصرية .

٢ ـ إدخال اللغة العربية كمنهج أساسى فى كليات الإعلام وإعداد منهج دراسى مناسب باختيار بعض مؤلفات من الأدب فى العصور الزاهرة والعصر الحديث تدرس فى ظلالها قواعد اللغة كما يدرس فن الإلقاء .

٣ ـ إعادة التعليم واستمراره بالنسبة للعاملين فى وسائل الإعلام بوجود معهد دراسى دائم لدراستهم، مناسب لأوقاتهم يقوم به أساتذة متخصصون أو تعديل ماقد يدرس لهم حاليا .

٤ ـ توفير عدد من المراجعين المتخصصين فى جميع أجهزة الإعلام «كالتليفزيون» والإذاعة فضلا عن الصحافة فلا تقدم مادة دون مراجعة وتصحيح دقيقين .

٥ ـ الاختبار الدقيق للمتقدمين للعمل فى وسائل الإعلام فى اللغة العربية .

٦ ـ الاختبار الدقيق للمتقدمين للدراسة فى كليات تُخَرِّجُ معلمى اللغة العربية وأقسام اللغات بالكليات ومعهد الألسن ، فإن وسائل الإعلام تأخذ خريجيها للعمل بها دون نظر للغة العربية إذ لا يكفى إجادة اللغة الإنجليزية أو غيرها من اللغات الأجنبية ، بل من الضرورى أن يجيدوا اللغة العربية أولاً ، وأن يعاد النظر فى مناهج تلك الأقسام بمزيد من الاهتمام باللغة العربية .

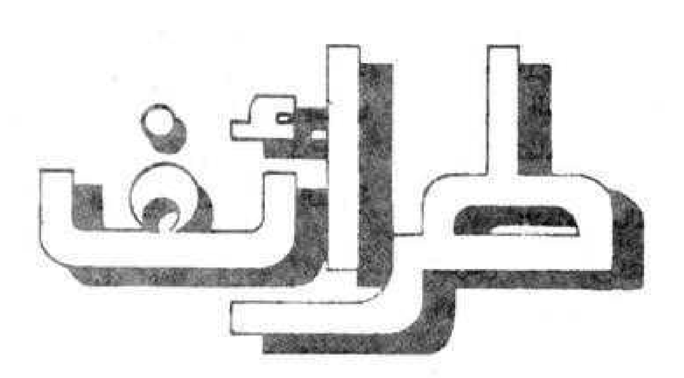
٧ ـ الاهتمام بالترجمة على الأفلام التى تعرض «بالتليفزيون» إذ يلاحظ عدم الاهتمام بوضوح الكلمات فضلاً عن ضعف اللغة والترجمة .

٨ ـ الاهتمام بالمسرح ولغته كما يوقف طوفان المسلسلات العامية الهابطة فى لغتها وموضوعها والعمل على رفع مستوى الروايات العربية والمسلسلات الإسلامية بحيث لا يذاع منها إلا ما كان قويا فى موضوعه وأهدافه وحواره ، وبعد ، فاللغة العربية لغة القرآن الكريم والحديث الشريف والتراث الإسلامى العربى . لغة المسلمين الأولى قديما وحديثا فلتكن لها الأولوية فى ثقافتنا وحياتنا وأجهزتنا الإعلامية ومعاهدنا العلمية ، فهى النهر الجارى الذى يربط الحاضر بالماضى وهى أحد مقومات شخصيتنا العربية والإسلامية .

اللهم هل بلغت .. اللهم فاشهد

عبد الحفيظ نصار





«الخوف من الله»

قال ابن ابى الحوارى : قلت لسفيان : بلغنى قول الله ـ تبارك وتعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ اى الذى يلقى ربه وليس فيه احد غيره .

فبكى وقال : ما سمعت منذ ثلاثين سنة احسن من هذا التفسير .

وقال على بن ابى طالب ـ كرم الله وجهه ـ لرجل : ما تصنع ؟

فقال : ارجو واخاف .

وقال الحسن البصرى : إن خوفك حتى تلقى الامن خير من أمنِك حتى تلقى الخَوف .

قال : من رجا شيئاً طلبه ، ومن خاف شيئاً هرب منه .

وقال الفضيل بن عياض : إنى لاستحى من الله ان اقول : توكلت على الله ، ولو توكلت حق التوكل ماخفت ولا رجوت غيره .

«واسألوا الله من فضله»

روى الترمذى عن عبد الله . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سلوا الله من فضله فإنه يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج » .

وخرج أيضاً ابن ماجة عن أبى هريرة ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « من لم يسأل الله يغضب عليه » .

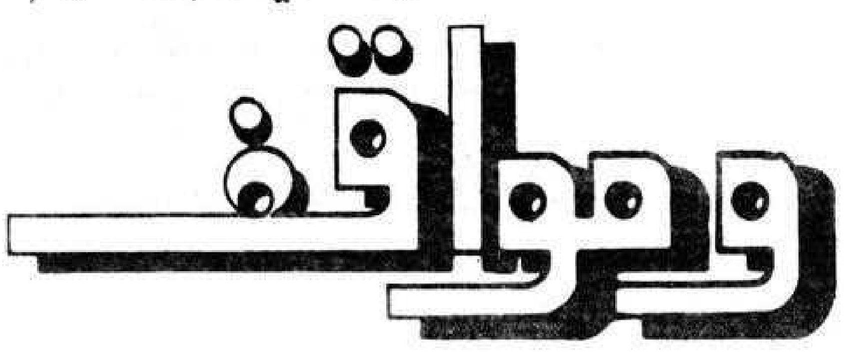
وهذا يدل على أن الأمر بسؤال الله تعالى واجب وقد أخذ بعض العلماء هذا المعنى فنظمه ، فقال :

الله يغضب إن تركت سؤاله
وبنى آدم حين يسأل يغضب

«الحلم سيد الأخلاق»

قال رجل لأبى ذر ـ رضى الله عنه : أنت الذى نفاك معاوية من الشام ، لو كان فيك خير ما نفاك ؟

عبد الحفيظ عبد الحليم



فقال : ياابن اخى إن من ورائى عقبة كؤودا ، وإن نجوت منها لم يضرنى ما قلت ، وإن لم انج منها فانا شر مما قلت .

« الذى أبكانى »

قال يونس بن محمد المكى :

زرع رجل من اهل الطائف زرعاً فلما بلغ اصابته آفة فاحترق فدخلنا عليه نسليه عنه فبكى وقال :

والله ماعليه ابكى ولكن سمعت الله - تعالى - يقول :

﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ[1] أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

فاخاف ان اكون من اهل هذه الصفة فذلك الذى ابكانى .

« حقا »

قال مؤرق العجلى[2] :

ياابن آدم فى كل يوم يؤتى برزقك ، وتحزن ، وينقص عمرك وأنت لا تحزن ، تطلب ما يطغيك وعندك ما يكفيك ، لا بقليل تقنع ، ولا بكثير تشبع .

« خوف جهنم »

قيل لعطاء فى مرضه : ما تشتهى ؟

قال : ماترك خوف جهنم فى قلبى موضعاً للشهوة .

« دعـاء »

اللهم بك توسلت ، ومنك سألت ، وفيك لا فى سواك رغبت ، لا أسأل منك سواك ولا اطلب منك إلا إياك .

---

(١) صر : « برد شديد »

(٢) من اجلاء بنى سدوس واحد الوعاظ المشهورين .

الإعلام الإسلامي

وموقعه من الإعلام العالمي

تمهيد :

لا شك ان مسئولية الإعلام الإسلامي ـ اليوم ـ مسئولية جسيمة وخطيرة ، فالأحداث من حولنا تتوالى في سرعة مذهلة ، والمتغيرات العالمية تتلاحق ، وقضايا المسلمين تزداد التهاباً وخطورة في العالم كله . ومعالجة هذه القضايا بأسلوب إعلامي صحيح أصبح مهمة صعبة وشائكة تحتاج إلى فهم واسع لمجريات الأحداث وإلى معرفة شاملة بإمكانات الإعلام بالشكل الذي نستطيع به ان نخدم قضايا المسلمين في العالم .

من اجل ذلك كانت هذه الدراسة لنستفيد من التاريخ ، ولنحمل شعاراً يدفعنا إلى أن نعتقد أن بالإمكان دائماً الوصول إلى ما هو افضل ، فإن الله لا يضيع أجر من احسن عملاً ولازلنا ـ والحمد لله ـ ابناء اجيال إسلامية كتبت صفحات مشرقة ومشرفة من المجد في كل مكان .. في التربية والتعليم .. في الطب .. والهندسة .. والرياضة .. ومختلف الفنون لا ينقصنا الإخلاص ، ولا تعوزنا الثقة ، ولا تحبطنا الأخطاء المتراكمة .

وعلى الله قصد السبيل ..

وفي البداية لابد لمن يتعرض لدراسة الإعلام الإسلامي والإعلام المضاد للإسلام من المعرفة الشاملة بأحوال إعلامنا الإسلامي في شتى بلاد المسلمين ، ثم معرفة أحوال الإعلام المضاد للإسلام في شتى الدوائر المعادية للإسلام ..

● والمعروف أن للإعلام قوتين :[1]

قوة ذاتية : يستمدها من الأساليب ، والتكنيكات والوسائل والأدوات والانتشار والإمكانات الفنية وغير ذلك .

وقوة يعكسها ويستمدها من الأوضاع

---

(١) نستمد هذه العبارة من محاضرات الدكتور محمد علي العويني بمعهد الإذاعة والتليفزيون في يناير ١٩٨٥ دورة يناير / فبراير للتخطيط الإعلامي .

للأستاذ حسن على العنيبى
إذاعة القاهرة

السياسية والاقتصادية ، والاجتماعية السائدة .

ومن هنا فإن الإعلام لا ينطلق من فراغ ..

والإعلام لا يصنع من الهزيمة نصراً ، ولا من الخيال حقيقة ، ولا يستطيع أن يغير السلوكيات إلا على المدى البعيد ، وبأسلوب تراكمي يحتاج إلى جهد منظم وسنوات طويلة .

والإعلام ما لم تكن هناك عدة قوى أخرى تؤازره لا يستطيع بمفرده أن يصنع المستحيل ، أو يجعل من دولة نامية ، دولة متقدمة .

ولهذه المعطيات السالفة الذكر ، يجدر بنا ـ قبل الحديث عن الدوائر المعادية للإسلام ـ أن نقدم للقارىء بالأرقام والإحصائيات بياناً بخريطة الإعلام في العالم لنعرف : أين يقع الإعلام الإسلامي ؟

واين تقع الدول الإسلامية في هذا المحيط الهائل من ثورة الإعلام والمعلومات في العالم .

وهذا يجعلنا نحكم حكماً موضوعياً على القوة الذاتية لإعلامنا الإسلامي في بلاد المسلمين !!

خريطة الإعلام في العالم

لكي نتبين الاختلال الرهيب في التوازن الإعلامي بين دول العالم الإسلامي وبين الدول غير الإسلامية وحتى نعرف حجم التخلف الذي يعيشه الإعلام في بلاد المسلمين لكي نعرف ذلك كله نورد فيما يلي الأرقام التالية من إحصائيات ١٩٧٠م لنعرف مالنا وماعلينا :

أولاً : بالنسبة للوسائل التكنولوجية الحديثة ذات الانتشار الكبير والخطير :

أ) الراديو Radio

● يوجد في العالم ٦٥٣ مليون جهاز أي بمعدل ٢٣٢ جهازا لكل الف نسمة وحسب إحصائية ١٩٧٨ يوجد في العالم حوالي مليار جهاز راديو أي بمعدل جهاز لكل اربعة أشخاص .

● والتوزيع التالي على بلاد العالم سيكون حسب إحصائية ١٩٧٠ كالتالي :

١ ـ دول العالم « دائرة أهل الكتاب »

ـ في أوروبا بواقع ٢٨٠ جهازا لكل الف نسمة .

ـ الولايات المتحدة ١٥٠٠ جهاز لكل الف نسمة

ـ أمريكا اللاتينية ١٦٧ جهازا لكل الف نسمة

٢ ـ الدول الشيوعية

ـ الاتحاد السوفييتي ٤٠٠ جهاز لكل الف نسمة .

ـ جنوب آسيا ما عدا الصين واليابان ٣٢ جهازاً لكل الف نسمة .

٣ ـ العالم الإسلامي

ـ قارة أفريقيا كلها بما فيها الدول العربية الأفريقية ٤٥ جهازاً لكل الف نسمة ٣٠ جهازاً لكل الف نسمة .

ـ مصر (قلب العالم الإسلامي) ١٣٢ جهازاً لكل الف نسمة .

وقراءة بسيطة لما سبق ذكره من أرقام وإحصائيات توضح لنا مدى التفوق في حيازة أجهزة الراديو لدى غير المسلمين بالنسبة للمسلمين .. ولعلك تجد ـ مثلا ـ أن الولايات المتحدة الأمريكية وحدها تحوز أجهزة الراديو بمعدل يفوق مجموع الدول الإسلامية مجتمعة في العالم كله ..

وفي الوقت الذي أصبح فيه نصيب الفرد الأوروبي والأمريكي أكثر من جهاز ، نجد أن قارة أفريقيا بما فيها الدول الإسلامية العربية تنخفض فيها نسبة حيازة الأجهزة إلى جهاز واحد فقط لكل ١٨ شخصاً ، ولدى مسلمي آسيا جهاز واحد لكل ١٣ شخصاً .

والحديث عن الراديو يجرنا إلى الحديث عن الإرسال الإذاعي في العالم ، ولسوف نجد عجباً في هذا المجال :

ففي آخر تقارير « اليونسكو » لعام ١٩٨٥/٨٤ الخاص بالإرسال الإذاعي في العالم نجد أن الولايات المتحدة تحتل المرتبة الأولى في الانتفاع يليها الاتحاد السوفييتي ثم الصين الشعبية ثم المانيا الاتحادية ثم بريطانيا ، ولا توجد دولة إسلامية واحدة في القائمة ماعدا مصر فقد وردت في نهاية القائمة .

ويبلغ نصيب الدول غير الإسلامية من الإرسال الإذاعي ٩١،٦٪ وهى الدول سالفة الذكر بينما العالم كله بما فيه الدول الإسلامية لا يحصل إلّا على ٨،٤٪ ، لمصر منها ٥٪، والبقية ٣،٤٪ لبقية دول العالم .. !!

ولعل هذه الأرقام تضع يدنا على مواطن الخلل .. ولعلها تلفت الانتباه إلى واقع الإعلام في ديار المسلمين !!

ب) التليفزيون Television

يوجد في العالم حسب إحصائية ١٩٧٠ حوالي ٢١٥ مليون جهاز تليفزيون أي بمعدل ٨٩ جهازاً لكل ألف نسمة ، أما حسب التقرير المرحلى للجنة الدولية لدراسة مشكلات الإعلام في المجتمع الحديث الصادر في يوليو ١٩٧٨ فإن عدد أجهزة التليفزيون في العالم اصبح ٣٦٦ مليون جهاز بمعدل ١١٧ جهازاً لكل ألف نسمة وتوزع كالتالي[٢] :

١ ـ دول العالم « دائرة أهل الكتاب »

ا) في أمريكا الشمالية وحدها يوجد جهاز واحد لكل شخصين .

ب) في أوروبا يوجد جهاز واحد لكل أربعة أشخاص .

ج) في أمريكا اللاتينية جهاز واحد لكل اثنى عشر شخصاً .

٢ ـ في العالم الشيوعي :

يوجد جهاز واحد لكل أربعة أشخاص .

---

(٢) راجع حق الاتصال ، دائرة الشئون الثقافية ـ العدد ٣١٨ (بغداد) ١٩٨١ . ص ٢٨٩

٣ - في بلاد المسلمين :

أ) في الدول العربية جهاز واحد لكل اربعين شخصاً .

ب) في آسيا جهاز واحد لكل أربعين شخصاً .

ج) في أفريقيا جهاز واحد لكل ٥٠٠ شخص .

● هذا ، إذا علمنا انه يوجد حوالي ٤٥٪ من الدول الإسلامية محرومة من البث التليفزيوني في أفريقيا وآسيا ، في حين أن الدول غير الإسلامية تتصرف في قرابة ٩٠٪ من الإمكانات التي توفرها رقعة الذبذبات الإذاعية ، وللأسف بعضها تبث من محطات نصبت في بلاد المسلمين بينما لا تملك هذه الدول الإسلامية **وسائل الدفاع عن نفسها ضد الإذاعات الأجنبية غير الإسلامية وهي في الغالب إذاعات مدربة من العسير مزاحمتها او الوصول إلى مستواها الفني او المهنى في العمل الإذاعي والتليفزيوني** ..

● ولهذا فإن هذه الوسائل ماتزال أداة خطيرة تستخدمها الدول النصرانية في التبشير في بلاد المسلمين او في « التشويش » **وتشويه صورة الإسلام والمسلمين وتصوير الإسلام مرادفاً للإرهاب إلى جانب استخدام « تكنيكات إذاعية » معروفة مثل « تكنيك » الكذب والتشويه المتعمد والحذف والارتباط المزيف .. إلخ .**

ثانيا : وكالات الأنباء :

ونأتي إلى وسيلة خطيرة ، بالغة الأهمية في عالم اليوم ، إنها وكالات الأنباء .

والمحتكر الأول لهذه الوكالات « دائرة أهل الكتاب » .. وها هي الأرقام تتحدث وحدها ..

١ - دائرة أهل الكتاب :

وتستحوذ على وكالات الأنباء الرئيسية في العالم التي تبث القدر الأكبر من الأخبار بإمكانات ضخمة تغطي العالم كله وهي :

أ) وكالة « فرانس برس » الفرنسية

France Press agency

ب) وكالتا الأسوشيتدبرس واليونيتدبرس الأمريكيتان

Associated Press & United Press

ج) وكالة رويتر البريطانية

Reuter agency

٢ - الدائرة الشيوعية :

● وكالتا « تاس ونوفوستي » السوفيتيتان

Tass & Novesty agency

٣ - العالم الإسلامي :

لا توجد وكالة واحدة دولية في مستوى هذه الوكالات في بلاد العالم الإسلامي على الإطلاق !!

ولهذه الوكالات سالفة الذكر أكثر من خمسمائة مكتب يعمل بها حوالي ٤٣١٩ مراسلاً في حوالي ١١٦ دولة تقريباً .

● وآخر إحصائية دولية[٣] تبين أن هذه الوكالات تنقل أكثر من ٣٣ مليون كلمة بينما قرابة ثلث الدول الإسلامية بالتحديد لا توجد بها وكالات انباء وطنية على الإطلاق[٤] !!

فأين الإعلام في بلاد المسلمين امام هذا

---

(٣) راجع التقرير المرحلي للجنة الدولية لدراسة مشكلات الإعلام الصادر في يوليو ١٩٧٨ .

(٤) توجد ٣٥ دولة ليست لديها وكالات انباء راجع حق الاتصال ص ٢٩٢ .

السيل الجارف من الإعلام المعادي للمسلمين ؟

وحتى إذا لم يكن كل ما يذاع موجها ضد المسلمين فإنه خطر بالغ على الشخصية القومية للدول الإسلامية .

وخطر بالغ على الهوية الإسلامية أن تظل في وضع المتلقى دائماً ومن ثم تصبح قابلة للذوبان والتحول في أقرب فرصة تسنح أمام هذه الدوائر المعادية للإسلام ..

● إن وسائل الإعلام هذه ـ لأغراض لاتخفى ـ خلقت جفوة في بعض بلاد المسلمين إن لم تكن في معظمها ، وخلقت نوعاً من الحذر والتخوف بين الإسلام ودعاته ، وبين القاعدة العريضة وذلك عن طريق الضرب على أوتار شهوات النفوس أو التخويف من الأحكام الإسلامية التي تطبق على الجناة وكأن وسائل الإعلام نفسها تتهم الناس جميعاً بأنهم صاروا لصوصاً . !!

ثالثا : الصحافة اليومية والدوريات :

ولا يخفى على القارىء ما للكلمة المكتوبة من جاذبية وسحر وتأثير بالغ ، وقد أحس أهل الكتاب بأهمية الكلمة المكتوبة فاستولوا على معظم الصحف والمجلات والدوريات في العالم ، فليس غريباً أن تجد ملكية كبريات الصحف العالمية ملكاً ليهودي أو نصراني من أصل يهودي ، وعن طريق الصحافة استطاع اليهود أن يكسبوا الرأي العام العالمي لصالحهم في قضية فلسطين ويكسبوا تعاطف أوربا والشعوب النصرانية إلى جانبهم ضد المسلمين .. وها هي الأرقام تحدثك وحدها وتسأل : أين نحن من هذه الصحافة ؟

توجد في العالم حوالي ٧٦٨٠ صحيفة يومية[٥] تطبع يومياً ٣٦٥ مليون نسخة ـ أي بمعدل ١٢٠ نسخة لكل الف نسمة وهي موزعة كالتالي :

ـ نصيب دائرة أهل الكتاب :

ا) أوروبا ١٨٠٠ صحيفة تطبع ١١٩ مليون نسخة بمعدل ٢٥٩ لكل الف شخص .

ب) أمريكا الشمالية ١٨٨٠ صحيفة تطبع ٦٧ مليون نسخة بمعدل ٢٩٥ لكل الف شخص .

ج) الولايات المتحدة ١٧٧٢ صحيفة تطبع ٦٢ مليون نسخة ، بمعدل ٣٠٢ لكل الف شخص .

● في السويد ١١٤ صحيفة تطبع ٤,٥ مليون بواقع ٥٣٤ نسخة لكل الف ولاحظ ان السويد دولة نصرانية شديدة التعصب لنصرانيتها قارن بينها وبين اية دولة إسلامية في بلاد المسلمين .

● في مصر ١٥ صحيفة تطبع ٧٧٥ الف نسخة اي ٢٣ نسخة لكل الف شخص .

وأستطيع أن أمضي في هذه المقارنات لمعرفة حال الإعلام في بلاد المسلمين ثم الإعلام في بلادهم[٦] .

---

(٥) حق الاتصال ص ٢٩٢ وما بعدها .

(٦) وحسب إحصائية ١٩٧٨ يبلغ عدد نسخ الصحف في العالم ٤٠٠ مليون نسخة بمعدل ١٢٠ نسخة لكل الف نسمة

● وخذ مثالاً يوجد في بريطانيا ١١٠ صحف تطبع ٢٦ مليون نسخة بمعدل ٤٦٣ نسخة لكل الف شخص .

في الجزائر ٤ صحف وفي المغرب ١٤ صحيفة وفي الكويت ٥ صحف بمعدل ١٤ نسخة لكل الف شخص ، ١٦ نسخة لكل الف ، ٣٥ نسخة لكل الف ، لكل دولة على التوالي !!

● أما الدوريات[٧] :

يوجد في بريطانيا ١٢٢٣ دورية تطبع ٤٠,٥ مليون نسخة ، بمعدل ٦٦٨ لكل الف ، في مصر ٢٨ دورية تطبع ٦٠٠ الف بمعدل ١٩ نسخة لكل الف ، في الولايات المتحدة ١٠١٠٩ دوريات تطبع ٨٠ مليون نسخة بمعدل ٤٠١ لكل الف ، في السويد ٥٣ دورية ، وفي الاتحاد السوفييتي ٨٠٥٥ دورية تطبع ٢٠ مليون نسخة أي ٢٤٣ لكل الف نسمة .!!

رابعا : الكتب

قديماً قالوا : إن الورق خزانة المعرفة فياترى ما نصيب الأمة الإسلامية في هذه الخزانة ؟

امة « اقرأ » ترى هل تقرأ ؟ لنر بالأرقام نسبة إنتاج الكتب في الدول غير الإسلامية مجتمعة من الإنتاج العالمي[٨] بلغت حوالي ٨٣,١٪ بينما نسبة عدد السكان لا تزيد على ٣٥,٦٪ إلى ٤٠٪ .

إنتاج الكتب في بلاد المسلمين ١٦,١٪ بينما نسبة عدد السكان حوالي ٦٤٪ .. !!

ونتساءل :

كم كتاباً طبع خصيصاً هجوماً على الإسلام ؟

ثم كم كتاباً أخرجته الدول الإسلامية ترد به وتدحض المفتريات والمزاعم ؟

وكم كتاباً طبع بقصد تعريف غير المسلم بالإسلام ؟

وبأي أسلوب وبأية طريقة ؟ وبأية لغة ؟— وكيف يوزع ؟

إن الباحث في هذه الأمور سيجد فراغاً تاماً في هذا الميدان بين المسلمين القائمين بالدعوة الإسلامية .

إن هذه الأرقام مؤلمة لكنها منبهة ، ولن تحبطنا . ولن تجعل اليأس يعرف طريقه إلى قلوبنا ، إنها ناقوس يدق منادياً رجال الدعوة والإعلام الإسلامي .. أن كفى خلافات .. وكفى حديثاً في أمور قتلت بحثاً ، وفي أمور لا ينبغي أن يختلف فيها المسلمون .

أليس من الأجدر أن يوجه رجال الإعلام جهودهم إلى هذا السيل العرم من وسائل الإعلام الأجنبية التي تحارب الله ورسوله جهاراً نهاراً وتقتحم على المسلم داره دون استئذان ؟

إن آخر « تقرير استماع » عن الإذاعات الدولية بين أن إذاعة لندن[٩] تأتي في المرتبة الأولى في الاستماع بين الشباب المسلم في البلاد العربية تليها إذاعة مونت كارلو الثانية في الترتيب ثم تأتي الإذاعات الوطنية في ذيل القائمة ولأسباب نعلمها كانت هذه النتائج المحزنة والمؤسفة ولا حول ولا قوة إلا بالله ..

---

(٧)راجع حق الاتصال ص ٢٩٣ .

(٨) راجع حق الاتصال والتقريرالدولي صفحتا ٢٩٥ ، ١٢

(٩) راجع التقرير الدولي لعام ٨٣/٨٢ لليونسكو ، وفي تقرير عام ١٩٨٧ جاءت مصر في المركز السابع .

الخيال الشعرى

فى شعر الوصف عند البحترى ٢

تأليف الأستاذ الدكتور
طه مصطفى أبو كريشة

انتهى مقالنا السابق بوقوفنا عند « الخيال وأوصاف الحرب والقتال » وكما يقول المؤلف : حوى ديوان البحتري قصائد كثيرة في مدح القادة . وفي كل ما سجل البحتري يُرى مصوراً يحيط بجوانب الصورة ولا يكاد يترك من آلات الحرب آلة ولا حركة في ميادينها إلا يصورها في دقة وبراعة .

وفي مقدمة أدوات الحرب التي وصفها ـ كما يقول المؤلف ـ السيف ، ولهذا السيف الذي يصوره ويبتغيه لنفسه سمات وخصائص ، أهمها أنه :

يتناول الروح البعيد مناله
عفواً ويفتح في القضاء المقفل
بإنارة في كل حتف مظلم
وهداية في كل نفس مَجْهَل
ماض وإن تمضه يد فارس
بطل ، ومصقول وإن لم يصقل

وصفات أخر مثل إصغائه لأحكام الردى فينفذها ، وقضائه على الضريبة من أول ضربة وفي كل مكان يصيب فيه مقتلٌ وقضاءٌ إلى آخر ما في السيف من صفات تتصل به وبفارسه الذي يقول فيه :

وكأن شاهره إذا استعصى به
في الروع يعصى بالسماك الأعزل

ويفرغ المؤلف من استعراضه لتصوير السيف وما يتصل به إلى وصف الخيل ، إذ هى من عدد الحرب المهمة ، فيطلب الشاعر لنفسه منها المضمر المهفهف ، ويحدد اللون الذي يريده ، فهو إما أشقر ، وإما أدهم ، والأول ما جمع لونه بين الأبيض والأحمر ، والثاني أسود صافي السواد ، وإما اختلط بياضه بسواد ، وإما أبلق وهو الذي تجمعت فيه مجموعة ألوان معجبة ، وهكذا حتى يوضح تكوينه من كل جانب حتى الحركات والسكنات ، قال لممدوحه :

فأعن على غزو العدو بمنطو
أحشاؤه طيَّ الكتاب المدرج
إما بأشقر ساطع أغشى الوغى
منه بمثل الكوكب المتأجج

عرض وتقديم
د. حامد الخطيب

أو أدهم صافي السواد كأنه
تحت الكمي مظهر برندج[1]

وفي كل لفظة مفردة أو بيت أو أبيات صور وإيحاءات أطال الكاتب في تفصيلها والكشف عن أسرار جمالها ، فإذا أنهى القول في ذلك ، أخذ في توضيح وصف شاعره للمعارك البرية في كلا المجالين الداخلي والخارجي ، ولكل مجال وصفه الملائم ، كما لكل معركة وقائدها ، فيصف ما قبل المعركة ، وما يدور في أثنائها ، ثم يفصح عن النتائج ، وكل لوحة في هذا مستقلة متكاملة ، في الديوان وفي ما عرضه المؤلف ، فتبدأ اللوحة الأولى بقوله في مالك بن طوق :

سائل بأيامه عنه الألى اجترموا
ماذا بهم صنعت عواقب الجرم
لما طغوا وبغوا جهلا عبا لهم
حربا تغصهم بالبارد الشبم

وعن صورة الحرب يقول :

سدت وجوه فجاج الأرض دونهم
حتى كأنهم في حيرة الردم
أرسلت من عارض الآجال فوقهم
طيرا أبابيل لم تنسب إلى الرخم

ثم يقول عن انجلاء المعركة ونتائجها :

غادرتهم بين مجروح ومقتسر
عان ومطرح لحما على وضم
أسرى وجرحى وقتلى في ديارهم
كأنما لبسوا قمصا من الأدم

* * *

وكما أسلفنا يسوق المؤلف المقطع المشتمل على الصورة ، ثم يأخذ من بعد في الكشف عن جوانبها ، ويجلى مواطن جمالها ، سواء في تلك القصيدة أو في غيرها . ذلك جانب مما تناوله من الحروب البرية في الداخل ، ومن بعده يحدثنا عن المعارك البرية الخارجية ، ويسوق قصيدة الشاعر في وصف القائد أبى سعيد محمد بن يوسف ومعاركه ضد الروم ، وعرضها قد لا يختلف كثيراً عما سبقها من حيث البدء أو المقدمة والالتحام والنتائج ، ولكن نلحظ عودة الجيش ومعه الغنائم وبينها الأنسات الجميلات اللائي يقول عن القائد وعنهن :

وجلبت الحسان حوًا وحورا
آنسات حتى أغرت النساء
لم تدعك المها التي شغلت جيشك
بالسوق أن تسوق الشاء
علم الروم أن غزوك ماكا
ن عقابا لهم ولكن فناء

ذلك ، وللشاعر في هذا القائد قصائد اخرى ، عرض المؤلف لشيء منها غير هذه .

---

[1] هو البرندج والأرندج للجلد الأسود ص ٣٠٦ ـ إصلاح المنطق . ط . المعارف ١٩٧٠ .

أما الجانب المقابل لهذا الجانب ، وهو وصف القتال البحرى ، فإنه ـ كما يقول ـ قد قل لأن نماذجه قليلة ، والقصيدة الخالصة في ذلك المجال ، هى التي مدح بها البحتري القائد البحري أحمد بن دينار والى المتوكل الذي غزا الروم في حملة بحرية وقد بدأها بوصف الطبيعة ، ثم خلص إلى مدح القائد ، ثم وصف توليه القيادة في بحر الروم ، ومن بعد وصف السفينة الحربية وما يتصل بها من أدوات وفرسان ، وما يحيط بها من بحر وموج ، إلى أن يصف سعار المعركة ونتائجها ، وتلك نماذج من هذه القصيدة التي عرض المؤلف لها بالتحليل :

ولما تولى البحر والجود صنوه
غدا البحر من أخلاقه بين أبحر
أضاف إلى التدبير فضل شجاعة
ولا عزم إلا للشجاع المدبِّر
غدوت على الميمون صبحاً وإنما
غدا المركب الميمون تحت المظفر[٢]
أطل بعطفيه ومر كأنما
تشوف من هادى حصان مشهَّر[٣]

وبعد بيان الصور المختلفة التي تناولها الشاعر في ميدان المعارك البحرية ، يأخذ بنا المؤلف إلى خيال البحتري ووصف الحيوان ، وفي هذا المجال قد وصف البحتري ـ كما يقول ـ الأنس والمتوحش من الحيوانات ، وإن كان له وقفات ملحوظة عند بعضها ، مثل الخيل والذئب ، وهنا يزيد المؤلف من عرض أوصاف ، أغلبها في الحركات والوقفات وتكوين الأعضاء ، مثل قوله :

كالهيكل المبنى إلا أنه
في الحسن جاء كصورة في هيكل
وافي الضلوع يشد عقد حزامه
يوم اللقاء على معم مخول

وقوله :

يختال في استعراضه ويكب في
استدباره ويشب في استقدامه
وكأن صهلته إذا استعلى بها
رعد يقعقع في ازدحام غمامه

وإلى جانب ذلك وصف الخيل في معرض وصف الرحلة ، كما وصفها وهى على انفراد ، وهى متجمعة كذلك ، وأظرف ما جاء في ذلك وصفه لها وهي في حلبة سباق حيث يقول :

يا حسن مبدى الخيل في بكورها
تلوح كالأنجم في ديجورها
تحمل غربانا على ظهورها
في السرق المنقوش من حريرها
إن حاذروا النَّبْوَةَ من نفورها
أهووا بأيديهم إلى نحورها
كأنها والحبل في صدورها
أجادل تنهض في سيورها
مرت تباري الريح في مرورها
والشمس قد غاب ضياء نورها

أما الإبل ، فإن وصفها لم يكن بالقدر الذي وصف به الخيل ، وليست صفاتها في قصائد كما هو الشأن في وصف الخيل ، وإنما جاء ذلك في أبيات متوزعة في ثنايا الديوان ،

(٢) الميمون ، اسم أطلقه القائد على سفينته .

(٣) هادي الحصان ، عنقه .

وذلك ـ في رأي المؤلف ـ ما أدى إلى اختلاف العاطفة في الوصف لكل منهما ، وانصب وصف الشاعر على قوتها وجلادتها ، أو على تركيبها الجسدي وخلقها ، ومن النماذج الأولى قوله :

ولرب خرق لا يمارس هوله
خرقت فيه دجى الليالي السود
بمعود للسير محتقر له
مرنت قوائمه على التخويد[4]
متقحم هول الظلام بشاعر
كالسيف مدرع لهول البيد
ماض على الحدثان لم يرجع له
رأي براية عاجز مجدود

ومن نماذج الثاني قوله :

وإذا ما تنكرت لي بلاد
وخليل فإنني بالخيار
وخدان القلاص حولا إذا قابلن
حولا من أنجم الأسحار
يترقرقن كالسراب وقد خضن
غمارا من السراب الجاري
كالقسى المعطفات بل الأسهم
مبرية بل الأوتار

وللبحتري نماذج أخرى في الإبل تتناول من أوصافها جوانب عدة ، وقد عرض لها المؤلف بالشرح ، كما عرض لما فيها من أسرار لغة البيان .

ذلك جانب من جوانب وصف الأنس من الحيوان ، أما غيره فإنَّ المؤلف يقول : إن له وصفاً تفصيلياً في كل من الأسد والذئب ، وقد وصف الأسد في معرض وصفه لمنازلة له ـ أي الأسد ـ قام بها الفتح بن خاقان ممدوح البحتري وجاء وصف الذئب في حديث ذاتي عن نفسه ، جره إلى الفخر . والحديث عن الأسد ـ كما يقول المؤلف ـ يأتي بعد أن فرغ الشاعر من عرض صفات الممدوح التي بها واجه الأسد ، ثم يعرض لوحة متكاملة عن الأسد واستعداده للقاء الفتح بن خاقان ، فإذا فرغ منها عرض لوحة أخرى توضح المنازلة بين الطرفين المتنازلين : الأسد وممدوح الشاعر ، يقول :

وما نقم الحساد إلا أصالة
لديك وفعلا أريحيا مهذبا

ثم يتبع ذلك بالدليل والبرهان فيقول :

وقد جربوا بالأمس منك عزيمة
فضلت بها السيف الحسام المجربا
غداة لقيت الليث والليث مخدر
يحدد « نابا » للقاء ومخلبا

ثم يصور المعركة فيقول :

شهدت لقد أنصفته يوم تنبرى
له مصلتا عضبا من البيض مقضبا
فلم أر ضرغامين أصدق منكما
عراكا إذا الهيابه النكس كذبا
هزبر مشى يبغى هزبرا وأغلب
من القوم يغشى باسل الوجه أغلبا

وجاءت نتائج المعركة على حد تصويره :

فلم يغْنه أن كرَّ نحوك مقبلا
ولم ينجه أن حاد عنك منكبا
حملت عليه السيف لا عزمك انثنى
ولا يدك ارتدت ولا حده نبا

وحديثه عن الذئب جاء ـ كما أشير ـ في معرض فخر باحتمال الشدائد والصبر

(٤) التخويد : سرعة السير ، أو هو سرعة سير البعير خاصة .

عليها ، وللكشف عن ذلك الليل المخوف برغم ان الحيوانات تهاب ظلمته ومنها الذئب ، قال :

وليل كأن الصبح في أخرياته
حشاشة نصل ضم أفرنده غمد
تسربلته والذئب وسنان هاجع
بعين ابن ليل ما له بالكرى عهد[5]

وفي هذا الليل المخيف يسير البحتري ، ويخرج ذئب يبغى فريسة وكانت المواجهة التي رسم جوانبها فقال :

وأطلس ملء العين يحمل زوره
وأضلاعه من جانبيه شوى نهد
له ذنب مثل الرشاء يجره
ومتن كمتن القوس أعوج متأد
طواه الطوى حتى استمر مريره
فما فيه إلا العظم والروح والجلد
سما لي وبي من شدة الجوع ما به
ببيداء لم تحسس بها عيشة رغد
كلانا بها ذئب يحدث نفسه
بصاحبه والجد يتعسه الجد
عوى ثم أقعى وارتجزت فهجته
فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد
فأوجرته خرقاء تحسب ريشها
على كوكب ينقض والليل مسود
فما ازداد إلا جرأة وصرامة
وأيقنت أن الأمر منه هو الجد
فأتبعتها أخرى فأضللت نصلها
بحيث يكون اللب والرعب والحقد
فخر وقد أوردته منهل الردى
على ظمأ لو أنه عذب الورد
وقمت فجمعت الحصى واشتويته
عليه وللرمضاء من تحته وقد
ونلت حسيسا منه ثم تركته
وأقلعت عنه وهو منعفر فرد

صورة متكاملة عرضها الشاعر عرضاً قصصياً مثيراً فيه البداية والعقدة والنهاية في تأنق وتفصيل .

ومن بعد ذلك يعرض للخيال في ميزان النقد ، ويعترف بأنه لم يتناول من شعر الوصف سوى البارز منه ، وإلا فما أكثر الموضوعات الوصفية المتفرقة في قصائد الديوان ، ثم يطرح سؤالا عن منزلة الخيال في تكوين الصورة ورسم أبعادها ، وهو سؤال قد أجيب عنه في السطور الأولى من المقدمة ، لكنه هنا أراد بسط الإجابة لأن الخيال - على حد قوله - يمتحن من عدة مواقف على قدرها يتنوع الحكم تبعا لتنوع الوصف ، إذ ليس لازما أن يكون الخيال على حال سواء في جميع المجالات ومن ثم وضع في ميزان النقد أربعة مجالات :

١ - مجال تكرير الصورة عن المشهد الواحد .
٢ - مجال ارتباط الصورة بالنفس والعاطفة ..
٣ - مجال تكوين الصورة بين الاحتذاء والابتكار .
٤ - مجال الريادة والتأثير للصورة .

وعن **المجال الأول** يقول : لا تجد أصعب

(٥) ابن الليل هو ابن المفازات جوّابها : أو هو القمر . انظر ثمار القلوب ٢٦٣ ، ٢٦٤ ط المعارف.

على الواصف من صور تتماثل وتتشاكل حين يريد وصفها ، فهو لا يريد أن يكرر نفسه ، فإن جدد حمد ، وإن تكرر مج ورذل ، ولا يستطيع التجديد إلا الموهوبون ، فممن كان البحترى ؟ سيكشف عن ذلك عرضنا لبعض المشاهد المتشابهة - ومسبقاً - يرى المؤلف أن البحتري كان يجدد نفسه مع كل لوحة من لوحات الطبيعة خاصة ، مهما تشابهت المشاهد وتشابكت عند مجيء كل موسم ، ومن ذلك تصويره للورد والزهر بأنه فرحة الأرض وهى تغمر بماء السماء يقول :

منحته وهى شجية ببكائها
ووفي بضحك الموثق الجذلا
متبسم عن لؤلؤ متلألىء
ونواعم مثل البدور حسان

وقوله :

بكت السماء بها رذاذ دموعها
فغدت تبسم عن نجوم سماء

والتجديد يرى في صورة الورد والزهر ، فهو مرة لؤلؤ متلالىء ، وأخرى نجوم سماء .. ومن تلك الأمثلة عرض المؤلف جملة كبيرة ، من شعر الشاعر ، ومن خلالها كشف عن مواطن التجديد وعدم التكرير ، خذ مثلاً قوله :

خرس الثرى وتكلم الزهر
وبكى السحاب وقهقه القطر

وقوله :

ومن شجر رد الربيع لباسه
عليه كما نشرت وشيا منمنماً

وهناك من المشاهد المتكررة التي جدد فيها مشهد الطيور المغردة فوق الأشجار وقت الربيع ، وكذلك مشاهد الأشجار تتراقص على نغمات الرياح وتتعانق ..

وفي مجال ارتباط الصورة بالنفس والعاطفة قال : إن الشاعر المطبوع هو الذي تتجاوب صوره الخيالية مع واقع نفسه ، فتكون صدى للون عواطفه ، وليس أدل على توافر ذلك لدى البحتري من وصفه للطبيعة ، معشوقته وموطن غرامه ، وهى التي تذكره بحبه القديم وعشقه في الشباب حتى أن غرامه بالحسان يظهر عنده في مشاهد الطبيعة ، وفي كل ما قدمنا لك من نماذج تستطيع أن تستخلص مدى تدفق عواطف الشاعر وصدقها حتى ولو تكررت المشاهد ، خذ مثلاً قوله :

ورق نسيم الريح حتى حسبته
يجيء بأنفاس الأحبة نعما
كأن العذارى تمشي بها
إذا هزت الريح أفنانها
فإذا طربت إلى العيون وغنجها
فأجل لحاظك في عيون النرجس

وفي وصفه لإيوان كسرى ما يؤكد ارتباط صوره بعواطفه ونفسه وحواسه لأن وصفه للإيوان كان مرتبطاً بما حدث للجعفري ، ومقتل المتوكل بعد نعيم مقيم ، تماماً كما حدث لآل ساسان ، وهناك صور أخرى في هذا المجال ساقها المؤلف في وصف الخيل ليؤكد فكرة ارتباط الصورة بالنفس والعاطفة .

وفي مجال الاحتذاء والابتكار ، قرر الا مانع من أن يستثمر الشاعر أفكار السابقين شريطة أن يضيف أو أن يبتكر ، ومن ثم يكون تفضيلنا شاعراً على شاعر محصورا في موضوع ورد عليه كثيرون ، وقد أحالنا في هذا

على ما كتبه العلامة الآمدي في موازنته عن السرقات ، ثم حدثنا عن أبى تمام وتلميذه البحترى ، وعرض موضوع الناقة ووصفها عند كل من الشاعرين قال أبو تمام :

أذاب سنامها قطع الفيافي
ومزق جلدها نضح العصيم[٦]
طواها طيها الموماة وخدا
إلى أجبال مكة والحطيم

وقال البحتري :

يترقرقن كالسراب وقد خضن
غمارا من السراب الجارى
كالقسي المعطفات بل
الأسهم مبرية بل الأوتار

وعرض نماذج أخرى من هذا القبيل مشتركة بين الشاعرين ، كما عرض لنماذج مشتركة أيضا في وصف الغيث ، وفي كل لوحة يكشف المؤلف في تأن مدى التفوق والتخلف ، أو التساوى والابتكار ، وهو ما يجب أن يقرأ في موضعه من الكتاب .

أما أبرز إنشاءات البحتري وابتكاراته فترى في الربيع وجمال وقعه على نفسه وفي القصور وما فيها جديد مليح ، من برك وأسماك وحسان .

اضف كذلك وصفه للمعارك البحرية ، وما كان فيها من جديد . ويختم المؤلف بمجال الريادة والتأثير للصورة ، وعمد إلى تأثير القمة في القمة ـ كما يقول ـ متجاوزاً أوساط الشعراء ، وكان المثال هو وصف الأسد عند كل من الشاعرين ـ البحتري والمتنبى ـ وكان نموذج البحتري هو ما ساقه في مخاطبة الفتح بن خاقان[٧] وكان نموذج المتنبى ـ هو وصفه للأسد في مخاطبة بدر بن عمار[٨] ، وبعد ، فإن الكتاب لذو موضوع ضخم ، وهدف سام ، وقد أحاط المؤلف بكل الجوانب التي هدف إليها ، دليل الجهد وتوافر الصبر مع بصيرة نافذة في التحليل والنقد .

على أنا وددنا لو طالت الوقفة مع البحتري والمتنبى كما طالت مع البحتري وأبي تمام ، إذاً لمتعنا وتفتح ذوقنا ووجدت مشتهاها أفكارنا بشكل أوفر .

وددنا لو عرضت الصور المتنوعة التي حفل بها الكتاب عرضاً كلياً متكاملاً ، ثم يؤخذ من بعد في الشرح والتفصيل والتعليق ، ولئن تحقق ذلك في غالب الصور المعروضة لقد عرض بعضها عرضاً متناثراً .

وددنا لو شرحت بعض الكلمات الغامضة ، خاصة ما لم يعرض لها الشرح في ثنايا التعليق ، صحيح أن محقق الديوان شرح وبين ، ولكن ما كل قارىء لديه الديوان . ا . هـ .

د . حامد الخطيب

---

(٦) العصيم : العرق .
(٧) ١/١٩٩ الديوان ، ٢٠٥ من كتاب المؤلف
(٨) ٣/٣٥٤ ديوان المتنبى .

«بقية»

أحدهما حكومى ويعمل فى « معهد الصحة الوطنى والفريق الآخر أهلي يعمل بشركة فى (سياتل) واختصاصها الهندسة البيولوجية .. وقد توصلا إلى نفس الاكتشاف فى نفس الوقت تقريباً ونشرت نتائج أبحاثها مجلة (ناتشر) المعروفة ومجلة اتحاد الطب الأمريكى .

أما التعديل الضرورى لتحضير اللقاح فقوامه (چينه) DNA يتم إدخالها فى لقاح جدرى البقر .. (والچينة) المذكورة هى حصيلة إصابة كريات الدم البيضاء بمرض الإيدز حيث تتحول (چينة فيروس الإيدز) من (RNA إلى چينه DNA) وهى التى يتم إدخالها فى اللقاح فهذه (الچينه DNA تولد نوعين من (البروتين) من غلاف فيروس « الإيدز » وهذان النوعان هما اللذان يضمنان تعبئة أجهزة المناعة للعمل ضد الإصابة بمرض الإيدز .

● والجدير بالذكر أن لقاح الإيدز الجديد موضع تجارب مكثفة ومتواصلة وقد ثبتت فاعليته على الفئران والقردة ١٠٠٪ ويتوقع الكثيرون لذلك اللقاح مثل ذلك النجاح فى بنى الإنسان ويرجح البعض نزول اللقاح الجديد فى الأسواق فى غضون سنة واحدة وبعد :

فإنه مما يجدر ذكره أن بلادنا الإسلامية ليست فى مأمن دائم من الخطر فقد يحمله إلى شعوبنا المنحرفون والعصاة من ملاهى أمريكا واوروبا وأماكنها المشبوهة .

والخطر الأكبر فى استيراد الدماء والمستحضرات الدموية من تلك البلاد الموبوءة لذلك ينبغى أن توضع بكل أمانة المقاييس والموازين القوية والدقيقة والرادعة لمنع تسرب هذا الوباء إليها ليبقى للمجتمع الإسلامى الكبير نظافته وطهارته وعلى الله قصد السبيل .

الهــوامش

١ ـ مجلة ناتشر الأمريكية عام ١٩٨٣ م ، ١٩٨٦ م .
٢ ـ مجلة اتحاد الطب الأمريكي ١٩٨٤ م ، ١٩٨٥ م .
٣ ـ المجلة الطبية .
٤ ـ مجلة *synoposis of pathology* .
٥ ـ الايدز ومخاوف المستقبل .

د . واصف عبد الحليم عبد الله .

أنباء وآراء

لا تربطوا الجماعات المتطرفة بالدين

طالب الرئيس محمد حسنى مبارك : بعدم ربط ظاهرة التطرف والإرهاب - التى تشاهد فى بعض الفترات - بالدين الإسلامى . وقال خلال اجتماعه بالقيادات الإعلامية : إن الإسلام برىء من كل هذه الأمور لأنه دين امن وأمان وسلم وسلام . يحذر وينهى عن ترويع الآمنين وقتل الأبرياء .

واكد على ضرورة ان ياخذ الإعلاميون فى اعتبارهم عدم تسمية هذه الجماعات المتطرفة التى تقوم بهذه الأعمال المخالفة لتعاليمنا الإسلامية السمحة بالجماعات الدينية المتطرفة . لأن هذا المزج والخلط ظلم وافتراء على الدين الحنيف .

واشار الرئيس مبارك إلى أن مصر ليست بعيدة عما يجتاح العالم ، وما تتعرض له دول كثيرة من ظاهرة التطرف .

شيخ الأزهر يشهد حفل تخريج ٨٢ من أئمة ودعاة العالم الاسلامى

● شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر حفل تخريج الدعاة والأئمة الذين اشتركوا فى الدورة التدريبية الخامسة والسادسة التى نظمها الأزهر الشريف للأئمة والدعاة فى العالم الإسلامى والعربى .

شارك فى هذه الندوة وفود من باكستان والجزائر وبنجلاديش وغانا وجيبوتى واستراليا ومالاجاش وفلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية .

شهد الاحتفال سفراء الدول الإسلامية ولفيف من علماء الأزهر ووزير الأوقاف .

الوحدة الإسلامية ضرورة

اكد فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر : أن الأزهر يقوم بدوره كاملاً فى نشر الوعى الإسلامى ، وحماية الأقليات الإسلامية فى دول العالم من الضغوط التى تواجه الأقليات .

وأعلن أثناء استقباله للأمير سلمان بن عبد العزيز امير منطقة الرياض : أن دعوة الأزهر قائمة لوقف الخلاف بين المسلمين وتاكيد الوحدة الإسلامية بين أبناء العالم الإسلامى ، والعمل على الحفاظ على الثقافة العربية والإسلامية فى مختلف البقاع . وأعلن الأمير سلمان - فى الوقت نفسه -

اعداد: احمد عبد الرحيم السايح
الاستاذ: صفوت عبد الجواد

تقديره لدور الأزهر ومصر فى المجال العربى والإسلامى وذلك من خلال التعاون بين الجامعات والمؤسسات الإسلامية .

المجلس الأعلى للشئون الاسلامية
يعيد طبع ٤ كتب للتراث الاسلامى

● وافقت لجنة إحياء التراث بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة فى اجتماعها الذى عقد مؤخراً على طبع اربعة كتب من كتب التراث الإسلامى على نفقة المجلس وهى :

● الجواهر والعربية فى ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى للسخاوى .

● الموجز فى الطب لابن النفيس .

● حوادث الدهور لابن تغرى بردى الجزء الأول .

● الحماسة البصرية لابن الفرج البصرى الجزء الثانى .

لأول مـرة
وزارة الأوقاف تعد خريطة
الاعلام الدينى بالتليفزيون

● صرح الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف بأنه توصل مؤخراً إلى اتفاق مع السيد صفوت الشريف وزير الإعلام يقضى بأن تتولى وزارة الأوقاف مسئولية إعداد خريطة الإعلام الدينى على شاشة التليفزيون .

وأضاف وزير الأوقاف أن الخريطة المقترحة سوف تتضمن تغطية شاملة لكل القضايا الإسلامية وقال إن هذا الاتفاق يحدث لأول مرة ، وأكد أن الشخصيات التى ستتحدث فى التليفزيون ستكون من إعلام ودعاة وزارة الأوقاف وسيناقشون موضوعات وقضايا حيوية تمس الجماهير .

ندوة عن التنمية

ينظم بنك فيصل الإسلامى بقبرص الإسلامية لقاء علمياً موسعاً فى مدينة « فاما جوستا » وذلك فى العشر الأوائل من صفر ١٤٠٨ هـ تحت عنوان « استراتيجية جديدة للتنمية » يتناول اللقاء كيفية تعبئة الجماهير فى الدول النامية للمشاركة فى التنمية ، وكيفية تحصيل مدخرات الجماهير الفقيرة لتصبح مصدراً صالحاً للتمويل ، وإمكانية مواجهة المشاكل الاجتماعية التى تعوق التنمية كما يتناول اللقاء كيفية تزايد المدخرات الفردية على الرغم من التضخم الذى يسود الدول النامية ، وإمكانية تغيير سلوك الأفراد ليصبح سلوكا تنموياً .

←

نفائس المخطوطات القرآنية

أقيم فى الكويت مؤخراً معرض نفائس المخطوطات القرآنية الذى كان فى دار الآثار الإسلامية بمدينة الكويت بالتعاون مع بيت القرآن فى البحرين وأعلن الدكتور « عبد اللطيف كانو » إن المعرض يضم مائة مخطوط قرآنى من نفائس مقتنيات بيت القرآن وهى تمثل العصور الإسلامية المختلفة ابتداء من العصر الهجرى الأول . ومخطوطات من مختلف البلاد الإسلامية وأضـاف د/عبـد اللطيف : إن هـذه المخطوطات القرآنية تمثل حركة التطور الزمنى والتاريخى لمراحل الخط العربى المستخدم فى كتابة القرآن الكريم .

نسخ المصحف على الخشب

وافقت الجمعية الإسلامية التابعة لمقاطعة « يونثان » بالصين ، على طبع وتوزيع الف نسخة من القرآن الكريم بعد نسخه لأول مرة على الخشب . تعتبر هذه هى التجربة الأولى والوحيدة فى الصين التى تمت على مستوى واسع فى نسخ القرآن . علماً بأن النسخ تم باللغة العربية .

انشاء مسجد جديد فى طوكيو

ابلغ (ليثى ثناكو) عضو البرلمان اليابانى الدكتور عبد القادر حاتم المشرف العام على المجالس القومية المتخصصة بوصفه رئيس جمعية الصداقة المصرية اليابانية أن الجمعية وافقت على اقتراح سبق أن تقدم به الدكتور/ حاتم لإنشاء مسجد جديد فى طوكيو لخدمة المسلمين الذين يتزايدون عاماً بعد عام . كما ابلغه أن الجمعية سترفع طلباً لرئيس الوزراء اليابانى لإصدار موافقته الخاصة بإنشاء المسجد الجديد هناك .

أسمـاء

أصدر « الاتحاد الثقافى » فى فرنسا مجلة فصلية نسائية فكرية ثقافية جامعة تحت عنوان : « أسماء » تستكب نطاق الفكر والعلم والأدب . وتعالج شئون المرأة المسلمة فى العالم الإسلامى .

مؤتمر الفقه المالكى

تقرر عقد المؤتمر العالمى الخامس للفقه المالكى بدولة الإمارات العربية المتحدة تحت رعاية الشيخ زايد بن سلطان رئيس الدولة وذلك فى إطار الاهتمام بالمؤتمرات التى من شانها إحياء التراث الإسلامى ونشر الثقافة والوعى . وكان من المقرر أن

يعقد المؤتمر ببروكسل تلبية لدعوة محمد بن يعيش ولكن لتعذر الإمكانات لعقده ثمة ، تبنت عقده للمرة الثانية الإمارات حيث كان المؤتمر الرابع قد عقد بها . يشارك فى المؤتمر لفيف من العلماء والمفكرين من شتى انحاء العالم .

مجلس أعلى لعلماء المسلمين

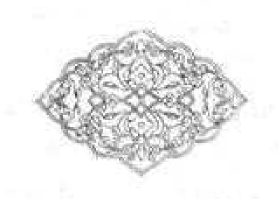
طالب علماء من العالم الإسلامى بإنشاء مجلس أعلى لعلماء المسلمين يستمد قوانينه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حتى يمكن للدعوة الإسلامية أن تؤتى ثمارها .

وأكدوا فى الندوة التى عقدتها مؤسسة « الاتحاد » بأبى ظبى أن من أسباب تخلف الدعاة اليوم عدم التنسيق والتنظيم وعدم التخطيط المناسب للدعوة . وطالب العلماء : أن يتصدر الأزهر الشريف دور الدعوة فهو أولى بها .

صرح إسلامى جديد

انتهت السلطات الباكستانية من بناء مسجد كبير فى مدينة « إسلام اباد » عاصمة باكستان يتسع لنحو اربعة وسبعين الف مصل ويضم ساحة رئيسية تتسع لعشرة آلاف من المصلين ، وشرفة اروقة للمسجد تتسع لحوالى اربعة وعشرين الفا من المصلين بينما سيوفر الفناء الرئيسى الذى يقع على الجانب الشرقى من المسجد مكاناً لنحو اربعين الفاً من المصلين . ويقع تحت سقف الفناء الرئيسى معهد للأبحاث الإسلامية ودورة مياه للوضوء تسع ثلاثمائة شخص فى وقت واحد كما يضم المسجد ايضاً داراً للطباعة ومقصفاً ومتحفاً إسلاميا ومكاتب للإدارة .

وتوجد اربع ماذان يصل ارتفاع المئذنة منها إلى سبعة وثمانين متراً . ويعلو كل مئذنة هلال من الذهب .



من خير ما كتب

الدكتور/ عبد الجليل شلبى :

قرآن وسنة

من الآداب العامة فى الإسلام السلام والاستئذان .. من ذلك يُسَنُّ لمن دخل على قوم أو مرَّ بهم ـ جماعة أو أفراداً ـ أن يقرئهم السلام بقوله : السلام عليكم ، وأبخل الناس من بخل بالسلام .

والرد على المسلم واجب ، وفى القرآن : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ والأحسن منها أن يزيد على ماقال المسلم ، فإذا قال (السلام عليكم) رد عليه بقوله (وعليكم السلام ورحمة الله) أو زاد (وبركاته) أما إذا قال البادىء (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) فإنه لم يبق لمن يرد عليه شيئاً يزيده ، فلذلك فهو يرد التحية فقط بمثلها ، ولا زيادة فى الشرع بعد هذا .

وإذا دخل المسلم بيتاً فإنه لابد أن يستأذن أهله ، وإذا نادى من الخارج أو دق الجرس ، فقيل من ؟ فلا يقول : « أنا » وإنما يذكر اسمه ، فإذا لم يؤذن له فى الدخول رجع بدون غضاضة أو امتعاض ، لأن الناس ليسوا على استعداد دائماً لاستقبال الزائرين . وفى القرآن ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُم حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ . لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَاتُبْدُونَ وَمَاتَكْتُمُونَ ﴾ . والبيوت غير المسكونة هى المحال العامة من بيوت التجارة ونحوها ، فهذه لا عورات فيها ، ولا تحتاج لاستئذان .

والبداية بالسلام تحدث الفة بين الشخصين ، وترفع الحجاب عما بينهما ، وقد طلبت الآية أن يستأنس الداخل ، أى ينشىء أو يطلب انساً بمن هو داخل عليهم ، وفى الحديث : (تصافحوا يذهب الغل عنكم ، وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء) . فالحمد لله أن كان ديننا دين وعى اجتماعى .

ويكره أن تقبل يد من تسلم عليه إلا شخصاً ترجى بركته ، أو يجب احترامه كالوالد . وقد قبل سعد بن مالك يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما وفد عليه « عبد القيس »[1] ابتدروا يديه ورجليه وهو

---

(١) أى وفد القبيلة .

للأستاذ
عبد الفتاح السيد عبد السلام

صلى الله عليه وسلم ترجى بركته ويجب احترامه وتقديره لا ريب ، صلى الله عليه وسلم .

ومن السنة أن يسلم الصغير على الكبير ، والمار على القاعد ، والراكب على الماشى هذا شيء من الآداب العامة . ارشدنا إليه ديننا الحنيف ، وفيه من ذلك وأمثاله كثير والحمد لله .

الدكتور/ محمود أحمد محجوب :

ملامح الطب الوقائى فى الإسلام

تحريم كل مسكر ومفتر ولو كان قليلاً :

وعلى رأس هذه المحرمات الخمر فعلاوة على أنها تخلط العقل وتذهب المروءة وتجعل صاحبها عرضة لسخرية السفهاء ، فإن لها الكثير من الأخطار على أجهزة الجسم الداخلية حتى أنها قد تودى بحياة الإنسان ومن أمثلة ذلك : أنها تسبب هبوط وظائف الكبد والفشل الكبدى نتيجة تأثير المواد السمية الناتجة عن تمثيلها على الكبد مما يؤدى إلى ارتفاع ضغط الدم فى الأوردة البابية ودوالى المرىء التى يسبب انفجارها ـ غالباً ـ وفاة الإنسان .

وللخمر أثر ضار وسام على عضلات القلب بما يؤدى إلى هبوط وظائفه . كما ان الخمر تقلل من إفراز حامض المعدة فتسبب عسر الهضم وتؤدى إلى اضطراب الأعصاب واختلالها وبخاصة الطرفية منها ـ أعصاب القدمين واليدين ـ إلى غير ذلك من المضاعفات الخطيرة كاضطراب الذاكرة ونحوه .

ولا تخفى حكمة الشارع فى تحريم القليل منها لأنها ـ مثل السجائر والحشيش ـ تؤدى إلى التعود وإلى صعوبة الابتعاد عنها ، وذلك ـ قطعاً ـ خلاف الإدمان الذى يسببه تعاطى الأفيون والكوكايين والهيروين حيث يعتمد الجسم على هذه المخدرات اعتماداً عضوياً ويتعين علاجه منها فى مصحات خاصة ولفترات طويلة ، مما جعل الكثير من الحكومات ـ حتى الليبرالية منها ـ تحرم تعاطى هذه المخدرات وتعلن عليها الحرب الشعواء وذلك لمسئوليتها المباشرة عن الكثير من جرائم الشباب المدمن .

كما أفتى العلماء بحرمة السجائر بعد التقدم الطبى لثبوت ضررها ولمسئوليتها المباشرة عن الكثير من الأمراض وبخاصة سرطان الجهاز التنفسى بدءاً من الشفتين واللسان وانتهاء بالحنجرة والرئة ومسئوليتها عن الالتهاب الشعبى المزمن الذى يؤدى إلى إغلاق ممرات الهواء إلى الرئة وإلى حجز الهواء الخارج من الرئة فى الزفير فيؤدى إلى تمدد للرئة وتهتكها، كما أن للسجائر دوراً فى أمراض القلب كخفقان القلب وتصلب الشرايين والذبحة الصدرية والجلطة علاوة

◆ من خير ما كتب

على تأثيرها المسبب لقرحة المعدة وفقد الشهية وغير ذلك من المضار .

الدكتور/ عبد السلام عبد الغفار :
وزير التربية والتعليم السابق

أزمة التعليم أخطر من الأزمة الاقتصادية

أزمة التعليم اخطر بكثير من الأزمة الاقتصادية . فالأزمة الاقتصادية يمكن للمجتمع تحملها .. أما ازمة التعليم فلا يمكن للمجتمع تحملها .. لأنها تعنى التضحية بجيل .. والتضحية بجيل ستجبرنا على التضحية بالأجيال الأخرى القادمة نظراً لأن الأجيال تتعلم من بعضها .. ولا يعلم أحد غير الله كيف يمكن كسر هذه الحلقة المفرغة .

إن التعليم هو اعظم استثمار يستطيع ان يقوم به اى مجتمع .. فراس المال البشرى هو العنصر الأساسى فى إحداث اية تنمية اقتصادية أو اجتماعية او ثقافية .

لذلك تضع المجتمعات الواعية التعليم فى أولى الأولويات وهذا ليس تحيزاً منى للتعليم كرجل تربية .. وإنما هو قراءة فى التاريخ قديماً وحديثاً . لأن بالتربية والتعليم يتحدد مستقبل المجتمع .. والبشر هم الذين يحددون حاضر الأمة ومستقبلها . فإذا أهملنا فى التعليم لا نتوقع رجالاً يستطيعون تحمل مسئولية المجتمع وإحداث التطوير فيه بخاصة فى عصر يتسم بالمنافسة والتطاحن والرغبة فى التفوق .. وهى عوامل نمو الحضارة بصفة عامة .

كل هذا يدفعنا لإعادة النظر فى واقعنا التعليمى نظراً لما نعانى منه اليوم . وإذا أردنا تعليماً فعالاً فيجب أن نهدف إلى تنمية شخصية الإنسان المفكر الذى يحسن القراءة والنقد وإصدار الأحكام ..

الإنسان الواعى الذى لا يخضع لمؤثرات خارجية .

الذى يستطيع تكوين فلسفة معينة .. ويحسن ويتقن العلاقة بينه وبين نفسه .. وبين الآخرين .. وبين ربه .. لأن البعد الدينى فى هذا المجتمع له اهميته الخاصة على مر التاريخ . يجب أن ننمى الإنسان المتكامل الذى يتقن استخدام عقله وقلبه ووجدانه ودوافعه .. إنسان ينتمى إلى قيم المجتمع .

الإنسان الحر الذى يستطيع الاختيار وتحمل مسئولية اختياره الذى يحمى النظام الاجتماعى .. ويدرك مشكلات مجتمعه ويتعاطف معها ويساهم فى حلها ..

هذا هو الإنسان الذى سيتحمل مسئولية القيادة فى المستقبل .. ولابد من إعداده بطريقة جيدة عن طريق التعليم .

فهرس العدد





الفهرس السنوى للمجلد التاسع والخمسون ١٤٠٧هـ



إعداد
أبو القاسم عبد الكريم عبد الموجود
عادل رفاعى خفاجه

اسم الكاتب	الصفحة	اسم الكاتب	الصفحة
عبد المنعم محمد عبد الغنى النجار (الدكتور)	١١٠٠ ١٤٢٨ ١٥٩٤		٥٧٧ ٧٢١ ٨٦٥ ١٠٠٩ ١١٣٧ ١٣١٣ ١٤٧٣ ١٦٣٣
عبد المهدى بن عبد القادر ابن عبد الهادى (الدكتور)	٦١٥ ٧٥٢	**حـــرف الغيـــن**	
عبد الودود شلبى (الدكتور)	٤٦٤ ٥٩٨ ٩٧٦ ١٤٠٨	**حـــرف الفـــاء**	
عزت شندى موسى (الدكتور)	٢١٧ ٥١٤ ٩٦٠ ١٤٢٠ ١٥٨٢	فتحى البديوى (الدكتور)	١٢٤٢
علية الجعار (الشاعرة)	١٠٩٨ ١٢٦٣ ١٧١٥	فضل الرحمن بن محمد بن عبد الله الباكستانى (الشيخ)	٢٩ ١٨٤ ٣٣٨
على أحمد الخطيب (الدكتور)	١ ١٤٥ ٢٨٩ ٤٣٣ ٤٨٢	فوزى محمد طايل (الدكتور)	٣٤ ١٦٩ ٤٦٨ ٧٦٥ ١٣٨١
		فوقية حسين محمود (الدكتورة)	٤٨٦



الفهرس السنوى للمجلد التاسع والخمسون ١٤٠٧هـ

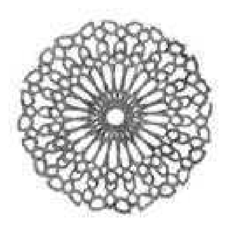
إعداد:
حسن سليم حسن صالح
كمال الدين عبد اللطيف السيد

Anas Moustafa El-Naggar

2. "Make ready your strength to the Utmost of your power"

Muhammad Gamal El-Din Mahfouz.

The preparation of prints and the revision of the text of the English Section throughout the whole of Volume 59, were done by Mrs. Fatimah Muhammed Sirry.



Anas Moustafa El-Naggar.

2. Perspective of Islamic Shariah.

Robert D. Crane.

Shabaan, 1407, Vol. 59, Part VIII

1. The Farewell Pilgrimage (Part 3)

Anas Moustafa El-Naggar.

2. Preventive Medicine from the Holy Quran and the Prophet's Traditions.

Ahmad Shafik El-Khatib.

Ramadan, 1407, Vol. 59, Part IX

1. The Illness

Anas Moustafa El-Naggar.

2. Fasting in Islam-A comparative perspective.

Nasr El-Dein Abdel-Fattah Sholakamy.

Shawal, 1407, Vol. 59, Part X

1. The Last Hours.

Anas Moustafa El Naggar.

2. The Revival of Faith.

Fathy Mahmoud Youssef.

Zu Al-Qida, 1407, Vol. 59, Part XI

1. The Death

3. Human Rights in Islam

Robert D. Crane.

Rabie Al-Akhar, 1407, Vol. 59, Part IV

1. The Divine Referendum

Anas Moustafa El-Naggar.

2. Organ Transplantaiton in Human beings.

Imam Gad Al-Haq Ali Gad Al-Haq.

3. Devotion and Strength of Persistance.

Hadeer Refat Abu Al-Nagah.

Jummada Al-Ula, 1407, Vol. 59, Part V.

1. The Call unto the path of Allah.

Anas Moustafa El-Naggar.

2. Organ Transplantation in Human Beings.

Imam Gad Al-Haq Ali Gad Al-Haq.

Jummada Al-Akhar, 1407, Vol. 59, Part VI

1. The Farewell pilgrimage (part I)

Anas Moustafa El Naggar.

2. The Islamic System and Secularism.

Fawzy Muhammad Tayel.

Rajab, 1407, Vol. 59, Part VII

1. The Farewell Pilgrimage (part 2)

INDEX TO VOL› 59, 1407 Hijjrah

essence a miniture of the "day of judgment in the attire and other requirements and disciplines of the prctice. Hajj in its reality and purpose is the rigorous examination which qualifies the successful candidate for the degree of good faith.

The Holy Quran and the traditions of the Prophet (prayers and peace be upon him) define the measures and standards, which build up Faith. These measures and standards are:

1. The total absolute submission to Allah and the belief in Allah, His Angels, His Books, His Messengers with Muhammad being the last of them, and the final day of judgement.

2. The total trust and confidence in the absolute knowledge and wisdom of Allah.

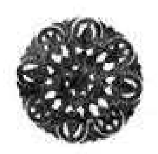
3. Spending "Infaq" in the cause and prth of Allah.

4. Observance of prayer, and the practice of Zakat to be given to the righful beneficiaries.

5. Advocating the right and good, and rejecting and combating the wrong and evil.

6. Loving Allah and His Messenger above all else, then loving fellow men for Allah's sake; showing kindness and help to neighbours and distant relatives.

Faith in Islamic structure of thought penetrates into every aspect of human life. True faith has a great influence and impact on the spiritual, material and social environs of mankind.



the only purpose of all one's plans and actions and as the only criterion for deciding what to do and what not to do. Fasting is an act of voluntary suppression of the bodily desires to maintain existance. The voluntary practice of fasting is a loud proclamation by the believer of the supremacy of the Divine Law of Allah.

By denying ourseleves the most basic necessities of life during fasting, an unparralleled spirit of patience is built up within us. Difficulties and disciplines during the month of fasting bring us face to face with the realities of life and help us to develop more understanding and tolerance to life.

The fourth pillar of Islam, chairty, is the products of the first three. Without it there clearly is no faith, because faith is expressed in good works or it is not at all. Charity, in Qur'anic language, is known as infaq (and in its more specific derivitives zakat and sadaqat), which is the inclination or desire to give rather than take in life. This is another way of defining love (which is a word so debased in English usage that Muslims avoid it whenever possible). Love, or charity, for a Muslim means simply to desire and work for the very best for another person. Allah loves us, but we can only glorify Him, which is a combination of thanks and praise. If one has faith or iman, one will want to make an effort to help other people, because one would be unhappy not to do so. The understanding of "infaq" as an article of Faith is the most ecumenical practice for the coherence of the human society.

The fifth pillar of Islam, the (hajj) or pilgrimage to Mecca, is a grandiose and complex symbol, revealed by Allah in the process of all its details as a symbolic presentation of all the teachings of Islam, and also as a once-in-a-lifetime means to feel the unity of all believers in God-consciousness and love. Hajj is the largest annual convention of Faith where Muslims meet in a unique consortium and practice. It is also the greatest regular conference of peace that is known in the history of mankind in lieu of the regulations and code of practice of Hajj, which forbids hatred, antagonism, dispute, differences, or even argument. Hajj is a wholesome demonstration of the universality of Islam and the brotherhood and equality among Muslims. There is no class distinction, and no royality. All loyalty is to Allah. The whole assembly of Hajj is in

➡

The Revelation of the Holy Quran has been precisely described as being a guidance to those who are conscious of Allah. Those people are specifically qualified with exactness in the Holy Quran.

> "This is the Book, in it is guidance sure without doubt, to those who fear Allah. Who believe in the Unseen, are steadfast in prayer, and spend out of what We have provided for them.
> And who believe in the Revelation sent to thee, and that sent before thy time."
> (Surat Al-Baqara, II, 2 - 4)

The second result of faith and its clearest expression is the second pillar of Islam, namely, formal prayer (Salat) which Allah has prescribed to help us "remember" Him in everything we do throughout the day. We are all forgetful of Allah. We pray five times every day because if we forget Allah as the center of our life, then we will be helpless in the face of the temptations and evil forces in the world. The preformance of regular prayer (Salat) is a manifestation of obedience which is a fundamental ingredient of true faith similar in that respect to all other acts of worship (ibadat). Performance of the act of prayer with its various positions are the true example of submission. It is an act of rememberance and visualization of all the meanings and concepts inherent in Islam. It is the observance of a discipline that conforms with faith.

The third pillar of Islam, namely fasting or (siyam), is an essential part, because it strengthens our remembrance of Allah. Siyam means to hold something fast. We hold ourselves fast by self-discipline through fasting so that we will not forget the purpose of our relationship with Allah and our origin and end. Fasting is so important in Islam, that an entire month, Ramadan, is required as part of one's faith, to strengthen our taqwa or consciousness of Allah and of His purpose for us during our time of testing in this world. Taqwa is the essence of faith in Islam and is the beginning of wisdom, because it is based on the fear of separating oneself from Allah and on the submission to Allah that comes from prayer. Taqwa produces a deep commitment to submit one's entire life to Allah by choosing the very best, rather than merely the minimally acceptable, as

Faith, from the Islamic prespective, might best be summarized as an openness to Allah, and even as a suspension of the Intellectual process in order to be more conscious of Allah and more responsive to His personal inspiration as guidance for one's own life; as well as an emotional commitment to submit one's life to Him out of complete trust in His love.

Faith also includes the results of this personal relationship with Allah. These results are positive actions summarized in the five pillars of Islam, which are all external acts designed to change both onself and the entire world.

The first such act is the simple expression of belief that Allah has no rivals (la ilah illa Allah), whether they be the crude objectives of wealth, power, prestige, or pleasure, or the more subtle and hidden false gods (shirk al Khafii) lurking in intellectual premises and paradigms of thought, or in ultimate values, or even in loyalties to human institutions, that may replace Allah as the center of one's life or lead away from Him. The second half of the Islamic statement of belief (Muhammad Rasul Allah) recognizes that Allah in His mercy has given us guidance through Revelation, especially through the complete Revelation given through the Prophet Muhammad. This guidance includes specific knowledge about reality that we can obtain in no other way, such as the existence of specific Books and Messengers of Revelation, of angles with different missions, and of the Day of Final judgement.

An authentic Hadith after the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) states that : Iman (faith) is the complete belief in the Oneness of Allah, his Angels, His Books (Revelation), His Messenger Prophets, the Day of Judgement, and Predestination. In the Holy Quran, it is revealed:

> "The Apostle believeth in what hath been revealed to him from his Lord, as do the men of faith. Each one of (them) believeth in Allah, His angles, His books and His apostles. We make no distinction between one and another of His apostles". And they say "We hear and we obey : We seek thy forgiveness Our Lord, and to Thee is the final destiny."
>
> (Surat Al-Baqara, II, 285)

FAITH IN ISLAMIC THOUGHT

By :

Dr . Robert D. Crane

Orthodox Islamic thought recognizes only two sources of knowledge, in order to emphasize that truth is created by Allah and not by man. These are Revelation from Allah and observation of all the phenomena of His creation, including man himself, which are all signs (ayat) of Allah. One can maintain this cardinal paradigm while recognizing that man has been given the intellect to devise greater understanding and therefore gain greater knowledge and discover greater truth by symbolit processing of what Allah has revealed to man both directly in Revelation and indirectly in His material creation. In Islamic thought, there is universal agreement that faith can and should be increased through the use of reason, but very few would include reason as part of faith.

All terms relating to Allah and His Will are defined for Muslims in the Qur'an. The term usually translated as faith is (iman), and a person with faith is called (mumin) or Believer, which is the adjectival form. Perhaps the best definition of faith in the Holy Qur'an.

> "Believers are only they whose hearts tremble with awe whenever God is mentioned, and whose faith is strengthened whenever His messages are conveyed to them, and who in their Sustainer place their trust - those who are constant in prayer and spend on others out of what We provide for them as sustenance; it is they, they who are truely believers ! Theirs shall be great dignity in their Sustainer's sight, and forgiveness of sins, and a most excellent sustenance."
>
> (Surat Al-Anfal, VIII, 2 - 4)

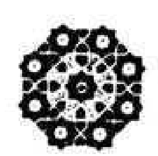
Ubaydah knew how to dig as the people of Macca and Abu Talhah Zayd Ibn Sahle knew how to dig as the people of Al-Madinah. Which of the two types of grave digging was to be used for the burial of the Prophet. Al-Abbas sent two men one to call Abu Ubaydah and the other to call Abu Talhah, and suplicated that Allah may will what is best for His Messenger. The messenger to Abu Ubaydah returned without Abu Ubaydah; while the messenger to Abu Talhah brought Abu Talhah with him. So, it was decided that Abu Talhah Zayd Ibn Sahle should dig in the manner used by the people of Al-Madinah

During the early hours before dawn on the night of Wednesday 14th Rabie Al-Awal, the eleventh year of Hijrah, the body of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was placed in its last abode. Those who actually went down the grave to rest the body were Ali, Al-Fadle, Qutham, and Shukran. A red cloth that belonged to the Prophet was spread on the floor of the grave. The grave was closed with mud brick and the sound of shovels heaping and leveling the ground on top of the grave finally stopped. Everybody remained to remember the Prophet saying "I go before you, and I am your witness, your tryst with me is at the Pool". To all Muslims, the Prophet will continue to be the Apostle, the Messenger of Allah, the bearer of the Revelation, the magnanemous, the mercy and light to mankind.

> "Verily Allah and His Angels whelm in blessings the Apostle. O you who believe invoke blessings upon him and give him greetings of peace".

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) left no possessions whatsoever to be inherited, the little property he had at Khaybar and Fadek, he dictated in his will to be given to charity. He specifically legislated "We the Prophets are not inherited."

Prayers and peace from Allah upon our magnanemous Prophet.



(prayers and peace from Allah upon him); it was time to attend to the preparation and burial of the body of the Prophet. The washing of the body was done with the garment on, a matter spiritually inspired to them. The washing was carried out by Ali Ibn Abi Taleb, Al-Abbas Ibn Abd Al-Mutaleb and his two sons Al-Fadl and Qutham, Ussamah Ibn Zaid Ibn Harithah, and Shukran one of the Prophet's freedmen. Aws Ibn Khawli from the Khazraj of the Ansars, who had attended the battle of Badre implored Ali Ibn Abi Taleb to be allowed the presence of the washing and preparation of the Prophet; He was allowed to enter and be with the Prophet's kinsmen. Ali passsed his hand over every part of the body covered by the garment, while Ussamah and Shukran poured water over the body; Al-Abbas and his two sons helped to turn the body. Ali said "Dearer to me than my father and my mother; how excellent you are in life and in death". After the washing was finished, the body was shrouded in three layers of cloth. The body in its shroud was left lying in its place, the room was cleared and the doors were opened. Everybody at Al-Madinah came to pay the last salutation and homage to Allah's Messenger. Abu Bakre entered followed by Omar and other close companions, they made the funeral prayers; and then Abu Bakre said "peace be upon you Messenger of Allah, His mercy and blessings be upon you. We witness that you are the Messenger of Allah, that you delivered the Message, and proclaimed that there is no god but Allah with no associates". In silent reverence, men cam in, prayed the funeral prayers, and then left the room. They came in relays, group after group; first the men, then the women, then the youngesters and children. All moved in to remain for moments and then out; all deep in silent grieve and loving devotion; all apprehensive of what the future had in store for the Muslims after the death of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

The place of burial of the Prophet was a subject of disagreement among those concerned. Some suggested the Baqi Al-Gharqad near his daughters, his son Ibrahim and compansions; others suggested the Mosque; others suggested Macca, his birth place and the home of Quraysh. Abu Bakre finally remembered having heard the Prophet to say "No Prophet dies but is buried where he died." This finally settled the disagreement and a grave was dug in the floor of Aishah's room under the couch where the body was lying. The Arabs at the time had two ways of digging graves, one for the people of Al-Madinah, and the other for the people of Macca. Abu

by the Prophet to lead the prayers, give your allegiance to that man".Every person present in the mosque rose and swore fealty to Abu Bakre in unanimous consensus.

Abu Bakre was publicly proclaimed successor to the Prophet. From the pulpit, he stood and addressed the people. After giving praise to Allah, he said "I have been given the leadership over you, and I am not the best of you. If I do well, help me; and if I do wrong, put me right. Truth is honesty, and untruth is treachery. The weak amongst you shall be strong with me until I have secured his rights, if Allah wills; and the strong amongst you shall be weak with me until I have extorted from him the rights of others, if Allah wills. Obey me so long as I obey Allah and His Messenger; but if I disobey Allah and His Messenger; you owe me no obedience. Attend to your prayers, may Allah have mercy upon you."

When Abu Bakre finished his words to the people and the prayers, he noticed the absence of Ali Ibn Abi Taleb and Al-Zubair Ibn Al-Awam. He called for Ali and said "The cousin of the Messenger of Allah and the husband of his daughter, wanting to split the sceptor of the Muslims ' !" Ali replied "None of that O Khalifa (sucessor) of Allah's Messenger" and announced his fealty to Abu Bakre. Then Abu Bakre called for Al-Zubair and said "The cousin of the Messenger of Allah, and his disciple, wanting to split the sceptor of the Muslims !!". Al-Zubair replied "None of that O Khalifa of Allah's Messenger" and announced his fealty to Abu Bakre. Both Ali and Al-Zubair later said "Our delay is only because our consultation was not earlier. None is more fitting to be successor of Allah's Messenger than Abu Bakre and none have precedence over him. He was selected by the Prophet to lead the prayers". Ali Ibn Abi Taleb later, after six months after the death of Fatimah, the daughter of the Prophet, and the wife of Aly, gave a second fealty to Abu Bakre consequent upon a misunderstanding between Abu Bakre and Fatimah regarding her inheritance from the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). This incidence completed the total fealty of Aly to Abu Bakre; during the time since Abu Bakre was proclaimed successor to the Prophet, Ali used to join the prayers behind Abu Bakre.

Now that the Muslims had finished settling the critical issue of electing the successor of the Prophet

Muhagereen took their place amidst the gathering, a speaker from the Ansars stood up and addressed the assembly. After praising Allah, he said "We are the Ansars of Allah, and the fighting legions of Islam; and you the Muhagereen are a group among us. Some among you wish to transgress on our right and seize our rightful claim in the matter". When he had finished, Omar was impulsed to speak, but Abu Bakre prevented him to avoid his temper at such crucial situation. Abu Bakre spoke with wisdom and sound logic; he said "We are the Muhagereen the first in Islam, we belong to Quraysh the central tribe of all the Arabs, the Kinsmen of the Prophet and the foremost compansions. You are the Ansars, our brothers in Islam, and victors over the enemy; you are worth all the praise you deserve. The Arabs will not accept any authority except from Quraysh; from them is the authority and from you is the ministership". At the end of his words, Abu Bakre took Omar and Abu Ubaydah each by the hand and said "I present to you one of these two men, pledge your allegiance to whoever you choose." A man from the Ansars spoke and suggested that the authority should be invested in both parties; this lead to heated arguments. Omar with his loud voice interrupted the commotion, raised the hand of Abu Bakre and said "This is the man, who was the closest companion of the Prophet, the second of the two on the route of the Hijrah, the man chosen by the Prophet to lead the Muslims in prayer during the illness of the Prophet; who of you will deny his rank, the love of the Prophet for him, or is willing to claim priority over him". Everybody present acclaimed the high rank of Abu Bakre and denied any claim of priority over him. Omar pledged allegiance to Abu Bakre, followed by Abu Ubaydah, and the other Muhagereen present in the gathering, followed by all the Ansars attending except Saad Ibn Ubadah. These historical events took place during the afternoon of Monday, the day the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) passed away.

The next day at the time of dawn prayers, Omar Ibn Al-Khattab urged Abu Bakre to climb to the pulpit. Omar then addressed the people assembled for prayer and said "The Prophet died and left for you the Holy Revelation - the words of Allah, and his traditions. If you adhere to their teachings, you will be guided to righteousness. Allah has also destined that you decide your word upon the best among us, the closest companion of Allah's Messenger, the second of the two when they were both in the cave as the Holy Revelation speaks. The man selected




THE SUCCESSION AND THE BURIAL

By :

Dr . Anas Moustafa El- Naggar, MD., PhD

In the name of Allah, the most Gracious and the most Merciful.

The words spoken by Abu Bakre in the mosque addressing the gathered crowds resolved the emotional-induced uncertainty of the Prophet's death. Now that the whole issue was finally settled; two important matters had to be attended to and organised; the burial of the Prophet and the selection of a successor to govern the affairs of the Muslim nation. These two matters necessitated immedaite action, and were therefore on the mind of everyone present in Al-Madinah at the time.

Ali Ibn Abi Taleb, Zubayr Ibn Al-Awam, and Talhah Ibn Ibied Allah went to the house of Fatimah. The rest of the Muhagereen gathered around Abu Bakre joined by Usayd Ibn Khudayr and many of his clan from the Ansars. Most of the Ansars, however, from the Aws and the Khazraj withdrew from the mosque and gathered assembled in the roofing of Bani Saidah, where Saad Ibn Ubadah was the chief figure. News of this gathering at the roofing of Bani Saidah came to Abu Bakre and Omar that the Ansars were deliberating the question of the successor now that the Prophet was dead, and the inclination was to proclaim Saad Ibn Ubadah being a chieftain from the Ansars as the successor of the Prophet.

Omar Ibn Al-Khattab insisted that he and Abu Bakre should go to the gathering of the Ansars at the roofing of Bani Saidah, and Abu Ubaydah Ibn Al-Garrah went with them. As the three men entered, they saw a man wrapped up in a cloak in the middle of the hall; Omar inquired who the man was, and was told that the man was Saad Ibn Ubadah, who was ill. After the three men from the

AL-AZHAR MAGAZINE

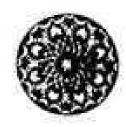
ENGLISH SECTION

Zu-Al Hijjah, 1407.

Vol. 59, Part XII

CONTENTS

Prepartion of Prints: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.



AL AZHAR MAGAZINE



ENGLISH SECTION